

مَجْلَّةُ الشَّرِيعَةِ

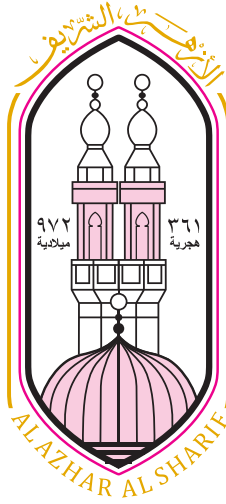
مَجْلَّةُ شَرْعِيَّةِ جَامِعَةِ

تَصَدَّرَ عَنْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ رَفِيٍّ أَوَّلِ كُلِّ شَيْءٍ عَرَبِيٍّ

٢٧

المجلد السابع والعشرون

السنة ١٣٧٥ هـ



مشيخة الأزهر الشريف

تليفون : 25907497 / 25899823

فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123

www.azhar.eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

سقيفة الصفا العلمية

SAQIFAT AL-SAFATRUST

لبوان - ماليزيا

www.saqifat-alsafa.org

E-mail : info@saqifat-alsafa.org

مدير المجلة
عبد الباقى الطيفى
عضو جماعة كبار العلماء

الاعوان
إدارة المجلة الأزهرية بالقاهرة
تبلغون ٤٦٤١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعية

تصدر من شيخ الأزهر في أول كل شهر عربى

مدير التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوى

في وادى النيل	٤٠٠
الطبعة وادى النيل	٤٠٠
للعلماء والرسامين بالأزهر	٣٠٠
خارج الأزهر	٥٠٠
للطبعة خارج الأزهر	٣٠٠
للعلماء والرسامين خارج الأزهر	٤٠٠

الجزء الأول - القاهرة فى غرة المحرم ١٣٧٥ - ١٩ أغسطس ١٩٥٥ - المجلد السابع والعشرون

المكتبة الزهرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٢
٨٤٤٤٦

درجات

اللهم آتينا بأدب القوة . وعلما منطق الحق . وسدد خططنا فى طريق البيت .
وجدد لنا بتالذنا طريف الحياة . أنت مالك الملك تخرج الحى من الميت وتخرج الميت
من الحى . وترزق من تشاء بغير حساب .

اللهم كما حققت أمل الأمة الأعظم بجلء الأغيار عن أوطاننا . ورفع كابوس
الاستعمار السياسى والعسكرى عن صدورنا - لحقق اللهم لنا تمام هذا الأمل بجلء آثار
الاستعمار الفكرى والخلقى والثقافى من نفوسنا . وكأأنت لنا الحديد . ويسرت لنا
صناعة السلاح . وألهمتنا طاعتك فيما أمرتنا من اعداد أسباب القوة لمن يريد بنا السوء -
فابعث اللهم فينا سجايا الرجولة بالابتعاد عن مزلق اللهو والضعف والترف . لنكون
أمة كفاح يهابها الأغيار . ويشد بها ساعد اخوانها من العرب والمسلمين . وكأوجهتنا
الى تجميل بلادنا . وتجديد شباب عمرانا . فوجهنا كذلك لتجميل نفوسنا . وتجديد شباب
أخلاقنا وشريعتنا ومفاخر ديننا . انك على كل شئ قدير .

وبعد فان نهضتنا قد أخذ نطاقها يتسع فى مصر وفى غير مصر من أوطان العروبة
والإسلام . وان كتائب الجهاد الأزهرى والاسلامى أخذت مكانها فى صفوف الكفاح .
وهى ترى ذلك من العبادة . وتعتبر نفسها مسئولة عن تقدم الأمة فى أخلاقها وقضايلها
وتجديد ايمانها باسلامها . وكل مسلم يحاسب نفسه قبل أن يحاسبه غيره قائلا لنفسه
ولكل أخ من إخوانه : « أنت على ثغرة من ثغور الإسلام . فلا يؤتىن من قبلك »
والله الموفق .

الزمان يعضي . . .

وهذه سنة أخرى من العمر لفظت أنفاسها في يومها الأخير ؛ فاستقبل الناس أختنا لها ولدت بين ساعتين ؛ بل بين دقيقتين ؛ كانت إحداهما آخر دقيقة من شهر ذى الحجة الحرام ؛ والأخرى هى الدقيقة الأولى من شهرنا الجديد شهر الله المحرم .

إنه حادث من حوادث العمر ما زال يتكرر علينا منذ ولدنا ؛ وكانت أمثاله تتكرر على آبائنا من سنة الهجرة الحمديّة ؛ حتى بلغ عمر الإسلام ثلاثة عشر قرنا ؛ وهانحن أولاء نستعد للاحتفال بالربع الأخير من القرن الرابع عشر !

ولما أخذت القلم لأتحدث مع قرأى عن هذا الحادث من حوادث العمر ؛ وقفت أفكر : هل هو سعيد ياترى بحظه منا . ونحن سعداء بحظنا منه . فتبادل فيه التهانى . ونسميه عاما سعيدا ؟ وإذا سميناه كذلك وتبادلنا فيه التهانى فهل نحن صادقون بهذه التسمية وهل نشعر حقا بنسمات الهناء تعطر بأنفاسها نفوسنا ونحن نتبادل التهنية ؟ أم أن حظ زماننا منا كان يمكن أن يكون أسعد مما هو واقع بالفعل . وكنا نكون أسعد به لو عملنا في عشرات السنين الماضية على أن نكون من أصحاب العزة والسعادة . ومن ذوى الاعتدال والاستقامة في تاريخ الإسلام . فيتحدث المؤرخون غدا عن هذا الدور من عمر الإسلام حديثا يشهد لأهله بين يدي الله عز وجل بأنهم أدّوا واجبهم كما ينبغي لهم أن يؤدّوه . وأنهم كانوا حلقة نظيفة لامعة في السلسلة التي كانت حلقتها الأولى بيد صاحب ذكرى الهجرة . وكان صلى الله عليه وسلم ينعتها بخير النعوت . ويشبّها بالنجوم التي يهتدى بها كل من اقتدى بها ؟

تعودنا جميعا أن نتنصل من المسؤولية - من مسؤولية الدنيا ؛ لا من مسؤولية سورة « الصافات » عقب تلك الزجرة المذهلة في يوم الدين - فيدعى الواحد منا لمن يتحدث معهم من أحبابه بأن ما يئن منه هذا المجتمع الإسلامى ويجعله في مؤخرة الأمم الظاهرة ؛ إنما هو من صنع الآخرين . وأن هذا المتحدث برىء من تلك المسؤولية . وأن قلبه يتقطع ألما وحسرة بما نحن فيه . حتى إذا صارت نوبة الحديث إلى أى رجل آخر منا - غير المتحدث الأول - كان تنصله من المسؤولية أطول من تنصل أخيه وأعرض وأعمق . . .

كلنا معترفون بعيوب مجتمعنا . وكلنا - على انفراد - نشكو هذه العيوب ونزعم لأنفسنا ولاخواننا البراءة من مسئوليتها . وإذا تلبس الواحد منا بعب من تلك العيوب يعتذر عنه بمجاراة المجتمع . وأن تيار الشر جارف الناس جميعا . وأنه لا قبل له بمقاومة التيار الجارف !

أجل ؛ إن التيار جارف . ولكن ما الذى يحمل الواحد منا على الدنو من منحدره الدافع . وما الذى يمنعنا أن نترفع عن طريقه الى أهضام الوادى ؟
ثم ما هو هذا التيار . بل ما هو المجتمع كله . ومن هم الناس ؟

أنا وأنت . وهم وهن ! هذا هو التيار . وذلك هو المجتمع . ونحن الناس . وإذا كان كل واحد منا يتصل من عيب الزمان - ونحن الزمان - فلماذا لا يشفى هذا الزمان من عيوبه ؟

الحق معروف . فلماذا لا نكون معه ؟ وللخير وميضه الدال عليه . فما الذى يمنعنا أن نكون من أهله ؟ أليس هذا مادعت إليه الديانات . وهو الذى حامت حوله حكمة الحكماء جميعا ؟

الحق والخير والحسن والأحسن . عناصر موزعة بين الناس . ومتمتجة بأضدادها فيهم وفى جماعاتهم وفى الأشياء كلها . والإنسان الواحد والفريق الواحد والشئ الواحد قد يكون فيه عناصر من الخير والحق وعناصر من أضدادهما . والمسلم يأمره إسلامه بأن يتعاون مع الناس وجماعاتهم فيما ينطوون عليه من عناصر الحق والخير . وأن يكف عن مشاركتهم فيما يخالف ذلك . ومن أدعية الإسلام الجميلة : اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وألهمنا اجتنابه . وإن دين الحق كان كلما ظهر فى الأيام الحالية ببعثة رسول من رسل الله . كان الناس مكلفين باتباعه ونصرته . باعتبار أنهم مكلفون دائما بأن يتحروا الحق ويتبعوه . وبأن يروا الباطل باطلا ويجتنبوه . والمجتمع الذى يتعاون أهله على الحق والخير يوشك أن يكون مجتمعا سعيدا . وكلما تكررت الأعوام على ذلك المجتمع كان أهله سعداء بأعوامهم وكانوا جديرين أن يتبادلوا اتهمانى ببلوغ تلك الأعوام . وبمحافظةهم على عناصر الحق والخير فى أيامها ولياليها .

لقد امتاز عصرنا بسهولة المواصلات وبتقارب الأمم بعضها من بعض . وفى الأمم الخير والشر . والحق والباطل . وإن الصحافة والطباعة التى انتشرت فى هذا العصر

وتقدمت أدواتها بما لم يسبق له نظير في سالف العصور ، تطلع على الناس في كل صباح وفي كل مساء ، وفيما بين الصباح والمساء . بكثير من الحق وصالح القول ، وبكثير من الباطل وقول الزور والدعوة إلى الإثم والشر . والناس معروضون للتأثر بذلك كله شاءوا أم أبوا . ويوشك أن يستدير الزمان بذلك مرة أخرى ، فنكون على أبواب تطور لا ينكر عاقل أن فيه منافع للناس ، كما لا يستطيع عاقل أن يمارى فيما ينطوى عليه من شرور وآثام . ولخير النافع دعاة . وللشر والآثام دعاة كذلك . والمجتمع الإسلامى في مصر وفي غير مصر حائر الآن بين دعاة للخير لكنهم يحتاجون إلى نشاط أكثر . وإلى تجاوب ممن يشاركونهم في حب الخير . وبين دعاة للشر يخاطبون الناس بأهوائهم ، ويفرونهم بالمتع العاجلة بأساليب من القصص ، وبعرض المفاتن في تصوير الآثام . وبفنون من الحديث عن اللهو والتحال من الأخلاق والرجولة والفضائل ويساءون على دعاة الهدى من الرجال أنصاف المتعلمات من النساء ، بل يساطون من يتعجل الشهرة والكسب الحرام من أهل المطامع أشباه الرجال ، فيحرضونهم على نقض عرى هذا الإسلام عروة عروة ، ويزعمون لهم أن في الإقدام على ذلك جهادا وشجاعة أدبية وانتصارا لحرية الرأى !

هذا كله واقع ومشاهد . ولا أنكر أنه رد فعل لموقف قديم لأهل الجمود والخرافات كانوا يقفونه من دعاة الإصلاح الإسلامى ، حتى قال لورد كرومر في أحد تقاريره السنوية عن مصر وهو يتحدث عن مدرسة الشيخ محمد عبده ونشاطها لتجديد شباب الإسلام : ان فشلها وانتصار أهل الجمود عليها سينشأ عنه ظهور ناشئة من المسلمين لا تعرف حرمة القديم . وقد يكون لورد كرومر وصنيعته المبشر دانلوب رأس العاملين على توجيه وزارة المعارف الدانلوبية وجهة التنكر للإسلام حتى صار أكثر حملة الأقلام والذين تقوم الصحافة والجامعات على عواتقهم من أولئك النشء الذى لا يعرف حرمة القديم .

إن الأمة اليوم في دور تكوين جديد ، وإن الفرصة سانحة الآن لنشاط دعاة الإسلام واعدادهم للمساهمة في هذا التكوين . وأنا أتهجد دائماً كل فرصة لأسأل أهل الغيرة على الإسلام : هل سبق واقفين وقفة المتفرج أمام استدارة الزمان ، وانقياد الجماهير لدعوة الباطل والإثم ، وطغيان هذا التيار على المتأثرين به ، حتى يفلت الزمام من يد الاسلام فيستسلم أهله ويأسوا؟ وهل نبقى هكذا ، كل واحد منا يشكو الزمان ، ويدعى البراءة لنفسه متصلا من المسئولية ؟

إن مثل هذا الدور مر على الغرب المسيحي ، فشحذ رجال الدين فيه عن سواعدهم . وأخذوا من الحضارة العصرية أحاسنها فاعترفوا بها ، ومن العلوم السكونية حقائقها فسلموا بها . وتولوا الدعوة إلى الدين على كراسي التدريس ، وفي الصحافة العامة فضلا عن صحفهم الخاصة . واتخذوا ذلك رسالة لهم وهم يماشون القانون والنظام في كل بلد نزلوا فيه إلى أن تمكنوا من تربية عنصر في أممهم ينطوى على الوفاء للدين والمجاعة للنافع من عناصر الحضارة ، ومن يراقب أحوال الأمم يرى نجاح هؤلاء القوم في أداء رسالتهم إلى أقصى ما تمكنهم منه أدواتهم وظروفهم ، ولو أن لهم في الدين الذي يدعون إليه ويقومون على حراسته ما في الإسلام من مقاصد اجتماعية سامية ، وأهداف عامة بعيدة المدى لفتحوا بها قلوب الأمم كلها .

وكما أننا الآن في مطلع سنة جديدة من السنين التي تذكرنا بحادث الهجرة المحمدية ، وما ينبغي لعقلاء المسلمين - ولا سيما رجال التدريس - أن يتخذوه رسالة قدسية لهم لتكوين الجيل تكوينا إسلاميا صالحا ؛ فنحن كذلك على أبواب افتتاح المدارس والمعاهد والكلية في مصر وفي غير مصر من الوطن الإسلامي الأكبر ؛ والمؤمنون برسالة الإسلام من المدرسين غير الأزهريين لا يقل عددهم عن حملة رسالة الإسلام من المدرسين الأزهريين ، وإذا كان لنا هذا الجيش العرمرم من الموجهين وقادة الفكر ، ومن الآباء الروحانيين للنشء الإسلامي . فمن الخزي أن لا يظهر أثر ذلك في عام كامل يؤدي فيه المدرسون الإسلاميون رسالتهم بعزيمة قوية من عزائم الإسلام وبحكمة حكيمة من توجيهات الإسلام ؛ وشر المدرسين من يقوم بعمله لأجل راتبه وحسب ، ولا يرى من واجبه أن يصنع للإسلام جنديا مجديا من كل طالب يضعه الوطن تحت أمانته ، ويلتقي يده في توجيهه للذي فطر السموات والأرض حنيفا مسلما وعضوا عاملا ورجلا نافعا في المجتمع .

إن مصر محتاجة إلى الإسلام في إصلاح مجتمعتها ، وكل أوطان المسلمين في مثل حاجة مصر إلى ذلك أو أشد . والإسلام إذا تربى عليه النشء من أبنائه كان ذلك قضاء مبرما على الاستعمار في كل مكان ، وعلى الرذيلة بجميع ألوانها ، وعلى العيوب التي نشكو منها في مجتمعتنا . وفي أيدي المدرسين الإسلاميين - أزهريين وغير أزهريين - أن يقوموا للأوطان الإسلامية بهذه المهمة ، وأن يعترفوا جمال الإسلام لتلاميذهم ، فيعرفه عامة الآباء والأمهات من طريق البنين والبنات ، ويكون لنا منهم في السنوات القليلة الآتية مجتمع سعيد تكون به الأمة سعيدة والأعوام سعيدة ، وما ذلك على الله بعزيز

نَفَحاتُ الْفِرَاقِ

- ٣١ -

مناجاة القرآن للعقل وللعاطفة

« واتقوا الله الذى تساءلون به ، والأرحام ،
إن الله كان عليكم رقيباً »

تقديم :

١ - ترى القرآن فى تبليغ دعوته يناجى العقول ، ويفتح أمامها مجال البحث مع الروية ، ويحضها على التأمل وحسن النظر ، ويترقى بنا فى المناجاة ، فلم يفرضنا تحت السيطرة المألوفة - وإن كنا كذلك بالنسبة لله تعالى - ولم يأخذنا بالعنف ، بل ينادينا بأكرم ما تتسم به الإنسانية : يا بنى آدم . . يا أولى الألباب . . يا عبادى . . الخ . وفى هذا الترفق تكريم لنا واعتماد على عقولنا فى إدراك ما يوجه إلينا حتى يكون إصغائنا إليه عن طمأنينة وتصديقنا له عن بينة وأخذنا بما شرع لنا عن ثقة وارتياح . . وتلك هى الحكمة فى الدعوة التى يراد لها النجاح والخلود . . وهى السياسة التى رسمها لنا فيما أمرنا به : من الحكمة والموعظة الحسنة ، وأن نجادل خصومنا بالتى هى أحسن ، وألا يكون الداعى إلى الإصلاح فظاً غليظ القلب ، لئلا ينفض الناس من حوله .

٢ - وترى القرآن كذلك يناجى العاطفة ، ويشير فيها الحنو ، ويستنهضها إلى الاستجابة ويعتمد عليها فى مؤازرة العقل : إذ العقل وحده لا يسهل دائماً قياده ، فقد يجمد على التقليد أو يجنح إلى العصبية أو تغمره الجهالة أو يحيط به كل ذلك حتى ينحاز إلى غير ما يلائمه ويظل متخلفاً ، وحينئذ تكون العاطفة عوناً على إقناعه ووسيلة إلى استمالته واجتذابه .

كما أن العاطفة وحدها قد لا تتماسك : بل تلين وترق حتى تتأثر بكل ما يعرض لها دون روية أو موازنة بين ضار ونافع ، وقد تتحجر العاطفة التى لم يسعفها تهذيب أو لم

يصادفها توجيه ، فيكون للعقل موقفه من الرشد والترجيح والاختيار واجتذاب العاطفة نحوه .

وكثيرا ما نغيب نحن على إنسان أنه عاطفى لا يقدر الأمور قدرها ، أو أنه متحجر العاطفة لا يتأثر ولا يستجيب .

والقرآن نفسه يسلك ذلك المسلك حين يقول فى بنى إسرائيل : « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة ... الآية » .

٣ — فالعقل والعاطفة نافذتان يدخل منهما نور الهداية ويستقر فى الوعى وينقاد المرء لما يتجهان إليه ويبصرانه به .

وفى تكافلهما — لاشك — حفاظ من الزلل .

وفى مناجاتها توزير لأسباب الرشد وحيطة فى التوجيه وفى حسن التربية .

٤ — وإذا نظرت فى الجملة التى اقتبسناها عنوانا لموضوعنا وجدت فيها خطابا يتجه إلى العقل والعاطفة معا .

فالله — سبحانه — يأمرنا بتقواه ثم يذكر مع الأمر شيئا يقتضى الاستجابة وهو وصف معترف به عند المخاطبين — الذى تساءلون به — ومفهوم أنهم يتساءلون بالله فيما يجرى دائما على ألسنتهم : ناشدتك الله . . . أستحلفك بالله . . . أقسم عليك بالله . . . وفيما يتوسلون به من أدعية : اللهم رب كذا وكذا . . . اللهم فاطر السموات والأرض . . . وهكذا مما يتأول الأخذ فيه .

وذكر هذا الوصف — وهو التساؤل بالله — يعتبر دليلا ملزما لهم أن يتقوه ، إذ مقتضى التساؤل بالله : الإيمان به ، والخشية منه ، وتقواه فى السر والعلن ، وإنما يساق الكلام مقرونا بالاستدلال حينما يكون الخطاب للعقول المدركة الراشدة ، ولو على سبيل الفرض فى رشدنا : فشأنها كذلك . فإذا لحظت هذا وجدت للأرحام ذكرا فى سياق الأمر بالتقوى « واتقوا الله الذى تساءلون به ، والأرحام » .

فتقوى الله ، وتقوى الأرحام : مقصد واحد .

٥ — وذكر الأرحام تهزله العاطفة ، ويثور له الحنو الكامن فى دخيلة النفس ، وبه تتجاذب المودة النسبية أرواحا ربما كانت متنافرة ، وتتوارى أمام القرابة حزازات وأشجان

فشان القرابة كذلك ، لأنها وشيجة في الدم وفي الجسم والروح واتباء إلى أمومة واحدة وأبوة واحدة ، وفي ظل الأمومة والأبوة تتعاطف الأرواح ، وبذكر الأمومة والأبوة أو بذكر الأرحام بدلا منها إيقاظ للعاطفة من غفلتها ودفع بها إلى التراحم وبذلك ما هنالك من أسباب الفرقة ، وإن لم تكن عاطفة الإنسان على أقربائه يقظة حساسة فلا يربح منها تراحم على غيرهم من الأجانب عنه .. وحينما تكون العاطفة الإنسانية كذلك : جفوة وزهادة وأنانية ، فأحرى بالإنسان ألا يكون إنسانا .

هذه المعاني التي تنفخ بها الجملة ذات شأن في حياة الناس ومنفعتهم ؛ وذكرها إجمالا أو تفصيلا ليس من الأمور الثانوية ، بل هي فيما شرع الله من المقاصد الأولية ، وهي من أعمال الناس تحت مراقبة الله وفي منهج عبادتهم له ، فليتقوه بفعل ما أمر وترك ما نهى ، وليتقوا الأرحام فلا يقطعوها ولا يسيئوا إليها من قرب ولا من بعد ولا يستهينوا بترك مودتها .. وقد حذر الله من التهاون في ذلك بقوله : « إن الله كان عليكم رقيبا » وهذا هو الرقيب الذي لا يغفل ولا ينسى ولا يعجز عن تنفيذ وعيده .

واختيار التهديد بلفظ - الرقيب - تأكيد لما أمر به من تقوى الله وتقوى الأرحام .

إذ الرقابة - منا - دقة الملاحظة وقوة الوعي واليقظة . . فكيف بها إذا كانت مراقبة من الله تعالى ؟ .

ونظرة إلى السياق الذي ذكرت فيه الجملة التي نتحدث عنها تفتح أمامنا أفقا واسعا يطيب للقارئ أن يصاحبنا في أرجائه ، وأن يقرأ ما ندرك من أزهاره .

فنحن في مطلع سورة النساء ، وفي عجز الآية الأولى منها ، وقد استلمها المولى بنداء الناس أن يتقوا ربهم ، ثم ذكر من الأدلة ما يقتضى الاستجابة - على نحو ما أسلفنا في جملة العنوان - وهو أنه : (١) خلقنا من نفس واحدة . (٢) وخلق منها زوجها . (٣) وبث منهما رجالا كثيرا ونساء .

وإن تكن هذه الأمور الثلاثة مظاهر قدرة ، وآيات إعجاز ، ودلائل جبروت وعظمة ، وتوجيهات للعقل أن يتعقل ويطمئن ويؤمن ، فقد امتزج بذكرها خطاب العاطفة مع العقل ، إذ فيها تنبيه إلى الأخوة التي انحدرت بالناس جميعا من أبوة نفس واحدة - آدم - وامتدت بهم من معين واحد - حواء - وربطت بينهم جميعا .

وإن تشعبت الفروع واتسعت بهم الآفاق واختلفت الألوان والألسن فهم إلى أيهم وأهمهم كأعصان الشجرة الواحدة .

ثم يتكرر الأمر في الجملة التي قدمنا الحديث عنها بغاءت تميما لما بدأ وإجمالا لما فصل وتأكيذا لما قصد .

وعند الوصول إلى هذا التأسيس والفراغ من هذا التوجيه تسير بنا الآيات بعد ذلك في خطاب العاطفة واستنهاضها إلى الرحمة باليتيم .

وإن كانت القرابة في الآدمية والرحم البعيد ملحوظا فيما أوصت به الآية غير أن اليتيم ذو شأن أخص إذ اليتيم قناعة منهم والرحم بينهم وثيقة والإنسانية تقضى على بنينا أن يترفقوا به أكثر من سواه : إذ هو ناشئ يحتاج إلى من يحتضنه ويحنو عليه وحيث فقد أباه الأقرب فهو بينهم صغير يستظل بكبير وضعيف يحتوى بقوى وعاجز يعتمد على وصيه القادر وهو في الجملة إنسان سيسد فراغه في صفوف المجتمع فلا عجب أن تعنى به الآيات من كل وجه وأن ترسم سياسة خاصة في شأنه .

بدأت بالحث على صيانة ماله والنهي عن أخذ الطيب منه بدل الخبيث من مال الوصى أو غيره ثم بالنهي عن خلطه بمال الوصى وأكله مع ماله : « وآتوا اليتامى أموالهم - بمعنى حافظوا عليها حتى تؤتوها لهم حين رشدهم - ولا تبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم » .

وخلاصة هذا منع التصرف بكل ما يحيف بمال اليتيم .

وشئ من هذا الحيف يعتبر عند الله حوبا كبيرا : إثما عظيما . ثم تأتي آية ثانية في شأن مال اليتيم ومعاملته ، فتنهى عن تمكينه من ماله وهو صغير لا يحسن التصرف لأن تمكينه مضیعة للمال وهو عصب الحياة للجميع ؛ وتأمّر بالإحسان في معاملته وفي مخاطبته كما تنطوى على تنمية ماله حتى لا ينفد بالنفقة عليه « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا » .

وتأتي آية ثالثة في تمرين اليتيم على المعاملات قبيل بلوغه ؛ وتنهى ثانيا عن تبديد ماله بأكله ؛ وتأمّر بالتعفف عن تناول الأجر منه إلا للوصى الفقير ، فله أن يأكل منه بالقدر المعروف بين الناس في حدود الاستحقاق له وبقدر مجهوده في الإشراف ؛ وتأمّر بالإشهاد عليه حين تسليمه ماله ؛ وبعد أن يثبت رشده المالى بحسن تصرفه وتديره لمصالحه

« وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا » .

ولعل ما في هذه الآية الأخيرة لصالح الوصى كما هو لصالح اليتيم فإن في الإشهاد على دفع مال اليتيم إليه براءة للذمة ودفعاً للشبهة ومحافظة على سلامة الروابط وحسن الظنون .
وتأتى آية رابعة فيها أروع خطاب يثير عاطفة الأوصياء على اليتامى وفيها تذكير لهم بأنهم كأبنائهم فإذا كانوا لا يطيقون على أبنائهم قسوة ولا يرضون لهم مهانة ويخشون أن يمسهم أدنى شظف فيفرضوا على أنفسهم مراعاة هذا في اليتامى الذين يعيشون في كنفهم .
« وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا » .

أبعد تذكير الوصى بأولاده واسترحامه لليتامى بما يستطيعه من البر بهم والحدب عليهم ومنعه أن يفعل بهم ما لا يحب أن يفعل الغير بأولاده لو تركهم صغارا ضعافا . .
أبعد ذلك يكون بحاجة إلى توصية ؟ ؟ أو ينقصه تذكير برحمة وعطف ومواساة ؟ ؟
ليس بعد ذلك إلا تهديد بأقسى ما يخشاه من عذاب وهو بالعذاب جدير .
لذلك كان من الزجر اللائق به أن يتهدده الله بما يذيب الأكباد خوفا ورهبة وأن يواجهه بشناعة ما صنع في اليتيم « إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا » .

نعم : فيما تقدم من التوجيه والإيضاح أطيب ما يترتب عليه الفرد والجماعة وأرشد ما يقام عليه النظام الجماعى وأحفظ ما يستقيم به شأن اليتيم حتى يبالغ أشده ؛ فمن لم يأخذ نفسه بما سمع ؛ ولم يع ما خوطب به ؛ فلتشبع بطنه من نار جهنم ؛ وليعيش في سعيرها ما شاء الله ما

عبد اللطيف السبكى

عضو جماعة كبار العلماء

السيرة

صفحة من الجهاد النبوى

أعظم الغزوات بلاء وشدة - أحداث جسام - من آثار
الجهار بالدعوة - فنون من الكيد والإيذاء - رحلة الطائف -
الأم من اللؤم - أروع الأمثال فى مقابلة السوءى بالحسنى .

* * *

عن عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثته أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ؛ هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ ! فقال : لقد لقيت من قومك ! وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل ابن عبد كلال . فلم يجبنى إلى ما أردت . فاناطلقت وأنا مهموم على وجهى : فلم أستفق إلا بقرن الثعالب ؛ فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى ؛ فنظرت فإذا فيها جبريل ؛ فنادانى فقال : إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ؛ وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ؛ قال : فنادانى ملك الجبال وسلم على ؛ ثم قال : يا محمد ؛ إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال وقد بعثنى ربك إليك لتأمرنى بأمرك ؛ فما شئت ؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا . رواه الشيخان ؛ واللفظ لمسلم .

* * *

العقبة : الطريق الوعر فى الجبل والمراد بها هنا عقبة الطائف حيث التقى النبي صلى الله عليه وسلم بابن عبد ياليل فى نفر من أكابر ثقيف يدعوهم إلى الإسلام . وابن عبد ياليل - يوزن هايل - واحد رجال مكة والطائف وسادتهما الذين عناهم المشركون إذ قالوا فيما حكى الله عنهم « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » .

والقرن : الجليل المنقطع من الجبل ؛ وأضيف إلى الثعالب لأنها كانت تأوى إليه ؛
ويسمى قرن المنازل أيضا لنزول المسافرين عنده ؛ وهو ميقات أهل نجد ؛ على يوم
وليلة من مكة .

والأخشب : الجبل الخشن العظيم ؛ والأخشبان : جبلا مكة المطيفان بها : أبوقيس
وقيععان الذى يقابله .

* * *

غزا النبي صلى الله عليه وسلم بضعا وعشرين غزوة ؛ كانت غزوة أحد أعظمها وقعا وأشدّها
بلاء !! ومما زاد في شدتها وبلائها أن الدولة كانت للمسلمين في أول الأمر لما استمسكوا
بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبتوا في مواقفهم .. ثم دارت الدائرة عليهم لما تركوا
مواقفهم ونسوا أمر قائدهم ، وشغلوا بالغنائم يجمعونها ظانين أن الكفار قد ولوا الأدبار
إلى غير رجعة ... ولكن أعداء الله اهتبلوا منهم هذه الفرصة ، فكثروا عليهم على حين
غفلة ، وأثخنوهم قتلا وجرحا ، وكادوا لهم كيذا دينا !!

في هذه المعركة خلص المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقفوه بالحجارة حتى
وقع لشقه ! وكسرت ربايعيته ! وشج وجهه ! ووقع في حفرة من الحفر التي كان أبو عامر
الراهب قد حفرها وغشاها ليقع فيها المسلمون ! واضطروه بهذا الإيذاء المحيط إلى أن يقول :
كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم ؟ فأنزل الله عليه في ذلك :
« ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون » .

* * *

هذه بعض الأحداث الجسام التي ابتلى بها النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد ؛
والتي ظنت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أنها أعظم المصائب التي أصابته في ذات الله
عز وجل !!

بيد أنها أرادت أن تستوثق لما ظنت ، فأعلمها صلوات الله وسلامه عليه أنه لقي من
قومها ما لقي مما لا يحيط به وصف ! وأن ما أصابه في رحلته إلى الطائف أدهى وأمر !

* * *

قد علم الكافة أنه صلوات الله عليه لما جاهر بالدعوة إلى ربه ، أخذ قومه يؤذونه
ويكيدون له ! حتى إذا فقد زوجه أم المؤمنين خديجة ، وعمه وأقرب الناس إليه أباطالب

- وكانا أكبر نصير له في تبليغ رسالته وأعظم ظهير له من بين عشيرته - أمعنوا في الإيذاء والكيّد ! ونالوا منه ومن أصحابه ما لم ينالوه من قبل . . . وبلغ من وقاحتهم أن نثروا التراب على رأسه الشريف وتجادبوه وهم يقولون له : أنت الذى جعلت الآلهة إلهًا واحدًا ؟ !

* * *

وأشد من هذا ما حدثنا به ابن مسعود رضى الله عنه فيما رواه الشيخان قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى عند الكعبة وأبو جهل وأصحاب له جلوس وقد نحرت جزور بالأمس فقال أبو جهل : أيكم يقوم الى سلا جزور بنى فلان (١) فآخذه فيضعه في كفى عهد اذا سجد ؟ ! فانبعث أشقى القوم (عقبة بن أبى معيط) فآخذه ، فلما سجد النبي صلى الله عليه وسلم وضعه بين كتفيه . قال : فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل الى بعض وأنا قائم أنظر لو كانت منعة لأرحته عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساجد ما يرفع رأسه ! فانطلق إنسان فأخبر فاطمة بفجاءت وهى جويرية فطرحته عنه ، ثم أقبلت عليهم تستمهم .

« * »

وأشد من ذلك وأفظع ما حدثنا به عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما - فيما رواه البخارى - وقد سأله عروة بن الزبير عن أشد ما صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبى معيط فآخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلولى ثوبه فى عنقه فنحنقه خنقا شديدا ! فأقبل أبو بكر فآخذ بمنكبه ودفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم » .

« * »

وكذلك أخذوا يتابعون الكيّد والإيذاء حتى هموا بإخراجه والفتك به !! .

وكذلك أجمع أمره على الرحلة إلى الطائف ، ليس معه بعد الله إلا خادمه زيد بن حارثة رضى الله عنه .

كان له صلى الله عليه وسلم فى ثقيف بالطائف رحم وقراة ، فرأى أن يدعوهم الى الإسلام عسى أن يستجيبوا له ، فان لم يفعلوا فلا أقل من أن يحموه من قريش ويستجيبيوا للرحم والقربى ، فان لم يفعلوا فلا أدنى من أن يكموا خبره لئلا يشتموا به قريشا ويزيدوها طغيانا وكفرا . . .

لكن نقيفا كانت الأم من اللؤم وأقبح من القبح وأشد من كفار قريش فجورا ونكرا ، وكان مثلهم مع النبي صلى الله عليه وسلم كمثل المستجير بعمره عند كربته . . !

لم يستجيبوا له ، ولم يرقبوا فيه رحما ولا قربى ولم يكتفوا خبره وقد استكتمهم ! بل ردوا عليه أقبح رد في استهزاء وسخرية ! وشيعوه بالحجارة تدمى عقيقه حتى اختضبت نعلاه بالدم ! وكلما قعد إلى الأرض يستنشق نسيما من الروح أخذوا بعصديه فأقاموه ليمشي فيرضخوه بالحجارة تارة أخرى ؛ وهكذا دواليك بين صفين من هؤلاء الكفرة الفجرة يتبعه عبيدهم وسفهاؤهم الذين أغروهم ليسبوه ويصيحوا به ؛ ولقد شج رأس زيد شجا ؛ ونال من الأذى في وقاية رسول الله صلى الله عليه وسلم مالا يكافئه إلا رضوان الله عليه .

* * *

مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلاه تسيلان دما ، ونفسه الكريمة تفيضهما غما والسفهاء خلفه يتبعونه حتى مر في طريقه ببستان لعبنة وشيبة ابني ربيعة وكانا فيه فاستظل في ظل شجرة من أشجار عنبه . وهناك رجعوا عنه .

« * »

فزع صلى الله عليه وسلم إلى ربه يدعو ويشكو إليه ضعف قوته وقلة حيلته وهوانه على الناس ! ويضرع إليه ألا يكلمه إلى أحد من خلقه ، في دعاء مشهور ختمه بقوله : أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصالح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك أو يحل بي سخطك ، لك العتي حتى ترضى (١) ، ولا حول ولا قوة إلا بك ! !

هنالك تحركت له رحم عتبة وشيبة لأنهما من عبد مناف ، فبعثا له بقطف من عنب مع غلامهما النصراني عداس ، فسمى الله تعالى قبل أن يأكل . فأثارت هذه التسمية عجب عداس في قصة نعرض لها في الحديث الآتي إن شاء الله .

* * *

انطلق صلوات الله عليه وسلامه حيران هائما لا يدرى أين يتوجه من شدة ما أصابه ،

[١] العتي : رجوع المعتوب عليه إلى ما يرضى العاتب ، وللمنى أنى لا أزال أطلب رضاك إلى

أن ترضى .

حتى إذا أفاق مما هو فيه بشره الله على لسان ملائكته بأن أمر الانتقام . من هؤلاء الأقوام في يده فما عليه إلا أن يأمر ، وما على الموكلين بأمر الله إلا أن يكونوا رهن اشارته . لكن الرؤوف الرحيم الذي ما انتقم لنفسه قط صلوات الله وسلامه عليه أجاب بهذا الجواب الحكيم النبوى الخالد : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً .

لم يخف على قریش أمر هذه الرحلة وما لقي فيها صلوات الله وسلامه عليه من هول وكره ! فلا مناص من أن يحولوا بينه وبين مكة إن لم يكونوا قد بيتوا له ما هو أشد ! لكن الله الذى يؤيد دينه بالرجل الفاجر ، سخر له شريفاً من أشرفهم ليدخل البلد الحرام فى جواره وليطوف بالبيت الحرام آمناً مطمئناً . . . ذلك هو المطعم بن عدى (١) .

أما بعد ، فلا يزال فى الفؤاد كلام لا يخفى على ذى لب . . . وحسبنا أنا عرضنا صفحة من جهاد نبينا الكريم ، ذى الخلق العظيم ، عبرة وذكرة « فان الذكرة تنفع المؤمنين » .

طه محمد الساكت

كما يرانا غيرنا

روى الأستاذ محمد وجدى مندوب الأهرام فى جنىف أن صحفياً إيطالياً زار البلاد العربية أكثر من مرة قال له :

« أتم العرب من أحسن شعوب العرب كأفراد ، ولكنكم — كمجموعة — تفقدون كل شئ : ليس بينكم نظام . الثقة بينكم معدومة . انكم لو عرفتم كيف تعيدون فى مجموعة متماسكة تصبحون قوة ضخمة . لأنكم — كأفراد — من أحسن الشعوب » .

خطبة الأستاذ الأكبر

في ذكرى ٢٣ يولييه سنة ١٩٥٢

أذيعت من محطة الإذاعة المصرية صباح يوم ٢٣ يولييه سنة ١٩٥٥

بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله ، له عظيم الحمد ، وجزيل الشكر ، منه وحده تستمد العزة والقوة ، فله سبحانه
المنة الكبرى ، وله الثناء الحسن الجميل .

أما بعد - فان الأمة التي كتب لها البعث والنهوض والتي دبت فيها الروح الواعية
الدافعة : تدفعها إلى التقدم في مضمار الأمم الحية ، والشعوب القوية الفتية ، عليها دائماً
أن تستعرض ذكرياتها الكريمة ، وتحيي بالتكريم والتمجيد أيامها العظيمة ، وعليها دائماً
أن تذكر ما قام به قادتها المصلحون وما قدموا لها من خير كبير ، وعمل صالح مجيد .

واليوم الذي أثبتت فيه مصر أن لها وجوداً رشيداً قوياً وإباءً شديداً وحمية دفعت
بها إلى الثورة على البغي والظلم والفساد ، وعلى الطغيان والاستبداد والاستعباد - هذا اليوم
الذي بدأ فيه التحول الكبير ، بانتشال الأمة من مواطن الضعف والضعمة والمهانة ، إلى
مدارج القوة والعزة والكرامة على أيدي أبناء بررة ، قادوها إلى النصر والفتح المبين -
عليها أن تجعل منه موسماً قومياً وعيداً وطنياً تحيي فيه قادتها الأبطال المجاهدين وتقوى
فيه وعى المؤمنين المخلصين وتبث في أبنائها روح الجدد والكفاح في سبيل السلام والخير
العام وتسجل لأجيالها القادمة ما يوحى إليهم باتباع أحسن المثل واتهاج أقوم السبل ،
لتظل الأمة مرفوعة الرأس مهيبة الجانب مصونة الحمى مرهوبة القوى .

وهذا اليوم يوم ٢٣ يولييه ، هو عيد مصر الوطني الذي تحتفى فيه بوثبتها القوية
الجبارة على يد بطلها الثائر الحر (جمال عبد الناصر) وأيدى إخوانه الضباط الأحرار
الذين قاموا في مثل هذا اليوم من سنة ١٩٥٢ منقذين على هياكل البغي والفساد والإذلال

«الاستعباد : يحلمونها وينشعون للامة على أنقاضها أركان العدل والإصلاح وينفنون من روحهم القوية في نفوس أبنائها قوة الحق وعزة الوطن .

إن كل مصرى مدين بالاخلاص المطلق والتقدير العظيم لروح هذه الثورة وأغراضها وأهدافها التي هي رفعة الوطن وإسعاد أهله، فالثورة هي التي خلصت البلاد تخلصاً كاملاً من أطماع الطامعين ، وسيطرة المستعمرين ، واستغلال المستبدين المترفين الذين كانت سياساتهم تدور على جمع المال ، وتمكين الجاه لأنفسهم وذويهم ، وعلى اقتناص المنافع بكل سبيل ، ومن كل طريق ، مستخرين في ذلك كله جهود الفقراء وكدهم ونصيبهم ، يسعدون بشقاء هؤلاء ، ويرتاحون لمتاعب هؤلاء ، غير مباليين بحق المظلومين وغيظ المساكين الجائعين الذين أضناهم الفقر والمرض وغير آبهين لما يكون وراء ذلك من نتائج سيئة وعواقب وخيمة من شأنها أن تبذر في البلاد بذور المذاهب الفوضوية والمبادئ الهدامة .

إن النهضة المباركة التي جاءت في ظل هذه الثورة والتي سرت في جميع المرافق بالتجديد والتعمير والإنشاء قد آتت وستؤتي دائماً - بعون الله وبمشيئة الله - أطيب الثمرات وأعظم الإصلاحات في شؤون البلاد الداخلية وقد نجحت وستنجح دائماً إن شاء الله فيما تنتهجه من خطط السياسات القومية في شؤونها الخارجية وسائر علاقاتها الدولية .

فليس عجباً إذا ولا غريباً ما لقيه بطل الثورة جمال عبد الناصر في رحلته إلى بلاد الصعيد وما شاهده في مختلف أقاليمه وفي مديرية التحرير وفي كل بلد زاره أو مر به من بلاد القطر: جموع حاشدة ونداءات حارة وهتافات للثورة تطالب ببقاء هذه الثورة . بل ذلك دليل كمال الوعي وتمام الرشد وآية بينة على حب الثورة والاخلاص لمبادئ النهضة والاطمئنان لأساليبها ومناهجها في الإصلاح .

والحق أن الثورة - كما عهدناها وشاهدناها ولمسنا آثارها - هي عزة ونهضة وإصلاح وكرامة . ولا يتخلف عن مناصرة دعوة العزة والنهضة وعن مظاهرة نداء الكرامة والإصلاح رجل حر في قلبه ذرة من إيمان أو إخلاص .

إن هذه الوثبة الكريمة نحو المجد تدفعنا أن نجدد الميثاق والمعهد لهذا البطل العظيم

جمال عبد الناصر وصحبه الأخيار: أن نكون لهم أوفياء بكل الوفاء ، نقابل إخلاصهم في العمل والتفاني فيه بالولاء لهم والعمل على شد أزهرهم وأن نرخص في سبيل غايتهم السامية التي هي رفعة مصر وعزتها مثل ما أرخصوا في هذا السبيل من أنفسهم وأموالهم وأوقاتهم .

زادهم الله تأييدا وتثبيتا وأمدهم دائما بعونه وقوته انه سبحانه نعم المولى ونعم النصير .

أيها المواطنون :

إني أذكركم بقول الله تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » وأنصح لكم بما فيه خيركم ورشادكم: أن تعاونوا الثورة الساهرة على صوالحكم بأن يصلح كل منكم أمر نفسه ويبذل كل جهوده في اجادة عمله ولا تلقوا بأحمالكم كلها على عاتق الحكومة ، ولا تتوانوا في واجباتكم تواكلا واعتمادا على أن الحكومة تصنع لكم كل شئ حتى ما هو في مقدوركم واستعانتكم وما هو مطلوب منكم . فان التواكل هو تكأة العاجز الخامل . فاعملوا وجدوا وثابروا وصابروا واتقوا الله الذي أتم به مؤمنون . إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ما

عبد الرحمن ناج

شيخ الجامع الأزهر

الهلال الحائر

قرأت للسيد الأستاذ حسين محمد فريد المفتش بمرصده حلوان مقالا في جريدة الأهرام تحت عنوان (الهلال الحائر) وقبل ذلك قرأت لسيادته مقالا آخر بهذا العنوان نفسه تحدث فيه - كما قال في مقاله الثاني - عن حالات مولد القمر وأنه لا تمكن رؤيته إلا في حالة من حالات ثلاث .

أما مقاله الثاني فخل لي وأنا أقرأه أن الأستاذ يكاد يتميز غيظا ويتألم ألما ممضا إشفاقا على الهلال وحيرته - فيما يظن سيادته - وطلب في أدب من السادة العلماء أن يجدوا للناس مخرجا من هذه الضائقة فالحل في أيديهم دون سواهم .

ثم بين أن دقة الحساب بمرصده حلوان الذى يقوم بعملية تحديد الزمن راجعا في ذلك إلى قواعد الديناميكا الأستروثيريكية السماوية بلغت مدى بعيدا ، حتى انه ليرصد النجوم ويحسب زمن عبورها لحزء من ألف من الثانية ثم تقرب لحزء من مائة من الثانية إلى أن قال : ولا شك أن من يدقق في جزء من مائة من الثانية يصعب عليه أن يرى خطأ في يوم كامل من أيام الشهر العربى ويقره . ثم ذكر مفخرة كبرى لمرصدهنا بحلوان حيث تمكن - دون سواء - من تصوير وحساب موقع ومسار الكوكب الذى يؤثر في حركة الكوكب بنتون الذى اكتشفه لافرييه الفرنسى وآرمز الانجليزى سنة ١٨٤٥ ، واقترح أخيرا أن تؤلف لجنة لتذهب عن الهلال حيرته ، وبالتالي ليطمئن الناس على معرفة أول شهرهم وبدء صيامهم . وإني أشكر للأستاذ غيرته الدينية كما أشكر له غيرته على علمه الذى نبغ فيه وأخذ يحاول تطبيقه والعمل به في مسألة لها خطورها عند المسلمين كافة .

واسمح لي - ياسيدى الأستاذ - أن أقول لك : ان ما تذكره من حساب الكواكب والنجوم وحالات مولد القمر وكل ما يثبته مرصدهنا العظيم لم يكن ليجهله معلم الإنسانية الأكرم صلى الله عليه وسلم ، فانه أنزل عليه قوله تعالى : « والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون - رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق - وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره - إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده - الشمس والقمر بحسبان » وتلك آيات بينات ناطقات بالحساب الفلكى نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس من شك

في أنه صلوات الله عليه كان يفهم ما أنزله عليه ربه فهما دقيقا مفصلا لا تخفى عليه جزئية من جزئياته ، فلا بد أنه صلى الله عليه وسلم كان يفهم منازل القمر التي قدرها ربنا ، ويفهم سبجه وسبح الشمس في الفلك وحسبانها ، ويفهم مشارق الكواكب ومغاربها ويفهم كيف سخرت الشمس والقمر والنجوم ، وكيف تمسك السموات والأرض أن تزولا وأسباب ذلك ، ويفهم نظام الجاذبية التي بين الكواكب ، وهل علم الفلك شيء أكثر من ذلك ؟ . ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المبلغ عن ربه والحكيم في تعليمه لم يفصل ذلك لأئمة تفصيلا لأنه ليس من شئون رسالته ، فإن هذه الآيات وما مثلها سقت مساق العبرة وجذب الناس إلى التأمل في مصنوعات الله وما حوت من صنع بدیع وتدبير حكيم يدل على قدرة الخالق وعظمته وجلاله فتكفى فيها الإشارات الواضحة والتنبيهات الخاطفة .

أما ما يتعلق بشئون رسالته صلى الله عليه وسلم من بيان الأحكام وشرح الشرائع فلم يدع منها شيئا إلا بينه بيانا شافيا ووضحه توضيحا تطمئن له النفس ولا تجد فيه أدنى حيرة ، فالله يقول : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » ويقول : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » ومن الشرائع التي بينها عليه الصلاة والسلام بيانا يثلج الصدر ويشرح النفوس ولا يدع الحيرة والاضطراب يأخذان سبيلهما إلى القلوب ثبوت الهلال أول كل شهر وبخاصة في أول شهر رمضان المعظم فقد قال صلى الله عليه وسلم كما رواه البخاري : « لاتصوموا حتى تروا الهلال ولا تفتطروا حتى تروه » وقال : « الشهر تسع وعشرون ليلة (أى قد يحى كذلك) فلا تصوموا حتى تروه ، فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين » وقال : « صوموا لرؤيته وأفطاروا لرؤيته فإن غبي عليكم — وفي رواية : فإن غم عليكم — فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما » وهذه الأحاديث واضحة إلى حد البدهة أن الشارع الحكيم ربط ثبوت الشهر برؤية الهلال نفسه لا بوجوده وولادته . ويؤكد هذا المعنى ويحليه قوله : « فإن غم عليكم (أى حال بينكم وبين الهلال غيم كما قال العلماء) فأكملوا شعبان ثلاثين » ولا شك أن في هذا احتمال وجود القمر في السماء محجوبا عنا بالغيم ، ولا تريب علينا في ذلك فالمشرع الحكيم لم يرد أن يعتننا ، ولكن ربط الحكم بالظواهر الطبيعية الواضحة الثابتة الموجبة لليقين والطمانية فقال : « صوموا لرؤيته وأفطاروا لرؤيته » ولكن كثيرا من الناس سهوا — وجل من لا يسهو — تخلطوا بين الرؤية والوجود ، فحاولوا أن يربطوا ثبوت الشهر بمجرد وجود القمر وولادته ، لا برؤيته وبصاره . ولعل قول السيد الأستاذ « اننا نشعر بوجود الله جات قدرته ولكننا لانراه رأى العين » وقوله : « ان المقصود من إثبات الرؤية هو التأكيد التام من وجود الهلال في السماء » يشهد لذلك .

فلما حاولوا هذه المحاولة وليست بمرادة للشارع أصلا احتاروا وحيروا معهم الهلال ، وما هو بمحتار وحاشا أن يحتار مع قول الناصح الحكيم : « صوموا لرؤيته وأفطاروا لرؤيته فأَن غم فأكملوا » .

وإذن فما علينا في اليوم التاسع والعشرين من الشهر إلا أن نرصد القمر ونحشر من الناس من تتطلب رؤيته في الأفق بكل ما يمكن ، فان رأيناه ثبت الشهر ، وإلا أكملنا العدة ، ولا حيرة أبدا لا في الأولى ولا في الثانية . ونحن لا ننازع في أن الحساب الفلكي برهان ملموس على قدرة الخالق في توجيه هذه الأجرام السماوية وعلى دقة حركتها كما يقول السيد الأستاذ ، ولكنه حفظه الله يطلب منا ما لا يطلبه معلمنا ومرشدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو يقول : « صوموا لرؤيته وأفطاروا لرؤيته » ولا خلاف في الواقع بيننا وبين الحساب الفلكي ، ولكنه اتجه ناحية واتجه التشريع ناحية أخرى لا تطغى إحداها على الأخرى ولا تناقضها . وقد يقول قائل : وماذا تصنع إذا ثبتت الرؤية في قطر ولم تثبت عندنا كما وقع في هذا العام ؟ ونقول : وضحها فقهاء الإسلام ولم يملوها ، فالإمامان مالك وأبو حنيفة رضي الله عنهما يريان أنه لا عبرة باختلاف المطالع ، فاذا ثبتت الرؤية في قطر من الأقطار وجب الصيام على أهل الأقطار الأخرى ولو تباعدت متى علموا بثبوت الهلال في ذلك القطر ، والإمام الشافعي رضي الله عنه لا يلغى اختلاف المطالع ، بل يجعل لأهل الأقطار الأخرى أن لا يصوموا لرؤية غيرهم .

وهنا أقول : إذا أردنا أن نوحّد يوم الصيام بحيث يكون متّحدا في جميع الأقطار الإسلامية فعلى الحكومات الإسلامية أن يتصل بعضها ببعض في شهر شعبان من كل عام ، ونحمد الله سبحانه إذ أصبح الاتصال الآن بين الحكومات سهلا بواسطة اللاسلكي والتليفزيون والإذاعة ، وتطلب كل حكومة من الأخرى أن توافيها بثبوت الهلال إذا ثبت لديها ، وعلى الحكومة التي تتلقى ذلك أن تنشره في ربوع بلادها فيصبح المسلمون في جميع بقاع الأرض صائمين ولربهم طائعين . وإن رأينا أن نمشي مع الإمام الشافعي رضي الله عنه فلا علينا ، فان هذا من يسر الدين وسماحته ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ان هذا الدين يسر ؛ ولن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا » . وعلى بهذا أكون قد أذهبت عن الهلال حيرته وجلبت وجهه وكشفت عن مكانه بهدى

محمد الطنبجي

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير عام الوعظ والإرشاد

حول رحلة وزير الأوقاف

شهادة من الواقع

وإنها لشهادة ينشرح لها الصدر وتقر بها العين وإنها لحرية بالتسجيل وجديرة بالأشادة والتأييد لأنها شهادة من الواقع لا تحتل جديلا ولا تشكيكا تلك هي شهادة الأستاذ الباقورى وزير الأوقاف - بعد دراسة فاحصة ونظر عميق - بمكانة الأزهر فى العالم الإسلامى ومكان مصر به فى الشعوب الإسلامية .

يقول الأستاذ الباقورى فى كلمة له بجريدة الأهرام عن آثار مصر فى البلاد التى طوف بها بمناسبة حضوره مؤتمر باندونج : « وجدنا آثار مصر ظاهرة ... كلمة مصر وأمانيا وآمالها هى كلمة الشرق وأمانيه وآماله . وهذه الألسن التى تنطق العربية فى الشرق الأقصى إنما تنسب إلى مصر وتدين لها بالفضل حيث كان الأزهر هو الذى أطلق لسانها بالفصحى وملاً قلبها بالدين وذلك فضل لا ينكر لهذه الجامعة الخالدة التى لا يقدرها قدرها إلا من طوف فى آفاق الشرق والغرب والتقى بمن درسوا فى الأزهر وتلقوا مبادئ اللغة والدين ثم عادوا الى بلادهم فكانوا كواكب سارية ونجوم ساطعة فى مجتمعاتها وأئمة يهتدى بهم ويستمع إليهم فى مجال النظر والرأى » .

الله أكبر .

هذا مكان مصر فى العالم الإسلامى ، وهو مكان القيادة والتوجيه . ومكانها لا بأهرامها وآثارها ولا بعمرانها وثروتها وإنما مكانها بأزهرها وخسب .

ان عهدنا بالأستاذ الباقورى الأنصاف فى الحكم والشجاعة فى الرأى . فاذا قال ذلك عن الأزهر فذلك قول الحق لا يقرب فيه بالتعصب لمعهد الذى ينسب إليه ويعتبره وليس من دأبه المتداهنة والمداهنة فتعزى هذه الشهادة منه إلى مداراة طائفة ومداهنتها فشهادته خالصة لله ولمصر ليس له وراءها غاية إلا تقرير الواقع تنبيها إلى مفاخر مصر وإلى مكانة مصر لتبالح فى صيانتها وتشد من أركانها .

ان رسالة الأزهر أن يقوم على الشريعة الإسلامية واللغة العربية تفهها وتفهها وتعلما وتعلما .

وهذه رابطة مصر بالعالم الإسلامى . وقد قام الأزهر بذلك مشكورا عشرة قرون متوالية لابنى ولايفتر . فانبعث منه النور إلى أرجاء العالم ، فاستضاء به من شرح الله صدره وفتح للهداية قلبه واستقر فى نفوس المسلمين فضل الأزهر فقدروه وأجلوه وجعلوه منارهم وكعبتهم .

نعم ليس للأزهر رسالة غير القيام على الشريعة الإسلامية واللغة العربية وقد كان أمينا عليهما حفيا بهما يقوم بنشرهما فى مصر وغيرها ، وما زعم لنفسه رسالة غير هذه . والشريعة واللغة قد استقرت قواعدهما ووضحت معالمهما وليس للأزهر أن يتدع غير تلك القواعد أو يعدل فيها . والذى فى استطاعته وهو مطالب به إنما هو طريق العرض بجارة لروح العصر فقط وما يدور على ألسنة الناس وتجربى به أعلامهم من عبارات جوفاء « بحمود الأزهر وتخلفه عن ركب الحضارة وعدم مطاوعته لروح العصر » وما إلى ذلك من عبارات انشائية براقة فانما هو كلام الجاهلين لرسالة الأزهر أو الجاحدين فضله والناقمين عليه .

وماذا يطلبه هؤلاء المتحدثون والكاتبون من الأزهر ليساير ركب الحضارة فى زعمهم؟ أيطالبون أن يجعل الأزهر يون صلوات المسلمين ثلاثا لا خمسا ؟ أو ينقصوا من مقادير الأموال فى الزكوات ؟ أو يطلبوا من المسلمين أن يحجوا إلى أوربا بدل أن يحجوا إلى الكعبة وعرفات ؟ أو يحجزوا التعامل بالربا ؟ أو يترخصوا فى تبرج النساء ؟ أو يطلبوا من المسلمين أن يستبدلوا بالعربية الفصحى - وهى لغة القرآن - اللغة العامية لغة الشوارع والغيطان ؟ .

ان العجب ليبلغ منا مبلغه إذ نسمع هذه العبارات أو نقرأها فى الصحف والمجلات .
أيها اللائمون :

ليس للناس على الأزهر إلا أن يبين أحكام الشريعة الإسلامية ، أو يفسر كتاب الله أو يشرح حديث رسوله الكريم ، وما قصر الأزهر فى شئ من ذلك ، وما سمعنا مصريا أو مسلما عدم من يقوم بهذه المهمة ، بل لقد شكوا الأزهر يون وعاظهم وأتمتهم ومدرسوهم أنهم لا يجدون من يستمع إليهم أو يأخذ عنهم إلا قليلا ممن أراد الله له الخير فى دينه ولغته . ان الأزهر غير مطالب بأن يشارك فى اختراع القنبلة الذرية أو يحاول الوصول إلى القمر

أو أن يجمع الطاقة الحرارية من الشمس فإذا ما قصر في ذلك كان متخلفاً عن رسالته ورمى بالجمود واتهم بالبطء والركود .

وليس رسالة الأزهر التي أشرنا إليها بالشئ الهين في مصر أو غيرها . بل انها لأجل رسالة وأقدس واجب نهى صمام الأمن وسر الاستقرار ؛ والإنسان بلا دين حيوان شرير أشد خطراً من الحيوان المفترس بحيلته وذكائه وعقله ودهائه ؛ ولولا وازع الدين في نفسه لانقلب حال العالم إلى شر مما يحرق في الغابات والآجام ؛ ولأكل قويه ضعيفه واستباح بعضه حرمت بعض ؛ وما شكونا سوء الحال في مصر إلا من أقفرت نفوسهم من سلطان الدين وتعاليم الشريعة ؛ ولو كانوا في جمال الطواويس ؛ وعلى فلسفة أفلاطون وسقراط .

إن ما تنعم به مصر من استقرار ؛ ليس الفضل فيه للقوانين والشرطة والسجون ؛ وإنما الفضل للدين الذي يقوم عليه الأزهر ؛ وويل لمصر وويل للعالم وويل للحضارة إذا تخلى الأزهر وتخلت المؤسسات الدينية عن رسالتها وأجذبت النفوس من هداية الدين . على أن الأزهر قد قام إلى جانب رسالته الدينية بواجبه الوطني ؛ وحمل لواء النهضة في فجرها ؛ واعترفت له الأمة بالزعامة والقيادة والتوجيه ؛ وعلى منبره دعا الخائباء إلى التحرر والاستقلال ؛ وبين أعمدته كانت ترسم الخطى لبلوغ الأهداف ؛ وقد حاولت جماعات أن تترجح الأزهر عن مكانه فما استقر في يدها اللواء

وانا لانتظر بعد ما لمس الأستاذ الباقورى من قدر الأزهر في الشعوب الإسلامية ؛ وبعد أن أشاد رئيس وزراء الباكستان في حضرة الرئيس جمال عبد الناصر بفضل الأزهر وقدر الأزهر ؛ أن تضاعف حكومة الثورة من عنايتها به ليواصل القيام برسالته في مصر وفي العالم ؛ ويقوم بواجبه الذي انتدبه الله له ؛ وكل توفيق يناله الأزهر في هذه الرسالة ففضله لمصر ونفخه لمصر قبل أن يكون للأزهر والأزهريين

أبو الوفا المراقى

كلمة الأزهر

في افتتاح معهد الفيوم الدينى

ألقاها السيد صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفتيش

بسم الله الرحمن الرحيم .

والصلاة والسلام على خير النبيين .

ثم باسم الله وفي ظل الدين والعلم يعلن الأزهر كله - على لسان شيخه الأکبر وعلمائه -
عظيم ابتهاجهم باستقبال السيد الرئيس وصحبه وباستقبال حضراتكم جميعا في - فله
اليوم بافتتاح معهد الفيوم .

ويعلن الأزهر - في غبطة شاملة - أنها مناسبة كريمة كان يتمناها ويرقب فرصتها
وسيلذ ذكراها مقرونة بالشكر لكم ويرجو أن يظفر بأمثالها في عهد طويل يعرى الله
فيه رجال الحكم وأبطال الثورة بالتأييد والتوفيق .
سأدنى :

في كل يوم تطالعنا الثورة بمظهر جديد من مظاهر النشاط القومى . وفي كل شأن من
شئون مصر نرى لونا طريفا من ألوان الإصلاح المبكر وأثرا واضحا للحياة الفتية التي
انبعثت من معازل الجيش وسرت في روح الشعب فهب في ضوء الثورة ينشد آماله
ويصحح أوضاعه ويستأنف عيشا كريما ويصل مجده الغابر بجده الحديث .

ولقد تهيا للشعب - في سرعة من الزمن وفي رعاية الله وإرشاد قواده - أن يجتاز
مرحلة نسيجة إلى أهدافه وأن يقطف أزهارا يانعة وثمارا ناضجة مما غرسه
يد أبطاله وأن يلمس النجاح قريبا في كل ما يرجو ويبتغى .

وإذا كان الشعب فيما مضى قبل الثورة تعود أن يسمع أكثر مما يرى وأن يتنى دون
أن يظفر فقد عودته الثورة أن يرى قبل أن يسمع وأن يظفر بأكثر مما يتنى .
وهذا دأب المصلحين في إخلاص وشأن الصادقين في جهودهم دون من ولا رياء .

سادتى :

نظرة في منهج الثورة وما أخذت به تبدى لنا أنها متأسية بتاريخنا الإسلامى وتعيد إلى الأذهان تلك الذكريات المسجدة فى حياة الأمة العربية فقد نشطت ثورتنا إلى كل ناحية من نواحي المجتمع وبذلت جهودا مشكورة فى كل مرفق من مرافق الدولة وما أكثر ما كان فى نواحي المجتمع من ضعف وما كان فى مرافق الدولة من فساد ولكن عين الثورة يقظة لا تتركز إلى الغفلة وجهود الثورة موصولة لا تتجنى إلى الفتور ، وآثار ذلك بادية لكل ذى عينين .

فاذا بحمد فضل الثورة إنسان

فليس يصح فى الأذهان شئ إذا احتاج النهار إلى دليل
وإذا انتقصها حاسد أو قدح فيها سفيه أو غص من شأنها مكابر فلا حيلة لنا مع المبهملين للحق الصراح إلا أن نقول لهم مقالة الشاعر :

ماضر شمس الضحى فى الأفق طالعة ألا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

سادتى :

العلم والكمال من صفات الله الذاتية . وقد جرت سنته فى عبادته أن يدعوهم إلى التجميل بالعلم والتخلق بالكمال . بل جرت سنته ألا ينهض فرد أو مجتمع إلا من طريق العلم والكمال الخلقى . وبقدر ما يأخذ الفرد أو المجتمع من العلم والخلق يكون حظه لنفسه ومقدار نفعه فى الحياة ومرتبته فى الوجود .

هذه سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا .

وقد قامت ثورة مصر نواعية لذلك فكان من ههنا الأول أن تأخذ بناصر العلم على اختلاف أنواعه وأن توفر أسباب النشاط فى كل ناحية من نواحيه فسلمت البيئة العامة من عناصر الفساد التى كانت متغلغلة فيها وجاشت موجات العلم زاخرة فى معاهده المتنوعة ، واندفعت إلى المصانع والمزارع وسواها كما ترون أينما كنتم .

هذا — وإنه لىأبى لنا فى هذا الموقف أن نشيد برعاية الثورة للتعليم الدينى إيمانا منها بأن الثقافة الدينية وما يتصل بها هى الدعامة الأولى فى بناء المجتمع الصالح وهى السبيل المأمونة للوصول إلى تكوين الجيل الجديد وهى الوقاية الحديدية من المبادئ الهدامة والزعات المنحرفة . وغير صحيح أن يتوفر السلام والطمانينة بين قوم لم يتوفر بينهم دين وخلق وإن تراكم لديهم السلاح وكثرت فيهم الأيدى التى تحمله .

هكذا علم الناس رب الناس : « إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين .
كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوى عزيز » .

سادتى :

كان من بوادر العناية المشهودة للثورة بالتعليم الدينى أن يحتضن الأزهر فى ظلها خمسة
معاهد رسمية فى عام واحد : من بينها معهد الفيوم الذى نبتهج اليوم بافتتاحه .

والمعاهد الدينية — لاشك — أداة وصل بين دول الشرق كله إذ هى مشارق
هداية للعقول ومنافذ نور للشعوب الإسلامية تهتدى بهديها وترشد بتوجيهها وتعرف
من طريقها حق الله وحق الوطن والمواطن .

ومن غير المعاهد الدينية تكون حياتنا مادية جافة ويسود بيننا التحاليل من الصفات
الكريمة وتغلب علينا الأنانية ويتسع محيطنا للدعوات المنحرفة والمبادئ المشثومة
ولا تكون مصر فى وضعها بين الأمم الإسلامية الرائد الروحى والقذوة الحسنة كما شهد لها
التاريخ بفضل الأزهر .

إذ بفضل الأزهر والمعاهد يتجه إليها المسلمون اتجاه اكبار ومحبة وتعاطف ومودة .

وإذا كانت الثورة صاحبة فضل فى تعزيز المعاهد الدينية والإكثار منها فإن الذين
أتاحوا لنا هذه الفرصة من رجال الفيوم لجديرون بالشكر وأطيب الثناء فهم نخبة
تملكها شعور دينى قوى وحفزتها غير صادقة على أن تتخطوا الخطوة الأولى فى خدمة
الدين والوطن والوفاء بحق الأمة عليهم فبادروا الى انشاء جمعيتهم لتحفيظ القرآن .
وهى جمعية مثالية فى نظامها ونشاطها وفى انتاجها .

وبفضل هذه النخبة اتسعت خطى الجمعية فكان من نتائجها ذلك المعهد المبارك
الذى يضطلع برسالة الإسلام فى هذا الإقليم والذى هيا ويهيئ للأجيال من أبناء الفيوم
أن يكونوا مجموعة خيرة فى صفوف الأمة .

لا أحاول أن أقدر هذا الصنيع لأهله فهو فوق مقدورى وشكرهم فوق
طاقى وفى مقدمتهم رجل الأعمال الحاج محمد سالم ذلك الرجل التقى الذى عرفته الحياة
الاقتصادية من خيرة العاملين وله المآثر المشهودة فى أبواب البر بوطنه ومواطنيه .
جزى الله الجميع خير ما يجزى المحسنين .

وبهذا المعهد تجدد للفيوم ذكر ماثور في العلم وخدمة الإسلام فقد كان من هذا الإقليم المرحوم الشيخ عبد الله الفيومي الذي وصل بفضله الى أن تبوأ مشيخة الأزهر كما ينتمى الى هذا الإقليم بصلة وثيقة فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر الحالى الشيخ عبد الرحمن تاج ، وهذا مجد فسيح يتسع لأهل الفيوم ولأهل أسوط معا .

وكان من علماء هذا الإقليم المرحوم الشيخ عبد ربه مفتاح وهو أول مدير للوعظ وصاحب اليد المشكورة فى إيجاد هذا القسم بالأزهر والذي هو الصلة بين الأزهر والشعب فى قراه وفى مدنه . ويؤدى رسالة الأزهر إلى الناس حيث يقيمون .

سأدتى :

ان الدعوة الدينية رسالة الأزهر . وهى رسالة كل مسلم يعتز بدينه ويحب الخير لوطنه . وكان جميلا مشكورا من نائب الرئيس السيد جمال سالم فى حفلة نجح حمادى أن يدعو الناس الى التمسك بالدين والتأدب بأدابه لخيرهم وخير الوطن .

وهذه كلمات طيبات أرسلها قوية مدوية بطل من أبطال الثورة . والأمل أن يكون لها أطيّب أثر يرحى . ولا أذكركم أنها مبدأ من مبادئ الثورة التى أرسى قواعدها ونفخ فيها من روحه السيد الرئيس جمال عبد الناصر .

ولا تنسوا يا سادتى أن الدعوة الدينية الصحيحة دعوة الى القوة والى الدين والدينى جميعا . فان الإسلام لا يزهد فى الحياة الدنيا ولا يغض من قدرها وإنما يحذر من الفتنة بها والانغماس فى شهواتها وهو فى الوقت نفسه يحثنا على اتخاذ القوة لصيانة الحياة وحماية المجتمع ويستنهضنا الى الكسب من طريقه المشروعة والتمتع بما خلق الله فى الدنيا من الحلال .

ونحن - اذ نرى للثورة يدا مشكورة وصوتا مسموعا فى التوجيه الى الدين وآدابه وفى اقامتها للمساجد فى ثكنات الجيش وفى المصانع وفيما نعلمه عن رجالها من المسالك الحميدة - نود ألا يكون من بين الكتاب من يخرج عن منهج الثورة وينزع الى الأباحية وينشر فى المجلات والصحف كثيرا من الصور الماجنة والأخبار المثيرة والدعوات المنكرة الى الخلعة وامتداح الرقص ونحوه من الشائعات التى لا تعد ديننا ولا خلقا ولا تقليدا يرتضيه طابعا القومى الشرقى ولا يقام له وزن بين أسباب المدنية الجادة . فان ذلك كله مما يقرؤه الفتيان والفتيات ويقرؤه التاجر والصانع وفيه فتنة وانحلال وفيه مقاومة للأهداف الكريمة التى تحرص عليها الثورة وتبتيغها للأمة فى حياتها الجديدة .

وعجيب أن تتسع دعوة الإباحية حتى يستبيح كتابها أن يقولوا في كل موقف من مواقفهم : ان الإسلام لا يمنع ذلك كأن الإسلام قد تنصل من طبيعته الأولى وتقمص نفسية هؤلاء الكتاب .

سادتى :

ان الشعب متدين في جملته وهو يغار على دينه وخلقه ولا يرضى لهؤلاء الدعاة أن يفتنوه عن دينه أو يسمموا أخلاق بنيهم بالترويج لهذه المجانة التي تحدث في أنفس الشعب غضاضة وتستفز الألسن الى قالة السوء . فليتقوا الله في أنفسهم وفي مواطنهم وفي أبنائنا وبناتنا وليتجهوا مع الثورة فيما هي متجهة اليه من الخير للوطن وأهله .

سادتى :

لم تكن الثورة لخصومه شخصية ولا حركة نفعية وانما هي غيرة صادقة على الشعب وايمان بالوطنية وايثار لصالح الأمة وقد اقتضت هذه المعاني السامية أن يقدم رجالها الى ما أقدموا عليه مضحين بالأرواح والأهل والأولاد فكان الله نصيرا لهم وحفيظا عليهم وقد ساروا كما ترون في طريق غير ملتوية وبعزيمة غير مترددة وأفكار غير رجعية وسرعان ما استردوا للأمة حريتها واستكلموا سيادتها وطهروا أرضها من الدخلاء وخلصوا حكمها من تجار السياسة ومن الطغاة المستبدين ورفهوا عن الطبقات المغلوبة وتقدموا بالأمة جميعها الى الأمام .

فصار من الأمانة الدينية ؛ ومن الوفاء للروءة ؛ ومن حق الوطن على أبنائه جميعا ؛ أن يلتفوا حول قادة الثورة وقد لمسنا صدقهم وأن يؤازروهم بالتضامن وقد أيقنا باخلاصهم وأن يقاوموا كل شائعة يهمس بها الخائفون فما ضر مصر قديما الا افك الأفاكين وتصديق المخادعين ولنا في الماضي عبرة والله يهدي الى سواء السبيل .

سادتى :

شرقم القيوم بافتتاحكم معهدا ديني .

حفظ الله مصر من كل سوء وعصمها من المبادئ الهدامة وأيد الله رجال الثورة وأعز الوطن على أيديهم بالدين والأخلاق .

والسلام عليكم ورحمة الله

ذات النطاقين

سيدة من فضليات النساء العربيات أشجع نساء الإسلام وأثبتهن جأشاً وأعظمهن تربية للولد على الشهامة وعزة النفس والإباء والتضحية في سبيل العقيدة . نشأت في بيت من أكرم بيوتات العرب وأشرفها في الجاهلية . وما أن بزغ فجر الإسلام حتى كان أول بيت استظل بظل الإسلام واستضاء بنوره ، وما زال يستأثر بالفضائل والمكرمات حتى غدا أفضل بيت بعد بيت النبوة . تلكم هي السيدة الفاضلة أسماء بنت سيد بني تيم الصديق أبي بكر وشيخ الإسلام وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار والبازل نفسه وماله في سبيل الله ورسوله والذي رشخته مآثره المتكاثرة أن يكون أحق المسلمين بالخلافة بعد رسول الله ، فأوثق عروة الاسلام بعد أن كادت تنفصم وأقام دعائم الإسلام بعد أن كادت تنقوض

وأما السيدة قتلة وقيل قتيلة بنت عبد العزى قرشية من بني عامر بن لؤى ، تزوجها السيد الجليل أبو بكر فأنجبت له عبد الله وأسماء . ومن اللطائف أن السيدة أسماء وأباها وجدها أبا عتيق وأختها عائشة رضی الله عنها وأخوها عبد الله وعبد الرحمن وزوجها الزبير وولدها عبد الله صحابيون رضوان الله عليهم

اسلامها ونشأتها :

كانت السيدة أسماء ممن أسلم قديماً حتى قيل انها أسلمت بعد سبعة عشر اسبانا . وقد سرد ابن اسحاق أسماء من أسلم قديماً من الصحابة فعدها منهم . وليس هذا بعجيب من ابنة أبي بكر الذي كان أول الناس اسلاما وقال في شأنه الرسول صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله : « ما دعوت أحدا الى الإسلام الا كانت له كجوة وتردد غير أبي بكر » فإسماء الاغصن من الشجرة الصديقة المباركة . وقد كانت أكبر من أختها السيدة عائشة بعشر سنين . ولما شبت عن الطوق وبلغت مبلغ النساء الكواعب تزوجت بسيد

من سادات المسلمين وشجعانهم وهو الزبير بن العوام حواري رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم . ولما هاجر المسلمون الى المدينة وهاجر أبوها الصديق بصحبة رسول الله هاجرت مع آل أبي بكر وهى متم في ولدها عبد الله بن الزبير وما أن بلغت قباء حتى وضعت له فكان أول مولود ولد للمهاجرين بالمدينة ثم ولدت للزبير بعد ذلك عروة والمنذر وكانت أسماء سيدة بيت ما كانت تتأبى — على شرفها ونشأتها في بيت معروف بالثراء — عن أن ترعى شؤون بيت زوجها . روى ابن سعد بسنده عن عروة بن الزبير عن أمه أسماء قالت : « تزوجني الزبير وماله في الأرض مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه . قالت : فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤنته وأسومه وأدق النوى لناضجه . وكنت أنقل النوى من أرض الزبير . . . الحديث . وفيه : حتى أرسل الى أبو بكر بعد ذلك خادما فكفتني سياسة الفرس » .

وقد عمرت أسماء عمرا طويلا ومع هذا فلم يسقط لها سن ولم ينكر لها عقل . وان كان قد كف بصرها في آخر عمرها . وقد شهدت مقتل ابنها عبد الله بن الزبير وأظهرت من الجلادة والصبر والشجاعة ما ينوء به الأبطال من الرجال كما سند ذكر فيما بعد . ولم تلبث بعد قتله الا قليلا حتى لحقت به في جوار النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . وكانت وفاتها في آخر جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين فرضى الله عنها وأرضاها .

المآثر الخالدة :

إذا ذكرت الهجرة وما لا يسها من نداء وتضحية ذكر الصديق أبو بكر في رأس سجل التضحية والفداء وذكر ابنه عبد الله وابنته أسماء ولست الآن بصدد التحدث عن مآثر البيت البكرى فذلك أمر يطول ولكني سأتناول من هذه المآثر الباقية ما هو من صنيع السيدة أسماء . وأولى هذه المآثر ما يتعلق بتسميتها « ذات النطاقين » (١) ذلك أنه لما أذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة ذهب الى بيت الصديق ليخبره ففرح فرحا شديدا وقال : « الصحبة يا رسول الله » فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « نعم » فلما عزم المهاجران الكريمان على الخروج لم يكن من أحمل بيت أبي بكر الا أن جهزهما أحسن الجهاز

(١) النطاقين ثنية نطاق وهو ما تشد به المرأة وسماها . وقيل فيه غير ذلك .

وصنعن لها سفرة ووضعنها في جراب ولم يكن للجراب وكاء يربط به ويحفظ فما كان من أسماء إلا أن شقت نطاقها نصفين فربطت فم الجراب بأحدهما وانتطقت بالآخر فمن ثم سميت « ذات النطاقين » وقيل ان الذي سماها بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه قال لها : « أبدلك الله عز وجل بنطاقك هذا نطاقين في الجنة » [١] وقيل انها سميت بذات النطاقين لأنها شقت نطاقها نصفين فربطت بأحدهما السفرة وبالآخر السقاء روى ابن سعد بسند صحيح عن أسماء قالت : صنعت سفرة للنبي صلى الله عليه وسلم في بيت أبي بكر حين أراد أن يهاجر الى المدينة فلم نجد لسفرته ولا لسقائه ما نربطهما به فقلت لأبي بكر : ما أجد الا نطاقي قال : شقيه اثنين فاربطي بواحد منهما السقاء وبالآخر السفرة .

والذي ذكره البخارى في صحيحه في حديث الهجرة أن قصة شق النطاق انما كانت قبل خروج رسول الله وصاحبه الى الغار والذي ذكره ابن اسحاق أن ذلك كان بعد أن سكن الطلب وخرجا من الغار . والذي يظهر أن رواية البخارى هي الراجحة وفي رواية ابن سعد المذكورة آنفا ما يؤيد ذلك .

ومهما يكن من شئ فقد اشتهرت السيدة أسماء بهذا اللقب الذى ينم عن مآثره خالدة . وما كان يحول بخاطر انسان أن يأتى يوم يعير فيه ابنها عبد الله بهذا اللقب الكريم من الحجاج بن يوسف الثقفى . ولما نعى اليها ذلك قالت له بلسان المعترزة بفضائلها : « كيف تديره بذات النطاقين — تعنى ابنها عبد الله — أجل قد كان لى نطاق أعطى به طعام رسول الله من النمل ونطاق لا بد منه للنساء » .

ولم تقف مآثر السيدة أسماء عند تجهيز السفرة وشق النطاق بل تابعت المهاجرين الكريمين بالرعاية والعناية فكانت تأتيهما مدة مكثهما في الغار بما يحتاجان اليه من الطعام . قال ابن اسحاق : « وكانت أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنها تأتيهما من الطعام اذا أمست بما يصلحهما [٢] وانما يدرك هذا العمل الإنسانى المجيد الذى ينبئ عن الشجاعة والجرأة والاستهانة بالأخطار من يذهب الى غار ثور فى الليل الموحش ويرى ما يعانيه الصاعد

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ترجمة أسماء .

(٢) البداية والنهاية جزء ثالث ص ١٧٩ .

من مشقة وتعب . وأشهد الله لقد ذهبت اليه في الضحى وكنت في رفقة من الأصحاب فما بلغناه الا وقد حفيت أقدامنا ونال منا التعب والأعياء . فله در السيدة أسماء فقد ضربت في باب التضحية والإقدام مثلاً عاليا لا ترال تذكره لها الأجيال بالإعظام والإجبار . وما كانت حوادث الهجرة لتمر دون أن ينال السيدة أسماء منها أذى واعتات من طاغوت قريش أبي جهل . وسأدع السيدة أسماء تتحدث عن هذا المشهد المؤلم الذي غاب فيه الرشد والحلم عن هذا الخبيث فلطم سيدة كريمة من بيت كريم . قالت : « لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أتاناً نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام فوقفوا على باب أبي بكر ، فخرجت اليهم فقالتوا : أين أبوك يا ابنة أبي بكر ؟ قالت : قلت لا أدري والله أين أبي ، قالت فرفع أبو جهل يده - وكان فاحشاً خبيثاً - فلطم خدى لطمعة طار منها قرطى ثم انصرفوا » وقد ذهبت اللطمة وذهب ألمها وبقى الفخار لأسماء مسجلاً في صفحات الخلود .

عقلها وذكاؤها :

وقد كانت أسماء رضى الله عنها مثالا للعقل الراجح والذكاء النادر والقدرة على مواجهة المسائل المحرجة بالحلول التي تحتاج الى عارضة قوية وبداهة حاضرة ؛ روى ابن اسحاق عن السيدة أسماء قالت : « لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج معه أبو بكر احتمل أبو بكر ماله كله معه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف درهم ؛ فانطلق بها معه قالت : فدخل علينا جدى أبو قحافة وقد ذهب بصره فقال : والله أنى لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه ؛ قالت : كلا يا أبت ؛ أنه قد ترك لنا خيراً كثيراً ؛ قالت : وأخذت أججاً فوضعتها في كوة في البيت كان أبى يضع ماله فيها ثم وضعت عليها ثوباً ثم أخذت يده فقلت يا أبت ضع يدك على هذا المال ، قالت : فوضع يده عليه فقال : لا بأس اذا كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن ؛ وفي هذا بلاغ لكم ؛ ولا والله ما ترك لنا شيئاً ؛ ولكن أردت أن أسكن الشيخ بذلك » فأى عقل امرأة في مثل عقل أسماء ؛ وأى تصرف أحسن من هذا التصرف في مثل هذا الموقف ثم انظر الى مبلغ علمها بالنفوس وطبائعها الذى ينم عنه قولها : « ولكن أردت أن أسكن الشيخ بذلك » وقصة شق النطاق على بساطتها تدل هي الأخرى على سرعة الخاطر عند مواجهة المشكلات

شجاعتها وجهادها :

ولم يقف جهاد السيدة أسماء عند ما بذلته في الهجرة من تضيحية ومخاطرة في سبيل

رسول الله وصاحبه أبى بكر ، بل امتد هذا الجهاد الى ما بعد الهجرة بحضورها بعض الغزوات تسقى العطشى وتداوى الجرحى وتبخر الحمية فى نفوس المهزومين والفارين . وبحسبها فضلا أنها حضرت مع زوجها وابنها عبد الله واقعة من مواقع الإسلام الفاصلة وهى اليرموك وقد كان من سياسة القادة فى هذه الملحمة أن أحضروا بعض النساء المهورات بالإقدام والشجاعة وجعلوهن من وراء الجيش ، وكان مما قاله لهن أبو سفيان رضى الله عنه وهو قاص الجيش الإسلامى ومذكره : « من رأيته فارا فاضربنه بهذه الأحجار والعصى حتى يرجع » .

وقد كان لهذه السياسة الحكيمة أثرها ، فما فر أحد الا واستقبلته ورددته الى صفوف المقاتلين ، فلا عجب أن انتصر أربعون ألفا من المسلمين على مائتى ألف أويزيدون من الروم . أما شجاعته الأدبية والنفسية فأمرها عجب ، والحديث عنها مستعذب ، ومواقفها فى هذا المضمار مواقف مشرفة ، ولو لم يكن من أمرها الا حثها ابنها عبد الله على الثبات والصبر والموت شريفا فى سبيل العقيدة والحق الذى يدين به لكفى ، ذلك أنه لما حاصر الحجاج ابن الزبير بمكة وضيق عليه الخناق بدأ أتباعه ينصرفون عنه ويطلبون من الحجاج الأمان ، واستفحل الأمر حتى لم يبق مع ابن الزبير الا القليل ، فدخل عبد الله ابن الزبير - وهو الشجاع الذى يتطاير عنه الأبطال عند اللقاء - على أمه أسماء فشكا اليها خذلان الناس له وخروجهم الى الحجاج ، حتى أولاده وأهله ، وأنه لم يبق معه الا اليسير ، ولم يبق لهم صبر ساعة ، وقال لها : ان القوم يعطوننى ما شئت من الدنيا ، فما رأيك ؟؟ موقف مخرج حقا يدعو الى اليأس من النصر والأشارة بالاستسلام وطلب الأمان ، والمساومة على أكبر قسط من المغانم ولا سيما من أم رؤوم ، ولكن السيدة أسماء أملت ما كان يظن من مثلها فى هذا الموقف ، فقالت : « يا بنى ، أنت أعلم ان كنت تعلم أنك على حق وتدعو الى حق فاصبر عليه ، فقد قتل عليه أصحابك ، ولا تمكن من رقبتك يلعب بها غلمان بنى أمية ، وان كنت تعلم أنك انما أردت الدنيا فلبئس العبد أنت ، أهلكت نفسك ، وأهلكك من قتل معك ، وان كنت على حق فما وهن الدين ، والى كم خلودك فى الدنيا ؟ » فدنا منها فقبل رأسها وقال : هذا - والله - رأيي ، ولكنى أحببت أن أعلم رأيك ، فزدتنى بصيرة مع بصيرتى (١) » وبعد أن تحدث بنعمة الله عليه وطلب من أمه التجلد والتسلى خرج الى القتال فكان آخر عهده بالحياة ، فقد قتل شهيدا ثم صلب ، ولم

يزل مصلوبا حتى أمر عبد الملك بأنزاله من الخشبة . وتسمو السيدة أسماء في شجاعتها فتواجه الحجاج بما يكره . روى أنها دخلت على الحجاج بعد أن صلب ابنها فقالت له : أما أن لهذا الراكب أن ينزل ؟ قال : المنافق ؟ قالت : لا والله ما كان منافقا بل كان صواما قواما قال : اذهبي فأنتك عجوز قد خرفت فقالت : لا والله ما خرفت ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يخرج في ثقيف كذاب ومبير فأما الكذاب فقد رأيناه (١) وأما المبير فأنت هو » . وتسمو في صبرها وتجلدها حينما دخل عليها عبد الله ابن عمر فقال معزيا : « ان هذا الجسد ليس بشئ ، وإنما الأرواح عند الله فاتقى الله واصبري فقالت : وما يمتنى من الصبر وقد أهدى رأس يحيى بن زكريا الى بغى من بغايا بني اسرائيل » .

روايتها الحديث :

وتجمع السيدة أسماء الى شرف الصحبة شرف الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روت عنه عدة أحاديث في الصحيحين والسنن . قال الخزرجي في الخلاصة : لها ستة وخمسون حديثا اتفق البخاري ومسلم على أربعة عشر منها وانفرد البخاري بأربعة ومسلم بمثلها وروى عنها ابنها عبد الله وعروة وأحفادها وعبد الله بن كيسان مولاهما وابن عباس ووهب بن كيسان وغيرهم .

« وبعد » فهذه سيرة السيدة أسماء بنت الصديق أتمودج حتى لما ينبغي أن تكون عليه المرأة المسلمة في عقيدتها وشجاعتها ومجاهرتها بالحق وحسن تبعلها لزوجها والقيام على تربية أولادها ومحافظتها على شرفها وعفافها فهي نعم القدوة لكل امرأة مسلمة تزدك الكمال والحق والخير وان في سيرتها وسيرة مثيلاتها لمنسعا للقول والكتابة والخطابة فما بال نساءنا المسلمات المتعلمات لا يعرفن الاشهرات الغرب ولا يكدن يكتبن أو يتحدثن عن شهرات النساء في الإسلام الا قليلا مع أن في الإسلام من النساء الكوامل ولا سيما في الصدر الأول ما لا يوجد في أمة من الأمم . ولو أن موقفا من مواقف السيدة أسماء وقفته امرأة من نساء الغرب لحظيت بالثناء والأبكار من الكثيرين منا ولتحدث عنها المتحدثون والمتحدثات وأطنبوا في الحديث .

فسلام الله عليك أيتها السيدة أسماء يوم ولدت ويوم مت ويوم تبعثين في عداد الكاملات من النساء ما

محمد محمد أبو شربة

الأستاذ بكلية أصول الدين

الاجتهاد والتقليد

أفضنا الحديث في مقالتنا السابقة بذكر شروط الاجتهاد التي هي مفتاح بابه واذن الدخول في ساحته والتجول في أطرافه ونواحيه الفسيحة المديدة الأرجاء المتشعبة الفجاج وهي الميزان الفاصل الذي يعرف به من ثقل علمه ورجحت كفته ونضج عقله واكتملت مؤهلاته كما يعرف به من خفت موازينه ونقصت مؤهلاته العلمية فلا يطوح به الغرور ولا يتسلط عليه الوهم ولا يداعب خياله حب الشهرة والظهور فيسلك نفسه في سلك المجتهدين ويضع قدمه على سلم الاجتهاد ويتسم بسبيا أهل العلم الذين أراد الله بهم خيرا ففقههم في الدين وأثار بصائرهم بضياء الحق والعرفان « أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » .

ورغبة منا في أن يأخذ البحث مداه وتبلغ الإحاطة به مبلغ ارواء الغلة واثلاج صدور المحبين للحق المستشرفين للامام بالقواعد الشرعية وخصوصا في المسائل الدقيقة التي قل أن تطرق في أنهر المجلات والصحف رأينا أن نخص مجلتنا هذه وهي المنبر العام الذي يفصح عن الآراء الإسلامية في كل وقت وفي كل مناسبة بهذا البحث، فمن المهم جدا أن نبين مدى الاجتهاد في الأصول الدينية ومداه في الفروع الفقهية وآراء العلماء في تصويب المجتهدين في المسائل الأصولية والفرعية وخير كتاب نزرع اليه في هذا الموضوع كتاب : (الملل والنحل) للشهرستاني . وهاكم ما قاله في هذا الموضوع : « ثم اختلف أهل الأصول في تصويب المجتهدين في الأصول والفروع فعامة أهل الأصول على أن الناظر في المسائل الأصولية والأحكام العقلية اليقينية القطعية يجب أن يكون متعينا الإصابة فالمصيب فيها واحد بعينه ولا يجوز أن يختلف المختلفان في حكم عقلي حقيقة الاختلاف بالنفي والإثبات على شرط التقابل المذكور بحيث ينفي أحدهما ما يثبت الآخر بعينه من الوجه الذي يثبته في الوقت الذي يثبته إلا وأن يقتسما الصدق والكذب والباطل سواء كان الاختلاف بين أحل الأصول في الإسلام أو بين أهل الإسلام وأهل الملل والنحل الخارجة عن الإسلام فان المختلف فيه لا يحتمل توارد الصدق والكذب والصواب والخطأ عليه في حالة واحدة وهو مثل قول أحد المخبرين : زيد في هذه الدار في هذه الساعة وقول

الثاني: ليس زيد في هذه الدار في هذه الساعة فانا نعلم قطعاً أن أحد المخبرين صادق والآخر كاذب لأن المخبر عنه لا يحتمل اجتماع الحالتين فيه معاً فيكون زيد في الدار ولا يكون في الدار . . .

ثم قال : وقد صار أبو الحسن العنبري الى أن كل مجتهد ناظر في الأصول مصيب لأنه أدى ما كلف به من المبالغة في تسديد النظر في المنظور فيه وان كان متعينا نفيًا وإثباتًا الا أنه أصاب من وجه وانما ذكر هذا في الإسلاميين من الفرق .

وأما الخارجون عن الملة فقد تضافرت النصوص والاجماع على كفرهم وخطأهم . وكان سياق مذهبه يقتضي تصويب كل مجتهد على الاطلاق الا أن النصوص والاجماع صدته عن تصويب كل مناظر وتصديق كل قائل . وللاصوليين خلاف في تكفير أهل الأهواء مع قطعهم بأن المصيب واحد بعينه لأن التكفير حكم شرعي والتصويب حكم عقلي . فمن مبالغ متعصب لمذهبه كفر وضال مخالفه ومن متساهل متألف لم يكفر، ومن كفر قرن كل مذهب ومقاله بمقالة واحد من أهل الأهواء والمال كتقرين القدريّة بالمجوس وتقرين المثبّهة باليهود وتقرين الرافضة بالنصارى وأجرى حكم هؤلاء فيهم من المناحكة وأكل الذبيحة . ومن تساهل ولم يكفر قضى بالتضليل وحكم بأنهم هلكى في الآخرة . واختلفوا في اللعن على حسب اختلافهم في التكفير والتضليل . وأما المجتهدون في الفروع فاختلفوا في الأحكام الشرعية من الحلال والحرام ومواقع الاختلاف مظان غلبات الظنون بحيث يمكن تصويب كل مجتهد فيها .

وانما يبتنى ذلك على أصل . وهو أنا نبحت هل لله تعالى حكم في كل حادثة أم لا؟

فمن الأصوليين من صار الى أن لا حكم لله تعالى في الوقائع المجتهد فيها حكماً بعينه قبل الاجتهاد من جواز وحظر وحلال وحرام . وانما حكمه تعالى ما أدى اليه اجتهاد المجتهد ، وأن هذا الحكم منوط بهذا السبب . فما لم يوجد السبب لم يثبت الحكم خصوصاً على مذهب من قال : « ان الجواز والحظر لا يرجعان الى صفات في الذات وانما هي راجعة الى أقوال الشارع : افعل . لا تفعل » .

وعلى هذا المذهب كل مجتهد مصيب في الحكم . ومن الأصوليين من صار الى أن لله تعالى في كل حادثة حكماً بعينه قبل الاجتهاد من جواز وحظر بل وفي كل حركة يتحرك بها

الإنسان حكم تكليف من تحليل وتحريم وانما يرتاده المجتهد بالطلب والاجتهاد اذ الطلب لا بد له من مطلوب والاجتهاد يجب أن يكون من شئ الى شئ فالطلب المرسل لا يعقل ولهذا يتردد المجتهد بين النصوص والظواهر والعمومات وبين المسائل المجمع عليها فيطلب الرابطة المعنوية أو التقريب من حيث الأحكام والصور حتى يثبت في المجتهد فيه مثل ما يلفيه في المتفق عليه ولو لم يكن له مطلوب معين كيف يصح منه الطلب على هذا الوجه . فعلى هذا المذهب المصيب واحد من المجتهدين في الحكم المطلوب وان كان الثانى معذورا نوع عذر اذ لم يقصر فى الاجتهاد .

ثم هل يتعين المصيب أم لا ؟

أكثرهم على أنه لا يتعين فالمصيب واحد لا بعينه . ومن الأصوليين من فصل الأمر فيه فقال : ينظر فى المجتهد فيه فان كانت مخالفة النص ظاهرة فى واحد من المجتهدين فهو المخطئ بعينه خطأ لا يبلغ تضليلا ، والمتمسك بالخبر الصحيح والنص الظاهر مصيب بعينه وان لم تكن مخالفة النص ظاهرة فلم يكن مخطئا بعينه بل كل واحد منهما مصيب فى اجتهاده وأحدهما مصيب فى الحكم لا بعينه ما

عبد الله مصطفى المراغى

المفتش بالأزهر

بين الافراط والتفريط

زمان كله لجب وضوفا	وأهلوه بحب الذات مرضى
تمدن جاهل فأتى فريا	وأعرض جامد فانخط أرضا
فلا هذا بعهد الله أوفى	ولاذن شرعة الاسلام أرضى
تراوح أمرنا ما بين غال	ورجعى يرى فى البسط قبضا
فلا الافراط أجدانا فتىلا	ولا التفريط للخيرات أفضى
	محمد حسن النجمى

الأشهر الحرم

غرب العرب دهرًا يترسمون خطى نبيهم الأول اسماعيل عليه السلام ويتبعون سنته تؤلف بين قلوبهم شريعة سمحة وينير لهم الطريق دين قويم فيحرمون ما حرم الله عليهم ويحلون ما أحل لهم فلما لعبت بهم الأهواء وغلبت عليهم شقوتهم تفرقت بهم السبل وغمت عليهم معالم الهدى والرشاد وظلوا - الا قليلا منهم - سادرين في غواياتهم عامهين في ضلالتهم حتى أشرقت عليهم شمس جديدة وجاءهم من الله هدى وشفاء فأخرجهم من الظلمات الى النور وطهر نفوسهم من أوضار وأقذار رانت عليها زمنا طويلا .

وكان مما خرجوا فيه عن دين ابراهيم وشريعة اسماعيل عليهما السلام أن عبدوا غير الله واتخذوا من الأوثان والأصنام وغيرها أربابا ثم حرموا حلالا وأحلوا حراما وبحروا البحيرة ووصلوا الوصيلة وسبوا السائبة وحوا الحامى [١] وبدلوا في الأشهر الحرم فجعلوا حرامها حلالا وحلالها حراما وكان الذى تولى كبر هذه الضلالات - على ما يذكر المؤرخون - عمرو بن لحي الخزاعى .

والأشهر الحرم أربعة ثلاثة سرد وواحد فرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ثم رجب جعل الله فيها منافع لهم فى أمر دينهم ودنياهم يحجون فى ذى الحجة ويعتمرون فى رجب ويأمنون على أنفسهم وأموالهم حيث يلقون السلاح ويتركون الغزو والأخذ بالنار حتى كان الرجل يلقي قاتل أبيه أو أخيه فلا تحدّثه نفسه أن يثار منه . وقد أوجز القرآن الكريم كل هذه المنافع فى كلمات قليلة وذلك قول الله تعالى : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام » وقد جاء فى تفسير القرطبى عند شرح هذه الآية ما ملخصه : خلق الله الخلق على سليقة الآدمية من التحاسد والتنافس والتقاطع والتدابر والسلب والغارة والقتل والثأر فلم يكن بد فى الحكمة الإلهية والمشيئة الأزلية من كاف يدوم معه الحال فكان الخليفة ولم كان الخليفة لاتصل يده الى

(١) انظر كتاب بلوغ الأرب ج ٣ ص ٣٤ وكتب التفسير عند قوله تعالى : « ما جعل الله من بحيرة . . . الآية » .

كل موضع جعل لم البيت الحرام وأوقع في نفوسهم هيبتة وعظم بينهم حرمة فكان من لجأ إليه معصوما وكان من اضطره مجبى بالسكون فيه ولما كان البيت الحرام موضعا مخصوصا لا يدركه كل مظلوم ولا يناله كل خائف شرع لهم تحريم أربعة أشهر في العام .

وذو الحجة شهر الحج منذ عهد سيدنا إبراهيم عليه السلام وذو القعدة وسيلة إليه . والمحرم منصرف الناس من الحج ، أما رجب فكانت فيه العمرة - كما سبق - ولرجب مكانة عظيمة عند العرب ، ولا سيما مضر حتى نسب إليها قبيل : (رجب مضر) وذلك أنهم كانوا يعظمونه أشد التعظيم ، في حين كانت ربعة تعظم رمضان وتسميه رجبا ولذلك جاء في الحديث الشريف تحديد دقيق لرجب الأصيل فقال الرسول عليه الصلاة والسلام وهو يعدد الأشهر الحرم : « ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان » وكان بعض العرب يصومون شهر رجب وأكثرهم كانوا يعظمون - بخاصة - أول يوم فيه حتى لكانوا يصلحون في هذا اليوم بين المتخاصمين .

وقد عظم الله هذه الأشهر ولله - سبحانه - أن يعظم من الأمكنة والأزمنة والناس ما يشاء وفي مثل ذلك يقول الشاعر :

هو الحظ حتى تفضل العين أختها وحتى يصير اليوم ليوم سيدا

ولعظم هذه الأشهر رأى بعض العلماء أن الذنب فيها أكبر من الذنب في غيرها . قال قتادة : إن الظلم في الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزرا من الظلم فيما سواها . . . ورأى الشافعي والأوزاعي أن تغلظ الدية فيها على من قتل خطأ فتكون دية وثلاثا وروى ذلك عن القاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وابن شهاب وهم في الفقه ما هم ومن رأى الشافعي أن تغلظ الدية في النفس وفي الجراح في الشهر الحرم والبيت الحرام وذوى الرحم .

ومن تعظيمها أن الله قد خصها بالذكر ونهى عن الظلم فيها والظلم منهى عنه في كل زمان ، وحرم القتال فيها وحكم عليه حين وقع من المؤمنين بأنه كبير وجعل النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا وكذلك وردت هذه المعاني في الحديث النبوي الكريم .

وقد اتمس بعض الكاتبين لأسماء هذه الأشهر العربية مناسبات . كما ذكر بعض آخر

مناسبات أخرى. ومن هذه المناسبات - على سبيل المثل - أن المحرم سمي بهذا الاسم لأنهم كانوا يغيرون فاتفق أن أغاروا فيه فلم يفلحوا فحرموا فيه القتال فسموه محرماً وأن الربيعين سميا بذلك لأنه اتفق وقت التسمية أن جاء في زمن الحصب وكذلك رمضان اشتقوا له اسماً من الرضاء وهي شدة الحر وواضح أن التعليل في تسمية المحرم غير مستقيم لأن تحريم القتال فيه شرع ورثوه عن اسماعيل عليه السلام وإذا جرينا على أن هذه الأسماء وضعها كلاب بن مرة وكان ذلك قبل الإسلام بقرنين تقريباً فاننا نجد في أسماء الأشهر التي كانت مستعملة قبل ذلك عللاً مناسبة فذو الحجة سمي بذلك لأن فيه الحج وكان قديماً يسمى بركا لأن الإبل تبرك فيه إذا حضرت المنحر ورجب سمي بذلك لأن الترجيب التعظيم وكان يسمى (الأصم) لأنه لم يكن يسمع فيه صوت سلاح ولا صوت مستغيث وكان يسمى أيضاً (الفرد) لعزله عن الأشهر الحرم ومن أسماء أشهرهم القديمة البائد وهو اسم لجمادى الثانية وكانوا يكثر فيه من الغزو وأخذ الثارات فيبيد فيه عدد كبير ومن ذلك جاء المثل : (العجب كل العجب بين جمادى ورجب) .

أما النسئ فله في اللغة تفسيران :

(١) نسأت الشيء أنسؤه فهو منسوء ونسئ ، ورجل ناسئ ، وقوم نسأة ، كل ذلك يعطى معنى التأخير ، ومن هنا جاء في القاموس أن النسئ شهر كانت تؤخره العرب في الجاهلية .

(٢) قال الطبري : النسئ معناه الزيادة ، يقال نسأ ينسأ إذا زاد ، ومن ذلك نسأ الله في أجلك ، كما تقول زاد في أجلك .

وأصحاب القول الأول يقولون نسأ الله في أجلك وأنسأ الله أجلك أى أخر الله أجلك ويذكرون قول النبي صلى الله عليه وسلم : « من سره النساء في الأجل والسعة في الرزق فليصل رحمه » قال أبو علي القالي : والنساء : التأخير ، يقال بعته بنساء وبنسيئة بتأخير وأنسأته البيع (١) .

وعلى كل من هذين المعنيين اللغويين ورد تفسير للنسئ عند العرب ، فقوم يقولون : إن معناه إحلال شهر وتحريم آخر مكانه ، وذكروا في ذلك أن العرب كانوا إذا صدروا

عن منى يقوم من بنى كنانة رجل يقال له القلمس فيقول : أنا الذى لا يرد لى (١) قضاء ، فيقولون : أنسأنا شهرا فيحل لهم المحرم .

ويذكر قتادة أنهم عمدوا إلى صفر فزادوه في الأشهر الحرم ؛ وقرنوه بالمحرم فى التحريم فتكون الأشهر الحرم خمسة .

وقد فسر النسيء بالكسب الذى استحمله العبرانيون فى سنتهم القمرية ، يضيفون على رأس كل ثلاث سنين شهرا لتكون السنة قمرية شمسية بحيث لا يكون الشهر العربى إلا فى فصل معين ، ومن قال بالكسب أبو عشر الفلكى المتوفى سنة ٢٧٢ هـ وتابعه البيرونى والمسعودى فى مروج الذهب قال : « وقد كانت العرب فى الجاهلية تكسب فى كل ثلاث سنين شهرا ، وتسميه النسيء . » وعبرة أبى معشر جامعة ولذلك أثقل جزءا منها « وأما العرب فى الجاهلية فكانوا يستعملون سننى القمر برؤية الأهلة كما يفعله أهل الإسلام ، وكانوا يحجون فى العاشر من ذى الحجة ، وكان لا يقع هذا الوقت فى فصل واحد من فصول السنة بل يختلف فمرة يقع فى زمان الصيف ومرة فى زمان الشتاء ومرة فى الفصلين الباقيين لما يقع بين سننى الشمس والقمر من التفاضل فأرادوا أن يكون وقت حجهم موافقا لأوقات تجارتهم حيث يكون الهواء معتدلا فى الحر والبرد مع توريق الأشجار ونبات السكلا ليسهل عليهم المسافرة إلى مكة ، ويتجروا بها مع قضاء مناسكهم ، فعملوا عمل الكيسة من اليهود ، وسموه النسيء أى التأخير ، إلا أنهم خالفوا اليهود فى بعض أعمالهم لأن اليهود كانوا يكسبون تسع عشرة سنة قمرية بسبعة أشهر قمرية حتى تصير تسع عشرة شمسية ، والعرب تكسب أربعا وعشرين سنة قمرية باثني عشر شهرا قمرية ٠٠٠ » ثم يذكر كيف كان القلمس يقوم خطيبا فى الحج وينسئ المحرم ، ولا يعده فى الشهور الاثني عشر ، ويجعل صفرا أول شهور السنة ، ويفعل مثل ذلك كل سنتين ، حتى يعود الحج فى ذى الحجة بعد خمس وعشرين سنة ، ويذكر أن الحج وقع فى سنة الهجرة فى رجب ، وفى عام الفتح فى ذى القعدة ، ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فى ذى الحجة فى السنة العاشرة من الهجرة ، وفى كلام البيرونى أن هذا النسء كان قبل الإسلام بقريب من مائتى سنة .

وقد ناقش العالم المشهور محمود باشا الفلكى فى رسالة له صغيرة سمها (نتائج الألفهام فى تقويم العرب قبل الإسلام) هذه المسائل مناقشة دقيقة ووصل إلى بعض النتائج الهامة

(١) يتمسك كثيرون بأن الصواب أن يقول (له) ولكن شواهد ذلك غير قليلة .

فيما يتعلق بمولد النبي صلى الله عليه وسلم وهجرته [١] ووفاته ، وخالف مؤرخي العرب رأيهم في النسيء ، وأكد أن العرب لم يعرفوا في الحساب غير السنة القمرية المحضة .

ولكن كلامه في هذا لا يخلو من اضطراب ، فقد ذكر في أول الرسالة أن مؤرخي العرب أجمعوا على أن الوثنيين من العرب كانوا يحسبون أوقاتهم بالسنة القمرية الشمسية وأن ظواهر عبارات المفسرين وشراح الحديث الشريف وأئمة اللغة وكتاب السيرة تفيد أن العرب لم يستعملوا البتة سوى السنين القمرية المبهمة ، وهذا غير صحيح فإن من أئمة المفسرين من فسر النسيء بالكبس ، وذكر أن العرب كانوا يستعملونه ، وكذلك ذكره ابن حجر في فتح الباري ثم اضطرب أيضا في تحديد هؤلاء الذين كانوا يستعملون السنة القمرية وفي المدة التي استعملت فيها ، فذكر أولا أنهم أهل مكة ، ثم زاد عليهم في موضع آخر أهل المدينة ، ثم ذكر أخيرا أنهم العرب عامة ، وأما عن المدة فقد ذكر أن هذا الاستعمال كان قبل الهجرة بخمسين سنة ، ثم عاد ليقول إن ذلك كان قبل الهجرة بنحو قرن من الزمان وأخيرا يععم فيقول : إن العرب لم يستعملوا غير التاريخ القمري قبل الإسلام وبعده .

وقد علل ذلك الشيخ محمد الخضري في كتابه (تاريخ الأمم الإسلامية) بأن النسيء بالتفسير المشهور — إحلال شهر وتحريم آخر مكانه — نتيجة هوى نفس وتلاعب بما كانوا يسمونه ديناً وشرعية . وهذه الأهواء جديرة عندهم بمثل هذا الدم ، أما التفسير الآخر (الكبس) فلا يعدو أن يكون نظاماً ثابتاً انتهجوه لبقاء الأشهر العربية متفقة مع دورة الشمس ومثل هذا ليس فيه الإحلال عاما والتحريم عاما لمواطأة عدة ما حرم الله ، وإنما هو نظام ثابت لا يكون مجالا لتلاعب النساء بدينهم .

وهذا كلام غير صحيح أيضا ، وذلك أن الكبس — أولا — زيادة في الشهور ، وقد ردت الآية عليهم ذلك ، فأكدت أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، فالزيادة عليها ضلال يستحق الدم ، وثانيا أن الزيادة في عدد الشهور ، أو زيادة أيام على السنة ، ينشأ عنه تغيير مواضع الشهور ، ومن ثم

(١) حقق أن دخول النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كان في يوم الاثنين ثامن ربيع الأول الموافق ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ م ، وأن مولده كان في ٩ من ربيع الأول الموافق ٢٠ أبريل سنة ٥٧١ م .

يتغير زمن الحج ، وذلك واضح في عبارات أبي معشر السابقة ، وفي قول إياس بن معاوية « كان المشركون يحسبون السنة اثني عشر شهرا وخمسة عشر يوما فكان الحج يكون في رمضان وفي ذى القعدة وفي كل شهر من السنة بحكم استدارة الشهر بزيادة الخمسة عشر يوما » .

أما النساء فقد اختلفوا فيهم اختلافا كبيرا ، فمنهم من ذكر أن أول من نسأ الشهور عمرو بن لحي الخزاعي ، ومنهم من أسند ذلك إلى القامس وهو رجل من كنانة وأكثر عبارات المؤلفين على ذلك ، وقد ورد اسمه مقرونا بالنسأ (ومنا ناسئ الشهر القامس) ولا أرى تعارضا في هذه الأقوال ، فقد يكون عمرو ابتداء هذه البدعة ، ثم قام بعده ناسئون شهروا بذلك ، وقد كانت العرب تقرب بالرياسة لمن ينسأ لهم الشهور وكان قوم الناسئ يفتخرون بهذا العمل ومن أشعارهم :

ألسنا الناسئين على معد شهورهم الحرام إلى الحليل

وقول عمير بن قيس بن جندل الطعان ، وتنسب للكميت :

لقد علمت معد أن قومي كرام الناس إن لهم كراما
ألسنا الناسئين على معد شهور الحل نجعلها حراما
فأى الناس لم ندرك بوتر وأى الناس لم نعلك بلحاما

وبعد : نغير ما نختم به قول الله تبارك وتعالى : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حرم ، ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم ، وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ، واعلموا أن الله مع المتقين ، إنما النسأ زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين » .

على العمارة

مؤمنة جاهدت^(١) ...

المنظر الاول

« حجرة في بيت متواضع . قليلة الأثاث . يرفع الستار
عن فتاة في حوالى العشرين من عمرها . طويلة الشعر .
متحجبة . تغزل شيئاً في يدها . يدخل عليها أخوها وعليه آثار
الاهتمام والعزم » .

أميمة : مرحباً بالشقيق العزيز والأخ الغالى ؛ ما وراءك من أنباء الجهاد
يا أعز الأشقاء ؟ ! .

عامر : لقد بدأت المعركة بين المسلمين والكافرين وهى الآن على أشدها وقد
أخذ العلماء والوعاظ يحثون الشباب على الخروج إلى الجهاد فى سبيل الله والوطن .

أميمة : وماذا اعتزمت أنت وإخوتك ؟ ألا يكون لأسرتنا لواء صدق
بين المجاهدين ؟ .

عامر : حياك الله يا أميمة ، لأنت نعم المؤمنة بالله الواثقة بنصر الله . سأخرج
أنا وأشقائى الثلاثة حسام وناصر وعز الدين إلى ساحة الكفاح .

أميمة : (باضطراب) أتم الأربعة وأبقى هنا وحدى ؟ ... فليكن فأنى صابرة .
ولكن من الذى يرمى شئونى يا عامر ، وقد استأثرت رحمة الله بالأُم والوالد ؟ .

(١) مستوحاة من روح حادثة تاريخية .

« يدخل إخوانها الثلاثة وقد سمعوا جملتها الا خيرة »

حسام : يرى شئونك رب السموات العلى يا أميمة . فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين .

أميمة : آمنت بالله رب العالمين . صانكم الله في مغداكم ومآبكم وأعز كلمة الإسلام والأوطان بشجاعتكم . وردكم إلى أختكم المحبة لكم سالمين .

عز الدين : أوكتب لنا الشهادة في سبيله لنموت غانمين والله خير الوارثين .

ناصر : صدقت يا عز الدين ، فذلك منتهى الفوز للمؤمنين : إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم .

عامر : لا يشغلنكم الحديث عن الاستعداد للرحيل نأنا الوقت كالسيف إن لم نقطعه قطعنا .

عز الدين : (متحمسا) وبنا والله شوق إلى أن نريق دماء أولئك الطاغاة الباغين . الذين استحلوا بلادنا ، وأكثروا فيها الفساد .

حسام : سيصب ربك عليهم سوط العذاب عما قريب . فلا تسكن من الآسفين .

أميمة : وأنا يا أشقائى أليس لى من نصيب فى هذا الجهاد؟ ألا أستطيع أن أؤدى قسطا من الواجب فى المعركة ؟ !

ناصر : إن الله قد وضع عن المرأة الجهاد ؛ وأمرها أن تلزم بيتها إلا عند الضرورة القصوى ؛ لأنها تنشأ فى الحلية وتضعف عن النضال . وأما نحن الرجال فلنا الحرب والطعان ؛ ومنازلة الأقران فى ساحة الميدان ؛ وصدق الشاعر حين قال :

كذب القتل والقتال علينا وعلى الغايات جر الذبول

عامر : لا لا يا ناصر ؛ لا تقل هذا فإن النساء شقائق الرجال ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف . ولقد جاهدت فتيات وسيدات فى الصدر الأول وكانت كتيبة النساء فى الغزوات تتبع كتيبة الرجال .

عن الدين : لكن النساء لم يزدن فى هذه الغزوات يا عامر على أن كن فى الخطوط الخلفية من المعركة بعيدا عن ساحة الوغى وكان عملهن مقصورا على حراسة المتاع وتضميد الجرحى وتمريض المرضى وإمداد المقاتلين بالماء والغذاء . . على أن المؤرخين يذكرون أن تلك المعاونات من النساء كانت فى الغزوات الأولى التى قل فيها عدد الرجال من المسلمين ؛ وكان البلاء فيها شديدا من الكافرين على المؤمنين فلما أغنى الله عباده بعددهم وعدتهم لم يروا أنفسهم فى ضرورة تلجئهم إلى الاستعانة بالنساء فى ميدان محفوف بالمخاطر والأهوال .

أميمة : أمضى هذا أن تظل المرأة قذاعة من الأثاث فى البيت لا تحرك ساكنا . ولا تؤدى واجبا ؛ بينما يحترق إخوتها بنار الجهاد فى سبيل العقيدة والوطن ؟ ! .

حسام : مهلا مهلا يا زينة الفتيات ودرة الحرائر ؛ ومن قال إن المرأة فى الإسلام تكون كما تقولين ؟ . بل للمرأة فى الجهاد دور لا يقل شأنًا أو خطرا عن دور الرجال .

أميمة : (متلهفة) وما هو يا أختى ؟ . .

حسام : لقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من جهز غازيا فقد غزا ، ومن خلفه بخير فى أهله فقد غزا » . . . وتسعى المرأة المسلمة إذا أرادت أن تقوم بنصيبها فى الجهاد أن تخطط للمجاهدين الثياب ، وتنسج الخيام ، وتعد الشراب والاعام ، وتجهز الأدوية والأدوات ، وترعى أسرار الشهداء ، وتعنى بتربية أولاد المجاهدين ، وتتأنس مع أخواتها فى تقديم الهدايا التى يتنافس عليها المجاهدون وإليها يتسابقون . . .

أميمة : (متفكرة) حقا إنه لمجهود عظيم ، يؤثر فى نتيجة المعركة تأثيرا بليغا ، ومن غيرنا هؤلاء المشغولين فى المعركة ، يهين حاجاتهم ، ويرعى أولادهم وعائلاتهم ؟ ! .

عامر : وماذا يكون الحال إذا دهم العدو أرضنا ، وأصبحت المعركة عامة والنصر شاملا ؟ ! . . .

عز الدين : ذلك وضع شاذله حكمه الخاص ، يخرج فيه الجميع للدفاع عن الحمى ، رجالا ونساء شيئا وشبانا ، ونسأل الله أن يحفظ بلادنا وملتنا من التعرض له .
أميمة : أعاهدكم يا أشقائي أن أبذل في سبيل الله جهدى . وأن أعمل ما فى طاقتي لمساعدة المجاهدين من المؤمنين .

حسام : رعاك الله يا أميمة . وكتب لنا النصر المبين .
عز الدين : لقد تأخرنا . والوقت يمر سريعا . هيا يا أميمة . أحضرى لنا متاعنا وزادنا . إلى اللقاء فى مهرجان النصر أو يوم يلتقى الشهداء فى ساحة العرض الأكبر . . .

« ستار »

المنظر الثانى : « أميمة فى حجرتها »

أميمة : (تنأجى نفسها) يا إلهى ، ما أشد مرارة الفراق . لقد ذهب الأخوة الأعزاء الأربعة يجاهدون فى سبيل الله ، ومن قبلهم ذهب أبى وأمى إلى رحمة الله ، وبقيت هاهنا منفردة تقتلنى آلام الوحدة والوحشة ، وتعصرنى خطرات الوهم والارتياب ؛ ولقد مضت أسابيع دون نأى يأتينى عما فعل الأشقاء ، فياهول ما ألاقى ! . . . ولكن . . . ما هذا الضعف يا أميمة ! . . . إن إخوتك قد مضوا إلى أكرم غرض وأشرف غاية ؛ إنهم رحلوا ليرفعوا لواء عقيدة عز بها الوجود ويرضوا ربا هو رحمن الدنيا والآخرة وليدفعوا عنا عار السبي وذل الأسر وقييد الهوان . . . إذن فلا أحتمل فى سبيل الله ما ألاقى ؛ والله لا يضيع أجر العاملين .

« طارق يطرق عليها الباب »

أميمة : من الطارق ؟

الطارق : أنا جندى من جنود الإسلام فى المعركة الدائرة بين المؤمنين والفاستقين .
أأنت الفتاة المؤمنة الصالحة أميمة ؟ !

أميمة : نعم يا سيدى . فكيف حال إخوتى ؟

الطارق : أكرمهم الله أكثر من سواهم ، فأثرهم برحمته ورضوانه ، فاختارهم إلى جواره شهداء وما عند الله خير وأبقى .

أميمة : (فرعة) إخوتى ؟ . . . الأربعة ؟ ! (تبكى)

الطارق : تذكرى يا أختاه قول الله عز في علاه : « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ، فاسترجعنى ، واحتسبهم عند ربك واصبرى ... »

أميمة : إنا لله وإنا إليه راجعون ... اللهم ألهمنى الصبر ولا تحرمنى الاجر ... ولكن ... أماتوا الأربعة معاً ؟ ... عز الدين وحسام وعامر وقاصر ١٤ .

الطارق : ومن قال إنهم ماتوا ؟ . إنهم أحياء يا أختاه ، فى خير حياة ، فى جنة عرضها السموات والأرض ، وصدق العلى الكبير : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل ، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين . »

أميمة : نعم . . نعم إنهم أحياء عند ربهم يرزقون ، اللهم إنى جعلتهم عندك ذخري يوم الحساب .

الطارق : هل من حاجة أقضيها لك يا أختاه قبل عودتى إلى الميدان ١٤ .

أميمة : لا وشكر الله لك وجزاك خيراً ، وكتب لكم النصر على الأعداء .
« يذهب ، »

أميمة (لنفسها) : وماذا أصنع الآن ؟ . وأين قبور إخوتى منى لأروى أجدائهم بدموعى ؟ لا بل أين سلاحهم لأحمله بمجاهدة فى سبيل ربى ودينى ؟ . وما هو الآن مصيرى ؟ .

« تسمع طرقات على الباب »

أميمة : من الطارق ؟ .

صوت فتاة : افتحى يا أميمة . . إنى أسماء ، ومعى لمياء .

أميمة : مرحباً مرحباً بخيرة الأتراب وزينة العذارى . . مرحباً بالصديقتين العزيزتين ، والجارتين الوفيتين .

« تفتح لهما فندخلان وهما في غاية الاحتشام فتلاحظان أساما »

أسماء : ما بك اليوم يا أميمة ؟

أميمة : لا شيء يا أختاه . .

أسماء : لا شيء !! (باستغراب) وكيف وهذا لونك العضى أصابه الشحوب ، وعيناك الجميلتان فيهما بقايا الدموع ، وهذا عودك الرطب تشمله الرجفة ؟ .

لمياء : خبرينا بربك يا أميمة ، ماذا هناك ؟

أميمة : إن لإخوتي الأربعة قد استشهدوا جميعا في سبيل الله .

أسماء : (بلهفة) ومن أنباك ؟ وهل عاد المجاهدون ؟

أميمة : جاءني اليوم رسول من الميبدان وأخبرني بذلك .

لمياء : ياللفاجعة . . الأربعة جميعا ماتوا بلا استثناء يالهول المكارثة !

أسماء : أخطأت التعبير يا لمياء ... ما هكذا يكون حديث المؤمنة ، بل قولي : إنا لله

وإنا إليه راجعون ، والحمد لله على ما قضى وقدر ، ونعمت الشهادة للأبرار . .

لمياء : وماذا ستصنعين يا أميمة وأنت وحيدة . . ؟

أسماء : وكيف تبقى أميمة وحدها هنا . . ؟ يجب أن تنقل مع واحدة منا لتخرج من

هذه الوحدة القاسية ، ولتلقى شيئا من الراحة والرعاية بين أهلينا .

أميمة : شكراً لك يا أسماء ، فكم من قليل كان خيراً من كثير ، وليس الفقر في المال

ولكن الفقر في الإيمان والعزائم ، ورحم الله أختنا الأولى يوم قالت :

أحب إلى من قصر منيف	ليت تخفق الأرواح فيه
أحب إلى من لبس الشفوف	ولبس عباءة وتقر عيني
أحب إلى من أكل الرغيف	وأكل كسيرة في جنب بيتي
أحب إلى من نقر الدفوف	وأصوات الرياح بكل فج
أحب إلى من قط ألوف	وكلب ينبع الطراق دوني
إلى نفسى من العيش الظريف	خشونة عيشتى في العز أشهى
فحسبى ذاك من وطن شريف	فما أبغى سوى وطني بديلا

لمياء : إنا نرجو لك يا أميمة جميل الصبر وحسن العوض وجزيل الثواب ، فاصبري يا أختاه وصابري ، فإن الله مع الصابرين ، وإنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب .
أميمة : لقد ساقبك الله إلى حين أردتلك ، ولولم تحضرا لسعيت إليك ، وما حاجتي إليك للبكاء أو العزاء ، ولكن للبحث فيما نستطيع أن نقدمه للمعركة الدائرة بين المؤمنين والباغين .

أسماء : نعمت الفكرة ؛ أما أنا فعندى عقد ثمين من اللؤلؤ ، سأبيعه وأبعث بثمنه إلى المجاهدين ليزيدوا به في السلاح . . .

لمياء : وأما أنا فلأبى من تجارتها الواسعة ما يجعلنى أطمع فى تبرعه بجانب مما يحتاج إليه المجاهدون من زاد وثياب ...

أميمة : (بتفجع) أما أنا ... أما أنا فلا لؤلؤ عندى ، وليس لى أب يدير تجارة ؛ فماذا أصنع ؟ ماذا أصنع يا رباه ؟ ...

أسماء : لا تقولى هكذا يا أميمة ، فنحن كلنا أخوات ، ونستطيع أن نقدم هذه الأشياء بأسمائنا جميعا .

أميمة : لا لا ... إن أرتضى ذلك ... رباه . ألا تهى لى شيئا أشترك به فى المعركة ؟ (تفكر قليلا) ... اسممن يا أخواتى ... (تمر بيدها على شعرها الطويل المسترسل) إن طائفة من الجبناء قد تخلفوا فى المدينة عن شهود المعركة ...

لمياء : نعم ، ولقد سمعت أن إمام المسجد الجامع قد خطب فيهم خطبة نارية ، وحثهم على الجهاد ، فاستجاب له القليل ...

أميمة : قد لاحظت لى فكرة ... سأقص شعرى الطويل المسترسل ، وأضفر منه خضيرة ، أقدمها إلى ذلك الإمام العظيم ، ليجعلها هدية لمن يسبق إلى الجهاد من هؤلاء المتخلفين ، فيتخذ منها لجاما لفرسه فى الميدان ...

أسماء : يا لها من فكرة رائعة ، فيها جمال وجلال وسمو معنى ...

أميمة : إذن فلأنفذها ... أين المقص ؟ ... (تفتش عنه حتى تعثر عليه وتبدأ فى قص شعرها) ... اللهم تقبل منى وارفع عملى القليل فى أعمال المخلصين ...

لمياء : يا للخسارة ... ذهب بهاء الشعر حين قطع وأصبح بلا فائدة ...
 أسماء : بل كل الفائدة يا لمياء ... إن هذه الشعرات ستفعل فعل النار في الهشيم حينما يراها الجنود ، ويعلمون أنها من فتاة مسلمة ، وسيتنافس عليها الجميع ، وإن يفوز بها إلا خيرة الأبطال منهم ...

لمياء : (متفكرة) إذن لماذا لا نفتدى يا أسماء بما فعلت أميمة ، حتى يكون اشتراكنا في المعاونة حقاً وصدقاً ؟ ... فلنقطع شعورنا كما فعلت أميمة ، ولنضفر منها الضفائر ، ولنرسلها إلى ذلك الإمام ...

أسماء : فلنفعل ... وفي سبيل الله يهون القداء ...
 (تجلسان لقطع شعرهما ، ويرخى الستار)

« المنظر الثالث »

« جنديان مسلمان أمام خيمة حربية على مقربة من الميدان ،
 مسلمة : أرأيت يا عمار كيف أتم الله النصر على المؤمنين ، « وجعل كلبه الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم ، ١٩ . . .
 عمار : أتذكر يا مسلمة السبب الذي أدى إلى ذلك النصر المبين ؟
 مسلمة : نعم لإحكام الخطة من القائد ، وإخلاص الجنود في التنفيذ .
 عمار : لا لا يا صاحبي ... ليس هذا هو السبب ، وإن تمكن له قيمته وجلالته ؛
 إن السبب هو ضغيرة فتاة ، وخطبة إمام في مسجد .

مسلمة : وى يا عمار ... لقد ذكرتني ما كنت ناسيا ، ذكرتني ذلك الموقف المزلزل الذي وقفه إمامنا العظيم في المسجد الجامع ، ولا زلت - والله - أذكر كلماته التي قالها ، وهو يتدد بضغفنا وتخاذلنا ، ويعرض علينا صورا من بطولات أجدادنا ، ويدعونا إلى أن نعيش أعزاء أو نموت شهداء .

عمار : بل الأشد من ذلك تأثيرا صعوده المنبر ، وفوق كنفه الضفائر ، والهلم العميق القاتل يبدو على وجهه ، والدموع تحير في عينيه ، والناس حائرون لا يدرون حقيقة ما هناك .
 مسلمة : ثم قص علينا قصة الفتاة المؤمنة الصابرة أميمة ، وكيف استشهد إخوتها الأربعة وكيف جزت مع صديقتها أسماء ولمياء شعورهن وقدمنها إليه ضفائر ليقدمها لجمالها إلى خيول الجنود والفرسان .

عمار : وأقسم لك يا صاحبي ، لقد أحسست حين ألقى هذه الضفائر فوق الجموع وهو غاضب نائر أنها حراب مؤلفة تشك جنوب الحاضرين ، وتحبي فيهم نخوة الرجولية الراكدة ، وتذكرهم بأنهم رجال بلحي وشوارب ، وليسوا نساء بضفائر وذوائب ، فكيف قعدوا مع الخوالب ، وتقاوسوا عن الجهاد ، أو كأنها سيوف بتارة تقطع رقاب الخائنين ، وتوقد الشجاعة في صدور المتقهقرين ، فأما أن يتقدموا وإما أن يكونوا نساء . . . نخرجنا فزعين مكبرين ، وسارعنا إلى المعركة مجاهدين ، فأعز الله بنا كلمة الدين ، وكتب لنا النصر المبين .

مسلمة : بل الأعجب من هذا في صنع الله أن إخوة أميمة الأربعة لم يموتوا كما قيل ، بل رأيتهم في المعركة مجاهدون ، وكانوا كالأعلام بين الأبطال ، ما مال الجيش يميناً أو شمالاً إلا وكانوا أسبق الناس إلى القتال ، وأحرصهم على الشهادة أو الانتصار .

عمار : لأنها ستكون بلا شك فرحة كبرى لاميمة حين يبلغها خبر النصر ونجاة إختوها معاً .

« يدخل إخوة أميمة الأربعة »

حسام : السلام عليكم .

مسلمة : وعليكم السلام ورحمة الله ، مرحباً بأبطال النضال ، وفرسان الطعان .

عمار : أهلاً أهلاً بعمار وحسام وناصر وعز الدين . أهلاً بمن أعز الله بهم وبأختهم الفاضلة المؤمنة شأن الإسلام والمسلمين .

عز الدين : شكراً لكم . . هيا هيا . . إن مواكب المنتصرين بفضل الله تتأهب للعودة إلى الحمى ، لننال قسطها من الراحة ، بعد أن أدت واجبها في ساح الكرامة والشرف .

مسلمة : الفضل في ذلك لاختكم الصابرة وإمام المسجد العظيم .

عمار : بل الفضل لأكرام المجاهدين الذين باعوا الدنيا بالدين .

ناصر : بل الفضل كله لله رب العالمين ...

حسام : نعم ، فقد قال وهو أصدق القائلين : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » ...

« ستار »

أحمد الشرباصي

المدرس بالازهر الشريف

لا... يادكتور طه !

طويل إلى حد الاملال !

« وهذا كلام ، وسيظل كلاما ما لم أتعرض له ، فإذا تعرضت له تغير وجهه ، لو كان وجه النهار لا سود » .
« الراجى »

١ — عاد الدكتور الفاضل طه حسين إلى تأكيد حق الخطأ مرة أخرى وكأنه يشير بهذه المعاودة الملحة إلى تأكيد مشروعية خطئه هو في الدفاع عن قضية غير رابحة ، فقد تفضل وأملى من باريس مقالا طويلا (١) تبلغ عدة كلماته ألفي كلمة تقريبا ، يشرح ويقرر به مقاله الاول الذى أثبتنا نقضه ، وقبل أن نشرع في نقض هذا المقال الثانى ونكشف عن مأخذه تقدم للدكتور الفاضل شكراً خالصا على أنه أخذ بنصيحتنا السابقة له ، أن يلتزم الحدود العلمية ، ولا يتخطاها إلى موضوعات السياسة ، ولا يجعل الحكومة طرفا ثالثا في نزاع على فقهى ، وكذلك فعل في هذه المقالة الثانية .

فعلى قدر ما طوف في أرجاء الكلام وأبدأ وأعاد ، وكرر وأفاض ، لم يمس موضوعات السياسة من قريب أو بعيد - كما فعل في المرة الاولى - وهذه محمدة نشكرها له ، فكان - حفظه الله - من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، ولم يكن - عافاه الله - من الذين تأخذهم العزة بالإثم .

٢ — يلاحظ القارئ أولا على مقال الدكتور الكبير أنه طويل إلى حد الإملال حتى ليخيل لمن ينظرون الامور نظرا عابرا أن الدكتور أرهق قلبه بغير ثمن ، ولكن الغرض البعيد الذى يرمى إليه كاتب ذكى متمرس بنضال القلم ، هو أن يصنع من هذا المقال المختلط الذى يتحدث فيه النصوص والآراء بالمواعظ ، والمغالطات بالمغامز ، درامة

شديدة الدوران على نفسها ، ليفرق فيها ذهن القارىء . ويشرده عن موضوع المناظرة ، فلا يخرج بعد قراءة المقال ، أو من دوامة المقال بشيء محدود ، ولا بفكرة مشخصة ، ويكون قد نسى موضع الحق من موضع الباطل . وإنما حسبه أن يكون قد حفظ أن الدكتور طه حسين قد كتب وأطنب في مناقشة مناظريه ، وهذا ما يريده الدكتور ، لا يريد أكثر منه ، فإن تمحيص الحقائق ليس بذى بال عنده بالقياس إلى رواج اسمه في نظر القارىء العادى ، وهذه خلة قديمة معروفة في خلق الدكتور الاستاذ . ذكر رجل من زملائه — على عهد المجاورة بالجامع الأزهر — وهو لا يزال بحمد الله على قيد الحياة ومن أصدقائه ، قال : كان الدكتور طه ينقد أدب المنفلوطى ، فناقشته في هذا النقد في مسألة نحوية ، كان يخطئ المنفلوطى فيها بغير حق ، فلما تبين له خطؤه وأجابه المنفلوطى من خلال المناقشة ، لم يكثر وقال لى : « ومن يعرف مثل هذا الكلام الذى تقول ؟! » .

هذا هو مبدأ الدكتور ، لا يعنيه تمحيص المسائل العلمية أو هداية الناس إلى وجه الحق فيها ، وإنما يعنيه الرواج عند القارىء العادى بأى وسيلة ، حتى ولو بخداعه والتشويش على فكره ، وإغراقه في دوامة من الكلام الكثير المختلط الأنواع المتشابه المسالك ، يضل فيه طريق الصواب . وإلا فقد كان يمكنه اختصار مقاله « الآلى » ، هذا إلى مقدار النصف .

ويلاحظ ثانياً أنه بدأ مقاله بوعظ طويل ، وتقسيمات عن موضوع الخطأ وأنواع المخطئين ، لا تمت لل موضوع بصلة ، وأكثر من ذكر الآيات والشواهد المتناثرة بما هو أليق بمقام الوعظ ، لا مقام الجدل الذى يعتمد الإيجاز والتركيز وإصابة الهدف قدر ما أمكن ، وهو إمعان منه في المعنى الذى أشرنا إليه ، وأيضاً ليشعر القارىء أنه عارف بالقرآن والسنة ومسائل الدين ، فيتمهد له بذلك أن يدعى لنفسه فيما بعد أنه أهل للاجتهاد ، وأنه ثقة في الفقه كما لوح بذلك في الثلث الأخير من مقاله « الآلى » . فقد قلنا له في سابق ردنا عليه أن علم الشيخ بخيت في الشريعة لا يزيد عن علم طه حسين ، وأن هذا المقدمدار لا يصحح لصاحبه حق الاجتهاد وهو أعلى مراتب السكفاية الفقهية ، لجاء الدكتور طه في مقاله الثانى وقال : إن الشيخ بخيت أهل للاجتهاد ، وهى طريقة لطيفة في إثبات الاجتهاد لنفسه ، فإذا كان علمهما بالشريعة على مقدار واحد ، وأحدهما هو الاستاذ بخيت مجتهد ، فليكن صاحبه الدكتور طه حسين مجتهداً أيضاً .

ويلاحظ ثالثاً أن الدكتور الفاضل لم يأت في مقاله الثانى بشيء جديد يختلف عما ورد

ذكره بمقاله الأول إلا في ثلاث مسائل : مسألة النقل عن الزمخشري وابن حزم فيما زعم أنه سابقة لفتوى الشيخ بخيت ، فهذه واحدة . ومسألة تحديد معنى الاجتهاد ، فهذه الثانية . والمسألة التي جعل موضوعها حاجة الناس للإطعام دون حاجة الله للصوم ، فهذه هي المسألة الثالثة .

وفيما عدا هذه المسائل الثلاث فقد كان مكررا لما سبق ذكره في مقاله الأول ورددنا عليه ، فقد عاد - مثلا - إلى مسألة التيسير ورفع الحرج ، وكنا رددنا عليه بأن العمل بهذا المبدأ مشروط بعدم مصادمته للتكليف ، كما عاد إلى القول بعدم مؤاخذه المجتهد على الخطأ في اجتهاده ، وكنا رددناه أيضا بأن ما وقع من صاحب الفتوى ابتداء لا اجتهاد ، والعهد بالسلف زجرهم لاهل البدع ومؤاخذتهم عليها ، إلى آخر ذلك مما لا نعود إليه . هذه ملاحظات عامة . ولنأخذ معك في نقد المسائل الجديدة نقدا مباشرا .

٣ - (١) وما جرعت لشيء في مقال الدكتور الكبير كجزعى على أن ينقل عن الزمخشري وابن حزم قولا تكذبه النصوص المثبتة في كتبهما ، وما أحسب عالما في الدنيا تواتيه الجراة على أن يفسب لبعض الأئمة الظاهرين الذين تدرس كتبهم وتشتهر آراؤهم - وهي مطبوعة متداولة في متناول كل يد وتحتم نظر كل قارئ - آراء مبدلة ويطلع بها على الناس كأنما يفترض فيما يفعل أن جميع الناس جهلاء أو مخدرون .

ولإليك كلام الدكتور بهبه ، ثم التعقيب عليه بالنصوص المكذبة له من كلام العلماء الذين يستشهد بهم ، قال الدكتور :

« قرأ - أي الشيخ بخيت - قول الله عز وجل : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ، وفهم من هذه الآية ما فهمه بعض المفسرين القدماء ، ومنهم الزمخشري : من أن الذين يجدون المشقة في الصوم يستطيعون أن يفطروا وأن يفقدوا من ذلك بإطعام مسكين ، وقال في موضع آخر من مقاله : « وأغرب ما في هذه القصة أن صاحب تلك المقالة في الصوم لم يبتكر شيئا ولم يقل جديدا ، وإنما سبقه علماء من المسلمين إلى مثل هذا الرأي وقد سبقه إلى رأيه من الفقهاء القدماء - الذين لا يكفرهم الأزهريون - جماعة أذكر منهم ابن حزم ، ولست أعرف أن الزمخشري حوكم على تفسيره ، لهذه الآية السريعة ، ولا أن ابن حزم قد حوكم على إباحة الإفطار والفدية لمن وجد المشقة في الصوم ،

هذا ما ينقله الدكتور طه حسين عن الزمخشري وابن حزم ، وقد صورته بلفظه بالصورة التي تطابق هواه وتشدد رأيه ، متجاوزا كل حد للأمانة العلمية ، فافراً ما يقوله الزمخشري ج ١ ص ٨٨ : « وعلى الذين يطيقونه فدية ، وعلى المطيقين للصوم الذين لا عذر بهم إن أفطروا فدية طعام مسكين .. وكان ذلك في بدء الإسلام ، فرض عليهم الصوم ولم يتعدوه فاشتد عليهم ، فرخص لهم في الإفطار والفدية ، . ولاحظ أن كلمة « في بدء الإسلام » التي استعملها الزمخشري اصطلاح أصولي معناه أن الحكم المتحدث عنه كان في بدء التشريع ثم نسخ ، فيكون مدلول كلام الزمخشري أن الله رخص لمن يقدر على الصوم الذين لا عذر بهم أن يفطروا - إذا شاءوا - بشرط فدية طعام مسكين ، وأن ذلك الحكم كان في أول الإسلام ثم نسخ . ومدلول كلام الدكتور المثبت آنفا منسوبا للزمخشري ، أن الله رخص لمن يجدون مشقة في الصوم أن يفطروا بشرط الفدية ، وأن ذلك الحكم باق من بدء التشريع ، ولم يذبح ، فوق الغلط والتحريف بين كلام الزمخشري وكلام الدكتور في موضعين : أولهما أن كلام الزمخشري لم يقيد إلا بطاقة بعذر « المطيقين للصوم الذين لا عذر بهم » ، وأن الدكتور قيد الإطاعة للصوم بعذر المشقة « الذين يجدون المشقة في الصوم » ، وثانيهما أن الزمخشري جعل هذا الحكم منسوخا ، فحرفه الدكتور عن موضعه فأسقط قيد النسخ ، وجعله محكما .

ويتضح تحريف الدكتور وغلطه أكثر عند عرض كلام ابن حزم ، فإنه يجيء مفصلا ، قال ابن حزم في المحلى ج ٦ ص ٢٤٨ : « لأن نص الآية كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات ، فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام آخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ، فمن تطوع خيرا فهو خير له ، وأن تصوموا خير لكم ، الآية ، وإنما نزلت هذه الآية في حال الصوم المنسوخة ، وذلك أنه كان الحكم في أول نزول صوم رمضان أن من شاء صامه ومن شاء أفطره وأطعم مكان كل يوم مسكينا ، وكان الصوم أفضل ، هذا نص الآية . وبهذا جاءت السنن . عن سلمة بن الأكوع قال : كنا في رمضان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من شاء صام ومن شاء أفطر فافتدى بطعام مسكين حتى نزلت هذه الآية : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » ، يعنى

ففسختها . كما صرح بلفظة الفسخ في موضع آخر ، قال : كان من أراد أن يفطر يفطروا يفترى حتى نزلت الآية التي بعدها ففسختها .

وبهذا التفصيل في كلام ابن حزم ينكشف لك بعض الإجمال الذى سبق في كلام الزمخشري ، على أن ابن حزم قد ردد أمر هذا الفسخ في كتابه الإحكام في أصول الأحكام ج ٤ ص ٨٠ .

... وأحوال الصيام ثلاثة أحوال : فكان عاشوراء فرضا ، ثم نسخ فرضه بصيام رمضان بشرط أن من شاء صام ، ومن شاء أطعم مسكينا وأفطر هو ، ثم نسخ ذلك بإيجاب الصوم على الحاضر المطيق الصحيح البالغ العاقل . فانظر إلى أى مدى يضيف الدكتور إلى العلماء ما لم يقولوه ، فبينما يتشخص رأى ابن حزم - بعد حكاية الفسخ - بإيجاب الصوم على الحاضر المطيق الصحيح البالغ العاقل . وأن هذا هو الحكم المستمر فى الأمة ؛ نرى الدكتور يقول : « وقد سبقه إلى رأيه من الفقهاء القدماء الذين لا يكفروهم الأزهريون جماعة أذكر من بينهم ابن حزم » .

فهل ترون أيها الناس أن كلام ابن حزم وقد قرأتموه هو ما ينسبه إليه الدكتور طه حسين حقا وصدقا ، أم أن الدكتور الذى بلغ أعلى قمة المجد الأدبي ، يتورط فيما لا يقبله على كرامته واحد من أوساط العلماء !

(ب) وقد أراد الدكتور الاستاذ أن يشكك في تحديد مدلول الاجتهاد تشكيكا يدل على شدة عناده في تعمد المغالطة وإرادة التشويش على ذهن القارئ الذى ليس له إلف بهذه المباحث ، كأن أمر الاجتهاد الذى تناوله المسلمون عمليا منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم وكتب فيه علماء الأصول منذ أوائل القرن الثالث لليوم لا يزال مجهلا على المسلمين ، لا يعرفون الداخل فيه من الخارج منه ، فتنزلة الاجتهاد هذه شئ غامض غير محدد ، ولا واضح الاعلام ، وليس يستطيع أحد من شيوخنا فى الأزهر أن يحدد لنا منزلة الاجتهاد هذه ، ولا أن يبين لنا متى يبلغها الناس ، ومتى يقصرون عن بلوغها .

ونقول له : إننا لا نمنع أن يكون معنى الاجتهاد غامضا غير محدد فى ذهن الدكتور ، وكان الواجب عليه بناء على ذلك ، ألا يعترض على منع صاحبه ، عن بلوغ منزلة المجتهدين

« ولا يقال إن ذلك الاستاذ لم يبلغ منزلة الاجتهاد ، فإن الحكم ببلوغ إنسان منزلة الاجتهاد أو عدم بلوغه إياها ، يأتي متفرعاً على وضوح وتحديد معنى الاجتهاد في ذهن الشخص المتصدى لمثل هذا الحكم . على أن الاجتهاد وهو مسألة أصولية تناوّلها بالكثابة والدرس آلاف العلماء ليست هي المسألة التي يمكن أن تظل غامضة غير محددة المعنى ولا واضحة الاعلام ، ونستطيع أن نلنفت إلى أى طالب من السنة الثالثة من كلية الحقوق حيث يدرسون هنالك مقرراً في أصول الفقه لنسأله فيما أشكل على الدكتور الكبير ، فسوف يجيبنا عن تعريف الاجتهاد ، وشروطه ، وأنواعه ، ومراتبه ، ومتى يصح أن يبلغ الفقيه منزلة الاجتهاد ومتى يقصر به الطالب عن ذلك ، مما يريح الدكتور طه من تعب المناقشة والجدل .

(ج) والدكتور الفاضل الذي لم تحدّد في ذهنه منزلة الاجتهاد ، أو لم يستطع أن يراها محددة في كلام الفقهاء ، يعلن علينا فقهاً جديداً وأصولاً جديدة في العبادات « والله ليس في حاجة إلى صيام الصائمين . والمساكين من الناس في حاجة أشد الحاجة إلى أن يطعمهم القادرون على إطعامهم ، مؤثرين للصدقة ، أو مفتدين بها من الصوم » .

قال الله تعالى : « فلا تضربوا الله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون ، والله يعلم أكثر مما يعلم الدكتور طه بحاجات عباده ، وقد فرض عليهم الصوم ولم يقبل من الصائمين إذا أفطروا الفدية وهم قادرون على الصوم . وليس للعقول مدخل في باب العبادات ، والصوم عبادة . والاصل في مشروعية التكليف كلها — كما قرر أبو إسحاق « في الموافقات ، — أن يدخل العبد في مقام العبودية لله اختياراً ، كما دخل بحكم خلقه وتكوينه في هذه العبودية اضطراراً ، فإدخال المكلفين بواسطة الامر والنهي في مقام العبودية مقصد عام من مقاصد الشريعة ، والنزاع في هذه القضية نزاع في الشريعة كلها ، لأن الكلام في هذه القضايا يدور على أساس الاعتراف بأصل الشريعة والتصديق بها كما يجب أن يكون معلوماً .

ولو تمسّينا مع منطق الدكتور في حاجة الفقراء إلى الصدقة دون حاجة الله إلى الصوم لوجب أن نبطل الصوم لإبطالاً عاماً عن جميع القادرين على الفدية ، وقلما يعدم أحد قدرة على الفدية فينهدم ركن الصوم . ويمكن أن يقال - وفق منطق الدكتور الفقهي - أن الصلاة كالصوم ، تقع حاجة الفقراء إلى الاستبدال بها أشد من حاجة الله إليها لا سيما وقد ورد

في الفقه فيمن مات وعليه صلوات - في حال حياته - أن يكفر ورثته عن كل صلاة نصف صاع ، فهذا الحكم مرشح لجواز الفدية عن الصلاة قياساً لحال الحياة على حال الموت ، وقياساً لركن الصلاة على ركن الصوم ، فتزول الصلاة أيضاً ، ويمكن أيضاً قياس الحج على الصوم بل هو أقرب لأنه عبادة بدنية مالية والمعاوضات في الجنس الواحد أشبه وأقرب قياساً فنستغنى عن الحج أيضاً ، ولم يبق من أركان الإسلام الخمسة إلا الزكاة والشهادتان . . أما الزكاة فهي مصروفة إلى الفقراء بحكم وضعها ، وأما الشهادتان فلا ندرى هل نخرجهما على الأصل الفقهي للدكتور طه حسين القائم على ترجيح حاجة الفقراء إلى بدل العبادة عن حاجة الله للعبادة نفسها ، فنبيعهما على الله بما يسد حاجة الفقراء ، أم نبقيهما لأنهما الأصل والأصل لا يجوز الاستبدال به .

هذا هو منطق الدكتور الفقهي ، ولو جاريناه عليه لأبطنا الشريعة كلها ، والسبب في هذا كله من الدكتور وكثير غيره هو تحكيم العقول فيما لا سبيل فيه لغير النص والبلاغ عن صاحب الشرع .

٤ - أما بعد - فقد تفضل علينا الدكتور في آخر مقاله بتلاوة قول الله تعالى : « خذ العفو ، وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين » وقوله : « وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » ونقول لاستاذنا الدكتور : إن استعمال هذه الآيات ليس على إطلاقه ولا يصح من كل أحد ، بدليل ما رواه أحمد والطبراني من قوله صلى الله عليه وسلم « إن أخوف ما أخاف على أمتي اثنتان : القرآن ، واللين . فأما القرآن فيتعلمه المنافقون ليجادلوا به المؤمنين ، وأما اللين فيتبعون الزيف ، يتبعون الشهوات ويتركون الصلوات ، وما روى عن عمر بن الخطاب « ثلاث يهدمن الدين : زلة العالم ، وجدال منافق بالقرآن ، وأئمة مضلون » . فهذه النصوص وكثير غيرها تخصص من صحة استعمال الآيات التي تفضل الدكتور علينا بتلاوتها فلعله يكون من المقتصدين ؟

محمد سعاد جميل

حاصل على العالمية من درجة أستاذ
في الفقه والاصول ومدرس بالازهر

قرار مجلس التأديب

لأعضاء هيئة التدريس بكليات الجامع الأزهر

في قضية التأديب رقم ١ سنة ١٩٥٥ - ضد الشيخ عبد الحميد بخيت
لمحاكمته تأديبياً على ما جاء في مقاله «إباحة الفطر في رمضان وشروطه» ،

نشرنا في الجزء الماضي (ذى القعدة ١٣٧٤) القرار الصادر من السيد صاحب
الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بإحالة الشيخ عبد الحميد بخيت الذي كان
مدرساً بكلية أصول الدين على مجلس التأديب المنصوص عنه في المادة ٤٥ من المرسوم
بقانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ لمحاكمته تأديبياً على ما جاء في مقاله «إباحة الفطر في رمضان
وشروطه» ، الذي نشر له في العدد ٨٩٥ من جريدة الاخبار الصادر في ١٦ من رمضان
لسنة ١٣٧٤ لما فيه من المخالفات الصريحة لأحكام الصوم التي تسكاد تكون معلومة
من الدين الإسلامي بالضرورة .

وفي ١٤ من شهر ذى القعدة انعقدت جلسة مجلس التأديب برئاسة فضيلة وكيل الجامع
الأزهر ، وقامت بمهمتها ، وأصدرت قرار التأديب في ٢١ صفحة كبيرة ، ونحن نقنصر منه
على العنصر الموضوعي وهو الجانب العلمي من القرار وهذا نصه :

ان المدعى عليه لم يجادل في أن هذا المقال قد صدر منه ، وأنه هو الذي طلب نشره
بجريدة الاخبار . وبالرجوع إلى قرار إحالة الشيخ عبد الحميد بخيت إلى مجلس التأديب
يتضح أن التهم الموجهة ضده هي :

أولاً - قوله في مقاله موضوع المحاكمة : ومن هنا رخص الله في الإفطار لمن يؤذيهم
الصوم ولو قليلاً من الأذى .

ثانياً - وقوله : فمن يشق عليه الصوم أو يضايقه فإن له أن يفطر ويطعم كل يوم
مسكيناً فإن لم يجد فلا جناح عليه أن يفطر ولا يطعم .

ثالثاً — ومنها أنه يدعو المفطرين لعذر إلى المجاهرة بالإفطار ، مع أن الشريعة نذبت من كان له عذر في الإفطار ألا يجاهر الناس بالفطر حرصاً على حرمة الشهر واحتراماً للتقاليد الدينية وشعور الصائمين .

رابعاً — ومنها تضليل عامة الناس بذكر الأحاديث التي ساقها ليوم القراء أنها أدلة شرعية على ما ادعاه من إباحة الفطر لادنى أذى مع أن الأحاديث التي ساقها كلها واردة في السفر والجهاد في سبيل الله . ولا شك في إباحة الفطر للمسافرين مع وجوب القضاء عليهم .

خامساً — ومنها أنه أفقى المفطرين بعذر بأن الذى عليهم هو الفدية وسكت عما يجب عليهم من القضاء ليوم أنه ليس عليهم قضاء . وهذه فتوى لم يقل بها أحد من المسلمين .

سادساً — ومنها أنه أمعن في تضليل القراء بقوله : حكمة مشروعية الصوم هي كما قال الله في القرآن الكريم « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتشكروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون . حقيقة ان هذه الآية السكرية اشتملت على حكمة إباحة الفطر للمسافر والمريض وهي أن الله أراد بهم اليسر ولم يرد بهم العسر ، ولما كان المنهم يأبى إلا أن يمعن في التضليل فيستعمل الآية في غير موضعها ليؤيد مدعاه .

سابعاً — ومنها قوله : « إن شريعة الصوم لم تفرض إلا على الشغوفين به القادرين عليه الذين يؤدونه بدون ما يرم أوضجر » .

وكل هذه الأمور مخالفة لما دل عليه الكتاب والسنة ولما أجمع عليه علماء المسلمين من لدن عصر الصحابة إلى اليوم ، ولما يتدارسه علماء الأزهر وطلابه في جميع فرق الدراسة . ويعتبر المخالف له غير قائم بأمانة العلم التي وضعها مشيخة الأزهر في عنقه ، ولا مؤد لما التزم أدائه بمقتضى كونه موظفاً ، ولا مؤتمن على القوامه على أبناء المسلمين يبصرهم أمر دينهم ويرشدهم إلى أحسن الاخلاق ، ويوجههم إلى الاعتصام بحبل الله المتين .

أما عن الأمر الأول - وهو قوله : « ومن هنا رخص الله في الإفطار . . . الخ » ، فإن كلامه يؤدي قطعاً إلى هدم ركن الصيام وإلغاء فريضته . وبيانه أن الصوم لا ينفك عن المشقة في أدائه لأنه تكليف ، والتكليف هو إلزام ما فيه كلفة ومشقة ، ولأن حقيقة الصوم التي هي حبس النفس عن مألوف عاداتها تستلزم المشقة ، بل قد تستلزم المشقة التي تصل إلى أعلى درجات القدرة ، فما من صائم إلا وهو واجد مشقة وأذى ، فإذا كان الله تعالى قد رخص في الإفطار لمن يؤذيهم الصوم ولو قليلاً من الأذى ، كان كل صائم قد رخص الله تعالى له في الإفطار ، وهذا في بديهية العقل يساوي أن الصوم ليس فرضاً يجب على كل مكلف أن يؤديه بل هو أمر جوازي يفعله من شاء ويتركه من شاء ، وقد فهم هذا الفهم جماعة من الهند وصحيفة هناك تصدر بالإنجليزية وقد نشرت مقالاً عنوانه (صيام رمضان غير واجب ، رأى أستاذ في القاهرة) وهذا كله منابذة لصريح القرآن وصحيح السنة ، فالله تعالى يقول : « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » ، ويقول : « فن شهد منكم الشهر فليصمه » ، وقال رسول الله ﷺ كما في صحيح البخاري ومسلم (بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان) .

وأما عن الأمر الثاني - وهو قوله : « فن يشق عليه الصوم أو يضايقه فإن له أن يفطر ويطعم كل يوم مسكيناً فإن لم يجد فلا جناح عليه أن يفطر ولا يطعم » فهذا الانتهام يشتمل على أمرين : أولهما تقرير ما أفاده الانتهاك الأول من أن كل من شق عليه الصوم أو ضايقه فليس عليه أن يصوم وقد بينا أنه هدم لفريضة الصوم . والثاني : أنه جعل الواجب على من أفطر لما اعتبره عذراً أن يطعم عن كل يوم مسكيناً ، وسكت عن وجوب القضاء ، ومعلوم أن السكوت في معرض البيان يفيد الحصر ، ومعنى هذا أن قارئ هذا المقال يفهم من كلامه أنه إذا أفطر للمشقة أو للضايقة لم يجب عليه شيء إلا طعام مسكين ، وأنه لا يجب عليه أن يقضى الأيام التي أفطرها ، وهذا يخالف لما أجمع عليه الفقهاء من وجوب القضاء على كل من أفطر لعذر طارئ يرجى زواله ، ومناف لصريح القرآن فالله تعالى قد أوجب القضاء على المريض والمسافر بقوله سبحانه : « ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر » ، وكيف يعقل أن يوجب الله القضاء على المريض والمسافر مع وضوح عذرهما ولا يوجب على من أفطر لعذر هو دون عذرهما من كل وجه ، أو هو عند التحقيق ليس بعذر أصلاً ، فلا يخلو أمر المدعى عليه في سكوته عن وجوب القضاء من إحدى حالتين

لما أن يكون عارفاً بأن الفضاء واجب فيكون سكوته حينئذ عن بيانه تدليلاً وتليساً على الناس ولما أن يكون جاهلاً هذا الحكم الذي كان قد تلقاه على أساتذته في الدراسة الابتدائية ، ومن كان بهذه المنزلة لا ينبغي له أن يتصدى لفتوى الملايين من المسلمين .

وأما عن الأمر الثالث وهو أنه يدعو المفطرين بعذر إلى المجاهرة بالإفطار ويعتبر هذه المجاهرة من شجاعة الإيمان وقوة الدين ، وأن من وجد هذه الشجاعة وهذه القوة يسن بمجاهرته سنة حسنة يكون له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، وهذا الكلام في جملة وتفصيله مخالف لما أجمع عليه سلف هذه الأمة ، فقد نص الفقهاء كما في كتاب المجموع للزوي والمغني لابن قدامة وسائر كتب الفقه الإسلامي من أنه ينبغي لمن كان ذا عذر يبيع له الفطر أن يستتر عن الناس حرصاً على حرمة الشهر واحتراماً للتقاليد الدينية ولشعور الصائمين ولبعده بنفسه عن مظان التهم التي طلب للمسلم أن ينأى بنفسه عنها وفي الحديث الصحيح (رحم الله امرأً ذب الغيبة عن نفسه) وفيه (فن اتق الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه) وفي كلام علي رضي الله تعالى عنه (إياك وما يغلب على الظن إنكاره وإن كان عندك اعتذاره) فليس ما يدعو إليه المدعى عليه سنة حسنة ، وإنما هو بدعة وضلالة ، على من ابتدعها وزرعا ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة .

وأما عن الأمر الرابع وهو تضليل عامة الناس بذكر الأحاديث التي ساقها ليوم القراء أنها أدلة شرعية على ما ادعاه من إباحة الفطر لأدنى - فإنه مامن شيء أدل على قصد التضليل من أن يعتمد عالم إلى الإفتاء في حكم من أحكام الشريعة ، ثم يلصق بهذا الحكم أدلة واردة في غير موضوع الحكم من غير أمانة في النقل ولا تحرر للحقائق ومن أن يحرف في الأدلة فيزيد في بعضها ويحذف من بعضها الآخر زيادة وحذفاً يتغير بكل واحد منهما الحكم الذي يستفاد من الدليل .

وبيان هذا أن الأحاديث التي رواها في مقاله ليجعلها دليلاً على إباحة الفطر لأدنى أدنى إنما وردت كلها في إباحة الفطر للمسافر ، ورواها رواة الأحاديث في باب عقوده في مصنفاتهم لذلك وعنونوا لها بإباحة الفطر للمسافر ، وقد تتبعنا صحاح كتب الحديث فلم نجد حديثاً من أحاديث فطر الصائم أغفل رواية التعبير بما يفيد أن السفر هو علة إباحة الفطر (انظر صحيح البخاري بهامش فتح الباري ٤ صفحة ١٥٧ إلى ١٦٣ . وصحيح مسلم ٧ / ٢٣٥)

وتيسير الوصول ٢/ ٢٣٩ وما بعدها طبع المطبعة الجمالية سنة ١٣٣٩ هـ) ومعلوم أن فتواه كلها للمقيمين الذين يؤذهم الصوم ولو قليلا من الأذى . وفي ذلك ما فيه من التلبيس على كثير من القراء .

١ — ذكر حديث أنس رضي الله عنه هكذا (وعن أنس رضي الله عنه قال : كنا مع النبي ﷺ فمنا الصائم ومنا المفطر فلا الصائم يعيب على المفطر ولا المفطر يعيب على الصائم — أخرجه الثلاثة وأبو دارد) ومن قرأ هذا الحديث بهذا السياق يفهم منه أن المقيم في بلده لو أفطر - ولو من غير عذر - لم يكن في فعله هذا ما يعاب به . والحديث في صحيح البخاري ٤/ ١٦٣ بهذا النص (عن أنس رضي الله عنه قال : كنا نسافر مع النبي ﷺ فلم يعيب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم) وهو في صحيح مسلم ٧- ٢٣٥ بهذا النص (سئل أنس رضي الله عنه عن صوم رمضان في السفر فقال : سافرنا مع رسول الله ﷺ في رمضان فلم يعيب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم) وهو في تيسير الوصول ٢/ ٢٣٩ بهذا النص (عن أنس رضي الله عنه قال : كنا نسافر مع النبي ﷺ فمنا الصائم ومنا المفطر . فلا الصائم يعيب على المفطر ولا المفطر يعيب على الصائم) فحذف هو كلمة (نسافر) وهي موطن الاستنباط من الحديث ، فكان ذلك دليلا على قصد الإيهام والتلبيس ، وأى تضليل بتزيد ورغبة في الترويج للباطل أكثر من أن يحذف من الحديث كلمة هي الجزء المهم من العبارة لا شيء أكثر من أن يؤهم أن الحديث يشهد له ويدل على ما ذهب إليه .

٢ — من تتبع عباراته التي ساق بها الاحاديث ورجع إلى مواطنها الأصلية من كتب الحديث علم أنه لم ينحر الدقة في نقل نصوص الاحاديث ، ونذكر من ذلك حديث جابر الذي ساقه هكذا (يقول جابر رضي الله عنه : خرج رسول الله ﷺ وآله عام الفتح إلى مكة في رمضان حتى بلغ كراع الغميم ، واد بين مكة والمدينة على ثمانية أميال منها ، ثم دعا بقدر من ماء فرفعه حتى نظر الناس إلى آخره) ورواية هذا الحديث في تيسير الوصول ٢/ ٢٣٩ (عن جابر رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ عام الفتح إلى مكة في رمضان فصام حتى بلغ كراع الغميم فصام الناس ، ثم دعا بقدر من ماء فرفعه حتى نظر الناس إلخ) .

وبين السياقين فرق من وجهين : الأول أن في سياقه هو حذف كلمة « فصام » وكلمة « فصام الناس » : والثاني أن في سياقه زيادة تحديد موضع كراع الغميم بقوله (واد بين مكة والمدينة على ثمانية أميال منها) وهذه العبارة - فوق أنها ليست من الحديث - ليست صحيحة فإن بين كراع الغميم ومكة أكثر من خمسين ميلا وبينه وبين المدينة أكثر من ١٥٠ ميلا .

ثم يأتي بعد ذلك بكلام يتوهم أنه يفلت به من المؤاخذه ولا يفهمه أكثر الناس فيدعى أنه ساق هذه الأحاديث ليدل على يسر الدين وسماحته .

وأما من الأمر الخامس . وهو أنه أفق المفسرين بعذر بأن الذي عليهم هو الفدية (طعام مسكين) وسكت عما يجب عليهم من القضاء - فقد بينا في الكلام على الانهزام الثاني ما يتعلق بهذا الانهزام من أنه مخالف لما أجمع عليه الفقهاء من وجوب القضاء على كل من أفطر لعذر طارئ يرجى زواله ، ومنايذ لصريح القرآن الكريم .

وأما عن الأمر السادس وهو المتنصن استنباط حكمة مشروعية الصوم من قوله تعالى : « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن . . . الآية » . فإن هذا يدل دلالة صريحة على أن كاتب هذا المقال لا يعرف مدلولات الالفاظ لغة ولا طرق استنباط الأحكام منها .

وبيانه - أن الآية تضمنت أمورا . الأول : الإخبار بأن القرآن نزل في شهر رمضان . والثاني : لإيجاب الصوم على من شهد . الثالث : لإباحة الفطر لمن كان مريضا أو على سفر مع إيجاب القضاء عليه . الرابع : حكمة جواز الإفطار للمريض والمسافر بقوله تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » ، فليس في الآية الكريمة بيان لحكمة مشروعية الصوم لا من قريب ولا من بعيد ، بينما هو يسوقها لبيان حكمة مشروعية الصوم . وماذا يقول علماء المسلمين في أنحاء العالم وهم يقرؤون القرآن ويستنبطون منه الأحكام ، ولهم في ذلك قدم راسخة . ماذا يقولون عن علماء الأزهر حين يطلعون على هذا الاستنباط مذيلا بتوقيع دكتور أستاذ من كلية أصول الدين ، أليس من حق الأزهر أن يغار على سمعته وكرامته ؟ .

وأما عن الأمر السابع وهو زعمه أن شريعة الصوم لم تفرض إلا على الشغوفين به القادرين

عليه الذين يؤدونه بدون ما برم أو ضجر ، فإن هذا الكلام يفيد أن الصوم لا يجب إلا على من استوفى شروطاً ثلاثة :

الأول : أن يكون شغوفاً به ، شديد الحب له . الثاني . أن يكون قادراً عليه . الثالث : أن يؤديه بدون ما برم أو ضجر ، ومفهوم هذا أن من لم يستوف هذه الشروط بأن كان غير شغوف بالصوم ، أو كان يتبرم به أو يتضجر منه ، فإنه لا يجب عليه الصوم ، ولم يقل بذلك أحد من المسلمين ، فإن إجماع الفقهاء منعقد على أن الصوم واجب على المسلم المستطيع برم به أولاً ، ضجر منه أولاً ، شغف به أولاً ، لعدم قوله تعالى : « فنشهد منكم الشهر فليصمه » ثم إن كلامه هذا يناقض ما قرره في أول مقاله من أن الغرض من الصوم هو تعويد النفس الصبر على المكروه وقوة الاحتمال في النوازل . فأين إذن الصبر على المكروه وتحمل المشاق الذي يتعوده الصائم بعد أن أباح له صاحب المقال أن يفطر إذا أحس قليلاً من الأذى أو ضجر بالصوم أو تبرم منه - إن كان المدعى عليه قد أدرك قبل نشر مقاله ما اشتمل عليه من التناقض ، فقد دل بفشره على سوء نيته ، وأساء إلى علماء الدين وإلى المعهد الذي ينتمى إليه . وإن كانت الأخرى فقد أصر على الخطأ بعد أن نهى عليه فضيلة الاستاذ مفتي الديار المصرية فيما نشر بجمريدة الأهرام عدد يوم ١٢/٥/١٩٥٥ تحت عنوان : « بيان وإيضاح » .

وقد يكون المدعى عليه تمسك بقاعدة التيسير ورفع الحرج بدليل قوله : « وإنما ذكرت هذا لبيان سماحة دين الإسلام ويسره ، وليس من شك في أن دين الإسلام سمح سهل يسير بنص قوله تعالى : « وما جعل عليكم في الدين من حرج » . « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » . ولكن فقهاء الإسلام يبنوا الأمور التي تعتبر حرجاً بيانا شافيا وحدودها تحديداً تاماً لا يتطرق إليه الاحتمال ، إذ الحرج معناه أضيق الضيق أى أنه الأمر الذى فيه مشقة ظاهرة لا تحتل عادة وعند أغلب الناس ، ولم يقل أحد من العلماء السابقين أو اللاحقين إن الحرج يتسع حتى يشمل قليل الأذى أو الضجر أو البرم ، فإن مثل هذا لا يسمى حرجاً لا في اللغة ولا عند الفقهاء . ألا ترى أن الوضوء بالماء البارد أيام الشتاء فيه مشقة وتعب ، ولكن لا يسميه العلماء حرجاً ويبح التيمم وترك استعمال الماء ، وأن من بيده جراحة يضر بها استعمال الماء أو يؤخر البرم منها يعتبر عذره حرجاً ويبح له التيمم وترك استعمال الماء . ولكن المدعى عليه توسع في معنى الحرج حتى جعله يتسع للتيسير من المشقة والقليل من

الاذى ، ولو أننا ذهبنا مذهب المدعى عليه لأبطلنا التكاليف جميعها ، فإن كل تكليف مهما ظن فيه السهولة لا يخلو من قليل الاذى ويسير المشقة .

على أن الشريعة الغراء بينت الحرج الذى يبيح للصائم الإفطار فـالله يقول : « ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر » ، فاعتبر المريض والسفر حرجاً مبيحاً للفطر ، وفى السنة النبوية الصحيحة عن أنس بن مالك أحد بنى عبد الله بن كعب بن مالك قال قال رسول الله ﷺ : إن الله وضع شطر الصلاة عن المسافر وأرخص له فى الإفطار وأرخص فيه للرضع والحلبى إذا خافنا على ولديهما . أخرجه أصحاب السنن ، وقد ألحق علماء الفقه الإسلامى بمن ذكر فى البكتاب والسنة الشيخ الكبير (الهرم) فأباحوا له الفطر وأوجبوا عليه الفدية . والمنبرع بدمه لإتقاد جريح ، والمتقوى لإتقاد غريق أو محصور فى حريق ، ومن غلبه الجوع والعطش حتى أشرف على الهلاك ، والصانع الذى لا يقدر على الصوم وليس له مرتزق إلا صنعته ، فهؤلاء جميعاً يباح لهم الفطر لأن أعذارهم ظاهرة منضبطة كأعذار المريض والمسافر والحلبى والمرضع .

هكذا وقد يظن الكثير من الناس أن قوله تعالى : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » يفيد بظاهره إباحة الفطر للقادر مع إطعام مسكين بدلاً عن الصوم ، وهذا ظن خاطئ لا يستقيم بحال مع ما علم ضرورة من وجوب الصوم . وقبل أن نتكلم على هذه الآية ينبغى أن نلفت النظر إلى هذه المبادئ :

١ — القرآن الكريم كل لا يتجزأ . ٢ — لا يصح تأويل آية منه على معنى ينافر آية أخرى . ٣ — فى القرآن الكريم آيات واضحات الدلالة لا تختمل إلا وجهاً واحداً ، وفيه آيات خفيت دلالتها واشتبه معناها لاحتياها عدة وجوه من التأويل . ٤ — تعتبر الآيات الواضحة الدلالة أصولاً محكمة ثابتة المعنى ، إليها يرد ما اشتبه معناه . قال الله تعالى : « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات » ، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيقعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الأبواب .

وورد فى القرآن فيما يختص بتشريع الصيام ثلاث آيات : هى قوله تعالى : « يا أيها الذين

آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . . وقوله تعالى :
 « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » . وقوله جل شأنه « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » .
 فأما الآيتان الأوليان فعناهما واضح والحكم المستفاد منهما هو الأصل الثابت ، وهو أن
 الصيام فريضة مكتوبة وواجب محتم ، فإذا كان قوله تعالى : « وعلى الذين يطيقونه فدية
 طعام مسكين » محتملاً لوجوه فمن الواجب ألا يخرج في تأويله عن الأصل الثابت وهو
 وجوب الصيام ، ولا يصح أبداً أن يؤول على وجه ينتقض أصل الوجوب ويهدم فريضة
 الصيام . ومن هنا نرى فقهاء الصحابة والتابعين وأئمة السلف الصالح قد ذهبوا في تأويل
 قوله تعالى : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » إلى مذاهب : أقواها وأكثرها
 قبولا مذهبان :

أولها : أن اللغة تفرق بين الطاقة والوسع ، فالطاقة في عرف اللغويين هي أعلى درجات
 الوسع والقدرة . قال في لسان العرب عند الكلام على قول عمرو بن أمارة : « كل امرئ
 بمجاهد بطوقه » ، والطوق : الطاقة أي أقصى غايته وهو اسم لمقدار ما يمكن أن يفعله بشقة منه .
 وعلى ذلك يكون المراد بالذين يطيقونه الذين يستنفد الصوم جهدهم وتباع بهم مشقته آخر درجات
 الوسع ، ويؤيد هذا الرأي قراءة ابن عباس (يطوقونه) بشد الواو أي يكون الصوم بالنسبة
 إليهم كالطوق في العنق . وهذا المذهب مروى عن ابن عباس . قال عمرو بن دينار : أخبرني
 عطاء أنه سمع ابن عباس يقرأ (وعلى الذين يطوقونه فدية طعام مسكين) أي يكلفونه
 ولا يطيقونه . قال : هذا الشيخ الكبير الهرم (أي الفاني) والمرأة الكبيرة ، لا يستطيع
 أحدهما الصوم ، يفطر ويطعم عن كل يوم مسكينا . ورواه كذلك مجاهد عن ابن عباس . وقال
 عبد الرحمن بن حرملة : سمعت سعيد بن المسيب يقول في قول الله تعالى : (وعلى الذين
 يطيقونه فدية طعام مسكين) هو الكبير الذي عجز عن الصوم والحبل يشق عليها الصوم .
 وعن الحسن البصري وعطاء وقتادة وسعيد بن جبير وكثير غيرهم مثل ذلك .

والمذهب الثاني : أن القرآن سلك في تشريع الصيام طريقة التدرج ، ففرض على الناس
 صيام أيام معدودات ، ولم يكن العرب يعرفون الصوم وما كانوا قد تعودوه فاشتد عليهم
 في أول الأمر فرخص الله لهم في الإفطار والفدية بإطعام مسكين عن كل يوم . فلما ألفوا

الصوم وتعودته نفوسهم نزل قوله تعالى (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) وانتهى الحكم الوقتي السابق وصار الصيام واجبا محتما . روى مسلم بن الحجاج عن سلمة بن الأكوع قال : كنا في رمضان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من شاء صام ومن شاء أفطر فافتدى بطعام مسكين حتى نزلت هذه الآية (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) وذهب إلى هذا الرأي كثير من علماء السلف والخلف (راجع كتاب أحكام القرآن لأبي بكر الرازي المعروف بالخصائص) .

هذا ولم يقل أحد من الصحابة والتابعين وأئمة الفقه والتفسير في قوله تعالى : وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ، إن هذه الآية تنبيح الفطر الآن لمن يؤذيه الصوم ولو قليلا من الأذى كما زعم المدعى عليه .

وحيث أنه بناء على ما تقدم جميعه يكون قد ثبت للمجلس ثبوتا قاطعا أن الأمور المدعى بها والواردة في قرار الإحالة في جملتها وتفصيلها تنطوى على إخلال خطير بكرامة العلم والدين وهو الأمر المعاقب عليه تأديبيا بالتطبيق للمادة ٢٥ من لائحة تأديب المدرسين والموظفين بالجامع الأزهر الصادر بها مرسوم ٨ من إبريل سنة ١٩٣١ كما أنها تنطوى على خروجه على مقتضى الواجب في أعمال وظيفته بالتطبيق لنص المادة ٨٣ من القانون رقم ٢١٠ لسنة ٥١ بشأن نظام الموظفين ويكون قد وجب عليه الجزاء .

وحيث أنه بعد إثبات ما تقدم - لا يفوت المجلس في هذا المقام - أن يسجل أنه أول من يقدس حرية الرأي العلمي - إذ العلم ليس ملكا لأحد أو وقفا على فئة دون أخرى - ولكن هذا مشروط بأن يقف هذا الرأي عند حد البحث العلمي الصحيح .

فلو أن الشيخ بنحيت قد سلك مسلك الباحث ونزل إلى ميدان المجتهدين وأدلى فيه بدلوه - أو لو أنه في مقاله ترك قولاً وأخذ بقول حتى ولو كان أخذ بالرأي المرجوح مما ينفسح معه المجال لاعتبار مقاله بحثا علميا جديرا بهذه القسمية لكان الأمر وكان له أجر المجتهدين - إلا أن الثابت مما سلف ذكره أن ماورد في مقاله - جملة وتفصيلا - يخالف المصادر الصحيحة والأقوال المجمع عليها ولا يستند إلى أى دليل ولو كان مرجوحا - بل سار فيه على غير هدى حتى وقع في كثير من الخاطئ والاضطراب ، فكانت النتيجة أن أسفر بحثه عن تشكيك المسلمين في ركن هام منصوص عليه في الكتاب والسنة وليس محل اجتهد فزلزل عقائد العامة

وفتح أمامهم أبواباً من الشكوك في ركن من أركان الإسلام ، وأذكى فتنة بين المسلمين كادت تختل معها موازين التقدير وتضييع في ثنائياها الثقة بأهل الاختصاص من علماء الدين .

ولو صح ما ادعاه الشيخ بنحيت من أن قضيته هي قضية حرية الرأي فما كان عليه من حرج - بل كان يجب عليه أن ينزل عند رأى الجهة الإدارية التي يتبعها وينتمى إليها فيحضر أمام لجنة التحقيق التي شكلت لمناقشته في مقاله - أو أمام هذا المجلس حينما طلب إليه الجواب عن موضوع الدعوى وذلك ليبسط وجهة نظره ويقترح الحجة بالحجة ويقدم دليله وسنده على صحة ماذهب إليه في مقاله في ذمة وأمانة وعلم ودراية ولكنه أبى كل ذلك واعتصم عند حد الدفع الفرعية التي قدمت على لسان هيئة الدفاع عنه - فلما قرر المجلس في مواجهته ضم الدفع الفرعية للموضوع وطلب منه إبداء رأيه في الموضوع ظل مصرأ على هذا الموقف العجيب المعيب ١ .

وحيث ان طبيعة البحث العلمى - ولا سيما في أمور الدين التي تقتضى بطبيعتها التحرج - توجب على الباحث أن يكون واثقاً من صحة بحثه مستعداً دائماً لأن يبسط مختلف الآراء التي استقى منها بحثه - موقفاً بأنه إنما كتب ما كتب بعد استظهاره استظهاراً صحيحاً سليماً عن علم راسخ متين . ولكن الثابت بالمجلس أن المدعى عليه إنما ألقى بمقاله إلقاء بنزوة خاطفة من نزوات فكره وقول مرتجل من سوانح فهمه ثم عجز أخيراً عن الدفاع عن رأيه ولو بكلمة .

وحيث انه في مقام تقدير العقوبة فإن المجلس يرى أن ما ثبت في حقه يستوجب أقصى عقوبة في المادة ٤٨ من المرسوم بقانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ وهى الفصل - إلا أن المجلس يرى من ظروف المدعى عليه التي بينها الدفاع عنه ، ولأنه عاد وأعلن في الصحف و جريدة الاخبار ، بتاريخ ١٣ من يونيو سنة ١٩٥٥ ، ما يأتى : « ومهما يكن من شيء فإن المقال الذى أثار هذه الضجة ليس فيه سوى بعض كلمات وجل ربما كانت من ثورة القلم ، إلى أن قال : « فإن كنت وفقت في البعض وجانبى الصواب في البعض فلست معصوما - وإن العالم مهما بلغ علمه لا بد أن يخطئ حيناً كما كان يصيب أحياناً ، وإننى ما قصدت مطلقاً من قريب ولا من بعيد أن أقل من شأن هذا الركن الذى هو واحد من أركان الإسلام الخمسة

التي بنى عليها الإسلام ، - أن يعامله بشيء من الرحمة مكتفياً بتوقيع عقوبة التنزيل من وظيفته بإقصائه عن وظائف التدريس وما يتعلق بها ونقله إلى وظيفة أخرى ، وذلك لأن ما ثبت في حقه يؤدي إلى عدم الاطمئنان إليه ، وعدم الثقة به في تعليم الطلاب وتوجيههم التوجيه الصحيح .

بناء عليه

قرر المجلس حضورياً :

- أولاً : رفض الدفوع الثلاثة المقدمة من المدعى عليه ببطلان تشكيل مجلس التأديب وبعدم جواز انعقاده ، وبعدم اختصاصه بنظر الدعوى .
- ثانياً : مواخذة الشيخ عبد الحميد بخيت بتنزيله من وظيفة التدريس إلى وظيفة أخرى غير وظائف التدريس وما يتصل بها ؟

من أقوال شوقي

- الغلط إذا أدرك تبدد ، وإذا ترك تعدد .
- على كتب السماء نهج الحكمة الحكماء .
- تحسن المرأة نصف عليمه ، ويقبح الرجل نصف جاهل .
- الفضائل حلائل ، والرذائل خلائل .

بعد قرار مجلس التأديب :

شهادة

في الصحيفة التي أثارَت فتنة الدعوة إلى إباحتِ الفطر في رمضان والمجاهرة به ، وبقلم الاستاذ علي أيوب وزير المعارف السابق الذي تطوع للدفاع عن الشيخ عبد الحميد بخيت ، كتب محاميه الشهادة الآتية :

منذ نيف وأربعين عاماً تقدم الدكتور طه حسين لامتحان العالمية بالأزهر الشريف ولم يكتب له النجاح بعد أن عصره المعتنقون وأرهقوه ، فظهر في جريدة اللواء وصفا لهذه التجربة التي مرت به بعنوان « ساعة بين اللحي والعمائم » . وقد تذكرت هذا العنوان عند ما قدر علي أن أحضر أمام مجلس التأديب بالأزهر مدافعا عن الاستاذ عبد الحميد بخيت وقد قضيت يومى الأحد والاثنين ٢٦ و ٢٧ من شهر يونيه ١٩٥٥ عدة ساعات إلا ساعة واحدة ، بين اللحي والعمائم ، وخرجت منها وقد انطوت نفسى على شعور يخالف ما كنت أكنه لهم من قبل .

وإن أعرض لذكر تفصيلات المحاكمة إذ أنها كانت سرية ، وقد افتتحت المحاكمة واستنفذ مجلس التأديب مهمته ، فلا حرج من كلمات أقررها أو ملاحظات أبدتها على هامش هذه المحاكمة .

لم أجد أنا وزملائي المحامون من الشيوخ الاجلاء وأعضاء مجلس التأديب تبهما أو انقياضاً ، وكانت ابتسامات التشجيع وإيماءات الرضاء تطالعنا منهم دائماً . وكان حسن الاستماع مع الحلم والانا يهون على الدفاع من دقة الموقف وتقل العبء .

وقد اشترك في إدارة المناقشة الاستاذ زكى شرف وكيل وزارة العدل وأحد أعضاء المجلس ، فأعاد لنا ذكرى مجالسه في القضاء حيث كان يتجلى ما يزدان به هذا القاضى من

نفاذ البصيرة ، وأصالة الرأي ، وصفاء الذهن ، واشترك الاعضاء الآخرون في المناقشة فلم نجد في أحد منهم تعنتاً أو صلفاً أو خشونة ، وتبدت منهم جميعهم رغبة صادقة في إقامة العدل وإحقاق الحق .

وقد أسفت للسرية التي فرضها النظام على مثل هذه المحاكمات ، فليت الأستاذ عبد الحميد بخيت حوكم علناً وعلى مشهد من الناس ، إذن لتبين الجمهور أن أعضاء المجلس لم يكونوا قضاة تفتيش ، ولم يكونوا ممن يكرهون حرية الرأي ويضيقون بها ، أو ممن يزعمهم الرأي الطليق من كل قيد ، كما أن المجلس لم ينعقد ليصدر قراراً مبيتاً أو حكماً مفروضاً صدرت به الأوامر من قبل .

قد يكون مجلس التأديب أخطأ أو أصاب ، فذلك أمر لم يقل فيه القضاء الإداري كلمته بعد ، وحسب السادة أعضاء المجلس أنهم استهدفوا الحق ولا شيء غير الحق ، وبذلوا في سبيله غاية الجهد . فلم أجزمهم عند الله وهو نعم الأجر .

وقد كشفت هذه المحاكمة عن ناحية لم أكن أعرفها في شخصية وكيل الأزهر صاحب الفضيلة الشيخ الحسيني سلطان فقد كنا نعرف عنه أنه عالم جليل ، وفقهه راسخ القدم ، طويل الباع في فقهه . ولكننا لم نكن نعرف عنه أنه دبلوماسي من طراز رفيع ، فقد أراد الدفاع أن يورطه في إقامة وليمة غدام بحجة أن في إقامتها إحياء لسنة استقامتها المرحوم الإمام المراغي ، وهي سنة حسنة يؤجر من يعمل بها إلى يوم القيامة ، ولم يرفض فضيلة الرئيس طلب الدفاع ، كما أنه لم يستجب له . ولا أدري كيف عرف الوقوف بين القبول والرفض ، وإمكانه تخلص على كل حال حتى خلنا أنه من رجال السلك السياسي وأنه حضر إلى إدارة الأزهر متنكراً ، أو أنه قصد إلى وزارة الخارجية فاجتذبه حب العدل والحرص على خدمة الدين واقتاده إلى هذه الإدارة .

ومهما يختلف الرأي في الحكم الذي أصدره مجلس التأديب وقضى فيه برفض الدفوع الشكلية والفرعية التي تمسك بها الدفاع ، فإن الإجماع منعقد على أن الحكمة التي عالج المجلس بها هذه المسألة الشائكة قد كانت خاتمة موفقة لضجة قامت ثم سكنت ، وزوبعة ثارت ثم هدأت ، ويحق لكل مسلم ولكل مصري وعربي أن يحمد النهاية ، ويثنى على من أعانوا على بلوغها ويسأل الله لهم المزيد من الهدى وأولئك على هدى من ربهم ، وأولئك هم المفلحون .

واصل بن عطاء

٨٠ - ١٣١

عصر واصل وبديته

نشأ واصل منذ منتصف العهد الأموي تقريبا فشهد أخريات عهد عبد الملك فما بعده إلى ما قبل زوال الدولة الأموية بعام . فأنت تستطيع أن تقول إنه عاصر هذه الدولة وقد استحکم فيها شأن الفرق الإسلامية التي اضطربت آراؤها بين متغالية تكفر مرتكب الذنب ولو فعله خطأ ، وهؤلاء هم الخوارج الذين كفروا عليا ومن تبعه لأنه حكم في أمر يحكم الله فيه ، وكفروا غيره من كبار الصحابة وأئمة المسلمين .

إلى شيعة تقول بالنص على عليّ والوصاية له من السيد الرسول ، ولو صدقوا لما ساغ لعلي أن يبایع أبا بكر ولا عمر ولا عثمان ، وهم فرق كثيرة لا مجال لدراستها الآن .

إلى مرجئة تتخلى عن الجميع وتقول إن المؤمن أمره مفوض إلى الله .

وكان كل ذلك مبنيًا على اختلاف النزعات السياسية أولا ، ولسكن الدين عند المسلمين هو الفیصل في كل شأن من شئون الحياة لما وسع من أمور الناس ، ولأنه يحكم في كل صغيرة وكبيرة من عمل الإنسان ولو بالإباحة التي هي معنى الحرية في التصرف ، أو معناها الحرية في التصرف ، وذلك إذا لم يكن في الفعل الذي يقع من المرء ضرر راجح ولا مصلحة راجحة ، وإلا فإن الله سبحانه يحكم فيه بالإيجاب أو النذب أو التحريم أو الكراهة على مقدار ما فيه من نفع أو مضرة ، وما يقتضيه ما فيه من مصلحة أو مفسدة . وكانت مسألة الخلافة والخلاف عليها وعلى ما يتصل بها هي منشأ تلك المذاهب فيما نعلم .

وكان مما اقتضته تلك المالبسات وغيرها من مفاصد النحل المتخلفة من الأمم المختلفة التي دخلت في الإسلام طوعا والتي دخلت في الإسلام كرها ، فهي تصطبغ بأديانها وأفكارها

السابقة ، كما تصطبغ بآدابها ومنطقها وطرق تعبيرها طوعا أو كرها أيضا ، بحكم السراية ومقتضى البيئات أو الوراثة .

كان مما اقتضته تلك الملابسات أن تنشأ طائفة تسمى (المعتزلة) وأن يكون إمامها وحامل لوائها صاحبنا اليوم (واصل بن عطاء الغزال) .

وكان مبدأ ذلك - كما حدث التاريخ - أن أستاذه إمام المسلمين الحسن البصرى سئل عن حكم مرتكب الكبيرة : أهو كافر كما يقول الخوارج ؟ فقال : لا ، ولكنه منافق . وأنكر ذلك لحكم واصل بن عطاء ، لأن أحكام المنافقين لا تنطبق عليه في الكتاب والسنة ، وأنكر أيضا قول المرجئة التي تقول بإيمانه لأن أحكام المؤمنين من حب الله وولايته لا تنطبق عليه أيضا . لا في الكتاب ولا في السنة ، كما أنكر حكم الخوارج أيضا بكفره لأن أحكام الكفار لا تنطبق عليه في الكتاب ولا في السنة .

فلم يبق إلا أن يكون فاسقا وعاصيا ، وأن يكون في منزلة بين المنزلتين : الإيمان والكفر ، فأما المناق فإنه لا يخرج عن أن يكون إما مؤمنا تجرى عليه أحكام الإيمان وذلك إن أظهر الإيمان ، أو كافرا يعامل كما يعامل الكفار وذلك إن أظهر الكفر . قال ذلك واصل وأصر عليه لأنه يعتقد الحق .

فمن الناس من يقول إن إمام المسلمين (الحسن البصرى) طرده من مجلسه ، ومنهم من يقول : إنه اعتزل مجلس الإمام ، وتبعه عمرو بن عبيد العابد الزاهد المشهور ، فقال الحسن البصرى قوله الأسف الاليم لتفريق الكلمة ، اعتزلنا واصل ، .

والأشبه بمذاهب السلف في التحرر أن واصل هو الذي اعتزل ، ولو أنه استمر في درس الإمام لوددنا أن يكون من هذا الاجتماع خير وتمحيص ينفع الناس ، ولم يكن شأن الاعتزال من الغلواء وبعض التعسف بالقدر الذي رأيناه وسمعنا به ، ولكنها طبيعة الزمن ، وهي التي قضت أن يظهر بعد ذلك إمامان يرجحان ظواهر أدلة الكتاب والسنة ويقدمانها على العقل ، ويقصدان في التأويل وهما الأشعرى والماتريدي .

ومهما يكن فقد كان مما قضى الله أن تقوم لواصل وصاحبه عمرو وأتباعه قائمة ، وأن يجد مذهبهما في الكلام تأييدا حتى من بعض الحكماء من بنى أمية وبنى العباس ، دعا أحيانا إلى اضطهاد أرباب الحديث من أمثال الإمام أحمد بن حنبل وأصحابه الذين استشهدوا

في الثبات على مبدأ الاتباع لظواهر الكتاب والسنة والصبر عليهما في محنة خلق القرآن التي دعا إليها أصل من أصول الاعتزال وهو نفي صفات الله التي من بينها صفة الكلام . ثم مهما يكن فقد كان هذا المذهب (الاعتزالي) يقوم على أساس تقديم العقل وتحكيمه ، وعلى مبدأ تقديم العقل على النقل ، وهو الذي أبعد الشقة بينهم وبين أهل الحديث ، وهو الذي جعل الأشعري يقوم حكماً بين الطرفين فيأخذ مذهباً وسطاً بينهما . على أنه فيما ترى قد جرى الاعتزال في بدع تعسفه وجعل التوحيد فلسفة عميقة تجافي بعض الشيء بساطة هذا الدين وتجعل أرباب الحديث تنفر من هؤلاء وإن كان نفورها منهم أقل من نفورها من أولئك ^(١) ، على أن ذلك كله عند الحق كان شيئاً قصت به أيضاً طبيعة الزمن وملايسات الدراسات وفلسفة العلم والتعمق في البحث .

ويحسن أن نشير في هذه المناسبة إلى ما اتخذوه واصل وأنباعه من عقائد خالفوا بها الناس وهي تتلخص فيما يأتي :

- ١ — القول بالمنزلة بين المنزلتين ، وقد علمت معنى ذلك والباعث عليه فيما قدمنا لك .
- ٢ — القول بأن العبد يخلق أفعال نفسه ، وأن الله لا يقدر الشر ولا يريده ، وبناء على ذلك صح التكليف ، وكان هذا للرد على جهم بن صفوان وأتباعه القائلين بالجبر وأن الإنسان كالريشة المعلقة وكالجماد الذي تجري عليه الحركات وهو لا يحس ، وقد خالفوا الجماعة في ذلك ، وخالفهم الجماعة بعد ذلك واحتجوا عليهم بما هو مبسوط في موضعه من علم الكلام .

- وقد سلك بعض العلماء مسلك التوفيق ورفع الخلاف في هذه المسألة وغيرها من مسائل الخلاف ، وأظن أن في المسلك شيئاً من التعسف وأن الخلاف قائم والنزاع محتم . ثم إن هذا المعتزلة هو الذي جعل المعتزلة يسمون أنفسهم أرباب (العدل) زعموا أن ظلماً أن يقدر الله الشر ويعاقب عليه .
- ٣ — ينفي المعتزلة صفات الله من العلم والكلام والقدرة والحياة وما إلى ذلك ،

(١) المجلة - وكان ذلك في فترة إقامة الأشعري بمدينة البصرة ، فلما انتقل إلى بغداد أخذ بمذهب السلف وأهل الحديث صرفاً ، كما صرح في كتابه (مقالات الإسلاميين) وكما بسط القول في آخر مؤلفاته [الابانة] .

زاعمين أن ذلك يقتضى بتعدد القدماء ، والله واحد قديم لا شريك له ، وكانوا يريدون بذلك المبالغة في الرد على من جعلوا لله صفات تشبه صفات الحوادث ومنهم مقاتل بن سليمان الذى كان معاصراً لواصل . وأظن أن من النعسف أن يكون الله قادراً بلا قدرة وعالمًا بلا علم وما إلى ذلك . وقد دعا هذا أيضاً أرباب الكلام من أهل السنة إلى القول بأن صفات الذات ليست عين الذات كما أنها ليست غيرها . وفيه أيضاً تعسف . والبحث في علم الكلام .

٤ - يقول المعتزلة بالنحسين والتقييحي العقليلين على معنى أن فى الفعل جهات من الحسن أو القبيح تدل على حكم الله من الحرمة أو الإباحة أو غيرهما . وفى هذا البحث مجال للنظر . والذى دعا إليه القول بأن جميع أفعال الله على مقتضى الحكمة وجوباً عقلياً . وخالف فى ذلك أهل السنة زاعمين أن الله يفعل ما يشاء وإن لم يوافق المصلحة . والحق عندى ما يقول المعتزلة إن اقتصروا على ناحية تعليل الأحكام دون تعمق (١) .

٥ - وأخيراً يتقدمون أعمال الصحابة ويفسقون بعضهم ويقولون بخطأ على وطلحة والزبير وغيرهم من الصحابة ، وإن كان واصل قد تورع فى هاتئ المسألة فقال : إن إحدى الطائفتين (فى حرب الجمل) مخطئة وتوقف عن التعيين .

ذلك يجهل مذهبهم فى عهد واصل ، وقد تجددت فى الاعتزال أقوال بعد ذلك دعت إليها طبيعة البحث وتجدد النظر . والحق أن هؤلاء القوم كانوا مخلصين لدعوة الإسلام فيما يظهر من تصرفاتهم وأحكامهم وعقائدهم ، وفيما عرف من صفات أئمتهم ومقدمهم وإن أخطأهم التوفيق فى بعض البحث وجئت عليهم الفلسفة التى تعلوها ليردوا شبه الخصوم عن يناهضون الإسلام أو يسيئون إليه بقصد أو غير قصد كما قدمت للقارىء الكريم .

ولادة واصل ومنشؤه

ثم نعود إلى النظر فى تصوير صاحبنا زعيم هؤلاء القوم والذى دعانا إلى الحديث عنهم . فقد ولد سنة ٨٠ هـ بالمدينة المنورة ولكن التاريخ يحدث أنه إنما تعلم بالعراق ، ولم نعلم متى قدم إليه ، ولكن يظهر أن العراق هو الذى تولى تكريته منذ نشأته تليداً للحسن البصرى يقرأ عليه العلوم والأخبار مع ما يستفيد من ثقافات العراق ، وهى يومئذ

[١] المجلة - لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق عظيم فى هذه المسائل بسطه فى كتابه [منهاج السنة] واتفق بابه الحافظ الذهبى فى [المنتقى من منهاج الاعتدال] الذى طبع فى الشهر الماضى .

مورد عذب ، ومهاجر لكل طالب علم . وكان واصل مولى بنى ضبة أو بنى مخزوم كما يقول ابن خلدكان ، فهو من الموالي الذين نبتوا في الإسلام فذبغوا في كل ما يمت إليه بصلة على اختلاف جهات النبوغ وتفاوتها .

والموالي كما وصفنا في عدة مناسبات هم قواد الحركة العلمية وأصحاب الجديد من النزعات والافكار وفيم الامناء المخلصون والحراس الصادقون على هذه الشريعة وعلومها ، لانهم كانوا يريدون أن يعوضوا نقص النسب الذي يفخر به العرب . وقد نفى الإسلام نخوة الجاهلية ورفع من رفع بالعلم والتقوى ، ولانهم فرغوا من شواغل الحروب التي خاص غمارها أصحاب السابقة من العرب فواتهم الاقدار إحسانا إليهم ، وترى أوائلهم في أحضان الصحابة وكانوا يستكثرون من الموالي فيأخذون عنهم العلم . ونذكر في هذا حكاية طريفة لعكرمة مولى ابن عباس ، فإن عليا ابنه أراد أن يبيعه بعد موت أبيه بأربعة آلاف لخالد بن يزيد بن معاوية ، فذهب عكرمة إلى علي العباسي وقال له : لاخير لك فيما تصنع ، تبيع علم أبيك بأربعة آلاف ! فرجع على عما أراد . إلى نواح أخرى جعلت الموالي من خيرة من أخذوا هذا الدين بقوة وتولوا صناعة العلم والبحث والإنتاج فصدقت نبوءة الرسول صلى الله عليه وسلم (لوكان العلم بالتريا لنا له رجال من فارس) ثم تلا قوله سبحانه : « وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم » .

قضى واصل جل حياته في العراق يأخذ عن الإمام الحسن ويخصه بمزيد لإقبال ، ثم يستزيد من دراسة ثقافات العراق ، وهي خضم بموج بمختلف الثقافات ، فتسكون له مزيج فياض كون له تلك الشخصية وصبغه بصفات تغلب عليه ، من بينها غزارة المادة وفلسفة العقائد وقوة الجدل والبيان المشرق الرصين وتقوى الله والقنوت له والزهد والكياسة ، والتجرد لدعوة الحق فيما يؤديه إليه اجتهاده وصدق نيته .

صفات واصل وبميزاته

١ - غزارة المادة والعلم بأحوال الفرق والآراء والمذاهب في عهده ، وقد أخذ عن الحسن البصري علوم الدين والآثر وفقه الكتاب والسنة ، إلا أنه خاض في المعقولات خوفا جعله يؤثر العقل ويحسن التأويل عند التعارض ، وقد شغف بالدفاع عن الحق ومقاومة الإلحاد والزيف ، فكان يعد للعدة من سلاح العصر بدراسة الفلسفة التي ظهرت حينذاك وتحصيل الآراء والمقالات ومناقشتها والرد على المزيف منها . وقد وصفه عالم

الشيعة السيد المرتضى وكان به معجبا فقال إنه كان أعلم الناس بكلام غالبية الشيعة ومارقة الخوارج وكلام الزنادقة والدهرية والمرجئة وسائر المخالفين .

وقد بلغ من عنايته بتلك الناحية وتجرده لها أن زوجه وصفته فقالت : « كان واصل إذا جنه الليل صف قدميه يصلى ولوح ودواة بجانبه فإذا مر بآية فيها حجة على مخالف جلس فكتبها ثم قام إلى صلاته » ، وبلغ من غزارة مادته وعلمه أنه ألف كتابا فيه ألف مسألة للرد على المانوية كما نقلت الرواة .

وقال ابن خلدون : إن له من التصانيف كتاب أصناف المرجئة . وكتاب التوبة . وكتاب المنزل بين المنزلتين . وكتاب خطبته التي أخرج منها الراي . وكتاب معاني القرآن . وكتاب الخطب في التوحيد والعدل . وكتاب ماجرى بينه وبين عمرو بن عبيد . وكتاب السبيل إلى معرفة الحق . وكتاب الدعوة . وكتاب طبقات أهل العلم والجهل وغير ذلك .

٢ - فلسفة العقائد وقوة الجدل . ويعتبر واصل واضع علم الكلام على هذا النحو من النظر الاستدلالي والبحث المنطقي والاعتماد على القضايا العقلية وإيثارها على النقل . سرى إليه ذلك من مقامه في العراق التي كانت تتجاوب فيها أصدااء المذنبات ومن نسبه غير العربي ومن سريان آراء الفلاسفة إليه وإلى أصحابه .

وقد كان القرآن ذو المورد العذب ، والحديث أكبر المدد للعقائد كما هو أكبر المدد للفقه ، وكان فهم الكتاب والسنة على مقتضى أساليب العرب في مخاطبتها ، وليكن المعتزلة وعلى رأسهم واصل وصاحبه عمرو قد خالفوا في ذلك وتحرروا من التزامه ، وغلا في ذلك أتباعهم . وكان منهج السلف خيرا للإسلام لو كانوا يعلمون الغيب ، وقد تورط من تلقبوا بعد ذلك بأهل السنة في تلك الورطة . وكانت ناحية الخير في ذلك خصوصية العقل وسعة الأفق ومجاراة الزمن ، فلو أنه كان في حدود الدين بكل دقة لجمع الإسلام خيرا كثيرا . ولكن ذلك حلا للتأخرين من المتسكمين فأوغلوا فيه حتى شغلوا عن صميم الدين وكان مصدر خلاف وسببا لكثير من محن الثابتين من أهل الحديث والآثر .

ولعل واصل كان قريبا من الآثر كثير الاعتماد عليه إلى جانب العقل لأن أستاذه إمام المسلمين الحسن البصري قوى ذلك المعنى في نفسه الصادقة ، وليكنه اعتزل إمامه وخاض في الصحابة وأخذ ينقدهم ولم يأخذ بهذه القاعدة السليمة الرشيدة والحكمة الخالدة الحكيمه من أستاذه (تلك دماء طهر الله منها سيوفنا فلا تلوث بها ألسنتنا) .

ولقد تبرأ كثير من خيرة المسلمين من العابد الزاهد عمرو بن عبيد لمخوضه في تلك الاشياء وتفسيره عليها وطلحة والزبير وغيرهم ، حتى قال بعض الناس بكفره ، ويغفر الله لهؤلاء الناس خطأهم بقدر ما أخلصوا وحسنت نياتهم .

وأما مقدرة واصل في الجدل فإنها كانت تنبئ على أسس من العلم وغزارة المسادة كما صورت لك ، إلى قوة في اللسان والبيان وحضور البديهة كما سأصف لك ، مع فراسة صادقة وعرفان بأدب المناظرة من الأدب والحلم والحرص على ظهور الحق والولوع بجمع الأدلة كما علمت من أنه كان يقيّد الأدلة من القرآن ليتخذ منها مادة في هدأة الليل وصفاء النفس ، ويدلك هذا على مقدار بصره بالجدل ، وما يتقاضاه من أدب من هذه المأثورة .

قالوا إن سائلا سأل عمرو بن عبيد عن القدر بحضرة واصل ، فغضب عمرو على السائل ، وعنفه . فقال له واصل : « يا أبا عثمان إياك وأجوبة الغضب فإنها مندمة ، والشيطان يكون معها ، وله في تضاعفها همزة ، وقد أوجب الله على نبيه أن يستعيز من همزات الشياطين وأن يكونوا معه بقوله : (أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون) وقبلها شاهدت أحداً تثبت في جوابه وما ينطق به لسانه فيلحقه لوم » .

كل هذه المرشحات مع إخلاص هذا الإنسان وتقواه وشدة تعصبه للإسلام وامتلاء نفسه به واقتناعها بحقيقته كان جذيرا أن يكون منه أقوى مناظر في عصره . وإن ما تروى كتب الأدب من مناظراته وجدله مع الخوارج وغير الخوارج من أرباب النحل والاهواء لخير دليل على ما كان عنده من قوة ومهارة وبصر ولباقة تصحح هذا الحكم وتشهد له . وقد نقل لنا الأستاذ أبو زهرة في كتاب تاريخ الجدل أولى مناظراته وهي أولى مناظرات الاعتزال ، وإن من الحق علينا للقارئ الكريم أن ننقلها له لمساكنها التاريخية وهي هذه بروايته قال^(١) : لما فارق واصل مجلس الحسن البصري أرسل إليه عمرو بن عبيد يناظره فقال واصل : لم قاتم من أتى كبيرة من أهل القبلة استحق اسم النفاق ؟

عمرو : لقوله تعالى : « والذين يرمون المحسنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون » ، فسكان كل منافق فاسق إذ كان ألف المعرفة ولاهما موجودين في الفاسق .

واصل : أليس قد وجدت الله تعالى يقول : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » وأجمع أهل العلم على أن صاحب الكبيرة من أهل القبلة استحق اسم ظالم كما استحق اسم فاسق فألا كفرتم صاحب الكبيرة من أهل القبلة بقوله سبحانه : (والكافرون هم الظالمون) بألف ولام التعريف في قوله تعالى « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » كما قال في الفاسق « وأولئك هم الفاسقون » فسميته منافقا لقوله : « إن المنافقين هم الفاسقون » يا أبا عثمان أيهما أولى أن نستعمل في المحدثين من أمتنا ؟ ما اتفق عليه أهل الفرق من أهل القبلة أم ما اختلفوا فيه ؟ .

عمرو : بل ما اتفقوا عليه أولى .

واصل : ألسنت تجد أهل الفرق على اختلافهم يسمون صاحب الكبيرة فاسقا ويختلفون فيما عدا ذلك من أسمائه لأن الخوارج تسميه مشركا فاسقا ، والشيعية تسميه كافر نعمة فاسقا ، والمرجئة تسميه مؤمنا فاسقا ، فالواجب أن يسمى بالاسم الذي اتفق المختلفون عليه وهو الفسق ، ولا يسمى بما عدا ذلك من الأسماء التي اختلفوا فيها فهذا أشبه بأهل الدين .

عمرو : ما بيني وبين الحق عداوة ، والقول قولك فليشهد على من حضر أني تارك للمذهب الذي كنت أذهب إليه ، قائل بقول أبي حنيفة وإني قد اعتزلت مذهب الحسن في هذا الباب .

وهي مناظرة عظيمة تدل على قوة الرجل وعلى صفاء النفسين وإخلاصهما للحق .

٣ — كان في نفسه تقيا زكيا معرضا عن الفضول لا ينافس في دنيا ولا يحرص على منصب من مناصبها مع كونها معرضة له ميسورة لإذائها ، ولكنه أثر الله والدار الآخرة وليس بعجيب من تربية إمام الزاهدين وسيد المتقين من المعاصرين الحسن بن أبي الحسن البصري أن يكون كذلك .

وقد وصفه الجاحظ في جمل موجزة في هذا المقام فقال : « لم يشك أصحابنا أن واصلًا لم يقبل ديناراً ولا درهما ، ووصفه بعض الشعراء فقال :

ولا مس ديناراً ولا مس درهما ولا عرف الثوب الذي هو قاطعه

يغلب جده مزله ، وحقه باطله ، مطرق مالم تفتك حرمة الله أو يرى المنكر في قول أو فعل . وقد كان يصمت حتى يظن به الخرس . قال المرتضى في المنية والامل :

« كان واصل يلازم مجلس الحسن ويظنون به الخرس من طول صمته ، فر ذات يوم به عمرو بن عبيد وأقبل عليه بعض مستحبي واصل فقال لهم : هذا الذي تظنون به الخرس ليس أحد أعلم بكلام غالبية الشيعة ومارقة الخوارج وكلام الزنادقة والدهرية والمرجئة وسائر المخالفين والرد عليهم منه ، وقد علمت في حديث جدله ما كان يؤثره من حلم وأناة ومجانبة للغضب الذي هو مفتاح الشر ورائد الظلم والبغى .

٤ — وكان واصل في فصاحته ولسنه وقوة بيانه ومنطقه في المحل الأول والموضع الذي لا يحجل ، فهو الخطيب المرتجل في مجالس الملوك قبل السوق ، وهو الذي يستطيع على البديهة أن ينافس فحول البيان ، ومضرب الأمثال فيه ، خالد بن صفوان وشبيب بن شيبه أمام عمر بن عبد العزيز فيقول خطبة طويلة يسقط منها حرف الراء لأنه ألغى ، ولاكنه أخصب فتخير ، وغرس ثم غرس فأثمر ، وكان مما قال بعد ديباجة طويلة :

ولا تلهينكم الحياة الدنيا بزينتها وخدعها وفراثن لذاتها وشهوات آمالها ، فإنها متاع قليل ومدة إلى حين ، وكل شيء منها يزول ، فكم عاينتم من أعاجيبها ، وكم نصبت لكم من حباثلها ، وأهلكت من جنح إليها واعتمد عليها وأذاقهم حلوا ومزجت لهم سما . أين الملوك الذين بنوا المدائن وشيدوا المصانع وأوثقوا الأبواب ، وكاثفوا الحجاب ، وأعدوا الجياد ، وملكوا البلاد ، واستخدموا التلاد . قبضتهم بمحملها ، وطحنتم بكلـكـلها . وعصنتم بأنيابها ، وعاضنهم من السعة ضيقا ، ومن العزة ذلا ومن الحياة فناء ، فسكنوا اللحود ، وأكلهم الدود ، وأصبحو لا ترى إلا مساكنهم »^(١)

ولو أننا أخذنا نستقصى من صفات واصل ومزايده ماوقع عليه النظر في السكتب والدفاتر ودل عليه الأثر والنظر الصادق إذا لامتد الشوط . ولاكننا نشوق القارئ على طريقتهما في هذه التراجم ونلهم فيه نشاطا للأسوة الصالحة .

أسأل الله سبحانه أن ينفعنا بما فعل ويعلمنا ما لا نعلم ، ورحم الله أبا حذيفة بقدر ما أخلص للدين والعلم وغفر له بقدر ما تجرد لدعوة الإسلام وجاهد في الله .

محمود النواوي

[١] وجدنا الراء في كلمة « ترى » فلهم أرادوا ما لم ينقل من القرآن أدبا مع القرآن ، والجملة في الكتاب الكريم سورة الاحقاف .

الغزو الثقافي الاجنبي

للبلاد العربية والاسلامية

تلقينا هذا البحث الاجتماعى القيم من سماحة السيد محمد أمين الحسينى مفتى فلسطين ورئيس الهيئة العربية العليا ، ونرجو أن يكون له الأثر النافع فى القلوب .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى سائر الانبياء والمرسلين ، والتابعين بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد - فقد تفضلت اللجنة الثقافية لرابطة موظفى الحكومة المصرية العامة الموقرة ، فطلبت إلى " إلقاء كلمة ، فلم يسمنى إلا تلبية طلبها رغم الظروف الحاضرة التى تشغل البال وتقض المضاجع فى الأقطار العربية . واخترت أن تكون كلمتى " الغزو الثقافى فى البلاد العربية ، لعلاقتها بهذا القلق والاضطراب الفكرى فى هذه البلاد .

أما السبب الذى حملنى على أن أذكر الغزو ، فإنه يعود إلى عوامل تاريخية ماضية ، وأخرى حالية ، فإن من أبرز الأوضاع التى لازمت بلادنا العربية خاصة ، والبلاد الشرقية عامة ، هو الغزو الذى جاءنا من الغرب منذ أقدم عصور التاريخ المعروف ، منذ غزا الإسكندر المقدونى بلاد الشرق ، ثم ما تلاه من غزو الرومانيين واحتلالهم أقطاراً كثيرة من بلاد الشرق الاوسط ، وما حدث فى تلك القرون الخوالى من صراع دام وحروب متوالية كان بعضها بين الرومان وقرطاجنة ، وبينهم وبين فارس ، انتصف فيها الشرق تارة ، وتغلب الغرب تارة أخرى ، إلى أن ظهر العرب فى معترك الحياة فى صدر الإسلام ، فصدوا الغزو الرومانى البيزنطى وأعادوا الغزاة القهقرى ، ومضوا قدما فى سبيل تحرير الشرق من ربة ذلك الاستعمار لفترة طويلة . ولكن ما انطبعت عليه نفوس البشر من

روح العدوان والرغبة فى الغزو والاستعمار (والظلم من شيم النفوس) كان كفيلا باستمرار الصراع بين الشرق والغرب عامة ، وبين الشعوب المقيمة فى شرق البحر الأبيض والشعوب المقيمة فى غربيه ، واتخذ هذا الصراع أشكالا وأسماء مختلفة ، كالحروب الصليبية ، والغزوات العثمانية ، وأخيرا سُمى . الغزو الاستعماري .

ونجست هذه الغزوة الاستعمارية الاخيرة بصورة خاصة بعد احتلال بريطانيا لمضيق جبل طارق عام ١٧٠٤ ، وبذلك استولت على باب البحر الأبيض ووضعت مفتاحه فى جيبها وكان هذا البحر منذ أقدم الازمنة حتى الآن ، عظيم الاهمية فى تجارتها وثروات البلاد الواقعة على شواطئه ، وفى مواصلاته ومواقعه الجغرافية والاستراتيجية ، ومنذ احتلال جبل طارق حتى اليوم وكثفت الغرب راجحة ساحقة فى عدوانها ، وغزواته متتالية متنوعة فى أغراضها ، فلم تقتصر على الغزو العسكرى بل تجاوزته إلى الغزو الاقتصادى ، والروحى ، والاجتماعى ، والثقافى .

وبجئ الآن عن الغزو الثقافى لحسب لاهميته الكبرى ، ولأنه أعظم خطرا وأبعد أثرا فى مصير الأمم ، من الغزو العسكرى والاقتصادى ، لأن الغزو العسكرى والاحتلال الاجنبى مهما طال أمده لابد أن ينهى بالجملة كما وقع فى الهند وباكستان وبورما وسيلان واندونيسيا وغيرها من الاقطار الآسيوية ، وكما يرجح أن يتم فى الاقطار الإفريقية أيضا ، وقد ظهرت بشائر ذلك والحمد لله فى الجلاء الراهن عن قناة السويس . ونحمد الله أن نرى صرح الاستعمار قد انهار فى معظم البلاد الآسيوية كما أنه أصبح مزعزع الاركان فى كثير من البلاد الإفريقية ، ولما نرجو أن يتم انهياره واندحاره فى سائر بلاد الدنيا ولا سيما فى بلادنا العربية التى لا تزال تعاني من وطأته أكثر من غيرها لقرعها من مراكز الاستعمار الرئيسية ، ولأسباب أخرى لا يتسع المجال لبسطها الآن .

ولكن الخلاص من الاحتلال العسكرى وحده لا يكفى ، بل أهم منه النجاة من الاحتلال الثقافى الذى يستعمر القلوب ، ويسيطر على العقول ، ولن يتم تحرر حقيقى لايه أمة بمجرد خروج قوات الاحتلال العسكرية من بلادها إذا ظلت القلوب والعقول رازحة تحت كابوس الاحتلال الثقافى .

وقد تسلسل هذا الغزو الثقافي الاجنبى إلى القلوب والعقول تدريجيا حتى تغلغل فيها وتمكن منها بوسائل عديدة من أهمها :

- ١ - المدارس الاجنبية .
 - ٢ - الافلام الاجنبية .
 - ٣ - المطبوعات الاجنبية من كتب وصحف ومجلات .
 - ٤ - الاندية والجمعيات ، والمعاهد والمؤسسات الاجنبية .
 - ٥ - الملامى والموسيقى الاجنبية .
 - ٦ - الإذاعات الاجنبية .
- ونبدأ الآن بالمدارس الاجنبية :

لقد أنشئت هذه المدارس فى بلادنا بحجة نشر العلم وتحت ستار الثقافة والنهذيب والتربية والتعليم ، ولسكنها فى الحقيقة لم تنشأ لهذه الأغراض الطيبة ، ولا كان القصد منها صالح البلاد ، بل أنشئت لغايات ومقاصد أخرى لم تعد خافية على أحد ، وكيف يعقل أن ينفق الاجانب كل هذه الاموال والجهود لسواد عيوننا ؟ . إن المقصد الاساسى من هذه المدارس هو تربية أبنائنا تربية ملائمة لصالح الاستعمار وتوطيد دعائمه ، وطبعهم بطابعه ، والسيطرة على قلوبهم وعقولهم ، وهدم عقائدهم ، وإضعاف نفوسهم ، وتشكيكهم فى قيمهم الاخلاقية وتقاليدهم الاجتماعية ، وبالنتيجة جعلهم أدوات طيعة خاضعة للمستعمر ، تصدع بأمره وتنفذ رغباته ، ويفتهى بها الامر حتى تكون عناصر عاملة فى الطابور الخامس لخدمة مصالح الاستعمار وهدم كيان الامة ؛ كما أن اختلاف الثقافات يسبب بلبلة الافكار والآراء والمعتقدات ، واختلاف وجهات النظر ، كما يسبب الانقسام والخصام بين أبناء الوطن الواحد بل أفراد الاسرة الواحدة ، إذا تربوا فى مدارس أجنبية مختلفة . فالمدارس الاجنبية - فى حقيقة أمرها - معامل تصدر أفرادا متأثرين بالثقافة الاجنبية ، مطبوعين بطابعها الخاص ، وذوى استعداد من حيث لا يشعرون لتعصيد غايات الاستعمار ، وتنفيذ أهداف الطابور الخامس الذى هو أخطر ما يهدد الامة فى أمنها وسلامتها واستقرارها ومستقبلها .

وإني لأعجب كيف نسلم أولادنا بأيدينا لخصومنا طائعين مختارين ، وهم أعز شيء علينا ،
وقديما قال شاعرنا :

ولنمنا أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الارض

إن هذا هو البلاء المبين ، والضلال البعيد .

إن غفلتنا التي لم تقص إلى مثلها أية أمة ، قد أتاحت لرسل الاستعمار أن يعضوا
في إنشاء المدارس الأجنبية التي ترعرت في ظلال غفلتنا الوارفة ، واتسعت وازداد عدد
طلابها حتى بلغت حدا خطيرا جدا يهدد كيان أمتنا العربية . ولكي تقدرُوا هذه الخطورة
حق قدرها أسرد لكم بعض الأرقام المستخرجة من السجلات الرسمية في أكثر الدول

العربية لعام ١٩٥٠ - ١٩٥١

المجموع	من البنات	من الأبناء	
٧٩٠٤٣	٤٣٨٢٢	٣٥٦٢١	وفي مصر : ٢٩٢ مدرسة أجنبية فيها
٤٤٣٠١	١٦٦٥٤	٢٧٦٤٥	وفي لبنان :
٩٠٢٢	٤١٥٤	٤٨٦٨	وفي سورية :
٨٧٦٣	٣٧٦٣	٤٩٨٤	وفي الأردن :
٢١٦٧	١٤٤	٢٠٢٣	وفي العراق :

وفي فلسطين : آخر إحصاء قبل الكارثة

أى عام ١٩٤٧ كان عدد

الطلاب في المدارس

الأجنبية - رغم أن

مدارس الحكومة كانت

تحت إشراف أجنبي

٢٦٣٥١

١٦٩٥٠٤

ولكي تحيطوا علما بمقدار تغلغل الغزو الثقافي في البلاد العربية أذكر لكم أن في مدينة
القدس التي كان عدد سكانها لا يزيد عن مائة وخمسين ألف نفس (٨٢) معهداً أجنبياً .
ولا شك أن هذه الأعداد الهائلة من الأبناء والبنات الذين تربهم المدارس الأجنبية لتدعو
إلى الدهشة والعجب ، بل تدعو إلى الخوف والذعر .

إن جميع الأمم الواعية لا تسمح بإنشاء مدرسة أجنبية واحدة في بلادها حتى الأمم التي تربط بينها روابط كثيرة ، فلا تجد في إنجلترا مدارس أمريكية ، ولا في فرنسا مدارس إسبانية ، وكذلك الأمم الأخرى ، حتى هذه الدولة المصطنعة لإسرائيل ، فإنها لم تسمح بإنشاء أية مدرسة أجنبية فيها ، وقد قامت قبل بضعة أعوام أزمة وزارية في إسرائيل واستقال أربعة من الوزراء بسبب الإذن بإنشاء مدرسة واحدة علمانية لاندرس الدين الإسرائيلي ، واستمرت الازمة إلى أن ألغى الإذن بفتح هذه المدرسة . وإنكم لا تجدون في أقطار العالم بلاداً مفتوحة وحي مستباحا لكل طامع مثل بلادنا التي توسع صدرها لكل غزو ثقافي . وإنى أضرب لكم مثلاً كدليل على مقدار اهتمام الأمم الواعية بثقافتهم . أذكر أن الحكومة النمساوية حينما أرادت شن الغارة على مملكة الصرب في بدء الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ بسبب مقتل ولي عهد النمسا وأملت شروطها ، كان من ضمن الشروط أن تلغى الحكومة الصربية تعليم كتاب مدرسي معروف باعتبار أن مافيه يوغر صدور الطلاب الصربيين على النمسا .

وهناك مثل آخر فقد حدث منذ أربع سنوات أن طلب إخواننا سكان الجزائر في المغرب العربي من الحكومة المصرية لإنشاء معهد ثقافي في بلادهم فاستجابت مصر لطلبهم وقررت إنشاء المعهد وعينت الدكتور يحيى الخشاب من أسانذة جامعة القاهرة مديراً له ، ووافقت الحكومة الافرنسية على فتح المعهد . ولكن عندما أراد مديره الدكتور الخشاب أن يسافر إلى الجزائر لافتتاح المعهد رفضت السفارة الافرنسية بالقاهرة أن تؤثر على جواز سفره ، وهكذا أحبط المشروع ولم نوافق السلطات الفرنسية على فتح معهد عربي في بلاد عربية .

وقد بلغنى أن بعض الكتتب التي تدرس في بعض المدارس الأجنبية تحتوى على مايمس عقائد أهل البلاد وتقاليدهم ويشجب تاريخهم وأجدادهم . هذا مع العلم أن أكثر الدول العربية تنفق مبالغ عظيمة في سبيل التعليم وإنشاء المدارس . وأوضح برهان على ذلك أن ميزانية وزارة التربية والتعليم المصرية لا تقل عن ثلاثين مليون جنيه ، وهذا مبلغ ليس بالقليل ، فإني أذكر أن كل موازنة الدولة العثمانية في أواخر عهدها كانت نحو ثلاثين مليوناً .

إن بعض الناس يستخفون بأخطار الثقافة الأجنبية معتمدين على أن عدداً من الذين

تخرجوا من المدارس الاجنبية ظلوا محافظين على عقائدهم وتقاليدهم ولم يظهر فيهم أثر ذوبال من تأثير تلك الثقافة . ولكن هذا لا يصح القياس عليه لان بعض الطلاب تكون لديهم بعض الحصانة بسبب تربيتهم البديية أو نحوها من الاسباب ، مثل الذين يتعرضون للاختلاط بالمصابين بالامراض المعدية وينجو بعضهم من العدوى بسبب المناعة الصحية . ولكن هذا هو خلاف القاعدة الاساسية التى تحتم ضرورة الوقاية واجتباب العدوى .

٢ - الافلام الاجنبية :

إن إقبال الناس على دور السينما يزداد باستمرار . وبما أن هذه الافلام الاجنبية وضعت للاستغلال المادى ، أو لغايات سياسية أو ثقافية أخرى لاتلائم مصالح أمتنا فإنها لم تهم للأخلاق ولا للتهذيب أى وزن . وقد ظهر واضحاً للناس أجمعين مبلغ الضرر الذى أصاب الاخلاق ، بسبب السينما ، كما كان له أثر عظيم على كثرة الجرائم ، والإخلال بالامن ، وغير ذلك من النتائج السيئة .

وانى لاذكر أن الالمان فى عهدهم الماضى منعوا الافلام الاجنبية منعاً تاماً من دخول بلادهم ، وأخرجوا أفلاماً تلائم مصالحهم ووجهة نظرهم ، وليس فيها ما يسئ إلى الاخلاق . وأذكر أن أهل باكستان واندونيسيا وبعض الافطار الشرقية الأخرى أقبلوا على الافلام المصرية معتقدين أنها تلائم الاخلاق الكريمة كل الملائمة ، ولكنهم لما عرضوها ورأوا ما فى بعضها من الاستهتار وعلبوا أن أكثرها لم يكن صادراً من مصريين صميمين ، فنبذوها وألفوا أفلاماً من صميم حياتهم وملائمة لآخلاقهم وتقاليدهم .

ولا يتسع المجال لذكر جميع وسائل الغزو الثقافى الاجنبى من مطبوعات تبث بالكتب والصحف والمجلات الاجنبية ، كل ما ترمى إليه من أفكار وتوجهات ، ومن أندية وجمعيات ، ومعاهد ومؤسسات ، يلبس بعضها لباس الرياضة ، أو أحمال البر والخير والانسانية ، ويرتدى بعضها رداء الادب والفنون والموسيقى وغير ذلك ، ولكنها كلها فى النتيجة تهدف إلى غايات متماثلة .

وهمنى أن أوضح أن أضرار الغزو الثقافى لا تقتصر على طائفة فى البلاد العربية دون

أخرى ، بل إن أضرارها تصيب المسلمين والمسيحيين جميعاً . وقد اطلعت على الشكاوى التى ردها كثير من الفضلاء فى هذا الموضوع . وأذكر بهذه المناسبة موقف الدكتور طه حسين فى لجنة الحريات والحقوق العامة بلجنة الدستور فى نوفمبر سنة ١٩٥٣ من المدارس الأجنبية فقد أوضح أضرارها الشديدة التى أصابت المواطنين الاقباط ، وأنها تثير النفرة حتى بين أبناء الدين الواحد . إلى أن قال الدكتور طه حسين ما نصه : « إن الهدف المقصود من مدارس الإرساليات الأمريكية والإنكليزية والفرنسية هو هدم الكنيسة القبطية . مع أن هذه الكنيسة من تراث الدولة بحسب المحافظة عليه . »

* * *

المعالجة :

ولمعالجة الغزو الثقافى وأضراره العظيمة التى تهدد كيان البلاد العربية ، ينبغى استعراض أنظار أولى الأمر وأهل رأى ، ليقوموا بدراسة منظمة مستمرة ، تكون نتيجتها اتخاذ وسائل حازمة حكيمة ، وسن قوانين تحمى المجتمع العربى من جميع الغزوات الثقافية والدعايات الهدامة الأجنبية غريبة كانت أو شرقية ، وكذلك ينبغى أن يكون هناك إشراف حازم على كل ما يعتبر غذاء للعقول والقلوب ، كالإشراف المحمود الذى تقوم به وزارة الصحة على غذاء الاجسام ، من شراب وطعام وغيره . فإن غذاء العقول والقلوب يحتاج إلى عناية أكبر واهتمام أعظم ، فلا يسمح بنشر أية مطبوعات أو صور أو إعلانات أو رواية تمثيلية أو فيلم سينمائى أو إذاعة أغنية إلا إذا كانت جميعها نظيفة طاهرة من الاوشاب والافذار خالية من الجرائم الضارة بالاخلاق .

ولنما الامم الاخلاق ما بقيت فإن هم ذهبوا أخلاقهم ذهبوا

ذكرى الهجرة النبوية الكريمة

صادق الفجر في محيا السماء فاض منه الضياء في الارحاء
لمح النور في مشارقه الغر جليلاً في بهجة ورواء
وحواشي الوجود رفت بهاء تتحلى بهماطر الانداء
أيها الناس قد بدا لكم النور رفسروا في نهجه الوضاء
أيها الناس قد أظلمكم السعد فعيشوا في غبطة ورخاء
طلعة المصطفى على د طيبة ، العزة أبهى من سائر الاضواء
هاجر الدين هاجراً ظلمة الظلام فأضحى بها سنى الضياء
زهق الباطل للجرج وجاء الحق يشفى من كل داء عياء
بين مجدد وعزة وخلود وتعاليم توجت بالبقاء

* * *

لم يتع للحياة — اة مثل نبي غمر الكون بالسنا والسنا
كم رياض أثمرن داء دويأ وقفار أنبتن برء الهاء
ما ترون النبي أنبته القفر فأحيا الوجود بعد فناء
واحد أنقذ الانام من الكفر وأنجاهمو من الضراء
واحد ألف القلوب على الحق فسارت على صراط سواء
فحا الشر من قلوب الالدا وأعلى للمجد خير بناء

* * *

خضع الناس سيداً ومسوداً للعرانين من بنى الصحراء
قادم للجهاد داع حنيث بنسداء أعظم به من نداء
بنداء الالباب تهتف بالنجوى فتمضى الاجسام للأواء

عزمت بعزة الحق تمضى لا تبالي بشدة وعناء
لم يضاروا من قلة في عديد نصرة الحق عدة الضعفاء
أطرها استطعت لست تباه شأرا ذاك قدر سما على الإطراء
ليس بعد القرآن موضع مدح لرسول مؤيد بالسماء

* * *

يارعاة الإسلام لا تترانوا فالتواني مطية الضعفاء
قد غزينا في دورنا فلنجاهد ولنحقق ورائة الانبياء
انظروا الناس عائلا وثريا لاتروا غير سادر في عماء
ألحد الناس واستناموا إلى الشك وباتوا في حيرة عمياء
افتدوا الدين بالنفوس الغوالي هو أخرى منكم بأعلى فداء
ارفعوا شأن دينكم ما قدرتم عزة الدين عزة العلماء

أحمد شفيع السيد

الأستاذ في كلية اللغة العربية

سرطان

إن دولة إسرائيل سرطان أقبح ظلما وعدوانا وفي كثير من العنف ، الى الشرق الاوسط ،
ولسكنها ان لم تكن سرطانا لا تستطيع أن تحيا الى مالا نهاية له على حساب جيرانها ، ولا بد
لها من أن تموت آخر الامر مادامت لا تملك في ذاتها مقومات الحياة .

لورانس غريز وولد الأمريكى

كلية الأزهر

في ذكرى الهجرة المحمدية

ألقاها بالرواق العباسي شيخ كلية أصول الدين

فضيلة الأستاذ الشيخ محمد علي العباسي

عضو جماعة كبار العلماء

نحمدك اللهم حمد الشاكرين . نحمدك ونستعينك ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا
وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل الله فلا هاد ، ونصلي ونسلم
على سيد الأنبياء وصفوة الرسل والاولياء سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المصلحين ، المبعوث
بألهدي ودين الحق بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً .

أما بعد :

فإن مشيخة الأزهر يسعدنا أن تفتخر هذه المناسبة الكريمة فتبعث إلى الأمة المصرية
وإلى سائر الأمم الإسلامية بأجمل آيات التهاني بعيد الهجرة النبوية المجيد ، وتسأل الله العلي
القدير أن يجعل هذا العام عام سعد ويمن وبركة على الإسلام والمسلمين ، عام رخاء وإخاء
ورفاهية وسلام للأمم قاطبة والناس أجمعين .

أيها المستمعون الكرام . إذا كان الأزهر يحتفل اليوم بذكرى الهجرة النبوية ، فإنما
يحتفل بأعظم حادث تاريخي لأعظم نبي حول مجرى التاريخ فسعد به البشر وظهر به فضل الله
على خلقه وصدق الله العظيم إذ يقول : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » . وقد جاءكم من
الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من أتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى
النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم .

وإن نظرة إلى ما كان عليه الناس قبل مبعث الرسول الكريم ترينا مبلغ هذا الإصلاح الحمدي ، كما ترينا عظم العبء الملقى على عاتق النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنه لتتوه به العصبية أولو القوة ، لكن الله أعلم حيث يجعل رسالته ، فاختار لها أكرم الناس نفساً ، وأزكاهم خلقاً ، وأمضاهم عزماً ، وأوسعهم صدرأ ، وأقواهم على تحمل الأذى صبرأ ، وأيده بروح منه حتى بلغ ما أنزل إليه من ربه ، وظهر الإسلام على الدين كله فسعدت به البرية بعد طول شقاء ، واستنارت بنوره وقد كانت تتخبط في دياجير الظلماء .

فصلاة الله وسلامه عليك يا سيدى يا رسول الله يوم ولدت ، وصلاة الله وسلامه عليك يا سيدى يا رسول الله يوم بعثت ، وصلاة الله وسلامه عليك يا سيدى يا رسول الله يوم هاجرت ، وصلاة الله وسلامه عليك يا سيدى يا رسول الله يوم لحقت بالرفيق الأعلى ، وصلاة الله وسلامه عليك يا سيدى يا رسول الله يوم يبعثك ربك مقاماً محموداً للشفاعة العظمى في فصل القضاء .

سيدى رسول الله . بعثك الله عز وجل بالحق على فترة من الرسل في قوم أميين : عقاندهم باطلة ، وأخلاقهم فاسدة ، وروابطهم ممزقة ، وسياساتهم فاشلة ، يعبدون الاصنام ، ويقطعون الأرحام ، ويمدون البنات ، ويشنون لأنفهم الأسباب الحروب والغارات ، وينسكرون فيما ينسكرون البعث والنشور وقيام الناس لرب العالمين ، فأخذت تدعوهم إلى أن الله هو الحق ، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، وأن الله سائلهم عما قدموا في حياتهم الدنيا من عمل . فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره .

دعوت قومك يا رسول الله إلى الحق والخير ، دعوتهم إلى البر وصالح العمل ، على أساس من الإيمان بالله وحده ، فلم يستجيبوا لك وأعرضوا عن هدى الله ، وجأهروك بالعداوة . وبالغوا في إيذائك وإيذاء من آمن بك ، وضائق صدورهم عن دعوتك ، وليكنك وأنت الرموف الرحيم الحليم الرشيد ، قابلت الإساءة بالصبر الجميل ، ولم تزد على أن تقول : اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون .

تحدثهم بما أنزل الله إليك من الكتاب أن يأقوا بمثله فعجزوا . طاولتهم وطلبت منهم أن يأقوا بعشر سور مثله مفريات إن كان مفترى فعجزوا . أرخيت لهم العنان وقلت

فأتوا بسورة من مثله إن كنتم صادقين . - وذلك يصدق بأقصر سورة - فلم يستطيعوا إلى ذلك سبيلا ، وهم يومئذ أساطين البلاغة وأعلام البيان .

هنالك قامت حجة الله البالغة عليهم فلم يستمينوا الرشد ، ولم يفقهوا من الغي ، بل لجوا في طغيانهم يعمهون ، وأمعنوا في العناد والمكابرة واستمروا على الكفر والتكذيب رجاء أن تسكف عن دعوتك ، وتنصرف عن تبليغ رسالتك . فلما أعييتهم الحيل أمام إيمانك وصبرك عرضوا عليك الملك والمال ، فكان الحق أكرم عليك ، وهدايتهم أحب إليك ، وزخارف الدنيا وزينتها تحت قدميك ، حتى قلت كلمتك الخالدة : (والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه) فلما يئسوا لجأوا إلى حجة المبهوت ، وأخذوا يقترحون عليك الآيات كأنها إليك لا إلى الله .

وقالوا لنؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينابيع ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي باله والملائكة قبيلات ، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ، قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا .

وهكذا لم يعتبروا القرآن الكريم آية وهو أكبر الآيات ، ولم يعدوه معجزة وهو أبلغ المعجزات .

وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا نخطه يمينك إذا لارتاب المبطلون ، بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون ، وقالوا لو لا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون .

أجهد القوم أنفسهم في عنادك وتكذيبك يا رسول الله وأنت بهم رءوف رحيم ، وقد كنت فيهم قبل أن تبعث إليهم الصادق الأمين ، والوفى الكريم ، والعاقل الرشيد ، لما خصك الله به من الصدق والأمانة وما طبعك عليه من المروءة والشهامة ، شهد بذلك كبير القوم ورئيسهم أبو سفيان أمام ملك الروم هرقل ، حينما سأله وهو يتحرى عن صدق نبوتك إذ قال له

الملك فيما قال : (هل كنتم تتهمونون بالكذب قبل أن يقول ما قال) قال أبو سفيان : لا . قال هرقل : (ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله) .

دام هذا الصراع العنيف بين الحق والباطل عشر سنوات أو تزيد ، وفي النهاية اجتمع زعماء الكفار من قريش في دار ندوتهم سرّاً ، واتفق رأيهم على أن يجمعوا من كل قبيلة شاباً جلدأً فيضربوا محمداً بسيفوفهم ضربة رجل واحد ، فيتفرق دمه في القبائل ، فلا تستطيع بنو هاشم أن تأخذ بثأره ، ولكن الله جلت حكمته وعلمت كلمته أحبط هذه المؤامرة الدنيئة الفاشلة وقضى على ما دبّروا ويبتوا فكانت هجرته ﷺ ومن معه إلى المدينة المنورة .

كانت الهجرة نقطة التحول في تاريخ الدعوة المحمدية . كانت بداية لنهاية الباطل ودولته ، وقضاء على الطغيان وصولته ، أذن بها للحق أن يتنفس في فضاء الحرية الرحب الفسيح ، وأن يقف للباطل بالمرصاد فيدفع العدوان مثلاً بمنّين ويكيل له الصاع صاعين ، فأصبح الإسلام - وقد كان غريباً بمكة - له دار تؤويه وأنصار تحميه . وهكذا هياً الله بالهجرة للدعوة المحمدية المباركة بيئة صالحة وتربة طيبة فتقبلتها نفوس كريمة برئت من الاضغان والاحقاد وتنزهت عن الجحود والعناد ، فأصبحوا بها أمة قويه مؤتلفة تدعو إلى الله على بصيرة (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) ثم جرى معين الدعوة المحمدية في الأرض تحي موانها وتفت أشجارها فتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، وبها بلغت الإنسانية رشدًا وتحررت من قيودها وأغلاها .

أيها المستمعون الكرام . إن يوم الهجرة يوم عظيم من أيام الله يطالعنا في كل عام فيذكرنا بالجهاد الحق في سبيل الحق ، يذكرنا باقتداء العقيدة بالنفس والاهل والمسال والولد ، يذكرنا برجال خرجوا عن ديارهم لله ، يبعثون الحرية وينشدون في أرض الله الواسعة العزة والكرامة ، يذكرنا كيف يقذف الله الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ، وكيف يتنهر الصلاح على الفساد والحرية على الاستعباد ، يذكرنا رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه أو ذوا في سبيل الله فصبروا ، ففتهم المشركون عن دينهم فما لانوا ، ففتن أهل الجبت والطاغوت في تعذيبهم وإيذائهم فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا ، يذكرنا

هذا اليوم الكريم بتلك المدنية الفاضلة التي أقامها المسلمون على أساس من دينهم وهدى نبيهم يوم أن كانوا قادة الأمم ، وفي جميع شئون الحياة مضرب المثل .

وفي الحق إن في الشريعة الإسلامية العلاج الباجع والدواء الشافي من مشاكل الحياة فيها تهذيب للنفوس وتأليف للقلوب وقضاء على الأمراض الاجتماعية . فيها ما يحقق الأمن والطمأنينة وينشر ألوية السلام في مشارق الأرض ومغاربها .

أيها المسلمون لنأخذ العبرة من حادث الهجرة ، فتواصى بالحق وتواصى بالصبر وتنفانى في نصرته المثل العليا والمبادئ القوية ، وتعاون على البر والتقوى ، وتدعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، ولتتخذ من رسالنا الأعظم وسلفنا الصالح القدوة الطيبة والمثل الكريم في نصرته الحق وأهله وإعلاء كلمة الله . ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز .

والأمل في الله كبير أن يوفق قادتنا الأحرار أبطال ثورة مصر الذين ثاروا على الاستبداد وحطموا قيود الاستعباد وأنوا في زمن وجيز بما لم يأت به الأوائل ، في أجيال عديدة وآماد بعيدة ، وأن يكمل بالنجاح مسعاهم ، ويسدد خطاهم ، لجمع شمل المسلمين وتوحيد كلمتهم ، والمساهمة في بناء السلم العالمي ، وإرساء قواعد الأمن الدولي ، وها هي ذى أعمالهم المجيدة بادية للعيان متجددة في كل آن ، لسان صدق وشاهد عدل .

وهذا هو المؤتمر الإسلامي الذي تنظمه الثورة وتقوم بأعبائه وهو تمرر باندنخ وإعلان قراراته وموقف السيد الرئيس (جمال عبد الناصر) من هذه القرارات وتسييره مهمة ذلك المؤتمر مما كان موضع الإعجاب والتقدير من ذوى الرأي في أنحاء العالم ، كل أولئك يبشر بتحقيق ما نرجوه للأمم الإسلامية وما يحاورها من الأمم الأخرى ، حتى ينعم العالم كله بسلام دائم ، وإخاء إنساني كريم ، قوامه الإخلاص والتعاون والمحبة والوئام .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الكتب

(المقنع) لابن قدامة — والحاشية عليه

نشره سمو الأمير علي بن عبد الله بن ثاني أمير قطر — ١٨٣٠ صفحة — المطبعة السلفية

موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (٥٤١ — ٦٢٠) من أعلام فقهاء مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، وقد نفع الله الناس بكتابه (المغني) الذي يعتبر من أهم كتب الفقه الإسلامي . وكان ابن قدامة قد ألف كتابه (العمدة) للببتدين مقتصرأ فيه على المعتمد في المذهب ، ثم ألف (المقنع) فأطلق في كثير من مسائله روايتين ليتعود قارئه ترجيح الروايات ، وألف بعده (الكافي) في أربعة أجزاء وفيه من الأدلة ما يؤهل الطالب للعمل بالدليل ، وختم هذه السلسلة الذهبية بكتابه (المغني) في عشرة أجزاء ذكر فيه المذاهب والأدلة ليؤهل الطالب لطرق الاجتهاد .

وقد وفق الله حاكم قطر سمو الشيخ علي بن عبد الله بن ثاني لطبع (المقنع) طبعة أنيقة في ثلاثة مجلدات ، وعليه حاشية نفيسة منقولة من خط الشيخ سليمان بن الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب مجدد شباب الإسلام في جزيرة العرب ، وهذه الحاشية غير منسوبة لأحد ، والظاهر أن الشيخ سليمان هو الذي جمعها ، وهي تمتاز ببيان مذاهب الصحابة والتابعين في مسائل الفروع عند ذكر كل مسألة للصحابة فيها قول معروف ، هذا فضلا عن الإشارة إلى مذاهب التابعين وأئمة الفقه المعروفين .

والمقنع مختصر اسمه (زاد المستقنع) للشيخ شرف الدين أبي النجاء هو العمدة الآن في تدريس الفقه على مذهب الإمام أحمد ، مع الاستعانة بشرحه (الروض المربع) للشيخ منصور البهوتي . وإن طبع (المقنع) الآن مع هذه الحاشية مما يعين في تدريس مختصره (زاد المستقنع) . فترجو الله أن يجزل ثواب حاكم قطر على هذه الخدمة العلمية للفقه والشريعة الإسلامية ، وأن يوفقه إلى إحياء أمثال هذه الكتب النافعة .

تاريخ حلب — لابن العديم

بتحقيق الدكتور سامى الدهان — جزءان ٨٥٠ ص — المعهد الفرنسى بدمشق

من متمات تاريخ العرب والإسلام الكتب العظيمة التى صنفها علماءنا فى التراجم ، والكتب الأخرى الجليلة التى ألما فيها بتواريخ المدن وعمرانها وأحداثها ومن أنجبهم من رجالها . وكلما تمكن الناشرون من إحياء النصوص القديمة فى التراجم وتواريخ البلدان استنار تاريخنا السياسى والاجتماعى والعلمى وبدأت محاسن الدارسين والباحثين .

وكالمدن أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن العديم (٥٨٨ - ٦٦٠) مؤلف هذا الكتاب من أعلام رجال الأمة العربية فى النصف الثانى من القرن السادس والنصف الأول من القرن السابع ، عاصر طبقة القاضى ابن خلكان والقفطى وياقوت وابن شداد ، ونوهت به وبأسرته أمهات الكتب ، ولا غرو فقد كان فى الطبقة العليا من أعيان البيان ورجال الدولة وحلة العلم وأعلام الأدب . وكتابه هذا (زبدة الحلب من تاريخ حلب) ثانى اثنين فى موضوعه للمؤلف ، فالزبدة مرتب على أزمان الدول المتعاقبة ، وله قبله كتاب آخر اسمه (بغية الطلب فى تاريخ حلب) قال عنه ابن كثير انه فى نحو أربعين مجلداً وهو كتاريخ دمشق لابن عساكر وتاريخ بغداد للخطيب البغدادى مرتب على الحروف . وقد اتخذهما مرجعاً أكثر الذين ألفوا فى تاريخ الحروب الصليبية ولا سيما من المستشرقين كالمؤرخ برترو وتليذه سلفستردى سائى وفيليكى وميشو وفريتاغ ومولر ودى مينار وبلوشه وكانار وهونيغان وأخيراً الاستاذ جان سوفاجه .

ولما أراد أخيراً المعهد الفرنسى بدمشق للدراسات العربية أن ينشر كتاب زبدة الحلب لابن العديم عهد بتحقيقه إلى صديقنا الدكتور السيد سامى الدهان قبذل فى ذلك جهداً عظيماً ولم يدع شاردة فيما يتعلق بكل فقرة من فقرات الكتاب إلا ألم بها ، والكتاب جدير بذلك لأنه كما قال عنه الناشر : لو أراد محدث أن يكتب منصفاً فى التاريخ الإسلامى لهذا البلد وحروبه ضد الروم والصليبيين لم يضعه إلا كما صنع ابن العديم .

وقد ازداد الكتاب بالفهارس المتقنة للأعلام والبلدان والكتب والمراجع والخلفاء والدول وللسنين الهجرية مقارنة بالسنين الميلادية ، هذا عدا فهرس أبواب الكتاب ومحتوياته والصور الجليلة لنماذج من مخطوطات باريس التى اعتمد عليها فى النشر ، ونموذج لخط ابن العديم منقولا عن تذكرته . وبذلك حل كتاب ابن العديم فى الموضوع الممتاز من المكتبة العربية .

ثلاث رسائل لأبي حيان التوحيدى

بتحقيق الدكتور إبراهيم السكيلانى - ٨٨ ص - المعهد الفرنسى بدمشق

يقول ياقوت الحموى (فى معجم الادباء) إن أبا حيان التوحيدى « فرد الدنيا الذى لا نظير له ذكاه وفطنة وفصاحة ومكنة » ، ويقول آمزى فى كتابه (الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى) : « ربما كان التوحيدى أعظم كتاب النثر العربى على الإطلاق » .

وكان التوحيدى يرى فى نفسه أنه عاش مغموطا ، ولذلك أحرق فى أواخر أيام حياته كتبه فلم يسل منها إلا الذى كتب عنه فى حياته وخرج قبل أن يحرق التوحيدى الاصول التى كانت تحت يده . ومن كتبه التى بقيت : الامتاع والمؤانسة ، والإشارات ، والهوامل والشوامل ، والصداقة والصدى ، والمقابسات ، ورسالة العلوم .

وبين يدينا الآن ثلاث رسائل أخرى له نشرها المعهد الفرنسى بدمشق للدراسات العربية بتحقيق الدكتور إبراهيم السكيلانى وهى (رسالة السقيفة) و (رسالة فى علم الكتابة) و (رسالة الحياة) ، وكل رسالة من هذه الرسائل تكشف ناحية من نواحي النشاط الفكرى والفنى لأبي حيان التوحيدى وتساعد على تفهم القضايا العقلية والتيارات الفكرية التى تأثر بها فى عصره أو شارك فيها ، والرسالة الأولى طبعت عن مخطوطة الاسكوريال رقم ٥٣٨ مكتوبة بخط مغربى سنة ٧٨٥ ، وعن مخطوطة دار الكتب الظاهرية رقم ٣٤٠ بمجاميع وكانت من كتب أحمد أعيان بيت القوتلى ، وعن مخطوطة السيد محمود حمزة مفتى دمشق وهى حديثة .

ورسالة الكتابة خاصة بمهنة الوراقه التى زاوها التوحيدى ، وقد طبعت عن مخطوطة مكتبة فينه ومنها نسخة مصورة فى مكتبة جامعة القاهرة رقم ٣٤٠٩٠ وتعتبر هذه الرسالة من أقدم ما نشر عن الخطوط العربية وقواعدها وأنواعها .

أما الرسالة الثالثة (رسالة الحياة) فهى فى الفلسفة والنصوف على شاكله البحوث التى طرقتها المؤلف فى كتابه المقابسات ، وقد طبعت عن مخطوطة مكتبة شهيد على بالقسطنطينية رقم ١١٨٦ وهى مكتوبة بخط فارسى سنة ٩٧٣ .

وقد زينت هذه المجموعة بصور لنماذج من الاصول التي طبعت عنها ، وبآخرها فهرس للأعلام ، ولأسماء الكتب الواردة في رسائل التوحيد والتعليق عليها ، وبيان للمصادر التي استعان بها الدكتور إبراهيم الكيلاني في تحقيق هذه الرسائل .

* * *

القواعد والتطبيقات

في الإبدال ، والاعلال ، والادغام

علم الصرف يكاد يكون هو العنصر المغموط في عالم التأليف بين عناصر اللغة العربية ، مع أنه الأساس الذي تبنى عليه ، بل هو الهندسة التي تفننت بها سجايا العروبة في بناء أجمل لغات الإنسان منذ خلقه الله ناطقا إلى أن تقوم الساعة .

وكتاب القواعد والتطبيقات في الإبدال والاعلال والادغام كتاب مدرسي منظم جامع ألفه الأستاذ عبد السميع شبانه من أسرة التعليم في كلية اللغة العربية ، وقد عرف الطلبة قدره فأعاد طبعه في هذا العام وضم إلى مزايا الطبعة الأولى تعليقات تهم الباحث المنقب ، تفصل بجمل أو توضح رأيا مخالفا ، وأكثر من التطبيقات عقب كل قاعدة تثبيتا لها وتمكيناً في ذهن القارئ ، وشفع بعض الأسئلة بالإجابة كي يسار على ضوءها ، وأعاد ذكر الأمثلة في القاعدة حتى لا يتشعب ذهن القارئ ولا يتشتت بصره ، وعنى بالإجمال والتلخيص بعد البسط والتفصيل إذ أردف كل موضوع بملخص موجز حتى يجد فيه المستقصى بغيته والمستوفز بمجالاته .

والكتاب في ١٦٠ صفحة من قطع هذه المجلة ، فنحث الطلبة على الإفادة منه .

* * *

وزارة الشؤون الاجتماعية

نشأتها . تطورها . خدماتها

أصدرت وزارة الشؤون الاجتماعية المصرية كتاباً في التعريف بها ، وبالاطوار التي

مرت عليها منذ أنشئت في ٢٠ أغسطس سنة ١٩٣٩ ، والادارات العامة التي تتألف منها ، والخدمات التي تقدمها في الرعاية العمالية ، وإقامة بلياتنا التعاوني ، والخدمات الريفية ، والمساعدات الاجتماعية في توجيه النشاط الاهلي ، ورعاية الشباب ، والاسكان الشعبي ، وعلاقة الوزارة بالامم المتحدة وهيئاتها المتخصصة ، وعلاقتها بالهيئات الاجنبية ، وتطور ميزانية الوزارة ومقارنتها بميزانية الدولة .

وقد قام بإعداد هذا الكتاب الاستاذ حسين كامل مدير مكتب الوزير والاستاذ فؤاد كمال حسين بإدارة التتبع والتقييم والاستاذ مدحت حمدى بإدارة العلاقات العامة والاستاذ أحمد عبد العزيز داود ، بإدارة البحوث الفنية .

والكتاب في ٢٣٥ صفحة من قطع صفحات هذه المجلة ، وهو عمل مفيد عسى أن يصدر مثله عن الوزارات الاخرى .

* * *

التفسير الواضح

أتم فضيلة الاستاذ الشيخ محمد محمود حجازى من علماء الأزهر الشريف كتابه (التفسير الواضح) فاصدر الاجزاء الثلاثة الاخيرة على غرار الاجزاء السابقة في الجمع والايجاز والتنقيح . فجاء التفسير في ثلاثين جزءا كل جزء من أجزاء القرآن الحكيم مفسر بجزء من أجزاء هذا الكتاب وعسى أن يواصل المؤلف خدمته للقرآن وعلومه بهذا الاسلوب المبسط الذى يحبب كتاب الله إلى شباب الامة وجماهيرها ، ممن لم يألوا النوسع في السكتب القديمة والله الموفق .

الذيل على طبقات الحنابلة — لابن رجب

بتحقيق هنرى لاوست وسامى الدهان — الجزء الاول — المعهد الفرنسى بدمشق .

تفرغ الاستاذ هنرى لاوست منذ أكثر من عشرين عاما لدراسة السلفية الاسلامية وحياته رجالها ، فأصدر بالفرنسية رسالة عن الحركة السلفية وكتابا عن حياة شيخ الاسلام ابن تيمية نشرهما المعهد الفرنسى فى الظاهرية . وهو يصدر الآن بالاشتراك مع الدكتور سامى الدهان الجزء الاول من الذيل الذى ألفه الحافظ ابن رجب المتوفى سنة ٧٩٥ وأكمل به طبقات الحنابلة للقاضى أبى يعلى الفراء المتوفى سنة ٥٢٦ .

وطبقات أبى يعلى لم تفسر بعد ، غير أن المكتبة العربية فى دمشق كانت قد نشرت مختصرها للنايسى .

والذيل الذى ألفه الحافظ ابن رجب يبتدىء بأصحاب القاضى أبى يعلى من سنة ٤٦٠ ، وقد رتبته على الوفيات فقدم من توفى قبلا على من توفى بعد واستقصى ما وجدته فى المصادر المؤلفة إلى زمنه مع عزو كل خبر إلى المصدر الذى نقله عنه ، فجاء أوسع كتب التراجم لفقهائ الامام أحمد وعلماؤه حتى سنة ٧٥١ .

وهذا الجزء الاول من تذييل ابن رجب على طبقات أبى يعلى يشتمل على تراجم علماء المذهب الذين توفوا فيما بين سنتى ٤٦٠ و ٥٤٠ ، وسيأتى فى الاجزاء الاخرى تراجم من توفى بعدهم إلى سنة ٧٥١ .

وقد اعتمد فى تحقيق هذه المطبوعة على مخطوطة دار المكتبة للظاهرية بدمشق رقم ٦١ تاريخ ، ومخطوطة مكتبة كوبرلى فى القسطنطينية رقم ١١١٥ ، ومخطوطة أخرى بدار المكتبة الظاهرية رقم ٦٠ تاريخ وهى مكتوبة بخط أحد تلاميذ الحافظ ابن رجب أو نقلت عن نسخة كتبها أحد تلاميذه .

وزين هذا الجزء بصور شمسية لنماذج من هذه المخطوطات ، وألحق به تسع فهراس للأسماء والسكنى والابناء والانساب والبلدان والمكتبة والمراجع والمترجمين والمحتويات المكتبة . وإن المكتبة العربية فى انتظار ظهور بقية هذا الكتاب النفيس .

الأدب والعلوم

سرح الترهيب وسرح الجيش

افتتح وزير التربية والتعليم حلقة الدراسات الصيفية لمفتشى المدارس الابتدائية ونظارها بمبنى كلية التجارة بجامعة الاسكندرية، ومما قاله : إن مستقبل الوطن والثورة والاجيال المقبلة يتوقف على ما يقوم به المعلمون من تربية هذا الجيش من أبناء الشعب وتعليمه ، وإذا كان أخى اللواء عبد الحكيم عامر يبذل ما يستطيع من جهد لتدريب القوات المسلحة وتجهزها بأحدث الوسائل ليكون جيش مصر مستعدا للغلبة والنصر ، فإن يدى فى أيديكم لتعمل باستمرار حتى نعد جيشنا لدعم هذا الوطن وثورته التى تهدف إلى تهئية الحياة العزيزة الكريمة لشعب أبى باسل .

توزيع الأقسام فى الجامعات

قال الدكتور محمد كامل مرسى مدير جامعة القاهرة ورئيس المجلس الاعلى للجامعات المصرية : بحثت لجنة التعليم الجامعى موضوع توحيد الأقسام المتماثلة فى الكليات المختلفة

قرأت أن هذا التوحيد من الوسائل القوية لتقدم الدرس والبحث ، وأن التعارف بين الأقسام المتماثلة فى جامعتى القاهرة والاسكندرية أمر لا مناص منه ، أما الجامعات التى لم تستكمل نموها كجامعة عين شمس والتى لانزال فى طريقها إلى الإنشاء كجامعة أسيوط فن الممكن توحيد الأقسام المتماثلة فيها ، وذلك ما درجت عليه الجامعات الأوروبية والأمريكية ، وقد نجحنا فى توحيد الدراسات فى جامعاتنا الثلاث حيث لا توجد فى كل منها الامكانيات اللازمة لدراسة بعض المواد ، فركزنا دراسة الآثار والارصاد فى جامعة القاهرة ، كما ركزت فى كلية العلوم بجامعة القاهرة دراسة علم الحشرات ، وترك فى الجامعاتين الاخرين القدر اللازم منها لاستكمال دراسات المواد المتصلة بها ، وعنيت جامعة القاهرة بضم الدراسات المتماثلة بجعلها فى الكلية التى استتمت عناصرها ، فعهد بدراسة الإنكليزية والفرنسية والالمانية وغيرها إلى كلية الآداب ، وعهد إلى قسم الجغرافيا بكلية الآداب بالتدريس والإشراف على هذه المادة فى كليات التجارة والحقوق وغيرهما

المدارس السعودية الجديدة نحو ثلاثة ملايين ريال عربى .

مكتبة سجن مصر

كانت لائحة السجون المصرية تحرم على المسجونين القراءة فى السجن إلا بإذن خاص ولما حكم على الصحفى الفرنسى ريشارد دى ديه والمؤرخ كليان عبد الواحد فى قضية تهريب الاموال اليهودية من مصر إلى الخارج استأذن كليان عبد الواحد باحضار سلسلة كتب اقرأ إلى السجن للتسلى بمطالعها ، ثم خطر على باله - لكثرتها - أن يتبرع بها للسجن ليطالع فيها المسجونون ، وبلغ هذا الخبر القائم مقام أنور السادات فتذكر أيامه فى سجن مصر فأهدى إلى السجن مجموعة من الكتب ، كما أهدت دور المكتب والنشر طائفة أخرى من مطبوعاتها ، وهكذا تكونت لسجن مصر مكتبة لا بأس بها ، احتفلوا بافتتاحها وأقاموا عليها من المسجونين المثقفين أمينا . وتطوع الصحفى الفرنسى بتعليم الفرنسية للمسجونين من الطلبة والموظفين ، وبلغ الخبر السفارة الفرنسية فأهدت لهذا الغرض طائفة من الكتب الفرنسية . وعلمت السفارة الامريكىة بذلك فأبدت استعدادها هى الاخرى لتقديم مجموعة من الكتب الامريكىة وأرسلت فعلا إلى سجن مصر عددا ضخما من الكتب .

وروى أن تركز دراسة اللغة العربية والدراسات الشرقية فى كلية دار العلوم وأن يطلق عليها اسم (كلية اللغة العربية والدراسات الشرقية) وسيكون بها قسم اللغة العربية ، وقسم العلوم الإسلامية ، وقسم الدراسات الشرقية .

العلم الذرى

يستخدم فى الآثار والتاريخ

ينتظر أن يستخدم العلم الذرى فى تحديد تاريخ لأصل الاشياء بعد أن تبين أن المادة الحية فى شتى صورها تمثل عن طريق الجرام من الكربون نفس الكمية من الكربون المشع ويبدأ تمثل الكربون المشع فى الاختفاء بمقدار ٥٠ فى المائة كل ٥٥٦٨ عاما ، فقطعة من شجرة أو كرسي قديم عمر كل منهما ٥٦٠٠ عام مثلا يكشفان عن نصف الإشعاع لمادة عضوية حية ، وبذلك سيتمكن تحديد تاريخ ما يعثر عليه من آثار البشر بما يشبه اليقين .

المدارس السعودية

أمر جلالة الملك سعود بإنشاء ثلاثمائة مدرسة ابتدائية وثانوية فى منطقة جيزان من مقاطعة عسير فيما بين اليمن والحجاز ، وتبلغ نفقات إنشاء هذه المجموعة الضخمة من

إنباء العالم الإسلامي

الطاقة الذرية في مصر

قضية شمال إفريقيا

اهتمت الحكومة المصرية باستخدام الطاقة الذرية لما لها من أهمية علمية وصناعية كبرى فألفت لجنة في رئاسة مجلس الوزراء ، واعتمد المجلس برنامج السنوات الخمس ، وأعلن الرئيس جمال عبد الناصر في خطابه المضاني الذي ألقاه مساء ٢٢ يولييه أن الوزارة اعتمدت في ميزانية هذا العام مبلغ ربع مليون جنيه - من أصل مليون جنيه - لتنفيذ هذا البرنامج . وقد أنشئ مركز للنظائر المشعة . والعلاج الطبي ، وأرسلت بعثات جيولوجية إلى الصحارى المصرية للبحث عن الخامات الذرية ، وتم وضع مشروع لإنشاء معمل للطبيعة النووية . وأن مصر تحرص على المشاركة في المجال الدولي للدعوة إلى التقدم العلمى السلمى فى الطاقة الذرية لاستخدامها فى توليد الكهرباء وإقامة أسباب العمران بالبلدان المختلفة ، وهى تتعاون فى هذا الشأن مع الدول الصديقة المحبة للسلام .

قال الرئيس جمال عبد الناصر لمندوب صحيفة (پارى پريس) لقد حان الوقت الذى يجدر فيه بمصر وفرنسا أن تفهم كل منهما الأخرى فيما يتعلق بمشكلات شمال إفريقيا . إن شمال إفريقيا جزء من العالم الإسلامى ، وهو عالمنا . ومهما تسكن أوجه الخلاف فإن علينا دورا لا مهرب منه فى إفريقيا . وقد حان الوقت كذلك لتقضى على الخوف الذى تستشعره شعوب شمال إفريقيا ، ونحن نرغب فى أن نوجه إلى هذا الأمر أكثر جهدهنا . فن وجهة التضامن الإسلامى نعتقد أن الاتفاقات التوفسية ليست مرضية تماما ، ولكنها قد تدر خطوة فى سبيل الاستقلال . ومن واجبتنا أن نهيء الدوائق فرصة لتحتيا ، إذ ينبغي أن تصبح نقطة تحول جديد فى العلاقات مع شمال إفريقيا .

ثم قال : لماذا لا أستوحون حلا مماثلا للحل الذى توصلت إليه بريطانيا لمشكلة الهند ؟ إننى لاحظت أنها محبوبة من الهنود ، ولمست هذا فى خلال رحلتى الأخيرة ، ولم تسكن بريطانيا تتمتع بتلك المنزلة من قبل .

إسرائيل وروسيا

عاد وفد مجلس النواب السورى من روسيا وتحديث أعضائه إلى مندوب جريدة (الجمهورية) عن موقف روسيا من إسرائيل وما قالوه :

لما وصلنا إلى موسكو وضعنا نصب أعيننا قضية الاستعمار فى بلادنا ، والآن لا نستطيع أن نقول إننا أدينا مهمتنا كاملة ، فقد كنا نريد أن نسمع من رجال الاتحاد السوفيتى رأيهم فى إسرائيل ، فلم نستطع الظفر بأى وعد أو شبه وعد أو حتى بإيضاح . لقد سمعوا منا الكثير عن إسرائيل ، واكتفوا بالصمت ولسان حالهم يردد : تحدثوا بكل شيء عدا إسرائيل .

وقال لهم الدكتور عبد الوهاب - وهو أستاذ جامعى وعضو حزب الشعب ، وصاحب ميول اشتراكية معروفة - فقال : نريد أن نخاطبكم بصراحة لتعرفوا حقيقة مشاكلنا ، إننا نحارب الاستعمار فى بلادنا كما نحارب الشعوب الحرة ، وقد أقام الاستعمار إسرائيل لتكون رأس الجسر له لضرب العالم العربى ، والعرب نكبوا بهذه الدولة الداهية التى أصبحت بمثابة السرطان فى قلوبهم ، فهى قاعدة الاستعمار ، وقد أقيمت فى الشرق العربى خصيصا ، فكلما حاول هذا الشرق

الوقوف بوجه الغرب تحركت إسرائيل ، وإذا وقف بوجه شركات البترول ونفوذها برزت إسرائيل ، وإذا اتبعوا سياسة الحياد اعتدت إسرائيل على الحدود ، وإذا طالبوا بتحرير المغرب العربى سلطوا إسرائيل .

وقال أحد الأعضاء ، مخاطباً رجال السوفيت : إن الشرق لن يبدأ وإسرائيل موجودة ، هذه حقيقة يجب أن يلمسها كل رجل فى العالم إن إسرائيل هى الحيوان الذى يركبه الاستعمار ، وكلما شعر الراكب بالخطر همز الحيوان فى خواصره فتحرك .

قال النواب السوريون - هذا للمرشال بولجانين ولرجال السوفيت ، وانتظروا الجواب ، فكان الصمت مخيباً لآمالهم . لم ينبث أحد منهم ببنت شفة وفضلوا الصمت...

تطهير فى الصحافة

علمت جريدة الاهرام أن المجلس الأعلى لرعاية الشباب يدرس - جدياً - موضوع التوسع الملحوظ فى الصحافة فيما تنشره من أنباء الفسق والفجور والآثر السيئ لذلك فى محيط الشباب والاسر . وتقول الاهرام : ان النية تنبج إلى مطالبة الجهات المختصة بوضع (تشريع عاجل) للحد من هذه الظاهرة التى تفاقمت فى السنوات الاخيرة وكانت موضع نقد شديد من بعض ذوى رأى .

مصر

في مفردات تحرير اندونيسيا

احتفلت الجمهورية الإسلامية اندونيسيا يوم ١٧ أغسطس (٢٨ من ذى الحجة) بذكرى تحرير هذا الوطن الإسلامى العظيم وقد اشتركت مصر فى هذا الاحتفال بصفتها الوطنية والإسلامية ، فندبت قائد الجناح جمال سالم نائب رئيس الوزراء ، والاستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ليمثلا مصر فى هذه الذكرى العزيرة .

وفى الساعة السادسة من صباح يوم السبت ٢٤ من ذى الحجة (١٣ أغسطس) غادر هذا الوفد المصرى الإسلامى مطار القاهرة الدولى مودعاً من الرئيس جمال عبد الناصر وجماعات كثيرة من علمية المصريين والأزهريين وفى منتصف الساعة الثانية عشرة وصلت الطائرة عاصمة العراق ، وبعد الظهر استأنفت البعثة سفرها بالطائرة ، وبعد ست ساعات هبطت الطائرة فى مطار كراشى عاصمة باكستان ، وبعد ثمانى ساعات بلغت رانجون عاصمة بورما ، ومنها إلى بانجوك عاصمة سيام . وفى كل مطار كان الوفد المصرى يستقبل بحفاوة وإجلال من يمثل الدول التى مرت الطائرة بمطاراتها ومن أعيان المسلمين فيها .

وفى بانجوك أقام رئيس وزارتها للوفد المصرى مأدبة عشاء وحفلة ساهرة كبرى ، وأهدى رئيس وزراء سيام إلى السيد نائب الرئيس ، وإلى الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر هديتين ثميتين .

وفى مساء الاثنين ٢٦ ذى الحجة (١٥ أغسطس) وصل الوفد المصرى إلى جاكرتا وكان فى استقباله فى المطار رئيس مجلس الوزراء الاندونيسى وكبار موظفى الحكومة . وصرح قائد الجناح جمال سالم بأن صلات الصداقة بين مصر ولاندونيسيا أصبحت موضع الحسد من جانب الدول الأخرى ، وقال إن مصر كانت أول أمة اعترفت باستقلال اندونيسيا .

وفى اليوم التالى زار الوفد المصرى البرلمان الاندونيسى فكان فى استقباله رئيس مجلس النواب ونائب الرئيس وكبار الشخصيات الاندونيسية ، ثم شهد الحفلة التى أقيمت لإيداننا بانتهاء أعمال (مؤتمر جميع الاندونيسيين) .

وقد مثل هذا الجزء للطابع فى خلال مهرجانات أندونيسيا لذكرى تحريرها من الاستعمار الهولندى الذى كان أقدم استعمار جثم به الغرب على صدر الوطن الإسلامى الأكبر .

الجيش السعودى

قام الجيش السعودى بالبحر يوم السبت ١٦ ذى الحجة بعرض عسكري فى جدة بهذه قائده الاعلى جلالة الملك سعود ونحو ١٥ ألف مدعو من كبار الحجاج ، واستغرق العرض ثلاث ساعات ، فكان محل إعجاب الجميع . وقد ألقى جلالة كلمة قال فيها :

« إن الجيش فى كل دولة معقد آماله . ولقد أعلننا مرات عديدة عزمنا على تقوية الجيش وخصصنا له من ميزانية الدولة النصيب الاوفى ليستكمل قوته ويستوفى عدته حتى لا يبقى اطامع فى بلادنا مطمع . يا رجال الجيش ! اننا نعلن لكم عن اغتباطنا بما شاهدناه من تقدم محسوس فى تنظيمكم وتدريبكم ، وفى تسليحكم ومعداتكم ، وفى مدارسكم وقواتكم . وقد لمسنا فرقاً كبيراً واضحاً عن العام الماضى فسيروا الى الامام وعلى بركة الله . وأوصيكم بالتمسك بدينكم ، فإن تمسكنم بالدين استحوذتم على جميع الفضائل . فتنينوا مواضع الخير ، وتجنبوا ما نهى الله عنه ، فالدين يدعوكم الى التحلى بمكارم الاخلاق والبسالة والى الاخلاص والطاعة ، ويحشمكم على أداء الواجب والنضحية فى سبيل الله ويهديكم سواء السبيل . »

الثورة الجزائرية

أعلنت القيادة السرية لجيش الثوار فى الجزائر أنها على اتصال وثيق الآن بقيادة الثوار فى المغرب الاقصى ، وأنها تعملان معا لتحرير شمال إفريقيا كله ، ووصفت القيادة الفرنسية هجوم الجزائر بأنه كان منظماً تنظيماً عسكرياً غريباً ، وقد اشتركت الطائرات والدبابات والسيارات المصفحة فى سحق أصحاب البلاد الشرعيين الذين ضاقوا ذرعاً بهم—هذا الضيف الاجنبى الثقيل .

وقد شن الثوار هجومهم على القوات الفرنسية فى ٢٥ مدينة وقرية فى شمال الجزائر وبلغت جرأة الثوار حدا جعلهم يهاجمون مراكز البوايس وتمكنات الجيش ومحطات السكة الحديدية . وكان الشعب يعاونهم بالقنوس والسكاكين والبنادق القديمة . وثار الاهالى فى مدينة فيليب فيل ، ودارت رحى معارك عنيفة .

وقد مثل هذا الجزء للطبع والثورة مندلعة فى شمال إفريقيا وحتى فى طنجة التى هى منطقة دولية . وإن الحامسة فى تطوان والمنطقة الاسبانية من المغرب لا تقل عن الحامسة فى المغرب الفرنسى والجزائر . ولعل وقوف أمريكا وأوروبا وقفة المنفرج على الهمجية الاستعمارية فى هذه البقعة من العالم الإسلامى ناشئ عن كونها بلاداً إسلامية . فإلى الله المشتكى .

بربر المغرب الأقصى

كان الفرنسيون باستغلالهم حماقة الجلاوى وخيائته يوهمون رأى العام العالمى أن البربر كلهم قد خانوا الله ورسوله بتأييد الاستعمار فى بلادهم . ولسك البربر فى المغرب الأقصى استطاعوا أن ينظفوا سمعتهم وبرئوا ذمتهم من هذه السمعة السيئة التى كادت تطفى على الحقيقة ، فانضمت قبائل الزيانيين الى كتائب الوطنيين المغاربة فى الإعراب عن رغبة الشعب فى عودة سلطانه الشرعى محمد بن يوسف ، ونكتب هذا والقتال ناشب على أشده فى جبال الاطلس والمناطق البربرية ، وأن الفرنسيين يستخدمون طياراتهم ودباباتهم وأساطيلهم البحرية فى مقاومة فرسان البربر الذين أحرقوا بلدة وادى زم أنشاء مذابح واح مئات الاوربيين ضحايا فيها ، ونزلت قوات جنود المظلات الفرنسية على الجبال عندما أعلن أن الفين من فرسان البربر احتلوا خنيفرة وهاجوا مطارها وحاولوا تدمير الطائرات التى فيه .

سياحة مصر الاقتصادية

أشاد بنك ناشوال سيقى أوف نيوبورك - وهو أكبر البنوك الأمريكية - بالهضة الاقتصادية التى شهدتها مصر بعد الثورة ، فقال فى نشرته السنوية الرسمية : ان الحكومة

المصرية واجهت مشكلة الانتاج الزراعى بتوفير المياه ، وتحسين الإنتاج ، وقانون الإصلاح الزراعى الذى سيستفيد منه نحو مائة ألف مزارع . وتعمل الحكومة على زيادة الإنتاج الصناعى ، وإيجاد الصناعات الجديدة . وقد نجحت فى موازنة ميزانها الحسابى ، وتحسين ميزانها التجارى .

فى السجون السعودية

نقل الصحفي العراقى المشهور السيد طه الفياض العائى فى كتاب أصدره أخيراً بعنوان « حقائق عن الوضع فى المملكة العربية السعودية » ، البيان الآتى الذى سمعه من لسان جلالة الملك سعود :

« عملت لإحصاء للسجونيين فى المملكة السعودية فوجدتهم ١٤٢ سجينة ، تبين أن منهم ٨٠ سجيناً لأنهم مدينون لأشخاص آخرين ، ولما تبين لنا عسرهم سدد عنهم ديونهم بيت المال وأخرجوا من السجن ، وبقي ٦٢ سجينة هم إما من المتلاعبين بحقوق الناس وإما على بعضهم حد شرعى ، .

ثم قال جلالاته : نحن لا توجد عندنا سجون ، ولا توجد عندنا بطالة ومن يحاول الإفساد نقيم عليه الحد الشرعى ونتركه يذهب لحاله .

فرنسا تنفجر

بالبطائرات والمدافع الرشاشة والصواريخ وقاذفات اللهب وقد قضى على ثلاث مدن كان يقيم فيها الاوربيون . وحاصر المراكشيون الحى الاوربى فى كنترا ويحاول السكومانندو الفرنسى مقاربتهم واعترفت فرنسا بأن القتلى زاد عددهم على الالف ، والانسانية التى يزعم الامريكيون والاوربيون أنهم سدنتها فى الأرض وافقة تنفجر .

بغى آخر من إسرائيل

دبرت إسرائيل يوم ٢٢ أغسطس اعتداء جديدا على قطاع غزة استخدمت فيه عربات مصفحة تعاونها نيران مدافع الهاون الثقيلة فقابلتهم القوات المصرية بالمثل واستمرت المعركة أكثر من ساعتين ، وضرب المجاهدون المصريون أروع الأمثلة فى البطولة ، ففقد المعتدون خمسة قتلى ، واحترقت إحدى العربات المصفحة ولم يعرف عدد الجرحى . وخسر المجاهدون ثلاثة قتلى أحدهم ضابط وأصيب أربعة من الرتب الأخرى بجراح خفيفة ، وعادت القوة الإسرائيلية الباغية تجر أذيال الفشل وخيبة الأمل

وقد وصفت صحيفة (نيويورك تايمز) هذا الاعتداء من إسرائيل بأنه أحد الأحداث (الملعونة) التى لاداعى لها . وقالت : إن عناصر الاضطرابات لسنين كثيرة مقبلة توالدت بسبب (الاسس) التى بنى عليها الموقف !

وافقت بداية العام الهجرى الجديد الذكرى الثانية لإحدى حماقات الاستعمار الفرنسى فى المغرب ، وهى حماقة اعتقال سلطان البلاد الشرعى ، فازداد لهيب الثورة القائمة فى تلك البلاد الطيبة ، وكانت المغاربة قد قرروا الإضراب العام عن العمل فى يوم هذه الذكرى فنفذ قرار الإضراب فى نطاق واسع فى جميع مدن المغرب وفى طليعتها الرباط وفاس والدار البيضاء وسلا ومراكش ، وكان الفرنسيون المتوطنون فى المغرب يتحشرون برجال المظاهرات ، وأطلق بعض الفرنسيين الرصاص على الأهالى من نوافذ المنازل ، فاندلعت نيران الثورة التى تأججت فى مناطق البربر أيضا ، وجاء من وادى زم أنه قتل ٥٠ أوريبيا وأن عدد الجرحى كبير جداً ، وامتدت الثورة إلى جنيفرة والخربيقية وخرجان ، واعترفت فرنسا بأن الجنرال بيردوفال القائد العام للقوات الفرنسية فى مراكش قد قتل بسقوط طائرته أثناء مراقبته سير الأعمال الحربية قرب وادى زم وعثر على ثلاث جثث من رجاله ويقول المسؤولون إن خسائر المعارك بلغت رقعا هائلا وتلقى القوات الفرنسية مقاومة شديدة من القبائل المتحصنة فى الخنادق ، والفرنسيون يقتاتلون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من شعب الى شعب

أفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر

هذه كلمة طيبة أتوجه بها - بعد عودتي من رحلتي إلى بلاد أندونيسيا - إلى الشعبين الكريمين : الشعب المصري ، والشعب الاندونيسى .

أما إلى الشعب المصرى فإنها رسالة كريمة وأمانة عزيزة حملني إياها أهل اندونيسيا ، وكلفوني أداءها إلى الشعب المصرى الذى يعتزون بأخوته ، ويفرحون لهضته ، وبعثتبطون للموافقات الطيبة التى جمعت الشعبين على الاحتفال بأعيادها الوطنية : أعياد التحرير والاستقلال والقضاء على قوى الاستعمار والاحتلال التى كانت جائئة فى أوطانها ، عاملة على إذلالها ، معوقة نهضتهما ، مبتزة كل ما فى البلاد من خيرات وثروات .

قد وفق الله الشعبين فى القضاء على هذا الاستعمار وهذا الاحتلال بعد جهاد طويل ، وكفاح مرير ، صبر وثبات ، وعزيز تضحيات ، فهما صنوان فى الجلال والكيفاح ، وهما جديران بما أحررا فى ميدان البطولة والوطنية من نصر ونجاح ، وهما - قبل هذا وبعد هذا - اخوان فى الدين ، يجمعهما وحدة الإيمان ، ويعتزان بوزة الإسلام .

كلفتى أهل اندونيسيا أن أبلغ عنهم أهل مصر تحيات طيبة عطرة ، وتمنيات خير خالصة مخلصه ، وضراعة إلى الله أن يديم الألفة والمحبة والتعاون البار بين الامتين العظيمنتين ، وأن يقوى عزم الامم المهضومة المظلومة التى تعمل للخلاص من سيطرة الاجنبى الماغلب ، حتى تدرك غايتها من العزة والكرامة والاستقلال .

إن أهل اندونيسيا جميعاً بلا فرق بين عامتهم وخاصتهم ، وساستهم وزعمائهم ، كانت تلج دائماً السنتهم الرطبة - فى كل مجتمع وفى كل احتفال أقيم لاستقبال ضيوهم ، فى مدرسة

من شعب إلى شعب

أو كلية أو معهد أو قصر حاكم أو مقر ضيافة — بعبارات الثناء الفياض والشكر الخالص لمصر ، على أن كانت أول دولة اعترفت لاندونيسيا باستقلالها ، وعزة دولتها ، وشرعية حكومتها .

يعرفون ذلك لمصر عرفانا جميلا ، ويشكرونه شكراً قوياً مؤثراً ، يدل بقوته وبالغ تأثيره على ما يحمله أصحابه من إيمان و يقين ، وإخلاص قلب ، وطهارة نفس ، وعظيم تأثير بالمعروف ، وبكال ارتياح إلى التعاون على الخير ، والاختد بأسباب المودة الشاملة والإخاء الطاهر النبيل .

وأما أهل اندونيسيا فإنني أسوق إليهم وإلى إخوانهم وخلطائهم وأنسبائهم ومواطنيهم من أهل الجاليات العربية السكرينة ، أجل عبارات الشكر ، على ما لقينا منهم جميعاً ، حكومة وشعباً ، من حفاوة وتكريم ، يعبران أصدق تعبير ، عن روح الإخلاص والمودة ، وعن العاطفة الأصلية الطيبة نحو مصر ونحو الأزهر ، الذي يرويه السكبة المقصودة التي تتجه إليها أنظار العالم الإسلامي جميعه ، في كل ما يريد من المعارف الدينية والثقافات الإسلامية .

وأحي فيهم الإيمان العميق ، والوطنية الصادقة ، والتدين المتين ، الذي تتجلى مظاهره الجميلة في كل موطن وفي كل مرفق : في المسجد والمدرسة ، والبيت والشارع ، والمصنع والمعهد أحي فيهم النشاط ، وحب النظام ، والجهد في العمل ، والتوثب نحو السكال في همدوء وفي غير جلبة ولا صخب ولا ضوضاء .

ياخذون بالصالح النافع في مختلف شؤونهم ومشآئهم : في ملابسهم ومساكنهم ومساجدهم ، وفي دور التعليم من مدارس ومعاهد وكليات ، لا يعنون كثيراً في كل هذه الشؤون والمشآت - وراء مراعاة النظافة وحسن التنسيق - بمعدات النقوش والزخارف ، فالطابع الغالب على مشآئهم النظافة والبساطة ، حتى القصور الواسعة الفخمة تجدها مؤنثة أجل أثاث وأرفاه ، مما يأثف ونظامها ومكانة أهلها ، ولسكنه يسترعى نظرك فيها البساطة والجمال ، والدق السليم ، والبراعة من حشد الزخرف ولغظ النقوش .

من شعب إلى شعب

وإن الشعب الذى يراعى فى شئونه هذه البساطة الجميلة ، ويتوافر له حب النظافة والنظام ، والهدوء فى سير الحياة ، مع النشاط والجد فى العمل ، هو شعب واع حق الوعى ، وهو جدير بكل رقى وتقدم ، وكل عزة وسعادة .

أيها الاندونيسيون :

إن ما لقيناه فى رحلتنا إلى بلادكم العزيزة من الحفاوة العظيمة والاستقبال الفرح الكريم ، الذى كان يفيض عن روح طيبة ، صادقة مخلصة ، لىذكرنا بروح الإسلام الفتية ، فى نشأته القوية ، ويدلنا على مدى تمسك المبادئ النبيلة فى النفوس الطيبة ، تلك المبادئ التى تربطنا بكم ، وتربطكم بنا ، وهى التى أسسها الإسلام ، وظهر بها المسلمون كل ما حولهم من رجس الوثنية ، وخلصوا بها الناس من ربقة الذل ، وطغيان الاستغلال والاستعمار .

ولقد أعلنتم للعالم بهذه الحفاوة الكريمة ، وهذه الروح الطيبة ، أننا جميعاً أخوة ، أمرنا واحد ، كما أن ديننا واحد ، وأن الاستعمار الذى حال بيننا وبينكم تلك القرون الطوال ، لم يستطع أن ينال من تلك الوحدة ، أو يضعف من هذه الروح الإسلامية القوية ، الصابرة المصاهرة ، التى لا تعرف الوهن ولا الاستخدام .

فأهنتكم بهذه الروح الإسلامية القوية ، وأرجو أن تظل دائماً هذه الروح قوية صامدة أمام ما يهب على العالم فى الأوقات الحاضرة من الزوابع والتيارات المنحرفة عن جادة الحق والاستقامة .

وأضرع إلى الله العلى الكبير أن يحوط ببلادكم العزيزة بعنايته وجميل رعايته ، وأن يجمع قلوب الشعوب الإسلامية على كلمة الحق ، ويوحد جهودهم لإعلاء شأن الإسلام ، ونشر راية الأمن والسلام ، إنه سميع مجيب .

عبد الرحمن ناج

شيخ الجامع الأزهر

مدير المجلة
عبد اللطيف التوبكى
عضو شرفاء كبار العلماء

للعنوانات
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهري

مجلة شهرية بجامعة
تصدر عن شيخ الأزهر في أول كل شهر عربي

مجلد
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي

في وادي النيل	٤٠٠
للطبعة وادي النيل	٤٠٠
للعلماء والمدرسين بالوادي	٣٠٠
خارج الوادي	٥٠٠
للطبعة خارج الوادي	٣٠٠
للعلماء والمدرسين خارج الوادي	٤٠٠

الجزء الثاني - القاهرة في غرة صفر ١٣٧٥ - ١٨ سبتمبر ١٩٥٥ - المجلد السابع والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سفراء التربية والتعليم

تستقبل بلاد العروبة وأقطار الوطن الإسلامي في هذا الشهر سفراء من رجال التربية والتعليم في وادي النيل فارقوا أهلهم وديارهم ، فحملت بعضهم الطائرات في الجو ، واستقل آخرون منهم السفن في البحار ، أو السيارات في الأودية والقفار إلى أقوام تشاركهم ويشاركوننا في العقيدة الإسلامية والعمل بالشريعة المحمدية إن لم تشاركهم ويشاركونا — مع ذلك — في لغة الضاد وآدابها وثقافتها وأمجادها . وإذا كان سفراء وزارات الخارجية يحملون معهم إلى ميادين عملهم رسالة دقيقة يحرسون على ألا يحدوها عن حدودها قيد شعرة وإلا تعرضوا للمؤاخذة من مراجعهم التي يمثلونها ومن البلاد التي ندبوا للعمل فيها فإن الرسالة التي حملها في هذا الشهر سفراء التربية والتعليم من أبناء وادي النيل إلى بلاد العروبة وأقطار الوطن الإسلامي لاشك أنها من أخطر ما يحمله الناس للناس ، ومن أعظمه أثرًا .

إن الأقطار الشقيقة التي تستعين برجال التربية والتعليم من شبابنا لم تستعن بهم إلا لأنها في دور التكوين ولأنها في صدد إقامة الأسس لمعارفها ، أو هي أقامت الأساس منذ عهد قريب وتحاول أن تشيد عليه بناء ثقافتها وكفاءاتها ونهضتها . وهي لم تستعن على ذلك بشباب مصر إلا لأنها رأت مصر أهلاً لحمل هذه الأمانة فاستعانت بهم في وضع ذلك

الأساس أو في إقامة صرح المستقبل عليه . وابن مصر الذى ندبته أمه لهذه السفارة ؛ ينبغي له أن يكون عند حسن ظن مصر به فيحسن تمثيلها . ويعلم أن له في البلد الذى ذهب إليه رسالة سامية شاعت له الأقدار أن يحملها ، وأن عليه أن يعدل بهذه الرسالة وأن يجعلها نصب عينيه في جميع تصرفاته .

ستحدث هذه الأقطار يوم تكتب تاريخها بأن الأساس الذى قامت عليه معارفها قد شارك فيه فلان ، وكان من أثره في الخير - أو الشر - ما سيتحدث به التاريخ . فليعمل كل سفير من سفراء التربية والتعليم على أن يكون لعمله من الأثر ما يبيض به وجه مصر ، ويساعد على تكوين كيان العروبة والإسلام ، ليتحدث التاريخ غدا عن نتائجه المباركة فيطيب الشئاء عليه من الله والناس .

العالم الإسلامى اليوم في مرحلة انتقال ، وسيرى سفراء التربية والتعليم من شبابنا ، في كل بقعة من العالم الإسلامى يعملون فيها ، أن المسامين مغتبطون بأسلامهم ، ويريدون أن يعيشوا به ويلقوا الله عليه . ولأجل هذا الإسلام كانوا - وما زالوا - يقاومون الاستعمار ، ولأجل تجديد شباب هذا الإسلام أسسوا المدارس التى دعوا إليها سفراء التربية والتعليم من رجالنا ليتعاونوا معهم على إقامة صرح مجتمع جديد يكون إن شاء الله قويا بدينه ، قويا بأخلاقه ، قويا بعقله وجودة تفكيره ، قويا بعلومه التى يقيم بها الصناعات الضرورية له في مرافقه وعمرانه وتنظيم أدواته الحكومية وجيشها الفتى السليم .

المدرسة هى المصنع الذى يتخرج فيه الجيل الصالح لإنشاء مثل هذا المجتمع ؛ والمدرس هو صانع الجيل ، والرسالة التى يحملها المدرسون المصريون الذين سافرت بهم الطائرات والسفن والسيارات إلى الأقطار الشقيقة في هذا الشهر هى العمل على تكوين هذا الجيل القوى ؛ ليضطلع بأعباء هذا الشرق الإسلامى في عشرات السنين القريبة ؛ وتكون منه للإنسانية كتلة نشيطة بارعة خيرة شفاها الله من الخمول الشرقى القديم ؛ ونزهاها عن أنانية الاستعمار الغربى المعاصر .

كانت أقطار الشرق الإسلامى منحلة متقاطعة ؛ غارقة في حمأة الجهل والخرافات والضعف ؛ فلما آذن الله بزوال ظل الاستعمار الممقوت عن كثير من تلك الأقطار ؛ دبّت فيها روح البقظة ؛ وشرعت تجدد شبابها ؛ وأخذت تعرف للإسلام - دين الحيوية والقوة - قدره وأثره في نهضتها وفي اتجاهها وجهة التعاون ؛ فمدت يدها إلى مصر تستعين

بمدرسيها ؛ وكانت بسبب ذلك هذه البعوث والانتدابات المدرسية والثقافية من كل لون ، والغرض منها التعاون على إقامة المجتمع الصالح في تلك الأوطان وتكوين الجيل الذى يتولى فى المستقبل القريب قيادة ذلك المجتمع ؛ وسيكون من أثر هذا الاتصال بعد التقاطع تعاون بين أمم الشرق الإسلامى فى كل ما تشترك فيه من ثقافة وتشريع وتبادل اقتصادى ودفاع متجاوب إن لم يكن مشتركاً . وما لم تكن هذه المعانى السامية مما يؤمن به كل مدرس أرادت له الأقدار أن يكون فى عداد سفرائنا إلى تلك الأقطار ؛ فإنه لن يؤدى رسالته هناك كاملة ، لأنه لم يذهب إلى هناك ليقصر عمله على تعليم فرائض الصلاة ونواقض الوضوء وأن الفاعل مرفوع والمضاف إليه مجرور ؛ أو تعاليم جدول الضرب ومساحة المثلث ؛ بل هو ذاهب - مع ذلك - ليساهم فى تكوين جيل قوى يصلح لإقامة المجتمع الصالح فى المستقبل القريب وأن يقوم ذلك المجتمع على أسس الإسلام وآدابه وأخلاقه التى يكون منها للانسانية العنصر الذى هى مفتقرة إليه .

إن المعدن الذى خلق الله منه أبناء العروبة والمتخلفين بأخلاق الإسلام من المعادن الناقلة سريعة الاستجابة ؛ وسيرى فيه المدرسون المصريون القابلية الكاملة لتلقى الحق والإيمان به والتطبع بالخير والاندفاع فى طريقه . وإذا كانت عصور الضعف التى مهدت لكارثة الاستعمار قد أبقّت فى المجتمع الشرقى شيئاً من جراثيمها فان فى المسلمين موارد من عناصر الخير ستساعد كثيراً على استئصال تلك الجراثيم حتى ينبجى عن معدن المسلمين الطيب كل أثر لرواسب الضعف المتخلف عن عصور التأخر وحينئذ يعود للعلاقات الإسلامى طبعه الخير وبأسه الرهيب وحيويته الأصيلة ولا يتوقف هذا إلا على الجهود الخالصة لله عز وجل التى سيبذلها المدرسون على قدر معرفتهم بمهمتهم واهتمامهم برسالتهم وإيمانهم بثمرات عملهم .

لقد كان المدرس المصرى فيما مضى يمثل وزارة المعارف فكانت مهمته أن يشحن أدمغة التلاميذ بألفاظ وحمل يسمى مجموعها معارف . وأما اليوم فانه يمثل صناعة التربية والتعليم ؛ ولا يجب أن يكون ممتازاً فى المادة العلمية التى يتولى تعليمها كذلك يجب أن يكون بارعاً حكيماً فى صناعة التربية التى هى الشطر الأفضل من شطرى عمله . وأول ما يجب على المربي أن يكون قدوة للذين يربيهم بسيرته وتصرفاته . فالتلاميذ يتربون بالقدوة بقدر ما ترى عيونهم من استقامة المربي والتزامه للفضائل التى يدعو إليها . وليعلم قبل كل شئ وبعد كل شئ أنه سفير بلده وممثلها وأن عليه رقياً من الله والناس ما

محّب الدين الخطيب

نَفَحاتُ الْفِرَاقِ

— ٣٢ —

٢ — مناجاة القرآن للعقل وللعاطفة

«وليشخس الذين لو تركوا من خلفهم ذرية
ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً»

١ — عاطفة الأبوة مشوبة بالحب للبنين ، مغلوقة بالرحمة لهم في كل حين ، ومهما غفلت عنهم الذاكرة ، ففي النفس حنو كامن عليهم ، وبين طيات القلب شغف دائم بهم وتطلع إليهم . وليس يقنع المرء أن يسعد بهم طول حياته أو يطمئن على إهناءتهم في الحياة قبل مماته ، بل هو يعنى بشأنهم فيما بعد ذلك ، يكاد يذوب خوفاً عليهم من صروف الزمن وأحداث الأيام ، وليس يدفع هذا عن الخاطر أو يخفف جذوته بين الضلوع . غير إيمان بالله واعتماد في شأن الأبناء على الله .

٢ — ومن هذه الناحية العاطفية يناجينا القرآن أن نكون رحماء بأبناء الناس ؛ وبخاصة يتامى ؛ فمن شاء لبنينه مرحلة الحياة فليرحم من في عهده من أبناء سواء ، وليعلم كل امرئ منا أن ما يزرعه اليوم في أبناء الغير سيحصده أبنائه في غدهم : قولاً كان أو عملاً .

وشرعة الحياة وعدالة المجتمع وسنة الوجود لا تنكر أن يكون الجزاء من جنس العمل .

وهذا قول ربك في تذكيره لنا ، وفي تأميننا على أبنائنا « وليشخس الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم — لخافوا عليهم — فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً » .

٣ — وقد يما فطن الناس إلى ذلك بتوجيه من الله ، كما جرى على لسان الخضر مع موسى - عليهما السلام - في قصة الجدار المائل الذي تطوع الخضر بأقامته دون مقابل من أجر مادي ثم أجاب موسى عن تعجبه في صنيع الخضر وتركه للأجرة :

« وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما ، وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما : رحمة من ربك . . » فتبين لموسى ما لم يكن يدريه من أن الله خلف عن الوالد في ولده إذا كان الوالد حسن الصلة بالله .

وكذلك فطن الناس إلى هذا بعد أن جاء القرآن بتأييد هذه السنة السابقة ، وقد قال قائل : وددت ألا تكون لى ذرية ! فقال له مسلم فطن : إذا أردت أن تأمن على ذريتك بعد فائق الله في غيرهم .

ثم قرأ عليه الآية : « وليخش الذين الخ . . . »

٤ — وقد حدثناك أن القرآن يعتمد على العاطفة بجانب اعتماده على العقل ، وأنه من قبل ذلك أمرنا باتقاء الأرحام التي بيننا حتى لا نجحد شأنها ولا نكفر حقها . وأنه اختص من بين الأرحام جانب اليتيم ، ونبه الأوصياء على أنهم إذا لم يكونوا تحت رقابة أحد . فإن الله رقيب عليهم وكفى .

٥ — وفي سياق الآيات ترى للعاطفة كبير شأن في نظام الأسرة وشدأواصرها ، والترفق بين الجانين حينما يأذن الحال بالتصدع .

فالقرآن يقول عن النساء : « وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » فهذا ترغيب من طريق تحسين الظن بالمرأة ، وتجديد الأمل فيها ، وتقوية العطف عليها . . .

وليس في هذا الأسلوب شئ من عنف ، أو تحامل على أحد الزوجين ، وإنما هو أسلوب ودي رقيق ، فيه استمالة للزوج وإغراء له بالزوجة قبل أن تتسع الفجوة بينهما .

٦ — ثم تدخل بنا الآيات - من طريق العاطفة - في باب اللياقة .

ذلك أن الزوجين قد يتسع الخرق بينهما ، ويحاول الزوج أن يتحجى عن زوجه ويسترد ما كان أعطاها . وهنا يابجأ القرآن إلى استنهاض العاطفة ويوجهها إلى ما ينبغي من وفاء فيقول :

« وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا »

فهو يصرف الزوج عن التطلع الى ما أعطاه للزوجة وإن بلغ قنطارا أو ما هو أكثر .
ثم يشوه المال المأخوذ ويقبحه لينفر الرجل من أخذه ويصف المال بما يزعج
النفوس المطمئنة بالإيمان الكارهة للمأثم « أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً » ؟ والمفروض
أن المسلم لا يرغب في البهتان وهو الزور الباطل ولا يرغب في الإثم فضلا عن أن
يكون إثماً مبيناً .

٧ - ثم يرقى بالعاطفة إلى مقام الوفاء ، ويذكر المرء بما غفل عنه من ذكريات
ومودة ، وينبهه إلى حياة سابقة كانت الزوجة فيها أثيرة على المال وأحب إلى زوجها مما
سواها « وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض ، وأخذن منكم ميثاقا غليظا » ؟؟
فهذه كلمات في طيها عتب رقيق لاذع، وفيها حديث رطب يكف النفس عن سورتها
ويرجع بها إلى السباحة ، ويرسخها للرؤية والكرامة فهذا المال كان مدفوعا الى الزوجة
على أنه نحلة خالصة لا علاقة للرجل به بعد أن تملكته منه .

وكان مبذولا من جانب الرجل لأنه أقدر على البذل وهو وسيلة الى تحصيل رغبته
ولتتمكن الزوجة أن تهين نفسها للزوج ثم هو صاحب اليد العليا في الحياة الزوجية
فإذا كان البذل من جانبه في ساعة الرغبة فما ينبغي أن يرجع فيه بعد استيفاء الرغبة
وطرود الزهادة .

وإذا كان الزهد عاملا عمله فعلى الرجل أن يتحمل غرمه بعد أن ظفر بغنمه حتى
لا يكون الزواج مغرما على المرأة في نفسها وفي مالها .

« وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا » . أفترى ما هنا من
روحانية الأسلوب ؟ .

أوتدرى ما هنا من سمو الخطاب والترفع بالإنسان عن درك الخصومة الى أوج لم يكن
يقدره لنفسه ؟ .

نعم : أفضى كل من الزوجين إلى صاحبه بما ليس بعده سر يصاب به ولا مثله نفيس
يضمن به على الغير !!

هو الحب ملء الفؤاد وهو النجوى بما انطوت عليه الضلوع وهو العرض والحياء
في ظل الثقة والأمان وفي ضوء العهد ومظنة الوفاء . . أليس هذا كله ميثاقا ؟؟ وأى

ميثاق أغلظ منه بين إنسان وإنسان كما شهد الله؟؟. هذا مجال العاطفة وسياق المناجاة لها، وهي هنا خير وسيلة في التأثير .

٨ — ولكن العاطفة ليست دائماً وسيلة خير ورائد إصلاح وإنما هي لذلك ولغيره ؛ غير أن القرآن — كما حدثناك — يتخذها دائماً بجانب العقل منفذ هداية وأداة إصلاح وكان مسلك القرآن جديراً بالتأسي والاتباع .

ولكن الناس تعاملوا عن ذلك بفعلوها وسيلة غوايه وأداة لهو وسخروها في متابعة الهوى ومسايرة اللذات، وظنوها مروحة ينعشون بها ميولهم ويداعبون نفوسهم ويتناجون بها مع شياطينهم في كل ما يقبح ويخرج وكل ما يضر ويفسد، حتى كأن هذه وظيفتها ؛ وكأن ليس لها في باب الإحسان أثر ولا في مجال البرشأن ولا سبب .

لذلك أبان القرآن عن خطرها في الجانب السلبي وعن سوء اتجاهها إذا لم يؤازرها عقل ولم يتعهدا ضمير وحينئذ يكون المرء سائبة يهيم بين ضلالات وموبات . ويكون أمره فرطاً بين غوايات تطيب له اليوم ، ومرارات تنتظره في الغد الطويل . وشأن الجماعات في هذا الصدد كشأن الفرد، فإذا كانت العاطفة الجماعية غير مؤثرة بالتوجيه والأشراف الرشيد أو غير مستضيئة بهدى الدين ، فكذلك تكون الجماعة سائبة وأمرها فرطاً .

وانظر إلى القرآن إذ يأمرنا بالقسط ولو على أنفسنا أو الوالدين والأقربين : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط — العدل — شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين » ففي هذا تنبيه إلى أن عاطفة القرابة قد تحرف بنا عن العدل تعصبا من الإنسان لنفسه ، أو تحيزا لوالديه وأقربائه : إذ تكون العاطفة مأخوذة بالعصبية غير ناضرة إلى التجري ، فيميل الميزان ويضطرب العدل بين الناس .

وكذلك يقول القرآن : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا : اعدلوا هو أقرب للتقوى » .

يعنى لا يكن بغضكم لقوم حاملا لكم على الجور بهم وعدم العدل معهم .

اعدلوا : فالعدل هو التقوى التي أمر بها الإسلام أو هو قريب إلى التقوى الكاملة التي تليق بالمسلم الكامل حتى لو كان العدل مع غير مسلم .

وهذا مما يشعرنا بوضوح أن للعاطفة مزلات ؛ وأنها بحاجة إلى النجوى والتريث فيما يتصل بالناس ، كما أنها كذلك فيما يخص الإنسان .

وعلى الجملة فالعاطفة ذات شأن فى نظر الإسلام وفى تربيته لأبنائه جماعة وأفرادا .

وفى توجيه النظام العام إلى نواحي الخير والإصلاح وقد حفلت آيات الله ببيان شأنها إيجابا وسلبا . وديننا وديننا .

والحياة الإسلامية فى تاريخها الماضى قد تلونت بألوان متباينة من آثار عمل العاطفة فيها ومن جراء اهتداء العاطفة بهدى الدين أو عدم اهتدائها .

ولو أن الناس ظلوا ناصحين لأنفسهم وضابطين لعواطفهم بما أوحى إليهم القرآن لظلوا خير أمة أخرجت للناس . ولكن . . .

عبد اللطيف السبكى

عضو جماعة كبار العلماء

المرأة المسلمة تتكلم

من العجيب أن الطلاق الذى تطالب درية شفيق بتجريمه فى الشرق ، يطالب أهل الفكر فى أوربا - بل حتى فى أمريكا - بالسماح به . ولقد كتب الفيلسوف الارلندى برنارد شويقول : « ستأخذ أوربا - إن عاجلا أو آجلا - بنظرية الإسلام فى تعدد الزوجات ، لما تسببه الحروب الفظيعة من استهلاك فى الرجال .

وحينما سئلت حرم الدكتور مشرفة عن رأيها فى مسألة تعدد الزوجات قالت : إن تعدد الزوجات أفضل عندى من أن يتخذ الرجل خليله له . والداء الدفين ومشكلة الساعة هما فى اضطراب الشباب عن الزواج ، وأى بيت ليس فيه فتيات سيطول انتظارهن بسبب استهتارهن واختلاطهن بشكل يندى له الجبين نجلا بفتى عليهن الطيش جنائته الكبرى .

زينب محمد أحمد حسين

(عن جريدة الجمهورية)

السيرة النبوية

من أدب النبوة

قبس من الأدب الأسمى - مكان عداس من الصحابة -
صاحب الحوت عليه السلام - خطر الجدل في الأنبياء - مجادلة
في العصر النبوي - سد الذرائع إلى الفتنة - عتاب الله لأنبيائه -
أولى الناس بالنبيين خاتمهم .

* * *

عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما ينبغي لعبد
أن يقول : إني خير من يونس بن متى . ونسبه إلى أبيه .

رواه الشيخان ، واللفظ للبخاري .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من قال : أنا خير
من يونس بن متى فقد كذب .

رواه البخاري

* * *

عرضنا في الجزء الماضي لرحلة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف وما لقي فيها من
فنون الإغئات والسكيد والأذى ! !

ومن يعرض لهذه الرحلة الأليمة الجاهدة ، فلا بد له من أن يعرض لعداس رضي الله
عنه وهو يؤنس رسول الله صلوات الله عليه بعض الإناس ، ويسرى عنه بعض التسرية ،
وإذا ذكر عداسا فلا بد له - بحكم تداعي المعاني - أن يذكر قصة نبي الله يونس ، وأدب

خاتم النبيين معه . . . وإنه لقبس من الأدب الإلهي الذي أدب الله به نبيه فأحسن تأديبه
وكله به فأكل تهذيبه ، ثم قال له وقوله الحق : « وإنك لعلی خلق عظیم » .

* * *

قلنا في الحديث الماضي إنه صلى الله عليه وسلم لما اشتد عليه الأذى عمد إلى بستان
لعتبة وشيبة ابني ربيعة ، فاستظل بظل شجرة من أشجار عنبه ، وهنالك تحركت له رحمهما
فبعثا له مع عداس غلامهما بقطف من عنب . . . فلما سمى الله تعالى قبل أن يأكل قال
عداس : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد ! فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم : ومن أي البلاد أنت يا عداس ؟ وما دينك ؟ قال : نصراني من أهل نينوى [١]
فقال صلوات الله وسلامه عليه : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ، فقال عداس :
وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : ذاك أُنحى كان نيبا وأنا نبى .
فأكب عداس على النبي صلى الله عليه وسلم يقبله .

فلما رجع إلى ابني ربيعة قالوا له ويلك يا عداس ! مالك تقبل هذا الرجل ؟ ! قال
يا سيدى ما فى الأرض شيء خير من هذا ، لقد أعلمنى بأمر لا يعلمه إلا نبى ، قالوا له :
ويحك يا عداس ! لا يصرفنك عن دينك . . .

لكن الله تعالى قد كتب له السعادة ، بفعله من المؤمنين السابقين والصحابه الأولين
رضوان الله عليهم جميعا .

* * *

تلك قصة عداس مع النبي صلى الله عليه وسلم .

وأما قصة يونس عليه السلام مع قومه فقد جاءت في سورة (الأنبياء ، والصفات ،
ونون) . وقد روى الثقات في تفسيرها أنه لما دعا قومه إلى الله تعالى أبوا عليه وتمادوا
على كفرهم ، فخرج من بين أظهرهم مغاضبا لهم ، ظانا أن الله لن يضيق عليه فى بطن
الحوت ، أو أنه تعالى لن يقدر عليه ما قدر ، والغيب لا يعلمه نبى مرسل ولا ملك مقرب

(١) بأرض الموصل شمالى العراق . قال ابن الأنبارى : سميت بذلك لأنها وصلت بين
الفرات ودجلة .

وكان قد أوعد قومه بالعذاب بعد ثلاث ؛ فلما تحققوا ذلك منه وهم يعلمون أن النبي لا يكذب خرجوا إلى الصحراء بأطفالهم وأنعامهم ومواشيهم ، ثم تضرعوا إلى الله تعالى وجأروا إليه ! ورغت الإبل وفصلانها ، وخارت البقر وأولادها ؛ وثغت الغنم وسخاها ، فكشف الله عنهم العذاب ومتعهم الى أن فارقوا الدنيا راضين مرضيين .

وأما يونس عليه السلام فإنه ذهب بعد أن غاضب قومه فركب مع قوم في سفينة فلجت بهم وخافوا الغرق ؛ فاقترعوا مرارا على من يلقونه من بينهم يتخففون منه . فلم تقع القرعة إلا عليه ! فتجرد عليه السلام من ثيابه وألقى نفسه في البحر ! فالتقمه حوت عظيم أوحى الله إليه ألا تأكل له لحما ، ولا تهشم له عظام ، فإنه ليس لك رزقا ، وإنما بطنك له سجن . فمكث في بطنه ما شاء الله أن يمكث ثم أوحى الله إليه أن يلقيه بالعراء وهو سقيم « فلو لا أنه كان من المسبحين . للبث في بطنه إلى يوم يبعثون [١] » ...

وقد عاتبه الله تعالى على تعجله ونهى خاتم أنبيائه ألا يتعجل كما تعجل صاحب الحوت ، فيستحق اللوم الذي أصابه ...

* * *

وليس يعنينا من قصة صاحب الحوت عليه السلام أن نستوفيها في هذا المقام ، وإنما يعنينا منها ذانكم الأمران : العتاب والنهي ؛ فأنهما مثار الحديث .

لقد أخبرنا الله تعالى أنه فضل بعض النبيين على بعض ورفع بعضهم درجات ، وأخبرنا خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أنه سيد ولد آدم ولا فخر ، وأن الله أعطاه ما لم يعط أحدا من الأنبياء قبله ، وأن الله اصطفاه على العالمين وأبقى رسالته إلى يوم الدين . حدثنا بهذا كله تحدثا بنعمة ربه عليه ؛ لكنه صلوات الله وسلامه عليه خاف علينا أن نفخر بهذه الفضائل ونباهي بها حتى نتخذها سبيلا إلى المفاضلة بين إخوانه المرسلين والمجادلة فيهم ، وليس بعد المفاضلة والمجادلة إلا الإهانة والتشقيص ، وهناك الطامة والخسران المبين !! .

* * *

من أجل مخافته تلك - وهو بالمؤمنين رءوف رحيم - نهانا أن نشتغل بهذا التفضيل

(١) اعتمدنا فيما سقناه من هذه القصة على تفسير الحافظ المؤرخ الإمام ابن كثير .

أونجادل فيه جدالا يفضى بنا الى الانتقاص من مقام الرسالة أو الحط من قدر النبوة فسد بذلك منفذا من منافذ الشيطان إلى فتنة داهية وشر مستأير !
ولقد وقع شيء من هذا الجدل في العصر النبوي ، ولولا حكمة النبوة لكان الأمر خطيرا جد خطيرا ! .

عرض يهودى سلعة له فأعلى بها ثمننا كرهه فقال : لا أبيعها به والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر فلطمه رجل من الأنصار وقال له : تقول هذا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا ؟ ! فشكا اليهودى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : يا أبا القاسم إن لى ذمة وعهدا . . . فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عرف الغضب فى وجهه ثم قال : لا تفضلوا بين أنبياء الله . ثم أثنى على كليم الله بما هو أهله ، بعد أن نهاهم عن التفضيل بين أنبياء الله تعالى سدا للذرائع الفتنة وحرصا على مقامهم الكريم أن يمس .

* * *

ويشتد النهى وتعظم المخافة ، وتنتفخ منافذ الشيطان إلى الفتنة ، إذا اعتمد الجدل فى التفضيل على الأمرين السابقين آنفا فى شأن يونس عليه السلام : عتاب الله له ونهى نبينا صلى الله عليه وسلم أن يكون مثله ؛ ومن أجل هذا خصه النبي صلى الله عليه وسلم بالذكر من بين سائر الأنبياء ، ونسب من يفضل أخاه عليه إلى الكذب والافتراء ؛ لأنه راع حول الحمى ، ومن رعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه .

* * *

والنبي صلى الله عليه وسلم يقرر بهذا النهى قاعدة من قواعد الشرع ، وركنا من أركان الدين الحنيف ، وهى قاعدة سد الذرائع المفضية إلى محرم ، وإن لم تكن هى فى ذاتها محرمة ، إذ أن تفضيل بعض الأنبياء على بعض من الأمور الجائرة فى نفسها : بل من الأمور الواجب اعتقادها موافقة للكتاب السنة ، ولكنها تمنع حينما تجر إلى الفتنة والحمية . وإذا كان سد الذرائع فى الفروع واجبا حقا فإنه فى الأصول أخلق وفى مقام النبوة أوجب وأحق [١] .

* * *

(١) لهذا الحديث صلة وثيقة بتمثيل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على المسرح . .
وقد نشرت فيه إدارة التفتيش بالأزهر مقالا ضافيا فى جزء رجب من العام الماضى .

الجريمة... والحدث

كثُر في هذه الأيام الكلام عن الأحداث بمناسبة قانون حمايتهم بجرمانهم من دخول السينما والمسرح وأما كن اللهو العامة. ولذا وجدت أن واجبا يدعوني أن أدلى بدلوى في هذا الموضوع الخطير . . .

لأن الإهمال في تقويم الحدث ، والتغاضي عن انحرافه اليسير في صغره ، قد يؤدي في الغد القريب الى مشاكل لا يمكن معالجتها عند ما يشتد عوده وتقوى سواعده وتآلف روحه الجريمة ! ولذا أصبح هذا الموضوع من أمهات الموضوعات التي تهتم بها حكومات العالم أجمع ، لأن المجرم الصغير ما هو إلا النبت الأول للمجرم الكبير .

والأسباب التي تؤدي الى إجرام الحدث كثيرة يخطئها الحصر ، ولكن يمكننا أن نرجعها الى أسباب عامة ، وأسباب خاصة . من الأولى الحالة الاقتصادية والاجتماعية التي تحيط به ، وبالرغم من أن الشخص المجرم ينطوى على نفسية نبئت فيها بذور الشر فهو ليس شخصا عاديا ، إلا أن العوامل الاجتماعية والاقتصادية بالرغم من أنها لا تنشئ في نفسه حب الإجرام إلا أنها تقويه فقط .

وهو صلى الله عليه وسلم يبين في هذا التعليم النبوي الكريم أن معاقبة الله لأنبيائه على بعض ما يصدر منهم لا تغض من أقدارهم ، ولا تنقص من رتبهم ، وإنما يؤاخذهم الله بها ، لأنها خلاف الأولى بالنسبة الى مقامهم ، ورفيع مكانهم ؛ وإن لم يؤاخذ بها من سواهم من الذين أنعم الله عليهم ؛ وربما كان موضع العتب عليهم مجدة لغيرهم ومن هنا قيل : حسنات الأبرار سيئات المقربين .

* * *

أما بعد : فإن الأدب مع أنبياء الله ورسله ، هو من صميم الأدب مع الله عز وجل ، الذي اصطفاهم لتبليغ رسالته ، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور بأذنه ، وأولى الناس بهم والتعريف بحقوقهم هو خاتمتهم صلوات الله وسلامه عليهم . وقد علمنا وسدد ، وبلغنا وأشهد ، فآد بنا اللهم بأدبه ؛ واجزه عنا خيرا ما تجزى نبيا عن أمته ما

طه محمد الساكت

ومن الأسباب العامة أيضا التي تساعد - بل تشجع - على إجرام الأحداث (دور السينما) فالمدمن على مشاهدة الأفلام - الأجنبية منها أو المحلية - يجدها مضيعة للأخلاق ، لأنه يندر أن يخلو فيلم واحد من قبله ، حتى صار الكثيرون من المراهقين - شبانا كانوا أم شابات - لا يدخلون السينما الا ليشهدوا هذه القبلات ، حتى اذا ما انتهى الفيلم خرجوا سكارى ، فيحاول الشاب أن يطفىء شيطانه الذي حركته المناظر المتهتكة على أى أنثى تصادفه ، ويكون جزاؤه المحاكمة بتهمة فعل فاضح مع أنثى فى علانية أو غير علانية ! وهذا أخف جرم يرتكب ، وما خفى كان أعظم ! وتحاول الأنثى أن تعيش فى هذا الجو الحالم الذى شاهدته على الستار الفضى ، حتى ولو من باب العلم بالشيء ، وتكون النتيجة الغوص الى قاع الرذيلة .

هذا من جهة الأفلام العاطفية ، أما الأفلام البوليسية فما أكثر ضحاياها ، ولقد ثبت بالإحصاء أن جرائم السرقات التي يرتكبها الأحداث مشأها أنهم شاهدوا على الشاشة شخصا يتسلق المواسير بشجاعة نادرة ، فأرادوا أن يقلدوه ، وفعلوا قلده ، فكانت النتيجة أن أرسلوا الى إصلاحية الأحداث ، وأصبحوا مجرمين فى نظر القانون وفى نظر المجتمع ، دون ذنب جنوه الا أنهم أرادوا تقليد ماشاهدوه فى السينما ، فحدث ما حدث !

لكل هذه الأسباب مجتمعة نرجو بل نلح على وزارة الشؤون الاجتماعية وعلى رأسها اليوم بطل من أبطال تحرير الوادى أن تبادر بتنفيذ هذا القانون الذى يمنع الحدث من دخول السينما ومشاهدة هذه المهازل الى أن تتمكن الدولة من الخطوة الأخرى المباركة وهى أن لا يعرض على الشاشة شئ من هذه السموم التي تفتك بالأمة ، وتحول أبناء المستقبل وبناته الى طريق الإثم والجريمة ، مع تشديد العقاب على كل من يعمل على هدم العفة والفضيلة فى نفوس الشباب من أصحاب دور السينما .

محمد عطية رافع

المحامى

الزمان يمضى

« إن الأمة اليوم فى دور تكوين جديد، وإن الفرصة سانحة الآن لنشاط دعاة الإسلام وإعدادهم للمساهمة فى هذا التكوين ، وأنا أتهز دأتما كل فرصة لأسأل أهل الغيرة على الإسلام : هل سنبقى واقفين وقفة المتفرج أمام استدارة الزمان ، وانقياد الجماهير لدعوة الباطل والإثم ، حتى يفلت الزمام من يد الإسلام ، فيستسلم أهله ويأسوا ؟ » .
عن مجلة الأزهر الغراء . . بقلم رئيس التحرير . .

* * *

عام مضى فى سلام	وأشرق اليوم . . . عام
وسار فى موكب الليل	لى ، والزمان الأنام
وفاض فى معبد الدهر	ر ، والحياة . . . الجام
والمسلمون حيارى	والكائنات ظلام
فالأرض حولى خراب	تعوى بها . . . الآكام
فأين فيها ، وفى الشر	ق والربوع السلام ؟
يطوف فى لابتبها	وفى البطاح الحمام
وينعق البوم فيها	وترقص . . الأوهام

* * *

يمضى الزمان ، ونمضى	وتنطوى الأعوام
عام يشيع . . . عاما	والمسلمون . . . نيام !!
والأرض تندب فيها	وفى الدجى الآجام

* * *

شاب الزمان وضلت	فى سيرها . . الأيام
وطال فى غفلة اليل	لى ، والفتاوى الكلام !!
ومال فى الأرض صرح	وعظمت . . أحكام !!
لا يرفع الله شعبا	يسود فيه اللئام . .

ذوت غصون ، وماتت في مهدها الأفهام
وفرق الخلف في الشر ق بيننا . . والخصام !!
وشيتنا . . سنون وحطمتنا . . كلام . . !

* * *

مضى الزمان ، وماتت في ليله . . . الأنعام
وصاح في الأرض جبا رها . . فأين المقام ؟
وغاب عن منبع الو حى والهدى الإلهام !
وضاع في مهمه العم ر ، والفتاوى العام !
وزل في الناس شيخ فزلت . . الأقدام !
وثار في فزع الده سر ، والعقول « الصيام »
وقام يدعو إلى (الد ين) في الورى الأقسام !
فضل في الأرض قوم وآمنت . . أقوام !

* * *

غابت كعاب المعانى وكسرت . . أقلام !
واندك في الدهر صرح وولول (الإسلام)
فأين في الشرق « سادا ته » ؟ وأين اللوائم . . ؟
وأين في مصر « أشيا خنا » الهداة العظام ؟

* * *

رف الزمان ، وثار شيوخته . . الأعلام .
تلك الشعوب تداعت و « القباتان » ضرام !
ومات في الأرض شعب وقطعت . . أرحام . .
وللشعوب . . إذا ما تت . . رجعة ، وقيام

* * *

صحا الزمان ، وثار في كهفه . . النوم
فأن صحونا . . نجونا وصحت . . الأحلام

صابر على رمضان

« الجوشنى »

من ما أثر الأنصار

الأنصار هم قبيلتا الأوس والخزرج الذين سارعوا إلى الدخول في الإسلام لما عرضه عليهم نبي الله صلوات الله وسلامه عليه . وكانوا رداء الإسلام وحصنه آووه في غربته ونصروه على أعدائه ؛ وضخوا في سبيله بالنفس والمال وواسوا إخوانهم المهاجرين خير المواساة ؛ وآثروهم على أنفسهم حتى غدا إيثارهم مثلاً باقياً في الآخرين .

وما أن أذن رسول الله لأصحابه في الهجرة إلى المدينة حتى تتابع المسلمون إليها زرافات ووحدانا ؛ فوجدوا من كرم الوفاة وحسن الصحبة ما أنساهم ألم الغربة ومرارة فراق الأهل والمال والوطن . وما أن بلغهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج مهاجراً حتى كانوا يخرجون كل يوم إلى ظاهر المدينة متلهفين إلى لقاء الحبيب الموافق ومتشوقين إلى رؤيته فما يردهم إلا حر الظهيرة فانقلبوا يوماً بعد ما أطالوا الانتظار فأشرف يهودى على أطعم من أطام المدينة لبعض حاجته فأبصر برسول الله ورفقته يزول بهم السراب ؛ فصاح بأعلى صوته : يا بنى قيلة ؛ هذا صاحبكم الذى تنتظرون فثار المسلمون إلى السلاح وطاروا شوقاً للقاء المهاجر الكريم وصاحبه . ولا تسلم عما تجلى في هذا المشهد الكريم وفي هذا اليوم المشهود من إظهار المحبة والولاء والتضحية والفداء . فقال بهم رسول الله صلوات الله وسلامه عليه إلى بنى عمرو بن عوف فأقام فيهم مدة من الزمن وفيها بنى المسجد الذى أسس على التقوى وهو مسجد قباء .

ثم قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة في موكب من مواكب الإيمان والحب السامى يحف به سادة الأنصار ولا سيما بنو النجار أحوال جده عبد المطلب وكانت دور الأنصار متناثرة ما بين قباء والمدينة فكان رسول الله كلما مر بدار من دورهم أمسكوا بزمام ناقته متوسلين إليه أن ينزل فيهم في العدد والعدة والمنعة . فيقول لهم : « دعوها فأنها مأمورة » وما زالت الناقسة تسير يحدها جبريل الأمين حتى بركت في المكان الذى بنى فيه المسجد النبوى فيما بعد . فقال النبي صلوات الله وسلامه عليه : « هنا المنزل ان شاء الله » ثم قال : أى دور أهلنا أقرب ؟ يريد أحوال جده عبد المطلب وهم بنو النجار . فقال

السيد الجليل أبو أيوب الأنصارى : أنا يا رسول الله ؛ فاحتمل رحل رسول الله وهو قرير العين بهذا الشرف الرفيع وأراد أناس من سادة الأنصار أن ينزل عندهم رسول الله ولكنه اعتذر اليهم اعتذارا كريما قائلا « المرء مع رحله » وبهذا التصرف المحمود كرم رسول الله بنى التجار فى شخص السيد أبى أيوب . وجاء أسعد بن زرارة وقد فاتته شرف نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده فأمسك بزمام الناقة وأبى إلا أن تكون عنده . ومكث رسول الله بمنزل أبى أيوب سبعة أشهر حتى بنى المسجد النبوى وبنيت حجرات نسائه فانتقل إليها وكانت دار أبى أيوب رضى الله عنه فى هذه المدة متدى يجتمع فيها رسول الله وصحابته على الرحب والسعة . وقد أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل بسفل دار أبى أيوب لأن ذلك أرفق وأيسر للزائرين . ولكن أبى أيوب لم يطب نفسا بذلك وعز عليه أن ينزل رسول الله بالسفل وهو وأهله بالعلو ولم يزل برسول الله يرجوه ويلح عليه فى الرجاء حتى قبل أن ينزل فى علو البيت . وأظهر أبو أيوب والأنصار من كرم الوفاة لرسول الله وصحابته ما هم أحق به وأهل له . فأبو أيوب رضى الله عنه لا يهنا له أكل ولا يرتاح له ضمير حتى يقدم الطعام الى رسول الله فىأكل منه ثم يأكل من موضع أصابعه . وسادة الأنصار يبعثون بالحفان كل ليلة الى بيت أبى أيوب لمن يشاء أن يأكل من المهاجرين .

ولم يكن حظ بقية المهاجرين من الإكرام وسمو المعاملة بأقل من حظ رسول الله فقد فتح الأنصار رضوان الله عليهم بيوتهم - كما فتحو قلوبهم - لإخوانهم المهاجرين وتسابقوا فى إكرامهم وإيوائهم . وتنافسوا فى هذا حتى لم يجدوا بدا فى بعض الأحيان من الاقتراع ترضية للنفوس وتطيبيا للقلوب . وضربوا فى باب الإيثار وسخاء النفس وكرم الطابع مثلا عليا لا تزال تذكرها لهم الأجيال المتعاقبة بالإعظام والإبكار .

فهذا هو سعد بن الربيع الأنصارى يأتى الى أخيه المهاجرى عبد الرحمن بن عوف فيعرض عليه أن يتنازل له عن إحدى زوجتيه ليتزوجها وأن يتنازل له عن شطر ماله ان أراد . ولكن ابن عوف أبى وشكر له صنيعه وقال له : دننى على السوق فدلّه عليه وما زال يتاجر فى الأقط والسمن حتى ناله شئ من اليسار وتزوج امرأة من الأنصار وقد فتحت عليه الدنيا بعد ما توفى الا وهو من أثرى الأثرياء . وهكذا يتجلى السخاء وغاية الإيثار من سعد رضى الله عنه ويتجلى الأباء وعفة النفس من ابن عوف وهكذا ينبغى أن يكون المسلم .

وهؤلاء هم الأنصار يأتون إلى النبي صلوات الله وسلامه عليه فيقولون له : اقسم بيننا وبين إخواننا المهاجرين النخيل . فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : لا . فقالوا لإخوانهم المهاجرين - وقد أبوا النحلة - تكفوننا المؤونة (أى السقى والعمل) ونشرككم فى الثمرة فرضى المهاجرون وقالوا : سمعنا وأطعنا .

وروى البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار إلى أن يقطع لهم البحرين ، فقالوا : لا إلا أن تقطع لإخواننا المهاجرين مثلها .

ولما أفاء الله سبحانه على المسلمين من أموال بنى النضير قال للأنصار : إن شئتم قسمت لهم المهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركهم فى هذه الغنيمة ، وإن شئتم كانت لكم أموالكم ودياركم ولم تقسم لكم شيئاً من الغنيمة . فقال الأنصار : بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ، ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها . فأنزل الله فيهم « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

ومن المثل العالية التى فيها شئ من الطرافة والحيلة البارعة فى سبيل القيام بحق الضعيف ومواساة المحتاج ما رواه البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أصابنى الجهد . فبعث إلى نسائه فقلن : ما معنا إلا الماء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يضيف هذا؟ فقال رجل من الأنصار : أنا . فانطلق إلى امرأته فقال : أكرمى ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت : ما عندنا إلا قوت صبيانى . فقال : هيئى طعامك وأصبحى سراجك ونومى صبيانك إذا أرادوا عشاء . فهىأت طعامها وأصبحت سراجها ونومت صبيانها ، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته . فجعلأى الأنصارى وزوجته يريانه أنهما يأكلان ، فباتا طاويين . فلما أصبح غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : « عجب الله من فعالكم » فأنزل الله « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » .

هذا قليل من كثير مما واسى به الأنصار إخوانهم المهاجرين ، فلا عجب أن أثنى الله سبحانه عليهم الثناء المستطاب ، وأنزل فيهم قرآنا يتلى إلى يوم الدين ، وصدق الحق تبارك وتعالى « والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » الآية .

« والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم » .

ولا عجب أن يشيد الرسول الكريم بفضلهم ومآثرهم ، فيقول فيما رواه البخارى : « لولا الهجرة لكنت من الأنصار » وأن أوصى المسلمين من بعده بهم خيرا . روى البخارى في صحيحه قال : مر أبو بكر والعباس رضى الله عنهما بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبيكون [١] فقال : ما يبكيكم ؟ قالوا : ذكرنا مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم منا ، فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ، قال : نخرج النبي صلى الله عليه وسلم وقد عصب على رأسه حاشية برد . قال فصعد المنبر - ولم يصعده بعد ذلك اليوم - فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشى وعيبتى [٢] ، وقد قضوا الذى عليهم ، وبقي الذى لهم . فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئتهم . وهذا فى غير حد أوحى من حقوق الناس » وبحسبهم أن رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كفاء ما قدموا للإسلام من مؤازرة ومناصرة ، وللدنيا من حق وخير ومثل عليا فاضلة صاروا بها أهلا للقُدوة والائتساء ٤

محمد محمد أبو شهرة

الأستاذ بكلية أصول الدين

(١) المجلة : وكان ذلك فى مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى توفى فيه .

(٢) كرشى : يعنى جماعى وموضع قوتى . وعيبتى : أى موضع سرى ودخيلة نفسى . وأنه لمن الكلام الموجز البكر الذى لم يسبق إليه صلى الله عليه وسلم .

حديث الفتوة في القرآن

« الفتوة » كلمة يختلف معناها باختلاف المستعملين لها ، فهي عند أصحاب التربية البدنية والرياضة الجسمية صلابة أعضاء وقوة أطراف ؛ وهي عند رجال « الكشف » مروءة وإيثار ومعاونة للغير وخدمة للمجموع ؛ وهي عند أهل « الفروسية » طائفة من خصال البطولة والسماحة والرفقة في المعاملة ؛ وهي عند « الصوفية » مجموعة من خلال البر والخير مثل إسقاط الجاه والزهد والرضا ومحاربة النفس والعفو عن زلات الناس ... الخ وقد تحدث الأستاذ عمر الدسوقي في كتابه « الفتوة عند العرب » حديثاً مبسوطاً في الموضوع مما جعله مرجعاً هاماً في هذا المجال .

ومن الخير - قبل التعرض لحديث الفتوة في القرآن الكريم - أن نتعرف إلى المعنى اللغوي لكلمة الفتوة عن طريق المعاجم ، فنجد القاموس المحيط يقول : « الفتاء كسماء الشباب ، والفتى الشاب والسخي الكريم .. والفتوة الكرم » [١] . وفي مفردات القرآن للأصفهاني : « الفتى الطرى من الشباب ، والأثنى فتاة ، والمصدر فتاء » [٢] . وفي أساس البلاغة للزمخشري : « هذا فتى بين الفتوة ، وهي الحرية والكرم . قال عبد الرحمن ابن حسان :

إن الفتى لفتى المكارم والعلی ليس الفتى بمغملج الفتیان [٣]
وقال آخر :

يا عز هل لك في شيخ فتى أبدا وقد يكون شباب غير فتیان

وتقول العرب فتى من صفته كيت وكيت ، من غير تمييز بين الشيخ والشاب » [٤] .

-
- (١) القاموس ، ج ٤ ص ٣٧٣ .
 - (٢) مفردات الراغب ، ص ٣٧٩ .
 - (٣) المغملج : الذى لا يثبت على حالة .
 - (٤) الأساس ج ٢ ص ١٨٥ .

وللدلالة مادة (الفتوة) على معنى القوة والثقة والمضاء اشتق العرب منها كلمة (الفتوى) ومن هنا جاءت هذه العبارة في تفسير المنار : « والاستفتاء في اللغة السؤال عن المشكل المجهول ، والفتوى جوابه سواء أكان نبأ أم حكماً ، وقد غلب في الاستعمال الشرعي في السؤال عن الأحكام الشرعية ، ومن الشواهد على عمومته (أفتوني في رؤياي) وهي مشتقة من الفتوة الدالة على معنى القوة والمضاء والثقة » [١] .

ومن النصوص اللغوية السابقة وأمثالها ندرك أن الفتوة توحى بالقوة ، لأن الفتوة هي الشباب ، والشباب عنوان النشاط والاشتداد ، كما ندرك أن الفتوة في أصلها تعنى قوة الجسم والبدن ، ثم انتقل معناها إلى بعض الصفات المعنوية كحب الخير والأريحية والسخاء ثم انتقل معناها عند أهل التصوف إلى حالة نفسية فيها مزاج من صفات سلبية وصفات إيجابية ، ولعل الصوفية هم أكثر الناس حديثاً عن « الفتوة » وعناية بأمرها ، ما بين مقتصد منهم ومسرف ؛ وقد يكون من الاستثناس بجو البحث أن نعرف جانباً من آرائهم في « الفتوة » وتصويرهم لها ، فابن عربي يحدد عمر « الفتى » ويصف أخلاقه فيقول : « الفتى ما بين الثامنة عشرة والأربعين من العمر ؛ ويتصف بالقوة والأخلاق الحميدة . ويستخدم قوته في خدمة الله ونصرة الضعيف وليس له عدو ولكن له حساد ومنافسون » [٢] . ويتوسع في تصويره شعراً فيقول من أبيات له :

إن الفتوة ما ينفك صاحبها	مقدماً عند رب الناس والناس
إن الفتى له الإيثار تحلية	فحيث كان فمحمول على الراس
ما إن تزلزله الأهوا بقوتها	لكونه ثابتاً كالراسخ الراسي
لا حزن يحكمه ؛ لا خوف يشغله	عن المكارم حال الحرب والباس

ويقول القشيري : « أصل الفتوة أن يكون العبد ساعياً أبداً في أمر غيره » . ويقول الكرنخي : « للفتيان علامات ثلاث : وفاء بلا خلف ، ومدح بلا جود ، وعطاء بلا سؤال » . ويقول الوراق : « أصل الفتوة خمس خصال : أولها الحفاظ ، والثاني الوفاء

(١) تفسير المنار ؛ ج ١٢ ص ٣١٢ .

(٢) قطفنا هذه التعاريف من مواطن مختلفة من كتابي « طبقات الصوفية » لأبي عبد الرحمن السلمي ؛ بتحقيق الأستاذ نور الدين شريعة ؛ و « الفتوة عند العرب » .

والثالث الشكر، والرابع الصبر، والخامس الرضا . وسئل أبو حفص النيسابورى : هل للفتى علامات ؟ فقال : نعم ، من يرى الفتيان ولا يستحى منهم في شمائله وأفعاله فهو فتى . وسئل البخارى : ما الفتوة ؟ فأجاب : حفظ السر مع الله على الموافقة ، وحفظ الظاهر مع الخلق بحسن العشرة ، واستعمال الخلق . ويقول الشبهى : الفتوة حسن الخلق وبذل المعروف . وسئل البوشنجى عن الفتوة فقال : حسن المراعاة ودوام المراقبة ، وأن لا ترى من نفسك ظاهرا يخالفه باطنك . وقال البيرونى : « حدثت الفتوة بأنها بشر مقبول ، ونائل مبدول ، وعفاف معروف ، وأذى مكفوف » . وقال المحاسبى : الفتوة أن تنصف ولا تنصف !! .

وسأل مشايخ بغداد أبا حفص النيسابورى عن الفتوة ، فقال : تكلموا أنتم فلم العبارة واللسان . فقال الجنيدي : الفتوة إسقاط الرؤية وترك النسبة . فقال أبو حفص : ما أحسن ما قلت ، ولكن الفتوة عندى أداء الإنصاف ، وترك مطالبة الإنصاف فقال الجنيدي : قوموا يا أصحابنا ، فقد زاد أبو حفص على آدم وذريته ! ! . . . وبين أيدينا من أمثال هذه التعريفات عشرات وعشرات جمعناها من هنا ومن هناك ، وهى مما يضييق به النطاق . . .

والإسلام يحب الفتوة بمختلف معانيها المعقولة المقبولة ؛ فهو يحب الفتوة فى البدن ، لأنه دين القوة حسا ومعنى ، ويحبها فى الخلق ؛ لأنه دين مكارم الأخلاق . ويحبها فى معاونة الناس لأن خير الناس عنده أنفعهم للناس . بل يحب أن تكون المعاونة من ذى الفتوة معاونة قوية موصلة . ومن هنا جاء الحديث فى الأضحية يقول : « جذعة أحب إلى الله من هرمة ؛ الله أحق بالفتاء والكرم » . والجذعة : الفتية . والهرمة : العجوز . والفتاء : الشباب ؛ والكرم : الحسن [١] .

وقد تتبعت المواطن التى وردت فيها مادة « الفتوة » فى القرآن الكريم . فوجدتها عشرة مواطن ولاحظت أن هذه المادة تذكر فى القرآن المحيد بالخير وفى مواضع الخير . وكأن القرآن يرمز بهذا إلى أن شأن الفتيان أن يكونوا دائما فى مواطن الحمد وأما كن الشناء وفى ذلك ما فيه من توجيه أو إيحاء .

يقول القرآن الكريم على لسان قوم إبراهيم عليه السلام : « قالوا سمعنا فتى يذكرهم

يقال له إبراهيم [١] » والفتى المراد هنا كما هو واضح هو خليل الرحمن وأبو الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام . وقد عقد صاحب « الفتوة عند العرب » فصلا بعنوان « سيد الفتیان » ثم قال معلقا على ذلك العنوان : « هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . وليس في وصفنا له عليه السلام بسيد الفتیان تطاول على مقام النبوة الكريم . فقد قال تعالى في سيدنا إبراهيم : قالوا سمعنا [٢] فتى يذكرهم يقال له إبراهيم) » .

ويقول التنزيل المجيد عن أهل الكهف : « إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا [٣] » . وأنت ترى أن الفتية هنا مؤمنون قد اعتزوا بربهم واتجهوا إليه واعتمدوا عليه . يقول عنهم القرطبي : « وكان بها - أى مدينة أفسوس - سبعة أحداث يعبدون الله سرا فرفع خبرهم إلى الملك وخافوه فهربوا ليلا » ويقول أيضا : « فآمنوا بالله ورأوا ببصائرهم قبيح فعل الناس فأخذوا نفوسهم بالتزام الدين وعبادة الله [٤] » . ويوالى القرآن الحكيم قص أمرهم بما يزيده علوا وتكريما فيقول :

« نحن نقص عليك نبأهم بالحق . إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى . و ربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا . وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا [٥] » .

وحينما تعرض القرطبي لتفسير قوله تعالى : « إنهم فتية آمنوا بربهم . . . » قال : « أى شباب أحداث حكم لهم بالفتوة حين آمنوا بلا واسطة كذلك قال أهل اللسان : رأس الفتوة الإيمان . وقال الجنيد : الفتوة بذل الندى . وكف الأذى . وترك الشكوى . وقيل : الفتوة اجتناب المحارم واستعجال المكارم . وقيل غير هذا . وهذا القول حسن جدا لأنه يعم بالمعنى جميع ما قيل في الفتوة » .

(١) سورة الأنبياء ؛ آية ٦٠

(٢) فى الكتاب (إنا) بدل (قالوا) وهو سهو أو خطأ مطبعى ؛ انظر ص ١٤٣

(٣) سورة الكهف آية ١٠ (٤) تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٣٥٩

(٥) سورة الكهف آية ١٣ - ١٦

ولما بلغ قوله تعالى : « وزدناهم هدى » قال : (أى يسرناهم للعمل الصالح من الانقياد إلى الله تعالى ومباعدة الناس والزهد في الدنيا وهذه زيادة على الإيمان)
ولما بلغ قوله : « إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض » قال : (هؤلاء قاموا فذكروا الله على هدايته وشكروا لما أولاهم من نعمه ونعمته ثم هاموا على وجودهم منقطعين إلى ربهم خائفين من قومهم وهذه سنة الله في الرسل والأنبياء والفضلاء والأولياء ... [١]) وهذه عبارات ناطقة بفضل الفتوة ومجد الفتيان وشاهدة بتعظيم ذكرهم في خير البيان وهو القرآن .

ويقول الله تبارك وتعالى في التنزيل الحميد : « ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمنكم من فتياتكم المؤمنات [٢] » . وفي هذه الآيات تكريم لهؤلاء الفتيات المؤمنات وترغيب فيهن وقد أشار إلى ذلك السيد رشيد رضا - عليه الرحمة والرضوان - حين تحدث عن وصف الإمام هنا بالفتيات فقال : « وفي التعبير عنهن بهذا اللقب إرشاد إلى تكريمهن ، فإن الفتاة تطلق على الشابة وعلى الكريمة السخية كأنه يقول : لا تعبروا عن عبيدكم وإمائكم بالألفاظ الدالة على الملك بل بلفظ الفتى والفتاة المشعر بالتكريم ؛ ومن هنا أخذ مبلغ القرآن ومبينه صلى الله عليه وسلم قوله : (لا يقولن أحدكم عبدى وأمتى ؛ ولا يقل المملوك : ربى . ليقل المالك فتاى وفتاتى ؛ وليقل المملوك سيدى وسيدتى ؛ فأنكم المملوكون ؛ والرب هو الله عز وجل) رواه الشيخان » [٣] .

ويقول القرآن : « وإذ قال موسى لفتهاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا » [٤] . وقد قيل إن الفتى هو يوشع بن نون . وإنما قيل له فتى لأنه كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يأخذ منه العلم [٥] وهما أمران يشرفان لأن خدمة النبي عمل كريم ولأن طلب العلم مقصد عظيم وقيل إن الفتى هو يوشع بن نون بن إفرائيم

(١) تفسير القرطبي . ج ١٠ ص ٣٦٤ - ٣٦٦

(٢) سورة النساء . آية ٢٥

(٣) تفسير المنار . ج ٥ ص ١٨

(٤) سورة الكهف . آية ٦٠

(٥) تفسير الكشاف . ج ٢ ص ٣٩٥

ابن يوسف عليهم الصلاة والسلام [١] فهو إذن من سلسلة النبوة وأكرم بالفتوة إذا تحدّرت من هذا النبع الطهور ...

وإذا كان فتي موسى قد نسي الحوت وقال عن نفسه : « وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره » فإن البيضاوى يعال هذا النسيان تعليلاً مشرفاً فيقول : « ولعله نسي ذلك لاستغراقه في الاستبصار وانجذاب شراشه [٢] الى جناب القدس بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة وإنما نسبته الى الشيطان هضماً لنفسه أو لأن عدم احتمال القوة للجانيين واشتغالها بأحدهما عن الآخر يعد من نقصان صاحبها » .

ومع هذا أدى نسيان يوشع الى خير مطلوب . ألم يقل القرآن عن موسى عليه السلام « قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا » [٣] ؟ ! .

ويقول القرآن : « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم » [٤] . وقد نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي رأس النفاق لأنه أكره جوارى له على البغاء وضرب عليهن ضرائب فذهبت ثنتان منهن وشكنا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم [٥] ولا شك أن هذا التحصن وتلك الشكوى مما يحمد عليه أهله !! .

يا فتية الإسلام هكذا كان حديث الفتية في القرآن لا يرد الا في مجال محمود فأين أتم من مواطن الحمد والثناء ؟ ! ما

أحمد الشرباصي

المدرس بالأزهر الشريف

(١) تفسير البيضاوى . ص ٣٩٦

(٢) الشراشر : جمع شرشرة ؛ والشراشر الإثقال والنفس وجميع الجسد والمحبة (عن القاموس) .

(٣) سورة الكهف . آية ٦٤

(٤) سورة النور . آية ٣٣

(٥) انظر تفسير الكشاف . ج ٣ ص ٧٦ ؛ وتفسير البيضاوى ص ٤٦٨

الألغاز

والآداب العربية والعامة المعاصرة

— ١ —

« الألغاز » ضرب من ضروب الأدب ولون من ألوانه ، يمتاز عن سائر الضروب والألوان بأنه يتخذ الحيلة أساساً له والمعرفة والثقافة سنداً ، والامتحان والاختبار أسلوباً ، وبأن منحاه التركيز والغموض ، وصفته الإيجاز والإعجاز .

أما أن أساسه الحيلة ؛ فذلك لأنه فن من فنون التسلية يحتاج إلى البراعة في الوضع ، والعناية في الإخراج ، واللباقة في تقديمه إلى الراغبين في قضاء الوقت ومتعة السهر ، حتى يلاقى لديهم نجاحاً ويلقى في نفوسهم هوى ويجذب منهم الانتباه .

وأما عن المعرفة والثقافة باعتبارهما سنداً لهذا اللون من ألوان الأدب ؛ فالمفهوم أن اللغز إنما يعنى اختبار المراد منه حله وتفسيره . ولن يتيسر هذا الاختبار على نطاق واسع إلا إذا كان الأديب الذى يلغز والشخص الذى يوجه إليه اللغز سواء أكان قارئاً أم سامعاً كلاهما على قدر من الثقافة والإلمام بالمعرفة يتناسب مع ما يقتضيه اللغز من اتساع في الأفق وكثرة في الاطلاع وسرعة في البديهة — ولقد كان من شأن تباين الثقافات وتفاوت المعارف أن تنوعت الألغاز واتخذت قوالب وأشكالاً تتناسب مع هذا التباين والتفاوت في درجة الإلمام والاطلاع وقدر التفكير والتعليم وطبيعة البيئة .

وواضح أن الأسلوب الذى تتبعه الألغاز هو أسلوب الاختبار ، اختبار القدرة على فهم اللغز ، وسيمته الغموض والإبهام في سرعة واختبار المقدرة على حصر شتى المعلومات والمعلومات من الأشياء والحقائق ومعرفة أيهما ينطبق عليه نص اللغز وتظهر الفائدة واضحة من اللغز في هذا الأسلوب ذلك لأن الاختبار يؤدي إلى تشغيل الذهن وتحريك الملكات الفكرية ويعود على السرعة في الفهم والشوق إلى الإفصاح والتعود على التفكير وتقوية البديهة وحصر المعلومات كما يؤدي إلى التعود على تذوق الأدب اللغزى وسرعة الإحاطة بالاحتمالات العديدة المختلفة لكل نقطة من نقاط الثقافة وكل بند من بنود المعرفة .

وليس من شك في أن المنحى الذى يتخذه الملمغزون في وضع الألفاظ إنما هو التركيز والغموض والسبب في التركيز هو أن اللفظ يقصد في العادة إلى الاختبار ومن شأن هذا الأخير أن يكون المعنى الدائر حوله النص مركزا بمعنى أن يكون مشتملا على الصفة الكلية التي يتصف بها الشيء الملمغز فيه أو الصفة البارزة المميزة له عن سواه من الأشياء والعلّة في الغموض تبدو من تبيان الفرق بين الوصف والإلفاظ فعلى الرغم من أن هذا الأخير هو في حقيقته وصف موجز يصور صفة مميزة لشيء من الأشياء بصورة تمكن بعد تفكير وتمعن إلى استكناه هذا الشيء ومعرفة غواه ؛ إلا أن الوصف يختلف عن ذلك في اتسامه بطابع التوسع والتحليل والتنميق وفي اتسامه بالتبسط في العرض حتى يتذوقه المتذوقون دون نصب ولا إرهاق ويستسيغه المستسيغون دون كد كثير للذهن أو التباس ملحوظ في القصد والمعنى .

ويتصل بالتركيز أن يكون اللفظ موجزا ، والإيجاز صفة يقتضيها المقام في الألفاظ ، وذلك يرجع إلى أن هدفها الامتحان والاختبار ، وهذا فضلا عن أن الإيجاز سبيل إلى الإبداع والإعجاز ، ومن مقتضى هذا الأخير أن يجعل للانتاج طابعا فريدا خاصا فيه الدفع إلى الفحص والاستكناه وفيه الدافع إلى التوصل إلى الحل والتفسير ، أما ما يتعلق بالغموض فليس يخفى أن صفة اللفظ وطبيعته المميزة باعتباره انتاجا أدبيا إنما تقوم على أساس التعمية ، والتعمية هي السبيل للاختبار ، والمفهوم أن الغموض يكون في وصف الشيء الملمغز فيه : والمقصود بذلك أن يختار الملمغز لهذا الشيء صفة أو طابعا أو وجهة بعيدة تعبر عنه من زاوية خاصة له تحتاج من الموجه إليه اللفظ أن يقلب الفكر والذاكرة حتى يصل إلى اقترانها بهذا الشيء ، أما أن يمنح الملمغز إلى الإيهام في اللفظ ، فذلك في رأينا لا يكون صحيحا إلا إذا كان الإلفاظ لفظيا أى قائما على اللفظ كما سيجئ ؛ أما غير ذلك من ضروب الألفاظ . فالغموض في اللفظ فيه عقم واضطراب في الفن اللغزي وعلى هذا الأساس يحكم على هذا الضرب من الألفاظ أو ذاك بالصحة والإعجاز أو بالفشل والهدم .

والمعيار السليم في الحكم على اللفظ يتأتى بمعرفة الشيء الملمغز فيه . ثم تطبيق النص اللغزي عليه فإذا وجدنا - والوضع هذا - أن هذا الشيء قد صار عنوانا سليما لذلك النص كان اللفظ سليما وإذا ألفتنا أن النص متعذر انطباقه على الشيء الملمغز فيه كان اللفظ غير سليم ، ويتفرع عن ذلك ملاحظة أن النص قد يحتوى على صفة للشيء يشترك فيها مع بعض آخر من الأشياء ؛ وبالرغم من هذا يكون اللفظ صحيحا وسليما وهذا لا يكون إلا إذا

كان النص يشمل مجموعة من الصفات والأوصاف يكفي أن يكون واحد منها أساسيا في الشيء بمعنى عدم اشتراك هذا الأخير فيه مع أشياء أخرى .

والألغاز مادة من مواد التسلية في مجالس الأدب ومجالس التسلية ؛ فضلا عن المجالس الشعبية . ويقصد بالمجالس هنا اجتماع فئة من الناس تربطهم صلة الأدب أو الفكر أو صلة الصداقة أو القرابة لقضاء أوقات الفراغ . وأجمل أسلوب في نظرنا لتسهيل هذه المادة وجعلها شيقة محبة مؤدية للغرض منها وهو التسلية وتشغيل الأذهان واختبار المقدرة وما إلى ذلك هو تحديد الزوايا المعينة أو القوالب الخاصة التي سيدور حولها محور الألغاز . بمعنى اختيار وجهة خاصة كعلم من العلوم مثلا أو فن من الفنون أو طبقة من الناس كطبقة الأدباء والمفكرين أو كطبقة السياسيين والاقتصاديين لتكوين كل الألغاز التي تذكر في المجلس محصورة في جويتسنى معه للحاضرين الحل والتفسير في سرعة ويسر ؛ وذلك أن من شأن التحديد والحصص عدم تشتيت الذهن واقتصار دورانه وبحته على دائرة معينة . ويؤدي هذا كما هو ظاهر إلى السرعة في الوقوف على الحل والنتيجة وتظهر فائدة هذا المنهج في أنه يساعد على استمرار المجلس والإقبال على مادته وبطء إحساس الحاضرين بالسأم أو الملل الذي يحدثه كثرة الذهن في الحل والاختبار .

ولم تقتصر الألغاز على نوع دون آخر من أنواع الأدب . فنحن نجد لها طرقت أبواب القصة والنثر الأدبي والأدب الشعبي كما طرقت باب الشعر العربي .

أما من ناحية القصة فليس يخفى أن عنصر التشويق الذي هو أساس الفن القصصي يتطلب وجود لغز في القصة يسعى القارئ إلى معرفة كنهه والوقوف على ما يفسره بمتابعة فصولها والاهتمام بعرضها . ويتمثل هذا في وضوح في نوع القصص المعروف بالقصص البوليسية . فهذا النوع من القصص أساسه اللغز ومحوره الإلغاز ويلاقى رواجاً كبيراً لدى القراء بالغرب ولكن رواجه بين قراء العربية يتأتى عن طريق القصص البوليسية المترجم عن الإنجليزية . ولقد كان في قيام هذا النوع من القصص على اللغز خلق نوع خاص من الأبطال القصصيين مهمتهم في القصة التوصل إلى حل اللغز وتفسيره وبطولتهم تتأتى عن طريق مقدرتهم على هذا الحل والتفسير ومن أشهر هؤلاء الأبطال البطل المعروف باسم شرلوك هولمز .

ونجد الألغاز منتشرة في النثر الأدبي . وهنا نلاحظ فرقا بين اللغز والسؤال فلا شك

أن السؤال أعم من اللغز فضلا عن أن هذا الأخير يراد منه في العادة - زيادة على الامتحان والاختبار - أن يكون مادة للتسلية وتلك صفة تنضج في اللغز أكثر من وضوحها في السؤال .

ومن أمثلة الألغاز في النثر العربي ما نجده في أقاصيص (ألف ليلة وليلة) إذ وردت بعض الألغاز في إحداها . منها :

أخبرني عن قبر مشى بصاحبه ! - المقصود حوت يونس حين ابتلعه .

أخبرني عن شئ يتنفس بلا روح ! - المقصود قوله تعالى (والصبح إذا تنفس) .

أخبرني عن شئ أوله عود وآخره روح ! - المقصود عصا موسى حين ألقاها في الوادي فإذا هي حية تسعى باذن الله .

أخبرني عن بقعة واحدة طلعت عليها الشمس مرة واحدة ثم لم تطلع ولن تطلع إلى يوم القيامة ! - المقصود بهذه البقعة (البحر الأحمر) حين ضربه موسى بعصاه فانفلق اثني عشر فرقا . وطلعت عليه الشمس ولم تعد له إلى يوم القيامة .

أخبرني عن أثى من ذكر وذكر من أثى ! - المقصود بالأولى حواء من آدم . والمقصود بالثاني عيسى بن مريم .

أخبرني عن أربع نيران : نار تأكل وتشرب ونار تأكل ولا تشرب ونار تشرب ولا تأكل ونار لا تأكل ولا تشرب ! - المقصود بالأولى نار جهنم والثانية نار الدنيا والثالثة نار الشمس والرابعة نار القمر .

أخبرني عن خمسة أشياء خلقها الله تعالى قبل خلق الخلق ! - المقصود بها : الماء والتراب والنور والظلمة والثمار .

أخبرني عن أشياء خلقها الله تعالى بيد القدرة ! - هي : العرش وشجرة طوبى وآدم وجنة عدن .

أحمد طه السنوسي

« له بقية »

مواقف خالدة لعلماء الازهر

واخشع مليا واقض حق أئمة
طلعوا به زهرا وماجوا أبجرا
شوقى

يدأب كثير من المغرضين على اتهام الأزهر ، واختلاق المثالب الشائنة لرجاله ، وهم اذ يلصقون التهم الآثمة بهم الصاقا يتجافى عن الحق والإنصاف ، انما يهاجمون الإسلام نفسه من وراء ستار ، ليحققوا مآرب خبيثة لا يقدرّون على البوح بها علانية ، ولا جرم فقد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر .

وأعظم تهمة يمهّدون لها العلل والأسباب ، هى دعوى تزلف الأزهريين للرؤساء من ملوك ووزراء ، والسير فى ركاب أولى الأمر مهما اعتسفوا الجادة وتنكبوا السبيل ، والعجيب المدهش حقا أن الذين يلوكون بأفلامهم هذا الهراء فى صحفهم الماجنة هم أنفسهم الذين كانوا يدقون الطبول فى موكب الفساد ، وحين تغيرت الأوضاع بعد الثورة أخذوا يتصلون من فضائحهم المخزية ويتصيدون الشوائب للبررة الأتقياء ، حتى ليصدق عليهم المثل القائل (رمتنى بدائها وانسلت) !!

ونحن اذا تصفحنا مواقف تاريخنا الحديث نجد لأعلام الأزهر فى الذود عن الحق والوقوف فى وجه الباطل آيات رائعة يفوح منها الشذى العاطر وتؤكد وراثة الأنبياء فى قوم يخشون الله حق خشيته ، ومن المؤسف أن هذه المواقف الخالدة - على كثرتها المشرفة - لم تجد من أحصاها فى كتاب ، أودونها فى تاريخ ، اذ أن الرهبة المربعة من أصحاب النفوذ ، ساعدت على كتمان هذه المجاهبات الصريحة ، الا ما تناثر على الأفواه من أحاديث تتخذ الحيلة الكاملة فى ترادها وتداولها بين الناس ، ومع هذا التكم

الصريح فقد وعت ذاكرة التاريخ مثلاً رائعة لجماعة مؤمنة يأملون بالمعروف وينهون عن المنكر من العلماء الأفاضل !!

وها نحن أولاء نسطر في مقالنا بعض هذه الروائع الغالية ، ليعلم من لم يكن يعلم أن من علماء الأزهر من حملوا مشعل الحق في الدعوة الى الله ، فأثبتوا لذوى الإنصاف أن الروح القرآنية التي ألهمت سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب وعمرو بن عبيد والأوزاعي وابن حنبل والعز بن عبد السلام في القديم هي نفسها الروح القوية التي سرت في نفوس علماء الأزهر فواجهوا الباطل بلسان صدق مبين ونحن نسجل بعض هذه المفارح لا لنقول أولئك آبائي بل لنقذف بالحق على الباطل فاذا هوزاهق .

لقد حكم محمد على مصر في فترة عصيبة من تاريخها القريب فمن الذي أحصى عليه أخطاءه وسجل نقائصه ، حتى تعرض لأقصى ضروب العسف والاضطهاد ؟!! ان العالم الأزهرى عبد الرحمن الجبرتي قد كانت أول من سجل على والى الغاشم نوابه ، وأخذ يتنقل بين المدن والقرى فارا من عذاب أليم يتهده من أولى الأمر ، وقد تعرضت أسرته للاغتيال والحبس والأهانة ، وظل المؤرخ الكبير يخطط للأجيال المقبلة كلمة الحق سافرة حميدة ، دون أن يقعد به تحرش وارهاب . ولو أراد الرفعة والجاه لسار في موكب النفاق يخلق المحامد ويطلق بخور الثناء . وقد اختلفت الآراء في خاتمة حياته وأرجحها المؤكد أنه لقي مصرعه مستشهدا في سبيل رأى الصريح - مما نبسط الحديث عنه بالتفصيل في مقال آخر - ومع أنه كان في صدر شبابه صديقا لعل بك الكبير ومحمد بك أبى الذهب فقد سجل عليهم في تاريخه العظيم ما رآه من المظالم . وارتفع بالتاريخ الى مرتبة لا تتنجح الى الأهواء والميول . فليذكر صعاليك الصحافة ما كتبوه بالأمس في صحائفهم عن فاروق ليعرفوا من يسير مكبا على وجهه ومن يمشى سويا على صراط مستقيم .

هذا هو الجبرتي العالم الأزهرى ابن العالم الأزهرى !! وهناك معه عشرات من علماء الأزهر جابهوا الباطل علانية دون استخذاء فلم تأخذهم ملامة في جنب الله ، وبقيت أحاديثهم العاطرة تعبق في رحاب الأجيال ! .

هناك العالم الأزهرى الجريء الأستاذ حسن العدوى وقد شهد له الزعيم أحمد عرابي في مذكراته السياسية شهادة تزن ما على الأرض من ثروة ومتاع ! فقد كان وزملاؤه الأزهريون في طليعة رجال المؤتمر الوطنى الذى أصدر قراره التاريخى بعزل توفيق وتكليف

الزعيم أحمد عرابي بالدفاع عن الوطن بعد أن قرئت على المجتمعين نوتى أزهرية إسلامية بمروق الخديوى وخيانتة، فكان لها أكبر الأثر في هيجان الشعوب المصرى ضد الحاكم الخائن وحين انتهت الثورة إلى خاتمها الأليم تقدم الشيخ العدوى الى المحاكمة بجنان ثابت ووقار مهيب فسأله الرئيس : هل أفتيت بعزل الجناح الخديوى ؟ فأجاب من فوره : لم تصدر منى فتوى بذلك ومع هذا فأذا تقدمتم إلى بمشور يتضمن هذه الفتوى فسأوقعه وما فى وسعكم وأنتم مسلمون أن تنكروا أن الخديوى يستحق العزل لمروقه عن الوطن والدين ! يقول هذا وقد شخذ الباطل أسنثته وحرابه لينكل بالأحرار الباسلين ؛ فتضاءل فى تقديره كل عقوبة ظالمة تتخيلها الأذهان ويرفع هامته فى ساحة المحاكمة عالية شماء ! .

هذا العالم الأزهرى الورع قد طلب منه أثناء زيارة السلطان عبد العزيز لمصر ضعفا على اسماعيل أن يقوم بتقليد رسمى كرية فينحى الى الأرض ثلاث مرات يأخذ فيها السلام الى رأسه ثم الى فمه ثم الى صدره ويخرج موجهها صدره الى الخليفة وظهره الى الباب ! وتوقع ذوو الأمر أن يفعل ذلك ولكنه اعتقد فى قرارة نفسه أن هذه تقاليد آثمة لا تنبع من روح الدين بل تعيد الوثنية ثانية فى أمة شرفها الإسلام بالتوحيد والمساواة فسخر بكل مسمع ودخل الى الخليفة مرفوع الرأس قائلا : السلام عليك يا أمير المؤمنين ثم ابتدره بالنصيحة ودعاه الى تقوى الله والخوف من عذابه ! وهاج الخديوى واضطرم الغيظ فى صدره ولكن السلطان يعجب بما يرى ويخلع على الرجل حلة ثمينه ويقول للحاضرين « ليس لديكم عالم سواه » ١١٠ .

هذه الروح الكريمة التى نفثها القرآن فى النفوس لم تقتصر فى أحلك عهود الطغيان على فرد أو اثنين بل غمرت أناسا كثيرين عرفوا الله فعرفهم . وإذا كانت مواقفهم الخالدة قد فقدت المؤرخ الجريء فقد تناقلتها الأفواه لسانا عن لسان وحملت الصدور ما خافت أن تعلنه الطاروس ومن الذى لا يسمع بغضبة اسماعيل وقد توالى هزائم جيوشه فى الحبشة وأمر العلماء بقراءة البخارى فما غيرت شيئا من الموقف فصاح بالعلماء لستم من السلف الصالح فان الله لم يدفع بتلاوتكم شيئا ! فأجابه أحد العلماء : لقد قال

(١) من كتاب العدالة الاجتماعية فى الإسلام للأستاذ سيد قطاب ص ١٦٨ ؛ وقد ألم أيضا بموقف الشيخ حسن الطويل من مقابلة توفيق .

رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم » فانكسر الخديوى وسأل : وماذا صنعنا حتى ينزل بنا البلاء ؟ فقال العالم : أليست المحاكم المختلطة قد فتحت بقانون يحل الربا ؟! أليس شرب الخمر مباحا ؟ أليس الزنا برخصة ؟؟ أليس كيت وكيت ؟!! واندفع يذكر ما شاع بمصر من المنكرات - واسماعيل يسمع ويكظم - غير ما وجل ولا هيب [١] .

وهناك العالم الحليل الأستاذ حسن الطويل العالم الأزهرى فقد كان من عزة النفس والثقة بالله على جانب رفيع ممتاز ! دخل عليه رياض باشا وهو يدرس لطلابه بدارالعلوم فما غير موقفه أو بدل جلسته . وحين هم الزائر بالخروج قال له الأستاذ : لماذا لا أكون وزيرا معكم يا باشا ؟ فدهش الزائر وقال : أى وزارة تريد ؟ فقال : وزارة المالية لأستبيح من أموالها ما تستبيحون (٢) !! وكانت لطمة أليمة توجه الى حاكم أرستقراطى لم يألّف التهمك والاستخفاف ! فخرج نائرا مهتاجا واستدعى ناظر المعارف على مبارك ليُعجل بفصله من وظيفته ولكن يدا أعلى من يدر رياض باشا تقف في وجهه فيتراجع - على غطرسته العاتية - مدحورا وقد آثر ألا يزور مدرسة أو معهدا بعد ذلك !!

هذا الرجل العظيم الشيخ حسن الطويل ، قد طلب منه أن يرتدى ملابس خاصة ليقابل بها الخديوى توفيق ، وحين الموعد المرتقب فجاء بملابسه المعتادة ، ومعه منديل يضم الملابس الرسمية . ثم قدمها للخديوى قائلا فى بساطة ! : إن كنت تريد الحبة والفقطان فهماذان ، وإن كنت تريد حسنا الطويل ، فهانذا حسن الطويل !! ثم قال الشيخ بلهائمه : كيف أتجمل لتوفيق بلباس لا أتجمل به لربى فى الصلاة ؟! . وهذا لعمري منطق اليقين الجازم ، والإيمان العجيب !!

وهناك الأستاذ الإنابى شيخ الجامع الأزهر ، دخل عليه اللورد كرومر محيا ، فصاحفه الأستاذ من جلوس ، فاستعظم اللورد ما صنع ، وسأله : أليست تقوم للخديوى ؟

(١) من أخلاق العلماء للأستاذ محمد سليمان ص ١٠١

(٢) » » » » » » » » ١٨١

فقال : نعم ، لأن الخديوى ولى الأمر ، وهو منا ، ولست مثله لدينا فى شئ (١) ! !
ولم يقل الشيخ ذلك ترفقا للخديوى فهو العالم الجريء الذى جابه توفيقا وأفتى بعزله ومروقه
دون تحفظ أو اكتراث ، ولقد كان كرومر فى منعة عزيزة يتضاءل معها جاد خلفه الأخير
« كليرن » ومع الفارق البعيد بين الاثنين ، فقد رأينا رؤساء الحكومات ينكشون ويتضاءلون
جوار ما يلز لا مبسون ، ثم لا يجدون من صحافة اليوم غير المدبج والتنويه ! !

وهناك الأستاذ الشيخ حسونة النواوى شيخ الجامع الأزهر . فقد أرادت حكومة
مصطنعى فهمى أن تضعف القضاء الشرعى لإجابة لرغبة المعتمد البريطانى ، فدعت لتعديل
اللائحة الشرعية مستندة الى نفوذ المستعمر كعهدها فى حكمها الطويل البهيم ! ! ولكن
الشيخ حسونة يحمل على المشروع بكلمة موجزة فتطير فى الأمة كل مطير ويتأهب
الكتاب لنقده نقدا جارحا فتتخاذل الحكومة وتؤثر انسحاب مشروعها الخاير [٢]
ولو كان هذا الموقف لزعم سياسى لظلت صحفنا « المنصفة » ! ! تردده بين الحين والحين .

ومن المدهش العجيب أن الذين يكتبون عن الأستاذ الإمام محمد عبده يعز عليهم أن
يعترفوا بمواقفه الخالدة من الحكم ويكسرون الحديث على علمه وجهاده فى التربية
والإصلاح ونشاطه الاجتماعى ! ! بل ربما اتهموه آثمين بمحاباة الانجليز والدعوة الى
الاحتلال ! ! أما موقفه الخالد فى الثورة العربية ونفيه الى الخارج فلا يحتاج الى تسجيل ،
وأما مواقفه المتكررة من عباس فيجب أن يسحب عليها ذيل العفاء ! !

لقد أراد الخديوى السابق أن يجعل أموال الأوقاف بقرة حلوبا تدر عليه الأرباح
من أيسر طريق ؛ فوقف الإمام فى وجهه وقفة كشفت مطامعه للعيان ، ولعبت الشجاعة
دورها فى قلب عباس ؛ فتعقب الإمام فى كل طريق ناصبا مكايده الخاتلات ! !

لماذا عارض الخديوى إصلاح الأزهر ! ولماذا عارض إصلاح القضاء ! !
السبب واضح ؛ فالأستاذ الإمام قد رسم المنهج ؛ وأعد الخطة ؛ وأثار الرأى العام .
فلا بد أن ترجع مشروعاته بالخيبة والإخفاق .

لقد كتب الأستاذ الإمام عن (محمد على رأس الأسرة الحاكمة) مقالا جريئا
يبرزه على حقيقته أمام القراء ؛ فكان ثانى كاتب — بعد الجبرتى — فى مصر يصور

(١) من أخلاق العلماء للأستاذ محمد سليمان ص ١٨٢

(٢) مجلة الرسالة ص ١٦٣ السنة ١٥ نقلا عن فضيلة الأستاذ فرج السنهورى .

بالعربية حقيقة هذا الحاكم السفاح ؛ وفي الوقت الذى احتفل فيه أساتذته النفاق بالذكرى المئوية « لساكن الجنان » منذ قريب !! كان هناك أزهرى ثالث هو العالم الأزهرى الداعية محمد الغزالي ينقل كلام الشيخ محمد عبده عن محمد على فى كتابه « تأملات فى الدين والحياة » ثم يشفعه بالتفسير والتوضيح !! ونحن ندعو القراء الى مطالعة ما كتبه محمد عبده والغزالي عن محمد على . ثم ليقرأوا الأعداد الخاصة من الصحف والمؤلفات الضخمة من الكتب التى صدرت فى الذكرى المئوية (العريضة !) تملقا لفاروق وإرضاء للباطل ! ! وحينئذ يعرف القارئون من المتزلف المتعلق ، أننا أم هؤلاء ! !

وأخيرا تعالوا بنا إلى العهد القريب لتعلموا ما صنع مفتى الديار المصرية السابق الشيخ محمد نجيب الميماعى رحمه الله فقد لطم الاستعمار لطمة قاسية حين أصدر فتوى دينية وطنية فى مقاطعة الانجليز فسرت مسرى النار فى الحشيم وبتدت مانسج من الأحلام والأمنيات . ولقد كان الشيخ نجيب أكبر مفت للإسلام فى عصره ، ورفض ثروة مغرية قدمت إليه حين أصدر فتوى اسلامية فى وقف من الأوقاف قائلا كلمته الجليلة (العلم فى الإسلام لا يباع) ولعمري إن هذه الجملة الصغيرة على إيجازها العجيب ، قانون إسلامى خالد يجب أن يتردد ويذاع ليؤمن به المسلمون ويعملوا به .

تعالوا بنا لتسمعوا شيخ الأزهر الشيخ عبد الحميد سليم يقول لمندوب فاروق الذى كنتم أيها الصحفيون تعبدونه من دون الله : إلتى لا أخاف من شئ ما دمت أتردد من بيتى إلى المسجد ! ! يقول هذا وقد تضاربت الأقلام والألسنة على تعظيم الطاغية وإكباره ، ولا يكفى الشيخ بما ذكر بل يندد بتبذيره الفاجش وإسرافه المقيت ، فيصيح صيحته المشهورة « تقف ههنا وتبذير هناك » ! !

هذه بعض المواقف الرائعة فى تاريخ الأزهر ، ومن المؤسف أن يتعاون المجاورون على طمسها وإخفاءها ؛ فيحولوا دون شرف خالد للتاريخ المصرى يوشك أن يندثر بلا تسجيل ! ! وإذا كان منهم من يريد أن يطفى نور الله فالله متم نوره ! ! ولن يعدم الحق لسانا يقول : « هاؤم اقرءوا كتابيه » .

محمد رجب البيومى

الى الله...

عند ما تستشرى الأزمات ، وتختنق الأصوات ، ويسرف في العسف الطغاة ، ويفتن في الظلم العتاة . تزوغ من المظلومين الأبصار والبصائر ، وتسكاد تتشقق منهم الأكباد والمرائر ، ويذهلون من سعي أهوال الحياة وما أشده من سعي ، ويتساءلون في حيرة الفزع : إلى أين المصير ؟

وإذا صوت يصم الدنيا صدها ينادى الحائرين : افزعوا - إلى الله .

وكلما صر ناب المادية بعد أن يمزق من الإنسانية كيانها ، ولم يبق من الروحانيات حسننها أو إحسانها ، ولم يدع للأخلاق مظهرها أو سلطانها - تطلعت النفوس في ألم الى هذا الانحلال ، ونقبت في حسرة عن سر هذا الهزال ، فاذا الداء العياء وسر البلاء عدم الرضا بالقضاء . واذ ترجو كل نفس على الحياة طيب الظلال ، واذ تمنى أن تنعم براحة البال ، لن تجد لها ما يبيئ تلك الحياة الا أن تفوض الأمر الى الله .

وكلما عبث الترف بالشعوب وبآمالها واستأسدت عوامله في العمل على انحلالها فتاهت بين مباحج اللهو الرعية وورعاتها ، وضلت مسالك النجاة القافلة وهداتها - لم تجد تلك الشعوب ما يقيمها العاديات ، وما يحميها من نيوب العثرات الا أصوات الصادقين تناديهما ، وتصيح في مترفيها : ليس من سبيل الى النجاة الا الرجوع الى الله .

وعند ما تختل على الدنيا المعايير ، وتزعزع في الحياة الموازين ، وتحلو للاتهازين الميادين ويمرغ النفاق على الاعتبار دمامات الساقطين - تتطاع الحياة الكريمة الى الأخلاق تدمى جروحها والى المثل العليا تنهار صروحها ثم تتلفت من الأبادة النفوس وتتفض من حيرتها الرؤوس فاذا هتاف يهز الأبادة : الجئوا الى الله .

ليست الحياة مالا حتى تهالك النفوس على جمعه وإن أراقت في سبيله ماء الوجوه ، فرب فقير تراه الدنيا هيكلًا باليا كأنما هو ظل باهت يزحف على الأرض ، ولكن بين

جنبه نفس عفيفة راضية تسطع في حياته كأنما هي امرأة لم تغيرها زفرات الأحقاد ،
أو يشعها غبار الأهواء .

ولست الحياة جاها حتى يسرف الإنسان في السمو إليه وإن اتخذ سلمه من جماجم
المساكين وأشلاء المستضعفين ، فرب ضعيف وهت قوته ووهنت عزيمته ولكن برد الطمانينة
الذى يثلج صدره يحسده عليه الجبارون الذين يفرعون دائماً من غضب الأرض والسماء .

ولست الحياة بعد هذا وذلك شهوة جسدية أو روحية حتى يتفانى المرء في نيلها وإن
فقد في سبيلها كرامته ومروءته ، فرب إنسان تسوق إليه الدنيا أفانين الشهوات ، ولكن
بين جوانحه ضمير حارس يحميه ويغضى عنه عن الزلات .

إن أشد الناس تمرداً في الحياة لا ينجو غداً من بأس الله .

وإن أكثر الناس بعداً عن الله لا بد أن يصيبه يوماً غضب الله .

وإن العالم الذى ينزع الى التبحر من الدين ومن كل ماجاء به هذا الدين ليس بعزيز
على الله أن يخسف به الأرض وأن يسقط عليه بروج السماء .

وإن الذين جمدت أحاسيسهم وضاع مكان العقيدة من قلوبهم فلا تأخذهم غيرة على
دين الله ولا على تعاليم الله لا بد أن يحيق بهم سخط الله .

وإن التفريط فى واجبات هذا الدين هو الذى جر على المسلمين اليوم كل ما يعانونه
من وبال .

« توشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها » ولستم يومئذ قلة
« ولكنكم كثرة كغثاء السيل » كثرة ترغو وتلفو عن كذب وتفور وتصطخب فيخالها
المتفائلون قوة ماحقة ثم تقذفها أمواج الابتلاء على صخور الحياة فلا ترى العين منها
إلا رذاذاً يتطاير ثم يختفى من الوجود .

أيها المسلمون : إنكم مئات الملايين وقلوبكم كذلك مئات الملايين ، لكل قلب سبيل
ولكل قلب أمل ولكل قلب هدف ووراء كل قلب هوى يوجهه وكلما حاول
المصلحون أن يجمعوا هذه القلوب على قلب واحد وأمل واحد وهدف واحد أرسل
الاستعمار أفاعيه تنفث سمومها حتى تقضى على مابجمع الإخلاص ووحد الإصلاح .

أيها المسلمون : إن عصا الاستغفار تفرق صفوفكم وتوشك أصابعه أن تعبت بكم وبمصابيركم وكثرتكم تكاد تضيق بها رحاب الدنيا . فان اعتصمتم بحبل الله وربطت الأخوة الإسلامية بينكم فتألم المصري لألم الصيني وثار الباكستاني لظير الجزائري أرهبتهم العالم وانتصرتهم « وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » .

أيها المسلمون : حسبكم هذا التفكك وذلك التحال فان ذؤبان البشرية توشك أن تلغ في دماءكم إن لم تغيروا ما بأنفسكم وتنزحوا عن مظاهركم الكاذبة راجعين إلى الله .

أيها المسلمون : ارفعوا رؤوسكم دائما إلى السماء لتستلهموا من ربها القوة والساد ولا تهولنكم أحابيل المستعمرين ؛ ومكايد أعوان المستعمرين ؛ فأنتم قوة اذا شحذت ونظمت واستعملت لا تبقى ولا تذر ولا يتم ذلك إلا اذا تعاهدتم على أن تهاجروا من دنيا الغش والخداع إلى الله .

أيها المسلمون :

إنكم لن تهتوا أبدا ؛ وإن الله لن يخذلكم أبدا ؛ إذا كنتم في كل ما تأتون وما تذكرون تبغون وجه الله وترجعون دائما إلى الله ما

محمد محمد خليفه

المدرس بالأزهر

سؤال غير الله

سمع على رضى الله عنه رجلا يسأل الناس يوم عرفة ، فقال له :

أفى هذا اليوم ، وفى هذا المكان تسأل غير الله ! وخفقه بالدره .

نظام نقد اسلامى بلا أرباح

«الدكتور محمد حميد الله - مؤلف هذا الفصل - يحمل شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة بون (ألمانيا) والدكتوراه في الآداب من جامعة باريس ، شاب مسلم من الهند كان أستاذ القانون الدولي سابقا في الجامعة العثمانية في «حيدر أباد الدكن» والأستاذ حاليا في جامعة باريس ألف كتبا قيمة متعددة في التاريخ الإسلامى . وآخر كتاب بديع أصدره بالإنكليزية (غزوات النبي محمد صلى الله عليه وسلم) وهو أدق كتاب بل لعله الكتاب الأول الوحيد من نوعه الذى تفرد بدراسة الغزوات النبوية من وجهة استراتيجية . زار الحجاز مرات عديدة لأخذ صور البقاع التى حدثت فيها تلك المعارك والآثار القائمة عليها - وهو الكتاب الذى ينقله باذن من المؤلف كاتب هذه الكلمة والذي سيكون متما لكتاب « النبي المثالى » الذى فرغ الكاتب من نقله للعربية والذي يعتبر أبلغ كتاب عرف فى أية لغة من لغات العالم عن خاتم النبيين ابن الإنسانية البكر « النبي محمد صلى الله عليه وسلم »

ع.م.س

* * *

لم يكن الإسلام الدين الوحيد الذى حرم الربا . ولكن الدين الوحيد الذى أنار الطريق الى مجتمع لا يقوم نظامه المالى على الربا .

ومن تحصيل الحاصل أن الإنسان لا يدفع الأرباح عن النقود التى يقترضها عن طيبة خاطر وإنما يفعل ذلك بحكم الاضطرار فان مجرد اعلان عدم شرعية هذه الأرباح أو حتى تحريمها يظل عديم الجدوى وخاصة حين تخالف جميع الحضارات وجميع القوانين وجهة النظر الإسلامية . أجل ، ليس الإسلام الدين الوحيد الذى انفرد بنبذ شرعية الأرباح على القروض بأعنف العبارات كقوله تعالى [١] « الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ؛ ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله

البيع وحرم الربا . فمن جاءه موعظة من ربه فاتتهى فله ما سلف وأمره إلى الله . ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . يحقق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم . إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يأبى الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » .

ولكن الإسلام هو الدين الوحيد الذى مهد الطريق للخروج من هذه المعضلة التى سأعود إلى شرحها فى مكانها من هذا المقال . وما دامت الحكومات الإسلامية تعمل بروح القرآن الكريم فلا مجال لجيل من سلالة شيلوخ [١] أن يعيش فيها . ولقد حان الوقت لأحياء ذلك النظام الإسلامى والتوفيق بينه وبين ظروف الوقت الحاضر .

أن التعبيرين الإسلاميين « الزكاة » و « الصدقة » وإن دلا فى الآيات القرآنية الكريمة اتى نزلت قبل الهجرة على مجردة الإحسان والمساهمة فى أعمال الخير فإن الآيات القرآنية الأخرى المنزلة بعد الهجرة وأحاديث النبي الكريم جعلتهما يعينان أشياء جديدة بعد تأسيس الدولة الإسلامية . ومنذ ذلك الوقت أخذت كلمة الزكاة (ومرادفاتها) تعنى واردات الدولة الإسلامية المجموعة من جيوب دافعى الضرائب من المسلمين الفئمة التى تكونت منها الدولة الإسلامية على مدى الوقت والفئات الأخرى التى دخلت فى دين الله أفواجا بعد ذلك فى أوقات متنوعة ومن الواردات التى كانت تجبى على الزائد من الملكية الخاصة ومن الأراضى المزروعة والصادرات والواردات وغيرها .

وتشترط الآية القرآنية الكريمة المشهورة « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » التى توضع بموجبها الميزانية الإسلامية على الدولة الإسلامية أن تخصص جزءا من وارداتها (الصدقات) للغارمين (الذين ثقلت ديونهم) وهم طبقة ميزها القرآن الكريم فى الآية الكريمة السابقة عن الفقراء والمساكين (الفقراء من المسلمين وغير المسلمين فى الدولة الإسلامية) [٢] .

(١) شيلوخ : المرابى اليهودى المشهور فى رواية تاجر البندقية لشكسبير .

(٢) انظر وجهة نظر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى تفسير الطبرى وفى كتاب

الحراج لأبى يوسف عن هذا رأى .

ومن الأمور التي لا تقبل الجدل أن الحكومة وحدها هي الخليفة في مجتمع منظم - وليس الأفراد - بالتنازل عن الأرباح عند منح القروض للناس .

إن القرآن ليأمر الحكومة الإسلامية بالاحتفاظ بجزء من وارداتها كل عام بما يقدر بثمن تلك الواردات في رأى بعض مدارس الشرع الإسلامية - في سبيل تقديم المساعدة للأغنياء الذين تضطربهم ظروف لا قبل لهم بدفعها الى اقتراض النقود . فلقد كان الاقتراض شائعاً في صدر الإسلام كما روى التاريخ وبصورة خاصة زمن حكم الخليفة الثاني عمر بن الخطاب مقابل تقديم الضمان من خزينة الدولة وأن تعادون أخذ الأرباح عليها . فهذا الخليفة عمر المثلث في حدود الله لم يردد في الالتجاء الى هذا النوع من الاستعانة من بيت المال الذي كان شديداً حرص عليه والذي كان يطالب عليه اسم «ملك اليتامى» وفي الواقع كان يعيد لبيت المال الدين المأخوذ بهذا الأسلوب حين يتناول راتبه نصف السنوى من قسم الديوان في بيت المال .

ليس هناك أى سبب يمنع من احياء هذا النظام والتوفيق بينه وبين الحاجات التي يتطلبها العصر الحديث كمنح القروض على سبيل المثال لبناء المساكن وتحسين التجارة والصناعة والاشتغال بها . واعادة هذه القروض على أقساط ميسرة تمتد الى عدد من السنين . والذي لا مريية فيه أن الحكومات لا تخسر في تعففها عن الأرباح على القروض التي تقدمها لرعاياها . لأنها ستسترد عن طريق الرخاء المتزايد في نهاية المطاف الربح في صورة الدخل الوافر من الضرائب على العقار والصناعة والتجارة . ومع كل ذلك فليس هذا هو الرأى الذى رميت الى شرحه في هذا المقال .

إن الأفراد اليوم ليسوا وحدهم في حاجة الى الاقتراض . بل الحكومات كذلك في حاجة مستمرة الى اقتراض النقود بالملايين والبلايين لتمويل برامج الإنشاء والتعمير . هنالك مؤسسة للنقد في أمريكا الا أنها كما يتوقع من مؤسسة من نوعها تقوم على الأرباح . والضرورة الملحة تدعو الى قيام مؤسسة اسلامية للنقد على أسس متينة . وقبل اقتراح الطرق والوسائل للمؤسسة من هذا النوع أرجو من القارئ المعذرة في الخروج عن الموضوع مرة أخرى .

تجربة شخصية في القروض التي لا ربح فيها

حين انخرطت الحكومات الإسلامية الى المستوى الذى أهملت فيه سنن الإسلام ونسيت عنده الواجب القرآنى الذى يتطلب منح قروض لا ربح فيها للغارمين قامت بعض

البلدان الإسلامية بتطبيق مشروع نجح نجاحا كبيرا ، وأعني به المشروع الذي طبق في حيدر أباد الدكن في الهند قبل التغيرات الأخيرة في شبه القارة الهندية حين تم تأسيس جمعيات لمنح القروض التي لا ربح فيها على أساس المصالح المتبادلة في السنوات الـ ٨٠ الأخيرة من القرن الماضي التي استيقظ فيها الضمير الإسلامي، وقد ابتدأ التطبيق عام ١٩٤٨. ولنفرض على سبيل المثال أن مجموعة من الموظفين في إحدى الإدارات قامت بتأسيس جمعية وابتاع كل عضو من أعضائها سهما أو أكثر بالنسبة لحالته المادية على أن يدفع قيمة الأسهم أقساطا تنتهي بعد مائة شهر فإذا افترضنا أن المساهمين (٥٠) شخصا وأن قيمة القسط الواحد جنيه واحد نجد أن مجموع ما يدفع في الشهر الأول يساوي (٥٠) جنيها ويقع على عاتق اللجنة التنفيذية المنتخبة لتلك الجمعية تقرير المساهم الذي يستحق أن تقرضه هذا المبلغ قرضا حسنا بعد تقديمه التأمين اللازم وفي الشهر التالي يصبح المبلغ ليس ٥٠ جنيها فحسب وإنما يضاف إليه القسط الشهري الذي يدفعه المساهم الذي اقترض الـ ٥٠ جنيها في الشهر الأول، وعلى هذا المنوال يتزايد الوارد شهرا بعد شهر ويزداد تداوله بين المساهمين. وبعد مضي سنوات معدودات يتوفر لدى الجمعية رأس مال كان يكفي لسد جميع حاجات المساهمين وزيادة على ذلك أخذ المساهمون يودعون لدى الجمعية ما يزيد عن حاجتهم من النقود على طريقة الحساب الجاري دون أخذ ربح عليه وقد ساعد ذلك الجمعية أيضا على القيام بواجبها بصورة واسعة ولم تسمح الجمعية بقبول مساهمين جدد فيها فحسب وإنما سمحت للمساهمين القدامى بسحب أسهمهم وحسابهم الجاري من الجمعية في الوقت الذي يروق لهم وذلك بأعلام الجمعية عن رغبتهم قبل فترة معقولة من الزمن حسب أنظمتها. أما ما يتعلق بنفقات أعمال الجمعية كالقراطية وأجور المحاسبات والخدمات الضرورية الأخرى فقد كان كل عضو يدفع شهريا دراهم قلائل لهذه الغاية أما في الجمعيات الصغيرة فقد كان المتطوعون يقومون بالعمل دون تناول الأجور وتمكنت الجمعيات من توفير رصيد احتياطي من تبرعات الأعضاء تواجه به الخسائر غير المنتظرة .

لقد عرفت جمعيات كان عدد الأعضاء فيها يزيد على الـ (١٠٠٠) وقد أصبح رصيدها النقدي الاحتياطي بمرور الزمن كبيرا إلى درجة أمكنها من استخدامه في تأسيس مؤسسات تعاونية لبضائع لا تتلف كالحبوب والأقمشة وما شابهها ، والتي كان الأعضاء يأخذون حاجتهم منها بالنسيئة ، ف تشتري تلك المحازن بحكم العادة البضائع بسعر الجملة وتبيعها بالتجزئة حسب الأسعار السائدة في السوق المحلية ، والربح الذي يتراكم يصرف قسم منه على أجور العاملين في المؤسسة ويوزع قسم منه على أعضاء الجمعية ، وأما ما يتبقى فيحتفظ به كـرصيد احتياطي .

الحكومات الإسلامية تستطيع إقامة مؤسسة نقدية للقروض بدون أرباح

والآن لو أن الحكومات الإسلامية أقامت بالتعاون مؤسسة نقدية على نفس المبدأ فإن رأس المال مهما كان متواضعا في البداية سيصبح في مدى أعوام قليلة رأس مال لا يستهان به ويؤدي الى نتائج مفيدة، فلو تيسر إقامة هذه المؤسسة في مكة المكرمة مثلا وابتاعت كل حكومة إسلامية - من باكستان وأندونيسيا الى الكويت فتونس - أسهما من أسهم هذه المؤسسة تدفعها أقساطا سنوية بمئات الألوف من الجنيهات اذا لم يكن بالملايين، فإن ذلك لا يعادل غير جزء ضئيل من نفقاتها السنوية ؛ وقد تكون واردات المؤسسة في السنة الأولى متواضعة والطلب على القروض عظيما ؛ غير أن اللجنة التنفيذية المنتخبة تستأجر بيسر وسهولة مشفوعة بروح العدالة وحسن النية والخير نحو الجميع أن تعرف القطار العضو أو الأقطار التي تستوجب الحالات الملحة فيها منح القروض غير ذات الأرباح والتي تعاد الى المؤسسة في مدى عشر سنوات أو خمس عشرة سنة . ومما لا شك فيه أن اللجنة التنفيذية ستنظر بعناية بالغة في الأسباب الموجبة للقرض وكذلك الحصول على الضمانات التي تكفل عدم تبذير القرض في مشاريع غير انتاجية . وسوف تتم عمليات الأقراض مرة واحدة في السنة في موسم الحج مثلا، وذلك يجعل نفقات الإدارة والتأسيس يسيرة، وفي اتخاذ النظام القمري فائدة أخرى في زيادة رأس مال المؤسسة ، لأن الأعضاء في مدى ست وثلاثين سنة قمرية تكون مدفوعاتهم بالنسبة للنظام الشمسي سبعة وثلاثين قسطا .

ولو فرضنا جدلا أن ما يدفع في السنة الأولى لا يزيد على عشرة ملايين فإن رأس مال المؤسسة في عشر سنوات فقط سيصبح مائة مليون جنيه أو أعظم من ذلك بكثير بمرور الزمن . وليس هناك أى سبب يمنع حتى التركستان أو أذربيجان وقازان وغيرها من الانضمام إلى عضوية المؤسسة .

أى إنسان لا يرحب بالحصول على قرض لا يدفع ربحا عليه ؟ إن هذه المساعدة الذاتية ستخفف الى حد ما الضغط الأجنبي على الاستقلال الاقتصادي للحكومات الإسلامية وستجلب الرخاء لا للمسلمين فحسب وإنما سيظهر للدنيا بأسرها بصورة عملية كيف يستطيع الإسلام هدايتهم لحل مشاكلهم الاقتصادية كما هداهم لحل مشاكلهم الروحية .

نظرية الحرية في الشريعة الإسلامية

من المبادئ الأساسية التي جاءت بها الشريعة الإسلامية مبدأ الحرية ، فقد أعلنت هذه الشريعة الحرية من يوم نزولها ، وقررتها في أروع مظاهرها . فقررت حرية التفكير ، وحرية القول ، وحرية الاعتقاد ، وحرية التملك ، وحرية العمل ؛ إلى غير ذلك من الأفعال المادية والمعنوية . وستكلم في هذا الموضوع عن الحريات التي تعتبر من حق الفرد الطبيعي ، ألا وهي حرية التفكير ، وحرية القول ، وحرية الاعتقاد .

أولا : حرية التفكير

أعلنت الشريعة الإسلامية من يوم نزولها حرية التفكير . ولا شك أن هذا التفكير مرتبط أشد الارتباط بوظيفة العقل . فهي تدعو إلى التفكير في كل شيء ، وذلك بحث الأفراد بشتى الوسائل والطرق على التفكير في خلق السموات والأرض وفي خلق أنفسهم وفي غير ذلك من المخلوقات ، وتدعوهم إلى التفكير فيما تقع عليه أبصارهم وما تسمعه آذانهم ، ليصلوا من وراء ذلك كله الى معرفة الخالق الأحد وليستطيعوا على هداه التمييز بين الحق والباطل .

ولقد حث القرآن الكريم على استخدام العقل وتحرير الفكر . ونصوص القرآن حضمت على ذلك . ففي قوله تعالى في سورة البقرة الآية ١٦٤ : « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » . وفي قوله تعالى في سورة الروم الآية ٨ : « أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون » .

وقوله تعالى في سورة يونس الآية ١٠١ : « قل انظروا ماذا في السموات والأرض » وقوله تعالى في سورة سبأ الآية (٤٦) : « قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرداى ثم تفكروا » وأقرأ معنى قوله تعالى في سورة ق الآية (٣٧) : « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » . وقوله تعالى : في سورة الطارق الآية (٦) : « فينظر الإنسان

م خلق ، خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب » وقوله تعالى في سورة الغاشية الآية (١٧) « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت » . فمن هذه الآيات نجد أن القرآن الكريم دعا الأفراد إلى البحث والنظر والتفكير . ولا تكاد تخلو سورة من السور من هذه الآيات . واستيعاب ذلك مما يضيق عنه هذا المقام .

وفي هذا الصدد نحب أن نتعرض لمسألة تختبط فيها كثير من الباحثين . تلك هي : ما مصير من لم يقصر في النظر والبحث ؛ ولكنه مع ذلك لم يستطع الوصول إلى العقيدة الحقة في الدين ؟

ولقد تناول هذه المسألة الأستاذ الشيخ عبد العزيز جاويز في كتابه القيم (الإسلام دين الفطرة والحرية) وسأنقل هذا الموضوع إلى القراء . تناول هذا الموضوع بقوله :

« للعلماء في هذا المقام آراء مبسطة في الكتب المختصة بها ، ولا يعينني هنا إلا أن أعتمد على آيات القرآن دون ما قالوه فأستفتيها في حكم ذلك الفريق من الناس ، إلا أنني قبل ذلك أسترعى ذهن القارئ إلى المسلمات الأولية التالية :

١ — أنه ليس في استطاعة العقل البشري إذا قام عنده الدليل الصحيح على حكم أن يرتاب فيه .

٢ — أنه ليس في مقدور العقل البشري أن يقول بجواز صحة أمرين متناقضين معاً .

٣ — إذا تعارض حكمان يعتمد أحدهما على الحجج القاطعة ؛ كان من المستحيل تكليف العقل أن يغلب على سواه .

لاحظ دين الفطرة جميع هذه القضايا الفطرية وجاء كتابه السماوي مصداقاً لها . ثم جاء الخلف من العلماء يؤيدونها ولا يمكنهم أن يختلفوا بعض الشيء فيما عن لهم من الآراء تجدهم أجمعوا على قاعدة أنه يجب أن يؤول إلى حكم العقل من الشرعيات مظاهره يخالف العقل . وهل هذا إلا وقوف عند حدود المسلمات العقلية وتزول على حكم الفطرة البشرية . وهل كان للعقائد أن تكون بالجبر والإرغام ؟ أم هل كان لدين الفطرة دين البحث والنظر أن يكلف بالعقيدة من قصرت عقولهم عن إدراكها أو من تراحت عليهم الشكوك والشبهات حتى عجزوا عن صدها ومدافعتها ؟

وهل يقول بهذا القول ذلك الدين الذى قوض دعائم الإيمان بغير المعقولات وأقام على أنقاضها عقيدة الإيمان اليقين المتحصل من طريق العقل والنظر ؟

إن الله تعالى لأعدل وأحكم من أن يكلف الناس ما ليس فى طاقتهم أو أن يلزمهم الإيمان بما لم يهدهم الى حجتهم وبرهانه . يفقه ذلك من يتدبر قوله تعالى : « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » .

اذن فلنعد الآن الى سرد آى القرآن الكريم المناسبة لهذا المقام مكتفين منها بما يلى :

١ — « قال يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأتم لهاكارهون ؟ » .

٢ — « نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد » .

٣ — « قد بينا الآيات لقوم يوقنون . انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم » .

٤ — « إن عليك إلا البلاغ » .

٥ — « إنما أنت منذر » .

وخلاصة القول أن القرآن - الذى هو كتاب دين الفطرة - ما كان ليأتى بما ينافى الآراء القوية أو تنغم حكيمته على العقول السليمة . ولم يكن ليكلف العقل الإيمان بما لا يعقل أو يحمل الجسم ما لا طاقة له به أو أن يفترض على الإنسان ما ليس من موسوعات فطرته . إذن فوظيفة البشر رسم أقرب الطارق الى الهداية وحفظ العباد عن مواطن الهلكة التى يغشاها طلاب الحق والحقيقة لا من طريق الوحي بل من طرائق التجارب ومصارعة شياطين الإنس من الأحكام الجائرين وعصابات رجال الدين المضللين . ولنا على ذلك ما نشاء من الأدلة والشواهد لننظر كيف ومتى تحورت فيهم العقول البشرية أو أبيضحت حرية التفكير والنشر وتقررت بينهم حقوق الإنسان . سائلوا الثورات الدينية والسياسية تنبئكم مبلغ ما أريق فيها من الدماء وأزهق فى سبيلها من الأرواح . سلودا تصف لكم فواجعها وأهوالها وما أصاب الأمم من شرورها ونكباتها .

إقناع القرآن للمجادلين من أرباب الملل والنحل والمقلدين :

لقد جادل القرآن الكريم أرباب الملل والنحل المجادلين فما قارعهم الا بالبرهان ولا دعاهم الا الى البحث والنظر . من ذلك آية « لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » .

ويعيب القرآن على الناس عدم تحكيم عقولهم وتقليدهم لغيرهم وتعطيلهم لفكرهم وإيمانهم بالخرافات والأوهام فهو يصف من كانوا على هذه الشاكلة بأنهم كالأنعام بل أضل منهم سبيلا لأنهم يتبعون غيرهم بغير تفكير ولا يحكون عقولهم فيما يعملون أو يقولون أو يسمعون ولأن العقل هو بغير جدال الميزة الوحيدة التي ميز الله بها الإنسان على غيره من المخلوقات ، فإذا شل تفكيره وألغاه تساوى بالأنعام بل كان في مستوى أقل منها .

ونصوص القرآن صريحة في تبيان هذه المعاني . قال تعالى : « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » البقرة الآية ١٧٠

مما تقدم نجد أن القرآن اذا تحاكم فألى العقل ، واذا حاج فبحكم العقل ، واذا سخط فعلى معطى العقل واذا رضى فعن أولى العقل . ويحق لنا حينئذ أن نقول بكل ثقة : إن الدين الإسلامى دين العقل .
مدى التفكير الإنسانى :

وللإنسان أن يفكر فيما شاء كما يشاء دون أن يتعرض للعقاب على هذا التفكير . والحكمة فى ذلك أن الشريعة لا تعاقب الإنسان على أحاديث نفسه وإنما تؤاخذ على ما أتاه من قول أو فعل محرم وذلك ما يتفق وقول الرسول الكريم عليه الصلاة وأزكى السلام « إن الله تجاوز لأمتى عما وسوست أو حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تكلم » .

ثانيا : حرية القول

أباحَت الشريعة الإسلامية حرية القول وجعلتها حقا لكل إنسان ، لأن الإنسان ميال بفطرته إلى أن يكون مطلق الحرية فى إبداء رأيه لا سلطان لأحد عليه فى التعبير عما يريد .

وحرية القول هذه ليست مطلقة من كل قيد بل هي أحيانا مطلقة في حدود ، وأحيانا مقيدة بقيود . نالإسلام من يوم مجيئه قرر للفرد حرية إبداء رأيه وجعله واجبا عليه في كل ما يحقق الخير وينصر الحق ، وفي كل ما يمس الأخلاق والمصالح العامة والنظام العام ، وفي كل ما تعتبره الشريعة منكرا . قال تعالى في سورة آل عمران الآية ١٠٤ « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » . وقال في سورة الحج الآية ٤١ « الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر » وفي الحديث قول الرسول صلى الله عليه وسلم (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) وقوله (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر) وقوله (الدين النصيحة . قالوا لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ورسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم) وقوله (لا يحقرن أحدكم أن يرى أمرا لله فيه مقال فلا يقول فيه ، فيقال له يوم القيامة ما منعك أن تكون قلت كذا وكذا ؟ فيقول مخافة الناس . فيقول الله : إياي أحق أن تخاف) وقوله (سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله) .

فمن هذا الحديث السابق نجد أن الإسلام قد رفع درجة من قتل في سبيل الجهر برأيه والدفاع عن الحق الى مصاف أعظم الشهداء .

ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يبدون آراءهم في كل ما يعرض من شئون لم ينزل فيها وحى والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع لهم ويناقشهم في أقوالهم ثم يأخذ بما يترجح عنده . ونذكر من ذلك : اعتراض أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبول شروط الأحزاب للجلاء عن المدينة بعد أن كاد النبي صلى الله عليه وسلم يمضيها لإشفاقا على المسلمين .

وكان عمر في خلافته مع شدته وخشيته الناس له يتقبل النقد التزيه ويخضع لقوة الحق . قال له خالد بن الوليد حين عزله وصادر ماله : « لقد شكوتك يا عمر الى المسلمين ، وبالله إنك في أمرى غير مجمل » فقال له عمر : والله إنك على اسكريم وإنك الى الحبيب » ثم كتب الى الأمصار : « انى لم أعزل خالدا عن سخطه ولا خيانة ولكن الناس فتنوا به » .

وعلى هذا النهج سلك الصالحون الأولون من المسلمين وولاة الأمر فيهم من الجهر بما يعتقدون أنه الصواب وقبولهم لكل نقد يكون الدافع اليه نصرة الحق والتبصير به .

وإذا كان لكل إنسان أن يقول ما يعتقد أنه الحق ويدافع بلسانه وقلبه عن عقيدته فإن حرية القول ليست مطلقة ، بل هي مقيدة بأن لا يكون ما يكتب أو يقال خارجاً عن حدود الآداب العامة والأخلاق الفاضلة ، أو مخالفاً لنصوص الشريعة . فقد قورت الشريعة حرية القول ولكنها في الوقت نفسه قيدت هذه الحرية بالقيود التي تمنع من العدوان وإساءة الاستعمال ، وكان أول من قيدت حريته في القول الرسول صلى الله عليه وسلم - وهو رسول الله الذي جاء معلناً للحرية مبشراً بها - ليكون قوله وعمله مثلاً يحتذى ، وليعلم الناس أنه لا يمكن أن يعنى أحد من هذه القيود إذا كان رسول الله أول من قيد بها مع ما وصفه به ربه من قوله « وإنك لعلی خلق عظیم » . فالإسلام شرط التزام الحكمة وحسن الموعظة فيمن حرص على اكتساب حق الحرية في الجهر بالرأى والدعوة إليه ، ونقد آراء الغير . فقال تعالى : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » . فلقد أمر الله رسوله أن يبلغ رسالته للناس وأن يدعو الناس جميعاً الى الإيمان بالله وبالرسالة وأن يحاج الكفار والمكذبين ويخاطب عقولهم وقلوبهم ، ولكن الله جل شأنه لم يترك لرسوله حرية القول على إطلاقها فرسم له طريق الدعوة ، وبين له منهاج القول والحجاج ، وأوجب عليه أن يعتمد في دعوته على الحكمة والموعظة الحسنة وأن يجادل بالتى هى أحسن ، وأن يعرض عن الجاهلين ، وأن لا يجهر بالسوء من القول ، وأن لا يسب الذين يدعون من دون الله . وإن شئت أقرأ قوله تعالى في سورة الأعراف (١٩٩) « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » وسورة الأعلى (٩) « فذكر إن نفعت الذكرى » وقوله تعالى : في سورة النساء (١٤٨) « لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم » وقوله تعالى في سورة الأنعام (١٠٨) « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم » وقوله تعالى في سورة العنكبوت (٤٦) « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن ، الا الذين ظلموا منهم » . وهذه النصوص القرآنية تعتبر دستور القول في الشريعة الإسلامية .

وكذلك في الحديث قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء » . ومن الحكمة في إبداء الرأى أن يكون عن معرفة وتفكير فليس من الحكمة أن يبدي المرء رأياً أو يروج له أو ينقده دون معرفة أو تفكير ، أو يناصر رأياً يعلم ضعفه أو بطلانه ، أو ألا يخضع للحق بعد ظهوره إرضاء لشهوة نفسية أو إشارة لمصاحبة شخصية أو حزبية .

ففى القرآن « ولا تقف ما ليس لك به علم » سورة الإسراء (٣٦) « وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمعتدين » سورة الأنعام (١١٩) « ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير » سورة الحج (٨) « هاتم هؤلاء حاجتكم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم » آل عمران (٦٦) .

وحرية القول فى الحدود التى وضعتها الشريعة تعود دون شك على الأفراد والأمم بالنفع والتقدم وتؤدى الى نمو الإخاء والحب والاحترام بين الأفراد والهيئات ، وتجمع كلمة أولى الأمر على الحق دون غيره ، وتجعلهم فى حالة تعاون دائم ، وتقضى على النعرات الطائفية والشخصية ، وهذا كله ينقص العالم اليوم ، أو يبحث عنه العالم فلا يهتدى اليه .

والمرعون الوضعيون ينقسمون اليوم قسمين : قسم يرى حرية القول دون قيد الا فيما يمس النظام العام ، وهؤلاء لا يعيرون الأخلاق أى اهتمام ، وتطبيق رأيهم يؤدى الى التباغض والتحزب ثم القلاقل والثورات . وقسم آخر يرى تقييد حرية الرأى فى كل ما يخالف رأى الحاكمين ونظرتهم للحياة ، وتطبيق رأى هؤلاء يؤدى الى بكت الآراء الحرة وإبعاد العناصر الصالحة عن الحكم ويؤدى فى النهاية الى الاستبداد، وهذا البكت والاستبداد ينتهى الى النشاط فى الظلام ونشر الأكاذيب والشائعات وقيام الفتن والثورات .

ونظرية الشريعة الإسلامية تجمع بين محاسن هاتين النظريتين اللتين تأخذ بهما دول العالم ذلك أن نظرية الشريعة تجمع بين الحرية والتقييد وهى لا تسلم بالحرية على إطلاقها ولا بالتقييد على إطلاقه فالتقاعدة الأساسية فى الشريعة هى حرية القول ، والقيود على هذه الحرية ليست الا فيما يمس الأخلاق أو الآداب أو النظام . والواقع أن هذه القيود قصد منها حماية الأخلاق والآداب والنظام ولكن هذه الحماية لا تتيسر الا بتقييد حرية القول فأذا منع القائل من الخوض فيما يمس هذه الأشياء فقد منع من الاعتداء ولم يحرم من أى حق لأن الاعتداء لا يمكن أن يكون حقا .

والخلاصة من كل ذلك أن الشريعة الإسلامية تتيح لكل فرد أن يقول ما يشاء دون عدوان ، فلا يكون شتما ولا عيابا ولا قاذفا ولا كاذبا ، وأن يدعو إلى رأيه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأن يجادل بالتى هى أحسن ، وأن لا يجهز بالسوء من القول ولا يبدأ به ، وأن يعرض عن الجاهلين . ولا جدال فى أن من يفعل هذا يحمل الناس ويشجعهم على أن يسمعوا قوله ويقدروا رأيه فضلا عن بقاء علاقاته بغيره سليمة ، ثم بقاء الجماعة يداوواحدة تعمل للمصلحة العامة .

ثالثاً : حرية الاعتقاد

يعتبر من مفاخر الشريعة الإسلامية أنها أول شريعة أباحت ونادت بحرية الاعتقاد وعملت على صيانة هذه الحرية وحمايتها الى آخر الحدود . فلكل انسان طبقاً للشريعة الإسلامية أن يعتقد من العقائد ما شاء وليس لأحد أن يجمله على ترك عقيدته أو اعتناق غيرها أو يمنعه من اقامة شعائرها وإظهارها أو يلحق به أذى بسببها وذلك أن الإسلام لا يرى صحة العقيدة الا اذا جاءت وليدة تفكير حر وثمرة اقتناع تام ولا يعد المكره على عقيدة ما مؤمناً بها مؤاخذاً بأحكامها فيما بينه وبين الله تعالى : « وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » سورة البقرة ٢٨٤

واذا وجد صاحب أى عقيدة غير عقيدة الإسلام أنه لن يتمكن من اقامة شعائره أو سوف يلحقه أذى من جراء ذلك فإنه يجب عليه أن يهاجر الى بلد يتمتع فيه بحرية عقيدته .

والشريعة بتقريرها حرية العقيدة كانت عملية لأنها لم تقتصر على إعلان هذه الحرية ، وإنما اتخذت لحمايتها طريقين :

الأولى : ألزمت الشريعة الإسلامية الناس أن يحترموا حق الغير في اعتقاد ما يشاء وفي تركه يعمل طبقاً لعقيدته ، فليس لأحد أن يكره آخر على اعتناق عقيدة ما أو ترك أخرى ، ومن كان يعارض آخر في اعتقاده فعليه أن يقنعه بالحسنى ، ويبين له وجه الخطأ فيما يعتقد . فإن قبل أن يغير عقيدته عن اقتناع فليس عليهما حرج ، وإن لم يقبل فلا يجوز إكراهه ولا الضغط عليه بما يجمله على تغيير عقيدته وهو غير راض ، ويكفى صاحب العقيدة المضادة أنه أدى واجبه فبين الخطأ وأرشد إلى الحق ، وترى هذه المعاني صريحة في قوله تعالى : « لا إكراه في الدين » البقرة ٢٥٦ . وقوله « ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟ ! » يونس ٩٩ . وقوله « فذكر ، إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر » الغاشية ٢١ ، ٢٢ . وقول الله تعالى في سورة النور الآية ٥٤ « وما على الرسول إلا البلاغ المبين » وقوله « ليس عليك هدام ، ولكن الله يهدي من يشاء » سورة البقرة ٢٧٢ .

الثانية : إلزام صاحب العقيدة نفسه أن يعمل على حماية عقيدته ، وأن لا يقف موقفا سلبيا ، فإذا عجز عن حماية نفسه تحتم عليه أن يهاجر من هذه البلدة التي لا تحترم فيها عقيدته الى بلد آخر يحترم أهله العقيدة ، ويمكن فيه من إعلان ما يعتقد ، فأن لم يهاجر وهو قادر على الهجرة فقد ظلم نفسه قبل أن يظلمه غيره ، وارتكب إثما عظيما ، وحققت عليه كلمة العذاب ، أما إذا كان عاجزا عن الهجرة فلا يكلف الله نفسا الا وسعها ، وهذا هو القرآن ينص صراحة على ذلك في قوله تعالى : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا » النساء . الآيات ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩

وقد بلغت الشريعة الإسلامية غاية السمو حينما منحت غير المسلمين حرية العقيدة ، وتركتهم لاختيارهم بعد مناقشتهم بالتى هى أحسن ، وبيان وجه الحق لهم ، وأمتهم على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم ومعابدهم وصلبانهم ، ومكنتهم من اقامة شعائهم على الوجه الذى يريدون .

ففى الحديث : « من قتل قتيلا من أهل الذمة لم يرح رائحة الجنة » ، « من ظلم معاهدا أو انتقضه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفسه فأنا حجيجه يوم القيامة » .

وأمضى عمر رضى الله عنه معاهدة مع رسل أسقف بيت المقدس جاء فيها :

« هذا ما أعطى عمر أهل إيلياء (بيت المقدس) من الأمان : أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائهم وصلبانهم ، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ؛ ولا ينتقص منها ولا من غيرها ولا من صليبهم ؛ ولا من شئ من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم » .

وقد اكتفى الرسول عليه الصلاة والسلام من المشركين وأهل الكتاب فى حقن دمائهم واحترام حقوقهم بالجزية إذا أبوا الاسلام ، يدفعونها فى سبيل حماية أرواحهم وأموالهم واستمتاعهم بمسالمين ، فهم إذا ما دفعوها كانت لهم ما للمسلمين من الحقوق ، وعليهم منها ما عليهم . وإذا تصفحنا التاريخ الإسلامى وجدنا الأمثلة الكثيرة على هذا .

هذه هي نظرية الحرية جاءت بها الشريعة الإسلامية في وقت كان الناس فيه لا يفكرون بعقولهم ، ولا يحفلون إلا بما وجدوا عليه آباءهم ، وكان من الطبيعي في نظرهم أن يكره الرجل على تغيير عقيدته ، ولم يكن لأحد حرية القول أو التفكير إلا أصحاب السلطان والأقوياء . وقد لقي المسلمون الأوائل عنتا شديدا في نشر الدعوة ، فعذبوا لتغيير عقيدتهم ، وأكروها على ذلك بشتى الوسائل ، وكان الكفار والمكذبون يترصدون لهم فلا يحاولون القول إلا بمنعهم منه ، ولا التعبد إلا آذوهم به .

خصائص هذه النظرية :

وظاهر مما سبق أن الشريعة حين جاءت بنظرية الحرية لم تكن تجارى تطور الجماعة أو تلبي رغباتها ، لأن العالم كله في ذلك الوقت لم يكن مهيبا لنظرية الحرية ، وإنما قررت الشريعة هذه النظرية لترفع بها مستوى الجماعة ، وتدفعهم نحو التقدم والرقى ، وتسمو بهم عن الموطن الذى نزلت بهم فيه همجيةهم وأرضاهم به جهلهم — كذلك كان تقرير النظرية لازما لتكميل الشريعة بما تستلزمه الشريعة الكاملة الدائمة .

وقد جاءت النصوص المقررة للحرية والمبينة لحدودها نصوصا عامة مرنة بحيث لا يمكن أن تحتاج الى تعديل أو تبديل . وهذا يتفق مع الأساس الذى قامت عليه الشريعة وهو عدم قابليتها للتعديل والتبديل ، ولا شك أن النصوص من العموم والمرونة بحيث لا يمكن أن تضيق بأى حالة مهما تغيرت الظروف والأمكنة وطال الزمن .

ولقد سبقت الشريعة الإسلامية القوانين الوضعية في تقرير نظرية الحرية بأحد عشر قرنا على الأقل لأن القوانين الوضعية لم تبدأ بتقرير هذه النظرية إلا في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر . أما قبل ذلك فلم تكن هذه القوانين تعترف بالحرية بل كانت أقسى العقوبات تخصص للفكرين ودعاة الإصلاح ولمن يعتقد عقيدة تخالف العقيدة التى يدين بها أولو الأمر .

هذا هو الواقع ، وهذه حقائق التاريخ ، فمن شاء بعد ذلك أن يعرف كيف نشأت (الأكذوبة الكبرى) التى تقول إن الأوروبيين هم أول من دعا للحرية فليعلم أنها نشأت من الجهل بالشريعة الإسلامية ، واضطغان الأحنة والحقد لها ، وقد يعذر الجاهل اذا صفا قلبه ، ولكن ماعذر من يجهل هذه الحقائق الرائعة من المسلمين والعرب ؟ !

والحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ما

لغويات

الفول المدمس

أنكر بعض الفضلاء كلمة (المدمس) بالسین ، ويرى أن عربيتها (المدمث) بالثاء ،
ليكون من التدميث وهو التلين ، يقال : دمث الشيء إذا لينه . ومنه المنزل : دمث
لحنك قبل الليل مضطجعا .

وعندى أن (المدمس) بالسین المهجلة صحيح لاغبار عليه . وذلك أن من معاني
التدميس في اللغة إخفاء الشيء ، يقال : دمسه : دفته وخباه . وهذا الضرب من الفول
يكون في قدر توضع في جذوة التنور وتدفن فيها ، فيستوى الفول ويطيب ، فتدمسه دفته
في الملة . وقد يكون من الديماس ، ومن معاني الحمام ، وهذا الفول قد يوضع فوق
تنور الحمام ، وهو ما يعرف في عرف أهل القاهرة بالمستوقد . فهذا التخريج أولى أن
يذهب إليه لموافقة نفاق الناس ، ولظهور معنى الاشتقاق فيه والاختصاص ، فما يلاحظ
أن معنى التدميث يكون فيما يعرف بالفول النابت ، فأما التدميس فلا يكون في هذا الضرب
من الفول .

وقد جاء ذكر (الفول المدمس) في كتاب (هز القحوف في شرح قصيد أبي شادوف)
للشيخ يوسف بن محمد الشربيني من أدباء القرن الحادي عشر الهجري ، وقد ضمنه عادات
أهل الريف ومظاهر حياتهم . وذلك حيث يقول في ص ١٥٣ من طبعة بولاق ، في هذا
القصيد باللغة العامية :

ولا شاقني الا المدمس وريحته على من جتو جفته بنص رغي

ويقول في شرحه : (إلا المدمس) مأخوذ من الدمس لكونه يدمس في النار كما
سيأتي . ومصدره دمس يدمس تدميسا ، ويقول في كلام له بعد : (ويدمسونه في نار قوية
خالية عن الأدخنة والروائح الكريهة مثل جورة الفرن ونحوها ، والجورة يراد بها الوقود

المتقد المتهب من الخطب وغيره ، وهذا لفظ غير معروف في العربية - فيما أعلم - لهذا المعنى ، وقد يكون أصله : الإرة ، وهى موقد النار أو هى النار نفسها ، وقد يعبر عنها بالملة . وكأن هذا التحريف إن صح أن الجورة أصلها ما ذكر جاء من أن أهل الريف قد ينطقون بالقاف أو الجيم في مكان الهمزة عند أهل القاهرة كما في قال وآل ، وقد يقولون لقي في لأ كما هو معروف ، وقد تبع التحريف في الحرف التحريف في الشكل ، فهذا شئ عرض ، ولأعد لما كنت فيه .

ويجوزنا الحديث في الفول المدمس إلى أن الفول يعرف في بلاد العراق بالباقي ، وقد كان يتخذ منه طعام يطبخ في القدور . ومن شواهد هذا ما جاء في عيون الأخبار ٢/٢٠١ « أتى العريان بن الهيثم بشاب سكران ، فقال من أنت ؟ فقال :

أنا ابن الذى لا ينزل الدهر قدره وإن نزلت يوما فسوف تعود
ترى الناس أفواجا إلى ضوء ناره فمنهم قيام حولها وقعود

فطن أنه من بعض أشرف الكوفة نخله . ثم ندم على ألا يكون سأل من هو ، فقال لبعض الشرط : سلوا عن هذا . فقالوا : هو ابن يباع الباقي » وقد جاء هذا الخبر في العقد الفريد ١/ ٢٩٠ من طبعة بولاق . فهنا قدر فيها فول يعتادها الناس للشراء منه ، وهو فول مطبوخ . ولكن هل هو الفول المدمس ، أو هو ما يشبه ما يعرف بالفول النبات ، أو هو ضرب غير هذا وذاك . والمعروف أن الفول المدمس في هذا العصر يعرف في غير مصر بالفول المصرى .

فلان المتوفى رحمه الله

الجارى على الألسنة في هذا كسر فاء المتوفى . وكثيرا ما يرمى هذا بالخطأ والانحراف عن السداد ، وذلك أن المتوفى هو الله سبحانه ، فهو الذى يتوفى الأنفس ويقبضها ؛ كما قال تعالى : « الله يتوفى الأنفس حين موتها » . والوجه أن يقال لليت المتوفى بفتح الفاء .

وهذه التخطئة قديمة . فيحكىها الزمخشري - كما سيمر بك في كلام الشهاب البيضاوى - عن أبى الأسود الدؤلى . وجاء في كتاب « التنبيه على التصحيح » لحزمة الأصبهاني

في خلال كلام : « وإن الشيرجى - وكان إماما من أئمة الحنبلية - اجتاز بمسجد فيه معزى فخرج عليه منه نحوى بغيض ، فقال الشيرجى : من المتوفى ؟ فقال النحوى : الله . فلبيه وقال : زنديق والله . ورفعه إلى صاحب الجسر » والشيرجى هو أبو إسحق إبراهيم بن إسحق ابن يعقوب ، روى عنه الدارقطنى ، وكانت وفاته سنة ٣٣٢ هـ كما فى تاريخ بغداد ، فقد كانت هذه الحادثة فى بغداد ، ويريد بالجسر جسر بغداد الذى يقول فيه الشاعر :

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

ويريد بصاحب الجسر صاحب الشرطة فى خطة الجسر . فنرى أن الشيرجى استعمل المتوفى فى الميت وسأل عن عين الميت ، فصرف النحوى الكلمة إلى معناها المعروف فى اللغة وأجابه على وفاق هذا . ولم يعجب هذا الشيرجى الفقيه ورأى فى عمل النحوى ما يدعو إلى تأديبه ، وذلك أنه أطلق على الله سبحانه ما يعرف عند الناس للميت ، فكان فيه إيهام لا يليق فى جانب ذى العزة والجبروت ، وقد كان هذا النحوى من جهة أخرى بغیضا اذ نحن نحو التقعر والخروج عن مألوف الناس فى محادثاتهم ومحاوراتهم ، ولولا هذا لأجاب الشيرجى بما عرف عندهم من إطلاق المتوفى على الميت . ومما يذكر فى هذا المقام أن الفراء لحن أمام المأمون ف قيل له فى ذلك فقال : إنا اذا تكلمنا مع الناس جرينا على سليقتنا ومتعارفنا واذا تكلمنا فى مجالس علمنا وافقنا الإعراب أو كلاما هذا معناه ، فاستحسن المأمون منه ذلك ، ومما ورد فى هذا الخبر كلمة المعزى ، ينطق الناس بها فى عصرنا معزى على مفعول من الثلاثى ، والوارد عزى بالتضعيف ، فاسم المكان منه معزى . على أنه يقال من الثلاثى : عزى أى صبر ، فيصح أن يكون المعزى منه فهو مكان الصبر والسلوان بما يكون فيه من التعزية والتسلية والتأسى .

وبعد هذا أذكر أن استعمال المتوفى فى الميت صحيح فى العربية ؛ إذ أنه يقال : توفى الميت أى استوفى أيامه وأجله . وقد جاء قوله تعالى فى الآية ٢٣٤ من سورة البقرة : « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا » فقرأ الجمهور : يتوفون بضم الياء على البناء للمفعول . وذكر ابن جنى فى المحتسب أن عليا رضى الله عنه قرأ بفتح الياء وقد نقل هذه القراءة عن على أبو عبد الرحمن السلمى . ووجه ابن جنى هذه القراءة بأن الكلام على حذف المفعول أى يتوفون أيامهم أو أعمارهم أو أجالهم ، ويذكر ابن جنى لتسويغ هذا أن حذف المفعول كثير فى القرآن وفصح الكلام

وفى البيضاوى : « وقرئ : يتوفون بفتح الياء أى يستوفون آجالهم » فكتب الشهاب عليه : « وهى قراءة على رضى الله عنه ، ورويت عن عاصم . ومعناها : يتوفون آجالهم أى يستوفون أعمارهم ، فعلى هذا يقال لليت متوف بمعنى مستوف لحياته . قال الزمخشري : والذي يحكى أن أبا الأسود الدؤلى كان يمشى خلف جنازة ، فقال له رجل : من المتوفى بكسر الفاء ؟ فقال : الله تعالى - وكان هذا من الأسباب الباعثة لعل كرم الله وجهه على أن أمره أن يضع كتابا فى النحو - تناقضه هذه القراءة ، وأجيب عنه - كما ذكره السكاكى - بأن سبب التخطئة أن السائل كان ممن لم يعرف وجه صحته ، فلم يصلح للخطاب » ، وترى أن جواب الشهاب غير سديد ؛ فإن أبا الأسود إذا كان يعتقد صحة المتوفى لليت عربية فما كان له أن ينكر على من استعملها فى هذا المعنى وفقا لعرف الناس فى عصره ، وليس الموطن موطن درس للاشتقاق وبيان وجهه . والذي يبدو أن أبا الأسود لم تبلغه قراءة على هذه وإن كان من شيعته وأخصائه ، وذلك أن رواية الفتح عن على وعن غيره تدخل فى قراءة الشواذ ، والمروى عن على فى المتواتر ضم الياء كالجهور ، وذلك أن قراءة حفص عن عاصم هى قراءة على رضى الله عنه الثابتة بطريق التواتر ، وهى بضم الياء كما هو معروف والرواية عن عاصم صاحبها المفضل الضبى ، وهو مع ثقته فى الشعر لا يعتد القراء بروايته فى القراءة ، وأيا ما كان الأمر فالقراءة الشاذة يحتاج بها فى اللغة والأحكام .

الملاك - الملك

يستعمل الناس الملك فى الملك ، وقد كان بعض الباحثين يرى أن هذا تخفيف للملأك وهو أصل الملك فى بعض الأوجه ، وقد ورد هذا فى قول الشاعر :

فلست لإنسى ولكن ملأك تنزل من جؤ السماء يصوب

وهذا الوجه منقود من ناحيتين : الأولى أن الشاعر شذ فى هذا اللفظ ولم يتابع عليه ، والثانية أن تخفيف ملأك ملك ، كما يقال فى تخفيف المسألة المسألة ، وفى تخفيف المرأة المرة ، فهذا هو القياس فى تخفيف مثله ، وقد ورد المرأة والكأة فى المرأة والكأة ، ولكن هذا ورد على سبيل الشذوذ ، ويقول سيبويه فى الكتاب ٢ / ١٦٥ : « ومثله قولك فى المرأة : المرة ، وفى الكأة : الكمة ، وقد قالوا : الكمة والمرأة ، ومثله قليل » وحمل النحويون القلة على الشذوذ ، على أنه لا بأس من تخريج الملك عليه ، وإن كان المرضى العدول الى اللغة المعروفة : الملك .

وهذه الصيغة قديمة في لغة القبط ، ففي آخر خطط المقریزی : « وبمصر كنيسة
غبريال الملاك بخط قصر الشمع ... وكنيسة الملاك ميخائيل بجوار بربرة بمصر » .

العمولة والعملة

تستعمل العمولة في الأجر يأخذها العامل في بعض المواطن . فيقال عمولة السمسار
كذا . وعربية هذه الكلمة العمالة بضم العين وحكى كسرهما وهي أجر العمل ، ويبدو أن
إبدال الألف واوا جاء من تفتيح الألف كما ينطق الصلاة والزكاة في بعض اللغات وقرئ
بها ، والتفتيح قد يميل بالألف نحو الواو .

والعملة تستعمل في النقد من المال ، وأصلها أجرة العمل ، وأغلب ما تكون الأجرة
من النقد ، فأطلق هذا اللفظ على النقد لذلك . ما

محمد علي النجار

الأخلاق

بين الحجاج وعمران بن حطان

لما ظفر الحجاج بعمران بن حطان قال : اضربوا عنق ابن الفاجرة !

فقال عمران : لبئسما أدبك أهلك يا حجاج ، كيف أمنت أن أجيبك بمثل ما لقيتني به ؟
أبعد الموت منزلة أصانعت عليها !

فأطرق الحجاج استحياء من كلمته ، ثم قال : خلوا عنه !

فخرج عمران بن حطان الى أصحابه ، فقالوا له :

والله ما أظلمك إلا الله ، فارجع الى حربه معنا .

نقا : هيهات ، غل يدا مطلقها ، وأسر رقية معتقها . وأنشد :

أأقاتل الحجاج عن سلطانه	بيد تقر بأنها مولاته
إني إذن لأخو الدناءة والذي	عفت على عرفانه جهلته
أأقول جار على ؟ إني فيكم	لأحق من جارت عليه ولاته

حلاوة الايمان

عن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ثلاث من كن فيه وجسد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار . رواه البخارى .

المعنى :

حلاوة الإيمان هي ما تجده القلوب السليمة ، والعقول الصحيحة ، والصدور النقية ، باعتقاد الإيمان والعمل به : من البشاشة والابتهاج ، والطمأنينة والارتياح ، والسرور والانشراح ؛ وقد شبه ذلك الأمر المعنوى بأمر حسى هو هذه الحلاوة التي يجدها ذائق المطعومات أو المشروبات الحلوة ، تقريبا للمعنى ، وتقريرا للغرض ، وتحقيقا للمراد ، فإن لذات العقول أعلى وأكمل ، ووجدانات القلوب أطيب وأجمل . وسيتبين لك كيف تمحو هذه الحلاوة مالا حدد لمرارته من الألم والعذاب .

وقد بين الحديث أن هذه الحلاوة ثمرة لأمر ثلاثة : أولها حب الله ورسوله ، وثانيها حب المرء أخاه المؤمن حبا لا يتغى به إلا وجه الله . وقد حدثه بعض العلماء بأنه مالا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء ، وثالثها أن يكره العود أى المصير الى الكفر كما يكره أن يقذف ويرمى به فى النار ؛ ولعمري إن هذا ليسر لمن يسره الله عليه من أهل الصدق والإخلاص واليقين ، فقد كره أصحاب الأخدود أن يعودوا الى الكفر أكثر مما كرهوا أن يقذفوا فى النار ، ونظيرهم فى الحفاظ على دينهم واستطاعتهم دونه الهلاك سحرة فرعون اذ صلبهم وقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف . وهكذا كان سلفنا رضى الله عنهم فقد امتحنوا فى كل شئ من نفس وأهل ومال كآل ياسر وبلال وخبيب وسائر المهاجرين الذين لقوا من جابرة مكة ما آتاهم الله به حلاوة الإيمان ثم أدخلهم به جنات النعيم ، وها هو ذا خبيب رضى الله عنه يقول - حين أخذته قريش ليصلب فسأله أبو سفيان أتعجب أنك مكان محمد حيث دوالآن وأنه مكانك - : والله ما أحب أن أكون مكانه وأنه تصيبه شوكة ، فيقول أبو سفيان : ما رأيت أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا حتى اذا ما رفع على الخشبة قال :

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أى جنب كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلوممزع (١)

ويرى القاضى البضاوى ، وتابعه العلماء : أن المراد بحب الله ورسوله هو الحب العقلى الذى هو ايثار ما يقتضى العقل رجحانه وان كان على خلاف هوى النفس ، وضرب لذلك مثلاً بالمرضى يعاف الدواء بطبعه فينفر عنه ، ويميل اليه بمقتضى عقله فيهوئ تناوله ، وقال : فأذا تأمل المرء أن الشارع لا يأمر ولا ينهى إلا بما فيه صلاح عاجل ، أو خلاص آجل . والعقل يقتضى رجحان جانب ذلك تمترن على الأئتمار بأمره بحيث يصير هواه تبعاً له ، ويلتذ بذلك التذاذ عقلياً ، إذ الالتذاذ العقلى إدراك ما هو كمال وخير من حيث هو كذلك ؛ وهذا لا يمنعنا من أن نعتقد أن لله عبادة يحبونه محبة قلبية لا تعلق لها إلا بذاته تعالى من حيث هو أهل للمحبة ، والحديث فى ذلك مما لا يستطيع على وجهه لكل أحد ، ولا من كل أحد . « والله يختص برحمته من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم » ؛ وشاهد الحديث من القرآن الكريم قوله تعالى : « قل إن كان آباؤكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم - إلى قوله - أحب إليكم من الله ورسوله - ثم هدد على ذلك وتوعد بقوله : فتربصوا حتى يأتى الله بأمره . »

هذا وإنى لا أكاد - وإيم الحق - أجد سبباً لهذه الماراة المتغلغلة فى حياة المسلمين الا نضوب هذه المنابع الثلاثة التى كانت تفيض بجلاوتها على قلوب المؤمنين الأولين ، ولما كان الأصل فيها هو محبة الله حياً كما وصف فى قوله « والذين آمنوا أشد حبا لله » وكانت محبة الرسول والمؤمنين تبعاً لها ، وكراهة العود الى الكفر من مقتضياتها ؛ فقد انصرف هم الشيطان ووكله ، ووسوسته وكيده الى محوها والعياذ بالله من القلوب ؛ وذلك بجعلها تبعاً لأحوال العيش وحاجات النفس ، مما هو عرضة للتغير والزوال والفناء والاضمحلال « ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين » .

وإنى لأتساءل : كيف لا نكون أشد حبا لله ، وقد بدأنا بفضله بلا عمل سلف ، ولا سعى سبق ، ولا نية نوينا ، ولا خطرة من خطرات الخير خطرت بنا ، أو بالأحرى بطيئتنا وترابنا ، بل بدأنا بأحسنانه الأعظم ، وكرمه الأكرم ، وجوده الأتم الأكل . نخلقنا

في أحسن تقويم ، وأنزلنا ذرية في ظهر آدم في الجنة دار النعيم ، وعلمنا كذلك الأسماء كلها ، وفطرنا على معرفة الخير من الشر والفجور من التقوى ، ثم أمر بالسجود لآدم أبينا أظهر خلقه ، ، وأصغى عبادته : أهل الذكر والتسبيح ، والطهر والتقديس ، ملائكته المكرمين ، وعباده الصادقين المخلصين ؛ ثم استخلفنا في أرضه ، وفضلنا على كثير من خلقه ؛ وسخر لنا ما في السموات والأرض جميعا منه ؛ أفبعد ذلك يجدر بمن يزعم لنفسه عقلا أو رأيا أو حكمة أو خلقا أن يكون كما وصف الله « خلق الإنسان من نطفة فأذا هو خصيم مبين » أو أن يبدل نعمة الله كفرا ، وما ينبغي له من الوفاء نكثا وغدرا؟! أفبعد ذلك يليق بهذه الإنسانية عامة أن تكون كما ورد في الحديث : شرها إلى الله صاعد وخيره إليها نازل ، أو أن يغلب فجورها على تقواها ، وبرها على شكرها « وقليل من عبادي الشكور » ؛ أو أن تتخذ من بدأها بالعداوة والبغضاء وليا من دون الله الذي بدأها بالبر والنعماء ، والكرامة والاصطفاء « واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ؟ !

كيف لا نكون أشد حبا لله ، وقد تداركنا بعد فساد الفطرة وتحريف الدين ، بما أنزل من الكتب ، وما أرسل من النبيين ، ليذكر غافلا ، ويهدي ضالا حائرا ، ويحيي قلبا ميتا ، ثم أتبع ذلك بما يلقى في القلوب من هدى يخرج من الظلمات إلى النور ، وما يجعل لها من وازع عن الآثام والشرور ، إلى ما يبث في الناس به من الخير والشر لعلمهم يرجعون ، أو يتضرعون « ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكي منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم » .

كيف لا نكون أشد حبا لله ، وفي حبه السعادة الروحية التي لو ذاق حلاوتها هؤلاء المترفون الذين يأكلون ويتمتعون كما تأكل الأنعام ، لجالدوا عليها أهلها بالسيوف ، فكانت هي - لا متاع الدنيا - موضع المنافسة وموضوع الخصام ، لو أنها تحتل الخصام ، فهذه السعادة يذهب عن المرء ما يجسد في دنياه من الأوصاف والآلام ، ويزول ما يعلم به من الأكدار والأحزان ، لأن هذه المحبة كالماء الذي يغسل الأدران ، ويظهر من رجز الشيطان ويظفي لواحج النيران .

كيف لا نكون أشد حبا لله ، وهو الغني عنا إلا أنه يدعونا ويتودد إلينا ، ولا يقطع

عنا نعمه طرفة عين ولا مادونها ، ولو قطعها لانقطعت الأنفاس المترددة ، وانطمست العيون المبصرة ، وانسدّت الأذان السمعية ، ولما استطاع قلب أن يخفق ، ولا عرق أن يندبض ، ولا حى أن يعيش ؛ ونحن الفقراء اليه في كل لحظة وحين ، وإن كنا ملوكا مساطلين ، أو حكاما متمكنين ، فإن ذلك والله لا يغنى من أمر الله شيئا ، ولا يدفع من قضائه أمرا ولا حكما ، فييده وحده الخير وهو على كل شئ قدير .

كيف لا نكون أشد حبا لله ، وقد استودعناه آباءنا وأبناءنا ، وأنا لموشكون أن نستودعه أنفسنا وديننا وخواتيم أعمالنا ، حيث يتعهدنا حين ينقطع المتعهدون ، ويصل من حبالنا ما قطعه الواصلون ، ويعلم وحده ما تنقص الأرض منا وعنده كتاب حفيظ ، وهو المسئول وحده أن يجمعنا بمن فرط من أحبابنا وفلذات أبادنا في دار رحمته ، ومنزل كرامته ، حيث نشفى بالأنس وحشات الفراق ، ونلأم بالود آثار الجراح ، ونستقبل معهم وبهم الحياة الأبدية التي تروى كل غلة ، وتشفى كل علة ، وتؤمن من كل فزع ، وتطمئن من كل هلع ، وإني لأتساءل متعجبا كيف لا يسعى الإنسان الى لقاء أهله الصالحين في دار الكرامة والسلامة ، فإن لم يكونوا صالحين فلن ينفعه أن يجتمع بهم في الجحيم حيث يلعن بعضهم بعضا ، ويتبرأ بعضهم من بعض « ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون » . « قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين » .

كيف لا نكون أشد حبا لله ، وقد كتب على نفسه الرحمة ليجمعنا الى يوم القيامة ، وجعله وعدا عليه حقا حيث يجمع ما تفرق من رفاتنا ، ويصل ما انقطع من أوصالنا وأشلائنا ، ويمسح بيد رحمته ما صنع الموت بأجسادنا ، ويؤمننا بلقائه من أن ندوق الموت بعد الموة الأولى ، ويرينا من آيات قدرته وعدله وإحسانه وفضله أنه هو القادر على أن يحيي الموتى ، وأن له الحمد في الآخرة والأولى ، وأنه لن يدع الإنسان لظلمات النسيان ، ولن يقيم المؤمن بدار هوان « أيحسب الإنسان أن يترك سدى » « ولله ما في السموات وما في الأرض ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى » « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين » .

كيف لا نكون أشد حبا لله ، ولن نجد عن حبه عوضا ولا بدلا ، ولن نجد من دونه مؤثلا ولا وزرا ، ولن ننال من سواه عوننا ولا مددا ، ثم لا مفتر لنا منه إلا إليه ، فأليه

المرجع والمصير « يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان » . « والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون » .

كيف لانكون أشد حبا لله ، وقد ندبنا الى لقاءه وهو الملك الأعلى خفافا من أوزار الحياة وآثامها ، منزهين عن دنايها وأوضارها ، ليردّ إلينا بسابق رحمته ما سلبنا بغضبه ، ويعوضنا من شقاء دنيانا بسعادة جنته . وإني لأسأل هؤلاء المعرضين عن الله الكريم لم تعرضون ؟ أتشكون في جوده وإحسانه والناس جميعا يتقبلون في نعمته مؤمنهم وكافرهم برّهم وفاجرهم ؟ ! أم تشكون في كتبه ورسله ، وقد أتوا بالمعجزات الباهرة التي خضعت لها رقاب الجبابرة ، ولانت بها القلوب القاسية ، وآمن بها الكافرون ، وتعلم بها الجاهلون ، ومنها استمدت الحضارات الإنسانية ، وظهرت أنبل المبادئ والمقاصد البشرية ؟ ! أم تشكون في وعده لعباده أن يعيدهم كما بدأهم . وهو كل يوم يرينا من آيات خلقه في الإنسان والحيوان والجماد والنبات ما لا ريب فيه لمريب ، ولا مجال فيه لتكذيب « ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور » . أم يحسبون أن عدله يتسع لترك الظالم بظلمه وبغيه ، والمظلوم بمظلمته وشجوه ، فيبطل بذلك حكمته في خلقه ، وإزاله لآياته وإرساله لرساله ، ويجعل للفساد دولة في ملكه ، ومستقرا في أرضه ؟ ! وكيف يصح ذلك ، وقد أقام الله السموات والأرض على القوانين العادلة والنظم الكاملة ولو أوتى شيء منها أن يبغى على شيء لزالا السموات والأرض ومن فيهن ولكن الله « يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا » وإنما أطلق الله من أعنة اختيارنا ولم يكرهنا على ما هو الأولى بنا لأننا أضعف من أن يزول شيء من السموات والأرض بنا ، ولأن لنا معشر المكلفين معادا ليس كمثلنا لغيرنا ، وقديما رأى أهل الألباب أن فيما أوتى الظالمون من المهلة دليلا على أن للحساب يوما ، وللقصاص موعدا ، وصدقهم الله سبحانه إذ يقول « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون » وإذ يقول « أفجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون » أم يشكون في وجود الخالق ويؤمنون بوجود المخلوق ، فيجعلون الفعل للطبيعة دون من طبعها ، ويغفلون عن أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، وأوحى في كل سماء أمراها ، وإني لأسألهم

وقد أغرقوا في الضلال ، وأسرفوا في الخيال : من الذى أنشأ أول موجود فى الطبيعة ثم نقله فى أطواره ، وأى شىء فيها هو الذى خلق هذا الإنسان الذى لا يرى فى الطبيعة ما يشبهه فى علمه وإدراكه وعقله واختياره ، وتسخير كل شىء لمآربه وأغراضه ، وهل يقع فى عقل أن يخلق ما لا يسمع ولا يبصر ، ولا يعلم ولا يعقل ، ولا يخترع ولا يقدر ، مثل هذا الإنسان العاقل المختار السميع البصير الكاتب الناطق العالم الحاسب الذى فيه من آيات العلم والخبرة ووجوه التصرف والحيلة ما ينبىء عن منزلته التى جعلها الله له إذ استخلفه فى أرضه ، وسخر له ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه ، وإذ جعله فوق كل شىء فى هذه الطبيعة ، وجعل كل شىء فيها دونه . فسبحان الله كيف يفتن بها قوم من دون الله إلى أن يجعلوها مبدأ الإنسان ومنتهاه ، ولكن لا عجب فאלله سبحانه وتعالى يقول : سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشدا لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين . فاللهم حبب إلينا الإيمان بك ، والإقبال عليك ، وارزقنا الرجاء لرحمتك ، والخشية من عذابك ، والتوقير لدينك ، والمعرفة بحقوقك ، والشوق إلى لقائك ، والحنين إلى جنتك ، والاستجابة لدعوتك ، والمحبة لنبيك وللمؤمنين بك ابتغاء وجهك ، واجعل حبك وحب نبيك فى قلوبنا فوق كل شىء ؛ وبغض إلينا الكفر والفسوق والعصيان كما تبغض إلينا العذاب بالنار أو أشد ؛ وأدقنا بذلك حلاوة الإيمان وبشاشته ، واخلفها بقلوبنا وأرواحنا ، وامزجها بلحمنا ودمائنا ، فإنك أنت الوهاب الكريم والمنعم العظيم ؟

محمود فرج العقدة

مدرس بكلية اللغة العربية

ضلال الظواهر

رأوك بالعين فاستغوثهم ظن
ولم يروك بفكر صادق الخير
والنجم تستصغر الأبصار رؤيته
والذنب للطرف لا للنجم فى الصغر
أبو العلاء المعرى

التشاؤم مرض

يعنى الناس كل العناية بالأمراض البدنية ، فيلجأون إلى الأطباء ، أو إلى الدجالين والمشعوذين ويتناولون الادوية التى يوصى بها الطبيب ، أو يستعملون العقاقير البلدية ، ومنهم من يلجأ إلى الرقى والتمايم ، وأياما كان فقل من الناس من يستكين للمرض ، ويركن إليه ، ولكننا لا نرى الناس يعطون أهمية للأمراض النفسية ، مع أننا لا نجد فرقا بينهما فى النتائج وربما كان المرض النفسى أخطر عاقبة ، وأبعد أثرا ، وهل هناك فارق يذكر بين رجل ابتلى بحمى فزرع لها ، وخاف عاقبتها ، وقلق على نفسه ومستقبله ، ورجل ابتلاه الله بالتشاؤم فهو فى قلق دائم وخوف مستمر ، ذلك فقد لذة الحياة وهدوءها ، وهذا أيضا

فترى المتشاؤم يضطرب لمنظر رآه لا يوافق ، أو يقلق لكلمة يسمعها تنذره - فى زعمه - بشر مستطير ، وهو لا ينى ينظر ويسمع ، فهو لا ينقطع عن الاضطراب والقلق ، وبذلك يظل فى كدر وحزن وهم ، وربما ناله من الأمراض البدنية - بسبب ذلك - ما لا قبل له به ، وقد يعتزم أن يقوم بأمر خطير يعود عليه أو على أمته بالخير واليمن ، ولكن يصادفه فى أول الطريق نذير مبهم ، فتفتر همته ، وتضعف إرادته ، ويخلك إلى الأوهام .

والتشاؤم عاطفة قديمة ، شاعت فى كثير من الأمم القديمة ، ولكنها لا تزال - أيضا - تحتل مكانها فى الأمم الحديثة ، وقل أن تخلو منها أمة من الأمم أو فرد من الافراد ، وعلى الرغم من تقدم الدراسات العلمية والنفسية ، وعلى الرغم من أن الناس قضا مع الإسلام نحو أربعة عشر قرنا ، لا يزالون بعيدين عن النظر الصحيح ، والمنطق السليم فى هذا الامر .

تشاءم العرب من بعض الحيوانات ، فتشاءموا من البوم والغربان ، والثور المكسور القرن ، كما تشاءموا من بعض الكلمات التى تدل على معان غير مرضية ، بل ربما بلغ إحساس المتشاؤمين منهم أن يتطهروا من كلمات خفيفة على السمع ، لطيفة فى المعنى ، فريح الصبا من أطيب الأرواح عند العرب وألطفها ، وقد أفاضوا القول فى امتداحها ، والتغنى بها ، والحنين إليها حين يغادرون أوطانهم ، ولكن ذلك لم يمنع بعض المتشاؤمين أن يعتبر لفظها

تذيرا بفراق الاحبة ، وبدوام الصبابة ، وقل مثل ذلك في البان والغصن ، فالبان بين ،
والغصن غصص . . . وهكذا .

وفي كل عصر ، وفي كل أمة ، يوجد أصحاب المدارك السليمة ، والنفوس المستبشرة ،
وجد هؤلاء قديما وحديثا ، رأينا من يأخذ من الالفاظ ما يريح به نفسه ، فالحمام بشير
بأن لقاء محبوبته قد حم وقدر له ، في حين يجعله شاعر آخر حماما وموتا ، والطلح بشير بأن
المطى ستصل إليها وهي طليح ، والبان بيان بالنجاح والدم يعطى معنى دوام الود :

وقالوا حمامات فخم لقاءها وطلح ، فزيرت والمطى طليح
وقال صحابي همد فوق بانه هدى وبيان بالنجاح يلوح
وقالوا دم ، دامت موافيق بيننا ودام لنا حلو الصفاء صريح

ورأينا من الشعراء من ينسك في سخريه لاذعة ، أن يسكون غراب البين سبيا في تفريق
الاحبة ، ويجعل الذنب كله للإبل التي حمتهم ، وسافرت بهم ، أما الغراب فما أهون شأنه .

ما فرق الاحباب بعد الله إلا الابل
والناس يلحون غراب البين لما جهلوا
وما على ظهر غراب البين تطوى الرحل
ولا إذا صاح غراب في الديار احتملوا
وما غراب البين إلا ناقة أو جمل

وحين جاء الإسلام هاجم بقوة هذا المرض النفسي : فسياه (شركا) ونفاه في غير
غمرض ولا التواء ، ولكن النفوس التي لا تستمع إلى صوت العقل لا تستمع إلى صوت
الدين ، وقد كان أبسط الأمور أن يدرك المتشائمون أن العلم لا يؤخذ إلا من العلماء ،
فكيف يؤخذ علم الغيب عن طير يصيح ، أو عن يوم من الأيام ، أو شهر من الشهور ؟
وأى معنى على أو خيال يأخذه الناس من يوم الأحد ، أو من أربعاء لا تدور - كما كان
يقول الأوائل - أو من شهر صفر ، أو مما أشبه ذلك ؟ لا شيء إلا الانسياق وراء الوهم !

أما علاج التشاؤم ، فقد سبق الإسلام فوضع أساسا سليما متينا ، يقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « إذا تطيرت فلا ترجع ، وإذا تطيرتم فامضوا ، وعلى الله فتوكلوا » .

« من عرض له من هذه الطيرة شيء فليقل : اللهم لا طير إلا طيرك ، ولا خير إلا خيرك ، ولا إله غيرك . » فالعلاج في نظر الإسلام يتلخص في أمرين :

(الأول) قوة الإرادة ، والإصرار على المضي إلى الغاية المنشودة ، ومتى عود الإنسان نفسه المضي بالرغم مما يلاحظه من التطير ، نبي إرادته ، وهذا - بنفسه - هو ما يدعو إليه علماء النفس المحدثون . فليس أمام الإنسان من سبيل إذا أراد أن يتخلص من عادة سيئة أو من بعض العواطف الضارة ، إلا الإرادة الحازمة الصارمة التي لا تعرف التقهقر .

(الثاني) سلامة العقيدة ، وتحليصها من الشوائب ، فلو أدرك الإنسان بحق أنه لا خير إلا من الله ، ولا شيء إلا ما أَرَادَهُ ، وأنه لا يعلم الغيب غيره ، لرأى أن هذه الأمور التي يرتكبها من يتشام ، هي حماقات وتوافه .

قوة الإرادة وسلامة العقيدة هما المنجيان من كل ما يخضع له الإنسان من مخزيات ، ولن تجد متشائماً إلا وهو يحمل قلباً عليه سحب كثيفة من الاعتماد على غير الله .

ولنتأمل كيف استطاع أحد كبار الرياضيين أن يتخلص من الخوف بقوة إرادته ، وبرجوعه إلى المنطق السليم ، يقول : « لقد كان الخوف يفتابني قبل موعد المباريات الكبيرة بأيام ، فأقضي شطراً كبيراً من الليل ساهراً ، تساورني الأفكار السود ، واسكنني كنت لا ألبث أن أغادر فراشي ، وأنوجه إلى المرأة بعد أن أوقد مصباح الغرفة ، وأقول لنفسى منفعلاً : كم أنت غبي ؟ كيف يقلق لشيء لم يحدث بعد ، وربما لا يحدث أبداً ؟ إن الحياة قصيرة ، وعلى أن أستمتع بكل لحظة فيها ، إنني الآن بخير ، وإذن فلأنعم بالوقت الحاضر ، وليس لي شأن بما يحدث بعد ذلك . »

وهذا ما نريد من كل متشائم أن يقوله : كيف يقلق لشيء لم يحدث بعد ، وربما لا يحدث أبداً ، وكيف يستسيغ عقله أن يصدق ما لا يقوم دليل على صدقه ؟ وما دام هو الآن بخير فلماذا يعذب نفسه بالخوف من مستقبل استأثر الله بعلمه ، وإذا كان لنا أن نضيف شيئاً ، فهذا الذي يقوله الشاعر العربي :

لا يعلم المرء ليلاً ما يصبحه إلا كواذب مما يخبر الفال
والفال والزجر والكهان كلهم مضلون ودون الغيب أفعال

على العمارة

هل للمرأة حقوق سياسية؟

سؤال قبل أن نجيب عنه نرجو أن تطمئن المرأة إلى أننا لسنا من أعدائها ، ولا بمن يحملون خطر رسالتها ، فهي بنتنا أو أختنا وكانت قبل ذلك أما لنا ، فإذا وقفنا منها موقف المعارضة ، فذلك لتكريم شأنها ، والإشفاق عليها مما تجره الدعاوى البراقة من ويلات وآلام .

للرأة رسالة ولها هدف وغاية وقد بينها الإسلام في قوله تعالى « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » ، فقد جمعت هذه الآية رسالة المرأة في : —

١ — السكون النفسى والجسمى والاطمئنان القلبى .

٢ — المودة التى يظهر أثرها فى المصاهرات والأسر .

٣ — الرحمة التى تبدو فى الامومة وما ينبج الزوجان من ذرية .

فهل المرأة رسالة أعظم من تلك الرسالة التى لو أدت على وجهها الصبح لما وجدت المرأة متسعاً من الوقت وفراغاً من الزمن ! . ليس فى استطاعة المرأة أن تصبح رجلاً ، وقد قسمت الطبيعة المخلوقات إلى ذكر وأنثى . وحددت لكل نوع مكانه فى المجتمع واتجاهه فى الحياة ورسالته التى يجاهد فى سبيلها . وليس من شك فى أن رسالة المرأة الاولى مملكتها المنزلية : تربي أطفالها ، وتهبى عرشها ، وتنظم أسباب سعادتها . وإن الحماية الجسمية للرجل لن تنتقل إلى المرأة مهما سعت إليها . فلم تترجل فى سلوكها وتطلب مالا يتفق وطبيعتها ؟ إن هذه المشكلة قديمة ، وقد عالجها الإسلام بما لا يدع مجالاً للشك عند المنصفين . جاء فى كتاب الإصابة للحافظ ابن حجر العسقلانى أن أم كبشة القضاية قالت : يا رسول الله ، ائذن لى أن أخرج فى جيش كذا ، قال ﷺ : لا ، فقالت : لا أريد أن أقاتل ، وإنما أريد أن أداوى الجرحى والمرضى وأسقى الماء ، فقال ﷺ : لولا أن تكون سنة ويقال :

فلاية خرجت لأذنت لك ، ولكن اجلسي لا يتحدث الناس أن محمداً يغزو بامرأة !! والإسلام الذي فرض الحجاب في السنة الخامسة من الهجرة كان من آثاره منع المرأة من الجهاد والاعمال السياسية والتشريعية . يؤيد ذلك ما ورد من أن أبا سفيان بن حرب أتى السيدة فاطمة قبيل فتح مكة فقال لها : هل لك أن تأمرى ولدك هذا فيجبر بين الناس ويكون سيد العرب ؟ فقالت : إنما أنا امرأة ، وذلك لرسول الله ﷺ . إنما أنا امرأة ليس من حقها أن تقسم ميدان السياسة لأنها لا تتفق مع طبيعة رسالتها ، ولا تتلاءم مع واجب أمومتها .

ورسالة المرأة تظهر جلية في حديث أسماء بنت يزيد حين قدمت إلى الرسول عليه الصلاة والسلام نائبة عن زميلاتها فقالت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، أنا وافدة النساء إليك ، إن الله عز وجل بعثك إلى الرجال والنساء كافة فأمننا بك وبإهلك ، إنما معشر النساء محصورات مقصورات ، قواعد بيوتكم ، وحاملات أولادكم ، وإنسكم معشر الرجال فضلتهم علينا بالجمع والجماعات وعبادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج ، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله ، وإن أحدكم إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مجاهداً حفظنا لكم أموالكم وغزلنا لكم أثوابكم وربينا لكم أولادكم ، أنشركم في هذا الأجر ، فأنجه الرسول عليه الصلاة والسلام إلى أصحابه وقال : « هل سمعتم مسألة امرأة قط أحسن من مسائلها في أمر دينها ؟ فقالوا يا رسول الله : ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا ، فقال عليه الصلاة والسلام : « أفهمي أيتها المرأة وأعلمي من خلفك من النساء أن حسن تبعل المرأة لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك ، فذهبت أسماء إلى قريناتها وذكرت لهن ما حدثها به الرسول عليه الصلاة والسلام ، فسررن به والتزمن نهجه ، فاشترك المرأة في الحياة السياسية ومطالباتها بالتمثيل النيابي بنأى عن الإسلام وتعاليمه ، ولا يتفق مع الدين ومنهاجه .

١ — لأنه يجعل التشريعات خاضعة للعاطفة ومنطق الجوال ، فتصبح القوانين متأثرة بالاهواء ، ومزوجة بالسحر والإغراء ، فالمرأة لها سلاح بئار لا ينجو منه إلا من رحمه الله فولى الأدبار . ولقد تذبذبه إلى خطر تأثيرها الشعراء منذ العصور الأولى ، وسأذكر لكم شاهدين على ما أقول : أما الشاهد الأول فهو يعجب من تأثير المرأة مع ضعفها وجاذبيتها مع قلة جهودها فيقول :

إن العيون التي في طرفها حور قتلتنا ثم لم يحيين قتيلنا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله إنسانا
أما الشاهد الثاني فهو لشاعر يفخر بشدته في الحروب واستسلامه للمرأة في السلم
وتبعيته ، فيقول :

نحن قوم تذيينا الاعين النجل على أننا نذيب الحديد
وترانا يوم الكربة أبطا لا وفي السلم للغواني عبيدا

٢ — لأن البرلمان هيئة تشريعية وولاية عامة ، والمرأة ليس في طبيعتها قدرة الولاية
على الرجل ، قال تعالى : الرجال قوامون على النساء ، وقد حذر الرسول ﷺ من
ولايتها كما روى الترمذى في سننه (إذا كان أمراؤكم شراركم ، وأغنياؤكم بخلاءكم ، وأمركم
إلى نسائكم ، فبطن الأرض خير من ظهرها) . وفي الجامع الصحيح للبخارى (أن يفلح
قوم ولوا أمرهم امرأة) .

٣ — لأنه يجعل المرأة بعيدة عن بيتها تنتقل في كل واد وتجوب في كل طريق . لنعرف
الآلام والآمال ، وذلك يعارض قوله تعالى : وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية
الاولى ، . فلنذكر المرأة المسلمة أى تشريف لها في نسبة البيت إليها وجعله خاصا بها .
ومن المؤلم أن بعض المربيّات تزعم أن هذا الخطاب للنساء العاشرات ! ، مع أنه لامهات المؤمنات
الصالحات الطاهرات ، وذلك يدل على الجهل ومبلغ الجرأة على الله ونساء رسوله والاعتداء
على حرّامات الدين وكتابه .

٤ — الإسلام خص الرجل بأشياء تتفق مع طبيعته وتسكونه ، منها الإمامة والرسالة
والجهاد والأذان والخطبة والنكاح والطلاق وثبوت الذنب والمهر والنفقة ، والبرلمان نوع
من تبعات الإمامة .

٥ — لم يثبت في تاريخ المسلمين أن امرأة وليت القضاء ، والبرلمان نوع من القضاء .
ولما لنرى الإسلام جعل شهادة المرأة نصف شهادة الرجل قال تعالى : واستشهدوا شهيدين
من رجالكم ، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما
فتذكر إحداهما الأخرى ، فإذا كانت الشهادة وهى أقل خطورة من البرلمان لا تتساوى

فيها المرأة بالرجل . أليس ذلك دليلا على منعها منه وأنه ليس لها حقوق سياسية حتى تطالب بها ؟ .

٦ — لم يتحدث التاريخ أن النساء في أى عصر من عصور الإسلام الزاهرة بايعن الخليفة أو الحاكم ، ولا جلسن في مجالس الشورى والتشريع ، مع أن فيهن من ذوات الحجى والالعية ما لا عهد للتاريخ بأمثالهن .

ويقول دعاة المساواة إن الإسلام سوى بين المرأة والرجل في الصلاة والصوم . وهو قول غير سديد لأن المرأة لا تجب عليها الجمعة والجماعة ، وصلاتها في بيتها أفضل ، ولا تصح إمامتها للرجل ، وقد كان عليه الصلاة والسلام : «خير مساجد النساء قعريبيوتهن» ، «لا تؤمن امرأة رجلا ، وأوجب عليها الإفطار في الحيض والنفس ، وبدهى أن الرجل ليس عليه شيء من ذلك .

ويقولون إن الإسلام أوجب أن يؤخذ رأى المرأة في زواجها ، والحياة البرلمانية أولى من الحياة الزوجية ، فلم لا تشترك فيها ؟ ومن الهزل أن يزعموا أن الحياة البرلمانية أولى من الحياة الزوجية ، وأعتقد أنه لن يوافق على ما يقولون إلا من يرى أن الأرض فوقنا وأن السماء تحت أرجلنا .

ويقولون : إننا نريد أن يمثل العنصر النسائي في البرلمان ليدافع عن المشكلات الخاصة بالمرأة كمشكلة الطفولة والطلاق وتعدد الزوجات ، وهذه مشكلات لا تحل في البرلمان وإنما تحل في ظلال الدين والقرآن . وإن أرقى البرلمانات في العالم بها فئة قليلة من النساء ، وهم جميعا يعترفون بأن الرأى للأغلبية فما قيمة هذا التمثيل ؟ أفأنا كان الأولى بهم أن يدعوا المرأة إلى حسن تربية النشء وتهذيبه ليكون في المستقبل دعامة من دعائم النهضة ، وبذلك يمثلن في البرلمان برجال من أبنائهن ذوى خلق كريم ، وعقل مستقيم ، ونظام رتيب . أما موقعة الجبل التي خرجت فيها السيدة عائشة للتعاون مع على كرم الله وجهه على إقامة الحد في قتلة عثمان رضى الله عنهم جميعا ، فلم تكن فيها طالبة لولاية ولا قائدة لجيش .

وقد يقولون : إننا نحرم النائية من الزواج ، ولكنهم لن يستطيعوا ذلك ، فإن علماء النفس يثبتون أن الفتاة إذا بلغت العشرين اتجهت إلى أن تكون زوجا ، فإذا بلغت الخامسة والعشرين تافت إلى أن تصبح أما ، فكيف نطلبها فنمنعها حقها الطبيعي في سبيل هذه المظاهر الخداعة ؟

وقد يقولون : لنقصر النيابة على المرأة في الخمسين من عمرها بعد أن تؤدي رسالتها المنزلية وبذلك لا يشغلها عن البرلمان شاغل . والرد على ذلك أن المرأة في هذه السن تحتاج إلى راحة من عناء العمل والشيخوخة ، فإذا أبحنا لها البرلمان كانت في ميدان النيابة محتاجة إلى تحارب وأعباء ثقلا لا تحملها ولا تطيق القيام بتبعاتها .

ألا فليذكر دعاة المساواة في النيابة أى خطر يحدق بالامة إذا تركت الام تربية الأبناء في سبيل مجالس التشريع والقضاء ، وليخبرونا من الذى يشرف على شئون الناشئة ويعدهم لاعباء المستقبل ؟ أندعو الرجل إلى عمل المرأة ولم يخلق له ؟ أم نحمل الاطفال إلى المجالس النيابية فتصبح ملجأ للأطفال وموطنا للحوامل والمرضعات ؟ أم نترك الاولاد للخدم والمربيات فتفسد الاخلاق وتنهار روابط الاسرة والمجتمع كما ترون الآن .

إن مشكلة البيت اليوم أصبحت أدق المشكلات ، وإن الدروس التى يتلقاها الطفل في حجر أمه سيكون لها أكبر الاثر في مستقبل حياته ولن تعدو عليها عوامل الفسيان والإهمال ، فلا تزيدوا أعباء المرأة وتبعاتها ، واسمعوا نبي الرحمة إذ يقول : « استوصوا بالنساء خيرا » .

ولا تكلفوا أمكم وأختكم وبناتكم ما لا تطيق ، وقدروا فيها أمومتها لا أنوثتها ، ورسالتها لا نيايتها ، وطبيعتها لا غوايتها ، وملكيتها لا تملكها .

اذكروا أن المرأة قبس يضىء ، وزهر يبسم ، وأمل يلهم ، وهدى يشرق ، مادامت في عشاها ، فحاذروا أن يضيع القبس ، ويذبل الزهر ، ويذوى الأمل ، ويهوى الإشراق . وتأملوا قول الله تعالى : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ مضللاً مبيناً » .

محمد صابر عاشور

مدرس بمعهد دمشق

جبل ثور بالمدينة

(المدينة حرم ما بين عير إلى ثور) هذا الحديث النبوى الشريف أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه فى : ٨٥ - كتاب الفرائض ٢١ - باب إثم من تبرأ من مواليه ، وأخرجه مسلم فى : ١٥ - كتاب الحج حديث ٤٦٧ . فهو من الأحاديث المتفق عليها بين الشيخين ، ورواته لا يمكن أن يتطرق الوهن أو الشك إلى روايتهم ، والحديث قاله سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المدينة ، وسمعه منه أهل المدينة ، ومنهم الإمام على ابن أبى طالب ، وقد حرص عليه أئمة حرص ، فذكرته فى صحيفته المشهورة المتعلقة فى قراب سيفه .

ومع كل هذا فقد ظهر بيت المتقدمين من يدعى مصعبا الزبيرى ، فألقى بها كلمة طاعنة فى متن الحديث ، حيث قال : ليس فى المدينة عير ولا ثور .

وتبعه أبو عبيد فقال : ما بين عير وثور ، هذه رواية أهل العراق ، وأما أهل المدينة فلا يعرفون جبلا عندهم يقال له ثور ، وإنما ثور بمكة ، وأقول أنا : وجود جبل بمكة اسمه ثور لا ينفى وجود جبل بالمدينة بهذا الاسم .

ولقد روى الإمام البخارى فى صحيحه ، فى : ٦٥ - كتاب التفسير ، ٣٨ سورة ص : ٣ - باب وما أنا من المشركين : عن مسروق قال : دخلنا على عبد الله بن مسعود . قال : يأبها الناس ! من علم شيئا فليقل به ، ومن لم يعلم فليقل : الله أعلم ، فأن من العلم أن يقول لمالا يعلم : الله أعلم .

وقد أخذ العلماء قول مصعب وأبى عبيد حجة بدون تمحيص ولا تحقيق :

يقولون أقوالا ولا يعلمونها ولو قيل : هاتوا حقا لم يحققوا

ثم تناولوا الحديث بالتخريج والتأويل ، ووقع بسبب هذا القول فى الخطأ الشنيع ثلاثة من كبار المؤلفين :

أولهم أبو عبيد البكرى ، المتوفى عام ٤٨٧ هـ ، فى كتابه معجم ما استعجم .

والثانى ابن الأثير ، المتوفى عام ٦٠٦ هـ ، فى كتابه النهاية فى غريب الحديث والآثر .

والثالث ياقوت الحموى ، المتوفى عام ٦٤٦ ، فى كتابه معجم البلدان .

قال فى معجم ما استعجم :

وذكر أبو عبيد (هو القاسم بن سلام ، بتشديد اللام ، كما حرر ذلك ابن خلكان فى الوفيات ، وكما جاء فى نزهة الألباب طبقات الأدباء لابن الأنبارى ، إذ قال : وقد رثاه عبد الله بن طاهر بقوله :

يا طالب العلم قد أودى ابن سلام وكان فارس علم غير محجام
لا بالتخفيف كإنص عليه صاحب التاج ، وتبعه الأستاذ مصطفى السقا فى تعليقه على هذا الحديث ، وقال : غير وثور جبلان بالمدينة . قال : وهذا حديث أهل العراق . وأهل المدينة لا يعرفون بالمدينة جبلا يقال له ثور . وإنما ثور بمكة . فىرى أن الحديث إنما أصله ما بين غير إلى أحد ، !!!

وقال ابن الأثير : وفيه أنه حرّم المدينة ما بين غير إلى ثور . هما جبلان . أما غير لجبل معروف بالمدينة . وأما ثور فالمعروف أنه بمكة ، وفيه الغار الذى بات به النبى ﷺ لما هاجر . وفى رواية قليلة : ما بين غير وأحد ، وأحد بالمدينة ، فيكون ثور غلطاً من الراوى ، وإن كان هو الأشهر فى الرواية والأكثر . وقيل : إن غيراً جبل بمكة ، ويكون المراد أنه حرّم من المدينة قدر ما بين غير وثور فى مكة ، أو حرّم المدينة تحريماً مثل تحريم ما بين غير وثور بمكة ، على حذف المضاف ، ووصف المصدر بالمحذوف .

وقال ياقوت : وفى حديث المدينة أنه صلى الله عليه وسلم حرّم ما بين غير إلى ثور . قال أبو عبيد : أهل المدينة لا يعرفون بالمدينة جبلا يقال له ثور . وإنما ثور بمكة . فىرى أهل الحديث أنه حرّم ما بين غير إلى أحد . وقال غيره : إلى بمعنى مع . كأنه جعل المدينة مضافة إلى مكة فى التحريم ، وقد ترك بعض الرواة موضع ثور بياضاً ليسين الوهم . وضرب آخرون عليه . وقال بعض الرواة : من غير إلى كدى . وفى رواية ابن سلام : من غير إلى أحد . والاول أشهر وأشد .

ورضى الله سبحانه وتعالى عن أستاذ الدنيا فى علم الحديث : الحافظ ابن حجر العسقلانى حيث قال فى كتابه ، قاموس السنة المحيط (فتح البارى) فى : ٢٩ - كتاب فضائل المدينة ١ - باب حرم المدينة ، ما نصه : وقال المحب الطبرى فى الأحكام : بعد حكاية كلام

أبي عبيد ومن تبعه : قد أخبرني الثقة العالم أبو محمد عبد السلام البصري أن حذاء أحد عن يساره ، جانحا إلى ورائه ، جبلا صغيراً يقال له : ثور . وأخبر أنه تكرر سؤاله عنه لطوائف من العرب العارفين بتلك الأرض وما فيها من الجبال ، فشكل أخبر أن ذلك الجبل اسمه ثور . وتواردوا على ذلك .

فعلينا أن ذكر ثور في الحديث صحيح ، وأن عدم علم أكابر العلماء به لعدم شهرته ، وعدم بحثهم عنه . قال : وهذه فائدة جليلة . انتهى .

ثم قال الحافظ : وقرأت بخط شيخ شيوخنا الحلبي في شرحه : حكى لنا شيخنا أبو محمد عبد السلام بن مزروع البصري أنه خرج رسولا إلى العراق . فلما رجع إلى المدينة كان معه دليل ، وكان يذكر له الأماكن والجبال . قال : فلما وصلنا إلى أحد ، إذا بقربه جبل صغير ، فسألته عنه ؟ فقال : هذا يسمى ثوراً . قال : فعلمت صحة الرواية .

(قلت) وكان هذا مبدء سؤاله عن ذلك .

وذكر شيخنا أبو بكر بن حسين المراغي نزيل المدينة ، في مختصره لأخبار المدينة ، أن خلف أهل المدينة ينقلون عن سلفهم : أن خلف أحد ، من جهة الشمال ، جبلا صغيرا إلى الحمرة بتدوير ، يسمى ثورا . قال : وقد تحققته بالمشاهدة . اهـ . من الفتح .

وقال الفيروز ابادي ، في القاموس المحيط ، الذي هو أكثر كتب اللغة تداولاً بين الأيدي : (ثور) جبل بالمدينة . ومنه الحديث الصحيح « المدينة حرم ما بين عير إلى ثور » . وأما قول أبي عبيد بن سلام ، وغيره من الأكابر الاعلام : إن هذا قصيف . والصواب : إلى أحد ، لأن ثورا إنما هو بمكة - فغير جيد . لما أخبرني الشجاع البعلبي ، الشيخ الزاهد ، عن الحافظ أبي محمد عبد السلام البصري أن حذاء أحد ، جانحا إلى ورائه ، جبلا صغيرا يقال له : ثور . وتكرر سؤالي عنه طوائف من العرب العارفين بتلك الأرض . فشكل أخبرني أن اسمه ثور .

ولما كذب إلى الشيخ عفيف الدين المطري ، عن والده الحافظ الثقة ، قال : إن خلف أحد ، عن شماليه ، جبلا صغيراً مدورا يعرفه أهل المدينة ، خلفاً عن سلف .

وقد أيد العلماء المعاصرون ما أورده الحافظ في الفتح والمجد في القاموس ، وأكدره تمام التأكيد .

فقد ذكر العلامة المؤرخ الدكتور محمد حسين هيكل ، في كتابه « في منزل الوحي » ، ص ٥٨١ عند ذكر الحديث « لاني أحرم ما بين جبلية مثل ما حرم إبراهيم مكة » ، قال : وجبلا المدينة المقصودان هما عير وأحد . أو عير وثور الواقع وراء أحد ، ليدخل أحد في الحرم . ولابتا المدينة هما الحرتان واقم والوبرة ، أولاهما في شرق المدينة والثانية في غربها ، والجبلان عير في جنوبها ، وثور في شمالها . وهذه هي حدود المدينة الأربعة .

ونشر أمام الصفحة ٥١٢ خريطة أثرية تقريبية للمدينة المنورة . وهنا في رأس الخريطة من جهة الشمال ، وراء جبل أحد ، يقع جبل ثور .

وقد أرشدني الدكتور هيكل إلى كتاب « آثار المدينة المنورة » ، لمؤلفه الأستاذ عبد القدوس الانصارى الذى اتصل به منذ نزل المدينة ، وقد ذكر له فضله وشكره أجمل شكر على إرشاده ومعاونته ص ٤٤٠ .

وهذا الكتاب مطبوع عام ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٥ م وقد نشر به الخريطة الأثرية التقريبية للمدينة المنورة ، وهى خريطة مطابقة تمام المطابقة للخريطة المنشورة في كتاب « في منزل الوحي » ، وكان لإحدهما صورة من الأخرى . وقد قال صاحب هذا الكتاب ص ١٢٩ تحت عنوان :

عير وثور

اسما جبلين من جبال المدينة ، أولهما عظيم شامخ ، يقع بجنوب المدينة على مسافة ساعتين عنها تقريبا ، وثانيهما أحر صغير يقع شمال أحد . ويحдан حرم المدينة جنوبا وشمالا . فليرج ما بالنهاية وما بمعجم البلدان ، وليوضع بدله هذا العلم النير الواضح .

أما معجم ما استعجم فقد تولى تصحيح ما ارتطم به صاحبه من الخطأ بحقه الأستاذ مصطفى السقا ، فنقل ما جاء في الزبيدي شارح القاموس . ولكنه لم يفصل بين قول المجد وقول الشارح .

وقد أمدني حضرة صاحب (الأعلام) بكتاب اسمه (كتاب عمدة الأخبار في مدينة المختار) للمحقق العلامة الشيخ أحمد عبد الحميد ، نشره السيد أسعد طرابزونى الحسينى جاء فيه ص ٢٤٩ ما يأتى .

« ثور جبل صغير جداً وراء أحد ، وقال بعض الحفاظ : إن خلف أحد من شماله جبلا صغيراً مدورا يسمى ثوراً ، يعرفه أهل المدينة .

قلت : وأنا منهم إن شاء الله . ورأيت وعائنته ، وليس الخبر كالعيان .
ثم نقل ما قاله أبو عبيد ، وما تأوله المنأولون .

ثم قال : وقد قال العلامة مجد الدين الفيروزابادى : لا أدري كيف وقعت المسارعة من هؤلاء الاعلام إلى إثبات وهم في الحديث الصحيح المنفق على صحته ، بمجرد دعوى أن أهل المدينة لا يعرفون جبلا يسمى ثوراً .

وللصديق المؤرخ المحقق السيد خير الدين الزركلى شكرى الجزيل على اهتمامه بهذا الموضوع وجيل عنايته به ، ثم إمدادى بهذا الكتاب وكتاب « آثار المدينة المنورة » .
وجاء فى كتاب : « وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى صلى الله عليه وسلم ، للعلامة السهمودى نزيل طيبة المشرفة بالجزء الاول ص ٦٦ :

« وثور جبل فى ناحية أحد ، وهو غير جبل ثور الذى بمكة » .

ثم قال : وقد صح بما قدمناه أن أحدا من الحرم . لأن ثوراً حده من جهة الشام ؟

محمد فؤاد عبراى

مركب النقص

وقب الاحنف بن قيس ومحمد بن الاشعث بباب معاوية رضى الله عنه ، فأذن للاحنف
ثم لمحمد بن الاشعث ، فأسرع محمد بن الاشعث فى مشيته حتى دخل قبل الاحنف . فلما رآه
معاوية قال له :

والله إني ما أذنت له قبلك وأنا أريد أن تدخل قبله . إنا كما نلى أموركم كذلك نلى أديكم .
ما تزيد متزید فى أمره إلا لنقص يجده فى نفسه .

كيف كان عمر بن الخطاب

يُنتخب قضاة ؟

كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ينتخب قضاة من بين أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام إذا توسم فيه الفطنة والذكاء وسداد الرأي ، وبعد امتحانه بطريقة خفية ، بأن ينهز فرصة وجوده وقت عرض الخصومات فيطلب إليه أن يحكم في قضية منها لعذر من الاعتذار كقوله إنه متعب ، أو يتغابي فيتظاهر بعدم فهمه لاقوال المدعى دون أن يشعره بأنه يختبره في فن للقضاء والفصل في المنازعات .

وقد اتفق أن جاءه صحابي جليل وقت جلوسه للفصل في خصومات المسلمين ، فأجلسه بجواره ، وجاءت امرأة تشكو زوجها بقولها : إن زوجي رجل صالح يصوم النهار ويقوم الليل ولا شيء غير ذلك .

فسألها عمر : هل يقوم بنفقتك ؟ فقالت : نعم . وهل هو يسىء معاملتك ؟ قالت : كلا يا أمير المؤمنين . فإنه يحسن معاشرتي .

ثم تظاهر عمر بأنه لم يفهم غرضها ، ونهرها غاضبا بقوله : ولماذا إذن هذه الشكوى منك ؟ فسكتت ، ولما شدد عليها في السؤال التفت إليه صاحبه وأسر إليه بقوله : إنها تشكو زوجها لحرمانها من حقها في فراش الزوجية يا أمير المؤمنين .

فقال له عمر : بما أنك قد فهمت هذا فلتحكم أنت بينهما . والتفت الصحابي إلى المرأة قائلاً : أحضري زوجك هنا .

وهذا مبدأ ثابت في أصول القضاء بأن لا تسمع الدعوى إلا بعد إعلان الخصم أو حضوره . فذهبت المرأة وأحضرت زوجها أمام القاضي ، فقال لها القاضي : دعي شكوكك أمام زوجك .

وهذا مبدأ آخر من مبادئ القضاء بأن يترك القاضى للدعى الحرية التامة فى شرح دعواه أمام خصمه ، ولا يجوز للقاضى أن يشرح الدعوى بالنيابة عن المدعى ، وللخصمين الحق فى الدفاع بالطريقة التى يراها كل منهما موصلة إلى حقه ، ولذلك طلب القاضى من المدعية أن تعيد أقوالها أمام زوجها فأعادت المرأة أقوالها أمام زوجها .

ولما انتهت قال القاضى للزوج : ما قولك فى الدفاع عن نفسك ؟ فقال : يا حضرة القاضى، إن المؤمن إذا تمنع فى كلام الله تعالى عن السؤال يوم العرض عليه ، وأن الله يحاسبه عن كل درهم من أين أنه وفى أى شئ صرفه وعن كل فعل صدر منه ، ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ، يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتنسى كل ذى حمل حملها ، وأنا أخاف الله تعالى وأرجو النجاة من عذاب يوم عظيم ، وهذا دفاعى .

فقال له القاضى : اسمع الحـكم يا رجل : اعبد ربك ثلاث ليال ، والليلة الرابعة لزوجتك .

ولما انصرفا من مجلس القضاء أرسل عمر إلى القاضى وسأله من أين أتى بهذا الحكم . وهذا مبدأ آخر لصحة الأحكام ، فالأحكام غير المسببة باطلة .

فقال له القاضى : إن الله تعالى أجاز للزوج أن يتزوج ثنى وثلاث ورباع ، فنقض استعماله جميع حقه فى الزواج من غيرها ، فهى لا تحرم إلا من ثلاث ليال فقط ، والليلة الرابعة من حقه بغير نزاع ، ولذلك حكمت لها بها .

فقال له عمر : والله لا أدري أعجب من فهمك القضية أم من حكمك فيها ، اذهب فأنت قاضى البصرة .

فكان هذا امتحانا عمليا لهذا الصحابي الجليل ، وقد نجح فى الامتحان فعينه قاضيا للبصرة ؟

محمد شريف

المستشار السابق

من حق المرأة المسلمة

استشارتها قبل تزويجها

[عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :
(لا تنكح الايم حتى تستأمر ، ولا تنكح البكر حتى تستأذن .
قالوا : يا رسول الله وكيف إذن ؟ قال : أن تسكت)
وراه البخارى ومسلم .]

* * *

اللفظ : الايم هى من سبق لها زواج ، وفارقت زوجها ، وت أو طلاق . تستأمر :
أى يطلب أمرها هل ترضى بالزوج فينفذ العقد ، أو لا ترضى به فلا ينفذ . البكر : هى
من لم يسبق لها زواج . تستأذن : أى يطلب إذنها بعد عرض الزوج عليها هل توافق عليه
أولا ، ويكفى فى إذنها أن تسكت ، فاعتبر الشرع سكوتها رضى نظراً لشدة حياؤها .

الشرح

هذا الحديث دليل قوى على حكمة الإسلام وسداد تعاليمه ، وأنه صالح لكل زمان
ومكان ، وإذا كان الناس فى الماضى لم يهتموا بسؤال بناتهم عند تزويجهم فلأن الامور كانت
تسير فى سهولة ويسر ، فترضى الزوجة بزواجها وتصبر عليه ، ترجو على ذلك ثوابا لها عند الله ،
وأما الآن فقد أصبح سؤاها واجباً ورضاهن حتماً ، وصار اهتمام أولياء الزوجات بتعرف
رغباتهن والسير فى الطريق الذى يرسمه لزاماً ، بعد أن انتشرت المدنية الاجنبية وعلت
كثيراً منهن ولا سيما المتعلقات التمرد على الأوضاع القديمة ، والنزعة على أولياء أمورهن ،
لأنهم فى زعم الزاعمين لا يراعون حقوقهن فى اختيار شريك الحياة وأليف العمر . ولم تأت
هذه المدنية بمجديد ، بل هو الشرع الإسلامى الحكيم مقرر من يوم أن أرسل محمد ﷺ

إلى العالم بشيراً ونذيراً وهادياً ، وإذا تهاون بعض الناس في اتباع سنته ، وامتنال أمره ، فلم يكن ينشأ عن تهاونهم ما يحدث اليوم من ويلات ومصائب بسبب عدم مراعاة حقوق الزوجات في اختيار أزواجهن . أما اليوم فمآسى الانتحار والحرب من بيت الزوجية ، والاعتداء على نفس الزوج بالقتل وعلى ماله بالسلب والإضاعة ، وخيائته في عرضه ، والالتجاء إلى المحاكم لطلب التفريق وغير ذلك . كل هذه المآسى أصبحت حقيقة واقعة في بعض الاوساط ، وأصبح انهيار الحياة الزوجية وما يترتب عليه من مشكلات وفساد في المجتمع الإسلامي شائعاً معروفاً ، مما أوجب الرجوع إلى الشرع الحكيم وتنفيذ أوامره بحذافيرها .

أوجب الشرع الحكيم على ولي الزوجة إذا كانت أيما أى سبق لها الزواج ، ثم أراد تزويجها من جديد أن يستأمرها أى يطلب أمرها ، هل تأمر بإفاد العقد فيمثل أمرها ، أو تأمر بعدم إنفاذه فيمثل أمرها ولا ينفذه . وإذا كانت بكراً لم يسبق لها الزواج أن يستأذنها فيعرض عليها الزوج الذى تقدم لطلبها ، فإذا قبلته فيها ونعمت ، وإلا نظر الولي إذا كان من أصحاب النظر الصائب ، هل يصلح هذا الزوج لها وهى عظيمة في عدم الرضا به ، فيزوجها منه ولا يلتفت إلى قولها ، أو يرى فيه نقصاً فيتبع أمرها ولا يزوجه .

وهذه المسألة خلافية بين الأئمة ، فأبو حنيفة رضى الله عنه يرى أن البكر وغيرها سواء في وجوب امثال أمرها ، وعدم إنفاذ العقد إذا لم توافق عليه الزوجة ، مستدلاً بالأحاديث الواردة في ذلك فقد ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن فتاة بكراً أتت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت أن أباهما زوجها وهى كارهة ، فخيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعنى تخييرها أنها إما أن تقبل البقاء مع زوجها أو يفسخ العقد ، واستدل أبو حنيفة أيضاً بأنه إذا كان ولي الزوجة لا يستطيع التصرف فى مالها بدون إذنها ، فأولى من ذلك أنه لا يستطيع أن يزوجها بغير إذنها ، لأن الزواج أجل خطراً من المال وأعظم شأناً ، لأنه مسألة سعادة دائمة أو شقاء دائم ، فهو مسألة حياة أو موت .

ويرى باقى الأئمة أن البكر تخالف غيرها ، فلولي البكر جبرها على الزواج بمن لا ترضى به ، واستدلوا على ذلك بقول النبي صلى الله عليه وسلم الذى رواه ابن عباس أيضاً ، « الثيب أحق بنفسها من وليها ، والبكر تستأمر وإذنها السكوت » ، وفى رواية أخرى : « ليس للولي مع الثيب أمر ، والبقيمة تستأمر » ، والثيب هى غير البكر . قالوا خص الرسول صلى الله عليه

وسلم الثيب بأمر أولى بنفسها من وليها ، وبأن الولي ليس له معها أمر ، ولم يصرح بذلك مع البكر ، فدل ذلك على اختلافهما ، وقالوا إن سؤال البكر لتطيب خاطرها ، وليعلم - إذا رفضت - سبب رفضها ، فربما كان وجها وغفل عنه الولي فتجب حينئذ موافقتها ، وقالوا أيضاً إن البكر لم تجرب الأمور ولم تدخل معترك الحياة ، فهي تقيس الأمور بمقاييس قد تكون غير صحيحة ، فتفوت على نفسها الزوج الصالح ، ووليها أدري منها بما ينفعها ، فلذلك كان له جبرها ، أما الثيب فقد عاشرت الرجال وخاصت معترك الحياة ، وأصبحت قادرة على تمييز ما يضرها وما ينفعها أكثر من البكر ، ولذلك جعلها الشارع الحكيم أولى بنفسها ولم يجعل للولي معها أمراً .

وهذان الرأيان وإن كان لـكل منهما حجته المقبولة ، إلا أن الرأي ينبغي أن يكون وسطاً بينهما . فلا يترك للبكر الحبل على الغارب تختار من تشاء وترفض من تشاء ، ولا تقيد حريتها كل التقيد فتجبر على الزواج بغير من تحب ، ولو كان وليها أباه ، فقد دلت التجارب على أن بعض العتيات ينخدعن بالزوج فتغرن مظاهر جماله ، أو ثرائه ، أو هدوئه ، أو مركزه الاجتماعي ، فإذا عاشرنه ظهر لهن منه ما لم يحسبن له حساباً ، فيجدن فيه الجفوة والغلظة وشراسة الخلق وحب استعباد زوجته واحتقارها وإهانتها ، وعند ذلك يصحن شاكيات باكيات ، ويطلبن من أولياء أمورهن إنقاذهن من هذا الزوج البغيض المتوحش ، بعد أن كن متمسكات بالزواج منه كل التمسك ، ويهددن بالانتحار وغيره لإذارفض ولهن زواجهن منه ، ورأينا بعض أولياء البنات يسرن في أمر زواج بناتهم أسوأ سيرة ، فيأتي لهن الزوج الصالح ذو الأخلاق الحميدة القادر على تكوين الأسرة ، فلا يوافقون على تزويج بناتهم منه ، لأنهم يرونه أقل منهم ثراءً أو جاهاً ، أولاً يوافق أمرجتهم لأنه يحافظ من الطراز القديم ! وهم متمدينون يكرهون المحافظين ! فيفوتون بذلك مصلحة البنات ، ويسيدون لهن العنفس وعدم الزواج طول الحياة ، فيرمون بالبنات إلى أحضان الشر والزيلة . وهذه جنابيه فظيعة تأبأها الإنسانية ، ويأبأها الله ورسوله .

والرأي الوسط الذي ينبغي العمل به - بعيداً عن الفتاة - أنه إذا تقدم للفتاة البكر زوج ، يجتمع مجلس الأسرة من الرجال والنساء ويتذاكرون أخلاق الزوج وقدرته على تكوين الأسرة ، فإذا وافق عليه ، عرض على الفتاة بواسطة أمها أو خالتها أو أية سيدة في الأسرة تكون صلتها بها وثيقة ، وتكون صريحة معها إلى أبعد الحدود ، فإذا وافقت

عليه تم الزواج ، وإذا رفضته طلب منها سبب الرفض ، فإذا كان وجبها اتبعها الأمرة ، وإذا كان غير وجبها راجعها وبيئت لها خطأها ، كما تبين لها الأسباب التي بنت عليها قبوله زوجها لها ، فربما ترجع إلى صوابها وتقبله ، فإذا تعصبت لرأيها ، ولم يظهر لرفضها سبب وجبها ، فجلس الأسرة هو صاحب الكلمة ، وأغلبية الرأي فيه هي صاحبة الأمر : إما أن يمضى الزواج عملاً بمصلحة الفتاة التي ستبين ذلك فيما بعد ، أو ترفضه على مسؤولية الفتاة فيما اختارته لنفسها . وبذلك تتجنب الأسرة كثيراً من المتاعب والمشاكل ، بل يتجنب المجتمع كثيراً من الويلات والمصائب التي تحدث بسبب زواج الفتاة ممن لا تحب ولا ترضى به زوجها لها . وليس من الأسباب المقبولة في رفض الزوج ما تدعيه بعض فتيات اليوم من حب فنى آخر لم يتقدم لزوجها ، وهى تنتظر أن يتقدم ، فكثيراً ما تعرض أسباب تحول دون تقدم الشاب الذى تنتظره الفتاة ، أو يكون هو غير جاد فى الزواج منها ولا يفكر فى طلب يدها ، فتفوت الفتاة على نفسها فرصة لا تعوض ، وقد تفقد بسبب رفضها سعادة الحياة وعز الدهر .

وينبغي لولى الزوجة أن يكون حكيماً وناظراً إلى الأمور بعين بصيرة ، وعقل ذكى ، دارساً لأخلاق المجتمع الذى يعيش فيه ، حتى لا يرمى بفتاته بين أنياب السباع ، ويفوت عليها الأمل الذى ترجوه ويرجوه هو لها .

وإذا كان جبر البنات على الزواج ليس مستساغاً على إطلاقه ، فأولى بذلك جبر الشبان على الزواج من فتيات لا يحبونهن ولا يقبلونهن زوجات لهم ، فمن أولياء أمور الشبان من يدعى أنه أعلم بمصلحة ابنه من نفسه ، فيحتم عليه الزواج من فتاة لا يقبلها ، فإذا رفض منع عنه مساعدته وعونه وعاداه . وهذا مخالف للشرع ، فإن الشاب ليس عليه ولاية فى زواجه ، وإذا كان الشرع أعطى للبنات حق الاختيار ، فأولى أن يكون للفتيان مثل ذلك الحق . نعم إذا كان الشاب صغيراً طائشاً وعلم أبوه أو ولى أمره أنه يزواجه سيقع فى كارثة أو سيخسر ماله أو شرفه ، فإنه يجب عليه منعه بعد بيان أسباب المنع ، وهذا من قبيل رعاية مصالح الأبناء ، لا من باب جبر الشاب على الزواج ؟

طه الزبى

من علماء الأزهر

جرائم الشباب

لا حديث للناس اليوم إلا عن الجرائم البشعة التي يقترفها كثير من الشباب ،
والتي تعددت صورها واختلفت مظاهرها واتخذت لها طابع الجريمة والاستهتار والعبث
والفساد .

ولا شك أن هذه الجرائم ظاهرة اجتماعية خطيرة يجب أن يحسب لها كل حساب
من أولئك الذين يهتمون بشئون الإصلاح ومشكلات الحياة حتى يتميا للأمة جو صالح
وحياة سليمة .

والذين ينظرون إلى هذه الجرائم ويتناولونها بالنقد والتحليل يجدون أنها آفات تصيب
نفوس الشباب فتختل موازينهم وتطيش سهامهم فيتحللون من كل قيد ويجاوزون كل حد ،
كما تصيب الأمراض أبدانهم فتخل قواهم وتزلزل عافيتهم فلا يستطيعون حيلة
ولا يمتدون سبيلا .

وليس بسبيل أن تكافح هذه الجرائم بالعقوبات والقوانين ، أو أن نكتفي في مقاومتها
بجهود البوليس والنيابة والسجون دون أن نبحث عن أصل الداء ففستأصله ، وأساس الجريمة
فنقضى عليه . كما لا يصح في الأذهان أن نقف بعلاج الأمراض عند حد وفرة المشافي
ووجود الأطباء من غير أن نأخذ بأسباب الصحة ونتلأ في أسباب المرض من قبل أن يستفحل
أمره ويستشرى ضرره فيستعصى على الطب والأطباء .

ويمكن أن يقال إن أساس الجرائم كامن في البيت الذي يدرج فيه الشباب ، والمدرسة
التي يتعلمون فيها ، والمجتمع الذي يعيشون فيه . . . جميعها عوامل رئيسية نحملها عبء هذه
الجرائم ومسئوليتها ، لأنها تضافرت على تهيئة الجو المناسب لها ولم يجد الشباب في إحداها
حصانة أو مناعة .

فالبيت هو تلك الخلية الأولى التي ينمو فيها الشباب ، والبيئة الأصلية التي يتعلمون فيها
أسلوب الحياة الذي سيتخذونه أيام الشباب في المجتمع الكبير: في المدرسة والسوق والمصلحة

والمصنع والمتجر . . فإذا كان البيت صالحاً يحوى الآب الفاضل والام المهذبة وكان جوه عامراً بالقوى والفضيلة حافلاً بمعاني الإخلاص والصفاء والمودة والرحمة والحب والمودة أمكن للشباب أن يعيشوا فى الحياة العامة على أساس هذه المبادئ وعلى هدى تلك الخصال، وصارت علاقتهم بالمجتمع خيراً وطهراً وشفافاً .

وشر ما يشكبه الشباب فى حياتهم الأولى أنهم يعيشون فى جو فاسد وفى بيت مفعم بالذائل والمنازعات والضغائن والاحقاد، مثلما ينشأون فى كنف زوجات آبائهم أو تحت رحمة أزواج أمهاتهم . . وعندئذ يجدون عداً وبغضاً وخصاماً وشقاقاً وشقاءاً وحرماناً يحتاجون معه إلى أن يتعلموا المكر والخبث كى يحصلوا على حقوقهم إزاء إخوة امتازوا عليهم، ثم تنمو فيهم تلك الصفات وتتربى معهم تلك الشرور وينشأون بها شباباً ويعاملون بها المجتمع وكلهم شر وفساد وإجرام .

ومن أجل ذلك يجب أن تحشد الجهود وتجند القوى لرفع مستوى البيت فى المجتمع، وصياغته من التيارات التى تتقاذفه وتدفع به أمامها إلى هوة الحضيض والانتكاس، وإحاطته بسياج منيع من التربية الدينية والوعى الخافى والمثل السكرية التى تجعل منه جنة ونعياً، شعاره السلام وروحه الإخلاص وعنوانه الصفاء، وبذلك نحصل على البيت الكريم الذى يكون اللبنة الصالحة فى جسم المجتمع والدعامة الحقة من دعائمه .

أما المدرسة فهى عامل هام فى حياة الشباب وتكوين اتجاهاتهم، وهى التى ترشحهم للحياة إما رجالاً نافعين يرفعون من شأن الأمة ويعلمون صرحها ويدعمون حضارتها ونهضتها، وإما قوما متواكلين متخاذلين يألفون الراحة ويألفون مرارة الكفاح وأداء الواجب .

ومدارسنا اليوم - بالأسف - لا تزال تهتم بالتعليم ولا تعنى بالتربية . . وتنتشر الثقافة ولا تحرص على الدين ! وتحاول أن تحارب فى نفوس الشباب الجهل ولكنها لا تحاول أن تزيهم بالفضيلة . . حتى فقد شبابنا كل حصانة، وتجردوا من كل سلاح، فاستسلموا للبادئ الهدامة، والافكار الضارة، واتجهوا إلى المهازل والخرافات، وجرفهم تيار الحياة إلى خضم الرذائل والآثام والجرائم والموبقات، ولذلك يجب أن تكون المدرسة عاملاً مكملًا للبيت يتدارك ما فاتته ويتهاون معه على التربية والتقويم .

وفي سبيل ذلك ينبغي أن تعدل المناهج التعليمية تعديلا يتفق وما يراد للشباب من تهذيب الأخلاق ، وتقويم السلوك ، وتكوين الشخصية النافعة ، بحيث تكون مادة الدين والتربية الدينية أهم عناصرها البارزة ، وإحدى أسسها المتينة . كما ينبغي أن يخلص المدرسون في أداء الامانة ورعاية الواجب الذي ارتهنت به ذمتهم أمام الله والوطن ، وأن يمثلوا القدوة الطيبة والاسوة النافعة والمثل العليا التي يحتذيها النشء ، ويرون فيها الطريق الاقوم والصراط المستقيم ، فالقدوة الصالحة أبلغ موعظة وأهدى سبيل وأثمن كتاب .

أما ثلاثة الاتاني فالمجتمع الذي يوج بألوان شتى من مظاهر الفساد والتي تثير غرائز الشباب ، وترضى نزعاتهم ، فالبارات والمراقص والملاهي والسفور والاختلاط والصحافة المساجنة والآغان الخليعة والشواطىء الفاجرة ، كلها عوامل لإغراء وفتنة ومعاول هدم وسقوط ، ترك الشباب فرائس للعادات المردولة وضحايا للنزوات الطائشة والشهوات الرخيصة ، وتخلق في نفوسهم نوعا من التخنث والميوعة يقتل فيهم كل طموح ويدفع بهم ركضا إلى التحلل والفساد .

وأسوأ ما يبعث على الجرائم هذه الأفلام ، المثيرة التي يقبل الشباب على مشاهدتها في السينما لإقبال المنهوم على الغذاء والظمان على الماء . والسينما بما لها من هذا النفوذ الواسع والانتشار الكبير كان يمكنها أن تكون أداة تهذيبية تثقيفية ، وأن تكون مرآة للواقع وصورة للحياة عن طريق علاجها للمشكلات الحيوية والاحداث البارزة حتى تكون أداة فعالة في بناء مجدا لامة وعاملا هاما له خطره في موكب الحياة . ولكن أين ذلك ؟ والمشرقون على السينما تجار أولا وقبل كل شيء ، لا تعنيهم المحافظة على الاخلاق والآداب بقدر ما يحرصون على جمع المال والثراء ، وقد خبروا اتجاهات الشباب فعرفوا أنهم يميلون كل الميل نحو التهرج المبتذل والضحك الساخر والهرام السخيف ، فأشبعوا غرائزهم وأرضوا نزعاتهم ، من غير أن يقيموا وزنا لدين أو يرفعوا رأسا بتخلق أو يحسبوا حسابا لادب . . وبذلك فتحوا مجال الشر والفساد أمام البنين والبنات والسكران والشباب ، وأنشأوهم خلقا آخر من الميوعة والتخنث ، بعد ما استنزفوا حيوياتهم وابتزوا أموالهم وأضاعوا أوقاتهم وقضوا على كل رجولة فيهم .

لا تسئل عن تلك الافلام والروايات التي تمجد الإجرام وتعظم الشهوات وتبيح الغرائز الجنسية وتصور الحياة وكأنها دنيا الهوى والمنفعة فحسب ، وعالم النزق والإسفاف والمجون

لحسب . . مما يكون له أثره في النفس ووقعه في الوجدان وسحره في الشعور . ثم تنتقل الرواية من السينما إلى الخارج ومن عالم الخيال إلى عالم الحقيقة ومن دنيا الأحلام إلى دنيا الواقع ، فيمضى شبابنا في محاولة وبيلة هي أن يحيا نفس الحياة التي شاهدوها ، ويمارسوا نفس الأساليب التي رأوها ، ويفتخروا إلى نفس النهاية التي انتهوا عندها . الأمر الذي يحطم الاخلاق ويودي بكيان الأمة إلى الحضيض . . . ١١

وأخيرا فطن المسؤولون إلى ضرر الأفلام السينمائية وخاصة على النشء الذين يتأثرون بها تأثرا كبيرا ، فانجسوا إلى إصدار قانون يحرم على الأحداث مشاهدة بعض الأفلام لما لها من تأثير سيء على نفوسهم وأخلاقهم .

ولئن كنا نحمد للمسؤولين مثل هذا الاتجاه الحميد ، فإننا نطالبهم بتطهير السينما عامة من الأفلام الداعرة والمناظر الفاجرة والروايات المثيرة . . وأن تقوم على فكرة اجتماعية أو مظاهر أدبية أو عرض لتاريخ هامى نبيل وجهاد حربي في سبيل الوطن والحق ، أو ثقافة نافعة مفيدة ، وبذلك تكون أداة توجيهية للشباب يرون فيها آمالهم وآلامهم ، وتتجاوب مع مشاعرهم وإحساساتهم ، وتعينهم على بلوغ أهدافهم .

وبعد : فهذه هي العوامل الرئيسية التي هيأت للجرائم الجور الذي تعيش فيه ، وأناحت الفرص المواتية للشباب أن يجرموا وأن يعيشوا في الأرض الفساد ، وفيهم من شباههم غرائز تجمعهم وحيوية تثور ، فإذا أردنا أن نبقى على شبابنا - وهم عصب الحياة وعدة الوطن وذخر الأمة - فلتصلح أولاما أفسده البيت ، وما أهملت فيه المدرسة ، وما تدهور فيه المجتمع . وبذلك تظهر حياتنا من الجرائم ، ونصبح أمة جديرة بالتقدير والاحترام ؟

حامد محمود اسماعيل

المدرس بمعهد قنا الديني

من كلام الأحنف بن قيس

ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة : شريف من دنى ، وبر من فاجر ، وحليم من أحمق .
لا إغواء للمول ، ولا خلة لبخيل .
لا فنى تحكك في جواب بيتي أحب إلى من أيم قد رددت عنها كنفوا .

الاجتهاد والتقليد

من المعلوم بداهة عند الفقهاء أن الله تعالى في كل حادثة وكل فعل من أفعال العباد حكماً شرعياً ، فإن لم يكن في القرآن الكريم أو في السنة الصحيحة أو في الإجماع فلا بد وأن يكون في اجتهاد المجتهدين ، لأنه لا يخلو فعل من الأفعال من أن يتعلق به حكم من الأحكام الخمسة ، وإلا لا يختلط الحلال بالحرام ، والمأمور به بالمنهى عنه ، وأصبح الناس في حالة تشبه حالة الفترة التي انقطع فيها وجود رسول من الرسل يبين شرع الله لعباده ، وهذا قول لا يستسيغه مسلم ولا يستطيع فقيه أن يقول به ، خصوصاً في شريعة هي خاتمة الشرائع ، ورسولها خاتم الرسل ، كتب الله لها البقاء والخلود إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

وذلك مما يوجب علينا ونحن بصدد الكلام على الاجتهاد والتقليد أن نبين في وضوح - بمقدار ما نستطيع - حكم الاجتهاد . وهذا أمر ضروري يطمئنا اللثام عن هذه القضية حتى يسفر وجهها وضاء الجبين ، ليتبين لكل منصف الحد الذي يجب عليه أن يأخذ به إن أراد الفلاح ، أو ينكص عنه إن ألم به فزع من الشيطان أو طاف بخياله وهم من الأوهام ، فزلت قدمه عن سلوك حجة الأمان والاطمئنان . إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء .

والعلماء في حكم الاجتهاد تقسيم وحصر يجعل بنا أن نسوقه حتى لا نتشعب المسالك على القاري . فنراهم تارة يعملون الاجتهاد من فروض الكفايات . ومن الواضح في تعريف فرض الكفاية أنه إذا توفر عليه وقام بتحصيله واحد أو أكثر ممن كان من أهله سقط الفرض عن الجميع ، وإن قصر فيه أهل عصر أتموا وعصوا بركة ووقع الجميع في خطر عظيم وإثم كبير ، لأنهم انحرفوا عن جادة الصواب وقصروا فيما تتطلبه الحياة ويقتضيه نظام المجتمع ، وتسببوا في جعل حياتهم فوضى لا تستند إلى دعائم تقيم أركانها وتحفظ كياناتها كرامة أو جماعة تريد تحقيق حكمة الله تعالى من خلافة البشر في الأرض وبسط جناح الرحمة على الناس . فالأحكام الشرعية الاجتهادية ناشئة منه ومتربة عليه ترتب المسبب على السبب فإذا لم يوجد السبب فقد المسبب ، ففي فقد الاجتهاد فقد للأحكام ، واختلاط

للحلال بالحرام ، وفي وجود المجتهد عصمة للامة وملاذ للمكلفين وبيان لأحكام الله في أفعال عباده المؤمنين .

ولخطورة هذا البحث وتطلع كل محب لمعرفة أحكام أفعاله قام فقهاءنا بتلخيص العلاج والوقوف على حقيقة الامر في هذه القضية ، لأنها تنادى وتلح في أن تعرف منزلتها وترمق مكانتها عند العلماء - وقد رأيناهم ينظرون إليها نظرات مختلفة فيعرضها بعض المؤلفين على الوجه الآتي :

(اختلف العلماء في جواز خلو العصر عن المجتهدين أو هدم خلوه ، فذهب جمع إلى أنه لا يجوز خلو الزمان عن مجتهد قائم بحجج الله يبين للناس ما نزل إليهم ، وبه قالت الحنابلة ، ويدل على ذلك ما صح عنه عليه الصلاة والسلام من قوله : لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة) .

وقد حكى الزركشي في البحر عن الأكثرين أنه يجوز خلو العصر عن المجتهد ، وبه جزم الرازي والرافعي والغزالي . وقال بعض الأصوليين : إن تخلو الأرض من قائم لله بالحجة في كل وقت ودمر وزمان ، ورجع ذلك ابن دقيق العيد .

والذي أراه وأظن أن القواعد العامة للشريعة الإسلامية وتجدد الحوادث ونشوء النوازل وتاريخ التشريع الإسلامي وما كان يجتهد فيه الخلفاء الراشدون ومن بعدهم وتاريخ التشريع في القرون الأولى وفي أيام مجد الإسلام وعزته وقوته ، كل أولئك يقتضى ضرورة عدم خلو العصر من مجتهد . ووقوف العلماء مكتوفي الأيدي ، خرس الالسن ، لا يستطيعون لإجابة السائلين ولا بيان أحكام رب العالمين ، لا يرضاه منصف ولا يستسيغه مفسر .

وتارة أخرى يصبح الاجتهاد فرض عين على المجتهد وضربة لازب لا يستطيع الفكك عنها ، ويكون توليه عن الإجابة وكفه عن الاجتهاد شبيها بتولي الجندي عن القتال عند لقاء العدو ، لأن كلا من المجتهد والمجاهد في تلك الحالة قد أهمل استعمال ما أنعم الله به عليه وما أعد له ، فالجندي المجاهد أعد للطعن والنزال واستعمال قوته الجسدية ، والفقيه قد قعد عن استعمال ما كرمه الله به من رجاحة العقل ، وفطنة اللب ، وكل واحد منهما قد خان الامانة التي ائتمنته الله عليها ، فهو بعيد عن رحمة الله قريب من غضبه . والحالة التي تتعين على المجتهد أن يقوم ببذل جهده لاستنباط حكم الله في الحادثة التي عرضت عليه هي : ما إذا لم يكن هناك إلا مجتهد واحد وبخاف السائل فوت الحادثة التي نزلت به وعدم وقوفه على حكمها .

وطورا آخر يصبح الاجتهاد مندوبا إذا قام به المجتهد قبل نزول الحادثة ووقوع النازلة تحصيلًا لاحكام الحوادث قبل نزولها .

وقد تصدى كثير من الفقهاء مستعملين قرائنهم مفكرين فيما سيجد من الحوادث اعتقادا منهم أن الفلك دائر ، وأن الزمان متجدد ، وأن الليالي من الزمان حبلى تلدن وقائع وتنجبن حوادث لم ير الزمان الماضى مثلها ، فهم يعدون العدة ويتخذون للأمر ما يتطلبه ، فهم أشبه بالجنود الذين يتصورون معارك لم يسبق لهم مثلها ، ويفكرون في حروب لم يركضوا في ميدانها ، فيأخذون في الالهية والاستعداد لمواجهة العمل في كل ميدان . وهؤلاء المجتهدون قد قاموا باستنباط كثير من أحكام الحوادث قبل وقوعها ودونوها في كتبهم فجاء من بعدهم ووقف على تلك الذخيرة فأضعفته في كثير من الاحيان وأراحته من عناء البحث ، وعناء التنقيب والاستقراء والتطلع إلى استنباط الاحكام .

وطورا آخر يصير الاجتهاد محرما إذا كان اجتهدا في مقابلة دليل قاطع من نص أو إجماع .

وقد عرف المجتهدين منذ عرف الاجتهاد مدرستان متمايزتان ، لكل منهما ميدان تعمل فيه وتجد وتجتهد في تمكين دعائمه وتوضيح معالمه : فهناك مدرسة الحديث ، وهناك مدرسة الرأي ، فالك رضى الله عنه في المدينة يتزعم مدرسة الحديث ، يتمسك بالعمل به ولا يحد عنه ، وينضم إلى تلك المدرسة وينخرط في سلكها ويدور في فلكها أصحاب الشافعى وأصحاب سفيان الثورى وأصحاب أحمد بن حنبل وغيرهم ممن ركن إلى استنباط الاحكام من الاحاديث .

ومنشأ وصف هذه المدرسة بالمدرسة الحديثية أن جبل عنايتها وغاية قصدها تحصيل الاحاديث وجمع الاخبار ، وتلقيع الآثار والتوفر على الإحاطة على قدر الطاقة بالسنة النبوية قولية كانت أو فعلية أو تقريرية . فالعمل أهل المدينة عندها مكانة ملحوظة ، ومنزلة رفيعة ، فلا سلوك للقياس في هذه المدرسة عند وجود خبر أو أثر . حتى لقد روى عن الشافعى رضى الله عنه أنه قال : « إذا وجدتم لى مذهبا ووجدتم خبرا على خلاف مذهبي فاعلموا أن مذهبي الخبر ، وسلك تلاميذه ومن بعدهم ممن اتبعوا مذهبه ذلك النهج فهم قد حصروا اجتهادهم فيما نقل عنه توجيهها واستنباطا دون خروج عن قواعده أو زيادة على أصوله التي بنى عليها مذهبه .

ولمدرسة الرأي بالعراق زعيمها أبو حنيفة النعمان بن ثابت وأصحابه الذين أخذوا طريقتهم عنه . وقد كان شعارهم الذى اشتهر عنهم وأصبح لازمة من لوازمهم قول أبي حنيفة : (علمنا هذا رأى ، وهذا أحسن ما قدرنا عليه ، فن قدر على غير ذلك فله ما رأى ولنا ما رأينا) .

وقد أخطأ بعض الناس فى فهم مدلول هذه العبارة وفهم منها أن أبا حنيفة يرفض الأحاديث كلها جملة وتفصيلاً ، والمطلع على قواعد أبي حنيفة فى استنباط الأحكام يرى أن للسنة مكانتها السامية عنده ، بل يراه قد تمسك ببعض الأحاديث المرسلة لبعض المحدثين على حين أن غيره من مدرسة الحديث يرفضها ، فأبو حنيفة فى الواقع متمسك بالأحاديث حريص عليها حفيظ على معانيها وما دلت عليه ، لكنه كان بعيد النظر واسع الأفق ينظر إلى المستقبل وتجدد الحوادث ، فأعد لها العدة إذ كان لا يغيب عنه ولا يغرب عن فكره أن النصوص من الكتاب والسنة محدودة محصورة ، وما تأتى به الأيام وما تلده الليالى من النازلات غير محصور ، فكيف توفى هذه النصوص المحصورة أحكام الحوادث التى لا تنهاى ولا تنحصر فى حد معين . وسميت هذه المدرسة بذلك الاسم لأن أكثرهم وأعظم عنايتهم واستفراغ جهدها كان فى تحصيل وجه القياس والمعنى المستنبط من الأحكام المنصوصة وبناء الحوادث عليها .

وقد كان للحرية الفكرية التى جعلها أبو حنيفة شعاراً لمذهبه أثر عظيم فى أصحابه وتلاميذه ، فزادت المذهب خصباً ونموا وقوة ربما كانت هى السبب فى أن أصبح هذا المذهب قوى العارضة مكين الحجة قادراً على مواجهة الحوادث وإخضاعها للأحكام الشرعية وللقواعد الأصولية ، وربما كانت هى السبب فى ظهور أصحاب أبي حنيفة وإلباسهم ثوب الاجتهاد المستقل فى بعض المسائل . وكتب الفقه الحنفى مليمة بأقوال ترجع فيها رأى الصاحبين لملائمته للحياة ومناسبتها لها .

وبعد أن بسطنا القول فى حكم الاجتهاد ، ووجوب قيام مجتهد فى كل عصر ، نذكر كل من ألقى على عاتقهم عبء هذه الشريعة ، بأن من الواجب ألا يغفل عن إعداد العدة وتهيئة الفرصة والاخذ بالوسائل القريبة والبعيدة وجمع شمل العلماء فى جميع البلاد الإسلامية وتوحيد كلمتهم حتى يبق سلطان هذه الشريعة وحتى يوفى لهذه الأمانة حقها ، والله المستعان وهو على كل شئ قدير ؟

سعيد بن المسيب

جلس في نافذة في قصره تطل على المروج الخضراء والجداول الرقراقة الجارية ،
وسرح نظره في الافق البعيد ، ثم ارتد إلى السهول والوديان ، وارتفع إلى الجبال الشاهقة ،
وقد اعتجرت بعناب التلج .

ورأى العربي جمالا متدفقا ، وحسنا باهرا ، ورجع خياله إلى البادية ، إلى المفازة
التي ليس فيها إلا خشونة العيش وجفوة الطبيعة وأصوات القطا إنه كان
يسكنها من قبل !

ما أجل دمشق ، وكيف لا تكون دمشق كذلك !؟ وهي إحدى منازة الدنيا ،
وجنات الحياة !

وتولد من هذا المشهد عزم في نفسه ، ودارت دورات الفكر في ذهنه ، إنه كان قد أمر
أن تهدم بيوت أزواج النبي ﷺ ، وتدخل في ساحة المسجد فتسع للصليين بعد أن استفحل
عمران المدينة وزاد عدد سكانها ، وأرسل إلى ملك الروم ، ليرسل إليه الذهب والفسيفساء
والعمال ، لبناء مسجد رسول الله .

كان قد أمر بذلك كله فهل يا ترى تم ذلك أو لم يتم !؟
إنه وهو في غوطة دمشق يفكر في مسجد خاتم النبيين محمد النبي العربي في المدينة ،
وفي استطاعته أن يرسل إلى عامل المدينة عمر بن عبد العزيز ليحيطه بأنباء ذلك كله . . .

ولم يكنه فتى عربي أبي إلا أن يضرب العيس ، ويحبوب المومة ، ليشهد ذلك
بعينه ، وليرسح فيه بصره ، كما يسرحه الآن في نخائل دمشق وغياضها .
ووقف في ساحة قصره ، ونادى حاجبه .

وأقبل حاجبه مرتعشا متلعثما . . . ما الخبر يا أمير المؤمنين !؟

قال الوليد بن عبد الملك :

لقد نويت أن أحج هذا العام ، فأعدوا العدة لذلك .

وخرج مع أمير المؤمنين الوليد رجالات قريش ، وعظاء الدولة ، وأمرأء الشام ، ومصر ، وفارس ، والعراق ، وفرش الطريق أمامه بالورد والريحان ، وساروا على بسط أذربيجان ، والتحفوا بديباج كسرى أنوشروان .

وسار الموكب سيراً هادئاً رتيباً ، تحف به نسائم تهامة ، وتستقبله برودة الطائف ، وتسير الإبل يحدها الفواد بأنغام فيها شجر البابل ، ويجمع الحمام ، وأطل القمر من السماء وأرسل شعاعه الفضي على هذه السكوبة ، التي تريد الحرم والطاعة إلى بكه ، والتي تبدو في غمار الليل ، وفي وسط صحراء العرب ، كجموعة العصفير التي تحوم في وسط السماء .

واقرب الركب من المدينة ، وعلم به عمر بن عبد العزيز ، فأرسل إلى عشرين رجلاً من وجهاء قريش وأعلامها ، ليخرجوا معه فيستقبلوا ابن عمه أمير المؤمنين الوليد ابن عبد الملك ، واهتزت المدينة لقدمه ، وبدأ الرجال والفتيان والنساء كتائبهم لمشاهدة موكب أمير المؤمنين أعظم ملوك الأرض يومئذ .

وخرج عامل المدينة ، وأصحابه إلى السويداء ،^(١) للقاء أمير المؤمنين وقد امتطوا هراهم وخيلهم .

وأقبل الخليفة من بعيد راكباً . . . وأمرع إليهم حاجبه قائلاً : انزلوا لأمير المؤمنين . فلما نزلوا حيوه ، وتلقوه بالبشر والتسليم ، ثم أذن لهم فركبوا ، ودعا الوليد عمر ابن عبد العزيز وسابره حتى نزل به ذى خشب ،^(٢) وضربوا للوليد قبة واسعة الاطراف ، بعيدة الاكناف . فلما ضربوها أذنوا للرجال ، رجلاً رجلاً ، فسلموا عليه بالإمرة مصافحين ، ثم دعا بالغداة ، فتغدوا على مائدته ، وأتحفهم بفواكه الشام ولطائف خراسان . واتجه إلى المدينة ، وفي ذهنه صورة لمسجد الرسول وبنائه ، وعما تكون عليه حاله .

ودخل المسجد ، فرأى بهاء وغمامة وروعة تأخذ بمجامع النفس والقلب والبصر ، وتبسم ضاحكاً . . . ما أعجب هؤلاء الرومان ، لقد بقي فيهم عبقرية جن سليمان . وأخلى للخليفة المسجد إلا رجلاً ضعيف الجسم ناحله ، لم يهتز للوليد ، ولم يسع إليه ، ولم يجترأ

أحد من الحرس أن يخرج به ، تراه العين فتزدر به ، فهو رجل فقير عليه ربطتان لا تساويان إلا بضعة قروش أو خمسة دراهم ، وهو في مصلاه يسبح بحمد ربه ويقدم له .
وعامل الوليد بالمدينة يساره في المسجد ، وينظر إلى الرجل وقلبه يدق دقا عنيفا . . .
ولكنه يصمت . . .

قالوا لسعيد : لو قمت إلى أمير المؤمنين !

قال : والله لا أقوم حتى يأتي الوقت الذي كنت أقوم فيه .

قالوا : فلو سلمت على أمير المؤمنين .

قال : والله لا أقوم إليه .

وجعل عمر بن عبد العزيز يعدل بالوليد في ناحية المسجد حتى لا يرى سعيداً . وحانت من الوليد نظرة ... نظرة إلى القبلة . فقال : من ذلك الجالس ؟ !

قالوا : سعيد بن المسيب .

قال : شيخ الناس !

قال عمر : نعم يا أمير المؤمنين ، قائم الليل ، وصائم النهار ، وحافظ الكتاب ، ومحدث السنة ، وإمام الدين ، ولو علم بمكانك أقام فسلم عليك ، ولكنه لم يرك لضعف بصره .

قال الوليد : قد علمت حاله ، ونحن نأتيه فسلم عليه .

ثم دار في المسجد حتى وقف على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أقبل حتى وقف على سعيد .

فقال : كيف أفت أبها الشيخ ؟ !

ولم يتحرك سعيد أو يقيم .

قال سعيد : بخير والحمد لله ، فكيف أمير المؤمنين ، وكيف حاله ؟ !

قال الوليد : بخير والحمد لله .

وانصرف الوليد وهو يقول لعمر :

هذا بقية الناس .

قال عمر : أجل والله يا أمير المؤمنين ؟

عبد الله قاسم صقر

المدرس ببور سعيد الثانوية

مؤتمر اسلامى فى اندونيسيا

يقرر بأن الشيوعية دين يخالف دين الاسلام

عقد مجلس رجال الدين من الجمعية الإسلامية المنتسبة إلى حزب مسجوى فى اندونيسيا مؤتمرا فى مدينة باندونج ، قرر فيه العمل وفق « الفتوى » التى أصدرها زعماء الحزب الدينيون فى اندونيسيا والتى تقضى باعتبار العقيدة الشيوعية « حراما على كل مسلم ومسلمة » . ولقد تناول البحث فى المؤتمر المذكور الذى ترأسه الاستاذ حسن بن أحمد موضوعات تركزت حول النقاط التالية :

ان فضال المسلمين فى اندونيسيا لتأسيس دولة إسلامية قد ناهضه آخرون تحت قيادة الحزب الشيوعى الاندونيسى .

ان الكثيرين من الذين يدعون بأنهم مسلمون قد أصبحوا أعضاء فى الحزب الشيوعى ، والاكثرية من المسلمين الذين أصبحوا أعضاء فى ذلك الحزب لا يفقهون - على ما يبدو - طبيعة العقيدة التى يدين بها الحزب .

ولقد ذكر المؤتمر أولئك الذين أخذوا بمبادئ مثل تلك العقيدة الشيوعية بأن القرآن الكريم قد تحدث كثيرا عن أولئك الذين يفتكرون لكتاب الله ، واستشهد بما يلى من آيات الذكر الحكيم :

« وأن أحكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم ، واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك ، فأن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ، وإن كثيرا من الناس لفاسقون » . المائدة : آية ٤٩ .

« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » . المائدة : آية ٤٤ .

« أخكم الجاهلية يبيغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون » ، المائدة : آية ٥٠ .

« إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون » ، النور : آية ٥١ .

« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلّالاً مبيناً ، الأحزاب : آية ٣٦ .
 « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلبوا تسليماً ، النساء : آية ٦٥ .
 « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، المائدة : آية ٥٥ .

« لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ، المجادلة : آية ٢٢ - « أفؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفصل ذلك منكم إلا خزى في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون ، البقرة : آية ٨٥ - « أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ، - البقرة : آية ٨٦ - « ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً . أولئك هم الكافرون حتماً وأهدنا للكافرين عذاباً مبيناً ، - النساء : آية ١٤٩ - ١٥٠ -

هذا وقد اتخذ المؤتمر القرارات التالية :

« إنه لواجب على كل مسلم أن يؤيد القانون الإسلامى في نفسه وفي المجتمع وفي الدولة .
 « لقد أفتى بأن الدين يحرم على المسلمين الانتماء إلى أى حزب أو أية منظمة تناهض عقيدتها تعاليم الإسلام وشريعته أو تعارض في تنفيذ القانون الإسلامى .

« إنه لواجب على المسلمين الاتصال بإخوانهم المسلمين الذين انتموا إلى أى حزب أو منظمة تناهض عقيدتها تعاليم الإسلام وشريعته وتقاوم تأسيس دولة إسلامية عالمهم يرجعون إلى الصراط المستقيم ، ويساهمون في الجهود الرامية إلى تأسيس دولة إسلامية .
 « أما إذا آثروا - رغم جميع الاتصالات والالتماسات - أن يبقوا منتمين إلى حزبهم أو منظمهم ، مقتنعين بأن عقيدة الحزب إنما هي أفضل وأصح من العقيدة الإسلامية (التي هي من عند الله) فعنى ذلك أنهم قد ارتدوا عن الإسلام .

هؤلاء المرتدون عن الإسلام لا يمكنهم في حالة الوفاة أن تشيع جنازتهم ويدفنون حسب الشريعة الإسلامية . كما أنه حرام على المسلمين أن يتزوجوا من هؤلاء المرتدين .

تعليلات

- ١ -

عبد الله جابر الصباح

من هو ؟

رجل تجذبك إليه روح طيبة ، وظل خفيف ، ويعجبك منه أدب جم ، وخلق إسلامي صادق .

وقد يغنيه ما أحرزه من تلك الصفات عن محامد أخرى ... ولكن الرجل يحمل معها لقب الإمارة ، وعنوان الوزارة ... فهو أمير عربي من أمراء الكويت ، وهو وزير معارفها . ولكنه يدخل إلى نفسك من طريق التواضع والحياء ، لا على حساب الإمارة ، ولا من طريق الكبرياء ، وهو يشغل من قلبك مكانة الحب المكتسب لا الحب المصطنع .

وقل من يرقى في قلوب الناس إلى هذه المنزلة وإن يكن أميراً أو وزيراً .

يتردد هذا الأمير على مصر ، ويتصل بوزرائها ، ويجلس إلى علماءها ... وكلمهم يستريح إلى شخصه ويجلسه أكثر ما تكون الراحة إلى الأمراء ، وأكبر ما تكون الغبطة بمجالس العلماء .

ولقد عرف هذا الأمير العربي بأدبه وفضله أن يفتح قلوب المصريين لمحبة بلاده ، وأن يحدد لنا صلة مع إخواننا أهل الكويت ، صلة الأخوة التي حجبتها السياسات الائتيمية ، وكادت تذهب بها القطيعة في ظلمة العهود الغاشمة .

فأصبحت مصر والكويت - بفضل ما يتعهد أمثال الأمير عبد الله جابر - على محبة الأخوة الصادقة ، ووفاء العروبة المشهود .

وقد عشنا طويلاً في جوار أمراء مصر - كانوا - فما أحسننا منهم بود ، ولا شعرنا لهم بوجود ، وإنما ابتليت بهم البلاد ، فكانوا عليها لالها ، وكانوا يستدرون خيرها ، ويكفرون فضلها ، ويحقّدون عليها ، ويسيثون إليها ، فما سمعنا يوماً أن واحداً منهم حمل عنها رسالة محبة إلى شعب آخر ، ولا نقل إليها عاطفة مودة من أمة ثانية ، ولا فكر في أن مصر عربية شرقية مسلمة لها وشائج تربطها بدول

أخرى عربية شرقية مسلمة ، ولا عمل أحدهم ولا جماعة منهم على توثيق الصلة بين مصر وأخت من أخوانها في العروبة والإسلام ، وكيف كان يخطر لواحد منهم شيء من ذلك ودمهم غير عربي ، ونشأوا في رقعة غدير شرقية ، وشبوا في جو غربي ، فليست بيننا وبينهم وشيجة إلا وشيجة الدين ، وهذه كانت عذمتهم أوهى من خيوط العنكبوت ، وما حرصوا عليها إلا كما يحرص التاجر على أسباب ربحه وأدوات كسبه ، لقد أثرى منهم من أثرى حتى طفحت مصر بثرواتهم ، وطالت بهم الأيام حتى ضجرت مصر من طول مقامهم ، وهم مع ثرائهم وطول مقامهم لم تجنح بهم العاطفة نحو فقير ليعتات ، ولا نحو مؤسسة لنسد فراغا في حياة المجتمع .

وكل ما تذكره لهم مصر في حيانهم الطولى أنهم زرعوا فيها المفاسد ، وخلطوا قوميتها بعادات ليست لنا ، وعاشوا فيها خصوما لها وحربا عليها . ثم كان الله لمصر وهي وطن إسلامي ، وممقل حصين للقرآن ، ومنارة شاذخة للدعوة والهداية إلى شريعة الله ، فاستلب نعماءه من أمرائها ، وقوض عليهم سلطانهم ، وكسر شوكتهم ، وبدد جمعهم في أودية مترامية عن بعضها .

تنفست مصر من كربتها بعد اندحار مليكها الطاغية واستئصال هذه الأرومة الخبيثة . واستطاعت مصر أن تهض في شموخ بعد طول صبرها على طغاة تجبروا عليها ، وكبلوها في قيود الاستعمار أزمنة طوالا ، وعرفت مصر في ضوء ثورتها أن تسترد كرامة مسلوقة ، وأن تتغنى صادقة ببطولة أبنائها ، واستعادة مجدها قشيبا كما كانت تود وتتمنى .

وإذا كان الشيء بالشئ يذكر ، فأولئك كانوا أمراء في وطن رحيب ودولة عريضة ، وضيء مصر أمير في شعب محدود ووطن غير فضفاض ، ولكن أين أولئك الكثيرون في مصر - كانوا - من هذه القلة في الكويت ؟ . ومادام في الكويت أمثال عبدالله الصباح وأسرته ، وماداموا على ماشهدنا وسمعنا ، فإن الله معهم ، وستأخذ الكويت حظها من التقدم والنهوض ، والمملك لا يحميه أهله بالسلاح والكثرة مثل ما يحمونه بالعدل والأخلاق والدين .

- ٢ -

حول جامعة للفتيات

كثيرا ما سمعناك هازلا يا دكتور طه حسين .

فنى نسمعك — دائماً — جادا ؟ ؟

لقد فانتك زمن العبث ، وخاضت بك الشيوخوخة فى مسالك الجد ، ولستك تنصافى وتأنى إلا المجون ، ويبدو من حرصك على قديم عادتك ، ودأبك على اللجاجة فيما أنت مفتون به ، أنك لم تعد ترجو لمصر أن تعيش مسلمة كما عاشت ، ولا أن تنجح إلى دينها مهما أحببت ، ولا أن تحتفظ بشرقيتها وإن كانت نقطة الارتكاز بين شعوب الشرق ، أو كانت ملتقى العروبة من كل واد .

وما نعى الناس منذ عرفوك أنك تبتغى مصر حاكية لاية جمة غربية ، وإن كانت تلك الجمة مدينة لهو ، وبؤرة فساد ، ومنشأ ضلالات . حتى إذا وجدت القرآن يقف فى سبيل أمنيتك ، فالقرآن يكون غير حجة ملزمة ، والاخذ به عندك تردد فى المسير ، وسقوط فى الهاوية . وشئ من تلك الرجعية يعض نفسك أسفا على مصر ، لتخلفها عن متابعتك .

وأنت تشهد الناس فيما تدعو لإليه أنك تصلح من شأن مصر ما لم يصاحبه الدين ، وتضفى عليها شعاراً ثقافياً لم تتوشع به مصر من قبل ، ولا يظفر به الشعب لو لم يقده طه حسين إلى حيث يريد . هكذا يقول الدكتور العميد !! فى مقاله الذى صرخ به فى وجه العالمين على إنشاء جامعة خاصة بالفتيات ، وهو مقال من تلك المسهبات التى ينفثها الدكتور طه كلما أحس من الناس غيرة دينية ، أو سمع بدعوة إلى غير ما يزرع لإليه ، وهو الرشيد الذى أوصاه الله بهذه الامة !! . . .

كان الدكتور طه أول المازجين بين الشباب فى دور العلم يوم كان مهيمناً على إحدى الكليات . ثم كان أول المتعثرين فى مزلات هذا رأى : إذ فوجئهم سريعاً بغير ما كان يظنه ، أو كان يظنه ويتوقعه ولكن كان يتوهم إخفاهه ، أو يحاول إرضاء الناس به ، ولما ثار الشباب الجامعى يوماً لسوء ما يرونه بينهم ، وحاول هو أن يتصل من العلم بذلك ، أخرسه الدكتور منصور فهمى بالحجة من واقع الأحداث فى كليته وتحت سلطانه ، غير أن استرسال السياسة

الطوفان في مصر طغى على صيحات المتشائمين لهذا الاختلاط ، وشغل الناس عنه شاغل من ظروف المجتمع ، أو رضع بهم إلى الاختلاط بأس من مقاومته وإصلاحه ، إذ كان يؤازر الاختلاط نفوذ الأدبيين في تلك الآونة .

ولما أتيح لزعم الاختلاط أن يتبوأ كرسي المعارف بعد ، راق له أن يعلن نزعته تلك بحفلة راقصة دعا إليها فتيات أسبانيات ، وجمع إليهن شباب الجامعة ومن تراكم حولهم من طبقات ، فكانت الفضيحة المخزية في وضوح النهار ، وطبعاً سمع بها في ساعتها وفي مكانها دكتور الاختلاط طه حسين . وأخيراً جنح المصلحون في عهد الثورة إلى انتشال السكرامة ، واستئصال الميوعة من صفوف الشباب الجامعي ، وتركيز الحياء بين الناشئة في الجيل الجديد ، بإنشاء جامعة خاصة بالفتيات .

وفي هذا ما فيه من السبق إلى أسمى هدف من أهداف الثورة ، وهو تنشئة المجتمع الصالح ، ومن التيسير على الأسر جميعها أن تأمن على بناتها خطر التعليم العالي المختلط الذي شرعه واستنمات فيه عميد الأدب !! .

لإذ لا يستطيع الدكتور طه ولا أضرابه أن ينكروا أن أسرا كثيرة تستحى إلى اليوم أن تزج ببناتها وسط الشباب ، أو ينكروا أن اختلاط الجنسين كان مشأمة تغفل شرها في الوسط العائلي ، بعد أن تسربت نزعة الاختلاط الجامعي إلى البيوتات بما فشا فيها من التقاليد الجامعية .

ولسنا وحدنا الذين نأسى لأن المرأة أصبحت عارية ، وأنها تسير إلى جانب الرجل ونزاحه في شكل أفضح مما لو كانت في الخلوة الزوجية ، ولكن الناس مغلوبون على أمرهم . يادكتور طه !! صدقني أن منظر المرأة والفتاة أصبح في مصر مخزاة ، وأصبح سيئاً في بوار الصالحات للزيجة ، فنعطل مستقبل عزيز عليهن .

وما جنى على الفتيات وأكسدهن غير فتنة الفاتنين لهن من دعاة الاختلاط الذي زعمه الزاعمون حرية ونضوجاً .

يادكتور طه !! عشت طويلاً في موجات حزبية مضطربة ، وانسجمت في عمود متقلبة ، فسكان لصوتك بحال ، ولقلبك صيال ، ولرايك أنصار .

وأنت اليوم في عهد ثورة إصلاحية قامت لتنقض الفساد من أساسه ، وتبني صرح الأخلاق على دعائم قوية من التربية الحقبة الصحيحة ، فدع زمن غيرك لغيرك ، وحسبك ما قدمت يدالك

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

الكتب

قاعدة جلية في التوسل والوسيلة

لشيخ الإسلام ابن تيمية — ١٧٥ ص — المطبعة السلفية

الإسلام هو الذى كان عليه المسلمون فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وعمل به الصحابة بعده وتلقاه عنهم التابعون لهم بإحسان ودعا إليه الأئمة المتبوعون ، فكل ما ينسب إلى الدين وكان مما ثبت العمل به فى صدر الإسلام والأجيال الثلاثة الأولى فهو الإسلام ، وما انحرف عن ذلك فالتخير كل الخير بالعدل عنه والرجوع إلى فطرة الإسلام الأولى وفوضه الثابتة التى حفظها الله فى كتابه وفى دواوين السنة الصحيحة .

والذى نشر إلى الآن من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية قد امتاز ببيان ما كان عليه الإسلام فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم والأجيال الثلاثة الأولى مؤيداً بالنصوص الصحيحة معزوة إلى مصادرها الموجودة فى أيدي المسلمين والمعمول بها من أئمتهم فى أزمنة الخير . ومنها هذا الكتاب النفيس الذى يعلن أن وسيلة المسلم إلى ربه طاعة الله والعمل الصالح وحسن الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به ، وأن شفاعته النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الذنوب من أئمة متفق عليها ، وأن من تعبد بعبادة ليست واجبة ولا مستحبة وهو يعتقد أنها واجبة أو مستحبة فهو ضال ، وكل بدعة ليست واجبة ولا مستحبة فهي بدعة سيئة وضلالة باقفاق المسلمين ، وحديث ابن مسعود : خط لنا النبي صلى الله عليه وسلم خطاً وخط خطوطاً عن يمينه وشماله ، وقال (أى عن الخط الأول) : هذا سبيل الله . (ثم قال عن الخطوط الأخرى) : وهذه سبل ، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه . . والكتاب يدور حول بيان الشرع الأعظم الذى دل عليه النبي صلى الله عليه وسلم بالخط الأول ، وبيان بفيات الطريق المنحرفة عن الخط الأول وهى سبل الشيطان .

وقد جرب المسلمون في تاريخهم أن الخير كل الخير فيما كان عليه المسلمون في الصدر الاول ، فالخير كل الخير في الكتب التي تدل على ما كان عليه الإسلام في ذلك الحين ، وهذا الكتاب في طليعتها ، وقد طبع طبعا نفيسا على ورق جيد ، وصححت فيه أخطاء الطبقات السابقة ، فلفت الانظار إليه .

حجاب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة

للأستاذ محمد ناصر الدين الألباني — ١٠٤ ص — المطبعة السلفية

الشيخ محمد ناصر الدين الساعاتي عالم الألباني اختار الهجرة إلى دمشق والإقامة فيها وخدمة السنة المطهرة من ينابيعها الصحيحة ، وقد نشر له منذ عهد قريب رسالة في (حجة النبي صلى الله عليه وسلم) وهي حجة الوداع كما رويت في الأحاديث الصحيحة ، وهذا كتاب آخر له عن حجاب المرأة المسلمة استقصى فيه ما ورد عن ذلك في كتاب الله ومتون الأحاديث ليكون المسلمات على بينة من الزى الإسلامى الذى ينبغى لهن توخى مرضاة الله بالرجوع اليه فيكون زينة لهن يوم يعرض الناس على الجنة أو النار ، وقد ذكر المؤلف للحجاب الإسلامى ثمانية شروط : أن يستوعب جميع البدن إلا ما استثنى ، وأن لا يكون الثوب زينة في نفسه ، وأن يكون صفيقا لا يشف ، وأن يكون فضفاضا غير ضيق ، وأن لا يكون مطيبا ، وأن لا يشبه لباس الرجل ، وأن يبتعد به عن التشبه بالأغيار ، وأن لا يكون الثوب لباس شهرة يلفت الانظار .

وإن المرأة المسلمة إذا وقفت من هذا الكتاب على نصوص الإسلام فيما ينبغى لها أن تكون عليه في لباسها وصونها ستبين لها المسافة البعيدة فيما بينها وبين ما يحبه الله لها ، وسيحملها ذلك على الاعتدال تقربا إلى الله وإلى الزى الذى يحبه لها الله ، وقد أحب الله لها ذلك ابتعادا بها عما يؤذيها ، ودلالة لها على الطريق إلى السعادة البتية والهناء في حياة الأسرة ، وهى متعة نسيها الجمهور الأعظم من نساء المسلمين منذ انغمس في تيار الإغرام الاجنبى فصرن إلى ما هو مشاهد الآن من بذخ ولهو وتحلل وقلق إن ينقذهن منه ويعيدهن إلى السعادة والهناء إلا الرجوع إلى حظيرة الإسلام .

بشار بن برد

للدكتور طه الحاجرى — ١٠٤ ص — دار المعارف بمصر

هذه هى الحلقة الثامنة من سلسلة نوايخ الفكر العربى ، ألم فيها الدكتور طه الحاجرى بعصر بشار ، فتكلم على الحياة الاجتماعية والحياة السياسية فيه توطئة للكلام على الحركة الفكرية وما تنطوى عليه من الحياة العقلية والحياة الادبية .

ثم انتقل إلى حياة بشار ، وشخصيته ، وصلته بسياسة عصره حتى كان فى خلافة المهدي من شعراء قصر الخلافة المبرزين برعة تغير حال الخليفة عليه بعدها لاسباب منها تشبيهه بالنساء ، فعاد إلى البصرة يطلق لسانه بالطيب والحديث من نفثات شعره إلى أن أسندت إليه تهمة الزندقة فأنهت بذلك حياته التى تم عن طيبة الاستغفاف والسخرية ، وعن الشعاعية الهاجية الساخرة .

وفى فصل من الكتاب تناول الدكتور الحاجرى الكلام على آثار بشار ونواحي شعره ، وعقد بعده فصلا لمنتخبات من آثاره ، وبذلك جلا لهذا الشاعر النابغة الساخر صورة من حياته أبرزته للناس كما هو .

النحلة الاحمدية وخطرها على الاسلام

للأستاذ محمود الملاح — ٨٨ ص — مطبعة أسعد فى بغداد

من النحل المعاصرة التى غذاها الاستعمار وشجعها وبادلها وفاء بوفاء النحلة التى ابتدعها غلام أحمد القاديانى (١٢٥٢ - ١٣٢٦ هـ) وافترقت بعده فرقتين إحداهما بزعامه ابنه محمود بشير الدين وتسمى القاديانية ، وهى تصرح بما كان يصرح به أبوه من أنه نبي بوحى إليه ، نكته زعمهم نبي محمدى كما كان الانبياء بين موسى وعيسى أنبياء موسويين . أما الفرقة الأخرى فهى التى بزعامه محمد على اللاهورى ، وقد تهربت من عنوان القاديانية بعد افتضاحه بين المسلمين فانتحلت اسم (الاحمدية) ، وهى أخطر من الفرقة الصريحة لأنها اصطنعت نفاقها تهزأ بها من ضعاف العقول فتزعم لهم أن غلام أحمد القاديانى كان مصلحا ولم يكن نبيا . لكن مؤلفات غلام أحمد القاديانى المطبوعة مراراً والموجودة فى الأيدى تصرح

بلا خوف من الله والناس بأنه نبي ، وبأن الإمامة الشرعية التي يدين بها هي للجالس على العرش البريطاني ، وبأن الجهاد الإسلامي قد نسخ بكتب القادياني ومنشورات دعوته . هذا هو غلام أحد القادياني ، وهاتان الفرقتان هما اللتان لا تزالان تتشددان بدعوته ، تحافظ إحداها على شيء من صراحة المؤسس المأفون ، وتقستر الأخرى بنافقاء من عنوانها ودعوى الإصلاحية . وقد كتب المسلمون في الهند ومصر وغيرهما الشيء الكثير عن هذه النحلة ومؤسسها ، وأمامنا الآن رسالة جديدة عنها بقلم الأستاذ محمود الملاح تناوّلها بقلمه الرشيق وبيانه المتوثب ، ومن الخير أن يكثّر الكتّابون في هذا الموضوع لأن الأحمديين والقاديانيين لهم شبكة دعائية منظمة واسعة النطاق في الشرق والغرب لتصيد ضعاف العقول والدين من الرجال والفساء ، فالتنبية إلى حقيقةهم من الجهاد الذي هو فرض كفاية ما دامت الحاجة ماسة إليه .

البابية والبهائية

للاستاذ محمود الملاح - ١٠٠ ص - مطبعة أسعد بيغداد

وهذه رسالة أخرى للاستاذ الملاح كتبها بعد الفراغ من رسالته التي ذكرناها آنفا عن النحلة الاحمدية ، وقراء مجلّتنا لا يزالون على ذكر من بحثنا المطول عن البهائية وتاريخها وإلحادها وقد نشر في جزئى رجب وشعبان من العام الماضي ، والاستاذ محمود الملاح يرجع بتاريخ البابية والبهائية إلى جذورهما العميقة في عبادة الأشخاص وتألّيههم من عهد المعلم اليهودى ابن سبأ ، بل يرى أن بدعة الغلو في الأشخاص أقدم من المسيحية ، واليهودية حصّة من ذلك .

وأصل كتاب الاستاذ الملاح عن البابية والبهائية فصول نشرها في جريدة (السجل) البغدادية ، وكثير مما فيها تعليق على كتاب لداعية بهائي عنوانه (البيان والبرهان) ويذهب المؤلف إلى علاقة البهائية بالصهيونية والاستعمار وخدمة البهائيين لهما في ظروف مختلفة ، ويرى أن الاستعمار يحاصر الإسلام بأربع نحل : المساونية وهي في درجة الصفر ، والبهائية وهي ماسونية مبرقة بعقيدة مزيفة ، والاحمدية وهي إسلام مزيف بالمسيحية ، والقاديانية وهي مسيحية مزيفة بالإسلام .

ورسالة الاستاذ الملاح لطيفة رشيقة تنخلها ملاحظات وتفتيشات تلفت أنظار القراء المسلمين إلى حقائق قلما يجدونها في كتب أخرى .

بستان الاحبار - مختصر نيل الاطار

للشيخ فيصل بن عبد العزيز آل مبارك - جزان ١٢٧٠ صفحة - المطبعة السلفية

(المنتقى من أحاديث الاحكام) لمجد الدين عبد السلام ابن تيمية (٥٩٠ - ٦٥٣) - وهو جد شيخ الإسلام تقي الدين - من أجمع الكتب للأحاديث المعتبرة التي هي مرجع جميع مذاهب الفقه الإسلامى فى الاحكام ، انتقاء من صحيحى البخارى ومسلم ومسنند الإمام أحمد وجامع الزمذنى وسنن النسائى وأبى داود وابن ماجه ، ومن التعاون التشريعى السليم بين المذاهب الإسلامية قيام القاضى الشوكافى (١١٧٢ - ١٢٥٠) بشرحه على طريقة علماء الحديث معتمدا على أساليب الحافظ ابن حجر فى فتح البارى وأمثاله ، وشرحه معروف باسم نيل الاوطار وقد تكرّر طبعه فى مصر .

ولما كان نيل الاوطار مطولا فى ثمانية أجزاء ، فقد رأى فضيلة الاستاذ الشيخ فيصل ابن عبد العزيز آل مبارك قاضى الجوف فى المملكة العربية السعودية أن يختصره مقتصرأ فيه على الناحية الفقهية مع إضافة أحكام مذهب الإمام أحمد بن حنبل مقتطفة من اختيارات شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية وغيرها ، وسماه بستان الاحبار ، وقد جاء فى جزئين ضخمين ، وهو مرتب - كأصله نيل الاوطار - على أبواب الفقه ، فقه العبادات ، وفقه المعاملات والقضاء ، مبتدأ بكتاب الطهارة ومختتما بكتاب الاقضية والاحكام .

ومما يمتاز به هذا الشرح المختصر لكتاب المنتقى من أحاديث الاحكام ترقيم أحاديثه بأرقام متسلسلة من أوله إلى آخره وقد بلغ عدد أحاديثه المشروحة خمسة آلاف حديث وتسعة وعشرين حديثا .

وقد طبع على نفقة الاستاذ الشيخ عبد المحسن أبابطين صاحب المكتبة الادمية فى الرياض عاصمة نجد بعناية المطبعة السلفية وتصحيحها ، وهو يغنى عن نيل الاوطار كل من يحب الاختصار على الجانب الفقهي من الاحكام وأدلها ولا يهمه اختلاف المذاهب الذى تصدى له للشوكافى فوسع به كتابه .

أما أصل الكتابين وهو (المنتقى من أحاديث الاحكام) فأجود كتب السنة فى بابيه وقد وصف الشيخ ابن مالك مؤلفه مجد الدين ابن تيمية فقال عنه ، ألين للشيخ المجد الفقه كا ألين لداود الحديدي .

الأدب والعلوم

البعوث الأزهريّة

بلغ عدد المدرسين الذين بعث بهم الأزهر في هذا العام إلى مختلف الأقطار العربية والإسلامية ١٨٤ مبعوثاً بزيادة أربعين على عددهم في العام الماضي .

كما أوفد بعثتين إلى كل من إنجلترا وفرنسا يبلغ عدد أعضائهما اثني عشر عضواً أتم بعضهم دراسته وحصلوا على درجات علمية . ويعمل الأزهر على تعزيز علاقاته الثقافية ببلاد أندونيسيا والباكستان والصومال وأوغندا وكينيا .

تدريب

المصطلحات الفنية والصحية

فرغ المكتب الإقليمي الصحي لدول الشرق الأوسط بالاسكندرية أخيراً من ترجمة جميع المصطلحات الفنية والصحية المتداولة في أعمال المكتب إلى اللغة العربية ، وذلك استجابة لرغبة دول الإقليم في استعمال اللغة العربية في جميع الأعمال والمسكّنات المتبادلة بين المكتب ودول هذا الإقليم .

وقد علمت وكالة مصر ، أن الدكتور

على شوشة مدير هذا المكتب سيحمل معه عند سفره إلى بيروت لحضور اجتماعات اللجنة الإقليمية الصحية - التي ستعقد في ٢٧ سبتمبر الحالي - تقريراً هاماً يتكون من ٣١ صفحة فولسكاب ، عن جميع المصطلحات التي تم تحريرها .

كما ستسافر إلى بيروت في الأسبوع الثالث من هذا الشهر بعثة من السكرتيرين الذين سيتولون تسجيل ماسيدور في جلسات اللجنة الإقليمية الصحية باللغة العربية .

دراسة شؤون المكتبات

تعقد وزارة التربية والتعليم المصرية دراسة في شؤون المكتبات في شهرى نوفمبر وديسمبر من هذا العام يحضرها ستون من مدرسي القاهرة والجيزة الحاصلين على مؤهلات عالية ولهم إلمام باللغات الأجنبية .

مكتبة مصر

عن بحوث الاستخدام السلي للطاقة الذرية أهدت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية لمصر مكتبة تجمع المؤلفات الخاصة بالاستخدام السلي للطاقة الذرية ، وقد احتفل مجلس

بالتوسط في الصلح والتوفيق بين المختلفين من الأسر والأفراد .

وقد بلغ عدد المحاضرات الدينية التي ألقاها الوعاظ الأزهريون في العام الماضي مائة ألف محاضرة دارت كلها حول تبصير الأهالي بشئون دينهم ودينامهم ، وعقدوا اثنين وأربعين ألف اجتماع للصلح بين الأهالي .

بدء الدراسة في الأزهر

تبدأ الدراسة للعام الجديد في كليات الأزهر ومعاهده يوم ١٥ أكتوبر المقبل .
وتبدأ الدراسة كذلك في هذا الموعد بمعهد دراسة اللغات الشرقية والغربية الذي تقرر إنشاؤه هذا العام .

وينتظر افتتاح أربعة معاهد أهلية جديدة في إسنا وقوص وأسوان وأولاد طوق ،
وينتظر ضمها إلى السكبان الأزهرى في العام المقبل .

سحب الطلبة السعوديين

من المدارس الأجنبية

صممت المملكة السعودية على سحب جميع الطلبة من رعاياها من المدارس الأجنبية ،
والذين كانوا منهم في المدارس الأجنبية بمصر قد اتصلت القنصليات السعودية بمناطق مصر التعليمية لتيسير قبولهم في المدارس المصرية .

البحوث القومية بتسليم السفير الأمريكى في مصر هذه الهدية إلى لجنة الطاقة الذرية المصرية ، وقال السفير عند تقديم المكتبة الذرية إلى وزير التربية والتعليم بوصفه رئيس لجنة الطاقة الذرية المصرية :

« إن هذه المكتبة أحدث وأهم المعارف الخاصة باستخدام الذرة في سبيل عالم أسعدنا جميعا . وسيتوق العلماء المصريون إلى أن تتاح لهم هذه المعلومات الهامة ، وسيجدون أن المعلومات التي حصل عليها غيرهم خلال سنوات من البحوث والتجارب معلومات نافعة قيعة . »

وتتكون المكتبة المهداة من ثلاث مجموعات : منها ٦٥٢٥ تقريراً فنياً ، و ٢٨ كتاباً هي مجموعة الكتب التي تملكها لجنة الطاقة الذرية الأمريكية في هذا الموضوع ، و ٩ كتب من مقتطفات العلوم الذرية تتضمن خمسين ألف تقرير فى و ٤٥ ألف بطاقة ملخصة تفهرس لبعض المواد الخاصة بالطاقة الذرية .

وعاظ الأزهر

كما يقوم رجال الوعظ من علماء الأزهر بتذكير الجماهير - في جميع أنحاء بلاد الجمهورية - بما يجب عليهم لله والأسرة واجتمع ، فيأمرهم يقومون إلى جانب ذلك

انباء العجلاء النبلاء

عودة الأستاذ الكبير

عاد بسلامة الله من رحلة أندونيسيا والشرق
حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر
شيخ الجامع الأزهر والبعثة الأزهرية التي
كانت برئاسة فضيلته وتأنف من حضرات
أصحاب الفضيلة الشيخ توفيق النحاس مراقب
البحوث والثقافة المساعد ، والشيخ صادق
عرجون شيخ معهد الإسكندرية ، والشيخ
محمد سليمان البحيري الأستاذ بكلية اللغة
العربية ، والشيخ أحمد القط مفتش
الوعظ بأسسوط ، والشيخ يوسف الهمداني
في قسم البحوث . وكانت هذه الرحلة
مباركة وموفقة ، حققت بالعمل الرابطة
الإسلامية بين مصر والأزهر الشريف وبين
البلاد التي حلت فيها ذهابا وإيابا ، ولا سيما
جزائر أندونيسيا على اختلاف مقاطعاتها .
وقد ابتهجت تلك البلاد كلها وفي طليعتها
علمائها وجمعياتها الإسلامية بلقاء فضيلة
الأستاذ الأكبر الذي يعتبرونه رأس أعظم
معهد على إسلامي في دنيا المسلمين ، وتبادلوا
مع فضيلته الأماني راجين من الله عز وجل
تحقيقها . وقد استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر

في المطار يوم وصوله صباحا استقبالا شائعا
دل على ما لفضيلته من عظيم الحرمة والإجلال
في نفوس الجميع ، ثم عرج على منزله
للاستجمام وتقبل تهاني المسلمين عليه ، وفي
حوالي الساعة العاشرة استقبل في الأزهر
استقبالا عظيما ، جعل الله هذه الرحلة مباركة
عظيمة الأثر حميدة النتائج .

تمرد السلاح الجوي الفرنسي

وهاتفه : مرا كش للرا كشييين

تمرد أربعائة جندي فرنسي من جنود
سلاح الطيران في باريس ورفضوا ركوب
القطار إلى مرسيليا للسفر إلى شمال إفريقيا .
وقد نشبت معارك بينهم وبين قوات البوليس
في باريس ، وكان جنود السلاح الجوي
المتطردون يهتفون : مرا كش للرا كشييين .
لا نريد الذهاب إلى شمال إفريقيا .

والغى المقيم العام الفرنسي سفره إلى
فرنسا فجأة بعد أن كان قد استدعى لحضور
الاجتماع الوزاري في باريس للبحث في قضية
المغرب ، فاضطر إلى البقاء للاشراف بنفسه
على جهاز الامن .

مع ممثلي هذا البنك على إنهاء امتيازهم في سوريا في مقابل تعويض قدره ٣٠٠ ألف ليرة سورية (نحو ٣٢ ألف جنيه) عن كل سنة من السنوات الثمان التي بقيت له من مدة امتيازهم وإن إنهاء عمل البنك السوري في سوريا يعد خطوة لتأسيس بنك مركزي قومي يتولى مهمة الإصدار بعد انتهاء فترة الانتقال التي حددت بستة أشهر.

قتل المفارقة بأسلحة أمريكية

أعرب الرئيس جمال عبد الناصر للسفير الأمريكي عن قلقه من تطور الموقف في المغرب العربي، واستعمال فرنسا العنف والتقتيل في هذا الشعب الأعزل الذي يطالب بحريته وحقه في الحياة.

وقال الرئيس المصري للسفير الأمريكي: إن الحكومة المصرية تعتبر استخدام القوات الفرنسية المتخصصة لحلف الأطلنطي، والأسلحة الحربية الخاصة بهذا الحلف، في سحق المواطنين العرب في شمال إفريقيا، عملا عدائيا موجها إلى العرب جميعا لأن فرنسا وحدها ولكن من جميع الدول المشتركة في حلف الأطلنطي والتي سمحت لفرنسا بهذا البقي.

وطالب الرئيس المصري من السفير الأمريكي إبلاغ ذلك إلى الحكومة الأمريكية

الانقلاب الفرنسي

مع السلطان الشرعي للمغرب

كما اتفق عليه الجنرال الفرنسي كانرو مع السلطان الشرعي للمغرب مولاي بن يوسف أن تعترف فرنسا بأن مراکش دولة حرة ذات سيادة، وأن ينتقل السلطان الشرعي من منفاه في مدغشقر إلى فرنسا، وأن يترك الأمر للمراكشيين ليقرروا مستقبلهم كما يشاءون، وينحى السلطان بن عرفة، ويعين مجلس وصاية على العرش من ثلاثة أشخاص، وهذا المجلس يعين حكومة اتحادية وطنية تضم ممثلي الحركات الرئيسية السياسية في مراکش، وهذه الحكومة الجديدة تقوم بمفاوضة فرنسا لبحث العلاقات السياسية والاقتصادية والاستراتيجية والثقافية على أن تحتفظ فرنسا بمركز لها في مراکش يمتاز على الدول الأخرى، ويوجه مولاي محمد بن يوسف نداء إلى مواطنيه ليوقفوا جميع أعمال الثورة.

الاقتصاد السوري

تحررت سوريا في هذا الشهر من آخر قيد اقتصادي بقي فيها من عهد الفرنسيين وهو المصرف المالي الفرنسي الذي كان يسمى البنك السوري فاتفقت وزارة المالية السورية

صلاة الغائب

إلى حضرة صاحب الفضيلة وكيل مشيخة الأزهر .

وقد اتجه التفكير إلى شراء عقار بهذه القيمة يصرف ريعه فى كل سنة على المتفوقين من نجباء الطلبة الأزهريين ، وبذلك ستكون هذه المكرمة خالدة الأثر دائمة الذكرى لهذا التجاوب القلبى بين الأمم الإسلامية والشعوب العربية .

الاصطلاح الزراعى

فى عامه الثالث

احتفلت اللجنة المصرية للإصلاح الزراعى بالعيد الثالث لهذا العمل الاجتماعى العظيم ، فأقامت لذلك حفلا بهيجا فى حديقة قصر عابدين .

ومما يذكر لهذه المناسبة أن الإصلاح الزراعى استولى فى ثلاث سنوات على أكثر من ثلاثمائة ألف فدان وزع منها حوالى ربع مليون فدان ، ويضاف إلى ذلك ١٤٥ ألف فدان من مبيعات المادة الرابعة .

وسيتسلم الإصلاح الزراعى فى عامه الرابع ١٥٠ ألف فدان ، وسيقوم بتوزيع مساحة تعادل ذلك ، وبهذا يكون برنامج الإصلاح الزراعى قد سبق الأمد الذى كان محددًا له .

على أرواح شهداء الجزائر والمغرب

أقيمت صلاة الغائب فى جميع مساجد الجمهورية المصرية على أرواح شهداء الجزائر والمغرب ، وكان ذلك فى يوم الجمعة ١٥ المحرم أما فى القاهرة فكانت صلاة الغائب فى الأزهر الشريف ذات روعة عظيمة وقد صلى بالناس الجمعة وأمامهم فى صلاة الغائب وزير الأوقاف الشيخ أحمد حسن الباقورى بعد خطبة عظيمة فى الإسلام والجهاد ، وما كان عليه المسلمون وما يجب أن يكونوا عليه . وكان عدد الذين سمعوا الخطبة وصلوا صلاة الغائب نحو مائتى ألف كما قدرته جريدة الجمهورية .

وقد أقيمت صلاة الغائب فى أقطار إسلامية أخرى كالافغان وعاصمتها كابل .

تبرع طلبة الأزهر

فى يوم الجمعة الذى أقيمت فيه صلاة الغائب بالجامع الأزهر عن أرواح شهداء الجزائر والمغرب ، وقد حضر الصلاة الأمير الجليل عبد الله الجار الصباح وزير معارف الكويت ، تكرم فأعلن تبرعه لطلبة الأزهر بعشرة آلاف جنيه ، وكتب فى الحال شيكا بالقيمة على أحد المصارف المالية وسلمه

الفهرس

صفحة	الموضوع	بفـ
من شعب إلى شعب	فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر	
١١٣	سفراء التربية والتعليم	الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
١١٦	نفحات القرآن : مناجاة القرآن للعقل وللمعاطفة	» عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء
١٢١	السنة : من أدب النبوة	» طه محمد الساكت
١٢٥	الجريمة والحدث	» محمد عطية راغب المحامى
١٢٧	الزمان يمضى	» صابر على رمضان
١٢٩	من مآثر الأنصار	» محمد محمد أبو شبة
١٣٣	حديث الفتوة في القرآن	» أحمد الشرباصى
١٣٩	الأنفاذ والآداب العربية والعامة	» أحمد طه السنوسى
١٤٣	مواقف خالدة لعلماء الأزهر	» محمد رجب البيومى
١٤٩	إلى الله	» محمد محمد خليفة
١٥٢	نظام نقد إسلامى بلا أرباح	» على محمد سرطاي
١٥٧	نظرية الحرية في الشريعة الإسلامية	» محمد محي الدين المسيرى
١٦٧	لفسويات	» محمد على النجار
١٧٢	حلاوة الإيمان	» محمود فرج المقدمة
١٧٨	التشاؤم مرض	» على العمارى
١٨١	هل للمرأة حقوق سياسية ؟	» محمد صابر عاشور
١٨٦	جبل ثور بالمدينة	» محمد فؤاد عبد الباقي
١٩١	كيف كان عمر بن الخطاب ينتخب قضاة	» محمد شريف المسقش السابقي
١٩٣	من حق المرأة المسلمة استشارتها قبل تزويجها	» طه الزيني
١٩٧	جرائم الشباب	» حامد محمود اسماعيل
٢٠١	الاجتهاد والتقليد	» عبد الله المراغى
٢٠٥	سعيد بن المسيب	» عبد الله قاسم صقر
٢٠٨	مؤتمر إسلامى فى اندونيسيا يقرر بأن الشيوعية دين يخالف الاسلام	»

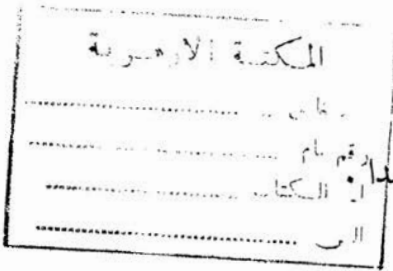
تعليمات

٢١٠	عبد الله جابر الصباح . من هو ؟	الأستاذ عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء
٢١٢	حول جامعة للفتيات	» » » » » »
	* * *	
٢١٤	الكتب	المجلة
٢١٩	الأدب والعلوم	»
٢٢١	أبناء العالم الإسلامى	»

نصيحة طيبة خالصة

من فضيلة الأستاذ الأكبر

إلى أبنائه الطلاب



بسم الله الرحمن الرحيم .

ربنا آتتنا من لذك رحمة وهى لنا من أمرنا رشدا .
أبنائى طلاب الأزهر معاهده وكتياته .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد - فأنى فى مفتتح العام الدراسى الماضى - كنت قد وجهت إليكم نصيحة طيبة خالصة ، أردت بها خيركم ، وتوجيهكم إلى ما فيه نفعكم ورشادكم .

ويسرنى الآن أن أحدثكم - إلى ما تشعرون به فى أعماق قلوبكم وما تحدثكم به حديث الحق أنفسكم - أن تلك النصيحة قد آتت ثمرتها ، ووفقت إلى نتيجتها ، لأنها - كما قلت - كانت طيبة خالصة ، وقد صادفت قلوبا طاهرة بارة ، استمعت لها ووعتها ، وأحسنن الانتفاع بها ، فكان من أثر ذلك الإقبال على الدرس ، واستقامة الأمر بين الطلاب وأساتذتهم ، والتسابق الحثيث بين الطلاب أنفسهم لإحراز ثمرات العلوم والمعارف ، ذلك التسابق الذى ظهرت آثاره فى العمل وفى نتائج الامتحانات .

هذا - إلى النشاط الرياضى والثقافى الكلى ، الذى قام به الطلاب فى مختلف المعاهد والكليات ، إلى جانب مناهج الدراسة الأساسية ، والذى أخذوا أنفسهم به فى جد ونظام ، وقد وفقوا فيه بأرشاد بعض أساتذتهم ، وإشراف الخبراء منهم بأنواع ذلك النشاط .

أبنائى :

وهذا عام دراسى جديد أهل عليكم بعد فترة راحة واستجمام ، وهو يتطلب

مجلة الأزهر

منكم نشاطاً أقوى ، تواجهون به ما يستقبلكم من واجبات ، وإنكم لتفتحون بهذا العام أبواباً في العلم والمعرفة ، تزيد عقولكم قوة إلى قوة ، وترفع ببيان حياتكم طبقة أعلى من طبقة .

وإذا كانت أحداث الدنيا وأقضية الحياة تتطلب من أبناء المجتمع تجديد الأهبة والاستعداد آناً بعد آناً ، فإن واجبك في مستهل هذا العام - كأبناء تعدم الأمة لحفظ كيان أخلاقها ودينها ولغتها - أن تجمعوا جهودكم في الإقبال على العلم ، والانصراف عن كل ما يشغلكم عنه ، وأن تعملوا على استغلال كل لحظة تمر بكم فيما يعود عليكم وعلى أمتكم بالخير والصالح ، وأن تتخذوا مما تدرسون من أخلاق المصلحين أمثلة رفيعة تستوحون منها الفضائل ، وتأخذون أنفسكم بمناهجها الصالحة القويمية .

إن الأزهر الذي ظل طوال ألاف من السنين قائماً على حراسة لغة القرآن وصيانة تعاليمه ، وتوجيه العالم الإسلامي التوجيه السليم ، ونشر الثقافة الدينية والعربية في أقطار الدنيا ، يواجه اليوم تيارات منحرفة عنيفة من الانحلال في الدين والخلق ، قد دفع بها إلى ربوع الشرق أعداء الشرق ، ليصلوا بها إلى تفتيت قواه والتفريق بين أهله ، ليسهل لهم التسلط عليه قطعة قطعة ، والتأثير الضار في أهله طائفة طائفة وأمة أمة . وهذا هو ما يجب أن نحذره ونبذل كل جهودنا لصدده والوقوف دونه .

إن الأزهر اليوم يدعو أبناءه أن يعدوا أنفسهم لمواجهة هذه الفتن والقضاء على هذه المحن ، وهذا يتطلب منكم أن تكونوا مؤمنين بواجبك ، أقوياء على حمل أمانتكم ، جادين في العمل على أن لا تكون بينكم فرقة ، صادقين في الاستمسك بما يدعو إليه الدين من التناصح والتعاون في بناء هذا المجتمع ، على أساس قوى من فضائل الإسلام وأخلاقه القوية الحميدة .

إن المهمة التي يعدكم لها الأزهر لهي مهمة عظيمة الشأن جليلة الخطار ، وقد زادت ظروف العالم المحيطة بنا من أعبائها وثقلها ، فعليكم أن تتخذوا من الإيمان الحق ، ومن الثبات عليه ، والمصابرة في سبيل الذاياد عنه ، مع التزود من العلم والمعرفة ، دريئة تدفع عنكم وعن الوطن سموم تلك الآفات ، وقوة تنشطون بها في القيام بواجب الدعوة إلى الخير ، وبث الروح الفاضلة في الجماعة ، سالكين في ذلك السبيل القويم الذي سنه القرآن الحكيم في قول الله تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » .

نصيحة طيبة

فلت شعروا أنفسكم دائماً عظم هذه المهمة وسموها ، ولتعدوا عقولكم وقلوبكم لأداء هذه الأمانة التي وكلت إليكم ، ولتذكروا دائماً قول الله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » وقوله عز وجل : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » .

إن من واجبك في النهضة الحاضرة المشرقة التي يرجى منها للشرق وللإسلام العزة والقوة أن تعاونوا بكل قوتكم في توجيه الأمة للتوجيه السليم، وأن تعملوا على إحياء معاني العزة والكرامة القومية في نفوس أبنائها ، فأنتم قوة من أعز قوى هذه النهضة، وإنها لتعلق عليكم آمالاً كباراً لاستكمال بنائها وبلوغ غاياتها السامية المحيطة .

وإن لكم في قائد هذه النهضة الذي يدعو في كل موقفه إلى العزم القوي والحزم الشديد، للقضاء على أسباب الضعف والانحلال، وللأخذ بأسباب القوة والمنعة، ما يهيب بكم دائماً أن تبثوا في كل مكان دعوة الحق ، وأن تكونوا جنداً من جنود الوطن، تذودون عنه وتدفعون به إلى حياة العزة والكرامة .

وفقكم الله إلى الخير ، وهذاكم وهدى بكم إلى سبيل الرشاد .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شيخ الجامع الأزهر

عبد الرحمن تاج

مدير المجلة
عبد اللطيف السبكي
عضو جمعية كبار العلماء

للعنونات
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهري

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن شيخ الأزهر في أول كل شهر عربي

بإشراف
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي

في وادي النيل	٤٠٠
لطيفة وادي النيل	٤٠٠
للعلماء والمربين بالأزهر	٣٠٠
خارج الوادي	٥٠٠
للطيفة خارج الوادي	٣٠٠
للعلماء والمربين خارج الوادي	٤٠٠

الجزء الثالث - القاهرة في غرة ربيع أول ١٣٧٥ - ١٨ أكتوبر ١٩٥٥ - المجلد الثامن والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بيئة الاسم الأولى

التي اختارها الله لمولد خاتم رسوله
وظهور أكمل رسالاته

بلدة لا كالبلاد ، بليل لا كالأجيال ، من أمة لا كالأمم .

بلدة اختارها الله - في الدهر الأول - لأول بيت قام في الأرض لتوحيد الله والعبادة
الخالصة والنسك السليم : « إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين .
فيه آيات بينات مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمنا . والله على الناس حج البيت من استطاع
إليه سبيلا ، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين » . آل عمران ٩٦ - ٩٧

قال الحسن بن أبي الحسن البصري رحمه الله : كان الرجل قبل الإسلام يقتل ، فيضع
في عنقه صوفة ويدخل أرض الحرم ، فيلقاه ابن المقتول ، فلا يهيجه حتى يخرج من
حدود الحرم .

وقد وصف الله في سورة العنكبوت (الآية ٦٧) هذه الميزة لبیت الله الحرام ،
ومنَّ بها على أهله فقال :

« أولم يروا أنا جعلناه حراماً آمناً يتخطف الناس من حولهم ، أفالباطل يؤمنون
وبنعمة الله يكفرون ! » .

وفي سورة القصص (٥٧ - ٥٩) - وهى مكية - نعى الله على الحارث بن عامر بن نوفل
ابن عبد مناف وأمثاله من رجال قريش وشبابهم أنهم تخوفوا من إقامة الحق بالدخول
فى الإسلام يوم كانت مكة هى بيئة الإسلام الأولى ومشرق دعوته « وقالوا إن تتبع الهدى
معك تتخطف من أرضنا ، أولم نمكن لهم حراماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شئ رزقا من لدنا
ولكن أكثرهم لا يعلمون . وكما أهلكنا من قرية بطوت معيشتها ، فتلك مساكنهم لم
تسكن من بعدهم الا قليلا ، وكنا نحن الوارثين . وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث
فى أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا ، وما كنا مهلكى القرى إلا وأهلها ظالمون » .

ومما خاطب الله به قريشا - فيما أنزله من القرآن بمكة - ومن به عليهم بهذه الميزة
الكبرى لبلدتهم دون بلاد الأرض كلها قوله جل ثناؤه « فليعبدوا رب هذا البيت الذى
أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » .

إن حرم مكة الآمن لا ينحصر فى حرم الكعبة ، ولا يقتصر على البلدة كلها ، بل يعم
أرض الحرم الى مسافات بعيدة أقيمت لها أعلام فى كل ناحية من نواحيها ، فما كان
خارج هذه الأعلام يسمى « الحل » وما هو فى داخل نطاقها يسمى « الحرم » ،
وفى الحرم تأمن الطير أيضا - كما يأمن الإنسان - فلا تنفر عن أوكارها ، ويأمن فيه حتى
الوحش فلا يحل اصطيداه . بل من جملة تحريمها تحريم قطع شجرها وقلع حشيشها . وقد
خطب رسول الإنسانية الأعظم صلوات الله عليه يوم فتح الله عليه مكة ، فقام على باب الكعبة
يقول لقريش ومن وراءها من جماهير الناس ، ولكتائب الفتح من المهاجرين والأنصار :

« إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض ، نهو حرام بحرمه الله الى يوم
القيامة ، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلى ، ولم يحل لى إلا فى ساعة من نهار ، فهو حرام
بحرمه الله الى يوم القيامة : لا يعضد شوكة ، ولا ينفر صيده ، ولا يلتقط لقطته إلا من
عزفها ، ولا يختلى خلاه » فقال عمه العباس : يا رسول الله إلا الإذخر (وهو نبات طيب
الرائحة ينتفعون به) فقال صلى الله عليه وسلم : « إلا الإذخر » .

وقد حيل بين من يلجأ الى الحرم من المجرمين وبين حقوق الله والناس بما رواه سعيد ابن جبير عن عبد الله بن عباس أن القاتل إذا عاذ ببیت الله في مكة أعاده البيت ، ولكن ليس على أحد من ساكني الحرم أن يؤويه ، أو يطعمه ويسقيه ، حتى يضطر الى الخروج من حدود الحرم ، فاذا خرج أخذ بذنبه .

ومن أعجب ما امتازت به مكة عن بلاد الله جميعا ، بين زمن مولد حامل أكمل رسالات الله وزمن هجرته صلى الله عليه وسلم ، أنها بلدة لم يشعر أهلها بحاجتهم الى حكومة ، ولم تمس حاجتهم الى إقامة شرطة تحمي أهل العافية فيهم من أهل البغي والشر ، لأنهم قلما عرفوا فيهم مواطنا من أهل مكة تنزع نفسه الى البغي والشر .

وأكثر ما كان يقع فيهم الباطل أن يطل المدين دائنه في وفاء ما في ذمته له ، فكان يستعين عليه بأهل العافية فيحصل منه على حقه بلا حاجة الى قضية أو محكمة ، ولأجل هذا وأمثاله انعقد في بيت وجيه من وجهاء مكة وشريف من أشرافها ، وهو عبد الله ابن جدعان التيمي - من أسرة أبي بكر الصديق - حلف اشترك فيه طائفة من أهل الفتوة والمروءة في قریش ، وتعاقدوا على أن لا يجحدوا بمكة مظلوما من أهلها - أو غيرهم ممن دخلها من سائر الناس - إلا قاموا معه وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلّمته ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال يومئذ قتي . روى طلحة الندي - وهو طلحة ابن عبد الله بن عوف الزهري - قاضي مكة في القرن الأول للإسلام - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم ، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت » .

إن الناس هم الناس ، وفيهم الطيب والوسط والخبيث ، تشترك في ذلك الأمم كلها ، غير أنها تتفاضل بنسبة أهل هذه الأصناف الثلاثة بعضهم الى بعض : فمن الأمم من تطغى نسبة الخبيث من أهلها على من فيها من الطيبين والعنصر الوسط ، فهي من شر الأمم . ومنها من يكثر فيها العنصر الطيب وتكون له الكلمة النافذة والتوجيه المطاع في المجتمع ، فهي من أكرم الأمم معدنا . ومنها من تعظم فيها نسبة الطبقة الوسطى فيعم فيها الخير ، ويستتب الاستقرار .

يقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما قرره من حقائق : « الناس معادن كعادن الذهب

والفضة ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا » . وقد علق شيخ الإسلام ابن تيمية على هذا الحديث في كتابه منهاج السنة (٢ : ٢٦٠ - ٢٦١) بقوله :

« فالأرض إذا كان فيها معدن ذهب ومعدن فضة كان معدن الذهب خيرا ، لأنه مظنة وجود أفضل الأمرين فيه . فان قدر أنه تعطل ولم يخرج ذهباً كان ما يخرج الفضة أفضل منه ، فالعرب في الأجناس - وقريش فيها ، ثم هاشم في قريش - مظنة أن يكون فيهم الخير أعظم مما يوجد في غيرهم . ولهذا كان في بنى هاشم النبي صلى الله عليه وسلم الذى لا يماثله أحد في قريش ، فضلا عن وجوده في سائر العرب وغير العرب . وكان في قريش الخلفاء الراشدون وسائر العشرة وغيرهم ممن لا يوجد له نظير في العرب وغير العرب . وكان في العرب من السابقين الأولين من لا يوجد له نظير في سائر الأجناس . فلا بد أن يوجد في الجنس الأفضل مالا يوجد مثله في المفضول ، وقد يوجد في المفضول ما يكون أفضل من كثير مما يوجد في الفاضل ، كما أن الأنبياء الذين ليسوا من العرب أفضل من العرب الذين ليسوا بأنبياء ، والمؤمنون المتقون من غير قريش أفضل من القرشيين الذين ليسوا مثلهم في الإيمان والتقوى ، وكذلك المؤمنون المتقون من قريش وغيرهم أفضل ممن ليس مثلهم في الإيمان والتقوى من بنى هاشم . فهذا هو الأصل المعترف في هذا الباب ، دون من ألغى فضيلة الأنساب مطلقا ، ودون من ظن أن الله تعالى يفضل الإنسان بنسبه على من هو أعظم إيمانا وتقوى منه ، فكلما القولين خطأ ، وهما متقابلان . بل الفضيلة بالنسب فضيلة جملة ، وفضيلة لأجل المظنة والسبب ، والفضيلة بالإيمان والتقوى فضيلة تعيين وتحقيق وغاية . فالأول يفضل به لأنه سبب وعلامة ، ولأن الجملة أفضل من جملة تساويها في العدد . والثاني يفضل به لأنه الحقيقة والغاية ، ولأن كل من كان أتقى لله كان أكرم عند الله ، والثواب من الله يقع على هذا ، لأن الحقيقة قد وجدت فلم يعلق الحكم بالمظنة ، ولأن الله تعالى يعلم الأشياء على ما هي عليه فلا يستدل بالأسباب والعلامات » .

بهذا فسر شيخ الإسلام ابن تيمية حديث معادن الناس ، وكان ينظر - وهو يعالج هذا الموضوع الدقيق - إلى آية الحجرات ١٣ : « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » ، كما كان ينظر إلى حديث عبد الله بن عمر قال : انا لعود بفناء رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ مرت امرأة ، فقال بعض القوم : هذه ابنة محمد صلى الله عليه وسلم (والحقيقة أنها

كانت درة بنت أبي لهب ، وكانت زوجة للحارث بن نوفل ، ثم تزوجها دحية الكلبي) ، فقال رجل : ان مثل محمد صلى الله عليه وسلم في بني هاشم مثل الريحانة في وسط التين . فانما لقت المرأة فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم ، فجاء عليه السلام يعرف في وجهه الغضب ، ثم قام على القوم فقال : « ما بال أقوام تبلغني عن أقسوام ! ان الله عز وجل خلق الخلق فاختر من الخلق بنى آدم ، واختر من بنى آدم العرب ، واختر من العرب مضر ، واختر من مضر قريشا ، واختر من قريش بنى هاشم ، فأنا خيار من خيار ، فمن أحب العرب فبحبي أحبهم ، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم » . قال الحافظ العراقي : وهو حديث حسن ، أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين ، ورواه من غير هذا الإسناد أيضا ، وروى نحوه من حديث أبي هريرة ، ورواه الطبرانی في المعجم الأوسط وقال : حديث صحيح .

فالتفاضل بالتقوى هو الأصل ، وهو الحقيقة والغاية . وكرم المعدن فضيلة جملة ، ومظنة أن يوجد فيه الخير أكثر مما يوجد في غيره .

إن البيئة التي ولد فيها خاتم رسل الله ، وهى قريش سكان شعاب مكة وبطاحها ، قد تفاوت رجالها ونسائها في سرعة الاستجابة لدعوة الإسلام . فهذا عمر بن الخطاب كان من مشركى قريش يوم كان أبو بكر أول رجل من قريش استجاب لهذه الدعوة ، وأخذ يحببها بحكمته ورجاحة عقله ودماثة خلقه الى طائفة من أهن شباب قريش في بطحاء مكة من أمثال عثمان والزبير وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص وغيرهم من مسلمى الرعيل الأول . فهل أزرى بعمر أن تأخر إسلامه عن اسلام هؤلاء وعن اسلام أخته وصهره ؟

وهذا خالد بن الوليد كان - في وقعة أحد - قائد خيل المشركين ، وكان المفروض فيه لما عاد من غزوة أحد الى مكة أن يكون ثلما بنجرة ما اتفق له من فوز ، فيكون ذلك أبعد له عن الاستجابة لنداء الحق . لكننا رأيناه في أوائل السنة الثامنة للهجرة يزهى في عظيم الجاه الذى كان لأبيه وبيته في أم القرى ، ويخرج متوجها الى المدينة ليلتحق بدعوة الحق ، فيلتقى في الطريق بين مكة والمدينة بعمر بن العاص السهمى ، وعثمان بن طلحة أحد بنى عبد الدار سدنة الكعبة . قال عمرو : فقلت لخالد : - إلى أين أبا سليمان ؟

قال خالد : — والله لقد استقام المنسم ، وان الرجل لنبي . انى أذهب والله لأسلم ،
فحتى متى ؟ !

قال عمرو : — وأنا الله ما جئت الا لأسلم .

وقال صاحب مفتاح بيت الله الحرام مثل مقالتهما .

فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونظر اليهم من بعيد قال لأصحابه :
« لقد رمتكم مكة بأفلاذ كبدها » .

قال عمرو : فتقدم خالد فأسلم وبايع ، ثم دنوت فقلت : يا رسول الله انى أبايعك على
أن تغفرلى ما تقدم من ذنبى .

فقال صلى الله عليه وسلم : — يا عمرو بايع ، فإن الإسلام يجب ما قبله ، وان الهجرة
تجب ما قبلها .

ونقل الحافظ ابن حجر فى الإصابة عن الزبير بن بكار أن رجلا سأل عمرو بن العاص :
— ما أبطأ بك عن الاسلام ، وأنت أنت فى عقلك ؟

فاجابه : إنا كنا مع قوم لهم علينا تقدم ، وكانوا ممن توازن حلومهم الجبال ؛ فلما
بعث النبي صلى الله عليه وسلم فأنكروا عليه قلدها ، فلما ذهبوا وصار الأمر الينا نظرنا
وتدبرنا ، فاذا حق بين ، فوقع فى قلبى الإسلام ، فعرفت قریش ذلك من ابطأى عما
كنت أسرع فيه من عونهم عليه ، فبعثوا إلى فتى منهم فناظرنى فى ذلك ، فقلت :

— أنشدك الله ربك ورب من قبلك ومن بعدك : أنحن أهدى أم فارس والروم ؟

قال : بل نحن أهدى (أى أعقل وأعظم بصيرة وادرا كالخفاش فى الأمور) .

قلت : فنحن أوسع عيشا أم هم ؟

قال : هم .

قلت : فما ينفعنا فضلنا عليهم فى الهدى ان لم تكن الا هذه الدنيا وهم أعظم منا
فيها ؟ وقد وقع فى نفسى أن الذى يقوله محمد من أن البعث بعد الموت — ليجزى المحسن
باحسانه والمسيء بأسائه — حق ، ولا خير فى التماضى فى الباطل .

هذا نموذج للذين أبطأوا في إسلامهم ، وإن الذى حمله أمثال عمرو وخالد من أعباء الإسلام قد عجز التاريخ عن أن يحيط بحسناته ، وإن لها ولأمثالها من ثواب الذين دخلوا في الإسلام بسببهما ، ومن نشأ على الإسلام من سلاطنتهم وذرياتهم ، ما لا تحصىه إلا ملائكة الرحمة .

ومما يدل على كرم معدن البيئة المعاصرة لظهور الإسلام في مكة أن الذين ماتوا على غير الإسلام من قريش كانوا قلة قليلة جدا ، يعرفهم علماء الأنساب بأسمائهم ، فان كل من ولدتهم قريش من معاصري النبي صلى الله عليه وسلم مدونة أسماءهم في كتاب نسب قريش لأبى عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيرى ، وكلهم والله الحمد قد تشرفوا بالإسلام قبل أن ينتقل النبي صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى ، ما خلا ذلك النزر القليل جدا ممن غلبت عليهم الشقوة ، وهم بضالة عددهم لا يستحقون الذكر ، ولا يعرف التاريخ نيبا من أنبياء الله ولا صاحب دعوة الى الحق وأخير استجاب له من أمته رجال يستحقون أن يعدوا من أولياء الله الصادقين المجاهدين كما استجابت قريش والأنصار وسائر العرب للدعوة المحمدية ، وكان لكرم معدن هذه الأمة الأثر العظيم في هذا الامتياز الذى كان لبيئة الاسلام الأولى التى رأيت أن أتحدث عنها في هذه الكلمة ، وأن أعالج عرض الحقائق عن موقفها من الإسلام فيما بين بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وهجرته الى أن اختاره الله اليه .

ترى هل كانت دعوة الإسلام تحفظ بمبادئها وكتابها وسننها كما حفظت حتى الآن بلا افراط ولا تفريط ، وهل كانت تنتشر في أقطار الأرض بالقوة والسرعة والحكمة والرحمة التى انتشرت بها في القرن الأول الهجرى ، لو أن بيئة الإسلام الأولى لم تكن هى البيئة التى اختارها الله لها ؟ .

أنا أعتقد أنه كما اختار الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم لأكل رسالاته ، اختار لها كذلك اللغة التى أنزل بها كتابه ، والأمة التى حملت هذه الرسالة الى أمم الأرض ، والأرض التى تبليج هذا النور من آفاقها . والذى أشرت إليه في هذه المقالة لمحات خاطفة تستحق من أهل العلم دراسات أخرى أعمق وأوسع وأشمل ما

نَفَاثَاتُ الْفِرَاقِ

— ٣٣ —

هداية الله - وفتنة الناس

(أ) « والله يريد أن يتوب عليكم »
 (ب) « ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا
 ميلا عظيما » .

ليكن حديثنا حول هذه الآية حديث إمعان فيما تضمنته من معان واقعية ، ثم فيما لها من صلة بالحياة الجارية .

وليكن جانب العظة موكولا إلى الأذهان والفطر بعد : لا أمرا ننمليه إماء ، ولا قولاً ندفع به إلى الأذهان لنستميل به العاطفة وحدها . . ولعل القارئ في النهاية واجد من عقله ومن عاطفته معا يقظة واعية ، وجنوحا إلى العظة ، وارتياحا إلى دعوة الله ، وزهادة في متابعة الناس .

ونسق الآية واضح في أن الناس يكتشفهم عاملان أحدهما : أن الله يريد أن يتوب عليهم بما بين لهم وهداهم إليه . ثانيهما : أن الذين يتبعون الشهوات يريدون لغيرهم أن يتابعوهم في غوايتهم ، وأن يميلوا معهم ميلا عظيما .
 فما سبيل الموازنة بين ما يريد الله ، وما يريد أتباع الشهوات ؟ ؟

(١)

١ — نظرة أولى فيما شرع الله للناس : من أحكام تتصل بكل جانب من حياتهم ، وبنظام الحكم والمحكومة بينهم ، وتبصرهم بكل ما وراء هذه الأحكام من خير لهم ، وترغبهم فيما يناط بها من مشوبة ، وتحذرهم ما في مخالفتها من عقوبة . . نظرة إلى ذلك تسكفي للاقتناع بأن الله يريد من هذا كله توجيه عباده إلى الخير المحض ، حتى لا يفوتهم نصيب من فضله ، ولا يمسهم قليل من غضبه .

٢ — والمفروض طبعاً أن الله غنى عنا لا تعوزه منا طاعة ، وقادر علينا قاهر لنا لا تضيره منا معصية .

فاذا ما دعا إلى أمر فدعوة متفضل يريد بنا اليسر ولا يريد بنا العسر . . ودعوة كريم يحب أن يعطى الجزيل ، ويضاعف العطاء .

٣ — ومظهر عظمته ، وبواد رحمته أنه يلح في دعوتنا ، ويؤكد في وعده ، ويكرر لنا الآيات نتلوها في كتابه ، ونشهدا في أحداث دينانا ، وتحت أبصارنا ، وعلى مسامعنا ، وفي رقعة سمائه ، وعلى سطح أرضه ، ثم هو مع هذا يعلم من مخالفتنا لإرشاده ، ومن جنائنا على أنفسنا أكثر مما نعلم .

ولكنه مع ذلك يطاولنا بحلمه ، ويمهلنا برحمته ليفسح أمد العبرة ، ويتيح لنا فرصة المعذرة والتوبة .

وذلك كله أمر نحسه ، ولا يكابر فيه منصف يتجرد من نزعات الانحراف .

٤ — وإذا كانت الآية للتوجيه وإيقاظ الوعي الغافل ففي سياقها وموقعها من الآيات قبلها تعزيز لهذا التوجيه ، إذ وردت في سورة النساء بعد آيات سابقة فيها بيان الميراث ، وبيان العقوبات لمن يأتي بالفاحشة الجنسية ، وبيان التوبة المقبولة وغير المقبولة ، وبيان المحرمات في الزواج من النساء المحارم إلخ .

وفي هذا القدر من البيان تذكرة بفضل الله ، وتوجيه إلى شكره .

٥ — وفي تناول العقول والمدارك أن تستشف من هذا البيان ونحوه ما يريد الله لعباده من خير يبادرون إليه ، ومن تباعدهم عن ما ثم الجهالة الأولى ، والتي تعتبر شائبة من شوائب الكفر يرتطم فيها الطغاة ومن لف لفهم من الأتباع الأغبياء .

وقد أردف هذا القدر من البيان بقوله — سبحانه — « أولاً » يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم . . ويتوب عليكم ، والله عليم حكيم » .

ثم أردف ذلك كله بالآية التي معنا : « والله يريد أن يتوب عليكم »

وواضح صدر الآية أن صريح اللفظ في التوجيه كما أسلفنا ، وأن سياقها بعد الآيات التي تقدمتها يعزز ما فيها من التوجيه وهذا التوجيه المؤكد يتضمن ويستلزم حثاً جديداً على الأخذ بهداية الله : طوعية لإرادته — سبحانه — واستجابة لترغيبه ، ومجافاة لمسالك المخالفين الذين بين لنا سننهم ، وأنه أخذهم بأنواع من عذابه ، ومن الحزم أن نطرح كل دعوة تخالف دعوته : ضرورة أن دعوته حق لا شبهة فيه ، وأن ما عداها باطل لا خير فيه . .

ومن يدعو إلى الحق « أحق أن يتبع » ذلك حكم العقل ، واختيار العاطفة إذا تجرد العقل من اللوثة ، وسلبت العاطفة من الطيش .

(ب)

١ — ثم نظرة ثانية في عجز الآية نراه صريحا فيما عليه أتباع الشهوات ، وما يريدونه لسواهم من ضلالة ومجافاة لدعوة الله « ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما »

٢ — وواضح لنا فيما نشهده من حياة الغواة المعاصرين أن نزعتهم شيطانية تتمثل في أقوال مرذولة أو أعمال مستهجنة في تقدير العقول وموازن الأخلاق ، فهي حياة مشثومة يتعدى أثرها ، ويستشرى فسادها حتى تبدو نقائصها ومساوئها في حياة الجماعة التي يغلب عليها العبث ، وترجح عندها الشهوات والمتع ، أو تسود بينها الأنانية ، والتسكالب على المال ، أو على الجاه ، حتى تنصرف أو ينصرف سوادها وسادتها عن القيم الأخلاقية ، ولا تلتفت إلى تشريع الله ، ولا تتأثر بوازع الدين في أفق تفكيرها ، ومناهج أعمالها .

ولئن كانت هناك هناة تكتنف المتحائلين من الدين فانما هي بسمة من بسات الدنيا ، وهي مداعبة من مداعبات الأيام ، وهي في حقيقتها امتحان من الله ، ومهلة يختبر فيها عباده ، ثم لا تلبث الدنيا أن تعبس ، ولا تلبث الأيام أن تقسو ، ولا يلبث الامتحان أن ينتهى موسمه ، وتستقر الحياة بمن فتنتهم الحياة عند غايتها التي رسمها مبدع الحياة ، وشاءها صانع الوجود .

٣ — وكذلك إذا تجهمت الدنيا للمهتدين بهدى الله ، وكبتهم ، أو كبت بعضهم الأيام ، واضطربت حظوظهم فانما هو تحييص لعزائمهم ، واختبار ليقينهم ، وهي موجات من موجات الزمن لا تلبث أن تركن الى جانب ، ومهما شططت الخواطر هنا أو هناك فلن يفلت الأمر من يد الله ، ولكل نبا مستقر ، والله صادق حقا فيما يقول .

٤ — ومع أن مسرح الحياة تمثلت عليه العبر في شئون الناس ، وأن مآسى الطيش والمجون وآثار التحلل قد برزت فيما يصيب الأفراد ، وفيما يحيق بالجماعة المفتونة ، أو التي رضخت للفتنة ، ولم تقاومها حتى تغلغت في محيطها ، فلا يزال في الخلق كثيرون يشيخون بوجههم عن هداية الله ، ويسخرون بدعوتهم ، وينشطون في الدعوة الى متابعتهم ، واستهواء الناس الى جانبهم في مصاف الجندية للشيطان ليكونوا معهم في حضب واحد ولتكون الرذيلة شائعة مألوفة ، فلا يقال فيهم شواذ ، ولا يذكرون وحدهم بالسوء ، وقد بلغ من هؤلاء أن يصوروا أنفسهم في صورة الراشدين ، ويزعموا لأنفسهم جهاد المصالحين

وشأنهم في الحق شأن أولئك الذين حدثنا عنهم القرآن قديماً بقوله : « وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون »
وقديماً كانت فتنة الناس بالناس كفتنتهم بالشیطان ، حتى وصف الله أولئك المفسدين بأنهم « شياطين الإنس » وليس أحد أصدق من الله حديثاً .

فقصص الله عن أولئك الفاتنين لغيرهم ليس خبراً فات زمنه ، وإنما هو أمر واقع ومعاصر لنا في البيئة الحاضرة ، وغير بعيد عن أعيننا وعن مواقع أقدامنا في كل ناحية أن بيننا أناساً يتبعون الشهوات ويريدون أن يميل الناس معهم ميلاً عظيماً .

ومثال ذلك واضح في أشخاص يحملون أقلاماً آثمة وينشطون في دعوة الناس إلى التحلل ، ويغالطونهم في الدعوة زاعمين لهم أنها غيرة على المجتمع ، وإخلاص في الإصلاح ، ونهوض بالأمة إلى مشارف الحضارة .

ولكنك لا تقرأ لهم في الكثير غير مقاومة للدين ، وصد عن آدابه ، ومحاولات للغض من أتباعه .

ولا تقرأ لهم في الكثير غير نفث الفتنة في نفوس الشباب والبسطاء ، وانتزاع الحياء الفطري من وجوه الفتيات والسيدات ، واستدراج الجليل الحديد إلى ساقط الرذيلة .

ثم هم الذين يجيب لهم أن يستفزوا بعض السلطات إلى مناهضة التعليم الديني ، واستبدال غيره به ، وليس يعينهم أن يهجر القرآن في مصر أو تنحدر الأمة إلى اللادينية ، ولا أن تفقد مصر زعامتها المعترف بها قديماً وحديثاً في الشرق العربي ، بل وفي الوطن الإسلامي كله . فكل ذلك لا يساوي عندهم أن ترضى عن عملهم جهات غير إسلامية عجزت طوال حياتها عن مقاومة الإسلام ، وعن مدافعة القرآن ، حتى وجدت في نشاط بعض أقلامنا ما يمكن استخدامه في سبيل غايتها .

ولكن جميع الهيئات المسئولة في مصر أحرص على سمعة مصر ومجدها من مسaire هؤلاء الذين يتبعون الشهوات ويريدون للناس أن يميلوا معهم ميلاً عظيماً ، وفق الله حكومة الثورة وحفظها من دعاة السوء .

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

الاسماء النبوية

خاتم النبیین

- ١ -

الاسماء النبوية - خصوصها وعمومها - أهمياتها
وأصولها - أشهرها - مكانها في الكتب السماوية -
جمعها للحامد - المقام المحمود .

عن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لى خمسة
أسماء : أنا محمد وأحمد ؛ وأنا الماحى الذى يحو الله بى الكفر ؛ وأنا الحاشى الذى
يحشر الناس على قدمى ؛ وأنا العاقب . (رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى)

* * *

لا يريد النبى صلى الله عليه وسلم أن يحدده أسماء الشريفة بهذا العدد، تحديد أصابع اليد،
وإلا لم يحدثنا بأن له أسماء غيرها كثيرة ، وإنما أراد أن لها من الفضائل والمزايا ما ليس
لغيرها ، كما ينبىء عن ذلك تفسيرها ، أو أنه اختص أو شهر بها ، فى أمته والأمم التى قبلها .

ولا يريد صلى الله عليه وسلم بذكر أسمائه أن نعددها ونزددها ونتباهى بها ، وإنما أراد
أن نتدبر ما احتوت عليه من معان سامية ، أو أشارت إليه من آداب عالية ، فنسمو بها
ونتعلل بأخلاقها ، حتى نرفع رءوسنا ونكون جدراء بالانتساب إليه . . .

* * *

من أسمائه صلوات الله وسلامه عليه خاص وعام :

فأما الخاص فهو الذى لا يشركه فيه غيره من الرسل كهذه الأسماء الخمسة ، والمقفى ، وهو الذى قفى من قبله فكان آخرهم ، ونبي الملحمة وهو الذى بعث ليجهاد أعداء الله جهادا كبيرا .

وأما العام فهو الذى يشاركه فى معناه غيره من الرسل ، ولكن له منه ذروته وكماله ، فضلا من الله عظيما ، وذلك كرسول الله ونبيه وعبدته ، والشاهد والبشير والنذير ، ونبي الرحمة ونبي التوبة .

فاذا جعل له من كل وصف من أوصافه اسم تجاوزت أسمائه المائتين عدا ، كالصادق والمصدق والرهوف والرحيم ، ومن هنا قال من قال من الصوفية إن لله تعالى ألف اسم وللنبي صلى الله عليه وسلم ألف اسم مثلها ! !

على أن من تدبر أسماء صلوات الله وسلامه عليه لم يجدها أعلاما محضة لجرد التعريف كما هو الشأن فى أسماء الناس ، بل يجدها مشتقة من صفات قائمة به توجب مدحه وتشير إلى كماله ، شأن أسماء الرب تعالى جده ، وأسماء كتابه ، وأسماء أنبيائه ، ليست أعلاما مجردة ، ولكنها مع العلمية نعوت وصفات توجب لموصوفها السناء والثناء كما يليق به . وكثرة الأسماء والصفات دليل على العناية بأصحابها ، ومن هنا قيل : إن كثرة الأسماء برهان على شرف المسمى .

* * *

وحسبنا فى حديثنا هذا أن نلم بمعانى هذه الأسماء الخمسة ، فانها أمهات الأسماء النبوية وأصولها . ومن ابتغى زيادة فى البسط والتفصيل فليرجع إلى زاد المعاد . . وجلاء الأفهام . . وكلاهما لشمس الدين بن القيم ، ثم إلى المواهب اللدنية وشرحها . . وعلى هذه الثلاثة أكثر تعويلنا فى شرح هذه الأسماء .

* * *

فأما مجد : فقد استفاضت الأنبياء بأنه لما حملت به صلى الله عليه وسلم السيدة آمنة ، بشرت فى منامها بأنها تحمل سيد هذه الأمة ونبيها ، وأمرت أن تسميه إذا وضعته مجدا ، وأنه لما كان سابع ولادته صلى الله عليه وسلم عرق عنه بكبش جده عبد المطلب . . وألهمه الله تباركت أسمائه أن يصدق رؤيا أمه فيسميه تسميتها . . فلما قيل له : يا أبا الحارث ما حملك على أن تسميه مجدا وليس من أسماء آبائك ولا قومك ؟ ! قال : أردت أن يحمد الله فى السماء ، ويحمده الناس فى الأرض .

فحمد اسمه الأول الذى سماه الله به فى عالم الرؤيا ، على لسان البشير الذى بشر به أمه ، ثم سماه به فى عالم الرؤية على لسان جده وكافله عبد المطلب .

وحمداً اسمه الأشهر الذى سماه الله به فى غير آية من كتابه الذى لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه « وما حمداً الرسول قد خلت من قبله الرسل » ، « ما كان حمداً أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » ، « حمداً رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » .

وحمداً اسمه الأسبق الذى سماه الله به فى التوراة ، على ما حققه وارتضاه ابن القيم فى كتابيه السابقين ، خلافاً لما ذهب إليه أبو القاسم السهيلي والقاضى عياض على ما نشير إليه

* * *

وأما أحمد ، فهو الذى يلى حمداً فى فضله وسبقه وشهرته حتى كأنه هو فى كل معنى يتصل به أو يرمز إليه ١١ ، ولا عجب إذ كان كلاهما منقولاً من الحمد فهو يتضمن الثناء على المحمود كما يتضمن محبته وإجلاله وتعظيمه واتباعه فى كل ما جاء به .

وإذا غلب على الأول أنه المحمود حمداً بعد حمد : عند الله وعند ملائكته ، وعند إخوانه المرسلين من قبله ، وعند أهل الأرض جميعاً — بله الجاحدين والجاهلين منهم — وعند الأمم قاطبة فى موقف الحشر ؛ فقد غلب على الثانى أنه أحق الناس وأولاهم بأن يحمداً هذا الحمد ، فالاسمان كلاهما واقعان — كما اختار ابن القيم — على صيغة المفعول ، والفرق بينهما أن حمداً كثير الخصال التى يحمداً عليها ، وأحمد هو الذى يحمداً بحق أكثر مما يحمداً غيره ، فرد الأول إلى الكثرة والسكينة ، ومرد الثانى إلى الصفة والكيفية .

وأياماً كان الأمر فقد أوتى صلى الله عليه وسلم من خصال الثناء والحمد ، ما لم يؤت أحد ، فكان أعظم من حمد ، وأجل من حمد ، وسبحان من لا ينتهى عطاؤه عند حد .

* * *

وأحمد هو الاسم الذى سماه الله به فى الإنجيل على لسان عيسى بن مريم عليهما السلام إذ قال « يا بنى إسرائيل إني رسول الله إليكم مصداقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » تلك تسميته وبشارته فى الإنجيل بلا خلاف ولا ريب .

(١) فى الرواية التى اخترناها « أنا حمداً وأحمد » نكتة لطيفة تؤكد هذا الاتصال ، حيث عطف الثانى على الأول من غير الضمير الفاصل .

وإنما الخلاف فيما سمي به في التوراة : هل هو مجد أو أحمد ؟

قال أبو القاسم السهيلي والقاضي عياض وصاحب الفتح : كان عليه الصلاة والسلام أحمد قبل أن يكون مجدا كما وقع في الوجود ، فان تسميته أحمد وقعت في الكتب السالفة وتسميته مجدا وقعت في القرآن الكريم ، وذلك أنه حمد ربه قبل أن يحمده الناس ، وفي الآخرة يحمده ربه فيشفعه فيحمده أهل الموقف ، وقد خص بسورة مجد وبلواء الحمد وبالمقام المحمود، وشرع له الحمد بعد الأكل والشرب والدعاء وغيرها ، فجمعت له معاني الحمد وأنواعه .

* * *

وقال ابن القيم في أثناء رده واختياره : إنه صلوات الله وسلامه عليه عرف عند كل أمة بأعرف الوصفين لديها . . فلما كانت أمة موسى أوسع علما ومعرفة وشرعة ومنهاجا من أمة المسيح ، عرف عندها بالاسم الجامع للحمد التي يحمدها عليها حمدا متكررا ، وهذا إنما يعرف بعد العلم بنحوال الخير وأنواع العلوم والمعارف والأخلاق والصفات التي يستحق تكرار الحمد عليها ، ولا ريب أن بني إسرائيل هم أهل الكتاب الذي كتب الله فيه من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء .

ولما كان الإنجيل كأنه مكمل للتوراة ومتم لها ، جاء فيها اسمه الدال على الفضل والكمال كما جاءت شريعتهم بالفضل المكمل لشريعة التوراة .

ولما كان القرآن الكريم مصدقا لما بين يديه من التوراة والإنجيل وجامعا لمحاسنهما معا جاء كذلك بالوصفين جميعا .

* * *

وأما المأخى : فهو الذى محا الله بنوره ظلمات الكفر ، ولم تمح هذه الظلمات بأحد من الخلق كما محيت به صلوات الله عليه ، فانه بعث وقد أطبق الكفر على أهل الأرض قاطبة إلا بقايا من أهل الكتاب .

والكفار ما بين عباد أوثان ، وعباد كواكب ، وعباد نار ، ويهود ونصارى ، وصابئة دهرية ، لا يعرفون ربا ولا معادا ، وفلاسفة لا يعرفون شرائع الأنبياء ولا يقرون بها ، فحيا الله بنبيه المسيح صلى الله عليه وسلم هذه الظلمات ، وأظهر دينه على كل دين غيره حتى بلغ مبلغ الليل والنهار ، وسار مسير الشمس في الأقطار .

وأما الحاشر : فهو الذى يحشر الناس على قدمه ؛ لأنه أول من تنشق عنه الأرض ثم الناس على أثره يحشرون ، وإليه فى المحشر يلجئون ، وبه عند الفزع الأكبر إلى ربهم يتوسلون ، وهنالك يتجلى مقامه المحمود الذى يحمد له الأولون والآخرون .

* * *

وأما العاقب : فهو فى معنى المقفى والآخر ؛ لأنه تبع آثار من سبقه من الرسل فكان خاتمهم . . .

وهذا الاسم صريح فى أنه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فلا نبى بعده ، وقد فسر بهذا عند مسلم ، فى إحدى روايته لهذا الحديث نفسه « وأنا العاقب ، والعاقب الذى ليس بعده نبى » وفى الرواية الأخرى « وأنا العاقب الذى ليس بعده أحد » وقد تظاهرت الدلائل القاطعة ، والبراهين الساطعة ، من صريح الكتاب والسنة ، وإجماع الأمة على أنه أتى عقب جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وأن به انتهاء النبوة وحسن الختام .

وحسبنا من صريح الكتاب قوله عز وجل : « ما كان محمداً أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » ومن صحيح السنة قوله صلوات الله عليه فيما رواه الشيخان « إن مثلى ومثلى الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة . قال فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » .

ونرجو أن نقفى على هذا بمزيد بيان فى الجزء الآتى إن شاء الله ما

ط محمد الساكنت

من الهداية الحمديدية

* ما كرهت أن تواجه به أخاك فهو غيبية

* ما كرهت أن يراه الناس منك فلا تفعله بنفسك إذا خلوت

رسول الله صلى الله عليه وسلم

عَظُرَ الدُّنْيَا بِذِكْرِ (المصطفى) انه رَوْضُ الْبَرَايَا أَجْمَعِينَ
رَبِّهِ أَثْنَى عَلَيْهِ . . . وَكَفَى عَصْمَةَ الْعَالَمِ فِي دُنْيَا وَدِينِ
يَا رَسُولَ اللَّهِ - يَا عَظِيمَ الْجَاهِ - يَا ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ
رَحْمَةً أَنْتَ لِكُلِّ الْعَالَمِينَ

* * *

جِئْتَ وَالِدُنِي ظِلَامٌ فِي ظِلَامٍ تَشْتَكِي لَكَ ظُلْمَ الظَّالِمِينَ
فَرَأَى النَّاسَ شَمْسًا لِلْأَنَامِ حِينَمَا لُحِتْ ، وَخَيْرَ الْعَادِلِينَ

* * *

وَتَجَلَّى الشَّرْقُ عَنْ صَبْحٍ عَجِيبٍ حَارٌّ فِي أَضْوَائِهِ كُلِّ لَيْلٍ
لَا حَ مِنْ (مَكَّة) مِنْ أَرْضِ الْحَبِيبِ شَمْسُهُ مِنْ نُورِ رَبِّي لَا تَغِيبُ

* * *

وَصَحَا الْكَوْنُ عَلَى النُّورِ الْجَدِيدِ وَعَلَى أَنْعَامِ (جَبْرِيل) الْأَمِينِ
إِنَّهُ (الْقُرْآنُ) وَالْعَهْدُ السَّعِيدُ إِنَّهُ الْحَقُّ وَخَيْرُ الْمُرْسَلِينَ

* * *

دَعَا نَحْوَ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ أَبْصَرَ النَّاسَ بِهَا الْخَيْرَ الْعَمِيمِ
كُلُّهُمْ يَجْمَعُهُمْ (طَه) الْيَتِيمِ أَخُوَّةٌ ؛ وَهُوَ الْأَبُّ الْبَرُّ الرَّحِيمِ

* * *

يَا رَسُولَ اللَّهِ يَا نُورَ الْوُجُودِ يَا مَنَارَ الْمُتَهَدِّينَ الْمُصْلِحِينَ
جِئْتَ وَالْعَالَمِ يَغْشَاهُ الرُّقُودُ بِصَبَاحٍ دُونَهُ الصَّبْحُ الْمُبِينِ

* * *

إن تكن حطمت أصنام الحجر فلقد حطمت أصنام البشر
وجلوت العدل في أبهى الصور فاطمأن الناس بدو وحضر

* * *

كبروا لله لا رب سواه إنه أكبر من كل كبير
وتساوى الكل في شرع الإله خيرهم من يتقى الله القدير

* * *

ربنا يا مرسل الرسل الكرام والحبيب المصطفى مسك الختام
أصلح اللهم أحوال الأنام ليعيش الكل في ظل السلام
وارحم اللهم كل العالمين

محمد الاسمر

محمد ﷺ والذين معه

مجد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون
فضلاً من الله ورضواناً سيّاهم في وجوههم من أثر السجود . ذلك مثلهم في التوراة ، ومثلهم
في الإنجيل كزراع أخرج شطئه فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم
الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً

عائمة - سورة الفتح

من أدب النبي ﷺ

إن التحدث عن آداب الرسول صلوات الله وسلامه عليه مما لا يشبع منه العلماء ، ولا تملئه النفوس المؤمنة على كثرة الترداد ، ولا يقضى منه العجب . ومهما كتب الكتاتون وتحدث المتحدثون فإن يوفوا هذا النبي الأُمى العربي حقه من الشكر والثناء عليه بما هو أهله ، ولن يسيطوا اللثام عن كل ماله من الفضائل والآداب السامية والجوانب النفسية المستورة . وكيف وقد جعله الحق تبارك وتعالى مثالا للكمالات الإنسانية في عصره وفيما قبل عصره وفيما بعد عصره ، وستبقى السيرة النبوية الوضيئة مشغلة العقل البشري حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وصدق القائل :

وعلى تفنن مادحيه بوصفه يفنى الزمان وفيه مالم يوصف

ولن أستطيع - في مقال - أن أتكلم عن الأدب المحمدي ، فذلك أمر يطول ، ولكنني سأتناول جانباً من الجوانب الأخلاقية العالية في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ومعاملته لأصحابه ومن يعرف ومن لا يعرف من الناس ، وهو نوع من الآداب اصطلاح الناس على تسميته « بالآداب الاجتماعية » مما يتعلق بأدب الحديث ، وأدب اللقاء ، وأدب المجالسة والمؤانسة ، وأدب الحفاظ على الود وعرفان الجميل والإثابة عليه ، إلى نحو ذلك من الآداب . وقد أوفى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه في هذا المضمار على الغاية ، وحاز قصب السبق . ولم يكن هذا الأدب العالي عن تصنع وتكلف - كما يفعل كثير من الناس اليوم - ولكنه أدب الطبع الهادئ ، والنفس المطمئنة ، والفطرة السليمة ، والعاطفة الخيرة ، والعقل الكبير .

فمن ذلك أدبه صلى الله عليه وسلم في إجابة الداعي ، وفي لقاء الأصحاب بالبشاشة والترحاب . قالت عائشة رضي الله عنها « ما كان أحسن خلقاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما دعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته إلا قال لبيك » . وها نحن اليوم في القرن العشرين ، قرن الحضارة والرقى كما يقولون ، ولم نصل إلى هذا الأدب في إجابة النداء . وحدث جرير بن عبد الله قال : « ما جئني رسول الله صلى الله عليه وسلم قط منذ أسأمت ، ولا رأيته إلا تبسم » .

ومع ما كان عليه رسول الله من الجِد وتَرَك الهزل فقد كان يمازح أصحابه مزاح الأدب والوقار ، ولا يقول حين يمزح إلا حقاً . وكان يخاطبهم ويحدثهم ويسأل عن غاب منهم ويكنيهم ويدعوهم بأحب أسمائهم إليهم تَكْرَمة لهم وإدخالاً للسُرور على أنفسهم ، ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويحجب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين ، وربما تلقاه المرأة في الطريق فتستوقفه فيصنئ إليها حتى تنتهي من عرض حاجتها . ويأخذ العفو من أخلاق الناس وطبائعهم ، ويقبل عذر من اعتذر إليه ، ويعود المرضى مهما بعدت ديارهم ، ويدعو لهم بخير ، ويبصرهم طريق الهدى والفلاح .

ومن أدبه العالى - فى الحديث والمصاحفة والسلام - أنه كان لا يقطع على أحد حديثه حتى يتجاوز فيقطعه بانهاء أو قيام ، وإذا استمع إلى مسارة إنسان لا يعرض عنه حتى يكون المسار هو الذى يعرض . قال أنس رضى الله عنه : « ما التقم أحد أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فينحى رأسه حتى يكون الرجل هو الذى ينحى رأسه ، وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخذ » . وكان يبدأ أصحابه بالمصاحفة ، ويبدأ من لقيه بالسلام ، ويسلم على من يعرف ومن لا يعرف . ومن إرشاداته السامية : « ألا أدلكم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » ، ويسلم على الرجال والصبيان ، ولا يخفى ما فى هذا الأدب من تأليف القلوب وغرس المحبة فى النفوس وإشاعة الأمن والطمانينة بين الناس .

ولم ير رسول الله صلوات الله وسلامه عليه مقدما ركبتيه بين يدي جليس ولا مادا رجليه بين أصحابه حتى يضيق بهما على أحد ، فأين من هذا الأدب السامى ما يفعله بعض الرجال والنساء اليوم فى المحافل والمربكات العامة من مد الرجلين ووضع الساق على الساق فى غير تأدب ولا احتشام مما يضيق على الجالسين والمارة ويؤذى الشعور الحى وتتقذز منه النفوس السليمة .

ومن أدبه صلى الله عليه وسلم فى لقاء الوافد إليه أنه يكرم وفادته ويبالغ فى بره ويتلقاه بالبشر والترحيب ، وربما بسط له ثوبه ، وآثره بالوسادة التى تحتها ، ويعزم عليه فى الجلوس عليها ، ولم نعلم أحدا أعرف للجميل وأحرص فى المكافأة عليه منه صلى الله عليه وسلم ، وكيف وهو القائل « من أسدى إليكم معروفا فكافئوه عليه فان لم تقدروا فادعوا له بخير » .

ولما وفد عليه وفد النجاشي قام يخدمهم بنفسه ، فقال له الصحابة : نحن نكفيك يا رسول الله ، فقال : إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين ، وإني أحب أن أكافهم . ولما جرى بأخته من الرضاع الشيء في سبايا هوازن وتعرفت عليه بسط لها رداءه وقال لها : « إن أحببت قمت عندى مكربة محببة ، أو متعتك ورجعت الى قومك » فاختارت قومها ، فمتعها .

وحدث أبو الطفيل فقال : « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم - وأنا غلام - إذ أقبلت امرأة حتى دنت منه ، فبسط لها رداءه فجلست عليه ، فقلت : من هذه ؟ قالوا أمه التي أرضعته » وعن عمرو بن السائب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فأقبل أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعده عليه ، ثم أقبلت أمه من الرضاعة فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ، ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجلسه بين يديه . »

ومن بره وعطفه وعرفان الجليل لكل من أسدى إليه معروفا أنه كان بعد وفاة السيدة الجليلة خديجة زوجها يذبح الشاة ثم يقول : أرسـلوا منها الى صويحبات خديجة ، وكان يبعث الى ثوية مولاة أبي لهب التي أرضعته بصلوة وكسوة ، فلما ماتت سأل : من بقى من قرابتها ؟ فقليل : لا أحد .

هذه بعض الآداب المحمدية ، وهي أرقى ما يطمع فيه مجتمع راق متآلف ، وأفضل ما تصبو إليه النفوس والفطر السليمة ، لأنها صدرت عن أدب الناس وأعقلهم وأطهرهم فطرة وأعظمهم خلقا . فكونوا - يا بنى الإسلام - مجدين في أخلاقكم وآدابكم ، وكونوا بها مجتمعاً إسلامياً صحيحاً ، ودعوا ما وفد إلينا من عادات وتقاليد لا تتفق هي وديننا ، فقد بلى المجتمع الإسلامى بعبادات وأوضاع سقيمة ، ووجدت من بعض ضعاف النفوس هوى وقبولا ، فياكم وإياها ، واتبعوا آداب من أدبه ربه فأحسن تأديبه ، وخطبه بقوله : « وإنك لعلى خلق عظيم »

محمد محمد أبو سريته

الأستاذ بكلية أصول الدين

عقوبة الأعدام

اطلعت في الأهرام من فترة على اقتراح بإلغاء عقوبة الإعدام تقدم به الدكتور ملاك جرجس السيكلوجي في وزارة الشؤون الاجتماعية وأستاذ علم الأجرام السابق بجامعة عين شمس إلى الجهات المختصة ، وقدم مع اقتراحه كما تقول الأهرام مذكرة تتضمن تأليف لجنة من ممثل أو أكثر من وزارة الشؤون الاجتماعية والعدل والداخلية ومصلحة السجون ، وممثل أو أكثر من طوائف رجال الدين ، للنظر في إمكانية إلغاء عقوبة الإعدام من قانون العقوبات المصري ، ويذكر أن ارتفاع المجتمع له أثر في تناقص حالات الأعدام وتنعدم هذه العقوبة إذا اكتمل المجتمع ارتفاعه ، ويستشهد لذلك بتطور هذه الظاهرة في ألمانيا ، وسويسرا . هذا ما يقوله الدكتور كما نشر في الأهرام .

ولا أريد أن أقول للدكتور أن هذه عقوبة يقرها دين عظيم محترم هو دين الإسلام نزل بها القرآن الكريم وبينتها السنة المطهرة وجرى عليها المسامون أحقاباً من الزمان إلى يوم الناس هذا ، وهي حد من حدود الله يقول فيها « ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » أفما كان ينبغي مراعاة شعور أهل هذا الدين ؟ !

وان تعجب فعجب أن بعض الجرائد من حقبة مضت عملت استفتاء في هذا الموضوع - موضوع هذا الألغاء - فأجاب كثير من المسلمين بأنه يجب الألغاء ، وكان في مقدمتهم محام كبير تقدمت به السن ووقفت به على شفا القبر ، ولم يخرج وهو مسلم شرع دينه تلك العقوبة من أن يقول في جرأة غريبة يجب إلغاء هذه العقوبة لصراحتها وشدها . ومع ذلك فلا أريد أن أتكلم مع الدكتور ولا مع غيره من الناحية الدينية فأنما هو باحث والباحث لا يتقيد بدين ولا كتاب كما يقال في هذا الزمان ، وقد شاعت في هذه الأيام نظرية خاطئة بأوسع ما تحتمله هذه الكلمة من معنى وهي : العلم شيء والدين شيء آخر - ولا أدري كيف يسمى علما ما يخالف الدين ويثبت غير ما يئنه الدين وهو تنزيل من حكيم حميد لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولكن على كل حال هكذا أشيع وعلى ضوء هذه الإشاعة - ان كان للأشاعات الخاطئة ضوء - سأتكلم مع هؤلاء الناس .

ولا أنكر ولا ينكر أى إنسان عاقل أن عقوبة كعقوبة الإعدام عقوبة صارمة شديدة ترتجف منها الأفتدة وتجف منها القلوب ، ولكن هل يعاقب بها الناس لأسباب تافهة وجرائم بسيطة خفيفة - لا - لا - لم تشرع تلك العقوبة لشيء من ذلك ، وإنما شرعت لأسباب اذا خصها العقل السليم وفكر فيها الفكر الخالص من شوائب الأغراض والميول الخاصة وتدبرتها النفس الصافية الناضرة للمصلحة - وللمصلحة فقط - فأنها لا تنتهى إلا بنتيجة واحدة حاسمة وهى أن كل سبب من هذه الأسباب يجب - بحسب الحكمة والمصلحة العامة للمجتمع - أن تكون عقوبته الإعدام ، وأن تشرع عقوبة غير هذه العقوبة يكون خطا فى التشريع ، ونقصا فيه يدل على جهل مشرعه وعدم بصره بالأمور وعواقبها .

أما هذه الأسباب فقد بينها معلم الإنسانية الأكرم صلى الله عليه وسلم بقوله كما رواه البخارى ومسلم « لا يحل دم امرئ مسلم إلا بأحدى ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » .

هذه هى الأمور التى جعل كل واحد منها سببا لعقوبة الإعدام ، وهى من الظهور بحيث تقع المتأمل أدنى تأمل بصدقها وكفائتها فيما رتب عليها من عقوبة الإعدام .

الأمر الأول (الثيب الزانى) والمراد الزانى من الثيب ، والثيب من سبق له اتصال جنسى بنكاح صحيح رجلا كان أو امرأة ، إذ الثيب يطلق على الرجل والمرأة جميعا ، قال فى القاموس : والثيب المرأة فارقت زوجها أو دخل بها ، والرجل دخل به . ولا يرتاب عاقل فى أن الزنا قبيح أشد ما يكون القبح ، فاحش أشد ما يكون الفحش ، وفاعله مقترف أكبر جرم وأصعبه وضع النفس حقير مهين بين الناس ، فقد هتك الأعراض ، ودنس الشرف ، وفضح الحرائر ووصمهن بعار الأبد ونزبه ، وخان الآباء والأبناء والأزواج ، ونسب الأولاد لغير آبائهم فخلط الأنساب بعضها ببعض ، وورث الناس ما لم يكونوا يرثون ، فاذا كان الزانى الأثيم محصنا كان إجرامه أشد وخيائنه أكبر ، فانه كالغنى الملىء يطمع فى مال الفقير المعوز وله عنه غنى ، وكالكلب يلغ فى الخبائث ، يترك الطيبات من الرزق الى أكل الخبيث الرجس ، أقبعد ذلك تكون له كرامة تصان أو حفظ من الاحترام أو يستحق الحياة ، وقد هتك الأستار وكشف العورات ، والنفس مفطورة على صيانتها وحفظها ، ولقد بالغ العرب فى جاهليتهم فى حفظ الأعراض حتى كانوا يثدنون بناتهم خشية العار والفضيحة وان كان هذا لا يقره الإسلام ولا ترضى به العقول الرشيدة ، ولكنه مع كل حال يدلنا على أن المحافظة على العروض تقضى بها الفطرة وتوحى بها

الرجولة الحقّة والمروءة العظيمة . فيأبى العقل المجرد تأمل في مضار الزنا واحكم على فاعله بما تراه ، هل تراك حاكماً الا بأن تهدر كرامة هذا المجرم الأثيم وتسلب حياته كما هدر أعراض الناس وسلب شرفهم ودنسه . أعتقد أن انفسانا لا يتأمرى في هذا الجزاء الا أن يكون طلق عقله وماتت مروءته وغيرته .

الأمر الثانى : (النفس بالنفس) ومعناه أن من قتل عمداً عدواناً نفساً معصومة حرم الله قتلها ، وبين النفسين تكافؤ وتماثل ، فانه يقتل به جزاء وفاقاً ، وأرانى لست فى حاجة الى بيان أن جزاء من فعل هذا لا يكون عند أولى الرشد والعقل السليم إلا القتل والإعدام فقد أزهق ظلماً نفساً مصونة من حقها أن تحيا وأن تتمتع بطيبات الحياة ، فقطع هذا الجانى عليها حياتها ، ورمى نساءها ، ويتم أطفالها ، وأضاع حقوقها ، وخرب بيتها ، فهل بعد ذلك يقول قائل مهما كان : إن هذا لا يستحق الإعدام . ولماذا ؟ وليس يراد أن يفعل به إلا ما فعله بغيره ، والمفروض أن ذلك الغير كفء له ولم يرتكب جريمة يستحق عليها القتل ، ولا عذر للقاتل فى قتله ، فان كانت العقوبة قاسية فقد قسا ، وإن كانت عادلة فقد جار وظلم - يارب الناس هل مثل هذا يجب فى الناس من يقول دعوه واحفظوا عليه حياته ، فان عقوبة الإعدام بالنسبة له قاسية - أظن أنه لا يرى هذا الرأى عاقل .

وزعم أن ارتقاء المجتمع يمنع وقوع جريمة القتل زعم فاسد ، فما زلنا نسمع أن فى لندن وهى راقية حياً خطراً يطمقون عليه اسم (سوهو) مملوء باللصوص والقتلة من بريطانيا أو أصل أجنبى ، كما جاء بالجمهورية .

الأمر الثالث : (التارك لدينه المفارق للجماعة) والمقصود بهذا المرتد عن دين الإسلام (والعياذ بالله) الذى يترك جماعة المسلمين ويطرح دينهم ظهرياً ويعتق ديناً غير دينهم ، ولا يغرب عن البéal أن الدين عقيدة تحيا بها العقول وتسعد النفوس ، وتقضى الطباع السليمة أن المرء يفنى فى سبيل عقيدته والذود عنها والمحافظة على سعادته وصونها ، وقد حدثنا التاريخ أن كثيراً من العقلاء فنوا فى سبيل عقائدهم والمحافظة على دينهم ، ولست أذهب بعيداً ، فتورة الاربجتين التى شبت نارها واستعر لظاها وماتت فيها نفوس كثيرة لم تكن إلا فى سبيل العقيدة والدين - إذن فالإنسان يقدم نفسه للقتل اختياراً فى سبيل دينه ، وهكذا قد فعل الإسلام ، فاذا ترك هذا الدين إنسان استهانة به ، واعتنق غيره فقد لوث شرفه ودنس نفسه وأما قلبه ، فتذهب حرمة وعصمته وتهون على الناس كرامته ، فمثله يجب نبذه من المجتمع الإنسانى لئلا يضره ويؤذيه ويشيع أكبر الكجائر فيه لا جزاء له إلا هذا . وربما يقول أولئك الناس إن العقوبات إنما شرعت لإصلاح حال الذى أجرم وليس فى عقوبة الإعدام صلاح له بل هى له موت فيه لصلاحه فوت .

وأقول إن هذا من قصر النظر وعدم التبصر في القواعد وسطحية التفكير مع زعمهم التعمق والبحث الدقيق ، لاحظوا في بحثهم مصلحة الجاني فقط ونسوا أن هناك مصلحة أكبر وفائدة أعظم هي مصلحة المجتمع ونقاؤه من الفساد والتحلل الخلقى ، ذلك أن مضار هذه الجنايات إنما تقع على المجتمع نفسه لا على الجاني ، وهل يرتاب ذو مسكة من عقل أن الزنا وقتل النفس المعصومة ظلما وعدوانا وتبديل دين الإسلام بدين آخر واقعة على المجتمع ، نكلها إشاعة للفاحشة بين الناس ، وداعية للفوضى في الأخلاق والحرمات ، ورافعة الثقة بين الناس وجاعتهم يخاف بعضهم بعضا ويخشاه ، وأى صلاح لمجتمع تشيع فيه الفاحشة وترتفع فيه الثقة ويملاً الخوف قلوب أهله .

لا بد أن نصون هذا المجتمع ونحافظ عليه ، وإذن فيجب أن نشرع من العقوبات ما يردع هؤلاء المجرمين عن إجرامهم لنضمن للمجتمع صلاحا وهدى ورشادا ، وأضمن شئ لذلك هو عقوبة الإعدام فوجب أن نشرع ، ولا يمكن أن تقوم عقوبة أخرى مقامها مهما عظمت ، فكم رأينا متهمين في جنايات عقوبتها الإعدام إذا ثبتت يقفون هم وأهلهم في ساحة العدالة في انتظار الحكم واجمين مضطربين خائفين لا تكاد تحملهم أرجلهم . فإذا حكم القاضي بعقوبة الإعدام أغمى على بعضهم وهذى بعضهم وجن جنون الآخرين . وإذا حكم القاضي بالسجن المؤبد وهو أكبر عقوبة بعد الإعدام انطلقت الزغاريذ وفرح الناس وربما أقاموا الزينات وعملوا الاحتفالات ، وهذا وحده يشهد بأن عقوبة الإعدام لا يقوم مقامها شئ أبدا .

على أن هذه العقوبة قد أحاطها الشارع الحكيم بما قد يكون في مصلحة الجاني فقال « ادروا الحدود بالشبهات » وإذن فلا يعاقب بهذه العقوبة إلا من كان معتديا صارخ العدوان فاحشا ظلما لا شبهة له فيما ارتكب ولا مبرر له أدنى مبرر فيما جنى ، وهذا أمر واضح غاية الوضوح .

فيا أيها الناس فكروا طويلا قبل أن تتكلموا ، واجعلوا ألسنتكم من وراء عقولكم ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل ، عسى ربكم أن يرحمكم ويهديكم صراطا مستقيما . أسأل الله لى واسم التوفيق والهداية ما

محمد الطنيجي

عضو جماعة كبار العلماء
ومدير عام الوعظ والإرشاد

عبث جامعى

« نشرت مجلة (الحياة الجامعية) أن عددا كبيرا من طلبة إحدى الجامعات ينكرون وجود الله ؛ لأنهم وجوديون : ولأن كثيرا من أساتذتهم يؤمنون بالوجودية »

والوجودية - كما تصورتها من قراءتى - مذهب فلسفى يقوم على العبث والتخريف والهزل أكثر مما يقوم على التعقل والجد ، وليس أدل على ذلك من أن أكبر دعائه (جان بول سارتر) يدعو دعوة صريحة الى الانتحار فمن أقواله « أليس من الحكمة أن يتخلص الإنسان من هذا العالم غير المعقول بالانتحار » فاذا تحدث عن فكرة الألوهية تحدث حديث الهاذى المحموم الذى يرسل القول على عواهنه ، ويلقيه على رسيالاته ، دون تحقيق علمى ، أو برهان منطقي ، وفى هذا الصدد يقول : « هذا العالم وجد بلا داع ، ويمضى لغير غاية ، وجود الله افتراض ، وهو يكلفنا كثيرا ، فنحن نلغيه » .

ثم نلقى نظرة على أتباعه فنجدهم أقرب الناس الى المجانين : شعور طويلة ؛ ولحى مرسله وملابس مزركشة ، ومظهر غريب ، ولهم فى باريس أندية خاصة يجتمعون فيها ليخرجوا عن كل عرف ، وليتمتعوا كما شاء لهم التمتع دون رقيب أو حسيب ، وهم يدعون الى الإباحية والتحرر ، ويحرضون على ارتكاب الموبقات علنا وعلى قارعة الطريق .

وأنه ليؤلم النفس أشد الألم أن يكون من أبنائنا المسلمين ، ومن طلاب الجامعات من يجيب هذه الإجابة التى لاتتفق مع دين ولا خلق ولا إنسانية ولا رجولة ، فيقول حين يسأل عن مستقبل أبنائه وبناته - كما نشرت المجلة التى أشرت إليها - سأعلم أولادى احترام اللصوصية ، وبناتى احترام الدعارة !

والبشرية ليست فى حاجة الى من يدعوها الى انكار وجود الله ، ويرشدها الى الطريق السوى للتخلص من الحياة بالهجرة الاختيارية عنها ، واسكنها فى حاجة ماسة الى من يبعث الطمأنينة فى النفوس ، ويشيع الأمل والرضا فى القلوب ، والى من يأخذ بيدها

فيجنبها كوارث العلم ، وشطحات الفلسفة ، وانحرافات الوجدان . ولست أؤمن بأن هناك دواء أنجح ، ولا علاجاً أحسن للداء من الدين ، والدين — لو أحسننا التدين — هو العاصم من زلل العقل وتهوس العاطفة ، وثورة الغريزة . الدين هو القوة الوحيدة التي تستطيع أن تنجو بسفينة الفكر الراقصة على بحر الحياة ، فتدفع عنها الموج العاتى ، وتدود العواصف الهوج .

وهذه المعانى التي تؤيدها التجربة وواقع الحياة ، لم يناد بها رجال الأديان — وحدهم — وإنما نادى بها الحكماء قديماً وحديثاً ، كما أيدها علماء النفس ، وكما اهتدى إليها الشعراء ، ومما يؤثر عن (نيكيتور هوجو) قوله : « الجهل خير من العلم الفاسد ، أنا أطلب بل أريد من صميم قلبي أن يكون التعليم دينياً » ، وقوله : « يجب أن يساق الى المحاكم من يرسل ولده الى مدرسة كتب على بابها : لا تعلم الديانة هنا » ، ومما يؤثر عن (روسو — وهو من هو — هذه الكلمة التالية : « شر الشرور في أعمالك أن يكون الله مجهولاً فيها ، فان في ذهاب الديانة تقويضاً لأركان الهيئة الاجتماعية » .

والشباب في بعض مراحل الحياة تتأهبهم موجات من القلق والاضطراب ، وتتسلط على نفوسهم أوهام اعتقادية هي أقسى عليهم وأشد من الأمراض الفتاكة ، والأوبئة المجتاحة ، ويذهبون يلتمسون علاجاً لهذا القلق عند المذاهب الفلسفية ، أو المجادلات الكلامية ، فيزدادون حيرة وضلالاً ، ولو أنهم هدوا السبيل ، وأرشدوا الى الطريق القويم لالتسوا علم ذلك من منابع الدين الأولى ، تلك المنابع الصافية ، بل لعلهم لو تأملوا أنفسهم ، واستوحوا الفطرة البسيطة ، لوجدوا ضالتهم ، ولأراحوا نفوسهم من سفر طويل ، ليس وراءه إلا التعب والمشقة والاعتساف على غير هدى ، وهم حين تهديهم الفطرة ، أو يرشدهم التعقل يجدون الراحة والسكينة ، وينعمون بالهدوء والطمأنينة ، فان في الدين البلسم الشافي ، والبريق مما يشكون منه ، وينوءون به .

يقول كارل يونج — أعظم الأطباء النفسيين في هذا الجيل — : « استشارني في خلال الأعوام الثلاثين الماضية أشخاص من مختلف شعوب العالم المتحضرة ، وعالجت مئات من المرضى ، فلم أجد مشكلة واحدة من مشكلات أولئك الذين بلغوا منتصف العمر ، ترجع في أساسها الى افتقارهم للإيمان ، وخروجهم على تعاليم الدين ، ويصح القول بأن كل واحد من هؤلاء المرضى ، وقع فريسة المرض لأنه حرم سكينته النفس التي يحلها الدين

- أى دين - ولم يبرأ واحد من هؤلاء المرضى إلا حين استعاد إيمانه ، واستعان بأوامر الدين ونواهيهِ على مواجهة الحياة » .

على أنى أعتقد أن المذهب الذى يعمل - أولا - على تقويض العقيدة ، والذى يعتبر أن البطولة الحققة فى انكار وجود الله ، هذا المذهب لا يمكن أن ينجح ، وإن وجد له أتباعا ومريدين ، ذلك أن هؤلاء الأتباع إنما ينساقون فى تياره أول الأمر لأنه يوافق هوى فى نفوسهم ، ويشبع حاجات غرائزهم وشهواتهم بما يدعوهم اليه من التحلل والمتعة ، وتيسير أسباب الفجور لهم ، ونحن نعلم أن بعض العرب نفر من الدين الإسلامى - وكان يعتقد حقا - لأنهم وجدوا فيه مانعا يمنعهم عن التمتع بالم لذات المحرمة ، والشهوات الفاجرة ، فطبعى أن تحب بعض النفوس هذه المذاهب التى لاتجعل حائلا بينها وبين شهواتها حتى اذا شبعت رجعت الى صوت العقل ، واستجابت لمنطق السليم فرفعت عنها الغشاوة ، وعادت الى الإيمان بالله ، وبالحق الفاضل .

ولو أنى أعلم أن هؤلاء الملحدّين من طلبة تلك الجامعة إنما ألدوا عن علم لحادتهم بالمنطق ، وقارعهم بالحجة ، وذكرت لهم البراهين التى رسخت وأصبحت من المسلم بها على وجود الله ، وعلى أن أفضل ما يجلب السعادة لهذا العالم إنما هو الرجوع الى الأخلاق الحميدة ، ولكنى - وقد استمعت الى بعض من ألد من شبابنا تظاهرا بالعقل - أعتقد أنها ثورة عاطفية عابرة يذكيها بعض المضللين ، ولم أقرأ - فيما قرأت - عن خروج طالب أو أستاذ من معاصرنا ، عن معتقداتنا المقدسة ، رأيا ناصحا يستند الى حجة ولو مدخولة وإنما كل ما قرأته هوس فى هوس ينجل منه كل من يحترم نفسه ، وهو الحاد وكفى ، فاذا طلبت الى أحدهم دليلا ، أوقشت فى رأسه عن فكرة ، أوحى شبهة قوية لم تجد ، ولست ترى الا رغبة فى حب الظهور ، والاعتقاد بأن المناداة بمثل هذه الآراء يجلب لهم الشهرة وبعد الصيت .

ومع ذلك فسأسوق هنا بعض ما يعيد الطمأنينة الى النفوس التى تبحث عن الحق ، وتريد الهداية ، ولست أنقل عن علمائنا المسلمين ، فربما كان إيمان هؤلاء بهم ضعيفا ، وإنما أنقل عن بعض العلماء والفلاسفة الذين يدين لهم هؤلاء بكل تقدير وإجلال ، فمنذ أربعة وعشرين قرنا قال سقراط لتلميذه أفلاطون : « هذا العالم يظهر لنا على هذا النحو ، لم يترك فيه شئ للمصادفة ، بل كل جزء من أجزائه متجه نحو غاية ، وتلك الغاية متجهة نحو غاية أعلى منها ، وهكذا يتم الوصول الى غاية نهائية متفردة متوحدة » وهكذا

كان أولئك الذين يعتبرون فلاسفة الغرب - من أمثال أرسطو وأفلاطون واكتوفان - كانوا بصرف النظر عن الفروع يعتقدون فى إله واحد ، ذاته وحقيقته فوق الإدراك [١] .
فالعالم الذى وجد بلا داع ، ويمضى لغير غاية ، وهو عالم غير معقول عند (سارتر) ، هو عالم متجه نحو غاية عند أولئك الذين يعتبرون فلاسفة الغرب .

ويجئ عالم يعتبر من أكابر الحكماء فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، ويعتد من شيوخ الرياضيين ، والفلكيين على الأخص ، فيسلط معوله على فكرة المصادفة ، ويهدمها هدمًا متعقلا واعيا ، ويقول بعد إيضاح مجموعة الشمس : إن النظام المحير للعقول المشاهدة فى حركات الأجرام التى تتألف منها المجموعة الشمسية لا يمكن أن يحمل على التصادف ، بل التصادف كلمة لا يصح النطق بها فى لغة العلم ، إن التصادف معدوم ومحال فى هذا العالم الذى نرى فيه كل شئ خاضعا لقوانين الموازنة ، وقوانين الحساب التى عينتها إرادة غيبية ، وحكمة بالغة [٢] .

و (لغة العلم) هنا كلمة عظيمة ، فما لا شك فيه أن هؤلاء الأبناء ، وأساتذتهم الذين يلقنونهم هذه الترهات ، ومن على شاكلتهم وشاكلة أساتذتهم ، لا يتكلمون بهذه اللغة ، بل لا يحترمونها ، وإلا فإن لغة العلم فى كل فرع من فروع العلوم تثبت بما لا يدع مجالا للشك ، أن وراء هذه القوى ، وهذه الأعاجيب الكونية قوة مدبرة حكيمة حازمة .
وأن الذى يقرأ ما يدونه علماء التشريح ، وما يذكرونه عن هذه الآلة العجيبة التى يسير بها الإنسان فى الحياة ، ليعجب أشد العجب أن يكون من بين من يقرءون هذه الأبحاث من ينكر وجود الله .

ولقد كان آخر ما قرأته مقال عن السجد ، ووظائفه فى جسم الإنسان ، وكان مما ذكره الكاتب أن الوظائف المعروفة للسجد حتى الآن تبلغ الخمسة ، أف تكون مثل هذه الآلات العجيبة مما أوجده المصادفة ؟

إننى لا أدعو هؤلاء الطلاب إلى أن يتبصروا ليؤمنوا ، ولكنى أدعوهم كما أدعو أساتذتهم الذين يروجون لهذه الخرافة الجديدة التى تسمى بالمذهب الوجودى ، أدعوهم إلى أن يكفوا عن العبث ، فليس هذا أوانه ، وسوف يعلمون ما

على العمارة

(١) العلم والدين تأليف أحمد عزت باشا ص ١٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٢١ .

حديث «الزلازل» في القرآن

في صباح يوم الإثنين الثاني عشر من شهر سبتمبر سنة ١٩٥٥ فوجئ سكان مصر بزلزال عنيف كاد — لولا رحمة الله بكفائته — أن يجر عليها ويلات لا يعلم مداها الا خالقها . وقد فزع الناس فزعا شديدا لهذه الهزة الأرضية التي لم يستكمل أمدها دقيقة ، وكان لفرعهم هذا بعض الضحايا ؛ وأخذ الناس عقب هذه الهزة يذهبون مذاهب شتى في التعليق والتفسير ، وثارَت في الأذهان والقلوب معانٍ وخواطر منها ما يتصل بقدرته الله وجبروته ، ومنها ما يتصل بلطفه في قضائه ورحمته بعباده ، ومنها ما يتصل بهول الزلزلة الإلهية الكبرى التي تكون يوم يقوم الناس لرب العالمين ، ومنها ما يتصل بأسرار الكون وخفايا الطبيعة التي نعرف من أمرها القليل ونجهل الكثير .

وقد دعاني هذا الى أن أعرض لحديث «الزلزلة» في القرآن الكريم ، فهو حديث لا يخلو من عظة واعتبار . وقد وردت مادة «الزلزلة» في أربع آيات من آيات التنزيل المجيد ، ومن التمعن في هذه الآيات نرى أن الله سبحانه افتتح سورتين من سور القرآن الحكيم بالحديث عن الزلزلة ، وهما سورتا الحج والزلزلة ، وقد سميت السورة الأخيرة بنفس المادة ؛ ونلاحظ أن القرآن قد ذكر الزلزلة بنوعيهما : الزلزلة الحسية والزلزلة المعنوية ، الأولى في آيتين ، والأخرى في آيتين ، وجاءت الزلزلة المعنوية منسوبة الى المؤمنين الذين يبتليهم ربهم بالاختبار والامتحان ، وجاءت الزلزلة الحسية منسوبة الى يوم البعث والحساب . ونلاحظ أيضا أن ذكر الزلزلة في القرآن يصحبه تصوير للهول والفرع ، والمخاوف والشدائد .

ويحسن أن نتعرف الى المعنى اللغوي لكلمة الزلزلة . جاء في لسان العرب : والزلزلة والزلزال تحريك الشيء . . . والزلزال الشدائد ، والزلزال الأهوال (١) . وجاء فيه : « وقال ابن الأنباري في قولهم أصابت القوم زلزلة . قال : الزلزلة التخويف والتحذير ، من قوله تعالى : وزلزلوا حتى يقول الرسول . أى خُوفُوا وحُذِّروا (١) » . وفي أساس البلاغة للزمخشري : « وجاء بالإبل يززلها : يسوقها بعنف . وأصابته زلازل الدهر : شدائده [٢] »

(١) لسان العرب ، ج ١٣ ص ٣٢٧ .

(٢) أساس البلاغة ، ج ١ ص ٤٠٥ .

وقد وردت المادة في مواضع من الحديث النبوي الشريف ، وفي كتاب النهاية لابن الأثير : « فيه : اللهم اهزم الأحزاب وزلزله في الأصل الحركة العظيمة والإزعاج الشديد ، ومنه زلزلة الأرض ، وهو هنا كناية عن التخويف والتحذير ، أى اجعل أمرهم مضطربا متقلبا غير ثابت . ومنه حديث عطاء : لا دق ولا زلزلة في السكيل ، أى لا يحرك ما فيه ويهز لينضم ويسع أكثر ما فيه [١] » وجاء في مفردات القرآن للأصفهاني : « والترلز الاضطراب ، وتكرير حروف لفظه تنبيه على تكرير معنى الزل في [٢] » قال « إذا زلزلت الأرض زلزالها . وقال : إن زلزلة الساعة شيء عظيم . وزلزلوا زلزالا شديدا ، أى زعزعوا من الرعب [٣] » .

ونلاحظ في المعنى العام لمادة الزلزلة حركة عنيفة ، واضطرابا شديدا ، وخوفا وفزعاً ، وبلبلة وقلقله ، ونستطيع بعد هذا أن نستعرض المواضع التي جاء فيها ذكر الزلزلة في القرآن الكريم يقول الله تعالى في سورة البقرة : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء ، وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه : متى نصر الله ؟ ألا إن نصر الله قريب » [٤] .

روى أنها نزلت في غزوة الخندق حين أصاب المسلمين ما أصابهم من المشقة والشدة وسوء العيش ، والمعنى : أم ظننتم أن تدخلوا الجنة قبل ابتلائكم واختباركم ، وإلى الآن لم يصيبكم ما أصاب الذين سبقوكم من الأُم الذين مستهم البأساء والضراء ، وهى الأمراض والآلام والنوائب ، وزلزلوا أى خوفوا وامتحانوا امتحانا عظيما ، وقد نال الصحابة من ذلك جانب عظيم يوم الأحزاب . . . والذين آمنوا يقولون مع رسولهم : متى نصر الله ؟

(١) النهاية ، ج ٢ ص ١٣٨ ، طبعة المطبعة الخيرية .

(٢) هذا يشير إلى اشتقاق الزلزلة من الزلة ، وفي اللسان : « زل السهم عن الدرع والإنسان عن الصخرة . . . إذا زلت قدمه قيل زل ، وإذا زل في مقال أو نحوه قيل زل زلة » ج ١٣ ص ٣٢٥ وفي مفردات الراغب : « الزلة في الأصل استرسال الرجل من غير قصد . والزلة المسكان الزلق ، وقيل للذنب من غير قصد زلة تشبيها بزلّة الرجل » ص ٢١٣ طبعة طهران .

(٣) مفردات الراغب ، ص ٢١٣ ، طبعة طهران .

(٤) سورة البقرة ، آية ٢١٤ .

أى يستفتحون على أعدائهم ، ويدعون بقرب الفرج والمخرج عند ضيق الحال والشدة . قال تعالى : ألا إن نصر الله قريب . ولما تكون الشدة ينزل من النصر مثلها . وفي حديث أبي رزين « عجب ربك من قنوط عباده وقرب غيثة ، فينظر إليهم قنطين ، فيظل يضحك ، يعلم أن فرجهم قريب » [١] . والمراد بالرسول فى الآية قيل شعيا وهو اليسع . وقال الكلبي : هذا فى كل رسول بعث الى أمته وأجهد فى ذلك حتى قال : متى نصر الله ؟ وهذا ما تميل اليه النفس والله أعلم بمراحه ؛ وقد اشتبه على كثير قول المؤمنين مع الرسول : متى نصر الله ؟ وفى هذا يقول القرطبي : « وأكثر المتأولين على أن الكلام الى آخر الآية من قول الرسول والمؤمنين ، أى بلغ الجهد بهم حتى استبطئوا النصر ، فقال الله تعالى : « ألا إن نصر الله قريب » ويكون ذلك من قول الرسول على طلب استعجال النصر لا على شك وارتباب » [٢] .

ويقول الزمخشري : « (حتى يقول الرسول) إلى الغاية التى قال الرسول ومن معه فيها (متى نصر الله) ؟ أى بلغ بهم الضجر ، ولم يبق لهم صبر ، حتى قالوا ذلك ، ومعناه طلب الصبر وتمنيه واستطالة زمان الشدة ، وفى هذه الغاية دليل على تناهى الأمر فى الشدة وتماديها فى العظم ، لأن الرسل لا يقادروا قدر ثباتهم واصطبارهم وضبطهم لأنفسهم ، فاذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية فى الشدة التى لا مطمح وراءها » [٣] . وفى تفسير المنار : « أى حتى وصلوا إلى غاية من الشدائد والأهوال لم يروا فيها منفذا لسبب من أسباب الفوز ، لأن قوة أعداء الحق أحاطت بهم من كل جانب ، ودنت حتى أخذت بأكظامهم ، فاعتقدوا أن وقت العناية الإلهية والنصر الذى وعد الله به من ينصر الحق قد حان وقته أو أبطأ فاستعجلوه بقولهم : متى نصر الله ؟ فأجابهم تعالى : (ألا إن نصر الله قريب) بأن نصرهم وكف عنهم شر أهل البغي وأيد دعوتهم » [٤] . ويقول الله تعالى فى سورة الحج : « يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم ، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد » [٥] .

(١) تفسير ابن كثير ، ج ١ ص ٢٥١

(٢) تفسير القرطبي ، ج ٣ ص ٣٥٠

(٣) تفسير الكشاف ، ج ١ ص ١٢٩

(٤) تفسير المنار ، ج ٢ ص ٣٠١

(٥) سورة الحج ، آية ٢٠١

والله يخاطب بهذا المسكفين من عباده ، والتقوى هي الخشية والاحتراس من المكروه ، أى احترسوا بطاعته عن عقوبته ، والزلزلة هي المعروفة التي هي إحدى شرائط الساعة التي تكون في الدنيا قبل يوم القيامة ، وهذا رأى الجمهور [١] . وإضافة الزلزلة إلى الساعة على تقدير أن الساعة هي المزلزلة ، كأنها هي التي تزلزل الأشياء على المجاز الحكيم ، فتكون الزلزلة مصدرا مضافا إلى فاعله ، أو على تقدير المفعول فيها على طريقة الاتساع في الظرف واجرائه مجرى المفعول به ، كقوله تعالى : « بل مكر الليل والنهار » [٢] .

والهاء في (ترونها) للزلزلة ، وعندها تذهل كل مرضعة عن الإرضاع ، ومن ماتت حاملا تبعت حاملا فيسقط حملها من شدة الهول ، وتشاهد الناس كأنهم سكارى من الخوف والفرع ، وليسوا بسكارى نحر ، ولكنهم سكارى من هول العذاب الشديد .

ويقول الله تعالى في سورة الأحزاب : « اذ جاءكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذا زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ، هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا » [٣] ، والخطاب للمؤمنين عن الأحزاب الذين تألبوا ضد المسلمين ، فشخصت الأبصار من فرط الهول ، وزالت القلوب عن أماكنها من الصدور حتى بلغت الحلقيم ، وعند ذلك اختبر المؤمنون ليتبين المخلص من المنافق ، وكان هذا الابتلاء بالخوف والجوع والحصار والزلزال ، وحركوا بالخوف تحريكا شديدا .

ويقول الله تعالى في سورة الزلزلة : « اذا زلزلت الأرض زلزالها ، وأخرجت الأرض أثقالها ، وقال الإنسان ماله ، يومئذ تحدث أخبارها ، بأن ربك أوحى لها ، يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم ، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » .

أى اذا حركت الأرض من أصلها لتخرج موتاها وكنوزها ، وإنما قال (زلزالها) للتأكيد ، ولم يصرح بوصف الزلزلة بالشدة أو القوة ليكون مبهما فيكون أجل وأوقع ، ويقول الألوسى : « أى الزلزال المخصوص بها الذى تقتضيه بحسب المشيئة الإلهية المبنية

(١) تفسير القرطبي ، ج ١٢ ص ٣ .

(٢) تفسير الكشاف ، ج ٣ ص ٢٤

(٣) سورة الأحزاب الآية ١٠ و ١١

على الحكم البالغة وهو الزلزال الشديد الذى ليس بعده زلزال ، فكأن ما سواه ليس زلزالا بالنسبة اليه ، أو زلزالها العجيب الذى لا يقادر قدره » . [١]

وفى الكشف : « زلزالها الذى تستوجه فى الحكمة ومشية الله ، وهو الزلزال الذى ليس بعده ، ونحوه قولك : أكرم التقي أكرامه ، وأهن الفاسق اهانتة ؛ تريد ما يستوجبانه من الإكرام والإهانة ، أو زلزالها كله وجميع ما هو ممكن منه » [٢] .

وحين تقع هذه الزلزلة يدهش الإنسان ويتعجب ويتساءل : ما لها زلزلت ؟ وما لها أخرجت أبقالها ؟ وأى شىء حدث لها ؟ (يومئذ تحدث أخبارها) أى تخبر بما وقع عليها من خير أو شر ، وتشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها ، كما فى الحديث الحسن الصحيح ...

(بأن ربك أوحى لها) أى أنها تحدث أخبارها بسبب إحياء الله إلیها (يومئذ يصدر الناس أشتاتا) أى يبعثون ويخرجون من قبورهم ، ففريق فى الجنة وفريق فى السعير ، (ليروا أعمالهم) أى ثواب أعمالهم (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) أى لا يغفل الله من عمل ابن آدم صغيرة ولا كبيرة .

روى أن أعرابيا سمع النبي يقرأ هذه السورة فقال : يا رسول الله ، أمثقال ذرة ؟ قال : نعم . فقال الأعرابي : واسوأناه (مرارا) ثم قام وهو يقولها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لقد دخل قلب الأعرابي الإيمان !! . وسمع صعصعة عم الفرزدق هذه السورة فقال : لا أبالي ألا أسمع من القرآن غيرها ، حسبي فقد انتهت الموعظة !! .

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : لما نزلت : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ... » قلت : يا رسول الله ، إنى لراء عملى ؟ قال : نعم . قلت : تلك الكبار الكبار ؟ قال : نعم . قلت : الصغار الصغار ؟ قال : نعم . قلت : واثكل أمى . قال : أبشر يا أبا سعيد ، فإن الحسنه بعشر أمثالها [٣] .

جنبنا الله الزلزلة فى الدين والدنيا ، وختم لنا بنخير العقبي ٤

أحمد الترمذى

المدرس بالأزهر الشريف

(١) تفسير الألوسى ج ٩ ص ٤٣٥

(٢) تفسير الكشف ، ج ٤ ص ٢٢٧

(٣) تفسير الألوسى ، ج ٩ ص ٤٣٤

ترجمان القرآن

١ - نشأته وحياته :

كان نخر بنى عبد المطلب بن هاشم : علما ، وعقلا ، ودينا ، وفقها ، وحفظا . فهو عالم قریش ، وهو ترجمان القرآن ، وهو الحفيظ الراوية الذى بلغ قدر ما رواه فى زمن قصير ١٦٦٠ حديثا . وهو القائل عن نفسه :

قلبي ذكى وعقلى غير ذى دخل وفى فى صارم كالليث مشبور
ومن شهد له خصمه فقال وهو يمثّل [١] :

إذا قال لم يترك مقالا لقائل مصيب ولم يثن اللسان على هجر
ولد هذا الإمام العظيم - ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب - ولد بعد البعث النبوى بعشر سنين ، وقبل الهجرة بثلاث سنين . وكان بنو هاشم إذ ذاك بالشعب يرزحون تحت أرزاء قریش وما يحملونهم من حرمان من الطيبات ، وقطع لكل العلاقات . واستقبلت هذه المحنة عبد الله إذ هو جنين فى الرحم فكانت الظلمة الرابعة وقد انجست عن نور الصفاء ، ولعلها كانت مما ادخر الله سبحانه به لهذا الجنين سعادة المستقبل ولمعان الاسم وتألق النجم ، فكان للثنين إماما .

وعرف عبد الله - ولم تمط عنه التأمم - ابن عمه السيد محمدا صلى الله عليه وسلم ، يعلم الناس الخير ، ويدعوهم بدعاية الرشد والبر ، ويقوم فيهم برسالة الحق أمينا كريما ، وحليما عظيما ، يضؤل أمام عظمتة الموهوبة جبابرة قریش ومجرموها ، ومن تشير إليهم العرب بالأصابع وتخشى سطوتهم الأكابر ، فتمتلئ نفسه إعجابا ونفرا به ويزج بنفسه فى أحضانة ويجعله مثله الأعلى ويتخذة قوة وعتادا على الأيام وقدوة لا يعرف غيرها من الأنام .

ولا يعرف على التحديد كيف كان إسلام ابن عباس ، ولا متى كان ، وإنما الذى يعرف أنه لزم السيد صاحب الدعوة ، وأن نفس أبيه العباس كانت تطيب بذلك ورضاه ،

(١) قال ذلك معاوية بن أبى سفيان يصف عبد الله بن عباس .

فالعباس ممن أجابوا سرا دعوة الحق ، ورأوا فيها ذكرهم وشرفهم . فهو لا يحول دون اتصال ابنه بصاحبها ، بل إنه يرى له خيرا أن يلزم غرز السيد الرسول وألا يدع فرصة تمر دون الانتفاع بما عنده من علم غزير وخلق عظيم ، ولالحظة تمر دون تسجيل فضيلة من فضائل محمد صلى الله عليه وسلم والأخذ عنه على مختلف نواحي الأخذ .

كان السيد عبد الله بن عباس خصب المنبت ، كريم العنصر ، صافي الأديم . وكان ممن وهبوا حافظة خارقة وأوتوا ذكاء فذا . فما هو إلا أن اندمج في البيت النبوى الكريم يسمع ما يتلى من آيات الله والحكمة ، ويحفظ ما يسمع وما يعي من أفعال السيد الرسول وتصرفاته واتجاهاته ، وكان رضا عند السيد الرسول وكان صلى الله عليه وسلم حريصا عليه رءوفا رحيا به . ولقد كان يجد من لباقتة ومظاهر ذكائه ما يزيد عليه حرصا ، ويطلق لسانه بالثناء عليه ، ثم بالضراعة إلى الله سبحانه أن يؤتية الحكمة ، وأن يفقهه في الدين ، ويعلمه التأويل ، وأن يحشو جوفه أدبا وحكمة . ولقد استجاب الله سبحانه دعاء نبيه صلى الله عليه وسلم ، فكانت سنة ثلاث عشرة سنة يوم انتقل خاتم رسل الله إلى الرفيق الأعلى ، ولكنه كان يقرن بأكابر الصحابة ويرجع إليه في شئون الدين ويفتى بما يطابق الحق ويروى ما بينت لك من عدد الأحايث ١٦٦٠ - ستين وستائة وألفا . على أن بعض ما رواه ربما سمعه من بعض الصحابة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فقد كان حريصا على جمع السنة والعلم عن الأكابر من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم كما كان حريصا على أخذ ذلك من فم الرسول صلوات الله وسلامه عليه قبل وفاته . ولقد سأله يوما بعض الناس بم نلت هذا العلم كله حتى سبقت الأكابر وصارت الناس تضرب أكباد الإبل إليك ؟ فقال حكيمته الكريمة : ذلت طالبا ، فعززت مطلوبا .

ومن الصور الماثورة في ذلك ما رواه أبو الفرج بن الجوزي في كتابه صفة الصفوة [١] عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه قال : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت لرجل من الأنصار : هلم فلنسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنهم اليوم كثير ، فقال : وأعجبا لك يا ابن عباس ؟ أترى الناس يفتقرون إليك وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من فيهم ؟ قال : فتركت ذلك وأقبلت أسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحديث ، فإن كان ليبلغني الحديث من الرجل فأتى بابه وهو قائل (٢)

فأتوسد التراب فيخرج فيقول : يا بن عم رسول الله ما جاء بك ؟ ألا بعثت إلى فأتيك ؟
فأقول : لا . أنا أحق أن آتيك فأسألك عن الحديث . فعاش ذلك الفتى الأنصارى حتى
رأى ، وقد اجتمع الناس حولي يسألوننى فيقول : هذا الفتى كان أعقل منى .

لكل ذلك وأمثاله دلالته على ما كان لعبد الله من حرص وكدح على العلم ، وأنه خلق
لذلك فيسر له ، حتى صار عالم قريش وترجمان القرآن ، وحتى كان منذ عهد أبى بكر فى أصحاب
الشورى العلمية مع عمر وعثمان وعلى وابن مسعود وزيد بن ثابت . فلما كان عهد عمر
ابن الخطاب وبلغ عبد الله مبلغ الرجال ، إذا بالفضل يسارع الخطا الى ابن عباس ،
فهو موضع ثقة الإمام العليم الناصح البصير عمر بن الخطاب الذى كان ضنيينا بالثناء ، معلنا
للتشهير بكل من أساء . على أنه كان يكيل المدح لذلك الفتى الموهوب ، ويشجعه بأصدق
عبارات المدح وأحفلها بالتنويه والتجديد ، فهو عنده : فتى الكهول ، له لسان سئول ،
وقلب عقول ، وهو نعم ترجمان القرآن ، لو أدرك أسناننا ما عاشره منا أحد ، وهو الذى
لم يسمع عمر فتيا أحسن من فتياه الا أن يقول قائل : قال رسول الله ، وهو الذى يمدحه
عمر فى وجهه فيقول : والله انك لأصبح فتياننا وجهها ، وأحسنهم عقلا ، وأفقههم
فى كتاب الله عز وجل .

يخبرك يا بن عباس ، لقد رأى لك هذا الإمام المحدث العليم مصادر السمو بمجموعة
عليك ، فأت الصبيح الوجه ، المتزن العقل ، الفقيه فى كتاب الله بما لم يبلغه أحد منهم ،
وحسبك بها شهادة من عمر ، على أن ذلك عند الحق قد كان صدق لدعوات السيد الرسول ،
وعلى أنه مصداق لشهادته الكريمة حين يقول لابن عباس : نعم ترجمان القرآن أنت يا عبد الله .
فأما العباس بن عبد المطلب فإنه قد شهد هذا الفخار لابنه عبد الله ومجده وباركه
وحرص عليه أشد الحرص فيما يوصى به ابنه حين يقول له :

« يا بنى . إني أرى أمير المؤمنين يدعوك ويقربك ويستشيرك مع أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فاحفظ عني ثلاث خصال : اتق الله . لا يجربن عليك كذبا ، ولا تفش
عنده سرا ، ولا تغتابن عنده أحدا » قال الشعبي لابن عباس لما روى له ذلك الخبر :
كل واحدة خير من ألف ، فقال ابن عباس : ومن عشرة آلاف .

ولقد بالغ عمر رضى الله عنه فى إكرام هذا الفتى وتقديره ، مما جعل كبار الصحابة
ينفسون عليه ذلك الإكرام وذلك التقدير ، فيقنعهم عمر به .

روى أبو الفرج بن الجوزى^(١) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان عمر رضى الله عنه يأذن لأهل بدر ويأذن لى معهم ، فقال بعضهم : أتأذن لهذا الفتى ومن أبنائنا من هو مثله ؟ قال فإنه ممن قد علمتم . فأذن لهم يوما وأذن لى معهم فسألمهم عن هذه السورة « اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا » فقالوا : أمر الله سبحانه نبيه اذا فتح الله عليه أن يستغفره وأن يتوب اليه ، فقال لى : ما تقول يا بن عباس ، فقلت : ليس كذلك ، ولكنه أخبره بحضور أجله . فقال : « اذا جاء نصر الله والفتح » فتح مكة « ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا » أى فعند ذلك علامة موتك « فسيح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا » فقال لهم : كيف تلوموننى عليه بعد ما ترونه .

وأنت ترى فى هذا الأسلوب من ذلك الخبر ما يشبه أن يكون تشفيا أو انتقاما من هؤلاء الأكابر ، فهو يقول ليس كذلك . ولعله يكون كذلك ، وهو لا ينافى ما قال ابن عباس ، ولكن للصيغة خطرهما فى تقدير المقال والاعتداد بالحكم . وليست هذه المرة هى الوحيدة فى المفاخرة بابن عباس وإظهار فضله فقد تكررت كثيرا من عمر كما دل على ذلك نصيحة العباس لابنه ، ثم قول عبد الله رضى الله عنه : كان عمر يسألنى مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول لا تتكلم حتى يتكلموا . فاذا تكلمت قال : « غلبتمونى أن تأتونى بمثل هذا الغلام الذى لم تجتمع شئون رأسه » .

وكان عبد الله بن عمر يحمل لابن عباس ما يحمل أبوه من تقدير ، ويكرمه ، ويحيل عليه بعض السائلين إذا سأله .

ومن ذلك أن رجلا أتاه يسأله عن السموات والأرض كانتا رتقا . فقال : اذهب الى ذلك الشيخ فسله ثم تعال فأخبرنى . فقال ابن عباس : كانت السماء رتقا لا تمطر وكانت الأرض رتقا لا تنبت ، ففتق هذه بالمطر ، وفتق هذه بالنبات . فلما بلغ ذلك ابن عمر قال : إن ابن عباس قد أوتى علما . صدق ، هكذا كانت . ثم قال ابن عمر : لقد كنت أقول : ما يعجبنى جرأة ابن عباس على تفسير القرآن ، فالآن علمت أنه أوتى علما ، بل إن رأى العام العربى كله كان صدق لابن الخطاب ، وكيف لا وقد جعل الله الحق على لسانه .

وإن في شعر الحطيئة ما يدل على نظرة الرأي العام لعبد الله والرأى فيه ، والشعر الصادق مرآة صادقة لعصره ، وقد كان الحطيئة ضنينا بالمدح على مثل عبد الله بن عباس ، ولكنه دخل يوما على عمر فأذا شاب يقرع بحجته ، ويفرع ببلاغته ، فقال : من هذا الذي نزل عن القوم بسنه وعلاهم في قوله ؟ قالوا ابن عباس ، فأنشأ يقول :

إني وجدت بيان المرء نافلة يهدى له ووجدت العي كالصمم
المرء يبلى وتبقى الكلم سائرة وقد يلام الفتى يوما ولم يلم
وجاء عهد عثمان رضى الله عنه وعبد الله في منزلته ، مورد عذب ، وحلال كل
مشكل في الدين .

ولقد حفظ له الإمام عثمان منزلته ، ورفع مقداره ، وأشركه في جيش عبد الله بن أبي سرح يوم غزا إفريقية ، فأبلى بلاء كريما ، واشترك - ومعه الحسن والحسين والزبير وغيرهم - في فتح طبرستان تحت قيادة سعيد بن العاص .

وأمره عثمان على الحج فبرهن على مهارة ورشد في السياسة ، وكان يبادل ابن عفان ذلك الحب الشريف ، على أنه كان لا يبالي أن يقول له كلمة الحق إذا رأى منه ما لا يقره .
وقتل عثمان مظلوما فبكاه عبد الله ورثاه أبجل رثاء حين يقول :

لقد كان أكرم الجعدة (١) وأفضل البرة ، هجادا بالأسحار ، كثير الدموع عند ذكر
النار ، سباقا عند كل منحة ، حيا أبيا وفيها ، صاحب جيش العسرة ، وختن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فأعقب الله من يلعنه لعنة الله ولعنة اللاعنين إلى يوم الدين .

قال ابن سيرين : لما قتل عثمان رضى الله عنه قال ابن عباس : (لو أمطرت السماء
دما لقتل عثمان لكان ذلك قليلا) .

* * *

وصار الأمر إلى علي من بعد عثمان ثم سفر الصراع بين الهاشميين أصحاب علي
والأمويين أصحاب معاوية . وكان لا بد أن يقف ابن عباس إلى جانب ابن عمه الإمام
الورع الزاهد الذي بايعه من بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان كما يقول ابن عباس .

وفي الحق لقد كان علي يحب ابن عمه ويعرف فضله ، وإنما يعرف الفضل من الناس ذووه ، كان علي ينظر الى ابن عمه نظرة إكبار ويقول فيه : إنه ينظر الى الغيب من ستر رقيق من عقله وفطنته . إنه لغواص .

وفي يوم الجمل جعله على مقدمة الجيش ، وفي يوم صفين جعله على مسيرة الجيش .

ثم تولى ابن عباس البصرة بعد أن استتب الأمر لابن عمه علي . فانتقل إليها الأدب الجلم والعلم الغزير والدراسات العلمية في المساجد من حبر قریش ، وكثرة الوفود لطلب العلم ، وحل المشاكل .

ولأمر وقدر وقع خلاف بين الإمامين أمير المؤمنين ووالى البصرة ممّا دعا عبد الله الى كتاب استقالة قبله منه على وسرحه فسار حتى نزل بمكة وألقى بها عصا التسيار ، ثم بقى كل منهما حافظا لصاحبه وده مقيا معه على عهده لا يغمط واحد منهما الآخر شيئا .

وانتهى أمر المسلمين الى معاوية فلم يقل تقديره عن سلفه لحبر الأمة وقال فيه متمثلا :

إذا قال لم يترك مقالا لقائل مصيب ولم يثن اللسان على هجر
يصرف بالقول اللسان إذا انتمى وينظر في أعطافه نظر الشزر

وكثيرا ما سمع معاوية القوارص من عبد الله فما رزأه شيئا ، وأصيب عبد الله ببصره في آخر حياته فقال :

إن يأخذ الله من عيني نورهما ففى لسانى وقلبي منهما نور
قلبي ذكى وعقلي غير ذى دخل وفى فى صارم كالليث مشبور

وتوفى عبد الله فى عهد عبد الملك سنة ٦٨ وصلى عليه محمد بن الحنفية ، فانقضى للعلم عهد خصيب وللعرب مجد يفخرون به . وفى مقال آخر سنتناول بقية الحديث عن هذا الإمام ، فنذكر ما هو متعة للقارئ من تحليل صفاته وشرح ما يتيسر من مزاياه . نسأل الله سبحانه أن ينفعنا بالعلم ، ويجعلنا من صالح أهله .

محمود النواوى

من أحكام المال

« جواز الأخذ من غير مسألة ولا تطلع إليه »

عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن عمر رضى الله عنهما قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطينى العطاء فأقول : أعطه من هو أفقر اليه منى . فقال : خذه ، اذا جاءك من هذا المال شيء وأنت غير مشرف ولا سائل ، نخذه ، فتموله ، فإن شئت كله ، وإن شئت تصدق ، وما لا ، فلا تتبعه نفسك - قال سالم : فكان عبد الله لا يسأل أحدا شيئا ، ولا يرد شيئا أعطيه) متفق عليه .

تقديم :

يدل لفظ - يعطينى - فى حكاية عمر رضى الله عنه على تكرار القصة ، وهو صريح بعض الروايات ، ففيها قبل قوله صلى الله عليه وسلم : - خذه فتموله - حتى أعطاني مرة مالا ، فقلت : أعطه أفقر اليه منى ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : خذه الخ ؛ ولسكتنا لا ندرى ما كان قوله صلى الله عليه وسلم له قبل هذه المرة ، ويمنع أن يكون مثل هذا أن عمر كان وقافا عند قول الله ورسوله ؛ فاعله صلى الله عليه وسلم أمره أولا بالأخذ فحسب ، فعاد عمر الى مقاتله ليستبين له وجه العمل فيه حتى أرشده صلى الله عليه وسلم اليه ، أو أنه كان يعرض عنه كشأنه صلى الله عليه وسلم مع من يشتد على نفسه ، وكان عمر حريصا على أن يعلم الحكم فيه ، فعاد الى مقاتله ليصل الى مثل هذا التيسير أو الإرشاد الحكيم . والإشراف كالأستشراف ، وأصلهما من أشرف على الشيء واستشرفه ، اطلع عليه من فوقه . وهذا المعنى هو أصل ما فسر به الإشراف فى الحديث من التطلع والتمنى والحرص والطامح والشره والطمع ، قالوا : كأن المستشرف ينظر الى المال من مكان مرتفع - شرف - فيكون أكثر لإدراكه ، ومن المعنى قول ابن أذينة :

لقد علمت ، وما الإشراف من خلقي أن الذى هو رزقى سوف يأتينى
أسعى إليه فيعنينى [١] تطلبه ولو قعدت أتانى لا يعنينى [٢]

(١) يعنينى : يعجزنى . (٢) يعنينى من العناء ، وهو التعب والمشقة .

على ما في القعود من المؤاخذة ، ومعنى تموله : اجعله لك مالا . ومعنى : فإن شئت كله الخ : إن شئت أن تنتفع به فافعل ، وإن شئت أن تتصدق به فتصدق . ومعنى : ومالا ، فلا تتبعه نفسك : ومالا يبيئك فلا تجعل نفسك في تعلقها به ، وتمنيها له ، وانصرافها إليه كالذهاب في آثار من يحب ، أو فلا تذهب نفسك بذهابه ، وتهالكها من أجله أسفا وحسرة ، وحزنا ولوعة ، على أسلوب قوله تعالى - وإن اختلف الغرض والمعنى - « فلا تذهب نفسك عليهم حسرات » وقوله : « فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا » .

المعنى :

لئن استقر من قديم أن جمع المال والحرص عليه فتنة ، فقد جاء الإسلام محذرا مع هذه الفتنة من فتنة أخرى لا يعرف كنهها ولا يدرك حقيقةها وخطورها إلا كل ذى عقل سليم ورأى مستقيم ، ألا وهى فتنة التجرد والحرمان ، ذلك لأنها تشدد من أمر الدين ولا تؤلف عليه ، وتعسره ولا تيسر منه ، والله سبحانه وتعالى يقول : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » ويقول : « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج » ويقول : « هو اجتباكم [١] وما جعل عليكم في الدين من حرج » .

وفي الحديث (ان الدين يسر) و(ان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى) (٢) و(القصد القصد تبلغوا) و(ان الرفق لا يكون في شيء الا زانه ، ولا ينزع من شيء الا شانه) و(ان الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه) . ومن حكمة أسلافنا :

من شدد نفر ، ومن لان تألف . ذلك بأن النفوس ملول ، والقلوب متقلبة ، فإن لم تأخذ بحظها مما يطيب ويحلى لا تكون لها همة في خير ، ولا عزيمة في بر ، ولا جلد على طاعة ، ولا قوة على صلاح ، ولأنها تلحق الحلال الطيب بالحرام الخبيث في حكم واحد من الحظر والمنع . بل لعلها تهى لغير الصالحين أن يجمعوا بين متروك المتجردين وما يجمعون من الحرام شر جمع ، فأذا المال دولة بأيديهم وحدهم ، وإذا بالرغائب والطيبات ذلول لنزواتهم وشهواتهم ، وإذا بالقوة والسلطان ، والأمر والنهى

(١) اجتباكم : اصطفاكم .

(٢) المنبت : المنقطع عن السير في السفر ، والمراد بالظهر الركاب . والكلام على التمثيل للتشدد على نفسه في الدين ، وتروى هذه الجملة لمطارف بن عبد الله .

خالصة لهم ؛ وما ينبغي أن يشرع ذلك دين الحق الذى جعل العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، وأمر المؤمنين بأعداد القوة والأخذ بأسباب النصره ، وجعل الأرض ميراثا لعباده الصالحين ، وطيباتها حلالا خالصا للمؤمنين ، وقرر أن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف . نعم . ولا ينبغي لدين الحق أن يشرع للناس التجرد والحرمان وهو يعلم من أمر النفوس في فطرتها وخلقها ، ونشأتها وأطوارها ومشاربها وتزاعاتها ، ما لا يصلح على التشديد أو يستقيم على الحرمان ؛ وقد أنكر الله سبحانه وتعالى على الغلاة غلوهم وتشديدهم في أمر التمتع بالطيبات ، والانتفاع بالمباحات . فقال جل شأنه : « يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم » ، وقال : « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون » .

هذا . وقد بين هذا الحديث الشريف ما ينبغي أن يكون عليه حال المسلم في الأخذ والترك . فنظر إلى حال المأخوذ ، وإلى حال النفس في أخذه ، وإلى ما ينبغي لها من العمل فيه .

أما حال المأخوذ فهو أن يكون حلالا طيبا ، وهو في القصة ظاهر ، ويروى أنه كان عطية على عمالة (العمل على الصدقات) .

وأما حال النفس فإن لا تكون متشوقة إلى الشيء ، ولا سائلة إياه . فإن المال في هذه الحال يكون فتنة لها ، ووبالا عليها ، إذ أنه يستخفها إلى الفرح والمرح ، والخيلاء والفخر ، ثم إلى الطغيان والفساد ، ثم يورثها الاطمئنان إلى الحياة الدنيا ، والغفلة عن الله والدار الآخرة . والله سبحانه وتعالى يقول : « ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون » . على أنه في هذه الحال لا يسد لها نهمة ، ولا يشبع لها جوعة . ففي حديث حكيم بن حزام رضى الله عنه (يا حكيم ، ان هذا المال خضرة حلوة ، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بأشراف نفس لم يبارك له فيه ، وكان كالذى يأكل ولا يشبع) هذا عند ظفورها به .

أما عند خرومانها منه فإنها تذهب عليه حسرات ، وتشتغل بالتفجع عليه عن ذكر الله والباقيات الصالحات ، ولهذا شرع الإسلام لأهله أن يقبلوا من المال ما قبل غير فرحين

به ، ولا مقبلين عليه ، وأن يعرضوا عما أعرض غير محزونين على فراقه ، ولا سائلين له . فعن القعقاع بن حكيم أن عبد العزيز بن مروان كتب إلى عبد الله بن عمر أن ارفع إلى حاجتك . قال : فكتب إليه عبد الله بن عمر : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ابدأ بمن تعول ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، وإني لأحسب اليد العليا المعطية ، والسفلى السائلة ، وإني غير سائلك شيئا ، ولا رأت رزقا ساقه الله إلى منك » .

وأما حال العمل في المال : فأن لا يحرم نفسه من الأخذ بحظها منه ، فليس ذلك فرضا عليه . بل هو مردود إلى مشيئته كما هو مغزى الأسلوب « فأن شئت كله ، وإن شئت تصدق » أو أسلوب الحديث الآخر « إذا أعطيت شيئا من غير مسألة فكل وتصدق » فأن الأمر في مثله قائم على الإباحة في الأمرين أو الندب فيهما ، والواو في مثله بمعنى أو التي للإباحة أيضا مثلها في جالس الحسن وابن سيرين ، ويروى الحديث بلفظ أو بدل الواو فتكون أصرح في المراد .

ويرى الإسلام أن الإنفاق على النفس وعلى العيال صدقة ، بل إنه ليقدم النفس ثم العيال ، ثم يجعل الصدقات بعد ذلك في العفو ، وهو ما زاد عن الحاجة . قال تعالى « ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو » وفي الحديث « أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعول » فساواة الأمرين : الأكل منه ، والتصديق به ، كما هو ظاهر الحديث ، نظر إلى حال عمر رضى الله عنه ، لأنه بدأ بالاعراض عن حقه ليأخذه من هو أفقر إليه منه . فهذا الخطاب له على قدر إيثاره ، ومسايرة له — والله أعلم — فيما يطلب لنفسه من المنزلة ، أو هو إجمال لما يحسن من وجوه التصرف في المال . أما بيان مراتبها على التفصيل ففي غيره ، كالذى علمت من حديث « وابدأ بمن تعول » .

أما بعد . فإنه ينبغي لنا أن نتعرض في هذا المقام لبيان حقيقة الزهد في الإسلام حتى ننفي عنه غلواء الغالين ، وتكلف المتكلفين ، وبدع المبتدعين ، وسنرى أنه لا يعدو أن يكون عزوفا في النفس عن التعلق بالمملذات ، وأخذا للمال من وجهه ، وانفاقا له في مثل ما عرفت من سبله . فعن الزهري ، وقد سئل عنه : أما إنه ليس بشعث اللثة ،

ولا قشف الهيئة، ولكنه ظلف النفس عن كل شهوة [١٠]، وأجاب مرة أخرى بقوله: أن لا يغلب الحرام صبرك، ولا الحلال شكرك، وفي اللسان: أراد: أن لا يعجز ويقصر شكره على ما رزقه الله من الحلال، ولا صبره عن ترك الحرام؛ وليس هذا التفسير بظاهر، بل الظاهر أنه يريد: أن لا يغلب الحرام صبرك، فيقع فيه، ولا الحلال شكرك، فلا تؤدبه، فإن الزهد كما يقول سفيان بن عيينة إنما هو فيما حرم الله. فأما ما أحل الله فقد أباحه الله، فإن النبيين قد نكحوا، وركبوا، وأكلوا، ولكن الله نهاهم عن شيء فأنتهوا عنه، وكانوا به زهادا. هذا وفي الحديث - كما يقول بعض العلماء - الدليل الواضح على أن لمن شغل بشيء من أعمال المسلمين أخذ الرزق على عمله ذلك كالولادة والقضاة والجبابة وعمال الصدقة وشبههم، وفيه أيضا إشارة إلى أن مباشرة المتصدق للصدقة بنفسه أعظم لأجره لما في النفوس من الشح بالمال بعد أخذه.

محمود فرج العقدة

المدرس بكلية اللغة العربية

طلاب الوظائف

قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمرة:

« يا عبد الرحمن، لاتسأل الإمارة، فأنتك إن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها. وإذا حلفت على يمين فرأيت غير ذا خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك ».

(١) الشعث كالشعث الغبرة والتفرق. والمراد بالالمة الشعر. والقشف كالتقشف الخشونة وورثاة الهيئة. وظلف النفس كفها ومنعها.

لغويات

الصاروخ = الصاروج

الصاروخ أو الساروخ معروف في هذا العصر ويجمع على الصواريخ. وفي محيط المحيط للبستاني : « والصواريخ سهام من النفط يرمى بها في الحصار لإحراق البيوت » . وقد استعملت في أيامنا في بعض أيام الزينة والاحتفالات ، ترفع في الجو فتلقى نورا وضاء ، وقد تتفرق عن أحرف من نور لبعض الكلمات المناسبة لمكان الاحتفال . وقد كان ينطق به قبل عصرنا : الشاروخ . وفي كتاب « المعرب والدخيل » المحفوظ في دار الكتب المصرية والمنسوب إلى أحد تلامذة صاحب الخزانة عبد القادر البغدادي ، والشيخ علي الشبرايمسي الفقيه الشافعي : « الشاروخ لفظة مصرية . وهو نوع من ملاعب النيران معروف . ولا أستاذ الشيخ محمد بن الحسن البكري فيه قوله :

إن في الشاروخ معنى لذوى الألباب عبره
إن تعالى فهو فرد أو تدلى فهو كثره

والعبرة فيه أن الكبر والتعالى معه القلة واللذلة ، والتواضع معه العزة والكثرة .
وفي شعر الأعشى :

وانما العزة للكاثر

وقد بدا لي منذ دهر أن الصاروخ أصله الصاروج أو الشاروق ، وهو النورة وأخلاقها . والنورة هي الكس أو الجيار ، وهو المعروف بالخير . وكان النفط - وهو ما يعرف بالبترو - كان يختلط بالكس فيلتب ، وكان ذلك يدخل في سهام الصواريخ فنسبت هذه السهام إليه . والكلمة فارسية الأصل ، وانتقلت إلى المصرية وهي في الفارسية سارو ، فعبرت إلى الصاروج أو الشاروق ونقلها المصريون في أيام البكري إلى الشاروخ ، كما سلف لك . وقد يظن بعض الباحثين أن الكلمة من الصراخ وهو الصوت والصياح ، وقد بان لك أن لها أصلا غير ذلك . ومما يردّ هذا الظن أنه لا يراعى في هذه السهام الصوت ، وإنما يراعى منظرها ، وأن صيغة الفاعول لم يأت عليها إلا كلمات محدودة ليس منها الصاروخ .

الوطنية الحققة : الوطنية الحق

الحق في الأصل مصدر حق الشيء ، يحق ويحق أى ثبت ووجب . وقد أطلق في مقابل الباطل فكان من إطلاق المصدر على معنى اسم الفاعل ، ولكنه استعمل في هذا المعنى استعمال الأسماء ، فهو لا يحتاج الى موصوف يجرى عليه ، فيقال : نطق بالحق ، ونطق غيره بالباطل . وأطلق أيضا وصفا جاريا على موصوف ، تقول : هذا أمر حق ، ومن هذا ما جاء في الآية ٣٠ من سورة يونس : «هنالك تبلوكل نفس ما أسلفت ورددوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون» وهذا أيضا من إطلاق المصدر في معنى اسم الفاعل ، وقد تقرر أن اللفظ في هذه الحالة يلتزم إفراده وتذكيره ، كما قال ابن مالك في الألفية : ونعتوا بمصدر كثيرا فالترموا الأفراد والتذكيرا

وعلى هذا تقول : هذا أمر حق ، وهذه مسألة حق ، كما تقول : امرأة عدل ، ولا تقول حققة ، كما لا تقول : عدلة . وعلى هذا جاء كلام العرب . فيقول ابن المعتز :

أيها السائل عن الحسب الأطيب ما فوقه خلق مزيد

نحن آل الرسول والعترة الحقة وأهل القربى فماذا تريد

ولنا ما أضاء صبح عليه وأتته رايات ليل سود

فأنت ترى كيف وصف العترة المؤنثة بالحق ولم يقل الحققة . وقد يقول قائل إن الحق منصوب على المفعول المطلق على أنه مصدر مؤكد ، كما تقول : هو ابني حقا . ولكن هذا خلاف ظاهر الكلام ، وابن المعتز من همه وصف العترة بالحق للتعريض بالعلويين أنهم عترة غير حق فيما زعم .

وجاء قوله تعالى في الآية ٤٤ من سورة الكهف : «هنالك الولاية لله الحق» فقرأ بعض القراء «الحق» بالجر على أنه صفة للفظ الجلالة ، وقرأ آخرون برفعه على أنه صفة «الولاية» وترى أنه لم يقل : الحققة . ويقول أبو حيان في البحر المحيط ٦ / ١٣١ : «قرأ النحويان وحيد والأعمش وابن أبي ليلى وابن مناذر واليزيدي وابن عيسى الأصبهاني الحق برفع القاف صفة للولاية ، وقرأ باقي السبعة بنحفضها وصف الله تعالى » ويريد بالنحويين أبا عمرو والكسائي وهما من السبعة .

وعلى هذا يقال : الوطنية الحق لا الحققة .

وقد سبق لي بحث في الوصف بالمصدر يتصل بما نحن فيه ، فمن شاء يرجع إليه

في ص ١٣٦ من الجزء الأول من اللغويات .

ازرع القمح ولا الشعير

يجرى هذا الأسلوب في لسان العامة . والمراد بالتخيير بين زراعة القمح والشعير .
والكلام العربي أن يقال : ازرع القمح أو الشعير .

وقد بدا لي أن أبحث تخريج هذا الأسلوب ومنشأه في العامية ، وظهر لي أن الأصل
ازرع القمح ، والا فالشعير ، أى ازرع القمح ، وإلا تشأ هذا فازرع الشعير . ومآل
هذا الى التخيير بين الزراعتين ، وقد صار هذا الأسلوب الصحيح في العربية الى الأسلوب
العامى بارتكاب أمرين يحافيدان العربية :

١ - حذف همزة إلا ، وحذف همزة القطع لا يكون الا في ضرورة الشعر ؛
كما في قوله :

تضبت لثلاث الخيل في حجراتها وتسمع من تحت العجاج لها أزملا
فتراه حذف همزة « أزملا » والأزمل : الصوت المختلط . وهو يصف حربا وهيجاء .
وقوله : تضبت لثلاث الخيل أى تسيل من الحرص على إدراك ماتريد وإنما يعنى رجال
الخييل ، وقوله : في حجراتها أى في نواحيها .

٢ - وحذف الفاء في الجواب ، وهذا قد يقع في الكلام قليلا ، وقد ورد منه
قوله صلى الله عليه وسلم لأبى بن كعب في اللقطة : فأن جاء صاحبها وإلا استمتع بها كما
في رواية البخارى ، وفي الأشموني : « وعن المبرد اجازة حذفها في الاختيار » .

ومن هذا الأسلوب مع اثبات همزة إلا قول تاج الملوك سعيد بن أيوب - على ما في
طبقات الشافعية ٦ / ١٣١

قالت : لقد أشتيت بي حاسدى اذ بحث بالسر له معلنا
قلت : أنا ؟ قالت : نعم أنت هو قلت : أنا ؟ قالت : وإلا أنا ؟
قلت : نعم ، أنت التى ألبست جفونك المرضى لجسمى الضنا
فقوله : وإلا أنا أى إلا تكن أنت الذى بحث بالسر فهل أنا الذى باح به ،
فالكلام على معنى الاستفهام وقد حذف أداته .

رغبت التعلم . أعاقني هذا الأمر

يجرى الناس في استعمال هذين الفعلين على غير الصواب .

١ — فالواجب في المثال الأول أن يقال : رغبت في التعلم ، وذلك أن الرغبة معناها الميل والحرص ، والحرص على الشيء يكون بالعزوف عن ضده ، فإذا ذكر الشيء المهوى توصل الفعل اليه بالحرف في ، فقليل : رغبت في كذا ، وإذا ذكر ضده تعدى الفعل اليه بالحرف عن ، فقليل : رغبت عن الجهل . فهذا معناها أنه مال الى شيء وانصرف عن الجهل ، والذي يقابل الجهل هو العلم ، فكأنه أخبر بميله الى العلم وانصرافه عن الجهل ، فالرغبة معناها واحد وهو الحرص والهوى ، وإنما يفيد الانصراف بوساطة الحرف مع التضمين ، فكأنه يفيد المعنى الأصلي مع الانصراف عند التعدية بالحرف عن ، وليس مشتركا بين المعنيين كما قد يتوهم .

وقوله تعالى في الآية ٥٩ من سورة التوبة « ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون » فيه تضمين الرغبة معنى الالتجاء وهي تفيد المعنى الأصلي ، وهو الحرص ، أى إنا راغبون فيما عند الله مع التجائنا إليه ، ولا يصح تضمين الرغبة معنى الإرادة ، فيتعدى بنفسه ، لأن وضع الفعل على التعدية بالحرف والتفريق في المعنى بالحرفين المختلفين ، والعام لما اقتصر وا على معنى الإرادة ومات عندهم معنى الإعراض سهل عندهم التضمين فعُدوه بنفسه ، ولكن هذا خلاف وضع الكلمة . والخطأ في تعدية الرغبة قديم ، فقد قال أبو عمرو الداني المتوفى سنة ٤٤٤هـ ، في خطبة كتابه التيسير : « فأجبتكم الى ما سألتهموه ، وأعملت نفسى في تصنيف ما رغبتهموه » .

٢ — والواجب في المثال الثانى أن يقال : أعاقني هذا الأمر من الثلاثى أو عوقنى ، ولم يرد التعدية بالهمزة ، وعلى هذا فالوصف عائق لا معيق ، وهذا الوصف الأخير يكثر في كتابات المثقفين في هذا العصر ، ومما يذكر في هذا المقام أنه ورد في المنجد - وهو معجم عربى - هذا النص : « العائقة : مؤنث العائق ، وهو كل ما يعيق عن العمل ، والجمع عوائق » وضبط (يعيق) بضم الياء ، ولولا هذا لصح أن يقرأ يعيق بفتح الياء ، وقد ورد في عاق يعوق عاق يعيق ، فهو واوى ويأتى ٤

محمد على النجار

المخدرات

ومشكلاتها في المجتمع

ما ان وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها حتى اجتاحت بلدان العالم المختلفة موجة شديدة من الإدمان على تعاطي المخدرات بختلف أنواعها وضربها ، استنزفت ملايين الجنهيات من دخول الشعوب في تعاطيها ، ودخول الحكومات في مكافحتها ، واجتاحت أبدان الأفراد وعصفت بحالتهم الصحية والنفسية ، فهدمت الأجسام وخلقت القلق والاضطراب والانهيال في الأعصاب ، فكثرت حوادث الانتحار ، وشرذ الأطفال ، وترملت النسوة ، وانهارت الأوضاع الاجتماعية والنفسية ، مما حدا بالحكومات في الكثير من البلاد الى تجنيد جنودها وحشد مكناتها لمسكافة المخدرات .

ولست المخدرات صنفا واحدا ، بل إنها أنواع كثيرة ، منها (الأفيون) الذي يستخرج من ثمار الخشخاش الناضجة ، والذي يزرع في الهند وآسيا الصغرى والعجم ، وقد عرف باعتباره مخدرا منذ زمن بعيد ، حتى إنه ليقال إن قدماء المصريين قد عرفوه ، فضلا عن بعض طوائف من رجال المذاهب الإسلامية التي كانت تعيش في خراسان . وتقول المصادر التاريخية بأنه قد بدأ تسربه من بلاد الصين الى بقية بلاد العالم . ومنها (الحشيش) الذي يؤخذ من أنثى نبات القنب الهندي الذي يزرع في بعض البلاد الأوربية كالنمسا والبلجيك واسبانيا فضلا عن بعض ممالك آسيا كالهند والصين ، وهو يجمع على شكل مسحوق في كتل بنية اللون أو مشوبة بنخضرة ذات نكهة مميزة ، وقد عرفه العرب ووصفوه في أسفارهم وأشعارهم ، ولقد قيل بأن سكان بلاد النوبة والهند كانوا يتعاطونه فيصنعون منه أقراصا يعتقدون أن في تعاطيها ذهاب الهموم وتهيئة الأحلام اللذيذة .

والأفيون والحشيش هما أهم أنواع المخدرات في العصر الحاضر ، وتوجد إلى جانبهما أنواع أخرى كالهريون ، وهو عبارة عن مسحوق بالورى أبيض اللون يصعب ذوبانه في الماء ويسهل في الكحول . وكالمورفين ، وهو أهم الأصول الفعالة في الأفيون وأقدمها كشفا ، ويمتاز بمرارة طعمه . وكالكوكايين ، وهو عبارة عن عصارة العنصر الفعال

من أوراق نبات (الكوكا) الذى تكثر زراعته فى البرازيل وكولمبيا وبوليفيا وأندونيسيا وجزر الهند الغربية .

ولقد كانت الغاية الوحيدة من إيجاد هذه المواد المخدرة فى مبدأ الأمر هى الاستعانة بها بصفة عامة فى الأغراض الطبية ، ولكنها ما لبثت أن أسىء استعمالها ، وأقبل عليها المدمنون يتخذون منها (كيفا) دائماً لهم يتعاطونه كما يتعاطون المواد والمشروبات المنبهة كالقهوة والشاي أو كما يتعاطون الماء والغذاء ، فبعد أن كانت وظيفة المخدرات التخدير والتسكين فى العلاج عموماً والعلاج من الإسهال ومن بعض آلام الرأس ، وبعد أن تعاطاها الناس بالفعل وفق إرشادات الأطباء لهذه الأغراض ، أقبلوا عليها متخذين منها مادة ضرورية لا يستطيعون بعد اعتيادها وإدمانها العيش بدونها . . .

ويتخيل الناس فى تعاطي هذه المخدرات كثيراً من المزايا ، واختلقوا لها كثيراً من الوظائف والآثار، وترجع هذه المزايا والوظائف والآثار فى مجموعها - كما يتخيلها المدمنون - إلى نعمة واحدة ، مقتضاها أن المخدرات تفتح الشهية للطعام ، وأنها خير معين على الحصول على المتعة الجنسية ، فضلاً عن أنها تذهب الآلام والأشجان من النفوس ، وتطرح البلبال من الأذهان ، وتبهيئ للمرء جواراً من الأحلام اللذيذة والخيال الواسع والتخيلات السعيدة ، فينسى بزعمه متاعب الدنيا وهموم الحياة ، وقد انكبت على تعاطيها الجموع الكثيرة من الناس طلباً لهذه المزايا ورغبة فى الحصول على تلك الوظائف والآثار، وكان تعاطيها فى أول الأمر مقصوراً على الأغنياء والقادرين ، ثم انتقل إلى فئات كثيرة من الشعب ، حتى لقد أضحي أكثر الإدمان شيوعاً بصفة خاصة بين ماسحى الأحذية وبائعى الجرائد وسائقي السيارات والمشردين والمتعطلين عن العمل ومن إليهم من الطبقات الفقيرة .

وإذا أردنا أن نلم بمساوئ المخدرات وتعاطيها ، وجدنا أن تلك المساوئ تكون مشكلة متشعبة الجوانب خطيرة الشأن متغلغلة الأطراف فى نواح شتى من الأوضاع العامة فى المجتمع ، إذ تشب هذه المشكلة أظفارها فى الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والجنائية والصحية والنفسية .

١ - فمن الناحية الاقتصادية ، لا شك أن ضعف المدمن وانحلال بدنه وقوته - نتيجة الإسراف فى تعاطي المخدرات - من شأنه أن يضعف الإنتاج ويحرمه من قوة العمال وحيويتهم وطاقتهم العملية ، ومتى ضعف الإنتاج انخفض مستوى العيش وعم الفقر

وانهار المجتمع تبعاً لذلك ، وهذا فضلاً عما يقترن بكل ذلك من انتشار البطالة والتعطّل بين الأفراد ، فيؤدّي ذلك إلى سرعة انهيار المجتمع الذى تنتشر فيه المخدرات .

٢ — ومن الناحية الاجتماعية ، يلاحظ أن الكثيرين من المدمنين يصابون بالعمى فيحرمون ويحرم المجتمع معهم من فلذات أكبادهم ، كما أنه قد ثبت فى حالات كثيرة أن الإدمان مرتبط بالجنون وفقدان العقل ، وأن فئة كبيرة من تضرعهم مستشفيات الأمراض العقلية يرجع جنونهم إلى الإدمان على المخدرات ، هذا فضلاً عما يسببه الإدمان من خراب البيوت وترمل النسوة وتشرد الأحداث .

٣ — ومن الناحية الجنائية ، ثبت أن الكثيرين من المدمنين لما أسرفوا فى إدمانهم ضيعوا أموالهم ودخلهم فى شراء المخدرات ، وباعوا فى سبيلها كل عزيز لديهم من عقار ومنقول ومتاع وحلى ، ثم لما لم يبق معهم شئ جئوا إلى الوسائل غير المشروعة للحصول على ثمن المخدر ، ومن هنا كان التجاؤهم إلى ارتكاب جرائم السرقة والنصب والاحتيال وما شاكلها من جرائم المحتاجين والمتعطلين ، يضاف إلى ذلك ما يسببه فقد الوعي الذى هو نتيجة تعاطى المخدرات ، من إتيان أفعال تكون فى الغالب من الأحوال جرائم معاقبة عليها تهدد أمن الدولة .

٤ — ومن الناحية الصحية ، تبين التأثير الخطير الذى تحدثه المخدرات فى صحة المدمنين إذ ثبتت إصابة المدمن بإن إدمانه بالأمراض المرضية والعصبية كفقّر الدم وضعف النبض وارتجاج المخ ولغط القلب واحتقان الكلى وضيق التنفس وفقد الشهية وحصول الأرق الشديد والزلات المعوية والآلام فى المفاصل ، كما أن المخدرات تؤثر فى مزاج المدمن فتخضعه لسيطرتها وتوجيهها ، فلا يستطيع الامتناع عنها ، وإن فعل أصيب بهبوط القوى وخفقان القلب والمغص الشديد والقيء الدائم والزيادة فى العرق والافرازات . ومما لا شك فيه أن الضعف الذى يحيق بجسم المدمن من شأنه أن يجعله أكثر تعرضاً للعدوى بالأمراض وبخاصة مرض السل ، فضلاً عن أن بعض المخدرات يؤدى إلى تعرض المدمن للإصابة بالملا里亚 والخراجات .

٥ — ومن الناحية النفسية ، يلاحظ أن المدمن يشعر عقب التعاطى بسرور وارتياح لا يسعد بهما إلا قليلاً حتى يقع فى ضيق شديد وانهيار فى الأعصاب ، فيما لمب المزيد من

المواد ، وإذا أفاق شعر بأنه فى حرج وأحس بتشعث ذهنه وفقدان السيطرة على أعصابه ، وصار سريع الغضب والهياج يتخلى من الحياة .

ولقد كان من شأن انتشار المخدرات وكثرة المدمنين عليها رواج تجارتها فى العالم تبعاً لوفرة الربح المادى الذى يأتى من بيعها ، ومن المعروف أن لتجار المخدرات الكثير من الحيل لتهريب مخدراتهم الى البلدان التى تمنع دخولها وتعاطيها ، تلك الحيل التى تتجدد وتتطور بتطور الوسائل التى تتخذها الدول لمكافحة ، ومن المأثور من هذه الحيل استخدام النساء والأطفال فى التهريب ، وتظاهر بعض التجار بالتجار فى أنواع من المنتجات كبيع الحلوى أو السجائر أو المسلى الصناعى ، واتخاذ بعضهم لباس بعض الطوائف التى لا يشك فيها كمشايخ الطرق والقسس والراهبات ، واستخدام الحقائق الديبلوماسية ، إلى غير ذلك من الوسائل والحيل .

وأعلنت الدول حرباً شعواء على تجارة المخدرات وتهريبها وتعاطيها ، فأصدرت من الناحية التشريعية القوانين التى تحرم تعاطيها وتفرض أقصى العقوبات على التجارة والتهريب ، حتى أن المجرم العائد فى جرائم المخدرات فى بعض البلاد يتعرض لعقوبة الإعدام ، وفى إنجلترا لا تختص بالضبط فى جرائم المخدرات سلطة معينة ، بل يقوم بها رجال البوليس فى اسكتلندبارد ، كما يقوم بها البوليس المحلى ومصلحة الهجرة والجمارك وخفر السواحل ، فضلاً عن أن لأفراد الشعب هناك الحق فى الإبلاغ عن اشتباهاتهم دون أن يأخذوا أجراً ، وفى أمريكا حيث تكثر عصابات التهريب وتمتاز بقوتها من ناحية الأموال والانتشار والتنظيم ، يقوم (المكتب الاتحادى للمباحث الجنائية) ورجاله بمكافحة المخدرات والقضاء على رجال عصاباتهما فى الداخل والخارج ، ويساعد هذا المكتب فى ذلك مصلحة خفر السواحل من ناحية البحر ومكتب المخدرات من ناحية البر ، فضلاً عن الرقابة الجمركية ، ويعتمد رجال المكتب الاتحادى على دار تحقيق البصمات الشخصية فضلاً عن معامل التحليل .

ويمكن القول بأن الواجب يقضى بتوحيد جهود مختلف الدول لمواجهة مشكلة المخدرات والتعاون فى سبيل مكافحتها ، إذ أن عصابات التهريب أضحت لا تقتصر على بلد دون آخر بل صارت تتميز بالطابع الدولى مما ينم عن خطورتها وفتحها ثغرة فى المجتمع الدولى لا تسد إلا بتوحيد الجهود وتعاون الدول وحشد القوى وتوجيه المكافحة .

ويهمنا أن نقرر أن من الأهمية بمكان في سبيل مكافحة المخدرات ، أن تتوجه العناية في كل دولة بوجه أخص إلى نشر الثقافة الشعبية بين الأفراد ، لتبين للناس خطورة المخدرات على حياتهم ومجتمعهم ، وأن تزودهم بالإحصاءات والبيانات العلمية التي تؤكد هذه الخطورة ، فإن تشديد العقاب ورفع العقوبة إنما مجاله تجار التهريب والترويج ، أما أغلبية الأفراد من المتعاطين ، فليس يكفي في شأنهم أن يشدد العقاب عليهم ، وأغلبهم تسيرهم دعايات الترويج ، كما يسيرهم الوهم والجهل ، لذلك يجدر أن يعزز العقاب بالإرشاد ، وتقرن العقوبة بالتوجيه والتبدين ، وتشتمل المكافحة على الثقافة الشعبية بشتى وسائل النشر والإذاعة ، باعتبارها عنصرا من أهم عناصرها ١

أحمد طه السنوسي

حجة الفلسفة الوجودية في مصر يقول :

نقل الأستاذ أحمد قاسم جودة في جريدة الجمهورية عن رسالة صدرت بالقاهرة سنة ١٩٥٣ م ، بقلم الرجل الذي يعتبر حجة الفلسفة الوجودية في مصر ، وهو الدكتور عبد الرحمن بدوي الأستاذ بجامعة عين شمس ما يأتي :

«إما أن تقول بالأخلاق فتفقد ذاتك، وإما أن تقول باللا أخلاق فتخاطر بوجودك... لكن الوجودى الحق هو الذى يفضل أن يخاطر بوجوده على أن يفقد ذاته .

» الوجودى الحق أعدى أعدائه القانون ... إنه الحرية نفسها ، فلا معنى للواجب في عالمها ، ولا تقييد لمدى انطباقها وانطلاقها ! .

» إنه الفعل الدائم ، أيا كان نوعه ونتائجه : فإن معانى الإثم والصواب كلها لا مفهوم لها في هذا الباب ! .

» إننا معاشر الوجوديين لا نريد أن ننساق في أحلام البراءة ، والبركة ، والطهارة ... بل نصيح ملء فينا : افعلوا ! افعلوا ! حتى لو أدى ذلك الى الخطأ » .

هذه هى الوجودية التى يتناول بعض أساتذة جامعاتنا واتبهم من مال الأمة ليدعوا بها الى التحلل من البراءة ، والبركة ، والطهارة ... فهل لمصر من ينقذها ؟ ! .

عطاء بن أبي رباح

ولد عام ٢٧ هـ - وتوفي عام ١١٥ هـ

هو أبو محمد عطاء بن أبي رباح ، فقيه الحرم ومفتيه ، المنفرد بالفتيا في مكة بعد حبر الأمة ابن عباس . كان مشهودا له من جملة الصحابة بالعلم والفقه والزهد ، حتى إن ابن عمر ليقول فيه حين قدم إلى مكة وقد جمع له الناس المسائل يستفتونه فيها ، قال : أتجمعون لي المسائل وفيكم عطاء بن أبي رباح ، وحتى أن أهل زمانه أجمعوا على تلك الشهادة : « إنه مابى على ظهر الأرض أحد أعلم بمناسك الحج من عطاء » وإنه لثالث ثلاثة شهد لهم الصحابة ، إذ يقول أحد الصحابة : مارأيت أحدا يطلب بعلمه ما عند الله إلا ثلاثة : عطاء وطاوس ، ومجاهد .

كان عطاء يتعهد طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم في التعليم والتهديب فلا يأبه لأن يكون ذلك في مسجد ، أو مكان معهود ، أو تهيؤ خاص ، فتراه وهو يطوف ينادى من معه : « أمسكوا عني ، واحفظوا ما أقول ، القدر خير من شره ، وحلوه ومره من الله تعالى ، ليس للعبد فيه مشيئة ولا تفويض ، وأهل قبلتنا حرام دماؤهم وأموالهم إلا بحقها ، وقال الفئة الباغية بالأيدى والنعال لا بالسلاح ، والشهادة على الخوارج بالضلالة » .

وكان يرى أن أي لحظة من العمر يجب ألا تخلو من عبادة ، وأي عمل لا يتجرد عن طاعة ، فإذا دخل المسجد نوى الاعتكاف حتى يكون دائما في عبادة وطاعة ، والإفراط في الكلام عنده غفلة للقلب ، وملهاة عن ذكر الله ، ومجال للم ، فيحليل الصمت ما وسعه السكوت . فإذا تكلم كان كأنما يؤيد بالوحى : يعظ ، ويذكر ، ويأخذ العهد على طاعة الله والإعراض عن اللغو .

يقول محمد بن سوقة لمن حضر لديه : إني أحدثكم بحديث لعله ينفعكم فإنه نفعى . قال لي عطاء بن أبي رباح : يا بن أخي ، إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام ، ويعبدون من فضول الكلام ما عدا كتاب الله أن يقرأ ، أو الأمر بمعروف أو النهي عن منكر أو أن تنطق بما فيه حاجتك لمعيشتك التي لا بد لك منها . أتسكرون « إن عليكم لحافظين كراما كاتبين » و « عن اليمين وعن الشمال قعيد . ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » أما يستحي أحدكم إذا نشرت صحيفته التي أملاها صدر نهاره ، أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه ؟ ؟

لقيه سريخ المغنى مرة في الحرم فقال له : بحق رسول الله عليك الا ما سمعت منى ،
فأن رأيت ما تنسكراً مرتين بالإمساك عنه ، ورب هذه البنية لئن أمرتني بالإمساك بعد
الاستماع لأفعلن . فأطمع ذلك عطاء في ابن سريخ أن يقلعه عما هو فيه ، واندفع سريخ
يغنى قول جرير الشاعر الأموى :

إن الذين غدوا بلبك غادروا وشلا بعينك ما يزال معينا
غيضن من عبراتهم وقلن لى ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فأعجب به عطاء ولم يرفش ولا هجرا حتى يأمره بالكف عن الغناء ، ولكنه خشى
على نفسه الفتنة وآثر لها السلامة بكبح جماحها والرغبة بها عما تريد لها طبيعتها من مرح
وطرب ، ولا بد لمثل عطاء من أن يتعفف عما لا يشين غيره فإنه المفتى والقسوة ، وكما
يقولون : حسنات الأبرار سيئات المقربين ، وإن كان يسمع الغناء بعد ذلك عن غير
قصد ولا رغبة ، فلم يكن ليطالبه ولم يكن لينعه ، وإن له في ذلك ذوق الأديب وإحساس
الشاعر ، فيفاضل في الأصوات ويحكم في التنعيم والترنيم . . . ثم يسأل عطاء عن مجالس
الذكر التى تكفر مجالس الباطل فيجيب : « مجلس الذكر مجلس تعرف فيه الحلال من الحرام ،
وكيف تصلى وكيف تصوم وكيف تزوج وكيف تطلق وكيف تبيع وكيف تشتري » .
والإجماع عنده أقوى من الإسناد فقد كان يلقى بالفتوى ويسأل عنها فيقول : ذلك رأى
الأمة وإجماع الناس ، وما أجمعت عليه الأمة أقوى عندنا من الإسناد

لقد كان عطاء أحد خمسة هم متكأ العلم وسند الفقه ، وإليهم ينتهى الفضل في التفقيه ،
رووا عن شافه الوحى ، وسمعوا من كتبه صحابة رسول الله وسندنا في ديننا إلى يوم
الناس هذا بل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهم عطاء ، وطاوس ، ومجاهد ،
وسعيد بن جبير ، وعكرمة مولى ابن عباس رضى الله عنهم أجمعين .

وإذا كان التصوف - كما يقولون - التحصيل للأصول ، والتنبيه للعقول ، والتعليم
للجهول ، فإن عطاء كان حقا صوفيا ، أخذ العلم من أصل أصوله ، وتفقه على خيرة
الصحابة ، فاستسقى من أصفى المنابع وأنقاها ، ونبه العقول بحكمه البالغة ، وعظاته النافعة ،
وفقه العميق .

بلغه يوما أن الحسن البصرى قال في مجلس علمه : « اعتبروا من المنافق بثلاث :
إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أئتمن خان . فقال عطاء : لقد كانت هذه
الصفات الثلاث في ولد يعقوب : حدثوه فكذبوه ، وأئتمنهم فخانوه ، ووعدوه فأخلفوه ،

ومع هذا أعقبهم الله النبوة . وبلغ الحسن قول عطاء فما زاد على أن قال : « وفوق كل ذي علم عليم » .

وحق اذن لبنى أمية ، بل ووجب عليهم ، أن يصبح مؤذنين في موسم الحج « لا يفتي الناس الا عطاء بن أبي رباح » ولم لا ؟ وهو امام الفقهاء ، من أفضل التابعين ان لم يكن أفضلهم تقوى وزهدا ، فقد غبر عشرين عاما فراشه المسجد ، لا هم له الا أن يفقه في الدين حق الفقه ، ويوجه إلى العبادة الصحيحة أكمل توجيهه ، وينبه إلى تقوى الله أصح تنبيهه .

وأكثر ما روى عطاء عن حبر الأمة ابن عباس ، وأم المؤمنين عائشة ، وحفاظ الصحابة : أبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري ، وابن عمر ، وروى عنه عمرو بن دينار ، وقتادة ، والزهرى ، ومالك بن دينار .

يقول أبو حنيفة النعمان صاحب المذهب : أخطأت في خمس مسائل من المناسك فعلمتها حجام ، وذلك أنى أردت أن أحلق رأسى فقلت للحجام : بكم تحلق رأسى ؟ فقال : النسك لا يشارط فيه . اجلس ، فجلست منحرفا عن القبلة ، فأومأ إلى باستقبالها ، وأردت أن أحلق الجانب الأيسر فقال : أدر شقك الأيمن فأدرته ، وجعل يحلق رأسى وأنا ساكت . فقال لى : كبر فعملت أكبر حتى انتهيت ، فقممت لأذهب . فقال : إلى أين تريد ؟ قلت إلى رحلى ، فقال : صل ركعتين ثم امض . يقول أبو حنيفة فقلت : ما ينبغي أن يكون هذا من مثل حجام إلا ومعه علم ، وقلت له : من أين لك ما أمرتنى به ؟ فقال الحجام : « رأيت عطاء بن أبي رباح يفعل ذلك » .

وان تعجب فعجب مسلك عطاء مع الخلفاء ، لاهو بالأمة الحامل المنزوى ، ولا هو بالمفتات المتبعج السليط ، ضم الى ذلك أنه كان أزهد الناس فيما فى أيدي هؤلاء ، فوعظهم وذكرهم حتى أبكاهم ، وزجرهم وأنبههم حتى غشاهم من الهم ما غشاهم ، وليس المجال للتقصى والحصر ، وحسبك - يا صاحبي - من القلادة ما أحاط بالعنق ، ومن السوار ما أحاط بالمعصم .

يروى لنا التاريخ أنه دخل على أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فى إحدى حجاته وهو فى خلافته وسلطانه ، فهش له الخليفة ، وتلقاه فى اكبار وخشية ، وأجلسه معه على سرير الخلافة ، ثم جلس بين يديه متوقفا رزينا ، وحوله أشراف مكة من كل بطن ، ثم قال له : ما حاجتك يا أبا محمد ؟ فقال عطاء : « اتق الله يا أمير المؤمنين فى حرم الله ورسوله ،

وتعهد به بالعارة ، واتفق الله في أبناء المهاجرين والأنصار ، فأنت بهم جلست هذا المجلس ، واتفق الله في أهل الثغور فأنهم حصن المسلمين ، وتفقد أمور المسلمين فأنت وحدك المسئول عنهم ، واتفق الله فيمن على بابك ، ولا تغفل عنهم ، ولا تغلق دونهم بابك . كل ذلك وعبد الملك يقول : أفعل ان شاء الله ، ثم نهض عطاء ، فأخذ عبد الملك بيده وشد عليها وقال : يا أبا محمد ، سألتنا حوائج غيرك ، فقد قضيناها ، فما حاجتك ؟ فقال : « مالى إلى مخلوق حاجة » ويقول عبد الملك : هذا وأبيك الشرف ، هذا وأبيك السؤدد .

ويقول مقالته تلك أو قريباً منها لهشام بن عبد الملك في خلافته يسأل حاجات الناس من الجند ، والفقراء ، ومن أصابتهم مسغبة ، ولأهل الذمة وتكليفهم من العمل مالا يطيقون . وعطاء يقول ، وهشام يأمر بأنفاذ أمره ، وينهى مجلسه هذا بقوله : « يا أمير المؤمنين ، اتفق الله في نفسك ، فأنت خلقت وحدك ، وتموت وحدك ، وتحشر وحدك ، وتحاسب وحدك ، والله ما معك ممن ترى أحد . فأكب هشام على البكاء ، فتركه عطاء وانصرف ، حتى إذا كان بالباب حملت إليه صرة فيها دنانير ، فقال : ما أصنع بهذا ؟ « قل ما سألتكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين » .

وحتى على عطاء يفترى الناس ، وينطلى الزور ويروج ، ومثله لا يخلو من حاسد يفترى ، وحاقد يتقول ، وقد دس عليه بعض الحبان بيتين ونسبهما إليه ، هما :

سألت الفتى المكي هل في تراور وضمة مشتاق الفؤاد جناح
فقال معاذ الله أن يذهب التقى تلاصق أبكاد بهن جراح

وسئل عطاء في هذا ، فقال : والله ما قلت شيئاً من هذا ولا أحسنه ، وإنما نخلنى الشاعر هذا ، ونفته الشيطان على لسانه . وليس من اليسير على الأذهان أن تتقبل هذا في رجل تأثم في غير مآثم ، وتخرج من غير مخرج ، وزهد الخلفاء حتى أبكاهم ، وزهد فيما عندهم فغبطوه على شرفه .

مات رضى الله عنه وهو أَرْضَى أهل الأرض عن الدنيا ، وأشدهم خشية لله وأحبهم للقاء ربه ، وأدناهم من طاعة ، وأناهم عن معصية ما

محمد حافظ

المدرس بمعهد الإسكندرية الثانوى

فارس عين جالوت .. ! والإسلاماء !

نعتقد صادقين أن للإسلام الغلبة والبقاء مهما تألبت عليه قوى الشر وعناصر الفساد، وتلك الحقيقة السافرة هي التي تضطرم لها أوربا غيظا وحنقا ، فقد جاهد دهاتها في محاربة الإسلام جهادا لا هوادة فيه ، ولم يجدوا بعد الكفاح المرير والإعياء القاتل غير الهزيمة والخذلان !! ولهذه الحقيقة السافرة شواهد من التاريخ وبراہين من الواقع ، وحديثنا عن معركة عين جالوت ، وبطلها الملك المظفر قطز ، دليل مؤكد يبرز معدن هذا الدين الحى ، دين العزة والرجولة والاستبسال !!

لقد تعرض الإسلام فى القرن السابع الهجرى لإعصار مدمر رهيب ، فقد جهد الغزو التترى الماسق فى بلاد فارس مع العدوان الصليبي الآثم فى شواطئ النيل على استئصال شأفة الإسلام وتقويض معالمة ، وظن المرجفون أن ساعة الإسلام آتية ، ولكن مصر الإسلامية الظافرة تسجل فى صحائف التاريخ نصر الإسلام ونجاحه ، وتقف أمام الغزاة من الجانبين وقفات رهيبة قاسية ، ثم تنجلي المعركتان عن فوز ساحق يكفل جيش مصر ويضىء قسماة الإسلام .

لقد تدفقت جيوش التتار من هضاب الصين، فاكتمست نراسان وهمدان وقزوین، ثم اجتاحت مرو ونيسابور وهراة ، فقوضت عروشاً وأبادت مدناً ، وشبت شوب النار الجائحة لا تذر من شىء أنت عليه إلا جعلته كالريم، وقد جرفت فيما جرفت من العروش سلطان ملوك خوارزم ففترقوا أيدى سباً ، وتمزقت أشلاؤهم تحت سنبلك الخليل وشواجر الرماح ، وبيع من بقى من الأطفال والصبية ببع الرقيق !! وقد كان الملك المظفر « قطز » فى طفولته أحد هؤلاء الضحايا الذين جىء بهم من بلاد الأكراد، ليباع فى أسواق دمشق ، غير أنه كان يحمل فى نفسه همه عالية ، وعزيمة وثابة ، فنشأ مجاهداً مكافئاً ، وحرص على الثقافة والفروسية معا ، وقد كان العز بن عبد السلام بدمشق - آنئذ - يشن

الحملات القاسية في تعبئة الشعوب العام ضد التتار ، ويدعو المسلمين إلى مؤازرة جلال الدين - خال الملك المظفر - في جلاده الرهيب مع الأعداء، ويرى أن يتجمع المسلمون تحت راية واحدة ، ليتمكنوا من الوقوف صفا واحدا أمام الخطر المشترك ، وكلما جاءت الأنباء بانتصار جلال الدين ، طرب له العز واهتز ، ودعا فأخلص ، فلما حانت خاتمة الألفية بعد أن أغرق زوجته ونسائه في نهر السند ، واضطر إلى محاربة إخوانه في العقيدة ممن نكّلوا عن مؤازرته في دفع الخطر المتوثب ، تحسر العز وأسف !! وسمع قطز بما يمكنه الشيخ الكبير لأسرته من حب وإعظام فسعى إلى مجلسه وتلمذ عليه وعلى أقرانه من أئمة العلماء ، كما أتقن الصيال والثوب في ميادين الفروسية والبطولة ، وقد كان اقترابه من العز نفحة مباركة ميمونة ، ألهمت مشاعره الوجدانية نحو الإسلام ، وجعلته يعد نفسه بطلا من حماته ، فخذق لذلك أساليب القتال وضروب الشجاعة ، وما زال يقيم الدليل بأفعاله المعجزة على جرأته الثابتة ، وحسكتة الماهرة ، وعواطفه نحو الإسلام تشب وتلهب ، فلم يكن بين الجنود جنديا ياتمر بأمر قائده متى أمر ، وحيث أراد ، ولكنه - بتأثير العز بن عبد السلام - وضع الفكرة الإسلامية بين عينيه ، وسار على منارها أنى تألق وأضاء ، وآية ذلك أن الصالح اسماعيل صاحب دمشق قد هادن أعداء الإسلام من الصليبيين واستعان بهم في حروبه الكافرة مع صاحب مصر الصالح أيوب !! ونظر الملك المظفر فوجد أعداء الإسلام يقفون معه تحت لواء واحد أمام مصر التي ردت سهام الفرنجة إلى نحورهم ، وقدمت أفلاذها العزيزة قربانا للعقيدة !! وزيادا عن العربية ! وهنا يضطرم الغيظ في صدر البطل الباسل فيصيح في إخوانه صيحات مؤنبة منددة ، ويحمل الراية مع من معه في دمشق لينضم إلى جيوش النيل الباسلة ، تاركا ملكه الخائن يتفتت غيظا وكدا حين يرى أعظم كتيبة في جيشه تنخلع من ظلام الباطل إلى ضياء الحق ، فيتم على يدها النصر الحاسم لمصر ، ويعرف الصالح أيوب صاحب مصر جهاد البطل الأبى فيضمه إلى مماليكه ، ثم يجتبيه نائبه وظهره عز الدين أيبك فيجعله من أخلص خلصائه ، وأصدق أعوانه ، وحين خرجت الجيوش المصرية إلى مقاتلة الصليبيين في أرباض دمياط كان قطز يقوم بجهده الموفق فيجمع الكتائب ، ويحترق الصعاب ! حتى إذا وجد الفرنجة يقتحمون السدة السلطانية بالمنصورة تدفق الدم الإسلامي الأبى في عروقه ، وصرخت أعجاده العريقة، فاشتعلت النخوة الإسلامية في رأسه ، واندفع إلى السدة يضرب ذات اليمين وذات الشمال حتى درأ عنها الخطر الفاجر ، ثم تعقب الهاربين في

السواحل المترامية والمروج الفسيحة تقتل ومزق، إلى أن انجلت المعركة بنصر الله ، فأسر لويس التاسع وتبدد جنده الفاشل ما بين قتيل وشريد : فتمت بذلك الكلمة العليا للإسلام

كان النصر الحاسم الذى بلغه الجيش المصرى فى نضاله الحميد مذكيا للهيم ، وعجيبا ما اندثر من الآمال ، فقد ارتفع بالروح الوطنية الى أوج سامق ألاق ، فشعر المصريون أنهم ذادة الإسلام وحماة ، ولمسوا مواضع القوة فى أرواحهم العالية ومعادهم النفيسة ، ونظموا أهازيج البطولة يرددونها فى غدواتهم وروحاتهم نفورين متفائلين ، ولكن ما لبثت الأنباء تغد بعد قليل من بغداد أليمة قاسية ، فقد داهم هولاكو مدينة السلام بخيانة ابن العلقمى وأعوانه الظاهرين والمستترين ، واستأصل ما فيها من الذخائر والأعلاق ، وأجرى الدماء أنهارا مائجة ، وأسقط الخلافة سقوطا أليما ، وجلب الدمار والتخريب على قصبة الإسلام وحاضرة العربية ، ثم زحف بجنوده الى الغرب مدمرا حاصدا فعب الفرات واستولى على بلاد الجزيرة وما وليها من ديار بكر وحران ونصيبين والرها ! ثم وصل الى حلب ! وقد اتخذ من الطغیان الآثم منطلقا يبر به وحشيته المتبررة ، فهو يعتمد الى التهديد والوعيد ، ثم يثنى بالتنفيذ الوحشى الرهيب ! فلا يرحم طفلا أو كهلا ، بل كانت آهات الضحايا وزفوات الصرعى نغمت حلوة تصل الى أسماع جنوده فيترنحون ثملين ، وقد تجردوا من إنسانيتهم الرحيمة وإحساسهم الشفيق ، وصاروا يعتقدون أنهم زلزال الأرض لا يقف أمامهم جبل شامخ أو حصن منيع ! وقد اضطربت بلاد الشام اضطرابا عنيفا لهجوم الطاغية وتعرضت لبركان مدمر ، بينما انطلق الجواسيس ودعاة الهزيمة يبعثون الرعب فى النفوس ، ويصوّرون الغزاة المتوحشين فى أبشع صورهم الحمراء ، وقد ترامت الأنباء الفاجعة الى القاهرة فبات المصريون منها على شر مستطير ! .

كان الملك المظفر - حينئذ - نائبا للسلطنة المصرية ، حيث يجلس على العرش شاب جاهل هو على بن معز الدين أيبك ، ولم تكن له دراية بغير اللهو والعبث ، فثله لا يستطيع أن يواجه الموقف الرهيب فى أحلك ظلماته وأخطر مواقفه ، فاتجهت الأنظار الى قطز ، ذلك العملاق الجبار الذى يحمل فى أعماقه أحر الأحقاد على التتار ! هؤلاء الذين شردوا أهله وفرقوا سلاطينهم فى خوارزم ، وتركوا البؤس ينعب فى بلاد التركستان وهضاب فارس ! فالتقت الحمية الأبوية فى نفسه ، بالروح الإسلامية التى أجاج نارها سلطان العلماء العزيز عبد السلام فى عروقه ، وخلق ذلك منه بطلا إسلاميا فدائيا لا يستنم الى ضيم ، أو يركن لنخوع ، فملك زمام الأمر ، وأصبح سلطان البلاد فى خطبها الجليل ! .

جمع الملك المظفر أعوانه وجنوده ، وأطاعهم على حقيقة الأمر في بغداد وأعلمهم أن مصر مطامح الأنفس ، ومراد العيون ، ولا بد أن الوحش الترى سينقص عليها بجوعه ما بين ساعة وساعة ! وقد شاءت الأقدار أن تضع أمامهم وثيقة لا تقبل النقض ، إذ بعث الطاغية رسله بأنذار متعجرف أحق ، يقول فيه :

« من ملك الملوك شرقا وغربا القائد الأعظم ، باسمك اللهم باسط الأرض ، ورافع السماء ، يعلم الملك قناز وسائر أمراء دولته ، وأهل مملكته بالديار المصرية وما حولها من الأعمال ، أنا نحن جند الله في أرضه ، خلقنا من سخطه ، واصلنا على من حل به غضبه ، فلکم بجميع البلاد معتبر ، وعن عز منا مزدجر ، فاتعظوا بغيركم ، وأسلموا إلينا أمرکم ، قبل أن ينكشف الغطاء ، فتندموا ويعود عليكم الخطأ ، فنحن ما نرحم من بكى ، ولا نرق لمن شكى ، وقد سمعتم أننا فتحنا البلاد ، وطهرنا الأرض من الفساد ، وقتلنا معظم البلاد ، فعليكم بالهرب ، وعلينا الطلب ، فأى أرض تأويكم ، وأى طريق تحميكم ، وأى بلاد تنجيكم ! فما لكم من سيوفنا خلاص ، ولا من مهابتنا مناص ، نخيولنا سوابق ، وسهامنا خوارق ، وسيوفنا صواعق ، وقلوبنا كالجبال ، وعددنا كالرمال ، فأنكم أكلتم الحرام ، وختمتم اليهود والأيمان ، وفشا بينكم العقوق والعصيان ، فأبشروا بالمسذلة والهوان ، فالיום تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون ، وليعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ، فالحصون لدينا لا تمنع ، والعساكر لقتالنا لا تنفع ، ودعاؤكم علينا لا يسمع ، فأسرعوا برد الجواب قبل أن تضرم الحرب نارها ، وترمى نحوكم شرارها ، فلا تجدون منا جاها ولا عزا ، ولا كافيا ولا حرزا ، وتصبح بلادكم منكم خالية ، فقد أنصفناكم إذ راسلناكم ، وما بقى لنا مقصد سواكم ، والسلام علينا وعليكم وعلى من أطاع الهدى وخشى عواقب الردى ، فأطاع الملك الأعلى » .

هذا مذاق الطغاة ! لا يتغير ولا يتبدل في كل زمان ومكان ، فهم المدافعون عن الحقوق دائما ! ومع أنهم وثيون يستشهدون بالقرآن ، ويدعون أنهم جند الله في أرضه ، يفتتحون البلاد ! ويظهرونها من الفساد ! ويعصفون بمن يأكل الحرام ، ويخون اليهود وينقض الأيمان ! أجل ، هذه هى رسالة التتار الذين أفنوا في بغداد مليونى نفس ، وأبادوا شتى الحضارات الزاهرة في الشرق التليد ، ولولا موقف مصر الخالد لعبروا الطريق الى الأندلس وأوربا يحملون الدمار والوبال ! ولن تجد فاسقا في الناس يعترف

بفسقه وجوره ، بل يجد من الضرورة أن يتشج برداء ممؤه من الغيرة والحفاظ ، كما حاول التتار أن يظهروا مظهرًا خادعًا في إنذارهم العجيب .

جمع الملك المظفر جنوده ورجال مملكته ليلهب فيهم جذوات الحمية والإباء، وقد احتشد العلماء والأمرء وأعيان الدولة في يوم مشهود حافل ، ووقف العزيز عبد السلام رحمه الله يذكر فضائل الجهاد، ويعد بثبوة الله في الآخرة ، وشرف الحياة في الدنيا ، وكان الشباب المصري الأبى من التجار والزراع والصناع يقفون الموقف مع الجنود حق قدره ، ويقدمون أنفسهم كتائب غازية تؤازر الجيش الرسمي وتسانده ، زيادا عن الكرامة والوطنية والإسلام !! وقد رأى بعض الممالك أن تفرض الضرائب ، وتجمع الأموال لتكون رصيда متأخرا يرجع إليه المحاربون حين يعوزهم العتاد في ساحة الجهاد ، ولكن سلطان العلماء رضى الله عنه يصبح صيحة تخفض لها الرؤوس وتنعقد الشفاه ، فيأمر جميع الممالك بأن ينزلوا أولا عما عندهم من النفائس والجواهر والحلى !! حتى إذا ما تم ذلك وبقيت للجيش حاجته للمال تبرع الشعب بما يملك عن رضا وسخاء !! وذلك موقف منصف عادل ! إذ أن الجواهر الثمينة التي تمور بها خزائن الأمرء ، والحلى الذهبية التي تكتنز لدى الممالك ، قد أخذت حراما من الشعب ، ويجب أن ترد إليه في ساعة العسرة دون اعتراض ، لا سيما وقد قاسمهم الشعب جهادهم المرير فوقف معهم في شواطئ دمياط وشعاب فارسكوريرد الصليبيين ، وها هو ذا ينهض ثانية من خلفهم ليقا تل التتر في أرباض الشام غير مدخر وسعا أو طاقة ، وكانت النتيجة مرضية ، فقد بذل الأمرء ما عندهم ، وبذل الشعب ما عنده ، وتعاون الفريقان على النضال متربصين إحدى الحسنين : النصر أو الاستشهاد .

سار الجيش الباسل وقائده قطز في طليعته أسوة حسنة للجهاد الغيور ، وقد لمس بعض التردد من الأمرء فصاح صيحة جهيرة : « يا أمرء المسلمين ، تأكلون أموال بيت المال ، وأتمم للغزاة كارهون !! من أراد الجهاد فليتبغنى ! ومن تأخر فأن الله مطلع عليه ! وخطيئة حريم المسلمين في رقاب المتأخرين ! » .

وقد أخذ الرجل لجيشه كل حيلة وتدير ، فافترض الفروض البعيدة ، ورأى من المحتمل أن يهتبل الصليبيون انشغاله بالتتار ، فيروعوا دمياط من جديد !! لذلك بادر بردم مصب النيل هناك ، كيلا تعبر منه السفن غازية كما سبق أن عبرت في الحملة المنهزمة ، وأقام

حامية قوية من جيشه على الإسكندرية تحفظ الأمن وتدفع الغير ، ثم انتقل إلى « عكا » وكانت بأيدي الصليبيين ، فأنذر أهلها وتهدهم بما لا طاقة لهم به ، كيلا يكونوا يدا مع التتار عليه ، فانكشوا في محورهم وقدموا إليه الهدايا والتحف تزلفا ومحاباة ، مع أنهم قد عاهدوا التتار من قبل على التحرش بالجيش المصرى ، ومباغتته من الخلف ، ولكن تهديد البطل ووعيده قد أثار في نفوسهم ريحا من الخور فشلت الأقدام عن الحركة وجمدت السيوف في الأكف ، وباءوا بخذلان من الله كبير .

وفي رحاب الأردن ، بين التلال الناهضة ، والوديان الهابطة ، لدى عين تعرف بعين جالوت ، تقابل المسلمون والتتار في أخرج موقف تعرض له الباغون منذ اندلعوا كاللهيب العاصف في بلاد الشرق ! وقد رأوا أوسمة الممالك الذهبية ، وحلهم الغالية ، وخيولهم الصافنة ، ورماحهم المحلاة ، فحسبوا جميع ذلك لقمة سائغة ، وغنيمة باردة ، ونسجوا الأحلام الساحرة لأنفسهم إذ يملكون وادى النيل بجنانة الخضر وسهوله اليانة ، ثم اندفع الفريقان كالأتى المزبد في معركة دامية ، وحمل التتار على كتائب مصر حملات عاصفة ، فردوا الحرس السلطاني إلى الوراء ، واختل توازن الجيش الإسلامى لحظات ، ولكن القائد المظفر قصد إلى القلب بجميع قوته ، وقد حشد عزمته العاتية ، وأطلق حنجرته العالية يصيح « وا إسلاماه ! وا إسلاماه !! » صيحات استجاشت همم المجاهدين البواسل ، فغمر تيارها الكهربي أرواحهم الظائمة للشهادة ، واندفعوا إلى أعدائهم غير مباين ، وتوالى الطعان والضراب في زلزلة مرعبة راجفة ! ! والتتار مذهولون لما يشاهدون ، فخنودهم يتساقطون وصوت القائد المظفر يدوى - وا إسلاماه - فتخلع القلوب من الرعب ، ويمد جنوده بمدد سماوى متلاحق ، ثم تتجلى المعركة العنيفة وقد فضحت التتار فضيحة نكراء ، فهاموا على وجوههم مشردين في الآفاق ، وذاقوا مرارة الهزيمة الماحقة لأول مرة في تاريخهم الدموى الرهيب ، وقد سقط القائد العظيم إبان المعركة من فوق فرسه ، ولكن عناية السماء أدركته فوثب وثبة طائرة على فرس آتري حتى عنه صاحبه في لحظة بارقة ، وحمل الراية مستميتا مستبسلا ، ثم تتبع الفلول الهاربة بجنوده ، فأباد منها خلقا كثيرا وقتل القائد التترى « كتبغا » وبعث برأسه إلى القاهرة فضج المصريون بالفرح والهناف ، وأقيمت الرايات والأعلام ، وشعر كل مصرى يعيش على ضفاف النيل أنه صاحب هذا النصر العظيم .

أما بلاد الشام فقد احتفلت بالملك المظفر احتفالا بهيجا ، ودخل دمشق في موكب هزبه الإسلام أعطافه ، واختال في جنباته السعد والإقبال ، ولسكنه لم يشمخ بما تم على

يديه ، بل سجد شكرا لله وعفر وجهه في التراب مرات ومرات !! وكأني به وقد شعر في أعماقه بارتياح منعش حيث أقر عيون المسلمين بالنصر ، وانتقم لأسرته الشريفة في خوارزم ، وخلد في صفحات التاريخ ذكرا لا تمحوه الأيام !!

وهنا تقف طويلا معي لتسمع خاتمة هذا البطل الفدائي العجيب بعد أن تم نصر الله على يديه ، وترى كيف تتجمع السحب القائمة لتطمس نوراً يشع وتمحو كوكبا يتألق !!! لقد ذهب هذا الفدائي الباسل ضحية مؤامرة دينية . فقد أثر عليه منافسه الظاهر بيبرس مع فريق من أعوانه المغرضين ، بعد أن وعدهم بالمناصب والأوسمة ، فانهالوا بحراهم المسمومة عليه في لحظات صفائه ، وخر مضرجا بدمائه وكأنه لم يكسب نصرا حمى به الإسلام من وحوش كواسر ذات مخالب وأنياب !! وكان الأولى بالظاهر أن يذكر أن مليكه الشهيد قد أسلف إليه يدا خالدة ، إذ أنقذه من مخالب الموت حين خاف من الملك الناصر وكتب إليه يسأله الأمان ، فقادته النخوة العالية وتقبل رسالته بقبول حسن ، ودعاه الى مصر ثم توجه إلى لقاءه وأنزله بدار الوزارة ، وجعله قائد جيشه ثم أقابعه (قلوب) ، وتلك المنى العجيبة في تسلسلها الرائع لم تجد مكانها من قلب بيبرس !! مع أن الإنسان عبد الإحسان .

لقد نسى الظاهر منة قطز عليه ! وكان في مقدوره أن ينبذ نبد النواة فيهم على وجهه في الفلوات ، وأعجب شيء أنه وجد من المؤرخين من يبرر غدره الشنيع ، فيقول : إن الملك المظفر قد وعده بولاية حلب أثناء المعركة ليشد أزره ، ثم أخلف وعده متشككا في طويته !! فلا في جزاء خلفه !! أفيمكن ذلك تبريرا سائغا ينجي الغدر والاغتيال !! لقد أنعم السلطان عليه بعد المعركة ببعض الغنائم ليستل سخائمه ، فتظاهر برغبته اللثيمة في تقبيل راحته ، ثم اندفع الى الرجل المسلم الأعزل بخنجره المسموم يمزق أديم حشوه همهم وعزائم ، وأقبل أعوانه من خلفه يحطمون أشلاء تحمل أطيب العناصر وأكرم الخلال ، وهكذا يكون المصير .

لقد قضى السلطان المظفر أقل من عام في حكمه ، ولكنه دخل التاريخ من أوسع أبوابه حين حمى الإسلام في عين جالوت ، وكان موفقا كل التوفيق إذ كسب بصيحاته الخالدة « وإسلاماه » نصرا تعذر على الجباة والعتاة !! ولعمري لولا الإلهام الرباني يدوى صارخا على لسانه ، فيهدى القوة الى الضعيف ، والشجاعة الى الجبان ، والإقدام الى المحجم ، ما كسب السلطان هذا النصر المؤزر في حومة الجهاد ، فما أجددنا أن نصيح في أزمان الخطوب ، وحوالك النذر : وإسلاماه !!

محمد رجب البيومي

المدرس بالمنصورة الثانوية

بشرى

فقد رفع الصباح عموداً

احتفلت مشيخة الأزهر بتكريم الأمير الجليل (عبد الله جابر الصباح) وزير معارف الكويت بمناسبة تبرعه السخي لتشجيع الطلبة المتفوقين بالأزهر. وقد ألقى فضيلة الأستاذ الشيخ محمد سليمان بدير الأستاذ بكلية أصول الدين قصيدة قيمة تقتطف منها ما يلي :

* * *

نسقت من درر الكلام نصيدا	ونظمته لابن الصباح قصيدا
ووقفت في حفل الأمير مرددا	آى الثناء على الندى ترديدا
حفل من المعمور ضم شيوخه	وشبابه ومدرسا وعميدا
والبشر قد غمر الوجوه كأنها	جاءت لتشهد في لقاءك عيدا
أو ما ترى الأعلام من أهل النهى	يتوافدون الى لقاك وفودا
ورئيسهم نخر الشيوخ وتاجهم	قد عاد يكرمكم فكان سعيدا
من بعدما أدى رسالة دينه	في (اندونيسيا) هاديا ومفيدا
لما أحس بحفل شرفتنا	بحضوره ركب الفضا ليعودا
فكأنما حب المروءة هزه . . .	شوقا إليك فما استطاع قعودا

* * *

العلم يا مولاي أدى واجبا	نحو الكريم أبوة وجدودا
والشعر في حفل الأمير يردد الشكر	الحزيل مكررا ومعيدا
وأنا الوفي لمن يكرم معهدى	أوفى المديح قصائدا ونشيدا
لم أمتلك إلا ثناء عاطرا	أزجيه في تكريمه تغريدا
ولو ان في كفى جمان بلاده	لنظمت من در (الكويت) عقودا
وعقدت حبات النفيس برأسه	تاجا يشع بهامة معقودا
لكن تاج الفخر فوق جبينه	قد فاق قدرا لؤلؤا وفريدا
والشعر في ذكر المفاخر يزدهى	عطف الكرام ويستميل قدودا

فكأنما فيه رنين مزاهر
إما ترنم في مديح سميذع
خذ من قريضى في الأمير مدأنا
قد سار مسرى النور في آفاقه
من توج الدين الحنيف وأهله
هذا أمير العرب غيدق عصره
أعطى الجزيل وما أراد دعاية
ودعاية البخلاء تفرع سمعنا
فأذا دعوتهم لخير عاجل . .
والمال حيناً قد يذل لمالك
فأذا تحكم كان شر مسيطر

يحكى صداه الطائر الغريدا
أعطاه في سبع الزمان خلودا
تبقى وتبقى فضله مشهودا
وطوى البقاع سهوها والبيدا
أبقى النشاء مجددا تجديدا
رحب اليدين جرى نداه سعودا
كلمن سح وما سمعت رعودا
كم يذكرون سقاءهم والجلودا
أعطوك من جود اللسان وعودا
فقرأ عبدا للكريم مسودا
يذر الشحاح أذلة وعبيدا

* * *

من مثل (عبد الله) صفوة (جابر)
قد طوق المعمور من آلائه
نزلت كما الغيث العميم بمعهد
نشأت بها للدرس طلاب إذا
وتحفزوا للسبق في ميدانه
ستراهم مثل العباقرة الأولى
وجوائز الأموال تحفز خاملا
وتشد من أهل النشاط عزائمنا
الله أكبر تلك أكبر منة
أرضت شريعة (أحمد) وكتابها
وسمت بركن الضاد حتى بوأت

بالفضل نعماء تزين الجيدا
نعمى سيعقبها نداه مزيدا
هزت به من قد أطل رقودا
نالوا الجوائز ضاعفوا المجهودا
مثل السوايق إذ حان قيودا
هجروا المنام وحالفوا التسميدا
ما كان لولاهها يرى موجودا
تحكى المهند والحسام حديدا
بعثت بأزهرنا الشباب جديدا
وحديثها والفقهاء والتوحيد
لغة الكتاب مقامها المحمودا

* * *

قل للحنيفة في جميع بقاعها
في نهضة المعمور ترجى نهضة الإسلام
هو معقل للمسلمين ومنهل
بشرى فقد رفع الصباح عمودا
في درج الرقي صعودا
يروى صداه بينهم والسودا

وهو الحفيظ على مجادة أمة أخذت على حفظ التراث عهدا
 كم هب في الأزمات يرفع راية التحرير لا يخشى عليه وعيدا
 في الثورة الأولى لمصر تحملت أبناؤه عبء الجهاد شديدا
 سجنوا وأوذوا في الإله وقدموا يوم النضال ضحية وشهدا
 حتى بدا النصر المبين بثورة كانت لثورة جيشنا تمهيدا
 فآتم للتيل الجلاء عن الحمى وأزال أغلالا وخلص جيذا
 هذا مجال البذل فابذل مغدقا حتى تهى للظماء ورودا
 وتحرر الإسلام من أعدائه لينال عيشا في الحياة رغيدا

* * *

يانشرا علم المعارف عاليا وامتد يدا بالمكرمات قوية
 وآبائك الغر الكرام غطارف فدرجت في بيت السباحة معرقا
 آل الصباح من الخضارم أثلوا نقبت في التاريخ عن آباءهم
 مترفعين عن المذلة ماحنوا كانوا نماذج نجدة ومروءة
 إن حل ضيف في رحاب بيوتهم وإذا استجارهم اللهيف لنصرة
 قترهم رحماء يوم سلامهم وأراك (عبد الله) تنحو نحوهم
 سمح حلیم في السلام فأن دعوا أصبحت في وطن العروبة للندى

بالله فأنشر للحنيف بنودا وارفح به صرح العلوم مشيدا
 ربوك في البيت الكريم وليدا وتبعث بسلا في الشجاعة صيدا
 مجدا يدوم على العصور وطيدا فوجدتهم شم الأنوف نجودا
 رأسا لظلم أو أمالوا عودا وبحار جود ما عرفن حدودا
 ألقي السباح وظلهم ممدودا طاروا اليه فوارسا وجنودا
 وتراهم يوم الحروب أسودا في الحاليتين فندرك المقصودا
 للحرب كنت المسعر الصنديدا مثلا يردده الجميع فريدا

محمد سليمان بدر

الأستاذ في كلية أصول الدين

السيدة عائشة أم المؤمنين

لست أراى حين أكتب عن السيدة عائشة رضى الله عنها إلا متكلماً عن سيدة من خيرة نساء المسلمين ، بل لا أخال تاريخ الإسلام يضم بين صفحاته تاريخاً أجد من تاريخها ، فأنا اذا نظرنا الى الرواية في الحديث وجدناها نسيج وحدها ، واذا نظرنا الى الفقه والفتيا وجدناها ذات رأى أخذ به الفقهاء والمشرعون ، واذا نظرنا الى الأدب وجدناها ممن ملكوا زمام الكلام ورواية الشعر ، أما السياسة فأنا إذا درسنا الحياة الأولى لصدر الإسلام وجدناها ذات رأى يخضع له الولاة والخلفاء ، أما الناحية الخلقية فقد كانت المثل الأعلى للمرأة في الإسلام من ناحية الكرم والتقوى والزهد والورع والعفاف وما الى ذلك ، وهى بعد كل هذا عالمة بالتاريخ والأنساب والطب والنجوم . وسنولى الكلام عن كل ناحية من هذه النواحي ان شاء الله في سلسلة أحاديثنا القادمة عنها .

وستكلم عن السيدة عائشة قبل زواجها من الرسول عليه الصلاة والسلام وبعد زواجها منه .
نسبها : هى السيدة عائشة بنت أبى بكر بن أبى قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب .

وأما أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة بن سبيع ابن دهمان بن الحرث بن غنم بن مالك بن كنانة .

فترى من ذلك أن نسبها يلتقى من جهة أبيها مع نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب ومن جهة أمها في كنانة .

مولدها : ولدت السيدة عائشة بمكة في أول السنة الرابعة من النبوة أى في العام التاسع قبل الهجرة كما في رواية ابن سعد .

البيئة التى نشأت فيها : نشأت السيدة عائشة رضى الله عنها في مكة المكرمة التى قال الله فيها على لسان ابراهيم عليه السلام : « ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم » .

تكتنفها الصحراء الواسعة والجبال الشاهقة ، قد عريت أرضها من المزروعات الواسعة والأشجار الباسقة ، تطلع الشمس فلا يحول دون رؤيتها حائل ، ويشرق القمر فيرسل

أنواره في ذلك الفضاء المبسط ، فيملاً النفس روعة والقلب بهجة ، تهب عليها الرياح ، وتتألق في سماءها النجوم ، يقل فيها الماء ، ويحف فيها الهواء .

كما نشأت في وسط أبناء قریش سيدة العرب ومالكة زمام الأدب ، ودرجت في بيت أبي بكر الذي حاز شرف الجاهلية والإسلام ، وفي كنف أمها وأختها .

أثر هذه البيئة في حياتها : يعمل في تكوين الإنسان عاملان قويان :

الأول : البيئة الطبيعية ونعني بها ما يحيط بالمرء من العالم المادى وهى مجموعة الظواهر والقوانين الطبيعية التى عملت على ابلاغ الإنسان الى ما وصل اليه من النمو والارتقاء والتى أثرت في تطور عقله عن طريق تطور جسمه كالجبال والأنهار والصحراء والسهول والوديان والقفار ونحو ذلك .

الثانى : البيئة الاجتماعية ونعني بها المحيط المعنوى الذى ينشأ الإنسان فيه ، وفيه يؤثر به يتأثر : بالحكومة والدين والأسرة وما الى ذلك .

وقد تأثرت نفس السيدة عائشة بالبيئة الطبيعية إلى حد ما ، فامتلاّت نفسها صفاء وروعة من ذلك السكون المخيم على الصحراء التى تحيط بمكة من نواحيها ، تنظر فلا تجد فيها شيئاً من صنع الإنسان بل كله من صنع الله ، فهى ترى شمساً تسطع ، ونجوماً تناغى ، وقرا يتحدث ، ورياحاً تلعب في جوفسيح ، وكان لهذا أثره في صفاء نفسها ، ورقة شعورها وعواطفها .

أما البيئة الاجتماعية فقد أثرت في حياتها تأثيراً عظيماً حيث عاشت في وسط أبناء قریش وتأثرت بكثير من أخلاقهم وعاداتهم وآدابهم ، كما كان لبيت أبي بكر الأثر الكبير في حياتها ، فنشأت على لين الخلق ، واعتدال الطباع ، ورقة الشعور والإحساس .

ولا يفوتنا أن نذكر ما لقانون الوراثة من الأثر في حياة الشخص ، فقد ورثت عن أبيها الكثير من الأخلاق والعادات ، وسرى في الحديث عنها التشابه الكثير بينها وبين أبيها في الأدب وعلم الأنساب والزهد والخوف من الله ، نلمح هذا في كلام الرسول صلى الله عليه وسلم حين انتصرت لنفسها من زينب بنت جحش حيث يقول : (إنها بنت أبي بكر)

أثر التعاليم الإسلامية في نفسها :

برزت الى الوجود وقد شمع نور الإسلام وملاً أرجاء مكة ، واختص بيت أبي بكر منه بقسط كبير ، فمن الطبيعي أن تتأثر السيدة عائشة بتعاليم الإسلام .

ولما عقلت معنى الإسلام دعاها أبوها فأجابت . يقول ابن هشام : « وقد أسلمت عائشة وهي صغيرة بدعاء أبي بكر لها » وكان هذا منها طبعياً فهي التي تقول : « ما عقلت أبوي الا وهما يدينان الإسلام ، وما مر علينا يوم قط الا ورسول الله يأتينا بكرة وعشية » . هكذا نشأت السيدة عائشة رضي الله عنها في تلك الحياة البدوية الناعمة مع العناية التي أخذها بها أبواها والتي قلما يجدها من يعيش في تلك الصحراء الجرداء حيث الخشونة والجذب ، نشأت طليقة اللسان فصيحة القول شديدة التمسك بأهداب الفضيلة .

تربيتها : لم نعرف في الكتب التي بين أيدينا على شيء خاص بتربية بنات العرب في بدء ظهور الإسلام ، فلم تكن هناك مدارس خاصة بالتعليم اللهم الا المدرسة المنزلية ، وقد كانت حياة السيدة عائشة في بيت أبيها حياة سواها من بنات أشراف العرب ، يرباها أبواها بعنايتهما ويؤدبانها بأدب الدين ويتعهدانها بالأخلاق . أما ما روى من أنها كانت تقرأ ولا تكتب فهذا لا يعدو ما كان من أمر الشفاء العدوية مع حفصة بنت عمر رضي الله عنها ، فقد روى البلاذري في فتوح البلدان [١] تحت عنوان (أمر الخط) ما ملخصه : كانت الشفاء العدوية كاتبة في الجاهلية ، ومنها تعلمت الكتابة حفصة بنت عمر ، ولما تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم طلب الى الشفاء أن تعلمها تحسين الخط وتزيينه ، كما علمتها أصل الكتابة . ثم يقول : وإن عائشة وأم سلمة كانتا تقرأن ولا تكتبان .

وفي الموضوع القادم سنتكلم ان شاء الله تعالى عن زواج السيدة عائشة برسول الله صلى الله عليه وسلم

« يتبع »

محمد عبد الحميد البوشي
المدرس بمعهد سوهاج

في ذكرى مولد الرسول :

صفحات مشرقا

يعنى الكاتبون في شهر ربيع الأول من كل عام بتسليز صفحات من سيرة النبي الكريم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، ومنذ عرف الوجود هذه الشخصية المختارة من الله ، البالغة شأوها في الجلال والمجد ، والناس بأسرهم يستروحون بجمال خصاله التي تتكشف عن مثل عليا في كل نواحي الحياة . . في السلم والحرب ، وفي البيت والمسجد ، في العبادات والمعاملات ، في الشدة التي تضيق بها رحبات الصدور ، وفي الرخاء الذي يغمر بشره ويمنه ، في نصره على الأعداء وأخذهم بالحزم والشدة عدلا ، وبالصفح والغفران رحمة وفضلا ، في هذا وفي غير هذا يقف الناس جميعا من حياته صلى الله عليه وسلم موقف المتعلم المعتبر بما فيها من مجالات للعبرة ، وألوان من الحكمة ، في بلاغ من قول ، وجلال من عمل ، وسمو من أخلاق .

* * *

برم به أعداؤه في بدء بعثته ، ولم ينجحوا في صده عن دعوته ، واستمعت الدنيا لردده الحاسم : « والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما فعلت حتى يظهره الله ، أو أهلك دونه » فجمعوا جموحهم ، واختاروا من شبانهم أبطالا ، ومن سيوفهم نصالا ، لتقف شبانهم ، ولتصامت سيوفهم حول بيته ، فإذا خرج ضربوه ضربة رجل واحد ، فيتفرق دمه في القبائل ، وعلم محمد صلى الله عليه وسلم بوحى من الله ما أبرموه وما أعدوه ، فكانت ثقته البالغة بربه ، وكانت شجاعته الغالبة في أمره ، فخرج على هذه السيوف ، وهزأ بتلك العصبة المفتونة ، ووجم القوم بعد إفلاته ، وتبعوا أثره ، ورصدوا مكافأة ضخمة (مائة من الإبل) لمن يأتي به .

وعرف سراقة بن مالك بمسيره ، وطمع في المكافأة ، فألجم فرسه ، وبلغ في السير خلفه حتى أدركه أو كاد ، فساخت قوائم فرسه فاستغاث بالنبي فأغاثة ، وهو صلى الله عليه وسلم يعلم طمعه وغدره ، وفي هذا يقول سراقة لأبي جهل بعد أن رجع من ملاحقته :

أبا حكم والله لو كنت شاهدا لأمر جوادى إذ تسوخ قوائمه
حكمت ولم ترقب بأن مجدا رسول يرهان فمن ذا يقاومه ؟

ويفتح لنا التاريخ صفحة مشرقة من جهاده صلى الله عليه وسلم بعد أن رجع من غزوة
أحد، وقد بلغه أن أبا سفيان يريد أن يواصل سيره بقریش الى المدينة ليستأصلوا من بقى
من أصحاب رسول الله ، لأن المشركين لم يقنعوا بما حصل ، بل قالوا لأبى سفيان :
لا مجدا قتلتهم ، ولا الكواعب أردقتم ، بأس ما صنعتم ، ارجعوا .

فما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاة الصبح ندب الناس ، وأمر بلالا
أن ينادى أن رسول الله يأمركم بطلب عدوكم ، وألا يخرج الا من حضر (أحدا) ليشعر
قريشا أن المسلمين بعد (أحد) لم يهنوا ولم يضعفوا حتى المحاربين منهم . ودفع النبي صلى
الله عليه وسلم باللواء وهو معقود لم يحل بعد الى على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وأمر
على المدينة ابن أم مكتوم ، وركب فرسه وعليه الدرع والمغفر ، وخرج جميع من كانوا معه
فى أحد . (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح) .. خرجوا وبهم الجراحات
ولم يتخلف أحد منهم ليدأوى جرحه ، وقدمتهم فى ذلك رسول الله ، الذى خرج وفى
وجهه جروح ، مشجوج فى وجهه ، وبه أثر الحلقتين ، ومكسورة رباعيته ، وشفته السفلى قد
جرحت من باطنها ، وركبته مجروحتان من وقعته فى الحفيرة . ويلقاه طلحة بن عبيد الله فيقول
له الرسول : يا طلحة ، أين سلاحك ؟ فيقول : هو قريب ، ويذهب من فوره ويأتى بسلاحه ،
وبه بضعة وسبعون جرحا ، فى صدره منها تسع جراحات . يقول طلحة : وأنا أهم بجراح رسول
الله منى بجراحى ، فقال لى رسول الله : يا طلحة ، أين ترى القوم ؟ فقلت : بالسفالة : فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذلك الذى ظننت ، أما أنهم يا طلحة لن ينالوا منا مثلاً
حتى يفتح الله مكة علينا » . وظلوا سائرين حتى وصلوا الى مكان يسمى (حراء الأسد) بينه
وبين مكة ثمانية أميال ، فعسكروا به ثلاث ليال يوقدون فى كل ليلة خمس مائة نار ، حتى ترى
من المكان البعيد ، وذهب صوت معسكرهم وكثرتهم فى كل وجه ، فكبت الله تعالى عدوهم
وعادوا فارين للحاق بمكة ، وأرسل أبو سفيان مع نفر يريدون المدينة أن يخبروا مجدا بأن
أبا سفيان وقومه أجمعوا على العودة الى مكة ، فلما أبلغوه قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « حسبنا الله ونعم الوكيل »

ذلك مثل سام ، وجهاد ميين ، ما كان أجدر بالمسلمين أن يترسموه ، وأن يوحدوا
الجهة ، ويجمعوا الصف ، لتكون كلمة الله هى العليا ، وكلمة المستعبد المستعمر هى السفلى ،
والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

أما جمال توجيهه صلى الله عليه وسلم ببالغ حكمه ، وجوامع كلامه ، في إيجازها وجزالتها وعذوبتها ، فذلك هو النور الذي لا يحتاج إلى وضوح .

روى مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأشجع عبد القيس : (إن فيك خصلتين يحبهما الله : الحلم ، والأناة) أى تقدير هذا ؟ وأى تكريم لمن اتصف بهذين الوصفين . وأى توجيه لمن لم يتصف بهما ، وأى جمال وجلال وحسن غاية وبلوغ مقصد ، تضم هاتان الخلتان الكريمتان ؟ .

وروى البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : « ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه في شيء قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم الله تعالى » .

أفرايت أيها الإنسان الجاحح في عتفه ، البالغ في غيه ، الوالغ في الدماء والأعراض والأموال ، كيف قال الرسول ، وقاد الرسول ، ووجه الرسول ؟ ؟

يا سيدى يا رسول الله ، يا من اصطفاك ربك وصافاك ، ولييته ولباك ، هذاتاريحك الناصع ، نور يشع ، ونفحة تستروح ، وشذا يمايب « إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » :

يا خير من عيار الأرجاء مولده	وخير من شرف الأنساب محتده
وخير من أشرقت في الكون حجته	وصال في جبهة الدنيا مهنده
جاهدت في الحق أعداء الهدى فسما	بك الجهاد ونال المجد سيده
وكنيت للناس في بدو وفي حضر	شمسا ، اذا شارفوا ليلا تبده
بالرأى والحزم والأخلاق طالعهم	فيض من الفضل لا زلنا نردده
بالين ذكراك يا مختار نذكرها	والعهد للدين - مسئولاً - نجدده
فاشهد بأن بنى الإسلام ما نكصوا	ونحن للحق نرعا وننشده
ونحن في مسمع الدينيا ويقظتها	مجد يدوى وعين الدهر تشهدده

محمد عبد التواب

المفتش العام للوعظ بالأزهر

عظمة الرسول ﷺ

منذ أن بزغت شمس الرسول في هذا الوجود والناس يتلمسون نواحي العظمة فيه ، ويطلبون ما أودع الله في هذه العظمة من أسرار ، ولكنهم لم يستطيعوا الى ذلك سبيلا . ومهما خطب الواعظون وكتب الكتّابون وصور المصورون فلن يمثلوا للناس من معالم هذه العظمة إلا أطرافا يسيرة ، ثم لن يعدوا في ذلك قول الإمام البوصيري :

انما مثلوا صفاتك للناس كما مثل النجوم الماء

ذلك لأن النفس الإنسانية لاتملك أن تصف الا ما يماثلها أو يدانيها . . أما هذه النفس العظيمة التي صورها ربها لتكون أكبر نفس في هذا الوجود ، ورفع ذكرها في أعلى مقام ، وبوأها أسى مكان ، فليس هناك سبيل إلى الإحاطة بأسرارها أو الإمام بجوانب عظمتها :

فبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم

حقا : ان عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم أروع ما عرف الناس من سيرة ، وأكل ما وعى التاريخ من خلق ، وأعلى ما روت الأيام من عظمة . . لم يكسبها بماله لأنه نشأ فقيرا . . ولم يستفدها من أبويه لأنه شب يتيما . . ولم يتلقها من معلم لأنه عاش أميا . . ولم تمنحها له يتيته لأنها كانت في ضلال ووثنية . .

وانما هي مستمدة من صميم قلبه ، مشتقة من علو نفسه التي صاغها الله بيده ، واصطفها لنفسه .

وأية ذلك أن عظمتة عليه الصلاة والسلام كان لا يزيد الرخاء ، كما لا تنقصها الشدة ، ولا يظهرها الغنى ، كما لا يخفيها الفقر ، ولا يكبرها سلاطان ، كما لا يصغرها عدوان ، ولا يقويها نصر ، كما لاتضعفها هزيمة . وصدق الله العظيم القائل : « ألم يجدك يتيما تآوى ، ووجدك ضالا فهدى ، ووجدك عائلا فأغنى » والقائل : « وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما » .

لقد كانت عظمة النبي صلى الله عليه وسلم فيما أوتي من جمال الطلعة ووفرة الهيبة ، وإشراق الوجه وسماحة النفس ، كما كانت عظمته فيما أتيح له من مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم ونبيل الخصال .

وبذلك يحدثنا الرسول صلى الله عليه وسلم عن نفسه فيقول : « أدبني ربي فأحسن تأديي » ويؤكد القرآن هذا المعنى فيقول : « وإنك لعلی خلق عظيم » .

أجل : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس كفا ، وأوسع الناس صدرا ، وأصدق الناس لهجة ، وأوفاهم ذمة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشرة ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه .

وكان يحيا حياة نموذجية ملؤها الطهر والعفاف والنزاهة والاستقامة والشرف والأمانة ، حتى لقب عند قومه بالأمين ، وما عرف أعداؤه له حادثة تمس شرفه أو تخدش كرامته ، حتى قال بعض المستشرقين في وصفه لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن جميع المراجع التي بأيدينا متفقة في وصف محمد بأنه كان محتشما في سلوكه طاهرا في آدابه النادرة بين أهل عصره » .

وقد كان لتلك الأخلاق العالية أثرها الفعال في هداية الناس ، وهل كان يتصور إنسان أن ذلك العربي اليتيم صلى الله عليه وسلم تتطامن له الرؤوس الطاغية ، وتخضع لسكلمته النفوس العاتية ، وتتضائل أمامه القوة العارمة ، ويكون من القبائل المتفرقة أمة تفيض طهرا ونورا وكرما وعالما ورحمة وعدلا حتى كان في طليعتهم السادة : أبو بكر : الرفيق من غير ضعف ، وعمر : الشديد في غير عنف ، وعثمان : ذو الصراحة والبذل ، وعلى : باب العلم والحلم ، ومعاوية : أهل الدهاء والسياسة ، وخالد : صاحب الشجاعة والكياسة . . .

هل كان يتصور إنسان كل هذا وأعظم من هذا وأكبر ثم لا يهتدى الى أن الرسول العظيم الذي حول العالم أجمع من الركود الى الحركة ، ومن الفوضى الى النظام ، ومن الظلام الى النور ، ومن القسوة الى الرحمة ، ومن الطغيان الى الإيمان ، قدم ملك القلوب والمشاعر واستولى على العقول والأفئدة بأخلاقه العالية التي استمدتها من آيات الهدى والفرقان . أدبه ربه وكلمه ، وصاغه على أكمل وضع وأتم خلق . وكما كانت عظمة النبي

صلى الله عليه وسلم في شخصيته الحسية والمعنوية ، كذلك كانت عظمته في سمو هذه الرسالة وعظمة هذا التراث الخالد ، وضخامة الأحداث العميقة التي خلفها الرسول من بعده .

لقد ظهر الرسول صلى الله عليه وسلم في قوم أهل ضلال وشرك ، استبدت بهم التقاليد الفاسدة ، واستحوذت عليهم العقائد الضارة ، ولم يعرفوا إلا تقليدهم الأعمى لآبائهم وأجدادهم فيما كانوا عليه من ضلال وعمه .. ولكن الرسول العظيم قد حمل بيده مشعل الحق ونور الهدى وفرقان الرسالة ، ولا مال يسنده ولا جيش يؤيده ولا قرابة تحميه .. ولكنه تدرع بالصبر واستلهم معالم الإيمان ، واعتصم بربه حتى استجابوا له ودخل الناس في دينه بعد حياة طويلة بلغ فيها رسالة الله وأدى فيها أمانته ، وجاهد فيها حق جهاده .

هذه الدعوة العظيمة التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مضى عليها قرون طوال من يوم أن ظهر رسول الله في التاريخ ، ولكن آثارها البعيدة المدى وأحداثها الكبرى التي أحاطت بها لا تزال قائمة كذلك .. !!

فالأمة التي صنعها الله له بيديه ، والرسالة التي أوحيت إليه ، هي أشرف موارد الإنسانية جمعاء ، وسموج العالم بعضه في بعض ، وتصطارع مذاهب وآراء ، وتتفانى شعوب وأجيال ، ويبقى بعد ذلك دين مجد العظيم الربوة العاصمة من الغرق في هذا الطوفان ، وسيبحث العالم كله عن الحق والسلام والعدل ، ومهما أجهد نفسه فلن يجد إلى ذلك سبيلا إلا إذا عرف الطريق إلى الرسول العظيم فمشى على سنته واستقام على هديه وانضوى تحت لوائه .

وقد صدق النبي صلى الله عليه وسلم إذ قال في آخر حياته مخاطبا الأمة كلها سلفها وخلفها : (تركت فيكم ما إن تمسكتم به فلن تضلوا .. كتاب الله وسنتي) .

هذا هو رسول الله العظيم في خلقه وخلقه ، العظيم في سمو مناجاه وعظم تعاليمه وقوة مبادئه ، تتهدى إلينا ذكره العظيمة بعد ما أظننا شهر ربيع الحافل بذكريات الرسول العظيم صلوات الله عليه .

ألا وإن حق الذكرى علينا أن نتذكر هذه السيرة العظيمة ، وأن نفتتح أعيننا على آياتها ، ونملا قلوبنا بعبرها ، وأن نحياها في أنفسنا وفي أقوالنا وفي أعمالنا وسائر شئوننا .

ولندكر فضل الله علينا بهذا النبي العظيم لا في شهر ربيع فحسب ، فله في كل لحظة ذكرى ، وفي كل صفحة من صفحات الحياة تاريخ . .

وليس يغني في الاحتفال بهذه الذكرى والانتفاع بهذه العظمة خطبة تقال أو قصيدة تنظم أو مقال يكتب أو مصالح تعمل أو مواكب تسير أو أعلام تنصب ، لأن صاحب الذكرى ونبي العظمة قد كرمه ربه فشرح صدره ورفع ذكره ، وأعلى قدره حتى كان وما زال ملء السمع والبصر ، لاتدانيه الشمس ولا القمر ، ولا يغيب عن الوجود نوره ، ولا يعزب عن السكون جماله .

ألم تر أن الله خلد ذكره إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

إنما التكريم الحق ، والاحتفال الصادق ، هو أن نكون - كما أراد لنا - أمة واحدة ، شعارها السلام ، وطابعها الإخاء ، وأن نعمل بوصاته الشريفة ، وننتليق بأخلاقه الكريمة ، ونحافظ على أمانته التي استودعنا إياها واستحفظنا عليها .

وبذلك يكون التكريم ، وهكذا يكون الانتفاع بعظمة الذكرى . . « وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين »

حامد محمود - إسماعيل

أستاذ جامعي !

روت جريدة الجمهورية يوم ٢٧ صفر أن أستاذا جامعيا كان يمزج مع طلابه على حساب إيمانهم ودينهم فيقول لهم (إنه سيعطى) درجات إضافية في الامتحان للذين يفطرون رمضان . . .

قال الأستاذ أحمد قاسم جودة : « لقد سمعت هذه الرواية بأذني من بعض الطلاب ، ولا أستبعد صحتها قياسا على (تهوس) الذين يفخرون بانتسابهم للوجودية »

نظن أن تكوين الكيان الفكري في مصر على أساس سليم يحتاج الى عملية تطهير وكف عن واسعة النطاق ، لتطاهن مصر حكومة وشعبا على مستقبل هذا الوطن كما ينبغي له في حياته العقلية والوطنية والدينية والخلقية

المبادئ الإسلامية والإخلاق الفاضلة

نحاول في هذه المجلة أن نعرض - ولو بقدر - لبسط آراء جمهرة من فلاسفة الإسلام وغيرهم الذين عالجوا قضايا علم النفس في مختلف مناحيها وما يعرض لها من تفاعل ، وما يلابسها من غاشيات الطبيعة ، ثم اشتغلوا بعد ذلك بالدعوة الواضحة الى تركيز الخلق وإنشاء صروحه في النفوس .

نزع الفلاسفة علم النفس الى نوعين : أولهما نظرى ، وثانيهما عملى ، فأذا كل الإنسان بهما كمالا يسمو به الى مرتبة النبوغ الأخلاقى ، استأهل لأعلى الأجناس من السعادة ، وهو الظفر بالحياتين : حياة الابتلاء ، وحياة الجزاء ، ولكماله الأول لا بد هو محتاج فى فاتحة أمره الى قوتين متقابلتين ، إحداهما العاملة ، والأخرى العاملة . فالقوة العاملة هى الشيقة النزاعة الى العلوم والمعارف ، فأن حصلها كان فى أمن من الغلط فى الحس والخطأ فى النظر ، فيصدق نظره وتصح رويته وتستقيم بصيرته ، ثم ينتهى فى العلم بحقائق الموجودات مرتبة ترتيبا نظريا الى العلوم الإلهية التى هى أقصى مراتب العلوم ، فيثق بهذا الحد الذى بلغه ، ويسكن إليه قلبه ، وتسلم إليه عزيمته .

قال العلامة الشيخ ابن سينا فى كتاب « الحياتين » ما نصه : « إذا كل الإنسان هذا الكمال المرموق فآتمه بفعله المنظم له ورتب القوى والملكات السكاملة فيه ترتيبا علميا ، كان خليقا أن يسمى عالما صغيرا ، ضرورة أن صور الموجودات كلها قد كملت فى ذاته ، فصار ممثلا لها على نحو من الأنحاء » .

ومن العجب العاجب أن يذهب فريق من الناس الى أن كمال الإنسان وغايته هما فى اللذات الحسية ، وأنها هى الخير المرجو والسعادة العليا ، ثم ظنوا أن جميع قواه الأخرى إنما ركبت فيه لتكون موصلة الى هذه اللذات ، وأن النفس الناطقة إنما وهبت له ليرتب بها الأفعال ويميزها على نحو خاص ، ثم يوجهها نحو هذه اللذات لتكون تلك اللذات بالقياس الى الاستمتاع بها هى غاية الغايات ، ثم تدرجوا من ذلك الى القول بأن قوى

النفس الناطقة ، وهى الذكر والحفظ والروية ، إنما تراد لتلك الغايات ، وعللوا تلك النظرية بأن الإنسان حين يتذكر اللذات ويتجه إليها بتلك القوى الثلاث بواسطة ما يحصل فيه من المآكل والمشارب وما إليها ، اشتاق إليها وأحب معاودتها ، وإذا تكون منفعة الحفظ والذكر هى اللذات وتحصيلها ليس غير ، ولأجل هذه الظنون جعلوا النفس الخيرة كالعبد المهيمن ، وكالأجير المستعمل فى خدمة النفس الشهوية لتخدمها تحت سلطان المآكل والمشارب وما إليها .

وبدهى أن اللذات كلها إنما تحصل لمن قامت به بعد آلام تلحقه ، لأن اللذة هى هى راحة من ألم ، وأن كل لذة حسية إنما هى خلاص من ألم أو أذى ، وإذن يكون كل من قنع بتحصيل اللذات البدنية وجعلها غايته راضيا بأحسن أنواع العبودية لأحسن الموالى ، لأنه حينئذ يصير نفسه الكريمة التى يضارع بها الملائكة عبدا للنفس الدنيئة التى يحاكى بها الحشرات والحوام المشاركة له فى هذا القدر من الإسفاف . وقد عجب غاية العجب جالينوس من هذا رأى الفطير ، وكثر تبرمه بأصحابه ، غير أنه حكى بشأن هؤلاء أن سيرتهم فى الورى أسوأ السير وأخطأها ، فكلما وجدوا إنسانا هذا رأيه نصروه ونهوا بشأنه واشتغلوا بالدعوة إليه ، ليؤهموا الناس بأنهم غير متفردين بهذه الطريقة ، وهؤلاء يفسدون الأحداث وأغرار الناس بأبيها مهم أن الفضيلة هى ماتدعوهم إليه طبيعة البدن من الملائكة ، إذا قامت عليهم الحجة الدامغة بأن تلك الفضائل الملكية إما أن تكون باطلة ليست بشيء البتة ، وإما أن تكون غير ممكنة لأحد من الناس ، والناس مأخوذون بالطبع الجسمانى بالميل إلى الشهوات ، فتكثر أتباعهم ويقل النبلاء فيهم ، وأن هذه اللذات إنما هى لضرورة الجسد ، وأن بدنه مركب من الطبائع المتضادة ، أعنى الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة ، وأنه إنما يعالج بالمأكل والمشرب أمراضا تحدث به عند الانحلال ، فحفظ تركيبه على حالة واحدة أبدا ، وأن علاج المرض ليس بسعادة تامة ، والراحة من الألم ليست بغاية مطلوبة ولا خير محض ، وأن السعيد المثالى هو من لا يعرض له مرض نفسانى البتة . وقد عرف مع ذلك أيضا أن الملائكة الأبرار لا تلحقهم هذه الآلام فلا يحتاجون إلى مداواتها بالأكل والشرب ، عارضوه بأن بعض خواص البشر أشرف من الملائكة ، وأن الله تعالى أجل من أن يذكر مع الخلق ، وشاغبوه وسفهوا رأيه وأوقعوا له شبهات باطلة حتى يشك فى صحة ماتنبه لإدراكه وهداه عقله إليه .

والعجب الذى لا ينقضى هو أنهم مع رأيهم هذا إذا وجدوا واحدا من الناس قد احتوى طريقهم التى يميلون إليها ، واستهان باللذة والتمتع وصام وطوى واقتصر على

ما أنبتت الأرض ، عظموه وأهلوه للمراتب العلية ، ثم يذلون له غاية الذل ويعدون أنفسهم أشقياء بالإضافة إليه . والسبب في ذلك هو أنهم وإن كانوا من أفن الرأي وسفهمه على مآثرى ، فإن فيهم من كرائم القوى الشريفة المميزة - وإن كانت ضعيفة - ما يريهم فضيلة ذوى الفضائل ، فيضطرون إلى إكرامهم وتعظيمهم ، وهذا موضع الخيرة في تفهم آرائهم المتناقضة .

ثم إن النفس من حيث هي كذلك تعرض لها قوى ثلاث : القوة البهيمية وهي أذناها ، والقوة السبعية وهي أوسطها ، والقوة المملكية وهي النفس الناطقة التى ليس ورامها مطلب . والإنسان إنما استحال إنساناً بأفضل هذه القوى وهي النفس الناطقة . فإن أنبل الناس من كان حظه من هذه القوة أوفر ، وإن أخس الناس هو من كان قليل العقل قريباً من البهيمية ، كالذين يقيمون في بعض أقاصى المعمورة ، وكسكان البوادي الذين ظلوا في جهالة عمياء لا يمتازون عن القرود إلا بصورهم ، وبهذا القدر الضئيل يستحقون أن يخضع عليهم لقب الإنسانية ، فإذا أمسكوا بأسباب الإنسانية المهدبة ، واختلطوا بالناس فشموا منهم غير الثقافات المختلفة ، استطاعوا أن يوجدوا فيهم العالم والذكر المهدب ، ثم هم بعد يتفاضلون بتفاضل بدائهم حتى يبلغوا غاية ما يبلغه أولو النبل والفضل ، وليس ثمة حالة للإنسان أعلى من تلك الحالة ما دام إنساناً ؟

عباس طه
المحامى

مبشرون فى جامعاتنا

نهت جريدة الجمهورية إلى خطر الوجودية الذى أصبح (حرفة) لبعض أساتذة الجامعات ، وقد خرج هؤلاء الاساتذة على معانى (الاستاذية) الجامعية ، إلى فعال الدعاة و (المبشرين) فكل شاب تغويه هذه الفئة من الاساتذة وتغربه وتدفعه فى طريق الانحلال هو (خسارة) محقة لمصر .

ترى أليس فى وزارة التربية والتعليم من يصغى إلى هذه النذر ، ترى أليس فى هذه النذر ما يعنى القائمين على شئون جامعاتنا ؟

حديث فضيلة الاستاذ الاكبر

عن التعليم الديني والمدني

تحدث فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ عبد الرحمن ناج شيخ الجامع الازهر الى الاستاذ أحمد العسكري محرر الشؤون الدينية في «الاهرام» حديثاً هاماً حول إعداد رجل الدين من الناحية الثقافية، لإعداداً يلائم التطورات العلمية التي تجدد في مختلف شؤون الحياة، بحيث لا يقف منها موقف المتردد في صلاحيتها، أو المتشكك في حلها أو حرمتها. وهل يقتضى هذا الإعداد توحيد التعليم في مراحل الأولى، بحيث يصبح كله في الدولة وخدمة تفتطم جميع الطلاب في برامج الدراسة، لا فرق بين مدني وديني؟ أم إن إعداد رجل الدين يجب أن يبدأ أول مراحل التعليم في مناهج خاصة ومعاهد مستقلة؟

لقد اعترض فضيلة الاستاذ الاكبر على هذا الرأي القائل بتوحيد مراحل التعليم اعتراضاً شديداً، وقال إننى لا أستطيع أن أوافق عليه ولا أن أقول به. وإليك ما كتبه محرر الشؤون الدينية في «الاهرام»:

قلت للشيخ الاكبر: إن الجماهير قد ضاقت ذرعاً بالحياة التي تحف بها الشكوك من كل جانب، أو يصاحبها التردد، وترى أن هذا ليس من شأنه إلا التعويق عن التقدم في فهم شؤون الحياة فهماً صحيحاً سليماً، فهل ترون فضيلتكم أن من الخير أن يعاد النظر في نظام التعليم في الدولة؟ ولم يكون فيها نظم متعددة مع أن الغاية واحدة، هي إعداد مواطن مكافح شريف؟ وهل ترون فضيلتكم أن من الخير لتحقيق هذه الغاية أن توحيد نظم التعليم في الدولة في المراحل الإعدادية والثانوية بحيث يسير الطلاب جميعاً في مختلف المعاهد والمدارس على برامج دراسية واحدة، لا فرق في ذلك بين من يعد نفسه للدراسات الدينية أو المدنية.

رأى فضيلة شيخ الأزهر

وهنا اعتدل فضيلة الاستاذ الاكبر في جلسته وقال:

أنا لا أوافق على الرأي القائل بتوحيد التعليم في المرحلتين الأولى والثانية توحيداً

كاملا يضم طلبة المعاهد الدينية الذين يعدون أنفسهم للتعليم العالي في كليات الجامعة الأزهرية ، فإن هذا التوحيد من شأنه أن توحد البرامج في مواد الدراسة ، وأن تحدد سن القبول في أولى مراحل التعليم ، فلا تتجاوز سن الطالب ثمانى سنوات ، وهذه سن لا يمكن أن يحفظ فيها الطالب القرآن الكريم الذى يشترط حفظه للقبول في الأزهر بالمرحلة الأولى . ولهذا كانت سن القبول في تلك المرحلة بالأزهر اثنتى عشرة سنة ، وقد روعى في هذا التقدير أن تهيأ الفرصة ويفسح في الوقت لطالب العلوم الدينية كي يحفظ القرآن الذى يعد المصدر الأول للدراسات الدينية .

ومن جهة أخرى فإن توحيد التعليم في المرحلتين الأوليين يحرم طالب العلوم الدينية من تلك الدراسات الأولية في الدين واللغة التى يتلقاها في هاتين المرحلتين ، والتى تمكنه من أن يتصل اتصالا وثيقا بالمناهج الدراسية العالية في كليات الأزهر ، وفهمها فهما صحيحا كى يصبح جديراً بأن يكون من رجال الدين . وذلك ما لا يمكن أن يتحقق للطالب الحاصل على الشهادة التوجيهية في التعليم العام إذا ما التحق بكليات الأزهر ، فإن الدراسات الدينية والعربية في هذه الكليات تعتبر دراسات تخصص لا بد أن يسبقها دراسات علمية واسعة في علوم الدين واللغة ، ينتقل فيها الطالب من سنة إلى سنة ومن مرحلة إلى أخرى ، حتى يستطيع أن يلم بقدر صالح من هذه الدراسات يصل عقله بما يفنظره من دراسات عالية في الكليات الأزهرية .

الدراسات المدنية لا تعد للأزهر

قلت لفضيلته : إن الحاصل على الشهادة التوجيهية يلتحق بمختلف الكليات الجامعية : كالمهندسة والطب والزراعة والعلوم ، وهو في هذه الكليات يعتبر مبتدئاً لا صلة له بعلومها ، فهلا يمكن أن يكون ذلك في التعليم العالي في الأزهر ؟

فقال فضيلته : إن الأمر هنا جد مختلف ، فالعلوم المتنوعة التى يتلقاها التلميذ في المرحلتين الابتدائية والثانوية لها صلة وثيقة بجميع أنواع التعليم في الكليات المختلفة في الجامعة ، فالرياضة من حساب وجبر وهندسة ، والعلوم الطبيعية والكيمياء والحياء والجغرافيا والرسم ، كل هذه العلوم تعد أساساً في الدراسات الجامعية ، والقدر الذى يحصله الطالب منها يحده قوة له تعينه في تحصيل هذه الدراسات مهما تنوعت واختلفت . وهذه العلوم

لا شك أن لها أثرها بالنسبة للطالب الأزهرى فى تقوية مداركه وتوسعة معلوماته ، وإسكنها لا تعد أساساً صالحاً يبنى عليه الطالب الأزهرى دراسته العالية فى علوم الدين واللغة ، ولا يمكن أن يجد فيها مسنداً قوياً يعينه على تلك الدراسات .

الاعداد الخاص ضرورى لطالب الدين

إن طالب الدين الذى يعد نفسه ليسكون من أهل الثقة والمعرفة فيه لابد أن يعد إعداداً خاصاً ، وأن يتجه من أول خطواته اتجاهاً مستقيماً إلى هذه الغاية دون أن يعوقه عنها عائق ، أو يصرفه عنها صارف . ولو أنا عمدنا إلى التجربة لنتخذ منها نتيجة واقعية مقررّة ، فحسبنا بطالب التوجيهية إلى إحدى كليات الأزهر ، ليدرس ما يدرس فيها من علوم الدين واللغة - لوجدناه قد عجز عجزاً تاماً عن السير مع زملائه ، ولا غلق عليه فهم ما يلقى إليه من علوم ، ولخرج من دراسته تلك بعد سنوات شتياً آخر غير رجل الدين - فلا هو من المدنيين ولا من الدينيين . ذلك ما يمكن أن تسفر عنه التجربة . ولعله من الخير ألا تقع هذه التجربة وألا تعرض نتائجها .

دراسات إضافية للغات الأجنبية

فقلت : إن اللغات الأجنبية تدرس فى المرحلتين الإعدادية والثانوية فى التعليم ، وهى من غير شك تعين طالب الأزهر على أن يفهم الكثير من أسرار العلوم الحديثة .

أفلا يكون من المعيب على الطالب الأزهرى ورجل الدين أن يتخلف عن دراسة اللغات الأجنبية فى هذا العصر ؟ .

قال فضيلته : لا أنكر ما للغات الأجنبية من قيمة كبيرة فى رسالة رجل الدين ، وخاصة أن الأزهر جامعة المسلمين فى كل أقطار العالم على اختلاف ألسنتهم ولغاتهم ، وأن رسالة الأزهر لا تقف عند أدائها باللغة العربية وحدها ، فهناك شعوب إسلامية كثيرة لا تتحدث بالعربية ، ولا سبيل إلى وصلها بالدين إلا عن طريق التفاهم بلغاتها ، وإذا كان الأزهر قد عنى بهذه الناحية فى دراسات التخصص بين المبعوثين ، فإنه لا يجد ذلك مجزياً عن تعليم اللغات الأجنبية فى مراحل التعليم بالأزهر ، حتى يكون من رجال الدين من يحذقون هذه اللغات حذقاً كاملاً .

ولهذا قررنا لإنشاء دراسات إضافية مسائية لتعليم اللغات الانجليزية والفرنسية والاندونيسية والاوردية في معاهد القاهرة والإسكندرية وطنطا والمنصورة في هذا العام الدراسي ، وأرجو أن تعمم قريباً في جميع المعاهد الدينية .

معاهد دينية للبنات

قلت : لماذا لا يعنى الأزهر بتربية الفتاة وتنشئتها دينية ؟ أفلا يكون إهمال الأزهر لهذه الناحية إهمالاً لعنصر مهم في بناء الأمة ؟

فقال فضيلته : إن الأزهر يعلم حق العلم ما لتعليم الفتاة من أثر في بناء الأسرة ، وإعداد الأبناء الصالحين في الأمة ، وليس هذا التقصير من جانبه في تعليم الفتاة فكرياً لحقها في التعليم ، فهذا حق لها يقرره الدين ويفرضه واقع الحياة . ولكن الظروف الاجتماعية ، وربما الاقتصادية هي التي كانت سبباً مباشراً في حرمان الفتاة من جميع ألوان التعليم في الماضي . أما وقد هيأت فرص الحياة الاجتماعية والاقتصادية للفتاة أن تنال حظها من التعليم ، وأن تبلغ من ذلك غاية كريمة في معاهد العلم العالية . فإن الأزهر يرى من الواجب عليه أن يقدم اليها من التعليم الديني ما يلائم طبيعتها واستعدادها ، وما يمكن أن تنفع به في دينها ودنياها جميعاً . ولقد تكون الفرصة قد هيئت الآن بعد أن تم الاتفاق بين الأزهر ووزارة التربية والتعليم على ضم مراكز تحفيظ القرآن الكريم للأزهر ، وفي هذه المراكز مراكز خاصة للبنات يمكن أن تحول إلى معاهد دينية خاصة لهن . وذلك ما أرجو أن يتحقق في أقرب وقت مستطاع ؟

حالة العالم

قبل الميلاد المحمدى (صلوات الله عليه) وبعده

كان جو العالم فى فورة من الظلم والاضطهاد ، وحيرة من التقلقل والاستبداد . تسوده موجة من الاضطراب والمنازعات ، ويقشاه ظلمات بعضها فوق بعض ، إذا أخرج يده لم يكده يراها ، وتقطعت الأسباب بين الأرض والسماء وبين الله والناس .

فالنصرانية فى روما ، والمجوسية فى فارس ، والإباحية فى الهند ، والوثنية فى العرب . وكلها معول هدم فى جسم البشرية ، وذلل العالم وخضع لمن هو أشد صيحة وأكبر فتكا فى شن الحروب والغارات .

وبالاحرى كان العالم يتنازعه دولتان ، ويغالبه أمبراطوريتان : دولة الفرس فى الجنوب ، ودولة الرومان فى الشمال .

وكان اعتمادهما على وسائل الشر أكثر من اعتمادهما على وسائل الخير ، كما كان اعتمادهم فى مقومات حياتهم وتكوين أنفسهم على مجرور الناس بطريق الغلبة والقهر والعسف والجور .

لا يعرفون الإنسانية حقاً ولا للعدالة رسماً ، فلم يبق فى نفوسهم إلا ماتمليه التقاليد الموروثة من إغراق فى الشهوات ، وإسراف فى الملذات ، وتناسخ فى المآثم وشئى الثارات .

وكانت الجزيرة العربية بمعزل عن هاتين الدولتين . كانت بمعزل عن هذه التوجات الوحشية والمجازر البشرية .

ولموقعها الجغرافى البعيد عن شغب الأمم التى يقال عنها إنها متمدنة عاشت جزيرة العرب (مستقلة) لاساطان لاجنبى عليها ، ولسكنها مع استقلالها لم تسلم من الأحن والفن فى داخليتها ، فهى قبائل مبعثرة هنا وهناك .

نعم لم تسلم من حروب تدور رحاها ويعلو في أجواز الفضاء مداها ، فلا تضع الحرب أوزارها إلا إذا شارف الحيان على الفناء ، فإن أضعفهم الصواب عادوا للمهادنة ولكن إلى أمد وحين .

ولأنفه الأسباب يعودون المكره ، وهكذا دواليك .

وقد كان العرب من القسوة والجفوة بحيث لا يتخرجون عن وأد البنات وشن الغارات (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم) وغير هذا كثير .

ومع هذا يمتازون بخلال كريمة ، وجرثومة صالحة رفيعة ، فهم يقدسون الحربه ، ويحبونها حباً جما . هذا والكرم والإيثار والوفاء لهم عادة وشيمه ، والشجاعة والنجدة فيهم غريزة وطبيعه .

من تصوير هذا الانحلال العام لحالة البشرية قبل الإسلام نستطيع أن نحكم في سهولة ويسر أن بقاء البشرية على تلك الحالة يهوى بها إلى الفناء العاجل والعاجل المريع .

إذا لا بد : من صاخة عظمى نذك حصون الشرك ، وتزلزل الوثنية والمجوسية ، فتنزل على الأدمغة الجامدة والقلوب الصلدة القاسية ، فتردعها عن غيها ، وتكبحها عن جماها ، فتندل من خطاها ، وتسلس من قيادتها ، وهذا ما تقضى به الحكمة والرحمة . وذلك ما حصل على يد المولود الجديد .

في غضون هذه النوازل والنماها أشرقت سماء الرحمت ، لإيداناً بميلاد سيد الكائنات . ففي اليوم التاسع على الراجع ، أو في اليوم الثني عشر على رأى الجمهور من شهر ربيع الأول من سنة إحدى وسبعين وخمسمائة من ميلاد المسيح عليه السلام في عام الفيل ، ضامت الأكران بميلاد سيد ولد عدنان . هذا وعناية ربانية ونفحة صمدانية أحاطت بالمولود الجديد حتى بعث رسولا ونبياً . فلم يصبه شيء من هنات الجاهلية ، كما عصمه الله منها بعدها قال ﷺ :
« أدبني ربي فأحسن تأديبي » .

وما كان اندحار جيش أبرهة وصيانة بيت الله عن العبث به إلا إرهاباً للمولود

المنتظر، وترقباً للدعوة الخالدة الشاملة الغالبة الصامدة التي مكنت للقلة المؤمنة المجاهدة من كثرة متحضرة ذات عدة وسلاح، وجعلت أبناء البادية الخشننة يصمدون أمام جيوش الإمبراطوريات الضخمة، فإذا بها تنهار واحدة بعد أخرى، ذاهلة مترنحة لا تجد فيها السكثرة، ولا يغني عنها السلاح أمام فئة عزلاء إلا من سلاح الإيمان، يزين لها الاستشهاد فترى فيه مجداً وعزاً وانتصاراً.

ومن أظهر مشاعل الدعوة المحمدية لإبدال الوثنية والمجوسية بالتوحيد الخالص في الأمة العربية، وربطها برباط الإخاء حتى برزت موحدة القوى وثيقة العرى.

جاءت الدعوة الإسلامية بربط الشعوب والأمم من العرب والعجم.

دين الناس كافة لا تنفرد به طائفة دون أخرى أو جنس دون آخر.

ولأنما هو عقيدة راسخة نهدر فوارق السلالات والدماء والجناس والالوان . فلا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى . يأبى الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم .

جاءت الدعوة بأن العالم كله أسرة واحدة متكثرة الأفراد، في أقطار شاسعة وأصقاع متناهية الأبعاد، إلا أنها من أصل واحد وناموس واحد، وليكل إنسان من الحقوق والواجبات ما لآخر على الحر، وأن التفاضل بين البشرية لا يكون في الرأسمالية ولا بقوة التعصب والعصبية، ولأنما يسكنون في الخلق الفاضل والإيمان الكامل من مثل الإسلام العليا، حينما سمع الرسول - صلوات الله عليه - أبا ذر رضى الله عنه يقول لرجل من الموالي: يا بن السوداء، فقال الرسول: ليس لابن البيضاء فضل على ابن السوداء إلا بعمل صالح.

وهذا ملك غسان يلطم أعرابيا، فيأبى ابن الخطاب إلا أن يلطمه الأعرابي مثلهما.

هذه مشاعل الدعوة التي تساوى بين الصعلوك والملوك، كما تساوى بين ابن أكبر قواد المسلمين وبين ابن رجل من عامة الناس.

وهذا على بن أبي طالب سينف الله الغالب ، وهو رابع الخلفاء ، لا يرى غضاضة ولا أسفا حينما وقف أمام القضاء من أجل يهودى .

رسمت الدعوة حقوق الإنسان باعتباره فردا وباعتباره لبنة فى بناء المجتمع .

بهذا قضت على الأسلاب والتناهب بمشروعية البيع والشراء والرهن والإجارة ، واستلكت الأحقاد والضغائن بإخراج الزكاة ؛ وحضت على التراحم بدل النزاحم ، كما نهت عن الانحراف والخداع ، وموارد التلف والابتداع . وتمضى الدعوة عامة فى مدارج الرقى والسكالى

« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » . تجاوزت هذه الرحمة الإنسان فكان الإحسان إلى عالم الحيوان « إذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة » . دخلت امرأة النار فى هرة حبستها فلا هى أطعمتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض ،

وإجمال القول أن الدعوة جاءت بشرعة ودستور ، وجعلت أمة الإسلام أمة متضامنة متكاتفه يسعى بدمتهم أدنائهم وهم - باسم الله - يد على من سواهم .

لم يشهد التاريخ أن مصلحا من المصلحين أحدث نظاما أصاب نجاحا وأحرز فلاحا فى مدة قصيرة فى قبائل بدوية لا تربطها صلة دينية ، هم من التفكك والانفصال بدرجة تصطلى بهم الحروب والنيران من جراء هفوات لسان ، فينفخ فيها من روحه فتتأذى حياة ونورا وسموا وشعورا ، وبين عشية أو ضحاها نراها أمة الأمم خفاقة العلم .

يدخلها الفرس والديلم والتتار وهم عنها غرباء ، ويدخلها العبيد والأرقاء . وهذا إن دل فإنما يدل على الحربة والمساواة والعدل وعدم المحاباة ، وإلغاء فوارق الطبقات وكبت الحريات ، كل هذه المعانى السامية وتلك الأمثال العالية والانتصارات الخالدة لم يظفر بمثلها التاريخ ، ولم يشهد الزمان ما يضارعها لا من قبل ولا من بعد ، اللهم إلا لصاحب الميلاد الرسول السكامل صلوات الله عليه ؟

عبد العظيم الطويل

مدرس بالآزهر

تعلقات

- ١ -

الاختلاط في المدارس

موضوع الاختلاط بين طلاب المدارس وطالباتها موضوع ذو بال ، شغل الاوساط والاسر ، وعاشت فيه أقلام كثيرة ، وكان من السياسة المشكورة لوزير التربية والتعليم في علاج هذه البدعة أنه - أولا - اتجه إلى إنشاء جامعة خاصة بالفتيات . ووزير التربية في ذلك يحس إحساسا صادقا بامتعاض الأمة لهذا التقليد الغريب عليها ، منذ ابتدعه الدكتور طه حسين زاعما - في غير حق - أن الاختلاط يدفع الشره الجنسي ، ويبدد الخواطر العاطفية ، وما إلى ذلك مما يخالف الواقع والفطرة ، ويخرج بالامة عن كثير من المعاني الكريمة . . . وكذلك من السياسة المشكورة لوزير التربية أنه رأى عدم إبقاء غير المتزوجين من رجال التعليم بمدارس البنات ، وليس معنى هذا أن الوزير ينهم غير المتزوجين جميعا ، ولا أنه يخشى من المدرسات جميعا .

ولنما هي حيلة ، وتوفير للطعامينة ، ودره للشبه ، ووقوف في وجه الشيطان بالقدر المستطاع ، وفي هذا أخذ بسنة الله وبحكمته فيما شرع ، فقد حرم الله النظرة الحائنة ، وحرم اختلاط رجل بفساء ، وامرأة برجال ، ورجال بفساء ، إذا خشيت الفتنة أو امتهنت الآداب ، ولم يكن هذا التشريع لانهم جميع الرجال أو جميع النساء ، فإن الله يعلم في الجنسيتين أخيارا لا تنسرب إليهم الظنون ، ولسكنها الحكمة العالية في سد منافذ السوء ، والترفع بسمعة المراء عن الشبه التي تثير الابطال والارجاف ، والنبي ﷺ يقول : « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » . ونحن نقول : الوقاية خير من العلاج ...

فوزير التربية - بصنيعة وبما يصنعه في هذا الجانب - يرضى ضميره ، ويستجيب لدينه ، ويخدم وطنه ، وينهض بأخلاق يحاول أن ينزل بها أناس مفتونون ، أو دعاة الإباحية مغرضون . شكر الله للوزير عنايته ، ووفقه لتأدية الامانة في شديدة استرعاه الله حمايتها من الفتن وتربيتها على مكارم الخلق .

- ٢ -

شباننا

بين الإيمان والزندقة

على من تقع التبعة في جنوح بعض الشباب الجامعى إلى نزعة اللادينية ؟؟

كنا نلقى التبعة على الاستعمار يوم كان للإنجليز تدخل في توجيه التعليم توجيهها يلائم الاحتلال . واليوم — وقد انقضت غيوره ، وزكزت راية العلم على شرفات الجامعات المصرية بعد أن لم يكن غير الأزهر . . وأصبحت مقاليد التربية والتعليم المدنى بخاصة في أيدي المواطنين : ما بالنا نسمع من الشباب الجامعى صيحة الإباحية ، ونرى في صفوفهم موجة الإلحاد تهزم هذا ، وهم الذين زاروا في وجه الدكتور طه حسين يوم كان عميداً للآداب ، ورأوه يحرقهم جراً إلى ما تأباه الفطرة والتعاليم الإسلامية ؟؟

نرى بعض الشباب الجامعى يحرق باللا دينية ، ويذود عن دعوتهم أناس في أيديهم أقلام ولهم صحافة تؤازرهم ، وخير لشباب الجامعة ولمن يقومون إلى جانبهم أن يذكروا ويتذكروا ما فعلوه من أن الزندقة لم تكن في بقعة من بقاع الأرض ، ولا في زمن من الأزمنة إلا مهزلة من مهازل الفكر المضطرب ، ومثار قلق في المجتمع ، وسبب تصدع في وحدته وكيانه .

نحاول أن نلتمس السبب الذى استغفر بعض الشباب الجامعى إلى إنكار الديانات ، أو نلتمس مصلحة ولو وهمية حببت إليهم أن يحجروا بنزعتهم سافرة في مجلتهم ، فلم نجد لذلك - أولاً - إلا ما يبدو في مسلك بعض أساتذتهم الذين استقوا من ثقافات الغرب شيئاً غير مصفى ، ونقلوه إلى تلاميذهم هنا من غير تمحيص .

وشباننا الجامعى غير محصنين بشيء من الثقافة الإسلامية يعصمهم من الدخول .

وهم مفتونون بأساتذتهم الذين اغتربوا وعادوا ، ثم لم يجد الشباب في محيطهم رداً يعصمهم من الزلة خلف من استدرجهم ، فكان طبيعياً أن تتعثر أفكار الشباب في زخرف الباطل ،

وأن يستهن الشبان بدعوتهم الجريئة على الله وعلى الدين وعلى المجتمع ، في وقت يحاول المجتمع أن يصحح من أوضاعه ، ويدرك مافاته من الرشد الديني أيام الاحتلال .

ووجدنا - ثانياً - أن بعض من تزعموا الجامعة : كالكتورطه حسين والدكتور أحمد زكي سبقوا إلى غرس البذور في المحيط الجامعي فلم يكن منهم قدوة إلى دين أو خلق .

ووجدنا - ثالثاً - أن أقسماً استحوذت الصحافة عليها ، أو استحوذت هي على الصحافة ، قد دأبت على التعرض لأهل الدين ، وأسرفت في إغراء القراء ومن بينهم الشباب الجامعي بالتحلل وتجاوز الحدود وامتهان الأدب الديني ، ولم تشغل تلك الصحافة نفسها يوماً ما بنصح الشباب ، ونههم عن النفاق .

فكانت هذه العوامل في نهايتها ظاهرة خطيرة وانحرافاً مشموماً يقدره من يقدر صالح الوطن والمواطنين . والناس يشهدون أن الأزهر حاول طويلاً أن يقاوم هذه النزعة الشيطانية ، فكان يلتقي تحاملاً عليه وبجابهة زائفة من أنصار الإباحية ، ومن الأمثلة الجديدة التي يصيحون بها دعوتهم إلى توحيد التعليم وجعله مدنياً في الأزهر كما هو في المدارس ، زاعمين في تبجح أن مصلحة الأمة في ذلك ، وأن شباب الأزهر طموح إلى هذا .

ويشهد الله ويشهد أولو الفهم أن هذه صيحة في وجه القرآن ، ومحاربة لذود المسلمين عن دينهم ، وهذه خدمة يقومون بها ترضية لأعداء الدين الذين أفنوا حياتهم في مقاومة الأزهر ، فلم يتألوا إلا الفضائح والهزيمة .

ولعل في نهضة بعض الكتائب الغيورين على الشباب ما يذودهم عن هذه الزلة ، ويردهم إلى رشدهم ، وإقناعهم بأن المجاهرة بل بمجرد التفكير في هذه النزعة ليس من صالحهم ولا من صالح الوطن ولا المواطنين . وشيء من الثقافة الدينية كفيلاً بتصحيح الفسكرة ، وإطمئنان الضمير ، وسلامة العقيدة . وإفقار الذهن من تلك الثقافة يجعله كالارض الماحلة ، يفت فيها الشوك ويترعع حتى لا تأني بشيء مما ينفع الناس .

- ٣ -

صدق القاضي الانجليزى

صحف أخبار اليوم . هروفة بمناماتها للهيئات الدينية ، كما عرفت بألوانها السياسية من قبل .

وهي ذات نشاط خاص في الدعاية إلى التجديد المفضفاص ، وعدم الوقوف عند حدود الله ، بل هي تدعو دعوة سافرة في بعض مجلاتها إلى انتهاك الحرمات الدينية ما دامت النفس لا تنحرج .

وهي دائماً تناصر المتمردين على الاحكام الشرعية ، وعلى رجال الدين حينما يأمرهم بمعروف أو ينهون عن منكر ، ولكن ذلك لا يمنع من الشهادة لها بالخير حينما نراها داعية إلى الخير وإن قل .

وكان من ذلك أن أحد فرسانها حدثنا قريباً عن قاض إنجليزي أبدى رأيه في أن تعدد الزوجات مبدأ سليم في ذاته ، لا يخاف العقل ولا ينطوى على الشر بطبيعته ، بل رأى القاضى الإنجليزي أن الحياة الكاملة لبعض الأشخاص قد لا تتوفر إلا من طريق تعدد الزوجات ، حتى تقوم كل زوجة من الأربع بناحية خاصة في الحياة الزوجية .

وأخيراً قال فارس الاخبار: « ومن العجيب أن السيدة درية شفيق تنسك تعدد الزوجات وتراه تأخراً ، فهل انجلترا بدأت تتأخر ؟ » .

وتلك تعليقة منصفة ولاذعة بالنسبة لدرية شفيق ومن يؤازرها ، فهل ما يقوله القاضى الإنجليزي يكون حقاً وصواباً ولم يكن حقاً ولا صواباً إذا تلقيناه من جانب القرآن ؟ ؟

صحف أخبار اليوم صحف إسلامية فيما نعرف ويعرف الناس !! .

وكتابتها في الأغلب مسلمون كما نعرف ويعرف الناس !! .

فلم لازاهم دائماً يتأثرون بدينهم ويستمدون من تعاليمه ، ويطمئنون إلى توجيهاته ، ولو بقدر اطمئنانهم إلى ما قاله القاضى الإنجليزي ؟ . لعل نفحة من هداية الله تملأ تلك القلوب ، وتسيطر على تلك الافلام ، لتتحد الجهود في بناء المجتمع دون مغالطة أو انحراف ؟

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

الكتاب

الجزء الثالث من تفسير الطبرى

بتحقيق وتعليق الاستاذ محمود محمد شاكر - ٦٣٥ ص - طبع دار المعارف بمصر

أهدى إلى مجلة الأزهر الجزء الثالث من هذه الطبعة القيمة لكتاب جامع البيان عن تأويل آى القرآن لابن جعفر الطبرى ، وقد سبق لنا التعريف بالكتاب وما يبذل فيه من جهد علمى عند تنويعها بصدور الجزء من الأول والثانى . ونحب الآن أن نضرب الامثال لآلوان من التحقيق الذى يقوم به مراجعه ومخرج أحاديثه العلامة الشيخ أحمد شاكر ، فضلاً عن تحقيق الاصل والحواشى التى يكتبها الاستاذ محمود تعليقاً على ما يستحق التعليق عليه من فنون العربية وعلوم القرآن وتخليص متن الكتاب مما طرأ عليه من تصحيف الفساح في مختلف القرون .

من ذلك تصحيح اسم أحد شيوخ الطبرى فى الخبر رقم ١٩٥١ وهو مشرف بن أبان أبو ثابت الخطاب فقد تحرف فى المطبوعة السابقة برسم « مسروق » فى هذا الموضع ، وبرسم « بشر » فى رقم ١٣٨٣ ثم ورد فى المطبوعة السابقة على الصواب فى رقم ٢٣٨٢ . و« الخطاب » ورد بالحاء المعجمة فى تاريخ بغداد ١٣ : ٢٢٤ ، وقد صحح ذلك كله فى ص ٢١ من الجزء الثالث من تفسير الطبرى فى هذه الطبعة .

ووقع فى آخر ص ٧٤ ما يحتمل أن يكون خروماً ، فأكمل فى الحاشية نقلاً عن تفسير ابن كثير (١ : ٣٣٢) الذى عزاه لابن جرير .

وفى ص ١٠٤ (رقم ٢٠٩٤) رواية الطبرى عن شيخه محمد بن عباد الاسدى ، وقد تحرف « عباد » فى الخبرين ٦٤٥ و ١٥١١ برسم « عمارة » ، وفى رقم ١٩٧١ برسم « عمار » ، والراجح أنه فى كل تلك المواضع « محمد بن عباد الاسدى » من شيوخ الطبرى والبخارى

وأبي حاتم وأبي داود . ومحمد بن عباد يروى هذا الخبر في تفسير الطبري عن شيخه
عبد الله بن موسى ، أي العبدى الحافظ الثقة ، وقد تحرف اسمه في المطبوعة السابقة برسم
عبد الله ، فصحح الآن .

وفي ص ١٤٧ (رقم ٢١٨٢) ورد اسم المغيرة بن عتيبة بن النحاس ، وهو من قضاة
السكوفة وكان من تلاميذ سعيد بن جبير - محرفاً برسم « عيفنة » بدل « عتيبة » ، فصحح من كتاب
ابن أبي حاتم ، مع التنبيه على تحقيق العلامة الشيخ عبد الرحمن بن يحيى اليماني . وورد
في التعليق على هذا الخبر تحقيقات أخرى تدل على بصيرة وسعة اطلاع .

وفي ص ٢٥٢ (رقم ٢٣٧٧) ورد اسم « أبي زرعة وهب الله بن راشد » مؤذن
الفسطاط ، وهو من نادر الأسماء ، فتصحف في المطبوعة السابقة برسم « أبي زرعة وعبد الله
ابن راشد » ، فصحح الآن بتحقيق دقيق استناداً إلى مختلف المصادر .

وفي ص ٢٥٨ زيادة على التصحيح المطبوع لإحدى غلطات المطبوعة الأولى نبه
الاستاذ محمود شاكر على نهج الطبري وطريقته في رد الأخبار التي رواها عن التابعين
في كل ما يحتاج إلى خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاطع بالبيان عما ذكره ،
واستشهد لنهج الطبري هذا بما بينه في رسالة التفسير ثم في تفسيره بعد .

وفي ص ٢٧٧ تنبيه على سقوط كلام من إحدى الجمل فاختلف واضطربت ، فبين
وجه الصواب فيها بما أثبتته في الهامش ليستقيم به الكلام .

وفي هامش ص ٣١٤ تنبيه على موضع مشكل من كلام الطبري وتفسير له وبيان لوجه
الصواب فيه .

وفي ص ٣٢٥ تصحيح مهم لنقص وتحريف في نسخة الاصل .

وفي ص ٣٨٦ قول المغيرة في أبي العالية « أعتقت امرأة من بني رياح » ، وأوصى بماله
لبنى هاشم ، فقال الشعبي « لم يكن له مال » ، ولا كرامة ، أي أن أبا العالية لا مولى له ،

ولا كرامة لاحد ، فتحرفت الجملة في المطبوعة الادلى برسم ، لم يكن له حال ولا كرامة ، ورد هذا الخطأ في المطبوعة الجديدة إلى الصواب .

وفي ص ٤٩٨ (رقم ٢٩٤٣) سقط من المطبوعة السابقة حديث أثبتته السيوطي ونسبه للطبري ، وذكره ابن كثير ، فأثبت الآن في هاش المطبوعة الجديدة تمامًا للفائدة وحفظًا لما ينسب لهذا التفسير العظيم .

هذه نماذج قليلة لتحقيقات لا آخر لها تدل على الجهود التي تبذل لإخراج تفسير ابن جرير إخراجًا يليق به من التصحيح والتحقيق العلمي الذي لو وقع لهذا التفسير في حياة ابن جرير لملا قلبه ابتهاجا . وقد اجتزأنا بالقليل عن الكثير لضيق نطاق هذه المجلة .

تيسير الكريم الرحمن - في تفسير كلام المنان

للشيخ عبد الرحمن السعدى - الجزء الخامس - ٣٠٦ ص - المطبعة السلفية

علامة القصيم الأستاذ الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى قد بارك الله له في وقته فكتب المؤلفات الكثيرة المحررة في مختلف علوم الشريعة والتوحيد . وقد طبع له الآن الجزء الخامس من تفسيره (تيسير الكريم الرحمن - في تفسير كلام المنان) وهو يمتاز باستحضار أكثر ما ورد في كتاب الله من الآيات التي لها مناسبة بالآية التي يتصدى لتفسيرها ، مع سلاسة في الأسلوب ، ودقة في الإشارة إلى حكم القرآن الحكيم .

واختار نشر هذا الجزء الخامس الآن توطئة لنشر ما قبله وما بعده إن شاء الله في وقت قريب ، ويقول المؤلف إن من خاصة علم القرآن أن فهم بعضه وطائفة منه يعين على فهم جميعه ، لأن القرآن من أوله إلى آخره يدور على تقرير الأصول النافعة والحقائق والشرائع الكبار والاحكام الحسنة والعقائد الصحيحة ، ويوجه إلى كل خير ويحذر من كل شر ، ويعيد تقرير هذه الامور ويديها بأساليب متنوعة وتعاريف مناسبة في غاية اليسر والسهولة والإحكام والحسن الذي لا مزيد عليه .

وهذا الجزء الخامس من تفسير ابن سعدى يتناول تفسير سورة الكهف وسورة مريم وطه والانبياء والحج والمؤمنين والنور والفرقان والشعراء إلى آخر سورة النمل . وقد ذيله ببيان أصول وكليات من أصول التفسير وكلياته ، يليه فصل في معاني أسماء الله الحسنى . فترجوا الله أن يوفقه إلى نشر بقية أجزاء هذا التفسير النافع .

محمد صلى الله عليه وسلم في بشارات الأنبياء

الأستاذ محمد عبد الغفار الهاشمي — ١٥٢ ص — مطبعة الشرق بالقاهرة

الذين ألفوا في موضوع بشارات الأنبياء بالرسالة المحمدية اقتصر أكثرهم على ما ورد منها في التوراة والإنجيل ويمتاز كتاب الأستاذ محمد عبد الغفار الهاشمي 'الافغانستاني بإيراد البشارات المحمدية التي في كتب المشرق ككتاب زردشت وماسان الاول ومزدك . وأتبع ذلك بما في التوراة ، وكتب العهد الجديد ، وإنجيل برنابا . وختم الكتاب بذكر الإرهاصات النبوية لجاء كتاباً مفيداً في بابه .

لمحات في العقيدة والاسلام

للاستاذ خير الدين محمد عيسى — ١٢٦ ص — دار نشر النفاة بالإسكندرية

من مزايا الاسلام التي كان بها ديننا عالمياً ختم الله به رسالاته ، أنه جاء مصداقاً لجميع معاني الحق التي بعث الله بها الأنبياء السابقين ، وأعلن في الانسانية أن من أركان الإيمان الاسلامي الإيمان بجميع رسل الله : إبراهيم ، والذين سبقوه ، والذين أتوا بعده ، إلى رسوله وكتبته المسيح عيسى بن مريم سلام الله عليهم جميعاً ، فكانت هذه المزية السمحة للإسلام إحداً من مزاياه التي حبيته إلى الناس . والذين أبطأت بهم ظروفهم عن أن يسيروا في قافلة الاسلام كان حسن رأى الاسلام في أنبياء الله من أسباب إنصافهم لهذا الدين وإضمار الحرمة له . ولو شئنا أن نسعى غير المسلمين الذين حبيت الاسلام إليهم مزاياه الممتازة ومنها سماحتها لضاق بنا المقام .

والأستاذ خير الدين عيسى — مؤلف هذا الكتاب — من أسرة لبنانية تدين بالمسيحية وقد ولد في الاسكندرية ثم انتقل إلى بيروت فاقفل سنين طويلة بالمطران جراسيموس . مسرة العالم المحقق صاحب التأليف الكثيرة ، ثم تنقل في مختلف الاقطار شرقاً وغرباً ، واعتبر نفسه باحثاً اجتماعياً ينظر إلى الحقائق بمنظار الفطرة ، فأداه ذلك إلى الحكم السليم على ما في الاسلام بما يوافق الحق ويهدي إلى الخير ، ولذلك استحسن أن يدخل على اسمه

تعديلا جديدا فاختار لنفسه اسم « خير الدين محمد عيسى » ، وقد دون خواطره التي أدى به إليها بحته الاجتماعى فكان منها هذا الكتاب الذى سماه « لمحات فى العقيدة والاسلام » ، وهى خواطر شخصية قد لا يقيم فيها إلا بما لاح له فى تفكيره ، إلا أنها تنسم بروح الانصاف فى نواح كثيرة من نواحيها ، كقوله فى ص ٦٧ :

« من الممكن بسهولة أن يعتبر الاسلام مكمل للمسيحية ، كما كانت المسيحية مكمل لليهودية ، وفى هذه المنطقة العربية الروحية المسادية ما كان أحرى الناس أن يتفقوا بدل أن يختلفوا ، وأن يتقاربوا بدل أن يتباعدوا ، وصدق الشاعر أبو الوفا حين يتسامل فيقول :

عيسى أخوك محمد وكلاكما بان وشائد
لم لا يكون الحب وهو الاصل رائد كل رائد ؟

وقد زار المؤلف بنفسه إدارة مجلة الأزهر مع فضيلة الأستاذ الشيخ محمود النواوى وأهدى إلينا نسخة من كتابه ، فترجو له من الله المثوبة والتوفيق .

تصويب

صواب التلاوة فى الآية الواردة فى السطر الثالث من الصفحة ٢٢٦ « أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم ، فالمرجو من القارى زيادة الواو فى « ويتخطف » ، وحذف الضمير من « جعلنا » .

الأدب والعلوم

تنظيم التعليم الديني

نص القانون الجديد للتعليم الحر على أن تقوم كل مدرسة بتدريس الدين لتلاميذها ، كل بحسب دينه . ولا يجوز أن تعلم تلاميذها ديناً غير دينهم ، ولو قبل ذلك ولى أمر التلميذ .

ولا يجوز أن يستعمل مكان المدرسة لغير أغراض التربية والتعليم .

جامعة في الرياض

ومجلس أعلى سعودي للتعليم

وافق جلالة الملك سعود على اقتراح وزير المعارف تأليف مجلس أعلى للتعليم ، وتوجيه سياسته بما يتمشى مع النهضة المفشودة ، وقد تألف المجلس برئاسة وزير المعارف وبحث في تقرير الخبير المصري الدكتور محمد مرسى بشأن إنشاء (الجامعة السعودية) وسيعرض على مجلس الوزراء للدوافقة ، ويقتظر أن يكون مقر الجامعة السعودية في الرياض ، وقد منح جلالة الملك سعود وزارة المعارف قطعة أرض لإقامة مباني الجامعة عليها .

اللغات الأجنبية في الأزهر

أعدت الإدارة العامة للأزهر النظم الخاصة بتدريس اللغات الفرنسية والإنجليزية والاندونيسية والأوردية في كليات الأزهر ابتداء من العام الدراسي الجديد ، وستكون هذه الدراسات اختيارية في غير أوقات الدراسة ، على أن يدرس الطالب لغة واحدة منها ، وسيفضل في اختيار البعثات الخارجية الناجحون في امتحان هذه الدراسات .

مكتبة الدولة

تقرر تأسيس دار كتب عظمى في عاصمة

للاتفاق على مشروع يرمى إلى تعليم أبناء الجاليات العربية في أمريكا الجنوبية وبعض بلاد الشرق الأقصى اللغة العربية ، والعمل على إنشاء كراس لتعليم هذه اللغة بالجامعات الأجنبية ودراسة آدابها ، وإيفاد بعثة فنية من الطلبة العرب المتخرجين من الجامعات والمعاهد العليا إلى الخارج لتكوين نواة للتدريس في المعهد العالي للخدمة الاجتماعية المزمع إنشاؤه بالاتفاق مع بعض المؤسسات الاجتماعية الثقافية .

معجم المصطلحات الزراعية

تقوم مراقبة الصحافة في الإصلاح الزراعي بإعداد معجم بالاصطلاحات الجديدة التي استحدثت في مصر ، وسيكون هذا المعجم بالعربية والإنجليزية والفرنسية .

كشافة الأزهر

لبت الجامعة الأزهرية دعوة جمعية فتيان الكشفافة لنشر حركة الكشف بين طلبة المعاهد الدينية وكليات الجامعة الأزهرية بتدريبهم على أساليب الجواله والقيادة حتى تتكون منهم طبقة من قادة الكشف الدينية ، وقد بدأت الدراسة النهائية لستين من مفتشى المعاهد وهيئة التدريس بجمعية فتيان الكشفافة المصرية وأعقبها معسكر تدريبي في معسكر الكشفافة الدائم .

فرع في الخرطوم

لجامعة القاهرة

وافق مجلس الوزراء على أن يضم فرع جامعة القاهرة الذي سينشأ في الخرطوم ثلاث كليات : للآداب ، والحقوق ، والتجارة . على أن يفتح مجلس جامعة القاهرة كليات أخرى هناك إذا دعت الحال .

كلية لآداب والتربية

في بنى غازى

قرر مجلس الوزراء المصرى فتح اعتماد إضافى قدره ستة آلاف جنيه في ميزانية وزارة التربية والتعليم للسنة المالية ١٩٥٥ - ١٩٥٦ للمساهمة في إنشاء كلية للآداب والتربية في بنى غازى .

الجامعيون الجدد

بلغ عدد المقبولين هذا العام في الجامعات المصرية الثلاث أكثر من أحد عشر ألف طالب وطالبة ، وذلك بعد أن استقر الرأى بشأن الذين تقدموا منهم إلى إحدى الكليات ولم تسمح بجامعهم بالقبول فيها ففضت سياسة التيسير أن يقبلوا في كليات أخرى تؤهلهم بجامعهم للقبول فيها .

نشر العربية في الخارج

قرر مجلس الجامعة العربية في ختام دورته الرابعة والعشرين الاتصال بالحكومات العربية

انباء العالم الاسلامي

الحرم النبوي

الاحتفال بإتمام توسيعه

أهداف الثورة . وفي مقدمة هذه الصعاب ما أبدته الدول الغربية المختلفة من شروط ومساومات ومطالبات . ففي الوقت الذي حصلت فيه إسرائيل بسهولة على أسلحة من إنجلترا وفرنسا وبلجيكا وكندا وغيرها أثبتت فرنسا إلا أن تساومنا على شمال إفريقيا والنخلى عن عربتنا ، واشترطت أمريكا أن نوقع على ميثاق أمن متبادل أو حلف من أحلافها ، ولم نظفر من إنجلترا - بعدالوعود المتكررة - إلا بمقادير من السلاح لا تحقق الهدف الذي قامت الثورة من أجله .

إن مصر رفضت كل تلك الشروط ، ذلك لأن الثورة لا يمكن أن تتخلى عن مبادئها . وأخيراً أجابت تشيكوسلوفاكيا طلب مصر فأبدت استعدادها لتزويها بما يحتاج إليه الجيش ، على أساس تجارى بحث . فقبلت مصر شاكراً ، ووقعت مع تشيكوسلوفاكيا اتفاقاً تجارياً يسمح بدفع ثمن الأسلحة المطلوبة منتجات مصرية كالقطن والارز .

وأكد الرئيس أن مصر ستمضى في طريقها قدماً ، مواصلة كفاحها للقضاء على التحكم والنفوذ الاجنبي ، ولإقامة جيش وطنى قوى كفيل بأن يحقق لمصر السلام والعزة والكرامة .

وجه جلالة الملك سعود الدعوة إلى صاحبي الفضيلة الامتاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر ومفتى الديار المصرية وإلى مفتى كل دولة من دول الجامعة العربية لحضور الاحتفال الذي يرأسه جلالاته في يوم السبت ٦ ربيع الاول بمناسبة إتمام أضخم مشروع لتوسيع الحرم النبوي الشريف ، كما وجه جلالاته الدعوة إلى رؤساء رجال المسلمين السياسى والفنصلى للدول الاسلامية والعربية بالمملكة السعودية لمشاهدة هذا الاحتفال الكبير .

وقد سافر صاحب الفضيلة الامتاذ الاكبر ومفتى الديار المصرية صباح يوم الخميس ٤ ربيع الاول متوجهين من القاهرة إلى المدينة المنورة كتب الله لهما السلامة والتوفيق .

تسليح الجيش المصرى

أقامت القوات المصرية المسلحة معرضاً لتبين به مبالغ التطور ومدى التقدم الذى وصل إليه الجيش . وقد خطب الرئيس جمال عبد الناصر في هذا المعرض فسرّد قصة تسليح الجيش المصرى والصعاب التى قامت في سبيل تحقيق هذا الهدف الخطير من

وثائق تسليم إسرائيل

الجهة المصرية في الوقت الذي لا تضرع مصر فيه أى نية للعدوان . وقد استطاعت المخابرات المصرية أن تحصل على وثيقة رسمية فرنسية تقول إن أهم معدات القوات العسكرية الإسرائيلية الثقيلة مصدرها أمريكي بريطاني ، وأن هناك صفقات تعقد بين بريطانيا وبين إسرائيل لبيعها طائرات ميتيور ودبابات ستوريون .

واستطاعت المخابرات المصرية أيضا أن تحصل على وثيقة خارجة من وزارة الحرب البريطانية وهي تقرير مخابرات في شهر مايو وجاء فيه بعد الكلام عن الحوادث التي وقعت على الحدود بين مصر وإسرائيل : من المنتظر أن تعمل الحكومة المصرية من جانبها لتجنب الحرب مع إسرائيل ، وجميع الظواهر تدل على أنه ليست لمصر أية نية للعدوان ، ولنا لقليلو الثقة في أن الحكومة الإسرائيلية سوف تنتهج سياسة سلمية . وتوجد صورة هذا التقرير الرسمي البريطاني في مكتبى ومستعد أن أريها لسفير بريطانيا في مصر . وقد طالبنا بالسلاح بعد مايو فإذا كانت النتيجة ؟ كانت استمرارا في السيطرة واستمرارا في فرض الشروط .

هذه يا إخوانى هي أسطورة السلام في الشرق الأوسط ، وهذه هي خرافة توازن القوى ...

في حفل تخريج فوج جديد من الضباط أزاح الرئيس جمال عبد الناصر الستار عن وثائق سرية خطيرة فضحت أسطورة السلام وخرافة التوازن اللتين يتشدق بهما الاستعمار ويستتر أهدافه الحقيقية وهي فرض التحكم والسيطرة والنفوذ ، وقال : إن حادث العدوان الإسرائيلي الوحشى المدبر في ٢٨ فبراير الماضى (وقد وصفناه في ص ٨٣٠ من السنة الماضية) كان الذى نبه مصر إلى ما يدبره لها الاستعمار ، فكان بذلك نقطة تحول في حياة مصر ، فبدأت تبحث عن السلاح في كل مكان ، وخرجت من ذلك بحقيقة ثابتة هي التحيز الصارخ لإسرائيل على حساب مصر والعرب . وأثبت الرئيس بالوثائق الرسمية أن إسرائيل حصلت من بريطانيا على ٩٧ طائرة من مختلف الأنواع و ٢١٥٠ عربة مصفحة ، و ١٠٠ مدفع عربة هاون ، و ٧٠ مدفع ميدان ، وأن هناك صفقات أخرى من الطائرات والدبابات ، كما سلمتها أمريكا ٩٢ طائرة ، وتعاقدت معها فرنسا على تسليمها مائة دبابة وعدداً من الطائرات ، كما أثبت بالوثائق الرسمية أن وزارة الحرب البريطانية كانت تعلم في شهر مايو الماضى أن إسرائيل كانت على وشك العدوان على

الأنباء العربي

نوه السيد أنور السادات في الجمهورية بأن وثيقة المحادثات البريطانية التي هتك الرئيس جمال عبد الناصر سترها ، وفضح سرها ، قد تضمنت فيما تضمنته أن الشقيقة سوريا ألقت على العالم درساً خالداً في الوعي العربي والإخاء العربي وروعة الإيمان بوحدة العرب وسيادتهم ، وذلك أن إسرائيل كانت فعلاً على وشك العدوان على الجبهة المصرية لولا أنها علمت أن الأوامر صدرت إلى الجيش السوري بأن يكون مستعداً للهجوم على إسرائيل في الحال إذا قامت القوات الإسرائيلية بالهجوم على مصر . فعلق السيد أنور السادات على ذلك بقوله : « سلام على سوريا الحبيبة ، وروح وربحان يا أحفاد أمية الابداد . سلام عليك يا سوريا الحبيبة شعباً وجيشاً ، سلام على الغوطة من ربى النيل ، سلام على النيربين من أهرامنا والنخيل » .

وهكذا نرى تعصب الغرب علينا أخذ يحقق المعجزة ، معجزة الاتحاد الذي سيكون بداية التحول إن شاء الله في مجرى التاريخ . وهذه الوثيقة البريطانية السرية التي حصلت عليها الاستخبارات المصرية اضطرت وزارة الخارجية البريطانية إلى الاعتراف بصحتها ، ولكنها ما تزال تجهل كيف وصلت إلى اليد المصرية وافتضحت في الوقت المناسب .

قانون الخدمة العسكرية

صدر القانون المصري الجديد للخدمة العسكرية ، وهو يفرض هذه الخدمة على كل مصري من الذكور أتم الثامنة عشرة من عمره ، ومدة الخدمة ثلاث سنوات تخفض إلى النصف للحاصلين على الشهادات النهائية من كليات الجامعات المصرية والازهرية أو ما يعادلها أو من المعاهد والمدارس العليا أو من المدارس الثانوية ، ويجوز تأجيل الخدمة الالتزامية وقت السلم لطلبة الكليات والمعاهد والمدارس المذكورة إلى أن يحصلوا على شهاداتهم . ويعفى من الخدمة العسكرية من لا تتوفر فيه شروط اللياقة ، والابن الوحيد لأبويه أو أحدهما والعائل الوحيد لأبويه أو أحدهما بشرط أن يكون الأب عاجزاً عن الكسب والام أرملة أو مطلقة .

منع الأسلحة عنه مصر

تعطيل لواجب ديني

أعلن حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر أن أى تدخل لمنع تسليم جيش مصر وحبس الأسلحة عنه إنما هو تعطيل لواجب ديني لا يسكت عنه مؤمن ولا يرتضيه شعب متحضر ، وقد أبلغ ذلك إلى سفراء روسيا وأمريكا وبريطانيا وفرنسا وتشيكوسلوفاكيا بالبرقية الآتية

التي بعث بها إلى الرئيس جمال عبد الناصر ،
واللواء عبد الحكيم عامر وزير الحربية
والقائد العام للقوات المسلحة :
بسم الله الرحمن الرحيم
حياة الامم وسلامة أوطانها رهن بما لها

من سلاح وعدة ، وهذا ما يرشد إليه
القرآن الكريم في قوله تعالى : « وأعدوا لهم
ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون
به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم
لا تعلمونهم » .

ونحن في هذا السبيل نؤيد حكومة الثورة ،
ونهيّب بالشعب المصري أن يهب لتأييدها
في الكشفاح لتقوية جيشنا وتسليحه بأقوى
وأكمل عدة ، ونسكر أشد الانسكار على من
يحاولون إضعافنا وإنهاض عدونا ، ونعتبر
ذلك أشد أنواع الظلم والعدوان ، ثم هو
تدخل صارخ في أخص شئون البلاد ،
وتعطيل لواجب ديني لا يسكت عنه مؤمن ،
ولا يرتضيه شعب متحضر .

علماء الأزهر والتسليح

بعث علماء الأزهر برقية إلى الرئيس جمال
عبد الناصر يؤيدون فيها موقفه الوطني القوي
في مسألة التسليح ، ويؤكدون فيها حرصهم
على نماء جيش مصر وتسليحه من أية جهة .
وبعثوا برقية إلى مستر جورج ألن وكيل

وزارة الخارجية الأمريكية عند وجوده في
مصر وصفوا فيها تدخل الولايات المتحدة
الأمريكية في شئون مصر بأنه تحيز مسافر
يفضح حقيقة نيات أمريكا وحلفائها نحو
العرب والمسلمين .

مجلس الجامعة العربية

يعلن تقديره لموقف مصر

عقد مجلس الجامعة العربية دورته الرابعة
والعشرين بالقاهرة في منتصف شهر صفر ،
وقرر إرسال البرقية التالية إلى الرئيس
جمال عبد الناصر :

« في مطلع الدورة الرابعة والعشرين العادية
لمجلس جامعة الدول العربية قرر المجلس
بالإجماع أن يعرب لسيادتكم عن تقديره
لموقف الحكومة المصرية ، وعن تضامنه مع
السياسة الحازمة التي تفتحها مصر والرامية
إلى دعم أسباب عزتها وقوتها التي هي عزة
العرب وقوتهم ، ولأنه ليسرني أن أعرب
لسيادتكم عما تقدم باسم مجلس جامعة
الدول العربية » .

(رئيس المجلس)

ميزانية الجامعة العربية

وافق مجلس جامعة الدول العربية في دورته
الرابعة والعشرين على ميزانية الجامعة للسنة
المالية القادمة ، وتبلغ ٥٥٠ ألف جنيه ،

فوق هذا الجزء المقدس من الوطن العربي يتدارس - في جو الكارثة الكبرى - قضايا الوطن العربي ، وهو عمل مجيد في ذاته ، على أن عبء الدراسة القاسي قدملات القلوب واستقرت في ضمير الفئة الواعية من العرب أجمعين الذين لم يعد ترجيع الماضي يودعهم الاستكانة ، بل الحافز المثير يدفعهم إلى المضى في سبيل الخدمة النافعة من طريق خلق (وحدة في التفكير) بين المثقفين العرب ، ودراسة القضايا القومية دراسة علمية منطقية ، وتحديد الاهداف والغايات ، واستنباط أقوى وسائل الكشف من أجل تحقيقها . فباسم الله القدير ، والوطن الغالي ، وباسم هذه المدينة المقدسة مسرى الرسول ومهد الانبياء أفتتح هذا المؤتمر مرحبا بكم متمنيا لكم التوفيق .. وحى على العمل ، والله ولي التوفيق .

وخطب بعده رئيس المؤتمر في دورته الاولى السيد عادل عسيران ومما قاله إن رسالة مؤتمركم لا تتحقق إلا بالعمل بجرأة وإقدام في المحافظة على بقاء الوطن العربي ، واسترداد ما غصب منه .

وفي جلسة المساء انتخب الاستاذ محمد فؤاد جلال السكرتير العام لمجلس الخدمات المصري رئيسا للمؤتمر في هذه الدورة وانتخب ثلاثة نواب للرئيس أحدهم من الأردن والثاني

يخصص منها ١١٥ ألف جنيه لمكتتب الدعاية في نيويورك ، و ١٠٠ ألف جنيه للبدء في إقامة مبنى الجامعة الجديد ، والمساهمة بمبلغ ٢٥ ألف جنيه لمعهد الدراسات العربية ، و ٢٥ ألف جنيه للدورة الرياضية التي تعقد في بيروت ، و ٢٠ ألف جنيه للحلقات الدراسية والمعسكرات الكشفية والمراكز النموذجية والاجتماعية . أما رواتب الموظفين فقدرت بما يتراوح بين ٧٥ ألف جنيه و ٨٠ ألف جنيه .

مؤتمر الخريجين الدائم

لقضايا الوطن العربي

عقدت في بيت المقدس في أوائل شهر صفر الماضي الدورة الثانية لمؤتمر الخريجين الدائم لقضايا الوطن العربي ، وافتتحه جلالة الملك حسين ملك الاردن بخطبة قال فيها : « قبل سبع سنين أريزيد كان في هذا الجزء من الوطن العربي الكبير شعب شقيق : المرومة والإباء ملء إهابه ، والنخرة والفداء ملء شبابه . واليوم - وبعد سبع سنين أو تزيد - تمزق هذا الشعب الشقيق أيدي سبا ، وتشرذمت كل كوكب ، وأتخننت يد الالهواء بالجراح ، فلا يكاد يندمل منه جرح حتى تسيل جراح .. وها أنتم شاهدون على أننا نبني ماوسعنا البناء ، وعدتنا في كل ذلك إيمان بعدالة قضيتنا ، واستهانة بكل ما تصدنا به الايام من تعب وحرمان ... ومؤتمركم الذي يجتمع

مشروع دالاس لحل القضية الفلسطينية ، ومقاومة مشروعات توطين اللاجئين خارج فلسطين .

وألقي رئيس المؤتمر الأستاذ محمد فؤاد جلال كلمة ختامية شكر فيها للأردن ملكا وحكومة وشعبا رعايته للمؤتمر .

كلمة مصر والعرب

في اجتماع هيئة الأمم المتحدة

خطب الدكتور محمود فوزى وزير خارجية مصر ورئيس وفدنا في هيئة الأمم المتحدة فهاجم الدول الاستعمارية وقال : إن على الاستعمار أن يدرك أن عجلة الزمان قد فاتته ، وأن عليه أن يخرج طواعية من هذا العالم ولا فسيخرج منه بالقوة . وندد بحلف الاطلنطى لتأييده الاستعمار في شمال إفريقيا ومحاربة الاحرار الذين يكافون لاسترداد حريتهم . وأكد أن الصهيونية لا تعيش إلا على العدوان . وقال : إن عرب فلسطين ان يبيعوا ارواحهم من أجل نقود الأمم المتحدة ، وأن مصر لن يقف أمامها شئ يمنعها من السعى لاسترداد الحقوق القانونية لعرب فلسطين .

وإن الشعوب الصغيرة لا تريد أن يحدث الاتفاق بين السكتلتين الشرقية والغربية على حساب الدول الأخرى في العالم . وإن قرارات باندونغ أيدت كل جهد لحماية حقوق الإنسان ، وتقرير المصير ، والتحرر

من العراق والثالث من سوريا . ثم خطب الرئيس الجديد والاستاذ الباقورى .

وفي اليوم التالى زار أعضاء المؤتمر الخطوط الامامية في منطقة القدس ثم عادوا لتقرير جدول الاعمال ، وكان في طليعة قراراتهم تأييد مصر في كل إجراء تتخذه لتأديب اليهود ثم ألفوا تسع لجان : للعلاقات العربية ، والثقافية ، والمغرب العربى ، ومكافحة الاستعمار ، والدستور الاتحادى ، والادارة الاتحادية ، والاجتماعية ، وحقوق الإنسان ، وتنمية الاقتصاد العربى ، ولجنة فلسطين التى تفرعت إلى : لجنة اللاجئين ، ولجنة قضية فلسطين السياسية ، ومشروعى دالاس وجونستون ، ولجنة خطر إسرائيل .

وبعد نشاط استمر قريبا من أسبوع اختتم المؤتمر أعماله مقررأ شكر الحكومة المصرية على إنشاء فرقة فلسطينية تساهم في الدفاع عن وطنها وتعمل على إنقاذه . وطالب المؤتمر الدول العربية بإنشاء فرق مماثلة وتدريب الفلسطينيين وتسليحهم .

وعاد أعضاء المؤتمر فزاروا الخطوط الامامية في الأردن ، ثم تناولوا الغداء على موائد الجيش العربى .

وقد أقر المؤتمر التوصيات التى قدمتها لجانه التسع ، والتى من أهمها رفض مشروع جونستون لاستثمار مياه الأردن ، ورفض

لإسرائيل ، وقد فاتها أن مصر دولة مستقلة ، وأن دفاعها عن نفسها من شئونها الخاصة . فيجب أن نصمم على أن تكون السياسة الانجليزية مبنية على أساس المصالح الانجليزية لا أن تكون مسيرة من قبل أنصار إسرائيل الموجودين فى إنجلترا .

هذا ما يقوله وزير عمالي سابق فى الدولة البريطانية ، وليس هذا من أساليب المعارضة المألوفة ، فإن الوزير العمالي السابق يذكر عيباً فى دولته تستوى فيه الوزارات ، سواء كانت من المحافظين أو الأحرار أو العمال ، فكلهم ارتضوا أن يكونوا مسيرين بأبحاء وتوجيه أنصار إسرائيل الموجودين فى إنجلترا من قبل أن توجد إسرائيل ، وبعد استكمال كيائها الزائل إن شاء الله .

أمريكا والتنويم الصهيونى

قال الرئيس جمال عبد الناصر المستر پول سان رئيس تحرير مجلة (نيو يورك بوست) : « إن جميع العرب يشعرون بأن أمريكا واقعة تحت تأثير نفوذ وسيطرة المنظمات الصهيونية القوية التى توجهمها لمساعدة إسرائيل ضد العرب . والنفوذ الصهيونى فى الولايات المتحدة بمثابة عقبة بين العرب والأمريكيين . وشعور كل امرئ فى الدول العربية هو أن

من الاستعمار . وإن مصر تتطلع إلى عهد يسود فيه التعاون بين أمم العالم على أسس الحرية والكرامة والقيم الإنسانية للقضاء على استخدام القوة المسلحة فى أى نزاع دولى . وإن مصر تبذل كل جهد لتتيح للشعب السودانى أن يعبر عن أمانيه فى الحرية ، ولن تقساح مطلقاً فى أى محاولة تبذل للحد من هذه الحرية .

وبعد أن ألقى الوزير المصرى خطابه أمام الجمعية العامة أعرب الرئيس عن أسفه للهجة الخطاب وشدته ، وأنه لم يرغب فى مقاطعته أثناء إلقاءه لكنى يوفر له حرية الكلام . وحينما أراد الدكتور محمود فوزى أن يرد على الرئيس اعتذر هذا قائلاً : إن الملاحظات التى أبدتها ستحذف من محضر الجلسة .

رائحة نتن إسرائيل

فى سياسة الغرب

وصف جورج براون الوزير العمالي السابق بوزارة اتلى قرار مصر الخاص بشراء أسلحة من تشيكوسلوفاكيا بأنه « هزيمة كبرى للدبلوماسية الانجليزية ، ولمشايخ الدفاع الغربية » . وهو يعزو هذه الهزيمة إلى نفوذ إسرائيل وأثره فى سياسة لندن .

وأكد جورج براون أن الخطأ نشأ عن « تكليف سياسة بريطانيا حسب رغبات

ولما تم الاقتراع وظهرت نتيجته في جانب الدول العربية والإسلامية انسحب وفد فرنسا من الجلسة احتجاجاً ، وقال رئيس الوفد الفرنسي : إن فرنسا تعتبر أى قرار تتخذه الأمم المتحدة في هذا الشأن باطلاً .

وكانت قائمة الشرف التي تحدث الاستعمار ممثلاً في فرنسا وأنصارها تضم مصر والمملكة العربية السعودية ، وسوريا ، والعراق ، ولبنان ، واليمن ، وباكستان ، واندونيسيا ، والافغان ، وإيران ، والهند ، وبورما ، والفلبين ، وسيام ، والاتحاد السوفيتي ، وتشيكوسلوفاكيا ، وبولونيا ، ويوغوسلافيا ، والارجنتين ، وبوليفيا ، وكوستاريكا ، وجواتمالا ، والمكسيك ، وأورجواي وليبيريا ، وبيلوروسيا ، واليونان . والمجموع ٢٨ دولة منها ١٥ دولة آسيوية وإفريقية ، و ٥ دول شيوعية ، و ٦ دول من أمريكا اللاتينية ، ودولتان بلقانيتان .

وعلى رأس الدول الموالية للاستعمار والمعادية لاستقلال الجزائر وحريتها : الولايات المتحدة الأمريكية ، وانجلترا ، وفرنسا ، وهولندا ، وتركيا ، وكانت تركيا تخدم ادع الدول الآسيوية الإفريقية إلى درجة تشمئز منها النفس ، فلما كانت اللحظة الأخيرة الحاسمة نزع ممثلو تركيا البرقع عن وجوههم واقترعوا مع فرنسا وأوليائها ضد حرية الجزائر التي يرجع تاريخ استعبادها

جميع اليهود التي نبذها في الولايات المتحدة ستضيع هباءً منثوراً بسبب الصهيونيين ، .

وعلق رئيس تحرير (نيويورك بوست) على حديث الرئيس قائلاً : إن جمال عبد الناصر يعتقد أنه لا يحارب لإسرائيل وحدها ، بل يحارب الصهيونية العالمية وثروة الصهيونيين ، وأن رسالته ومهمته أن ينقذ العالم العربي من السيطرة والدمار النازلين بالعرب ، بسبب « المؤامرة الصهيونية » التي تدبر في الولايات المتحدة ، وتلقى بمض التأييد من بريطانيا وفرنسا . ويقول جمال عبد الناصر : من العبث أن يلتمس العرب المعونة من أمريكا ، لأن المسؤولين عن الانتخابات فيها لا يفكرون إلا في اليهود وفي خمسة ملايين من أصواتهم في الانتخابات .

ادراج قضية الجزائر

في جدول أعمال الأمم المتحدة

قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة إدراج « مناقشة كاملة ، للحالة في الجزائر في جدول أعمالها ، رغم توصية « اللجنة التوجيهية » بغير ذلك في آخر جلسة لها ، ورغم تكاتف فرنسا وبريطانيا وأمريكا وحلفائهن جميعاً على عدم إدراج هذه المسألة في جدول الأعمال وقد اقترح مع الدول العربية والإسلامية لصالح العرب دول الكتلة السوفيتية وبعض دول أمريكا اللاتينية .

بإسداء الضمانات لتأمين مستقبله . وبعد ساعتين من قيام الطائرة به وصل إلى طنجة - المنطقة الدولية - حيث تقرر أن تكون إقامته في قصر زهرة الجبل الذى كان يملكه السلطان عبدالعزيز واشتره ابن عرفة قبل بضعة أشهر .

وقبل رحيله وقع وثيقة التخلي عن سلطنة المغرب ، وهى الوثيقة التى أعدتها الإقامة الفرنسية العامة وظلت محل الأخذ والرد مدة غير قليلة .

وعند سفره أذاع رسالة بالراديو قال فيها إنه قرر مغادرة عاصمة المغرب لأجل غير محدود وفوض برسالته هذه لابن عمه مولاي عبد الله ابن مولاي عبد الحفيظ تهريف شئون التاج وفقاً لتقاليد الأسرة وتعاليم الشرع الشريف .

جلاء فرنسا عن فزان

كانت الاتفاقية الموقعة بين ليبيا وفرنسا تقضى بأن يبدأ جلاء القوات الفرنسية عن فزان في أول أكتوبر من هذه السنة ، ولما مضت الايام العشرة الاولى من شهر أكتوبر ولم تحرك فرنسا ساكنا كتبت اليها حكومة ليبيا تلقت نظرها الى ذلك ، فأجابت فرنسا بأن ذلك نتيجة دسهو ،

نفاي

قال مستر جارلاند إيفانز هوبكنز الوكيل التنفيذي لرئيس جمعية أصدقاء الشرق الأوسط الأمريكية :

سنة ١٨٣٠ إلى حماة وخذلان كان الأمير عبد القادر الجزائري ومواطنوه يعرفون مصدرهما .

الجزائر في البرلمان الفرنسي

خطب بيير فاييه النائب الفرنسي في الجمعية الوطنية الفرنسية فقال : إن الحكومة الفرنسية تستخدم وسائل شديدة القسوة وهى تحاول قمع ثورة الجزائر ، وقد نشرت الصحف أنباء فظائع ارتكبت في فيليب فيل بالجزائر فزادت هذه الفظائع الموقف خطورة .

ولم يحضر رئيس الوزارة المناقشة في هذه الجلسة بل حضر عنه وزير الداخلية لأن فرنسا ما زالت تعتبر الجزائر جزءاً من أرضها ، وقد حضر ١٥٠ عضواً من ٦٢٧ عضواً لأن أحزاب اليمين والوسط تغيبت لئلا تشاطر اليساريين حملهم على الحكومة ومناصرتهم للمغرب العربي .

ابن عرفة

في طريقه إلى طنجة

تخلى ابن عرفة عن سلطنته وعرشه ، وغادر القصر الملكي في الرباط يوم ١٤ صفر في ساعة مبكرة من الصباح قاصداً المطار ورافقه ٤٠ من سيارات الجيب وغيرها ، وفي المطار قرأ عليه المقيم الفرنسي رسالة من رئيس الجمهورية الفرنسية يشيد فيها بخدماته ، ويعدده

إلا إذا كان التغيير إلى الإسلام فإنه في هذه الحالة تطبق أحكام الشريعة الإسلامية .

وقد نص القانون الجديد على أن رجال القضاء الشرعى تحفظ حقوقهم بنقلهم على اختلاف درجاتهم إلى القضاء الوطنى . والمحامون أمام المحاكم الشرعية سيكون لهم حق المرافعة فى المحاكم الوطنية فى الدعاوى التى كانت تدخل فى اختصاص المحاكم الشرعية .

معهد للشريعة الإسلامية

والتوسع فى دراسة الفقه بكلية الحقوق

وافق مجلس الوزراء فى جلسته المنعقدة يوم ٢٥ صفر (١٢ أكتوبر) على مشروع قانون باللائحة الأساسية لكلية الحقوق بجامعة القاهرة بشأن الدرجات العلمية والدبلومات . وقد استتبع إلغاء المحاكم الشرعية والمجالس المالية وإحالة اختصاصاتها إلى المحاكم المدنية إعادة النظر فى (تدريس الشريعة الإسلامية) بالسلكية ، فرؤى التوسع فى دراستها بقسم الليسانس وتعميم تعليمها فى سنوات الدراسة الأربع ، وأن يستعاض عن دبلوم الشريعة الإسلامية الذى كانت مدته سنة بإنشاء معهد للشريعة الإسلامية مدة الدراسة فيه سنتان وبمنح الطالب بعدهما الدبلوم ويحصل على الدكتوراه فى الحقوق فى الشريعة الإسلامية إذا ما أعد رسالة بعد حصوله على الدبلوم

و إن أمريكا كانت أحب أمة إلى شعوب البلاد العربية ، ثم أصبحت الآن أبغض الأمم إليها . إننى لا أجد صفة أقل من صفة (النفاق) أطلقها على كل من ينادى الآن مطالباً بمنع بدء سباق التسليح فى الشرق الأوسط ، وبضرورة إبقاء توازن عسكرى ، فإن الطريق الوحيد للوصول إلى التوازن العسكرى إنما يكون بتقديم معدات إلى الدول العربية مساوية لما قدم إلى إسرائيل .

القضاء الشرعى والملى

صدر فى الشهر الماضى قانون بنقل اختصاصات القضاء الشرعى للمسلمين والقضاء الملى لغير المسلمين فى كافة أنحاء الجمهورية المصرية إلى المحاكم الوطنية على أن تتولى النظر فى قضايا الأحوال الشخصية والوقف والولاية عليه طبقاً لأرجح الأقوال من مذهب أبى حنيفة عدا الأحوال التى وردت بشأنها قواعد خاصة فإنه يجب اتباع هذه القواعد .

وبالنسبة للنزاعات المتعلقة بالمصريين غير المسلمين والمتحدى الطائفة والملة فإن الأحكام تصدر فيها طبقاً لشريعتهم . وفى حالة تغيير الطائفة أو الملة بما يخرج أحد الخصوم من وحدة طائفية إلى أخرى أثناء سير الدعوى فإن ذلك لا يؤثر فى تطبيق المادة المتقدمة

أبواب الحرم المدينى

يحتفل فى دار المؤتمر الإسلامى بالزمالك بحضور صاحب السمو الملكى الامير فيصل آل سعود ولى عهد المملكة العربية السعودية بعرض بابين من أبواب الحرم النبوى الشريف التسعة التى تم صنعها فى مصر ، وهما (باب السلام) و (باب الرحمة) ، ويستمر عرضهما ثلاثة أيام ابتداء من يوم الخميس الرابع من ربيع الاول سنة ١٣٧٥ . وقد صنعت هذه الأبواب فى مصر بأيدى عمالها ، ونحت رعاية مهندسيها ، ومن أنقى خاماتها ومعادنها .

طلبة الأزهر

يتبرعون للجيش بالمال والنفس عند افتتاح الدراسة صباح يوم السبت ٢٨ صفر قرر طلبة كليات الأزهر والمعاهد الدينية التنازل لتسليح الجيش عن نصف المكافآت المخصصة لهم . وأعلنوا عن رغبتهم فى التطوع فى صفوف الجيش ليسكون لهم شرف الجهاد المقدس ، وأرسلوا برقية بذلك إلى الرئيس جمال عبد الناصر .

الأزهر وتسليح الجيش

دعا صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر

إلى مكتبه أصحاب الفضيلة وكيل الأزهر والسكرتير العام ومدير النفثيش والوعظ وشيوخ الكليات والمعاهد الدينية ورؤساء الإدارات . وتحدث إليهم فيما يجب على الأزهر من الاشتراك فى شرف العمل على تعزيز سلاح الجيش .

وقد استقر رأى على أن يتبرع كل موظف فى الأزهر الآن بمقدار ٤ ٪ من راتبه .

وكلف فضيلته جميع الوعاظ فى أنحاء الجمهورية أن يقوم كل منهم فى دائرة عمله بالدعوة إلى هذا الواجب الذى يحفظ للأمة كيائها ويصون لها عزتها وحريتها .

ورجال الأزهر جميعاً يؤيدون موقف الحكومة المشرف فى هذا السبيل .

سائلين الله لجيش مصر الباسل والبطل العظيم الرئيس جمال عبد الناصر النصر والتوفيق .

وأرسل السادة أصحاب الفضيلة شيوخ المعاهد ومدرسوها وموظفوها وطلابها برقيات التهنئة إلى صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بمناسبة ابتداء العام الدراسى الجديد مؤيدين فيها السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى موقفه الحازم بشأن تسليح الجيش المصرى ، ومعلنين تبرعهم بـ ٤ ٪ من مرتبات المدرسين والموظفين ، و ٥ ٪ من مخصصات الطلاب .

الفهرس

صفحة	الموضوع	بـ
٢٢٥	نصيحة طيبة خالصة	فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر
٢٣٢	بيئة الاسلام الاولى	الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٢٣٦	نفحات القرآن : هداية الله وفتنة الناس	» عبد الطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء
٢٤١	السنة : خاتم النبيين	» طه محمد الساكت
٢٤٣	رسول الله صلى الله عليه وسلم	» محمد الأسمر
٢٤٦	من أدب النبي صلى الله عليه وسلم	» محمد أبو شعبة
٢٥٠	عقوبة الأعداء	» محمد الطنيجي عضو جماعة كبار العلماء
٢٥٤	عيت جامعى	» علي المهارى
٢٥٩	حديث الزلزال فى القرآن	» أحمد الشرباصى
٢٦٥	ترجمان القرآن	» محمود الزواوى
٢٧٠	من أحكام المال	» محمود فرج المقدمة
٢٧٤	لغويات	» محمد على النجار
٢٧٩	المحذرات	» أحمد طه السنوسى
٢٨٣	عطاء بن أبى رباح	» محمد حافظ
٢٩٠	فارس عين جالوت	» محمد رجب البيومى
٢٩٣	بشرى فقد رفع الصباح عمودا	» محمد سليمان بدر
٢٩٦	السيدة عائشة أم المؤمنين	» محمد عبد الحميد البوشى
٢٩٩	فى ذكرى مولد الرسول : صفحات مشرقات	» محمد عبد التواب
٣٠٣	عظمة الرسول	» حامد محمود إسماعيل
٣٠٦	للمبادئ الاسلامية والاخلاق الفاضلة	» عباس طه المحامى
٣١١	توحيد التعليم الدينى والدنى	فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر
٣١١	حالة العالم قبل الميلاد المحمدى وبمده	» عبد العظيم الطويل
	التعليقات	
٣١٥	الاختلاط فى المدارس	الأستاذ عبد الطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء
٣١٦	شباننا بين الايمان والزندقة	» » » » »
٣١٧	صدق القاضى الانجلىزى	» » » » »
	* * *	
٣١٨	الكتب	المجلة
٣٢٣	الأدب والعلوم	»
٣٢٥	أنباء العالم الاسلامى	»

مدير المجلة
عبد اللطيف السبكي
عضو جماعه كبار العلماء

للعنونات
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٤١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن شيخ الأزهر في أول كل شهر عربي

بإشراف
محب الدين الخطيب
الاستاذ السني

في وادي النيل	٤٠٠
لطيفة وادي النيل	٤٠٠
للعلماء والمربين بالوادي	٣٠٠
خارج الوادي	٥٠٠
للطبعة خارج الوادي	٣٠٠
للعلماء والمربين خارج الوادي	٤٠٠

الجزء الرابع - القاهرة في غرة ربيع الآخر ١٣٧٥ - ١٦ نوفمبر ١٩٥٥ - المجلد السابع والعشرون

المكتبة الأزهرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فتنة حول الأزهر

وطوى الليالي ركنه والأعصر
وأضاء أبيض لجها والأحمر
ويذود عن نكسك ويمنع مشعرا
وحيا من الفصحى جرى وتحدرا
جعل الكنائس (المبارك كوثرا
يأتى لها النزاع بينفون القسرى

يا معبد أفنى القرون جداره
ومشى على يدس المشارق نوره
وأنى الزمان عليه يحمى سنة
عفن من الف-رقان فاض نعيمها
إن الذى جعل (العتيق) مثابة
ال-لم فيه مناهلا ومجانبا

شوقى

بلى ، إنها فتنة ، وصعد عن سبيل الله ، والفتنة أكبر من القتل .

إنها فتنة ، وما كان أغنى صاحبها عن أن يتولى كبرها ، بعد أن أراد الناس أن يتناسوا من فتن الماضي ما يؤد كل من له مثل ذلك الماضي أن يرى الناس قد أخذوا يتناسونه . . .

ولقد أخطأه التوفيق في تخير الوقت الذى توخاه لإثارة هذه الفتنة ، فالناس اليوم في

شغل عن ذلك بما يستعدون له من تسليح أبنائهم ورجالهم ليدفعوا عن كيانهم ما يبيته لهم أبالسة الأرض من شر ومكر وكيد عظيم .

وأى مصلحة للملة والأمة والوطن في أن تثار فتنة سخيصة كهذه الفتنة في ظرف كالظرف الذى نحن فيه ، فيكون منها لأذهان الناس وقلوبهم صارف - ولو في بعض الوقت - عما لا ينبغي لها أن تشتغل إلا به حتى في أحلامها . فكيف وقد طلع بذلك عليها في الساعات الأولى من يقظتها ، فأثلج بذلك قلوب الذين أسسوا له دار الكتائب المصرى وكل من يمت إليهم ويمتتون إليه بسبب .

إنه يبكى ويستبكي على شبابنا الأزهريين ، زاعما أنهم لا يتعلمون كما يتعلم الناس ، ولا ينبغي أن يتعلم الناس ، فهلا عرض على الناس المناهج التى يتعلم بها هؤلاء الشباب الأزهريون ، وقارنها بما يتعلمه الناس ، ثم وضع لهم إصبعه على مواطن الضعف والخلف وقال لهم : هنا أيها الناس يكن شذوذ الأزهر والتواءه ، فتعالوا لتتعاونوا على معالجتها وتقويمهما وإصلاحهما ؟ ! .

وأنا أعترف له بأن في مناهج الأزهر ما يختلف به - من بعض النواحي - عن المناهج التى اقتبسناها لمدارسنا العامة من مناهج أوروبا وأمريكا ، فإذا فرغت من ذلك سأقوده الى هذه المناهج الأزهرية ، وأدله - إن كان لم يدلّه أحد بعد - على ما تتفق به مع المناهج العامة من سائر النواحي .

وأحب - قبل المضى في الحديث عن المناهج - أن أشير الى ما يتلذذ به الملتفون من حوله ، ويقولون انه يكتب فيه مقالا آخر يزعم فيه أنه انما أشار بهدم القسمين الابتدائى والثانوى من صرح الأزهر ، ولم يشر بهدم الأزهر ! ويريدون بذلك أن يقيموا الدليل على حسن نيته ، وأنه لم يرد بخطوته الثانية أن يحارب الله ورسوله ورسالة الإسلام . وهذا كله في نظر المسلمين غش ومغالطة : فالابتدائى والثانوى من بنيان الأزهر في موضع الأساس من صرحه الشاخ وكيانه الخالد ، وما بقاء الطابق الأعلى في بنيان يهدم أساسه ويزال ؟ ان مناهج الأزهر قد اتسعت - في الابتدائى ، والثانوى ، والكلديات - للتعليم العصرى بجميع نواحيه ، لا بمجاملة للناس ونزولا على أهواء أدل الأهواء ، بل لأن الأزهر يعتبر حقائق العلم الكونى والمدنى من وسائل التيسير للنظر في ملكوت السماوات والأرض ، والتعاون مع المجتمع الإنسانى على ما فيه الخير والتقدم . وفيما عدا ذلك فان في الابتدائى

والثانوى من كيان الأزهر مواد لا توجد فى مناهج التعليم العام ، وفى طليعتها حفظ كتاب الله كاملا ، والإلمام بالفقه الإسلامى المأثور تدريجيا ، والأنس بتفسير كتاب الله وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم قبل الانتقال الى السكليات ، لأن دخول هذه السكليات بلا حفظ لكتاب الله ، وبلا المأتم بالعلوم الأولية الشرعية ، يجعل الأزهر كالأقسام الشرقية فى جامعات أوروبا وأمريكا ، وهل هذا إلا مهزلة ، ويعتبر تحقيقه هدمًا لا للأزهر وحده بل لرسالة الإسلام من أساسها ؟ !

فالمناهج الأزهرية تمتاز عن المناهج الأجنبية التى اصطنعناها فى مدارسنا العامة باشتراط حفظ القرآن فى الأزهر ، وإذا كان هذا هو موطن الضعف والخلف عنده فى مناهج الأزهر ومنه جاء الشذوذ والاتواء ، فاستحق الأزهر أن يهدم من أساسه بسبب هذا الاثم العظيم ، فلينزع البرقع عن وجهه وليناد على ملأ الأشهداء بأن اشتراط حفظ كتاب الله الحكيم فى المعاهد الأزهرية هو العقبة التى تقوم بين شبابنا الأزهريين وتعليمهم كما يتعلم الناس ، وكما ينبغى أن يتعلم الناس ! .

وللسيرة النبوية - منضما إليها سيرة كبار الصحابة وحماة الإسلام - حصّة واحدة فى الأسبوع بالقسم الابتدائى فى الأزهر ، ثم لا يعود إليها الطالب الأزهرى بعد ذلك لا فى القسم الثانوى ولا فيما وراءه . فان كانت هذه الحصّة الواحدة فى الأسبوع للسيرة النبوية هى التى يضيق بها صدر مثير هذه الفتنة ، لأن هذه المادة ليس لها حظ فى المدارس التى تقوم فى دنيا الناس ، فليعدل عن أساليب الإيهام والإيهام ، والجهل والتجهيل ، وليقل للناس : لقد كان خيرا من ذلك للأزهر أن يجعل هذه الحصّة فى الأسبوع لسيرة جان چاك روسو وأمثاله .

ويبدأ الأزهر بتدريس تفسير كتاب الله من السنة الثالثة فى قسمه الثانوى ، وله أربع حصص فى الأسبوع ، وهو من قبيل الإعداد للسكليات ، كالتبع فى الإعداد التوجيهى بالمدارس العامة بين أدبى وعلمى والعناية بالمواد التى تعين على التخصص فى هذا أو ذاك . فإذا كان تدريس تفسير كتاب الله للشبان الأزهريين من السنة الثالثة الثانوية يعدّ فى نظر صاحب الخطوة الثانية مما يستحق أن يهدم أساس الأزهر من أجله لأنه مما يحافى دنيا الناس - ولا ندرى أى الناس - فليكن صريحا ، وليقترح الاستعاضة عنه بكتابه (فى الشعر الجاهلى) ، ليمتدأ الأزهرى فى الأزهر كما نشأ صاحب الخلاوة الثانية فى باريس

مؤمننا بأن « للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل ، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا ، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي ، فضلا عن إثبات هذه القصة التي تحدثنا بهجرة إسماعيل بن إبراهيم الى مكة ، ونشأة العرب المستعربة فيها . ونحن مضطرون إلى أن نرى في هذه القصة نوعا من (الحيلة) في إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة ، وبين الإسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة أخرى » (ص ٢٦) . « وقد كانت قریش مستعدة كل الاستعداد لقبول مثل هذه (الأسطورة) في القرن السابع للمسيح » (ص ٢٧) .

وللحديث - متنا ومصطلحا - حصتان في الأسبوع بالقسم الثانوى للأزهر، والحديث المحمدى يعلم في الأزهر خلافا لما يتعلم الناس عند صاحب الخطوة الثانية ، فهو غير داخل في مناهج الدراسة العامة في مدارسنا، فضلا عن مدارس (الناس) من لا يك وفير وجزويت وروم أرثوذكس وإيطاليين وإنجليز وأمريكان وإسرائيليين . فان كان ذلك من مواطن الضعف والخلف ، ومن أسباب الشذوذ والالتواء في خطة الدراسة الأزهرية ومناهجها ، ويستحق الأزهر أن يهدم أساسه لأجلها ، فيصدر لنا صاحب الخطوة الثانية (فتوى) بأن نحل محل حصتى الحديث المحمدى متنا ومصطلحا في ثانويات الأزهر كتابا كحديث الأربعاء مثلا ، أليس ذاك حديثا وهذا حديث كذلك ؟ !

وللفقه خمس حصص في الأسبوع في كل من التعليم الابتدائى والثانوى في الأزهر، فهل من الحتم - ليساير الأزهر دنيا الناس - أن يعدل عن تدريس نظام الفقه الإسلامى في ابتدائيات الأزهر وثانوياته الى تدريس نظام الأثنيين لأرسطو ، أو التشريع الرومانى لأركارياس أو اللورد ما كنزى !

هذا كل ما يفارق به المنهج الأزهرى مناهج الغرب التى اصططنعناها في مدارسنا العامة ولا شئ غير ذلك . فان كان الذى لا يصلح للبقاء في ثانويات الأزهر وابتدائياته هو القرآن وتفسيره، والحديث ومصطلحه ، والسيرة النبوية، والفقه الإسلامى ، فيصرح بذلك مؤلف (فى الشعر الجاهلى) تصرىحا لا أحاجى فيه ولا ألغاز، وليقل إن هذا هو الذى يضييق به قوم وصفهم في مقدمة كتابه (على هامش السيرة) بأنهم يكبرون العقل، ولا يثقون إلا به، ولا يطمئنون إلا إليه . وهم لذلك « يضيّقون بكثير من الأخبار والأحاديث - أى التى فى سيرة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه - التى لا يسيغنها العقل (عندهم وعنده) ولا يرضاها ، وهم يشكون ويلحون فى الشكوى حين يرون كلف الشعب بهذه الأخبار ،

وجده في طلبها ، وحرصه على قراءتها ، والاستماع لها . وهم يجاهدون في صرف الشعب عن هذه الأخبار والأحاديث ، و (استنقاذه) من سلطانها الخطر ، المفسد للعقول ! » . وقد اعتذر لهم هناك بأن العقل ليس كل شيء « وأن هذه الأخبار والأحاديث إذا لم يطمئن إليها العقل ، ولم يرضها المنطق ، ولم تستقم لها أساليب التفكير العالمى ، فان في قلوب الناس وشعورهم وعواطفهم وخيالهم وميلهم إلى السذاجة واستراحتهم إليها من جهد الحياة وأعبائها ، ما يجيب إليهم هذه الأخبار ويرغبهم فيها ويدفعهم إلى أن يلتمسوا عندها الترفيه عن النفس حين تشق عليهم الحياة . و فرق عظيم بين من يتحدث بهذه الأخبار إلى العقل على أنها حقائق يقرها العلم ، وتستقيم لها مناهج البحث ، ومن يقدمها إلى القلب والشعور على أنها مثيرة لعواطف الخير ، صارفة عن بواعث الشر ، معينة على إنفاق الوقت ، واحتمال أُنقالات الحياة ، وتكاليف العيش » .

هذه هي نظرة صاحب الخطوة الثانية إلى سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم والحديث، ولعلها أهون من نظرته إلى التفسير والفقه . أما القرآن فقد علمنا رأيه فيه من كتابه (في الشعر الجاهلى) ونقلنا ذلك بنصه آنفا عن الصحيفتين ٢٦ و ٢٧ . والذين قال عنهم في مقدمة كتابه (على هامش السيرة) : إنهم يجاهدون في صرف الشعب عن هذه الهداية ، هم - عنده - الذين يكبرون العقل ، ولا يثقون إلا به ، ولا يطمئنون إلا إليه . فهل هذه الدعوة إلى الخطوة الثانية يراد بها تحقيق شهوة الذين يجاهدون في صرف الشعب عن أخبار السيرة المحمدية والحديث ، ويعملون على استنقاذه من سلطانها الخطر المفسد للعقول ، كما جاء في مقدمة على هامش السيرة ؟ ذلك ما يسأله الناس عنه ، ويحبون أن يسمعوا جوابه عليه .

ومن العجيب أن صاحب الخطوة الثانية لم يشفع للأزهر عنده أن منهج دراسته المقرر رسميا يشتمل حتى في كلياته على تدريس علم الاجتماع وعلم النفس بأنواعه والفلسفة بمختلف ألوانها ، ويشتمل - في قسميه الابتدائى والثانوى - على تدريس التاريخ ، ومنه تاريخ الفراعنة ، وعلى دراسة الجغرافيا والحساب والهندسة وتدبير الصحة والرسم والطبيعة والكيمياء وعلم الحياة والمنطق والتربية الوطنية ، الى غير ذلك مما يتعلمه أبناء الناس في مدارس الناس ، فان المبدأ الذى قرره في كتابه عن الثقافة في مصر يقضى علينا جميعا بأن نعتبر ثقافة الغرب كلا لا يتجزأ ، وأن نأخذها وبكل ما فيها من شر وخير ، كأننا أمة مفلسة ليس لها من موارث الدين والأخلاق والثقافة ما يجب علينا أن نتمسك به ، بل يجب أن نمنع أطفالنا وشبابنا الذين سيكون منهم علماء الإسلام من أن يحفظوا

كتاب الله في الصغر ، ومن أن يتتفقوا بتفسيره وبحديث الرسول الأعظم وسيرته وفقه شريعته ، وبذلك يتحول الأزهر الى مثل القسم الشرقى في جامعة بريستول وكامبريدج وباريس وليدن .

أما لو كان المراد بالخطوة الثانية أن يكون للأزهر نصيب من تدريس هذه العلوم الكونية والمدنية فإن ذلك من تحصيل الحاصل ، لأن الأزهر قائم بذلك من عشرات السنين . فلم يبق إذن مما يفارق به الأزهر دنيا الناس إلا ما زاد على ما في دنيا الناس وهو هذا القرآن وتفسيره ، والحديث ومصطلحه ، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وكبار الصحابة وحماة الإسلام ، ثم هذا الفقه الإسلامى . فهل أثار الرجل عجاج هذه الفتنة لأجل الخلاص من هذه المواد ؟ إنه أبهم ولم يصرح ، والقراء لم يغوصوا على قلبه فيعلموا ما فيه ، فلم يبق إلا مقارنة المنهجين ، وبيان الفرق الجوهرى بينهما ، وهذا ما حاولت أن أضعه أمام أنظار أهل البصيرة والنظر بكل أمانة وتحقيق .

ولقد سمعت بعض الذين قرأوا مقالة (الخطوة الثانية) يقولون : إن الخطوة الأولى كانت تشمل أيضا المجالس المليئة لغير المسلمين ، فهل صاحب الخطوة الثانية يريد أن تشمل كذلك معاهد العلم الاكليركى لغير المسلمين من مختلف الطوائف ، وما أكثرها في بلاد الجمهورية المصرية ؟ فإن كان يريد ذلك فلماذا سكنت عنه ولم يتعرض بحرف واحد ؟ !

وسمعتهم يتساءلون عن هذه البذور التي زرعت في تربتنا الجامعية منذ نحو ثلاثين سنة بمشهد من صاحب الخطوة الثانية كما يشهد له بذلك كتابه (في الشعر الجاهلى) وأعمدة الصحف ومحاضر مجلس النواب وبعض قرارات النيابة ، إلى أن أُنبتت تلك البذور رجالا صار منهم الآن مدرسون وأساتذة كالذى « كان يمزج مع طلابه على حساب إيمانهم فيقول لهم إنه (سيعطى) درجات إضافية في الامتحان للذين يقطرون رمضان » ، وكالذى يعتبر الآن حجة الفلاسفة الوجودية في مصر ويقول - في رسالة له صدرت في القاهرة سنة ١٩٥٣ - : « إما أن تقول بالأخلاق فتفقد ذاتك ، وإما أن تقول باللا أخلاق فتخاطر بوجودك . . . لكن الوجودى الحق هو الذى يفضل أن يخاطر بوجوده على أن يفقد ذاته » . ويقول : « الوجودى الحق أعدى أعدائه القانون ، إنه الحرية نفسها ، فلا معنى للواجب في عالمها ، ولا تقييد لمدى انطباقها وانطلاقها ، فان معانى الإثم والصواب كلها لا مفهوم لها في هذا الباب . اننا معاشر الوجوديين لا نزيد أن ننساق في أحلام البراءة ، والبكارة ، والطهارة . . . » . هذه هى الوجودية ، وهذا هو خطرها .

الذى وصفته جريدة الجمهورية بأنه « أصبح حرفة لبعض أساتذة الجامعات ، وقد خرج هؤلاء الأساتذة على معانى الأستاذية الجامعية ، الى فعال الدعاة والمبشرين ، فكل شاب تغويه هذه الفئة من الأساتذة وتغمر به وتدفعه في طريق الانحلال هو خسارة محققة لمصر » إن صاحب الخطوة الثانية يعنى عن رؤية هذا الخطر على مصر ، لأن هواه يصرفه عن اعتبار أن الخطوة الثانية يجب أن تتجه نحو تطهير الجامعة من هذا التيار العدوانى للقانون والأخلاق والواجب والطهارة والبراءة ، وحماية الجامعيين من هذا الوباء الجارف الذى يدعو الى الإثم ويهدد مستقبل مصر وكيانها ، فأيناه يسكت عن ذلك لأنه كان من شهود زرع وغرسه ، كما تسكت إنجلترا وأمريكا عن آثام اسرائيل لأنها وليدتهما ، ويرفع عقيرته مناديا بالقضاء على ما يختلف به الأزهر فى مناهج تعليمه عن مناهج من يسميهم (الناس) فى مدارسهم . وليس بين مناهج الأزهر والمناهج الأخرى فرق إلا بتعليم القرآن وتفسيره ، والحديث ومصطلحه ، والسيرة النبوية ، والفقهاء الإسلامى . فالقرآن وهذه العلوم المفسرة له والمستظلة بهديته هى الخطر كل الخطر على مصر ، ويجب أن تكون الخطوة الثانية متجهة نحو تحطيمها وإبادتها بتوحيد التعليم فى طور الصبا والشباب على حد تعبير هذا الرجل ، أما القضاء على الجامعة حيث تبت الدعاية للآثم ، والكراهة للقانون والواجب ، والتسفيه للأخلاق ، وذم الطهارة والبراءة ، وحيث يطارق أذان الطلبة الوعد بدرجات إضافية فى الامتحان اذا أفاضوا رمضان ، وحيث تتحول معانى الأستاذية الجامعية الى مثل فعال الدعاة والمبشرين لأغواء الشبان والتغريض بهم ودفعهم فى طريق الانحلال ، فكل هذا مما يقف منه صاحب الخطوة الثانية موقف الجحود والصمم والبله والتجاهل . . .

أيها الرجل ، إن الأزهر مواصل تجديد شبابه فى كل ما يحفظ للإسلام حيويته ، وإن الأزهر هو حاجة مصر - الأولى والأخيرة - وموئلتها فى سلمها وحررها ، وفى دنياها وآخرتها ، وإن الأزهر هو :

عين من الفرقان فاض نيرها	وحيا من الفصحى جرى وتحذرا
العلم فيه مناهلا ومجانيا	يأتى لها النزاع ييغون القرى
إن الذى جعل (العتيق) مثابة	جعل (السكتانى) المبارك كوثرا

وكأن جدار الأزهر قد أفنى القرون فى قديمه وهو لا يزال باقيا ، فإن أساسه الراسخ ، وصرحه الشاخص فى جديده ، تتكسر عليه قرون ناطحيه وهو لا يزال يعلو . والله أكبر ، والحمد لله رب العالمين

محمد الدين الخطيب

نَهَاكَ الْفَلَانُ

— ٣٤ —

٢ - هداية الله... وفتنة الناس

(١) « والله يريد أن يتوب عليكم »
 (ب) « ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا
 ميلا عظيما » .

١ — حدثناك فيما سبق أن دعوة الخير من جانب الله . . وأن دعوة الشر من جانب الناس . . وذلك منطلق الآية .

وتكلمة للحديث نذكر أن الشيطان زاحف على الناس بوساوسه التي تجرى من نفوسهم مجرى الدم من اللحم ، وأنه ناصب شراكه للأيقاع بهم في صحبة الأشرار ، وفي القدوة السيئة بالمنحرفين : فيما يتدعون من غواية . . ولكثرة ما ذكر الله عن الشيطان وعداوته للإنسان غاب عن بعض الأذهان أن فتنة الناس للناس من قبيل العداوة الشيطانية ، إذ أن للشيطان جنودا من الأنس يعملون عمله ، ويدعون بدعوته ، ويزينون للبسطاء والجهلة من الشر والباطل ما يدفع بهم إلى المهالك .

وهؤلاء هم دعاة السوء الذين يطيب لهم أن يتبعوا الضلالة ، وأن تتسع الهوة لهم ولمن يحاكيمهم .

٢ — والقرآن لا يغفل الحديث عن أولئك . . بل كما أشاد بالقدوة الحسنة ، وضرب الأمثال بالأخيار والصالحين من عباده المهديين ، ووجهنا توجيها أكيدا إلى

الأخذ عنهم والسير على منهجهم ، حدثنا كثيرا عن خطر الفاسدين المفسدين ، وعلمنا أن في صحبتهم مهلكة وشؤما .

وقد بلغ من تنديد القرآن بدعاة السوء، وتحذيرنا منهم، أن سماهم شياطين الإنس، وصب عليهم من السخط ما صبه على شياطين الجن ، لأنهم سواء في الفتنة ، وأعوان في الغواية .

وقديما كان الغواة يناوئون الرسل ، ويصدون الناس عن متابعتهم ، ويستهنون بدعوة الله ، ويزينون للناس كل باطل . وفي ذلك يقول سبحانه :

٣ — « وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا : شياطين الإنس والجن . . . يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا » .

فهنا مساواة بين الشياطين والمفسدين من الناس ، بل ذكر الإنس قبل ذكر الجن في عداوتهم للأنبياء ، وفيما ينهض به الشياطين والمفسدون من مناوأة للدعوة ، وترغيب الناس عن مطاوعة الرسل فيما يبلغونهم .

وللشياطين فيما بينهم تدبير للباطل ، وتآمر على الإفساد ، وللشياطين إيجاء للمفسدين ، ونزغات ووسوسة ، فمحاولات المفسدين وأعمالهم تنفيذ لوحى الشياطين ، وانزلاق في غوايتهم ، فكلهم أعوان سوء ، وأبواق فتنة ، وخصوم لدعوة الله، وهذه المساواة في الشر جمعتهم تحت اسم الشياطين . وكذلك جمعتهم الآية مرة ثانية في قوله تعالى عن الكفار :

٤ — « وقيضنا لهم قرناء ، فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم ، وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس ، إنهم كانوا خاسرين » .

فهنا حديث عن المخالفين لدعوة الله ، وتنبيه على أنهم لما صرفوا أنفسهم عن جانب الله ولم يوجهوها إلى دعوته ، تركهم لغوايتهم ، وقيض لهم قرناء ، يعنى ساط عليهم شياطين يقترنون بهم ، وسلط عليهم أصحابا من دعاة السوء يبتدونهم إلى الشهوات والمفاصد ، ويزينون لهم كل باطل من شئون الدنيا الحاضرة بين أيديهم ، ومن شئون الآخرة التي هي غائبة عنهم ، وليست مكشوفة لأعينهم ، كما يغيب عن أعينهم الشيء الواقع خلفهم ، وظلوا على غفلتهم حتى جرى عليهم ما جرى على أمم سابقة من الجن والإنس « إنهم كانوا خاسرين » .

وهذا السياق يضع الشياطين والمفسدين في حيز واحد ، ويقضى عليهم بحكم واحد ،
وجزاء واحد .

٥ — وجمعهم الآيات مرة ثالثة في قوله سبحانه : « قل أعوذ برب الناس ، ملك الناس ،
إله الناس ، من شر الوسواس : الخناس : الذى يوسوس فى صدور الناس : من الجنة والناس » .
فالله — سبحانه — يأمر نبيه — صلى الله عليه وسلم — ويأمرنا بالتبع له أن نستعيذ به
من شر الوسواس .

وما هو الوسواس ؟ . . . هو الخناس . . . هو الذى يوسوس فى صدور الناس : يعنى ينفث
وساوسه فى صدورهم حتى تشرح للعصية . وذلك الخناس الذى يفتنهم بوساوسه ونزغاته
يكون من الجنة ويكون من الناس المفسدين .

وهذه مساواة بين الشياطين والمفسدين فى أن المرء يستعيذ منهم بالله رب الناس .
وهكذا تجد لدعاة سوء الذين يتبعون الشهوات ، ويدعون غيرهم لمتابعتهم ، ويريدون
لهم الضلالة معهم — تجد لهم مذمة فى القرآن ، كما تجد للشيطان العدو الممين للإنسان .

٦ — وهذه قضية تردد ذكرها فى آيات عدة ، حينما يتحدث القرآن عن المستكبرين
من الطغاة ، وعن أتباعهم من الضعفاء ، يوم يعرضون على ربهم ، ويبصرون الحق الذى
كانوا فى غفلة عن مطاوعته ، ويوم يستقبلون حسابهم وجزاءهم فيتنكر بعضهم لبعض ،
ويحاول كل منهم أن يلقى التبعة على صاحبه ، ويعتذر عن نفسه . . . حتى الشيطان
نفسه ، وهو الذى تبجح أمام ربه ، وأقسم بعزته تعالى أن يغوى الناس أجمعين ، فإنه — فى
ساعة المذلة — يتنصل ممن اتبعوه واغترأ بوسوسته ، ويقول لهم : « وما كان لى عليكم من
سلطان ، إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى ، فلا تلمونى ، ولوموا أنفسكم » .

وبعد — فاستيعاب هذا المقام يحتاج إلى توسع . . . وحسبنا تلك الإمامة العاجلة التى
تساعدنا على فهم قول الله تعالى : « ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما » .

هذا — ولم يكن الحديث عن متابعة الغواة بعضهم لبعض قصصا لشيء سلف ،
ولا حديثا عن السلف ، بل هو تجديد للعبارة ، وإيقاظ للوعى ، وإشعار لنا بأن الإنسان

— وإن ارتقت عقليته، واتسعت فكرته، وتحضرت معيشتة — مغلوب لشهوته إن لم يقاومها، ومهزوم لشيطانها إن لم يجانبه، ومغرور بنفسه على ضعفه وقلة حيلته .

فمن لم يظفر بنصيب من التواضع، وحسب أنه بلغ من الشأن مبلغ القدوة المثل، ومن العقل مبلغ التوجيه المطلق، وفرض نفسه أويحاول فرضها على الناس ليملي عليهم كل ما يجيش بخاطره، ولو كان افتراء على الله، أو كذبا وبهتاناً فيما يزعمه إصلاحاً وغيره ومعاونة لأولى الأمر على تدبير أمر الدولة، فأما هو إنسان مفتون بنزعة، مخدوع في نفسه، وخادع لسواه .

وأخش الفحش أن تكون هذه نزعة إنسان مسلم، فضلاً عن أن يكون إنساناً اتصل بالدراسة الدينية ردحا طويلا من زمنه، ثم قام يتجههم لتعاليم الإسلام، ويقف منها أخيراً موقف المناوئ لها، والزاري عليها، في إلحاح وإسراف، وأن ينصب نفسه لخصومة دينية لم يقفها مبدئاً لمخاصم للإسلام !!

أليست هذه غواية يراد منها فتنه الناس عن دينهم، وصددهم عن استمداد ثقافتهم من الكتاب الكريم، وصرفهم إلى ناحية أخرى لا تغنيهم في الدين، ولا تجديهم أكثر من حياة عمالية كحياة الصناع والمحترفين الذين يعملون ليقنقوا : لا يكونوا أناساً من خيار الناس ؟ ؟

أليس الدعاة إلى هذه الفكرة دعاة إلى فتنه وأتباع شهوات، يريدون أن يميل الناس معهم ميلاً عظيماً ؟ ؟

وأخش الفحش — ثانياً — أن يصبح الصائحون بهذه المأثمة أنها استنهاض إلى خير، وتعجيل للبر، ورغبة في إصلاح، وهى — كما بدا — ضلالة تمكنت، وأحقاد تأصلت، وخصومة أزمنت، فكانت دعوة جهيرة، ومشأمة خطيرة .

وصاحبها رجل مسلم أزهرى في أوله، ولكن لا أدري ما هو في آخره، وعلم ذلك عند الدكتور طه حسين ما

عبد اللطيف السكيتي

عضو جماعة كبار العلماء

السيرة

الرحلة في طلب العلم

الوفود في العهد النبوي - مفتاح السعادتين -
أعظم الجهاد - الأزهري : رسالته وأياديه - مصره
الأزهري - « . . . والله متم نوره » .

عن أبي سليمان مالك بن الحويرث رضى الله عنه قال : أتينا النبي صلى الله عليه وسلم ونحن شعبة متقاربون ، فأقننا عنده عشرين ليلة ، فظن أنا اشتقنا أهلنا ، وسألنا عن تركنا في أهلنا ، فأخبرناه - وكان رقيقا (١) - رحيا - فقال : ارجعوا الى أهليكم فعلموهم ومروهم ، وصلوا كما رأيتموني أصلي ؛ وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم ، ثم ليؤمكم أكرمكم . رواه الشيخان واللفظ للبخارى .

* * *

هذه رحلة من الرحلات القديمة في طلب العلم . . .

انتدب لها طائفة من بنى ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة . . . وعلى رأسهم مالك ابن الحويرث رضى الله عنه . . . قدموا في السنة التاسعة على خاتم النبيين ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين .

وكان العرب من أنحاء الجزيرة في السنتين : التاسعة والعاشرية يقدمون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أفواجا ؛ ليبايعوه على الإسلام ويتفقوها فيه ؛ وكان صلوات الله عليه

(١) هكذا رواية البخارى بالقفاف في كتاب الأدب ، من الرقة ؛ وبالفاء في كتاب الأذان ، من الفرق . وأما رواية مسلم فهي بالفاء فقط . وتقاربهما معنى كتقاربهما لفظا .

كما وصفه ربه « بالمؤمنين رءوف رحيم » وكما قال : « يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » .

* * *

كان صلوات الله وسلامه عليه يكرم كل وفد عامة ، ويكرم كريمهم خاصة ، فيوليه عليهم ، ويوصيه بهم ، وكان يحسن استقبالهم جميعا ، ويسألهم عمن خلفوا من أولادهم وأهلهم ، ثم يشيعهم بأكرم وداع وأجمله ، كما استقبلهم بأحسن ترحيب وأحفله .

* * *

وامتدت مكرمته صلى الله عليه وسلم الى البعوث والوفود من بعده فأوصى بهم ، وأمر بأكرامهم ، ولا تزال تمتد وصاته ومكرمه ما اهتدت أمته بهديه ، واستمسكت بسنته ورشده ؛ لأنهم رسل من خلفهم ، وقادة من وراءهم ، ولأنهم - ما داموا مخلصين في العلم وطلبه - وفد الله ورسوله ، ومرحبا ثم مرحبا بوفد الله ورسوله . . . روى الترمذى وابن ماجه عن أبي هررون العبدى قال : كنا نأتى أبا سعيد رضى الله عنه فيقول مرحبا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الناس لكم تبع ، وإن رجالا يأتونكم من أقطار الأرضين يتفقهون في الدين ، فاذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا .

* * *

لبث وفد مالك رضى الله عنهم في ضيافة رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين يوما وليلة ، يزودهم ويفقههم ويهديهم ، حتى طال عليهم المسدى ، واشتوا أهلهم واشتد الشوق إليهم ، وليست اقامتهم عشرين ليلة - ما عدا ليالى الظعن جيئة وأوبة - بالأمر الهين على معشر من الشباب يفيض قوة وفتوة . . . وما ان قرأ صلوات الله وسلامه عليه ذلك في وجوههم ، حتى استنبأهم واستبان صدق فراسته في شغفهم بالعودة .

هنالك أذن لهم بالسفر الى أهلهم ، ووصاهم وهو يودعهم بهذه الوصية الجامعة . . أمرهم فيها أمر أن يؤدوا زكاة علمهم كاملة ، فيعلموا أهلهم كما علمهم الله ورسوله ، ويأمرهم بالهدى والخير ، ويفقهوهم في دين الله كما فقههم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمه رشده .

واختص الصلاة - صلوات الله عليه وسلامه - بمزيد من الوصاة والعناية ، فأمرهم أن يصلوا هم وقومهم كما رأوه يصلى ، خشوعاً وقنوتاً وقياماً وقراءة ، وسمتاً وأناة وضراعة .
 وليعلموا أن أحب الأعمال الى الله الصلاة لوقتها ، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لهم واحد منهم فى سفر أو حضر ، كبيراً كان أو صغيراً ، ما دام للأذان محسناً وللإبلاغ مستطيعاً .
 وليحافظوا على الجماعة ؛ لفضلها وعظيم ثوابها وجليل آثارها فى جمع قلوبهم وتآليفها وتعاونهم على البر والتقوى .
 وليؤمهم فى الصلاة أكبرهم سناً .

* * *

وانما قدم السن هنا وملاك الإمامة هو الفضل فى الفقه والقراءة ، لأنهم استوتوا فى الإسلام والهجرة والصحبة ، والأخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومدة الإقامة عنده ، فلم يبق من خصال الفضل الا قدم السن وان كانوا شعبة متقاربين فيها .

قال صاحب الفتح : « ولما كانت نيتهم صادقة - يعنى فى طلب العلم وتعليمه - صادف شوقهم الى أهليهم الحظ السكامل فى الدين ، وهو أهلية التعليم ، كما قال الإمام أحمد فى الحرص على طلب الحديث : حظ وافق حقاً » .

والسعادة كل السعادة فى الدين والدنيا أن يكون حظ العبد وفقاً لمن لا ينطق عن الهوى صلوات الله عليه وسلامه ، وأن يكون هواه تبعاً لما جاء به .

* * *

ومفتاح هذه السعادة الشاملة السكاملة ، بل سبيلها الذى لا سبيل غيره ، هى المحافظة على صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أمر بها ، فانها قوام الدين وعماده ، من حافظ عليها كان لها سواها أحفظ ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع ، وهذا هو سر الاعتناء بها ، والتشديد فى طلبها « وانها لكبيرة الا على الخاشعين . الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم اليه راجعون » .

* * *

أما بعد ، فذا حديث من أحاديث الجماعة : الصحيحين وباقي الكتب الستة ، فى

طلب العلم والرحلة إليه ، وهذه مجلة الأزهر المحمور ، أكبر جامعة إسلامية وأقدمها ، وأعظمها نشرًا للعلم والدعوة إلى الله في أرجاء المعمورة .

وإذا كان أكثر أحاديثها متصلا بالأزهر ولو من بعض نواحيه العامة ، فإن هذا الحديث وثيق الصلة بالأزهر من أخص نواحيه وأعظمها شأنًا وأجلها مكانا .

ذلك بأن الأزهر موئل العلوم الإسلامية الأول ، ينفر إليه طلابها من كل فج في مشارق الأرض ومغاربها ، ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم . . . وليس عليهم جناح أن يبتغوا فضلا من ربهم ، ويشهدوا منافع لهم في هذه الرحلات الدائبة المتعاقبة ، كما كان يصنع وفد مالك بن الحويرث وغيره من الوفود في العهد النبوي ، مشرق النور ومبعث الهدى والعلم . . .

* * *

والرحلة في طلب العلم والفقه في الدين شعبة من شعب الجهاد في سبيل الله ، لا تقل شأنًا عن قتال العدو لإعلاء كلمة الله وحمايتها ، بل إنها - مع صدق النية ، وحسن الطوية ، والعمل بالعلم ، والدعوة إلى الخير - لأجل قدرا ، وأرفع مكانا « ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين » .

ولقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك - وقد أنزل الله تعالى في شأن المتخلفين عنها من الآيات الشداد ما أنزل - كانوا ينتدبون جميعا إلى الغزو ويتسابقون فيه حتى لا يسكاد أحد منهم يبقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأُنزل الله عز وجل : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » فاطمأنوا وأيقنوا أن التفقه في دين الله ، ونشر دعوته ، وإقامة حجته ، وتعميم هدايته - وهذا هو الغرض كل الغرض منه - جهاد من أعظم الجهاد ، وتبينوا أن مداد العلماء أفضل عند الله من دم الشهداء « وكلا وعد الله الحسنى » بيد أن العلماء ورثة الأنبياء ، وإنما يخشى الله من عباده العلماء .

قال صاحب المنار في تفسيره لهذه الآية : كنت أطلب العلم في طرابلس . . . وكان حاكمها الإداري من أهل العلم والفقه ، فقال لي مرة : لماذا تستثنى الدولة العلماء

وطلاب العلوم الدينية ، من خدمة العسكرية . . . وهم أولى الناس بها ؟ ! يعرض بي . . . فقلت له على البدهة : بل لهذا أصل في نص القرآن الكريم ، وتلوت الآية . فاستكثر الجواب على مبتدئ مثلي لم يقرأ التفسير ، وأثنى ودعا .

* * *

أما بعد — مرة أخرى — فهذا هو الأزهر ، وتلك رسالته . . .

فاذا رأيت شرذمة من أشباه المسلمين أو أذعياء العلم والإصلاح يقومون في وجه الأزهر : من عدو حاقد ، أو طريد حاسد ، أو ملحد كائد ، أو ابن جاحد لأبيه عاق ، أو كاتب مداده النفاق والشقاق ، فلا يهولك أمره ، فما هو إلا :

كناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

إن رسالة الأزهر خالدة باقية ، ما بقيت مساجد الله الثلاثة في البلاد المقدسة ، ثم ما بقيت أمة الإسلام قائمة على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله .

* * *

أما يد الأزهر على العالم الإسلامي عامة ، وعلى مصر خاصة ، فأنها يد مذكورة مشكورة ، وحسب مصر أنها لم تتبوأ زعامة الشرق — وما كان لها أن تتبوأها — إلا بالأزهر ، ولولا الأزهر ما كانت مصر شيئاً مذكوراً .

ولو كان الأزهر في مصر أيام الرشيد لما احتقرها وقال مقالته الماثورة حينما قرأ قوله تعالى : حكاية عن فرعون : « أليس لي ملك مصر » الآية — لأولينها أخس عبيد . فولاهما الخصيب ، وكان على وضوئه . وعن عبد الله بن طاهر أنه وليها فلما شارفها قال أهي القرية التي افتخر بها فرعون ؟ ! والله لى أقل عندي من أن أدخلها ! وثنى عنانه !

إن الشرذمة التي تكيد للأزهر لا تكيد لمصر وللعروبة خاصة ، بل تكيد للعالم الإسلامي كافة ، بل « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون »

الأزهر ... والاستعمار

قد يبدو هذا العنوان غريباً ، ولكنه غريب عند أولئك الذين ينظرون الى الأمور نظرة عابرة ، أما الذين يتعمقون الحقائق ، ويكتنهن بواطن الأمور ، فيرون أن هذا العنوان غير موف على الغاية ، وأنه لى يعبر أدق تعبير ينبغى أن يكون مثلاً : (الأزهر هو العدو الأصيل للاستعمار) أو (الأزهر قاهر الاستعمار) وما أشبه هذا من العناوين التى تعطى القارئ - بادئ ذى بدء - فكرة واضحة دقيقة عن الدور الخطير الذى قام به الأزهر فى محاربة الاستعمار ، وتشير الى السر الذى من أجله يعمل الاستعمار جاهداً على تقويض دعائم هذا المعهد العتيق !

والحق الذى لا سبيل الى الشك فيه أن الأزهر قام بأخطر دور فى تاريخ الاستعمار ، وكان - ولا يزال - المعقل الأول فى مصر ، بل فى الشرق كله ، للحركات الوطنية ، لانغى - فقط - أيام أن كان الجامعة الوحيدة فى الشرق ، بل وفى هذه الأيام التى انتشرت فيها المدارس وكثرت الجامعات .

وليس جهاد الأزهر ضد الاستعمار محصوراً فى هذه البلاد : مصر ، بل إن جهاده ظهر فى كل بلد إسلامى سعد بعض أبنائه بالانتساب الى الأزهر ، ثم رجعوا الى قومهم يحملون نور المعرفة ، ويحملون العزة والكرامة ، فبثوا روح الكفاح فى بنى وطنهم ، وبصروهم بما يدره الاستعمار من مكائد ، وما يضره من نيات خبيثة ، لهدم الإسلام ، وإذلال المسلمين ، فكان لهؤلاء الرواد الأزهريين مكان الصدارة فى إيقاظ الروح الوطنية ، وكان لهم أثرهم الواضح والعميق فى نهضات بلادهم ، وتقدمها ، وخلصها من نير الاستعمار .

والأزهر ظل - ولا يزال - يدرس الشريعة الإسلامية وعلومها ، دراسة لا يقاربه فيها معهد آخر ، وقد يكون من المكابرة انكار هذه الحقيقة . وأول مبادئ الإسلام الدعوة

الى الحرية ، والتنفير من الذل والاستعباد ، والحث على مكافحة الظلم والظغيان ، ومن مبادئه الخالدة حث المسلمين على أن تكون لهم قوة ، وأن تكون لهم شوكة ومنعة حتى يستطيعوا أن يعيدشوا أعززة كراما ، وقد تغلغت هذه العقائد في نفوس المسلمين ، وفي نفوس الأزهريين بصفة خاصة ، لطول دراستهم لها ، وكثرة تردها على أسماعهم ، وقد ظل رجال الأزهر في تاريخهم الطويل يبشرون بدين ، وينشرون دعوته ، ويجادلون بالتى هى أحسن ، ويدعون الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، حتى إذا جدت الأحداث تلقوها ، رحبة صدورهم ، باسمه ثغورهم ، وواجهوها بعزائم ماضية ، ونفوس قوية ، فانتصروا عليها . كان ذلك إبان كارثة الحملة الفرنسية ، وكان ذلك فى الثورة العراقية ، وكان ذلك فى ثورة سنة ١٩١٩ ، التى لا يزال كثير من الأحياء يذكرون جهاد الأزهر فيها ، وسيكون ذلك غدا كلما هتف الإسلام بدينه : حى على الجهاد .

ولم يعد هناك شك فى أن المستعمرين يعملون جاهدين على محاربة الإسلام ، ويرون أنه أكبر عائق عن تحقيق مآربهم الاستعمارية الخبيثة ، وقد صرح بذلك كبار رجالهم ، ومن ذلك ما أعلنه اللورد النبرو ، وهو يتحدث عن موقف بريطانيا فى الهند ، قال : « لا يسعنى أن أغمض نظرى عن حقيقة لا شك فيها ، وهى أن العنصر الإسلامى عدو أصيل للعداوة لنا ، وأن سياستنا الحقبة ينبغى أن تنبج الى تقريب الهنديين » وإذا كان مثل هذا القول يكشف خبايا نفوسهم ، ويعلن عن خبيث نياتهم ، فإن فى أعمالهم أكبر الأدلة على ما يضمرونه للإسلام من عداوة وبغضاء ، وما يخالجه من شكوك ومخاوف من المسلمين ، حتى أن كثيرين منهم يعتبرون المعارك التى تدور رحاها بين المسلمين وبينهم امتدادا للحروب الصليبية ، ويعتقدون أن من مات فى هذه الحروب لا ينبغى أن يحزن عليه ، لأنه مات شهيدا فى قتال الإسلام ، وقد كان (غوردون) الانجليزى المشهور ، يعتبر رسالته فى الحياة تنصير جميع المسلمين .

أما أساليبهم فى محاربة الإسلام فقد ظهرت لكل ذى عينين . ومن هذه الأساليب المفضوحة تشجيعهم الجمعيات التبشيرية ، وإغداقهم المال على مدارس الرساليات ، وإزالة كل عقبة قد تعترض طريقها فى أداء مهمتها الدينية ، ويكفى أن أذكر هنا أن حكومة السودان الانجليزية قدرت ميزانية مدارس الرساليات فى سنة ١٩٤٩ م بمبلغ عشرة ومائتى ألف من الجنيهات ، فى حين لم تزد ميزانية المعهد العلمى الدينى بأمر درمان عن واحد وعشرين ألفا .

وفي كل بلد إسلامي دخله الاستعمار نجد الشواهد الكثيرة على محاربة الاستعمار للإسلام، ولا يمكن أن يقف أمام هذه السياسات الماكرة المدروسة إلا تثقيف ديني واع، ولا مصدر لهذه الثقافة المستنيرة إلا الأزهر الشريف، فكان طبعياً أن يوجه المستعمرون أنظارهم إليه، وأن يحاولوا القضاء عليه، بكل الوسائل التي يستطيعون أن يتذرعوا بها في هذه السبيل، ولم يكتفوا في محاربتهم للأزهر والأزهريين، وإعلانهم أنه لا تتوطد أقدامهم في هذه البلاد إلا بالقضاء على الأزهر، لم يكتفوا بما لهم من قوة وبطش وحيل ومكائد، حتى راحوا يوحون إلى شياطينهم من أبناء البلاد الإسلامية: أن يعاونوهم في القضاء على هذا الحصن الركين، فقد كان الأزهر هدفاً لحملات عنيفة من المصريين الذين ينزعون - ذاكرين أو غافلين - عن قوس الاستعمار، وقد حرصوا على أن يصوروا الأزهر بصورة الشيخ الهرم الذي لم يعد لبقائه فائدة لنفسه، وللاأمة التي يعلم أبناءها، بل اعتبروه عقبة في سبيل تقدم مصر، وبالغوا في ذلك وهزلوا، حتى قال واحد منهم - عفا الله عنه - : إن مصر لن تنهض حتى يقام المرقص في صحن الأزهر، أو كلاماً يشبه هذا الهراء. وهؤلاء المارقون أكبر خطراً على الإسلام من المبشرين، ذلك أن المسلمين تنهوا للبشرين، وأدركوا مقاصدهم وأهدافهم، وتحصنوا ضد دعواتهم، أما هؤلاء الذين يلبسون مسوح المصلحين، ويظهرون في ثياب الحريصين على تقدم الأمة ونهوضها، فقد يتخدع بهم الأغرار، بل ربما انخدع بهرجهم كثير من الناس، وعقيدتي أن المستعمرين لا يفرحون بشيء فرحهم بهذه الحملات التي تشن على الأزهر من قادة الرأي في البلاد الإسلامية.

وللذين يحاولون بخواطيرهم أننا ربما كنا مبالغين في نظرة الغربيين للجامعة الأزهرية أسوق هذه الكلمة: كتب الأستاذ (مينولف كوسترس) في مجلة (داتش رندشو) السويسرية في عام ١٩٣٨ م يقول: « أنه من مائة وثلاثين مليوناً من الإفريقيين أصبح سبعون مليوناً تحت لواء النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، وقد أصبح جميع شمال أفريقيا إسلامياً، وقد كان عدد المسلمين في مستعمرة (داتش أوست أفريقيا) مائتين وخمسين ألفاً قبل الحرب الماضية، فأصبحوا الآن ثلاثة ملايين، وتأثير الإسلام يمتد حتى جنوب أفريقيا، والسبب في ذلك أن الجامعة الأزهرية بالقاهرة - وهي مركز الدعوة إلى الإسلام - ترسل مندوبين غيورين إلى جميع الأقطار الأفريقية، وتصدر جرائد كثيرة في البلدان الكبيرة،

وترسل إلى تلك البقاع حاملمة رسالة الكفاح ضد المسيحية والثقافة النصرانية الى وسط تلك القارة الكبيرة» .

ويعمل المستعمرون جاهدين على أن يحولوا بين أبناء البلاد المستعمرة والالتحاق بالأزهر ، وقد يكون من الشاق جدا على حكومات تلك البلاد أن يهاجر منها شخص سيم إذا كان ذا مكانة في بلده - إلى الأزهر ، وإني أقول ذلك عن خبرة ، فإن لى صديقا من السنغال ، وقد تأكد عندي أنه من الشخصيات البارزة هناك ، عرفت من خبره أنه حين أراد الحضور إلى مصر خرج من بلده موهما أنه يريد الحج ، وقد لقي متاعب ومشاق في طريقه لا يتحملها إلا المخلصون ، وهو الآن في إحدى كليات الأزهر ، وقد منعت حكومة الاستعمار الاتصال بينه وبين أهله ، وبذلك منعت عنه كل مساعدة كان يمكن أن تأتيه من هناك ، ثم خطت خطوة أخرى فأرادت أن تحتضنه ، ولكنه أبى ، ودست إليه من رغب له الرجوع ، فأبى أيضا .

وقد كنا في السودان يوم هاجر أول فوج من طلاب المعهد العلمى بأمر درمان إلى الأزهر ، وشهدنا مدى القلق الذى شاع في نفوس المستعمرين وأذئابهم من أبناء البلاد ، كما شهدنا المحاولات والاقتراحات التى كانت تدرس للتغلب على هذه الكارثة !! - كما سماها بعضهم - .

أما دور الأزهر في محاربة الاستعمار فهو أمر ليس بالمجهول ولا المنكر ، والذين اطلعوا على مبادئ في التاريخ القومى يعرفون المأسى التى تعرض لها الأزهر والأزهريون في سبيل الدفاع عن حوزة البلاد ، ومكافحة أعدائها ، ومع ذلك ما وهنوا وما استكانوا . ويطول بنا الحديث لو ذهبنا تفصل ، فنكتفى بالإيجاز الدال ، ويكفيينا في هذه الغاية أن ننقل الفقرات الموجزة المعبرة من بعض خطب الرئيس جمال عبد الناصر ، حيث يقول :

« وفي هذه المناسبة لا يسعنى إلا أن أذكر لهذا الأزهر جهاده على مر السنين ، فقد

حمل الأزهر دائماً الرسالة ، ولم يتخل مطلقاً عن الأمانة ، وكافح كفاحاً مريراً في سبيل الحصول على أهداف الوطن . وكفاح الأزهر أيام الحملة الفرنسية معروف ، وكما قاسى رجاله ، وعذبوا وقتلوا وشردوا . واقتحم المحتلون الأزهر ، فلم يتوان عن المطالبة بحقوق الوطن ، واستمر الأزهر يحمل الرسالة حتى سلمها إلى الجيش ، وإلى عرابي الذي قام متسلحاً بروح الأزهر المعنوية إلى جانب القوات المادية ، يطالب بحقوق البلاد ، وعندما وطئت أقدام المستعمر أرض مصر حاول بكل قواته أن يقضى على رسالة الأزهر ، كما حاولوا القضاء على الجيش وقوته ورسالته . ورغم هذا ، استمر الأزهر على مر السنين يكافح ، ففي ثورة سنة ١٩١٩ حمل الأزهر العلم ، وقام بأداء الرسالة والأمانة مرة أخرى ، وعمل المستعمر على تفريق الشعب شيعاً وأحزاباً ، وتحطيم الجيش وفصله وفصل الأزهر عن الوطن .

واليوم - وبعد أن قامت الثورة أقول لكم : عليكم حمل الرسالة والأمانة مرة أخرى ، فإن أمامنا عملاً شاقاً طويلاً ، وهذا العمل يطالبكم بأن تجاهدوا من أجل الأهداف الكبرى التي كافح من أجلها السابقون ، ورجال الأزهر على طول السنين . »

وفي هذه الفقرات الأخيرة القوية ، من قائد الثورة ، رد مفحّم على من يتوهمون أن دور الأزهر قد انتهى ، فإن أمامنا - كما يقول الرئيس - عملاً شاقاً طويلاً ، وهو يتطلب الجهاد من أجل أهداف الوطن ، والروح الأزهرية هي التي تعين على هذا الجهاد . ولا يدورن بخلد أحد أنه مادام ظل الاستعمار بدأ يتقلص ، ووطأته بدأت تخف ، فلا ضرورة للروح الأزهرية ، فإن هؤلاء يفوتهم أن العدو إذا ضعف في ناحية يكون أشدّ عداوة في النواحي الأخرى ، فإذا كان الاستعمار منى بالاختفاق في الناحية السياسية ، فإن ذلك يجعله يضاعف نشاطه لتحطيم مقومات الأمم الإسلامية : المقومات الدينية والخلقية والاجتماعية ، وكل ذلك يحتاج إلى جهاد عنيف من الأزهر .

وسيقوم الأزهر - كمعهدنا به - بحمل الرسالة ، وأداء الأمانة ، وسيظل شجياً في حلوق المستعمرين ، ومن ينسج على منوالهم ، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيزاً

بين الماضي والحاضر :

الأزهر والمجتمع

من نافلة القول أن نشيد بمكانة الأزهر وجهوده في سبيل الإسلام والعروبة قديماً وحديثاً ، فالقول في ذلك مستفيض من قبل ومن بعد ، ولقد وقف شوق العظيم في فم الدنيا ومجد الأزهر وحياه ، ونشر على سمع الزمان جوهرة وحلاه ، وخشع ملياً أمام جلاله ، وقضى حق الأئمة من رجاله الذين « طلعوا به زهراً وماجوا أبجراً » .
وشوقى - في تمجيده - محاييد ليس بأزهري ، حتى يقال إنه يمدح نفسه ، بل هو القائل يخاطب الأزهر المعمور :

ما ضرني أن ليس أفئك مطلعي وعلى كواكبه تعلمت السرى !

واعجب ما شاء العجب لأناس كان للأزهر الشريف عليهم فضل أى فضل ، ومع ذلك هم يسلقونه بالسنة حداد ، ويحملون عليه حملة الأضداد ، بينما يتغنى بمجد الأزهر من لم يكن من أبنائه ! ! ! .

ورحم الله أمير الشعراء يوم أجاد تصوير فضل الأزهر في عهود الظلمات ، فقال :

ظلمات لا ترى في جنبها	غير هذا الأزهر السمع شهابا
زيدت الأخلاق فيه حائطاً	فاحتفى فيه رواقا وقبابا
وترى الأعزال [١] من أشياخه	صيره بسلام الحق غابا
قسماً لولاه لم يبق بها	رجل يقرأ ، أو يدري الكتابا

(١) الأعزال : الذين لا سلاح لهم .

حفظ الدين ملياً ، ومضى ينقذ الدنيا فلم يملك [١] ذهاباً
وجهاً الحديث عن الأزهر كثيرة متعددة ، كل منها تستهوى اللب ، وتستثير الخاطر ،
فمن القصد أن نكتفى هنا بالحديث عن الأزهر ومدى صلته بالمجتمع . . .

* * *

إن الأزهر يأخذ أبناءه من صميم الشعب ، ومن وسط الطبقة السكادحة المجاهدة
التي تمثل شعب مصر أصدق تمثيل ؛ فمن جوف الريف ، ومن أعماق القرى والداكر
والكفور ، يفرع إلى رحاب الأزهر ألوف بعد ألوف من الفتيان والشبان ، ليتفقهوا
في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ، ولينالوا قسطهم الوافر من الثقافتين الإسلامية
والعربية ، وفي هذا الجمع الكبير تبدى جوانب كثيرة من خصائص المجتمع ، وتتفاعل
هذه الجوانب مع ما يتلقاه الطالب في الأزهر من مسائل العلم والثقافة .

وتظل هذه الجموع ترتشف رحيق الفقه والعلم من مناهل المسجد الكناني الخالد (٢)
وهي تتردد بين معاهده وقراها ؛ فرحلة الشتاء من مساقط رءوسهم إليه ، ورحلة
الصيف منه إلى رحاب أسرهم وعائلاتهم ؛ فيزيد هذا التردد المتكرر المتتابع في التقريب
بين الثقافة الأزهرية والبيئة الاجتماعية التي ينشأ فيها هؤلاء الطلاب .

ويتخرج الطلاب في الأزهر ويصيرون علماء ، فلا تنقطع صلاتهم بالمجتمع ولا تضعف ،
بل لعلها تقوى وتشد ، فأذا هم بحق أعصاب البلاد والقرى في ناحية الدين ، وناحية
الأخلاق ، وناحية التأثير الروحي ، وإذا هم الذين يهزون القرى من كهفها لرقيمها ؛ فأمام
المسجد يؤم قومه في الصلاة ، ويخطبهم في الصلاة الجامعة وهي صلاة الجمعة ، ويوجههم
عن طريق دروسه الدينية اليومية بين العصر والمغرب ، أو بين المغرب والعشاء ، ويفتيهم
في مشكلاتهم الخاصة والعامة ، ويحتل بينهم مكانة روحية مرموقة يستطيع عن طريقها

(١) لم يملك ذهاباً : أى لم يستطع .

(٢) من قول شوقي في الأزهر :

إن الذي جعل العتيق مثابة جعل الكنانى المبارك كوثرا
ويقصد بالعتيق المسجد الحرام ، والمثابة هى مجتمع الزمر .

وبحسن استخدامها وبالإخلاص فيها أن يوجههم الوجهة التي يؤمن بها ويعمل من أجلها ...

والواعظ الأزهرى ينزل القرية أو البلدة ، فتهدى إليه أفئدة الجموع ، وتميل إليه أسماع الجمهور ، وتتأثر به حواظهم ومشاعرهم ، وفي خلال ساعات معدودة يستطيع هذا الواعظ أن يوجد وعيا ، وأن يوقظ من غفوة ، وأن يشغل العقول والقلوب بمسائل الدين وأمور الأخلاق ...

والمدرس الأزهرى الذى يلقي التلاميذ والطلاب دروس الدين واللغة والأدب فى المدارس والمعاهد ، يستلهم تأثيره الى مدى بعيد ، حيث يتمكن عن طريق القرآن والسنة واللغة والأدب ودروس المطالعة والمحاضرة والإنشاء وغيرها أن ينفذ الى أفئدة الطلاب والتلاميذ ، فيهنأ وتارها ، ويأخذ بحجامعها الى حيث يشاء .

وقل مثل هذا عن العالم الأزهرى الذى يحتل وظيفة أخرى من وظائف الدولة ، أو يباشر عملا آخر من أعمال المجتمع ، سواء أكان هذا العمل مهنيا أم صحفيا أم اجتماعيا ... ستجد التأثير هو التأثير ، وستجد النفوذ الى باطن المجتمع هو النفوذ .

وتعليل ذلك سهل ميسور ، لعله استبان مما قدمناه من حديث ، فالأزهرى ابن بيئته أولا ، وهو الذى يمثل الشعب تمثيلا صحيحا ثانيا ، وهو الذى يدوم على صلته بهذا الشعب ثالثا ، وهو الذى يتحدث الى الجمهور عن ناحيتين فعاليتين مؤثرتين أعظم التأثير ، وهما : الإسلام والعروبة ، والإسلام هو الدين والعقيدة واليقين ، والعروبة هى موارث الفخار والاعتزاز من تاريخ وسير أجداد ، ومن أدب جذاب جميل ، ومن تراث ثقافى يتطلع إليه كل من أراد أن يكون شيئا مذكورا فى هذه الحياة ، فكيف لا تتوثق صلة الأزهرى بالمجتمع مع وجود هذه الأسباب ؟ !

* * *

ولو اعتدلت السبل ، واستقامت الأوضاع ، خلال القرون المتتابعة ، لرأينا أبناء الأزهر فى كل جيل يتغلغلون فى أوساط الشعب ، وينفذون الى دوائر المجتمع ، ويعودون على أمتهم ولغتهم وملتهم من ذلك التغلغل والنفوذ بأبنيع الثمرات وأعظم الخيرات ، ولكن

أفაცი الاحتلال والإلحاد والتبشير والتحلل نفثت سمومها ونشرت بلاءها ، وحرصت على أن تعزل الأزهر جانبا ، وأن تقطع الأسباب والروابط بينه وبين المجتمع ، وأن تحصره في أضيق دائرة وأصغر نطاق ، ، وأن تباعد بينه وبين ركب الحياة حتى يتخلف وتضيع عليه المشاركة الاجتماعية والأدبية والفنية والقومية مع الحياة والأحياء .

وأتى على الأزهر الشريف حين من الدهر كان يقال عنه إنه « متحف » للدراسات الأثرية في الميدانين العربي والإسلامي [١] وخيل لأعداء الإسلام والعرب ومصر والأزهر أن الكيد الذي كادوه لبيل اللؤم والتضليل قد بلغ غايته وحقق رسالته ؛ ولكن العملاق الذي أريد له أن ينام نومة أهل الكهف أو أطول منها ، أحس بسم الأفاعي ، فهب من رقدته ، وأخذ يستقيم على طريقته ، وألح في طرق الأبواب الموصدة في وجهه ، ليدخل على المجتمع مؤثرا ومتأثرا ، ومعطيا وآخذا ، ومتجاوبا مع الحياة والأحياء

ولقد جاء على الأزهرى أحيان وأحيان - ولعل ذيولها لا تزال ! - كان الناس يعتقدون فيه من أول أمره أنه غير صالح لحياة المجتمع الآخذة المعلمية ، المؤثرة المتأثرة ، حتى يقيم الأزهرى عشرات الأدلة على أنه صالح لذلك ، وصالح له أكثر من صلاحية سواء له ، فيقر له المجتمع ويعترف راغما أو شبه راغما ، بينما غير الأزهرى يفوز بحسن الظن من الناس حتى يقيم عشرات الأدلة على أنه غير أهل لذلك الظن الجميل ؛ ومعنى هذا أن الأزهرى الى عهد غير بعيد كان يعيش بين قومه غريبا منكورا مساء فيه الظن ، حتى يستأبج بجهده وجهاده أن يقتلع تلك الفكرة الخاطئة عنه من الأعماق ، وإنما كانت هذه الفكرة السيئة نبثا لذلك الكيد اللئيم من أفاعى الاحتلال والإلحاد .

ومعنى هذا أيضا أن الأزهرى كان يحال بينه وبين أكثر الميادين الاجتماعية ، وبذلك لم يكن هناك مجال يظهر فيه جهده أو طاقته ، ولكنه جاهد وناضل حتى حطم من الحواجز الكثير ، وحتى وصل الى الكثير ، ونحن لا نتذكر للحق حين نقرر هذا الأمر ، بل نتذكر أن هذه الفترة الطويلة التي قضاها الأزهر معزولا محروما محالا بينه وبين المجتمع قد عادت

(١) ولا يزال بعض الأغرار يقول مثل هذا على الرغم مما دخل الأزهر من علوم حديثة ، ومواد اجتماعية ، وفنون مختلفة .

عليه بكثير من العال والآفات والعوارض المؤسفة ، ونحن نعتقد في الوقت نفسه أنه لو لم يكن هذا الكيد الدائم ضد الأزهر لسلم من هذه الأمراض .

* * *

ولأضرب مثالا على مدى الحرمان الذي كان يصطلبه الأزهر ، وبذلك كان لا يظهر تأثيره في المجتمع كما يجب أن يظهر ، فنذ خمسة عشر عاما تقريبا كانت وزارة المعارف « التربية والتعليم الآن » لا تأخذ من خريجي الأزهر للتدريس في مدارسها إلا « الأول » فقط من كلية اللغة العربية [١] ، وسارت الأيام ، وطالب الأزهريون بحقوقهم ، وفتحت الأبواب ، ووصل الأمر الى حد استقصاء المتخرجين الأزهريين في مدارس الحكومة ، وإذا هؤلاء المتخرجون يقومون بواجبهم خير قيام : في المدارس الابتدائية والثانوية والمعاهد المختلفة ، وإذا الأعمال والتقارير والشواهد والنتائج تنطق بجهودهم وكفائتهم وامتيازهم ؛ ولا يزالون في الطريق يسرون ، وحين يمر عليهم من الوقت ما مر على سواهم ، وحين تنهيا الفرص لهم كما تنهيا لسواهم ، سرى منهم بأذن الله ما هو أعظم وما هو أجمل .

وهناك ميادين اجتماعية فتحت أمام الأزهريين فوجدوها وقاموا بدورهم فيها ، ففي الجمعيات الدينية والثقافية والقومية والاجتماعية نرى العشرات من الدعاة الأزهريين الذين يخطبون ويوجهون ويرشدون ، وفي ميدان التوجيه الديني والاجتماعي نرى أمثال الأساتذة : عبد اللطيف السبكي ، ومحمود شلتوت ، ومحمد الغزالي ، ومحمود خليفة ، وسيد سابق ، ومحمود علي أحمد ، وطه الساكت ، وغيرهم وغيرهم .

وفي ميدان التأليف والكتابة والنشر - وهو ميدان وثيق الصلة بالمجتمع أيضا - نرى أمثال الأساتذة : محمد النجار ومحمد ماضي ومحمد الطنطاوي ومنصور رجب والسيد صقر ونور الدين شريعة وفتح الله بدران ورجب البيومي وعلى العماري ومحمد البهي وعبد المنعم خفاجي ومحمد عرفة ومحمد يوسف موسى وعبد المنعم النمر وكامل شاهين ومحمد سعاد جلال وكامل الفقي ومحمد أبو شهبه وغيرهم وغيرهم .

وفي ميدان الصحافة نرى أمثال الأساتذة : فهمي عبد اللطيف وأحمد البهي

(١) ولم تسمح الوزارة في بدء القضية بأخذ هذا الأول إلا بعد جهود ! ! .

وعبد الرحيم فودة وعبد الحميد وافي وزكريا نيل وكامل عجلان ومحمود السكولى ومحمود عبد العزيز حسين وعلى الغرابي ، وغيرهم وغيرهم .

وفي ميدان الشعر نرى أمثال الأساتذة : محمد الأسمر وأحمد شفيق وإبراهيم نجبا وحسن جاد وعبد العليم عيسى وكيلاني سند وعبد الحميد ربيع ، وغيرهم وغيرهم .
وأنا لا أستقصى هنا ولا أتبع ، وإنما أسطر الأسماء التي تسعفني بها الذاكرة في سرعة وعجلة ؛ وهناك عشرات وعشرات من المؤثرين في المجتمع من رجال الأزهر وأبنائه لا يقلون فضلا أو أثرًا عن ذكركنا ، وفيمن ذكركنا أفراد يحسنون العمل في أكثر من ميدان ، ولكننا كما قلنا قد سردنا بعض الأسماء بلا ترتيب أو تنسيق ، لتدل القطرات على ماء البحر الغزير ، ومن الواجب أن يتيهما مجال لذلك الاستقصاء حتى لا ننجحف بحق من تخوننا الذاكرة في تذكره .

ويستطيع المطالع لكتاب « الأزهر في ألف عام » للأستاذ خفاجي أن يزداد علما بهذا الموضوع ، كما يشتغل الأستاذ أبو الوفا المراغي الآن بأخراج كتاب يترجم فيه لكل أزهرى أسهم في حركة التأليف ، ولا شك أنه سيضم المئات بعد المئات من الأسماء !! .

* * *

الذي نستطيع أن نقرره في ثقة وتأكيد أن الأزهر المعمور هو القوام الأول على تراث الإسلام والعروبة ، وأن أبنائه أكثر الناس اتصالا بالمجتمع ؛ وأوضحهم تمثيلا لخصائصه ، وأبعدهم تأثيرا فيه ، وأنهم إذا هيئت لهم السبل ساروا وجاهدوا وأفلحوا ، وأن مكاييد كثيرة أرادت للأزهر العزلة أو الوأد ، ولكنه استعصى عليها وهزئ بها ، واستمر على الطريق يناضل ويجاهد ، وأن الأزهر إذا تخلص من أعراض التخلف ، وأمراض العزلة ، وشوائب التقاعس ، استطاع أن يفعل الكثير الحميد . .

وقد كان من المستطاع أن نتحدث عن الأزهر والمجتمعين العربي والإسلامي بعد حديثنا عن الأزهر والمجتمع المصري ، ولكن هذا حديث يجب أن ينفرد بحال ومقال . . .

أحمد الشرباصي

المدرس بالأزهر الشريف

رسالة الأزهر باقية

والأزهر باق على وجه الزمن

لست أدري ولا المنجم يدري كيف وقف من الأزهر وتعاليمه وتاريخه الناصع رجل كان منه بالأمس ، ولبت فيه أكثر من خمسة عشر عاما ، يحضر على أجلاء الشيوخ فيه ، وينهل العلوم من معينها ، حتى رحل منه الى جهة أخرى بعد أن التوى فيه عليه مقصده ، واستعصى عليه غرضه .

كتب ذلك الرجل بالأمس في إحدى الصحف الصباحية كلاما ينعى فيه على حكومة الثورة بجمودها عن اتخاذ إحدى الوسائل للقضاء على الأزهر ، ويكتب - فيما كتب - أن حكومة الثورة قد انتهت من الخباوة الأولى ، وليس عليها إلا خطوة ثانية ، وهى ضم الأزهر بتعاليمه العتيقة وتقاليده الدينية الراسخة وتبرزه وانقطاع نظيره فى الإمام إماما مقنعا بأساليب اللغة العربية وأفانين البلاغة وعلوم القرآن والسنة وعلوم الوضع وما إلى ذلك ونظائره وتفاريحه مما يربو على ثلاثين علما الى وزارة التربية والتعليم .

ما هذا الهراء والافتراء فى قضية تعاقبت البحوث المستفيضة من خصوم الأزهر والواجدين عليه والموتورين فيه على ابتداع طريقة ينفذون منها الى شفاء صدورهم . لقد تعاقبت خصوم منذ نصف قرن من الزمن ، وتنادوا بهذه الفكرة المضللة ، وكان منارهم فى زعمهم هو الاحتلال وأنصار الاحتلال باسم الإصلاح المذشود . قال بعض الحائنين - وهم خلقاء بالتحسر والرتاء : « لا بد من إصلاح الأزهر حتى يسير الجامعات فى أوروبا وحتى تعم رسالته سكان هذه الرقعة السوداء » فأية مسامرة تلك التى يريدونها أولئك الواجدون عليه والموتورون فيه ، أيريدون أن يخرج الأزهر - وقد سلخ عشرة قرون من الزمن - عن نظامه الدينى يعلم الناس فلسفة اللغة العربية ، وفلسفة فهم كتاب الله تعالى وسنة رسوله الأعظم ومن اهتمدوا بهديه واتهاج طرائقه الى يوم يبعثون . ثم ما هى الطريقة العملية لضم الأزهر الى وزارة التربية والتعليم ، قولوا لنا ما هى الطريقة المثل فى تحقيق عملية الضم ، أيريد الكاتب - وليس له فى الدنيا نصير إلا فئة من الموتورين الحائنين على

بقاء الأزهر يؤدى رسالته ، وينشر بين الناس أمانته - ضم الأزهر بعلمه وتقاليده ومظهره الدينى بقسميه الابتدائى والثانوى وبكلياته الثلاث الى وزارة التربية والتعليم .
ومناهج الدراسة فيها تختلف أبلغ الاختلاف عن مناهج الدراسة فى الأزهر ، فللازهر علومه الدينية والعربية والعقلية مما يستحيل معه مسايرة أنظمة وزارة التربية لها وتلاقيها معها على صعيد واحد وفى أمل واحد .

يمينا غير حاث فيه لو أن المصلحين فى الأرض اجتمعوا على قلب رجل واحد ، وهما بضم الأزهر إلى وزارة التربية ، لتغير الوضع فى تعاليم الوزارة ، وبقي الأزهر طودا راسخا و حصنا أشم لا تنال منه الأيام ، ولا تعبت به العقول والأفهام .

* * *

يا قومنا، ثقوا بأن الأزهر باق على الزمن، لا تعبت به يد الأهواء، ولا تنال منه نزات الأعداء، ثقوا بأن هذا الأزهر قد انفرد - والله الحمد - بحماية العقائد من الزيغ ومن المبادئ الهدامة التى انتشرت فى الجامعات ، وكان لحكومة الثورة فضل السبق فى مناهضتها .
لقد اتهم مئات من الطلاب فى غير الأزهر بالمجوح إلى المبادئ الهدامة ، بل اتهم بعض الأساتذة باعتراف هذه المبادئ ولا يزالون رهن السجون . لكن هل اتهم أزهري واحد بأنه يدعو إلى تلك المبادئ الهدامة ؟ بل على النقيض من ذلك أفتى شيخ العلماء شيخ الجامع الأزهر - وقد ثقف ثقافة أوربية نادرة أعلى من الثقافة التى نهل منها الكاتب المناهض للأزهر - بضرورة محاربة المبادئ الهدامة ، وليس هناك وسيلة لمناهضتها واستئصال شأفتها سوى تفهم المبادئ الدينية والوقوف على أسرارها ، وهذا لا وجود إلا فى حصن الدين المسكين وحرزه المتين ومنارته الواضحة ومحجته اللائحة وهو «الأزهر»

* * *

وهل عزب عن الكاتب الذى وقف بالأمس مناهضا الأزهر أن الأمم العربية والأم الإسلامية فى القارة الآسيوية تطوى أضرالها على محبة واحترام لتلك الجامعة الإسلامية المنقطعة المثل فى عالم الأديان ، فأن كان فى شك من ذلك فليخط إلى وراء قليلا ليسمع بأذنيه ما قاله الدكتور أحمد سوكانو رئيس جمهورية أندونيسيا يوم كان ضيفا على مصر ، وكيف أشاد بإشادة بالغة المدى بالزعماء الدينيين فى الأزهر أمثال محمد عبده والسيد عمر مكرم والأفغانى ومن اليهم من زعماء المسلمين فى مصر .

وهل عزب عنه كذلك أن كل أمة ترى أن لها الحق المطلق فى الاستمساك بمظاهرها

دينها وشعائرها الدينية فيها ، حتى لقد عز على دول تحيط بها النصرانية من كل مكان أن تطمس معالم دينها ، فأبت عليها تقاليد العتيدة إلا أن تبقى على منصب الإفتاء فيها ، وبها أقلية من المسلمين ، تقديرا لمشاعر تلك الأقلية : كبولندا ، وكذلك الحال في جمهوريتي أذربكستان وقزاقستان ، وهما جمهوريتان إسلاميتان عرشا وفرشا يندجان ضمن النظام الفدرالى السوفيتى .

وهل عزب عنه أيضا أن ألمانيا النازية حين وطئت بحافل جيشها أرض يوغوسلافيا لم يقض مضاجعها ولم يعل من صبرها وثباتها إلا قلة من المسلمين فى ولايات ثلاث هى البوسنة والهرسك والصرب ، فطمس معالم دينها ، وهدم معابدها ومساجدها ، وأطاح بمقدساتها ، وذبح أبناءها واستحى نساءها ، ثم أطلق يده فى الجامعات الإسلامية فأحاطها ركاما ، وفى المدارس الإسلامية الصغيرة فجعلها حطاما - وما كان أسرع أن قام المسلمون يعتزون بدينهم ، فوقفوا وقفة رجل واحد ، وصمدوا لهذا العدوان السافر ، ثم انجلى تلك المعركة الدينية عن اندحار النازية وبقاء الأقليات الإسلامية فى تلك الولايات الثلاث ، تؤدى رسالتها على أتم وجه وأكمله ، وظلت مقدساتها فى الخالدين .

* * *

لقد كان رئيس الحكومة المصرية ينظر إليه بميزان التقدير البالغ من زعماء المسلمين يوم كان فى باندونج ، وكيف أنب زعماء الطوائف الإسلامية فى الصين الشعبية رجوه - فى ضراعة - أن يرسل وفدا على رأسه شيخ من شيوخ الأزهر والناهلين من سلسبيل مائه . وليته استمع إلى هذا الشيخ بعد أو بته إلى مصر كيف مثل الأزهر فى الصين والبلاد الآسيوية الإسلامية الأخرى ، وكيف كان للأزهر مقام لا يدانيه مقام ، وليسمع بعد ذلك كله بأخبار تلك الرحلة التى رحلها شيخ الأزهر إلى أندونيسيا والبلاد الإسلامية العزيزة ، وكيف كانوا يحمدون الأزهر فى شخص شيخه والقائم على شئونه العلمية والدينية .

لقد كان أجدر بهذا الكاتب قبل أن يكتب ما كتب أن يقرأ ما كتبه المؤرخ الكبير أحمد تيمور فى كتاب « أعيان القرن الرابع عشر » حتى يلمس كيف كان هؤلاء العلماء أقوى عضد لأحمد عرابى إبان الثورة العرابية ، وكيف أعانوه على بلوغ مأمته ، وكيف كانوا قذى فى العيون وشجى فى الحلق لأعوان المستعمرين وأنصار الظالمين ، وما لنا نذهب بعيدا وقد أشاد هذا الكاتب نفسه - فى كتابه « الأيام » الذى وضعه كأول مظهر

من مظاهر حياته - بالشيخ الأزهرى سيد المرصنى اللغوى المعروف وكيف أثر فيه تأثيرا كبيرا بعلمه وفضله .

يا عجبا لأولئك الكتاتين المناهضين للأزهر ، وقد غاب عنهم أن الإنجليز فى بلادهم يبقون على القديم الذى لا روح فيه استمساكا بأنه قديم موروث عن الأجداد ، فلا بد أن يكون ماثلا لعيون الأحفاد ، فمثلا مجلس اللوردات جسم بلا روح ، ومع ذلك فالإنجليز قد أبقوا عليه ، لأنه فى قديم الأزمنة قد أدى رسالته ونشر أمانته ، فما ظنك بالأزهر ولا تزال روحه فتيحة ، وعزمته قوية ، وأنوف رجاله أبية ، ينشر دين الله بين بلاد الله ، وينتزع منها الضلالة انتزاعا .

وكان خليفا بهذا الكاتب - وقد كان وزيرا للمعارف فى عهد من العهود الحزبية البائدة - أن يكون من دعاة هذه الفكرة ، وإذن لماذا أحجم عن الدعوة إليها .

وقد وقف خطيبا فى حفل من الأحتفال يخلع على الملك السابق أرفع أنواع الخلع ، ويسمه بأسمى النعوت وأعلاها ، حتى لقد قال وما أعجب ما قال : « ان مولانا الملك حامى الأزهر وحامى الدين فلا بد أن يكون حاميا لوزارة المعارف » .

وأخيرا - يا شيخ طه - أرجو أن تذكر أن براجمك التعليمية التى جعلتها مثالا يحتذى وقبسا يستضاء به فى الظلمات الحوالك ما لها قد ذهبت مع الريح ، بل ما لحكومة الثورة الرشيدة قد كشفت عن مثالبها وعيوبها ، ولم ترضها مناهج تسير عليها الأجيال الحاضرة والمستقبل ، بل وضعت لها برامج أخرى غير براجمك التى أصبحت بين أظهرنا عقيدة لغير معتنق ، وتركه لغير وارث . إذن فليس الأزهر - فيما سلخه من أكثر من ألف عام - مدارس ابتدائية أو ثانوية أو دراسة جامعية دينية ، ينفع فيه الضم ويفيد فيه الاندماج كما تقول .

ثم ما هى النظرية التى أبدتها فى قولك : « ليس بعجيب أن يكون الدكتور أو الصيدلى أو المهندس أو الزراعى متخصصا فى الديانة » ما هذا وما معناه وما مرماه ، لا أكذبك أنها نظريات أفلاطونية . ابحث لك عن مادة أخرى تجلب إليك رزقا ، أو تسوق إليك حقا ضائعا واكتب فيها ، وصدق أبو العلاء يوم قال :

مالك لم تنتفع بعقل هل عصفت بالعقول ريح

عباس ط

الحامى

ما هكذا يا سعد ... ؟

« ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله »
(قرآن كريم)

ولست أريد بسعد صاحب الإبل الذى أوردها وهو مشتمل ، ولكنى أريد الدكتور طه حسين الذى كتب مقالا « بجريرة الجمهورية » يدعو فيه إلى توحيد التعليم ، والاكتفاء بالتعليم المدنى عن الدينى، وقد أورد فيه الأمور على غير مواردها ، وصدر فيما قال عن هوى وتعصب ، وتجننى فيه على الأزهريين ما شاءت له خرازات نفسه أن يتجننى ، وجعلهم طائفة على هامش الحياة

وليس هذا التجنى بشىء جديد، فتلك شئشنة نعرفها من أخزم، وجمعية ولا نرى طحنا . وكنا نحب من الدكتور ألا ينساق وراء هواه وحققه الدفين ، فيتناول - ببساطة - هذه المسألة التى هى فى الصميم من مقومات الأمة المصرية - بل الإسلامية - أذى متعلقة بدينها ولغتها . وإن هؤلاء الذين يدعون الى القضاء على التعليم الدينى الذى يعنى أول ما يعنى بالتعمق فى الدراسات الدينية والعربية، أنما يريدون - فى الواقع ونفس الأمر - أن يقضوا على مصر الاسلامية وزعامتها للعالم الاسلامى ، وأن يسدلوا الستار على أنصع صفحة من صفحات مصر فى تاريخها الطويل . ومصر - على رغم أنف هؤلاء - إسلامية لحما ودماء ، وستظل حاملة لواء الإسلام ، ومعقله الحصين ، مادامت معتزة بالقرآن وبلغه القرآن . والشعب المصرى شعب متدين بفطرته، وحريص على دينه وعقيدته . وليس أدل على هذا من أنه قد تعرض فى كثير من الأحيان لأراجيف المرجفين وتضليلات المبطلين من أمثال

الدكتور طه ، فما كانت إلا كسحابة صيف تفسحت ، وثورة قدر نحدث ، وبقى الشعب -
إلا شراذم منه - كجأه ، سليما في عقيدته ، معافى في دينه .

* * *

١ - ولا أدري كيف يتهيأ لتلميذ قضى المرحلتين الابتدائية والثانوية في التعليم المدني ،
ولم يتعلم من الدين الاقشورا ومن اللغة العربية الاجزاء يسيرا - كيف يتهيأ لهذا وأمثاله
أن يتخصص في علوم الدين واللغة العربية على نحو ما يتخصص الأزهريون بعد مرحلتهم
الابتدائية والثانوية اللتين أخذوا فيها بحظ غير قليل من علوم الدين واللغة العربية ؟ هذا
فضلا عن إحاطتهم بالعلوم المدنية على نحو إحاطة زملائهم في التعليم المدني ان لم تكن
أوفى وأدق ، بل كيف يتهيأ لتلميذ قضى الشطر الأكبر من حياته في التعاليم المدنية أن يكون
عالما ضليعا يفتي المسلمين فيما يستشكل عليهم من أمور دينهم ودنياهم ؟ ؟ وهو لا يكاد
يحسن الوضوء والصلاة !!!

ولو أن المناهج في التعليم كانت متقاربة بالنسبة لعلوم الدين واللغة لكان الأمر ،
أما والحال على ما ذكرنا من التباعد والاختلاف في التكوين ، فإن التوحيد يكون ضربا
من العبث والفساد ، وقضاء على الثروة الإسلامية التي خلفها لنا الأسلاف على توالى
العصور والأجيال .

والأزهريون - حينما يعنون بهذا النوع من التعليم الديني المدني - لم يقطعوا صلتهم بالحياة
كما زعم الدكتور المتجنى ، وكيف ؟ وما العلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه وعقائد
إلا بسبب وثيق من حياة الناس ، إذ بها يعرفون ما يحتاجون إليه في عقيدتهم وعبادتهم
ومعاملاتهم وأخلاقهم ، ويعرفون حقوق الله عليهم وحقوق بعضهم على بعض . وليس أدل على ذلك
من أن علماء الدين الإسلامي كانوا ولا يزالون يشاركون في حياة الأمة العلمية والعملية والأدبية
والاجتماعية والسياسية ، وفي كل مجال منها لهم اليد الطولى وقصب السبق ، ولا يزال
المسلمون في مصر وفي غير مصر يرجعون اليهم فيما أشكل عليهم من أمور دينهم ودنياهم ،
ويرون فيهم ورثة الأنبياء .

* * *

٢ - ومما لا يقضى منه العجب قول الدكتور « الطلمعة » : « ولم يعرف المسلمون

في عصورهم الأولى هذه الحياة التي نعرفها الآن ، والتي تأخذ الصبي من حياته العاملة لتضطره شطرا طويلا من عمره الى نشاط خاص لا يشاركه فيه غيره من المواطنين ، يفرغ فيه منذ صباه لعلوم اللغة والدين ، حتى إذا ما تجاوز الصبا وأضاع زهرة الشباب أصبح رجلا من رجال الدين لا يحسن غير القول في شئون الدين ، ولا يستطيع أن يتصرف في غيرها من الشئون ، الى آخر ما نضحت به نفسه من افتراء وكلام ممجوج .

وقد قلب الدكتور الحقائق ، وجعل المعروف منكرا ، والمنكر معروفا ، واقرى على التاريخ . إن المدارس في العصور الإسلامية الأولى التي كانت تتمثل في حلقات الدروس بالمساجد وبيوت العلماء كانت مدارس إسلامية بكل ما تحتمله الكلمة من معان ، تدرس فيها علوم الدين من تفسير وحديث وفقه وعقائد وعلوم اللغة ، وإلا فقل لي بربك - أيها الدكتور - بأى العلوم كانت تعنى مدارس مكة والمدينة والكوفة وبغداد والشام ومصر وغيرها من المدارس المنتشرة في الأمصار الإسلامية ، أكانت تشتغل بدراسة علوم التفسير والحديث والفقه وعلوم اللغة ؟ أم كانت تشتغل بدراسة الطبيعة والكيمياء والهندسة والطب وما إليها ؟ .

وهل كان ابن عباس وابن عمر وابن مسعود وابن عمرو بن العاص - رضى الله عنهم - ومن جاء بعدهم : كما لك وأبى حنيفة والشافعى وأحمد والأوزاعى والليث بن سعد وغيرهم كثير - علماء بالطبيعة والكيمياء والطب والهندسة ؟ .

عتقد أن الجواب في غاية البدهة والظهور .

وكيف غاب عن ذهنك يا دكتور أن المسلمين كانوا يأخذون أولادهم من الصغر بهذا النوع من التعليم الدينى - الذى تنكره وتحاربه - وتسلك في سبيل ذلك كل صعب ووعر ؟ لقد كان الرجل من المسلمين في العصور الأولى يأتى بابنه وهو صبي لم يبلغ الخامسة من عمره فيجلسه في حلقات أئمة الحديث والفقه ، كي يناله شرف الأخذ عنهم والاستماع إليهم ، ثم يتركه للأشياخ يلازمهم ويأخذ عنهم حتى يرى في نفسه الأهلية للتصدر للعلم والفتوى ، وما كانوا يطلبون بهذا دنيا ، وإنما كانوا يروونه فرضا من فروض الدين ، وقربى من رب العالمين .

والمسلمون الأولون - حينما كانوا يبذلون قصارى جهدهم في تعلم علوم الدين وما يتصل به من علوم اللغة - ما كانوا يرون أنهم في معزل عن الحياة الدنيا ، وإنما كانوا يعملون على خدمة الحياة الدنيا ، إذ ما من قضية من قضايا الناس الا ويلتمس حكمها في كتاب الله سبحانه أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم أو في القياس عليهما والاجتهاد فيهما . والشريعة الإسلامية لا تعرف الفصل بين الدين والدنيا ، فقد جاءت بما يسعد الناس

في دينهم وديناهم ، فمن ثم لم يكن في الإسلام علماء دين وعلماء دنيا ، فقد كان العالم يفتي الناس ويعلمهم أمور دينهم وديناهم .

وعالم الأزهر حينما يتفرغ لدراسة الدين واللغة لم يكن متنكباً عن طريق الصواب ، وإنما فعل ما أوجبه عليه دينه ، ولم يقطع صلته بالحياة ، بل بالعكس ربط صلته بأسباب قوية بالحياة . ثم كيف استقام لك أن تقول : إن من تفرغ لدراسة العلوم الدينية والعربية قد أضاع زهرة شبابه ؟ ؟ وما رأيك فيمن تفرغ لدراسة الأدب أو الفلسفة أو غيرهما من العلوم النظرية ، أليكون هو الآخر قد أضاع شبابه فيما لا يجدى ؟ أم أن الأمر عندك مقصور على المتخصصين في علوم الدين فحسب ؟ ؟ فيالله هؤلاء المساكين الذين تفرغوا لدراسة دينهم علماً وفقهاً ، والتزموه عملاً وخلقا من لدن صدع نبينا محمد بن عبد الله بوحى الله إلى يومنا هذا ، فقد حكم عليهم « علامة العصر في مصر » الدكتور طه حسين بأنهم أضاعوا أعمارهم فيما لا يفيد ! ! !

لقد كان التعليم الإسلامي في العصور الأولى إسلامياً لحماً ودماً ، حتى كان عصر المأمون العباسي فترجمت الفلسفة وغيرها من العلوم إلى اللغة العربية ، فبدأت تنبت في البيئة الإسلامية مدارس مدنية تدرس الفلسفة وغيرها من العلوم المنقولة ، ومع هذا فلم تزل الخطوة الأولى والمنزلة السامية للمدارس التي تعنى بدراسة علوم الدين واللغة العربية ، ولم يزل الأمر على هذا إلى قبيل عصرنا الذي نعيش فيه .

* * *

٣ — ثم ينبغي الدكتور على علماء الأزهر أنهم لم يأخذوا أنفسهم بما أخذ به العلماء السابقون أنفسهم « من طلب التعيش بطريق من طرق السعي كتجارة أو صناعة أو غير ذلك » ، ولا أدري كيف غاب عن الدكتور الحصيف أن حياة العلماء في العصور الأولى كانت حياة رتيبة هادئة ، ولم يكونوا في حاجة إلى كثير إنفاق ، لأن مطالب العيش كانت قليلة ، وكانت الدراسات طليقة من قيد الزمان والمكان ، فكان من الممكن جداً الجمع بين التدريس والسعي على الرزق ، وإلى عهد قريب كان بعض علماء الأزهر يتعيشون مما يكسبون ، أما في عصورنا هذه فقد كثرت مطالب العيش والحياة الكريمة ، وأصبح

العالم كغيره في حاجة إلى مسكن نظيف ومأكل هنيء وملبس جميل ، ولو فعل غير هذا لتناوله الناس بالسنة حداد ، وكان أول من يناله الدكتور وأمثاله . فالحياة أضحت غير الحياة ، والناس أصبحوا غير الناس ، وهل من الممكن إذا اشتغل علماء الأزهر بصناعة أو تجارة أن يقوموا بالتدريس والتعليم كما ينبغي أن يكون ؟ ولا سيما وقد أصبحت النظم الدراسية تقتضى من المدرس أن يحضر في وقت محدد، ليس له أن يتخلف عنه والا عرض نفسه للعقاب .

ولماذا ينهى الدكتور على الأزهرين ما لا ينعاه على غيرهم من بقية طوائف الأمة من المعلمين والمهندسين والأطباء وغيرهم الذين يتقاضون أجورا من الدولة نظير ما يقومون به من عمل ؟ ؟ ولماذا يحرم على العلماء ما يحله لنفسه ؟ !! .

ينهى الدكتور على علماء الأزهر أنهم لم يشتغلوا بصناعة أو تجارة على حين نجد أعم الغرب توفر لفريق من علمائها الوقت الكافي والمال الوفير وتدعهم يفرغون الى البحث والدرس والتحصيل ، وفي أى شيء يكون البحث والدرس ؟ ان كثيرين منهم يفرغون للدرس والبحث في علوم الإسلام ، وفي الثروة الطائلة التي تركها علماء المسلمين القدامى منهم والمحدثون !! .

ولماذا نسى الدكتور في هذا الصدد سنة التطور وسنة التقدم والرقى في الحياة التي يلهج بها دائما ، فأراد أن يرجع بعلماء الأزهر الى ما قبل ذلك بعشرة قرون ؟ ؟

* * *

٤ — وبعد أن أتعب الدكتور نفسه في مقدمات غلط بها التاريخ ، ودلس على الناس ، قال : « واذن فقد آن لمصر من جهة أن تلائم بين حياتها الجديدة المتطورة وبين تنشئ هذه الأجيال التي تفرغ لدراسة الدين من أبنائها ، بحيث لا يقطع هؤلاء الأبناء عن الحياة العامة وعن الظروف التي تحيط بهم ، ويكونون فريقا لا هو بالقديم ولا بالجديد .. فإذا تحدثت إليه في شأن من شئون الحياة العامة لم يفهم عنك ولم تفهم عنه ، لأن بينك وبينه أستارا كثافا ... وقد فرض على عقله أن يعيش غريبا في وطنه وبين معاصريه ، لا شيء إلا لأنه اقتطع من بيئته ، وزج به في هذه الحياة الخاصة التي يحياها رجال الدين ، فانقطعت الصلة بينه وبين حياة الأمة كلها ، وأصبح قريبا منها غريبا فيها » .

كلام غريب حقاً ، كرر فيه وأعاد وزاد، حتى أصبح كلاماً ممجوجاً من ذوى العقول الصحيحة والفطر السليمة ، ولا أكاد أفهم - ولا غيرى يكاد يفهم - كيف يعتبر المتفرغ لدراسة الدين مقتطعا من الحياة ومن البيئة التى تحيط به ، والحياة كما قلت متصلة بسبب قوى بدراسة الدين، والظروف والبيئة تحتان هذه الدراسة ، فما زالت الأمة المصرية بخير من جهة الحرص على دينها، وما زالت البيئة فى حاجة ملحة إلى من يعلم الناس أمور دينهم ودنياهم ، ولا يزال جمهور الأمة والمسلمين يرون فى علماء الأزهر مصابيح الهداية ونجوم العرفان، ولا يزال العلماء أقرب إلى قلوب الناس - فى مصر وفى غير مصر - . وقد شاء الله لى أن أشهد موسم الحج مرارا ، والتقيت بكثير من المسلمين ، فتكشفت لى عن يقين ما يكنه المسلمون للأزهر ولعلماء الأزهر، وليس هذا الحب والتقدير لذواتهم ، بل لما يرونه فيهم من أنهم ورثة نبينا محمد بن عبد الله فى حمل رسالة الإسلام وتبايعها الى الناس كافة .

ثم ما هذه الحياة الخاصة التى يحياها رجال الدين وينكرها الدكتور عليهم ؟ أهى حياة الرهبنة ؟ . كلا، فالإسلام لارهبانية فيه، أم هى حياة التقشف والانزواء عن الناس ؟ . كلا ، فقد أصبح الطالب الأزهرى فى رغد من العيش، وعلى صلة وثيقة بالناس والمجتمع، وليس قريبا من الأمة غريبا فيها . والأزهريون فى جميع عصورهم لم يكونوا من أبناء أصحاب الإقطاع ولا من أبناء الدخلاء على مصر ، فلهم من شعبيتهم ما جعلهم أقرب الطوائف المتعاملة الى قلوب الأمة .

وهذه القوة الكامنة فى الأزهر - علمائه وطلابه ومدرسيه ووعاظه وأئمتهم وخطبائه وأبنائهم المنبثين فى كل وزارات الدولة ومصالحها - لتؤدى الى الأمة المصرية أفضل ما تؤديه فئة فى هذا الوادى ، والكثيرون من الأزهريين يعملون فى صمت ولا يحبون أن يعلنوا عن أنفسهم كما يفعل غيرهم ، وفيهم جنود مجهولون لا يعينهم المראה بأعمالهم ، وإنما يعينهم نفع الناس ، والقرب من الله المجازى كل نفس بما كسبت .

إن أفضال الأزهر على مصر وعلى العالم العربى والإسلامى لعظيمة ، نقولها لالان ، وإنما للحقيقة والتاريخ . وليس أدل على ذلك من أن أغلب زعماء النهضة الدينية

والعلمية والأدبية والسياسية هم من أبنائه الذين نهلوا من منهله ، وارتشفوا من رضابه ، وان الكثيرين من رجال الفكر والعلم في عصرنا هذا مدينون له معترفون بفضله عليهم ولم يحجد الفضل ألا قلة من أمثال الدكتور .

وعيب الدكتور طه على الأزهرى « أنه ليس بالقديم ولا بالحديث ، لأنه يفكر كما يفكر الناس من قرون ، ويعيش في حياته المادية كما يعيش المعاصرون له ، فيركب السيارة والقطار والطائرة » وماذا يريد بالناس ؟ أغلب الظن أنه يريد سلف الأمة وعلماءها الأجلاء !!!

وما الذى يعنيه أنكاره ؟ أريد أن نتخلى عن كتاب الله وسنة رسوله الموحى إليه بهما من ربه ، ونشتغل بفلسفة اليونان وسفسطاتهم وثقافة الفرنسيين الذين يحبهم ويحبونه حتى ننفى عن أنفسنا أننا محافظون ؟ ؟ أم يريد أن نقطع صلتنا بالسلف الصالح من هذه الأمة الإسلامية وما خلفوا لنا من كنوز وذخائر ، ونصل حبالنا بأبناء السين والتايمز حتى يرضى عنا ويضعنا في قائمة المجددين ؟ ؟ أم يريد منا إذا ما قال الله ورسوله : « الربا حرام » و « التبرج حرام » و « اختلاط الجنسين حرام » و « الرقص مجانة واثم » و « الملاهى والتمثيل الخليع والفسق والفجور منكر ويقضى على معنويات الأمة ويقتل رجولتها ويسارع بها الى الهاوية » أن نجىء نحن فنقول - ارضاء للدكتور ولأمثال الدكتور - : إن كل ذلك حلال ، ولا ضرر على الأمة منه ؟ ؟ ؟ !

ألا فليعلم الدكتور ومن على شاكلته أنه لن يكون شئ من ذلك ، ودون ما يريد خرط القتاد وصعود السماء ، فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ .

ومن أكذب الكذب ما زعمه الدكتور « أنك اذا تحدثت الى رجل الدين في شأن من شئون الحياة لم يفهم منك ولم تفهم منه » . سبحان الله يا دكتور ! إن كثيرين من الأزهريين يحاضرون ويتكلمون في شئون الحياة فيفهم الناس عنهم ، ويتكلم الناس فيفهم عنهم الأزهريون ، ولا أدري اذا كنت تعيش في دركات من الأرض فلا تدري شيئا عما وصل إليه الأزهر وما يدرس فيه من علوم ومعارف ، أم أنها سخيمة نفس أبت إلا أن تستعلن ، بجرى لسانك بهذا الزور والبهتان ؟ على أى حال قد جانبك الحق والصواب .

* * *

ولتعلم يا دكتور - إن كنت لا تعلم ، أو تتجاهل ما تعلم - أن في أبناء الأزهر اليوم من

تخصصوا في تاريخ الملل والنحل وفي الفلسفة وعلم النفس وأجادوها أيما أجاد ، وفيهم من تخصص في بعض اللغات الشرقية والغربية وثقفها كما ثقفها أبناؤها ، وفيهم من تخصص في الأدب العربي ويحاضر فيه أجدود مما تحاضر ، وفيهم من تخصص في التاريخ قديم وحديثه الإسلامي وغير الإسلامي .

هذا فضلا عن الكثرة من العلماء المتخصصين في علوم الدين واللغة العربية ، ولم يعيشوا في عزلة عن العالم كما زعمت ، ولكنهم على علم أيضا بما يجري في الحياة ، وما جد ويجد في العالم من نظريات علمية ومذاهب فكرية واقتصادية وسياسية ، ويتحدثون إلى الناس فيما تخصصوا وفيما لم يتخصصوا فيه من العلوم الحديثة التي يعرفون منها مثل ما تعرف ، فيفهم عنهم الناس ويفهمون عن الناس .

* * *

هـ — ولم يشف نفس الدكتور كل هذا التجنى والبهتان ، بل جعل من نفسه داعية لرجال الدين المسيحي ، فوصفهم بالقدرة والنشاط والتصرف في كل شئون الحياة ، ووصف شيوخ الدين الإسلامي بالعجز والخمود والقصور . وأحب أن أقول للدكتور الداعية : ليس هذا بأمر جديد عليك ، ففي مطلع حياتك التي كنت نزاعا فيها إلى الشهرة ولو بالباطل نصبت من نفسك داعية للبشرين وأضرابهم من المستشرقين ، وحاولت أن تشكك الناس في عقائدهم وقرآنهم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فعثرت على ذيل مقالة (١) لمبشر تستر تحت اسم «هاشم العربي» فنسبت ما جاء فيه لنفسك ، وادعيت أنه من بنات أفكارك ، كي تظهر أمام الطلبة المخدوعين بك أنك باحث مجدد حر الرأي ، فأنت اليوم في شبيك تعيد شيئا من سيرتك الأولى في شبابك ، وما ذنب علماء الأزهر وأبنائه في أنهم لم يكن منهم أطباء ولا صيادلة ولا مهندسون ، ما دامت القوانين المصرية لا تفتح لهم هذا النوع من التعليم . ولو أن الفرصة واتتهم ، والدولة أنشأت في الأزهر كليات للطب والصيدلة والعلوم والهندسة ، لكان منهم النظامي والصيدلي والكيميائي والمهندس ، والعقلية الأزهرية عقلية خصبة إذا ساعدتها الظروف أنتجت أيما إنتاج ،

(١) «مقالة في الإسلام» لـ جرجيس صال الانكليزي ، ومعر بها المتستتر تحت هذا الاسم له ذيل على المقالة ، ضمنه طعوننا على القرآن الكريم من نواح متعددة ، وكل هذه الطعون أباطيل واقتراءات .

وفي مبدأ النهضة المصرية في القرن الماضي اختيرت معظم البعث التي أرسلت الى أوروبا من أبناء الأزهر، فضرّبوا بسهم راجح في المعرفة، ورجعوا في جعبتهم بكثير من علوم الغرب ومعارفه، فأفادوا أنفسهم وأفادوا أمتهم، ولا تزال بعض آثارهم باقية الى اليوم .

* * *

لقد كان الأولى بالدكتور لو كان منصفاً وجاداً أن يقترح على المسؤولين - إذا ما أرادوا أن يقرّبوا بين طوائف الأمة - أن يباح للخاصين على الشهادات الثانوية الأزهرية أن يدخلوا كليات الجامعات المدنية، وحينذاك سيكون عندنا علماء جمعوا بين التأسس في علوم الدين والتخصص في العلوم الدنيوية، ويكون طالب الأزهر بعد أن ينتهي من المرحلتين الابتدائية والثانوية حراً بين أن يدخل الكليات الأزهرية، وبين أن يدخل الكليات الجامعية . وهذا الاقتراح جدير أن ينظر اليه بعين التنفيذ والانصاف، ولم يعد ثمة مجال للتعلل والاعتذار، بعد أن قرر الأزهر ادخال تعليم اللغات في جميع مراحلها . والأزهر حينما اختار لنفسه التخصص في الدراسات الدينية واللغوية لم يكن عاجزاً ولا مقصراً ولا خامداً، وإنما اختار هذا النوع من التعليم لأنه أثر خدمة دينه وخدمة مواطنيه وخدمة العالم الإسلامي على زخارف الدنيا ومباهجها ومناصبها، وكان الأجدر به أن يكرم على هذا الإيثار في هذا العصر الذي غلبت فيه المادية الجاثمة، لا أن يتهجم عليه ويرمى بكل منكر من القول كما صنع الدكتور .

وقد ضرب لنا الدكتور الداعية الأمثال برهبان تخرجوا في مدارس الهندسة والصيدلة ثم تخصصوا في علوم الدين، ولقد كان الأولى به أن يوجه اللوم الى هؤلاء الذين تخرجوا في الكليات المدنية ولم يخطر لهم على بال أن يتخصصوا في علوم الدين كما فعل أمثالهم من رجال الدين المسيحي، ولو فعلوا لكان عندنا أطباء وصيادلة ومهندسون قد تخصصوا في علوم الدين والدنيا .

* * *

٦ - أما ما رمى به الدكتور - في جواب تساؤل له - من أن الشباب الأزهرى « لا يتعلم كما يتعلم الناس وكما ينبغي أن يتعلم الناس، وأنهم فرغوا لفنون من النشاط لا تغني عنهم ولا عن مواطنيتهم ولا عن الدين نفسه شيئاً » فزور وكلام مكرر معاد، فهم يتعلمون كما يتعلم غيرهم وأكثر مما يتعلم غيرهم، وهم حينما يتفرغون لهذا النوع من الدروس، فأما يستجيبون للبيئة المصرية والإسلامية التي هي في أشد الحاجة الى هذا النوع من العلوم، ويفيدون أنفسهم ومواطنيتهم، ويخدمون من قبل ذلك كد دينهم أجل خدمة وأخلدها .

وأزيد على ذلك اقتراحا عمليا ، وهو أن تعقد مسابقات بين شبابنا في التعليم الأزهرى وشبابنا في التعليم المدنى وبين خريجي السكليات الأزهرية وخريجي السكليات الجامعية ، فيما يشتركون فيه من علوم ومعارف ، مع مراعاة عدم التحيف والجور ، وسيعلم الناس قاطبة من المحلى في مضمار المعرفة ومن المتخلف ؟ وقد جربت هذه التجربة مرارا فكان الغلب فيها للأزهريين ، وما مسابقة البعثة الفهمية وغيرها عنا ببعيدة . وأنا أعرف كثيرين من الشباب الأزهرى كانوا الأوائل في مسابقات ديوان الموظفين . ولعل هذا الاقتراح المنصف يقطع الدكتور عن الجدل واللباقة في الخصومة .

* * *

هذا ولا يسعنى وقد انتهيت من الرد على مقال الدكتور طه إلا أن أذكره بأن فضل الأزهر كان عظيما عليه ، ولولا الأزهر لما كان ، ولما وصل الى ما وصل إليه من ثقافة لغوية وأدبية . وبحسب الأزهر فضلا أنه المعهد الوحيد الذى فتح أبوابه له ولأمثاله وقبلهم في تعداد طلابه يرتشفون من معينه الثرى ، وهو أدرى بمستقبله لولم تكن هذه الجامعة العتيقة التى آوته وغذته ونشأته . فلم هذا العقوق ؟ ولم كل هذا التجنى ؟ . بعضا من الانصاف والحياء يا دكتور !! .

وانى أهمس فى أذنه بأن شباب الأزهر علماء وطلابا لا يتمنون هذه الخطوة ولا يحبونها وغير مقتنعين بها ، ولا يغرنك ما تسمعه من شذمة قليلة تعيش عالة على الأزهر ، ليس لهم شخصية ولا ضمير ولا خلق ، ويسرون وراء كل ناعق ، ويستخرجهم أى اغراء ، والأزهر منهم ومن سيرتهم برىء .

وأخيرا أذكرك بمقالة الفاروق رضى الله عنه فى كتابه الفذ الى أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه : « ولا يمنعك قضاء قضيتيه بالأمس راجعت فيه نفسك وهديت فيه الى رشدك أن ترجع عنه ، فإن الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التماذى فى الباطل » . والسلام على من اتبع الهدى .

محمد محمد أبو شهبة

الأستاذ بكلية أصول الدين

يأليت قومي يعلمون

« رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين » . « وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم »

أحسب الناس أن يتركوا أن ينالوا من كنانة الله في الأرض، ومعقل خلافته في الشرق والغرب، وهم لا يصابون بأشد البلاء، ولا يرميهم الله بأخطر الأدواء، إلا أن يأذن الله بنحو هذا الدين، ويتأذن بأزالة مجد المسلمين . اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا . إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء، وتهدي من تشاء، أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين . ما للناس يحاولون أن يتعجلوا ذلك الخسران المبين ، وما لهم يستعجلون بذلك العذاب الأليم، وقد عافاهم الله برحمته، وآمنهم من الخوف بنعمته . ولكنهم كما يقول الله سبحانه : « ويدعو الإنسان بالشئ دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا » .

والذي نفسى بيده لأن أخر من السماء فتخطفى الطير ، أو تهوى بى الريح فى مكان سحيق ، أحب الى وأهون عندى من دعوة تهز عرش الرحمن ، ودعاية تقوض من هذا الدين أعز بنيان، وتقضى على نحر الإسلام ومجده ، ومعلم الدين وعلومه : الأزهر الذى قضى على كل ظلم وظلام ، وبلغ رسالة الله الى جميع الأنام « قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » .

أو حسبتم أيها المصريون، أو توهتم أيها الشريقيون، أن مصر تبقى فى موضع الزعامة، ومعقد القدوة والأمامة — تلك التى أسلست قياد العالمين ، وأخضعت رقاب المسلمين وغير المسلمين — إلا بهذا الأزهر الذى توهتموه شيئا بورا ، وظننتم محوه أمرا ميسورا . « ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم ، اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم ، وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم »

ان الأزهر الذى تخوضون فيه منذ الآن شئ غنى عن التعريف به ، أولفت الأنظار الى حقيقته . انه تلك الجامعة الكبيرة الخطيرة التى ذرت بها الشمس للقاصى وللدانى، حتى أبصره الأعمى ، وأسمعت آياته الصم ، وهزت رسالته أركان المعمورة فى كل قطر ، فكان — ولا سيما منذ عهد المالك — كعبة يحج إليها الطالبون للعلم من مشارق الأرض ومغاربها ،

يتوفرون على دراسة الدين وعلومه ، فينتقلون في معارج السكال والسمو ، ويرتفعون الى حيث النبوغ والفوق . وفرقاتا وضياءا للمتقين ، الذين ينخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون .

فلولا هذا الأزهر الذى تنكرون تاريخه ، وتجدون فضله وأمجاده ، لم يكن في مصر نفسها علم ولا ثقافة بله الدين ، وإن تاريخكم الحديث يشهد بأن الأحداث قد استطاعت أن تنال من كل مظاهر العلم والمعرفة في كل مكان سوى الأزهر ، يوم سلط عليكم الأتراك العثمانيون يسومونكم سوء العذاب ، ويتصرفون بالفساد في كل خير مسعد للبلاد ولا سيما العلم والتعليم ، فأغلقوا جميع المدارس ، وقطعوا صلة الناس بالمعارف من كل شيء إلا من الأزهر ، فلما أرادت مصر أن تبدأ نهضتها وجدت من الأزهر من ينشئ المدارس ، ومن يقوم بالبعوث الى الخارج ، ومن يكون الجامعة المصرية ، ومن ومن .. حتى استقام الأمر لمن يريد بالبلاد الخير ، وجاءت هذه النهضة الكبرى : نهضة الجيش المباركة ، فوجدت الرصيد الثمين من دعاة الخير ، ومن هم طوع يدالله في كل ما تدعو إليه من تقدم ، وهم رجال الأزهر الذين يقولون باسان حالهم للسيد رئيس البلاد وصحبه : « والله لو خضتم بنا هذا البحر ، في أى مجد لمصر ، لخضنا معكم ، ما نبألى أسقطنا على الموت أو علينا سقط » ذلك لأنهم يلبون في الحق والخير أمر الدين ، وينفذون تعليمه القوي المتين ، فبال قوم ممن يزعمون أنهم مصريون ، ويدعون أنهم مسلمون ، يريدون أن تخلو مصر من كل ذلك السوداء والمجد ، كأنهم يحسبون ذلك مما تقضى فيه كلمة طائفة ، أو ينفذ فيه رأى قائل ، ويريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ، والله متم نوره ولو كره الكافرون .

أيتها العصاة الجائرة ، من أصحاب المحاولة الخاسرة : ليس هذا بعشك فادرجى ، وما هذا بمرامك فارجمى ، إنه لمرام صعب ، وإنه لمنال عزيز وعسر ، إن الأزهر في حراسة الله مادام الله يريد دين الحق ، وانتصار النصف والعدل ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول : (لا تزال طائفة من أمتى قائمة على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله) .

إن الأزهر حق الله ، لأنه يبلغ رسالة الله ورسالة الأنبياء من قبل : اصلاح عالمى ، وسلام اسلامى ، ولأنه يعاون الحكم الصالح الذى يتمثل اليوم في حكومة الثورة ، وماهى التحقيق لأغراض الدين من الحق والقوة ، والإخاء والألفة ، والعدل والمساواة ،

والقضاء على المباهاة ، كما يأمر الله « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا ، والعاقبة للمتقين » .

ان في الأزهر رجالا من أهل الإرشاد يدعون بدعاية الإسلام الى ما يعجز عن تحقيقه كل قانون ، لأنهم يستطيعون بروح الدين أن يصلوا الى مدب السرائر ، وأن يناجوا القلوب والضمائر ، حتى يقتاد عصيها ، ويطيع أبيها « أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً » .

إن الأزهر حق الله ، لأنه يحمل الكتاب والميزان خلافة عن الله في الأرض ، ليقوم الناس بالقسط . ألا وإن من تعرض لحق الله القوي فقد آذنه بالحرب ، ومن حارب الله حربه الله « ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين ، كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ان الله قوي عزيز » .

وإن في الأزهر حق الشرق ، فإنه ينفر من كل أمة منه الى الأزهر طائفة ليتفقهوا في الدين ، ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون .

وان أمم الشرق لتتطلع الى بعوثها كما تترقب القمر في الظلام الدامس ، وينتظرونهم انتظار الأرض الهامدة الماء الغيث الهاطل « وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنتبت من كل زوج بهيج » .

فياليت شعري . أين يكون المستقر ، لذلك الطير الذي يطير الى مصر ، لينهل من حياض الأزهر ، ويملا جوفه من ذلك الكوثر ، اذا حققتم ذلك الغرض الاستعماري ، فأخليتم مصر من ذلك المعهد الإسلامي العالمي .

اللهم لا تحقق ذلك الحلم المزيج في أمتنا ، بل باركها وزد في خصوصيتها و« اجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

ان الأزهر عند الانصاف حق للعالم كله لمن تجرد من العصبية الفاجرة ، وخلا من تقديس المادية الملحدة الجائرة « وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم » « وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ، الحق من ربك فلا تكونن من الممترين » .

ان الأزهر رسالة الحق الذي هو ضالة كل موجود ، وأمل في بقاع الأرض مشدود . ان طبيعة الوجود الصالح ، لا تقوم الا على الخلق الفاضل ، والدين الخالص الذي

يوفق بالقسطاس المستقيم بين مطالب الروح ومطالب الجسد وغذاء العقل ، والإسلام هو المعيار الصادق لتلك الحقائق ، والأزهر معيار الإسلام .

أنسى الناس أن أهل كل دين يحاولون أن لا تمس شعرة منه بأذى ، وأنهم يرصدون أكبر قسط من أموالهم للتبشير والدعاية ، ويحرقون له أكبر مجهود ، حتى أنهم يحاربون الإسلام وينددون بتعاليمه ، ويغمزونه في زعيمه صلى الله عليه وسلم . فإلستم تنصرون عدوكم المستعمر، فتتضمنون الى الصفوف ضد الإسلام؟ . ذلك هو الحق في حاقه ، وعبث الأطفال في صميمه . وصدق الذى يقول :

ما يبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه
ما بالكم تحاولون جاهدين فى اغلاق الأزهر وهو محور سعادتكم ، وموضع الألم فى نفوس أعدائكم ؟ فهل تظنون أنهم يبغضون شيئاً وهو شر لكم ؟ لقد ساء اذا ظنكم ، وجهاتم البدهيات من الحقائق :

يقضى على المرء فى أيام محنته حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن
يا قومنا ، ان العدو ليود بجدع الأنف لو رأى الأزهر وأهله حصيذا خامدين ، فهو يعلم أنه لا يستطيع أن ينال من مصر والأزهر كما يريد مادام هذا القرآن قائماً ، ومادام هذا الدين فى الأزهر جاثماً « ولا يزالون يقاؤونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ، ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة » .

يا لشماتة العدو ، ويا لفرحة الصهيونية ، اذا تحققت أغراضها فى هاته الجامعة الكريمة ، وفى هذا الأسد الرابض فى العرين ، والليث الذائد فى الزبية عن هذه الأمة .

أيها الناس ، ان هذا التراث مجد مصر ، ومجد الشرق ، فلا تمجولوا بازائه ، ولا تقولوا اننا نريد اصلاحه ، فان اصلاحه ليس فى ضمه الى المدارس ، بل ان اصلاح المدارس فى ضمها اليه ، ليأخذوا من مناهل هذا المجد الشاخ ، والعلم النافع ، والأدب المذهب المصلح .

ويا ليت شعرى من لحل المشاكل ، واجابة كل سائل ، واغاثة كل لهفان حائر ، اذا فرطتم فى هذا الدين ورجاله ؟ ومن يدعو الى الخير ، ومن يأمر بالمعروف وينهى عن

المنكر، وهى سعادة البشر وفلاح الأمم ؟ « ولتكن أمة يدعوون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » .

ما لكم لا تصفون الى رأى الأمة فى هذه الجزئية ، بل الى شعوب العالم الإسلامى ، وما لكم لا تتعرفون رغبتها ؟ . انكم تعلمون أنهم يفتدون الأزهر بأعز ما لديهم ، لأنه غذاء أرواحهم ومعقد آمالهم .

ان الأزهر لا يستعصى على الإصلاح ، لأنه - فى الواقع - يتجدد كل يوم فى حدود امكانياته وبما يحفظ هذا الدين ، ولا يستطيع أحد أن يقول انه اليوم كما كان فى عهود الباجورى والامبابى والمهدى وغيرهم من الشيوخ السابقين ، بل انه كل يوم يتجدد بما يساير العصر ، مع المحافظة على تقاليد الدين والمجد ، والدين شىء لا يتخلف أبدا ، ولكنه يساير كل تقدم .

ان الأزهر ليتجدد فى كل مظاهره : فى أماكنه ، وفى كتبه ، وفى مناهجه ، وفى معارفه ، وفى عدده . ولعل فيه من معامل الطبيعة ، ومن أدوات الرسم ، ومن خرط الجغرافيا والتاريخ ، ومن النفيس والتافه مما تتطلبه حاجة العصر ، ما لا يوجد فى كثير غيره من معاهد التعليم ، ناهيك بالمكتبات وما تحويه من جميع الفنون فى كل قديم وحديث .

ان المناهج لتتجدد فيه ، وترحب بالنقد والمناقشة ، وتستقبل كل جدير من الآراء . ولعلك أيها القارئ الكريم ترى مجلة الأزهر ، فتوازن بينها وبين كل أمثالها فى الأقطار ، وتستشرف الى بحوثها الممتعة المساجدة المهدبة القيمة .

أيها الناس ، لا اتهموا الأزهر بأنه يدعى لنفسه عصمة دينية أو غير دينية تجعله فوق الإصلاح كما تزعمون ، ولكنه يخشى أن تضحوا بأشمت عنوان السجود به ، فيضطرب حبل التماسك الإنسانى ، وينفرط عقد الإخاء الإسلامى ، ويعود الناس كما كانوا على شفا حفرة من النار ، لا يتقدم منها الا الدين وما يأمر به ، والأزهر وما يضم من كنوزه . اللهم اغفر لقومى فأنهم لا يعلمون ما

توحيد التعليم

بيان من جهة علماء الأزهر

نشرت بعض المجلات والصحف: أنباء مثيرة حول توحيد التعليم ، وكلمات لبعض الكتاب مؤيدة وأخرى رافضة . وجهة العلماء ترى أن التفكير في هذا الموضوع مدعاة للشر، وعامل من عوامل الفساد والإثم . وأى إثم أكبر من هدم الأزهر والقضاء على علوم الدين ، وروح الإسلام في مصر والبلاد الإسلامية . قال الله تعالى مخاطبا الأمة المحمدية : «فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون» .

فقد فرض سبحانه وتعالى على الأمة أن تكون منها طائفة تتعلم شرع الله من علمائه والمختصين به ، لتبلغه للعامة إصلاحا للمجتمع ، وتطهيرا له من الفواحش والمنكرات .

وقد كان الأزهر في مصر - ولا يزال - مضطمعا بهذه الفريضة ، به صفوة علماء الإسلام ، وأفئدة الناس تهوى إليه من كل مصر وقطر ، يتفقهون في دين الله ويتعلمون لغة كتابه وسنة رسوله ، ثم يعودون الى بلادهم نجوما هادين ، ورسلا إلى الخير داعين ، فدام للإسلام نوره المنشود ورواقه الممدود، ووقف عليه من أجل ذلك أهل الغنى والتقى النفيس من الضياع والرباع ، ورصدت له الحكومات المتعاقبة الأموال في الميزانيات المتتابعة ، وجاء في القانون المنظم له سنة ١٩٣٦ في مادته الأولى: أن الغرض من الجامع الأزهر هو تعليم الدين أصوله وفروعه وتعليم اللغة العربية . وإنما يراد بالدين الإسلامى عقائده وأخلاقه وعباداته ومعاملاته المالية والشخصية والعقوبات على الجنايات الخ ، ويراد بعلومه ما يؤهل لمعرفة هذه الأحكام من التفسير والحديث وعلومه وأصول التشريع وفلسفته والفلسفة الكونية والتاريخ الإسلامى الخ . فهمة الأزهر دراسة هذا كله وتدريبه في إتقان وتفرغ ، ضاماً إليه ما لا بد منه من العلوم الرياضية والطبيعية والتاريخية . ومهمته كذلك تخريج علماء قادرين على البحث والاستنباط في الشرع الإسلامى واللغة العربية .

دعا كل هذا إلى تنظيم الجامع الأزهر بوضعه القائم عليه الآن ، فكان لابد لمن يقبل في معاهده أن يكون حافظا لكتاب الله ، ليتيسر فهمه وأداؤه وتقويم الألسنة بأسلوبه ، ولتحقق التواتر في روايته الذي هو ركن أساسى فيه ، إذ لو انقطع التواتر - والعياذ بالله - لدخل على القرآن التحريف والتبديل . وكان لابد كذلك من إنشاء المعاهد الدينية بوضعها الحالى : ليتيسر فيها دراسة علوم الدين واللغة والتاريخ الإسلامى دراسة شاملة تكون الثقافة الضرورية للشخص المسلم ، وتؤهله للدراسات العالية فى كليات الأزهر ، ولا يستطيع عاقل أن يقول : إن الثقافة المدرسية فى مدارس وزارة التربية والتعليم تؤدى عشر معشار ما تؤديه المعاهد الدينية واللغوية .

فمن الخطأ الشنيع بل الفساد الكبير الإقدام على المساس بأى حلقة من هذا النظام ، لأنه ولید ضرورة إسلامية ملحة ، وتجربة طويلة مبصرة ، ومجهود أفكار مخلص ، عملت للإسلام وجاهدت فى سبيله . ونحن الآن - فى هذا العهد المبارك - نتطلع لأن يجعل قادته الأزهر مفخرة من مفاخر مصر التى تسدى الخير للعالم الإسلامى كله . نريد أن ينظر إليه على أنه الحصن العالى الذى يبرز إليه الإسلام ، فيصونه من عبث العابثين وابطال المبطلين .

وإن نفوسنا لتذوب أسفا من هذه الأفكار الهدامة المنادية بإلغاء المعاهد الدينية ، وتوحيد التعليم ، إنهم يعتلون لذلك بتوحيد الثقافة فى مصر ، وإنها لسفسطة لا يراد بها وجه الله ، فليست ثقافة الأزهر ثقافة شيوعية أو يهودية ، إنما هى ثقافة إسلامية عصرية متحدة تماما مع الثقافة العامة فى الدين والاجتماع واللغة وعلوم الطبيعة والرياضة . وكل ما هنالك أن علوم الدين واللغة حظيت بالمزيد فى المعاهد الدينية للضرورة التى أسلفناها ، ولو كان هناك إنصاف لوجب أن تتوسع الثقافة المدرسية فى العلوم الدينية واللغوية حتى نقضى على الإلحاد المنتشر بين طلاب الجامعة وحتى نمحو العجمة اللسانية التى عمت أكثر خريجي الجامعات .

إن طلاب المدارس بعد خمس سنوات من دخولهم القسم الإعدادى يوزعون على الشعبة العلمية والشعبة الأدبية ، ثم فى الجامعة يذهب الطلاب من كل شعبة الى كليات مختلفة ، فهل تسمى وزارة التربية والتعليم مثل هذا تعددا فى الثقافة ، أم هو التخصص الذى لا بد منه ليتمكن إيجاد المهندس البارِع والطبيب النطاسى . . . الخ .

إن التعليم في الأزهر لا يمكن أن يقال عنه إنه تعدد في الثقافة ، بل هو وحدة بأوله ، واختصاص بعلوم الإسلام واللغة العربية بآخره . ثم إن إشراف الجامع الأزهر على هذا التعليم الديني ضروري لا معدى عنه ، لأنه أتقنه وتفرغ له وأخلص فيه وعرف حدوده وأجباته ، ولو قدر الإشراف عليه لوزارة التربية أو الجامعات لأصبح هذا التعليم الديني في مهب الأفكار ومعتك الاقتراحات ، ولانماع ثم فني ، ولكان أول خطوة في سبيل هذا التوحيد ضياع القرآن الكريم !! .

أيها الرئيس . أيها القادة :

نحن نقدر إخلاصكم للأزهر ، وحرصكم على علوم الإسلام ، ونعرف - مع ذلك - أن في البلد قوما يتربصون الدوائر بهذا الصرح الإسلامي الشاخص ، وهذا المجهود الإسلامي الضخم ، وهذه المنارة العالية ، فنناشدكم الله ألا تسمعوا لهذه الآراء المنحرفة ، وأن تمكنوا الأزهر من المضى في أداء مهمته ، فأن في بقاءه بقاء الإسلام ومجد مصره
رئيس جبهة علماء الأزهر

محمد الشريفيني

العصاة المفتونة

قم في فم الدنيا وحى الأزهر	وانثر على سمع الزمان الجوهرا
وأشع مليا ، واقض حق أئمة	طلعوا به زهرا ، وماجوا أبجرا
كانوا أجل من الملوك جلالة	وأعز سلطانا ، وأنغم مظهرا
من كل بحر في الشريعة زانر	ويريكه الخلق العظيم غضنفرا
لا تحذ حذو عصاة مفتونة	يجدون كل قديم شيء منكرا
ولو استطاعوا في المجامع أنكروا	من مات من آبائهم أو عمرا
من كل ماض في القديم وهدمه	وإذا تقدم للبناية قصرا

سرفي

انه مجد مصر والمسلمين

فماذا تريد به يا دكتور ؟ ؟

لقد كان لتحريض الدكتور طه حسين للحكومة على اتخاذ ماسماه « الخطوة الثانية » وذلك بدماج التعليم الأزهرى فى وزارة التربية والتعليم والقضاء على الدراسة الإسلامية العربية التى يمتاز بها الأزهر ، أقول : كان لهذا التحريض أثره السيئ فى النفوس فى مصر وفى خارج مصر ، فأن دعوة الدكتور هذه إنما هى دعوة للقضاء على الأزهر وعلى أمجاد مصر والعالم الإسلامى ، فما الأزهر إلا قطعة حية من تاريخ مصر والعالم الإسلامى ، وأهو على الأصح صانع هذا التاريخ ، ظل ينبثق منه نور العلم بعد أن خفت كل مصادره ، وعاصر قيام كل حركة دينية أو وطنية ، أو كان على الأصح باعثها وموقظها .

وإذا أراد أحد أن يعرف ذلك عن يقين فليبحث عن مصدر العلم فى مصر قبل إنشاء الجامعة ، وليبحث عن مصدره كذلك فى العالم الإسلامى قبل أن تنشأ دور العلم الحديثة فيه ، لقد كان كل خيط فى أية رقعة من العالم الإسلامى يمتد حتى يتصل بمصر وبالأزهر الخالد ، حتى كسبت مصر به مكان الزعامة فى العالم الإسلامى ، وأصبح كثير من البلدان الإسلامية لا يعرف مصر إلا إذا قلت له : هى التى فيها الأزهر . . . فيتفتح قلبه لها ويحن إليها ، وفى كتابة الأستاذ على أمين عن زيارته للمسلمين فى روسيا ما يعطيك فكرة عن هذه الروح . . . فقد سأل المسلمين هناك عما يريدونه من مصر ، فقالوا له : سلم لنا على الشيخ تاج شيخ الأزهر والشيخ الباقورى . . . وقد قرأت للشيخ التفتازانى - وهو يكتب « بالأهرام » عن رحلته فى شرق أوروبا - أن بعض المسلمين سألوه عن وطنه : فقال لهم : مصر : فلم يعرفوا مصر . . . فقال لهم : مصر التى فيها الأزهر . . . ففرحوا ، واحتفوا به ، لأنهم يعرفون الأزهر ويحبونه ولا يعرفون مصر . . .

فهذه القمة من المجد التى يقف عليها الأزهر بعد مئات من السنين قضاه فى المحافظة على الإسلام ولغة القرآن تمتد الآن محاولة عابثة لهدمها ، وهذه الزعامة التى تبوأها مصر بفضلها يراد القضاء عليها . فماذا يبقى لمصر فى العالم الإسلامى ؟ وهل يتفق هذا مع وثبتها

الجديدة ورغبة قوادها الأبطال في تمكين الروابط بينهم وبين العالم الإسلامى ، بعد أن ظهرت لهم نيات الغرب الخبيثة في التهام وطنهم والوطن الإسلامى كله ؟ .

إذا كنا نريد القضاء على المعاهد ونجعل التعليم كله على نسق وزارة التربية والتعليم ، فهل نجد حينئذ من يحفظ القرآن ويقبل على دراسته ودراسة شريعة الخالدة ؟ .

وإذا كان العلماء الذين أنفقوا حياتهم في تعلم اللغة وفهم أسرار القرآن لم يصلوا بعد الى بغيتهم في خدمة القرآن والكشف عن أسرار ، فهل يظن أن سنتين أو أربعاً يقضيها الإنسان في دراسة القرآن ولغته وشريعته كافية لأن يصل الى ذلك ؟ .

إنها إذن الحملة المدبرة تحت اسم توحيد التعليم للقضاء على الدراسات الإسلامية الأصيلة التي امتاز بها الأزهر ، وامتازت بها مصر في العالم الإسلامى . . ومع ذلك فأنى لا أفهم معنى توحيد التعليم الذى يقصده ؟ ؟ ان في وزارة التربية أنواعاً مختلفة من التعليم بعد المرحلة الابتدائية ، فعندها التعليم التجارى والصناعى والزراعى المتوسط فوق التعليم العلمى البحت في المدارس الثانوية . فلماذا لا يلغون كل هذا ويوحدون التعليم ؟ ؟ . أو أن العيب فقط أن يكون هناك تعليم دينى يبدأ مع الطالب بحفظ كتاب الله من صغره . . . ؟ على أنى أحب أن يكون مفهوماً أن الطالب حين يدخل الأزهر يكون فوق مستوى حامل الشهادة الابتدائية من المدارس مع امتياز به حفظ القرآن ، فلا مجال إذن للقول بتوحيد المرحلة الابتدائية لأنها فعلاً شبه موحدة . . فأى شئ إذن يأخذونه على الأزهر اذا اختص بالتوسع في دراسة الدين واللغة ، كما تتوسع أنواع التعليم الفنى : الزراعى أو الصناعى أو التجارى : كل في ناحيته ؟ ؟

ومن عجب أن الدكتور طه حسين نفسه أقام الدنيا وأقعدها حينما علم وهو في أوروبا أن هناك نية في الوزارة لإلغاء قسم اللغة العربية بكلية الآداب ، وهو قسم حديث لم يبلغ عمره ربع قرن . . . ودافع عنه الدكتور دفاع المستميت ، وأخذ يرسل المقالات من أوروبا يحمل حملة عنيفة على الذين فسكروا في ذلك . . متلمساً الأعذار المختلفة لعدم إنتاج هذا القسم ، فكيف يستساع منه إذن أن يحمل هو نفسه معول الهدم لأقدم جامعة علمية في العالم ؟ ولمصلحة من يحمل الدكتور معوله ؟ إنه ليس في مصلحة مصر مطلقاً . . فالمصريون - وقادة الثورة في مقدمتهم - يعلمون مقدار ما تحتله مصر في قلوب المسلمين لأنها موطن الأزهر ، وليس من مصلحة مصر أن تبدد هذه الثروة من حب المسلمين لها في هذا الوقت بالذات الذى يتخفزه فيه الغرب لأضعاف مصر والقضاء على نفوذها

ومكاتها في الشرق والغرب، كما تحدثت بذلك صحفهم دون حياء . . نعم إن مصر الآن في مفترق الطرق ، وقادتها يخطون لها سياسة جديدة تقوم على التعاون والتكافل مع الشرق والمسلمين جميعا ، حتى تتحرر من نفوذ الغرب وسيطرته ، ومن أجل هذا حنق الغرب وثار ساسته وهاجت صحفه ، تدعو إلى القضاء على هذه الخطوة الخريثة، والسياسة الحديدية التي تنتهجها مصر . . . لتعيد فرض وصايتها عليها . . . فهل كان من اللياقة واللباقة - يا دكتور - أن تثير هذه الزوبعة الآن ، وتدخل في روع المسلمين أن جامعهم الكبرى مهددة بالفناء في هذا العهد المبارك الذي يعمل على تكتيل القوى الإسلامية وجمع القلوب المؤمنة حول مصر وسياستها الرشيدة .

إن مجرد إثارة هذا الموضوع في هذه الفترة الحساسة من تاريخ مصر الثورة خطيئة في حق مصر لا تغتفر ، وخطيئة في حق الركب الإسلامي الآخذ في التكتل والتجمع ، وتفريق للجهود المبذولة في هذا السبيل، ومحاولة لاثارة الظنون السيئة حول القائمين بالأمر، وهم أبعد الناس عن مثل هذه الظنون، ولا أدري كيف سمح له بهذا كله ، ولمصلحة من ؟ !

إن الذي سيستفيد من هذه الخطوة الهدامة التي دعا إليها الدكتور ، والتي بلبلت الأفكار وسممتها، إنما هم المستعمرون وطليعتهم من المبشرين ، ولا أريد أن أسيء الظن بالدكتور فأقول : بلغنا من سوء النية والتدبير - إلى الحد الذي نقدم فيه هذه المأثرة الجلييلة للمستعمرين والمبشرين !!!

إن جهودهم في الشرق - من يوم أن وطئت أقدامهم الملعونة أرض هذا الشرق الطيبة - تركزت كلها حول هدف واحد، هو القضاء على معنوياتنا ومصادر قوتنا الروحية حتى يتمكنوا من رقابنا بكل سهولة .

ولقد جاءوا إلى الشرق بروحهم الصليبية ، لينتقموا من هزيمتهم واندحارهم أمام صلاح الدين وغيره من قواد المسلمين ، حتى أنهم لم يستطيعوا - برغم لباقتهم - أن يخفوا هذه الروح السيئة الانتقامية ، فوقف قائدهم « النبي » يوم أن انتصر على الأتراك ودخل القدس يقول : الآن انتهت الحروب الصليبية ، وأرسل رئيس الوزارة البريطانية « لويد جورج » برقية إليه يهنئه بانتصار الحروب الصليبية، ويذهب قائد آخر إلى قبر البطل « صلاح الدين » بعد أن دخل الشام يقول : نحن هنا يا صلاح الدين !! فما معنى هذا كله عندك يا دكتور ، وأنت سيد العارفين الفاهمين ؟؟؟ !

لقد لمس المستعمرون وطلّاهم من المبشرين أن الأزهر - وهو القائم على حفظ القرآن ولغته وشريعته الخالدة - يبعثر جهودهم ، ويبدد آمالهم ، ويقف أمام أهدافهم أينما يذهبون ، فكانوا يعلنون مضطرين بعد أن يبلغ الإفلاس منهم مبلغه : أنه ما دام القرآن والأزهر القائم عليه فلن يبلغوا ما يريدون من تمكين أقدامهم في الشرق .

ولعل الدكتور يعلم أمر هذا المؤتمر الذي عقده المبشرون في أول هذا القرن ، والذي تمخض فولد الجامعة الأمريكية في مصر . . . لقد قرر المؤتمر أن الأزهر يعتبر أهم عائق في وجه التبشير ، وبالتالي في وجه الاستعمار في مصر والعالم الإسلامي . وإذن فلا بد من مؤسسة علمية ثابتة يثون فيها أفكارهم ، ويطبعون جيلا من المسلمين بطابعهم ، حتى يقف هذا الجيل أمام الثقافة الإسلامية ويشكك فيها ، وحينئذ يباغون ما يريدون .

ولعل الدكتور يذكر بجانب هذا أن مؤتمر المبشرين الذي عقد بالقدس حوالي سنة ١٩٢٧ ، تحدث عن أثر التبشير في المسلمين ، وحينما وقف أحدهم وأعلن إفلاسهم نظرا لضالة الذين تنصروا من المسلمين هب « زويمر » يدافع عن جهودهم ، ويعلن لهم أنهم - وإن لم يبلغوا ما يريدون من تنصير عدد كبير من المسلمين - قد بلغوا ما يريدون من تشكيك كثير منهم في دينهم وشريعتهم . وهذا عندهم يوازي النفقات الضخمة التي بذلت للتبشير .

فهى حملة إذن على الإسلام وعلى المسلمين يعرفها كل مسلم بصير ويدركها ، ولا بد للمسلمين من أن يتسلحوا ويستعدوا لها . فهل من حسن التسلح والاستعداد لمقابلة هؤلاء الباغين أن نقضى على الأزهر وعلى الدراسات الإسلامية التي امتاز بها . . . وكيف ، وهذه أمنيته ؟؟

* * *

إننى لا زلت أذكر ما قاله السيد الرئيس جمال عبد الناصر في إحدى المناسبات من أن الاستعمار كان يركز هجمه على ناحيتين : الأزهر ، والجيش ، حتى يقضى على القوة الروحية والقوة المادية في البلاد ، ويقطع الصلة بين مصر والعالم الإسلامي عن طريق القضاء على الأزهر ، فما بال الدكتور يسارع في الخيرات يقدمها ، لا لمصر ولا للعالم الإسلامي ، ولكن للمستعمرين وطلّاهم من المبشرين ! .

وإلا فهل يغيب عنك - وأنت واسع الاطلاع والتفكير - أنك بدعوتك هذه تسبقهم الى ما يريدون من شر ويكد بمصر والشرق .
إن كنت لا تدري فتلك مصيبة أو كنت تدري فالمصيبة أعظم

* * *

إننا لا نلقى القول جزافا حين نقول : إن الحيد للأزهر هو كيد للمسلمين في جميع بقاع الأرض ، إذ أن الأزهر معقد آمالهم ، ومن منعه يستقون التوجيه الروحي ، والوعي العلمى . ونظرة واحدة الى الطلاب الوافدين عليه من جميع أنحاء العالم الإسلامى تجعلك مؤمنا بما نقول .

وهذه هى احصائية شبه رسمية عن الطلاب الوافدين على الأزهر من خارج مصر .
٣٥٠٠ طالب من السودان .

٥٤٨ طالبا من سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن .

٣٣٦ » من الحبشة وأريتريا والصومال .

٣٢٢ » من تونس والجزائر ومراكش وليبيا .

٨٣ » من ساحل الذهب وساحل العاج والسودان الفرنسى والسنغال ونيجيريا .

٥٢ » من تركيا ويوغسلافيا وألبانيا وتركستان وروسيا . وواحد من هولندا .

٦٧ » من أندونيسيا وسومطرة والفلبين وبورما .

٢٣ » من جنوب أفريقيا وأوغندا ومدغشقر .

٢٠ » من العراق والأكراد والكويت .

٩ طلاب من الحجاز والبحرين والرياض .

٢٩ طالبا من اليمن والمحميات وعدن .

٣٧ » من الأفغان والهند وباكستان وسيلان .

٤ طلاب من الصين .

٢٤ طالبا من أواسط افريقيا (بحيرة تشاد) .

ومجموع هؤلاء الطلاب أكثر من خمسة آلاف طالب من مختلف البلاد كما رأيت ، يتعلمون فى الأزهر ويعودون الى بلادهم رسلا صادقة يدينون للأزهر ولمصر بالفضل ، ويظلون متعلقين بمنبع ثقافتهم وريهم العلمى ، فأية جامعة فى مصر والعالم الإسلامى كله كالأزهر يتخذ مركز الصدارة والإشعاع العلمى هكذا منذ أكثر من ألف عام .

* * *

وهناك ناحية هامة أخرى تدل على ما يؤمله المسلمون في الأزهر ، فأدارته تتلقى من جميع أنحاء العالم الإسلامى كثيرا من الرسائل التى يطلب فيها مرسلوها إيفاد علماء لهم لتعليمهم الدين واللغة العربية ، وقد استطاع الأزهر أن يلبى كثيرا من هذه الرجاوات فأرسل رجاله للمملكة السعودية والكويت والعراق وسوريا ولبنان وليبيا والسودان والملايو والصومال وأريتريا عدا المركزين الثقافيين فى لندن وواشنطن ، وتعد الآن بعثات إلى الهند والفلبين وأندونيسيا ونيجيريا والسنغال والفلبين وجنوب أفريقيا .

فأى مجد لمصر كهذا المجد ، وأى فخار تكسبه دولة كهذا الفخار الذى كسبته وتكسبه مصر عن طريق الأزهر ؟؟ ومع ذلك تسلط عليه معولك - يادكتور - لتقضى عليه ! ؟ يا للهول ! ! ! ويا للخسارة ! .

وإن الأزهر الذى أمد مصر موطنه بالعلم مئات السنين هو الذى يمدها الآن بالآلاف من أبنائه فى كل وزارة ومصلحة ومدينة وقرية ، ومنهم يستمد كل انسان فى مصر ثقافته ومعلوماته الدينية ، ولهم الفضل فى الوقوف أمام تيار الغرب الأباحى الإلحادى ، يحدون منه ، ويكسرون من شرته ، ولولا هم لما بقى لمصر هذه البقية من الدين والتقاليد الصالحة . ولعل هذا هو سر الحملة على الأزهر كما قدمنا ، ولكن فلينقلقوا . فهو فى حراسة الله والصالحين من المسلمين .

ومن عجب أن الدكتور طه يعان فى غير موارد أن الأزهريين لا يتعلمون كما يتعلم الناس ، وينتقص بذلك من مكانتهم العلمية أمام العالم الإسلامى كله ، وقد نسى أنه - وهو وزير - قد عين الآلاف من علماء الأزهر فى وزارة المعارف ، وشهد لهم بالجدارة العلمية والتفوق ، فهل استعان بهم الدكتور فى التعليم الابتدائى والثانوى ، وشهد لهم بذلك وهم ناقصو الثقافة لا يتعلمون كما يتعلم الناس ، ولا يعلمون كما يعلم الناس ؟ !! إنهم فى كل مدرسة ومعهد فى أنحاء مصر مثل صادقة فى الجسد والتفوق العلمى والخلق . . فهل وصلوا إلى ذلك فى أوساطهم العلمية وهم لم يتعلموا كما يتعلم الناس ؟ ! .

إننى أعرف أزهرين فى وزارات الداخلية والأشغال والزراعة والشئون والدفاع والإرشاد ، يتمتعون بثقة رؤسائهم وتقديرهم لكفاياتهم ، فهل احتلوا هذه المكانة بين زملائهم الجامعيين عفوا وهم لم يتعلموا كما يتعلم الناس ؟ ! .

إننى - والله - لفى غاية الأسى أن يلقى الجهد والعرق الذى يبذله الأزهريون من شبابهم

وتلقى ثقافتهم الدينية العربية الممتازة - وهي الثقافة القومية الأصيلة بحق - هذا المجود والسكران ! .

إننى والله لفى غاية الأسى - ويشاركنى فى ذلك الملايين من المسلمين فى مصر وخارج مصر - أن يضطر الأزهر للدفاع عن وجوده - وهو العملاق الحى الذى أبقى لمصر حيويتها عبر القرون الماضية - فى الوقت الذى ينتظر فيه أن يمكن له فى أداء رسالته فى سبيل مصر والعروبة والإسلام .

وماذا أقول - وقد طال القول - ألم يكن هناك فى المجتمع المصرى ما يستحق أن يوجه الدكتور طه اليه جهوده الإصلاحية . . أين موقفه من الإباحية والإلحاد فى الجامعة ؟ ولماذا سكت عن ذلك كله مع أنه طوّل بالكلام ؟ ولماذا لم يحمل على الميوعة والخلاعة والتخنث فى مجتمعاتنا حتى نظهرها من عوامل الانحلال ونعدها لدور القوة والعزة ، لنبلغ ما نريد كأمة حية . . أو أن ذلك شيء لا يتفق وفكرة الدكتور من أن مصر يجب أن تسير الغرب فى كل شيء . . حتى فى مجونها وخلاعتها ورقصاتها ! ! وإلا كانت متأخرة كالأزهريين ؟ ؟ وماذا أقول ، أ أقول كما يقول بعض الناس :

وكم ذا بمصر من المضحكات ولكنك ضحك كالبكا ؟

لا ! إننى أريد أن أقول : إذا كان أبو الطيب قد دمغ مصر بهذا البيت من الشعر ، وظل المتألمون يرددونه كلما نزفت نفوسهم بالآلام ، فأنى أعتقد أن فجر عهد جديد قد طلع ، وأن المقاييس التى كانت تتغلب علينا سابقا يجب أن نتغلب عليها الآن وننشئ بدلها مقاييس أخرى من التفاؤل والجد والعزم . وفى مصر الآن رجال يحاولون ما وسعهم الجهد أن يخلقوا مصر خلقا جديدا ، وأن يمكنوا لها فى الأرض ، ويقووا ما بينها وبين الأمم الإسلامية من روابط ، وهم مدركون ما كان يدره الاستعمار للقضاء على الجيش وعلى الأزهر ، والجيش الآن يأخذ مكانه فى الميدان قويا عتيدا ، يعتز به كل مصرى وعربى ومسلم ، ولا بد أن الأزهر سيأخذ من عناية هؤلاء الرجال المخلصين العاملين ما أخذته الجيش . . حتى تقف مصر بقوتها الروحية والمادية أمام سطوات الغرب ونزوات إسرائيل ، تستعيد مجدها وترد للعالم الإسلامى اعتباره .

تلك هى آمالى برغم هذه الفقاعات . . والله هو الحافظ والمعين ما

عبد المنعم النمر

خصوم الأزهر

لو لم يكن الأزهر في مصر قبل اليوم لوجب عليها في مطلع نهضتها الحاضرة ، ووجب على أولى الرأى فيها « ومنهم الدكتور طه حسين » أن ينادوا جميعا بضرورة وجود الأزهر لنا وللساميين .

فإذا كانت مصر سبقت إلى أنشاء هذا المعهد واحتضانه منذ القدم ، وسبقت بفضلها الى مكان الزعامة بين شعوب الشرق ، وأصبح الأزهر فيها شريانا رئيسيا تنبض فيه الحياة الروحية ، وتنبعث منه في الأقطار الإسلامية ، حتى صارت كتلة متجانسة ، وتعاطفت بالأخاء في العروبة وبالصلة الثقافية ، وبالتعارف والتودد من طريق الأزهر وفي ظله ورحابه ، وفي ضوئه هنا واشعاعه هناك . إذا كانت مصر - بفضل أزهرها - بالغة ما بلغت من المجد غير مزاحمة فيه ، ومن اليقظة والنهوض والمعرفة غير منكور عليها ذلك ، فمنذا الذي يضيق بالأزهر الآن أو يخاصمه في جبهة من العداء ، والحاح في العدوان عليه ، واسراف في الغض من رسالته ، والتهوين من شأنه على غرة ، ولغير مناسبة ؟!

لم يكن الأزهر بحاجة الى التعريف ، ولم تكن رسالة الأزهر غائبة عن مدارك المنصفين وغير المنصفين ، ولكن الخصومة الشخصية تذهب بالروية ، وتدفع الى التحيف ، وتستبيح ما لا يباح .

* * *

كانت مكة والمدينة مبعث الدعوة الاسلامية ، والمشرق الأول للحضارة التي هتف بها القرآن ، ثم كان الأزهر بعدهما مذياعا جهيرا لدعوة الإسلام ، تصاعدت فوق مآذنه صيحات الهداية الى الدين والخلق ، وانبثقت من منافذه اشراقية الإصلاح على مارسم الله لعباده ، فكان للأزهر نصيب راجح في التوجيه ، حتى أصبح الشرق وضاء بمعارفه ورشده : في السياسة ، والحكم ، والتعمير ، يوم كان الغرب قائم الجنبات ، عابس الأفق .

والازهر القديم سبق النظم الحديثة ، ففتح أبوابه لكل قاصد ، واتسع لمن ينطق بالعربية أو بالعجمي ، وهرع اليه من أبناء البيوتات من عرفوا أن المجد لا يقوم على غير العلم ولا يتم الا بالثقافة ، وآوى اليه من الفقراء من قست عليهم الأيام ، وجنح اليه كثير من ذوى العاهات المثوفين

الذين لولا الأزهر لظلوا رابضين في قراهم، والذين لا يتسع لهم التعليم المدني حتى اليوم، ومع كثرة أنصاره والدعاة إليه .

والأزهر القديم لم يغفل عن مجارة النهضة ، بل كان مشار الدعوة الوطنية طوال حياته ، وكان آخذاً بنصيبه من الثقافات الحديثة، ومع أن الاستعمار حاربه في غير هوادة، وضيق عليه السبل ، ووقف في وجه أبنائه ، وصورهم في صورة المتخلفين عن الركب المنقطعين عن مجارة الثقافة في تطورها ، وعن مواصلة النشاط الأدبي في آفاقه ، فقد برهن الأزهر في كل مواقفه العالمية على براءته من شوائبهم المختلفة ، وزاحم في المجتمع الجديد بنشاطه وتفوقه .

* * *

ولو أن الأزهر عكف على الدراسات الدينية والعربية وحدهما ، ولم يأخذ بالعلوم المدنية التي أخذ بها، لكان تخصصه في الدين واللغة كافياً له في المضمار العلمي، وكان حسبه أن يتكفل بالتهذيب الديني ، وحراسته للآداب والعقيدة ، ومقاومته للزعات المنحرفة والمبادئ الهدامة ، والتحلل من التقاليد التي تحفظ لمصر كيانها الأدبي ، ولم يكن الأزهر يعاب في هذا عند من يقدرون رسالته ، ويقدرون مصلحة الأمة في التوجيه إلى دينها ، دون أن يشغل الأزهر نفسه بالدراسة المدنية .

ولكن الأزهر لم يعكف على دراسته الأولى ، بل أفسح صدره للكثير من المواد ولكثير من النشاط العلمي والرياضي وسواهما مما تقوم عليه المدارس ، وهو مع ذلك جاد في دعوته الدينية غاية الجِد ، لم يشغله عنها شاغل ، ولكن أناساً منا يغالطون في الواقع ، وينسون أن الأزهر دخل يوماً في مسابقة أدبية مع الجامعة ودار العلوم ، فأخفقت الجامعة ، ونجحت دار العلوم ، وتفوق الأزهر إلى مرتبة الأولوية بامتياز .

يعلمون هذا كله ، ويتناسونه ، ويصيحون بالأزهر أن يحاكي القساوسة في أوربا، ليكون عالمه طبيباً ، أو مهندساً ، أو نحوهما . وهذه شهوة خيالية يراد من ذكرها مجرد الخدش والانتقاص، فليس هناك طبيب حاذق يمكنه أن يكون عالماً إسلامياً متخصصاً، وليس هناك عالم يمكنه أن يهضم الهندسة أو غيرها مع الإمام بالدراسة الإسلامية على النحو المطلوب منه ، وأصحاب هذا الرأي يشذون عن سياسة التعليم العالي وما يقضى به من التفرغ لما يستطيعونه .

فضلاً عن أن مصر والمسلمين بحاجة إلى علم العالم ، وهندسة المهندس ، وطب

الطبيب ، وليس هناك ما يعيب المهندس أو الطبيب إذا لم يكن عالماً إسلامياً ، فكيف يعيب أولئك الدعاة على عالم الأزهر ألا يكون طبيباً أو مهندساً ؟ ! .

أليست هذه الدعوة فكرة بخة ، أو هي مغالطة مقصودة ، وخصوصة جاححة ؟ صاحب هذه الدعوة أديب كبير ووزير سابق ، وله مواقف عدة يشهد الناس ببعضها ، ويشهدون على بعضها ، ومن سوابقه الحميدة أنه ابتدع مجانية التعليم المدني ليقاوم الجهل في محيط الأمة .

فهل يتفق مع تعميم التعليم أن ينادى بإغلاق الأزهر وطمس التعليم الديني ؟ وهل هو حفيظ على مجد مصر إذا سعى في إغلاق الأزهر ، وقطع هذا العصب الذي يكبح الأمة عن الجحوش وعن مطاوعة الغواية ؟ ؟

وهل يغيب عن دكتورنا أن هذه دعاية إلى هجر القرآن والرجوع بالأمة إلى الوراء ، وصرفها إلى الحياة المادية التي تذهب بكل معنى من المعاني الروحية ، وتدفع بنا إلى مواقف يأبأها الطابع المصري ، ولا تتفق إطلاقاً مع أهداف الثورة في خلق جيل جديد وتكوين مجتمع صالح ؟ ؟

* * *

في الجامعة نزعاً خطيرة يجهر بها بعض الشباب تقليداً للملاحدة الغربيين الذين يطيب لهم أن يغمزوا في الدين ويتحللوا من تعاليمه وآدابه . فهل لا يرى دكتورنا أن يصرف عنايته ويسخر قلمه في كلمة ناصحة لأولئك الفتيان المقلدين ؟ ؟

معقول أن يخاصم الأزهر ويحاربه متعصبون من غير المسلمين ، ومعقول أن يخاصم الأزهر سياسيون مستعمرون ، ومعقول أن يخاصم الأزهر بعض المحسوبين عليه ممن لفظهم الأزهر أو عاقبهم على سوء سلوكهم !!!

لأن أولئك وهؤلاء يرون هذا المعهد عقبة شائخة في سبيلهم ، ويرونه كاشفاً لتدبيرهم ، ومقاوماً لخدايعهم . ولكن غير المعقول وغير المستساغ أن يخاصمه مسلم من المسلمين ، فضلاً عن أن يكون مسلماً أزهرياً في نشأته وفي معظم ثقافته .

الحق الصراح - يا دكتور طه حسين - أنك خسارة في هذا العناد . والله يهدينا ويهديك

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

الأزهر وثورة سنة ١٩١٩

الأزهر الشريف أول مسجد أسس بمدينة القاهرة بعد فتح الدولة الفاطمية لمصر سنة ٣٥٨ هـ - ٩٦٦ م ، وبنائها القاهرة واتخاذها عاصمة لها ، وقد ظل الأزهر طوال أيام حياته معين علم ونور وعرفان ، يشع منه نور الشريعة المطهرة على اختلاف المذاهب فيها ، وتدرس فيه لغة يعرب وقطان وآدابها ، يحافظ عليها ، وبلغها للأمة جيلا بعد جيل ، وأمد العالم الإسلامي كله بحاجاته الدينية واللغوية ، وهو في كل ذلك راسخ القواعد شاحخ البنيان ، يؤمه الطلاب من كل فج ، ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم . وقد لعب في سياسة العالم الإسلامي أدوارا كثيرة من أخطر الأدوار التي عرفها التاريخ ، سواء كانت الخلافة الإسلامية في مصر أو في غيرها ، ولقد كان لأهله الكلمة المسموعة ، والنفوذ التام ، حتى أن بعض علمائه باع أمير زمانه لأنه من الممالك .

وقد كان الأزهر دائما في الطليعة ، يحمي الأمة ، ويدفع عنها الخطوب ، ويقف دائما في الصف الأول ذيادا عن كيان الأمة ودفاعا عنها وعن دينها ، حتى كانت تحسب الملوك حسابه . وقد زار الخليفة العثماني مصر في زمن الخديوي اسماعيل وحضر مجلسه علماء الأزهر ، فتقدم إليه واحد منهم - في جرأة الأتقياء وعزّة العلماء - ووعظه ونصحه بنصيحة الإسلام ، وتكلم معه كثيرا في سياسة الأمم والمحافظة عليها وعمل الخير لها ، حتى ظن الخديوي اسماعيل أن الخليفة سيعزله لجرأة العلماء عليه ، ولكن الخليفة كان أحصف رأيا ، وأعز مقاما ، فشكر هذا العالم وشكر العلماء معه . وهكذا كان الأزهر وعلمائه في أدوار حياتهم . وقد قام الأزهر بدور سياسي خطير في زمن الحملة الفرنسية بزعامة شيخ المشايخ إذ ذاك الشيخ عبد الله الشرقاوي رضي الله عنه .

أما ثورة سنة ١٩١٩ فلم تكذبزغ شمسها على يد رجالات مصر المخلصين حتى خب فيها الأزهر ووضع ، وأغار وأنجد في سبيل قضية البلاد ورفع شأنها ودفع كابوس الاستعمار عنها ، لتخلص البلاد لأهلها ، ينتفعون بخيرها ، ويتمتعون بمتعتها الجميلة الحسنة ، فكان علمائه وطلابه يخطبون في كل واد ، وينتشرون في جميع البلاد لينشروا على الناس فضائح

المستعمرين وأكلهم تراث الأمة أكلا لما ، وحبهم لمال البلاد حبا جما ، فكانوا يبتزونه ويحرمون منه أهل الوطن وأصحابه ، ويفرضون على الناس قيودا لا قبل لهم بها ، ويقفون في وجه كل مصلح ، وكانت المظاهرات تخرج من الأزهر منظمة لتذهب إلى السفارات وتنادى بسقوط المستعمرين ، وتناشد سفراء الدول أن يشرحوا لدولهم مخازى الإنجليز التي كانوا يرتكبونها في مصر ، وكانوا يقمعون المظاهرات بالقوة العاشمة ، ويقتلون المتظاهرين البرءاء الذين ينادون برفعة بلادهم وتركها لهم ، وكان تلاميذ المدارس وطلاب المدارس العليا ينضمون إلى أهل الأزهر في المظاهرات ، وقد قامت الأمة عن بكرة أبيها - بفضل الأزهر وإرشاده - تتابع زعماءها تتحى ظهورهم ، ليدافعوا عن حقوقها ، ويستخلصوها من يدى غاصبيها وأنوفهم في الرغام ، وقد عمل السادة العلماء حفظهم الله منشورا أرسلوا به إلى السفارة الإنكليزية وإلى جميع السفارات ، ونشروه على الأمة في الصحف والمجلات جاء فيه ما معناه : ان الاستقلال حق من حقوق الأمم لا يصح لأى أمة أن تنتزعه من أمة أخرى ، مهما قل عددها وضعفت مواردها ، وقد خلق الله الأمم أحرارا ، وملكها شأن نفسها ، وجعل التعاهد بينها تعاهد الأنداد الأحرار الذين يعملون لمصلحة بلادهم ورفع مستواها في الداخل والخارج ، ثم أهاب بالإنجليز أن يعرفوا تلك الحقيقة ، وأن يتركوا البلاد لأربابها يشرحون ماءها ويستظلون بسمائها ويستثمرون خيراتها الخ ما جاء في البيان .

وقد كان لهذا البيان صدى كبير في جميع دول العالم ، فأقلق بال الإنجليز وأضل أعمالهم ، إذ كان الأزهر وأهلوه حملة مشاعل الوطنية يمشون بها أمام الزعماء وخلفهم ، وكان للأزهر المقام المرموق في الدول الذى يجعل بيانه فوق كل اعتبار ويحسب له ألف حساب . وكان الأزهر المعقل الوحيد لخطباء الثورة من الزعماء وغيرهم من جميع النواحي والبلاد ، فكانوا يجتمعون فيه كل ليلة ، ويؤمه الناس من كل صوب ، يستمعون للخطباء وينصتون إليهم في حرص ، وهم يشرحون مساوئ الانكليز ومخازيهم ، ويدثون كرههم إذ ذاك في قلوب أبناء الأمة ، إذ كانوا يتحكمون فيهم ويحرمونهم خير بلادهم ، حتى ضاقت الأنجليز ذرعا بالأزهر ، وحاولت بشتى الحيل أن تمنع الاجتماع في الأزهر ، فخاب أملها وطاش سهمها ، ولم تستطع ذلك رغم ما بذلته في هذا السبيل من سد أفواه الطرق الموصلة للأزهر والشوارع التي تنتهى إليه ، ولما لم يجدهم ذلك نفعا قصصوا إلى نفس الأبواب فأغلقوا بعضها وأبقوا بعضها مفتوحا ، وجعلوا على جميع الأبواب حراسا منهم يمنعون الداخل من الدخول ويتركون الخارج ليخرج ، ولكنهم مع ذلك كانوا يرون الناس منصرفين من

الأزهر بعد سماعهم الخطابة أفواجا أفواجا ، فكان ذلك يغيظهم ويحرق قلوبهم ، فأغلقوا جميع الأبواب إلا بابا واحدا وهو الباب الكبير المسمى (باب المزينين) وأجلسوا الحراس منهم أمامه يمنعون الناس من الدخول ، ولكنهم نسوا بابا صغيرا لم يكونوا يعرفونه ولا يعرفه أذناهم ، لأنه كان بعيدا عن الأنظار ، إذ كان صغيرا ويوصل إليه من أزقه ضيقة يتصل بعضها ببعض ، ويسمى « باب زاوية العميان » أو « باب الجهورية » لأن به قبر جوهر القنبقاني الذي أنشأ مدرسة رواق الجهورية في أوائل القرن التاسع الهجري ودفن بها سنة ٧٤٤هـ ، فسمى الباب باب الجهورية لذلك ، ولما كان بجوار زاوية كانت للعميان اشتهر بباب زاوية العميان ، فكان الطلبة الأزهريون يقفون عند أبواب الأزهر الأخرى المغلقة ويرشدون الذين يؤمون الأزهر الى باب زاوية العميان ، وكانوا في بعض الأحيان يضعون أمارات لهذا الباب من تبن أو جير يتبعها الماشي حتى يصل الى هذا الباب فيدخل .

وأنة لمن المضحك أن الجنود الانكليز الذين كانوا يحرسون الأبواب علقوا بأذهانهم كلمة العميان ، وكانوا يظنون أن الطلاب يقولونها لصرف الناس عن دخول الأزهر ، فكانوا هم كذلك يقولون لمن جاء ليدخل الأزهر : إميان إميان ، يعنون زاوية العميان ظنا منهم أن ذلك يصرف الناس عن الأزهر ، وظل الحال هكذا حقبة طويلة ، وهم مع منعهم الناس من الدخول يرونهم عند الخروج كثيرين جدا ، فقلقوا لذلك قلقا شديدا ، حتى أرشدهم أذناهم من السامسة الى باب زاوية العميان فأغلقوه وأحكموا رتاجه وأجلسوا الحراس أمامه ، وما كان هذا ليصد المصريين عن أزهرهم أو يفت في عضدهم ، فذهبوا الى شارع ضيق شرق الأزهر ، ومكانه الآن شرق كلية الشريعة : يسمى (درب الخلفة) وبينه وبين الأزهر بيوت كثيرة في مسافة غير قصيرة ، فاستأذنوا أصحابها أن يدخل الناس من أبواب تلك البيوت ويمروا على السقوف حتى يصلوا الى سطح الأزهر ، وهناك ينزلون الى استماع الخطابة ، فأجاب أصحاب البيوت فورا ، إذ كان المصريون كلهم يدا واحدة في حرب المستعمر ، ولما كانت السقوف بعضها مرتفع وبعضها منخفض وقف الطلاب عند السطوح المرتفعة ليرفعوا إليها من الناس من يكون على السطوح المنخفضة ، ووقف طلاب آخرون عند السطوح المنخفضة ليتلقوا من يكونون على السطوح المرتفعة .

وهكذا ظل الأزهر علماءه وطلابه يخدمون الحركة الوطنية بكل ما أوتوا من قوة وأعطوا من مهارة ، وكان الزعماء يفدون إلى الأزهر ليخطبوا فيه ، فخطب سعد باشا زغلول وأبو شادي وعبد اللطيف الصوفاني ، وغيرهم كثير ، وكان يخطب فيه شباب الجامعة

المصرية وكثير من الموظفين الكبار ، وكانت الخطابة لاتنقطع منه لايلا ولا نهارا ، وكان الأزهر ينظم المظاهرات من حين إلى آخر لتجوب الشوارع وبخاصة شوارع السفارات تهتف لمصر وباسم مصر ، حتى أن حكامدار العاصمة ، وكان انكليزيا مشي في بعض المظاهرات ، وكانت تضم طلاب الأزهر وطلاب الجامعة والمدارس وكثيرا من الأهالى ، واخترقت المظاهرة شوارع كثيرة حتى وصلت إلى شارع العباسية ، فأراد المتظاهرون أن يمشوا من جهة تسمى جهة الحسينية ، فسأل الحكمدار عن الشارع الذى يريدون المرور فيه ، فلما أخبر بأنه « الحسينية » أبى كل الإباء أن يمر من هذا الشارع رغم الحاجة الكثيرة عليه والضمان له أن تمر المظاهرة سليمة لاشية فيها ، فزاده ذلك إصرارا ، وتبين بعد أن سبب ذلك يرجع إلى أن هذا الشارع كان قد أذاق بعض الفرنسيين فى حملة نابليون العذاب الأليم ، فمنعه ذلك من عبوره .

ومن المظاهرات الأزهرية التى كان لها بين الناس دوى مشكور مظاهرة يسميها الأزهريون « مظاهرة المحكمة العليا الشرعية » إذ خرج الأزهريون من الأزهر الشريف إلى المحكمة العليا الشرعية بالحلمية ، وكان يحمل العلم فى هذه المظاهرة شاب جلد محب لوطنه مخلص فى حبه ، فقاد المظاهرة حتى وصلوا إلى المحكمة الشرعية فأخرجوا من كان فيها من القضاة والمتقاضين ، ثم خرجوا يقصدون إلى السفارات ، وبيناهم يتأهبون لذلك إذا بالجنود يحدقون بهم من كل جانب ، ففر من فر وبقى من بقى ، وظل حامل العلم واقفا فى مكانه لا يريم عنه ، حتى قصده الجنود ليأخذوا منه العلم ، فأبى عليهم ذلك ، وقال : لأسلمه ما دام فى عرق ينبض ، فأن شتم أخذوه فاقتلونى ، ولكن الجنود - وكانوا مصريين - ضنوا بأخيمهم المصرى أن يقتلوه فساقوه بعلمه هو ومن أمسكوهم من المتظاهرين إلى المحافظة ، فدخلوها جميعا ومعهم صاحب العلم رافعا إياه حتى دخل به المحافظة وهو هكذا مرفوع ينادى بظلم الظالمين ، ثم مكثوا فى المحافظة أياما نقلوا بعدها إلى قسم الأزبكية ليحاكوا هناك أمام محكمة مؤلفة من إنكليزيومصريين لحكت عليهم بغرامة . وما أن علم بعض الأزهريين بذلك حتى جاءوا فدفعوا الغرامة عن كثير ، منهم صاحب العلم ، وبقى قليل من اخوانهم الأزهريين لم يدفعوا لهم ولم يدفعوا هم عن أنفسهم لضيق ذات يدهم ، فقصد صاحب العلم الى الأزهر فقبل هناك مقابلة الفاتحين لصيانة العلم فى يده ، ولكنه قال لهم : كيف تهدأ نفوسنا ولنا اخوان فى السجن ضاقت مواردكم عن دفع الغرامة عنهم ، وفى الحال أخذ الأزهريون يكتتبون لإطلاق سراح اخوانهم . وإنه لما يملأ النفس غبطة وسرورا أن بعض الأزهريين دفع كل ما معه ، ثم أخذته

الحماسة والغيرة على اخوان له يجاهدون في سبيل بلادهم ودينهم ، نفلح جلبابه وألقى به الى صاحب العلم الذى كان يجمع التبرعات وقال له : به ، فنادى فى الحاضرين من يشتري هذا فاشتره بعض الأزهرين بأول عطاء ، وأخذوه وردوه الى صاحبه ، فكان منظرا مؤثرا ، وفعلوا جميلا حقا .

ثم ذهب الطلاب مع صاحب العلم بما جمعوه الى منزل المرحوم الشيخ مصطفى القاياتى ، وكان عالما من أعلام الثورة ، فعدوه أمامه فوجدوه ناقصا عما يجب أن يدفع لهؤلاء المواطنين المحبوسين لوطينتهم ، فدفعه رحمه الله ولم يات الإخوان الا وهم مثل اخوانهم أحرار لا سلطة لأحد عليهم .

هذا مما فعله الأزهر فى ثورة سنة ١٩١٩ ، وهكذا الأزهر طول حياته يتصدر الحركات الإصلاحية وبينها ، ويلعب الأدوار التى تذكىها ، إذ أن علماءه وطلابه ينتشرون فى طول البلاد وعرضها ، ولهم قدرة عجيبة على إقناع الناس وإفهامهم .

والأزهر - شيخه وعلمائه وطلابه فى ثورتنا الحاضرة وقاها الله وحفظ رجالها الأحرار المخلصين - كسابق عهده ، ينشر فى الناس فضائل الثورة ومما عملته للبلاد مما حفظ كرامتها وأعز مكانتها ، وهاهى تلك البلاد مازالت فى حماستها لتسليح جيشنا المظفر وقاه الله وأهلك عدوه . وهاهم هؤلاء الوعاظ بالأزهر منتشرون فى البلاد كلها يحفزون الناس لتسليح الجيش ، ويثبون فى نفوسهم ذلك الشعور الحى بما يجب أن يقدم للجيش ويبدل فى سبيل تسليحه وإتمام عدته وعتاده .

وقد عمل لذلك مدير الوعظ منشورا بأمر فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر أرسله لجميع الوعاظ - جاء فيه :

انكم تعلمون ما قام به السيد الرئيس جمال عبد الناصر من عمل رائع قوى أثار إعجاب الشرق والغرب بشأن تسليح الجيش المصرى ، إيماننا منه بأن عزة الأمة وكرامتها فى قوة جيشها واستعدادها » الى أن قال : «لذلك نهيب بكم وبالسادة الوعاظ بمنطقكم أن تسهموا بأموالكم وتعملوا دائمين لحفز الامة على الاسهام فى هذا المشروع الجيوى العظيم ، وقد عودتنا الأمة الكريمة المسارعة الى الاستجابة لكل عمل نافع يعود على الوطن بالخير والقوة والعزة » الى آخر ما جاء فى هذا المنشور ، فاستجابت الأمة والحمد لله ، وبرهنت للعالم أجمع أنها أمة عزيزة قوية .

نسأل الله تعالى أن يصون لها رجالها الأكرمين رجال الثورة العاملين المخلصين ، ويحفظ لها أزهرها الشريف معقل دينها ومحط آمالها وينبوع الشريعة المطهرة ، انه ولى التوفيق ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ما

محمد الطنبجى

عضو جماعة كبار العلماء

بيان

يصدره معهد الاسكندرية الدينى

لمصلحة من تثار هذه الزوبعة ؟

يحلوا لبعض الكتّابين فى مصر أن يثيروا فى الحين بعدالحين حول التعليم الدينى فى الازهر زوبعة يخونهم التوفيق فى تخير المناسبات التى يحسن أن يتناولوا فيها بأقلامهم هذا النوع من التعليم الذى يقوم على الاضططلاع به ونشره الازهر الشريف ، معهد الإسلام الأكبر منذ أكثر من ألف سنة ، وهو يراوح الأحداث ويغادياها ، فما فلت له قناة ، ولا ألانت له صفاء .

والازهر يعلم أنه لا يعيش فى حياته الطويلة عيشة مفروشة بالورود والرياحين ، ويعلم أنه لا يحيا حياة ممهدة خالية من البسلايا والمحن والارصاد التى ترصد له ، بل هو يعلم أنه يعيش فى ميدان الجهاد والجلاد أبدا ما بقى فى الأرض لإسلام ومسلمون ، وما بقى لهذا الإسلام وأولئك المسلمين أعداء يترصدون به وبهم الدوائر، ويبغونه ويبغونهم الغوائل، وهو يعلم أن هذه الصهيونية الفاجرة التى أناح لها ملاحدة السياسيين وجهلاؤهم بالإسلام فرصة الحياة فى أولى القبلتين ، إن هى إلا لون من ألوان الصليبية الغربية ، تحركها العصبية البغيضة ضد الإسلام والمسلمين من وراء البحار ، ويلعب فى مسرحيتها الدولار الأمريكى والمسكر السكسونى الخبيث الدور الاول والاخير ، وهو يعلم أن هذا الفجور الإجرامى الذى ترتكبه فرنسا فى المغرب الإسلامى إن هو إلا حلقة فى سلسلة التعصب الصليبي ضد الإسلام والمسلمين .

والازهر يعلم بعد ذلك أن فى قلب بلاد الإسلام أقلاما عربية تكتب بمداد عبرى ووحى صهيونى ضد العرب والإسلام ، لتمهد الطريق أمام الاستعمار الفكرى والروحى والخلقى ، عوضا عن الاستعمار السياسى والاقتصادى الذى أصبح مفضوح السريرة مكشوف العورات .

الأزهر يعلم كل ذلك ، ويعلم أنه هو المعهد الإسلامى المفرد فى شرق الأرض وغربها الذى أرادته الله وأرادته الحياة الإسلامية أن يتخصص فى دراسة الإسلام ويكون الحفيظ على تراثه فى صورته الحقيقية التى نزل عليها من السماء ، والتى ربت الأمة العربية على العزة ، ونفخت فيها روح التجمع لحل راية هذا الدين ، والانسياب بها فى أرض الله ، داعية إلى التوحيد والوحدة ، وإلى العدل والرحمة ، وإلى المساواة بين الأفراد والجماعات والأمم ، حتى لا تكون أمة هى أربى من أمة ، تتعالى عليها وتتعمق فى مصيرها ، وحتى يعيش الناس كما ولدتهم أمهاتهم أحرارا .

ولقد قامت الأمة العربية بتبليغ هذه الرسالة ، وأدتها إلى الإنسانية خير قيام وأحسن أداء ، يوم أن كانت كلبتها مجتمعة ورايتها واحدة ، تعزى بالإسلام وتتعصب للحق ، لاتأخذها فى نصرته لومة لائم ، فلما تحولت عن سنن العزة الإسلامية ، وجهلت شريعة الإسلام ، واطرحت آدابه وتعاليمه ، وهان عليها أمره ، نفذت إلى قلبها سهام الفرقة ، فتفرقت إلى دويلات هزيلة ، وأمم ضعيفة مستضعفة ، وطمع فيها من لا يدفع عن نفسه .

والأزهر لا ينسى أنه مقصود بالكيد من الصليبية الغربية منذ أن اندحرت مغلوبة على أمرها مهزومة شر هزيمة حربية أمام القوة المسلحة التى كانت تقودها مصر ، إلى أن نفت (غلاستون) داهية بريطانيا ورئيس وزرائها عن حقه الدفين ضد الإسلام يوم وقف وفى يده المصحف وهو يقول : ما دام هذا القرآن بين المسلمين فلن يفلح استعمارنا فى الشرق ، إلى أن قال ذلك القائد المغرور اللورد النبى كلمته فى احتلال بيت المقدس .

عرف الأزهر كل هذا وعرفته معه مصر والعالم الإسلامى ، وعرفت مصر أن زعامتها الإسلامية معقود لواؤها بناصية الأزهر الذى انفرد برسالة لا يسد مسده فيها معهد فى أرض الله ، ولا يغنى غناؤه فيها جامعة من الجامعات ، لا هذه المدارس والجامعات المدنية التى يوجد لها أمثال وأمثال فى جميع أرض الله تغنى عن الرحلة إليها والتلذذ عليها ، فإذا اتجه العالم الإسلامى إلى مصر فهو يتجه إليها لأنها حاضنة الأزهر معهد الإسلام الأعظم ، لا يمارى فى ذلك إلا أصم لا يسمع ، أو جاهل لا يعلم ، أو حاقد لا يسلم .

ومن المسلم به أنه لا توجد أمة من أمم الإسلام اليوم يحفظ فيها القرآن حفظاً كاملاً سوى مصر ، ومن المسلم به أن حفظ القرآن لا يريده الإسلام لمجرد حفظ آياته وسوره ، ليقرأ في الأفراح والمآتم ، وإنما يريد الإسلام من حفظ القرآن الكريم أن يدرس باعتباره دستور الحياة الإسلامية : في عقائدها وعبادتها ومعاملاتها وشؤونها السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحياتها الخلقية والتربوية والفكرية والروحية ، في الأسرة والمدرسة والمجتمع بين الأفراد والجماعات ، وإلى جانب ذلك السنة النبوية تفصل ما أجمل ، وتبين ما أبهم ، وتقيد ما أطلق ، وتشرح ما غمض على العقول والافهام ، وهذا هو الفقه الاسلامي الذي استنبطته أئمة الإسلام من الاحكام .

ومن المسلم به أن ذلك لا يمكن أن يتحقق إلا إذا كان قائماً على أساس من النظام الدراسي في حلقات متتابعة ، تبدأ بحفظ القرآن واستظهاره والإحاطة بعلومه وقراءاته ، ثم بدراسة الفقه الاسلامي دراسة متدرجة تدرجاً تصاعدياً يتبع سن الطالب ونمو قواه الفكرية والروحية ، ثم دراسة التفسير والحديث دراسة تفصيلية يعرفها الاسلام في تاريخ الازهر ومدارس الاسلام من قبله ، ثم دراسة علم العقيدة ، وتشديد حججها التي تدفع عن قلوب المؤمنين شبه الملحدين ، ثم دراسة التاريخ الاسلامي والعالمي ، لمعرفة مآمر على الحياة من أطوار ومظاهر ، ومن وراء ذلك كله دراسة اللغة العربية : نحواً وصرفاً وبلاغة وأدباً في مصادرهما الواسعة ، ثم ما يعين على ذلك ويوسع مدارك المتعلم من شتى الفنون : من طبعة ، وكيمياء وحياة ، وحساب ، وجبر ، وهندسة ، وجغرافيا .

هذا تصوير مجمل لمناهج الازهر التي يدرسها والتي تقوم حياة أبنائه على إجادتها ، وقد شعر الازهر أنه في حاجة إلى دراسة لغات غير لغته العربية ، فأدخل في برامج كلياته دراسة لغات شرقية وغربية ، ثم ألححت عليه الحاجة فبدأ يفكر في إدخالها في برامج المعاهد الابتدائية والثانوية ، ولم يشأ الازهر الحديث أن يقصر تعليمه على الشبان والفتيان بل رأى أن يشرك الفتاة المسلمة في هذه الثقافة الاسلامية ، فعزم على افتتاح دراسات يقيح فيها الفتاة المسلمة ما يتيح لآخيا وزميلها الفتى المسلم ، فإذا يراد من الازهر وراء ذلك ١٩ .

يقول بعض الكتّابين : إن قساسة الدين المسيحي فيهم أطباء ومهندسون وموسيقيون الخ ، ونحن لولا أننا نعلم أن هؤلاء الكتّاب يغلب عليهم المزاج الساحر ساعة الجذ صارم لرددنا عليهم بأنفسهم واتخذناهم مثلاً مضروباً ، فهم ليسوا أطباء ولا مهندسين ، ولا نعرف لهم صنعة يعيشون من ورائها سوى هذا الكلام يكتبونه في الصحف ، فإذا تجمع صنعوا منه كتباً ، ولو اصطنع هؤلاء الجذ فيما يكتبون لصوروا للناس حقيقة دراسة الاسلام وعلومه وصلتها بالحياة العملية الواقعية ، ثم إذا شاموا — إن كانت لهم شجاعة — وازنوا بين هذه الدراسة وما يختارون .

ولو أراد هؤلاء الجذ فيما يكتبون لما أقام كتابهم الدنيا وأقعدوا حينما ترمى إلى سمعه أن النية متجهة إلى توحيد معاهد تخريج مدرسي اللغة العربية في المدارس ، وكان هذا بالطبع سيقضى على شعبة اللغة العربية في كلية الآداب ، فقام يدافع عن هذه الشعبة ويذكر لها تاريخها الطويل العريض II ، وطلب إلى ولاية الامور أن يحتفظوا بهذا التاريخ .

سبحان الله ! شعبة في كلية قريبة العهد من جميع المعاصرين يكون لها في أنفسكم هذا المكان ، والأزهر بتاريخه الحفيل لا يساوى عندهم إلا أن تحرضوا عليه ، وتغفروا به ، ليهدم في عزم صارم . ما هذا ؟ أكل هذا الجذ الحازم والعمل القوى القاهر الذي يأخذ به قادة الثورة أنفسهم في سبيل رفع شأن أمتهم وتطهيرها من الفساد والمفسدين لم يوقظ قلوبكم ولم يجعلكم تفتيقون من سكرات الماضي — ألا يقول لنا هؤلاء الكتّابون لمصلحة من يكتب هذا الكلام في هذا الوقت الذي تنداعى فيه الأمة إلى جمع الكلمة وإعداد العدة والقوة للعدو الذي يوشك أن يشتبك مع جيشنا الباسل ؟ ! إننا نشك ونشك ، لأن هذا النغم كان يطرب منه رجال الأحزاب الفاسدة المفسدة التي كانت حياتها قائمة على تفريق كلمة الأمة ، وتسخير بعض الطوائف ، وإغراء الحكومة على بعض الطوائف التي لم تعرف النفاق والمشى وراء العربات .

إن العبث ساعة الجذ حماقة ، والضحك وقت البكى بلاهة ، ولم يعد للبلاد سيد يتعلق بهذا الكلام ، فأريحوا أنفسكم ، فالحكومة القائمة في مصر اليوم حكومة ثورة ، لا تحتاج إلى هذا الملق الرخيص ، فهي أعرف بطرق الإصلاح ، وهي ليست في حاجة إلى مشيرين ،

فقد أقنعتهم التجارب بمقليات القدامى من عملوا مع الاحزاب البائدة ، وهى أعرف بمكانة الازهر فى العالم الإسلامى ، والازهر والازهريون يربأون بها - وعلى رأسها بطل العروبة ومعتقد آمال الإسلام الرئيس جمال عبد الناصر - أن تصفى إلى هذه النعمة المفرقة .
وليس الازهر أشخاصاً يذهبون ويجيئون ، إنما الازهر فكرة فى ضمير الإسلام ، فهو حى لن يموت مادام الإسلام حيا خالداً .

ولو اتسع الوقت لابقسامه ساخرة لقلنا لهؤلاء الكاتيبين : إننا ندعوكم إلى استفتاء شعبى لتقرير مصير الازهر ومصيركم ، ونحن على استعداد أن نقول للامة فى صراحة إنما إما أن تكون فى حاجة إلى أزهرها يؤدى لها وللعالَم الإسلامى رسالة الإسلام ، فلتعده بما يعينه على القيام بواجبه ، ولتطلب اليه فى صراحة ما تريد من إصلاح فى مناهجه وبرامجه فى حدود رسالته وتاريخه - وإما أن تكون قد أصبحت فى غنية عنه ولا تريد الإسلام الذى يدرسه كما تلقاه عن المسلمين الاولين ، بل تريد إسلاماً عصرياً (أمريكياً) أو (فرنسياً) فلتقرر مصيره إلى الفناء . وفى متأنى الأرض أمم كثيرة تريده وتريد دراسته وتحنى لو تعفر جباهها من أديمه ، وعندئذ يتلو قول الله تعالى : (ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغماً كثيراً وسعة) وإن الله غيور على دينه ، فاحذروا نقمات الله وبطشه . والسلام على من اتبع الهدى ؟

صادق عزمونه

عن هيئة التدريس
بمعهد الإسكندرية الدينى

المتقلب فى الاحزاب

ومن تقلب فى الاحزاب منتجعاً إن أقفر الشام ألفيناه فى الدين
محمد الأسمر

توحيد التعليم

يقصد بتوحيد التعليم إلغاء التعليمين الابتدائي والثانوي بالأزهر وإدماجهما في التعليمين الابتدائي والثانوي العامين بالدولة . وهذه فكرة قديمة يثيرها بعض الناس في مناسبات خاصة ، واقفه أعلم بنياتهم فيها ، غير أن المناسبات التي تظهر فيها والملايسات التي تحيط بها تدعو إلى الريبة والشك ، وتؤمى إلى شيء هو أبعد ما يكون عن الرغبة في الإصلاح العام . فمن القائمين بهذه الدعوة من عرف بالشذوذ في أفكاره ، وقامت شهرته على هذا الشذوذ ، كما عرف بأنه يطلق شراعه لكل ريح ، ويصطاد في كل ماء ، عسى أن يصل إلى الهدف ويبلغ الغاية .

وأهم الأسباب التي تبنى عليها هذه الفكرة في زعمهم — كما عرفنا من مقالاتهم — الرغبة في توحيد الثقافة بالدولة ، لأنه السبيل إلى توحيد أفكار أبنائها وشعورهم وعدواطفهم ، فإن اختلاف معاهد العلم يجعل من الأمة طوائف متنافرة متباغضة تنظر إلى الشيء الواحد نظرات مختلفة ، حتى زعم أحد أنصار الفكرة أن مذاقمهم للطعام يختلف باختلاف المعاهد التي يتخرجون منها .

ونحن — مع تقدير حسن الظن بنيات هؤلاء — نناقشهم في الأسباب التي بنوا عليها فكرتهم ، عسى أن نقنعهم بالخطأ فيها فيعدلوا عنها لتنام الفكرة فتنام الفتنة . وما أشد فتنة الناس بما يتصل بالتعليم الديني أيا كانت مصادره .

ولما لا نحاول أن ندعو هؤلاء إلى الإقلاع عن فكرتهم باسم الدين حتى لاتهم بالتعصب ، فما أهون هذا الاتهام في هذه الأيام . ولأننا نقاشهم في الفكرة من الناحية التعليمية والاجتماعية والاقتصادية ، لنبين لهم أنه ليس هناك ناحية من هذه النواحي تدعو إلى تنفيذ هذه الفكرة ، بل إن هناك ضرورة من الناحية التعليمية للإبقاء على المرحلتين الابتدائية والثانوية بالأزهر .

لا شك أن هذا العصر قد امتاز بأنه عصر التخصص في فروع المعرفة ، فللطب تخصص ، وللهندسة تخصص ، ولغيرهما من العلوم تخصص . بل إن للفرع الواحد من فروع المعرفة جملة تخصصات كما في علم الطب : فهناك تخصص لطب العيون ولطب الآذان وما إلى ذلك مما هو معروف . ذلك أن التخصص يعين على استيعاب المعارف واتقانها وهضمها ، ويعد الانسان إعدادا كاملا لرسالته . ووجود المعاهد الثانوية والابتدائية الخاصة بالأزهر نوع من التخصص المبكر نظرا لطبيعة المواد التي سيدرسها الطالب الأزهرى في التعليم العالى ، فإن طبيعة هذه العلوم وأسلوب التأليف فيها وتشابكها توجب أن تكون مراحل التعليم على النحو الموجود بالأزهر من وجود تعليمين ابتدائي وثانوي خاصين به تمهيدا للتعليم العالى ، لتكون ثقافة الطالب متسلسلة مترابطة . وإن هذا النوع من التخصص المبكر تعترف به الدولة في مدارسها الثانوية العامة ، فهناك شعبة للرياضة ، وشعبة للعلوم ، وشعبة للآداب ، هذا عدا عشرات من المعاهد الخاصة للتعليم الخاص .

* * *

إن وجود التعليمين الابتدائي والثانوي الخاصين بالأزهر ضرورة لا بد منها لإعداد الطالب الأزهرى للدراسة العالية ، ولا يغنى التعليم العام بالدولة عنهما ، ولا يهيئ الطالب لها ولا يعدده لإداء رسالته الدينية ، لأن المواد الدراسية الشرعية واللغوية والعقلية التي يدرسها الطالب الأزهرى إنما يدرسها موزعة على مراحل التعليم الثلاث توزيعا مناسباً لمداركه ، فيدرس في التعليم الابتدائي المواد التي تناسبه ، ثم ينتقل إلى الثانوي ثم إلى العالى ، ولا يمكن ضغط المواد الدراسية الأزهرية في أربع سنوات فقط هي مرحلة التعليم العالى كما يرى أصحاب الفسكرة ، لأن هذه المواد تدرس الآن في الأزهر في اثني عشر عاماً ويحتاج المتخصص فيها إلى عدد آخر من السنين ، وليس ذلك ببدع في الأزهر فهذا شأن كثير من الجامعات التي ينظم برنامجها بعض المواد العويصة كالفلسفة والطب ، كما أنه ليس ببدع أن ينفرد الأزهر بتعليم خاص في مراحلها كلها ، ففي فرنسا نوع من التعليم الابتدائي الدينى الخاص والثانوي الخاص لإعداد الطلاب للدراسة الدينية العليا ، كما حدث بذلك أحد أساتذة الجامعات الفرنسية ، وقد يعرف ذلك من خبر نظم التعليم بفرنسا عن يقوم بالدعوة إلى توحيد التعليم في الأزهر .

* * *

إن التعليم العام للدولة لا يعد الطالب للدراسة الدينية العليا ، لأن صلته بالتعليم الديني العالمي ضعيفة جداً كما هو واضح من منهاج الدراسة فيه ، فلا بد إذن من دراسة دينية ابتدائية وثانوية خاصة ، تركز عليها الدراسة العالية . والدراسة الدينية العالية دون هاتين الدراستين بناء على غير أساس ، وإن أمكن ذلك كانت دراسة رسمية سطحية لا تؤدي إلى الغاية المطلوبة منها ، وهي تكوين رجل الأزهر تكويناً كاملاً يمكنه من أداء رسالته في نشر الدين بعد فهمه فهماً صحيحاً من مصادره المختلفة . والمصادر الدقيقة لا يمكن فهمها فهماً صحيحاً إلا بدراسة جملة من العلوم دراسة دقيقة يسميها العلماء وسائل : كالنحو والصرف واللغة والأدب والبيان وغيرها ، ونظم التعليم بالأزهر توزع هذه العلوم على مراحل الثلاث . وإنا لانلقى هذا القول جزافاً ، ويكفي في الدلالة عليه شهادة منصفة خالصة من بعض الدعاة إلى توحيد التعليم ، ومنهم من خبر طبيعة العلوم الإسلامية وأساليب تأليفها كما خبر غيرها من العلوم والثقافات الأجنبية .

* * *

هذا من الناحية التعليمية أما من الناحية الاجتماعية التي يتذرع بها أصحاب الفكرة إلى تحقيق فكرتهم ، فإننا نرى أن حديثهم فيها نوع من العبث أو السخرية أو الاستهانة بقول القارئ ، فإنهم يقولون إن أفراد الأزهر بتعليمه الخاص في المرحلتين الابتدائية والثانوية يدعو إلى خلق طوائف من الأمة : لكل منها مزاج خاص ، وتفكير خاص ، وأسلوب معاش خاص ، فتصبح الأمة جماعات متنافرة متناكرة ، لآلئة بينها ولا انسجام ، وإنا نقول لهؤلاء العابثين : إن صحت بقدمتكم هذه وجب بمقتضاها إلغاء المعاهد المختلفة ، وإلغاء تدريس العلوم المختلفة ، ووجب الاكتفاء بمعهد واحد ، يدرس لونا واحداً من المعرفة ، فيكون متعلمو الأمة على نسق واحد ، ويكونون إما أطباء وإما مهندسين وإما قضاة ، ولا يصح أن تنوع المعاهد ولا تختلف المواد الدراسية صونا لوحدة الأمة واحتفاظاً بفضيلة الانسجام بين أبنائها ، ويجب أن تكون دور العلم كدور ضرب النقود لا اختلاف بين مسكوكاتها ولا تفاوت . ألا ما أحوجهم إلى شيء من الإنصاف بل إلى شيء من الحياء !!

* * *

بقيت هناك الناحية الاقتصادية ، ولم يتعرض لها أصحاب الفكرة ، ولعل ذلك عن نسيان

وقد يقولون — إن تذكروها — : إن في اختلاف التعليم بالازهر وغيره إسرافا في أموال الدولة دون ضرورة إليه . ولنا نقول لهم . إن التعليم بالازهر لا يكلف الدولة أكثر مما يكلفها التعليم العام ، فضلا عن أن للازهر موارد خاصة من أوقافه لو أحسن القيام عليها لسدت كثيرا من نفقات التعليم به . ولنفرض أن نفقات التعليم بالازهر وغيره متساوية فما الضرورة إلى إلغائه ؟

هذه أسس الفكرة ، وقد تبين مما ذكرناه أنها أسس واهية لا يقوم عليها بناء ، وإنما هي أوهام أوحى بها الغرض أو الجهل بحقائق العلوم وطرق التعليم في الازهر ، ولعل فيما قدمناه ما يقنع أصحاب الفكرة بالعدول عنها إن كان المجال مجال مناقشة وإقناع .

وبعد - فإن الازهر بنظمه الحاضرة بل بنظمه القديمة قد أنجب لمصر وللعالم الإسلامي أعلاما في الدين وفي السياسة وفي الاجتماع وفي الأدب ، قامت على أكتافهم الهضات العلمية والاجتماعية والسياسية بمصر وغيرها من الأمم الإسلامية ، وكانوا الأئمة والقادة ، وظلت أعمالهم شاهدة بخصوبة تعليمه وصلاحيته لإعداد القادة والزعماء .

ألا وإن الازهر ليس لمصر فقط ، وإنما هو للمسلمين كافة ، وقد عرفه المسلمون بهذه النظم ، وأولوه الثقة بهذه النظم ، وفاخرت به مصر بهذه النظم ، فكل تغيير فيها لابد أن يراعى فيه رغبات المسلمين وشعور المسلمين ، ولا بد من تقدير ما سيعود على مكانة مصر في العالم الإسلامي إذا تعرض الازهر للهزات التعليمية ، وانحرف عن الصفة العلمية التي عرف بها ؟

أبو الوفا المراكشي

مدارس الناس

أرى شعبا تحير ناشئوه فما يجدون من عمل قواما
فلا أسس التجارة فيه قوت ولا ركن الصناعة فيه قواما
مدارس لم تهتمم لكسب ولم تبين الحياة ولا النظاما

شوقي

التجنى على الازهر

أحب أن أنبه في صدر هذا المقال إلى أن النداء بتوحيد التعليم الدينى والمدنى لا يسمى إلى الازهريين أنفسهم فى كثير ولا قليل ، ولا يعنهم من أمر هذا التوحيد أكثر مما يعنى كل غيور على بقاء الازهر رمزاً لهذا التعليم الدينى الذى آتى أكله قروناً عديدة ، مما لا يحجده إلا مكابر لا يستند من الحجة على شيء .

فالازهريون أنفسهم ليسوا إلا أساتذة يشغلون الوظائف فى الوزارات والمصالح ، وحقوق هؤلاء مكفولة بما يقدمونه للدولة من عمل ، وبما ينهضون به من رسالة فى التعليم أو فى غيره . بل إن الازهريين الذين يعملون فى غير الازهر أحسن حظاً من أقرانهم فى الازهر نفسه ، بل الإعجب من ذلك أن من الازهريين الذين يعملون خارج الازهر تلامذة يجدون من المكان المسمى ما لا يجده أساتذتهم فى كليات الازهر ومعاهده ، أما الازهريون الأساتذة فى الازهر نفسه فيوم أن تنسكب مصر - وحاش لله أن يكون - بتوحيد التعليم أو بما هو مطلوب ويهربون من الجهر به وهو إلغاء هذه الجامعة ، فيسئقل أساتذة الكليات إلى كليات الجامعة ، وفى ذلك نهوض بمستواهم المسمى ، وإغداق عليهم بما هو حلم لهم ، وأما أساتذة المعاهد فسيوضعون مع أقرانهم فى المعارف فى مكان أو مكانة .

فأبناء الازهر - حين يدافعون عن هذه الجامعة ، وحين يقفون صفاً يذود عن حى هذا المعهد العتيق - لا يصدرون فى جهدهم الكريم إلا عن عقيدة بريئة ترى أن التنكر للازهر صاحب هذه الصفحة المشرفة فى التاريخ إنما هو استهتار بمقدسات لا يجرؤ عليها إلا دعاة الهدم الذين لا يرعون لسكل كريم حرمة ولا حقاً .

هذه لفظة يجدر بالقارىء أن يظن إليها ويطيل الوقوف عندها . وهناك لفظة أخرى لها شأنها وخطرها ، تلك هى أن النداء بتوحيد التعليم ليس إلا حلقات متتابعة فى السكيد للازهر ، ولنا بصدد مناقشة البواعث ، ولما كنا نعرض الآثار لتسكون الحقائق أمام العيون ترى ولا تجحد ، ففهم تخصص الدعوة والارشاد فى كلية أصول الدين لم يبق منه

إلا رسم وأثر ، وإلغاء القضاء الشرعى طوح بتخصص القضاء الشرعى ، ونقل إلى مكان آخر باسم آخر فى كلية الحقوق . وهذا الإلغاء صرف الطلاب عن التوجه إلى كلية الشريعة صرفا عنيفا ، ولم يلحق بها من أبناء الأزهر إلا من أكره عليها . وقسم تخصص التدريس كان يلتقى به حملة الشهادة العالية من السكليات الثلاث ، فنع من دخوله طلاب كلية اللغة العربية ، بحجة أن لهم مكانا آخر يتلقاهم وهو معهد التربية . والذين يتخرجون من تخصص التدريس من أبناء الشريعة وأصول الدين لا يكادون يجدون عملا بعد جهدهم الجهد .

وكثير من أسانذة الأزهر يرون بينهم وبين منصفهم أمدا بعيدا . كل ذلك احتشد فى صدور الأزهرين ، والتقت هذه الخيوط والتأمت ، فبدأ القلق يساور الأزهر ، وطفق أبناؤه يتساملون عما يراد بهم ، وجاءت الصيحة المنادية بتوحيد التعليم ، فدخلت إلى النفوس وهى حافلة بأفكار ومعان ، واندفع خصوم الأزهر اللد من هذا الباب باسم توحيد التعليم ، فرموا الأزهر بكل منقصة ، وأغضوا عن خدمته للشريعة واللغة والعلم والوطنية ، وتمثلنا فى هذه الحملة الجاهدة الساهرة كل معانى الفوضى والهمجية .

ولو قلنا لهؤلاء الذين يهجمون على الأزهر : إن هذه الجامعة تراث المسلمين الخالد ، فى ربوعها نهضت الفكرة الدينية ، ووجدت حماة أفذاذا أقوياء أخرجوا للدنيا أفكارا قوية ناهضة لا تزال هى نثر الإسلام والمسلمين ، وفى ظلال هذه الجامعة وجدت اللغة العربية أمها وصورها ، ومن صدور زعمائها تفجرت الوطنية ومعانى الكرامة والتضحية والفداء - لو قلنا ذلك لهؤلاء الذين يحسدون فضله لقالوا : إن هذا ماضيه فأين حاضره ؟؟ كأنهم يرون الأزهر اليوم فراغا من العلم وعظلا من الرسالة . . . إننا نقاخر بأن الأزهر لا يزال فى مستوى علمى تتقاصر دونه الاعناق ، والأزهر لا يزال يجرى فى امتحانه على مثال رفيع ، والأزهر أمس واليوم هو المورد الذى ينهل منه أبناء الأقطار العربية ، وهو الذى يرسل مبعوثين إلى بلاد العالم ليهدوا من ضلال ، ولينشروا العلم والدين بين أمم لا تعرف مثل ما تعرفون من المسكارة واللجاج .

لئن لا أعرف فى أمة من أمم العالم دعوة من جماعة أو فرد إلى القضاء على جامعة أربت فى الوجود على ألف عام . ولا أنصور ما تقابل به دعوة هؤلاء الهدامين من إخواننا أبناء الأقطار العربية التى تجعل زعامة مصر أول ما تجعلها للأزهر وفضله على هذه الامم كافة .

يقولون : تعالوا نوحّد التعليم الديني والمدني ، وأخضعوا التعليم في المرحلتين الابتدائية والثانوية لنظام واحد وتحت رعاية وزارة التربية والتعليم . ولقد قلت لنفسى إن كان المراد من التوحيد في هاتين المرحلتين هو العناية بالتعليم الديني والتوافر على التفقه فيه فلا يمكن أن يتحقق ذلك بمنهاج وزارة التربية في هاتين المرحلتين ، وجميع الناس يشهد أن الدين والقرآن خاصة نصيبهما في هؤلاء ضئيل هزيل ، فالأولى إذن أن تباركوا الأزهر وتقرّوا بقاءه ، وإن شهدتم رجوها من النقد في نهج الدراسة فدلوا عليه مشكورين . وإن كانت الثانية فرارا من هذا اللون من التعليم وانصرافا إلى تعليم مدني خفيف على الجيل الجديد ، فالعيب إذن ليس في الأزهر ، وإنما العيب فيمن يرون رسالته رجعية أو تعويقا للركب .

وهل يمكن أن يقال إن الفرصة سانحة للتخصص في الدين بعد التخرج من السكليات ؟ أبعد أن تتجه النفوس الناشئة اتجاها خاصا ليس فيه عكوف على الدين وجماله واللغة وسرها ، وتصرف إلى شئون الحياة من طب أو هندسة أو غيرهما ، أي يمكن بعد ذلك أن يوجد مجال للتخصص في الدين وللعكوف على التلا منه والغوص في مكنونه ؟

جميل حقا أن تفرع الدعوة لهذا التوحيد في الوقت الذي تضج فيه الأحاديث عن الإلحاد والوجودية والتحلل بين أبناء التعليم المدني ، كأن المراد إذن توحيد الانحلال لا توحيد التعليم .

إنسكم - يأيها الدعاة - تعلمون أن القرآن لا يجد له صدورا إلا في الأزهر ، حيث يشترط حفظه للطلّاب قبل التحاقهم ، فكأنكم تريدون أن تحولوا بين هؤلاء وبين كتاب الله ، كما حيل بين غيرهم وبينه .

إن التعليم في الأزهر ليس قاصرا على الدين والعربية . بل هو يجمع إلى ذلك طائفة جمة من العلوم الحديثة بقدر ما يتسع له وقت المتوافر على الدين والعربية . ولا نقول إن فيه تبحرا في هذه المواد أو تخصصا فيها ، فوطن ذلك كليات الجامعة ، وكل ميسر لما خلق له . وفيه مع ذلك دراسة للغات الانجليزية والفارسية والعبرية ، وفيه نهضة شاملة للآداب والفنون ، وبين شبابه أفذاذ لهم مواهب في الكتابة والخطابة والشعر ، وبين تلامذته من يجيدون الرياضة المختلفة والموسيقى والتمثيل ، ولم يعد من شباب الأزهر من يجمل أفقا من آفاق الحياة ، فهم اجتماعيون بصراء بما يجرى في المجتمع مشاركون فيه ، غير أن فيهم

عيباً ذاتياً متأسلاً ، ذلك أنهم مصرون على الدعوة لله ، لم تدخل عقولهم أوهام العقائد الفاسدة ، ولم ينزلقوا إلى الميوعة والتحلل الذى أصبح طابعاً للكثيرين من الشبان و الناجحين فى الحياة .

ولو أن الدعوة إلى الخلاص من الأزهر جروا على النيل من فضله ، والتجهم لعظيم أثره وخطره قروناً متصلة لا بئت - وأخمت - بالحجة والدليل أن الأزهر وحده هو الذى حمل لواء الوطنية والعلم والأدب يوم أن كان غير أبنائه يرمى فى أرض الجبن والجمل والخول .

وقد تفضل الأستاذ الدكتور طه حسين فكتب مقدمة لكتابه « أثر الأزهر فى النهضة الأدبية الحديثة »^(١) فأكد أن الكتاب يظهر فى أوضح الموضوع وأجلى الجلاء أن الأزهر لم يكن مشرق النور فى عصورنا القديمة وحدها ، وإنما هو مشرق النور فى العصر الحديث ، وأن المؤلف قد استطاع أن يحل هذه الحقائق وأن ينبه المهريين إلى أنهم يظلمون الأزهر ويظلمون أنفسهم حين يظنون أن رجال هذا المعهد العظيم يعيشون على هامش الحياة الحديثة ، وأن عمل المؤلف دليل واضح على أن فى الأزهر كنزاً من خصب العقول وذكاء القلوب وحسن الاستعداد لجلائل الأعمال يجدر بمصر الحديثة ألا تهمله وتغفاه .

فالأستاذ الدكتور طه لا يجحد فضل الأزهر على الحياة السكرية ، بل هو نفسه من أوضح هذه الأدلة ، ومن ثم لا أفهم أنه داعية لهدم الأزهر ، وإن دعا للتوحيد فلعله يراه غير مؤد لتلك الغاية ، وأيا ما كان فنحن نجاهد التوحيد ونهلك دونه ، ونرى أن فيه قضاء على أجماد لا تفرط فيها أمة كريمة .

على أن أسائل نفسى لماذا لم تكن هذه الدعوة سافرة فى طلب الإصلاح ؟ إننا لا نكره الإصلاح ولا ندع سبيلاً من سبله إلا سلكناها ، ولكم نادينا به وجاهدنا من أجله ، والأزهريون لا يرون عيباً فى مناهضة النقص ، بل العيب فى الرضاء به والإغضاء عنه ، ولم يعب وزارة التربية والتعليم أنها تبتدى وتعيد فى مناهجها ، وتحل وتنقض فى تشريعها ، فإن ذلك نشدان للكمال وأخذ بأسبابه - وأخيراً نحن واثقون من أن الله سيرعى الأزهر وينصفه ، وإن فرط المصرى فيه فسيحرص المسلم والشرقى عليه .

[١] الكتاب تحت الطبع

محمد طاهر الفقى

المدرس فى كلية اللغة العربية

القومية العربية

ودور الازهر في إنهاضها

.... ثم عاود الدكتور طه حسين داؤه القديم ، وأصابته نكسة كان بعض الناس يظن أنها أمست بعيدة عنه ، بعد أن أظهر توبته ، وقصد إلى بيت الله حاجا ومكفرا عن ماضيه في خدمة المبشرين والمستشرقين ، وتعريب كتبهم وأفكارهم . ثم أظهرت الأيام ما خفي من أمره ، وعلم الناس أن هجرته إلى بيت الله لم تكن إلا لدنيا يصيبها .

عاد الدكتور طه إلى حقه القديم على الازهر ، والتهم عليه في شطط وإسراف ، محاولا أن يثار لنفسه من العلامة الدسوقي العربي في شخص الازهر . ورحم الله أستاذنا الدسوقي ، فقد كان على بصيرة ربانية يوم أبعده عن الازهر ، وضمن عليه ببراءته وعالميته ، وحرمه شرف الانتساب إلى صفوف العلماء ، مما جعله واقعا تحت تأثير مركب نقص ينغص عليه حياته ، ويعاوده بين حين وحين .

وما يحاوله اليوم - من صد عن القرآن ومعهد ، والحديث ومدرسته ، واللغة العربية وحصنها - هو ما حاوله يوم عزم المجانية في التعليم ، لصرف الناس عن الازهر ، لا حبا في عامة الشعب ، ورغبة في تثقيف أبنائه ، وإتاحة الفرص المتكافئة لهم - كما كان يزعم ، فهذا آخر ما يفكر فيه هذا الارستقراطي ، الذي لا يعرف إلا فرنسا مصيفا ، يتلقى فيه من أساتذته هناك دروس الاستعمار الثقافي ، ثم يعود إلينا شتاء د سفيرا لفرنسا فوق العادة ، يدعو إلى ما وقف حياته عليه .

* * *

لست بصدد الرد على هذا وأمثاله من المفارقين لجماعتهم ، فقد وضع أمرهم ، وانكشف سرهم ، وتمزق سترهم ، وعرفت الأمة أن الهدف الذي يمحرون وراءه هو القضاء على كتاب الله أن يدرس ، وعلى سنته أن تجدها من يخدمها ويرعاها .

لست بصدد الرد على هؤلاء ، فقد تولى الله في كتابه الرد عليهم حيث يقول : « إنا نحن نزلنا الذكر وإناله لحافظون » .

ولمّا أريد أن أبين ناحية لها خطرها ، وجانبها مهما في رسالة الازهر التي قام ويقوم بها

على خير ما يبتغى المصلحون ، رغم ما صادفه ويصادفه من تيارات منحرفة ، وأعاصير هوجاء ، يغذيها الاستعمار وأعوانه ، والإلحاد وشياطينه ، والوجودية وحيواناتها .

نعم : فقد أظهرت البحوث التاريخية والدراسات الاجتماعية أن اللغة هي روح الأمة وحياتها ، وأنها العمود الفقري والعنصر الاساسى من عناصر تكوين القوميات ، وأن الأمم تقوم - أولاً وقبل كل شيء - على وحدة اللغة التى توجد الوحدة فى التفكير والشعور ، وتربط بين الافراد والجماعات برباط وثيق تتقارب به الافكار والعواطف ، وتتحد الآمال والآلام .

وقد علمنا تاريخ الأمة العربية أن الاستعمار - وإن أفقدها استقلالها السياسى فى بعض أوطانها حيناً من الزمان - فإنه لم يستطع أن يمس كيانها ، أو يذيب قوميتها فى بوتقته ، لأنها استمرت محافظة على لغتها الخاصة بها .

وقد تنبه إلى هذا أحد المفكرين فقال : - « إن الأمة المغلوبة التى تحافظ على لغتها تشبه السجين الذى يمسك بيده مفتاح سجنه » .

إنها تستطيع أن تغلق من سجنها ، وتسترد استقلالها فى يوم من الايام ، لأنها تبقى حية بحياة لغتها ، وتظل محافظة على كيانها كأمة ، برغم أنها تكون قد فقدت شخصيتها السياسية إلى حين . أما إذا فقدت الأمة لغتها ، وأعربت عن مشاعرها بلغة الدولة المستولية عليها ، فتكون قد فقدت الحياة تماماً ، واندجمت فى كيان الأمة صاحبة اللغة الجديدة .

وقد كان الازهر المفتاح الذى أخرج الأمة العربية من سجن الاستعمار وأسره ، إذ حفظ لها هذا التراث الخالد ، وقام بحراسة لغتها التى حملت إلى الناس أعز ما حملته لغة من اللغات ، فقام على دراساتها : نحواً وصرفاً ، وبلاغةً ووضعاً ، وعروضاً وفقهاً ، وشعراً ونثراً ، وربط بين خير أمة أخرجت للناس وبين مدرسة الرسول العربى الأولى .

الازهر هو الذى حفظ هذه اللغة حية نابضة ، فقاوم بذلك الاستعمار الثقافى الذى حاول القضاء عليها ، بفرض لغته فى جميع نواحي الحياة ، وفى مختلف مراحل التعليم ، بل فى السنة الأولى منها ، قبل أن يتقوى لسان الطفل بلغته ، ويستقيم نطقه بها ، مستعيناً بصنائعه من وزراء المعارف السابقين .

إن مصر رائدة العالم الاسلامى ، وزعيمة البلاد العربية ، يرسم الجميع خطاها ، ويمتدى بهداها ، ويقفنى أثرها ، فبأى شيء كانت لمصر هذه الزعامة والصدارة ؟

لأنه الأزهر جامع الجامعات ، وأبو اللغة ، وحصن الدين ، وهو بهذا الوضع ليس ملكا لمصر وحدها ، ولا لجيل من أجيالها ، بل هو ملك الملايين من العرب والمسلمين في القرون الماضية واللاحقة . وما وجوده بمصر إلا كوجود مجلس جامعة الدول العربية بالقاهرة ، لمصر شرف وجوده بها ، واحتضانها له ، ورعايتها لرجاله ، جزاء وفاقا على ما أكسبها من زعامة وجدارة .

* * *

في كل عام يحج إلى الأزهر آلاف من أبناء البلاد العربية ، فيعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، ويوحد بين قلوبهم وتقاليدهم وعاداتهم ، وينظم أهدافهم ، ويسلمهم بالدين والخلق واللغة ، ويثير فيهم ذكريات الأسلاف الأماجد ، حتى أصبح في كل قرية أو دسكرة ، وكل قصبة أو كورة ، وكل عاصمة أو مدينة ، أزهر متنقل يتمثل في شخص ابن من أبنائه يبلغ قومه وينذرهم .

ومثال واحد أذكره لأنه ابن ساعته ووليد وقته ، فإنه لما صدر قانون توحيد القضاء بمصر ، ظن الخادعون والمخدوعون أن ساعة الأزهر آتية ، وأن كلية الشريعة في طريقها إلى الزوال ، وأن تخصص القضاء الشرعي قد أغلق أبوابه .

ومع هذا فإن الحقائق صدمتهم وأفهمتهم ، إذ ظل أبناء البلاد العربية والإسلامية يتلقون في تخصص القضاء الشرعي بالأزهر دروس القضاء الإسلامي ، ليطبقوا مبادئه وأحكامه في أوطانهم إذا رجعوا إليها .

وبعد - فإذا كنا اليوم على قلب رجل واحد ، دفاعا عن جزء مبارك من أجزاء البلاد العربية ، فإننا يجب أن نذكر جهود الأزهر في إنعاش القومية العربية التي جعلت جميع أبنائها ينشدون :

بلاد العرب أوطاني من الشام لبغدان

ومن نجد إلى يمن إلى مصر فنطوان

وما يزيدنا سرورا أن يشترك الأزهر في هذه المعركة المقدسة بكثير من أبنائه : ضباطا في جيش العروبة ، وجنودا في الحرس الوطني .

وأخيرا فإن الله - سبحانه - الذي طهر مصر من (الاستعمار العسكري) وأعوانه من الزعماء السياسيين ، على يد أبنائه البررة الذين قضى بفضلهم على (الاستعمار الاقتصادي) ودعاه من الاقطاعيين ، سيقيم علينا نعمته بالقضاء على (الاستعمار الثقافي) ورواده .

وإن ربك لبالمُرصاد ؟

زكريا البري

الدكتور طه حسين

والأزهر الشريف

أحب أن أقرر أنى - مع الأسف - لم يكن لى حظ التعلم فى الأزهر الشريف ، فأنهم بالتحيز المعهدى أو التعصب المهنى ، وكل مايربطنى بالأزهر إنما هو رباط كل مسلم مؤمن بربه مخلص لعقيدته ، يعلم تمام العلم أن مرد كل فضل فيما يعلم من أمور دينه إلى هذا المعهد العظيم وأساتذته الأجلاء القدماء منهم والمحدثين على السواء . ومن ينسكرك ذلك فهو جاحد لاصحاب أكبر فضل عليه ، غير صادق فيما يدعيه ، وينبغى أن لا يسمع له كلام ، ولا يحفل منه بمقال .

وكل مسلم يعلم كما يعلم الدكتور طه أن الأزهر وحده هو الذى قام ويقوم على حراسة هذا الدين الخفيف وعلومه إلى هذا الوقت الذى نعيش فيه ، وهو الذى أسهم بالنصيب الاوفر بالقول والعمل فى كل أطوار تاريخه وفى جميع الاحداث الوطنية وأزمات الحرية المصرية بلا استثناء ، وكان الأزهريون فى مقدمة الصفوف المدافعة فى سبيل الحرية والاستقلال ، لا يستريب فى ذلك أو يشكك فيه إلا ظالم أو جاهل أو صاحب هوى رخيص .

قد يكون هذا كلاما مدلوما ومعانيه راسخة فى الأذهان ، ولكن لا بد من ذكره ، ففيه نفع لتدعيم الحق ، وهو مقدمة لازمة لما تقصد اليه فى هذا الموضوع الخطير .

الدكتور طه حسين مهصرى مسلم ، شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فى وقت كان له فيه مع الدين - أو مع القرآن على التحديد - موقف لم يشرفه ، بل كاد يعصف به ويخرجه من محيط المسلمين إخراجاً عنيفاً . والناس لا يزالون يذكرون إنكاره لبعض قصص القرآن الكريم الذى هو أساس هذا الدين ، ولهذا ، ورغم شهادته تلك ، فإن يرضى الناس أن يتحدث لهم عن الدين ولا مايتصل به من قريب أو بعيد ، فهو عندهم مهما بلغ من شأنه فى الادب فلن يوثق به فى شئون الدين .

وأرجو أن لا يتهمنى الدكتور طه بأنى أقول غير الحق ، وأنى انحرف عما يأمرنى به الدين من الصدق فى القول ، ومن اجتناب التحدث عن الناس بما لم يقولوا وبما لم يدعوا

إليه سرّاً ولا جهرّاً ، فإن هذا الأمر مدون في تحقيقات النيابة المشهورة في موضوع كتابه (في الشعر الجاهلي) كما أنه ثابت في أذهان المعاصرين ثبوتاً لم يتطرق إليه النسيان .

ويظهر أن دوافع ذلك الموقف الشائن القديم لانزلال أصولها راسخة في نفسه ، فلا تفتأ تظهر آثارها في مقالاته بين الحين والحين . وهذا الداء الذي يعاوده ليس خصومة بينه وبين الأزهر والأزهريين بصفة أصلية ، وإنما هي خصومة بينه وبين الدين والقرآن ، ثم تتصل هذه الخصومة بعد ذلك بالأزهر والأزهريين بالتبعية الحتمية ، كما يتضح ذلك من الوقائع المتلاحقة التي يبتدعها الدكتور ، ويشاغب بها الدين أو الأزهر والأزهريين .

فلقد أثار الدكتور طه من أشهر قليلة مسألة ترجمة القرآن ، وأطال في اللجاج على عادته بكلام مرسل لإرسالاً غير مدروس ، وحشا مقالاته بمعلومات ملتوية مليئة بالمغالطات ، وبنقول زائفة تدل على سوء القصد بتغيير معاني المنقول بحذف بعض التصور وعدم التزام الأمانة العلمية المرعية عند أهل العلم والخلق السليم .

وإننا لنسأل أنفسنا - ونحن نستعرض حال الدكتور ومواضيع مقالاته - : هل القرآن (الذي يحاول الدكتور طه أن يقلل إليه لينال منه) أزهري من وضع الأزهريين ، ولذلك فهو يسعى لتضييعه بالدعوة الملحة إلى ترجمته ؟ أو أنه أصل هذا الدين ، ولا بد للدكتور من محاولة تمزيق هذا القرآن عدوه القديم في زمان يعتقد الدكتور أنه ملائم للنيل من الإسلام ، فقد رق دين الناس ، وتعددت فيه الدعوات إلى التحلل والفضلال .

نعم . إن القرآن كلام الله ، ولكن الأزهر والأزهريين قد هبوا للذود عنه ، وصانوا القرآن من العبث المنشود والترجمة المقصود بها الإساءة إلى الدين ، فحق عليهم غضب الدكتور طه ومن لف لفه ، وإذن فلا بد من ضعضعة الأزهر نفسه ، والنيل من الأزهريين ، وتمزيق هيبتهم ، ومحو مكانتهم في الشعب ، واستعداد الحكام عليهم بكل سبيل .

ثم أثار الدكتور - ومن ورائه المخدوعون به الغافلون عن مقاصده - مسألة توحيد التعليم ، ولج في ذلك وأطال ، ولكنه لم يكتب كعادته إلا كلاماً فارغاً لا معنى له ، كله تجاهل ، ولا أقول : جهل ، لما يدرس من العلوم المدنية في الأزهر الشريف : وتناس ،

ولا أقول : نسيان ، كيف تدرس العلوم العربية والدينية بجميع فروعها دراسة مستفيضة تستعصى على الطلبة المدنيين كل الاستعصاء . وهلا سأل الدكتور نفسه : هل في طاقة طالب الثانوى إذا تخصص في علوم الدين أن يدرسها ويتفقه فيها وتفقه الأزهرى ؟ وهل هناك علم من العلوم المدنية - التى يجب أن يتعلمها كل مصرى كما يقول - مضى في الأزهر ؟

لا ، لم يسأل الدكتور نفسه عن هذا كله ، ولم يتعرض لشيء منه يبحث أو عرض وتوضيح ، ليبين للناس وجه الحق فيما يدعوا إليه ، وإنما أخذ يبدى ويعيد فى كلام على عادته فى غير تحديد ، كله محشو بالمغالطات المفضوحة التى لا يثبت منها إلا سوء قصده ، وعدم درايته الكافية بالتعليم وتوجيهه إلى الحق والساد .

وإذن فالمقصود من هذه الحملة الجديدة أن يلغى تعليم الدين بهذه السعة وبهذه الدقة ، وأن ينصرف المسلمون عن حفظ القرآن أساس هذا الدين الذى يحاول الدكتور أن ينال من الأزهرين بسببه ومن أجله .

وبعد - فإيسأل القراء أنفسهم متى كان الدكتور طه بمن يطمأن لإلهم إذا تحدثوا فى شأن يتصل بالدين وعلومه ، وتاريخه معروف للجميع ؟

وهل الدكتور طه - لأنه تولى وزارة المعارف فى النظام الحزبى - أصبح من رجال التعليم الذين يستطيعون أن يدرسوا مناهج التعليم ، ويكون لهم رأى صائب على محترم فيها بمعنى الكلمة ؟ كلا ، وألف مرة كلا .

ألا فليطمئن الدكتور طه ولا يتعب نفسه فيما لا يحسن وفيما لا يؤتمن عليه ، وفيما لا طائل تحته ، فإن المسلمين جميعاً لا مثاله وآرائه المسمومة المدخولة بالمرصاد ، وإن ذلك الذى يقيم الزواجر من أجله لن يحدث ولن يكون ، لأن الله كفيل بتأييد الصادقين المخلصين ، وهو لا يصلح عمل المفسدين ؟

لحساب من هذه الخطوة الثانية

يا دكتور طه؟

ما كنت أظن أن الدكتور طه حسين وقد بلغ من الكبر عتيا ، واشتعل منه الرأس شيئا ، أن يتحدى في النهج بالآزهر والازهرين ، ويدأب على النهي من شأنهم في هذا الوقت الذي تمر به مصر الآن ، فيسكتب عنهم (بأنهم لا يتعلمون كما يتعلم الناس) ويصفهم بأنهم (لا يعرفون من العلوم إلا أسماءها وظاهر أ من أطرافها) ويرد على بعض كتاب الأزهر بقوله : (إنما عاش وما زال يعيش في العصور الوسطى) وهو يعلم حق العلم بأن الرئيس جمال عبد الناصر وصحبه من رجال الثورة أغبر الناس على الأزهر ، وأشدهم حرصا على كرامته ، لأنهم يقدرون الأزهر قدره ، ويعرفون خطره عند الممالك الإسلامية : تلك الممالك التي تعز بمصر وتحيط بها إحاطة السوار بالمعصم ، وتشرئب لها أعناقهم ، وتتعلق بها نفوسهم ، فتسمع هذه الأمم من الدكتور هذا الزور من القول سخرية بالآزهر وتصغيرا من شأنه . ولا أدري لماذا اختار الدكتور هذا الوقت متعللا بإصلاح الأزهر .

وما أغنى رجال الثورة ورجال العروبة في هذا الوقت العصيب عن سماع هذا اللغو من الدكتور ، وهم يعملون ليل نهار على إسعاد مصر وبلاد العروبة ودفع الضر عنها .

وما كان الأزهر في يوم من الأيام في حاجة إلى الإصلاح من الدكتور طه ، فهو ممتور من الأزهر لأنه رسب في امتحان الشهادة العالمية ، ولأن علماءه قد ردوه إلى الصواب أمام النبابة ، حينما ألف كتاب الشعر الجاهلي في قصة سيدنا إبراهيم وولده سيدنا إسماعيل . فبين الدكتور وبين الأزهر نار قديم .

ولاني أرجو المَعذرة يا دكتور إذا ذكرت ذلك عنك ، ليعلم الناس لماذا تسكتب عن الأزهر اليوم ، ولماذا تصبجه وتمسيه بالهجوم عليه .

وكان بودي - يا دكتور - أن أكشف القناع عنك ، ليعرف الناس ويعرف الشباب الجديد موقفك من ثورة سنة ١٩١٩ وما نال سعد باشا زغول منك ، ثم انضامك للدستورين ،

وأبين لهم ما كتبت في الوفد والوفدين ، ثم لم تلبث طويلا حتى نزعنا عنك لباس الدستورين وقمصت الوفدية ، وأدرت ظهرك للدستورين وقلبت لهم ظهر المجن متناسيا دفاع عدلى باشا وثروت باشا عنك في مجلس النواب ، وشرعت ترسل عليهم من شواظ قلبك ما شاء به أدبك .

كنت أود يا دكتور أن أذكر هذه المواقف ولو موجزة . ولكنني أشفقت عليك الآن . كررت يا دكتور (أن الأزهريين لا يتعلمون كما يتعلم الناس) فكيف تعلمت أنت ؟

يعلم الناس أنك تعلمت في الأزهر حتى حصلت على الشهادة الأهلية ، ثم التحقت بالجامعة المصرية ، ثم سافرت إلى فرنسا . هذه مراحل تعليمك . فالأزهر صاحب الفضل عليك إذ غذاك بعلمه ، وهياً لك طريق الثقافة حتى وصلت إلى ما وصلت إليه . فعلاؤه أساتذتك ، فلماذا تقابلهم بهذا العقوق ؟ ألا ترى معنى أن في علماء الأزهر من يحمل شهادة السوربون وأمثالها من جامعات الغرب علاوة على شهادة العالمية من الأزهر وهي الشهادة التي عجزت عن الحصول عليها ، وهي سبب موجودتك على الأزهريين ، وخرجت من لجنة الامتحان معلنا أدبك في الجرائد تحت عنوان (ساعة في الضحى بين العمام واللحي) .

وفرقت بينك وبين علمائنا أنهم يذهبون إلى عواصم الغرب ويتلقون علومهم بها ويعودون إلى مصر وهم أوفياء لدينهم ، مخلصون لأزهرهم ، ثابتون على مبادئهم ، ولا يلبسون لسلك عهد لبوساً ، ولا يتجهون إلى كل جهة بوجه .

هل تريد إصلاح الأزهر يا دكتور ؟ لقد فاتك القطار ، وشمل الإصلاح الأزهر ومعاهده . وهل ما تنعت به الأزهريين بأنهم (لا يتعلمون كما يتعلم الناس) وأنهم (لا يعرفون من العلوم إلا أسماءها ، وأنهم يعيشون في العصور الوسطى) هل هذا كلام الصادقين وأسلوب المصلحين .

إن كلام المصلحين يخرج من قلوبهم مضيئاً بضياء الحق ، مشرقاً بنور الصدق ، وتسطره أقلامهم خالياً من الغمز واللمز شريفاً عقيقاً .

والإصلاح الذي تريده للأزهر هو توحيد التعليم فيه وفي المدارس الابتدائية والثانوية ، هذا ما تريده وتلح فيه .

يا دكتور : إن التعليم الآن في وزارة التربية والتعليم ثلاث مراحل : المرحلة الابتدائية ،

والمرحلة الإعدادية ، والمرحلة الثانوية . فهل تطلب توحيد التعليم للأزهر والمدارس الابتدائية والمدارس الثانوية دون المدارس الإعدادية .

ولماذا لا تطلب توحيد التعليم بين مدارس المعلمين ، ومدارس الزراعة ، ومدارس الصناعات ، وبين المدارس الابتدائية والثانوية ، وتطلب هذا للأزهر وحده ؟

ولماذا تطلب من الأزهرين أن يكونوا أطباء ومهندسين ، ولا تطلب من مدرسة الطب وكلية الهندسة أن يتخرج فيهما علماء في الشريعة ، وفي اللغة العربية ؟
في الحق يا دكتور ، أن لكل معهد مناهجه الخاصة التي يتخرج بها طائفة من الإخصائيين على ما رسمته لهم البرامج واللوائح .

إنني أذكر لك يا دكتور رأى الأستاذ عباس محمود العقاد في توحيد التعليم ، وقد نشرته له جريدة الاخبار ، قال : (ولا يوجد في أمة من الأمم عالم ديني لا يتخرج من معهد خاص يخالف المعاهد الأخرى في نظامه وعلومه وموضوعاته . ولا فرق بين المذاهب في هذا التخصص حتى ما كان منها مفسوباً إلى دين واحد كالْمذهب الارثوذكسي ، أو المذهب الكاثوليكي ، أو المذاهب البروتستنتي وغيرها من المذاهب المسيحية ، فإن المتخصصين في دراسة كل مذهب يتخرجون من معهد مستقل غير المعاهد التي يتخرج منها أتباع المذاهب الأخرى . ومن طريف ما يذكر في هذا الموضوع أن كهان المذهب البوذي (الجيني) في أحمد آباد بلغوا من التطور العصري مبلغاً يدل عليه أنهم يؤلفون لهم نقابة للمحافظة على حقوقهم والدفاع عن مطالبهم وبرامجهم . ولكنهم مع ذلك يتعلمون في معاهدهم التي تأسست منذ مئات السنين ، ولا يرون في ذلك ما يمنعهم أن يأخذوا من ثقافة العصر بنصيب) .

هذا هو رأى رجل لا تنهمه بالعصية للأزهر ، أذكره لك بمجملته ، لنعلم أنك كنت مسرفاً في رأيك في توحيد التعليم ، ومتجنياً على الأزهر ، معتمداً على كلماتك المعسولة ، وألفاظك الرنانة ، في المغالطة والتهكم كعهدك في جريدة السياسة وفي أيام وفديتك ، وما هذا بسبيل المصلحين .

وكان الأجدر بك في مثل هذا الموضوع الخطير أن تختار الوقت المناسب وتبحث : هل الأزهر يهون هدمه على مهمل والعالم الإسلامي ، حتى لا تظهر بهذا المظهر الذي إن دل

على شيء فإنما يدل على المغامرة التي لا تستند إلى حجة أو برهان ، حتى إن ما قرأته لك عن الأزهر دل على اتساع الهوة بينك وبين أهله . وكأنك لا تعيش في مصر ، وكأنك لا تعرف شيئاً عن الإسلام والأزهر وقد كنت ربيبه ، مما أثار الظنون والشكوك حول ما تكتب عن الأزهر .

واعلم - يا دكتور إن كنت لا تعلم - أن الأزهر في هذا العصر ، قد سار في ركب الحضارة الحديثة ، وسائر النهضة الجديدة في عهد الثورة المباركة ، بل فتح أبوابه لتعليم الفتيات ، ويدرس أبنائه القديم والحديث . وقد عرفوا كثيراً من اللغات الأجنبية وبرعوا فيها . ولذلك قاموا بنشر العلوم والمعارف في مصر وفي الاقطار الشقيقة : وعرفت هذه الاقطار أقدارهم فاعتزت بهم وألحت في طلب المزيد منهم .

إن الأزهر يا دكتور قد حافظ على الشريعة الإسلامية ، وحرص على اللغة العربية ، حتى إن شبه الجزيرة العربية التي ولد فيها رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله ، وبعث فيها ونزل عليه الوحي بين بطاحها وروبوها ، ونزل القرآن بلغتها ، أصبحت الآن تتعلم اللغة العربية من الأزهر ، وتأخذ الشريعة من أفواه علمائه ، فهل بعد ذلك تقول عن الأزهر ما تقول ؟

وماذا تريد من الأزهر بعد أن أصبح مورداً عذباً يحج إليه الطلاب من جميع الاصقاع ، ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ؟

إنه لمنظر رائع ، منظر أبناء خمس وأربعين دولة يجتمعهم العلم في صعيد واحد من معاهد العلم الأزهرى في مصر ، فيصقلهم ويهذبهم ، ويؤلف بين قلوبهم ، ويوحد كلمتهم ، ويربطهم برباط الإخاء المتين . فهل الدعوة إلى هدم الأساس الذي يقوم عليه هذا الصرح من ألف سنة ، يمكن أن تصدر عن رجل يفكر في مصلحة بلده ؟ هذا ما كان يتساءل عنه الناس وهم يقرأون مقالة الخطوة الثانية ،

على محمد عامر

مدرس بقسم البحوث بالأزهر

رسالة الجامع الازهر

هى رسالة القرآن والسنة

(الجامع الازهر) أقدم مدرسة دينية فى العالم بعد مدرسة (بولونيا) بإيطاليا ، فقد تقدمت عليه بأربعة قرون تقريباً .

بناه (جوهر الصقلى) قائد (المعز لدين الله) الفاطمى بعد فتحه لمصر ، شرع جوهر فى بنائه سنة (٣٥٩) هـ وكمل بناؤه سنة (٣٦١) وعمر بقراءة العلم سنة (٣٨٠) هـ .

وقد مرت على الازهر أحداث كثيرة ، فى أول عهده كانت تنافسه مدرسة (دار الحكمة) منافسة شديدة ، وهى من بناء الفاطميين أيضاً ١١ وجاء (صلاح الدين الايوبى) فأوقفه وبقي مقفلاً إلى أيام الملك (الظاهر بيبرس) فظل بذلك معطلا نحو (٢٦٠) سنة . وفى عهد الملك الظاهر جدد بنائه الأمير (عز الدين أيدمر الحلى) ورد له حقوقه وتبرع له بمال جزيل . وتعهدت الازهر بعد ذلك أيد كثيرة فى أزمنة مختلفة زادت فى بنائه ، وأورعته وجددته .

لم ينشأ (الجامع الازهر) فى أول الامر ليكون جامعة أو معهداً للدرس ، وإنما أنشئ ليكون مسجداً رسمياً للدولة الفاطمية فى عاصمتها الجديدة ومنبراً لدعوتها الدينية ... شأنه فى ذلك شأن المساجد الجامعة فى العواصم الإسلامية أول أمرها ، ولم نزل تطور فكرة الدراسة به حتى غلبت عليه ، وأصبح الآن المنار الساطع والمنهل العلى للمسلمين فى مشارق الارض ومغاربها ، يفدون إليه من هنا وهناك طلاباً ثم يعودون إلى بلادهم علماء ، يفسرون دعوته بين المسلمين ينبرونهم بما قبسوه من نور الازهر ، ويروون ظمأهم للعالم والدين بما ارتووا منه . وبهذا أصبح الازهر وهو ليس فى مصر وحدها بل فى كل البلاد الإسلامية على اختلاف أجناسها ، تهتدى بنوره ، وتنهل من منله ، وأصبحت له عصبية فى كل هذه الجهات ، يكتنون جميعاً أسرة واحدة ، تعمل ما استطاعت لحفظ التراث الإسلامى ، ولرفعة الإسلام والمسلمين .

وقد شاء وبك للأزهر الذى بناه (جوهر) ليكون مسجداً رسمياً للدولة الفاطمية ومنبراً لدعوتها الدينية ، أن يكون مسجداً لكل الإسلام والمسلمين ، ومنبراً عاماً لهم على اختلاف مذاهبهم وأجناسهم وتعدد ممالكهم ودولهم .

لقد أراد الله سبحانه وتعالى الأزهر خيراً أكثر مما كان يريد له الفاطميون ، فلم يبق للأزهر وقفاً على دراسة مذهب فقهي خاص ، أو دعوة طائفية خاصة ، بل اتسع لأكبر من مذهب ، وأصبحت دعوته عامة للإسلام وحده لا لهذه الدولة ولا لذلك ، وهو الآن تدرس به المذاهب الفقهية الأربعة المعروفة لدى خاصة المسلمين وعامةهم ، تدرس فيه هذه المذاهب غير مصبوغة بصبغة سياسية ، أو تعصب طائفي ، بل تدرس لذات العلم والمعرفة ولوجه الله .

والأزهر بعد ذلك قابل لأن يدرس ويمحض كل رأى اجتهادى إن وجد صاحب هذا الرأى ، ولا حرج على فضل الله .

وإذا كان الأزهر قد اتسع لدراسة الفقه الإسلامى ، فإنه قد اتسع أيضاً للكثير من العلوم الدينية واللغوية والعقلية ، حتى رأينا أن النواة التى غرسها (جوهر) فى التربة المصرية لتكون شجرة خاصة تنحول إلى روضة مزدهرة ذات أشجار كثيرة مختلفة الثمار ، لا شجرة واحدة ذات ثمرة واحدة !!

• • •

تطورت إذأ رسالة الأزهر وأصبحت رسالة عامة خالصة من كل الشوائب ، تستمد وجودها من أصليين ثابتين (كتاب الله) و (سنة رسول الله) .

وتفرع عن كل من هذين الأصلين الثابتين ثلاثة أفرع عظيمة هى :

١ — نشر الشريعة الإسلامية ليعلمها الناس وليعملوا بها .

٢ — المحافظة على اللغة العربية والنهوض بها وبآدابها .

٣ — الدعوة إلى مكارم الأخلاق .

وفي اعتقادنا أن هذه الرسالة الأزهرية لا تتغير ولا تتبدل ، فهي في القرن العشرين هي أيضاً ذاتها فيما بعد القرن العشرين ، لأنها قائمة على أصولين ثابتين لا يتغيران ولا يتبدلان هما (كتاب الله وسنة رسول الله) ، وإنما الذي يتغير ويتبدل هو كيفية أداء هذه الرسالة ، فهذه الكيفية تختلف باختلاف الزمان والمكان ، وهي أمانة تاريخية كبرى تخضع للمحافظة على كنوزها لما يراه الامناء المصلحون .

(وبعد) فأنتى أرى أن أختتم هذه الوجازة عن الأزهر بما يأتى :

١ - إذا كانت مصر خالدة بأهرامها فإنها أيضاً خالدة بأزهرها ، فكلاهما عنوان رائع لمصر يجب المحافظة عليه والعناية به ، وكلاهما مجد انفردت به مصر .

٢ - ليست علوم الأزهر ثمرة عقول أمة واحدة ، ولكنها ثمرة عقول أمم كثيرة عربية ، وفارسية ، ورومية ، وهندية ، ومصرية ، وغير ذلك من خير قرائح عقول الأمم التى لها قدم رائجة فى العلوم والآداب ، والتى هى عصارة أجيال متعاقبة للمسلمين أيام ازدهار ملكهم وسلطانهم على العالم .

٣ - إذا كان هناك عدو للأزهر فذلك العدو هم أعداء الإسلام والمستعمرون والأذئاب المأجورون للمستعمرين ، أو بعض هؤلاء الذين لا يعرفون دينهم الخفيف ولا عن لغة هذا الدين شيئاً .

٤ - لاندعى للأزهر الكمال التام فى كيفية أداء رسالته فى كل عصر من العصور ، فن رأى يوماً من الأيام نقصاً فى كيفية أداء هذه الرسالة . فالأزهر يرحب بالاسماع لكل متكلم ومناقشته ، للوصول إلى الحق ، إذا كان هذا المتكلم من الامناء المخلصين الفاهمين لرسالة الأزهر ، والبعيد عن الريب والأغراض الخاصة .

هذا - واقع هو المرجو أن يكون فى عون العاملين المخلصين ، وأن يغفر للمتجنين على الأزهر ويهديهم الصراط المستقيم ... اللهم آمين .

محمد الأسمري

العلوم الحديثة في الأزهر

لا يزال الكثيرون من أبناء هذا الوطن وغيره لا يعلمون أن الدراسة في الأزهر ليست قاصرة على تدريس المواد الشرعية والعربية ، وأن هناك عدداً غير قليل من مواد التربية والعلوم والرياضة والآداب تدرس في معاهده الابتدائية والثانوية وكلياته . ونظراً لأن تدريس هذه المواد في الأزهر جاء متأخراً على تدريس العلوم الشرعية والتربية فيه ، فقد غلبت تسميتها بالعلوم الحديثة . ففي أقسام التخصص تدرس مواد التربية ، وعلم النفس ، والفلسفة ، وتدير الصحة ، وفي الأقسام الثانوية تدرس مادة الطبيعة بمختلف أقسامها وهي : خواص المادة ، والحرارة ، والكهرباء الاحتكاكية ، والديناميكية ، والمغناطيسية ، والصوت ، والضوء ، ومادة الكيمياء ، بما يقرب من المنهاج المقرر في المدارس الثانوية ، والتاريخ الطبيعي بقسميه النبات والحيوان ، ومواد التاريخ والجغرافيا ، والعربية الوطنية . وتوجد لدراسة هذه المواد على صورة عملية منتجة معامل مزودة بأحدث الآلات والأجهزة والخراط ، وأصبح مألوفاً أن تجد الطالب الأزهرى يقوم بنفسه في معمل معده بإجراء التجارب المختلفة ، وبعمليات التشريح ، وبالبحث بوساطة المجهر وبالفانوس السحري ، مما جعل من اليسير عليه مجاراة التطور العلمي وفهم أسراره .

وفي الأقسام الابتدائية تدرس مواد الحساب ، والهندسة العملية والنظرية ، والجبر ، وتدير الصحة ، والجغرافيا ، والتاريخ ، والسيرة ، والرسم ، في توسع وفي اتفاق كبير مع وزارة التربية والتعليم من حيث المناهج ، بل إن طلبة القسم الابتدائي بالأزهر يدرسون مناهج هذه المواد في توسع يفوق المناهج المناظرة في وزارة التربية والتعليم ، حتى إنهم يدرسون بأقسامهم الابتدائية بعض ما يدرسه طلبة الأقسام الثانوية بالوزارة ، وذلك ليقسح المجال أمام الأزهرين في أقسامهم الثانوية لدراسة العلوم الأزهرية الأصيلة وهي المواد الشرعية والعربية .

ودراسة الأزهرين لهذه العلوم الحديثة بجوار علومهم الشرعية والعربية تزيد من فهمهم لأسرار الحياة عن طريق عمل محسوس ، بل إن كثيراً من هذه

العلوم تعتبر وسيلة أخرى من وسائل تدعيم الإيمان وتثبيت العقائد ، فما أجل دراسة تجعل العلم في خدمة الدين ، وتجعل الدين في خدمة العلم . وما أجل أن يزدان تطور العلم وتقدمه بأداب الدين وتعاليمه . فعندئذ فقط يصبح التطور العلمى خادماً للإنسانية غير هدام لها .

والأزهريون بدراسة هذه العلوم الحديثة يعيدون تاريخ أسلافنا من علماء العرب الذين سبقوا علماء الغرب في الاشتغال بهذه العلوم ، بل إن التاريخ المنصف المحايد البعيد عن التويه والغرض ليشهد بأن علماء العرب ساهموا إما بوضع أسس هذه العلوم أو بالأخذ بيدها ، وجعلها تسير بخطوات أوسع في سبيل الحضارة العالمية والمدنية التي أساسها السلام والقيم الإنسانية ، وليس أساسها الدمار والحط من قيم الإنسان ، كما هو الحال في عصرنا هذا الذي يسير في طريق العلم المدمر ، لأنه طريق لا تحده الديانة ولا الإنسانية ولا السلام .

ولمى القارئ - على سبيل المثال لا الحصر - بعض العلوم التي ابتدعها العرب أو ساهموا في تقدمها وتصحيح أخطائها ، وبالتالي في النهوض بها . ففي القرن العاشر الميلادي أنشأ العرب المختبرات الكيميائية ، وكان من بينهم الكيميائيون : الطغرثي ، وعبد بن زكريا الرازي ، وأبو منصور الهروي ، والسماعى ، وكان منهم متخصصون في فروع كيمياء التغذية وتركيب الأدوية وصناعة السكر والزجاج والورق والصابون .

وكان من علماء العرب في الطبيعة الحسن بن الهيثم خصوصاً في علم الضوء والبصريات ، وقد عرفت وقتئذ المرايا السكرية والمرايا المحرقة والعدسة وكيفية الرؤية بالعين .

وفي علم الطب كتب العرب أقدم التصانيف عن الجدرى وحصى السكتين والمثانة والوباء الأصفر والجرب ، ومن مؤلفاتهم في الطب كتاب علاج الأمراض الطفيلية ، تأليف أحمد الطبري وابن زهر ، وكتاب العلم بكيفيات الحياة تأليف ابن بطلان وابن الحسن ، وكتاب تداوى الأمراض النفسية تأليف أبي هند البغدادي ، وكتاب علم تداوى الحبالى والجنين تأليف القرطبي .

ومن العلماء الذين درسوا علم الحيوان : الأصمعي ، والجاحظ ، والدميري ، والبيطار . ومن علماء النبات أبو حنيفة الدينوري ، وابن الرومية ، وابن البيطار الكبير ، وابن ابراهيم الوزير في القرن السادس عشر حيث كتب في دور الزهرة في التناسل .

وفي الميكانيكا والهندسة استعمل علم الدين قيصر سنة ١٢٥١ قوة مجارى المياه وأنشأ
النواعير والطواحين .

وفي علم الجغرافيا رسم الشريف الادريسي خارطة أوربا لملك صقلية ، ورسم أبو الحسن
خارطة البحر الابيض المتوسط ، وصحح أبو سعيد الأندلسى أغلاط خريط بطليموس .

والعرب أول من صنعوا البوصلة وسميت بيت الأبرة سنة ١٢٨٢ م ، وأول من اخترعوا
الدفة ذات المفصل والإبرة الممغنطة حيث تسنى لهم خوض غمار البحار . وكان ابن يونس
سنة ١٠٠٩ م أول من استعمل الرقاص لقياس الوقت .

وفي القرن الخامس عشر اخترع الفلكي الفارس بن غياث الدين طريقة الكسور
العشرية في الحساب ، واستخرج العرب الجذور التربيعية والتكعيبية والتناسب ومعظم
العمليات الحسابية .

ومن علماء الجبر الماهاني في القرن العاشر ، والكوهي في القرن الحادى عشر ، وابن الجود ،
وابن بدر ، وعالج ابن البناء المسائل الحسابية وقسم المواريث ، وكان محمد بن موسى الخوارزمي
في عصر المأمون من أول علماء علم الجبر .

إن من واجب الاساتذة توجيه أنظار طلبتهم إلى سبق العرب علماء الغرب في كشف
كثير من العلوم ، ومن واجهم أيضاً كشف هذا الزيف في التاريخ الذى جعل السابق
لاحقاً ، واللاحق سابقاً .

ومن واجب دور العلم أن تسجل هذا الفضل لعلماء العرب بصورة ولو بسيطة : كأن
تطلق الجامعات والمعاهد على معمل الطبيعة مثلاً معمل (الحسن بن الهيثم) وعلى معمل
الكيمياء (معمل جابر بن حيان) وهكذا .

وفي هذه التسمية تخليد لفضل هؤلاء الذين اجتهدوا والذين سبقوا ، وتصحيح للتاريخ
الذى طرأ عليه الغرض ، وغلبت عليه التعمية ، والله الموفق إلى كل ما فيه الخير .

عبد العظيم أبو غنيم

مراقب العلوم المساعد بالأزهر

حملة ظالمة

يتعرض الأزهر هذه الأيام لحملة ظالمة... يقال عن الأزهر اليوم : إنه لا يؤدي رسالته الدينية ، ولا ينشر فكرة الدين في كل مكان من العالم ، وأن مستوى التعليم فيه منخفض ، وأنه يتعين على من يريد أن يدرس في الأزهر أن يلتحق بالمدارس الابتدائية العامة والثانوية ثم الجامعة ، فإن بقي له متسع من الزمن والعمر ، فليلتحق بعد ذلك بالأزهر الشريف ، ليتعلم الدين ، بعد أن يكون قد فرغ من دراسة اللغات والطبيعة والكيمياء وذلك الحشد من العلوم التي يضيق بها طلبتنا في المدارس العامة .

والفكرة التي يرى إليها الكتاب - وإن لم يعبروا عنها صراحة - هي أن الأزهر لم يعد له مكان ، فهم يريدون شيوخا مودرن ، وينسى الجميع أن الأزهر قد خرج محمد عبده ، وسعد زغلول ، والهللأوى ، وحسونة النواوى ، وذلك الرعيل الأول من الشيوخ الذين وقفوا في وجه الفرنسيين وغيرهم ، وكانت حياتهم هي الصفحة المضئئة المشرقة في تاريخ مصر ، وكان مماتهم - والأمثلة كثيرة - صفحة بطولة لن تنساها الأجيال .

إن هناك نحو عشرين ألف طالب يدرسون بالأزهر ، ولا تتسع لهم الجامعات ، ونحن لا نريد أن يذنبوا جميعا في الجغرافيا والطبيعة ، وإنما نريد أن يبقوا في محيطهم ، ينشرون الدين بعد تخرجهم ، ويحفظون اللغة العربية كما حفظها أسلافهم من قبل . ولولا الأزهر لكانت لغتنا نسياً مذهباً ، أما أولئك العباقرة الذين استطاعوا أن يتقنوا اللغات مع علوم الدين ، وتفقهوا في علوم أخرى كثيرة ، فهؤلاء يجدونهم الدهر كل حين ، ولا يمكن - لآى معهد كان - أن يخرج منهم عشرات أو مئات أو ألوف ، بل حسبنا أن ينبغ في الأزهر عدد قليل ، بل حسبنا واحد في كل جيل يحقق لبلاده ولمعهد مجداً كبيراً ، والتاريخ يحفظ لنا في مصر والخارج أسماء أفراد استطاعوا أن يغيروا التاريخ ويحولوه عن مجراه .

هناك أموال أوقفت على الأزهر ، وهناك رسالة واحدة للأزهر : هي نشر اللغة والدين ، فإن كان هناك تقصير ، فالتقصير في كل نواحي الحياة قائم ، وهو في التعليم قائم كذلك ، والعلاج لا يكون بالإلغاء ، وإنما بالتدعيم ، وله صورته وأشكاله ومظاهره ، يعرفها الذين يدرسون في الجامعات أو الذين تخرجوا منها . وأعود فأقول : إنها حملة ظالمة ، وإن عدتم

دكتور محمد محفوظ

الوكيل السابق لجامعة الإسكندرية

هذه هي الخطوة الثانية

فما هي الخطوة الثالثة ؟ ؟

ليس بغريب على طه حسين أن يفشر مقالاً طويلاً تتسع له أعمدة كثيرة من جريدة الجمهورية ، يطالب فيه بإلغاء الأزهر ، فإن طه حسين قد وقف حياته على محاربة الأزهر ، ولم يصل إلى متاع الحياة الدنيا الذي وصل إليه إلا بالطعن في علومه ؛ والنيل من علمائه ، ومناصرة الملاحدة الخارجين عليه ، وتأييد المناوئين له ، فهل تهيب له ذلك جهات حانقة على الإسلام ، كارهة لمبادئه ، ساخطة على نظمه ، معتقدة أنه لن يقر لها قرار في استبعاد الشرق الإسلامي مادام فيه هذا الأزهر المعمور ؟ ؟

ولكن ياترى ! هل هذه هي الخطوة الثانية وتقف عندها الخطى ؟ أم تكون الخطوة الثالثة لطه حسين هي المطالبة الملحة المسرفة في الإلحاح بإلغاء الإسلام أيضاً وتوحيد الأديان ؟ ؟

إن طه حسين لن يعدم علة يعتل بها حينذاك ؛ ولن يعجزه أن يزعم أن الأديان تقف حجر عثرة في سبيل نهضة الأمم ، وأنها تفرق بين أبناء الوطن الواحد ؛ وطه حسين قرأ طبعاً قصة الذئب والحمل .

هل صحيح - يامن زعموه زعيماً للادب العربي - أن طلاب الأزهر يتعلمون لا كما يتعلم الناس ، ولا كما ينبغي أن يتعلم الناس ؟

ماذا يتعلم طلاب الأزهر ؟ أليسوا يتعلمون علوم القرآن العظيم واللغة العربية ؟ إن كانت هذه العلوم لا يتعلمها الناس فقد وجب على المسلمين أن يتعلموها ، فعلها واجب ، وجعلها ضلال مبين .

وإن زعم طه حسين أنه لا ينبغي أن يتعلمها الناس فإذا ينبغي لهم أن يتعلموه حينذاك ؟ أيتعلمون التمثيل والرقص ، ويتخرجون من مدارس الفن ، ويتفنون في الإباحية والإلحاد ، ويسبحون بحمد فرنسا ولغتها وثقافتها وأدبائها ، ويرفون مالا يعرفه الأمريكيان عن أمريكا ، ليرضى عنهم طه حسين ، ويصرخ بـله شذقيه : أنهم يتعلمون كما يتعلم الناس ، وكما ينبغي أن يتعلم الناس ؟

إذا كانت علوم الازهر لا تدخل في حياة الناس يادكتور فلا نقول لك : كبر على نفسك
 أربعا وأنت حي ، لانا نعلم أنك لا تحب التكبير ، ولا من يعلم الناس التكبير والصلاة ،
 وإنما نقول لك : اذهب إلى الحى اللاتينى فى باريس المسئولية على مشاعرك والحد نفسك
 هناك ، فإن الشيء الوحيد الذى زعموا أنك تحسنه هو الادب ، والادب شيء كذلك ليس
 هندسة ولا صيدلة ولا تجارة رائجة يازعيم الادباء !!
 أما بعد : فقد ارتكبت يادكتور الاساءة إلى وطنك ، وبلبلت الافكار حول مصر زعيمة
 العروبة والإسلام ، فالله حسبيك . . . ؟

عبد القادر شبيب المحمد
 من خريجي الازهر

نشيد طلبة الازهر

نحن	شبان البلاد	نحن	رمز الامل
للعلا	للهجد	عدة	المستقبل
نعبد الله كما شاء	الإله	نراقى من كل شيء ما ارتضاه	
جل رب الخلق لا رب سواه		لا نرى هديا لنا غير هداه	
نحن طلاب المثال الأكمل		وبنو أهل المقام الأول	
حسينا هدى الكتاب المنزل		وتعاليم النبي المرسل	
إنما الازهر نور يهتدى		بهده الناس فى دنيا ودين	
وهو للأوطان طول الأبد		نبعها الفيض ، والحصن الحصين	
ربنا نعطيك عهد التخلصين		أن نكون العالمين العاملين	
فأعنا إنما أنت المعين		واهد يارب جميع العالمين	
		واهد يارب جميع العالمين	

محمد الأسمر

الأزهر للدين أولاً

نبتت في هذه الأيام دعوة إلى توحيد التعليم ، ونادى بهذه الدعوة المنحرفة أناس غير مسؤولين . وهدفهم من ذلك هو التعليم الديني الذي قام عليه الأزهر منذ مئات السنين ، ويتخذون من إدماج التعليم الديني بمراحلته الابتدائية والثانوية في مثلهما من التعليم المدني وسيلة إلى ذلك .

ولا يعلم إلا الله مآل المرحلة الأخيرة في الأزهر . فقد لا يرون ثمة حاجة إلى كلية للشرعة ولا إلى كلية للغة العربية . ولا ندري أيضنون على كلية أصول الدين بالبقاء أم يتعطفون عليها فيحموها من معول الهدم الذي يستخدمونه .

* * *

ألا إن الأمر جد وليس بالهزل ! إن مصر قبلة المسلمين في العلوم الدينية ، وامتازت منذ عصور الإسلام الأولى إلى اليوم بكثرة حفاظها للقرآن ، وأولئك الذين يدعون إلى هذا الإدماج الغريب ، بل إلى هذا الهدم العجيب ، يريدون أن يهدموا الأزهر لكي تزول عن مصر مكانتها الدينية ، فلا تكون فيها تلك المارة التي يتجه إلى ضوئها المسلمون في كل بقاع الأرض .

إن أولئك لا يريدون الإسلام وقاراً ؛ لأنه ما بقي الأزهر قائماً فهو الجامع للمسلمين ، وهو نواة وحدتهم ، ولقد اكتسبت به مصر نخشاً في الماضي ، عند ما استولى التتار على بغداد ثم بلاد الشام ، لجاء إليه علماء الشرق يجدون فيه المأوى والمورد العذب والمستضاف الكريم .

وكذلك كان أمره عند ما أغار الصليبيون في المغرب على الأندلس ، فقد أوى إليه علماء المغرب ، ووجدوا فيه الضيافة الكريمة التي وجدها علماء المشرق .

فكان ملقى علماء المسلمين أجمعين .

* * *

وقد كان للأزهر مواقف وطنية خالدة ، سجلها له التاريخ ، وما زالت صورها ماثلة في الأذهان .

يريد أولئك أن يذهبوا بهذا التراث الخالد ، والمعقل الوطنى التالذ .

ثم إذا هدم الأزهر ذلك الهدم فما الذى يحمى القرآن الكريم ، ويفشر تعاليم الدين ؟
لعل منع حفظ القرآن غاية من غايات أولئك الدعاة ، ومقصد من مقاصدهم ، هم ومن يكتبون لحسابهم من أعداء الإسلام .

إن يريدون بتوحيد التعليم لئلا هدم الأزهر ، ومنع حفظ القرآن الكريم ، وسد الطريق على الوحدة الإسلامية ، ويأبى الله إلا ما يريد .

• يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . •

أحمد حمزة

وزير التكوين السابق

الأزهر

أفضل جامعات الدنيا

أنشئ الأزهر في مصر ، فكان خلفاً من جامعتها الاعظم ، ومعهدا العلى الاول ، جامع عمر ثم جامع ابن طولون ، وبذلك كان الأزهر لمصر كنيلها العذب ، على كل منهما حياتها ورخاؤها ، ولا بد من كل منهما لبقائها ، وإلا فنيت ، وصارت صحراء جرداء لا حيوان بها ولا نبات ، فعلى النيل حياتها المادية ، ينبت به الزرع ويدر الضرع ، ويعيش عليهما الإنسان ، وعلى الأزهر حياتها المعنوية ، فيه قوام الدين وتثقيف العقل ، وتمذيب الفكر ، ورفع مستوى الإنسان من الحيوانية المجردة من الروح ، إلى الحيوانية ذات الروح العالية ، والنفس الزكية الطيبة .

والناظر فى ملكوت السموات والأرض ، إما أن يهديه تفكيره إلى وجود الله الذى خلق هذا السكون ودبره ، وإما أن يكون ملحدأ دهرياً لا يعتقد بوجود الصانع ، ولا يقر بوجود الإله ، وللأزهر عند الفريقين مكانته ، يوقن بها الفريق الاول بقلبه ويعترف بها بلسانه ، ويحسها الفريق الثانى إحساساً يصل إلى أعماق نفسه ، ولكنه يجدها ويحاول إخفاءها بلسانه .

وليس ذلك بهجديه شيئاً ، فالحقائق الثابتة ، لا تطمسها الالسنه ، كما لا تطمس الجبال الرياح ، مهما اشتدت ومهما عصفت ، وإنى أثبت هنا أثر الأزهر فى النواحي الآتية :

١ - العقيدة الدينية :

الدين الإسلامى جاء بتوحيد الله وبالصلاة والصيام والزكاة والحج ، وحث على التراحم والتعاطف والتسامح والصدق فى القول والإخلاص فى العمل ، وحرّم الفواحش ، ومنع الغش ، وضرب على أبهى المرتشين والمكاسين ، وأنشأ للناس دنيا جديدة يسودها الحب والإخاء ، وتزينها الأمانة والعفة والنزاهة ، وتسمو بها قوة النفس وقوة البدن والنشاط

وعدم الخمول ، فدراسة هذه التعليمات سواء كانت عقيدة أو غير عقيدة ، هى أرقى أنواع الدراسة ، وأفضل أنواع التعليم ، وكيف يحيد العاقل عن اعتقاده ، وفيها كل الخير للأفراد والمجتمعات . وإذا كانت هذه التعليمات خيراً أكملها ، فواجب على الناس معرفة جملتها وتفصيلها ، أما جملتها فقد ذكرناها ، وأما تفصيلها فنل عدد ركعات الصلاة ، ومقدار الزكاة ، وشروط الصيام وواجباته ، وكذلك الحج ، وحد الربا والغش ، ودرجة الزهامة والعفة ، إلى غير ذلك مما تقتضيه المحافظة على تنفيذ أى قانون سماوى أو دنيوى ، وقد قام الأزهر بهذا النوع من التعليم قديماً وحديثاً على أتم وجه ، وأقوم سبيل .

٢ - اللغة العربية :

اللغة وسيلة التخاطب ، وفهم مراد الخلق بينهم وبين أهل وطنهم ، وبينهم وبين أهل الاوطان الاخرى . وإذا كان الإسلام جاء بالخير كما مر آنفاً ، وجاء كتابه باللغة العربية ، وجاء رسوله بها أيضاً وشرح كتابه بها ، فواجب على الناس ليصلوا إلى معين الخير من المكتاب والسنة أن يعرفوا لغتهما حتى يفقهوا ما فيهما من خير وبر ، وحتى يستطيعوا العمل به طلباً لمنفعتهم وحرصاً على صالحهم ، ولو أن القرآن لم ينزل من عند الله ، والحديث لم يصدر عن الرسول ، لكان لزاماً على العقلاء أن يتعلموا لغتهما ليصلوا إلى ما فيهما من تعليمات هى الغاية العظمى لقيام دولة قوية عادلة ، يصل كل فرد فيها إلى حقه ، ويحظى بنصيبه من غير جور ولا عنت ولا استخذاء ، والأزهر باعتراف جاحدى فضله ، أول جامعة وأفضل مدرسة ، تقوم بدراسة اللغة العربية على أقوم طريق ، وأوسع مجال ، ولولا فضل الأزهر على اللغة العربية لما بقى لها كيان إلى الآن ، فلا توجد دولة تتكلم العربية على خير وجوها كما تنكلمها مصر ، والفضل فى ذلك للأزهر .

وإذا كان الناس يتعلمون الفرنسية والروسية لدراسة الادبين الفرنسى والروسى والتمتع بما فيهما من خيالات راقية ، وآفاق واسعة ، وتجارب فى الحياة نافعة ، أفلا يكون الأجدر بالمسلمين والعرب تعلم العربية للوصول إلى ما فى القرآن والحديث من أحكام ومواظ يترب عليها سعادة المجتمع ؟

٣ — علوم الكلام والفلسفة والمنطق :

إن ما جاء به القرآن ، وأتت به السنة من الخير ، كان وما يزال عرضة لهجوم المنحللين والمحلدين ، الذين لا يريدون أن يقيموا أنفسهم بأى قيد ، بل يريدون أن يكونوا فى الدنيا كالسائمة ترى حيث شاءت ، فكانوا وما زالوا يرمون الدين بكل قاصمة ، ودراسة علم الكلام والفلسفة والمنطق فيها عرض لآرائهم ورد عليهم ، ومقابلة حججهم الواهية بالحجة الدامغة ، وإلزامهم الاحجار فى أفواههم ، حتى لا يتعدوا قدرهم ، ولا يبرحوا مكانهم ، وبعد ذلك فى دراسة هذه العلوم توسيع المدارك ، والوصول إلى القضايا العلمية دنيوية وأخرية من طريق صحيح لا تعكر عليه السفسطة ، ولا تؤثر فيه الشرذة ، لأن معرفة أسلحة الخصم سبيل إلى معرفة أفضل أساليب الدفاع ، وسعة المدارك وقوة الحجة رفعة شأن وارتفاع بمستوى الانسان إلى حيث ينبغي أن يكون .

٤ — الرياضة : الحساب والجبر والهندسة :

يدرس الأزهر هذه العلوم لحاجته إليها فى علوم الدين كالميراث ومواقيت الصلوات وغير ذلك ، ولحاجته إليها دنيوياً ، لأن العالم الدنيى ينبغي ألا يكون جاهلاً بأمور الدنيا ، حتى يستطيع أن يفتى على علم إذا أفتى فى أمر دنيى يتعلق بأمر دنيوى ، والأزهر يدرس هذه العلوم كما تدرسها المدارس المدنية ، بل إن طلاب الأزهر يفوقون إخوانهم طلاب مدارس وزارة التربية والتعليم ، وقد شهد بذلك أساتذة تخرجوا من وزارة التربية والتعليم ، ودرسوا للأزهريين ، فوجدوا تفوقاً فى العقول وتفوقاً فى القدرة على العمل المتواصل وعدم الملل ، وتفوقاً فى احترام التلميذ لاستاذة وتوقيره له .

٥ — الجغرافيا والتاريخ والفلك :

يدرس الأزهر الجغرافيا والتاريخ كما تدرسها وزارة التربية ، ويزيد الأزهر توسعاً فى التاريخ ، فيدرس سيرة رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ وسيرة أصحابه ، وهذه الدراسة ولا شك من أنفع أنواع الدراسات ، لأنها تفرس صفات الخير والشجاعة والرجولة فى نفوس التلاميذ الصغار ، وهذه أفضل أنواع التربية الوطنية التى يحرص عظماء العالم على دراستها لشعوبهم ، والفلك لا يدرس فى مدارس الوزارة بل يفضل الأزهر به الوزارة ،

والأزهري إذا درس الجغرافيا أصبح أقدر من غيره على تفسير آيات القرآن ، وبعض الأحاديث المشتملة على مظاهر كروية قد يفهمها بعض الناس على غير حقيقتها ، ويستطيع الأزهرى أن يوفق بين العلم الحديث والعلم القديم ، ويقف الناس على ما كانوا يختلفون في فهمه وتحدث بينهم المعارك والمشاحنات بسببه .

٦ - فضل الأزهر على مصر :

لم ينبغ في مصر عالم ، ولم يظهر فيها وطنى منذ أنشئ الأزهر إلى الآن إلا وهو أزهري أو في عروقه دم أزهري ، فالأزهر هو الذى قاوم الفرنسيين والإنجليز والمماليك والأتراك وغيرهم ، وهو الذى حفظ لهذا الشعب كيانه ومعلمه ، وجعله على طول ما حاق به من إهانات وما سدوا إليه من سهام شعباً كريماً قائماً على قدميه ، ولولا تعليم الأزهر ما أنشئت الجامعات ، فقد كانت أساتذتها كرفاعة رافع الطهطاوى وزملاتنه وتلاميذه من الأزهر أو ممن تلقوا تعليمهم أول أمرهم فى الأزهر ، ولا تكاد نجد متعلماً ذا شخصية وفوة حجة إلا وهو أزهري أو تأثر بفرس أزهري ، فسمعد زغلول ، ومحمد عبده ، ومصطفى كامل ، ولطفى السيد ، وغيرهم ، لولا الأزهر ما كانوا كذلك ، ولظهر فيهم ضعف المدنية الحديثة ، وميوعة الاستعمار .

٧ - فضل الأزهر على المسلمين :

لقد حافظ الأزهر على القرآن الكريم ، يدعو إلى تعلمه وتعليمه ، واشترط فيمن يريد دخول معاهده أن يكون حافظاً للقرآن ، فإذا دخل الأزهر درس تجويد القرآن وأحكامه وتفسيره ، ولقد عنى الأزهر بالحديث النبوى الشريف ، وفيه شرح القرآن وأحكام الدين ، فأرجب على طلابه حفظ كثير منه ، وفهم معاني أكثره ، وحافظ على العقيدة الإسلامية بدراسة أصولها والدفاع عنها ، ورعى حقوق المجتهدين فى الأحكام الشرعية فدرس مذاهبيهم ، وقارن بينها ، وبين الأقوى منها والاضعف ، ولولا الأزهر لضاعف لغة القرآن ، فقد شملها الأزهر بكل رعاية ، وحاطها بكل ضمان ، فأهيات كتب النحو والصرف والبلاغة والأدب لا تدرس درساً متقناً إلا فيه ، ولا يستطيع متعلم مهما ادعى من التبحر والتحقيق أن يصل فى علوم العربية إلى ما يصل إليه الأزهرى ، وأما من الدلائل القاطعة ،

فغير الازهرى لا يستطيع تقويم لسانه وحمله على مراعاة قواعد اللغة ، وإذا تسكلم بضع كلمات صحيجات تعثر لسانه بعد ذلك وأكدى بيانه ، وهذه الدول العربية تستعين بالازهر وترجو رفته ، وستكون النهضة العربية الحديثة قائمة على أكتاف الازهر ، وقد وهب الازهر مصر شرفا عاليا ، وجاها عظيما ، ظهر أثره في رحلة الاستاذ الباقورى إلى الصين ، ورحلة نائب رئيس الحكومة إلى أندونيسيا ، ولا يحمد فضل الازهر على مصر والعرب إلا ملحد أو منافق أو مأجور أو ذوهوى ، لقد جعل الله الازهر حصنا للدين واللغة والاخلاق السكرية ، ولكن الاستعمار وأذنبه والملاحدين والمنافقين يريدون إطفاء نوره بأفواههم ، والله متم نوره ولو كره الكافرون .

٨ — الازهر يتعلم أفضل مما يتعلم الناس :

لقد قال طه حسين . إن الازهرين لا يتعلمون كما يتعلم الناس ، ولقد ظهر مما قدمته أن الازهرين يتعلمون أفضل مما يتعلم الناس ، فقد جمعوا في تعليمهم بين القديم والحديث ، وفاقوا في الحديث من تخصصوا فيه ولم يفهموا شيئا من القديم .

الازهرى يتعلم القرآن حفظا وتفسيرا وتجويدا ، والحديث حفظا وفهما ، والفقه وأصوله ، والتوحيد والمنطق والفلسفة ، والنحو والصرف والبلاغة ، والتاريخ والجغرافيا والفلك ، والحساب والهندسة والجبر ، والعروض والقوافي ، وطرق التدريس (التربية العلمية والعملية) وعلم النفس ، والرياضة البدنية ، وكل ما يسمو بالنفس البشرية ويقربها من درجات السكال ؟

طه الزينى

أستاذية في النحو والصرف

الأزهر

«والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»

في القرن الرابع من الهجرة استمرت الدولة العباسية على الانقسام ، وقامت دول مستقلة في كثير من ولاياتها ، وخسرت بغداد ما للعواصم من المزايا ، وصارت القاهرة قاعدة الإسلام الحقيقية ^(١) ومرجع هذه الزعامة بلا ريب إلى الجامع الأزهر . وهو أول جامع أسس بالقاهرة المعزية التي أنشأها الدولة الفاطمية سنة ٣٥٩ هـ . وأول من حاول جعله جامعة علمية هو الوزير يعقوب بن كلس وزير العزيز بالله الفاطمي ، وأول ما عمله في هذا الشأن أن بنى بجواره داراً للجماعة من الفقهاء ، وعدتهم خمسة وثلاثون فقيهاً ، فكانوا يجتمعون بالمسجد كل يوم جمعة عقب صلاة الجمعة ، فيقرءون القرآن إلى صلاة العصر ، ثم أقيمت فيه الدروس الدينية واللغوية في سنة ٣٧٥ هـ ؛ وقد تقلبت على الأزهر أحوال سياسية باختلاف الدول والملوك ، كانت تقتضي أحياناً تحويل الدراسة عنه إلى غيره من المساجد والمدارس لكن على أساس الاستعانة بطلابه وبعض علمائه .

ومنذ افتتح صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس سنة ٥٨٣ هـ بعد أن استولى الإفرنج عليه لإحدى وتسعين سنة ثم فتح الشام كلها واستنفذها من أيديهم ، صارت مصر والشام دولة واحدة وشعباً واحداً ، وصارت المدارس والمساجد تبعاً لذلك طرازاً واحداً يستمد من علم الأزهر وعلمائه . ومن أبرز هؤلاء العلماء العز بن عبد السلام ، وبني الدين النورى ، وغيرهما من الأئمة الاعلام . فمن حق الأزهر أن يذكر بهم ، ومن حقهم أن يذكروا به .

ولما كانت الغاية من العلم هي تربيته للناس وأمرهم بالعمل به كما قال الله تعالى : « ولذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه » ، ولذا يقول : « فلولاً نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » ،

وكان حاصل ذلك هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فسفنظر على ضوء ما سمحت به أنباء التاريخ الذى ما دون للعلماء بل للملوك والأسراء كيف وقف هؤلاء العلماء الربانيون ، والأولياء الصادقون ، فى وجوه الطفاة ، مواقف من لا يخشى أحداً إلا الله .

روى السبكي فى طبقات الشافعية له (١) أن قاضى القضاة شرف الدين محمد بن عين الدولة لما تولى القضاء فى الديار المصرية للملك العادل [الأيوبي] شهد عنه [العادل] وهو فى دست ملكه مراراً ، والقاضى يسوف فى قبولها ، فنظن العادل لذلك ، فقال له : هل تقبلنى أم لا ؟ (٢) فقال : لا أقبلك ، وكيف أقبلك ، وفلانة تطلع إليك بجنسكها (٣) كل ليلة وتنزل ثانى يوم سكرى على أيدي الجوارى ، وتنزل فلانة من عندك أنحس مما نزلت الأولى . فتناوله الملك العادل بكلمة شتم ، فردها عليه فى وجهه ، ثم عزله . ونزل إلى بيته معزولاً ، فغشى العادل من رد شهادته ، وخشى أن يذكر ذلك عند الملوك ووجوه الناس ، فنزل بنفسه إلى منزل القاضى ، وترضاه ، وأعاده إلى القضاء .

وفى كتاب النصيحة بما أبدته القريحة للشيخ أحمد المنوفى (٤) أن عبد الصمد الدمشقى لما تولى قضاء دمشق تداهى إليه خصيان ، فجاء أحدهما بكتاب العادل بالوصية عليه فلم يفتحها ، وظهر الحق لخصم حامل الكتاب ففضى له ، ثم فتح الكتاب وقرأه ورمى به إلى حامله ، وقال : كتاب الله قد حكم على حامل الكتاب ، فبلغ العادل ذلك . فقال : صدق . كتاب الله أولى من كتابى .

ولقد كان لمثل هذين الموقفين أثره على سلطان العادل ، فلم يبق فى الملك إلا سنتين وثلاثة أشهر حيث خلع فى سنة ٦٣٧ هـ ثم قتل بعد ذلك وتولى مكانه أخوه الصالح نجم الدين أيوب .

ومواقف العزيز بن عبد السلام من ملوك بنى أيوب ومن بعدهم من المماليك الاتراك عمالاً يستطيعه إلا ورثة الأنبياء الذين باعوا أنفسهم لله ببيع السلاح . فحينما تنازع الملك الصالح إسماعيل ونجم الدين أيوب ، واستولى الصالح على دمشق ، ونجم الدين على مصر ، اصطاح الملك الصالح مع الإفرنج على أن ينجدوه على نجم الدين ، وسلم إليهم صيدا وبعض

[١] وتاريخ الاسحاق ص ١٢٦ النسخة للممبشة . [٢] أى هل تقبل شهادتى أم لا ؟ [٣] آله من آلات الطرب . [٤] نقلا عن المرجع السابق .

القلاع والحصون ، ودخلوا دمشق لشراء السلاح . وقد كان جعل خطابها للعرس . فسا كان منه إلا أن أفنى بتحريم بيع السلاح لهؤلاء لاهم سيقانلوت به المسلمين ، وقطع خطبة الصالح ، وزاد في آخر خطبته قبل أن ينزل من المنبر : اللهم أبرم لهذه الأمة أمراً رشداً تعز فيه وليك ، وتذل فيه عدوك ، ويعمل فيه بطاعتك . وينهى فيه عن معصيتك ^(١) ، والناس يبتهلون بالدعاء والتأمين ، فاعتقل الشيخ ثم أطلق ، فنزح إلى بيت المقدس ، فأمره صاحب نابلس . ولما طلب منه ليعود إلى مناصبه وأكثر مما كان عليه أن ينكسر للسلطان ، ويقبل يده ، قال لمن سارمه على ذلك : ولكن يا مسكين ما أرضاه أن يقبل يدي فضلاً أن أقبل يده . يا قوم : أنتم في واد وأنا في واد ، والحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكم به .

ولما تحول إلى مصر وأقبل عليه السلطان نجم الدين أيوب ، وفرض إليه كثيراً من الامور ، وولاه الخطابة والقضاء ثم التدريس بالمدرسة الصالحية لم يمنعه ذلك أن يأمره وينهاه على رهوس الأشهاد . قال الباجي : طلع شيخنا عز الدين مرة إلى السلطان نجم الدين أيوب في يوم عيد بالقلعة ، فشاهد العسكر مصطفين بين يديه ، وقد خرج على قومه في زبنته على عادة سلاطين الديار المصرية ، وأخذت الأمراء تقبل الأرض بين يديه ، فالتفت الشيخ إليه وناداه : يا أيوب . ما حجتك عند الله إذا قال لك : ألم أبوى لك ملك مصر . ثم تبيح الخور ؟ فقال : هل جرى ذلك ؟ قال : نعم . الحانة الفلانية تباع فيها الخور وغيرها من المنكرات ، وأنت تتقلب في نعمة هذه المملكة ، يناديه كذلك بأعلى صوته ، والعساكر واقفون . فقال : يا سيدى . هذا أنا ما عملته ، هذا من زمان أبى . فقال : أنت من الذين يقولون : وجدنا آباءنا على أمة ، فرسم السلطان بإبطال تلك الحانة . قال الباجي : سألت الشيخ لما جاء من عند السلطان ، وقد شاع هذا الخبر : يا سيدى . كيف الحال ؟ فقال : يا بنى رأيته في تلك العظمة ، فأردت أن أهينه لئلا تكبر عليه نفسه فتؤذيه ، فقلت : يا سيدى ، أما خفته ؟ فقال : والله يا بنى ، استحضرت هيئة الله تعالى فصار السلطان قدامى كالقط ^(٢) . وقصة فتواه بأن المالك أرقاء وأن حكم الرق مستصحب عليهم لبئس المال إلى أن ذهب إليه كبيرهم (نائب السلطنة) شاهرا سيفه مقسماً أن لا بد أن يقتله إلى أن طرق عليه بابه وقوله

[١] اقتبسه من دطاء سفيان الثوري في صدر الدولة العباسية . انظره في الحلية لابن نعمان ص ٧٨

[٢] من أخلاق العلماء ص ١٧٤ ببعض اختصار .

لولده حين خوفه به : يا ولدى ، أبوك أقل من أن يقتل في سبيل الله . وخروجه إليه كالفضاء النازل حتى أيس يده وأسقط السيف منها وأرعد فرائصه وأبكاه وأخضعه لحكمه فيه وفي سائر الممالك من المعروف المسأور ، وتفصيل هذه القصة في طبقات الشافعية ^(١) .

ولما خرج الظاهر بيبرس صاحب الوقائع المشهورة مع التتار ثم الصليبيين استفتى العلماء في أخذ أموال من الرعية فأفتوه ، إلا النوى فإنه امتنع ، وكله كلاما شديدا ، فغضب منه ، وأمره بالخروج من الشام . فخرج إلى بلده نوى ، ثم رسم رجوعه فامتنع ، وقال : لا أدخلها والظاهر بها . فأت الظاهر بعد شهر سنة ٦٧٦ هـ بدمشق ^(٢) ومن تمة القصة أنه سأله عن سبب امتناعه ؟ فقال : أما أعرف أنك كنت في الرق للأمير بندقدار وليس لك مال ، ثم من الله عليك ، وجعلك ملكا ، وسمعت أن عندك ألف مملوك . كل مملوك له حياصة من الذهب . وعندك مائتا جارية ، لكل جارية حق من الحلى . فإذا أنفقت ذلك كله . وبقيت بمالكك بالبندود الصوف بدلا من الحوائص ؛ وبقيت الجوارى بئياهن دون الحلى ، أفيتيتك بأخذ المال من الرعية ^(٣) . ويروى نحو هذه القصة مع الشيخ عز الدين في مثل هذا المقام لم يكن مع الأمير قطز ^(٤) .

وكثير من المثقفين في هذا العصر الذين غذتهم المدارس والجامعات المدنية بكل شيء لإلإمبادىء الإسلام ومآثر الأسلاف ، يحملون أن قادة الشعب وزعماءه الذين كانوا يواجهون الطغاة بالنصيحة والزجر ، ثم بالنفوس والأرواح ، لم يكونوا إلا من هؤلاء العلماء .

روى الجبرتي أنه لما حضر حسن باشا الجزائرلى إلى مصر ، وخرج الأمراء المصريون إلى الجمة القبلية ، واستباح أموالهم ، وقبض على نسائهم وأولادهم ، وأمر بإنزالهم سوق المزداد ويبيعهم ، زاعما أنهم أرقاء لبيت المال ، اجتمع الأشراف ، وذهبوا إليه ، فمكّن المخاطب له الشيخ محمد أبو الأنوار قائلا له : أنت أقيت إلى هذه البلدة ، وأرسلت السلطان

[١] وقد أوردها صاحب أخلاق العلماء بطولها ص ١٧٥ و ص ١٧٦ عن الطبقات ص ٥٠ ص ٨٤ .

[٢] من تاريخ الشرقاوى على هامش الاسحاق ص ١٢٨ .

[٣] أخلاق العلماء ص ١٧٩ . [٤] الشرقاوى ص ١٢٥ .

إلى إقامة العدل، ورفع الظلم كما تقول. أوليبيع الاحرار، وأمهاث الاولاد، وهنك الحريريم؟ فقال: هؤلاء أرقاء لبيت المال. فقال له: هذا الامر لا يجوز ولم يقل به أحد، فاعتناظ غيظاً شديداً، وطلب كاتب ديوانه، وقال له: اكتب أسماء هؤلاء، وأخبر السلطان بمعارضتهم لأوامره. فقال له أحدهم: اكتب ما تريد. بل نحن نكتب أسماءنا بخطنا، فأفحم، وانكف عن إتمام قصده، وتبع أموال الامراء وودائعهم، وكان إبراهيم بك الكبير قد أودع عند أبي الانوار وديعة، فأرسل يطلبها، فامتنع عن دفعها قائلاً: إن صاحبها لم يمت، وقد كتبت على نفسي وثيقة، فلا أسلم ذلك ما دام صاحبها في قيد الحياة، فاعتد غيظ الباشا منه، وقصد البطش به، فحماء الله منه ببركة الانتصار للحق. فكان يقول: لم أر في جميع الممالك التي وليتها من اجترأ على مخالفتي مثل هذا الرجل. فإنه أحرق قلبي^(١). ومن الذي يعرف أن الشيخ الدردير رضى الله عنه كان قائد ثورة يخشى بأسه الظالمون، ويخضع لأمره الغاصبون.

روى الجبرتي أنه في عام ١٢٠٠ هـ نهب حسين بك شفت وجنوده داراً لشخص يدعى سالما الجزار ونهبوه حتى حلى النساء والفرش، فنار أهل الحسينية وانجسوا إلى الجامع الأزهر، ومعهم طبول، وانضم إليهم كثير من العامة، وبأيديهم نابات ومساوق، وذهبوا إلى الشيخ الدردير باعتباره شيخ العلماء، فساعدهم بالكلام، وقال لهم: أنا معكم، نخرجوا من نواحي الجامع، وأقفلوا أبوابه، وانتشروا بالأسواق وغلقوا الحوانيت، وأخذوا يصيحون ويدقون الطبول، وقال لهم الشيخ الدردير: في غد نجتمع أهالي الأطراف والحاترات وبولاق ومصر القديمة، ونركب معهم فنهب بيوتهم كما ينهبون بيوتنا، ونموت شهداء أو ينصرنا الله عليهم. فساكن من الامراء إلا أن حضروا إليه، راغبين في الصلح، خائفين من تضاعف الحال^(٢).

وبعد ذلك بتسع سنوات تزعم شيخ الأزهر الشيخ الشرقاوى ثورة أخرى على هؤلاء الامراء، كان سببها أنه حضر إليه أهل قرية بشرقية بليس، وذكروا أن أتباع محمد بك الاتي ظلهم، وطلبوا منهم مالا قدرة لهم عليه، فاعتناظ الشيخ من ذلك، وجمع المشايخ، وقفلوا

[١] الجبرتي - ٣ - ٢٠١ وانظر أخلاق العلماء - ١٧٩.

[٢] الأزهر في ألف عام: الحفاجي بتصرف واختصار - ١.

أبواب الجامع ، وذلك بعد أن خاطب مراد بك وإبراهيم بك ، ولم يبدِ شيئاً ، وأمر الشيخ الناس بإغلاق الأسواق والحوانيت ، ثم ركبوا ثانی يوم إلى بيت السادات ، وتبعهم كثير من العامة ، وازدحموا أمام الباب والبركة بحيث براهم لإبراهيم بك . فأرسل إليهم يسألهم عن مرادهم . فقالوا : نريد العدل ، وإبطال الحوادث والمكوسات التي ابتدعتموها . فقال : لا يمكن الإجابة إلى هذا كله ، فإننا إن فعلنا ذلك ضاقت علينا المعاش ، فقالوا : ليس هذا بمذر عند الله ، وما الباعث على الإكثار من النفقات والماليك ، والامير يكون أميراً بالإعطاء لا بالأخذ .

ثم انفض المجلس ، وركب المشايخ إلى الجامع الازهر ، واجتمع أهل الاطراف ، وباتوا فيه . فساكن من مراد بك إلا أن عاد غطب ودم وطلب منهم الصالح ^(١) . والحديث عن سائر مواقف علماء الازهر في وجوه الظالمين والغاصبين ، أمرين بالمعروف ، ناهين عن المنكر ، مجاهدين في سبيل الله ، مما لا يتسع له المقام . وفي عدد صفر من هذه المجلة نبذة صالحة من مواقف خالدة للشيخ حسن العدوي ، وشيخ الإسلام الإنابى ، والشيخ حسن الطويل ، والشيخ محمد بن حيت ، وشيخ الازهر الشيخ حسونة النواوى ، والاستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، وشيخ الازهر الشيخ عبد المجيد سليم . وأنه لا يزال یرن في الآذان صوت شيخنا الشيخ محمود أبو العيون رحمه الله وهو يجلس على صفحات الأهرام أمراً بالصون والعفاف ناهياً عن المجون والاستهتار ، إلى أن يواجه فوزية أخت فاروق وبنت فؤاد فيما أعلنت عنه من إقامة حفلة ساهرة لجمع التبرعات لعمل من أعمال البر على طريقة ذلك الآوان بقوله :

إحدى لياليك فيبسى هيمى لانتمى الليلة بالتعريس

ويعد - فإننا نرد غرب القول أن يفيض في وصف اثر الازهر في بناء الامة الإسلامية عامة والمصرية خاصة بناء استطاعت به أن تواجه جحافل التتار ، وجيوش الصليبيين ، وأن تزلزل به أقدام الفرنسيين ، وتقص به مضاجع الانجليز الغاصبين . وهو حديث لا ينكره ولا يغض منه إلا كل من يجادل في الحق بعد ماتين بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ؟

محمود فرج العقدة

المدرس بكلية اللغة العربية

تمثيل مصر والازهر

في افتتاح المسجد النبوى الشريف

بعد توسعته وتجديده

إجابة للدعوة السكرية الموجهة من حضرة صاحب الجلالة الملك سعود عاهل المملكة العربية السعودية لحضور الاحتفال بافتتاح المسجد النبوى الشريف بعد توسعته وتميئته لاستقبال وفود المسلمين من أقطار الدنيا ، سافر حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الازهر على رأس وفد ديني مؤلف من صاحبي الفضيلة الشيخ حسن مأمون مفتي الديار المصرية ، والشيخ محمد توفيق النحاس مراقب البحوث والثقافة الإسلامية المساعد ، لتمثيل مصر والازهر في هذه المناسبة الجليلة ... وقد أقيم الاحتفال في جو من الروعة والفخامة يليق بهذه المناسبة السكرية ، وذلك في يوم السبت ٥ من ربيع الأول سنة ١٣٧٥ ، في سرادق عظيم بجوار المسجد النبوى الشريف برئاسة حضرة صاحب الجلالة الملك سعود ، وبحضور الأمراء والوزراء وكبار العلماء من شبه الجزيرة العربية ومن الأقطار الإسلامية الأخرى وكبار الشخصيات بالمملكة والسفراء ورجال التمثيل السياسى .

وفيا لى نص كلمة حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر التى ألقى في هذا الاحتفال العظيم :

بسم الله الرحمن الرحيم . وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ، فهذه أيام عظيمة مباركة ، تحمل لنا ذكرى مجيدة طيبة ، هي من أعز ذكريات الإسلام : ذكرى مولد خاتم الانبياء محمد عليه الصلاة والسلام .

وهذه هي المدينة المطهرة ، مهاجر النبي الكريم ﷺ ، قد كانت مركزاً لدعوة الحق ، ومناراً للهدى والرشاد ، ومبعثاً للقوة الخارقة الرائعة ، التى قضت على البغى والجهل والفساد ، ونشرت على العالم لواء العدل والعلم والامن والسلام .

وهذا هو المسجد النبوى الشريف ، الذى أنشأه الرسول بنفسه ، وعمل فيه بيده ،
كان يحمل فيه مع البهاء الطوب والاحجار ، وينشد ، وينشد معه أولئك المؤمنون الاخيار :
هذا الجمال لا حمال خبير هذا أبر ربنا وأطهر

فى هذا اليوم المجيد ، وفى هذه البقعة الطيبة من المدينة النبوية المباركة ، يشرفنى ، ويشرف
هذه البعوث الوافدة من مختلف بلاد الإسلام ، أن نشهد هذا الحفل الميمون ، تلبية لدعوة
كريمة ، من ملك كريم ، وابتهاجاً بعمارة هذا المسجد العظيم ، الذى هو أحد المساجد الثلاثة ،
التي لا تشد الرحال إلا إليها .

هذه العمارة الجديدة ، قد أرسى جلاله الملك سعود قواعدهما ، وأحكم بنيانها ، ووسع
رحابها وأرجاءها ، فجاء بها هذا المسجد العظيم ، آية من آيات العزة الدينية ، وعلماً على
القوة الإسلامية ، وشاهداً راثماً قوياً ، على ما امتاز به هذا الملك المؤمن الغيور ، من
عزيمة قوية نفاداة ، فى العمل لرفعة شأن الإسلام ، وعزة المسلمين .

إن عمارة المساجد وإصلاحها وتجديدها ، لشرف عظيم ، كان يتنافس فيه السابقون
الأولون ، وكان يسير على نهجهم فيه من تبعهم بإحسان من ولاية المسلمين ، يرون فى هذا
العمل المجيد لإعلاء لكلمة الله ، وإبقاء لذكره ، ونشراً لدعوة الحق ، وجعلاً لعباده المؤمنين
على البر والتقوى ، والهدى والصلاح .

• فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، يسمح له فيها بالغدو والآصال ، رجال
لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، يخافون يوماً تتقلب
فيه القلوب والأبصار ، ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ، ويزيدهم من فضله ، والله يرزق من
يشاء بغير حساب .

أما هذا المسجد النبوى الشريف ، فإن الإقبال عليه والعناية بأمره ، وإصلاحه وتجديده
وعمارته ، لمن أعظم ما يرجوه المسلمون ويتطلعون إليه : شعوبهم وقادتهم وحكامهم ، وهو
من أقوى الدلائل على الاعتزاز بالمبادئ الإسلامية السامية ، وبجمال لواثها ، وهادى الناس
إلى صراطها ، والقوة العظمى ، فى قوة النفس ، وكال الخلق ، والإيمان ، والثبات على الحق ،
والمضى فيه ، والجهاد فى سبيله .

فيمثل هذا العمل المجيد الذى قام به هذا الملك العربى العظيم ، وبالجهد الذى تبذل دائماً
لنشر الدعوة الإسلامية ، وتجليه حقائقها ، والدفاع عنها ، وعن مراكزها ومواطنها ، فتجدد
عزائم المسلمين ، وتسهمهمهم ، ويثبته غافلهم ، وتقوى جماعتهم ، وتحيا نفوسهم سيرة النبي

الأكرم ، الذى هو مثلنا الأعلى ، وقدوتنا العظمى ، وتجلى مآثره وفضائله ، وما حققه للمسلمين من خير وعزة وكرامة .

لهذا المعنى الجليل ، عنى المسلمون بأمر هذا المسجد منذ الصدر الاول ، فجدد بناءه وزاد فيه عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، رضى الله عنهما ، واقتدى بهما فى هذا الفضل والشرف عمر بن عبد العزيز ، فى عهد الوليد بن عبد الملك ، فقام فيه بعمارة عظيمة ، وأدخل فيه زيادات كبيرة . واستمر يتنافس فى تجديد مآثره المتنافسون ، ويتسابق فى تعهده ورعايته ، المصلحون من ملوك المسلمين ، إلى أن جاء هذا الملك الكريم ، فواصل ما بدأ فى عهد جلالة والده الراحل العظيم ، حتى أتم هذه المأثرة الجليلة ، التى أضفت على هذا المسجد الشريف ، من البهاء والروعة ، ما يليق بمكانته ، ويتناسب مع ما حبا الله به الملك من همه فى جلائل الآور ، وقوة فى الحق ، ونفاذ فى البصيرة ، وحب لأعمال الخير والبر ، وغيره على الإسلام .

وبعد ، فإنها لسعادة كبرى ، أن نحظى فى هذه المناسبة المجيدة ، بزيارة هذه الأرض المقدسة خير بقاع الدنيا ، فنشهد بها طاع هذا النور الإلهى الذى انبثق من أم القرى ، يشق طريقه إلى العالم ، يبدد ما فيه من ظلمات ، وينقذ الناس عما ارتكسوا فيه من فتن ومحن ، وآثام وشهوات .

وقد ربط الله بهذه الأرض الطاهرة المقدسة جميع أقطار الدنيا ، وجعلها مركز العالم الإسلامى كله ، تهوى إليها الأئمة ، وتصبو النفوس ، وتتجه الأبصار والبصائر ، وناط بها ركنين عظيمين من أركان الإسلام ، هما الصلاة والحج ، فالمسلمون مهما تباعدت ديارهم ، واختلفت ألسنتهم وألوانهم ، يولون وجوههم كل يوم فى صلاتهم شطر الكعبة ؛ والمسلمون مهما شط مزارهم ، وشقت أسفارهم ، يقطعون المسافات ، ويجوبون المخاوف ، آمين البيت الحرام ، وفوداً فى كل عام ، ليتعارفوا فى حماه ، ويتواصوا بالحق والخير فى رحابه ، ثم ليقضوا نفوسهم ، ويوفوا نذورهم ، ويطوفوا بالبيت العتيق .

أسأل الله العلى القدير الذى وفق هذا الملك العظيم إلى هذا العمل الجليل فى المسجد النبوى الشريف أن يوفقه إلى تنفيذ ما اتواء فى المسجد الحرام ، وأن يديم على هذه البلاد أمنها ورخاءها ، ويجمع قلوب المسلمين على ما فيه خيرهم وصلاحهم ورشادهم ، وأن يعز الإسلام ويعلى كلمته ، ويحفظ لشبه الجزيرة العربية راعيها وقائدها ، ويجعل عهده عهد يمن وسلام .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تقرير

ترى هيئة التدريس في كلية اللغة العربية أن تتقدم بهذا التقرير

إلى السيد الرئيس قائد نهضة مصر

ليدرأوا عن الأزهر بعض ما يثار في وجهه من غبار ، ولهم سموا له صورة صادقة
بمناسبة ما يدور حوله من آراء تنشرها الصحف ، ويتناقلها الناس .

وما كان أغنى الأزهر عن أن يدفع عنه المدافعون ، لولا أن بعض ذوى الخطر القديم
يغوضون في حديثه خوض متحامل ، فظلموه بهذا الخوض ظلما فادحا لا ينبغي أن يجازى به
معهد له مثل حاضره وماضيه .

وأى ظلم للأزهر أفدح من أن ينادى المنادون بإفئائه في سواء ، والتعفية على آثاره ؟
فيطوي بذلك كتاب ضخم ، كم سجل بسببه التاريخ لمصر ، وما زال يسجل ، روائع من آيات
المجد الأثيل ؟

أيها السيد الرئيس :

إن لإنصاف الحقيقة يقتضي أن نضع ماضى الأزهر وحاضره في الميزان لعلمنا نهتدى
فيهما إلى ما يشفع له بالبقاء ، أو ما يستحق بسببه الفناء .

أما الماضى فهو عريق عراقة التاريخ النبيل ، وإن جذوره لتتعمق في الأصالة والعق
أكثر من ألف عام ، ولا غرو فالأزهر أقدم جامعات العالم باطلاق ، وهو أصل معهد
قام على خدمة الإسلام ومعارفه بروح علمية صادقة ، لا تعرف الضيق ولا الجود ولا تنخلف
عن ركب الحياة ، وهو الذى ثبت من دون معاهد الأفطار الإسلامية لأعاصير الزمن ،
حتى استحال في نظر المسلمين إلى فكرة ، معناها القيام والحفاظ على العلوم الدينية والعربية ،
فاكتسب لمصر بذلك منزلة الصدارة ، وأحلها المقام المحمود في العالم الإسلامى ، إذ ربطت
شعوبه هواها بالأزهر ، واتجهت بأفئدتها إليه ، وأولت وطنه مصر زعامتها منذ قديم .

أيها السيد الرئيس :

لو أن هذا الذي تحدثنا به عن الأزهر كان عارضا في تاريخه مضى وانقضى ، ما كان لنا أن نعتد به ، ولا أن ندخله لنا في حساب ، فما نحن بمن يتعوضون عن فراغ الحاضر وفقره بامتلاء الماضي وغناه ، ولكنه والحمد لله ماض موصول بحاضر ، وحاضر ممتد إلى ما شاء الله من مستقبل زاهر بفضل الرئيس الحريص على مجد مصر أن يتولاه الدور . فما قعد الأزهر يوما ما ولا تخلى عن أداء مهمته الأولى ، ولقد تطورت مناهجه مرة بعد مرة متابعة تطور الحياة وما يجد فيها من مظاهر تطلب التجدد ، ولكنه كان دائما حريصا على صبغته التي فطره الله عليها ، وهي العناية بكل العناية بعلوم اللغة والدين ، وبذلك لم يقصر في الوفاء بواجبه الاصيل ، ولم يتخلف عن تحقيق رغبة المسلمين وما ناطوه به من آمال ، فلم تتغير نظرهم إليه ، ولم تنزع عقيدتهم فيه .

وآية ذلك تلك البعث التي تتوافد إليه في كل عام من كل أرجاء الأرض ومن كل أجناس الخلق ، حيث تنثال عليه تلك الوفود أفواجا أفواجا تزود من ثقافته ، وترتوي من مناهل علمه .

ثم هذه الدول التي تستمد مددها دائما منه ، وتلتهمس العون الثقافي من المنخرجين فيه ، وتزايد حاجتها إليهم عاما بعد عام . ثم هذه المنزلة التي لا تضارعها منزلة ، فإنه يحتمل وتحتمل به مصر أسمى المنازل من قلوب المسلمين في كل رجا وقطر .

وما نحتاج في إثبات ذلك إلى شيء أصدق من شهادة السيد الرئيس وصحبه الأبرار . فقد أتاح لهم اشتراكهم في المؤتمرات الدولية ، وارتحالهم في مشارق الأرض ، واتصالهم بالوافدين من أهل الاقطار القريبة والبعيدة ، أتاح لهم ذلك أن يلمسوا عن قرب صدق ما نقول وأكثر مما نقول .

أيها السيد الرئيس :

هذا طرف يعرفه الناس من ماضى الأزهر وحاضره في الميدان الخارجي ، وسندع لسيادتكم تقديره ، فأولو الامر في الامم والقائمون على سياسة الدول ، هم أعرف الناس بقيمة هذه الامور ، ندع ذلك ونبحث ؛ فلعلنا أن نجد في ماضى الأزهر وحاضره بالميدان الداخلي في البلاد أشباها لهذه المفاهيم .

ولن نذهب إلى الماضى البعيد ، فحسبنا أن نشير إلى ما لم يفسه الناس ، وما لن يستطيعوا فسيانه ما دام للتاريخ رواة .

وهل يخفى على أحد أن عهد النهضة المصرية فى كل ناحية من نواحيها ، إنما استمدت أول ما استمدت من الأزهر ؟ .

إننا لا نتمثل بالنجوم اللامعة من أبنائه الذين أجرى الله على أيديهم لمصر كثيراً من الخير ، من أمثال عمر مكرم ، ومحمد عبده ، وسعد زغلول ، ولما كنا نشير إلى الرعيل الأول من أقران رفاة الطهطاوى ومن جاءوا على أعقابهم من شباب الأزهر الذين بعثتهم مصر إلى أوربا ليقبسوا لها أقباساً من العلم الجديد ، ثم عادوا ليمهدوا الطريق ويضعوا على جوانبه المناور والاعلام .

وما لنا ولذلك ، إننا فى حاضرنا هذا نمد جهاز الدولة بأعضاء عاملين ، يتغلغلون فى كل ناحية ويؤدون أعمالاً لا غنى للمجتمع عنها ، ولن نزوق فى العبارة ، وإنما تتبع طريق العد والإحصاء ، ونُدع للحقائق السافرة النطق والبيان .

١ — فالأزهر أهم مورد تستمد منه مدرسة المحصلين والسيارف حاجتها من الطلاب الذين لا يتخصصون فيها أكثر من عام ، وتشهد بذلك وزارة المالية .

٢ — والأزهر دون سواء هو الذى يمد الدولة بحاجتها من الموثقين وقضاة الأحوال الشخصية كما تعرف ذلك وزارة العدل .

٣ — والأزهر هو المورد الاوحد لسد حاجة الدولة من الأئمة والخطباء والوعاظ والمرشدين كما تعلم وزارتا الاوقاف والداخلية .

٤ — والأزهر يسهم يسهم وافر فى إعداد معلم المرحلة الأولى .

٥ — والأزهر هو أغزر منبع يتكون فيه معلم اللغة العربية والدين فى المرحلتين الإعدادية والثانوية ، وسواء تولى أمره الأزهر من مبدئه إلى منتهاه ، أو حملت عنه بعض العبء كلية دار العلوم ، فإنها تستمد طلابها من الأزهر .

أيها السيد الرئيس :

لعل من حقنا الآن أن نجاهر مطمئنين بأن الأزهر ضرورة لا بد منها لمصر :
فهو ضرورة تاريخية يحتتمها امتداد تاريخ مجيد كتب الله له أن يمتد ما بقى دينه ،
وقرآنه ، ولغة قرآنه .

وضرورة سياسية تفضى بها وتؤكدها وشائج القرى والأسباب القوية التى تربط مصر
بمسائر الشعوب الإسلامية ، وتنزلها منها منازل حبات القلوب .

وضرورة اجتماعية تتطلبها الحياة الحاضرة ، حيث يقدم لها الأزهر كثيراً من الأيدى
القوية النظيفة ، التى تعمل فى دموب وسكون مع غيرها من أيدى العاملين المخلصين .
إن لنا أن نجاهر بذلك ، لعله يعيد إلى الصواب أولئك المتجنين على الأزهر ، أولئك
الذين لا يخشون فى تجنهم عليه لومة الحق ، فيظلمونه فى ماضيه وحاضره ، ويهتفون بالقضاء
عليه وطى صحيفته من سجل المجد والخلود .

وأى حجة هؤلاء المتحاملين على الأزهر فى ترويج ما يروجون ؟ .

أهى اعتزال الأزهر ، ونأيه بعيداً عن الحياة ، مضروباً بينه وبينها بالحجب الصفاق
من ثقافته كما يدعون ؟ .

لقد يصدقون فى ذلك لو كان فى مواد هذه الثقافة ما يكون من طبيعته الجمود وتسوير
الحياة بالحجب الصفاق ، ولا فيصل فى ذلك إلا اطلاع الناس على برامج هذه الثقافة ،
وهى من المطبوعات العامة للدولة ، ويستطيع أن يراجعها كل من أراد .

وحيثئذ سيجد الناس أنها حيوية لسبب معقول ، وهو أن مثلاً فى غير الأزهر لم يرم
بالجمود من أحد من الناس ، وسيعلم من كان لا يعلم أن طالب الأزهر لا يفوته شئ مما تأخذ به
وزارة التربية والتعليم تلاميذها إلا شدة الاحتفال باللغات الأجنبية ، وأن الأزهر يهيئ
لطلابه بديلاً من ذلك مزيداً من العناية باللغة العربية والدراسات الإسلامية ، وذلك أمر
تقتضيه طبيعة التوجيه وإعداد الطلاب للتخصص العلمى .

واللغة العربية هى اللغة القومية ، والإسلام هو دين أهل البلاد ، ولغة أى قوم ودينهم
هما من صميم حياة هؤلاء القوم ، فكيف يكون جامداً معتزلاً الحياة من يعنى بهما إلا أن
يكون الاشتغال بجانب من الحياة حجاباً صفيقاً يفصل المرء عن الحياة ؟ .

ونقولها مرة أخرى : قد يصدقون لو لم يكن ما قدمناه في قائمة حساب الأزهر ناطقاً بالحق منادياً بأعلى الصوت أنه قطعة من الحياة ، وهى قائمة تنألف تفاريقها وجلها من حقائق الواقع ، وإلا فكيف يستطيع أبنائه بعد خروجهم من كهف العزلة أن يدلّفوا إلى المجتمع وأن يزاولوا ما يزاولون فيه من أعمال ، ما لم تؤهلهم ثقافتهم لها ، وتسليحهم بأسلحة النجاح فيها ؟ أم أنها هى فكرة التوحيد بين أبناء الأمة فيما يلقى إليهم من برامج التربية والتعليم ؟

إنها فكرة جميلة ، ولكنها فى مقامنا هذا رواء لا مخبر له ، بل هى حق يراد به الباطل . وتوضيح ذلك سهل قريب ، فى قانون الأزهر مادة تشترط فيمن يريد اللحاق بالسنة الأولى من قسمه الابتدائى ألا تقل سنه عن اثنتى عشرة سنة ، ومعنى ذلك أن الأزهر لا يتلقى الطالب إلا بعد أن يتخطى حدود المرحلة الأولى وشطرا كبيرا من عمر المرحلة الإعدادية ، لسبب اقتضى ذلك ، وهو اشتراطه للالتحاق به حفظ القرآن الكريم ، وما يقول أحد بأن توحيد البرامج والمناهج العلمية توحيداً كاملاً بعد هذه الفترة أمر تحتمه الحياة العاملة المتنوعة المطالب والغايات ، بل إنها تحتم التنوع والتفريع وفقاً لنظرية التخصص وهى أعرق وأصدق قاعدة فى قواعد الاجتماع .

وهذه وزارة التربية تنوع برامجها مرة بعد المرحلة الأولى ومرة أخرى بعد المرحلة الإعدادية ، وتفنن التعليم إلى مدارس معلمين أولية ، وصناعية ، وزراعية ، وتجارية ، ومثانوية ، وما ذاك إلا توجيهه إلى التخصص المهنى أو العلمى ، حسب ما تقتضى الحياة .

ومعاهد الأزهر - قياساً على ذلك - طريق من طرق التوجيه تعد طلابها لإعداداً يتسق مع ما ينتظرهم فى السكليات من مناهج خاصة بتخريج المعلم الكامل للعلوم الدينية والعربية . وما ننتظر أن يخالفنا أحد فى أن مثل هذا المعلم ينبغي أن يعد إعداداً خاصاً يؤهله تأهيلاً كاملاً لعمله ، ولا فى أن المنهج العام فى التعليم الثانوى لا يصلح أن يكون توجيهاً وتمهيداً لتنوع الثقافة اللغوية والدينية الشاملة التى ينبغى أن يؤخذ بها مثل هذا المعلم ، وإلا فإننا نحتكم إلى السيد الدكتور طه حسين أستاذ الأدب العربى بجامعة القاهرة سنة ١٩٣٠ وما قبلها فنسأله : فيم كان عناؤه ومحاولته أن يجذب إلى قسم اللغة العربية هناك شباباً من شباب الأزهر ؟ أى معنى كان يقصده من ذلك غير ما كان يراه ويصرح به من أن هذا القسم لا يؤتى ثمره ولا يصل إلى ما يريده له من آمال حسنة إلا بشباب ثقّفوا بثقاف أزهرى ؟ .

ثم نسأله - وقد تلبذ له فريقان أزهرى ومدنى - أيهما كان أهلا لأن يصل به إلى أمه من هذا القسم بعد أن ينحى عن حكمه النادين الانفذاذ ١٩

ولسكن أين نحن الآن من السيد الدكتور الذى كان أستاذا للأدب فى سنة ١٩٣٠ وما قبلها ؟ وأين نجد له لطلب حكومته فيما نتنازع عليه نحن والمعادون ، ونسأله فيعطينا الجواب الصواب ؟ لقد جنى على الرجل اشتغاله بالسياسة فتغير ، ولم يبق من ماضيه إلا طائفة من الذكريات وهى فيما نعتقد طائفة تصلح للفصل فيما بيننا وبينه ، وتستطيع أن تدفع فى وجهه مغالطاته بهذا المقام . وبعض هذه الذكريات ما زال ماثلا على التحقيق فى أذهان تلاميذه من الأزهريين الذين اقتحم بهم أسوار الجامعة المصرية فيما مضى ، سعيًا منه فى سبيل النهوض بقسم اللغة العربية ، ودعمًا لهذا القسم بأصلح العناصر فى رأيه آنذاك .

ولعل بعض هذه الذكريات أن يكون مسجلا فى سجل مجلس الجامعة منذ استصدر الدكتور منه ترخيصا يفتح لهؤلاء الأزهريين ما كان مغلقا دونهم من أبواب .

وقد يكون بعضها باقيا غافيا فى نفس الدكتور طه حسين الذى يسعى الآن بين الناس ، وينقض من رأيه ما أبرم ، ويحاول القضاء على الثقافة الأزهرية بدعوى الإصلاح .

وما كان لهذه الذكريات أن تغفو فى نفسه أو تنام ، لو أنه بقى إلى الآن فى مقامه الأول يزاول من شئون الطلاب ما كان يزاول عن قرب ، ويعنيه من أمر قسم اللغة العربية ما كان يعنيه .

ولسكنه الآن رجل آخر غير الذى كان ، إنه رجل ينازل فى ميادين الإصلاح بأساليب السياسيين المتحزبين ، فقد أساء إليه اندماجه فيهم وأعدته طباعهم ، حتى نسى أن الوصول إلى الحق غاية ما يبتغى المتجادلون ، وامتحن سلطان ضميره العلبي فأثر أن تكون المغالبة هدفه ومقصده ، واتخذ من المغالطة سلما يرتقى فيه إلى الغلبة على أنقاض الحق ، وصار بحيث لا يحجزه من خلق العلماء حجاز عن تسفيه الناس جزافا ، وتلهم طوائف وجماعات .

وهل أثم شيوخ الأزهر عنده ، حتى لا يحمى فى نفسه حرجا من أن يتهمهم بحملة بسوء التعلم ، وأن يرميهم بالتواء الفهم ، وشذوذ التفكير ١٩ .

لأنهم لم يصنعوا شيئا أكثر من أن رأوا رجلا يموه بالباطل ويلبس على الناس ، فنفر له نفر قليل منهم يجادلونه بالتي هى أحسن ، ويطلعون الناس من رأيه على مواطن الضعف ،

ويصرونهم في أمرهم طريق الرشد ، دون أن تنطوى نفوسهم على نية السوء له أو النيل منه اللهم إلا أن يحسب في ذلك ما يكون من هفوة الرجل يخونه النوفيق ، ويخطئه حسن التعبير .

لقد كان جديرا بصاحبنا ألا يحفظه ويشير ناثره نيل يناله في ذاته — إن صح أنه نيل بمكرهه — فذلك أولى له ولا مثاله ممن يدعون الإصلاح ، ويتخيلون لأنفسهم موقف البطولة في ساحته فيتخذون سمت المصلحين ، وإلا فكيف يصدق الناس رجلا تعرى من أناة صاحب الحق ، لأن يده صفر من الحق ، أو كيف يقبلون الرأي ممن يشور لنفسه فينأى عن الهدى ، وينأى عن العدل ، ويجمع به هواه ، فيسفه على قوم لم يسوه بسوه ، ويفتئت عليهم ما شامت له المفتريات ، وما أكثرها من مفتريات ، وما أفضحها !!

وإنها لفرية صارخة ما يزعمه الدكتور طه حسين من أن الأزهريين لا يفرقون بين ذواتهم وبين الدين ، ولا بين الأزهر الشريف نفسه وبين الدين كما يقول ، فما ادعوا لأنفسهم ولا لمعهدهم عصمة دينية ولا الدين الذي يدنون به يرضى لأحد أن يدعى لنفسه العصمة .
ولكنهم يؤكدون ، وحق ما يؤكدون ، أنهم أوفى طوائف المنفقين من المسلمين نصيبا من الثقافة الدينية .

ويؤكدون وحق ما يؤكدون أن معهدهم أعرق معاهد الدين عند المسلمين ، وأعلاها مقاما في نفوسهم ، وأشدّها ربطا بين قلوبهم ، وألزمها للقدر المشترك من حياتهم ، وأوسعها إحاطة بمعارفهم الدينية واللسانية وأسرعها تجاوبا مع الحياة وقبولا للبعد من كل جديد .

وإذا قال قائل من الأزهريين إن معهدهم يدرس لطلابه كذا وكذا من العلوم ، فإنه لا يجازف بذلك ، ولا يدعى أن كل طالب أزهرى يستوعب كل هذه العلوم كما يزعم الدكتور طه حسين ، ولكنه يصد أن ينفي عن الأزهر فرية البعد ببرامجه عن الحياة ، فسييله إذن سبيل من يسرد ويعد جملة العلوم التي تقوم عليها برامج الأزهر ، والتي يدرسها جملة الطلاب ، ومقام الجدل وحده كاف لأن يفهم المتابعون لسير المناقشة أن البرامج توزع هذه العلوم أنواعا ومقادير على مراحل التعليم وشعبه المختلفة ، كما توزع جملة العلوم التي تتولى أمرها وزارة التربية على أنواع وفروع مختلفة من التعليم ، وعلى طبقات

متفارقة من المتعلمين ، وذلك ما تصنعه كل جهة تعليمية في العالم ، وهو لا يغيب عن فطنة وزير المعارف الأسبق .

هذا هو الوضع إذا قيل هذا القول ، ولكن كيف يفترس الذئب الحمل إذا لم تلصق به تهمة تكبير المساء وإن كان ينزل من دونه ناحية المصعب ١٩ وكيف يستقيم الأمر للدكتور طه حسين فيما يبتغى من إبداء الأزهريين ١٩ . لا بد أن يتقول عليهم ما لم يقوله ، ولا بد أن يلقى لهم كما يلقى أهل الريف فيضع في نفوسهم معاني لم يقصدها ، ولا يحتملها مقام الجدل ، حتى يستطيع أدبه العظيم أن يسخر منهم ، ويتهكم بهم ، ويجعلهم دوائر معارف تنحرك ، فتغدو وتروح ، وتذهب وتجيء .

وإذا قال قائل منهم ذلك ، فإنه لا يقصد أن طلاب الأزهر يتلقون هذه العلوم المختلفة تلقى المتخصصين كما يحاول اختلاقه عليهم الدكتور طه حسين ، ولكنهم يتلقون منها بقدر ، لا يحيف على أساس الطابع الأزهرى ، ويصل الطالب بباقي جوانب الحياة .

وإذن ، فلا وجه للنكتة الصيف التي استروح بها الدكتور طه حسين عندما اقترح ساخراً أن تلقى الحكومة جامعاتها ومدارسها ومعاهدها على اختلافها مستغنية عن ذلك كله بالأزهر ، لا وجه للنكتة ، ولا طاقة للناس بحرها ، وذلك لأن ما في الأزهر منهج تعليمي خاص ، يتطلبه جانب مهم من جوانب الحياة المصرية وهو جانب اللغة والعقيدة ، ويتطلبه كذلك مقام مصر بين جاراتها وشقيقاتها من الدول العربية والإسلامية ، وهو منهج لا يغنى عنه سواه في معناه ، كما لا يغنى هو عن غيره من مناهج أخرى تطلبها بقية جوانب الحياة ، اللهم إلا أن يستطيع وزير المعارف الأسبق أن يستغنى بالتعليم الصيدلى مثلاً عن التعليم الطبى ، أو الهندسى ، أو الزراعى ، أو القانونى ، أو التجارى ، أو الصناعى إلى آخر ما يعرف سيادته من ألوان التعليم .

* * *

وليس صحيحاً كذلك أن الدولة لا تشرف على الأزهر كما يزعم الدكتور طه حسين ، وذلك لأمر تعلمه الدولة نفسها ، ويعلمه كل من تقبله أرض الدولة ، وظله سماؤها ، فالحكومة هي التي تعين من توليهم شئون الأزهر ، وهي التي تمنحهم سلطان إدارته ، وتعين من يساعدهم في تلك الإدارة ، تماماً كالذى يعمل كل وزير ، وكل من يشرف على

عمل من أعمال هذا البلد ، وإذا كانت الصبغة الغالبة على القائمين بأمر الازهر هى الصبغة الازهرية الخاصة ، فما ذاك إلا لما تقتضيه طبيعة البراج والمناهج الثقافية فيه ، كما يقضى الوضع الصحيح أن يكثُر ويغلب الزراعيون فى محيط التعليم الزراعى ، والأطباء فى كلية الطب ، والمهندسون فى الهندسة ، والقانونيون فى الحقوق .

وفوق هذا فإن الدولة تمد الازهر بمدرسى وأساتذة العلوم والآداب ، وهى بعد ذلك تقرر تعيين جماعة من كبار هؤلاء للإشراف على أعمالهم وتقدير ما يؤدون .

ومع ذلك فالازهريون مهريون وليسوا جالية أجنبية تزحم أبناء الوطن وتضيق عليهم جوانب الحياة حتى يستهرخ الدكتور طه حسين الحكومة ويستعديها عليهم ، وبطالها باجلائهم عن مراكرهم .

* * *

وصحيح أن فى الأرض بلادا إسلامية أخرى ليس فيها الازهر ، ولكنها فيما يتعلق بحفظ القرآن وما يتصل بعلوم الدين ليست على ما يتوهم الدكتور طه حسين أو ما يحاول عامداً أن يوقعه فى أوهام الناس ، ومصدق ذلك هذه البعوث التى تجيء من الطلاب والبعوث التى تذهب من العلماء .

وقد يكون الصواب أن نترك الفصل بيننا وبين الدكتور فى ذلك لآبناء هذه البلاد ، فإنهم من غير شك أعرف منا ومنه بما يكون بين مصر وبلادهم من تقارب أو تباعد فيما يتصل بشئون القرآن وعلوم الدين .

ولكن ذلك لا يعطينا من أن نعطفه على ظاهرة ينساها أو يتناساها ، ولعلها كانت أولى الظواهر بأن يشغل باله وهو عميد الأدب العربى فى مصر وسائر الاقطار .

تلك هى ما يتفق عليه النقاد من أن مصر أثبتت أخواتها قدما فى العلوم العربية وأرفعها مقاماً فى الفنون الأدبية ، نعطف الدكتور على هذه الظاهرة ونسأله : هل كان ذلك لمصر إلا لأن من يعلمون ناشئة البلاد ولغتهم وأدبهم أتم استعداداً من نظرائهم فى غير مصر ؟

وهل تم استعدادهم وفاق إلا بفضل الثقافة الواسعة التي تتاح في الأزهر لهؤلاء المعلمين ؟
هذه مقدمات وتناجها ، ولا يستطيع الدكتور نكرانها إلا إذا صدق ما أشاعته الصحف
عنه منذ قريب ، من أنه حكم بانتقال الزعامة الأدبية من القاهرة إلى بيروت ، ومن مصر
إلى لبنان .

بمثل هذه المفتريات يهجم الدكتور طه حسين على شيوخ الأزهر ، ويقذفهم بأنهم
لا يتعلمون كما يتعلم الناس ، ألا إنهم يتعلمون كما يتعلم الناس ، بل إنهم ليتعلمون كما ينبغي
أن يتعلم الناس ، بل إنهم ليتعلمون الناس ، يعلمون أكثر من عشرين مليوناً في مصر
وما لا ندرى إحصاءه في غير مصر ، يعلمونهم ما لا تقوم الحياة إلا به من أمور
اللغة والدين .

* * *

وبمثل هذه الأباطيل يريد الدكتور طه حسين أن يفتقم لضغن قديم ، ويحاول أن يهدم
بنياناً بناه التاريخ المجيد ، بما يموه على الناس من خدع .
ويالها من خدع سوافر تمشى بلا استحياء .

* * *

والله الذي أنقذ آمال مصر وأمانها من شريرة السياسيين ومغالبتهم بالضلال ، قادر
على أن يحمي مجد مصر وتراثها الخالد من غرور الأدباء وتعاليمهم على الناس
بسحر البيان .

والله أكبر والعزة لمصر .

عن هيئة التدريس

في كلية اللغة العربية

شيخ الكلية

محمد محي الدين

حديث السماء

- « إن القرآن الكريم يدعو إلى الوحدة لا إلى التعدد ، وإن إبقاء القرآن على التعدد ،
 « لم يكن إلا خضوعاً لظروف اجتماعية تتطلبها البيئة العربية في ذلك الحين ، .
 « من مقال للدكتور محمد خلف الله ،
 « سأعلم أولادى احترام للصوصية ، وبناتى احترام للعارة ، .
 « عن مجلة الحياة الجامعية ،
 « ولست أدري كيف لم يقتل المسلمون الاول أئمة الإسلام ولكل منهم ،
 « مذهب يخالف من القناع سائر المذاهب والآراء ... الخ ، .
 « من مقال للدكتور إبراهيم عبده ،
 « إن الأزهر اليوم يدعو أبناءه أن يعدوا أنفسهم لمواجهة هذه ،
 « الفتن والقضاء على هذه المحن ، .
 « من حديث لفضيلة الاستاذ الأكبر إلى أبنائه الطلاب ،

* * *

« حديث السماء ، ... وآياتها وفيض من النور والحكمة
 « حديث الليالى ، وأصداؤها وهمس من الشرق والقبلة

* * *

نهم على وجهنا فى الحياة ونمشى مع الدهر فى ظلمة ١١
 فما هى فى الدهر .. آثارنا وماذا على الشط من ضجة ؟
 وما فى الجزائر ، و القبلتين ، وما فى فلسطين ، من نسكية ؟
 وما المسلمون .. إذا خالفوا وعاشوا على الضعف والرهبة ؟

فألف بحقه ————— لك آراءهم
وحطم بدنياك تلك العقول . .
وهشم بمعدوك الخارجين
فللناس حق على (شيخهم)
فإن السلامة في الألفة
فإنما نعيش مع (الثورة)
على (الدين) والرأى (والملة)
و (للشيخ) حق على الدولة

* * *

لقد نشر الليل من همسه
فما بعث الدهر من نومه
فما الفلسفات ؟ وما شأنها
وماذا وراك يا د سارتر ،
فكم حملت فوقها د سارترأ ،
فما خدعتهم د وجودية ،
روافاً على الشط والربوة
وما أيقظ الفجر من ضجعة
وماذا وراء د الوجودية ، (١)
من الشر والهول والخيبة ؟
وكم في حياتك من دعوة
وما أخذتهم على غرة

* * *

أطلت على الدهر في الغابرين
وعاد د أبوخطوة ، للحياة
فشارت فلاسفة المسلمين
ومن خلفهم زمرة ثائرون
سكبنا الدموع على قبرهم
فما قصة الدين ، عند د العميد ،
(فشدوا يديكم على دينكم ،)
وخافوا على (الدين) من خطوة ،
فهذا هو الليل في لهوه ...
وتجسرى على الأرض في خفة
رموس الضلالة والفتنة
وجاء الوجود على غفلة !!
ونحن عن (الدين) في عزلة
فهل جاءكم نبأ د الزمرة ، ؟
وكم سكب الدهر من دمة
فقد دارت الأرض د بالقصة ،
فقد شدها الدهر بالقوة (٢)
فإن أخاف من د الخطوة ، (٣)
وهذا هو الشرق في غفوة !!
وتجسرى على الأرض في خفة

- [١] الوجودية : مذهب إباضى يقوم على العبث والهول والفساد ، ومن أكبر دعائه [جان بول سارتر] .
[٢] من كلمة نائب الرئيس جمال عبد الناصر في احتفال هيئة التحرير العليا بذكرى المولد النبوى الشريف .
[٣] « الخطوة الثانية » عنوان مقال للدكتور طه حسين . . يدعو فيه إلى توحيد التعليم وإنهاء التعليم الهدنى وإنهاء تلك الجامعة الإسلامية التى يعتز بها المسلمون فى أقطار الأرض جميعها . .

أخاف على (الدين) من شائتيه
فمقاتل بأمتك الخارجين
فماض لو رجع المسلمون
وقامت لهم في الورى دولة
وأخشى عليه من الصبية ...
وأطفئ بها لهيب الفتنة ...
إلى الرشيد والحق والشرعة
على (الدين) والعدل والرحمة

* * *

تموج د الفتاوى ، على الشاطئين
نفذهم بما أخذ الاولون
وضل سبيل الهدى د سارتر ،
فمات عن الشرق تلك الشمس
فذاق على يد جلاده
وشابت من الهول [مراکش]
فما عاش شعب يريد الحياة
ويجرى المروق على الضفة 11
فقد ضاقت الارض بالفتنة
وعاد إلى الله والفرقة 11
وسارت هواده في اللجة
كئوس الندامة واللوعة 11
ونام الزمان على جفوة
إذا نام فيها على الذلة ؟

* * *

لقد هجر (الدار) أبناؤها
فهل رجعوا بعد هذا النوى
لقد فرقهم يد الغاصبين
أقت على (الدين) صرح الحياة
فعلم بمحراك المشرقين
وأيقظ زمانك من نومه
إذا ذهب (الدين) في أمة
وعادت إلى نوحها الناحات
طويتنا مع الدهر أحلامنا
وصاح الزمان على الضفةتين
فصافح على الشط (رنباله)
وهي (بأزهرك) الناشئين
نريد الحياة . . كما صاغها
وعاشوا هنالك في الغربية
وعادوا إليها من (الهجرة)
فهل لأولئك من رجعة ؟
وعلمت دهرك بالحكمة . .
فكم لك في العلم من آية
فأما نسير إلى . . الهوة
فقد ذهب الموت بالامة
وشيعها الليل باللعنة . .
وعدناه إلى الله والحسرة
فهب الوليد على الصيحة
وحى به (علم النهضة)
وقوم زمانك بالحجة . .
لنا صاحب الحول والقوة

صابر على رمضان الجوشنى

الأزهر المفترى عليه

إذا كانت من حق أى أمة من الأمم أن تفخر بدعوة من دعوات الإصلاح فيها ، فما أعظم شأن الأمة الإسلامية برسالتها ، تلك الرسالة التى جاءت لنهضة الحياة السكرية للإنسان ، وتحريره من رق الطغيان ، فى ظل العدالة الاجتماعية والفضل الإنسانى ، وقد مرت على هذه الشريعة قرون وأجيال وهى مشرقة بنورها فى نفوس المسلمين ، ومنتشرة بتعاليمها بين العالمين ، مع ما اعترأها من قيارات الإلحاد والزندقة فى عصور الضعف والانحلال . وظلت الشريعة تغالب الأعاصير بقوة روحها وسمو تعاليمها ، حتى ترحلت عن دار الخلافة فى الشام والعراق وتركيا ، وأخذت تعاليمها تتلاصق وتتجمع تبحث عن سكن لها يقبها الهزات والأراجيف ، إلى أن قبض الله لها حصنها المسكين فى الأزهر ، فأخذت تشع منه على الدنيا أنوارها الوضاء ، لتهدى المستهدين وتبهر مسالك الحياة للطالبيين .

فعرفت الأمم الإسلامية قسدر الأزهر كجامعة علمية ، تحافظ على تعاليم الدين ، وتخلد التراث العربى فى اللغة ، وعرفوا له قدره كحصن مكين يرد عن الدين الإسلامى عوادر الإلحاد والطغيان الفسكرى ، وعرفوا له قدره كمعقل للوطنية الإسلامية التى تخرج الأبطال المجاهدين فى سبيل الله ، لإعلاء كلمة الحق ورفع منار الحرية ، فأرسلوا إليه وفودهم لينهلوا من مناهله العذبة ما يقوى العزيمة على الجلد للكفاح ، وكانت مصر موطنه ومعقله فى مكانة سامية وزعامة قوية لمحافظة عليها وإمداداتها له بمقومات الحياة ، لنشر رسالته مع مساهمته للتطور الفسكرى على أساس المحافظة على طابعه العلمى فى البحث والمعرفة .

ولقد كان لهذا الطابع الذى تميز به الأزهر عن غيره من المعاهد العلمية الأخرى أثر قوى فى قلق المستعمر وخوفه على نفوذه فى الشرق العربى عامة وفى مصر خاصة ، بل أثره فى الاوطان الإسلامية التى ترسل بعثاتها إلى الأزهر ، فإن الدول المستعمرة تحارب الأمم الخاضعة لها فى رغبتها إذا ما حاولت إرسال بعثات علمية إلى الأزهر ، بينما هى تشجع توجيه تلك البعثات إلى الجامعات الأوربية ، ولقد قال زعيم المستعمرين كلمته التى وضعها فى قاموس الاستعمار : لا بقاء للاستعمار فى الشرق ما دام يوجد فيه ثلاثة أمور (الأزهر ،

و يجتمع الجمعة الاسبوعية ، والقرآن) ولم تنس حكومة الثورة وهى فى جهادها الوطنى مكانة الازهر فى مركزها السياسى كزعيمة للدول الشرقية ، فأخذت تهيب له أسباب رقيه وعظمته ، بينما نجد فريقا من الكتتاب قد أطمعهم سعة الصدر فى الثوار الاحرار فقاموا بدعوتهم الآتمة للقضاء على الازهر ، لينفسح لهم المجال لبث آرائهم المسمومة ومذاهبهم الإلحادية التى سمعنا عنها فى الجامعات الاخرى ، وكان الازهر منها فى عافية . وهم فى عبثهم ومناظرتهم بعيدون عن حقيقة ما يقولون ، لأنهم لا يدركون نتيجة ما يقولون .

ولست محارلا فى كلمتى هذه أن أفند حججهم وآراءهم لا بطلما ، فهى من النفاهة والضعف بحيث يستطيع ذو البصر بالدين والعلم أن يهدمها وينقضها ، وإنما أريد أن أقول إن الازهريين يتعلمون ما يحققون به معنى الإيمان فى نفوسهم ، ويفهمون على ضوء الدراسة العلمية فى أزهرهم حقيقة دينهم ، فيجلبونها للناس مشرقة كالشمس ، ترسل الحياة للنفوس التى عاشت فى الظلام ، فليطمئن هؤلاء الدعاة إلى أن حكومة الثورة أوسع منهم إدراكا لمعانى الإصلاح ، ويعلمون أن فى بقاء الازهر بقاء للوحدة الإسلامية فى أمم الشرق ، بل بقاء للروح الدينية فى نفوس المسلمين فى أقطار العالم ، فلم يست فلسفة الإصلاح التى يتنادى بها داعية الخطوة الثانية سوى ترجمة لمعانى الهدم والباطل ، إذ كيف يكون الإصلاح من رجل اجتمع فى قلبه كراهية الدين بهدم معقله ، وبغض الازهر فى حقيقة رجاله ، وهل يتناسى حملة الرافعى عليه تحت راية القرآن حتى أودت به إلى المحاكمة التى ردت الحياة إلى عقله المجذب من الحق .

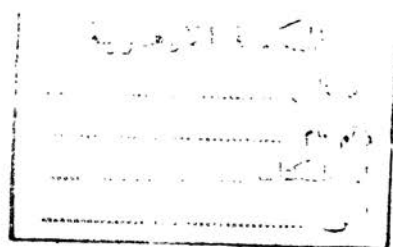
أين حملتكم يا هؤلاء على دعاة الوجودية فى الجامعات التى تعلمتهم فيها ، وهل استنفدتم وسائل الجهاد فى جميع ميادين الحياة فلم يبق إلا الازهر أقيم تنادون بالقضاء عليه ؟ فلتسكن قلوبكم سكون الموت ، فإن الازهر سيبقى فى الحياة ، لأن فى بقاءه حياة للدين الإسلامى الذى يعتر به الثوار الاحرار ، وستبقى نظمته المستقلة لأن فى بقاءها قوة للحياة العلمية فيه ، وإن الازهريين فى نفقهم بحكومتهم الحرة ليؤمنون لإيماننا قويا فى عدالتهم بإحقاق الحق وإبطال الباطل ؟

فتى محمد عطية طنطاوى

كلية اللغة العربية — شعبه التاريخ

الفهرس

صفحة	الموضوع	بقة
٣٣٧	فتنة حول الأزهر	الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٣٤٤	نفعات القرآن : هداية الله وفتنة الناس	» عبد الطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء
٣٤٨	السنة : الرحلة في طلب العلم	» طه محمد الساكت
٣٥٣	الأزهر والاستعمار	» علي المباري
٣٥٨	الأزهر والمجتمع	» أحمد العرابي المدرس بالأزهر
٣٦٤	رسالة الأزهر باقية	» عباس طه المحامي
٣٦٨	ما هكذا يا سعد !	» محمد عبد أبو شبة الأستاذ بكلية أصول الدين
٣٧٨	يأليت قومي يعلمون	» محمود النواوي
٣٨٣	توحيد التعليم	» جهة علماء الأزهر
٣٨٦	إنه مجده مصر والمسلمين	» عبد المنعم النمر
٣٩٣	خصوم الأزهر	» عبد الطيف السبكي مدير المجلة
٣٩٦	الأزهر وثورة سنة ١٩١٩	» محمد الطنيجي عضو جماعة كبار العلماء
٤٠١	لمصلحة من تثار هذه الزوابع ؟	» هيئة التدريس بمعهد الاسكندرية الديني
٤٠٦	توحيد التعليم	» أبو الوفا الراعي
٤١٠	التجني على الأزهر	» محمد كامل الفقي للمدرس بكلية اللغة العربية
٤١٤	القومية العربية ودور الأزهر في انهاضها	» زكريا البري المدرس بالأزهر
٤١٧	الدكتور طه حسين والأزهر الشريف	» أحمد نزار القوصي
٤٢٠	لحساب من هذه الخطوة الثانية ؟	» علي محمد طاهر المدرس بقسم البحوث الاسلامية
٤٢٤	رسالة الجامع الأزهر	» محمد الأنبر
٤٢٧	العلوم الحديثة في الأزهر	» عبد العظيم أبو غنيمه مراقب العلوم المساعد
٤٣٠	حملة الظلمة	الدكتور محمد محفوظ الوكيل السابق لجامعة الاسكندرية
٤٣١	ما هي الخطوة الثالثة ؟	الأستاذ عبد القادر شبيبة الحمد
٤٣٢	نشيد طلبة الأزهر	» محمد الأنبر
٤٣٣	الأزهر للدين أولا	» أحمد حمزة وزير التكوين الأسبق
٤٣٥	الأزهر أفضل جامعات الدنيا	» طه الزيني
٤٤٠	الأزهر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	» محمود فرج المقدة
٤٤٦	تمثيل مصر والأزهر في افتتاح المسجد النبوي الشريف	»
٤٤٩	تقرير من هيئة التدريس بكلية اللغة العربية عن ماضي الأزهر وحاضره	»
٤٥٩	حديث السماء	الأستاذ صابر علي رمضان الجوشفي
٤٦٢	ركن الطلبة : الأزهر للفتري عليه	» فتحي محمد عطية



كلمة فضيلة الاستاذ الاكبر

في الاحتفال بافتتاح الدراسات الاجتماعية بالأزهر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاسلام دين ودنيا

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين : سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد .

فأنه يسعدنا اليوم أن نستقبل بطلا عظيما من أبطال الثورة ، وركنا قويا من أركان النهضة ، هو السيد حسين الشافعي وزير العمل والشؤون الاجتماعية ، فهو يشرف هذا الاجتماع الكريم الذي تفتتح به الدورة الثانية ، للدراسات الاجتماعية .

ونحن نقدم لسيادته عظيم الشكر ، كما نشكر للذين تفضلوا بتلبية الدعوة لحضور هذا الاجتماع .

ان هذه الدراسات الاجتماعية قد ظهرت - بحمد الله - بشائر نجاحها ، وذلك بفضل اخلاص القائمين بها والمقبلين عليها ، وجدهم ونشاطهم . وانها ستؤتي قريبا - بمشيئة الله - خير نتائجها وأطيب ثمراتها ، بتخريج طائفة من أبناء الأزهر ، علماء متفقهين في الدين ، بصيرين بأحكام الإسلام ، خبيرين بأحوال المجتمع ، واختلاف علاله وأدوائه ، وبما ينبغي أن تعالج به كل حالة من حالاته ، بالحكمة والتعقل والرزانة ، وبالنفس المخلصة المطمئنة التي كل همها الإصلاح وحسن التوجيه والارشاد .

ان الإسلام فيه العلاج الكافي الشافي لكل أدواء المجتمعات ، وفيه الهدى الرشيد الوافي بكل ما يصلح الأفراد والجماعات ، فتي كان يعمل بجد وحزم واخلاص على الانتفاع بهذا العلاج ، وعلى الوصول الى الغاية المرجوة منه . فلا بد - أولا - من الكشف عن تلك العال والأمراض ، وتعرف الأدواء المتفشية في مختلف البيئات والجماعات ؛ ثم يلتمس علاج ذلك وشفاء في حكمة الإسلام ومبادئه وهدى تعاليمه .

ان الإسلام محيط عظيم : هو دين وشريعة، أصول وفروع ، عقائد وقوانين أعمال .
 في تعليماته الرشيدة وقايات وعلاجات ، وفي تشريعاته الحكيمة مبادئ وقوانين رصينة :
 قوانين مدنية ، وقوانين جنائية ، وقوانين للأحوال الشخصية ، وتشريع قويم للعلاقات
 الدولية ، تحكم به الروابط بين مختلف الأمم والشعوب ، وتفصل فيه قواعد الحفاظ
 والأمن ، وقواعد الوقاية والصيانة للأمة الإسلامية في أوقات السلم وأوقات الحرب .

الإسلام دين ودنيا : هو تقوى وعبادة ، وتديرشئون ، وتثقيف عقول ، وتقويم
 أخلاق ، وتنظيم أعمال : ينظم أعمال الفرد ، وأعمال الجماعة ، كما ينظم أحوال
 الأمم والشعوب .

وأحكام الشريعة الإسلامية في جميع هذه الشؤون هي من وضع الإله الرؤوف الرحيم،
 العليم بحاجات الناس، وما يصلح لهم في معاشهم ومعادهم، فلا يمكن أن تطاول هذه الأحكام
 وهذه الشريعة ، أحكام أخرى أو قوانين ، مهما اجتهد فيها البشر ، ومهما تعاونوا على
 إخراجها ، وبذلوا الجهود في جعلها ملائمة لحاجاتهم ، مستقيمة مع أغراضهم .

لكن الانتفاع بهدى الدين وإرشاده في العلاج والإصلاح لا يكون إلا بثلاثة أمور :
 الأول : الإيمان به وبتعاليمه إيماناً قوياً يملأ العقل والقلب ، ينهض بالنفوس ،
 ويسمو بالمعنويات . فمن لا يؤمن بتعاليم الإسلام وأحكامه ، وأن ما شرعه القرآن وصحت
 فيه سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ، شريعة ثابتة دائمة صالحة لكل زمان ومكان ،
 فقلما ينتفع بهدى السنة أو القرآن .

إنه ليس في القرآن آية أو آيات يصح أن يقال فيها ما يهرف به بعض الجهلاء
 العابثين من أنها آيات معطلة ، أو أنه قد بطل العمل بها ، وأنها إنما كانت تصلح للزمان
 الذي نزلت فيه « كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً » .

الثاني : فهم الشريعة حق فهمها ، وصحة أخذها من منابعها ، ومعرفة مجملها
 ومفصلها ، مطلقها ومقيدها ، والوقوف على أسرارها وحكمها ، والربط بين أصولها وفروعها
 وهذا شيء يجب أن يعطى حقه من الدراسة الفاهمة الواعية ، المستوعبة التي تكسب
 العلم الصحيح ، والفقهاء الحقيقي في الدين .

هذه الدراسة هي التي يحمل عبئها الأزهر ، فهو الذى تفرغ لها وتخصص فيها ، وعن
بها علماء الشريعة الاسلامية ، منذ انشاء هذا المعهد العظيم .

ان مبدأ التخصص فى الدراسات هو المبدأ الحق الذى يجب أن يطأنا اليه ، وأن
تبذل الجهود فى سبيله . وهو الذى أخذت به الجماعات والأئمة الناهضة ، بل هو المبدأ
الطبيعى الذى سارت عليه الإنسانية منذ أن درج على وجه الأرض الإنسان . فلا يمكن
إحكام أمر ، أو اتقان بحث الا بالتفرغ له ، والتخصص فيه . فأما الدعاوى الجريئة ،
التي تجر بأصحابها الى التنكر لنظام التخصص فى الدراسات الدينية ، وتذهب بهم الى حدود
التورط فى الجدال ، والإسراف فى العناد ، حتى يقول قائلهم : « ليس فى الإسلام رجل
دين ورجل دنيا ، وانما كل الناس رجل دين ودنيا معا » مثل هذه الدعاوى ليس لها وصف
الا أنها جاهلة مخادعة ظالمة : يظلم بها أصحابها أنفسهم ، ويخادعون بها الناس .

نعم . انه ليس فى الإسلام رجل دين يزعم أن الدين وقف عليه أو على طائفة معينة من
الناس ، أو أن نصوصه رموز مبهمة مغلقة ، ليس لها مفاتيح الا فى أيدي رجال الدين ،
كما يعرض بذلك بعض المجادلين المشاغبيين .

كما أنه ليس فى الإسلام رجل دنيا ينكر عليه أن يتصل بالدين ، أو يتعرف ما يريد من
أحكام الشريعة بأية وسيلة من الوسائل التي توصله الى هذه المعرفة ، سواء بالقراءة الفاهمة
الواعية ، أو بالتلقى ممن يطأنا الى صحة علومهم ومعارفهم فيها .

وليس فى الإسلام ما يمنع أحدا يريد أن يحفظ شيئا من كتاب الله أو سنة رسوله ،
ويقف على شرح ذلك وتفسيره ، ومعرفة ما يحمل من أحكام وأخلاق ، ليس فى الإسلام
ما يمنعه أن يدرك غايته من ذلك .

نعم . ليس فى الإسلام شيء من هذا ولا ذاك ، ولم يقل بشيء من هذا أو ذاك أحد
من المسلمين ، حتى يصح تعريض المعارضين المتهورين .

إنما الذى فى الإسلام والذى يقول به أو يجب أن يقول به جميع المسلمين هو أنه
لا يجوز الخبط والخلط فى الدين ، وأنه لا يسوغ لأحد أن يجادل فى أصوله أو فروعه ،

عن جهل وتهور ، ومن غير أن يكون ملما بما يلزم من الأدوات والوسائل التي لا بد منها لفهم تلك الأصول والفروع .

إن الدين الإسلامى حق عام ، وواجب عام ، ليس لكائن من كان أن يدعى احتكار تعاليمه ، أو يحجر على غيره أن ينتفع بهذه التعاليم . لكنه ليس لأحد أيضا كائنا من كان أن ينكر على المتخصصين فى الدراسات الدينية ، أنهم متخصصون فيها ، وأن شأنهم فى هذا التخصص شأن كل طائفة من العلماء ، تخصصت فى دراسات فرع من العلوم الكونية ، والثقافات المدنية .

إن فرقا عظيما بين أن يقال : إن شأن الدين الإسلامى عظيم فيجب أن يتفرغ له ويتخصص فيه رجال يتقنون فهمه ، ويمحوه من التخليط فيه ، وبين أن يقال - وهو ما يصحح به المعرضون - : إن الدين حكر ووقف على أفراد معدودين ، وليس لغيرهم أن يتعرفوا منه إلا ما يسمح به رجال الدين .

إن الفرق بين الأمرين عظيم وهائل . وإنه لولا الخلط بين الأمور المتميزة بطبيعتها ، ولولا الغلط أو المغالطة التي كثيرا ما يلجأ بعض الناس إليها ، حبا فى الغلب والانتصار ولو بغير الحق ، لما كثرا الجدال الذى امتلأت به الصحف اليومية منذ عهد قريب .

إن التخصص فى علوم الشريعة ، والعناية بحفظ كتابها ودراسته ، ورعاية ما يلزم نحو سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، أمر يجب أن يكون فى الأمة الإسلامية ، وأن يفرغ له رجال ، يكون همهم أن يتقنوا ويتفقهوا فى دين الله ، ليتصححوا به وينذروا به أقوامهم . وهذا من أهم الوسائل لحفظ شريعة الله ، وصيانة كتاب الله من التغيير والتحريف اللذين منى بهما كثير من السكتب السابقة .

ولولا أن الله سبحانه وتعالى قد وعد بحفظ كتابه ، وأنه جلت قدرته قد سخر لهذا الحفظ رجالا وعوه عن ظهر قلب ، منذ نزوله على الرسول الأمين - صلى الله عليه وسلم - إلى يومنا هذا ، لدخل عليه التغيير والتبديل منذ القرن الأول .

ولولا أن للشرعية رجالا يحفظونها ، ويعرفون مواطن أحكامها ، وموارد نصوصها ، ولمرت على الناس طائفة كبيرة من الأحاديث الضعيفة والموضوعة من غير أن يدروا أمرها ، ولمرت على الناس كذلك من غير تصحيح ولا تعقيب ، تلك الادعاءات التي يعزوها أصحابها إلى علماء من أهل التفسير وأهل الفقه أقوالا باطلة لم يذهب أحد منهم إلى شيء منها . هذا - مع أن كتب هؤلاء المفسرين والفقهاء مطبوعة ومتداولة ، وفي متناول كل من له اتصال بالثقافة الدينية الإسلامية ، وليس فيها ذلك الذي يدعى على أصحابها ، بل هي على نقيض ذلك ناطقة بخلاف ما ينسب إليها وإلى مؤلفيها .

الأمر الثالث - وهو مهمة الدراسات الاجتماعية التي تحتفل بها الليلة - هو ختام الأمور التي تلزم للإصلاح والانتفاع بهدى الإسلام في علاج المجتمع من علله وأدوائه . ذلك هو دراسة حالات هذا المجتمع في شدته ورخائه ، وعسره ويسره ، في أفراحه وأتراحه ، في بيعه وشرائه وسائر معاملاته ، وفي كل أسلوب من أساليب معيشتة ، وكل شأن من شئون حياته .

يجب أن يوقف على عرف المجتمع وعاداته وأخلاقه ، وما ابتدعه أهله من ذلك أو ورثوه عن آبائهم وأسلافهم ، فإن علم ذلك كله والوقوف عليه بصحيح المعرفة والخبرة ، يمهّد السبيل لمعرفة نوع العلاج النافع ، وييسر الأمر على من يتولى الإصلاح والتوجيه والإرشاد ، كي يصل إلى غايته من أقرب الطرق وأقومها ، من غير تعقيد ولا اضطراب ، ولا تفويت فرصة ، أو إضاعة وقت .

إن من ينصب نفسه أو ينصب للهداية والإرشاد والإصلاح ، على ضوء الشريعة وتعاليمها ، لا يكفي أن يكون عالماً بأحكام هذه الشريعة ، وقادراً على أن يعين لكل حكم موطنه الذي يليق له ويحسن موقعه فيه ، فإن ذلك علم نظري بحت لا يكفي في مهمة العمل الإيجابي للعلاج والإصلاح الاجتماعي .

فلا بد لمن يتولى هذا الأمر أن يعرف معرفة جيدة أحوال المجتمع الذي يعمل فيه من النواحي التي أشرنا إليها ، وأن يقف بخبرته وبجته على ما يريد علاجه من الأدواء ، فعلاج الأدواء الاجتماعية كعلاج الأمراض البدنية : فكما أنه لا يستقيم طب الأبدان ، ولا يصل

الى غايته من الشفاء ، إلا إذا فحص المريض فحصا جيدا ، واهتدى الطبيب بذلك الى تشخيص علته ومرضه . كذلك علاج المجتمعات لا يثمر ثمرته ، ولا يبلغ التوجيه والإرشاد فيه غايته ، إلا بعد البحث الجيد والفحص الكامل ، لتعرف حقيقة العال والانحرافات التي تشكو منها الجماعة ، والتي يجب أن تكون الهدف الذي تصوب اليه عوامل التهذيب والاصلاح .

غير أنه ينبغي ألا يغيب عن البال أن الاصلاح الاجتماعى لا يمكن أن يكون طفرة ؛ بل لا بد فيه من التدرج والتمهيد والاعداد ، وتمكين كل خطوة لتؤدى الى ما بعدها ؛ فإن ذلك أدعى الى قبول الاصلاح وتمكينه فى النفوس . ولنا فى صنيع الرسول صلى الله عليه وسلم خير قدوة ، وفى تشريعات القرآن وتدرجاته أحسن أسوة .

يجب أن يبدأ بالأهم الميسرة أسباب علاجه وإصلاحه ، ثم يتسدرج الى ما هو أدنى منه فى الأهمية الاجتماعية ، وهكذا تعد وجوه الاصلاح بعضها لبعض ، ويعين السابق منها على الوصول الى اللاحق ، فيعم الاصلاح ويستقيم البناء . والله المستعان يهذى المخلصين الى صراط مستقيم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٤

مدير المجلة
عبد اللطيف السبكي
عضو جماعه كبار العلماء

للعنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٤١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعية
تصدر عن شيخ الأزهر في أول كل شهر عربي

بإشراف
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي

في وادي النيل	٤٠٠
لطلبة وادي النيل	٤٠٠
للعلماء والمدرسين بالوادي	٣٠٠
خارج الوادي	٥٠٠
للطلبة خارج الوادي	٣٠٠
للعلماء والمدرسين خارج الوادي	٤٠٠

الجزء الخامس - القاهرة في غرة جمادى الأولى ١٣٧٥ - ١٥ ديسمبر ١٩٥٥ - المجلد السابع والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الثقافات الأجنبية

استعمار عقلي

والدعاة إليها طابور خامس

إذا منّ الله على أمة بالتححرر من الاحتلال السياسي والعسكري ، فإن من تمام نعمته عليها أن تعرف خطواتها بعد ذلك لاجتياز مفترق الطرق ، فتميز بين الطريق الذي يتبعها بها عن بلاء أنقذها الله منه ، والطريق الذي يلتوى أمامها ليعود بها - ولو بألوان أخرى - الى نتائج ما كانت فيه .

التحرر من الاحتلال السياسي والعسكري يجب أن يدعم حالا بأسباب القوة : القوة الصناعية والعمرانية والحربية ، وقوامها العلم . والقوة النفسية والخلقية والقومية ، وقوامها الثقافة . والعلم غير الثقافة : هذا شيء ، وهذا شيء آخر . والذي يخلط بين هذين الشيئين المختلفين ويزعم للأمة التي حررها الله من الاحتلال السياسي والعسكري أنها شيء واحد ، فهو إما رجل يجهل سنن الله في نهوض الأمم وقيام الدول ، أو رجل غشاش يريد أن يدفع

بالأمة في الطريق الذى يلتوى أمامها ثم يعود بها — ولو بألوان أخرى — الى نتائج ما كانت فيه .

إن مفترق الطرق الذى بلغناه الآن بعد أن تحررنا من الاحتلال السياسى والعسكرى ينادينا بأن نكون أيقاظا وألمعيين فى تخير الطريق الذى يبعدنا عن البلاء الأعظم بعد أن أنقذنا الله منه ، وأن لا نخذع بالمرىق الآخر الذى يلتوى بنا ليسلبنا مقومات كياننا التى لا معنى للاستقلال السياسى والعسكرى بدونها .

العلم الذى نحتاج إليه فى تنمية قوتنا الصناعية والعمرانية والحربية لا يختلف عليه أحد فى مصر ولا فى العالم العربى ولا فى دنيا المسلمين . كلنا متفقون على وجوب تعميم تعليم العلوم السكياوية والطبيعية والهندسية والطبية والزراعية والعسكرية ، وعلى أن نحول نظرياتنا فى الكتب والكتليات الى نشاط عملى فى المصانع والمعامل ودور الاختبار والتجربة والدراسة الفنية والانتاج ، لنكون كغيرنا من الأمم أقوياء بصناعاتنا ، أغنياء بمهندسينا ، وعاملين على أن يكون حماة حدودنا من أبنائنا مسلحين بأسلحة من صنع أوطاننا . ولو أنك تحدثت فى هذه الحقائق مع أى قروى أو أعرابى فى الصعيد أو فى ليبيا أو فى أعماق نجد أو فى جبال الأطلس أو قرى كشمير لرأيت الجميع على عقيدة واحدة فى ذلك ، فهل من المعقول أن يشذ عن هذا الإجماع علماء الأزهر أو طلبته وهم يعلمون ويتعلمون مبادئ هذه العلوم ويعرفون ما تنجى البلاد من ثمراتها إذا بلغنا فيها الأوج ، وصار عندنا من رجالنا أعلام من علمائها يضارعون أمثالهم فى البلاد التى بلغت نهاية الشوط فى هذا المضمار ؟

إذن فالعلم الذى ندعم به القوة الصناعية والعمرانية والحربية فى مصرنا وأوطاننا العربية وبلادنا الإسلامية لا يختلف على ضرورته أحد ، والأمة تقدم بنيتها الى السكليات والمعاهد التى تعلم هذه العلوم ليكونوا جنودا فى إنفاض البلاد بها ، وعاملين على رفع مستوى مصر وبلاد العروبة والعالم الإسلامى حتى تلاحق بركب الحضارة ، بعد أن حال بينها وبين ذلك فى السنين الماضية تيار الاستعمار ، وسوء أنظمة الحكم السابق على زمن الاستعمار .

وهناك شىء آخر غير هذه العلوم اصطلح الناس على أن يسموه « ثقافة » وهى ذات ألوان تختلف باختلاف الأمم ، فالثقافة اللاتينية — مثلا — لها ذوق ولون ومنحى تختلف به عن الثقافة السكسونية أو الجرمانية أو الصقلية ، بل إن الثقافة اللاتينية تختلف فى البلاد

اللاتينية ، فراها في إيطاليا ذات ملامح تفتقر بها عن ملامح الثقافة الفرنسية أو البلجيكية أو السويسرية أو الإسبانية ، وأمريكا وإنجلترا مع أن لها لغة واحدة وآدابا متقاربة فإن ثقافة هذه بجلتها تفتقر عن ثقافة الأخرى بجلتها ، وإذا ذهبنا الى روسيا أو يوغوسلافيا أو بلغاريا وسائر البلاد الصقلية تجد لثقافتها لونا يختلف عن لون الثقافة السكسونية أو اللاتينية ، بل أن البلاد الصقلية تشعر بفروق فيما بينها تكاد تكون ملموسة ، والثقافة في إسرائيل لها ينايع واتجاهات ومناهج تختلف بالمرة عن ثقافات الأمم التي استعرضنا أسماءها ، واليابان مع أنها أخذت كل العلوم الكونية واستعملتها في مصانعها ودور أعمالها فإن لها ثقافة خاصة بها تختلف عن غيرها ، وهذا أمر طبيعي لا يتجاهله أومىارى فيه إلا ذو هوى ، بل إننا في وزارتنا التي كانت تسمى في أيام الأحزاب وزارة المعارف طالمنا راقبنا التيارات والاصطدامات بين أنصار الثقافة والتربية الفرنسية ، وأنصار الثقافة والتربية الانجليزية ، ولما ازداد عدد المتعلمين منا في أمريكا صرنا نرى في تلك الوزارة لونا ثالثا غير اللوين والدوقين والثقافين الفرنسية والانجليزية .

وقد لا حظ مثل هذه الفروق قبل نحو ثلاثين سنة نابغة لبنان جبران خليل جبران فقال في جواب استفتاء وجه إليه من مجلة الهلال ، ونقلته مجلة الهلال بعد ذلك الى كتاب عنوانه (فتاوى كبار الكتاب والأدباء في مستقبل اللغة العربية ، ونهضة الشرق العربى ، وموقفه إزاء المدنية الغربية) ص ٣٦ - ٣٧ :

« في سوريا - مثلاً - كان التعليم يأتي من الغرب بشكل الصدقة ، وكنا ولم نزل نلتم خبز الصدقة لأننا جياع متضورون ، ولقد أحيانا ذلك الخبز ، ولما أحيانا أماتنا . أحيانا لأنه أيقظ بعض مداركنا ونبه عقولنا قليلا ، وأماتنا لأنه فرق كلمتنا وأضعف وحدتنا وقطع روابطنا ، وأبعد ما بين طوائفنا حتى أصبحت بلادنا مجموعة مستعمرات صغيرة مختلفة الأذواق متصاربة المشارب كل مستعمرة منها تشد في حبل إحدى الأمم الغربية وترفع لواءها وترنم بحماسها وأمجادها : فالشباب الذى تناول لقمة من العلم في مدرسة أمريكية قد تحول بالطبع الى معتمد أمريكي ، والشباب الذى تجرع رشفة من العلم في مدرسة يسوعية صار سفيراً إفريقيا ، والشباب الذى لبس قميصاً من نسج مدرسة روسية أصبح ممثلاً لروسيا . . الى آخر ما هنالك من المدارس وما تخرجه في كل عام من الممثلين والمعتمدين والسفراء . . وقد يكون ميلنا الى الأمة التى نتعلم عندها دليلاً على عاطفة عرفان الجميل في نفوس الشرقيين ، ولكن ما هذه العاطفة التى تبني حجراً من جهة واحدة وتهدم جداراً

من الجهة الأخرى ؟ ما هذه العاطفة التي تستنبت زهرة وتقتلع غابة ؟ ما هذه العاطفة التي تحيينا يوما وتميتنا دهرًا ؟ » .

وأنت ترى من هذا أن الثقافات والأساليب الفكرية ومناهج التعليم تختلف ألوانها ومقاصدها وتوجيهاتها باختلاف الأمم الصادرة عنها ، ولا كذلك العلم ، فالعلم له لون واحد ووجه واحد في كل أمة وفي كل بلد : تأخذ أى قسم من أقسام الطبيعة أو الكيمياء أو الهندسة بأى لغة شئت - اليابانية أو العبرية أو الروسية - فلا تجدده عند أمة مخالفا لما عند الأمة الأخرى في قليل ولا كثير ، وأما الثقافة فهي ذات الوجوه ، وهي كالخرباء متنوعة الألوان ، وكلما احترمت الأمة نفسها وتمسكت باستقلالها كانت أشد بعدا عن الثقافات الأجنبية ، وأكثر حرصا على أن تكون ذات ثقافة مستقلة تستمدّها من كيانها ومن موارثها ومن إيمانها واقتناعاتها ومن أبحاثها واتجاهاتها . اقرأ تاريخ الثورة الفرنسية في كتب الفرنسيين والانجليز تجد اختلافا كبيرا لا في الوقائع بل في تفسيرها وتعليلها وتوجيه أغراضها ، اقرأ ترجمة حياة جان دارك في كتب هؤلاء وهؤلاء تلق العجب العجائب .

في سنة ١٩٢٨ زار مصر الأستاذ المستشرق الإيطالي ميكائيل أنجلو جويدى الأستاذ بجامعة روما - وكان قبل ذلك أستاذا في جامعة القاهرة أيضا - فالتقى في قاعة الجمعية الجغرافية أربع محاضرات عن علم الشرق وتاريخ العمران حاول فيها درس مسألة خطيرة من مسائل التاريخ وهي تاريخ العمران وهل كان أصله شرقيا أم غربيا ، وأراد أن ينتهى الى نتيجة في أصل العلوم اليونانية ، وهل هي - أو بعضها - منتقلة من الشرق الى الغرب ، أم أن اليونانيين ارتجلوا طرائقهم العلمية ارتجالا دون أن يكون لها أو لبعضها أصل ترجع إليه في الشرق ، فذهب الأستاذ جويدى الى أن النصوص الخاصة بسفر بعض أعلام اليونان الى الشرق لارتشاف علومه منتحلة ، كما ذهب الدكتور طه حسين الى أن الشعر الجاهلي منتحل ، والى أن مجنون ليلي شخصية لا وجود لها ، حتى أن الأستاذ المازنى كتب فصلا على لسان مستشرق جاء بعد مائة سنة ودرس حياة الدكتور طه حسين فكتب له أن اسم طه حسين وصف تارة بأنه شيخ وتارة بأنه دكتور وتارة كذا وتارة كذا ، واستدل ذلك المستشرق من هذا الاختلاف وهذه الألوان على أن طه حسين شخصية وهمية لم توجد ، كما استدلل طه حسين على أن مجنون ليلي شخصية وهمية لم توجد ، وكما زعم هو وأمثاله أن عبد الله بن سبأ شخصية وهمية لم توجد ، وكما زعم بعض العلماء الأوربيين أن المسيح شخصية وهمية لم توجد ، وهكذا زعم السنيور جويدى أن النصوص الخاصة بسفر بعض أعلام

اليونان الى الشرق لارتشاف علومه متحثة ، وأن مصر وسائر بلاد الشرق القديم لم يكن لها فضل على العلوم والآداب والثقافات التي تنسب الى اليونان ، وكانت الأساس الذي يزعم الغرب أن علمه وثقافته قام عليه وحده . وقد كنت أنا وقتئذ أحد مستمعي صديقتنا الأستاذ ميكائيل أنجلوجويدى فى هذه المحاضرات ، وصارحت به بأن مثل هذه البحوث مما تتفاوت فيه الأنظار والأحكام ، وقديما قيل فى عين الرضا وعين السخط ما يصدق على كل ما يدخل فى موضوع الثقافة ، بينما العلم لا يختلف فى الحكم على حقائقه اثنان . وقد نشرت محاضرات الأستاذ جويدى وقتئذ فى رسالة ، وكتبت أنا مقدمتها وأشرت فى المقدمة الى هذا الاعتراض .

إذن لا بد لكل أمة تحررت من الاستعمار السياسى والعسكرى أن تتحرر من الاستعمار العقلى والثقافى بحزم واجتهاد عظيم ولو بالتدريج ، الى أن تكون لها ثقافة قومية مستقلة تستمدّها من آدابها وتراثها العقلى والفكرى ، ولا أنكر أن هذا يحتاج الى زمن طويل ، ولكن يجب أن ترسم له الخطوط من هذه الساعة ، وأن تعين له الاتجاهات ، وأن تبذل فى سبيله الجهود - بالتعاون مع الأقطار الشقيقة - لإحياء كل ما يساعد على ذلك من تركتنا الثقافية والأدبية ، واتخاذها أساسا نقيم عليه كيان تربيتنا العقلية والفكرية ، فيكون لنا لون خاص بنا نصبغ به ثقافتنا العصرية شيئا بعد شيء ، كما صنعت الهند وكما تصنع اسرائيل الآن فى الجامعة العبرية بالقدس مع فرق ما بين ثروتنا الثقافية الهائلة ، وتفاهة تراث اسرائيل الثقافى واللغوى والأدبى . فاذا تأبرنا على ذلك كتبنا برتهم وصبرنا عليه كصبرهم أنقذنا أبناء الجيل من هذه العبودية العقلية للغرب ، ووضعنا حدا لما توهمه منا هجنا الحاضرة ، وثقافتنا التي رسمها لنا الاستعمار وأعانه عليها طابوره الخامس ، من أننا أمة مفلسة ليس لها ثقافة قومية موروثة ، وليس لها أساس نقيم عليه كيانها الأدبى الجديد ، وإن الاستمرار على هذا الاتجاه الذى رسمه لنا الاستعمار من أيام دانلوب ولا تزال نرقع فيه بأساليب فرنسية تارة وانجليزية تارة وأمريكية تارة أخرى ، فكان من ذلك ما وصفه جبران خليل جبران من التأثير على عقول المتعلمين ونفوسهم وقلوبهم ، فصاروا غير مؤمنين بكيانهم ومقوماتهم الخاصة التي يفتقرون بها عن بقية الأمم كما تفتقر بها الأمم بعضها عن بعض من شتى النواحي ، بل لعل هذا الاضطراب فى اتجاهاتنا الثقافية هو الذى ساعد على ظهور سخافات الوجودية وكفرها بالقانون والأخلاق وسائر ما وصفته لنا جريدة الجمهورية وأشرت اليه فى افتتاحية الجزء الماضى من مجلة الأزهر .

وقد آن لى بعد هذه المقدمات أن أصارح كل من يقع نظره على هذه الصفحات ، بأننا محتاجون إلى خطوة ثانية بعد الخطوة الأولى ، وأعنى بالخطوة الأولى الخلاص من الاحتلال السياسى والعسكرى ، أما الخطوة الثانية بعده فهى تعيين طريقنا الى ثقافة قومية عربية إسلامية نتعاون على بعثها - من الآن وفي عشرات السنين القادمة - مع كل من يشاركنا فيها من الشعوب العربية والأمم الإسلامية، وأعود فأؤكد أن هذا لا يتم إلا بعمل تدريجى متواصل ، وتعاون وثيق متبادل ، وهذا هو الأساس الذى تقوم عليه وحدة التعليم ، ومن الظلم تجاهل الخطوة التى خطاها الأزهر فى عشرات السنين الأخيرة للتقرب نحو وحدة التعليم بما أدخله فى مناهجه من مختلف العلوم ، فبقى أن تخطو المدارس العامة والجامعات مثل هذه الخطوة نحو الثقافة العربية والتراث الإسلامى ، وتربى فى طلبة الجمهورية جميعا - أزهريين وجامعيين - فكرة تعلم العلم لأجل العلم لا لأجل ثمرته من الوظائف ، فتكون نية الاشتغال بالعلم من المهد إلى المخد هى الغرض الأول من دخول الجامعات وكليات الأزهر، ويمرن هؤلاء جميعا على الدراسات العربية والإسلامية السليمة تحقيقا لأمنية بعث الثقافة القومية اللاتئة بالشرق العربى والإسلامى .

وقد تبين مما تقدم أن الضجة التى أثارها مؤلف « مستقبل الثقافة فى مصر » لم يثرها لنقص فى مناهج الأزهر من ناحية العلوم ، بل هو يريد من مصر ومن الأزهر ومن كل من ينتسب إلى العلم من الناطقين بالضاد أن يؤمنوا بثقافة الغرب كإيمانه هو بها منذ قال فى ص ٤١ من كتابه طبعة سنة ١٩٤٤ : ان السبيل إلى ذلك « واحدة فذة ليس لها تعدد، وهى أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أنداد أولئك لهم شركاء فى الحضارة : خيرها وشرها، حلوها ومرها ، وما يحب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب ، ومن زعم لنا غير ذلك فهو خادع أو مخدوع » .

وأنا أنادى بملء فى معترفا بأنى أزعم لأمتى غير ذلك ، وأنصح لها بأن تأخذ العلم كله ، لأنه تراث إنسانى شاركت فى تقدمه وتنميته أكثر أمم الأرض فى العصور القديمة ، ومنها مصر القديمة ، وان كره ذلك صديق الأستاذ جويدي وغيره من المتعصبين الذين يريد مؤلف « مستقبل الثقافة فى مصر » أن نصحى بكياننا المعنوى لنذوب فى كيانهم . وشارك فى تقدم هذه العلوم وتنميتها فى العصور المتوسطة أمة واحدة هى أمتنا العربية والإسلامية ، ولولا أن الإسلام استعجم بغلبة غير العرب على قيادة دفة الشرق الإسلامى ،

بل لولا انتصار شارل مارتل على عبد الرحمن الغافقي في وقعة تور Tours ، وأسباب أخرى غير ذلك ، لبقى زمام الحضارة الإنسانية في أيدينا ، ولتقدم سيرها ثمانية قرون بارشادنا وإشرافنا ، كما يعترف بذلك كلود فارير وهنري دي شامبون ، بل يقول جيون في ص ٧ من الجزء الثاني من تاريخه : لو لم يصد شارل مارتل هجوم عبد الرحمن لكانت العربية هي لغة التدريس اليوم في جامعات إنجلترا وألمانيا ، وقال درابر : لقد وصل الطرف الواحد من الهلال العربي الى البوسفور، ووصل الطرف الثاني الى إسبانيا، وامتد إلى فرنسا، وكان يهدد أوروبا ببلوغ البدر التمام فيمحو التمدن اللاتيني من الوجود ويغمر أوروبا» .

إن أسلافنا ما بلغوا هذه المنزلة إلا بعد أن تركوا وراءهم تراثا من الثقافة نهلت منه أوروبا المتعصبة خلسة وهي تتجاهله وتنكره، وهافد استيقظنا الآن فأصبح من واجبا وأسباب بعثنا وتجديد حياتنا أن نصل ما انقطع من تراثنا الثقافي ونبنى عليه ، وأن نشارك أمة الأرض في كل ما وصلوا اليه من حقائق العلم واستثمارها في الإنتاج الصناعي والتقدم العمراني . ولن نصل ما انقطع من تراثنا الثقافي الا برسم خطة حازمة لأحيائه ودراسته وتوجيه مناهجنا به وتحبيبه الى أجيالنا الآتية من رجال المستقبل . ويومئذ يتخصص رجال منا لدراسة ثقافات الأمم الأخرى ومراقبة نشاطها والافادة من كل خير عندها رافضين باباء وشتم كل ما فيها من شر ومكروه . ومعنى هذا أن تشمل الخطوة الثانية معاهد العلم جميعا من الأولى والثانوى الى الجامعات ، ومنها الأزهر ومعاهده ، فيكون اتجاهنا الثقافي كله نحو هذا البعث العربي والاسلامى ولو كرر ذلك دعاة حضارة الغرب «خيرها وشرها، حلوها وصرها ، وما يحب منها وما يكره ، وما يحمد فيها وما يعاب » .

وبعد فإن مصر لو فقدت عقلها وسارت وراء مؤلف « مستقبل الثقافة في مصر » لخسرت جميع أبنائها المثقفين ، كما خسرت وبالأأسف المسيو كلود طه حسين ناظم ديوان " e. le matin clair " الذى يتغنى فيه لأمنية بموسيقى نواقيس السكينة ، وذلك في القصيدة التى عنوانها " La Cathedrale Engloutie " وأظن أن مؤلف كتاب « مستقبل الثقافة في مصر » يتقنى لجميع أبناء مصر أن يكون كل واحد منهم « كلود طه حسين » . أما القائمون بالولاية على مصر فإن أبناء مصر أكرم عليهم من ذلك وأعز ، وهم يعلمون أن حياة مصر بالإسلام ، وقوتها بالتعاون مع العرب والمسلمين

نَفَحاتُ الْفِرَاقِ

- ٣٥ -

من أساليب التربية فسحة الوعد ، وتخفيف الوعيد

« إن تجنبوا كجائر ما تنهون عنه -نكفر عنكم
سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما .»

قبل هذه الآية آيات أخرى نهى الله فيها عن أمور كثيرة، منها: أكل المال بالباطل، ثم جاء الوعيد فيها قاسيا ، والتهديد مزججا ، إذ قال سبحانه : « ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا » ثم اقترنت بهذه الآيات آية الموضوع، وفيها وعد كريم بأن الله تعالى قد ألزم نفسه لعباده أن يكفر عنهم سيئاتهم إذا اجتنبوا كجائر المنهيات ، وفي اقتران الوعد بالوعيد وسيلة ثقافية مجدية في التربية الخلقية .

وبديهي أن الله ذورحمة وعذاب ، وله عفو وعنده عقاب ، ومن حكمته في تربية خلقه أن يطعمهم في رحمته، ويخيفهم من عذابه، وأن يفتح أمامهم باب الأمل في عفو، ويحذرهم شديد عقابه .

ليكون المرء دائما بين الرجاء والخوف ، فيظل ذا كرا ربه ذكر الطامع في فضله وعطاءه ، وذكر الخائف من غضبه وحسابه .

وذكر الله - على أى حال - أصل من أصول العبادة، ووسيلة من وسائل القربى إليه . وليس بعد الذكر بالرجاء أو الخوف إلا الغفلة والإعراض والجحود والتمرد ، وهذه منزلة غير تلك ، والذاكرون فريق ، والمعرضون فريق .

ولكل وجهة هو موليها - سبحانه - ليكون فريق في الجنة ، وفريق في السعير .
والقرآن غالبا يجمع بين الوعد والوعيد على وجه التعاقب أو التقارب ، لأن الجمع بينهما
أو التقارب في الذكر يستنهض الوعي الى التنبيه ، ويذكر الفطنة الى اغتنام النصيح ، ويصرف
النفس عن مداعبة الهوى ، وينقذها من غمرة اللهو : ضرورة أن ذكر شيء مع ضده يكشف
للذهن ما خفى عليه ، ويبرز له ما يجب وما لا يجب ، ثم يكون للمرء خيار .

ومن قبيل ذلك ؛ أن يقول قائل لمن دونه : إذا أظعنتي فيما أمرتك فلك تقديري ،
ولك كذا وكذا... وإذا أهملت دعوتي الى ما دعوتك فليست في شيء من ثقتي ، وسأزل
بك من الهوان ما يسوءك ، ولا تحتمله .

ومعلوم أن للعبد ذنوبا تتفاوت صعوبة وهوانا بتفاوتها ضررا ومفسدة .

ومعلوم كذلك أن أحكام الله بينة في شريعته ، لا إبهام فيها أمر ، ولا غموض فيها نهي ،
بل بين المعروف والمنكر حدود ومعالم من كلام الله أو رسوله

والله - سبحانه - يكره من عباده أن يستخفوا بسلطانته ، ويتعدوا حدوده ، ويتهكوا
محارمه ، فشدد في الوعيد ، وهدد بقسوة العذاب الأليم لمن يشاققونه في حكمه ،
ويتعدون حدوده

ومع غيرته على حماه ، وزجره عن مقارنة حدوده ، فتح باب التوبة لمن زلت به القدم ،
وعلمنا أن رحمته سبقت غضبه ، وأن عفوه أقرب من عقوبته ، بالنسبة لمن بادر الى رحابه ،
واستغفره من ذنبه ، وأقلع عن المعادة ، وهذا من دلائل العظمة الذاتية ، فإن العظمة
تبدو في عفوذى السلطان وهو صاحب القدرة

بل كان من تمام العظمة أن يلتزم لعباده تكفير سيئاتهم إذا اجتنبوا كبائر الإثم ،
وذلك في قوله : « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ، وندخلكم
مدخلا كريما »

وهل هناك أمل أزكى من تكريم الله لمن كان مسيئا في دنياه ؟ ؟

وهل هناك مطعم فوق دخوله الجنة ؟ ؟

ذلك وعد ربك ، وقد أكدوه وهو الصادق فيما يعد ، حين قال في آية أخرى :

« ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ، ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى : الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم - الصغائر - إن ربك واسع المغفرة » .

ولكن . . هل اجتناب الكبائر - كالقتل ، والزنى ، والسرقة ، وإيقاظ الفتن حول الدين ، أو الوطن أو العرض ، وأكل الأموال بالباطل - يحو جميع السيئات الصغيرة كالنظرة المحرمة ، والغيبة الخفيفة ، والطمع فى شئ تافه من حقوق الغير ؟ ؟

ظاهر الإطلاق فى الآية قد يفيد ذلك .

غير أن ابن عباس رضى الله عنهما يقول : ولا صغيرة مع الأصرار - ومعنى هذا أن الصغيرة إذا كانت مع المداومة فهى كبيرة ، ولا تكون من المعفوات ، لأن المداومة على الصغيرة تعتبر استخفافاً بنهى الله عنها ، واجترأ على دينه ، ولا تكون صغيرة إلا لمن أتاها غير مستهتر بالدين ، ولا مداوم عليها ، وإلا كان متجاوزاً لحدود الله .

ويرى بعض المفسرين أن اجتناب الكبائر يحو الصغائر على وجه التوزيع . . بمعنى أن ترك كبيرة الزنى يحو صغيرتها كالقنبلة ، وترك القتل يحو التعذيب وهكذا ، ولكن هذا الفهم تضيق ، ولا حرج على الله أن يعفو عن جميع السيئات لمن تجنب الكبائر كلها ، ولم يدأب على الصغائر

وبعد :

فقد يظن ظان أن اجتناب الكبائر كلها غير ميسور للناس ، فمن سلم من الفواحش قد لا يسلم من المظالم المالية ، ومن لم يقع فى مظالمه قد لا يبرأ من مفسدة اجتماعية أخرى ، ومن تعفف عن هذه المهازل قد يمالئ غيره على حرام ارتكبه فلم يمنعه ، ولم ينكر عليه ، ثم كذلك صغائر السيئات : منذ الذى يحصيها ويحاول التخلّى عنها : ونحن لا نسلم من غيبة للغير ، ولا من اللز فى آخرين ، وكثيراً ما نأتى أموراً لا نعرفها من الصغائر كالنقد لسوانا ، والتعرض للموازنة بين الرجال فى غير تخرج من ذكر المساوىء ، وكالأخذ فى أحاديث البيوت ، والنيل من هذا وذاك ، وهذه وتلك ، فمن أين يكون للبرء خلاص من هذا كله حتى يكون مجتنباً للكبائر ، وغير مصر على الصغائر . . إن ذلك لىأس . . ومن خالجه تلك الشبهة تخليق به أن يثوب الى رشده ، فإن الله لم يضيق واسعاً

وقد طلب منا تحاشي الكبائر ، وهذا شأن مقدور لمن خشى ربه ، فإن أبواب الحلال ممهدة ، وسبيل الطاعة مسلوكة ، وليس على المرء غير شيء من الخشية لله ، والترفع عن الدنس ، وقد سلكها كثيرون ولا يزالون جادين في عمل مشكور وحياة بريئة . ومن سقط سقطة فليعالجها بالتوبة . أما الصغائر - وكثير ما هي - فعلاجها في عدم الدأب عليها ، وبكثرة الاستغفار مما وقع منها ، والاستغفار يجعل الذنوب تتساقط كما يتساقط ورق الشجر في عصف الرياح ، والله تعالى لا يحب من عبده أن ييأس من رحمته ، فإن اليأس ذريعة الكفر . وكل ما ينبغي : عدم الإسراف في حسن الظن حتى لا تهون المعصية .

وعدم التساهل في مجاوزة حدود الله ، فإن الله يقول : « ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين »

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

أربع كلمات

فيهن صلاح الملك ، واستقامة الرعية

خرج الزهري يوماً من عند هشام بن عبد الملك فقال :
ما رأيت كالיום ، ولا سمعت كأربع كلمات تكلم بهن رجل عند أمير المؤمنين هشام ،
دخل عليه فقال :

يا أمير المؤمنين ، احفظ غنى أربع كلمات فيهن صلاح ملكك ، واستقامة رعيتك .
قال : ما هن ؟ .

قال : لا تعد عدة لا تثق من نفسك بأنجازها . ولا يغرنك المرتقى وإن كان سهلاً ،
إذا كان المنحدر وعراً ، واعلم أن للأعمال جزاء فائق العواقب ، وأن للأمور بغتات
فسكن على حذر .

قال الأديب الكبير عيسى بن دأب راوى هذا الحديث ، فحدث بهذا الحديث
أمير المؤمنين المهدي ، وفي يده لقمة قد رفعها إلى فيه ، فأمسكها وقال :

— ويحك ، أعد على !
فقلت يا أمير المؤمنين أسغ لقمتك
فقال : حديثك أحب إلى .

اللبنة

خاتم النبيين

- ٢ -

الإسلام دين عام خالد - اتحاد الشرائع واختلافها -
تطلع الإنسانية إلى النجاة - منقذها هو الخاتم -
وفاة أبنائه في حياته معجزة ورحمة - آيات بينات .

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن مثلى ومثلى
الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية ؛ فجعل الناس
يطوفون به ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ! قال : فأنا اللبنة ،
وأنا خاتم النبيين . رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى .

* * *

فى جزء ربيع الأول ختمنا بهذا الحديث مقال السنة ، فى بيان أشهر أسمائه صلوات الله
وسلامه عليه : محمد ، وأحمد ، والمأحى ، والهاشر ، والعاقب .. وبيننا على سبيل الإجمال
أنه - بلا ريب - خاتم النبيين ، وآخر رسل الله أجمعين ، ثم وعدنا بأن نقف على هذا
الإجمال بمزيد من البيان والتفصيل :

* * *

الإسلام دين عام خالد :

قول حق ، لا يمتري فيه إلا من سفه نفسه ، وألغى رشده وحسه ، ودخل مختارا

في غمار الحق والمجانين ، أوسقط مختارا في شرك الأفاكين المارقين ، ولو أنه نظر قليلا بعين فطرته التي فطره الله عليها ، وآدميته التي كرمه الله بها ، في هذا الدين القيم ، وما جاء به ومن جاء به - لآزداد به إيمانا وهدى ، ثم كان به من الهداة الراشدين .

* * *

أرسله الله تعالى على فترة من الرسل ، وطموس من السبل ، وعبادة عمياء للأصنام والأشجار ، وجهالة جهلاء غمرت جميع القرى والأمصار ، برسالة عامة باقية ، وشريعة خالدة هادية ، قائمة على الآيات البينات ، ما قامت الأرض والسموات ؛ فكان - ولا يزال - رحمة للعالمين ، كما كانت شريعته - ولا تزال - هي النور المبين ، والمعتصم والملجأ إلى يوم الدين ، وليس بينها وبين الإيمان بها ، وبأنها لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، إلا نظرة صادقة في تاريخ هذا النبي الكريم .

* * *

لقد بعث الله في كل أمة رسولا بشريعة تلائمها وتصلح لها ، إلى أن ينتهى أجلها الذى قدره الله لها ، ولكل أمة أجل ، ولكل أجل كتاب .

تتحد هذه الشرائع في أسسها وأصولها ، من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وما فيه من بعث وجزاء ؛ وتختلف في فروعها وأشكالها ، على حسب ما يلائمها من رشد وكال . ولا مرء في أن كل شريعة من شرائع النبيين السابقين كاملة بالنسبة إليه وإلى أمته ، وإن لم تكن كاملة كمالا مطلقا يلائم كل زمان ومكان الى يوم البعث والذشور ، فذلك الذى ختم الله به الشرائع ، وأتم به الرسالات ، واختص به من بعثه متمما لمسكارم الأخلاق .

* * *

ولقد أشار الى هذه الشرائع في اتحاد أصولها ، ذلك المثل البديع الرائع الذى ضرب به صلوات الله وسلامه عليه ، اذ مثلها جميعها بقصر واحد متينف موقنق، يبنيه رجل واحد . فتوحيد القصر وبانيه إشارة الى اجتماع الرسل وشرائعهم على أصول واحدة . كما أشار الى الفروع فى اختلاف أشكالها ، باللبنة التى بها تم للقصر بهاؤه ، وكل حسنه ورواؤه .

والى اتحاد الأصول فى الشرائع ، يشير قوله تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » . والى اختلافها فى الفروع يشير قوله جل ثناؤه : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » (١) .

* * *

هكذا أرسل الله رسوله تترى ، حتى اذا برمت الإنسانية بفسادها ، وضافت ذرعا بغيرها وسفوها ، وآن لذوى الفطر السليمة أن يبلغوا كمال رشدهم ، ويتسمنوا ذروة مجدهم ، بعث الله صفوة أوليائه ، وخاتم أنبيائه ، بأكل شرائعه ، وأوفى مناهجه ، ليخرج الناس من الظلمات الى النور ، ومن الضلال الى الهدى ، ولينادى فيهم بلسان عربى مبين ، بأمر رب السموات ورب الأرض رب العالمين « قل يا أيها الناس انى رسول الله إليكم جميعا... » ، « ما كان محمد أبأ أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » ، « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » .

* * *

شهادة من الله تعالى - وهو أكبر شىء شهادة - لعبده النبي الأمى ، محمد بن عبد الله ، عليه صلوات الله - بأن شريعته أركى الشرائع وأوفاهها ، وأصلحها لكل زمان ومكان ، وبأن دينه ناسخ لما سبقه من الأديان ، تصديقا لقوله عز سلطانه : « إن الدين عند الله الإسلام » « ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » .

وشهادة بأنه صلوات الله عليه ، ليس أبأ لأحد من رجال أمته ، ولكن رسول الله ، وخاتم أنبياء الله ، بنص قاطع ، وبيان صاعد ساطع ، لا يدع ريبة لمرتاب ، ولا حيلة لمسرف كذاب .. فمن ادعى النبوة بعد هذا - ومن باب أولى الرسالة - فهو أفاك دجال ، ضال مضل ، عليه وعلى الظالمين لعنة الله « ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شىء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله » .

* * *

وفى الشهادة الثانية يرد الله تعالى على من ينسب زيد بن حارثة إليه ، صلوات الله

(١) انظر حديث الصحيحين : الأنبياء اخوة لعلات... وقد شرحناه فى ج ١٥ م ٥

عليه ، ويبين لهم أنه ليس أباه ، وإن كان قد تبناه ، وكان رضى الله عنه يدعى على عادة العرب فى الممتنى : زيد بن محمد ، حتى نزلت الآية السكرية : « ادعوهم لآبائهم هو أفسط عند الله » فدعى زيد بن حارثة . . . فى قصة طريفة ألمعنا بها فى « حقوق الأ كفاء » [١] .

* * *

والملم بالقدر الضرورى من سيرته صلى الله عليه وسلم ولو لم يكن من أمته ، يعلم أنه لم يعيش له ولد ذكر حتى بلغ الحلم ، فقد ولد له صلوات الله عليه ثلاثة بنين : القاسم والطيب والطاهر ، من أم المؤمنين خديجة رضوان الله عليها ، وماتوا كلهم صغارا ! وولد له إبراهيم من مارية القبطية رضى الله عنها ، ومات رضيعا .

وكان له من خديجة أربع بنات كلهن أدركن الإسلام وأسلمن وهاجرن معه : زينب ، وزوجها ابن خالتها أبا العاص بن الربيع ، ورقية وأم كلثوم ، وزوجهما ذا النورين عثمان بن عفان ، أنحراهما بعد وفاة أختها . وكلهن توفين فى حياته ما عدا فاطمة الزهراء ، فأنها أصيبت به ثم ماتت بعده لسته أشهر !

* * *

ونفى أبوته الصلبية الحسية ، لا ينافى أبوته الروحية المعنوية صلوات الله عليه ، فأن الثانية أجل من الأولى ، وهى ثابتة له على أحسن ما ينبغى لمقامه الكريم ، من المحبة والتكريم ، كما يشير الى ذلك حديث الصحيحين : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده والناس أجمعين .

* * *

وكأنه تعالى أراد - وهو الحكيم الخبير - أن يقبض أولاد نبيه فى حياته ، ليعلم أمته كيف يكون صبر الآباء فى موت الأبناء ، ثم ليعلموا أنه تعالى هو الذى رفع ذكر نبيه فى العالمين ، دون مساعدة من الآباء والبنين ، ولهذا شاء - جلت مشيئته - أن يكون يتيما ، ليسكون لكل يتيم أبا رحيا ، وليكون فضل الله عليه عظيما .

وأخرى بينه وبين أمته ، وهى ألا يمسهم أحد بسوء أو أذى ، أو يزعم أحسد أن أبناءه من بعده هم ورثته فى نبوته أو رسالته ، أو أحق الناس - على الأقل - بخلافته ، فيكون فساد كبير ! وشر مستطير ! وانظر الى غلاة الشيعة وما زعموا لابن عمه على كرم الله وجهه ! ! فكيف لو عاش ابن له من صلبه صلوات الله عليه وسلامه ! ؟

ألا ان موت أبنائه قبل وفاته ، معجزة من معجزاته فى حياته ، ورحمة من الله على أمته بعد مماته .

* * *

أما بعد ، فإنه لو لم يدل الذكر الحكيم على أن محمدا صلوات الله عليه خاتم النبيين لدل على ذلك خلقه العظيم ، وهديه الكريم ، وما آتاه الله من آيات بينات لم يؤتها أحدا من العالمين ، فكيف وقد أنزل الله ذلك الختام نصا قاطعا ، يقطع دابر الدجاجة الأفاكين ، ثم وكذ هذا البيان صلوات الله وسلامه عليه بنصوص صريحة لا تقبل جدلا ولا تأويلا بأنه لا نبى بعده .. ولولا مخافة السامة لسقنا بعض هذه الأحاديث الصريحة الصحيحة ..

وإذا فم وعدنا الجزء التالى ان شاء الله ما

طه محمد الماكت

عفة مجاهد

روى الحافظ ابن عساكر أن حبيب بن مسامة الفهرى (فاتح القفقاس) قدم على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى موسم الحج ، وكان حبيب تام القامة ، فسلم على عمر ، فقال له عمر :

إنك لفى قناة رجل !

فقال : اى والله ، وفى سنننا

فقال عمر : افتحوا له الخزائن ، فليأخذ ما شاء

ففتحوها له ، فعدا عن الأموال ، وأخذ السلاح

وحبيب بن مسامة هو الذى أرسله معاوية على رأس كتيبة من أبطال الجيش إلى المدينة ليفك حصار البغاة عن دار أمير المؤمنين عثمان ذى النورين رضى الله عنه ، فلم يكن فى نصف الطريق بين الشام والمدينة جاءته الأخبار بأن الخليفة صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حقق الله له ما وعده به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشهادة والجنة ، فعاد حبيب بكتيبته الى دمشق حزينا أسفا

صور خالدة من صدر الاسلام

فى السنة التاسعة من الهجرة بلغ الرسول صلوات الله وسلامه عليه أن الروم تتجهز وتعد العدة لغزوه فى بلاده ، لما نعى إليهم أن المسلمين يعانون ضيقا وشدة ، وأن أصلح الأوقات لغزوهم فى عقد دارهم هو هذا الوقت ، فلم يرع النبي وصحابته هذا النبأ ، وأجمعوا أمرهم على أن يغزوا الروم فى بلادهم ليعلموهم أن القلوب المؤمنة لا ينفذ إليها الخور والجن عن لقاء الأعداء ، وأن سلطان الله فى الأرض لا يرهب أحدا ، وأن من تسول له نفسه النيل من الإسلام فسيلقى جزاءه .

فندب الرسول أصحابه الى الخروج الى تبوك ، فأجابوا ، وكان ذلك فى زمان عسرة من الناس ، وشدة من الحر ، وجذب من البلاد ، وحين طابت الثمار ، والناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الخروج فى الحال من الزمان الذى هم عليه .

* * *

وكان من عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج فى غزوة أن يورى بغيرها ، ولا يعلم الا الخاصة من أصحابه ، حتى لا تتسرب الأخبار الى الأعداء ، إلا فى هذه الغزوة ، فقد أعلمهم الرسول بقصده لبعد الشقة وشدة الزمان والاستعداد لعدو يفوقهم عددا وعدة ومالا ، واستنفر الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين الذين حول المدينة من أحياء العرب فنفروا حتى اجتمع من ذلك قريب من ثلاثين ألفا ، وتخلف آخرون بغير عذر من المنافقين ومن على شاكلتهم ، فلامهم الله سبحانه أشد اللوم ، ووبخهم وقرعهم أشد القرع ، ونضحهم أشد الفضيحة ، وأنزل فى شأنهم آيات كثيرة من سورة « براءة » مثل قوله سبحانه : « لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ، ولكن بعدت عليهم

الشقة، وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم، يهلكون أنفسهم والله يعلم أنهم لكاذبون» الآية ٤٢. وقوله: «ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا» الآية ٤٩. وقوله سبحانه: «فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله. وقالوا لا تنفروا في الحر، قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون» الآية ٨١.

لقد استجاب لنداء رسول الله هذه الألوف الكثيرة، ولكن ما العمل؟

المسير طويل، والحر شديد، والحال رقيق، والظهر قليل، والجيش على ما ترى من السكثرة، فلم يكن بد إذن من أن يقف البشير النذير خطيبا فيعظ الناس، ويحث القادرين والموسرين على تجهيز هذا الجيش الذي عرف بجيش العسرة، وما كان الكلام النبوي إلا برقاً سرى في النفوس المؤمنة المطمئنة، فاهتزت القلوب وتحركت الأريحيات، وسرعان ما جادت الألف النسيدي بالخير الكثير: فهذا هو السيد الحي عثمان بن عفان رضى الله عنه يجود بثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها [١] ومائة فرس، ولا يقف جوده عند هذا الحد بل يأتي بألف دينار من حر ماله ويضعها أمام النبي صلوات الله وسلامه عليه، فيقبلها النبي بيديه وهو ممتلى غبطة وسرورا ويقول: «اللهم ارض عن عثمان، فأنى راض عنه، وما على عثمان ما عمل بعد اليوم». روى الإمام أحمد بسنده عن عبد الرحمن بن سمرة قال: «جاء عثمان ابن عفان الى النبي صلى الله عليه وسلم بألف دينار في ثوبه حين جهز النبي صلى الله عليه وسلم جيش العسرة، فصبها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم، فجعل النبي يقبلها بيده ويقول: «ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم». وروى البيهقي بسنده عن عبد الرحمن السلمي قال: «خطب النبي صلى الله عليه وسلم فحث على جيش العسرة، فقال عثمان: «على مائة بعير بأحلاسها وأقتابها، ثم نزل صلى الله عليه وسلم مرقاة من المنبر ثم حث، فقال عثمان على مائة أخرى، ثم حث مرة ثالثة، فقال عثمان: على مائة ثالثة».

* * *

وهذا هو الصديق أبو بكر، يأتي بأربعة آلاف درهم هي كل ما تبقى له بعد أن أنفق جل ماله في عتق الأرقاء ونصرة دعوة الإسلام، فيقول الرسول: وماذا أبقيت لأولادك

(١) الحلاس: كساء يجعل على ظهر البعير تحت رحله، والقتب: الرحل الذي يركب عليه.

يا أبا بكر ؟ فيجيب أبو بكر رضى الله عنه جواب المؤمن الواثق بالله : « أبقيت لهم الله ورسوله » .

وجاء الفاروق عمر بنصف ماله ، وجاء عبد الرحمن بن عوف بمائتي أوقية (أى من الفضة) ، وجاء العباس بن عبد المطلب وطلحة بن عبيد الله بمال كثير ، وجادت نفس عاصم بن عدى بسبعين وسقا من تمر [١] ، وهكذا ينبغي أن يتسابق المتسابقون الى الإنفاق فى سبيل الله .

ولم تكن النساء المسلمات بأقل أريحية من الرجال ، فتصدقن بأقراطهن ، وما يملكن من حلين ، وضربن بذلك مثالا عاليا فى البذل والسخاء ، يستهدى به من يأتى بعدهن من النساء .

ثم ما ذا ؟ لقد ضاق الظهر بالمسلمين بخفاء سبعة نفر من الصحابة وهم حريصون على أن لا يفوتهم شرف الجهاد مع رسول الله وفى سبيل نصرته الإسلام ، ورغبوا إليه أن يوفر لهم الظهر الذى يركبون عليه فى هذه الغزوة التى بعدت فيها الشقة ، فيعتذر لهم الرسول ويقول : لا أجد ما أحملكم عليه ، فما كان منهم إلا أن تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما يركبون ، وقد أعذرهم الله سبحانه وسجل لهم هذا الموقف الخالد فى قرآن يتلى الى يوم الدين ، فقال : « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا الله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ، ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون » [٢] .

وهناك تتحرك الأريحية الإسلامية مرة أخرى لهذا المشهد الرائع ، مشهد الدموع الغزيرة الصادقة التى تعبر عن القلوب الحزينة الآسفة ، أن فاتها الخروج مع المجاهدين فى سبيل الله ، فيجهز السيد الخليل عثمان اثنتين ، والعباس بن عبد المطلب عم رسول الله اثنتين ، وعمر بن يامين اثنتين . قال ابن اسحق : باغى أن ابن يامين بن عمير بن كعب النضرى لقي أبا ليلي وعبد الله بن مغفل وهما يبكيان فقال : ما يبكيكما ؟ قالا : جئنا رسول الله

(١) الوسق : ستون صاعا ، وهو ما يقرب من أردب مصرى .

(٢) سورة التوبة الآية ٩١ ، ٩٢

صلى الله عليه وسلم ليحملنا فلم نجد عنده ما يحملنا عليه ، وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه ، فأعطاهما ناضحا له فارتحلاه ، وزودهما شيئا من تمر ، فخرجا مع النبي صلى الله عليه وسلم .

* * *

ثم خرج الرسول بهذا الجيش الجرار الذى ضرب المثل الأعلى فى الإخاء والإيثار والتحمل والصبر على لأواء الصحراء وفيحها وممرارة الجوع وحرارة العطش ، وإنك لتمثل عظم نفوس هؤلاء القوم وسمو أخلاقهم وشدة تحملهم إذا ما حدثتكم عما لقيه هذا الجيش من مشقة ووصب ، قال الحسن : « كان العشرة منهم يخرجون على بعير واحد يعتقبونه ، يركب الرجل ساعة وينزل ثم يركب صاحبه كذلك ، وكان زادهم التمر المسوس والشعير المتغير ، وكان النفر منهم يخرجون ما معهم إلا التمرات ، فأذا بلغ الجوع من أحدهم أخذ التمرة فلا كلها حتى يجد طعامها ثم يعطيها صاحبه فيمصها ثم يشرب عليها جرعة من ماء كذلك حتى تأتى على آخرهم ولا يبقى من التمرة إلا النواة ، فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقهم ويقينهم » . وروى ابن جرير عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلا فأصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع ، وحتى أن كان الرجل ليذهب فيلمس الماء فلا يرجع يظن أن رقبته ستنقطع ، وحتى أن الرجل لينحز بعيره فيعصر فرثه فيشر به ويجعل ما بقى على كبده . فقال الصديق أبو بكر : يا رسول الله ، إن الله عز وجل قد عودك فى الدعاء خيرا ، فادع لنا . فقال : تحب ذلك ؟ قال نعم . فرفع يديه فلم يرجعهما حتى سالت السماء فأهطلت ، ثم سكنت ، فملئوا ما معهم . ثم ذهبنا ننظر فلم نجد ما جاوزت العسكر (١) » وهكذا تتدارك رحمة الله المجاهدين فى سبيله إذا ما أخلصوا النية وصدقوا ما عاهدوا الله عليه .

ولم يزل الجيش يغذ السير بين الفصح والجوع والعطش والجهد الجهيد حتى وصل الى تبوك ، فلم يجد للروم أثرا ، ولكن ثبت هيبة الإسلام فى الأرض ، فلم يلبث الأمراء المتأخرون للحدود الشمالية أن جاءوا للرسول معاهدين ومذعنين لدفع الجزية ، وبذلك أمن

(١) تفسير ابن كثير والبغوى جزء رابع ص ٢٥٧ ط المنار .

المسلمون حدود الجزيرة الشمالية، وأرهبوا من تسول له نفسه الانتقاض على دولة الإسلام الناشئة الفتية .

* * *

وإن الإنسان ليمتلئ قلبه غبطة ونفسه إعجابا حينما يستمع الى الحديث عن هؤلاء السادة الذين بنوا أمة مثالية في عقيدتها وعلمها وعملها وفي أخلاقها ، ولا يزال يتلمس الأسباب لهذه النهضة المباركة السريعة حتى يهتدى الى السر وهو الإيمان ، الإيمان بالله الحق ، والإيمان بدعوة الإسلام الحقة ، والإيمان بما أعده الله لعباده المصلحين من نعيم مقيم في الآخرة ، وبهذا الإيمان يسمو المؤمن الحق حتى يرى أن السعادة في رضا الله ورسوله والدفاع عن دعوة الحق والخير والعدل .

* * *

أيها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، بهذه العقيدة انتصر سافكم المسلمون، وأذلوا الأكاسرة والقيصرة، وثبتوا سلطان الله في الأرض ، وعلى هذه الأخلاق العالية أقاموا أمة الإسلام ، فهل لنا أن نقتدى بهم في البذل والإنفاق في سبيل الله وإرهاب أعداء الله أعداء الإسلام .

إن الإسلام لا يشتكى من قلة المال ، فالمال - والحمد لله - كثير ، وإنما يشتكى من فقر النفوس المجذبة من المعاني الإسلامية السامية

إن في المسلمين اليوم كثيرين ممن يقدرُونَ على إعداد كتائب على نفقتهم الخاصة تدافع عن حوزة الإسلام والمسلمين ، وما ثروة السيد الحي عثمان بجانب الثروات الموجودة اليوم للأشياء ضئيل ، واسكن عثمان كان يحمل قلبا مؤمنا ونفسا كبيرة عزاء على كثير من الأثرياء الآن . إن أهل الغرب قد سبقونا في هذا المضمار ، مضمار البذل في سبيل عز الدولة ، وأتوا بأمثال لا نجحدها حقها من التقدير ، وذلك بدافع من وطنيتهم ، فلماذا لا نكون نحن أولى بذلك بدافع من ديننا ووطنيتنا واقتداء بسلفنا الصالح ؟ ؟ ذلك ما نرجو ، والله الموفق والمعين

محمد محمد أبو سهبة

الأستاذ بكلية أصول الدين

حديث «الغرور» في القرآن

الغرور داء مهلك ، كم قصم من ظهور ، وتم أردى من رقاب ، وتم حفر من قبور ، وهو أنواع وألوان ، فهناك الغرور بالعلم ، وهناك الغرور بالمال ، وهناك الغرور بالصحة والشباب ، وهناك الغرور بالمنصب والجاه ، وهناك الغرور بالأولاد والعشيرة... ونحن بحاجة إلى تحذير أنفسنا وغيرنا من التعرض لمواطن الاغترار فضلا عن الإغراق فيه ، وإذا كانت الحياة تحتاج منا إلى أن نشجع الناشئين ، وأن نحرض القادرين ، وأن ندفع بالصالحين إلى خير الميادين ، فهذه الحياة تحتاج أيضا - لتكون طاهرة شريفة - إلى التحذير من بلوى الغرور ، وإلى ملاحظات الاعتذار بالنفس والاعتذار بالذات ، ولابد لكل منا من ساعات تذكّر للتدبر والاعتبار ، يعرف فيها قيمة نفسه ، ويعرف فيها قيمة غيره ، ويسلك الطريق المعتدل المستقيم .

وقبل أن نعرض لحديث القرآن الكريم عن الغرور نعرض لحديث اللغة عنه ، فترى القاموس المحيط يقول : « غرّه خدعه وأطمعه بالباطل فاغتره ، والغرور الدنيا وما يتغرر به من الأدوية وما غرك ، أو يخلص الشيطان ، وبالضم الأباطيل... وغرر بنفسه عرضها للهلاكه ، والغرير والغر الشاب لا تجربة له ، والغار الغافل ، واغتر غفل [١] » ، وفي لسان العرب : « والغرور ما غرك من إنسان وشيطان وغيرهما... والغرور ما اغتر به من متاع الدنيا [٢] » ، وفي أساس البلاغة : « وصبحهم الجليش وهم غارون أى غافلون ، ويقال : أغر من ظبي مقعر ، لأنه يخرج في الليلة المقمرة يرى أنه النهار فتأكله السباع ، واغتره الأمر أنه على غمرة [٣] » ، وفي مفردات القرآن : « يقال غررت فلانا إذا أصبت غرته ونلت منه ما أريده ، والغرة غفلة في اليقظة ، والغرار غفلة مع غفوة . فالغرور كل ما يغر الإنسان من مال وجاه وشهوة وشيطان ، وقد فسر بالشيطان إذ هو أخبث الغارين ، وبالدنيا لما قيل : الدنيا تغر وتضر وتمر... [٤] » .

(٢) لسان العرب ، ج ٦ ص ٣١٥

(١) القاموس المحيط ، ج ٢ ص ١٠١

(٤) مفردات القرآن ، ص ٣٦٤

(٣) أساس البلاغة ، ج ٢ ص ١٦٠

ونلاحظ أن اللغة تريد بالغرور في كثير من المواطن الغفلة ، وقد عني الصوفية بمحاربة الغرور والغفلة والتنبيه على خطرهما ، فرى أحمد بن أبي الحواري يقول : « من لم يعرف نفسه فهو من دينه في غرور » ، ويقول أبو سليمان الداراني : « اذا سكن الخوف القلب أحرقت الشهوات وطرد الغفلة من القلب » ، ويقول أبو علي الثقفى : « الغفلة وسعت على الخلق الطرق في معاشهم وأفعالهم ، والورع واليقظة ضيقت عليهم ذلك » ، ويقول ابن أبي الحواري : « ما ابتلى الله عبدا بشيء أشد من الغفلة والقسوة » ، ويقول : « لا نوم أثقل من الغفلة ، ولا رق أملك من الشهوة ، ولولا ثقل الغفلة ما ظفرت بك الشهوة » ! .

وحينما نستعرض حديث القرآن المجيد عن الغرور نلاحظ بعض السمات العامة ، أولها أن الغرور ليس من شيمة المسلمين ولا من خلق المؤمنين ، بل هو شيمة المنافقين والكافرين ، وشيمة الضالين من اليهود والنصارى ، ومنها أن الاغترار عمل الشيطان الرجيم ومن هناك سمى القرآن الشيطان « غرورا » كما سيحىء ، ومنها أن هذه الحياة الدنيا بلذاتها وشهواتها وآفاتنا هي التي تسبب الغرور ، وتشير في نفس الأغترار عنصر الاغترار ، فيضلون ويضلون ، وما هذه الحياة إلا متاع قليل ضئيل زائل ، ولذلك وصفها التنزيل المجيد بأنها « متاع الغرور » وما الغرور إلا غفوة غافلة أو مكابرة ، لا يلبث صاحبها إلا قليلا ثم يستفيق فاذا اللواذع والفواجع ، واذا الغصة بعد فوات الفرصة ، واذا ألم الفكرة بعد عاجل السكر .

ومن السمات في حديث القرآن الكريم عن الغرور النعي على الإنسان المغتر بكم الله وحلمه ، أو المغتر بدنيته ، مع النهى عن الاغترار بسلطان الغير ، إذ كل سلطان - مهما كان جليلا - لا ثبات له ولا كيان أمام سلطان القاهرة الديان .

يقول الله تبارك وتعالى : « فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهما عن تلكا الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين ١١ » ، والحديث عن آدم وحواء اذ جاءهما الشيطان اللعين فنزلهما الى الأكل من الشجرة ، وخدعهما بأن أقسم لهما بالله انه من الناصحين ،

فأوقعهما في الهلاك . قيل : وقد يخدع المؤمن بالله ، ولذلك كان بعض العلماء يقول : من خادعنا بالله خدعنا [١] ، وهنا نرى كيف قام الشيطان بدور الخداع والتغدير فبرع في التضليل والتخسير .

ويقول عز من قائل : « يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا ، أولئك ماواههم جهنم ولا يحيدون عنها محيصا » (٢) . أى أن الشيطان يعد أوليائه بأنهم هم الفائزون في الدنيا والآخرة ، وقد كذب وافترى في ذلك ، إذ هو يعدهم بأباطيله وترهاته من المال والجاه والرياسة ، وأن لا بعث ولا عقاب . قال ابن عرفة : الغرور ما رأيت له ظاهرا تحبه وفيه باطن مكروه أو مجهول . والشيطان غرور لأنه يميل على محاب النفس ووراء ذلك ما يسوء . ومن هذا بيع الغرر ، وهو ما كان له ظاهر يبيع يغر وباطن مجهول [٣] .

ويقول تبارك وتعالى : « واستفز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركتهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا » [٤] . والخطاب للشيطان ، أى استزلهم واستخفهم بصوتك - وصوته كل داع الى المعصية - واجمع عليهم كل ما تستطيع من مكيدك ، واجعل لنفسك شركة في أموالهم وأولادهم ، واخدعهم بالأمانى الكاذبة ، فأنت لا تعدهم الا باطلا وزورا .

وقال سبحانه : « يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم ، قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ، ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانى حتى جاء أمر الله وغرتكم بالله الغرور » [٥] .

أى فتنتم أنفسكم باللذات والمعاصي والشهوات ، وتربصتم بالحق وأهله ، أو أخرتم التوبة من وقت الى وقت ، وارتبتم بالبعث وشككتكم فيه ، وغرتكم الأمانى أى قاتم

(١) تفسير القرطبي ، ج ٧ ص ١٨٠ (٢) سورة النساء ، آية ١٢٠ و ١٢١

(٣) القرطبي ، ج ٤ ص ٣٠٢ (٤) سورة الإسراء آية ٦٤

(٥) سورة الحديد ، آية ١٣ و ١٤

سيغفر لنا ، أو غرتكم الدنيا حتى جاءكم الموت ، وغركم بالله الغرور وهو الشيطان حتى قذفكم في النار [١] .

قال بعض العلماء : ان للباقي بالماضى معتبرا ، وللاآخر بالأول مزدجرا ، والسعيد من لا يغتر بالطمع ، ولا يركن الى الخدع ، ومن ذكر المنيّة نسي الأمنيّة ، ومن أطال الأمل نسي العمل ؛ وغفل عن الأجل .

وقريب مما سبق قوله سبحانه : « آمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون الا في غرور » [٢] . أى ما الكافرون الا في غرور من الشياطين ، تغرهم وتخدعهم حين توهّمهم بأنه لا بعث ولا حساب ، وأنه لا ثواب ولا عقاب

وقد رأينا في الآيات السابقة أن الغرور قد نسب الى الشيطان ، فهو صفة له ، وهو يحاول بثه في سواه ، وهو بخبثه يعمل على التفرير بطوائف من الخلق فيهلكهم ويرديهم ، ويسوقهم الى شر المعاطب ، ولذلك حذر الله عباده من ذلك الغرور فقال في سورة فاطر : « يأيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور » [٣]

ويقول الله تعالى : « قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أرؤنى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه ، بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا » أى انما اتبعوا في ذلك أهواءهم وآراءهم وأمانيتهم التي يمتنونها لأنفسهم ، وهى غرور وباطل وزور ، والغرور هنا مطلق على المشركين الظالمين ، وقريب من هذا قوله تعالى : « يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين » [٤] ، قيل ان هذا الخطاب يكون يوم الحشر ، والمعنى أن هؤلاء الكفار قد خدعتهم هذه الحياة العاجلة ، وظنوا أنها تدوم ، فاغتروا ثم اعترفوا بكفرهم ، قال مقاتل : هذا حين شهدت عليهم الجوارح بالشرك [٥]

-
- (١) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٠٩ (٢) سورة الملك ، آية ٢٠
 (٣) سورة فاطر ، آية ٥ (٤) سورة الأنعام ، آية ١٣٠
 (٥) تفسير القرطبي ج ٧ ص ٨٧

وقال تعالى : « وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ، ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون » [١] وهذا الزخرف عبارة عما يوسوس به شياطين الجن الى شياطين الإنس ، وسعى وحيا لأنه انما يكون خفية ؛ وقد ورد أن شيطان الإنس شر من شيطان الجن ، وقال مالك بن دينار : إن شيطان الإنس أشد على من شيطان الجن ، ذلك أنى اذا تعوذت بالله ذهب عنى شيطان الجن ، وشيطان الإنس يمحىنى فيجرنى الى المعاصى عيانا [٢]

وهنا تشترك شياطين الجن وشياطين الإنس - وهم الضالون المضلون منهم - فى الغرور والاغترار والتغدير

وقال تعالى : « ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ، ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون » [٣] ، هذا عن اليهود والنصارى الذين يتظاهرون بالتمسك بالتوراة والإنجيل ، ومع ذلك لا يقبلون التحاكم اليهما ، وقد غرهم فى دينهم وخدعهم ما خدعوا به أنفسهم من زعمهم أن النار لا تمسهم بذنوبهم الا أياما قليلة معدودة ، وهم الذين افتروا هذا من تلقاء أنفسهم ، ولم ينزل الله به سلطانا

وبعد أن رأينا نسبة الغرور الى الشيطان والى المنافقين والمشركين ، والى شياطين الإنس والملاعين ، والى الفاسقين من اليهود والنصارى ، نرى نسبته الى الحياة الخادعة الزائفة ، فيقول القرآن عن الكافرين : « الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا ، فاليوم ننسأهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا ينجحون » ، وفى سورة الأنعام يقول : « وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا » ويعود فى سورة الحديد فيقول : « اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ، ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور [٥] »

(١) سورة الأنعام ، آية ١١٢ (٢) تفسير القرطبي ، ج ٧ ص ٦٧ و ٦٨

(٣) سورة آل عمران ، آية ٣٣ و ٢٤ (٤) سورة الأعراف ، آية ٥١

(٥) سورة الحديد ، آية ٢٠

أى هى متاع حقير صغير فان ، يغرم من يركن اليه مع أنها حقيرة قليلة بالنسبة الى الدار الآخرة ، وفى الحديث : « لموضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها » ، وفى التنزيل : « بل تؤثرون الحياة الدنيا ، والآخرة خير وأبقى » ، ويقول قتادة : هى متاع متروكة أو شكت والله الذى لا اله الا هو أن تضمحل عن أهلها ، نغذوا من هذا المتاع طاعة الله ان استطعتم ، ولا قوة الا بالله ، وعن سعيد بن جبير : انما هذا لمن آثرها على الآخرة ، فأما من طلب الآخرة بها فأنها متاع بلا غرور

ويقول تبارك وتعالى فى سورة الانفطار : « يأبى الإنسان ما غرك بربك الكريم » . قال ابن عمر وغيره : غره والله جهله . وقال قتادة : ما غر ابن آدم غير هذا العدو الشيطان . وقال بعض أهل الإشارة : إنما قال (بربك الكريم) دون سائر أسمائه وصفاته كأنه لقنه الإجابة ؛ وهذا الذى تخيله هذا القائل ليس بطائل ، لأنه إنما أتى باسمه الكريم لينبه على أنه لا ينبغي أن يقابل الكريم بالأفعال القبيحة وأعمال الفجور (١) . وفى هذا توبيخ وتبكيك للعبد الذى يأمن مكر الله ولا يخافه .

ويخاطب الله نبيه بقوله فى آل عمران : « لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد ، متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد » . أى لا تتطلع إلى ما يتقلب فيه هؤلاء الكافرون من النعمة والغبطة ، فعما قليل يزول هذا كله عنهم ، ويصبحون بلاشئ ، ثم يؤخذون بأعمالهم السيئة ، ونحن نهملهم ولا نهملهم ، وما هذا الذى فى أيديهم إلا شئ حقير قليل ، ولهم من وراءه جهنم ، وهى أسوأ مستقر ومصير . وفى الحديث : « ما الدنيا فى الآخرة إلا كما يجعل أحدكم إصبعه فى اليم فليستظر به يرجع » .

وقريب من هذا قوله فى سورة المؤمن : « ما يجادل فى آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغرنك تقلبهم فى البلاد » .

هذا ما تيسر من استعراض لحديث القرآن الكريم عن الغرور والمغترين ، وهو حديث - كما ترى - يوحى بالاحتياط والحذر ، ويوصى بالابتعاد عن مواطن الغرور وأسباب الاعتراض ، ويحذر من صحبة الغارين المخادعين ؛ جنبنا الله آفة الغرور ، وجمالنا بفضل التواضع والذكرى ، وباعد بيننا وبين المغترين والغافلين ، إنه نعم المعين .

أحمد الشرباصى

المدرس بالأزهر الشريف

سه نوادر المختصرات

توجيه اللع لابن الخباز

من أئمة المتقدمين في علوم اللغة والنحو والصرف العلامة ابن جني . ويكفي أن يقال : إنه صاحب الخصائص ، فيستحضر العلماء شخصيته العلمية الباحثة الذوافة النافذة إلى أعماق البحث الفلسفي في قواعد النحو والصرف وشخصيته الأدبية التي أملت بأطراف الأدب المصنفي ، فكانت كتبه العلمية أشبه بالدواوين في غرائب الشعر العربي .

ولابن جني جملة من الكتب في اللغة والنحو والصرف عرف أكثرها واشتهر بعضها . ومما اشتهر من كتبه (الخصائص) ، ومما عرف له (اللع) في النحو ، وقد جمعه من كلام شيخه أبي علي الفارسي واختصر فيه قواعد النحو اختصارا شديدا كما يؤخذ من اسم الكتاب ، فاسم الكتاب (اللع) وهي جمع لمعة ، ومن معاني اللعة الإشارة باليد ، فكلام ابن جني في اللع عن قواعد النحو إشارات موجزة ذات احتمالات كثيرة ، لذا اضطر العلماء من بعده إلى توضيحها والكشف عنها وتحديد المراد منها ، فشرحها بعضهم شرحا مطولا ، وشرحها بعضهم شرحا موجزا . ومن تصدى لذلك العلامة ابن الخباز فشرحه شرحا متوسطا لاهو بالكبير الممل ولاهو بالقصير المخل كما قال : « فضمنت لهم إملاء مختصرا أقتصر به على توجيه مسائله وتبليغ وسائله ، وقد سميت (توجيه اللع) ، وعالت فيه المسائل جمع »

فشرح ابن الخباز أو إملأه على اللع ليس كما يفهم العلماء من معنى كلمة الشرح الذي يحاول فيه الشارح الجمع والاستطراد ، وإنما هو الشرح الذي يكتفي فيه بالتوجيه والكشف عن عبارات اللع .

ولهذا الشرح مزايا ، أولها اختصار العبارة والاقتصار على المطلوب ، ثانيها وضوح أسلوبه العلمي وضوحا لا يوجد في كثير من أساليب المتقدمين في علم النحو ، ثالثها كثرة الاستشهاد بالشعر العربي حتى لا تكاد تخلو قاعدة منه من الاستشهاد به ، رابعها إعراب الغامض من الشواهد والكشف عن غريب اللغة فيها

ومن الغريب أن ابن الخباز أملى هذا الشرح ولم يأخذ فيه عن كتاب كما يقول :
« ولم أستعن في مدة إملائه عليه بمطالعة كتاب ، وقد أودعته نبذا مما رويته عن شيخى
مجد الدين بن أبي حفص عمران بن أحمد بن أبي بكر بن مهران »

وابن الخباز لا يذكر عبارة اللع كلها ، وإنما يقتصر على ما يريد بيانه وتوجيهه منها ،
وإنما لنقتبس من الكتاب ما يوضح ما ذكرنا ، قال في خطبته :

« أحمد الله على توفيقه وتسديده ومنه علينا بأن جعلنا من أهل توحيده ، وأسأله
من فضله الجزيل أبلغ مزيده ، وأصلى على نبيه محمد الصادق في وعوده ، والناطق لجامع
الكلم وسديده . . . صلاة دأمة ما تلفع عارض ببروده ، واختال بين بروقه ورعوده .
أما بعد : فأن جماعة من حفظة كتاب اللع لابن جنى أطمعهم فيه صغر حجمه ، وآيسهم
منه عدم فهمه . . . لأن الكتب المصنوعة لتفسيره ، منها الكبير الممل ، ومنها الصغير
المخل ، فضمنت لهم إملاء مختصرا . . . وكلما مررت ببیت ذكرت إعرايه ، أو بلفظ لغوى
حليته تحلية تزيل استغرابه .

وقال في باب المعرفة والنكرة : « المعرفة والنكرة في الأصل مصدران يقال : عرفت
الشيء أعرفه معرفة وعرفانا ، وأنكرت الشيء إنكارا ، قال الأعشى :

وأنكرتنى وما كان الذى نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا

ويقال : إن أبا عمرو وضع هذا البيت ، وعلى كل حال يستشهد به لأن أبا عمرو
لا يتقاعد عن الحسين بن مطير الأسدى الذى كان في زمان المهدي . فنقل النحويون
المعرفة والنكرة وسموا بهما نوعى الأسماء ، والأصل النكرة ولذلك بدأ بها ، وكانت
الأصل لوجهين :

أحدهما : أنك لا تجد معرفة إلا وله اسم نكرة ، وتجد كثيرا من الشكرات لا معرفة
له ، والمستقل أولى أن يكون أصلا من المحتاج

الثانى : أن الشيء منذ أول وجوده تلزمه الأسماء العامة ثم تعرض له بعد ذلك الأسماء
الخاصة . ألا ترى أن آدمى إذا ولد سمي ذكرا أو أنثى وإنسانا ومولودا ورضيعا وشيئا
وموجودا ، وهذه الأسماء مشتركة المعانى ، ثم يعرض بعد ذلك اللقب والكنية ،
والاسم كعبد الله وأبي عمرو وبطة . وقد اختلفت عبارات النحويين في حـد النـكرة ،

وهي راجعة الى معنى واحد ، قال أبو الفتح : « النكرة ما لم يخص الواحد من جنسه »
وقال غيره : « النكرة ما دل على شيء لا بعينه »

واعلم أنه لا يشترط في النكرة كثرة المعاني الموجودة تحتها بل العبرة أن يكون وضعها
على الاشتراك ، ألا ترى أن شمسا وقمرنا نكرتان وان لم يكن الاشمس واحدة وقمر واحد .
ويدلك على أنهما نكرتان دخول اللام عليهما ، فإن قلت : فقد جمعت الشمس والقمر ،
قال الأشر النخعي :

حى الحديد عليهم فكأنه ومضات برق أو شعاع شمس
وقال الراجز :

وجوهم كأنها أقمار

ففى ذلك جوابان : أحدهما أن الشمس والقمر يتجددان ، فالشمس فى كل يوم ،
والقمر فى كل شهر ، فجمعهما نظرا الى هذا ، ألا ترى أنك تقول شمس اليوم أحر من
شمس أمس ، والثانى أن الجمع على تسمية الضوءين باسم النيرين وأضواؤهما
كثيرة الخ »

هذا . ومن الغريب أن السيوطى فى بغية الوعاة لم يشر فى ترجمته لابن الخباز الى هذا
الكتاب ، كما أن حاجى خليفة صاحب كشف الظنون أشار اليه اشارة موجزة فقال :
توجيه اللع فى النحو ولم يزد على ذلك . وابن الخباز هو أحمد بن الحسين بن أحمد بن معالى
ابن منصور بن على الشيخ شمس الدين بن الخباز الأربلى النحوى الضرير . كان علامة
زمانه فى النحو واللغة والفقه والعروض ، وله مصنفات مفيدة منها شرح ألفية ابن معطى
والنهاية فى النحو ، مات بالموصل سنة ٦٣٧ ، وبلالمكتبة الأزهرية نسخة من كتاب توجيه
اللح من أقدم النسخ ، فقد فرغ من نسخها سنة ٧٨٦ ، وخطها حسن بالنسبة لخطوط عصرها ،
وأكثر كلماتها مشكول ، و ببعض أوراقها رطوبة وتقطع ذهب ببعض كلماتها ، وتقع فى
٢٠٨ ورقة ، وسطورها بين ٢٢ و ٢٣ سطرا ، وان هذا الكتاب جدير بالشر ، ويسد
فراغا بين كتب النحو ، وأحياءه لكتب السلف التى خلت من الحشو والتطويل ،
وهدف الى المقصود من غير تزييد ولا استطراد ، وعسى أن يجد بين المهتمين بأحياء
تراثنا القديم من يعنى بنشره ما

أبو الوفا المرافى

وجوب التصحيح

في مائة حديث صحيح

أخرجه الشيخان في صحيحيهما والإمام أحمد في مسنده

أخرج الإمام البخاري في صحيحه في : ٨٥ - كتاب الفرائض ، ٢١ - باب إثم من تبرأ من مواليه :

حدثنا قتيبة بن سعيد . حدثنا جرير عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال : قال علي رضي الله عنه : ما عندنا كتاب نقرؤه إلا كتاب الله ، غير هذه الصحيفة . قال : فأخرجها فأذا فيها أشياء من الجراحات وأسنان الإبل . قال وفيها « المدينة حرم ما بين عير إلى ثور : فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل » الخ .

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه في : ١٥ - كتاب الحج ، ٨٥ - باب فضل المدينة الحديث ٤٦٧ :

وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب وأبو كريب جميعاً عن أبي معاوية . قال أبو كريب : حدثنا أبو معاوية . حدثنا الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال : خطبنا علي بن أبي طالب فقال : من زعم أن عندنا شيئاً نقرؤه إلا كتاب الله وهذه الصحيفة (قال وصحيفة معلقة في قراب سيفه) فقد كذب . فيها أسنان الإبل وأشياء من الجراحات ، وفيها قال النبي صلى الله عليه وسلم : « المدينة حرم ما بين عير إلى ثور : فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً » الخ

وفي : ٢٠ - كتاب العتق ، ٤ - باب تحريم تولى العتيق غير مواليه ، حديث ٢٠ : وحدثنا أبو كريب ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه

قال : خطبنا على بن أبي طالب فقال : من زعم أن عندنا شيئاً نقرؤه إلا كتاب الله وهذه الصحيفة (قال وصحيفة معلقة في قراب سيفه) فقد كذب . فيها أسنان الإبل وأشياء من الجراحات ، وفيها : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « المدينة حرم ما بين عير إلى ثور : فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً الخ .

وأخرج أبو داود في سننه في : ١١ - كتاب المناسك ، ٩٦ - باب في تحريم المدينة حديث ٢٠٣٤ :

حدثنا محمد بن كثير ، أخبرنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه ، عن علي رضي الله عنه قال : ما كتبنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا القرآن ، وما في هذه الصحيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المدينة حرام ما بين عائر إلى ثور ، فمن أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه عدل ولا صرف » الخ .

وأخرج الإمام أحمد في مسنده جزء أول ص ٨١ (طبعة الحلبي) الحديث رقم ٦١٥ طبعة المعارف :

حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال : خطبنا على فقال : من زعم أن عندنا شيئاً نقرؤه إلا كتاب الله وهذه الصحيفة - صحيفة فيها أسنان الإبل وأشياء من الجراحات - فقد كذب ، قال وفيها : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المدينة حرم ما بين عير إلى ثور ، فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة عدلاً ولا صرفاً » الخ .

وفيه جزء أول ص ١٢٦ (طبعة الحلبي) حديث رقم ١٠٣٧ طبعة المعارف :

حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن علي قال : ما عندنا شيء إلا كتاب الله تعالى وهذه الصحيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم « المدينة حرم ما بين عائر إلى ثور ، من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه عدل ولا صرف » الخ

وفيه جزء أول ص ١٥١ (طبعة الحلبي) حديث رقم ١٢٩٧ طبعة المعارف :

حدثنا محمد بن جعفر . حدثنا شعبة عن سليمان عن إبراهيم التيمي عن الحارث بن سويد قال : قيل لعلي : إن رسواكم كان يخصمكم بشيء دون الناس عامة ؟ قال : ما خصنا رسول الله

صلى الله عليه وسلم بشيء لم يخص به الناس، إلا بشيء في قراب سيفى هذا، فأخرج صحيفة فيها شيء من أسنان الإبل، وفيها «ان المدينة حرم ما بين ثور الى عائر، من أحدث فيها حدثا أو أوى فيها محدثا فإن عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل» الخ .

هذه هي المتون الصحيحة لهذا الحديث الصحيح، وقد بينا في مقالنا السابق (١) صحة وجود جبلى غير وثور بالمدينة بما نقلناه عن أئمتنا القدماء وعن مؤرخينا المعاصرين . ومن اليقين أن هذا اللفظ هو اللفظ النبوى الذى حافظ عليه الصحابى ثم التابعى ثم من رواه عنه الى البخارى ومسلم وأبى داود والإمام أحمد .

ولكن يظهر أن بعض الرواة شككوا فى متن الحديث ما تفحّمه من الخطأ الشنيع مصعب بن الزبير ومن قلده بغير روية .

وتوهم وقوع الخطأ فى المتن، دون أن يبحث هو أيضا ويدقق، فتعاشى فى روايته ذكر ثور أو ذكر غير وثور معا، كما جاء فى هذه الأحاديث التى ينبغى تصحيح الخطأ فيها وروايتها على الصواب حسبما تقدم، وهذه هي :

أخرج الإمام البخارى فى صحيحه فى : ٢٩ - كتاب فضائل المدينة ، ١ - باب حرم المدينة :

حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان عن الأعمش عن ابراهيم التيمى عن أبيه عن على بن رضى الله عنه قال : ما عندنا شيء إلا كتاب الله وهذه الصحيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم «المدينة حرم ما بين عائر الى كذا الخ» .

وفى ٥٨ - كتاب الجزية ١٠ - باب ذمة المسلمين واحدة وجوارهم واحدة يسعى بها أدناهم : حدثنى محمد ، أخبرنا وكيع عن الأعمش عن ابراهيم التيمى عن أبيه قال : خطبنا على فقال : ما عندنا كتاب تقرأه إلا كتاب الله وما فى هذه الصحيفة ، فقال : فيها الجراحات وأسنان الإبل ، والمدينة حرم ما بين غير الى كذا الخ

وفيه ١٧ - باب إثم من عاهد ثم غدر
حدثنا محمد بن كثير ، أخبرنا سفيان عن الأعمش عن ابراهيم التيمى عن أبيه عن على

رضى الله عنه قال : ما كتبنا عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا القرآن ، وما في هذه الصحيفة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « المدينة حرام ما بين عائر إلى كذا الخ » .

وفى : ٩٦ - كتاب الاعتصام ، ٥ - باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم والفلو في الدين والبدع :

حدثنا عمر بن حفص بن غياث ، حدثنا أبي ، حدثنا الأعمش ، حدثني إبراهيم التيمي ، حدثني أبي قال : خطبنا على رضى الله عنه على منبر من آجر ، وعليه سيف فيه صحيفة معلقة ، فقال : والله ، ما عندنا من كتاب يقرأ إلا كتاب الله ، وما في هذه الصحيفة . فنشرها فاذا فيها : أسنان الإبل ، وإذا فيها : المدينة حرم من غير إلى كذا الخ .

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه في : ١٥ - كتاب الحج ، ٨٥ - باب حرم المدينة ، الحديث ٤٣٦ .

وحدثناه حامد بن عمر ، حدثنا عبد الواحد ، حدثنا عاصم . قال : قلت لأنس ابن مالك : أحترم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ؟ قال : نعم ، ما بين كذا إلى كذا ...

وأخرج الإمام أحمد في مسنده جزء ثالث ص ٢٣٨ (طبعة الحلبي) حدثنا عبد الله ، حدثني أبي ، حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم الأحول عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : المدينة حرام من لدن كذا إلى كذا الخ . وفيه ص ٢٤٢ :

حدثنا عبد الله ، حدثني أبي ، حدثنا مؤمل ، حدثنا حماد عن حميد ، وعاصم الأحول عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : المدينة حرام من كذا إلى كذا ... الخ .

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد رسول الله وخاتم النبيين

محمد فؤاد عبد الباقي

نظام الملك الطوسي

الوزير العالم المصلح الشهير

اكتملت في الوزير نظام الملك الطوسي مواهب عديدة، فهو - أولاً - عالم بارع تفقه في الشريعة الإسلامية ، والحديث النبوي ، ودرس اللغة والأدب ، ولم يكن اطلاعه محدوداً يقتصر على المطارحة والمشاركة ، بل عمده إلى الباب الدسم من مختلف العلوم فاكتنه سره ، وكشف غامضه ، وحسبك أنه تصدر للتدريس في حلقاته العامة ، فنوقش وجوده ، وأظهره الحوار على حقيقته عالماً أصيلاً يحمل برهانه ، ويملك إقناع معارضيه ، وهو - ثانياً - إداري حازم نظم شئون الملك ، وجهز الجيوش الغازية ، ورسم الخطط الموفقة ، وأعد المؤن والذخائر ، وجعل لسلطانه هيئة مرهوبة ، فأمره نافذ مسموع ، وأعدائه ينسكشون ويتضاءلون مشفقين من صرامته وسعة حيلته ، مع ما لديه من عتاد صباغ ، وبأس رهيب ، وهو - ثالثاً - مصلح كبير قضى على الاختلافات المذهبية بين الطوائف الإسلامية ، وأكثر من المدارس النظامية ، ودعا إلى الوحدة المتناسكة بين المسلمين في عصر تنوعت فيه الفرق ، وتعددت الخلافة من عباسية وعبيدية وأندلسية !! وبجهوده الممتازة رجعت للدين مكانته في القلوب ، وللسلطان هيئته في النفوس !!

كان أبو الحسن بن إسحاق بن العباس الطوسي من أبناء الدهاقين ، وقد توفيت أمه وهو رضيع ، فلاقى والده مشقة في تربيته وحضنته إذ كان يطوف به على المرضعات ، ويسهر طيلة ليله في قضاء حوائجه ، وما ان شب عن الطوق حتى دفع به إلى معلم مخلص يتفقه ويهذب ، لحفظ القرآن الكريم ، وتفقه في الحديث الشريف ، وشارك في علوم عصره ، وكانت المعرفة لعهد مختلفه الينابيع متنوعة الجداول ، فأخذ من كل فن بطرف ، وأخلص إخلاصاً حميداً في التحصيل حتى تألق بنجمه ، وذاع صيته ، فاتصل بخدمة علي بن شاذان ،

وأظهر لديه كفاية تامة وخبرة واعية وخلقاً كريماً ، فقدّمه إلى الملك السلجوقي ألب أرسلان ، ولم يلبث أن صار صاحبه الأثير ، فنسّم الوزارة ، وبلغ بها مرتبة سامية أتاحت له أن ينفذ آراءه الإصلاحية ، ويقوم بجهود ممتاز في شتى الميادين .

كانت عصامية نظام الملك مفتاح تفوقه ونبوغه ، فقد قرأ تواريخ الوزراء وذوى المكانات المرموقة في الدولة الإسلامية ، فوجد الخطوة السابغة قد واتتهم عن طريق الدرس والتحصيل ، فأكب على العلم يقتطف ثماره اليوانع ، ولم يحصر أفقه في فرع خاص منه يتفرغ إلى التعمق في مسائله والتبحر في أصوله ، حتى يصبح أستاذه الملحوظ ، ولكنه جعل من اطلاعاته المتنوعة نبراساً يهديه إلى حل مشكلات عصره ، وتفهم حوادث زمنه ، ومعالجة ما قد يعضل من الأدواء ، ومن هنا ربط علمه بالحياة ربطاً ساعد على فهمها ودراسة مجتمعيها ، وعناصر التأثير فيها ، وتكوين صورة خاصة لكل عظيم يتصدر ناحية من نواحيها الكثيرة ، وكانت أخلاق الرجل سالماً آخر لمجده ، فيها تدرج في معارج الرقي ، وانجذبت إليه الأئفدة والأهواء ، وقد ورث عن دلائته صوفية شفافة ، فحل إلى الفقراء ، وصاحب أهل الزهد والورع ، ونأى في وزارته عن الترف والملاذ ، ووجد في مطارحة العقول ومجالسة الفحول لذائذ مغرية ، فحرص على التبصر والتأمل ، وأبدى رأيه فيما يسمع ويقرأ ، ولذلك عمر مجلسه بأئمة العلم وصدور الشريعة من أعلام الإسلام ، وكان يبدى من تعظيمهم وتجييلهم ما يدفعهم إلى زيارته والتردد عليه ، بل إنه كان يزن كل عالم بميزان دقيق ، فيعرف له مكانه الذي يجب أن يوضع فيه .

كان مجلس الوزير دائرة ثقافية متنوعة الأفانين ، وحسبك أن تعلم أن إمام الحرمين أبا المعالي الجويني ، وأبا القاسم القشيري ، وحجة الإسلام الغزالي ، وعبد السلام القزويني ، وأبا علي الفارمذي ، وغيرهم من أئمة الفضل ، كانوا شמוש مجالسه وبدور آفاقه ، وكانت صوفيته السليمة النبيلة تدفعه إلى المفاضلة بينهم على أساس من الورع والتقوى ، فهو يستشف أسرار النفوس ، ويصل إلى الأغوار الكامنة من معادن الناس ونياتهم ، فليست سعة العلم وحدها أساس المفاضلة في رأيه ، ولكنه يجمع إليها ما توحى به الدلائل المختلفة من عظمة الخلق وقوة الإخلاص ، وكأنني به وقد أدرك أن العلم لا يبلغ قمته العالية إلا إذا امتزج بدماء صاحبه ، فأورثه ترفعا كريماً عن الرغبات الزائلة ، وتسامياً رقيقاً عن مجاملة

الناس ومحاستهم لعلّة ذاتية أو نفع مادي ؛ قال بعض جلسائه : كان نظام الملك إذا دخل عليه إمام الحرمين وأبو القاسم يقوم لهما ولا يفارق مكانه ، وإذا دخل عليه واعظ خراسان أبو علي الفارمذى قام إليه ، وأجلسه مكانه ، وقعد بين يديه ، فسألناه عن مبالغته في الاحتفاء بالواعظ وحده احتفاء لم ينله سواه ، فقال : إن الجويني والقشيري وأمثالهما إذا دخلوا على يقولون لي : أنت كذا وكذا ، ويبالغون في الثناء بما يبطنني من المدح ، أما أبو علي فيذكر لي عيوب نفسي ، وما أقع فيه من الظلم فأنكسر وأراجع وأستشعر الهيبة والخشوع !

فهذا الرجل الذي يهمل الثناء ، ويحتشد للنقد ، ويكثر لصاحبه ، إنسان عميق الإدراك ، واسع النظرة ، ولا ريب أنه جاهد نفسه جهادا شاقا حتى سما بها فوق التزوات الأثانية التي تتعشق الإطراء العريض ، وذلك وحده فضل عجيب يقترن بالحب والإجلال ! !

ونحن - وقد عرفنا حقيقة نظام الملك - لا نعجب إذا وجدناه يحل بين جنبه قلبا رقيقا ، فيأتي من الأعمال ما ينبئ عن رحمة وحنان ؛ كان يأكل ذات يوم على مائدته ، ومعه لفيف من أعيان الدولة ، وجماعة من الفقراء والمعوزين - كدأبه في الجمع بين الطائفتين - فشهد والى خراسان يجلس جوار فقير مقطوع اليد ، والوالى متأفف من جواره ضائق بمكانه ، فقام النظام من فورده وجلس جوار الفقير يحادثه ويمد يده في طبقه ! وبذلك ألقى على والى المتعاطف درسا في المروءة يفوق كل زجر وتأنيب ! ! .

وكانت حوادث عصره وملايسات زمنه تساعده على أداء رسالته في السياسة والتعليم ، فقد تسنم الوزارة في خلافة المقتدى بالله العباسي ، وسلطنة ألب أرسلان وملكشاه السلجوقيين ، والخليفة العباسي والسلطان السلجوقي معا يهدفان الى الخير ، ويساعدان على الإصلاح ، فاذا نهض الوزير آتئذ بسياسته الإصلاحية لم ير معارضا يقف في طريقه ، وبذلك يسير في نهج سهل تلاشت عقباته ، وتجاغت عنه العراقيل ! .

كان المقتدى بالله خليفة قوى النفس عظيم الهمة ، أصلح كثيرا من الأحوال الاجتماعية ببغداد ، فخطم دور الفساد ، وطرد المغنيات ، ومنع الملاحين أن يحملوا الرجال مع النساء ، واستأصل الأبراج العالية كيلا تكون مباءة لكشف الأسرار ، والاطلاع على المحصنات في الخدور ، ولذلك صادفت إصلاحات نظام الملك ارتياحا من نفسه ، فخلع عليه خلعة سنية ! وقدر الوزير الكفاء تقديرًا كان مدعاة العمل والنشاط ، وكذلك كان سلطانه

السلجوقي ألب أرسلان - فيما يقول ابن الأثير - نبىلاً على الهمة ، باراً بالريعية ، صديقاً للفقراء والمعوزين ، وقد ورث عنه ابنه ملكشاه من بعده ما يزينه من النبل والشجاعة والهمة والطموح ، ونظام الملك وزيرهما المختار يتصرف في الأمور كما يشاء ، وقد تعاون معهما تعاوناً صادقاً في الغزو الإسلامي المظفر ، فقد أغار الروم على أملاك الدولة العباسية ، وأفزعوها المسلمين بما فعلوا من إجماع ونهب ، ثم زحفوا على آسيا الصغرى ، وامتدت أطماعهم إلى بغداد ، وبعث ملك الروم إلى السلطان رسالة تنبئ عن الاستخفاف به ، فأخذ الأهبة الشديدة ، وسار بجنوده إلى لقائه ، ونظام الملك من خلفه يرسم الخطة ، وبعد الذخيرة ، وقد قسم السلطان جيشه إلى أربع فرق ، تقدم بأحدها وترك ما بقي كميناً أطبق من الخلف والجانبين ، فوقعت الهزيمة الساحقة بالروم ، وتركوا مغنم كثيرة من مال وذخائر ، ورجعت للإسلام مكانته الشفاء .

وبإدارة نظام الملك وحسن تديره الحضيف ، اتسع نفوذ ملك شاه ، فخطب له من حدود الصين شرقاً ، إلى آخر بلاد الشام غرباً ، وعم البلاد الرخاء ، فشقت القنوات ، ونشطت الزراعة والتجارة ، وقد سار «ملكشاه» بجنوده حتى بلغ حدود القسطنطينية ، وقرر ألف دينار على ملوكها ، ووضع في الجهات التي فتحها من بلاد الروم خمسين منبراً إسلامياً !! وجلجل الأذان الإسلامي في الآفاق يحمل الرسالة المحمدية ، ويدوى بعظمة الإسلام !! لم يكن هذا النصر ليتاح في عهد وزير خامل يفكر في نزواته وأهوائه ، ولكن قوة نظام الملك الخارقة ، قد جعلت من الدولة السلجوقية دولة مغاز وفتوح ، ولن يتم لدولة عظيمة بغير ذخيرتها الحربية ، وقوتها المجاهدة ، وهذا ما فطن إليه الوزير العظيم ، فأعد الجيش القوي ، وهياً السلاح المباحق ، وكسب النصر الوضاء ، ولو تأخر عهد الوزير العظيم حتى ظهرت قوات التتار المتوحشة لألقى عليها بشكيمته الخارقة درساً قاسياً ، ولما استطاعت أن تمزق الدولة السلجوقية تمزيقاً تفتت له الأكباد !! ولكن القدر الذي شاء لنظام الملك أن يمثل دوره قبل اندلاع هذه النار المشتعلة !! قد هياً للتتار ظروفًا مواتية ، أدوا بها رسالتهم المروعة في الاستئصال والتدمير !! ولو سلك الخلف سبيل السلف ما استشرى الخطب وطم الفساد !!

هذا في ميدان الحروب !! أما في ميدان الثقافة فقد رأى النظام ما يغمر العامة من جهل بقواعد الدين ، وحز في نفسه أن يتلاعب بعض الناس من ذوى الأطماع السياسية

بعقائد باطلة ينسبونهم إلى الإسلام ، ويدنسون العامة إليها ليتخذوا منهم قوة مظاهرة تساعدهم على الاستقرار السياسى !! حزن ذلك فى نفس الوزير فأنشأ المدارس المتعددة فى العراق وإيران وأفغانستان ، وقد حشد لها أئمة الفقه وأعلام الشريعة ، فكان من أساتذتها إمام الشافعية أبو اسحق الشيرازى ، وحجة الإسلام الغزالى ، وأبو نصر بن الصباغ ، وأبو بكر الشافى ، وعرفت فيما بعد بالمدارس النظامية ، وكان للطلبة بيوت يأوون إليها ، وخزائن وأقية تحفظ ملابسهم وكتبهم ورواتب تجرى عليهم كيلا يقطعهم طلب الرزق عن التحصيل !! وقد أباح للجمهور أن يسهم مع الطلاب فى النقاش والاستماع ، وأخذت أضواء المعارف تشع وتتكاثر !! حتى نشأ جيل جديد ممتاز يدرس الشريعة الصافية ويرد إلى الإسلام فى منابعه النقية ، ومهما يكن من شئ فقد كانت هذه المدارس المباركة أساساً للنهضة العلمية التى ازدهرت فى القرن الخامس الهجرى وما وليه من قرون ، وإليها يرجع الفضل فى القضاء على البدع والخرافات التى عشت فى العقول المظلمة ، ورجعت على الإسلام بأوخم العواقب !! وقد ألقى فيها نظام الملك بنفسه بعض الدروس فى الحديث والتفسير ، ولم يدع لنفسه رسوخاً فى العلم وتمكناً فى الرواية بل تواضع فقال : إنه لم يبلغ درجة العلماء والمحدثين !! ولكنه يرغب فى أن يحسب فى عداد رواة الحديث ، لينال بذلك تشريفاً عند الله والناس .

وقد كان إكثاره من المدارس النظامية مدعاة لخطأ وقع فيه الحافظ الذهبي حين قرر أن نظام الملك أول من أنشأ المدارس فى الإسلام !! وقد تدارك العلامة السبكي والسيوطى هذا الخطأ فذكرا أن المدارس الخاصة بالتعليم قد أنشئت فى الإسلام قبل أن يولد نظام الملك بعشرات الأعوام كالمدرسة البيهقية بنيسابور وغيرها ، ولكن النظام أكثر من المدارس اكثاراً حميداً ، وكان - وحده - أول من أجرى بها المعاليم للطلاب والمدرسين ، ومع هذا التصحيح المقنع فقد تلقف جورجى زيدان رواية الذهبي وتبعه جمع من المستشرقين يعز عليهم أن يسبق تاريخ الإسلام فى إنشاء المدارس ، فهم يرجعون بها دائماً فى أحجامهم المختلطة عن التربية الإسلامية إلى نظام الملك الطوسى ، عن هوى واضح ، وغرض مرئى !!

كانت المدارس النظامية تدعو دعوة صريحة إلى القضاء على الخلاف بين أصحاب الدين الواحد ، فقد كان بعض المعتزلة والأشاعرة والرافضة يحتربون فى حومة خاسرة ، وكل فريق يكيل للآخرتهما تصل إلى الكفر والمروق ، كما أن بعض رجال الفقه من

شافعية وأحناف وحنابلة ومالكية وشيعة قد طاف بهم طائفت التعصب، فأصبح الفقيه المتعصب يبحث عن أوجه الخلاف البعيدة، فإذا قرأ فتوى لزميل يخالف مذهبه بذل جهده في تزييفها، حتى لتتعدد الفتوى الواحدة بتعدد الفقهاء، وهناك - مع ذلك كله - جماعة المتصوفة الذين يقفون مع الفقهاء في عمراك ترجع خسارته إلى الدين، وتلك ولايات أئمة أرقت نظام الملك، فعمل على تبديدها بانارة العقول وإضاعة الأذهان، فصافى أهل الانصاف من كل الفرق، وصاحب المخلصين من رجالها وحشدهم في مجالسه، ودعاهم إلى الوحدة لصيانة الإسلام في عصر يتجمع فيه الفرنج ويتحشون بالمسلمين، وقد تنازع ساسة الإسلام وتعددت مذاهبهم المغرضة، فلا أقل من أن يتحد العلماء فيأبوا صدعا واسعا يوشك أن يعصف بالبناء، قال عبد السلام بن يوسف القزويني شيخ المعتزلة في عصره: دخلت على الوزير الخياطير نظام الملك، وكان عنده أبو محمد التيمي، وعالم أشعري، فقلت له: يا أيها الصدر، لقد اجتمع عندك رؤوس أهل النار، فقال النظام: وكيف؟ فقلت: أنا معتزلي، والتيمي مشبه، وذاك أشعري، وبعضنا يكفر بعضا، فضحك النظام. وإذا كان القزويني قد ساق حديثه مساق الفكاهة، فهو بلا شك ينبئ عن حقيقة أئمة تضطرم لها الصدور، إذ يصور ما تنفجر به مجالس العلم من قذائف ملتبهة تتناثر شظاياها المحرقة في الوطن الإسلامي، فتصيبه بالتصدع والانهار، ولولا ما بذله النظام من الجهود في سبيل الوحدة المخلصة بإقامة المدارس للعلم الإسلامي الحق لتفاقم الشرر وامتد اللهب في كل مكان.

وقد زار النظام بغداد - عاصمة الخلافة - فأراد أن يضرب المثل بنفسه في الدعوة إلى الوحدة الدينية، ونبذ الخلاف المذهبي، فزار مشهد الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق ودعا له بالخير، وأتبعه بزيارة قبري الإمامين أبي حنيفة وابن حنبل ودعا لهما، ثم زار قبر معروف الكرخي، وهو من أئمة التصوف، ودخل المدرسة النظامية وسمع الناس بها منه قسطا من الحديث، وأمل قسطا آخر.

وقد خطا الرجل خطوة ثانية في سبيل الوحدة المرموقة، فأبطل لعن الرافضة والأشاعرة من فوق المنابر، وقد كان الوزير عميد الدين السكندري قد حسن للسلطان طغربلك لعن الرافضة فأمره بذلك فأضاف إليه لعن الأشاعرة!! ورأى نظام الملك في ذلك فخشا بالغا فأبطله مقتديا بعمر بن عبد العزيز ومن سار على طريقته من أعلام السنة

المعتدلين، وبهذه الأعمال الجليلة ساعد النظام مساعدة فعالة على تقريب وجهات النظر، وسار في طريق الوحدة الدينية سيرا حميدا، إذ أطفأ الأحقاد وأثلج الصدور، وقد كان المذهب الشافعي يدرس وحده بالمدارس النظامية لكثرة من بها من فقهاء الشافعية، وليس في هذا تعصب لمذهب خاص، ولكن اجتماع الطلاب على مذهب معين أدعى إلى سد أبواب الخلاف في عصر تفاقمت فيه حدة الجدل المذهبي، بدليل أن الوزير العالم قديني ضريحا للامام أبي حنيفة، وأقام مدرسة خاصة لتدريس مذهبه الجليل، فلو أن مذهب الشافعي قد قصد لذاته دون تقدير لغيره، ما أنشأ النظام مدرسة حنفية، ولكن الجو الذي سمح للخلاف السياسي أن يتسربل بالمذهب الديني قد دعا إلى سلوك منهج واحد لتلاميذ مخلصين يؤمل فيهم أن يكونوا رسل الوحدة الدينية عن قريب.

وقد قدر للرجل أن يلقى مصرعه شهيدا على يد أحد الإسماعيليين بتجريض زعيمهم الحسن بن الصباح، إذ كان هؤلاء يدعون إلى الانتقال على الدولة العباسية، وقد انتشروا في هضاب فارس انتشارا مروعا يهدد الأمن ويعصف بالاستقرار، ولقيت دعوتهم أذانا صاغية في بلاد تألف الفتن المذهبية من قديم، ورأها الحسن بن الصباح حقلا خصيبا يجني به آماله ورغائبه. ومع أن الحسن كان زميل النظام في دراسته التعليمية بطوس، ومع ما بذله النظام له من مساعدة كبيرة حين قدم عليه في وزارته يلتمس المعونة ويستجدي النفع!! ومع الصداقة التي كانت بينه وبين صهر نظام الملك حاكم قلعة «الموت» وانتفاع الحسن بها انتفاعا وجهه وجهة شخصية مريبة!! مع ذلك كله فقد دبت عقارب نحو الوزير، وعزم على أن يغتاله خفية إذ كانت عين النظام بصيرة تراقب ما يقوم به صاحبه من التدمير والافساد، وقد عزم على قص أجنحته وانهايار طغيانه عزمًا لا يقبل المفاوضة والتراجع، ولكن القدر قد سبقه في طعنة مأكرة من يد ديلمى مأفون سخره الحسن لتنفيذ رغبته الآثمة! وقد سلط عليه أشعته الأخاذة بخذبه إلى الجريمة منقادا لتأثيره السحري الرهيب!

هذا هو سر الاغتيال الآثم كما سجلته الروايات الصحيحة، وكما يتفق ومنطق الحوادث المتتابعة، ولن نلتفت إلى مارواه ابن الأثير في الكامل ونقله عنه الأستاذ محمد الحضري بك من أن مصرع الوزير كان بتجريض ملكشاه وتدييره، إذ رأى وزيره يقبض على ناصية الأمر بيده، ويستأيل عليه، فيقول في معرض الإجابة عن تهديد صدر إليه من السلطان: إن دواتي مقترنة بتاجك فتي رفعتهما رفع، ومتى سلبتها سلب!! لن نلتفت إلى ذلك، لأن نظام

الملك كان في حياته السياسية ناعم الملمس حصيف التدبير ، ومن كانت له حنكته البالغة ، وعمقه النافذ ، وحلمه الواسع ، لا يجيب هذه الإجابة الرعناء !! تلك التي لانصدر إلا من شاب مغرور لم تعركه حوادث الدهر وتصلقه تجارب الأيام ، بل ان أسلوب النظام الهادئ اللين كان يقتلع الجبال بقوته ، فكيف ينقلب الرزين الحصيف في شبابه الى أرعن أحق في شيخوخته ! وقد استفاد من عمره الطويل ماشد أزره ، وامتد بأفاقه !! وان من يقرأ كتابه العظيم « سياسة نامة » يجد من الخبرات والمعارف ، ويطالع من الحيل والتدبير ، ما يدل على مرونة سهلة ، ولياقة أريية . ومؤلف الكتاب - بعد - سياسى من أليق طراز ، وقد أتيح له أن يكتب في أصول السياسة ، كما يمثل أدوارها المتناقضة ، ليجمع بين التجربة العملية والأصول النظرية في آن واحد !! ونحن لاندرى أنعجب بالكتاب السياسى أم بالوزير السياسى !! على أن التوفيق بعد القول والعمل أمر يتعسر في أكثر الأحيان ، ولكن كان ذلولا سمحا عند النظام ، ففضى حياته مبارك الغدوات مأمون العثار !!

ومهما يكن من شىء فقد فقد التاريخ بمصرعه بطلا حاد العزيمة ، قوى الإيمان ، يستشعر خشية الله دون سواه ، وكان إذا سمع الأذان أمسك عما هو فيه ، ولا يبدأ بشىء قبل الصلاة ، ومع ما كان فيه من الجاه المديد والنفوذ الطائل فقد كان يذكر الآخرة دائما ، ويستعين على تحقيق آماله بالعبادة والتقرب الى الله .

يقول نظام الملك : « كنت في مطلع حياتى أتمنى أن تكون لى قرية ، ومسجد أعبد الله فيه ، ثم تمنيت أن تكون لى قطعة أرض أنتفع بريعها ومسجد أعبد الله فيه ، ثم تمنيت أن يكون لى رغيف كل يوم ومسجد أعبد الله فيه » وهكذا تتضاءل آماله من قرية الى قطعة أرض الى رغيف ، ويحنح الى التصوف فى إحدى فترات شبابه ، ثم تنبعث همته العالية فيقدر رسالة المسلم فى الحياة ، ويعلم أنها رسالة البعث والقوة والإنقاذ ، وإذ ذاك يخطو خطواته الثابتة فى دنيا المجد فيصبح وزير دولة ، ورجل عقيدة ، وبطال تاريخ ما

محمد رجب البيومى

المدرس بالمنصورة الثانوية

شريعتنا

مما لامية فيه أن الشريعة المحمدية الغراء كانت - ولا تزال - مصدرا لسعادة البشر، التي هي الهدف منذ تواضع الناس على أن تكون لهم شرائع، وما من أمة خلت من الأمم الا كانت لها شريعة تربط أفرادها برباط وشيق، وتحكم ضلّة الفرد بالمجموع وصلّة المجموع بالفرد، لتكون ملاك الفضائل كلها اذا تفاعلت فيها المصالح وتآخت عليها المرافق .

فأحكام الدنيا التي تؤلف « معاملات المجتمع » من بيع وشراء ووصية وهبة ووقف وما الى ذلك من التصرفات هي التي تسلك المجتمع في حياة سرمدية باقية، وتجعله متفاعلا بعضه مع بعض، حتى اذا ند هذا المجتمع عن قسطه المرموق له في الحياة، فعكس الآية في تصرفاته، وأحالتها مجرد نقائص لتلك التصرفات، كان أخرى بهذا المجتمع أن يتخلف عن مواكب الطبيعة التي أودعها الله في خلقه منذ القدم .

من أجل ذلك بعث الرسل والأنبياء، فرسموا لأمتهم الحدود والمعالم، وعبدوا للفضائل السامية طرقها حتى بلغوا بها القمة، ثم قالوا للناس هذا حلال وهذا حرام، هذا واجب الترك وهذا واجب الفعل، هذا يخطو بالبشرية الى دنيا فاضلة، ويخط لبني الإنسان سبيلا الى السعادة المثل والطريقة التي لا عوج فيها ولا أمتا، فشريعة آدم البدائية الى شريعة ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد - عليهم الصلاة والسلام - تهدف كلها الى هدف واحد ومرمق واحد: هو العمل لخير الإنسانية والتواصي بالعدل والرحمة، وتجنب الظلم والمأثم، ومجافاة الشرور في أقل صورها حتى لا تكبر فتتفاقم ولا تنمو فتتعاظم .

قالوا للناس: أيها الناس، عليكم أن تطرحوا الكذب في معاملة بعضكم لبعض، وتطفيئ المكايل، وبخس الموازين، في تقدير السلع التي ينفي الغبن عنها، فينال كل ذي حق حقه، وتطهير القلوب من أرجاس العش والملتق والرياء والأثرة والعدوان والطغيان والأفك والبهتان، والسير بالفضائل قدما الى المستوى الذي يصفى على الإنسانية المثل الخيرة، وينهض الى ما أعد لها من سؤدد ومجد .

بهذا كله وأكثر منه تواصت الرسل والأنبياء، ثم جاء من بعدهم القادة والزعماء، فساروا على هدى سابقهم، وأمعنوا في الدعوة الى الرفق بروابط المجتمع أن تتفكك أوصاله، وتخل عراه، وتنهار قواته، ولبثوا آلاف السنين يطالبون أبناء البشرية بالعمل لخير البشرية.

لكن ما كان أسرع هؤلاء وأولئك من ذهبوا في أحقاب التاريخ الغابر أن تنكروا لهذه المبادئ الصالحة ، بل ما أسرعهم أن أحالوها الى نقائضها ، وجعلوا منها مرتعا لقضاء شهواتهم في سائر أنحائها .

من أجل ذلك قام المجتهدون بأوفى نصيب في حضارة العلم يتلمسون سبيلا معبدا ، يهتدى الناس بضياؤه ، اذا شع على البشرية قبس من نوره ، فجمعوا الكتاب والسنة والاجماع والقياس ، ثم استنبطوا منها طريقة مثلى للمسلمين الذين يريدون أن يحيا في هذه الدنيا حياة طيبة ، وأن تتخذ أسمائهم في الخالدين لتكون مصدرينا واشراق .

حدث بعد ذلك أن تطورت تلك النظريات لا الى الخير المطلق بل الى طور أكثره شرور وآثام ، فعدا القوى على الضعيف يسلبه حقه ويغلبه على أمره في كل ما يصدر عنه ، فالتصرفات الصادرة عن الإنسان من بيع وشراء وهبة ووصية ووقف وما إليها عرض لها الانتكاس ، فانقلبت أوضاعها رأسا على عقب ، وتفاعلت عوامل الشربين أطراف الخصومة ، والأحوال الشخصية المتعلقة بذات الإنسان قد اتسمت بسمة الضراوة والاستثراء ، ولبست ثوب التمرد على حياة مثالية تضع لكل فرد حدوده اللائقة به ، حتى لا يجمع الى حدود شاذة تنساب به في جو من التهلكة فتهدى به الى قرار سحيق .

لذلك قامت المحاكم القضائية نائبة عن ولى الأمر في البلاد الإسلامية : ترسم الحدود ، وتوضح المعالم ، وتدعو الناس الى التحول عن الحكم بالسياسة الى شرعة عادلة وحق مبين ، فجاءت المحاكم بأوضاعها وقوانينها ولوائحها تحدد الطريق لكل فرد ، وتبين له سبيل الهدى ، وتجنبه طريق الردى ، فاذا ما كشفت التطورات في مستقبل الأزمان أن ما جرى به التعامل في جيل سابق لا يصلح للعمل به في جيل لاحق كشف أولياء الكلمة عن الدواء فاستأصلوا به الداء ، لكن يبقى بعد ذلك أن كل هذا لم يغن عن منازعات طاحنة ، ومشاكسات بعيدة الغور ، وهذا بطبيعته ضرورى البقاء ما فتئت المصالح في تشابك وتفاعل ، وما ظلت المنافع في طغيان بعضها على بعض .

على أن علماء الفروع - وقد استفدوا الجهد وكدوا قرايئهم في استنباط أمثل الوسائل لخير البشرية - لا يزالون في افتقار الى مزيد في سد مرافق الناس وكفائتهم ما

عباس طه
الحامى

موقف الاسلام

من السلم والحرب

عن موسى بن عقبة قال : حدثني سالم أبو النضر مولى عمر بن عبيد الله - كنت كاتباً له - قال : كتب إليه عبد الله بن أبي أوفى حين خرج إلى الحرورية ، فقرأته فإذا فيه : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم - في بعض أيامه التي لقي فيها العدو - انتظر حتى مالت الشمس ، ثم قام في الناس فقال : يا أيها الناس لا تمنوا لقاء العدو ، وسلوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا ، واعدوا أن الجنة تحت ظلال السيوف ، ثم قال : اللهم منزل الكتاب ، ومجري السحاب ، وهازم الأحزاب . اهزمهم ، وانصرنا عليهم . رواه البخاري وغيره واللفظ له

تقديم : الحرورية بفتح فضم نسبة إلى حروراء ، وهي بلدة بجوار الكوفة لحا إليها الخوارج ، تمنوا : أصلها تمنوا بتاءين ، فحذفت أحدهما تخفيفاً ، والتمنى : طلب المحبوب ، والمراد لا تحبوا لقاء العدو فتتمنوه ، وميل الشمس : انخفافها نحو المغرب ، والعافية : السلامة من البلاء والسوء .

المعنى :

أرسل الله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين . بل لم يرسله إلا لذلك كما يقول : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » ، وما أذن الله للمؤمنين في القتال إلا لأنهم ظلموا ، وأخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، وإلا يسبق الله عليهم ليلكونوا للناس مبشرين ومنذرين ، ولهذا أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يخرج إلى السلم كلما جنح إليها أعداؤه إذ يقول : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم » ولقد كان يدفع المؤمنين إلى تمنى لقاء أعدائهم ومناجزتهم بعد ما وعد الله المستشهدين من الجنة والرزق والحياة ما لقوه على أيديهم من بغي وظلم وعدوان ، أو ما لقيه الرسول صلى الله عليه وسلم والمهاجرون من ذلك مما يثير الحمية والغيرة والحفيظة في قلوب سائر المؤمنين ، فكان من مقتضى رسالته صلى الله عليه وسلم - وهو نبى الرحمة ، ومنقذ الأمة ، أن ينهى هؤلاء المجاهدين الصادقين عن أن يتمنوا لقاء عدوهم ، إيثاراً لما يرجى من هداهم وإسلامهم أو مهادنتهم وسلمهم ، وهو القائل لعلى كرم الله وجهه حين وجهه إلى خيبر :

« والله لأن يهدى بك رجل واحد خير لك من حمر النعم [١] » وقد علل العلماء هذا النهى بأن المرء لا يعلم ما يثول إليه الأمر .

وهو نظير سؤال العافية من الفتن ، وقد قال الصديق : لأن أعافى فأشكر أحب الى من أن أبتلى فأصبر ، وهذا نظر صائب فإن الله سبحانه قد يتلى عباده بأعدائه ببعض ما كسبت أيديهم ، كما وقع في أحد ، وإن كانت العاقبة لهم على الكافرين . وقد ورد مرسل « لا تمنوا لقاء العدو فانكم لا تدرون عسى أن تبتلوا بهم » . وعلل بعض العلماء هذا النهى بما فيه من صورة الإعجاب ، والاتكال على النفوس ، والوثوق بالقوة ، وقلة الاهتمام بالعدو . وكل ذلك يباين الاحتياط والأخذ بالحزم .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « فاذا لقيتموهم فاصبروا » معناه أنه إذا لم يكن من اللقاء بد فاصبروا على مواجهة الباغين كما يصبر على البلاء ، ولا تتجنبوا عن منازل الأعداء ، وقد تبين بهذا أن لاتنافى بين هذا النهى وبين ما يجب على المؤمن من تمنى الاستشهاد كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم إذ يقول : « والذى نفسى بيده لو ددت أنى أقتل فى سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل » وإذ دعا به لبعض ذوات الهمة من الصحابيأت إذ حدث عن أناس من أمته عرضوا عليه يركبون هذا البحر الأخضر [٢] كالملوك على الأسرة ، فقالت : فادع الله أن يجعلنى منهم فدعا لها ، فنالت الشهادة كما سألت حينما خرجت مع زوجها عبادة بن الصامت رضى الله عنه أول ما ركب المسلمون البحر مع معاوية - رضى الله عن الجميع - وكان ذلك عند قفولهم من الغزو ، وكما سياتى من فعل السلف ودعائهم لأنفسهم به ، إذ قد تبين أن لكل من السلم والحرب موضعا كما علمت ، وما أحكم قول بعض الإسلاميين فى مثل ذلك :

ولا أتمنى الشر ، والشر تاركى ولكن متى أحمل على الشر أركب

والمراد من قوله صلى الله عليه وسلم : « واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » كما بينه

(١) حمر النعم : الإبل الحمر وهى أحسن أموالهم .

(٢) هو المعروف الآن بالبحر الأبيض المتوسط ، وكان ركوبهم فى عهد معاوية رضى الله عنه ففتحوا جزيرة قبرص ثم غيرها الى أن غزوا جنوبى ايطاليا بعدئذ .

صاحب المجازات النبوية أن الصبر تحت السيوف للجهاد الكافرين، ودفاع أعداء الدين ، يفضى بالصابر الى دخول الجنة ، وتزول دار الأمانة . فلما كان ذلك سببا لدخولها ، والوصول الى نعيمها ، جاز أن يسمى باسمها ، وأوضح من ذلك وأقرب الى القلوب أن الكلام على وصف ما يجده الشهيد نفسه ويدركه عند وقوعه في مصرعه ، فإنه لن يجد في ضيق الميدان الا سعة الجنان وروح الرضوان ، وأن منهم من وجد ريحها من دون أحد فسعى اليها ، ومنهم من هتف حين صرع بالفوز بها وسيأتيك قصصهما .

ولقد كان لمثل هذا الوعد الصادق من النبي صلى الله عليه وسلم من الأثر في قلوب المؤمنين الأولين ما لا يخطر ببال ، ولا يبلغ حقيقته خيال . أولم تر اليهم وهم أقل الفتيين عددا وعدة كيف افتتحوا مواسم النصر في بدر ، فلم تسكد تنتهى أعيادها حتى أخذت بأطراف الأرض ، وفي تاريخ الإسلام من ذلك الروائع التي ارتاعت لها قلوب المشركين ، واندكت لهيباتها معاقل الباغين . فمن ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم حين قال يوم بدر : « لا يقاتلنهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا أدخله الجنة الا أن يقتلن هؤلاء ! » ثم قذف التمرات من يده ، وأخذ سيفه ، فقاتل القوم حتى قتل وهو يقول :

ركضاً إلى الله بغير زاد إلا التقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد وكل زاد عرضة النقاد

غير التقى والبر والرشاد

وعن أنس رضي الله عنه قال : غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال : يا رسول الله ، غبت عن أول قتال قاتلت المشركين . لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع ، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال : اللهم إني أعترض إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال : يا سعد بن معاذ الجنة ، ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد . قال سعد : فما استطعت يا رسول الله ما صنع [١] . قال أنس : فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف ، أو طعنة برمح ، أو رمية بسهم .

وحين حمى وطيس الحرب بين العرب والروم في غزوة مؤتة ، والروم أضعاف أضعاف العرب ، اقتحم أحد أمراء الجيش ، وهو جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه - اقتحم عن فرسه ثم عقرها [١] وقاتل حتى قتل وهو يقول :

يا حبذا الجنة واقتربها طيبة وبارد شرابها

ومن هؤلاء الجند المؤمنين من طعنه عدوه طعنة نافذة برقت لها عظام صدره فسمعه يقول : فزت والله . فعجب من أمره إلى أن علم أنه الفوز بالجنة فأمن على أثره .

وإن الناظر إلى ما انتاب المسلمين في عصورهم المتأخرة من ضعف وخذلان وذلة وهوان ، ليرى أن ذلك ليس الا مظهرا من مظاهر ضعف الإيمان ، وعدم الرغبة فيما أعد الله للجهاديين من منازل الرضوان ، إلى ما وعدهم به من النصر والتأييد والعزة والتمكين . وفي الحديث عن أبي مالك الأشعرى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « بشر هذه الأمة بالسوء والرفعة والتمكين في الأرض » وقد تبين أن ذلك مشروط بالجهاد من قوله صلى الله عليه وسلم في حديث آخر : « يوشك أن تداعى [٢] عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها . قالوا : من قلة بنا يومئذ ؟ قال : أتم ذلك اليوم كثير ، ولكن غناء كثفاء السيل [٣] تنتزع المهابة من قلوب عدوكم ، ويجعل في قلوبكم الوهن . قالوا : وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت » . وصدق على كرم الله وجهه اذ يقول : ان الجهاد باب من أبواب الجنة ، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب اللذ وديث بالصغار [٤] .

وقد أخذ بعض العلماء من العبارة التي شرحناها الحظ على مقارنة العدو ، والاجتماع حين الزحف حتى تصير السيوف تطل المتقاتلين . وهذه الصورة وإن كانت قد تغيرت بتغير آلات الحرب إلا أن مغزاها من الإقدام والسبق في العمل لا يزال قائما . وقوله صلى الله عليه وسلم « اللهم منزل الكتاب الخ » إشارة إلى التوسل بالنعمة السابقة وهى هزيمة الأحزاب بما أرسل عليهم من ريح وجند ، وإلى تجريد التوكل من شبهة

(١) أى حتى يقطع على نفسه سبيل الفرار عليها .

(٢) تداعى : تتداعى أى تتابع عليكم بعضهم فى اثربعض .

(٣) غناء السيل زبده ورغوته .

(٤) أى ذلل بالحقار .

الاعتداد بقوة أو نفس، وإلى اعتقاد أن الله هو المنفرد بالفعل. وفيه التنبيه على عظم هذه النعم الثلاث الواردة في الدعاء: وهى إزال الكتاب، وإجراء السحاب، وهزيمة الأحزاب، فبإزالة الكتاب حصلت النعمة الأخروية، وهى الإسلام. وبإجراء السحاب حصلت النعمة الدنيوية، وهى الرزق. وهزيمة الأحزاب حصل حفظ النعمتين. وكأنه قال: اللهم كما أنعمت بعظيم النعمتين: الأخروية والدنيوية، وحفظتهما فأبقهما، ولا عجب أن تكون النعمة مقتضية لمثلها، فقد سئل بعض ذوى الأريحية والاهتراز المعروف من سلفنا: أى الناس أحق بأحسنائك؟ فقال: من أحسن الى. فقيل له: ثم من؟ فقال: من أحسنت إليه. فقيل له: لم؟ فقال: لأئى رأيت له لأحسن موصها. المراد هذا الثانى. وافتتح بعض سلفنا كتابا له بقوله: «رب أنعمت فزد».

أما بعد. فقد كان سلفنا الصالحون - رضى الله عنهم - يؤمنون بأن النصر إنما هو من عند الله العزيز الحكيم بعد أن يطيعوا الله ورسوله بأعداد العدة، وأخذ الأهبة، والكف عن العدوان، والصبر على اللقاء، والإخلاص لله، والاستعانة بالتضرع والدعاء. وقد كان ذلك دأبهم فلم يخلفهم الله وعده، ولم يحرمهم نصره. والعجب من أمرهم أن كانوا يلزمون أدب السنة ولو لقوا به ألوان العناء وصنوف الشدة. والعجب من أمرنا أنا لانصبر على سنة ولا فريضة، ولو أوتينا بهما الرخاء والنعمة.

روى الطبرى وغيره أن النعمان بن مقرن رضى الله عنه لقيته فى حرب نهاوند (١) سنة ٢١ هـ فى عهد عمر رضى الله عنه جموع كأنهم جبال حديد قد توائفوا أن لا يفترؤا من الغرب، وأخذوا يرمون المسلمين، حتى أفشوا فيهم الجراح وهم كامنون، فأخذوا يشكون إليه ما يلقون، وهو يقول: رويدا رويدا، وكلما عادوا إليه قال لهم مثل ذلك، وجعل ينتظر بالقتال أكمل ساعات كانت أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلقى فيها العدو. وذلك عند الزوال، وتفيؤ الأبناء، ومهب الرياح. فقال له المغيرة: يرحمك الله، انه قد أسرع فى الناس (يعنى ما يصيبهم) فاحمل فقال: والله انك لذو مناقب، لقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم القتال. فكان اذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس، وتهب الرياح، وينزل النصر. ثم قال رضى الله عنه بعد أن أرشدهم الى ما يفعلون: اللهم أعط اليوم النعمان (يعنى نفسه) الشهادة فى نصر المسلمين، وافتح عليهم، ثم حمل فكان أول شهيد ونصر الله المسلمين. وفى بعض الأحاديث زيادة عن الأصل، وما ذكره النعمان «وتحضر الصلوات» وحكته أن يدعو المسلمون للمجاهدين فى صلواتهم، وقد كان نزول النصر على الأحزاب حين زوال الشمس وهبوب الرياح

محمود فرج العقدة

لغويات

الحيوانات . المستشفيات . المحلات

تجربى هذه الجموع فى ألسنة الناس ، وقد أنكرت على الناطقين بها ، وذلك أن الواحد فيها مذكر ، وهو الحيوان والمستشفى والمحل ، والمعروف فى الجمع بالألف والتاء أن يكون واحده مؤنثا بالتاء كفاطمة وطاحمة ، أو أن يكون مدلوله مؤنثا وهو مجرد من التاء كزينب .

وإذا رجعنا الى كتب النحو نستفتيها فى هذا الأمر نجد أن سيبويه أفرد فى كتابه بابا لما يجمع بالألف والتاء من المذكر ، فهو يقول فى ١٩٨/٢ : « هذا باب ما يجمع من المذكر بالتاء لأنه يصير الى تأنيث إذا جمع ، فمنه شئ لم يكسر على بناء من أبنية الجمع ، فجمع بالتاء إذ منع ذلك ، وذلك قولهم : سرادقات وحمامات وإوانات ، ومنه قولهم : جمل سبجل وجمال سبجلات وربجلات وجمال سبجرات ، وقالوا : جوالق وجواليق ، فلم يقولوا جوالقات حين قالوا جواليق . . . وربما جمعه بالتاء وهم يكسرونه على بناء الجمع لأنه يصير الى بناء التأنيث ، فشبهوه بالمؤنث الذى ليس فيه هاء التأنيث ، وذلك قولهم : بوانات وبوان للواحد وبون للجميع » وحاصل كلامه أن العرب جمعت بعض المذكر بالألف والتاء ، وأغلب ما ورد من ذلك عنهم ما لم يجمعه جمع تكسير كالسرادقات فى السرادق ، ولو شاءوا لقالوا : سرادق جمع تكسير ، فلما لم يقولوا ذلك لجنوا الى السرادقات ، وكالإوانات فى جمع الإوان - وهو البهو العظيم من البناء - ومنه إوان كسرى ، ويقال أيضا : إيون ، وكالحمامات فى جمع الحمام ، وقد ورد عنهم فى جمع البوان - وهو من أعمدة الخيمة - البون والبوانات ، فقد جمعه بالتاء مع جمعهم إياه جمع تكسير على فعل ، إذ أصل بون بون ، وقد ختم سيبويه هذا الباب بأن الأمر فيه سماعى وليس بابا من أبواب القياس إذ يقول : « فهذه حروف تحفظ ثم يحاء بالنظائر » أى إن هذه الحروف خارجة عن نظائرها وقياسها فيقتصر عليها ، ويحاء بالقياس والنظائر فيما وراءها ، وقد أورد الزمخشري فى المفصل ما أورده سيبويه ، وقال ابن يعيش فى شرحه ٨٥/٥ : « وما كان من هذا الجمع فسبيله أن يحفظ ولا يقاس عليه » فهذا رأى سيبويه ومن تبعه .

وظاهر كلام الرضى فى شرح الكافية أن الفراء يقيس هذا فيما لا يعقل ، فقد قال فى هذا الشرح ١١٧ / ٢ : « ويجمع هذا الجمع غالباً غير مطرد نوعان من الأسماء ، أحدهما اسم جنس مذكر لا يعقل إذا لم يأت له تكسير ؛ كحلمات وسراقات ، وكذا كل نحاسى أصلى الحروف كسفرجلات ، لأن تكسيه مستكره كما يجىء ، وعند الفراء هذا القسم أيضاً مطرد . . . وثانيهما المجموع التى لا تكسر » فقله : « وعند الفراء هذا القسم أيضاً مطرد » يريد النوع الأول بشقيه ، وهما ما لم يكسر ، والنحاسى الأصول . ويقصر الشيخ يّس فى كتابته على شرح الفطر للفاكمهى ٩٠ / ١ رأى الفراء على الشق الثانى ، والوجه التعميم فإن الشقين من قبيل واحد ، والفكرة فيهما عدم التكسير ، فإن نحاسى الأصول يستكره تكسيه ، وأصرح من هذا ما نقله صاحب المصباح عن ابن الأنبارى ، وهو من متقدمى الكوفيين ومن تابعى الفراء ، فقد قال فى حرف الباء (الابن) : « قال ابن الأنبارى : واعلم أن جمع غير الناس بمنزلة جمع المرأة من الناس ، تقول فيه : منزل ومنزلات ، ومصلّى ومصليات » وتراه لا يقيّد الحكم بعدم التكسير ، إذ مثل بالمنزل وهو يجمع على المنازل .

ونرى من البصريين إماماً خلا يذهب مذهب الفراء وابن الأنبارى فى جمع ما لا يعقل من المذكر بالتاء ، وهو أبو الفتح بن جنى ، فقد جاء فى كتابه المحتسب فى توجيه القراءات الشاذة عند قوله تعالى فى الآية ٥٧ من سورة التوبة : « لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه وهم يجمعون » « قراءة الناس مغارات ، وقرأ سعد بن عبد الرحمن ابن عوف مغارات ، قال أبو الفتح : أما مغارات على قراءة الناس بجمع مغارة أو مغار ، وجاز أن يجمع مغار بالتاء وإن كان مذكراً لأنه لا يعقل ، ومثله اوان واوانات ، وجمال سبطر وجمال سبطرات وحمام وحمامات ، وقد ذكرنا هذا ونحوه فى تفسير ديوان المتنبي عند قوله : ففى الناس بوقات لها وطبول »

ولم أقف على شرح ديوان المتنبي لابن جنى ، وفى شرح العكبرى : « قال أبو الفتح : عاب عليه من لا مخبرة له بكلام العرب جمع بوق ، والقياس يعضده ، إذ له نظائر كثيرة مثل حمام وحمامات ، وسراقد وسراقات ، وجواب وجوابات . وهو كثير فى جمع ما لا يعقل من المذكر » وتراه لا يقيّد بالجمع جمع تكسير كما قيّد سيبويه ومن تبعه .

وقد اعتمد في الحكم بالقياس في هذا الضرب على كثرة النظائر ، وأورد بعضها . ويزاد عليه الخورانات في جمع الخوران وهو الدبر أو مجرى الروث من البهائم ، قال في اللسان بعد أن ذكر الخوران بمعانيه : « والجمع من كل ذلك خورانات وخوارين . قال في جمعه على خورانات : وكذلك كل اسم كان مذكرا لغير الناس جمعه على لفظ تاءات الجمع جائز ؛ نحو حمامات وسراقات وما أشبههما » . وهذا نص لغوي يضاف الى ما تقدم عن الفراء وابن الأنباري وابن جنى .

وفي خطبة فقه اللغة للثعالبي في وصفه أياما قضاه عند الأمير الذي ألف باسمه الكتاب وطيبها : « فأنها كانت بطلته البدرية وعشرته العطرية ... أنموذجات من اللجنة التي وعد المتقون » والانموذجات جمع الأنموذج ، وهو مثال الشيء الذي يعمل عليه ، وفي المصباح . « وهو تعريب نموده » ويبدو أن كلمة « المودة » مختلة من هذه الكلمة الفارسية ، فأصلها الصورة أو المثال يحتذى وغلب في العرف الحديث في المبدع من الأزياء واللباس ، وقد أخذها المصريون اليوم عن أصل فرنسي ، ويذكر معجم لاروس أنها عن أصل لاتيني ، ولا يبعد أن يكون الأصل في ذلك هو الفارسي ، ومن النظائر قولهم المرحلات في جمع المرحل ، وهو ضرب من برود الثمن عليه تصاوير الرحل ، وفي الحديث : وكان يصلى وعليه من هذه المرحلات ، كما في اللسان .

ويخلص القارئ من هذا البحث الى جواز ما سطر في صدر البحث : الحيوانات والمسشفيات والمحلات .

وأذكر هنا أن الحيوان في الأصل مصدر بمعنى الحياة ، وجاء من هذا قوله تعالى في الآية ١٤ من سورة العنكبوت : « وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون » . وأطلق الحيوان على ما به الحياة أو على كل ذي روح ناطقا كان أو غير ناطق ، واشتهر في غير الناطق . ولا يكون الحيوان في الأصل مصدرا لم يجمعه العرب ، وجمعه جائز لنا ؛ ألا ترى أن المصدر نفسه يجمع اذا تعددت انواعه .

ومن ذلك العلوم والفهوم والبيوع والتجارب . وجاء منه قوله تعالى في الآية ١٠ من سورة الأحزاب « وتظنون بالله الظنونا » فالحيوانات لا بأس بها من الناحية اللغوية . وفي اللسان (زمن) : الزمانة آفة في الحيوانات « وأذكر هذا على سبيل الاستئناس

لا الاحتجاج فحسبنا فيه ما أسلفت . وأذكر أن حديقة الحيوان في الحيزة كانت تسمى من قبل حديقة الحيوانات - فيما أذكر - فغيرت الى حديقة الحيوان . ويلقن المعلمون التلاميذ أن جمع المستشفى المشافي، وهذا خير، ومقام التعليم غير مقام الحكم على الكلمات الشائعة ، فإن هذه يتساهل في أمرها إذا كان لها وجه من الصحة . وكذلك المحلات في جمع المحل ينبغي أن يقتصر في التعاليم على الحال ، ولكل مقام مقال .

امتعراض الجليش

أنكر بعض النقاد هذه العبارة ، وأوجب ان يقال : عرض الجليش ؛ إذ ان هذا هو الوارد في اللغة . ففي الأساس : « وعرضت الجليش عرض عين إذا أمررت على بصرك لتعرف من غاب ومن حضر » وفي اللسان والقاموس نحوه .

على أنه ورد في اللسان : « استعرضه : سأله أن يعرض عليه ما عنده . . واستعرضته أى قلت له : اعرض على ما عندك » فالاستعراض للمرء أن يطالب اليه معرفة ما عنده ، وهذا المعنى في عرض الجليش . فالتأيد بعرضه الجليش يتعرف حالته ، فيصح أن يقال فيه الاستعراض من غير عسر . وفي تفسير الطبري ١ / ٢١ في حديث زيد بن ثابت : « فاستعرضت المهاجرين فلم أجدها عند أحد » يريد آية من آي القرآن افتقدها فيما كتب من القرآن في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم فسأل المهاجرين عنها ، فقلوه : « فاستعرضت المهاجرين أى سألتهم أن يعرضوا على ما عندهم في شأن هذه الآية وحاولت تعرف رأيهم . ولا يبعد من هذا المعنى استعراض الجند . وفي المادة استعراض الخوارج لمن لم يدخل في مذهبهم . وفسر في اللسان بقتلهم كل من لقوه وظفروا به مسلما كان أو كافرا ، وفي الفصل لابن حزم ٤ / ١٨٩ في حديثه عنهم : « وقالوا باستعراض كل من لقوه من غير أهل عسكرهم ، ويقتلونه إذا قال : أنا مسلم » فاستعراض الخوارج عند ابن حزم أن يتعرفوا حال من يلقونه . فإن قال : إنه مسلم قتلوه ، وإن قال : إنه ذمي تركوه ؛ فإن من في بلاد الإسلام حين ذاك مسلم أو ذمي . وكان الخوارج لا يعرضون للذمي ولا لماله . وفي تاريخ الطبري في حوادث سنة ٣٧ أن الخوارج قتلوا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن أحدهم ضرب بسيفه خنزيرا لأهل الذمة ، فأنكر عليه إخوانه وقالوا : هذا فساد في الأرض ، وألزموه أن يرضى صاحب الخنزير .

فيه عندي كتاب

هذا تعبير يجري في لسان العامة ، يريدون : يوجد عندي كتاب . وترى الضمير في « فيه » لا مرجع له ، ويبدو أن الأصل : في العالم أو في السكون بمعنى الكائنات أو الوجود بمعنى الموجودات ثم أضمر هذا كما في قوله تعالى : « ما ترك على ظهرها من دابة » أي على ظهر الأرض . وقد ذكرت بهذا عبارة وردت في المذهب لأبي اسحق الشيرازي الفقيه الشافعي المتوفى سنة ٤٧٦ هـ إذ يقول : « وإن قال : اشترى عبدا لم يصح ؛ لأن فيه ما يكون بمائة وفيه ما يكون بألف فيكثر الغرر » فقله « فيه » أي يوجد كما يقول العامة ، ومن البعيد أن يقال : لأن فيه أي في العبد أي في جنسه فهذا غير ظاهر الكلام . وعلى هذا فقله : « لأن » يريد : لأنه ، فاسم أن ضمير الشأن وقد حذف . ما

محمد علي النجار

طه حسين وابنه « كلود »

تساءل الدكتور طه حسين في مقاله الأخير بصحيفة الجمهورية عن أنبا شيوخ الأزهر أنه « سفير فوق العادة لفرنسا » وهو التعبير الصادق الذي أطلقته عليه في مقالتي بالعدد السابق .

وإني أحيله في ذلك الى جوه الفرنسي الذي يعيش فيه ، وإلى ما نشر عن أولاده في كتاب (أصدقاء الثقافة الفرنسية في مصر من سنة ١٩٢٥ الى سنة ١٩٤٥) ، ودعوته الملحة في الأخذ بالحضارة الغربية خيرها وشرها !! ، وتهجمه على كل ما هو إسلامي أو عربي أو شرقي !!

ثم أحيله الى ما كتبه الكاتب الإسلامي الحر (السيد محب الدين الخطيب) في افتتاحية العدد الماضي وهذا العدد من المجلة ، ثم الى ابنه كلود صاحب الاسم الفرنسي وهو يغني بموسيقى الكينيسة !! . ولكن هل يفتنح الدكتور ؟ ؟ !

لقد عودنا دائماً أنه لا يؤمن بما يؤمن به الناس هنا ، لأنه آمن بما آمن به الناس هناك ، وعرف أن ذبوع اسمه يدين للخروج على كل ما هو مقدس في بني ملته ، ومخالفة كل معروف . . . ما

زكريا البري

أسرار الشريعة الإسلامية

في بدء الشهر الشرعي

بالوضع الهلالي لا بالوضع الاقتراني

سئلت ممن يعينهم الوصول إلى توحيد كلمة الحكومات الإسلامية في مبدء الصيام والقطار عما يبدو لي من النقد الفلسفي الشرعي نحو فكرتين تردان دائماً على ذهن الباحث في هذا الموضوع - أرجو التفضل بنشر ما أمكن إبدائه في مجلة الأزهر تنويراً لطريق البحث في هذه المسئلة الفلكية الشرعية .

الأولى : اعتبار مبدء الشهر القمري الشرعي بالاقتران الحقيقي .

الثانية : اعتباره باثبات الحساب لإمكان الرؤية في آخر بلد من بلاد الإسلام نحو الغرب كمراكش .

وجوابي عن الفكرة الأولى - أن الوضع الاقتراني سواء أ كان حقيقياً أم وسطياً وإن أمكن اعتباره مبدءاً للشهر القمري المدني في جميع البلاد إلا أنه ليس أليق علمياً من الوضع الهلالي في هذه المبدئية من وجوه . . .

« الوجه الأول » أن (الوضع الاقتراني) أي اجتماع القمر بالشمس في نقطة واحدة من دائرة البروج لا يدرك بالحس إذ يستحيل رصده لحصوله وقت « المحاق » ولا يمكن معرفته إلا (بالحساب) بخلاف (الوضع الهلالي) إذ يعرف بالحس والرؤية كما يعرف بالحساب لها فيستوى في معرفته (الأحمى) و (الكاتب الحاسب) .

« الوجه الثاني » أن نفس الفلكيين قديماً وحديثاً قالوا : إن القمر في الوضع الهلالي بمنزلة الموجود بعد العدم والمولود الخارج من الظلم فهو أليق بمبدئية الشهر من الوضع الاقتراني . . .

«الوجه الثالث» : أن مبدأ الشهر المعتبر بالوضع الاقتراني الحقيقي أو الوسطى يختلف مع المبدأ المعتبر بالوضع الهلالي في يوم أو يومين .

«الوجه الرابع» : أن قول البعض إن الوضع الاقتراني لا يختلف باختلاف المطالع لا يصدق بهذا الإطلاق فإنه وإن كان حدثا سماويا لا يختلف باختلاف المطالع البلدية باعتبار ذاته إلا أن وقته الذي لا بد من معرفته عند الحساب له يختلف باختلافها كالوضع الهلالي فإن وقت الاجتماع إذا كان في القاهرة (الساعة ٣) مثلاً ففي بغداد (الساعة ٤) وفي دلهي (الساعة ٥) وفي بانكوك (الساعة ٦) وفي لندن (الساعة ١) وفي تونس (الساعة ٢) وهكذا فلا ميزة له من هذه الجهة .

«الوجه الخامس» : أن الاقتران الحقيقي يتساوى مع الهلال في أن الحساب لكل منهما لا يدخل تحت قاعدة عامة لعدم تساوى زمن الدورة الاقترانية والهلالية في كل مرة إذ يحتاج كل شهر فيهما الى حساب خاص .

الأمر الذي جعل جمهور الحساب للشهر القمري المدني من قبل الإسلام يعتمدون الى اعتبار مبدئه من الاقتران الوسطى لا الحقيقي ليتمكن إدخاله تحت قاعدة عامة في كل شهر . ثم اصطالحوا على جعل أيام كل شهر من الشهور الأفراد في السنة (٣٠ يوماً) والأزواج (٢٩ يوماً) إلا ذى الحجة في السنة الكبيسة فجعلوه (٣٠ يوماً) وذلك ليتلائم الكسر اليومي في مدة (٣٠ سنة) الخ . ولا زال هذا الاعتبار الوسطى متبعاً في تكوين جداول التقاويم والتواريخ القمرية ومقارنة التاريخ الهجري بسائر التواريخ الشمسية والقمرية . .

هذا من جهة العلم والعقل ، وأما من جهة الشرع فالشارع إنما عين الوضع الهلالي لمبدأ الشهر القمري الديني أى الذى تتعلق به أمور دينية كالصيام ، والفطر ، والحج . فمن أين هذا التخصيص الذى يدل عليه هذا السؤال وظواهر النصوص الشرعية كلها تناقضه ؟ وكيف نجروا على جعل (الوضع الاقتراني) مبدأ للشهر الشرعى ، وفى هذا الجعل نقل الحج والصيام والفطر وسائر الأعياد والمواسم الدينية عن أزمانها المؤقتة بها وأمر الشارع بحدودها . . « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة » .

والخلاصة أن الوضع الاقتراني الحقيقي أو الوسطى لا يصلح مبدأ للشهور الشرعية أصلاً، لأنه مفوت لمعنى الهلالية المأخوذة من النصوص الشرعية، كقوله صلى الله عليه وسلم :

« صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » إذ لا بد في تحقق هذا المعنى من (اتجاه نور القمر نحو سطح الأرض بعد محاقه بحيث تتمكن رؤيته بعد غروب الشمس دون خفاء والسماء صحو) ومخالفة هذه النصوص دون معارضة حقيقية لإحداث لشرع لم يأذن به الله .

والجواب عن الفكرة الثانية — لا كلام في أنه إذا ثبت أول الشهر « بالرؤية نفسها » في أبعد بلد الى الغرب من العالم الإسلامي « كبراكش » مثلا فإنه على رأى الإمام أبى حنيفة ومن تبعه من محققى المذاهب يثبت الشهر أيضا في جميع العالم الإسلامي حتى في أبعد بلد منه الى الشرق « كاندونسيا » .

وبيانه أن مساكن الحكومات الإسلامية تنحصر في (١٣٥) درجة من سطح الأرض المقدر كله بـ (٣٦٠) إذ تبدأ هذه المساكن من الشاطئ الشرقى لآسيا وتنتهى بالشاطئ الغربى لأفريقيا أعنى من الدرجة (١٢٠) شرق جرينتش الى الدرجة (١٥) غربيهما .

وأوضح من ذلك اعتبار التوقيت العام بقسمة $\frac{360}{12} = 30$ تسع ساعات منها ٨ ساعات قبل جرينتش وساعة واحدة بعدها ، وحينئذ يمكننا القول بأن أندونيسيا تسبق مراكش بتسع ساعات بحيث إذا ثبت الهلال عند غروب الشمس بمراكش تكون الساعة بالتوقيت العام في أندونيسيا (التاسعة) بعد غروب الشمس عنهم — أعنى الثالثة بعد نصف الليل ، مع ملاحظة أن الليل عندهم لا يقل عن (١٢) ساعة دائما ضرورة وجود بلادهم على خط الاستواء تقريبا فيبقى على الفجر عندهم أكثر من ساعة وهوزمن يتسع للتهبؤ لصيام النهار بدون حرج .

هذا إذا ثبت هلال الشهر بالرؤية بالفعل ، وفرضنا إعادة الثقة والصلة بين الحكومات الإسلامية بحيث تقوم حكومة مراكش بتبليغ هذا الإثبات الى جميع الحكومات الإسلامية بواسطة الإذاعات اللاسلكية مثلا ، ويكون الأمر أتقن وأؤكد إذا كان الإثبات بالرؤية والحساب لها معا . أما إذا دل الحساب فقط على إمكان رؤية الهلال ولم تحصل الرؤية بالفعل كما هو المفهوم من روح السؤال ، فهل يثبت الشهر . . . ؟ وهل إذا ثبت في هذا البلد يصح أن يثبت في جميع العالم الإسلامى كما قدمنا في الرؤية بالفعل . ؟ هذا محل الكلام .

والكلام هنا ذو حلقتين « الأولى » فيمن يعتمد الحساب لبدء الشهر الشرعى ، وفى دليله ، وماهية هذا الحساب . « الثانية » فى شروط هذا الحساب المهيئة لقبوله .

«الحلقة الأولى»: ليعلم أولاً أن ظواهر النصوص الشرعية التي لم تعارض تدل على أن بدء الشهر الشرعي يثبت إما بالرؤية بالفعل أو بالإكمال ثلاثين يوماً ، فالرؤية شرط أو سبب لوجوب الشهر ؛ وأجمع على ذلك السلف الصالح من صحابة وتابعين وأئمة مجتهدين ولم يلتفت أحد منهم إلى اعتماد الحساب سبباً لوجوب أو جواز بدء الشهر الشرعي إلا ابن شريح الشافعي من المتقدمين نقلاً عن ابن مقاتل ومن تبعهما من المتأخرين ، إذ يقولون باعتماد الحساب سبباً للرؤية إذا دل على اتجاه نور القمر بعد المحاق نحو سطح الأرض ومكثته مدة كافية لرؤيته مع البيان ، وكان هذا الحساب من موثوق بحسابهم ، كأن يكونوا جمعاً يؤمن تواطؤهم على الخطأ . وأما الحساب للاجتماع تحقيقاً أو تقريباً فقد أجمع الكل على رده إذ يتقدم على الهلال بيوم أو يومين ، وفيه إحداث شرع لم يأذن به الله . انتهى ملخص كلامهم .

هذا مع العلم بأن هؤلاء الذين يعتمدون الحساب المستوفى لشروطهم لم يسلم لهم دليل من الهدم غير الاستحسان لموافقة روح العصر كما يقولون .

وأين هذا الجمع من الفلكيين الحاسبين يا ترى . . . ؟ حتى تتحقق هذه النقطة . . إلى إعلان على رؤوس الأشهاد أنه لا وجود له في أي حكومة إسلامية الآن ، ومن يدعى الحساب فيها ولو كان من موظفي المراصد كمرصد حلوان مثلاً فأنما يحوله عن جداول أجنبية بريطانية أو غيرها .

على أن الحساب لإمكان الرؤية قد دل على أن هذا الإمكان له ثلاث حالات :

(١) إمكان مع الخفاء (٢) إمكان مع البيان (٣) إمكان متوسط بين الخفاء والبيان .

وقد اشترط المعتمدون للحساب (حالة الإمكان مع البيان) في أن يكون الحساب سبباً لوجوب الشهر الشرعي عند عدم الرؤية لوجود نحو غيم ، وأما في حالتى الخفاء والتوسط فيجوزون وقوع الرؤية فيها بحيث لا ترد شهودها .

ونحن إذا سلمنا بأثبات الشهر الشرعي (بالحساب لإمكان الرؤية) في أبعد بلد إلى الغرب كمراكش ، ولا يكون ذلك إلا للضرورة كعدم تحقق الرؤية في جميع بلاد الإسلام لوجود غيم أو أى مانع آخر مع التماسها لا بد أن نتمسك بأوكد حالة وهى (الإمكان مع التبين) وقد قالوا : إن شرطها ألا يقل قوس السبق عن (١٢ درجة) وأن لا يقل قوس المكث عن (١٠ درجات) ألا يقل زمن مكث القمر على الأفق بعد غروب الشمس عن ثلثي ساعة .

ثم قالوا باستحالة الرؤية إذا قل المكث عن (١٦ دقيقة) في مثل عرض القاهرة و (٢٦ دقيقة) في مثل عرض مراکش الذى هو (٣٦ درجة) وكلما زاد العرض زاد زمن المكث المشروط، وينبغى أن ترد شهود الرؤية في حالة الاستحالة، وأما إذا بين الحساب أن قوس المكث يقل عن (١٠ درجات) الى (٤ درجات) فلا ترد الشهادة، ويجوز إثبات الشهر بالرؤية لا بالحساب .

والخلاصة : أنه لا بد من إيجاد (جهاز حسابى فلكى) أعنى عددا من الحساب يؤمن تواطؤهم على الخطأ في كل حكومة إسلامية أو (جمع واحد) تحت إدارة المؤتمر الإسلامى مثلا تكون وظيفتهم إنشاء جداول حسابية لكل ما يتعلق بتقويم الشمس والقمر من حسابات أوائل الشهور الشرعية والمدنية وأوقات الصلوات الخمس لجميع عروض البلاد الإسلامية وجالياتها ، بحيث تنشر هذه الجداول في مبدأ كل سنة ليتمكن التماس الرؤية في خصوص البلاد التى وضع من الحساب أن فيها مكثا صالحا للرؤية .

وبعد ذلك لا يبق إلا عناية الحكومة التى يتحقق المكث بها من هذا الحساب بأن تأمر بالتماس الرؤية ببلادها ، ثم تعلن النتيجة على سائر الدل الإسلامية شهرا بشهر ، خصوصا في شهرى رجب وشعبان حتى يضيق الأمر على شهرى رمضان وشوال . . . وبذا ترتفع الحيرة وتوحد الكلمة والله الموفق

محمد أبو المعالي البنا

مدرس الفلك في الأزهر وتخصص القضاء الشرعى

الأزهر وثورة سنة ١٩١٩

جاء في العدد السابق من هذه المجلة مقال بهذا العنوان . وذكر فضيلة كاتبه أنه لما قامت المظاهرة الكبرى المسماة - بمظاهرة المحكة العليا الشرعية - كان يحمل العلم شاب جلد محب لوطنه . . .

ولما أراد الجنود أن ينتزعوا منه العلم قال : لأسلم العلم وفي عرق ينبض . . . والمعاصرون من الأزهريين يعرفون أن حامل العلم هذا هو كاتب المقال نفسه ، وهو فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد الطنيزي مدير الوعظ والإرشاد بالأزهر . ولم يشأ أن يصرح فضيلته بذلك ، إينارا لإنكار الذات وتواضعا منه . وتلك شيمه المجاهدين الصادقين . ونحن نكبر فيه هذا الخلق الكريم ، ونسجل هذا إنصافا للتاريخ

محمد أبو المكارم — الواعظ العام

الاسلام والمجتمع

ألقيت هذه المحاضرة في سلسلة محاضرات « المؤتمر الاسلامي » بقاعة المحاضرات الكبرى بالأزهر يوم الأربعاء ١٥ ربيع الثاني ١٣٧٥ - ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٥٥ .
بسم الله الرحمن الرحيم .

* * *

كثير من المعاصرين بحاجة إلى تعرف رسالة الإسلام وعلاقته بالمجتمع ، وهي حاجة مستمرة تتجدد بتجدد الأجيال وتعاقب الزمن ، فأن ناشئة كل جيل يعوزهم أن يتلقوا عن كبارهم ما لا يستغنون عنه ، وبخاصة ما يتصل بالناحية الدينية .

ولا شك أن تعرف أحكام الإسلام وعلاقته بالمجتمع خير حجة في الإقناع ، وفي الاجتناب إلى التدين ، وإلى التعلق بالأهداف التي رسمها الله في تشريعه ، ليكون المساهمون بها خير أمة أخرجت للناس .

وإذا كان التوجيه إلى علاقة الإسلام بالمجتمع بهذه المثابة ، فلا عجب أن تبادر الثورة المصرية الرشيدة الى تنظيم المؤتمر الإسلامي ، كوسيلة من وسائل التوجيه الى الغايات النبيلة التي رنت اليها عيون الثورة منذ نهض أبطالها في استعداد للبذل والتضحية .

المنهج الاسلامي

سادتي :

يمكن أن ننظر في إجمال الى التشريع الإسلامي ، وكيف وجه الى الناس ، وكيف وضع لهم منهج السير على ذلك التشريع .

كانت الدعوة الإسلامية جديدة على القوم ، والجديد تستريح اليه نفوس ، وتتردد في قبوله نفوس .

لذلك سار التشريع سير تدرج ونمو ، فكانت توجه الأحكام الى الناس شيئاً فشيئاً ، وكانت الأحكام غالباً تأتي عند مناسبات تقتضيها ، وأسئلة ترد بشأنها . ولم تمض ثلاث وعشرون سنة حتى اكتمل التشريع الإسلامي بما فيه من تفصيل وإجمال ، ثم ختم ذلك التشريع بقول الله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » .

وكان المسلمون يوم ذاك ألوفاً وألوفاً بعد أن لم يكونوا ، وبعد أن كانوا آحاداً وعشرات .

والمنهج الإسلامى — بوجه عام — يتألف من جانبين : الجانب الأول ايجابى وهو ما نسميه بالأوامر ، والثانى سلبى وهو ما نسميه بالنواهى ، فالإيجابى طلب الفعل ، والسلبى نهى عن الفعل .

وقد اشتمل المنهج الإسلامى على جانب آخر من النظام التشريعى صيانة لهذه الأحكام كلها ، وتنبيهاً للغافلين عنها ، ورجوعاً بهم الى حظيرة التدين إذا صرفهم عنه صارف من التهاون أو شواغل الحياة ، ذلك النظام الأخير ما نسميه بالزواجر .

والزواجر منها أدبى لين : وهو الترغيب بالوعود من جانب الله تعالى ، والترهيب بالوعيد والتخويف من عذاب الله تعالى ، والمفروض أن الطابع المرنة والنفوس الخيرة تستجيب للوعد، وتخشى الوعيد، فى غير تلكأ ولا معاندة . والمفروض كذلك أن نفوساً أخرى لا يلومها عن غيرها إلا لإيلاام وقسوة ، ولهذا كان من الزواجر جانب مادى هو ما نسميه بالحدود والتعزيرات .

ففى الحدود والتعزيرات كبح للنفوس الشاردة ، والعبد يقرع بالعصا ، والحر تكفيه المقالة .

سادتى :

ونظرة الى المنهج الإسلامى الذى احتواه الكتاب والسنة بما اشتمل عليه من إيجاب وسلب ، ومن الزواجر بنوعها — تدل تلك النظرة على أن هذا المنهج سياج يحفظ المرء من التدهور وراء الغايات ، ومن التعثر فى ظلمة الجهل بالخير والشر ، ويرقى بالمرء فى مدارج الإنسانية ، حتى ينهض الى المثالية التى تجعله بحق سيد دنياء ، والتى فرضت فيه ليسكون خليفة فى الأرض كما حدث الله بذلك ملائكته : إنى جاعل فى الأرض خليفة .

وكان المحدث عنه هو الإنسان الأول الذى رفع الله من قدره بالعلم ، ونبه ملائكته الى المنزل التى سيستقبلها بعد تسليحه بالعلم « وعلم آدم الأسماء كلها » .

وبالعلم أصبحت لآدم قدسية سجدت له من أجلها الملائكة أجمعون . والعلم السماوى هو قبل غيره ذخيرة الدنيا ، أمد الله أنبياءه بشئ منها ، وادخلنا أوفر نصيب حملته إلينا رسالة الإسلام ، وانطوى عليه إجمالاً وتفصيلاً القرآن ، وبينه لنا وعلمنا ما فيه صادق أمين ، ورسول كريم : هو محمد بن عبد الله ، صلوات الله عليه وعلى جميع النبيين .

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » .

سادق :

تتبنون من هذا أن المنهج الإسلامى كان تكيلا لما سبق ، وكان علاجا جديدا لنقائص الإنسانية ، فهو مشعل يضىء لها السبيل ، ويرافقها فيما بقى من أجل الدنيا ، لتكون على بينة من هداها وغياها ، ولئلا يكون للناس على الله حجة .

قصد المنهج الإسلامى إلى بناء مجتمع صالح ، فتمهد الناس بالتربية من أول اتصالهم بالحياة ، لتكون لبنات المجتمع قوية التكوين ، قوية التماسك . ثم صقل هذا المجتمع كله بصقال الحكمة ، وحاطه بنظم تحفظ تماسكه ، وتكفل سلامته ، وتجعل المسلمين يدا واحدة على من عاداهم ، بل تجعلهم جسدا واحدا ، إذا اشتكى عضو منه تألمت له واشتكت معه بقية الأعضاء .

والوسائل التى رسمها الله فى تربية الفرد والمجتمع ماثلة فى العبادات كلها ، والمعاملات بأنواعها ، وفى التعويضات وفى الجنايات والحدود ، وفى الشهادات والأقضية ، وفى الحروب والمعاهدات ، وفى علاقة الحاكم بالمحكوم ، وفى كل ما ينطوى تحت الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وكما لا شك فى أن الغذاء الصالح ينشئ أجساما قوية ، تقاوم العلة ، وتدفع العدوى ، لا شك فى أن التربية الدينية والإسلامية بخاصة أقوم للأفراد ، وأضمن لصالح المجتمع .

فهى تربية وضع الله منهجها ، ورسم خططها ، وأكل أبوابها ، فلا يمكن أن تغنى عنها أو تدانها ثقافة وضعية مهما بلغت من كمال ، فأن الثقافات الوضعية من عمل الناس ، والثقافة الإسلامية تشريع رب الناس ، وتلك تملئها الحاجة الطارئة ، وتخضع للتجربة ، والحاجة تتغير ، فتكشف التجربة عن عدم ملاءمة هذه الثقافة ، وأنها لم تعد صالحة للبقاء .

أما الثقافة الإسلامية ، فلائها من تقدير العزيز العليم ، تلائم كل زمن ، وتوسع لكل جيل ، وعليها يقوم النظام السكامل للفرد وللجماعة .

« لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم - صنع الله الذى أتقن كل شئ » .

وإن ظن أن الحوادث وتطور الزمن لا يتسع لها المنهج الإسلامى ، فذلك وهم تنقصه الروية ، فإن فى نصوص الشريعة نصوصا تفصيلية ، ونصوصا مجملة . وفى الشريعة قواعد مدخرة للاهتمام بها والانتفاع بتطبيقاتها على الجزئيات العارضة ، وهذا يطرد فى حياة الإنسان إلى أن يفارق دنياه ، فأن غاب عن الأفهام حكم لحادث جديد ، ففى النصوص المجملة ، وفى القواعد العامة ، ما يكشف عن هذا الحكم للجهتدين من أهل الذكر .

ومثل هذا واضح فى القانون الوضعى ، وهو من عمل الإنسان لنفسه ، فأن القضاة كثيرا ما تضيق بهم المواد التفصيلية ، فيرجعون إلى قواعد عامة ، ويستنبطون منها ما يحتاجون .

والاجتهاد وظيفة العقول الناضجة ، والإسلام يترك للعقل مجاله ، ويحترم اجتهاده ، إذا تجرد من الهوى .

ومن أجل هذا ترى المنهج الإسلامى كفيلا بكل ما يتصل بالفرد : فى خلوته ، وفى أسرته ، وفى رفاقه ، ومع جيرانه ، وفى سفره وإقامته ، وفى شغله وفراغه ، ومع من يعرف ومن لا يعرف ، ومع مواطنيه وغير مواطنيه .

وكذلك الشأن فى حياة الجماعة ، وضع لها التشريع الإسلامى إطارا من النظام العام ، رسم فيه الحقوق والواجبات ، وصلة الحكام بالمحكومين ، وصلة الأغنياء بالفقراء ، وصلة الدولة بالدولة ، وركز فى الجماعة روح الإخاء والمساواة ، والتعاون والتعاطف ، ونصب لها أهدافا ، وأذكى فيها الغيرة على الكرامة ، ودفعها الى التضحية ، واستنهضها الى حماية الذمار ، والى الرباط على الحدود ، فى يقظة واستعداد : لإرهاب الطامعين ، وصد المغيرين .

والقرآن والحديث يتسمان غاية الاتساع لبيان ذلك كله . والإسلام فى تشريعه لم يقف عند التهذيب الروحى وحده ، بل لم ينقص من النظام المادى شيئا ، فتناول الحياة من جانبيها ، وعلمنا أن الدنيا مطلوبة لنفسها ، وأنها سبيل الى الآخرة ونعيمها المقيم ، وما ذم لنا الدنيا إلا تحذيرا من ناحيتها الخيفة ، وهى إغراؤها للإنسان بلهوها ، وشغلها

إياه بهزله عن جدها ، وفيما عدا هذا فهي متاع ونعمة ، والله يمتن علينا بها ، ويطلب أن نمتنع بحلالها ، وننصرف عن حرامها ، وأن نشكره على نعمائه فيها ، ليكون متاعنا بها موصولا بمتاع الآخرة .

« يأياها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون »
« قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » .

وبهذا يتبين أن الإسلام دين الحياة والخلود ، لا دين الانكماش والجمود كما زعم زاعمون !!

وإذ كان من مميزات هذا الدين أنه يحتكم الى العقول البريئة من الدخل ، فهو يحثنا على التفقه والنظر ، مطمحنا الى أن التفقه الرشيد والنظر السديد ، ينزلان بالمرء على حكم الإسلام ، فإن حجة الإسلام قائمة ، وإن الحق أغلب ، وإن الطاعة للحق أحب للعقول وأقرب ، إلا من حالت بينه وبين الحق جهالة متأصلة ، أو ضلالة متغلغلة ، حينذاك تعمى البصيرة ، وتستحيل الهداية « وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مساهون » .

وقد عاب الإسلام على أناس إهمال مواهبهم الإنسانية ، فهم لا يتفقهون ولا يسمعون ؛ وإذا تفقهوا أو سمعوا فهم لا يطيعون ، وهذه مكابرة تنزل بالمرء عن مرتبة الإنسان ، فلم يكن كثيرا عليهم أن يعتبرهم القرآن كالأنعام أوهم أضل ، وأن يعتبرهم كشر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون .

وفي هذا التنديد والتشنيع على مهمل العقول في تفهم دعوة الإسلام ، توجيه أكيد لنا أن نتحاشى الجود ، وأن نلتفع بأفهامنا ومواهبنا ، في غير اسراف ولا ترديد « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » .

سادتي :

نرى للإسلام غاية فوق تلك الغايات الثقافية ، وأراها ملاك الغايات للكمال الإنساني ، تلك هي تربية الضمير في النفوس على زاد من التقوى ، فالضمير هيمنة يقطعة تتصل بالإنسان في كل آوته ، تدفع من نفسه هواجس الشر ، وتقاوم النزعات الغوية ، وتوجه الى الخير ، ويكون به الإنسان انسانا موضوعيا لا انسانا شكليا .

والقرآن حينما يخاطب الانسان بوعده أو وعيده ، وحينما يمتدح الخيرين ، ويقدح في الأشرار، فإنه يقصد - أولا - توجيه المرء الى الاعتدال ، ويقصد فوق هذا اقتلاع بواعث الشر من نفسه ، وتأصيل روح الخير في طباعه ، وأن يكون الانسان على نفسه بصيرة ، فلا يأخذ نفاق ، ولا يجنح الى رياء ، ولا يكون أنانيا ولا جبارا عصيا .
وانظر اليه حينما يقول : «واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى» ، ففي هذا دفع الى التجرد من عصبية القرابة ، وتوجيه الى العدل في ذاته ، ولو كان ضد القريب من اللحم والدم ، وهذه وظيفة الضمير .

وانظر كذلك الى قوله : « ولا يجرم منكم شأن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى » .
ففي هذا كذلك توجيه الى السمو وعدم التأثر بالخصومات ، والى الترفع عن الحزازات ، والحكم بالعدل ولو كان في جانب العدو .

ولاشك أن العدل على هذا النحو من وظيفة الضمير . ومن قول الرسول صلوات الله عليه في هذا الباب : «استفت قلبك وان أفتاك الناس وأفتوك» ، وكثيرا ما يكل الاسلام أبناءه الى ضمائرهم في شئون هامة ، فقد حدث أن رجلا من أعداء الاسلام وقع أثناء حرب مع المسلمين في يد بعضهم ، فلاذ بشجرة وأعلن الشهادة ، ولكن المسلمين عاجلوه بالقتل ، ظنا منهم أنه يخادعهم باسلامه ، وقد تأثر لذلك النبي صلى الله عليه وسلم وعاب على من قتله ، وعتب عليه في شدة ، وقال له : « هلا شققت عن قلبه » ، ففي هذا اكتفاء من الرجل بما أظهره ، واعتماد على ضميره في صدق ما قال .

وفي باب الدعاوى بالأموال إذا لم يجد المدعى بينة ترجع الى يمين المدعى عليه ، فإذا حلف على الإنكار فلا قضاء عليه ، ونكتفى بتصديقه ظاهرا ، ونعتمد على ضميره في صدق ما قال .

ومما يوضح أهمية الضمير أن توبة المذنب من ذنوبه مفتوح أمامها الباب في كل ساعاته . وكان من رحمة الله تعالى - حينما توعد ابليس بنى آدم بأنه سيغويهم أجمعين - أن الله وعد بعزته وجلاله ألا يغلق عن ابن آدم باب التوبة مادامت فيه روح ، فهذا توسع في قبول التوبة ، وبها تسقط الذنوب .

ومع هذا التوسع في الفضل فقد اشترط الله على عبده أن تكون توبته

عن ضمير ، وذلك أن أركان التوبة التي تغفر الذنوب جميعا هي : ندم على مافات ، وإقلاع عن الذنب ، وعزم على عدم العود .

فاشترط الندم على مافات يعتبر مطلوبة بأن تكون التوبة عن ضمير ليخرج الإنسان من مآثمه ظاهرا وباطنا ، وليدخل نظيفا في المجتمع الصالح . إذا توفر الضمير سقطت مآثمه ، ولو كان فيها قتل أو شرك « إن الله يغفر الذنوب جميعا » . « إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات » .

وإذا كثر أصحاب الضمير الحى في أمة من الأمم قلت الجرائم في محيطها ، وظهرت روح الخير في صفوفها . وأصحاب الضمير هم الصالحون لقيادة الأمة ، وهم المطلوبون في دعوات الصالحين : « اللهم ول أمورنا خيارنا ، ولا تول أمورنا شرارنا » .

وخير تصوير لصاحب الضمير قول الرسول - صلوات الله عليه - لمن سأله عن معنى الإحسان : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

ولست أقصد من هذا كله أن الضمير دائما وليد الثقافة الإسلامية فحسب ، وإنما أقول : ان الثقافة الإسلامية كما تربي ضميرا موجودا ، تنشئ ضميرا كان مفقودا .

ورب ضمير حى في قلب رجل أسمى . وهذا فلاحنا الذى يعيش على الفطرة ، ولم تتخالطه تقاليد المدن ، نراه يحتشم مما يعيبه ، ويخرج من الشبهة في دينه ، ويغدو وروح بين حقله وبيته مصليا وصائما ، غير مسمى الى أحد ، لا بلسانه ولا بيده ، وهو لا يعرف من الثقافة غير كلمات يسمعها من خطيب المسجد ، أو ما يتطاير اليه من ذكر الحرام والحلال ، والعقاب والثواب ، فهل لذلك من سلطان سوى سلطان الضمير ؟ ؟

وهناك صاحب ثقافة واسعة دينية أو مدنية أو كليهما ، وهو أشد خروجا على الدين ، واستهانة بأدابه ، ولا تعليل لهذا إلا أنها فطرة خبيثة ، ونفس متمردة ، غاب عنها الضمير ، فنزعت الى الانحراف ، وذهبت ثقافتها أدراج الرياح ، « والبلد الطيب يخرج نباته بأذن ربه ، والذى خبت لا يخرج الا نكدا » .

وتباين الناس ثقافة وضميرا ، وهداية وشقاء ، ليس لقصور فى أحكام الإسلام ، ولا لسبب عائد اليه . ولكن هناك توجيه الى الإسلام ممن يملكون التوجيه . فعلى الموجهين أن يضاعفوا نشاطهم ، ويواصلوا دعوتهم ، وألا يكثر ثروا بالمقاومات من أصحاب الأغراض ، فدعوة الله الى الخير تكلف الدعاة متاعب ، وتحملهم جهودا ، ولا يضيرهم أن يند عن دعوتهم من ينزع الى التمرد والتشكيك ، بقديما قال الله لرسوله : « ان عليك إلا البلاغ » .

وهناك اتجاه مطلوب من الناس إلى دعوة الله ، ولكن هذا الاتجاه أمر يحتاج إلى ذوى السلطان وأصحاب الحكم فى الشعوب ، فعليهم فى كل بلد اسلامى أن يتعاونوا فى التوجيه ، وأن يأخذوا المتوازنين فى السمع والطاعة بما خولهم الله من سلطان ، والله يزرع بالسلطان ما لا يزرع بالقرآن .

وإذا كان من عمل الحكام ردع العابثين بالأمن ، وتنفيذ العقوبات فيهم ، حماية للمجتمع مما يهدد نظامه ، فمن عملهم كذلك حماية الأمن الدينى، وصيانة العقائد والأحكام والآداب ، فهذا من ذاك أو أشد « وإن الله سائل كل راع عن رعيته » .
وحكومة الثورة فى مصر - والحمد لله - واعية لواجبها الدينى أكثر من وعيها للواجب الاجتماعى ، وهى جادة فى التوجيه إلى ما تقوم عليه الأخلاق وتكوين المجتمع الصالح .

سادق :

الإسلام لا يأبى الثقافة المدنية ، بل هى من صميمه ، ومن أهم غاياته ، فهو يحض على التزود من كل علم ينفع ، وعلى طلب المعرفة والعلم ولو من الصين ، لنعرف ما فى الدنيا من فنون وحضارة ، وليأخذ المسلمون عن غيرهم ما ليس عندهم « فلولاً نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » . « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله » . « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا فى مناكبها » . « قل سيروا فى الأرض ثم انظروا » .

ومن هذا ونحوه يبدو أن الإسلام يدعو إلى كل ثقافة مدنية وأخذها عن أهلها ، على ألا تعارض الإسلام فى عقيدته ، ولا فى أحكامه .

ويبدو كذلك أن الإسلام دين ودنيا معاً ، دين سليم من الدخول ومن المتاجرة باسمه ، والتضليل على حسابه ، لإثارة الفتن بين صفوف الأمة .

والإسلام دنيا فسيحة مهذبة متخلقة بالآداب الكريمة ، ومستجيبة لحكم الضمير ، والدين من الدنيا بمنزلة الروح من الجسد ، فإن تكن المدنية مختلف ثقافتها لترقية الحياة المادية ، فإن الدين روح لهذه الحياة ، وإذا قامت الدنيا على غير دين ، فهى بناء منهار ، والله تعالى يقول : « وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ، ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا ، وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم » .

فليس لزاعم أن يزعم أن الثقافة الإسلامية شئ ثانوى إلى جانب الثقافة المدنية ، فلو صح

ذلك لأوحى الله الى مجد نظريات الهندسة ونماذجها ، وقواعد الحساب وتميزاته ، ومبادئ
الكيمياء وتجاربها ، ومذاهب الفلسفة وتكهناتها ، وهكذا ، ولكن الله لم يفعل ،
بل أوحى الى رسوله خير نماذج يتربى عليها الضمير ، وهو روح المجتمع ، أوحى اليه
- قرآنا عربيا غير ذى عوج - .

سادى :

شاء الله أن تكون الثقافة الإسلامية شرقية ، باعتبار مصدرها الأول : مكة والمدينة ،
وإن كان الإسلام للدنيا جميعا ، وقد ذكر الله فى كتابه مكة باسم البلد الأمين ، ومجدها
بذكر الكعبة ، وبذكر البيت العتيق ، والبيت الحرام ، والمسجد الحرام ، وبذكر عرفات
ومقام ابراهيم .

وذكر الله فى كتابه المدينة باسم يثرب ، ومجدها بذكر أهلها الأنصار ومواقفهم
وتضحياتهم بالأرواح والأموال فى نصرة الإسلام ، وبذكر مسجدتها الذى بنى على التقوى « من
أول يوم ، وبذكر رجالها الذين يحبون أن يتطهروا . وستظل مكة والمدينة كما شاء الله لهما
مجدا وقداة وخلودا .

وقد ذكر الله فى كتابه مصر فى حديث يوسف لأبويه : « ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين »
وشاء الله لمصر أن تكون بأزهرها مشرقا ضاحيا للدعوة الإسلامية بعد مكة والمدينة ،
حتى تبوأ مكان الزعامة بين شعوب الشرق عامة .

أفلا يحق لمصر أن تعترف بذكر القرآن لها ، وأن تفخر بأزهرها الذى سبقت به إلى
صدارة التاريخ .

الأزهر - فى تواضعه - حمل راية الإسلام خفاقة ، وشق بها طريقا إلى مجاهل الدنيا ،
ودعا بدعوة القرآن فى دأب وجلادة أكثر من عشرة قرون .

فمنذا الذى يجحد على الأزهر سابقته فى الإسلام ونشر ثقافته ، إلا واحد من اثنين :
متعصب غير مسلم ولا حيلة لنا فيه ، أو مسلم فى قلبه مرض ، وهذا إلى الله ، إن شاء
شفاه من علته ، وإن شاء زاده مرضا على مرض .

من يظن أن الأزهر في عهد الثورة موضع القيل والقال ، فهو مرجف يوقظ الفتنة ، ويفرق الصفوف .

فليعلم هؤلاء المرجفون أن الأزهر في عهد الثورة أعز مما كان ، وليعلموا أن الثورة قامت لاعلاء مجد مصر وتربية النفوس والضمائر في شعبها ، فلا يرضيها أن تخذش في الأزهر جانبا شامحا من مجد مصر ، وهي عارفة أن الأزهر وحده هو الأداة الأولى في التربية الخلقية وانشاء المجتمع الصالح الذي قامت الثورة لإيجاده .

وليعلم هؤلاء المرجفون أن الثورة بصيرة بأهدافها ، فليست بحاجة إلى من يقودها خطوة ثانية ولا ثالثة !! .

وليعلم هؤلاء المرجفون - أخيرا - أن الثورة ترفع الراية ، في هذا المؤتمر الإسلامي ، لتجتمع حولها الصفوف والشعوب ، وتوثق الإخاء ، وتقضى على التفريق والمفرقين ، فليريحوا وليستريحوا .

« ربنا آتينا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا » .

وأخيرا أشكركم . والسلام عليكم ورحمة الله ما

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

السياسة

يقول غاندى الزعيم الهندى :

ليست السياسة ذلك اللاهوكما يفهمها الناس ، وإنما هى توسيع دائرة الفضائل المنزلية حتى تشمل الوطن . وهى - فى الوقت نفسه - وسيلة لتجديد الروح فى المواطنين .

كلمة فضيلة الاستاذ الاكبر

الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر
في جمعية المحافظة على القرآن الكريم بدمهور

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه .
السيد نائب حاكم الإقليم - السادة الأفاضل - إخواني وأبنائي :
السلام عليكم ورحمة الله - أما بعد ، فأني أشكر لكم جميل ترحيبكم ، وكريم حفاوتكم ،
وهذا الاستقبال الرائع الذي هو من أقوى المثل التي يغتبط بها ويغبط عليها في مجالات
الكرامة والتكريم ، هذا الاستقبال الذي هو بحق من أسمى وجوه التعبير عن الشعور الحى ،
والإخلاص المتين ، والتقدير العظيم للأزهر ورجاله والقائمين عليه .
حقا ان هذا الاستقبال الكريم ليدل أصدق دلالة على ما تنطوى عليه قلوبكم الطاهرة
المؤمنة من الحب الخالص لتعاليم الأزهر وثقافته ، التي هي تخليد وتمجيد للثقافة الإسلامية ،
والتي هي محافظة وكمال عناية بالصالح النافع وبكل ما هو ضرورى لا بد منه للطالب
الأزهري ، من العلوم الكونية وأنواع الثقافات المدنية .
أيها السادة :

وأحيي فيكم هذه العاطفة الدينية الطيبة ، وهذه الغيرة الحميدة الخيرة ، وهذا
الحرص الجميل على الاحتفاظ لمدينة دمنهور بمعهد من المعاهد الدينية الإسلامية .
دمنهور هذه المدينة الطيبة الواعية الناهية ، عاصمة مديرية البحيرة العظيمة ، هي التي - الى
جانب قوتها ونشاطها في مجال العمل والتعمير ، ومجال الإنشاء والانتاج في جميع نواحي
الحياة الاقتصادية تجارية كانت أو صناعية - قد أنبتت ، وأنبتت قواها وسائر البلدان التابعة
لها - لخير مصر ، وخير الأقطار الإسلامية التي تنو إلى مصر - علماء دينيين فطاحل ،
تخرجوا في الأزهر في عصوره القديمة وعصره الحديث .

وإنه لا تزال أسماء سليم البشرى ، ومحمد عبده ، وراضى ، والبحراوى ، ومن إليهم
من العلماء الأعلام ، لا تزال هذه الأسماء تبعث النهضة ، وتحفز الهمة في نفوس العلماء

والمتعلمين، ولا تزال أصوات معارفهم - في دروسهم وتقريراتهم وبياناتهم - يرن صداها في أذن الأزهر والأزهريين .

ولولا أن حركة التوسع في إنشاء المعاهد الدينية الإسلامية كانت ضعيفة في العهود الماضية ، ولولا أن كثيرا من بلاد مديرية البحيرة كان قريبا من مدينة الإسكندرية التي أنشئ فيها أول معهد أزهري نظامي قد سد حاجتها وحاجة البلاد القريبة منها في التعليم الديني القوى - لولا هذا كله لكانت مدينة دمنهور من أسبق العواصم التي تتمتع بمعاهد أزهريّة عظيمة .

على أن مدينة دمنهور قد كتب الله لها الحظ السعيد ، بخفاء معاهدها وليدا للنهضة المباركة : نهضة الثورة الحاضرة ، التي عمات وتعمل وستعمل دائما - بمشيئة الله وبعباية الله - على نشر معاهد الأزهر في كل مكان، وعلى التمكين لها في مختلف البلاد ، وعلى تثبيت دعائمها ، وتقوية أركانها ، لتسكون دائما منارا للهدى والإرشاد ، وعصاما من دعوة الزينغ والالحاد ، وقضاء مبرما على ميول الأباحية الممقوتة والتحلل الخلقى المرذول .

نعم . ولتسكون دائما كعبة يقصد إليها كل من يريد تقويم أخلاق النشء وتهذيبه بالمبادئ الكريمة ، وتربيته بأصول التربية الدينية الصحيحة .

أيها السادة : أيها الإخوان : أيها الأبناء :

إن الأزهر اليوم يعمل مخلصا على أن يحدد نفسه، وهو جاد كل الجد في أن يجمع قوته، وينهض نهضته، ليسائر النهضات الحديثة، لا، بل ليسابق هذه النهضات الحديثة، وهولذلك يبذل كل جهوده لينفض عن نفسه ذلك الغبار الذي أثارته عليه وعلى البلاد زوابع تيارات سياسية عاتية ، وليزيح عن جوه ذلك القتام الذي خيم في أفقه من آثار عهود ظالمة مظلمة، وليسفر بصبغة الوضاح، فينير ما بين المشرقين، ويهدي للسعادتين، بما يحيى من آثار السلف، وبما يستعيد من أسباب المجد الحق : مجد الإسلام في عهده الأول، وفيما تلا ذلك العهد من عهود خصبة زاهرة .

إخواني . أبنائي :

إن الأزهر له أعداء في داخل البلاد وخارجها ، هم في الحقيقة ليسوا أعداء له فحسب ، وإنما هم أعداء الدين الإسلامي قبل كل شيء ، إنهم يصوبون سهامهم المسمومة - ولكنها مدحورة باذن الله - يصوبونها الى الأزهر ، لأنهم يعلمون حق العلم أن الأزهر هو الراعي ، وهو الحامي لهذا الدين الإسلامي الحنيف .

إن ناسا من أهل جلدتنا ، ومن المنتسبين الى ديننا ، يدعون الى آراء وأفكار يزعمونها تقدمية ، وأنها من مقتضيات المدنية العصرية ، ويجدون ناسا خفافا يتبعونهم ، ممن يطيطون مع كل طائر ، ويجرون وراء كل ناعق ، والله يعلم أن ما يدعون اليه وما يجري وراءهم فيه خفاف الأحلام ليس من التمدن ولا من التقدم فى قليل أو كثير .

ان أوروبا الناهضة ، أوروبا المتحضرة المتحررة ، أوروبا هذه التى يريد بعض الناس أن يتلقى عنها كل شىء ، وأن يتبع سيرها فى كل خطوة ، لم تكن نهضتها ولا تحررها ولا تقدمها بدعوات الزينج والتحل والإلحاد ، ولم تكن نهضتها ولا تحررها ولا تقدمها بسبب أن أهلها يلبسون القبعة ، أو أنهم يرتدون البنطلون والسترة ، أو أن كثيرا منهم ومن أهل أمريكا - الذين كانوا فى بلادنا أيام الحرب وفى أوقات القىظ - كانوا يقتصرون فى لباسهم على القميص فاقد الذراعين ، وعلى البنطلون القصير الذى يكشف عن الساقين وما فوق الركبتين . لم يكن تقدم أوروبا بهذا ، وإنما كان بالجد والنشاط فى مجال الصناعة ، وإنما كان بالتفكير الدائم المتواصل فى تسخير القوى الطبيعية التى خلقها الله فى الأرض واستخدامها فى أعمال الإنشاء والكشف والإنتاج ، فإذا كنا نريد التقدم والرقى كما تقدمت وارتقت أوروبا ، فأنما هو بالجد والحزم والنشاط ونبد المظاهر الفارغة ، والصور الجوفاء ، والعناية كل العناية باللب والجوهر فى جميع الأعمال التى يقوم بها صلاح الأمة وسعادة الوطن .

هذا كان شأن سلفنا الصالح الماجد فى عصور الاسلام الأولى ، عصور الهدى وعصور النور ، وهذا هو الذى نبه اليه وحث بقوة عليه ديننا الاسلامى الحنيف ، نبه اليه وأوجبه وحثه قبل أن تعرفه أو تتنبه اليه أوروبا بقرون وقرون « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » ١

نصيحة أبوية

لفضيلة الأستاذ الأكبر

في احتفال معهد دمنهور الدينى باستقبال فضيلته

أبنائى :

السلام عليكم ورحمة الله .

أما بعد . فأن الله تبارك وتعالى قد أنعم عليكم في هذه الحياة بأكرم نعمة ، ووجهكم فيها أحسن وجهة ، وهياً لكم السبيل لتكونوا أهل دينه ، وحفاظ شريعته ، التى فيها ضمان سعادة الدنيا والآخرة ، فعليكم أن ترعوا هذه النعمة وتحفظوها ، وتحوطوها بالشكر والضراعة الى الله أن يشملكم بخيرها ، وأن يزيدكم فيها تثبيتاً وتمكيناً .

عليكم أن تتجملوا بحاسن هذه الشريعة وأخلاقها الكريمة ، وأن تبصروا بأحكامها السمحة السهلة أهليكم وذويكم وسائر المواطنين ، بالرفق واللين ، والحكمة والموعظة الحسنة ، واحذروا فى جميع أعمالكم ومعاملاتكم التعسف والقسوة ، وتجنبوا الكبرياء والغطرسة ، ثم احذروا أن يدخل الشيطان الى نفوسكم من مداخل الغرور أو النفاق أو الرياء . واعملوا على أن يكون جدكم وجهودكم - التى تبذلونها فى سبيل التعلم والتعليم - جهادا فى الله ، ولإعلاء كلمة الله ، تأتكم الدنيا صاغرة ، وتنالوا بذلك سعادة الآخرة .

أسأل الله العلى الكبير أن يهديكم ويوفقكم ، ويرد عنكم حسد الحاسدين ، ويكيد السكائدين ، وزيف الملحدين . انه سميع الدعاء .

والسلام عليكم ورحمة الله

كعبة المسلمين الثانية

نعم هو الأزهر حصن الثقافة الإسلامية، وحارس اللغة العربية ، وأعرق الجامعات العلمية وأقدمها ، له تاريخ مجيد عرفت مصر وبلاد الشرق فضله فيما مر بها من أحداث سياسية واجتماعية كان له فيها نصيب التوجيه والبناء ، وقدرته الأهم الإسلامية حين أوفدت إليه أبناءها ليتعلموا أصول الدين وأحكام الشريعة ولغة القرآن ، كي يعودوا الى بلادهم وقد ارتنوا من منهل العذب ، فيحيوا النفوس الميتة ، وينيروا العقول المظلمة ، ويعلموا الناس دينهم القويم ، ويدعوهم الى الخلق الكريم .

ولن ننسى فضل الأزهر في اعداد الجهادة أمثال رفاة الطهطاوى ، والشيخ الامام ، وسعد زغلول ، وأسلافهم من أفاضل العلماء .

هذا هو الأزهر كعبة المسلمين الثانية ، ومفخرة المصريين الباقية ، وحامى حوى الإسلام ، وحافظ ما أتى به من أحكام ، وهمة الوصل بين البلاد الإسلامية ، ومنارة مصر بين الأقطار الشرقية ، فعلينا أن نحفظ مكانه ، ونُدعم بنيانه ، ونصون أركانه ، ونبقى على وظيفته ، ونعين على أداء مهمته .

نقول هذا لمناسبة ما سمعنا وقرأنا من اقتراحات ترمى الى تفكيك الجامعة الأزهرية ، والقضاء على هذا التراث فى النهاية .

ولكن المنادين بتوحيد جهات التعليم فاتهم أنه قد تربى فى المدارس أجيال كثيرة ، قل منهم من حفظ آية أو عرف حديثاً أو فهم حكماً ، وما لدى بعضهم من معلومات دينية ، فالفضل فيه لأولئك الذين نبتوا فى الأزهر ودرسوا علومه ، وحذقوا فنونه . ولو أن القدر ساق أبناء الأمة جميعاً الى هذه المدارس المدنية ما وجدنا حافظاً لكتاب الله ، ولا فاهماً لكلامه ، ولا ملماً بأحكامه .

فلتتحطم هذه الأقلام التى تدعو الى الأساءة للأزهر ، ولتعالج هذا الفساد الذى

ما زال منتشرا في أنحاء البلاد ، ولتقاوم الرذيلة التي أنشبت أظفارها في البيت والشارع ،
والمدرسة والنادى ، وسائر الأماكن عامة أو خاصة ، ولتتغلب الوجودية والشيوعية
والمبادئ الهدامة ، ولتضرب في معازل الفساد بدل أن تهدم هذا الصرح الشاخص : الأزهر ،
موطن الإصلاح والاصلاح .

نعم أصلحوا الجامعة الأزهرية ودعّموها ، وأبقوا على هذه المفخرة الإسلامية
ولا تسموها ، ووجهوا جهودكم لاصلاح نواحي الفساد وما أكثرها ، واحذروا أن تقدموا
للصهيونية مادة تتعيش منها ، وتقيم عليها صرح دعايتها المسمومة ، وتتخذ منها سلاحا
تقطع به علاقتنا بالعالم الاسلامى .

أقول هذا وأنا مطمئن الى أن رجال الثورة الذين بدءوا ثورتهم باسم الله ، وتعاهدوا
على كتاب الله ، ووضعوه على صدورهم في مستهل حركتهم ، لن يستجيبوا لهذه الأقلام ،
ولن يمسوا هذا الصرح الشاخص الا بالتدعيم والتقوية .

والله أسأل أن يمدنا بقوته ، ويعزنا بعزته ، ويدفع عنا الشرور والبلاء ، وينصرنا
على جميع الأعداء ما

محمد علي عبد العزيز الشافعي

المحامى ونائب منوف السابق

الشرق والغرب

قال الشاعر الهندي رابندراناث تاغور للصحفي الإيطالى أولدو سورانى :
« أعتقد دائما أن المدينتين - الشرقية والغربية - تستطيعان أن تبقىا متميزتين الواحدة
عن الأخرى ، ويجب أن تبقىا كذلك ، وبالوقت نفسه يجب أن تكمل كل واحدة منهما
ما فى الأخرى من نقص ، وأن تتلاءم معها » .

خطوة ثانية

في اتجاه عكسى لا اتجاه الدكتور طه

الأزهر الشريف حصن اللغة العربية ، لأن العلوم تدرس في الأزهر باللغة العربية ، وقواعد اللغة تدرس بتوسع ، لأنها لغة القرآن ، ومصر تشكو من الشكوى من ضعف طلبة معاهد وزارة التربية والتعليم وخريجها في اللغة العربية . ولغة العلوم الإسلامية في الأزهر لغة عربية فصيحة عنى بها المؤلفون القدامى ، لكي تتشى مع لغة القرآن القرشية ؛ وقد تكون من مجموع ذلك مدرسة في اللهجة العربية القرشية الخالصة التي نزل بها القرآن ، والأزهر مازال عاملا بهذا على تقارب اللهجات العربية وتوحيدها والسير بها نحو لهجة واحدة ، هي التي تسير عليها مدرسة علماء الأزهر وتدرس بها العلوم الأزهرية .

يقول الدكتور طه حسين : إن الأزهر وسيلة للتباين واختلاف المشارب وصعوبة التفاهم بين طبقات الأمة . وهذا غير صحيح ، وهو ترديد لما كان يقال قبل تطور الأزهر ، وقبل أن يشمل المصلحون من أمثال الشيخ محمد عبده باصلاحاتهم ، وقبل أن تدخله العلوم الحديثة . وبالرغم من ضعف حجة الدكتور طه حسين في هذا ، فإننا نراه ينظر الى الأزهر الشريف نظرة ضيقة إقليمية ، تحط من قدر الأزهر وتنزل به الى غير مستواه ، حتى يضعف شأنه ، ويسهل عليه وعلى باقي أعداء الأزهر ما يريدون . والواقع أن الأزهر من أكبر الدعائم في توطيد عرى الأخوة حتى بين الشعوب ، فهو يعمل جاهدا على جمع شمل الأمة الإسلامية العظيمة الانتشار في بقاع الأرض حول لغة واحدة قوية متينة هي اللغة العربية ، وحول دين واحد له مبادئه التي تدعو الى الوحدة الإنسانية ، وهو الدين الإسلامى الحنيف .

فالأزهر حصن العلوم الإسلامية ، ومرجع مشهود له لدى جميع البلاد الإسلامية وغير الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها ، وحوله تتوحد المشارب ، وتتقابل النفوس ، وهو يقوم بتعليم مبادئ الإسلام في صمت وفي صبر وجلد من قديم الدهور .

وكانت المساجد قبل الأزهر بيوت العلم ، ولما انشغل الناس بأمور الدنيا في العصور المتأخرة انحصر التعليم في الأزهر الشريف الذى أصبح الآن له معاهده وكلياته وفروعه ، وإذا اشتاق المرء الآن الى الموعظة ، وتعطشت نفسه الى الإرشاد ، وجد ذلك على أيدي رجال الأزهر من وعاظ المساجد ، وهم يقدمون للناس العلم والوعظ في شتى المسائل والأمور بما يشفى الصدور ، ويزيل الكرب ، ويجدد الإيمان .

إن الحكمة من قيام الأزهر الشريف هى اصطلاحه بعلوم القرآن وتدريسها . والحاجة الى ذلك ما زالت قائمة بل زادت الآن عن ذى قبل ، فما أحوجنا بل ما أحوج الإنسانية الى هذه العلوم الإسلامية التى يحمل رايها الأزهر وحده في العالم الإسلامى ، والأزهر إنما ينشر مبادئ قوية وجديرة بمزاحمة تلك المبادئ المنتشرة في العالم في هذه الآونة ، ولو قدر للأزهر الشريف ، وهيئت له وسائل النشر والإذاعة العصرية لنشر مبادئه الإنسانية ، لأدى الى العالم خدمات جليلة ، ولاختفت المبادئ الأخرى ، خاصة وهذا العصر عصر البحث والفكر والعلم ، ورجال الأزهر هم أقوى الناس على نشر وتدريس وتعليم مبادئ الإسلام الحنيف التى تبناها الأزهر وحافظ عليها من الضياع زمنا طويلا ، فمرحبا بالدراسات الإسلامية الأصيلة السليمة الواسعة على أيدي رجال الأزهر الشريف .

والدكتور طه حسين يصطاد في الماء العكر ، إذ هو يدعو الى هدم الأساس الذى يقوم عليه الأزهر ، ويعتمد على خريجي معاهد أخرى غير الأزهر في تلبية دعوته والاستجابة إليه ، وكل من ذاق حلاوة العلوم الإسلامية وعلوم اللغة التى تدرس في الأزهر لا يجد في كلام الدكتور طه ما يستأهل أن يفكر فيه يوما واحدا .

وعلى طلاب الأزهر وتلاميذه ألا يخلبهم الدكتور طه بدعوته البراقة ، فأنها ليست دعوة اصلاح لحال الأزهر أورق بأبنائه وحلة مشاعله ، وإنما هى دعوة الى هدم الأزهر وإزالته من الوجود ، ولا يستطيع أحد أن يتصور مصير العلوم الإسلامية الكثيرة وعلوم اللغة العربية المختلفة التى تدرس في الأزهر اذا ألغى الأزهر استجابة للدعوة المجنونة التى ينادى بها الدكتور طه حسين .

إذا كنا أمة جادة تفهم معنى الحياة يجب علينا أن نخطو الخطوة التالية في اتجاه عكسي تماما لما يدعو إليه الدكتور طه حسين ، فعلوم الإسلام علوم نافعة للإنسانية كلها فضلا عن المسلمين ، وفيها تربية للنفوس على الخير ، وهى تجنب الأمم الزلل والخطأ . فيجب أن

تندرج فى إدخال علوم الإسلام وعلوم اللغة التى تدرس فى الأزهر الشريف إلى مدارس وزارة التربية والتعليم، فهى علوم أجدادنا، وتراث آبائنا المحيدين، ومصدر ثقافتنا، ويحق لنا أن نحافظ عليها ونعلمها لأولادنا. فنسكون بذلك قد وصلنا الماضى بالحاضر، ووجدنا الثقافة القومية أيضا. وهكذا يكون التفكير الصحيح نحو توحيد الثقافة، وبذلك ومن هنا ترى أن دعوة الدكتور طه حسين هى كلمة حق أريد بها باطل.

ولست دعوة الدكتور طه حسين بالشىء المستغرب منه ومن أمثاله، فهو من رجال ما قبل الثورة، وله فى عالم الأحزاب مبادئه الشاذة وسياسته المعروفة، وهى تلك السياسة التى كان يسير عليها زملاء الدكتور طه حسين من الوزراء والمستوزرين من رجال ما قبل ثورة مصر المباركة. وهى السياسة الارتجالية فى كل شىء، وهى سياسة تخبط وتقليد للغرب، ولو على حساب القومية، ولو أدى ذلك إلى التنكر لماضينا وحاضرنا على السواء. والدكتور طه حسين دائماً يهرب من الماضى، ويود أن يقطع الصلة بينه وبينه، وعلة ذلك تظهر من مقارنة خفيفة بين الدكتور طه حسين فى القديم والدكتور طه حسين الآن وآماله فى المستقبل، فهو فى الماضى ذلك الشخص الذى صور لنا نفسه فى كتابه « الأيام » ثم رأى نفسه فى ظلال الحزبيات شيئاً آخر، وشجعه الأوربيون الذين تعلم لغتهم وتزوج منهم ويرجو على أيدي الإفرنج لنفسه ولذريته مستقبلاً أحسن.

ولكن على رسلك يادكتور طه!!، فليس ماضى أمتك كله شراً، وليس التجديد كله خيراً، وما هكذا يكون التطور والرقى فى الشعوب، والذى يجوز على الأفراد لا يجوز على المجموعات والشعوب.

وقد كان قبلك رفاعة الطهطاوى وجمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده وغيرهم، كانوا مخلصين للأزهر، ومنهم من جاب بقاع الأرض وطوف فى الآفاق. فذهبوا إليها علماء مسلمين وعادوا منها علماء مسلمين، وأنت يادكتور طه تريد أن تهدم المعهد الذى جعلك ترى النور، وتعرف ما لم تكن تعرف. إن حال الأزهر معك مثل حال مالك ابن فهم مع سليمة بن مالك الذى رماه بالرح بعد أن علمه فن الصيد والكنص والقتال صغيراً، فلما كبر وتغيرت الأحوال رماه برمحه ليلاً، فلما علم بذلك قال :

جزانى لا جزاه الله خيراً سليمة انه شرا جزانى
أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رمانى

والأزهر لا يبلغه فرد، ولا يبلغه شعب مصر، وإنما يلزم لإلغائه استفتاء الشعوب

الاسلامية جمعاء، لأن الأزهر جامعة لها من الاسلام معنى العموم، ولم يكن انشاء الأزهر لأجل مصر وحدها، ولكن كان وما زال منارة تهدى الشعوب الاسلامية، وبحرا للعلوم ترتاده كل الشعوب وجميع المسلمين ، وان كان مقره في مصر فما ذلك إلا لأن مصر تتوسط العالم الاسلامي مثل الدرة التي تتوسط العقد الثمين .

والأزهر يعد فكرة قبل أن يكون بناء من المؤنة والحجارة . فاذا ألغى فسوف يتشتت أبناء المسلمين من مصريين وغيرهم ، وسوف يرحلون يجوبون بقاع الأرض الاسلامية باحثين عن مورد آخر للاسلام وعلومه ، وسوف تتبنى الأزهر دول اسلامية أخرى، وتنشئ أزهرها يعلم الناس أمور دينهم ودنياهم كما أرادها الاسلام الحنيف ، ولكن لن يبلغ مجد الأزهر الموجود في القاهرة في العلو والارتفاع أى معهد آخر ، لأن علماء الأزهر ورثوا التقاليد والعلوم التي تدرس في الأزهر ذلك المعهد القديم ، ولن يعوضنا الله فيهم بدلا منهم أبدا .

وكنا نفرح وتشجع صدورنا لو أن الدكتور طه دعا الى إدخال علوم الإسلام في مدارس وزارة التربية والتعليم ، بحيث ينتهى التلاميذ من حفظ القرآن الكريم في المرحلة الأولى مثلا ، وتوزع علوم الأزهر على مراحل التعليم المختلفة . . .

وأنا أحب لكل مسلم أن يدعو الى هذا بقوة ، ولو دعا طه حسين الى ذلك فسوف يجد المحجج السليمة القوية التي يفتقدها الآن في دعوته الحالية .

ولا أجد بدا من الإشارة الى فضل الأزهر على المسلمين في أنه يخرج لهم رجال الدين، فهل يتصور الدكتور طه حسين أن يوجد رجل من بين رجال الغرب يقف مثل موقفه من المؤسسات التي تخرج رجال الدين المسيحي ويطالب بهدمها وإلغائها . ألم يسمع الدكتور طه حسين أن الفاتيكان لدى الغرب قد جعله الغربيون دولة دينية، وترسل له الدول السفراء والمندوبين . فهل لو ألغت إيطاليا دولة الفاتيكان وأزالتها من أرضها هل يضير ذلك إلا إيطاليا نفسها . وان غيرها من الدول الكاثوليكية سترحب بوجود دولة الفاتيكان بأرضها ، وسوف تفقد إيطاليا خيرا كثيرا .

يجب أن تتألف جمعية من كل الشعوب تنادى بحماية الأزهر من عبث العابثين، على أساس استقلال الأزهر ؛ وعلى أن ترسل كل دولة من الدول الإسلامية مبعوثين لدى شيخ الأزهر ، ويستمر الأزهر في أداء رسالته ، وتسكون له محطة إذاعة قوية ، يصغى إليها المسلمون من جميع أنحاء الأرض ؛

١- معاذيل فتنى الحر

الحامى

برقية تقول سيصل إليكم مسلمون من بلاد الأزهر

تقوم الآن ضجة في مصر يصطنعها بعض الكتاب، ليحاولوا الغض من شأن الأزهر، مع أن للأزهر مكانا ملحوظا ومقاما محمودا، لا في مصر وحدها، ولكن في الأقطار الإسلامية كلها. فالمسلمون في كافة الأنحاء يرون في الأزهر منار الحائرين وكعبة القاصدين، ويرونه المنهل العذب لأصول الدين الصحيح، والمركز الوطيد للثقافات الإسلامية المجردة عن الزيف، الخالصة من الزيف. وحسبي هنا أن أذكر أنني في سنة ١٩٤١ أثناء عودتي من فرنسا عن طريق جنوب إفريقيا نزلت مع بعض اخواني في (لورنسو مريكز) عاصمة أفريقيا الشرقية البرتغالية، وفي هذه البلدة جامع واحد، ما إن علم إمامه المسلم الهندي بقدمونا حتى خف إلينا ودعانا لزيارته بمنزله في نفس الجامع، وأكرم وفادتنا وحشدنا كثيرا عن أمور المسلمين في هذه البلاد، واستفتانا في كثير من الأمور الدينية معتقدا أن كل مصري لابد أن يكون عالما بالدين، وأنه قد درس هذا الدين بالأزهر دراسة مستفيضة، وقد كنا نرد على استفتاءاته بما نعلم مما نثق في صحته. أما الاستفتاءات الأخرى التي كانت تحتاج لإفتاء العالم المطالع، فقد جمعناها وأحضرتها معي إلى مصر وعرضتها على معارفي من العلماء الأزهريين، وأرسلت له بما أفتونى به، فبعث يشكرني ويطلب بعض الكتب الدينية التي تدرس في الأزهر.

وحين غادرنا هذه البلاد إلى مدينة الكاب أبرق هذا الإمام إلى مسلمي مدينة الكاب يحثهم على حسن استقبالنا والاحتفال بنا، ومع أن برقيته لم تتجاوز الكلمات الآتية : « سيصل إليكم مسلمون من بلاد الأزهر » فقد وجدنا أماننا مئات كثيرة من مسلمي الكاب يخفون لاستقبالنا ويبالغون في تحيتنا، وكانت أولى تحياتهم تلك الأصوات العالية التي ارتفعت تردد صيغة (الأذان الشرعي). وما شاهدناه في (لورنسو مريكز ومدينة الكاب) من حب عميق مكين للأزهر، وتقدير عظيم لرسالته السامية، شاهدناه أيضا في ممباسا عاصمة كينيا.

وقد شهدت شخصيا في سوريا العربية إيمانا بالأزهر وفضله على المسلمين ، ورأيت الشعب والحكومة في ذلك القطر الشقيق يحتفلون بعلماء الأزهر ويقرّبونهم منهم ، ويقفون إمامة المساجد الكبرى عليهم (كالجامع الأموي) . وقد طفت ببعض هذه المساجد فوجدت حلقات الدروس يقوم عليها جماعة من العلماء الأزهريين ، يعلمون الناس ويعظونهم .

ومما لاحظته أن الناس هناك لا يستفتون في دينهم بل وفي دنياهم إلا العلماء الأزهريين ، والمشاهد أن الأزهر أكسب مصر في العالم الإسلامي كله مركزا ممتازا وسمعة طيبة ، بل كان الأزهر أهم الأسباب الرئيسية التي مكنت لمصر في زعامة العالم العربي . وما أشك في أن هؤلاء الكتاب الذين يحاولون أن تتخلى مصر عن الأزهر ، إنما يحاولون أن تتخلى عن هذه الزعامة !

فعلى هؤلاء الذين يتجنون على الأزهر هذا التجنى ، ويكيدون له هذا السكيد ، أن يلبسوا العائم ، ويطوفوا بالبلاد العربية والإسلامية على أنهم من علماء الأزهر ، ليعرفوا كيف يستقبلهم الناس ، وكيف تحتفل بهم الشعوب ، وليروا أن هذه الجامعة المصرية الأصيلة تحتل في هذه البلاد مكان الحب والقداسة ما

دكتور محمد أحمد الشامي

من جامعة ومستشفيات ليون

طنطا

الخطوة الثانية

ألم تر للضربة القاضية	يسمونها الخطوة الثانية
يروم المظلون أن يقذفوا	بصرح « المعز » الى الهاوية
وأى مكان يرى بعده	لدرس شريعتنا الغالية
فقل للذى قد تربى به	وأضحى الى هدمه داعية
رويدك لا تمس في فتنة	فتكوى بنيرانها الحامية

محمد محروس عبد الله

كفر مجاهد - بحيرة

عقدة نفسية

« وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون، وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء، ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون »

يحاول لبعض الناس أن يخالفوا ليعرفوا ، وخاصة من يشعرون بمركب النقص فيهم ، ومن هؤلاء الدكتور « طه حسين » ، فإنه لا يفتأ - الفينة بعد الفينة - يذكر الناس بوجوده ، متصديا لهم في أمر أجمع العقلاء على تقديسه . وقدima خرج علينا بكتابه « في الشعر الجاهلي » منكرا للحقائق الثابتة عن ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، ومتحديا كتب الله المنزلة على رسله من توراة وانجيل وقرآن .

وما كان يهم الدكتور أن يقف جانبا والأمة علماء ونوابا وشيوخا في جانب آخر ، حتى حوكم يومئذ وحكم عليه بابعاده عن دور التعليم ، لكيلا يلحق النشء البريء ما أملاه عليه سادته المبشرون من أمثال « زويمر » ومؤلف كتاب (مقالة في الاسلام) وصاحب الدليل عليها .

ألم يخرج الدكتور على إجماع الأمة في ثورتها الأولى عام ١٩١٩ منندا بزعيمها « سعد زغلول » خدمة للأحرار الدستوريين متقاضيا أجرا شهريا من جريدة السياسة . فلا عجب أن يخرج علينا اليوم ببدعة جديدة « هي إدماج معاهد الجامعة الأزهرية في وزارة التربية والتعليم » مبتغيا بذلك توحيد التعليم على زعمه ، معتبرا أنها الخطوة الثانية ، بعد إدماج القضاء الشرعي في القضاء الوطني ، ولماذا لا يوحد التعليم الديني والمدني ، مادامت الأمة واحدة ؟ .

ولو تليت عليه الصفحة الأخيرة من صحيفة الجمهورية ، التي كتب فيها ما كتب ، لهاله أمر الجامعة المصرية ، فتدهور معلومات خريجيها وخريجاتها وقولهم في امتحان عام للالتحاق بوظائف مصلحة السياحة « إن المسيح عليه السلام ولد من خمسمائة عام . وإن القناطر الخيرية بأسوان ، وإن بينها وبين القاهرة مائة كيلو متر ، وإن قلعة القاهرة بناها

فابليون ، وإن تعداد القطر المصرى مائة وخمسون مليوناً ، وإن الزكاة نظام اقتصادى وضعه أبو حنيفة ، وإن عاصمة لبنان « يافا » إلى آخر هذا الهراء الذى لو تليت عليه واحدة منه لكان حقاً عليه أن يطالب بضم الجامعات المصرية إلى الجامعة الأزهرية .
ومن عجب أن يطالب الدكتور بافناء الجامعة الأزهرية فى غيرها مع علمه بأنها ليست ملكاً لمصر وحدها ، وإنما هى ملك للعالم الإسلامى كله من مشارق الأرض إلى مغاربها ، يستوى فى ذلك المسلم الصينى واليابانى والروسى والأندونيسى والهندى والمصرى والمغربى والمراكشى - ومع علمه كذلك أنها الجامعة الوحيدة التى تقبل بين طلابها ذوى العاهات من مكفوفين ومقعدين . ولولاها ماسمعنا عن الدكتور طه وأمثاله . فهى التى نشأته وعلمته وقومت لسانه حتى صار إلى ما صار إليه .

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني

وما علة ذلك إلا العقدة النفسية المتأصلة فى الدكتور ، والتى يتبينها كل من قرأ له فى مجلة « آخر ساعة » عن تاريخ حياته ، وأنه طرد من الامتحان لسوء أدبه وتجنه على العلماء ، فلم يظفر بشهادة العالمية .

وأخيراً : لحساب من يكتب الدكتور ولا سيما فى موسم التسليح ، وهو لا يكتب حسبة لله والوطن ؟ .

ترى هل هو يكتب لحساب دار الكاتب المصرى ؟ . فليعلم أن ما يهدف إليه لا يسىء الى مصر وحدها وهى الحريصة حكومة وشعباً على الوحدة العربية ، وإنما يسىء الى العالم الإسلامى والجامعة العربية ورئيس الحكومة المصرية المسلم الغيور ، كما يسىء الى الذين يرون فى الأزهر ورجاله قادة للرأى والفكر وهداة للإسلام .

وهل هذا يشغى الدكتور من مركب النقص الذى يضيق به ويبرئه من عقده النفسية ؟ ! اللهم ان كان هذا دواء فزده داء ، وأنزل عليه بلاء ، وباعد بينه وبين الشفاء . انها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور . والسلام على من اتبع الهدى ما

ابراهيم زكى

عضو الشيوخ السابق

دمنهو

اتقوا الله في الأزهر

أيها المفتونون

غضبنا ممتلئاً على إهابه إني وحقك سخطه يرضيتي

اتقوا الله أيها الناس ، واتقوا فتنة لا تصيب الذين ظلموا منكم خاصة .

أيها المفتونون : إذا كان للمسلمين قبله واحدة ، وكعبة واحدة ، ورب واحد ، ونبي واحد ، وقرآن واحد ، فاعلموا أن ليس للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها إلا أزهر واحد ، هو للشعوب الإسلامية قاطبة مصدر ثقافتها الدينية ، ومصدر لغتها العربية ، ومصدر دينها الحنيف ، ومثابة الناس في الأرض ، وأمنهم في الحفاظ على معجزة نبيهم الكبرى . كل من حوّم حوله بسوء قصمه الله قبل أن يرد ، ذلكم لأن غيرة الله على دينه الذي ارتضاه لعباده ، وغيره القائلين فيه على لغة كتاب الله الكريم ، وعلى فهم كل ما يتصل بفهم هذا الكتاب من شتى العلوم والمعارف ، قديمها وحديثها ، في صبر وجلد وفي رضا واطمئنان . كل ذلك لن يدع ظالماً يفلت ، ولن يدع مدخولاً في نفسه أوفى دينه ، لينفذ إليه بشر من بين أقطار السموات والأرض ، ليصيب كتاب الله بشيء في مكان قدسيته من قلوب المسلمين . هذا يا قوم هو منطق العقيدة السليمة ، وهو منطق الإيمان الصادق بالدين وبالوطن ، وهو منطق رجال ثورتنا يوم أن انتصروا - في ثورتهم البيضاء - على الشر والفساد ، وعلى الطغيان والاستبداد ، وعلى عبادة الشيطان والإنسان ، فحرروا البلاد من الاستعمار ، والوطن من الأشرار .

وهذا يا قوم هو سلاح الذائدين - حقاً - عن الدين والوطن . نعم « عن الدين والوطن » . ومن شب على غيرهما استوت عنده ظلمات مهده ، وظلمات لحده .

لهذا أحذركم أيها المفتونون بشيء غيركم أن تتحينوها فرصاً سانحة في « خطوة ثانية أو ثالثة » لعلها أخذ بثأر قديم ، أو شفاء لغيظ محقق ، أو إشباع لنفس شغوفة بشيء غيرها

وكم مالى عيني من شيء غيره إذا راح نحو الجرة البيض كالدمى

أنا نسائك يا قوم عن واحدة ، ثم نعظكم بواحدة .

ماذا تريدون وراء توحيد التعليم الديني والمدني بعد أن اقترحتم في كل يسر وسهولة وسائل هذا التوحيد عندكم ما نصه : ثانياً « يوضع منهج مطابق لمنهج التعليم العام في

وزارة التربية والتعليم ويفرض على المعاهد الابتدائية والثانوية الأزهرية « هذا هو توحيدكم ! فما قيمة قولكم في البند (أولا) مع البند (ثانيا) » يظل التعليم الابتدائي والثانوي جزءا من الأزهر كما هو »

هذا كلام له خبيء معناه ليست لنا عقول

أليس معنى هذا هو هدم المعاهد الدينية الإسلامية الابتدائية والثانوية في الجمهورية المصرية وما جرى على غرارها أوسيجرى في سائر العواصم والبلاد الإسلامية الشرقية والغربية ؟ وأنت الذى يحز فى قلبك يا دكتور ما لم تستطع أن تحبس عنه لسانك فتقول : « تنشئ الدولة معاهد للتعليم ، فينشئ الأزهر معاهد على نحو ما تنشئ الدولة ، وتنشئ الدرجات الجامعية ، فينشئ الأزهر الدرجات الجامعية » وتريد أن تلغى كتب البلاغة فى الأزهر بل تلغى دروس البلاغة كلها ، تلك التى بها يعرف الإيجاز والاعجاز فى القرآن ، ثم تقول : (ليدرس مكان ذلك النقد العربى ومذاهب النقد الحديثة فى الغرب) هذا هو اصلاح الأزهر فى نظر الدكتور ، وهذه هى ثقافته « الثنائية » لاهى شرقية ولاهى غربية ، لعله يريد أن يفرض نفسه فرضا على الأزهر ليدرس لطلابه مذاهب النقد الحديثة فى الغرب ، اذا تم له ما يريد لهذا المعهد التاريخى الخالد القائم على لغة الضاد ! !

أم تريد - يا معزى زمانك - بعد هذا التوحيد أن يفتى عالم الغد ، كما أفتى بعض خريجي التعليم المدنى اليوم بالاباحية المطابقة والتحلال الأخلاقى ، فتثقل من عبء الوطن الى ما يعاينه من تفكك الأسر ، وانقلاب موازين العدالة ، الى اضطراب فى العقائد ، وميوعة فى الأخلاق ، وتدهور روى بالغ أقصى غايات التحلل والانحلال ؟ ؟ .

وان لم ترد هذين الأمرين معا أو أحد هذين الأمرين ، أفتريد أن يفتى عالم الغد المصنوع من توحيدك المدخول ، أن يفتى هذا العالم فى دينه ، وفى كتاب الله ، وفى حديث رسول الله ، وفى أحوال الناس ، ومعاملات الناس ، وعبادات الناس ، وفى جميع الصلوات بين العبد والعبد ، أو بين العبد والرب ، بمثل ما يفتى به بعض خريجي التعليم العام فى الدولة الدارس جغرافية مصر بأن باني قلعة القاهرة هونابليون ؟ أو كما أفتى بعض هؤلاء من دارسى التاريخ المصرى ، أن السيد المسيح ولد ومضى عليه من الزمن خمسمائة عام منذ الميلاد ، وهو فى سنة ١٩٥٥ من الميلاد ؟ أو كما أفتى بعض هؤلاء من دارسى جغرافية القاهرة وهو مقيم فى مدينة القاهرة ، أن القناطر الخيرية مقرها أسوان ! ! وأخيرا وليس آخرا كما أفتى بعض هؤلاء من دارسى النظام الاقتصادى فى التعليم العام للدولة ، أن الزكاة انما هى نظام اقتصادى

اخترعه أبو حنيفة؟! الخ الخ . اقرأ صفحة ١٢ من جريدة الجمهورية بعددها رقم ٧١١ في ٢٧ / ١١ / ١٩٥٥

أيها المفتونون بشيء غيركم : لا أقسم عليكم بالله ، ولا بآيات الله ، ولا بشرف هذا الوطن البريء الزيه ، وإنما أستحلفكم بضمائركم ، ولكن حين تهجعون اليها أو حين تثوب هي اليكم ساعة من ليل أو من نهار ، أن تثوبوا الى رشدكم وأن تتأملوا - إذا لم تتأملوا - عظمتي لكم حين تأوون الى مضاجعكم .

وأنت أيها الدكتور يا من يقولون عنه : إنه عميد الأديين!! ، ورييس العهدين!! ، ومخضرم الثقافتين ، أراضية نفسك عما كتبت؟ أو حقاً أخذك الفرح ونشوة النصر بهراً مما كتبت؟ أو حقاً أنك تعتمد أكثر ما تعتمد على حواريك فيما كتبت؟ لقد أغمضت عينيك مراراً حينما كتبت ما كتبت ، وأغمضتهما مراراً حينما استمعت الى قراءة ما كتبت ، وأغمضتهما مراراً أيضاً حينما استعدت على سمعك قراءة ما أملت وما كتبت!! ولعلك حبست نفسك وحبست نفسك أكثر من مرة حينما أعجبت بما كتبت ، فمالك هالك أن ينهش مخزون رأيك وعقلك (نمر) من نمور الأزهر أو شبل من أشبال الأزهر ، أو أسد من أسود الأزهر ، وحتى خيل لك آخر الأمر أنها تعبئة عامة « ضد خطوطك الثانية » فيها قذائف مدمرة مرة ، وفيها حقائق حرة ، وكنت أول هذا الأمر قد فرضت نفسك على الناس فرضاً ، وأنتك الفارس المغوار ، فبك القنا الصاب والأفراس الحسان .
فأنشدت :

ومن ربط الجحاش فأن فينا قنا صلبا وأفراسا حسنا
وليس مما ينبغي أن تنسى في هذا الميدان :

وإذا ما خلا الجباب بأرض طلب الطعن وحده والنزلا
وظننت أن حماسك هذا لا يعرفه الا الآفلون ، لأنه لا يقرؤه الا الآفلون ، فتعرضت
وظننت قومك لا يعرضون (بالفتح يا دكتور) وحوّمت وظننت القوم لا يردون .

ولقد صدقت اذ صدقت ، ولا أكذبك في الأولى ، ولكن أصدقك اذ أنشدك :
أتانى أن جحش بنى كليب تعرض حول دجلة ثم هابا
فأولى أن يظل البحر يظفو بحيث يناع المء السحابا .

عن هيئة التدريس بمعهد قنا

عباس سبأ
شيخ المعهد

الأزهر يجب أن يبقى

أمران لا ثالث لهما : إما أن نكون في حاجة الى الدين فيبقى الأزهر ، وإما أن نكون في غنى عنه فنلغيه ونستريح منه .

والشيء المحقق أن الناس لا يستغنون عن رسالة السماء ، ولا يستطيعون العيش إلا في ظلال الدين ، ولا يمكنهم أن يحيوا حياة طيبة إلا إذا اتبعوا وصاياه ، واهتدوا بهداه ، وما أظن أحدا يجحد ما للإسلام من أثر في تحرير النفس ، وتنمية العقل ، وتقوية الخلق ، وإصلاح الفرد والأمة ، وتوثيق الروابط بين الناس بعضهم مع بعض ، وبينهم وبين الله جل وعلا .

وإذن فلا غنى عن الأزهر ، لأنه هو الحارس الوحيد لتعاليم الإسلام ، والقائم على نشرها وتعليمها ، والذائد عن بيضته ، والمدافع عن حوزته . فله في عنق كل مسلم دين يتقاضاه منه ، ويسأله عنه . فهو صاحب الفضل علينا فيما تعلمناه من دين ، وما استفدناه من فقه ، وما عرفناه من أحكام الصلاة ، والصوم والزكاة ، وبقية الأحكام التي شرعها الله . ولا ننسى فضل الأزهر في الحركات الوطنية ، فالزعيم أحمد عرابي قائد الثورة الأولى ، والزعيم سعد زغلول قائد الثورة الثانية ، كلاهما نبت من الأزهر ، وتغذى بعلومه ، وأثرت فيه تعاليمه الدينية ، وروحه الحماسية ، فقام كل منهما يدافع بجرأة عن أمته ، ويناضل بأخلاص في سبيل وطنه ، ويسعى جاهدا ليخلصه من ربة الذل والعبودية ، وليفك عنه القيود والأغلال .

وإذا كانت هذه الثورة الميمونة ثورة ٢٣ يوليو استمرارا وامتدادا لما سبقها من ثورات باعتراف قادتها أنفسهم ، فإنه من السهل علينا أن ندرك فضل الأزهر على مصر في كل ما أصابها من خير ، وما بلغت من مجد وسؤدد .

إننا في حاجة قصوى الى رسالة الأزهر ، فلا يمكن أن نستغنى عنه الا اذا استغنينا عن الدين ، ومعاذ الله أن نرى ذلك اليوم الذي نفرط فيه في ديننا ، ونجهز فيه على أزهرنا ، وتنكر فيه لثرائنا . لهذا يجب أن نبقي على الأزهر ، وأن نعينه على أداء وظيفته ، ولا نعوقه عنها ، واذا كنا نلحظ عليه نقصا في التعليم فليس وحده الذي أصابه الضعف ، واعتراه الوهن ، فكل نواحي الحياة عندنا في حاجة الى الإصلاح والتدعيم ، والأزهر كغيره يجب أن نكمله

مع الاحتفاظ بالغاية التي نهذف إليها من بقائه ، وهى حماية الدين ، واستظهار كتابه ، وحفظ لغته ، ونشر تعاليمه .

وهذه مهمة شاقة تحتاج الى أن يتوفر لها نفر من الأمة ، ويتخصص لها فريق منها ، خصوصاً فى هذا الوقت الذى أطلت فيه الوجودية بعنقها ، وطغت فيه المادة على كل شىء ، وظهرت فيه بوادر الكفر والألحاد ، وانتشرت فيه المبادئ الهدامة . ولا يعاب على الأزهرين أن يتخصصوا فيما تخصص فيه الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، لا يعاب عليهم أن يكونوا ورثة الأنبياء فى العلم وهداية الخلق ، فهذه هى مهمتهم الأولى والأخيرة .

اننا اليوم أحوج الى رسالة الأزهر من كل وقت مضى ، فعلىنا أن نعيد الطريق أمام الأزهرين ، ونعينهم على أداء واجبهم ، ونصون هذا المعقل الذى حفظ الدين واللغة أكثر من ألف عام .

إن فىنا من يهتم بأحياء تراثنا الفرعونى الذى يتصل بجنسنا ، فلا يصح لنا - كأمة مسلمة - أن نغفل تراثنا الدينى الذى يتصل بديننا ما

دكتور

عبد الفتاح عبد الحميد

الازهر والثورة

يا ثورة أيقظت فى مصر وسنانا	وتوجت هامها علما وعرفانا
أرست دعائمها فى كل ناحية	وبدلت مصر جنات وعمرانا
كل الطوائف تشدو اليوم تالية	آيات حمد وتزجى المدح شكرانا
والأزهريون مذ كانوا ومذ وجدوا	لا يبخلون ببذل النفس قربانا
فلا ترى ثورة تبدو طلائعها	إلا وجدتهمو شيبا وشبانا
وهذه الثورة الكبرى مذللت	كانو فداء لمذكيها وأعوانا
قام الشيوخ إلى التدريب فى لطف	كانت كتيبتهم للفخر عنوانا
وماتوانى شباب عن مفاخرها	وكلهم حرس قد خاض ميدانا
للأزهريين صولات مسدوية	كم حررت من قيود الذل أوطانا
	السباعى الشناوى
	المراقب بكلية الشريعة

تحرير الأزهر

إذا كان لرجل التحرير ما يجب أن يقوله في الضجة الصاخبة التي أثارت حول الأزهر ونظامه القائم، فإن خير ما يعرض له هو مكانة مصريين أمم العالم الاسلامي، تلك المكانة التي اقتصتها مصر بفضل الرسالة الإسلامية التي حققها رجال الأزهر في عصوره المختلفة، فكان لها هذا الفيض الغامر من التقديس والإكبار . . .

نعم ان مصر الناهضة التي حررت الآراء من الرجعية، والأفكار من الإباحية، جديرة بأن تحرر المجد الذي تسمنته، والدين الذي ارتضته، من دعاة الهدم والتعويق، والرجوع بسمعة أكبر جامعة اسلامية في العالم الى الانهيار والفناء، لاسيما في عهد (جمال عبد الناصر) واخوانه المؤمنين .

لقد ارتفعت أصوات جاحدة لمصر؛ قبل مجودها لرسالة الإسلام؛ تنادى بتقويض دعائم ارتفعت عليها صروح الزعامة الدينية للعالم الإسلامي، وما من صوت من تلك الأصوات التي ارتفعت الا وفي قلب صاحبه جرح لا يندمل من رجال الأزهر وحماة الأزهر، ففي الوقت الذي يتوسع فيه الغرب في اقامة الإرساليات، وبعث البعث، لنشر المسيحية والتبشير بها في أرجاء العالم، يفزع نفر عرّفوا بنزعهم الإلحادية لتقويض بناء قائم، ونظام شامخ لعزة مصر والأمم الإسلامية !! .

ماذا يبقى لنا اذا فقدنا أثمن درة حرصت عليها الأجيال المتعاقبة، وورثنا اياها رجال مؤمنون صدقوا ما عاهدوا الله عليه ؟ .

ماذا يبقى لنا اذا جارينا طريد الأزهر ومن لف لفه، فطمسنا هذه المعالم التي أوضحها دين مجد وأنصار دين مجد، وقنعنا بالقشور دون اللباب قناعة تطمس القلوب وتظلم العقول ؟ !
ماذا يبقى لنا إذا اندفعنا وراء هذه الآراء الجاحدة، وشغلنا بالعاجلة عن الآجلة، فمحونا المعاهد الدينية، وأدجنناها في مراحل التعليم، أو اخترنا لها أعلى مرحلة منها ؟ !
الله يا سادة . . ! فلن يكون إيمان بوطن، ولا تقديس لعقيدة، ما لم نحرر الإسلام من زيف المحدثات والبدع، وما لم نضرب على الأيدي التي تعمل في الظلام ليعود الإسلام غريبا !!!

لم يقف في وجه الطغيان والاستعمار إلا هذا البناء الذي أسس على تقوى من الله ورضوان، ولم يزل عروش الملوك الطغاة في مصر والشرق الإسلامي، ويرجعهم إلى حظيرة الاعتدال والقصد إلا شيوخ الأزهر، ولم تشتعل الثورات المؤمنة لإصلاح الأمة والملة إلا بوحى وإشعاع من اخلاص جماعة تفرغت لدراسة هذا الدين الحنيف في مبانيها القائمة الخالصة من شوائب المضللين والمرجفين وأصحاب الآراء الباطلة .

لقد لفظ الأزهر من أعمى الله بصيرتهم، وطهر نفسه وسمعته ممن أضلهم الله على علم، وأعطاهم درساً أبقي له كيانه، وحفظ عليه كرامته، بخرفتهم فتنه الدنيا، واستهواهم بهرج زينتها، ومع ما هم فيه من النعمة أو النعمة لم ينسوا حقدهم الدفين وداءهم الدوى، فأشعلوها حرباً تنقص من دينهم « ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » .

الله يا سادة . . . فبا (جمال الدين الأفغانى) ، ولا (محمد عبده) ، ولا (سعد زغلول) ولا غيرهم من حملة ألوية الإصلاح دينا ودنيا بمقرة أرواحهم لدعوة تذهب بجوهر الإصلاح الذى أرادوه، والوطن الذى أقاموه، بصرف المسلمين والمواطنين عن ملاذهم الذى اعتصموا به، ومنارهم الذى التفت قلوبهم حوله .

وأتم يا قادة الثورة . . يا من عرفتم بضوء البصيرة وصفاء السريرة، وقامت ثورتكم بتأييد من الله ونصره، فخطمت رأس الطغيان، وأزهقت الزور والبهتان، لن تتخلى عنكم رعاية الرحمن، ولن تخطئكم دوافع الإيمان، عندما تستمعون القول فتنبعون أحسنه، وتؤدون زكاة التمكين لكم فى الأرض، والإعزاز لكم فى مصر والشرق، باعزاز أهل الدين وإعلاء كلمة الله .

ان مصر والعالم الإسلامى ينظران اليكم نظرة الاكبار والاعظام، وان أمل الأجيال المتعاقبة فى الأزهر المعمور ليزداد بكم تطلعا الى آفاق فساح، تزيد الإسلام عزاً على يديكم، بأن تبنوا له فروعاً على غرارهِ ونظامهِ، فى كل بلد إسلامى وغير إسلامى، لا أن تهدموا دوره ومعاهده، وتنقضوا أسسه وقواعده، وتبقى الفاتيكاز من دهره بالبابوية، والإرساليات هاتفة بالنصرانية .

والله المسئول - حمدانه وسعدانه - أن يزيدكم هدى وبصيرة، وأن يجنبكم منال الضلال والفتنة، وأن يرد عن وطننا وديننا كيد تلك الشرذمة التى يتلى بها الاسلام فى كل زمن .

انه سميع الدعاء، ومحقق الرجاء، والسلام على من اتبع الهدى **عبر الفنى - مزمع**
سكرتير هيئة تحرير شبها الغلمة

بين الآونة والأخرى

بين الآونة والأخرى تطلع علينا بعض الصحف بمقالات وآراء لمن غرتهم زخارف المدنية الغربية ، فبعضهم يزدري الثقافة الشرقية ، وبعضهم يريد أن يتدرج لإلغاء الأزهر تحت ستار توحيد التعليم . وليست هذه الفكرة وليدة اليوم ، ولا هى بالرأى المبسك ، وإنما هى فكرة المستعمرين ، ورأى قديم كثيرا ما رددته ألسنة المبشرين ، فسرت العدوى الى هؤلاء المخدوعين ، فتغنوا به بين الحين والحين ، فنراهم كلما أحسوا من الأمة غفوة يجهرون بمثل هذه الآراء ، ظنا منهم أن الوقت قد حان لتنفيذ مكيدهم وإحكام ضرباتهم .

وفاتهم أن الأزهر - وهو مفخرة الشرق ، وكعبة العلم فى العالم الإسلامى كله - قد قام بحفظ تراث عزيز على كل مسلم ، فصان للأمة الإسلامية دينها ولغتها وكتابها من أن تمتد إليها عوامل الإهمال ومعاول الهدم والطغيان .

فيا حضرات الدكاترة والفلاسفة : ما كانت منزلة الأزهر لتهدون على الأمة المصرية والعالم الإسلامى ، حتى يقضى فيه بهذه الآراء المغرضة والأفكار الخاطئة .

وانا نرجو الله أن يحفظ الأزهر للإسلام والمسلمين ، وأن يهيئ له من يعينه على أداء رسالته فى نشر تعاليم الإسلام وحفظ لغة القرآن .

وكم كنا نود من حضرات الكتاب الذين يبتغون الإصلاح أن يوجهوا أقلامهم الى العناية بأمر الدين ، والعمل على تعليمه وتعميمه فى مدارس الحكومة وجامعاتها ، حتى نأمن على أبنائنا - الذين هم عدة المستقبل - من المبادئ الهدامة والمذاهب (الوجودية) التى يهدد انتشارها نظام المجتمع ويقوض دعائمه .

وأملنا بكبر فى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر أن يقف لهؤلاء المغرضين بالمرصاد ، والله معه وصالحو المؤمنين « ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز » .

أحمد محمد الوكيل

رئيس الغرفة التجارية بدمنهور - ورئيس جمعية المواطنة الإسلامية

تراث آبائنا دخر لنا

المتشرف بكتابة هذا المقال الصغير من الذين انطبعت قلوبهم على حب كل شيء عربي، لعقيدته أن العرب كانوا مصدرا لمدينة عظيمة، في الوقت الذي كان العالم فيه يعيش في الظلمات، فكان منهم المحاربون كالفاتح الخالد: خالد بن الوليد، وطارق بن زياد، وقد وصلوا في فتوحاتهم حتى الهند واسبانيا، ودانت لهم الدنيا شرقا وغربا، وانتشر الإسلام، في حقبة قليلة من الزمن.

ولم تقف مدينة العرب عند فتوحاتهم وغزواتهم، بل كان منهم علماء الفلك والكيمايا والطب والمؤرخون، وكل هؤلاء وأولاء قد تركوا لنا ثروة علمية وأدبية تزخر بها مؤلفاتهم وكتبهم. فإذا رجعنا مثلا إلى كتب الشريعة وجدنا أنها تحوى من المذاهب والآراء سواء في المعاملات أو العبادات ما لم يصل إليه عقل البشر في العصر الحديث.

والأثر الخالد البارز لمدينة العرب والذي سيبقى ما بقى الزمن هو الأزهر الشريف، تنو إليه الأبصار وتتجه إليه القلوب، فهو رمز أمانينا، وقبلة آمالنا، ومعقد رجائنا. منه نشأ آباؤنا وأجدادنا رضوان الله عليهم، وفيه اعتلى خطباءنا المنابر منادين باستقلال بلادنا، بل هو وحي الحرية ومهبطها للصريين فحسب بل لكل أمة تنشد الاستقلال والحرية.

منذ ألف عام أنشئ الأزهر، فسطع بنور العلم والمعرفة، واتجهت أنظار العالم إلى قبلته، ووفدت إليه الوفود، وأمه الطلاب من مشرق الأرض ومغربها. وانك لتجوس خلال أروقته فتجدها قد جمعت من كل الأجناس، أتت ساعية آخذة بأسباب العلم والمعرفة. فإذا كان العالم يتيه اليوم بهيئة الأمم، فلنا أن نزهو ونفخر بالأزهر الشريف الذي ضم بين جوانبه مختلف الأجناس، وقد جمعت بينهم وحدة الغرض ونبل القصد.

منذ ألف عام كان أزهرنا مشيدا، وكانت أوربا وغيرها غارقة في الدياجير والجهل، محرومة من نور العلم والعرفان. فإذا كان الأزهر هو تراث أجدادنا، وخير دخر لنا، فعيبي تلك الصيحة التي تنادى بأن نمسحه ونخرجه عن رسالته السامية.

وأولئك الذين ينادون بذلك ، ويجاهرون به ، ويسخرون أقلامهم في هذا السبيل ، ويدبجون المقالات لينشروها على الناس ، إنما يهدمون خير ما ورثناه عن آبائنا وأجدادنا وأسلافنا ، ولم يراعوا فيما يكتبون إلّا ولازمة ، ولا حفظاً لتراث الآباء والأقدمين .

على أن ونجه الخطأ ليس فيما تقدم فحسب ، بل إن طلاب الأزهر والمعاهد الدينية يشترط فيهم حفظ القرآن وتجويده قبل الالتحاق به ، وقد يصل السن بالصغير حتى يحفظ كتاب الله الكريم إلى الثانية عشرة من عمره ، فإذا طبقنا على هؤلاء الطلاب قوانين وزارة التربية والتعليم فيما يتعلق بالسن مثلاً ، لألزمنا هؤلاء أن يلتحقوا بالأزهر فيما بين السادسة والسابعة حيث يكون النشء طفلاً لا يعرف القراءة والكتابة ، ونتيجة لذلك لا تمضي إلا سنوات قليلة حتى يكون كتاب الله أثراً بعد عين ، وهو أمر لا يرضاه صاحب الكتاب جل جلاله وعظم شأنه .

على أن الأزهر والمعاهد الدينية لم تقف جامدة في هذا السبيل ، بل سارت الزمن ، وتطورت مع المدنية ، ففيها تدرس العلوم المدنية جنباً إلى جنب مع العلوم الدينية والشرعية الإسلامية واللغة العربية .

فيا قوم ، اتقوا الله فيما تفعلون ، واعلموا أن الله عليم بما تظهرون وما تبطنون ، والله الهادي الموفق لنا أجمعين ما

محمد بن أبو سليلب

المحامي بطانطا

أمام محاكم الاستئناف العليا ومجلس الدولة

بل الأزهريون يؤمنون بالكتاب كله

قرأت بالجمهورية الصادرة يوم ٢٧ / ١١ / ١٩٥٥ مقالا للدكتور طه حسين بعنوان :
« الخطوة الثانية وإن غضب الغاضبون » .

وسأحصر كلامي مع الدكتور في نقطتين اثنتين ، وإن كنت قرأت الكتاب كله ،
وأمنت به كما آمن به الأزهريون .

(الأولى) يقول الدكتور : قد كتبت مقالين عن هذه الخطوة الثانية لم أذكر فيها
صريحا ولا تلميحا اغلاق الأزهر ولا إلغاء التعليم الديني فيه ، ولا إلغاء التعليم الديني
في غيره من المعاهد والمدارس على اختلافها .

ونحن نقول معك يادكتور: إنك لم تقل ذلك صريحا ولا تلميحا ، ولا يستطيع غيرك
حتى الكافر الصريح أن يقول : أغلقوا الأزهر وألغوا التعليم الديني فيه وفي غيره ،
ولكنه يعمل لذلك من بعيد ، يعمل لذلك بطرق قد تخفى على الأحداث الصغار ، ولكنها
لا تخفى على الممارسين المتدربين ، وهل نادى دنلوب بإلغاء التعليم وإغلاق المدارس حين
أفسدها وجعلها لا تخرج إلا طائفة محدودة ضعيفة التعليم تكفي لصغار الوظائف ،
كما يعرف ذلك المثقفون السكار في بلدنا ، كما يعرفه الدكتور طه نفسه .

قل لي يادكتور: ما رأيك فيمن حفر بئرا في طريق يسلكه أعمى لا طريق له سواء
فتردى ذلك الأعمى في البئر ومات ؟ ما رأيك ؟ هل تقول إن هذا الحافر لم يقتل ذلك
الأعمى بيمينه ولا بشماله فلا عقاب عليه ؟ . لست أعرف ما تقول ، ولكني أعرف ما يقوله
علماء الإسلام من أن هذا الرجل الذي حفر البئر فتردى فيها الأعمى قاتل بلا ريب ، فإن
كان قد حفر البئر بقصد أن يتردى فيها ذلك الأعمى فيموت ، فإنه يكون قاتلا عمدا يقتص
منه كما يقتص من القاتل المتعمد بالرصاص أو غيره .

أنت - يادكتور في فكرتك - كحافر تلك البئر ، لم تطلب إغلاق الأزهر ولا إلغاء التعليم الديني
فيه ، ولكن تطلب ما يحقق ذلك بأجل معانيه ، فتطلب توحيد التعليم في المرحلتين الأولى

والثانية ، أى أن الطالب يتبدئ فى سن الخامسة ، ومتى يحفظ القرآن الكريم إذن ؟ وهو أصل الإسلام ومنبعه الصافى ؟

ظاهر جدا أنه لا يحفظه ، ثم يتعلم ذلك التعليم البسيط القاصر على أوليات العلوم ومبادئها ، وهل يرجى من الطالب - وقد قطع المرحلتين الأوليين على هذه البساطة - أن يلم بعد ذلك بفروع الشريعة ويكون على بينة منها ، ويحسن تفسير القرآن الكريم وهو غاية فى الدقة ، ويفهمه على وجهه الصحيح ، وهو محتاج الى التضلع فى علوم اللغة العربية والتوسع فيها وفى متن اللغة وفى علوم البلاغة ؟

إنه عند ذلك بلا ريب يخرج الأزهرى قوما كأولئك الذين يذكر عنهم السيد عميد الإمام - فى عدد الجمهورية الذى به مقالك - أنهم سئلوا عن ميلاد السيد المسيح ، فقالوا : ولد منذ خمسمائة عام ، وسئلوا عن باني القلعة ، فقالوا : بانها هو نابليون بونابرت ، وسئلوا عن الزكاة ، فقالوا : إنها نظام اقتصادى اخترعه أبوحنيفة ، وهم - كما يقول السيد عميد الإمام - مجموعة من حملة الشهادات العليا الذين أتموا تعليمهم وتخرجوا فى الجامعات ، والمفروض أنهم حصلوا على قدر كبير من التعليم ، أتريد يا دكتور أن يخرج الأزهر أمثال هؤلاء ؟ وهل عند ذلك يبقى الأزهر مفتوحا والتعليم الدينى قائما فيه ، أو أن هذا اغلاق للأزهر لا يرجى فتحه بعده ، وإلغاء للتعليم الدينى إلغاء تاما ؟ !

قل لى بربك يا دكتور ، إذا وصل التعليم الى هذا الحد بسبب توحيد التعليم الذى تطلبه هل يبقى للأزهر أثر أو للتعليم الدينى من باقية ؟ . ولعلك - عند ذلك يا دكتور - تقول : الآن يتعلم الأزهريون كما يتعلم الناس وكما ينبغى أن يتعلم الناس .

(الثانية) يقول الدكتور : إنما طبيعة الإصلاح أن يمتاز الأزهر أولا بتعليمه الدينى ، وأن يمتاز بهذا التعليم الدينى من الناحيتين العملية والعلمية ، فهى شبابيه للنهوض بالأعباء الدينية التى تحتاج اليها الحياة العامة من جهة ، وللتفرغ للبحث العلمى الخالص فى شئون الدين من جهة أخرى ، هذا النحو من الامتياز بالتعليم الدينى والاستئثار بالمناصب الدينية فى الحياة العامة لا غبار عليه ولا جدال فيه . وإنى - وأنا فى سمتى وأدبى - أسألكم الدكتور وأرجو أن يتنازل مؤقتا عن تعصبه لرأيه وعن لحاجته فى العناد ، حتى يجيب بما يحسه فى نفسه ويشعر به فى ضميره ، إنى أسأله : هل يبقى للأزهر هذا الامتياز اذا اتحد التعليم

في المرحلتين الأولى والثانية ؟ هل يبقى له هذا التفوق وتلك البراعة في الدين وعلموه ، ويستحق بمجداة أن يلى المناصب الدينية ؟

الله يشهد، والمنصفون يشهدون، أن الطالب الذى ينشأ على سطحية التفكير وعدم التعمق فيه لا يمكن - وقد نشئ هذه التذشئة - أن يكون عميقا فى فهمه ، دقيقا فى تفكيره وادراكه .

ثم استمع الى الدكتور وهو يقول : أما اذا أراد الأزهر أن يشارك شبابه فى غير هذه المناصب الدينية من الحياة العامة فحقه فى ذلك واضح لا جدال فيه ولكن ينبغى أن يسلكوا طرقها الطبيعية ، وأن يدخلوها من أبوابها المألوفة ، أى ينبغى أن يتعلموا فى معاهد الدولة (المدنية) ، وهنا أقول للدكتور - وأنا فى سمتى أيضا - : لقد عثرت يا دكتور عشرة لا لعالك منها .

أفكل ما يهيك - يا دكتور - أن يتعلم الأزهريون العلوم غير الدينية من طبيعة وكيمياء وجغرافيا بأقسامها والتاريخ بأقسامه والحساب والهندسة والخبر فى معاهد الدولة المدنية ، وعند ذلك يكون الأزهريون فى نظرك يتعلمون كما يتعلم الناس وكما ينبغى أن يتعلم الناس ، فإذا تعلموا هذه العلوم نفسها ، وأخذوها بقسط أوفر من غيرهم فى أزهرهم الشريف على نفس الأساتذة الذين يعلمونها فى المعاهد المدنية لم يكونوا فى نظرك يتعلمون كما يتعلم الناس وكما ينبغى أن يتعلم الناس .

ألا تعجبون أيها القراء أن يحدث الدكتور وهو الرجل الذكى الأريب ضجة بل فتنة من أجل أن يتعلم الأزهريون فى معاهد الحكومة المدنية العلوم التى يتعلمونها فى أزهرهم ؟ ! . ما هذا يا دكتور ؟ ما دخل المسكان فى التعليم ؟ اللهم إلا من جهة الصحة وما تبعها ، أما فى العلوم فما دخله وما ميزته ؟ كنت أحسبك يا دكتور تطلب أن تقارن بين طلاب المرحلتين الأولى والثانية فى الأزهر وبين أمثالهم من طلاب المعاهد المدنية ، وعند ذلك كنت أقول - وأنا مطمئن لما أقول - : سيظهر للدكتور التفوق الأزهرى والتوسع فى العلوم التى تدرس فى المعاهد المدنية ، ولكن الدكتور لا يعنيه المعنى العلمى ، وإنما يعنيه أن يتلقى طلاب الأزهر تلك العلوم فى المعاهد المدنية ، ليكونوا فى نظره يتعلمون كما يتعلم الناس . إنى أستحيك عذرا يا دكتور - وأنا فى سمتى - أن أقول لك فى استحياء : إنك غير موفق فى تفكيرك ، وأحسبك لا تدرك ما تقول .

وبعد ، فقد زعم الدكتور أن الازهرين لا يخيفون ولا يقلقون . لا . يادكتور ، الازهريون يخيفون ويقلقون ، بل ويقصمون الظهور ، وقد قصموا ظهرك يوم أن دخلت امتحان العالمية أمامهم ، فلم ينطق لسانك هذا الطويل المسكثار بكلمة واحدة ، وأخذوا يلقنونك إشفافا عليك ، فما كنت تستطيع أن تعيد ما يلقنونه لك ، حتى إذا انتهت من العلم الاول وقت لتستريح وتسترد أنفاسك التي غابت عنك ، وريقك الذي غار أمامهم ، طلبوك للدرس الثاني ، فأبيت كل الإباء ، ولم تستطع رجلاك أن تحملاك إليهم مرة ثانية ، ولكنهما حملناك إلى بعض الجرائد فكتبت فيها مقالا بعنوان (ساعة بين الله والعمائم) صلت فيه وجلت ، وقلت وقلت ، وكأفك حينذاك كنت تردد قول الشاعر :

عدس ما لعباد عليك إمارة أمنت وهذا تحملين طليق

ونسيت قول الشاعر :

وإذا ما خلا ... بأرض طلب أظعن وحده والنزلا

وكان أولى بك ألا تنساه .

ألا تذكر ماضيك يادكتور ، ألا تذكر أنك كنت من طلاب الازهر ، فلفظك الازهر ، أو لعلك أنت الذي لفظته ، لأن ذهنك غير مستعد لفهم علومه .

ثم أنشدت البيت الأخير في مقالك :

ومن ربط الجحاش فأن فينا قنا صلبا وأفراسا حسانا

وكان الاولى بك أن تنشده :

ومن ربط الاسود فأن فينا قنا ضجيا وأفسكارا عجافا

أسأل الله لي ولك التوفيق والهداية

محمد الطنيجي

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير عام الوعظ والإرشاد بالجمهورية المصرية

أبطال التحرير يعجدون الأزهر

كان من تجاوب رجال الثورة مع الأزهر في الدعوة الى تكوين مجتمع صالح : على أساس من الخلق الإسلامى ، والتربية الوطنية - أن تحدث أبطال التحرير : السيد ابراهيم الطحاوى السكرتير العام المساعد لهيئة التحرير ، والسيد أحمد عبد الله طعيمة السكرتير العام للنقابات والاتحادات ، والسيد حسين عبد القادر الأمين العام للصندوق بهيئة التحرير ، عن تقدير هذه الثورة للأزهر فى ماضيه وحاضره ، وعن عظيم أملهم فى مستقبله ، والتعويل عليه فى الوصول الى الأهداف التى قامت الثورة من أجلها ، والتى ستظل متجهة إليها فى عزم وجد ونشاط .

وقد أكدوا - فى أحاديثهم - أنهم انما يعبرون فى ذلك عما يكنه السيد الرئيس « جمال عبد الناصر » للأزهر ، مما هو معروف عنه ، ولا نزال نسمعه ونلمس آثاره فى كل مناسبة .

ونحن ننشر هذه الكلمات القيمة التى ألقىت فى اجتماع أساتذة الكليات والمعاهد بقاعة « مصطفى كامل » بهيئة التحرير العليا .

كلمة السيد ابراهيم الطحاوى

إخوانى .

السلام عليكم ورحمة الله .

أشكر لكم تفضلكم بالحضور فى هذه الندوة الطيبة ، كما أشكر لإخوانى الذين سبقونى فى الحديث ، واستفدنا من نصائحهم وخبرتهم الكثيرة .
وأرجو الله أن يوفقنا دائماً فى سبيل الإسلام ، وفى سبيل مصر ، وفى سبيل الثورة ، وفى سبيل الأزهر .

يا إخوانى :

إن خصوم مصر يريدون أن ينالوا من كل ما هو مصرى ، يريدون أن ينالوا من كل ما هو على أرض مصر .

وإن الاستعمار وخصوم مصر يريدون تحطيم هذا البلد ، ولن يتم تحطيمه إلا بتحطيم أركانه ، والأزهر هو الركن الروحى لهذه الأمة ، فإذا هدم روحانية مصر ، وهدمت مصر بعده .

وإذا فليس بعجيب أن يتجنّب أعداؤنا على الأزهر ، ولكن العجيب أن نتخاذل نحن ، وأن نضعف نحن ، وأن نفقد نحن الثقة .
ثم استطرد فقال :

واليوم ونحن نريد أن نبني مجتمعا قويا كريما ، فيه رجولة وفيه خلق ، نعلم عن يقين أن هذا المجتمع لا يقوم إلا على أساس روحى متين .

قد تقيم المادة دولة ، ولكن الروح هى التى تضمن النصر والخلود . إن الدول التى تبنى حياتها على المادية ستنهار ، ولن تعمر إلا الأمة التى احتفظت بروحانياتها . والمستقبل لمصر بلد الأزهر . نحن نؤمن بأن الروح باقية ، ولن يقوم بناء المجتمع إلا بروحانيات . وستسود مصر العالم عندما تتمسك بدينها وروحانياتها وكتابها .

أيها الإخوان :

يوم يتحطم الأزهر تتحطم مصر ويتحطم الإسلام . إن مصر لا تعرف فى البلاد الإسلامية إلا بالأزهر ، ويجب على الأزهر أن يعد نفسه لمعركة مريرة رهيبة ، وأن يسعى بنفسه لحماية نفسه وبلده ودينه ، ويجب على أبنائه أن يتكثروا ويتدارسوا حتى يستطيعوا أن يجابهوا الأحداث الجديدة فى أساليبها وتفكيرها .

أتم عقل هذا البلد . وأبناء الأزهر يستطيعون أن يقوموا بخدمة الإسلام فى جميع البلاد .

ويوم يقوم الأزهر برسائله سيقضى على كل دعوة مجنونة تريد أن تنال منه ومن الإسلام .

إن هناك أخطارا تحيط بكم ، تريد أن تنال منكم كمصر لا كأزهر .

إن العالم كله يخشى قيام الأمة العربية ، والأزهر هو الذى يقيمها ، لذلك يريدون أن يحطموا هذا العلم ، وهو الأزهر .

فاحرصوا على أزهركم حرصكم على حياتكم ، واحرصوا عليه بالعمل ، فإن واجبكم من أضخم الواجبات

أيها الإخوان :

نريد أن نطهر نفوسنا ، وأن نتلاقى على صفاء يغمر النفوس ، حتى نحقق لمصر وللإسلام ما نريد .

وأرجو أن نتواصى بالعمل ، لا من أجل ذواتنا ، بل من أجل مصر ، ومن أجل الثورة ، ومن أجل الأزهر .

وفقنا الله جميعا على الحق والخير ، والله أكبر والعزة لمصر ، والسلام ما

كلمة السيد احمد طعيمة

في هذه الليلة المباركة لا أعرف هل أهني نفسي أم أهنيكم بافتتاح نادى الجامع الأزهر ، إذ أنه تربطنا بالأزهر روابط الدم والروح ، ففي نفوسنا تسرى كلمة الأزهر مسرى الروح ، لأننا كمسلمين - أولا وأخيرا - نهتم به كأول معهد قام على خدمة الشريعة الإسلامية .

ولهذا فاني أتساءل : كيف يراد توحيد التعليم وإلغاء التعليم الديني ؟!! فهل وحدت الدول الأخرى التعليم وألغت التعليم الديني ؟

نريد أن نسأل أصحاب هذه الدعوة عن ذلك ، لأننا نعلم أن أكثر الدول تنفق على التعليم الديني أضعافا مضاعفة تزيد عما تنفقه في التعليم المدني ، بل إن التعليم المدني في أمريكا في مسؤولية الأفراد ، أما التعليم الديني فتتولاه الدولة بجميع إمكانياتها .

كيف يطالبون بأنهاء حصن الدين في مصر وفي الشرق .

إن المعركة معركة واضحة ، يراد بها القضاء على التعليم الديني ، وعلى هذا المركز الذي يشع نور التوحيد ، حتى يخلو الجو للدعوات المنحرفة الأخرى .

كيف يريدون منا أن نحطم هذه السكبة التي ظلت محتفظة بكيانها ، حتى في الأوقات التي وقعت فيها مصر نفسها ، وظلت تربط مصر بجميع البلاد الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها .

اننا لنسلم بهذا الحصن ، لأن التسليم به تسليم بحياتنا ، ومصريتنا ، وقوميتنا ، وقومية العرب والمسلمين . وإني - كرجل من رجال التحرير - أومن بأن الدعامة الأولى هي دعامة الدين ، وأن سدنة الدين هم رجال الأزهر . وإني - كرجل خرج من الريف ، ومن عائلة ريفية - تعلمت على يد علماء تخرجوا في الأزهر .

ولا أدري كيف يتذكر بعض الناس لمعهد خدم الدين في وقت كانت فيه الظلمات تجتاح كل مكان في الشرق والغرب .

وأدعو الله - سبحانه وتعالى - أن يوفق الرئيس (جمال عبد الناصر) لتحقيق آمالكم ، ورفع شأن الأزهر ، والسلام عليكم ورحمة الله ٥

كلمة السيد حسين عبد القادر

ان الثورة تؤمن ببقاء الأزهر لأن بقاءه بقاء لمصر ، وللعروبة ، وللإسلام ، وقد كان الأزهر الشريف هو الجامعة العربية التي تربط العرب جميعا قبل أن تنشأ الجامعة العربية الرسمية ، كما كان المؤتمر الإسلامي الذي يضم شتات المسلمين قبل أن ينشأ المؤتمر الإسلامي . ويخطئ أولئك الذين يعتبرون مصر بلدا فرعونية ، فلم يكن الفراعنة إلا عربا نشؤوا على أرض عربية هي مصر التي تعترف بالأزهر ، وتدين له بنشر الرسالة الروحية ، وجمع المسلمين حول هدف واحد ، ولئلا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله .

ومن هنا كان الأزهر هو كعبة مصر ، وكعبة العروبة ، وكعبة الإسلام ، ولن تسمح مصر وثورتها الشعبية أن ينال أحد من الأزهر أو ينتقص من شأنه . والله أكبر والعزة لمصر

مجلة معهد الاسكندرية الديني

هي مجلة سنوية ، ولكن جزء هذه السنة الذي أصدره معهد الاسكندرية الديني يغني - باتقانه ، وغزارة مادته ، وسمو أهدافه - عما لو كانت المجلة شهرية ، وقد تعودنا من حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد الصادق عرجون شيخ المعهد أن يملأ محيطه نشاطا وفضلا وحسن توجيه حيثما يكون .

وقد افتتح جزء هذه السنة الأولى من مجلة معهد الاسكندرية الديني بكلمة تحية من حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، ثم بكلمة لفضيلة وكيل الأزهر ، وأخرى لفضيلة السكرتير العام . وبعد افتتاحية التقديم بقلم فضيلة شيخ المعهد عرضت المجلة لتاريخ مشيخة علماء الاسكندرية منذ أنشئت سنة ١٣٢١ أي قبل أكثر من نصف قرن ، وختمته بقائمة لأسماء شيوخ هذا المعهد من أيام العلامة الشيخ محمد شاكر الى شيخه الحالي . يتلو ذلك بضع وأربعون مقالة بأقلام علماء هذا المعهد وطلابه . وهذا الجزء من المجلة جاء في قريب من مائتي صفحة . فشكر المعهد الاسكندرية على مجهوده العظيم .

الخطوة الثانية

وإن غضب الغاضبون

« يفعلون ذلك وهم يعلمون حق العلم أنهم يخالفون عن الحق ، ويخالفون عن أمر الدين ، ولا يعينهم إلا أن يشفوا صدورهم من صديق للأزهر يروونه له خصما . . . » .
 « وشيوخ الأزهر لا يقفون عند هذا الحد ، ولكنهم وشيوخهم التمر خاصة يورطون أنفسهم في إثم آخر لا يحببه الله ، وقد عاب به قوما لا أذكرهم هنا لأنى لا أريد أن أسوء الشيوخ ، ولكنهم يعرفونهم حق معرفتهم لأن الله يقول لهؤلاء القوم : أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض . . » .

وكم أحب أن يذكر الشيوخ ذلك البيت الذى يقرؤه فى كتب البلاغة :
 جاء شقيق عارضا رحمه ابن بنى عمك فيهم رماح
 وأن يقرءوا كذلك بلينا آخر لا يقرؤه منهم إلا الأقلون :
 ومن ربط الجحاش فأن فينا قنا صلبا وأفراسا حسانا
 عن الجمهورية فى ١٢ ربيع الآخر سنة ١٣٧٥ « من الخطوة الثانية للدكتور طه حسين »

سلوا « العميد » المرحى ، وابن بجذتها	هل عاد يبعثها فى مصر نيرانا ؟ !
ويملاً النيل من تهطاله جدلا	ويبعث « الخطوة العمياء » برهانا !!
هذا « الصديق » الذى طابت مودته	قد عاد يوقظ أحقادا وأضعفانا !!
تجرى « بخطوته » الآثام هالعة	فى موكب الإفك ، أوتنسب خلعنا
يأبها « الكاتب » الشاوى بباقة	لا تبك فى مصر أديانا وأوطانا . .
مشى على « الدار » إعصار فروعها	فابك هنالك فى « السربون » أديانا
هل خضت فى لبحج الأيام « معركة »	أم خضت فى غسق الأحداث طوفانا ؟
أثرت لحتها ، والأرض تملؤها	تلك الغياهب أرزاء وأحزاننا !!

تلك الليالى ، وسال الدمع هتانا
 بجفت تغرى هنأ فى مصر فتيانا
 كما أضل « عميد » الدار صبيانا
 وخاط « صهيون » (للاسلام) أكفانا
 وهل أقام له الأرباب ميزانا
 وإن ليل أسراراً وقيعانا

يأيها السكاتب المفتون قد ذهبت
 أغراك (بالدين) فى «السربون» طاغية
 تلك الحلوم « أضلتها أبالسة »
 خططت (للدين) فى أوطاننا جدنا
 فهل قضى « الشيخ » من أربابه وطرا
 سر بخاطر هذا الليل يكتمه

* * *

وقد هدمت له فى الأرض أركاننا ؟
 هذا النوى . . فالك فى «السربون» أو ثانا
 أضغانها . . ومشت فى مصر نيرانا . .
 فاصنع بحفك (إنجيلا) و (قرآنا)
 واحذر مع الدهر أصحابا وإخوانا
 وإن للدهر ، لو آمنت غفرانا . .

ماذا وراءك (للاسلام) من نوب
 تلك الطواغيت فى «السربون» روعها
 أذيت جذوتها فى مصر ، فاندلعت
 وما صنعت لنا فى الشرق معجزة
 واعتب على الدهر ، واحذر من مقادره
 ظننت أن سكوت الدهر مغفرة

* * *

فهل صفت لك فى الأيام أحيانا ؟
 تلك الحلوم . فبات « الشيخ » ولهانا ؟

تلك المشارع لا تصفو مشاربها
 وهل ضللت سبيل الرشد ، فاحتدمت

* * *

وصان من لجج الإلحاد (فوقانا) . .
 وشيت حوله فى الأرض أزمانا
 ففاض نورا على الدنيا وعرفانا
 فهز فى الدهر أركاننا وبنيانا . . .
 فيسمع الليل نجواها ونجوانا . . .
 تدعو الى (الدين) سادات ورعيانا
 وقد دعا الله « للتوحيد » أكوانا ؟؟

« الصرح » رد الى الفصحى بشاشتها
 و « الصرح » أعجزت الآباد آيته
 « صرح » أقيمت على التقوى دعائمه
 « صرح » بنته يد لله . . . قاهرة
 تلك المواكب . . تحدها ملائكة . .
 تمضى ، ومن خلفها الأجيال ماضية
 فأين من « دعوة التوحيد » دعوته

يأيها الكتّاب المفتون .. ما صنعت
 هل طفت (بالبيت) في خوف فملاّت
 عداوة .. لم تزل في الدهر باقية
 فارجع الى « جنة » في الأرض لاهية
 فأين « فتنتك الكبرى » فقد عصفت
 فافتح « بخطوتك الحسناء » أفئدة

بك الليالى ، وماذا صار ، أو كانا ؟
 فؤادك « السكبة العذراء » إيماننا ؟
 ولم تزل لصروف « الشيخ » عنواننا ..
 واسمع بها من فنون اللهو ألحانا ..
 بك الشكوك ، وهذا الحين قدحاننا ؟
 وافتح بها في ربوع الشرق وديانا

* * *

تلك « الثقافات » هل جفت نضارتها
 فقمت تدعو الى « التوحيد » في أدب ..
 بعثتها « فتنة عمياء » في (بلد)
 « يتيمة » من بنى قطان .. قد ولدت
 كل امرئ في الورى رهن بما صنعت
 رميت « بالخطوة العرجاء » أفئدة
 فأن (للدين) في الوادى حجابة ..
 فالكون أذن لهذا (الدين) واعية
 يأيها « الشيخ » هل ضاقت مذاهبكم
 عهد النبوات .. يا « دكتور » قد ذهبت
 ضاع الشباب ، وما ودّعت نضرتة
 هذا هو (الصرح) في أعلى مراتبه
 لا يبعث الله شعبا .. لیس يجمعه

فأصبحت بعد طول الهجر سلوانا ؟
 فهل دعوت له صبا .. وعميانا ؟
 لم تدع فيه الى (الأخلاق) شبانا !!
 فهز مولدها البسام « حطّانا » ..
 يداه ... فاسكب دموع الليل أشجانا
 وما انقيت بها في « الدار » إنسانا !!
 وإن (للدين) و (الإسلام) فرسانا
 وإن للكون أسماعا وآذانا ..
 فلم تدع في ربوع الأرض بلدانا
 أيامه ، وطوى السلاف أزمانا
 فودع اليوم ... أحلاما وأصغانا
 فأن فيه لصوت الحق (قرآنا)
 (دين) يقيم له في الأرض أركاننا

صابر على رمضان الجوينى

صدى الخطوة العاشرة

ما كاد الدكتور طه حسين ينشر مقاله الأول عما سماه « الخطوة الثانية » ، وأتبعه بثان وثالث ، حتى انبرت الأفلام تدفع هذا الشر عن مصر ، وعن العروبة والإسلام ، فاضطربنا في الشهر الماضي إلى إرجاء المواد العلمية التي كانت معدة له ، وأخذنا في نشر ما كان يحمله إلينا البريد من عشرات المقالات في تسفيهه الخطوة الثانية والدعوة إليها ، فضاق نطاق الجزء الماضي عن كل موضوع آخر ، حتى أبواب المجلة في وصف الكتب وأنباء العلوم والآداب وأحداث العالم الإسلامي .

ثم كان الأمر في هذا الشهر أشد مما كان في الشهر الماضي ، ففشرنا في موضوع الخطوة العاشرة ما استطعنا نشره ، ونشير هنا إلى طائفة أخرى كبيرة من مقالات حضرات العلماء وقادة الرأي والكتاب . فن ذلك مقالة لفضيلة الأستاذ الشيخ عياض سباق شيخ معهد قنا بعنوان « قلبها حرة صريحة تشهد لك بها يا دكتور طه » .

ومقالة للأستاذ محمود منتصر القاضي بمحكمة القاهرة بعنوان « الدفاع عن الأزهر هو دفاع عن مصر ومصلحة العروبة والإسلام » .

ومقالة للدكتور عباس فتحي الهلالي الأستاذ بجامعة الإسكندرية عنوانها « الجامع الأزهر ، تكلم فيها على تاريخه ومكانته العلمية وأنه كان قدوة الجامعات الغربية ، في دراساته وأروقته وملايسه أيضاً » .

ومقالة للأستاذ علي الدين المفتش بوزارة الشؤون الاجتماعية عنوانها « ما هذا العقوق للأزهر يا دكتور طه ؟ »

ومقالة لفضيلة الأستاذ محمد عادل الشريف أمين الفتوى في القدس والمدرس بالمسجد الأقصى عنوانها « أفتقدوا الأزهر يا حماة الإسلام » .

ومقالة للأستاذ سالم أحمد الشيتي بكالوريوس إدارة أعمال من جامعة القاهرة وعضو مجلس طنطا البلدي عنوانها « فكرة هدامة » .

ومقالة للأستاذ مصطفى حسن المحلاوي عضو مجلس مديرية الغربية ورئيس الاتحاد الإقليمي للأندية الريفية عنوانها « حول توحيد التعليم » .

ومقالة لفضيلة الأستاذ علي محمد عامر المدرس بقسم البحوث عنوانها « الدكتور طه لا يقنئ » .

- ومقالة للأستاذ محمود أحمد عمر الغرداوى عنوانها «تحسّس العصا ، وأسأل قائدك» .
- ومقالة للأستاذ محمد مصطفى القمري دبلوم معهد التربية العالى للمعلمين موجهة إلى الرئيس جمال عبد الناصر عنوانها « سيدى قائد الثورة » .
- ومقالة لفضيلة الأستاذ معوض عوض إبراهيم وأعظ بور سعيد عنوانها « الخطوة الثانية لإحدى الخطايا » .
- ومقالة للأستاذ محمود محمد بكر هلال رئيس اتحاد خريجي الأزهر ونقابة المهن التعليمية الفرعية بمديرية سوهاج عنوانها « الأزهر مظلوم » .
- وقصيدة للأستاذ على سيد عاشور المدرس بوزارة التربية والتعليم عنوانها « الأزهر فوق الجميع » .
- ومقالة للأستاذ فؤاد عبد الغنى المدرس بمدرسة سوهاج الثانوية عنوانها « رفقا بأنفسكم أيها الهدامون » .
- ومقالة ثانية للأستاذ أحمد نصار القوصى عنوانها « الدكتور طه يتملص » .
- ومقالة لفضيلة الأستاذ عبد المنعم حجاب المدرس بمعهد دسوق عنوانها « إلى الباطل دعوت » .
- ومقالة لفضيلة الأستاذ أحمد محمد أبو ظلام المدرس بمعهد منوف الدينى عنوانها « الأزهر فى ماضيه وحاضره ومستقبله » .
- ومقالة للأستاذ محمد محيى الدين مدير الجامعة الشعبية بطنطا عنوانها « الرجوع إلى الحق فضيلة » .
- ومقالة للأستاذ إبراهيم الأمير سليمان المدرس بالمعلمين العامة بسوهاج عنوانها « على هامش الخطوة المزعومة » .
- ومقالة للأستاذ محمد الضمرانى الباسكى المدرس بمدرسة شندويل الإعدادية عنوانها « الأزهر ذلك التراث الضخم الخالد » .
- ومقالة للأستاذ هاشم عبد الحى صاحب جريدة (الفيوم) عنوانها « لحساب من تثار هذه العاصفة ؟ » .
- ومضبطة استنكار من مواطنى مركز منوف عنوانها « الأزهر ملك العالم الإسلامى » .
- موجهة إلى ولاية أمور مصر وموقع عليها بنحو مائة توقيع بين مدرسين وأعيان وشيوخ البلاد وتجار ونظار زراعات وهم بمجموع ثمانى منوف والبلاد التابعة لها .

ومضبطة أخرى من عرب الجوازي بمديرية المنيا وعليها توقيعات العمدة والشيخ والاعيان ومضبطة ثالثة من أهالى طوة تباع مركز المنيا عليها عشرات التوقيعات ، وهى تفيض عطفاً وحباً للأزهر وتعلقاً برجاله واعترافاً بجميله على مصر والإسلام من ألف سنة إلى الآن .
ورسالة من الاستاذ أحمد محمد عطوه أمين توريدات مدرسة محمد على الإعدادية بالسيدة زينب تمثل عواطف المصريين جميعاً نحو أقدم جامعة إسلامية باقية على الدهر .
أما المقالات والقصائد من طلبة كليات الأزهر ومعاهده فى القاهرة والاسكندرية وسائر المديرىات المصرية فإنها أكثر من أن يحاط بها .
وإذا اتسع نطاق المجلة فى أجزائها الآتية ، قد نتخير بعض ذلك للفرش . وهو بمجموعه يعد صدى لتلك الخطوة العاشرة ، ولكل ما يراد بالإسلام من كيد وشر .

حول توحيد التعليم

السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل مدير مجلة الأزهر الغراء
السلام عليكم ورحمة الله - وبعد .

فقد قرأنا مقالات الدكتور طه حسين عن توحيد التعليم ، وقد جاء فيها أن الأزهريين لا يتعلمون كما يتعلم الناس ، وكما ينبغى أن يتعلم الناس ، ولو كان الأمر كذلك لانصرفنا بأبنائنا عن تعليمهم فى الأزهر ، ولما انتظرونا مقالة السيد الدكتور
لكن تعليم الأزهر هو التعليم المحبب إلى نفوسنا ، لأنه يقوم على دعائم الدين ، ولاصلاح لأمة إسلامية لا يتعلم أبنائها الدين .

وإننا نطالب أن يدخل التعليم الدينى كل مدرسة وكل كلية ، وأن يغزو كل قلب . وما كان أحب إلى قلوبنا من أن يكتب الدكتور وأمثاله فى الدعوة إلى ذلك ، حتى لانرى هذا التحلل المنذر بأشد الأخطار فى الجامعات المصرية ، إذ بدت فى بعض أبنائها أفكار خطيرة على الدين والدنيا .

وإننا لنأمل - فى هذا العهد السعيد الذى هو ثورة على الباطل - أن يؤيد الأزهر كل التأييد فى رسالته ، إذ رسالته هى رسالة الدين ، ونعتقد أن رسالة الثورة مستمدة من تعاليم الدين ، ولذلك أيدها رب العالمين ۞

محمد على أبو الوفا

التاجر ورئيس جمعية المحافظة على القرآن الكريم بمدينة دمنهور

التبرع الحجازى

لنشر الثقافة الإسلامية

هل حوِّله طه حسين المُنشر روايات شكسبير ؟

لمناسبة الموقف الأخير الذى وقفه الدكتور طه حسين من الازهر ومناهج التعليم الإسلامى ، لفت نظرنا فضيلة الاستاذ محمد فكرى عثمان إلى مسألة غريبة كل الغرابة ، وهى أن مبلغ عشرة الآلاف من الجنيهات التى كان قد تبرع بها فى العام الماضى الوجيه الحجازى السيد حسن الشربتلى ليفشر بها تاريخ البلاذرى وغيره من كتب الثقافة العربية والإسلامية وقدم بهذه القيمة حوالة على أحد المصارف المالية باسم الدكتور طه حسين ، ما زال الناس يتساءلون : لماذا تأخر تنفيذ ذلك إلى الآن ؟ وهل صحيح ما نشرته مجلة آخر ساعة فى العدد ١٠٦٨ ص ١١ بما يشعر بأن الدكتور طه حسين رصد هذا المبلغ لنشر اثنتى عشرة رواية من روايات شكسبير ؟ مع أن هذه الروايات سبق لآخرين ترجمتها ونشرها ، فضلا عن أن هذا المال لم يرصد لذلك ، بل رصد لنشر كتب فى الثقافة العربية الإسلامية .

وفى زيارة الأديب السعودى الاستاذ أحمد عبد الغفور عطار لقلم تحرير مجلة الازهر سألتنا عن هذه الواقعة ، فقال : إن هذا التبرع من السيد حسن الشربتلى صحيح ، وهو لتاريخ البلاذرى وغيره من كتب الثقافة الإسلامية دون غيرها ، وقد تسلم الدكتور طه حسين عشرة الآلاف من الجنيهات لهذا الغرض ، بل اشترط المحسن الكبير أن أكون أنا المشرف مع الدكتور طه حسين على تنفيذ ذلك . إلا أتنى لما حضرت إلى مصر لأشرف على العمل وجدت الدكتور طه حسين قد سافر إلى أوروبا . وقد اشترط المتبرع أن يبدأ بطبع تاريخ البلاذرى ، وإن لم يكف المبلغ للطبع أدفع من عندى بقية النفقات ، وما يفيض بعد الطبع أنسلمه لأنفق منه على طبع كتب إسلامية أخرى ، وما يجتمع بعد بيع النسخ المطبوعة تطبع به كتب إسلامية جديدة ، وهكذا . أما أن تطبع بهذا المبلغ روايات شكسبير أو غيرها من الكتب غير الإسلامية فنحن لا نوافق عليه ، ولا نسمع بأن يصرف مليم واحد من هذا التبرع على أى كتاب غير إسلامى ، مهما كان ذا قيمة أو نفاسة عند الدكتور

أو غيره ، فالمبلغ تبرع به لطبع كتب إسلامية ، واعتقد أن كتاب (فتوح البلدان) للبلاذرى لا يكلف طبعه وتحقيقه أكثر من ألفي جنيه ، وفي وسعنا أن ننفق بقية المبلغ على طبع تفسير للقرآن يكون المسلمون في حاجة إلى إحيائه أو غير ذلك من الكتب الإسلامية الجيدة .

هذا ما أفضى به إلينا الزائر الفاضل السيد أحمد عبد الغفور عطار ، وبما أن ذلك يتعلق بأمر إسلامى عام رأينا أن نشير إليه على صفحات مجلة الأزهر ، لتبين حقيقة الأمر فيسكون المسلمون على علم بمصير تبرع خرج من ذمة أخ لهم من سراة المسلمين ليوضع فيما ينفع عامة المسلمين في ثقافتهم التى تنسك لها دعاة الثقافات الأجنبية ، ووقفوا منها مواقف يؤسفنا أن يكون هذا مثالا من أمثالها ، لو صح كل ما روى لنا .

جامعيون !

روى الأستاذ محمد حسنين هيكل على لسان الأستاذ حسين عزيز الوكيل الدائم لوزارة الخارجية المصرية ، أن الوزارة أرادت تعيين ٨٩ ملحقا شابا في وزارة الخارجية ليكونوا دفعة جديدة من سفراء المستقبل ، وفي الموعد المحدد للامتحان تقدم ما يقرب من مائتى شاب ، فسئل أحدهم وهو متخرج في الجامعة وقضى بعدها سنتين في معهد عال : ما هى عاصمة سوريا ؟

فأجاب : عمان !

وسئل متخرج آخر : ما هى دول الجامعة العربية ؟

فأجاب الشاب الجامعى الذى يريد أن يعمل دبلوماسيا : — تركيا وإيران .

وسئل جامعى ثالث عن عاصمة البرازيل ، فأجاب على الفور : الأرجنتين .

وسئل جامعى رابع عن عاصمة مديرية البحيرة ، فلم يعرف ، واعتذر بأنه لا يسافر كثيرا إلى الريف .

ومع ذلك أراد طه حسين أن تكون الخطوة الثانية في الأزهر ، لافى الجامعات !

الكتاب

التعزير في الشريعة الإسلامية

للدكتور عبد العزيز عامر - ٤٨٢ ص - مطابع دار الكتاب العربي

هذا وعاء مليء علماً ، بمجهود عظيم بذله الدكتور عبد العزيز موسى عامر رئيس الدائرة العسكرية بمحكمة الجيزة الوطنية ، فألم في سبيل ذلك بكل ما وصلت اليه يده من المراجع القديمة والحديثة ، العربية منها والاجنبية ، وأحسن الفوص على دررها ، وأبدع في تنظيمها وتصنيفها ، فجاء من ذلك كتاب في هذا الفرع من فقه الشريعة الإسلامية يستحق عليه المؤلف كل ثناء . ولو أن كل عالم في هذه الامة أحياء من وقته سنة أو سنوات لتنظيم فرع من فروع هذه الشريعة الخالدة كما فعل الدكتور عبد العزيز عامر في فرع التعزير من الفقه الإسلامي لما بقيت لجاهل أو مغرض حجة في صد الامة الإسلامية عن الرجوع إلى تشريعها الاصيل الذي أحياءها العمل به في الاجيال الثلاثة الاولى من تاريخ الإسلام وأما موت وإهماله من ألف سنة إلى الآن .

ويقول المؤلف في فاتحة كتابه : « لما كنت أعتقد أن الطريق القويم إلى بعث هذا التراث الغالي ، وإلى طلوع نجمه من جديد على الكون ، حتى يأخذ بأسباب التطور ، ويسير مع الزمن ، ليصير مصدراً لكل تشريع ، هو البحث والدرس والاستقصاء ، بغية إظهار مكنون نفائس هذه الشريعة في ثوب قشيب ، وترتيب حديث ، يقرب كلياتها وجزئياتها إلى العقلية القانونية الحديثة ، فقد صبح عزمي على أن أكون من هؤلاء الجنود الذين يعملون جاهدين في سبيل هذا البعث : رغم ما يكتنف الطريق اليه من عقبات لا يحيط بها الوصف ، واخترت موضوع هذه الرسالة في الشريعة الإسلامية مستهلاً بها عملي في سبيل هذه الشريعة . ونحن نسجل على القاضى الفاضل هذا الوعد بأن يكون هذا الكتاب براعة استهلال لما بعده ، ونرجو الله أن يبارك له في وقته حتى يمضي في خدمة مصر بتعريفها بشريعتها الاصيلية التي عملت بها عصوراً ، بل إن عدالة هذه الشريعة وثمرتها في المجتمع هي التي حببتها

إلى مصر منذ عرفت الإسلام بسيرة الصحابة الذين نزلوا الفسطاط ، فنعمت بهذه الشريعة التي يقول عنها المؤلف إنها « خالدة أبدية ، من الله تعالى بها على الناس رحمة منه وفضلا ، وهو العالم بدقائقهم ، الخبير بما يصلحهم وما يضرهم ، وقد كانت من بدء الإسلام على ظهر الأرض النور الذي يضيئ سبيل المسلمين » .

وقد ختم المؤلف كتابه بخاتمة مسك أعلن فيها « أن الشريعة الإسلامية في الناحية الجنائية لا تقل عن غيرها من الشرائع ، بل هي في كثير من المواضع تمتاز بالسمو والتفوق ، ومن مبادئها العامة ما يساعد على حل كثير من مسائل الإجرام التي تحير فيها العلماء ... وليس ذلك فقط ، بل إنها تعرضت لغير ذلك من المعاصي بغية الوصول بالمجتمع الإسلامي إلى مجتمع مثالي بعيد عن الإجرام والمنكرات » .

ولمناسبة ما عرمت عليه الدولة من التوسع في دراسة الشريعة الإسلامية بقسم الليسانس وتعميم تعليمها في سنوات الدراسة الأربع بكلية الحقوق ، نقترح أن يستفاد من الدكتور عبد العزيز عامر في مثل هذه الدراسات الجامعية ليشبع رغبته من تعليم طلاب التشريع ، وليتاح له من الوقت ما يساعده على التوسع في هذه الدراسات والتأليف فيها ، نقول هذا عن غير سابق تعارف معه ، ولكن بمجهوده العلمي في هذا الكتاب ومصلحة مصر القومية هما الحامل على ذلك ، وفي طليعة أسباب النجاح لاي دولة توسيد الأمور إلى أهلها . والله الموفق .

القياس في الشرع الاسلامي

لابن تيمية وابن القيم — ١٣٢ ص — المطبعة السلفية ومكتبتها

أقام شيخ الإسلام ابن تيمية البراهين في مؤلفاته على أن نصوص الشرع الإسلامي كلها - ما يتعلق منها بأصول الدين ، وما يتعلق منها بفروعه - جاءت على وفق العقول السليمة والفطر المستقيمة ، وأن القياس الصحيح دأثر مع أوامر الشريعة ونواهيها ، فليس في الشريعة شيء يخالف القياس ولا في المنقول عن الصحابة ، فلم يشرع الله ما يناقض الميزان والعدل ، كما أنه لم يخبر الله ولا رسوله بما يناقض صريح العقل . ولما كان بعض الفقهاء قد ادعوا أن بعض النصوص ثبتت على خلاف القياس ،

فقد ألف شيخ الإسلام ابن تيمية رسالة بين فيها وجه الحق في ذلك كقولهم في « المزارعة » ، إنها ثبتت في النص على خلاف القياس لأنهم عدوها من جنس الإجارة التي يشترط فيها العلم بالعوضين ، فبين ابن تيمية أنها ليست من جنس الإجارة بل هي أكثر انطباقاً على المشاركات منها على المعاوضات ، والعلم بالعوضين غير مشترط في المشاركات . وهكذا تتبع أكثر ما قالوا انه على خلاف القياس فبين أنه قياسي .

ثم تعرض لهذا الموضوع تليذه ابن القيم في اعلام الموقعين فزاده بياناً وتوضيحاً . وكان رئيس تحرير هذه المجلة قد جمع ذلك في كتاب نشره قبل نحو ثلاثين عاماً ، ثم أعاد طبعه الآن فنلفت إليه الأنظار .

مع المجتمع

للأستاذ محمد الاسمر - ١٩٩ ص - مكتبة دار إحياء الكتب العربية

هي مجموعة وصفها كاتبها الشاعر المبدع بأنه لم يخلق فيها بين سماء الشعر ، ولم يغص فيها بين أعماق الفلسفة ، ولم يتعلق فيها بأدب يشرحه أو ينقده ، ولكنها كلمات تتضمن أشياء شاهدها فصورها ، فهي لوحات في صفحات . وهذه الكلمات أوحى بها ما يحيط بنا من شئون : بعضها من وحى الحياة ، وبعضها من وحى الحرب ، وبعضها من وحى النيل ، وبعضها من وحى الاغاني ، والبعض الآخر من وحى الدعاة .

وقلم الأستاذ الاسمر فائراً كقلبه شاعراً : بلاغة ، وغوص في عمق ، وفقد لا سيما إذا تأمل في المجتمع واستوحى سرائره ومواطن ضعفه .

إن كتابه مع المجتمع ديوان من شعر الحياة ، سيجل في مكتبات الادباء والمثقفين الى جانب ديوانه الممتع البليغ .

تاريخ العراق بين احتلالين

للعلامة الأستاذ عباس العزاوي - الجزء السابع ٣٣٢ ص - طبع بغداد

سبق لنا في المجلد الخامس والعشرين من هذه المجلة التنويه ببعض مؤلفات الأستاذ العلامة عباس العزاوي صاحب المؤلفات الكثيرة الممتعة ولا سيما فيما يتعلق بالعراق ، وقد تلقينا في هذا الشهر الجزء السابع من كتابه تاريخ العراق بين احتلالين ، وهو يلم بتاريخ العهد العثماني الثالث (من سنة ١٢٤٧ إلى سنة ١٢٨٩ هـ) أي من بدء وزارة علي رضا باشا

اللازم في العراق إلى آخر أيام مدحت باشا، وهو دور كان من هم الدولة العثمانية فيه أن تقطع دابر حكم المماليك في العراق، وأن تجعل لإدارتها في العراق إدارة مركزية مباشرة كسائر ولاياتها في الأناضول والروم أبلي، لكنها لم تفلح في هذه المحاولة ولم تحسن الإدارة، فتولدت مشاكل واستعصى الأمر وشمس الأهلون. على أن هذا العهد كان عهد انتقال متعثر، وحتى مدحت باشا كاد يحقق لولا همته ومواهبه وتساوله.

وصديقنا الأستاذ العزاوي واسع الاطلاع، عميق الدراسة، غنية مكتبته بالمراجع والمستندات، وكتابه (تاريخ العراق بين احتلالين) من أنفس مؤلفاتنا العربية في هذا العصر، وقد بلغ إلى الآن سبعة مجلدات ولما يتم، وهو مزين بالصور وبعضها صور أثرية مهمة، وألحق به فهارس عديدة وتعليقات ومستدركات. فزجوا له من الله دوام التوفيق في خدمة الثقافة العربية الإسلامية.

عشائر العراق

للأستاذ المحقق عباس العزاوي - الجزء الثالث ٣٣٨ ص - طبع بغداد

وهذا مؤلف آخر نفيس المؤلف الكبير الأستاذ عباس العزاوي المحامي، وقد صدر منه الجزء الثالث عن عشائر أهل الأرياف في العراق وهي العشائر الزبيدية والطائية وأحوالها وأنسابها والعشائر الملحقة بها والتي تساكنها. أما الجزعان الأولان من الكتاب فأحدهما عن عشائر العراق البدوية، والآخر عن عشائر الأكراد في الشمال.

وكان موضوع القبائل العربية وأنسابها وبيان نظامها الاجتماعي من أهم ما عني به أسلافنا وألفوا فيه الكتب الممتعة، فلما جاءت عصور الانحطاط زهدنا في مواصلة هذه الدراسة، بل زهدنا في الكتب القديمة التي ألقت فيها، فضاء كثير منها وانتقلت بقيته إلى مكاتب الغرب، إلى أن دبت فينا روح النهضة بين الحريين العالميتين، فأخذ بعض علمائنا وأفاضلنا في سد هذه الثغرة، وفي طليعتهم الأستاذ العزاوي فأصدر حتى الآن عن عشائر العراق هذا الكتاب في ثلاثة مجلدات ووعد بإصدار مجلد رابع، وقد خدم بكتابه التاريخ، والمجتمع المعاصر، وساعد على وصل الحاضر بالماضي. وهذا الجزء كسائر كتب الأستاذ العزاوي مزين بالصور وملحق به فهارس متقنة. جزاه الله خيراً.

الأدب والعلوم

أزهريون

لقيادة الفرق الكشفية

دربت جمعية الكشفية المصرية ٥٥ مدرساً من مدرسى الأزهر لإعدادهم قادة للفرق الكشفية التي أنشئت في كليات الأزهر والمعاهد الدينية الإسلامية .

وعادت فدربت ٦٠ من قادة الكشف وهي تعد لهم معسكراً تدريبياً .

الثقافة الإسلامية

في نيجيريا والصومال

اعتمدت السكرتيرية العامة للمؤتمر الإسلامي النفقات اللازمة لإنشاء ثلاثة مراكز للثقافة الإسلامية في نيجيريا ، وستة مراكز في الصومال . ورح القاهرة إلى الصومال ثلاثون معلماً لبدء نشاط هذه المراكز ، وسيكون في كل مركز مكتبة وقاعة للمحاضرات والسينما والموسيقى ، على غرار المراكز التي أنشأها المؤتمر الإسلامي في أندونيسيا والملايو ، ويتبع كل مركز مدارس ابتدائية وثانوية ، وكلية للمعلمين .

مكتبة المدينة المنورة

في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم عدة مكتبات أهمها مكتبة عارف حكمة الشهيرة . ولما تم بناء المسجد النبوي وتجديده رأى جلالة الملك سعود أن من تمام هذا العمل وكاله أن تجمع الكتب التي كانت موزعة في مكتبات المدينة ويُنشأ منها مكتبة عامة جديدة على الطراز الحديث ، وتقام لها عمارة في الجهة الجنوبية من المسجد النبوي ، وستكون فيها قاعات مطالعة وتنظم على أحدث النظم المتبعة في دور الكتب .

منظار فلكي عالمي

في (أم الریحات) بصحراء السويس كانت جامعة القاهرة قد تعاقدت مع إحدى الشركات العالمية على صنع منظار فلكي عالمي كبير وقبة معدنية خاصة به . وقد تم الآن صنع هذا المنظار وإعداده ، فقرر مجلس الوزراء إقامته في منطقة (أم الریحات) بصحراء السويس . واتصل وزير التربية والتعليم بوزير الشؤون البلدية والقروية للتنبيه على مصلحة المباني بإنشاء المباني اللازمة لإقامة هذا المنظار وقبته .

المعهد الأزهرى للبنات

تألفت لجنة من صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبد اللطيف السبكى مدير التفتيش رئيساً ومن السيد صالح الريدى المشرف العام على جمعيات المحافظة على القرآن الكريم ، والسيدة كريمة السعيد ، وأحد مفتشى وزارة التربية والتعليم أعضاء ، لوضع مناهج الدراسة في معهد الفتيات الدينى الجديد ، وقد زودت هذه اللجنة بالاسس التى تقوم عليها هذه المناهج ، ويُنْتَظَر أن تنهى اللجنة من عملها ورقعه إلى مشيخة الأزهر .

طبع القرآن للمكفوفين بطريقة بريل

بدأت الآن فى مصر تجارب لطبع القرآن للمكفوفين بطريقة بريل ، ويشرف على الطبع الخبير العالمى الكندى وهو رئيس معهد المكفوفين فى كندا ، وهو نفسه من المكفوفين ويتولى الاهتمام بمصالح المكفوفين فى جميع أنحاء العالم . وسيتم طبع القرآن الحكيم بطريقة بريل فى معهد تأهيل العميان فى الزيتون .

النقطة الرابعة

إلغاء مشروعاتها لتربية الأساسية بمصر
تقرر إلغاء مشروعات التربية الأساسية
لنقطة الرابعة فى مصر ، وحدد لخبراء النقطة الرابعة موعد أقصاه يوم ٢٧ ديسمبر لإنهاء

أعمالهم فى بلاد الجمهورية المصرية ، وستتولى إدارة التربية الأساسية فى وزارة التربية والتعليم القيام بهذه المشروعات وحدها .

مركز الثقافة المصرى

فى طرابلس الغرب

طار الصاغ كمال الدين حسين - وزير التربية والتعليم - إلى طرابلس الغرب فافتتح مركز الثقافة المصرى فيها ، وقد استقبل هناك بحفاوة تليق بالروابط الوثيقة بين البلدين العربيين المتجاورين . وقد حضر افتتاح مركز الثقافة المصرى عدد كبير من رجال الدولة والاعيان والسفراء ، وألقى الوزير المصرى كلمة نوه فيها بالعلاقات الاخوية بين ليبيا ومصر منذ أقدم العصور وأهمية دعم التعاون الثقافى بينهما بعد نيل حريتهما .

وقد زار وزير التربية والتعليم بعض المدارس فى طرابلس ، وزار الآثار فى غرب البلد ، ثم عاد إلى مصر موفقاً من هذه الرحلة الثقافية الميمونة .

مكتبات الفصول

كتبت إدارة المكتبات المدرسية بوزارة التربية والتعليم إلى المدارس تطلب إليها تنفيذ قرار لجنة وكلاء الوزارة الخاصة بأن يقتصر فى المدارس الابتدائية على مكتبات الفصل

بأن المؤتمر الإسلامي بالقاهرة قرر إنشاء مركز ثقافي في مدينة القدس يضاهي أكبر المراكز الثقافية التي أنشئت حتى الآن، وقد خصص لذلك ربع مليون جنيه .

مذكرات

عن الحروب الصليبية

تبحث اللجنة الثقافية للدول العربية مشروعا بترجمة المذكرات التي كتبها مؤلفون أجنبى شاهدوا الحروب الصليبية وكتبوا مذكراتهم باللغات اللاتينية والفرنسية والسريانية واليونانية، والرسائل التي كتبها الذين اشتركوا في هذه الحروب إلى ذويهم .

وظاهر من هذا البيان الذى نشرته إحدى صحف الصباح اليومية أن الذين كتبوا هذه المذكرات كلهم من الجانب الآخر أى الجانب الصليبي، وقد كانوا جميعا في عصر الحروب الصليبية متشبعين بالروح الصليبية، وكان ينبغي للذين تقدموا بهذا الاقتراح أن يوازنوا بين مصلحة العرب والمسلمين من هذا العمل وبين ما يلحقهما منه من ضرر، وإن الأموال العربية التي في أمانة جامعة الدول العربية يجب أن تصرف في خير من ذلك . وعسى أن لا يكون لهذا المشروع غير المشروع علاقة بتبرع السيد الشربتلى المحسن الحجازى .

في جميع الفرق . أما في المدارس الإعدادية والثانوية فتسكون بكل منها مكتبة للمدرسة إلى جانب مكتبة الفصل .

وقد وضعت إدارة المكتبات قصما لدولاب مكتبة الفصل روعى فيه الاقتصاد والوفاء بالحاجة ، على أن يعمم في مكتبات الفصول .

ولوحظ أن في مخازن وزارة التربية والتعاليم كتباً من مخططات مقررات السنين الماضية ، وهى مجموعات من كتاب (كلية ودمنة) و (المنتخب من أدب العرب) وقصص انجليزية وفرنسية وغير ذلك ، فاقترح السيد الوزير الاستفادة من هذه الكتب بتوزيعها على مكاتب الفصول .

معرض إسلامى فى الصين

احتفل في بكين بافتتاح أول معهد دينى إسلامى فى الصين ، ويستغرق برنامج الدراسة أربع سنوات ، وتلقى فيه المحاضرات باللغة العربية . وقد التحق فيه هذا العام ١٠٩ من الطلبة .

مركز ثقافى مصرى

فى بيت المقدس

عند زيارة القائمقام السيد أورد السادات مقر الهيئة العلمية الإسلامية فى القدس صرح

إنباء العلم والسياسة

أن أبلغكم وصول الأسلحة التشيكوسلوفاكية إلى مصر . ومصانع الأسلحة المصرية تنتج الآن طائرات للتدريب وذخائر ثقيلة .

العرب يحذرون أمريكا

لأول مرة في تاريخ الدبلوماسية العربية توجه وفد من ثمانية سفراء من العرب إلى وزارة الخارجية الأمريكية ، وعقدوا مع مستر دالاس اجتماعاً هاماً حذروه فيه من تقديم أية شحنة من الأسلحة لإسرائيل ، أو عقد ميثاق ضمان معها ، وأن هذا العمل يسمى إلى العلاقات بين الأوطان العربية وأمريكا ، ويقضى على كل أمل في إقرار السلام في الشرق الأوسط ، وأن إسرائيل كلما شعرت بقوة تأييد أمريكا لها يزداد عدوانها ، وهذا مما يحتمل أن تفقده أمريكا كل احترام لها في العالم العربي .

قضية اللاجئين العرب

نوقشت مشكلة اللاجئين العرب في اللجنة السياسية الخاصة التابعة للجمعية العامة للأمم المتحدة ، فأعلنت مصر بلسان رئيس وفد

الجيش السوري

كما رآه اللواء عبد الحكيم عامر

زار سوريا أخيراً اللواء عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المصرية والسورية المشتركة ، وقام بتنظيم القيادة المشتركة التي نص عليها الاتفاق الثنائي بين الجمهوريتين الشقيقتين مصر وسوريا .

وعقد اللواء عبد الحكيم عامر مؤتمراً صحفياً بدمشق تحدث فيه عن زيارته لمختلف وحدات الجيش السوري ، والمهمة الوطنية الكبرى التي اضطلع بها الجيش المصري السوري الموحد للدفاع عن كيان الأمة العربية . ونوه القائد العام في حديثه بالصفات التي يتمتع بها الجيش السوري ، وهي صفات لا يضاهيها في قوتها إلا الروح المعنوية العالية . وأعرب عن إعجابه الشديد بالفدائيين السوريين ، وروح التضحية التي يمتازون بها .

وبما قاله : إن القيادة الامامية للقوات المصرية السورية المشتركة ستكون في دمشق وفي وسع الجيشين الحصول على ما يلزمهما من السلاح والعتاد . ومن دواعي السرور

موعد وصول مولاي محمد بن يوسف ملك المغرب الشرعى إلى عاصمة ملكه، بعد أن فشل الاستعمار فيما نصبه له ولبلاده من كيد. وان نحو نصف مليون من قبائل البربر انجهوا نحو مدينة (رباط الفتح) ليشتركوا في شرف استقباله، فنزلوا بخيامهم حول المدينة، واستقبلوا سلطانهم استقبال الفاتحين. وقد مر السلطان بين صفوف خيامهم مسافة طولها ١٢ كيلو متراً من المطار القريب من رباط الفتح إلى القصر المسمى فيها، وبذلك أثبت العنصر البربرى من رعايا السلطان محمد بن يوسف أنهم ليسوا أتباع أحد سوى السلطان الشرعى للبلاد.

وقد زاد عدد الشعب المحتشد في شوارع مدينة رباط الفتح على مليون نسمة من المحتفلين بعودة السلطان، وكان الفرسان على صهوات جيادهم يطلقون الرصاص من بنادقهم في الهواء تحية للسلطان العائد من منفاه. وما كادت سيارة السلطان تخرج من المطار إلى الطريق حتى قوبلت بمزيج من التهتافات والتصفيق وطلقات الرصاص من البنادق. وكان جلالة يحى الشعب المحتشد على يمين الطريق ويساره يديه والتأثر باد بوضوح على وجهه. وكان موكب السيارات والموتوسيكلات والفرسان يضطر مراراً إلى التوقف بسبب ازدحام الشعب في استقبال مليكه.

في الأمم المتحدة أنها ان تخضع للعدوان، وحذرت أمريكا مغبة تقديمها أية معونة للصهيونيين، وأكدت أن تأييد الصهيونيين المعتدين يهدد السلام، ويجب أن تكون القوة في خدمة الحق، ثم ناشد رئيس الوفد المصرى الضمير العالمى أن يعمل لوقف عدوان الصهيونية على العرب، ولا نقاذ اللاجئين الفلسطينيين مما حاق بهم من بؤس وشقاء نتيجة للجريمة التى ارتكبت ضدهم، بل ضد حقوق الإنسان ومبادئ العدالة.

ورفضت الوفود العربية مشروع القرار الأمريكى البريطانى التركى بمناشدة الجمعيات الدينية والخيرية مساعدة اللاجئين، وطالبت بتوكيد حقهم في العودة إلى ديارهم. واقترح مندوب سوريا استفتاءهم. وأيدت الكتلة السوفيتية مطالب للعرب.

ومما قاله رئيس الوفد المصرى: إننا نواجه أقلية شريرة أعماها التعصب وتسندها عناصر ذات نفوذ في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ببعض الدول الكبرى، وقد نجحت هذه الأقلية في مؤامرتها الخبيثة التى ستظل سبة لهذا القرن.

عودة سلطان المغرب

مولاي محمد بن يوسف إلى عرشه

كان يوم غرة ربيع الآخر (١٦ نوفمبر)

مدفوعة تماماً من مصر لفرنسا . وتشمل مدافع الهاون وبعض الدبابات الخفيفة والطائرات النفاثة من طراز ميستير .

أ كبر خطأ ارتكبته بريطانيا

بعثت الدكتوراة مود رايدن من كبار زعميات الحركة الدينية في بريطانيا ومؤلفة كتاب (مشكلة فلسطين) رسالة إلى جريدة ديل تلغراف قالت فيها : إن الخطأ الجوهري في مسألة فلسطين هو قيام دولة إسرائيلية . إننا عند ما سمحنا لأنفسنا بإنشاء وطن قومي لليهود بمقتضى وعد بلفور أعطينا لغيرنا ما لا نملكه .

مساجد يافا وعكا

من المساجد الإسلامية التي انتهكت لإسرائيل حرمتها مسجد الجزار في عكا فحولته إلى ثكنة عسكرية ، وإن جنود إسرائيل تدنس الآن هذا البيت من بيوت الله على مرأى ومسمع من سدنة حضارة القرن العشرين .

وفي يافا مدت إسرائيل يدها الأثيمة إلى مسجد حسن بك وهو من أحدث وأجل مساجد ذلك الثغر الفلسطيني ، فتحول هذا المسجد إلى ملهى ، وسدنة الحضارة الغربية في واشنطن ولندن يتعمدون عن ذلك ولا ينبسون ببنت شفة .

تري بماذا يقابل المسلمون هذا البغي عملاً بقاعدة « المعاملة بالمثل » ؟

وكان الناس يكون فرحاً بهزيمة الباطل ورجوع الحق ، مستبشرين بأن الله سيتم نعمته بزوَال الاستعمار عن هذا الوطن الإسلامي العريق بأصالة ومجده وما ذلك على الله بعزيز .

٢٠٠٠ جنيه

من الأزهر لتسليح الجيش

تبرع الأزهر مرة ثانية بمبلغ ٢٠٠٠ جنيه مصري لتسليح جيش الجمهورية المصرية، وكتب بذلك حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر شيكا سلمه للأستاذ صلاح الشاهد تشريفاتى الرئاسة .

سوريا والمملكة السعودية

وقع وزير المالية والاقتصاد الوطنى السعودى ووزير الاقتصاد الوطنى السورى اتفاق قرض بمبلغ عشرة ملايين دولار ، وتسلمت سوريا القسط الأول من هذا القرض وقيمته أربعة ملايين دولار .

كما وقع الوزيران اتفاقاً تجارياً يتضمن تبادل حاصلات البلدين الزراعية والحيوانية معفاة من الرسوم الجمركية ، وتبادل بعض المنتجات الصناعية معفاة من الرسوم الجمركية أيضاً .

السلاح الفونسى لمصر

قال ناطق بلسان وزارة الخارجية الفرنسية إن الحكومة الفرنسية قررت تنفيذ اتفاقيات شحن الأسلحة إلى مصر . وتبلغ قيمة هذه العقود حوالى عشرة ملايين من الدولارات

الفهرس

صفحة

الموضوع

بقلم

الاسلام دين ودنيا	فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر
٤٦٥	الثقافات الأجنبية استعمار عقلى والدعاة إليها ط بورخامس الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٤٧٢	نفحات القرآن : من أساليب التربية
٤٧٦	السنة : خاتم النبيين - ٢ -
٤٨١	صور خالدة من صدر الاسلام
٤٨٦	حديث الغرور في القرآن
٤٩٢	من نوادر المخطوطات : توجيه العم لابن الجباز
٤٩٥	وجوب التصحيح في من حديث صحيح
٤٩٩	نظام الملك الطوسي
٥٠٧	شريعتنا
٥٠٩	موقف الاسلام من السلم والحرب
٥١٤	لغويات
٥١٨	طه حسين وابنه «كلود»
٥١٩	أسرار الشريعة الاسلامية في بدء الشهر الشرعى
٥٢٤	الاسلام والمجتمع
٥٣٤	كلمة فضيلة الأستاذ الأكبر في جمعية المحافظة على القرآن الكريم بدمهور
٥٣٧	نصيحة أبوية لفضيلة الأستاذ الأكبر في احتفال معهد بدمهور باستقبال فضيلته
٥٣٨	كمية للمسلمين الثانية
٥٤٠	خطوة ثانية في اتجاه عكسى
٥٤٤	سيصل اليكم مسلمون من بلاد الأزهر
٥٤٦	عقدة نفسية
٥٤٨	اتقوا الله في الأزهر أيها المفتونون
٥٥١	الأزهر يجب أن يبقى
٥٥٢	الأزهر وللثورة
٥٥٣	تحرير الأزهر
٥٥٥	بين الآونة والأخرى
٥٥٦	ترات آباثنا ذخرن لنا
٥٥٨	بل الأزهريون يؤمنون بالكتاب كله
٥٦٢	أبطال التحرير يعبدون الأزهر
٥٦٦	الخطوة الثانية وإن غضب الفاضلون
٥٦٩	صدي الخطوة العائرة
٥٧٢	طه حسين والتبزع الحجازى لنفس الثقافة الاسلامية
٥٧٤	الكتب والأدب والعلوم وأنباء العالم الاسلامى
	(المجلة)
	(المجلة)
	()

مدير المجلة
عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

للعنوان

إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهري

مجلة شهرية بجامعة

تصدر عن شيخ الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي

في وادي النيل	٤٠٠
لطلبة وادي النيل	٤٠٠
للعلماء والمدرسين بالأزهر	٣٠٠
خارج البلاد	٥٠٠
لطلبة خارج البلاد	٣٠٠
للعلماء والمدرسين خارج البلاد	٤٠٠

الجزء السادس - القاهرة في غرة جمادى الآخرة ١٣٧٥ - ١٤ يناير ١٩٥٦ - المجلد السابع والعشرون

المكتبة الأزهرية

بسم الله الرحمن الرحيم

التعليم في مصر

موصول ردىء لروح الثورة

هكذا يقول السائر الشاب الصباغ كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم في مصر . وقد أصدر حكمه هذا على التعليم في مصر بعد تجربة باشرها وراقب أعراضها ، وبعد زيارات مفاجئة كان يقوم بها لمختلف المناطق والمدارس ، لا ليقف على مدى الأخطاء والإهمال ، فهذا من عمل المفكرين ، بل ليعلم كيف تنفذ السياسة التعليمية التي ترسمها الوزارة ، وإلى أى حد تستجيب المدارس للتوجيهات التي تتلقاها من حين إلى آخر .

ولما قال وزير التربية والتعليم إن التعليم في مصر موصول ردىء لروح الثورة ، أعلن الحقيقة التي توصل هو إليها ، كما يصف الطبيب أعراض المرض في المريض الذي يتصدى لمعالجته . لكنه لم يذكر الأسباب التي نشأت عنها هذه الأعراض ، ولعله ترك ذلك للمفكرين والباحثين ، ليدل كل واحد منهم برأيه من الزاوية التي ينظر منها .

وفي رأي أن هذه المسألة يجب أن تعالج بوسائل أعمق من التوجيهات التي يشكو الوزير من ضعف الاستجابة لها ، وبسياسة أعم وأوسع من السياسة التعليمية التي ترسمها الوزارة للمدارس والقائمين عليها بين الحين والحين وقبلما يظهر أثرها في مجال التنفيذ .

وأول ما يجب أن تعالج به طريقة التعليم في مصر ، أن يعلم المعلمون لماذا يعلمون والمتعلمون لماذا يتعلمون ، بعد أن اقتنعوا — أبا عن جد — منذ رسم دانلوب لوزارة المعارف خططها ، أن مدارس وزارة المعارف فتحت للذين يتعلمون فيها ليتخرجوا موظفين في حكومة يشرف عليها الاستعمار . وكما كانت الحكومة تقتنى في دواوينها ومصالحها آلات كتابة توصى عليها من المصانع التي تصنعها ، فأنها كانت تقتنى موظفين كالآلات الكتابة تتلقاهم من مصانع وزارة المعارف التي كانوا يسمونها مدارس . فهذه الأفواج من التلاميذ والطلبة الذين تموج بهم فصول المدارس المصرية والجامعات المصرية لم يتعودوا دخول المدارس والجامعات لتكون لهم معارف ومدارك وعقول تتجاوب مع الحق والخير ، وتستجيب لدعوة الحق والخير ، بل تعودوا أن يدخلوا هذه المعاهد ليحصلوا منها — بأية وسيلة من الوسائل — على شهادات تؤهلهم لطلب العيش من خزانة الدولة ، وعلى الدولة أن ترسم لنفسها خططها ، مهما كانت هذه الخطط ، والموظفون الحاصلون على تلك المؤهلات يقومون بنصيبهم من تنفيذ تلك الخطط ، كما تقوم الآلات الكتابة بعملها إذا حركها محرك ، ثم تصمت وتسكن ما تركت على مكاتبها غير متصلة الأزرار بالأصابع التي تحركها .

كانت وظيفة معاهد التعليم فيما مضى تخريج هذا النوع من حملة الشهادات ، وكان طلاب التعليم يتعلمون على هذه النية ولهذا الغاية ، ولا يعرفون سببا لطلب العلم إلا هذا السبب . وهذه الطريقة — كما ترى — تقود المتعلمين والمتخرجين وأصحاب المؤهلات إلى أن يعيشوا لأنفسهم أولا وآخرا ، ولذلك تعلموا . وإن لهم كل العذر في ذلك ، لأن سياسة التعليم في مصر كانت قائمة على هذا الأساس .

ومن غير المعقول أن يكون ألاف المتعلمين والمتخرجين كلهم هكذا ، بل لا بد أن يكون فيهم من هم في مستوى أعلى من ذلك ، غير أن الحكم يكون دائما على الأعم الأغلب ، والأعم الأغلب هو الذي نعرفه جميعا .

ولكن الحالة اليوم في مصر غير الحالة التي كانت يوم رسم دانلوب تلك السياسة لمدارس الدولة . فقد كانت مصر أيام دانلوب أمة محتلة بالاستعمار ، وهي اليوم أمة تتكون لتستعمل معارفها ومواهبها وإمكاناتها في النهوض إلى مستوى العزة والقوة . وفي مصر الآن من مدارس المرحلة الابتدائية أكثر من عدد التلاميذ الذين كانوا ينجحون في امتحان الشهادة

الابتدائية أيام دانلوب ، أى ان عندنا الآن مدرسة في مقابل كل تلميذ كان يتم التعليم الابتدائي . وفي مصر الآن من مدارس المرحلة الثانوية ما يعادل عدد ما كان يومئذ من مدارس المرحلة الابتدائية . وصارت نسبة عدد الطلبة الجامعيين عندنا أعلى من نسبتهم في أية أمة من أمم الأرض . فهل زدنا عدد المدارس ، وارتفعت عندنا نسبة الطلبة الجامعيين إلى هذا الحد ، لنحشر كل من يحمل شهادة في وظيفة من وظائف الدولة ؟ وهل يتعلم المتعلمون ليكونوا كلهم موظفين ؟

كان في مدينة السويس - مثلاً - مدرسة ابتدائية واحدة أيام دانلوب ، وكان كل من يحصل منها على الشهادة الابتدائية يوظف فوراً بوظيفة كتابية في محافظة السويس . فهل بعد أن أصبح في كل حي من أحياء السويس مدرسة ابتدائية ، تستطيع محافظة السويس أن تضمن فيها وظيفة كتابية لكل من يكمل دراسة المرحلة الابتدائية هناك ؟

إن ميزانية الجمهورية المصرية لن يكون في طاقتها أن تعول هذا الجيش العظيم من الذين دخلوا المدارس والجامعات بالنية التي كان يدخل بها أسلافهم تلك المدارس ، وهى أن يحصلوا على المؤهل الذى يضمن لهم العيش في الوظائف الحكومية . ولا أقول هذا لأصد الشباب عن أن يتعلموا ، ولكنى أقوله لتتساءل حكومتنا ، ولتتساءل هؤلاء الشباب عند إقبالهم على المدارس والجامعات : لماذا يتعلمون ؟

نحن الآن في ثورة ، والثورة تتناول الإصلاح في جميع الميادين : الميادين الرسمية في نطاقها الضيق ، والميادين الشعبية من اقتصادية وعمرانية وصناعية في نطاقها الواسع . فالشباب يجب أن يتعلموا ليؤهلوا أنفسهم للاضطلاع بميادين النشاط الشعبي ، فتتولد أيدي المتعلمين تعلماء ملائمة لميادين هذا النشاط ، بعد أن كان غير المتعلمين يتعثرون في مجارة الأغيار الذين أهلتهم مؤهلاتهم للفوز في هذه الميادين .

يجب أن نتعلم العلم للعلم ، لا للوظائف . ويجب أن تتحول مدارسنا وجامعاتنا من معاهد لإعداد موظفين ، إلى معاهد لتخريج علماء يعيشون للعلم ومواصلة التزود منه والسهر عليه ، ليعيشوا بمعارفهم وكفاءتهم عيشة أكرم وأنفع . والذى يتعلم العلم للعلم يصبح العلم متعته ولذته الدائمة من المهد إلى اللحد . وهذا سبيل التخصص ، وسبيل التعمق ، وسبيل النبوغ . فيكون صاحبه مرجعاً في فنه لكل من يحتاج إلى ذلك الفن في توسيع

دائرة التقدم العلمى للحصول على ثمراته العملية فى النهضة التى نحن مقبلون عليها فى ثورتنا ، وفى تجديدنا ، وفى الإصلاح الذى نتعاون عليه . وهذا الذى تعلم العلم للعلم حتى صار ذلك الرجل المتخصص المتعمق ، سيضن بعلمه عن أن يجعله سلعة تباع لغيره ، فيقوم هو باستغلال هذا العلم وتحويله إلى عمل منتج . وحتى لو أراد أن يجعل علمه فى خدمة غيره فإن أصحاب المصالح سيتزاحمون على الاتصال به ، وعلى إغرائه بالتعاون معهم ، فيعتبر فى وطنه رأساً مفكراً ، بينما يكون غيره من المتعلمين للوظيفة أشبه بالآلة السكتية التى لا تتحرك إلا بأصابع من يحركها . وهذا النوع من متعلمى العلم للعلم هم الذين فيهم قابلية التجاوب ، فإذا تولوا الأعمال لوزارة التربية والتعليم أو لغيرها تجاوبوا معها وسابقوها فى تحقيق وسائل التقدم والإصلاح .

فالتعليم فى مصر يجب أن يتحول عن الطريق الذى رسمه دانلوب للمدارس المصرية من أدائها إلى أعلاها ، وأن نرسم لجميع معاهد العلم طريقاً يسير روح الثورة ، فيعلم المقبلون على المدارس والجامعات لماذا يقبلون عليها ، ولماذا يتعلمون . بل يعلم المقبلون على المدارس والجامعات أن وظائف الحكومة لا تتسع لهم بعد اليوم ، وأن الذين تتسع الوظائف لهم هم الأسوأ حظاً من الذين تعلموا للعلم حتى صاروا فيه من أهل التخصص والتعمق وساروا فى طريق النبوغ .

الثورة تهدف إلى تكوين مصر تكونينا جديداً قوياً فى جميع ميادين النشاط ، وهذه الميادين تحتاج إلى أيدى شباب حاذقين فيما يلزم لها من عمل منتج ، فالمدارس يجب أن توفر الكفاءة لذلك فى تلاميذها وطلابها ، والحصول على الكفاءة والحذق فى ذلك لا يكون إلا بأن يكون تعلم العلم للعلم ، وأن يكون طلب العلم والتزود منه والتوسع فيه من المهد إلى اللحد . فالعلاج يجب أن يكون من هذه الناحية ، وهو علاج أساسى إذا اضطلعت به الثورة حصل من ورائه التجاوب معها . وكان ذلك رأس الإصلاح وعموده وله ما بعده .

ويوم نعقد عزائمتنا - حكومة وشعباً - على أن يكون تعلم العلم فى مصر لأجل العلم لأجل الوظائف ، سيكون تعديل مناهج التعليم فى مصر على هذا الأساس ، فننظم التعليم ومناهجه بدلالة حاجتنا إليه ، فى نهضتنا ومرافقتنا ، وبدلالة ما نريده لمجتمعنا من اتجاه وتكوين ، وأسرع ما ينبغى لنا الالتفات إليه فى هذه الناحية إلهام الجامعات والقائمين

عليها حقيقة رسالتنا العامة لتلتزمها في تكوين الشباب ، ولتعد لهم المعارف اللازمة لهم في هذا التكوين .

لقد كان من الخجل ما نقلناه في الجزء الماضي (ص ٥٧٣) من إجابات بعض خريجي الجامعة في الامتحان الذي عقدته وزارة الخارجية لمائتين منهم عند ما أرادت تعيين ٨٩ ملحقاً شاباً ليكونوا دفعة جديدة من سفراء المستقبل ، فكان فيهم من أجاب عن دول الجامعة العربية أنها تركيا وإيران ، وكان فيهم من أجاب عن عاصمة سوريا أنها عمان ، وكان فيهم من أجاب عن عاصمة مديرية البحيرة أنه لا يعرفها معتذراً بأنه لا يسافر كثيراً إلى الريف ، وأصحاب هذه الإجابات كلهم يحملون الشهادات الجامعية ، وفيهم من قضى بعد الجامعة سنتين في معهد عال . وقد تعددت الشكوى من أن مستوى التعليم الجامعي عندنا قد انحط إلى مستوى التعليم الثانوي ، لكننا بعد أن وقفنا على هذه الحقيقة المحزنة في الامتحان الذي عقدته وزارة الخارجية للحصول من الجامعيين على دفعة جديدة من سفراء المستقبل ، صرنا نرى من الظلم لمستوى التعليم الثانوي أن يوصم بما عليه خريج جامعة مصرية لا يعرف عاصمة مديرية البحيرة لأنه لا يسافر كثيراً إلى الريف ، والخريج الآخر لجامعة مصرية يقول إن دول الجامعة العربية تركيا وإيران .

إن هؤلاء نموذج للتعليمين الذين يتعلمون لأجل الوظيفة لأجل العلم ، وأعترف أنا مع مراقبتى للصحف والمسمى يومياً بما ينشر فيها بأنى لم أشعر بأن وزارة الخارجية دعت الجامعيين لهذا الامتحان . أما إخواننا الذين تعلموا لأجل الوظائف فكانوا أعلم مني بما يلزم لها ، وأكثر اتباها لما ينشر عنها ، ولذلك كانوا على استعداد للاشتراك في الامتحان في الوقت المحدد له . أما العلم نفسه بأبسط ما يلزم منه - لاسفراء الجمهورية المصرية بل لأى تلميذ في الابتدائى - فهذا ما لم يكن له عندهم كبير أهمية ، ولذلك تمكنوا من الحصول على أعلى الشهادات وهم في الحالة التى وصفها الأستاذ حسين عزيز الوكيل الدائم لوزارة الخارجية عندما تحدث إلى الأستاذ محمد حسنين هيكل في هذا الخطب المصّ .

وإذا كانت الصناعة تدل على صانعها فنحن نجمل أساتذة جامعاتنا عن أن نقول فيهم إن علم تلاميذهم رشقات من علمهم ، لكننا نغالب أنفسنا إذا تجاهلنا أن جامعاتنا والقائمين عليها لم يتفقوا بعد على تعيين الرسالة الجامعية التى تليق بالطبقة المتعلمة في مصر ، وفيهم من إذا تعارض خبر في صحيح البخارى عن حادث تاريخى في صدر الإسلام مع رأى

آفن المستشرق سخييف ، لا يتردد في نبذ ما صح في صحيح البخارى من حقائق الوقائع التاريخية في صدر الإسلام ، لأن ذلك المستشرق السخييف سجل في أحد كتبه رأيا يخالف ما صح عند الإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى . ولا ريب أن مثل هذا الموقف العلمى المخزى هو نتيجة من نتائج الاستعمار العقى الذى لا نزال نعانى آثاره وعواقبه بسبب الثقافات الأجنبية اتى آمن بها بعض أساتذة جامعاتنا لبعدهم عن الثقافة العربية الإسلامية التى لا يلىق غيرها بجامعات البلاد العربية الإسلامية . ولو أن هؤلاء الإخوان الجامعيين الذين تقدموا لامتحان وزارة الخارجية تثقفوا ثقافة عربية إسلامية في جامعاتهم ، وفي مدارسهم الثانوية قبلها ، وفي مدارسهم الابتدائية قبل ذلك ، لعرفوا جغرافية أوطانهم العربية والإسلامية وتاريخها وآوضاعها الحاضرة معرفة تليض بها وجوههم ووجوه بلادهم في كل موقف .

إن في أساتذة جامعاتنا من يظنون أن رسالة الجامعة منحصرة في تشكيك طلبتهم في كل ما يتصل بالعروبة والإسلام . وفيهم من يظنون أن معنى التعليم الجامعى أن يتجرد المعلم والمتعلم من كل عاطفة حب للقومىة التى هو منها ، وللملة التى ينتسب إليها . وفيهم من يظن أن الجهاد كل الجهاد فى أن يهدم ما أبقتة الدراسة الثانوية فى قلوب الطلبة الجامعيين من بقايا إيمان بالحقائق القديمة الخالدة ، وحسن ظن بالثقافة التى تستمد حيويتها من كياننا العربى وتراثنا الإسلامى .

هذه النزغات قد توجد فى مدرسى سننى التوجيه من المرحلة الثانوية ، لكننا فاشية - وياللاسف - بأسراف وطغيان فى بعض الكليات النظرية من جامعاتنا ، ولا سيما الجامعة الأم القائمة فى الجيزة . ويوم كانت الدولة المصرية لا رسالة لها من الماضى إلى المستقبل لم تكن الشكوى من ذلك لتلقى آذانا تصغى لها ، أما اليوم ، وبعد أن حددنا طريقنا ، وآمنا بأن هذا الطريق لا بد له من رسالة متترعة من صميم قوميتنا ، فقد آن لنا أن نعالج هذا الداء الدوى .

إن ما نحن فيه نتيجة لأننا لا نتعلم العلم لأجل العلم ، وأن مدارسنا وجامعاتنا ليس لها رسالة قومىة تؤمن بها .

نَفَاثَاتُ الْفِرَاقِ

- ٣٦ -

(١) امساك البخيل

(ب) وانفـاق المرائى

(١) « الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ، ويكتُمون ما آتاهم الله من فضله ، وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا » .

(ب) والذين ينفقون أموالهم رثاء الناس ، ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا » .

تمهيد :

بين الكمال والنقص تباين ، فكلاهما على طرف من الآخر .
وقد اتصف الله بالكمال المطلق ، وتنزه عن النقص كيفما كان ، وكان من كماله - سبحانه - دعوته لعباده أن يتخلقوا بأخلاقه - كما ورد - وأن يتأسوا برسوله ، وأن تشريعنا قائم على التهذيب ، والتربية ، والإصلاح .
وفي كل ذلك صرف لنا عن النقائص وان هانت ، لأنها تناقض صفته السكرية ، وتناهى بنا عن الكمال الإنسانى الذى ارتضاه لنا فإياك إذا كانت نقيصة مبعثها التواء فى الغريزة ، أو هوان فى السكرامة ، وكان أثرها زراية للمرء بين قومه ، ووهنا فى بناء المجتمع ؟

١ - والبخل والرياء من أبغض ما سخط الله : وهما مما يجافى المروءة فى عرف الناس ، وينزل بالأنفس عن قدرها فى حساب الفطرة ، ويباعد بين القلوب ، ويقذف

بالمرة بعيدا عن التخلق بأخلاق الله... فالبخيل والمرأى : وجودهما عدم في المجتمع ، بل
العدم خير للمجتمع من هذا الوجود .

إذ البخل ببخله ، يحرض الناس على متابعتة ، وقد يكون أمرا لغيره أن يحذو حذوه ،
ليكونوا على صبغته ولونه ، فهو - بفعله وبقوله - مصدر العدوى ، وهو كاتم لفضل الله عليه ،
ومتظاهر بالحرمات من عطائه ، ومعجم عن شكر ربه ، ويتخلف عن تقدير فضله ، فلم يهتأ
بما أسبغ الله عليه ، ولم يسد معروف ما توفر لديه . . . فهل يكون هذا من سمات الإيمان ،
أو من مظاهر الإسلام ؟؟ . . . جواب ذلك في آخر الآية « الذين يبخلون . . . ويأمرون
الناس بالبخل . . . ويكتمون ما آتاهم الله من فضله . . . وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا »
إذ المعنى : الفاعلون لهذه القبائح ، المتخلقون بملك النقائص ، يسلكون بعملهم هذا مسلك
الكافرين بنعمة الله عليهم ، الناكسين عن دعوته إليهم ، وقد أعد الله لهؤلاء الكافرين
عذابا مهينا : فيه إيلام موجع ، ومهانة فاضحة . . . وإذا كانوا في دنياهم يرخصون
أنفسهم بما رضوا لها من بخل وحرمان ، وكانوا يسرفون عليها في الوزر ، بدعوتهم للناس أن
يأخذوا بأخذهم ، ويحاكوه في رذيلتهم ، بخزائهم حرمان من المثوبة ، وتشديد
في العقوبة .

ثم : ما هو البخل المذكور في الآية ؟؟ أهو البخل بالمال وحده كما يشاع ؟؟ الآية لم تنقيد ،
بل أطلقت لفظ البخل وكفى ، وفي هذا الإطلاق متسع للبخل بالمال ، وبالعلم ،
وبالإرشاد ، والبخل بالقول الحسن ، وبالعشرة الرحيمة ، وبالمؤازرة في الخير العام ،
وبالمعاونة في النفع الخاص ، وبالتضامن في دفع المكروه ، فكل ذلك يسمى بخلا ، وكل
ذلك مذموم ، ويشمله التهديد لاعتباره كفرا ، أو مقاربا لكفرا .

قالوا : كان في القوم الأولين أناس يبخلون ويمنعون الناس من الإحسان ، وأناس
يعلمون الحق ويكتمونه ، كما صنع اليهود في تكتمهم لما عرفوا من التوراة عن الرسول العربي
« محمد صلوات الله عليه » فنزلت فيهم هذه الآية . . . ومعلوم أنها لا تكون خاصة بهم ، وإنما
هي فيهم وفيمن على شاكلتهم ، فأنها نقائص لا تقف عند أصحابها الأولين ، ولا تقتصر شرها
على من يحاكيهم من اللاحقين ، بل هي أمراض زمنية تتعدى الموبئين بها إلى غيرهم من
أهل الجليل ، وفي كل جيل ، فكان الزجر عنها حقا ، والوعيد عليها شديدا .

(ب) وفي مقابلة البخلاء أناس ينفقون المال ، أو ينشرون العلم ، أو يصنعون الجميل : لاستخاء بالمال أو مروءة ، ولا حبا في فضل العلم ، ولا شكرا لله على نعمة آتاهم إياها ، بل رياء ، وتظاهرا ، واجتلابا للثناء من الناس ، واستنهاضا إلى الإعجاب بهم والإكبار لهم . وإن كانت الآية ذكرت رياء المال وحده فلائنه أكثر ما يبدو به الرياء وأشد فتنة للناس ، والرياء كله تطاول على الله في كبريائه الحق ، ومزاحمة لسلطانه في استحقاق الثناء والحمد ، وهذا يناقض الإيمان بالله وباليوم الآخر ، ولا يتفق مع الرغبة في مرضاته ، أو الشعور بالجزاء الحسن على الفعل الحسن ، وبالعذاب الأليم على الفعل القبيح . . . وهذا غرور ينفثه الشيطان في أتباعه ، ويذكى في نفوسهم إخوان السوء ، فهم دعاة فتنة ، وأنصار للشيطان وجنود ، والمرائي ينسلخ بريائه عن تواضع المتواضعين وخشية الخاشعين .

لذلك كان الوعيد على الرياء كالوعيد للبخلاء . . فكلمنا النقيصتين مما يوحى به الشيطان « ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا » وهذا تسفيه لعقولهم جميعا ، ضرورة أن الفريقين من قبيل المتمردين على النعمة ، فهم ما بين شحيج يحبسها عن وجوه الخير ، ومراء يبذلها غير متبغ للخير .

وإذا كانت الآيات جمعت بينهما في قرن واحد ، وسياق متشابه ، فوجه ذلك أن كلا منهما مشغول بنفسه ، غير ناظر إلى مايرباه بقومه ، والمحيط الذي يعيش فيه . فالبخيل بما لديه من مال ، أو علم ، أو مروءة : كأنه يقطع نفسه من البيئة ليعيش في عزلة عنها ، وهو مع هذا يستلج لنفسه منافع الاتصال بالناس ، والحياة بينهم ، والاستئناس بهم ، والهناء في ظل المجتمع ، ثم يكتنز ما لديه من وسائل النفع العام ، ولا يقابل فضلا بفضل ، وإنما يقابل معروفا بنكر ، ومن لم يشكر الناس على صنع ولم يتقدم إليهم بحميل لم يشكر الله في شيء ، وإن ظن وخال .

وكذلك المرأى : ينفق ماله ، أو ينشر علمه ، أو يبذل فضله ، لغرض خاص من أغراضه ، وشهوة من شهواته : هي أن يكون في مكانة من الإجلال والظهور يشذ بها عن مستواه ، ويشغل بها الناس لحسابه ، وهذه نزعة من الأنانية لا تساعد على تمام الاتصال بالمجتمع ، ولا تدفع إلى واجب نحو دين أو وطن .

والإسلام يطلب إلى أهله أن يتضافروا في تكوين مجتمعهم ، وأن يبذلوا جهودهم ومعاوناتهم في تنظيم صفوفهم ، وتقوية جيشهم ، لبناء دولتهم وإعزاز دينهم .

والمرائى غير متجاوب مع دعوة الإسلام ، فهو والبخیل فى الشر سواء .

لهذا : جاءت الآية الثالثة تنكر عليهما إسلامهما المدخول ، وتحث الفريقين على الإيمان الحق . « وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر ، وأنفقوا مما رزقهم الله ، وكان الله بهم عليا » .

يعنى : أن ما عليه البخلاء والمراءون ليس إيماناً حقيقياً ، فأى ضرر يسببهم ، وأى خطر عليهم ، لو محصوا إيمانهم من الشوائب ، وأعمالهم من الزيف ، واتصلوا بالمجتمع من طريق رسمها لهم دينهم ، وارتجوا عند الله جزاء يرضيهم فى اليوم الآخر ؟ .

هل حسبوا أن الله لا يحيط بأعمالهم ، أو لا يجزيهم على صنيعهم ؟ لا ، فإن الله عليم بهم ، وهو حتماً مجزيهم على الخير خيراً ، وعلى السوء سوءاً ، لا يتقصهم حقاً ، ولا يزيدهم شراً ، سيحاسبهم حساب من لا ينسى ، ويجزيهم جزاء من لا يظلم .

« إن الله لا يظلم مثقال ذرة ، وإن تك حسنة يضاعفها ، ويؤت من لدنه أجراً عظيماً » وحسبك بالذرة مثلاً يضرب فى تقدير شئ ، وهى أقل ما يعرف من أشياء نحسبها ، والقصد : تصوير الله للناس أن عدله فى حسابهم ، ومثوبتهم ، أو عذابهم ، لا يقلت منه أدنى عمل نتصوره « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » .

ومع هذا العدل الكامل فقد اقتضت رحمة الله بعباده إذا عذبهم ألا يزيدهم عذاباً اكتسبوا ، وإذا أثابهم أن يضاعف لهم جزاء حسناتهم إلى عشر أمثالها أو إلى أكثر من ذلك مما لا يقدر قدره إلا هو « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » « والله يضاعف لمن يشاء » « وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً » « والله ذو الفضل العظيم » « ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها » « إن الله بالناس لرءوف رحيم » .

وليس هذا الوعد الكريم بعظيم فضله مدعاة الاتكال ، وإغراء بالعفو : لا وإنما هو لبيان جوده وعطائه إذا شاء أن يجود على من يستحق عطاءه .

فله عذاب مهين ، وعقاب شديد ، وحساب عسير . . فالله لا تنسنا عذابك ، ولا تشدد علينا حسابك ، وألهمنا رشدك ، وافتح لنا مع المتقين الصالحين بابك ، وأسبغ علينا فضلك وثوابك ، وعاملنا دائماً بما أنت أهله ما

عبد المظيف الببكي

عضو جماعة كبار العلماء

اللبنة

خاتم النبيين

- ٣ -

المتنبئون — شر الدواب عند الله — مسيئة
الكذاب — الأسود العنسي — المختار الثقفي —
الحارث بن سعيد — اسحاق الأخرس — أذنان
تتلوى بعد قلع أروسها .

* * *

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن مثلى ومثلى
الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية ؛ فجعل الناس
يلوفون به ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ! قال : فأنا اللبنة ،
وأنا خاتم النبيين . (رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى)

* * *

قدمنا فى الجزأين السابقين من الأدلة القاطعة ، والبراهين الساطعة ، على أن الله تعالى
ختم النبوة فضلا عن الرسالة ، بنبيه محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه . ما يقطع دابر
الدجاجلة الأفاكين ، من أولئك المتنبئين ؛ ثم وعدنا أن نمد هذا الجزء بمزيد من البيان
والتفصيل .

ونرجو مع الوفاء بالوعد ، أن نكشف عن جانب من فضائح هؤلاء الكفرة الفجرة
مدعى النبوة والرسالة ، لياخذ الضعفاء حذرهم وأساحتهم ، أن يقعوا فى شركهم ، وليزداد
الأقوياء المؤمنون قوة وإيمانا .

لا جرم أن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ، ولا جرم أن شر هؤلاء إجراما هم المتنبئون . « ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إلى » ولم يوح إليه شئ ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله » .

ولو كان عند هؤلاء ممسكة . من عقل ، أو ذرة من نور ، لعلموا أن دعوى النبوة أو تصديقها بعد خاتم النبيين ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، هو الخيال كل الخيال ، والنكال الذى ليس وراءه نكال ! ! وكفى به جرما وخيالا أنه اتهم لأحكام الحاكمين فى اختياره واصطفائه من يشاء من عباده « ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون »

* * *

ومن حكمة الحكيم العليم ، ورحمته بأمة خاتم النبيين ، أن أنباه نبأ هؤلاء الدجاجة قبل أن ينتقل إلى الرفيق الأعلى ، لتحذر فتنتهم ، وتتقى ضلالتهم ، وتعوذ به سبحانه من همزات الشياطين . روى الشيخان وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين ، كلهم يزعم أنه رسول الله ؛ وروى الترمذى وأبو داود عن ثوبان رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتى بالمشركين ، وحتى يعبدوا الأوثان ، وإنه سيكون فى أمتى ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبي ، وأنا خاتم النبيين ، لا نبي بعدى .

* * *

ولم يفارق النبي صلى الله عليه وسلم هذه الدنيا حتى صدق الله رسوله ما أوحى إليه ، فظهر نفر من هؤلاء الدجالين الذين ادعوا النبوة ، والتقت وسائسهم فى أثناء مرضه الأخير صلوات الله وسلامه عليه : منهم مسيلة الكذاب صاحب اليمامة ؛ والأسود العنسى صاحب صنعاء اليمن .

ومن خبر مسيلة كذا فى الصحيحين وغيرهما أنه قدم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ، وجعل يقول : إن جعل لى عهد الأمر من بعده تبعته . قدمها فى بشر كثير من قومه بنى حنيفة ، فأقبل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ثابت بن قيس ، وفى يده صلوات الله عليه قطعة جريد ، حتى وقف على مسيلة فى أصحابه فقال : لو سألتنى هذه

القطعة ما أعطيتكها ، ولن تعدوا أمر الله فيك ، وإن أدبرت ليعقرنك الله ، وإني لأراك الذى أريت فيه ما رأيت ، وهذا ثابت يجيبك عنى ، ثم انصرف عنه . قال ابن عباس فسألت أبا هريرة عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : وإني لأراك الذى أريت فيه ما رأيت ، فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بينا أنا نائم رأيت فى يدي^١ سوارين من ذهب فأهمنى شأنهما ، فأوحى إلى فى المنام أن أنفخهما ، فنفختهما فطارا ، فأولتهما كذابين يخرجان من بعدى : أحدهما العنسى ، والآخر مسيلمة .

ولم تظهر شوكة مسيلمة إلا فى عهد الصديق رضى الله عنه ، إذ جمع جموعا كثيرة ارتدوا على أعقابهم وتأهبوا لقتال الصحابة ! فجهز لهم الخليفة الأول جيشا بأمره سيف الله خالد ، فقتل أصحاب الكذاب . . ثم كان الفتح بفصل هامة الكفر والضلال .

ومن أبلى فى فصل هذه الهامة وحشى قاتل أسد الله حمزة سيد الشهداء ! قال : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم نخرج مسيلمة الكذاب ، قلت لأخرجن إلى مسيلمة لعل أقتله فأكفى به حمزة ، قال فخرجت مع الناس فكان من أمره ما كان ، فإذا رجل قائم فى ثلمة جدار كأنه جمل أورق (١) نأثر الرأس ، فرميته بحرتى فأضعها بين يديه حتى خرجت من بين كتفيه . قال ووثب إليه رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته .

وكان وحشى - غفر الله له - بعد إسلامه ، والإسلام يجب ما قبله ، يهرب قتله حمزة على غرة فى غزوة أحد ! ويزيد فى رهبته وخوفه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يحب أن يراه ، لأن رؤيته كانت تثير فى نفسه الرحمة بأساة عمه ، وحرزه على أحب الناس إليه ! ! ! لكن الله الذى يضل من يشاء ويهدى من يشاء ، وفق قاتل سيد الشهداء ، لأن يقاتل ألد الأعداء . .

* * *

وأما الأسود العنسى فقد خرج بصنعاء وادعى النبوة فى حياة النبي صلى الله عليه وسلم وغلب على عامله هناك : المهاجر بن أبى أمية ، وعظمت شوكرته وحارب المسلمين وفتك

(١) الأورق من الإبل ما فى لونه بياض إلى سواد ، وهو من أطيب الإبل لحما لاسيرا .

بهم ! ولم يزل يعثى فى الأرض مفسدا حتى أخذه الله قبيل وفاة نبيه صلى الله عليه وسلم
أويومها ، وأراح العالم من شره . .

* * *

ثم ظهر بعد العهد النبوى كذابون دجالون متبثون ، منهم المختار بن أبى عبيد الثقفى ، وقد
شهد عليه بدعوى النبوة والكذب الصريح جماعة من أهل البيت . بل شهد عليه حديث
مسلم فى صحيحه عن أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما فى قصتها مع الحجاج وهى
تقول له : « أما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أن فى ثقيف كذابا وميرا ، فأما
الكذاب فرأيناه ، وأما المير فلا إخالك إلا إياه » فقام عنها ولم يراجعها . . والمير :
الجبار المهلك ، والمراد به هنا الحجاج بن يوسف الثقفى ، والمراد بالكذاب : المختار
ابن أبى عبيد الثقفى ، وذلك باجماع العلماء كما قال الإمام النووى فى شرحه لصحيح مسلم !

* * *

ومن أقبح أكاذيبه دعواه أن جبريل عليه السلام كان يأتيه بالوحى ! ومما ورد فى
ذلك ما أخرجه الإمام أحمد فى مسنده عن رفاعة الغسانى قال : دخلت على المختار فألقى إلى
وسادة وقال لولا أن أنى جبراءيل ، قام عن هذه — وأشار إلى أخرى عنده —
لألقيتها لك . . .

وقد يكون من العجب أن أباه أبى عبيد الثقفى كان رجلا صالحا ، واستشهد أيام عمر
فى حرب الجوس ، وكذلك أخته صفية بنت أبى عبيد امرأة عبد الله بن عمر رضى الله
عنهما ، كانت امرأة سالحة ، وترجم لها ابن حبان فى الصادقين الثقات . . وأما المختار
فأجمعوا على أنه رأس من رؤوس الكذب والضلال . . وقد أخذه الله على يد مصعب
ابن الزبير بالكوفة سنة سبع وستين | ١١ |

(١) انظر طرفا من أخباره فى شرح مسلم (باب فضل الصحابة وتحريم سبهم) وفى
الإصابة لابن حجر ، وفى المتنقى من منهاج الاعتدال . بتحقيق السيد محب الدين الخطيب ،
ثم فى كتاب « الدعاة » من المتألهين والمتنبئين والمتمهمدين ، لصاحبه وجيه فارس الكيلانى

ثم ظهر من بعد المختار دجالون متنبئون من هؤلاء الذين حدثنا عنهم الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم مثل الحارث بن سعيد الدمشقي ، الذي ظهر في أيام عبد الملك بن مروان ، واغتربه خلق كثير إلى أن وقع في قبضة عبد الملك فسيجنه وقتله . . . ومن أخباره أنه نشأ بالمغرب وتعلم القرآن ، ولم يترك علما حتى أتقنه ، ثم ادعى أنه أحرس تمهيدا لدعواه النبوة ، ثم رحل إلى أصفهان ونزل بها عشر سنين ، ثم زعم أن ماسكين جاءه بعد خلوة أربعين يوما فأيقظاه وغسلاه وسالما عليه بالنبوة . . . في نبأ ثقیل نقله كتاب « الدعاء » .

* * *

وآخر هؤلاء الأفاكين كأولهم ، وكلهم أعرق الناس ضلالا ، وأسخفهم أقوالا ، وأبعدهم عن العقل والفضل مجالا . . . وقد قطع الله دابرهم ، وورق العالم شرورهم ، ولم يبق من أخبارهم - عليهم لعنة الله وملائكته والناس أجمعين - إلا نوادر وأحاديث تتفكك بها كتب الأدب والتاريخ ، قصدا إلى الترويح والتسلية . . .

* * *

لكن الحكيم العليم الذي يبلو عباده بالشر والخير فتنة ، والذي جعل لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا - لا يزال يتلى هذا الدين الحنيف وأهله بأرؤس من هؤلاء الخبيلين ، تتحرك ثم تقطع ، ثم تبقى أذنانها تتلوى حينما على عصى وتخبط ، إلى أن يتبعها الله أرؤسها بأيدي أولى بأس من عباده .

وميمات حديثنا الختامى عن هؤلاء الأذئاب هو الجزء القادم بمشيئة الله تعالى وعونه وتوفيقه ما

الاستعمار ، والاستعمار الثقافى

« الاستعمار » : كلمة بغیضة جارحة لنفس كل من يفقه معناها ، ویلمس سوء أثرها فى الأقطار العربیة ، ولیس لها أية صلة « بالعمران » و « الإعمار » إلا أن تكون من قبیل تسمية الأضداد . وهى تسمية معروفة قديما عند العرب . وكان الأصح والأجدر أن تستبدل بها كلمة « التخريب » أو التمار .

ولا حاجة بنا للبحث عن أصل هذه الكلمة اللغوى أو تاریخ استعمالها فى اللغة العربیة ، فهى كلمة عصریة موضوعة تلازم معنى الغزو والقرصنة والظلم والعدوان ، ولعل بعض الكتاب الذین اشترى الأجانب أقلامهم وضمائرهم ، هم الذین أطلقوا صفة « الاستعمار » على هذا الغزو الأجنبى الخطير المدمر للأقطار العربیة والإسلامیة والشرقیة .

* * *

لقد بدأ الغزو الاستعمارى على الشرق من قبل دولتی إسبانيا والبرتغال فى القرن الخامس عشر المیلادى ، بعد إخراج العرب والمسلمین من الأندلس ، واكتشاف أمريكا وشواطئ إفريقيا الغربیة ثم الهند وجنوب آسیة . وفى ذلك الحین كانت جمهوریتا البندقیة وجنوا وغیرهما من جمهوریات إیطالیة ، تسيطر على التجارة فى البحر الأبيض المتوسط بین البلاد العربیة وأوربة ، ویعم نفوذها الاقتصادى جمیع البلاد العربیة والإسلامیة التى هی على شواطئ البحر المذكور . فلما تدفقت خیرات هذه البلاد فى آسیة وإفريقية على إسبانیة والبرتغال وإیطالیة وقع التنافس والحصام بینها ، فغشى البابا حينذاك أن تقع الحرب بین هذه الدول المتنافسة ، فتجر الخراب والسكرارث على الممالك السکاثولیکية بعد أن تمكنت من إجلاء العرب من إسبانیة ، وأمنت خطر زحفهم من جدید علیها ، فأصدر مرسوما بابویا یقسم مناطق الاستعمار بین هذه الدول ، ویجعل أمريكا الشمالیة والجنوبیة نصیب إسبانيا ، ویخص البرتغال بغرب إفريقيا وجنوب آسیة ، ویجعل البلاد الواقعة على شواطئ البحر الأبيض من نصیب الجمهوریات الصغیرة الایطالیة . وقد أدت سيطرة الاستعمار البرتغالى على جنوب آسیة ، الى قطع التجارة بین البلاد العربیة من جهة و بین الهند والصین و الهند الصینیة وأندونیسية وغیرها ، وحلت بالبلاد العربیة نكبة اقتصادیة یمکن تقدير مداها مما كتبه المؤرخ المصرى ابن إیاس . وقد كان مما ذكره فى حوادث شهر ذى الحجة

سنة ٩٢٠ هجرية ما خلاصته : ان استيلاء البرتغاليين على الهند ومنعهم مراكب التجار من السير عبر البحر الأحمر قد أدى الى خلو الاسكندرية وميناء دمياط من السكان والتجار فأصبحنا خرابا ، كما أن ميناء جدة لم يصلها مركب تجارى واحد خلال ست سنوات .

وقد بقى هذا التقسيم البابوى مدة طويلة ، نهضت في أنشائها دول بريطانية وفرنسية وهولندية ، فزاحت إسبانية والبرتغال وتغلبت على بعض مستعمراتها ، كما زاحت الجمهوريات الإيطالية في البلاد الواقعة على شواطئ البحر المتوسط وسيطرت على المراكز الاقتصادية فيها .

* * *

وأجدر الأمم بمعرفة معنى الاستعمار وحقيقة أمره ، هي شعوب آسيا وإفريقية ، والمسلمون بصورة خاصة ، والعرب بصورة أخص ، فقد ناء عليهم بلاء الاستعمار بكل كلفة ، وجثم على صدورهم بقضه وقضيضه ، وغزاهم بخيله ورجله ، وأذاقهم العذاب الأليم ، فتحكم في بلادهم ، وسلب أموالهم ، وأذل رعايهم ، بل هو في بعض الأقطار دمر البلاد ، وقوض الكيان ، واستأصل الشأفة ، ومحق العنصر . والشاهد على ذلك ما أصاب الهنود الحمر في أمريكا من غزوة المستعمرين الأوروبيين ، وما أصاب كثيرا من الشعوب الإفريقية والآسيوية . بل لدينا شاهد أقرب وأعجب ، هو ما أصاب الشعب العربى الفلسطينى خاصة من المؤامرة الاستعمارية اليهودية .

ولا يتسع المجال لسرد كثير من الشواهد والوقائع والفظائع التى اقترفتها الاستعمار فى تلك الشعوب ، فأنها مسجلة فى صفحات التاريخ ، ولكننا نضرب المثل على النزعة الاستعمارية العدوانية التى سيطرت على عقول أولئك الغزاة الظالمين ، بما كتبه مونتسكيو الكاتب الفرنسى الشهير ، إذ أورد فى الفصل الخامس من كتابه المعروف (روح القوانين) الجملة الآتية محاولا تبرير اتخاذ الزنوج عبيدا . قال : « إن شعوب أوربا بعد ما أبادت سكان أمريكا الأصليين ، وهم الهنود الحمر ، لم تربدا من استعباد شعوب افريقية لكي تستخدمها فى استغلال هذه الأقطار الشاسعة ، فأن هذه الشعوب سود البشرة من أقدامهم إلى رؤوسهم ، ولا يمكن أن يتصور أحد أن الله - وهو ذو الحكمة البالغة - قد خلق روحا ، وعلى الأخص روحا طيبا ، فى أجسام حالكة السواد . . . » .

ولم يكن مونتسكيو وحده هو الذى يرى أن الشعوب السود أو الحمر ليست لها أرواح ، وأنها جديرة بالاستعباد ، بل إن غزاة أمريكا الشمالية الأولين ، حتى رجال الدين منهم كانوا ينعتون سكان البلاد الأصليين بأنهم من سلالة الشيطان ، ويحضون على القضاء عليهم

بكل الوسائل ، ومن ذلك نشر الأمراض السارية بينهم ! وما زال غزاة أمريكا معنيين في محق السكان الأصليين حتى استأصلوهم تقريبا ، وهم اليوم يعاملون الزوج الذين جاءوا بهم من إفريقيا أسوأ معاملة ، ويشنقونهم على جذوع الأشجار دون محاكمة ، ويزعمون مع ذلك أنهم ديمقراطيون عادلون ! ولا يقل عن هذه الفظاعة ما يقترفه المستعمرون اليوم في أقطار المغرب العربي في شمال إفريقيا ، وفي قبائل الما و ماو في كينيا وغيرها من البلاد التي يحتلونها ويستعمرونها . ورحم الله (شوقي) الذي أصاب بكبد الحقيقة عند ما وصف المستعمرين بقوله :

وللستعمرين، وإن ألانوا قلوب كالحجارة لا ترق

وفي ذلك تصديق لقوله تعالى في وصف اليهود : « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة » .

* * *

ولا ريب في أن الخطة الخطيرة التي رسمها المستعمرون للأمة العربية ، وقد رأينا بوادرها في فلسطين التي نعرف جميعا ما وقع عليها من ظلم ، وما نزل بها من كارثة لم يروها التاريخ نظيرا ، فإن الانجليز لم يكتفوا باستعمارها ، بل زادوا عليه إجلاء شعبها عن بلاده بالحديد والنار ، وأحلوا فيها شعبا دخيلا أجنبيا .

لا ريب في أن هذه الخطة الخطيرة ، بل المؤامرة الأنجلو أمريكية اليهودية ، لو قبض لها النجاح في فلسطين ، فأنها ستنفذ حتما في سائر الأقطار العربية الداخلة ضمن نطاق المطامع اليهودية وبرنامجهم المعروف « من النيل إلى الفرات » . فلينبته العرب لما يراد بهم ، وليأخذوا حذرهم من كيد المستعمرين ومؤامراتهم التي يبيتونها لهم .

* * *

لقد زال الاستعمار بموجته الطاغية العاتية من أكثر أقطار العالم ، وخلصت أكثر شعوبه من رجس الاستعمار ، وقد انطوى بساطه من آسيا ، منذ وضعت الحرب العالمية الأخيرة أوزارها ، نخرج مذموما مدحورا من الهند ، وباكستان ، وأندونيسيا ، وبورما ، وسيلان ، والهند الصينية ، وسيام ، وغيرها من معظم الأقطار الآسيوية ، إلا من الأقطار العربية في آسيا وإفريقية حيث لا يزال يرزح بعضها تحت كلكله ، أو يسيطر بنفوذه على بعض آخر ، كفلسطين والأردن وجنوب اليمن والمحميات وإمارات الخليج العربي وغيرها ، وما يمس ويؤلم أن هذا الاستعمار الذي اضطّر إلى الانكماش والتقلص في الأقطار الآسيوية بعد الحرب الأخيرة ، انتعش واشتد ساعده ، واتسعت دائرته في الأقطار

العربية ، كما حدث في حضرموت ولحج وما حولها ، وفي الكويت والبحرين وقطر ومسقط وغيرها من المناطق التي ظهر فيها البترول أو التي اشتهت فيها رائحة البترول ، كما تشتم الهرة رائحة اللحم : كعمان والبريمي . وقد حسر الاستعمار البريطاني القناع عن وجهه أخيرا في اقتحامه المناطق التابعة لإمامة عمان المستقلة ، التي لم يسبق له دخولها ، وفي هجومه أخيرا على واحة البريمي العربية السعودية .

لا شك أن هذا دليل على مبلغ استخفاف الاستعمار البريطاني الغاشم بالأمة العربية ، وامتهانه لكرامتها ، وكأني ببريطانيا تريد أن تستعيز بالأقطار العربية في آسيا وإفريقية ما فقدته من مستعمراتها العديدة وامبراطوريتها المنهارة في آسيا ، ومن ناحية أخرى فأنا نرى الاستعمار الفرنسي يقترب من الفطائع في أقطار المغرب العربي ما يدمي القلوب ، ويشير كوامن النفوس ، ولكنتنا إذ نستنزل اللعنات الإلهية والغضبات الربانية على جميع المستعمرين الظالمين ، لا نستطيع أن نخلي أنفسنا وشعوبنا - معاشر العرب والمسلمين المظلومين - من اللوم والتثريب ، والتقريع والتأنيب ، لأن الأمة التي تنام على الضيم وتقبل الظلم ، وتستكين للظالمين ، إنما تشجع بذلك ظالمها على ظلمهم ، وتستحق على خنوعها واستخذائها لوما أشد من لومهم . وإن من عرف تاريخ الأمة العربية المجيد ، من الأجانب أنفسهم ، ليعجب أشد العجب ، كيف قبلت هذه الأمة العريقة - في المجد والحضارة ، والقوة والشجاعة - لنفسها هذا الذل والصغار ، وكيف أصبحت هدفا لمطامع أذل الأمم من اليهود وغيرهم .

هنالك ثيف وعشرون قطارا عربيا تروح تحت أثقال الاستعمار : كفلسطين ، والأردن ، والكويت ، والبحرين ، وقطر ، وأبو ظبي ، ودبي ، والشارقة ، ومسقط ، وعدن ، وحضرموت ، ولحج ، وبقية ما يسمى المحميات التسع ، وزيادة على ذلك تونس والجزائر ، ومراكش ، والريف وغيرها من البلاد العربية في إفريقية وآسيا .

* * *

وإن الإنسان ليعجب كيف يصبر العرب على كل هذا الأذى ، وأنه لعار أى عار على الأمة العربية أن تعد أقطارها الراضحة تحت نير الاستعمار بالعشرات ، بينما تخاضم الأمم الأخرى ألد الخصومة على منطقة واحدة أو بلد واحد ، كما تفعل إسبانيا اليوم لأجل استرداد جبل طارق من انكلترة ، أو قد تشن حربا طاحنة كما فعلت ألمانيا لاسترداد ميناء « دانتزيغ » .

كيف يعقل أن هذه الأقطار العربية التي تمتد من المحيط الأطلسي إلى حدود إيران، وتربطها أقوى الروابط برقعة الأقطار الإسلامية الشاسعة الممتدة من مراكش إلى أندونيسية، والتي لا ينقصها وفرة العدد، ولا وفرة الثروة، ولا سعة الأرض، ولا المواقع الجغرافية والاستراتيجية، ولا الذكاء والنباهة، ولا البسالة والشجاعة، ولا غير ذلك من مكونات الأمم الحية. كيف يعقل أن هذه الأقطار تظل دون غيرها من أمم الأرض ذليلة خاضعة لنير الاستعمار، مسلسة قيادها للظالمين، يمزقون أوطانها، ويلغون في دمائها، ويسومونها سوء العذاب، ويتخذون من أبنائها وقودا لنار الحرب.

ألا إن الاستعمار - أيها العرب - قد تصدع كيانه، وأخذ بالانهيار بنيانه، وأذنت شمسُه بمغيب، وإن الأمم المظلومة التي ظهرت بوادِر يقظتها منذ مستهل هذا القرن أو قبله، قد تجلت نهضتها، واشتدت ثورتها في أعقاب الحرب العالمية الأخيرة، ولا سيما بعد انعقاد مؤتمر نيودلهي الذي جمع معظم الدول الآسيوية عام ١٩٤٨، وكان له أثر كبير في استقلال أندونيسيا، وفيما تلا ذلك من الجهود التي انتهت بعقد مؤتمر باندونغ، الذي تجلت فيه غضبة شعوب الشرق ودوله في كل من آسيا وإفريقية على الاستعمار، وتمردا على الدول الاستعمارية الكبرى المسيطرة على منظمة الأمم المتحدة، وقد سجلت على نفسها في ميثاقها مكافحة الظلم والاستعمار، وتحرير شعوب آسيا وإفريقية كلها، ومساعدتها على نيل استقلالها.

لقد كان مؤتمر باندونغ، والحوادث التي وقعت قبلاه، والتي توالى بعده، بشيرا لشعوب الشرق، ونذيرا للاستعمار بتصرم أيامه، وانتهاء عهده إلى غير رجعة، فهو اليوم في تقهقر وانحدار، وستعقبه الهزيمة النكراء. فعلى الشرقيين عامة، والمسلمين والعرب خاصة، وهم الذين يعانون من ظلم دول الاستعمار أكثر مما يعانيه غيرهم، أن يجمعوا أمرهم، ويشحذوا عزائمهم، لطرد الاستعمار من بلادهم، وتقويض بنيانه من القواعد.

إن الأحداث الأخيرة العظيمة في العالم العربي، ولا سيما تلك الخطوات المباركات نحو التسليح، والتسكتل، وتوحيد القيادة العسكرية، التي تمت - بفضل الله - بين مصر والمملكة العربية السعودية وسورية، وما امتازت به من جد وشجاعة وتصميم، لجديرة بأن تفتح أمام الأمة العربية بابا واسعا من الأمل بالفوز والنجاح، وبأن تكون نقطة تحول في تاريخ العرب أجمعين. ولا ريب في أن ما تم حتى الآن وما نرجو أن يتم في الأيام

المقبلة من أعمال ومساع موفقة بشير بمستقبل سعيد للعرب يتتبعون فيه بالعزة والمنعة ، والاستقلال والحرية ، ولا شك أن عزة العرب هى أساس لعزة الإسلام . وفى الحديث النبوى الشريف : « إذا ذلت العرب ذل الإسلام » .

وإنى لأذكر خطابا ألقاه شاعر الإسلام ، وفيلسوف باكستان ، المرحوم محمد إقبال ، فى المؤتمر الإسلامى العام الذى عقد فى القدس سنة ١٣٥٠ هـ (١٩٣١ م) ، جاء فيه قوله : « إن الإسلام مهدد بخطر من مصدرهما الغرب : أولهما الإلحاد ، وثانيهما الاستعمار ، وإن مستقبل الإسلام رهن بمستقبل العرب ، ومستقبل العرب رهن بوحدة العرب ، فأذا تمت الوحدة العربية علا شأن المسلمين فى كل أنحاء الأرض » .

اللهم إن هذا هو الحق ، والحمد لله حمدا كثيرا إذ أرانا اليوم بوادر هذه الوحدة ، وهى تتحقق فيما ذكرت من تكتل هذه الدول العربية الثلاث ، وتسليحها ، وتوحيد قيادتها .

* * *

يا إخوانى : لا ينبغي أن نكتفى بالأمانى والآمال وحدها ، وحتى بالتكتل والتسلح وحدهما ، بل علينا أن نتعرف أساليب هذا الاستعمار الغاشم وخططه ، ونقف على مؤامراته ودسائسه وشباكه ، لنأخذ حذرنا منها ، ونعمل على إحباطها ، ونجاهد بأخلاص وتصميم انحطيم أغلال الاستعمار ، والقضاء عليه فى بلادنا . فالاستعمار لا يعتمد على الغزو العسكرى فحسب ، بل جل اعتماده على وسائل أخرى أعظم أثرا وأشد خطرا من القوة العسكرية ، كدوائر المخابرات ، ومنظمات الطابور الخامس ، والدعاية والارجاف ، والدس والتفريق الذى اتخذ المستعمرون أساسا للحكم إذ يقولون : (فرق ثم احكم) ، ثم هنالك الغزو الاقتصادى ، والثقافى ، والاجتماعى ، والتبشيرى ، وهنالك إثارة الفتن ، وبليلة الآراء ، وبث الشكوك والريب فى نفوس الشعب ، وإزالة الثقة بالخلصين من الزعماء والقادة .

* * *

فلنعمل على مناوأة الاستعمار فى كافة هذه الوسائل التى يستعملها ضدنا ، ولنحذر دوائر المخابرات الأجنبية ، التى هى منظمات عظيمة قوامها عدد كبير من تستأجرهم وتوظفهم وتدسهم فى كل ثغرة من ثغرات البلاد ، وفى كل مكان خطير من جسم الأمة ، فيقعدون لها كل مرصد ، ويترصدون بها الدوائر ، وتستعين بأفراد الطابور الخامس من أتباع المستعمرين ومن دعاة الهزيمة والمرجفين . ومن وسائلهم الخطيرة أن يعملوا جاهدين على التفريق بين

عناصر الأمة وأفرادها وطوائفها وأحزابها ، لإثارة الفتن ونشر الفوضى وبليلة الآراء ، وتمزيق الأمة شرمزق .

أما الاستعمار الاقتصادي فعلياً أن نكلفه بمقايضة المصنوعات والنواتج الأجنبية حسب الاستطاعة ، وبالقبال على المصنوعات والنواتج الوطنية وتعزيد المشروعات الأهلية . وأما الاستعمار الثقافي ، فهو غزو ومدقر شديد الخطار ، عميق الأثر ، وحسبى أن أذكر نقلاً عن السجلات الرسمية لعام ١٩٥١ أن في مصر (٧٩) تسعة وسبعين ألف طالب يدرسون في المدارس الأجنبية ، وفي لبنان على صفه (٤٤) ألف طالب ، وفي فلسطين حسب آخر إحصاء لها قبل الكارثة (٣٦) ألفاً ، وفي سورية (٩) آلاف ، وفي الأردن (٨) آلاف طالب ، وما يقارب هذ النسبة في بعض الأقطار العربية . وجميع هؤلاء يتلقون الثقافة الأجنبية المدمرة للوطنية والعقيدة والتقليد .

وقد سمعت من شخصية دبلوماسية إسلامية غير عربية بأن في جامعة أكسفورد كرميا خاصا لدراسة الوسائل المؤدية الى هدم الإسلام . . وأن هذا الكرسي أسس في هذه الجامعة منذ عشرات السنين ولا يزال .

فلماذا تسمح الأمة العربية في مختلف أقطارها للمؤسسات والمدارس الأجنبية أن تسم ناشئها وشعوبها ، وتقضى على مستقبلها ، على حين لا تسمح دولة أجنبية لأية دولة أخرى بفتح مدرسة أو مؤسسة واحدة في بلادها ؟

ولهذه المناسبة أذكر لكم أن السلطات اليهودية في فلسطين المحتلة لا تسمح بفتح أية مدرسة أجنبية ، ولا تسمح أيضا بفتح مدرسة علمانية ولو كانت يهودية ، ولقد قامت منذ عامين أزمة وزارية شديدة هناك لأن الوزارة اليهودية سمحت بفتح مدرسة علمانية يهودية واحدة لا تعلم الدين اليهودي ، واستمرت الأزمة إلى أن ألغيت رخصتها .

واسمحوا لي أن أستعرض أنظاركم إلى أن من وسائل (الاستعمار الثقافي) في بلادنا تلك الدعوة الوخفة الأثيمة ، لاستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية ، وهي شذشنة عرفناها من أخزم ، وقد روج لها المستعمرون وأذئابهم في الأقطار العربية وفي الأقطار الإسلامية كتركيا التي نجحوا في حملها على نبذ الحروف العربية نتيجة لإرغامها على قبول شروط الصلح الذي عقده الحلفاء معها في مؤتمر لوزان عام ١٩٢٣ والمعروفة بشروط كيرزون الأربعة وهي : (١) قطع كل صلة بالإسلام . (٢) إلغاء الخلافة . (٣) إخراج أنصار

الخلافة والفكرة الإسلامية من البلاد . (٤) اتخذ دستور مدني بدلا من دستور تركيا القديم المؤسس على الإسلام . وقد اضطر الأتراك إلى استعمال الحروف الافرنجية وفقا للشرط الأول القائل بقطع كل صلة مع الاسلام .

وإن أتباع الاستعمار في البلاد العربية يحاولون حملنا على ترك حروفنا واستعمال الحروف الافرنجية ، ليمعدونا عن القرآن والإسلام ، ويقوضوا ثقافتنا العربية التي يرتبط بها عشرات الملايين من العرب ومئات الملايين من المسلمين .

وحسبي أن أذكر أن اليهود بعد تشردهم أكثر من ألفي عام وضياع لغتهم ، قاموا يعملون على إحيائها، وشرعوا يعلمون بها، ولم يستبدلوا حرفا من حروفها ، مع اعترافهم بضعفها وعيشتهم العصور الطويلة في أوروبا وأمريكا حيث تستعمل الحروف اللاتينية . لقد استطاع اليهود أن يحويروا حروفهم ولغتهم الميتة ، ويجعلوها لغة التعليم في جامعاتهم ومدارسهم ، في الحين الذي نسمح فيه معشر العرب والمسلمين في بلادنا بقيام دعوة أئمة كهذه ، لإضاعة لغة القرآن، ومحو الحضارة العربية والإسلامية، باستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية . إن هذا لشيء عجاب !

وهذا (الاستعمار الثقافي) أخطر أنواع الاستعمار لأنه يستولى على القلب والعقل .

* * *

أما الغزو التبشيري ، فإنه يتعاون مع الغزو الاستعماري الى أبعد مدى . وبرهانا على ذلك أورد كلمة قالها اللورد بلفور وزير خارجية بريطانيا السابق وصاحب الوعد المشؤم لليهود باستعمار فلسطين وإنشاء الوطن القومي اليهودي فيها وهي : «إن المبشرين هم ساعد جميع الحكومات المستعمرة، وعضدها في كثير من الأمور المهمة، ولولاهم لتعذر على تلك الحكومات أن تذلل كثيرا من العقبات ، ولذلك فأنا في حاجة الى لجنة دائمة تعمل لما فيه صالح المبشرين » . هذا وقد كان اللورد بلفور نفسه رئيس شرف للجنة تبشيرية .

وقد ألف الدكتور مصطفى خالدي أستاذ التوليد في جامعة بيروت الأميركية سابقا والدكتور عمر فروخ كتابا قيما ، اسمه (التبشير والاستعمار في البلاد العربية) أورد فيه براهين كثيرة قاطعة على جهود المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي . ومن أراد أن يعرف مبلغ خدمة التبشير للاستعمار ، فليقرأ كتاب الباحثة الفاضلة الدكتور مصطفى الحفناوى عن (قناة السويس) وما كان لرجل التبشير من جهود ومساعد في سبيل حرض المستعمرين على فتح قناة السويس والاستيلاء عليها .

هذا وإن من وسائل الاستعمار الخطيرة ، استغلال بعض الشخصيات في البلاد العربية من المشهورين بالدكاء والبراعة ، وبالخضوع للمستعمرين ، والشره الى المال والمنصب ، فأولئك أجدر الناس بالنبد واللوم والاحتقار .

وقد عرف فريق من هؤلاء واشتهر بمبالاة المستعمرين ، على حين أخذ فريق منهم يعمل لصالح الاستعمار من وراء ستار ويقع في المراكز الخطيرة الحساسة في بعض الأقطار ، ولا ريب في أن يقظة الأمة العربية ، ووعيتها القومية ، جدير بها أن يحبطا كيد الكائدين ، ومكر الماكرين ، ولا يحقيق المكر السيء الا بأهله .

* * *

وبعد ، فعلى العرب في كافة أقطارهم وأمصارهم أن يكافوا الاستعمار بجميع صورته وأشكاله ، وأساليبه ووسائله ، وأن يحبطوا كيده ، ويخمدوا فتنته ، وأن يطردوه من قلوبهم قبل كل شيء ، فإذا طرد الاستعمار من القلوب ، لم يكن له بقاء في أرض الوطن ، وليكن الكفاح حازما حكيما ، منظما مستمرا ، حتى يعتقد المستعمر أن بقاءه في البلاد مستحيل عليه ، وأنه يعود عليه بالخسران الممين والضرر العظيم .

لقد كتب لورنس الذي اشتهر اسمه ، ولمع نجمه خلال الحرب العالمية الأولى ، مقالا في عام ١٩٢١ جاء فيه ان المستعمرين لا يستقرون في الأقطار التي يتردد أهلها عليهم باستمرار ، أو التي يفوق غرمهم فيها غنمهم منها . وهذا قول صحيح صريح .

وفي الختام أسأل الله تعالى أن ينقذ الأقطار العربية والإسلامية والشرقية وكل قطر مستعبد ، من آفة الاستعمار ومن ذل الخضوع والخنوع للمستعمرين ، وأن يهدى أولئك الذين سخروا أنفسهم مطايا وأنصارا للاستعمار ، فتسربلوا بالخزي والعار ، أو يكبتهم فينقلبوا خائبين ، والله لا يصلح عمل المفسدين .

محمد أمين الحسيني

التقليد في الزندقة

قال أبو عثمان الجاحظ في رسالة (أخلاق الكتاب) :

« وقد قال أهل الفطن : إن محض العمى التقليد في الزندقة ، لأنها اذا رسخت في قلب امرئ تقليدا أطالت جراته ، واستغلق على أهل الجدل إفهامه » .

الأدب العربي في أمريكا

في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي وما بعده هاجر بعض أبناء سوريا ولبنان من بلادهم الى أمريكا الشمالية والجنوبية « والهجرة من سوريا ولبنان الى أمريكا لم تكن في مجموعها إلا فرارا من سوء الحالة في الأوطان ، أو بعدا عن الضيق والتماسا للرزق في أفق فسيح ، أو التجاء الى كنف الحرية الأمين في بلد تقسّس الحرية » يضاف الى ذلك تلك الصلات التي ربطت هذين القطرين بأمريكا بواسطة مدارس الأرساليات الأمريكية التي انتشرت في ربوعهما .

وقد تفرق هؤلاء المهاجرون في أنحاء كثيرة من أمريكا إلا أن أكثرهم استقر في الولايات المتحدة ، والبرازيل ، والمكسيك ، ولهم الآن في هذه البلاد جوال ذات طابع خاص ، ولها تقديرها من الشعب الأمريكي ومن حكوماته . وقد عرف أهل سوريا ولبنان بالذات الاقتصادى وحب الهجرة ، فهم سلالة الفينيقيين الذين جابوا البحار والأقطار بأساطيلهم البحرية ، ولهم شهرتهم في تاريخ الحرب والتجارة .

ولما استقر بهم المقام في أمريكا بدا نشاطهم في الميدان الاقتصادى ، وما لبثوا أن أثبتوا نجاحهم في كفاحهم ، فأصبح لبعضهم مؤسسات تنافس بعض المؤسسات الأمريكية في أشهر المدن .

وقد سائر نشاطهم الأدبى نشاطهم الاقتصادى ، فأنشؤا صحفا عربية تنشر أخبارهم ، وتعبر عن شعورهم في منازحهم ، وتسجل شعر شعرائهم ونثر أدباءهم ، وأنشؤا جمعيات أدبية مختلفة لها نظم وقواعد ، وابتدأ نتاجهم الأدبى يظهر ثم ينمو ويكثر حتى كان لهم بعد فترة قليلة مجلة من الدواوين وفدت على الشرق تعلن عن نشاطهم في الميدان الأدبى ، وتكون مادة للدارسين وعشاق الأدب ، يتدارسونها ويستبينون خصائصها ، ويستنبطون - بالمقارنة بين أدبهم هذا الحديد بأمريكا وأدبهم القديم في الشرق - الفروق والميزات التي يتميز بها أدبهم .

وقد كان هؤلاء الفضل في أن يكون للغة العربية وطن جديد ، وهو وإن كان وطننا ضيقا إلا أنه وطن ذو شخصية وكيان خاص ، وليس هذا بالعمل اليسير الهين ، اذ كيف تجد لغة غريبة مثل اللغة العربية مكانا لها في قارة ما عرقتها في تاريخها من قبل .

ومن أشهر الجمعيات الأدبية التي أنشئت هناك : الرابطة القلمية التي أنشئت بنيويورك ، وكانت مكونة من : حبران خليل جبران ، وميخائيل نعيمة ، ورشيد أيوب ، وإيليا أبو ماضي ، وغيرهم .

وقد ظهر أثر الحياة الأمريكية في توجيه أدب هؤلاء وجهة جديدة ، فالتقت رغباتهم على الثورة على الشعر القديم ليحرروه من الجمود والتقليد ، وحاولوا الخروج على مقوماته في الألفاظ والموضوعات والأوزان ، وقد يكون الخروج في الموضوعات طبيعيا ومقبولا نتيجة لما وقعت عليه أنظارهم في المهاجر ، ولاختلاف التقاليد والأفكار والعواطف والابادات ، واختلاف المستوى الثقافي في الغرب والشرق ، ولا بأس عليهم في ذلك .

أما الذي كان جديرا بالعناية به والحفاظ عليه فهو سلامة اللغة وسلامة الأوزان ، وقرب الأخيلة والتشبيهات والاستعارات ، فلا يكون الشعر عربيا وهو لايجرى على قواعد اللغة والأوزان الشعرية ، لهذا يجد الدارس لأشعارهم مجالا للمؤاخذة اللغوية والعروضية .

وقد تشييع لأدب هؤلاء وشعرهم خاصة بعض الأدباء من بنى جلدتهم ، فدعوا إليه وعجبوا منه وسموا أصحابه « مدرسة الشعر الحديث » وزعموا أنهم طوروا الشعر وطفروا به الى الكمال طفرات قوية ، وأخذوا يدرسون خصائص شعر هذه المدرسة وقالوا : « إن من خصائصها الحنين الى الأوطان ، والتغنى بحاسن الطبيعة ، والدعوة الى المعاني الإنسانية السامية : من الزهد في الدنيا والبر بالفقراء ، والتسامح مع المخالفين في العقيدة والرأى ، ومن خصائصها استحداث أوزان شعرية لم ينسج على منوالها من قبل » .

وقد فتن بشعر المدرسة الحديثة بعض الناشئين في الأدب ممن قصر باعهم في الأدب القديم ، وكان حظهم من الثقافة الأدبية محدودا ، ولم يرتكز على أساس من دراسة الأدب العربي القديم ذى المميزات الخاصة في الألفاظ والأساليب والأخيلة والأوزان والقوافي .

إلا أن النقاد من ذوى الثقافة العربية الأصيلة يرون في أكثر شعرهم وجوها للنقد والمؤاخذة في الألفاظ والأساليب والأوزان وفي الموضوعات أحيانا ، فقد تسالت ألفاظ

من العامة الى أدبهم ، ولم تسلم أساليبهم من الغموض والإبهام ، واضطروا الى ارتكاب الضرورات اللغوية ، كما أنهم أغرقوا في الأخيلة مما تأثروا به فعزت مراميها على قارئها . أما في الموضوعات فقد حاولوا أن يكون لهم في شعرهم تأملات فلسفية ، أو نزعات صوفية ، فكانت ، ولكنها كانت فلسفة سطحية ، أو تقليدا للنزعات صوفية قديمة ملؤها الشك والحيرة .

« ولشعراء المهجر صناعة بيانية ربما ازورت قليلا عن الذوق العربي السليم ، فأسلوبهم في الشعر - إلا نفرًا منهم - لاشية فيه من البلاغة وحسن السبك ، ويعلمون ذلك بأن لغة الشعر يجب أن تنسلخ عن لغة الخطابة ، وأن التأمل في الحقائق الكونية تعجز الألفاظ الموشاة عن تأديته أصدق أداء . ورأينا أن الشعر الخالد لا تكفي المعاني وحدها لخلوده ، وإنما لابد من مصاحبة القيم التعبيرية له حتى يظفر بالبقاء ويكتب له الخلود » [١] .

أما في الأوزان فما استحدثوه منها ونسجوا على منواله قد خرج بالشعر عن طبعه ، وخلط بينه وبين النثر ، ومن هنا أصبحنا نسمع كلمات « شعر منشور ونثر شعري » ونحو ذلك مما يدل على الفوضى بين نوعي الأدب .

وخلاصة ما يرى هؤلاء الناقدون أن مدرسة الشعر هذه قد جددت في الشعر ، ولكنها خرجت بأكثره عما عرف الناس من طريق الشعر العربي الى كلام لا هو بالشعر ولا هو بالنثر ، ولعل أصدق تصوير لتجديد هؤلاء وما فيه من مؤاخذة هو ما ذكره عن أحدهم وهو الشاعر الياس فرحات حيث يقول :

أصحابنا المتمردون	خيالهم	تقضى قریش به وتحميا حمير
لغة مشوهة ومعنى حائر	خلف الحجاز ومنطق متعثر	
وزعيمهم في زعيمهم متفنن	عجبا أكان الفن فيما يضمير	
لا الأرض تفهم ما يصوره لها	ذاك الزعيم ولا السماء تفسر	

(١) للشاعر عزيز أباظة في تصديره لكتاب الشعر العربي في المهجر للأستاذ عبد الغنى حسن .

ولعل من الإنصاف أن يقال : إن هؤلاء المهاجرين فضلا في الرحلة باللغة العربية من الشرق الى الغرب والتعريف بها وبأدبائها الى بعض أقطاره وأبنائه : دراسة في المعاهد ونشرا في الصحف والمجلات ، كما أن لهم تجديدا في بعض الموضوعات كأثر لاختلاف البيئة في الشرق والغرب حضارة وعمرانا ، ول بعضهم شعر جزل يستطيع متذوقه أن يضعه بين الأشعار القديمة والحديثة المعجبة المصنّفة ، وكثير من أشعارهم مجموعات من الألفاظ المرصوفة التي يعوزها التناسب والانسجام ، ولا يستسيغ الذوق العربي أكثر أخيلتها ، ويتكلف الذهن عناء كبيرا في الوصول الى مقاصدها ومراميتها .

أما التشيع لشعرهم ووصفهم بأنهم مدرسة شعرية ذات خصائص فنية فعلت بالشعر ما لم يفعله أحد من قبل ، فذلك من الدعاوى التي تحتاج إلى بينات وبيّنات .

على أن أبرز خصائص هذه المدرسة هو - مع الأسف - تناولها للمسائل الدينية دون حيطة أو حذر ، ودون مراعاة لما ينبغى لها من توقير وإجلال . وإنهم ليتناولونها في شبه التندر والفكاهة ، ومما يقول بعضهم :

أصلى لموسى وأعبد عيسى وأتلو السلام على أحمد

ومن عجب أن يجعل بعض الناس ذلك فضيلة لبعض الشعراء هي فضيلة « التخلص من التعصب واتساع النظرة الدينية » ويقول بعض هؤلاء الأدباء : « إن الدين ما أنار القلب ، ومتى كان ضمير جارى كنور الشمس حيا نقيا ، وقلبه كوردة تتفتح في الفجر لتستقبل ندى السماء ، فلا فرق إذ ذاك عندى ان ذكر بين الدراويش أو سجد مع اليسوعيين أو اغتسل في نهر السكنج مع البوذيين » .

« فالبحث في الحقائق الكونية والدقائق النفسية قذف بشعراء المهجر في تيه من الشكوك والريب ، وأغرقهم في لجة عميقة من الأوهام والظنون . وقد يكون الشك عند الفلاسفة ذريعة من الذرائع التي يتسلقون عليها لهتك حجاب الحقيقة أو إزالة النقاب عن وجه اليقين ، أما في شعر المهجر فلا نجد إلا الشك - والشك المجرد - » .

« ولعل انتفاع أدباء المهجر بالأدب الغربى أورشهم هذه النزعة فشكوا في كل شىء ولم يهتدوا إلى شىء » . وكما أن كثيرا من أدباء الغرب لا ينظرون إلى الأديان نظرة ملؤها

القدسية والاحترام ، فكذلك شعراء المهجر لا يأبهون بتعاليم الدين ، ولا يحفلون بمراسيم العبادة ، حتى ان « إيليا أبو ماضي » يزعم أن جهنم ليست غير فكرة تاجر ، وأن الله أمر الناس بأن يرحم بعضهم بعضا ، فكيف يرضى بأن يعذبهم فقال :

كم روعوا بجهنم أرواحنا فتألمت من قبل أن تتألما
زعموا الإله أعدها لعذابنا حاشا ورحمة ربك ان يظلمنا
ما كان من أمر الوري أن يرحموا أعداءهم إلا أرق وأرحما
ليست جهنم غير فكرة تاجر الله لم يخلق لنا إلا السما (١)

هذه كلمة موجزة عن الأدب العربي في المهجر بأمريكا ، أما عرض ما هو موضع الإعجاب أو النقد من شعرهم فله حديث طويل مكانه الكتب الخاصة به ما

أبو الوفا المرائي

(١) للأستاذ عزيز أباظة من المصدر السابق .

الشكوكيون

ليس شيء من أمور الدنيا إلا وهو معرض للشك ، حتى قال بعض الفلاسفة : إن كل شيء يقبل الشك ، حتى قولي هذا « إن كل شيء يقبل الشك » . ومن بين الفلاسفة طائفة يعرفون بأهل الشكوك ، يشكون في كل شيء حتى في وجود ذاتهم !

محمد المويالي

المرأة المثالية

في تقدير الاسلام

يحسنون صنعا ويقولون فصلا أولئك الذين يرون - ورأيهم الناجز السديد - أن المرأة في تقدير الإسلام ينبغي أن تكون لها السيطرة على نزعاتها ونزواتها ، وأن تكون عقائدها النامية متصلة أوثق اتصال بأوضاع العلم وطرائق الهدى ، علم يبصرها بالحياتين : حياة الابتلاء وحياة الجزاء . والمرأة كثيرة الاضطراب في الآراء ، سريعة السير مع الأهواء ، فلا بد لها من رباط وثيق ينمي بها نوازع الخير ومطالع التربية على أفضل وجه من المبادئ التربوية ، لأن المرأة شريكة الرجل في حياته تقاسمه الأوصاب والأسباب ، وتقرع معه أقوم الأبواب ، وتسلك به أفضل طرائق الركاب .

لكن ذلك في حدود عيبتها قوانين الأسر والجماعات والأفراد والأمم الناهضة في قصب الكمال ، فهي منبت صالح للولد ، ونمط قويم للأسرة ، تبنى البيت ، وتبنى الخلق في الطفل ، وتشجع للأسرة أقوم الشرائع وأهداها وأجداها على المجتمع وأولاها ، وذلك ما قصد إليه الإسلام في أولى مراحلها ، وذلك أيضا ما حفز شيخ العلماء شيخ الجامع الأزهر ، إلى إنشاء مؤسسة تربوية دينية يشرف عليها الأزهر في كنفه ويسلكها في رعايته .

لا نريد نحن العلماء أن تكون المرأة قاضية ، ولا محقة نيابة ، ولا مهندسة ، ولا زارعة ، ولا سبابة إلى ميدان الحروب تراحم فيها الرجل وتسكاتف فيها الجنود ، فذلك شيء لم تخلق له ولم تطمع على الاتسام به ، إنما نريد لها امرأة تحي ذمار بيتها ، فتحل العقد والمشاكل بين أسرتها ، وتؤانح بين أفرادها ، وتعلمهم نوازع الدين والخلق والفضيلة ، وتقتل في نفوسهم حب الأثرة ودواعي الشر ومفاتن الحياة ومبايها الأخاذة بالنهى والعقول .

ليس للمرأة أن تمارس أكثر من تلك العوامل والبواعث التي تبنى مستقبل الأجيال في الأمم والشعوب ، وتخطط للأحياء في هذه الدنيا أبلغ الخطط وأجداها على الإنسانية المعذبة ، وليس معنى ذلك أن نحتبسها فلا نروضها على الخلق والدين ، ولا نضع يدها على ملاك

الفضائل فنقول لها : هذا حلال وهذا حرام ، هذا ضار وهذا نافع ، هذا يسلك بالإنسانية إلى خير مداها ، وهذا يسلك بالإنسانية إلى الشرور والاثام .

ومن العجب العاجب أن تنبت نزعة أو فكرة في بعض الروس فيقوم دعاة التفضيل والشغب في الحق الصريح ببيت تلك الفكرة الرامية إلى تحلل المرأة من قيودها المتأصلة فيها ، وأن تفتح على الرجل تصرفاته العقلية واليدوية ، وأن تواكب في الحياة كل عمل يمتاز به الرجل في قصب السبق ، ولا ندرى في أى شيء تساوى المرأة الرجل وتسايه ، تلك مسألة تتعلق بتشكيل المجتمع وأوضاعه وبيان ما هو أفضله ، وما هو الوضع المطابق للفطرة التي فطر الله الناس عليها مما يقضى به الواقع من تاريخ الإنسان وحاضره .

وقبل أن نفيض في هذا البحث لابد من شرح طبيعة المرأة وبيان حقيقتها لنسترشد بذلك في تعيين الوضع الذي يجب أن تكون عليه في تشكيل المجتمع تشكيلا طبيعيا ، نريد ذلك على أن يكون المنطق الذي نستهدى به هو منطق الطبيعة والعقل ، مؤيدا بالتجربة والواقع والمصلحة ، لا منطق التقليد وحب الشهوات ونزعات الفوضى والإباحة المتمردة .

أيها الناس : استفتوا الطبيعة فهي تفتيكم ، هذا ذكر ، وهذه أنثى ، تلدهما امرأة واحدة ، وينحدران من صلب رجل واحد ، وربما كانا توعنين اتحدا في جميع أسباب التكوين ما عدا سر الذكورة والأنوثة ، فيجىء أحدهما عظيم الخلقه صلب العظام ناشرها ، قوى العضلات ، ذكى الفؤاد ، قوى العقل ، شجاعا ، مقداما ، خشنا ، ذا شعر شائك يملأ وجهه وصدرة وذراعيه ورجليه كأنما هو الأسد خشونة واقتراسا ، وتجيء الأخرى مخلوقا لطيفا ظريفا ذا سداجة وغرارة ، رخم الصوت ، حلو الحديث ، رقيق الكلام ، لين الأعضاء ، ناعم الملمس ، جميل الحيا ، وسيم الطلعة ، بهيج المنظر ، كأنما هو الزهرة تفتحت عنها الأكاليم ، ثم يختلفان فوق ذلك في مميزات الذكورة والأنوثة اختلافا عظيما ، ينبئك بأنهما خلقان متباينان متباينا عظيما ، ويطرد أمرهما على ذلك اطرادا ، أليس لهذا معنى ؟ ألا يرشد هذا إلى شيء وهلا يشير إلى شيء ؟ ! !

إنه بلا شك يرشد إلى أن المرأة مخلوق متمم للرجل ، على معنى ألا تستقيم حياة أحدهما بدون الآخر ، لكن المرأة من ناحية تكملتها حياة الرجل تحمل من الأعباء ما تستطيع به فرض هذه التسكلة على الرجل ، فهي مطالبة بأن تتفقه في دينها وخلقها وصوالحها الخاصة ومرافق حياتها . فالدين هو الرباط القوى الذي يسمو بها إلى أرقى أنواع الكمال ، فقد فرضت فيها الأمومة قبل أن يفرض فيها شيء آخر .

فرض فيها أن تكون بصيرة بحياتها التي تعيش فيها ، حياتها الزوجية ، وحياتها الشخصية ، فإذا انتهت حياتها الشخصية بفضائلها وقوانينها المثالية ، وافتحمت حياة الزوجية فنعماً هي ، لأنها تبنى للرجل أسرة رشيدة قيمة قائمة على حيائها التي اكتسبتها قبل أن تكون أم ولد وصاحبة أسرة . والأزهر حين دعا - وعلى رأسه شيخ علمائه ومدير أمره شيخ الجامع الأزهر - إلى إنشاء معهد للبنات ، فهو إنما دعا إلى تركيز الدين والخلق والفضيلة بين الفتيات اللاتي سيعرفن حين ينخرطن في سلك طالبات الأزهر ، كيف طغت المادة على المرأة بعد الحرب الثانية فجعلت منها مخلوقاً تحلل من كل فضيلة ، بل تخضع لكل رذيلة ، وما أعظم الفرق بين فتاة أتت إلى الأزهر لا تتخالط فيه الرجل ولا تسامرته ولا تحاكيه ، إنما أتت لتنهل منه مبادئ الدين القويم ونظريات الشرع الحكيم ، فتخلق جيلاً قائماً على الورع والتقى والهداية ، وقد تأصلت فيها حوافر الخير ودواعي الرشاد ، وبين فتاة ذهبت إلى بيئات أخرى تخالطت الرجل في كل مرافقه ، وواكبته حتى في أعماله الذاتية .

منذ خمسة عشر عاماً نادى قوم من علماء الأزهر الأقدمين بضرورة العزلة بين الشباب والفتيات في الجامعة وقالوا لهم في صراحة وجلاء : إن الاختلاط مخاطرة غير حميدة ، فأحرى بالقائمين على حراسة المبادئ التربوية والدينية والخلقية أن يبصروا بعاقبة هذا العمل الخطير ، ولكن ما أسرع أن قام في وجههم « صاحب الخطوة الثانية الفاشلة » وكان يومئذ بكلية الآداب ، فناجز الشيوخ على عادته ، وتصدى لهم على طريقته ، وقال في غير لبس ولا إبهام : لا مانع أن يختلط الجنسان في سبيل العلم ، وكل جنس يستطيع أن يحمي نفسه من الجنس الآخر ، مما لا تزال آثاره عالقة بأذهان دعاة الإصلاح علوق الدرن بالرئة .

ولماذا نذهب بعيداً وقد أرشدت الإحصاءات الأخيرة إلى أن ثلاثة آلاف من الطالبات انتسبن إلى الجامعات الثلاث منذ سنة ١٩٥٠ فتزوج منهن بشباب تلك الجامعات ألفان وستمئة فتاة بألفين وستمئة فتى : وكلاهما من الجامعات الثلاث .

أليس ذلك أقطع دليل على أن الاختلاط في صعيد واحد من أكبر الصوارف عن العلم .
ورحم الله شوقي إذ يقول :

قم ابن الأمهات على أساس ولا تبين الحصون ولا القلاع
فهن يلدن للقصب المذاكي وهن يلدن للغاب السباع

عباس طه
الحامى

ابدهوا بأنفسكم

لا تكاد تجلس إلى صديق ، أو يضمك مجلس خاص أو عام ، حتى تسمع النقد اللاذع ، والشكوى المريرة ، وأنان التآلم والتأوه على الفضيلة الموءودة ، وصيحات التحسر والجزع على الأخلاق التي فسدت ، والتقاليد الكريمة التي ماتت ، ثم على الفساد الذي ساد ، والبلوى التي عمت .

ويستطرد محدثك ، فيجعل من نفسه طيبا حاذقا عارفا بأدواء المجتمع ودوائه ، ويشخص الداء ، ويصف له الدواء ، في الرجوع إلى أحكام الدين ، وآداب الاسلام ، وتقاليده الشرق ، وأخلاق العرب : في البيت والشارع ، والمدرسة والنادي ، وفي الأسرة الصغيرة ، والمجتمع الكبير ، وفي كل مظاهر حياتنا وأساليب عيشنا .

فإذا ما انفض مجلسك ، وانتهى حديثه معك ، وقام كل إلى ما قدر له ، وخرج إلى زحمة الدنيا وميدان العمل ، وجدته مرتكباً لما كان ينقده ، آتياً من الرذائل ما كان يشكو منه ، ويتألم من أجله ، ويتباكى لحصوله ، حتى صارت أقوالنا وأعمالنا نقيضين ، واتسعت الهوة بينهما اتساعاً كبيراً ، وأصبحنا نتكلم بلسان الملائكة ، ونعمل بروح الشياطين .

نشكو من تبرج المرأة وخلاعتها ونروجها على كل مألوف في الأديان والتقاليد ، وتبجحها ومحاولتها الخروج عن طبيعتها ورسالتها .

فهذه المرأة الأمانة أو أختنا أو بنتنا التي يستطيع كل منا بحكم قوامته الاسلامية عليها أن يصلح من شأنها ، ويردها عن غوايتها ، وينصح لها في دينها ودنياها ، ويردعها عن اتباع الشياطين الذين يغرونها بمعسول القول ، وخادع الكلام .

ثم نشكو من الجليل الحديد الذي خرج على كريم التقاليد ، واتباع كل شيطان مرید ، وراح يسير وراء شهواته وأهوائه ، وأصبح يهتم بأغنيات الماجنين والماجنات أكثر من اهتمامه بمعرفة أحكام الاسلام ، والاستماع لحديث الدين .

فمن هم هؤلاء الذين يكونون هذا الجليل ؟ !!
 أليسوا هم أولادنا من بنات وبنين ، جعلهم الله أمانة في أيدينا ، واسترعانا عليهم .
 وكل راع مسئول .

ثم نشكو ونشكو حتى أصبحنا نشكو في كل مجلس ، ومن كل جانب ، وحتى
 صارت الشكوى نشيدا حزينا نردده في بدء كل حديث وغايته ، وفي مطالع كل نهار ونهايته .
 يا هؤلاء . . . رويدكم رويدكم ! ! ومهلا مهلا ! ! . . .

من تشكون ؟ ! أتشكون أنفسكم إلى غيركم ؟ ! !

ليشك كل نفسه إلى نفسه ، وليحتكم إلى ضميره الديني ، وليحاسب نفسه على ما قدم
 وآخر ، وليبدأ بها في معركة الإصلاح . فإذا ما أصلحها كان له أن يسهم في إصلاح غيره ،
 بل إنه إذا أصلح نفسه فقد أصلح غيره : بالأسوة الحسنة ، والقُدوة الصالحة المصاحبة ،
 والسيرة العطرة ، والتأثير النفسي ، والايحاء الصادق .

ليجفف كل منكم دمه الكاذب ، وليغلق فمه ، وليفتح قلبه ، وليحسن عمله ، وليعلم
 أنه لبنة في هذا المجتمع الضخم : إذا حسن معدنها أدت واجبها ، وحفظت البناء وزادته
 تماسكا ، وإذا كانت هشة لينتاضطرب البناء وسقط .

يها الشاكرون المتباكرون ! !

لقد أتحمنا بكثرة الكلام ، وطال انتظارنا لدور العدل ، فاجعلوا من أنفسكم وأعمالكم
 صورة حية لما تتادون به من مبادئ ، وما تهدفون إليه من أغراض ونتائج ، وحدثوا
 الناس بأفعالكم قبل أقوالكم ، واعلموا أن الدعوة التي لا يؤمن بها صاحبها ، ولا يعمل بها في
 ذات نفسه ، مردودة عليه ، وغير مقبولة منه ، ولن يبلغ كلام صاحبها من سامعه
 أو قارئه أكثر من أن يدخل في أذن ليخرج من الأخرى .

روضوا أنفسكم على الأخلاق الفاضلة ، وخذوها بالآداب الإسلامية ، وعودوها
 الطاعة ، حتى تكون نموذجا ناطقا ، وضوءا هاديا ، لمن يقتدى بكم من أبناء وأتباع ،
 ولا تجعلوا من حياتكم معرضا للمتناقضات : لسان يقول ، وعمل يكذب . يدعو بعضهم

إلى حماية الفضيلة، وهو الجاني عليها ، ويطلب إصلاح أبواب الناس وقد انخلع بابه ، ورتق أثوابهم وقد تمزق جلبابه .

هذا رسولنا وإمامنا : محمد بن عبد الله ، قد وصل إلى غايته ، وبلغ هدفه ، وحقق معجزته الكبرى في إخراج الناس من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم ، بالقُدوة العملية ، والعمل الصالح في السر والعلن ، والمنشط والمكره ، والرضا والغضب . كان — عليه الصلاة والسلام — يبلغ رسالة ربه ، ويتلو من آيات الله والحكمة ، ويدعو إلى مكارم الأخلاق التي بعث ليتممها ، ثم هو — قبل ذلك وبعد ذلك — قدوة صالحة ، ومثل أعلى : في سيرته المثلى ، وعمله الكريم ، في جهاده وتضحيته ، وعدله ورحمته ، وأمانته وصدقه ، وعطفه وبره ، ونصرته للحق ، وعدائه للباطل ، وشدته على المنافقين والمرائين الذين إذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون .

لنقرأ جميعاً قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم » ولتدبر قوله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون » ثم قوله جل وعلا : « ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام ، وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد » .

ثم لنستمع إلى الأحنف بن قيس إذ يقول : « لا خير في قول إلا بفعل ، ولا في مال إلا بجود ، ولا في صديق إلا بوفاء ، ولا في فقه إلا بورع ، ولا في صدق إلا بنية ... » .

أيها المتباكون :

كلنا حوار يون فمن يهوذا ؟ !! ، وكلكم يبيكي فمن سرق المصحف ؟ ! .

ليبدأ كل منكم بنفسه ، وليبدأ كل بنفسه ، ولا يبدأ بنفسى ما

زكريا البري

الجامع الأزهر

كثر الحديث عن الأزهر الشريف في هذه الأيام ، وطالب بعض أصحاب الفكر بأدخال ما تفرضه الحضارة الحديثة ، بنظمها ، وعلومها ، وفنونها ، ولغاتها ، على دراساته ومناهجه ، حتى يرقى ويسير في رقيه مطالب العصر ، ويندمج في حياة تفرضها العلوم الحديثة والابحاث المبتكرة ، فيسائر جامعات العالم .

وانبرى البعض الآخر يدافع عن الأزهر ، ويؤكد أن أى تطور أو تغيير إنما سيأتى على حساب الدين واللغة ، وسينقل الأزهر من مكانته كجامعة شرعية دينية مفردة ، الى جامعة عادية كباقي الجامعات .

ولما كنت على يقين بأن الحديث عن الأزهر لا ينحصر فئة دون أخرى ، لما له من مكانة رفيعة ، في نفوس الشرقيين عامة ، وفي نفوس المصريين خاصة ، طاب لى أن أذكر ما أعلمه ويعلمه أغلب الناس عن تاريخ الأزهر ، ومنه يستبين أن الأزهر لم يكن حصصا للدين واللغة فحسب ، بل كان رائدا ومعلما لجامعات العالم .

بنى الجامع الأزهر في العام الأول من الحكم الفاطمى ، بناءه القائد جوهر الصقلى قائد الخليفة الفاطمى المعز لدين الله ، بعد إنشاء مدينة القاهرة ، كعاصمة جديدة للبلاد ، وافتتح للعبادة في عام (٣٥٨ هـ ٩٧٢ م) ، واتخذ مركزا للثقافة الشعبية ، التى كان يدين بها الفاطميون . وقد ذكر المقرئى أن الخليفة العزيز هو أول من حوّل الأزهر من مسجد تقام فيه الصلاة الى جامعة تدرس فيها العلوم - ثم تطور سريعا وأصبح الجامع الأزهر ودار الحكمة التى أنشأها الحاكم بأمر الله ، مركزا علميا أكاديميا لدراسة الرياضيات والفلك والطب والكيمياء والجغرافيا والفلسفة والأدب بجانب علوم الدين .

وفي عام ٩٨٩ ميلادية أنشأ فيه العزيز تكية تضم خمسة وثلاثين طالبا ، كما منحه هو والحاكم بأمر الله ومن تبعهما من الفاطميين والأيوبيين والمماليك الهبات والعطايا وأوقفوا عليه الأوقاف .

ثم تتابعت على الأزهر عهود وعصور كان يزهو فيها ويعلمو ، ويعتبر عصر المماليك

العصر الذهبي للأزهر، حيث انضم إليه كثيرون من العلماء الذين وفدوا مهاجرين من الأندلس لأفولها وترك المسلمين والعرب لها ، وبغداد بعد هجوم المغول عليها .

وعلى نمط نظام الدراسة في الجامع الأزهر كانت تدرس العلوم في بغداد وفي الأندلس ، حيث ازدهرت العلوم فيهما ، وبلغت أوجها في بغداد في عهد الرشيد والمأمون ومن تبعهما بعد ذلك من الخلفاء العباسيين ، وفي قرطبة عاصمة الأندلس في عهد الخليفة الأموي الحكم ابن الناصر ومن تبعه بعد ذلك من الخلفاء الأمويين وملوك الطوائف . وكانت المدارس في عهدهم عامرة بالتلاميذ ، والمعاهد العلمية مكتظة بالطلبة من سائر الأقطار .

ولقد برز من علماء العرب الذين يدين لهم عصرنا الحديث بكثير من علمه وتقدمه ورقية كثير ، أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر ، خالد بن يزيد ، وجابر بن حيان ، في الكيمياء ، ومنهم أبو بكر محمد زكريا المعروف بالرازي في الطب والكيمياء ، وابن سينا في العلوم والطب . وفي مصر : ابن الهيثم في الرياضيات والبصريات ، وفي الأندلس : ابن باجه وابن رشد في الطب والفلسفة ، وابن جابر في الرياضيات ، وينسب إليه ابتكار علم الجبر ، وابن زهر في الطب ، وابن فرناس في الرياضيات ، وابن زيدون في الأدب ، وابن حزم في الفقه ، وابن خلدون في التاريخ والأدب ، والشاطبي في القراءات ، وغيرهم الكثير من العلماء الأعلام .

وكان يحضر حلقات الدرس كثير من الطلاب الفرنجة ، كما كان البابا سلفستر الثاني والملك ليون الثامن أحد ملوك الإسمان من خريجي جامعة قرطبة ، وقد نقل الطلاب الفرنجة هذه الأنظمة التعليمية وفكرة الجامعة إلى بلادهم ، كما جاء في رسالة « كيتاني » الكاتب الطلياني الشهير عن نصيب الإسلام في تدرج المدنية ، حيث ذكر أنهم وضعوا بمعاونة العلماء العرب أول جامعة نشأت في أوروبا ، وهي جامعة سالرمو بإيطاليا في أوائل القرن الحادي عشر ، ثم بولونيا بإيطاليا في القرن الحادي عشر ، ثم تتابع بعد ذلك إنشاء الجامعات في مختلف الدول ، نذكر منها مونبلييه بفرنسا في أوائل القرن الثاني عشر ، وبأريس في منتصف القرن الثاني عشر ، وجامعة أكسفورد في أواخر القرن الثاني عشر ، وجامعة كمبريدج في أوائل القرن الثالث عشر ، وجامعة سالامانكو بأسبانيا في منتصف القرن الثالث عشر ، وهايدلبرج بألمانيا في القرن الرابع عشر ، وأيسالا بالسويد في القرن الخامس عشر .

وعن هذه جميعا أخذت بقية جامعات العالم .

فالجامع الأزهر - إذن - من أوائل الجامعات المعروفة حالياً في العالم ، فهو رائد المعرفة الأول ، عنه أخذت بقية الجامعات الحديثة ، وعلى نمطه أقيمت وأُسست . بل لا تزال بعض نظم الأزهر وطريقة تدريسه معمولاً بها في أرقى الجامعات الأجنبية .

ففى بعض الجامعات الأمريكية يدرس أكثر من أستاذ نفس المادة الواحدة في وقت واحد ، وللطالب أن يحضرها على من يشاء من هؤلاء الأساتذة ، وهو نظام التدريس في الأزهر قديماً .

وفى بعض الجامعات ، ومنها جامعة أكسفورد بالإنجلترا ، يتفرغ بعض الأساتذة للبحث طوال حياتهم ، وقد أعدت لهم الجامعات كليات سكنية تضمهم ، وهو نظام كان معروفاً في الأزهر إلى عهد قريب .

ونظام التحضير للماجستير والدكتوراه ، المعمول به في الجامعات الحديثة ، منقول عن نظام التعيين في الأزهر ، حيث يختار الطالب - أو يختار له أساتذته - موضوعاً ويعطى الوقت الكافي لدراسته ، ثم يقوم بشرحه في حضور جميع الأساتذة المختصين الذين يناقشونه فيه .

ومن نظام حلقات الطلاب الذين كانوا يلتفون بأستاذهم وهو جالس على كرسيه ، فى صحن الأزهر ، يصيخون السمع ويتناقشون فيما ألقى إليهم ، ويستفسرون عما أغلق عليهم فهمه ، أخذ لقب أستاذ ذى كرسى طريقه إلى الجامعات جميعاً .

ومن نظم الأزهر البارزة فى بعض هذه الجامعات نظم الكليات فى جامعى كبرج وأكسفورد ونظم الأندية فى جامعة أوسالا ، فهى عبارة عن مساكن مهياة مخصصة لسكن الطلبة مع تزويدها بمكتبات خاصة ، تماماً كما فى أروقة الأزهر .

هذه بعض نظم الأزهر التى لا يزال معمولاً بها فى عصرنا الحديث ، وهذا دليل بالغ على أن الأزهر هو الشعلة الأولى التى أنارت ظلام العصور ، بل لقد بلغ إعجاب الغربيين بالأزهر أن نقلوا عنه حتى هندسته المعمارية ، فبنى جامعى أكسفورد وكبرج يشابه إلى حد كبير مبنى الجامع الأزهر بصحنه الفسيح المتسع ، حيث يرى الداخل إلى إحدى كليتهما الصحن المتسع تحيط به الكنيسة والمباني .

ومن الطريف أن الغربيين لم ينقلوا عن الأزهر الشريف دراساته وطريقة التدريس والتعيين ونظام الأروقة وكسب الأستاذية فقط ، بل نقلوا فيما نقلوا الملبس أيضا ، وما « الروب والسكاب » وهو الزي الجامعي التقليدى إلا «الفرجية والعمامة» مع بعض التغيير الطفيف .

من ذلك نرى أن الجامعات أخذت عن الأزهر تعاليمه وتقاليده ونظامه ، ونقلت عنه جده وتقدمه . فالذين ينادون بأن يسائر الأزهر الزمن ويتابع العصور فى تطورها ، لا شك أن دافعهم إلى ذلك ، ذلك التاريخ المجيد .

ومن حق الأزهر أن يستعيد ماضيه ويأخذ مكانه الرفيع الشاخص ، فيبقى أبدا منارا للشرق والجامعات العالم ، فدراسة الأزهر للعلوم الحديثة لم تتوقف إلا بعد الغزو والتركي بسبب ما لحق البلاد من شذائد وإذلال ، فبدأ عصره الزاهر فى الذبول ، شأنه ككل مقومات الحياة التى تعرضت لجبروت الغاصب وسطوة المحتل .

ولا أنكر أن الأزهر - فى العشرين السنة الماضية - أدخل الكثير على مناهجه ونظم التدريس فيه ، وأنه خطا فى تطوره الحديث خطوات ، لا أقول قليلة ولكنها وئيدة ، فيها الكثير من وقار الشيوخ وحكمتهم ، وحبذا لو اتسعت الخطى وبعد المدى ، حتى نرى الأزهر الشريف قريبا كما يجب أن يراه كل شرقى ومصرى ، تصدردا الجامعات الحديثة ، فى دراسات الدين واللغات والفلسفة والأدب وغيرها من العلوم المرتبطة بها ، والواجب توفرها لتحقيق الهدف الأسمى من دراساته .

دكتور عباس فنحس الرهطلى

أستاذ بجامعة الإسكندرية

جبابرة الأرض

لينظر جبابرة الأرض إلى مواطني أقدامهم ، لينظروا إلى الشعوب التى يقهرونها ، والمبادئ التى يزدرونها ، فإن من شمة سوف تخرج القوة التى تصرعهم .

أنا تول فرانس

ابراهيم والوحدانية

(وإذ قال ابراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة ، انى أراك وقومك فى ضلال مبين ، وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ، فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى ، فلما أفل قال لا أحب الآفلين ، فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى ، فلما أفل قال لئن لم يهدينى ربى لأكونن من القوم الضالين ، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر ، فلما أفلت قال يا قوم إنى برىء مما تشركون ، إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا ، وما أنا من المشركين) .

كان الملائ من قوم ابراهيم عليه السلام يعبدون الكواكب ، لأنهم وجدوا علاقة ظاهرة بين حركات سيرها وتقلبها فى بروجها وبين اختلاف الفصول وما يترتب عليه من تأثير مشهود فى سنة الحياة والأحياء .

ولما كانت هذه الكواكب محيرة فى السماء بين الظهور والاختفاء فقد عز على نفوسهم ، أو نبا عن عقولهم ، أن تغيب عن أبصارهم آلهتهم المعبودة ، فرموا إليها باقامة أصنام لهم على الأرض يعكفون على عبادتها هى أيضا .

نظر ابراهيم لهذه الأصنام - وهى حجارة بليدة لا تعى ولا تنطق - فلم يجد من الحجمة فى الاقناع بسخفها وبطلانها ، إلا أن يبطش بها صنما صنما ، (فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون ، ما لكم لا تنطقون ، فراغ عليهم ضربا باليمين) حتى جعلهم قطعاً متناثرة وجذاذا مفرقا ، وكان أبوه آزر ممن يشارك فى عبادة هذه الأصنام ، فناداه بأندى صوت وأشملة على اقناع : أتتخذ أصناما آلهة (يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا ، يا أبت إنى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا ، يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا) فأعرض أبوه عن دعوته (فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ، ان ابراهيم لأواه حليم) . وتريث هنا لتلفت إلى هذه الظاهرة المتكررة فى قدر الله : وهى ظهور الكفر من آزر أبى ابراهيم عليه السلام ومن ابن نوح عليه السلام ، وخيانة امرأة لوط ، وامرأة نوح ، وكنائنا تحت عبيد صالحين ، وإيمان

امرأة فرعون ، وكانت تحت طاغية يدعى الألوهية ، فلماذا تأكد في قدر الله وسنته في خلقه ، هذه المفارقات المحركة للفكر والشعور ؟ . ونرى أن ذلك آية على أن كل إنسان مسئول عن عمله ، مستقل بحسابه ، لم يجعل الله للنسبة الشريفة ولا للتبعية الخسيسة في ذلك عملا ولا تأثيرا (وأن ليس للانسان إلا ما سعى) .

ونظر ثانيا إلى الكواكب هذه النيرات التي تدهش العقل بأشراقها ونظام سيرها ، فلم يهاجمها بنفس البطش الذي هاجم به الأصنام - وهي كما قلنا أبحار بليدة يتجدى بداهة الفطرة الظن بألهيتهما - بل سلك في إبطال عبادة الكواكب مسلك المناظرة القاطعة الحكيمة .

فمضى يستدرج خصومه في المناظرة من مقام إلى مقام ، حتى انتهى بهم إلى مقام يتعين فيه التسليم أو يثبت فيه الأفهام .

« وتلك محجنتا آتيناها إبراهيم على قومه ، نرفع درجات من نشاء » وكان الله قد تعهد إبراهيم من قبل فأراد ملكوت السموات والأرض فوجد فيها من مظاهر الإبداع ، وروعة المشاهد ، وإحكام النظام ، ما يقطع بوجود الإله الواحد ، الذي أبدع صنعها ، وأحسن خلقها ، ودمغ كل موجود فيها بطابع الوحدانية والإرادة المستقلة . أظلم عليه الليل فرأى كوكبا - قيل هو الزهرة - فقال - استدراجا لقومه ، وحكاية لمعتقدم - : هذا ربى - فلما أفل وغاب قال : لا أحب الآفلين ، لأن أخص صفات الله ألا تغلبه أحداث الكون فتغيره أو تغيبه ، وإلا كان واحدا من جنسها ، فلا يعقل أن يكون لها إله ، ثم رأى القمر بازغا - طالعا - في ليلة ثانية ، فقال أيضا - على سبيل الاستدراج والحكاية - : هذا ربى - فلما أفل هو الآخر ، وكان أظهر مكانا من الكوكب السابق ها له - فبدأ يبدى لقومه - هذا الأفل ، فلوح لهم بأن عبادة هذا الكوكب ضلال لا ينجى من التورط في مباشرتها إلا هداية رب العالمين .

فلما أراههم أن آلهة الليل سقطت في الاختبار توجه معهم إلى الشمس فقال : « هذا ربى هذا أكبر » فلما أفلت مع كبر جرمها وتعاظم شعاعها صارحهم بالحقيقة التي أرادها من قبل والتي قد حان وقت التصريح بها ، فوصفهم بالشرك ، وجابهم بأنه برى مما يشركون ، وبأنه قد صرف عبادته وطاعته لاله القادر الذى خلق السموات والأرض متجافيا عن كل معبود سواه ، متبرئا من كل شريك له في وهم الحاهلين وضلالة الضالين . إذا سقطت

هذه الآلهة في الاختبار واحدا أثر واحد وقام الدليل المحسوس على أنها مقهورة لا قاهرة ،
ومسخرة خاضعة لامدبرة مستقلة ، فقد وجب على عبادها في شرعة المنطق والعقل أن يتخلوا
عن عبادتها ، ويلتمسوا لهم إلهًا غيرها : إلهًا تكون قدرته وتديره من وراء الشمس والقمر
والأفلاك جميعا ، إلهًا ينطق ملكوت السموات والأرض بوحداية ذاته وصفاته ، وله
الخلق والأمر ، وهو الإله الحق الذي أراد إبراهيم عليه السلام ، واتخذ تلك المحاورة سبيلا
لتوجيه قومه - عقولهم وألبابهم - إليه بالجملة المقنعة والدليل القاطع .

* * *

أساس سعادة البشر ووقاية نفوسهم من عوامل الخوف والقلق والتوجس ، وهى
الأمراض التى استشرى فتكها بنفوس الناس تحت وطأة المسئوليات الكثيرة التى فرضتها
أوضاع المدنية المعاصرة أمران : الإيمان بالله ، وتوحيد ذاته وصفاته والتوجه له ،
فالإيمان بالله ، هو الضمان الأقوى الذى تركز إليه النفس المؤمنة وهى تصارع الحياة
بصبر لا ينفد ، وتفاؤل ممدود الضياء ، لا تخشى فى معاركها الكبرى هزيمة ، ولا تتوقع
عجزا « ومن يؤمن بالله يهد قلبه » . « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم
الملائكة ألا تحافوا ولا تحزنوا » ، « الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور »

وتوحيد ذات الله وإفراد التوجه له دون سائر الكائنات ، هو أعظم عوامل الثقة
بالنفس وبالحياة ، من حيث هو أعظم الأسباب لتحرير النفس البشرية من مأساة الضراعة
لأى مخلوق فى موضع رغبة أو رهبة ، وصيانة العقل من سلطان الخرافات والأباطيل
التي تعتبر لغير الواحد اقهار تدخلا فى أحداث الكون ووقائع الحياة ، لأن شيئا من
ذلك يعتبر منابذا لكمال التوحيد وصدق المعرفة بمقام الربوبية « قل الله أعبد مخلصا له
دينى فاعبدوا ما شئتم من دونه » . « أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه
ومن يضلل الله فما له من هاد » . « وإن من شيء إلا عندنا خزائنه ، وما ننزله إلا بقدر
معلوم » .

كذلك كانت العبرة من حوار إبراهيم مع قومه وما يمتد إليه أثرها العميق فى الحياة
وفى الأنفس ، وما أجملها من عبرة تزيد نفوسنا إيقانا وتثبتنا . . .

خصائص الأدب

معناها وإقليميتها

يتسم الأدب في كل عصر بسمات وخصائص ، تميزه عما عداه من آداب العصور الأخرى . ويكتسب هذه السمات والخصائص من روح العصر الذي يعيش فيه ويصوره . والأدب يتأثر - كما هي طبيعته - ببيئته وبنزعات العصر واتجاهه في كافة نواحي الحياة .

هذه النزعات والاتجاهات : اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو لغوية أو لفظية أو غير ذلك ، تتفاعل معا تفاعلا مركبا فيه تحليل فامتزاج فتكوين جديد ، له اثره في نفوس الأدباء ، فيلهمون أدبهم على نسق هذا التكوين وغراره ، ومن هنا ترى لكل أدب سمات وخصائص تميزه عما عداه ، ونتيجة مباشرة لاختلاف عوامل البيئة وعاداتها وأمزجتها وأمزجة الأدباء في كل عصر .

وهذه السمات والخصائص مجتمعة ، هي التي تميز أدب عصر عما عداه ، وتكسبه إقليميته .

وقد قلنا « مجتمعة » لأننا نعتقد أنه ما من خصوصية بمفردها لأدب عصر - مهما بدت مقصورة عليه - إلا لها نظير في أدب عصر غيره ، نتيجة لتشابه بعض مظاهر العيش واستمرار مقومات الشخصية القومية .

ولكن الذي لا يستطاع لأدب أى عصر أن يماثل فيه أدب عصر آخر ، هو مجموع خصائصه وسماته ، والأدب بهذا المجموع يكتسب « شخصيته » بين الآداب الأخرى .

ويطرد تناسب شخصية الأدب مع اطراد تعدد خصائصه وتنوعها وتحولها وقوة بروزها وفنيتها وسمو هذه النزعة ، كما تطرد قيمتها باطراد تجاوب مجموع هذه الخصائص مع ظروف حياة هذا الأدب وبيئته ، وباطراد دلالتها على مزاج الأدباء وأذواقهم .

والخصائص هي القواعد الفنية والصفات الأسلوبية التي تروق أذواق أدباء أحد العصور وتستطيعها أمرجهم ، فيلزمونها حينما يصدقون لصوغ أساليبهم فكرة وتصويرا .

وهذه الأذواق والأمزجة هي التي كوتها لهم وهذبها ووجهتها ألوان يبتهم التي عاشوا فيها . ومن هنا نشعر بمقدار أثر هذه البيئات في وجود تلك الخصائص ونشأتها وبروزها ، وفي إكسابها ما تتمتع به من قوة وإشراق .

فسجع السكهان في الجاهلية نشأ بسبب انتشار الوثنية وسيادة السكهان والرغبة في إيهام العامة أن هناك معميات تخفى على فطنها وتغيب عن ذكائها وتلطف عن حسها . وكان بالعامة استعداد لقبول هذا الوضع لانساقه مع عقائدها . ومن هنا نشأ السجع المتكلف المبهم ذو الرجم بالغيب ، وفيه تأثير بالغ ، تخضع له النفوس ، وتستكين الأفتدة ، وتستسلم الأحلام .

والبادية بغلظتها وقسوتها وخشونتها نضحت على ألفاظ أدبائها غرابة وعنجهية . ولسكنها من ناحية أخرى طبعهم بطابع الشهامة والمروءة وحب الإلف وتذكره - لقلة الألاف وتحول المنازل - . ومن هنا ظهرت المدائح والفخریات والغزليات في أدب الجاهلية .

وقد ذاعت الثقافة الدينية القومية في عصر النبوة والراشدين ، وسمقت دعائمها على أساس من القرآن الكريم والحديث ، فرقت الأساليب برقة النفوس ، وصفا القول بصفاء الأرواح ، وتهذبت العبارات بتهديب العقول ، وأخذ الخطباء يدعون الناس إلى الجهاد في سبيل الله وسبيل دينه ، ويحثونهم على التمسك بالفضيلة في وضوح لا يشوّهه لبس ، وفي قوة لا يعتريها وهن ، لهذا هجر سجع السكهان الزائف ، ولم يبق منه إلا ما يكمل المعنى ، ويزيد موسيقا اللفظ تأثيرا في النفوس .

ولما دونت الدراوين ، أخذت طبقات من السكاتب في الظهور ، ونهضت كتابة الرسائل التي كانت في أول أمرها مقصورة على لباب المعنى وجوهره ، ثم لما اتسعت رقعة الدولة في عصر بني أمية أخذت الرسائل تطول تناسبا مع سعة الدولة ونهوضها إلى ضبط أمورها ، وتنوعت في الكتابة صور بدئها وختمها ، تبعاً لتنوع أغراضها . وهكذا . .

وما امتزجت الثقافات في العصر العباسي ، وأقبل الناس عليها ، وقوى اختلاط العرب بالفرس وغيرهم ، وأخذت الدولة زخرفها وازينت ، وأقبل الناس على تلمس الجمال ، وطلبوا الأناقة في كل مظهر من مظاهر الحياة ، وبدأ الترف بأعلامه على مجالس العباسيين ومحافلهم ، برزت الألوان البديعية إلى الصفوف الأولى بين دعاائم الأساليب ، يصاحبها عمق الفكر وشمول النظرة وسلامة النطق وقوة التعليل . وعلا نجم المجاز بأنواعه ، والتشبيه بشتى ضروبه ، وعاونوا معا على تسجيل صور جديدة مبتكرة مما جاد به الخيال المهبذب .

ولما فتح العرب الأندلس ووجد شعراؤهم فيها ما لم يجدوه في جزيرتهم من الخمائل الجميلة ، والأدواح الظليلة ، والأنهار الروية ، والسهول الممرعة ، والمروج المطرزة بألوان الزهر ، صفت أذهانهم ، وسما وجدانهم ، وعذب بياضهم ، ووسعوا دائرة الأدب ، وهذبوا الشعر فتأنقوا في ألفاظه ، وتنوقوا في معانيه ودبحوه تدبيج الزهر ، وسلسلوه سلسلة النهر ، ونوعوا قوافيه وتفننوا في خياله .

ولما نهضت مصر نهضتها الحديثة وتلاقت فيها الثقافات المختلفة القديمة والحديثة ، والشرقية والغربية ، تراحمت المعاني على أبواب العقول ، فاسترسلت الأقلام ، وانطلقت العبارات ، ولم يعد هناك فتون بالموسيقية اللفظية التي قوامها السجع والجناس ، ولا جنون بالطباق أو المقابلة أو التضمين أو الاقتباس ، أو حنين إلى التورية والاستخدام . فقد أخذت الحياة الجادة بنفوس الأدباء ، فلم تدع لهم فرصة يزوقون فيها التراكيب ، ويتمقون الأساليب ، ويبتنون الدعابة ، ويشيرون النككة . ولا سيما أنهم يرون أن عهد المظاهر والبهارج قد زال وانقضى . وإن كنا نعتقد أنهم بذلك قد باعدوا بينهم وبين أذواق العامة ، ولو إلى حد ما .

* * *

هذه جملة من المؤثرات الأدبية ونتائجها من خصائص الأدب في بعض العصور . وهذه الخصائص تتغير في كل عصر تبعا لتغير مؤثراته ، وكثيرا ما ترى عصرين — مثلا — يتشابهان في بعض خصائصهما الأدبية ، بسبب تشابه بعض مؤثراتهما وتمثلهما في القدرة على إحداث نتيجة معينة . غير أنه من العسير أن يتشابه عصران تشابها تاما في أدبيهما ، وفي خصائص هذين الأدبين . وتلك نتيجة حتمية لاختلاف كل منهما في مجموع بيئاته ومجموع مؤثراته .

ويكتسب الأدب — ولو كان طارئاً — صفة الإقليمية بتوطنه في مصر . ولكن لا يكفي هذا التوطن وحده ، بل لا بد للأدب مع تغير بيئته الطبيعية الأولى من تغير بقية أنواع البيئات ذات الأثر فيه : كاليئات الدينية والسياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية وما إلى ذلك .

وكما تشابه أدبا عصرين في ألوان بيئتهما ، كان ذلك عائقاً دون بروز الإقليمية فيهما بروزاً فيه قوة واستقلال ، أو بمعنى آخر فيه « شخصية » .

* * *

هذا إلى أنه ليس من الضروري أن تتضح كل خصائص الأدب في عصر ما في أدب كل أديب فيه ، بل ولا في أدب كل أديب من أدباء حلبة واحدة من حلباته ، لأن الأدباء يختلف بعضهم عن بعض باختلاف حياتهم الخاصة وباختلاف أذواقهم وطبائعهم . وهذه الاختلافات ذات أثرين في تنوع خصائص كل أديب عن غيره ، وإلا أصبحوا جميعاً نسخاً مكررة لأصل واحد .

ولكنك ترى — على الرغم من هذه الاختلافات — أن هناك خصائص أدبية تنظم أديبهم جميعاً ، أو على الأقل تغلب على أديبهم ، وتلون أدب أكثرهم ، فهذه الخصائص الغالبة هي أهم ما نعتبره في أحد العصور لخصائص لأديبه .

فحينئذ حينما نتحدث عن خصائص الأدب في عصر ما لا ننظر نظرة فردية بل نظرة شاملة عامة ، بمعنى أننا لا ننظر في خصائص كل أديب على حدة ، بل نستقرئ الخصائص المشتركة بين أدبائه جميعاً ، وإن كنا لا نغفل قط عن خصائص الأدباء الأخرى .

وبدهى أن يكون لكل أديب في عصر ما خصائص قد يفارق بها أديبا آخر معاصراً ، ولا يصعب تعليل هذا باختلاف الطبائع والثقافة والدوافع الأخرى .

فمثلاً كان منشئو ديوان الانشاء في مصر في عهد المماليك ومن لف لفهم من كتاب الرسائل ، يلتزمون — أو كادوا يلتزمون — السجع واطالة الفقرات ، وكان هذا الالتزام أحد التقاليد الأسلوبية المرعية في الديوان ، وبينما ترى رسائلهم تفيض بذلك وتموج بالاختيالة الشعرية والمبالغات وإجادة التصوير ، اذ ترى نصائح الفقهاء المعاصرين ومواعظهم لم تعبأ

هذه الالتزامات، وذلك لأنها غلبت عليها الفكرة والدقة في إبراز الرأى قبل العناية بموسيقية الألفاظ ، وتوافق القرائن ، وازدواج التراكيب .

وكانت التورية - مثلاً - إحدى دعائم الأسلوب عند جمال الدين بن نباتة المصرى في شعره وفي نثره، بل هو الذى تزعم طريقتهما، وحمل رايتهما بعد القاضى الفاضل . ومرجع ذلك - فيما نعتقد - عكوفه على قراءة آثار الفاضل وتشيع مزاجه منها ، كما كان شعبي الذشأة والثقافة ، لذلك كان شعبي الشعور ، ومن هنا نهضت خصائص أساليب العامة في شعره ونثره من فكاهة ونكتة وتورية .

وقد نبأ به مزاجه عن الاغراق في الجناس ، لأنه «نوع ردىء أو محسن لفظى لا يتصل بتجسين المعنى» كما يقول ابن حجة ، فكان يقال منه أو يخرج مخرج التورية . وبينما كان يفعل ذلك اذ كان معاصره صلاح الدين الصفدى مغرقا في الجناس ، فتكلفه تكلفا شديدا في شعره ونثره .

لكل أديب إذن خصائص قد يفارق بها سواه من أدياء عصره ، ولـكننا حينما نؤرخ أدب أحد العصور ينبغى لنا - كما أشرنا - أن نعمم النظرة ، حتى تبدو لأعيننا الخصائص العامة التى تنتظم جميع الأدياء في ذلك العصر ، وهى التى تكسب أدبه «أقليميته» وان كننا لا نغفل الخصائص الفردية ما

محمود رزق سليم

أستاذ الأدب المساعد في كلية اللغة العربية

شعر الاشراف

قال معاوية رضى الله عنه لشاعر بنى أمية عبد الرحمن بن الحكم :

إنك قد لهجت بالشعر ، فإياك والتشبيب بالنساء فتعزّ شريفة ، والهجاء فتعجن كريمة
أو تثير لثيما . وإياك والمدح فهو كسب الأندال . ولكن انخر بما أثرقومك ، وقل من
الأمثال ما ترين به نفسك ، وتؤدب به غيرك . وإن لم تجد من المدح بدا فكن كالمملك المردى
حين مدح بجمع بين نفسه والمدوح فقال :

احللت رحلى فى بنى ثعل إن الكريم للكريم محل

ما ذا يراد بالاسلام !؟

من حين لحين تطالعنا الصحف بكلمات تتصل بالإسلام ومقدساته ، ولهذه الكلمات طابع واحد وإن اختلفت ميول أصحابها ، وبيئاتهم ، وثقافتهم ، ذلك الطابع هو الجرأة البالغة على المقدسات الإسلامية ، والزراية الهازلة بأحكام هذا الدين ، والاستهانة المتعمدة بشعور المسلمين . وطبيعي أنى لا أريد أن أحجر على حرية الرأي ، أو أستعدي على صاحب فكرة ، أو أرمى أحدا بما كان ينبغي أن يرمى به حين يعالج من الأمر ما لا يحسن ، وإنما أريد أن أتساءل : ما ذا يقصد هؤلاء بما يعمدون إليه من الإساءة إلى دين عجزت العقول السكيرة أن تجد فيه منفذا لطعن صائب ، أو سبيلا إلى نقد صحيح ؟ ! .

وليس يمكن أن يقبل الراصد لهذه الأمور بسهولة أن تكون هذه القذائف الجوف التي تلقى دون روية أو تعقل ، وليدة المصادفة ، أو نتيجة البحث عن الحقيقة ، أو ناشئة عن رغبة في إصلاح ، أو عمل لخير المجتمع . وكيف نفسر موقف رجل نشأ في بيئة دينية ، وظل فيها إلى أن أصبح كهلا ، وقد كان - على ما يبدو من سلوكه وأحاديثه - من المتعمقين في دراسة الدين ، الحريصين على نشر تعاليمه ، وحث الناس على اتباعها ، كيف نفسر موقفه حين ينساق به الحديث فيسطر في كتاب يقرؤه الآلاف من الناس ، ما يتعارض مع صريح الآيات القرآنية ، ثم لا يحاول أن يعرج على الآية التي ناقضها بتأويل أو تفسير أو فهم جديد لمعناها ومغزاها ، وإنما يلقى حكمه ، وكأن القرآن لم يعرض له ، ولم يصرح في آية من آياته المحكمة بما يخالفه .

يقول هذا الكاتب معلقا على قضية رجل ضرب زوجته تأديبا لها : « ان ضرب الزوجة وحشية » ويذهب يتحدث عن هذه الوحشية ، وعن حقوق الزوجة وكرامتها وتقدمها ، وأن ذلك كله يتنافى مع ضربها ، فليس من حق الرجل أن يمد يده إلى زوجته ، وإلا كان وحشا . ونقرأ هذه العبارات ونذهب نتلمس في ثنايا الكتاب تأويلا جديدا لهذه الآية المحكمة التي ورد فيها إباحة أن يضرب الرجل زوجته فلا نجد لذلك أثرا ، ونحن نعرف الكاتب ، ونعرف أنه ممن يحفظون كتاب الله ، ونعرف أن الأصول الأولى للبحث العلمى السليم ، أن لا يسطر الباحث كلمة يرفض فيها بعض الأصول المعروفة التي

اتفق عليها جماعة من العلماء ، حتى يلتمس لنفسه مخرجا من هذا المتعارف المسلم به ، وحتى يكر على أقوال السابقين فيطلبها ، فما بالناس به يكتب ما يناقض صريح قوله تعالى : « واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن ، واحجروهن في المضاجع ، واضربوهن ، فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا » ثم يمضى ، وكأن الله لم ينزل هذه الآية على نبيه ، وكأنها ليست في القرآن الكريم !! .

ثم نرى آخرين من الذين لهم سابقة في دراسة الشريعة الإسلامية ، يتناولون على أحكامها ، ويتمسكون ببعض الشبه التي يوقنون كل اليقين بأن العلماء قد فرغوا من بحثها وتزييفها ، ويذهبون يوهمون الناس أنهم أصحاب آراء جديدة ، كهذا الذي يكتب مقالا عنوانه : « الإسلام يحرم تعدد الزوجات » فيرتكب بهذا العنوان وحده أكبر مخالفة لأصول البحث العلمى ، ويمضى في طريقه فلا يذكر دليلا واحدا صحيحا ، ولا يبدي رأيا سليما ، ولا يتعلق بشبهة إلا وهو يعرف أن العلماء ناقشوها وبهرجوها . وكهذا الذى يشير فتنة حول وجوب الصوم ، فاذا طلب إليه أن يؤيد قوله ولو بحجة شبيهة مقبولة عجزل العجز ، ثم يمضى في غيه حتى يحط من شأنه ومن شأن معهده الذى نشأ فيه ، ولا يزال ينتسب إليه .

* * *

اننا لانستطيع أن نفسر هذه السقطات بأنها ناشئة عن حرية الرأى ، أو عن حب البحث ، فأول ما يتطلبه من يحترم عقله ورأيه وخلقه - إن طلع على الناس بجديد - أن يكون له من الحجّة ، والبرهان ، ما يشهد بأنه يبغي الحقيقة : ولكننا - بالنسبة إلى هؤلاء إن أحسننا الظن - نرجح أنهم رأوا طه حسين في مبدأ حياته ينكر على القرآن أن يتحدث عن ابراهيم واسماعيل ، ويرى أنه ما دام التاريخ لم يثبت وجودهما ، فليس يكفى للإيمان بوجودهما أن يتحدث القرآن عنه ، قال هذا طه حسين ، فأحدث حول اسمه دويا . ثم جاء بعده من تلامذته من يقول بأن قصص القرآن ما هي إلا أساطير ، عمل فيها الخيال عمله الواضح القوى . فأنار - كذلك - ضجة حول اسمه . . . رأوا ذلك فتمكن في نفوسهم أن هذه هي السبيل للصيت والشهرة ، وأنها طريق معبدة سهلة ، ما دامت لا تتطلب ممن يريد إلا أن يتنكر لعقله ، ودينه ، وخلقه ، وليس هناك ما يردعه ولا ما يخشاه ، فالرأى العام لا يقلقه ، والقانون لا يتعرض له . بل ان هؤلاء يحيدون من بعض الناس صدورا رحبة ، وتشجيعا وتأيدا ، واشادة بعقرياتهم وشجاعتهم .

فاذا تجاوزنا هؤلاء ، رأينا من لا يحسن النطق بآية من القرآن يتحدث عن أحكام الدين ، ورأينا تجنبا وزراية بقوانين إسلامية ، أقل ما يجب لها من الاحترام أن يتحدث

عنها بعبارة مهذبة ، وأسلوب خال من الطعن والتجريح . ونحن - مع أننا لا نقر أن يتعرض أحد لأحكام التوراة والانجيل بغير العبارة العلمية الهادئة - لا نرى من هؤلاء الكتاب أى تعرض - ولو من بعد - لشيء من هذه الأحكام . فكيف ساغ لهم أن يصفوا بعض الأحكام التى بذل الفقهاء الأولون - رحمهم الله - غاية وسعهم فى استنباطها من الأصول الأولى للإسلام .

* * *

وإنى أسوق هنا مثلاً واحداً على هذه التهجمات غير الواعية : طالعنا الصحف بأن جماعة من سيدات مصر رفعن طلباً إلى وزير العدل لاعادة النظر فى قوانين الزواج، والطلاق، والحضانة ، والطاعة ؛ وإلى هنا لا نجد غباراً على هذا الصنيع ، فمن حق كل إنسان أن يطلب ما يشاء ، والأمر بعد ذلك لأهل الاختصاص ، وأولى الأمر ، ينظرون فيما يصلح وما لا يصلح ، ولكن العيب فى الطريقة التى عرض بها هذا الطلب ، وفى التعليقات التى علقها الكتاب عليه . فهذا كاتب يصف الأحكام المعمول بها الآن ، وهى مأخوذة من مذهب السادة الأحناف ، وبعض المذاهب الأخرى ، وهى أحكام تستند إلى أدلة صحيحة من الدين ، ولكن الكاتب يقول : « ونحن نعتقد أنه آن الأوان للنظر فى تعديل القوانين العتيقة بحيث تتسجم مع روح العدالة ، والانسانية ؛ والتقدم ، التى تجعل المرأة - متى كانت فاضلة - جديرة بحضانة أطفالها ؛ وبالاتساق على يد البوليس كالمجرمة الأثيمة إلى رجل قد لا يستحق أن يكون زوجاً ، أو أن يكون أباً ، أو أن يكون رجلاً » .

* * *

ونحن نعلم أن الأدلة الشرعية التى أجمع عليها العلماء أربعة : الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، ولكننا نظفر فى هذه الأيام بدليل خامس ، يجب أن نغتنب به ، ونصفق له ، ونضيفه إلى أدلتنا المعروفة فى الشريعة الإسلامية ، ذلك هو (اجماع النساء) . أى وربى ، فقد أصبح اجماع النساء من الأدلة التى يترتب عليها العمل بحكم من أحكام الدين . ومن كان فى شك مما أقول فليقرأ هذه العبارات التى نشرتها إحداهن فى بعض الصحف المحترمة فى هذا البلد ، قالت - لا فـض الله فـاها - : « إن هذه المطالب لا تمثل اتجاهها فردياً بين نساء مصر ، بل إن سيدات البلاد العربية قد نادين بها ، فى مؤتمر الاتحاد النسائى ، الذى عقد فى القاهرة سنة ١٩٤٤ ، إذ قرر جعل الحضانة للأم إلى وقت المراهقة فى الجنسين ، ما دامت أهلاً لها ، وبعد حد المراهقة تكون الحضانة للأصلح من الوالدين » .

بخ . . بخ . . وعلى الرأس والعين ، وسمعا وطاعة ، وكيف يمكننا أن نخالف ، وقد

قرر المؤتمر والمؤتمرات . وهذه أمور من شئون المرأة فيجب على المشرعين أن يرجعوا لها ، وأن يخضعوا لقولها ! ولا تحرمنا الكتبة الفاضلة من تعليل لهذا الذي اتخذه المؤتمر ، والذي يجب أن نعمل به فتقول : « ثم إن هذه المطالب هي النتيجة المنطقية لتقدم وتطور المرأة في بلادنا ، بعد أن تعلمت وأصبحت تلعب دورا هاما في حياة البلاد الانتاجية والعامة ، فلا بد من تطور القوانين حتى تتشى مع تطور المرأة والتغيرات التي طرأت على حياتنا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية » .

صحيح ، صحيح . فتلك القوانين وضعت للمرأة في صدر الإسلام ، وثمان بينها وبين المرأة في القرن العشرين !

* * *

(وبعد) فلنا أن نتساءل : ماذا يراد بالإسلام ؟ وكيف أمكن لهذه الدعوات أن تجد لها جوا صالحا في مصر زعيمة العالم الإسلامي ؟ وفي عهد الثورة المؤمنة ، التي تستمد أعمالها من روح الإسلام ، وتعمل جاهدة لإنجاح المؤتمر الإسلامي ؟ .

إن أخشى ما أخشاه أن يكون وراء ذلك أولئك الذين تحاربهم الثورة في الميدان السياسي ، فيلجأون إلى بلبلية الأفكار في الميدان الديني ، بل أخشى أن يكون وراء ذلك الانجليز والأمريكان .

على العماری

مقادير الأمم بأخلاقها

قال الدكتور غوستاف لوبون في كتابه (روح الاشتراكية) : « تشمل العوامل السياسية على القوانين والنظم . ويعزو النظريون من جميع الأحزاب — ولا سيما الاشتراكيون — أهمية كبيرة إلى هذين العاملين لاعتقادهم أن سعادة الأمة بأنظمتها ، وأن مقاديرها تتغير بتغييرها ، وهم بذلك على غير رأى بعض المفكرين الذين يعتقدون أن تأثير الأنظمة ضئيل جدا ، وأن مقادير الأمم بأخلاقها ، أى بروح أفرادها » .

وفي جامعاتنا المصرية أساتذة يلقنون قادة الفكر المصري في المستقبل أن كلا المذهبين كذب ، فمقادير الأمم ليست بالقوانين ولا بالأخلاق ، بل بالتحلل من القوانين والأخلاق . هذه هي الوجودية فيما زعموا .

الحديث عن السيرة

السيرة النبوية بمعناها الواسع تشمل حياة الرسول صلى الله عليه وسلم بما كان فيها من أقوال وأعمال وإقرار ، وتشمل حياة صحابته الأكرمين رضوان الله عليهم أجمعين ، وما كان لهم من جهاد ونضال في سبيل القرآن والملة الغراء ، وتشمل حياة التابعين ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين ؛ فهذا كله تشمله كلمة « السيرة النبوية » بمعناها العام الواسع ، لأن الإمام فيها والقائد لها والعلم المبرز من بين أعلامها هو محمد رسول الله عليه صلوات الله ، وكلهم من رسول الله ملتحمس طريق الهدى وسبيل الرشاد ، فلا غرابة إذا نسبت السيرة إليه ، وإن امتدت في الزمان عهودا بعد عهود ، وعصورا في إثر عصور . . .

وإنه لمن الخير لنا في ديننا وفي أنفسنا وفي مجتمعاتنا أن نتحدث عن السيرة النبوية في ظروفها الملائمة ومناسباتها الموائمة . بل من الخير أن نصطنع هذه المناسبات إذا وجدنا في اصطناعها خيرا وفائدة ؛ وذلك لأن السيرة قدوة وتاريخ وتفسير وتطبيق .

نعم إن السيرة قدوة ، إذ أن صاحب هذه السيرة الأعظم محمدا صلى الله عليه وسلم يبدو في طليعة رجالها بأخلاقه العالية ونفسه الصافية وجهاده العظيم وبلائه الحسن في سبيل القرآن والدين ؛ وفي حياته من أضرب القدوة ونماذج الأسوة ما يعد خيرا مهذب ومؤدب للأجيال بعد الأجيال .

وكذلك نرى في سيرة صحابته وأتباعه هذه القدوة وتلك الأسوة ، فلم تكن حياتهم أياما متتابعة ولا حوادث متلاحقة ولا حركات جوفاء ، بل كانت دروسا تفيض بالعبر والعظات مما يفيد الناس في دينهم ودنياهم ، وفي شئونهم الفردية وأمورهم الجماعية .

ولست أدري لماذا أحس في نفسي فرقا كبيرا بين « السيرة » و « التاريخ » فأنا أحس بالسيرة تأديبا وتهديبا ، وتعلما وتقويما ، فيها ضرب المثل الصالح الذي يدعو إلى الخير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . ولكن التاريخ سلسلة أحداث وحوادث ، تسردها الألسنة أو الصحف ، يأخذ بعضها بخناق بعض ، دون أن يعنى السارد باستلهاام الحادث عظة أو عبرة .

والسيرة يجب أن نتحدث عنها ونطيل الحديث، لأنها تاريخ فوق أنها قدوة ، وهى كما أسلفنا نمط من التاريخ الجامع بين الحادث والقدوة . وما من أمة تستطيع أن تعيش بغير تاريخ ؛ وأمير الشعر والشعراء شوقي يقول فى قيمة التاريخ :

غال بالتاريخ واجعل صحفه	من كتاب الله فى الإجلال قابا
رب من سافر فى أسفاره	بلىالى الدهر والأيام آبا
واطلب الخلد ورمه منزلا	تجد الخلد من التاريخ بابا
مثل القوم نسوا تاريخهم	كلقيط عىّ فى الناس انتسابا
أو كغلوب على ذاكرة	يشتكى من صلة الماضى انقضابا

ويقول فيه أيضا :

ذاك كتاب الناس والأيام	من آدم الجدد إلى القيام
تأنق الدهر به ماشاء	وأثقف التأليف والإنشاء

والأمة الإسلامية أشد حاجة من غيرها إلى الإقبال على تاريخها ، والاعتزاز به والتمتع فيه ، لأن التاريخ الإسلامى شديد الارتباط بتعاليم هذه الشريعة السمحة، إذ هو ليس تاريخا قوميا وطنيا ، وليس تاريخ أسرة أو دولة إقليمية ، ولكنه تاريخ دعوة استجاب لها أكرام سابقون حملوها على أكفهم إلى المشرق والمغرب ، فكانوا يسلّمون ويحاربون ويهاجرون ويستوطنون ويبنون ويعمرون، وهم مستظلون بلواء هذه العقيدة الإلهية السامية . ومن هنا امتزج تاريخ نشر الدعوة الإسلامية بتاريخ الذين نشروها ومكنوا لقواعدها بين العالمين .

ونحن — حين نطالع تاريخ أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ومعاوية وخالد وسعد وطارق وقتيبة وابن عبد العزيز وصلاح الدين وغيرهم — لا نطالع تراجم لأناس عاشوا كما يعيش الناس ، يأكلون ويشربون ويتمتعون ، ويعلمون فى الأرض بالسلطان والبناء ، بل نطالع تاريخ أناس فنوا فى دعوتهم ، والتزموا حدود شريعتهم ، وأخلصوا لله جهادهم فى حياتهم ، فكانوا مبادئ عملية حية تسعى بين الناس .

والسيرة يجب أن نتحدث عنها لأنها تفسير لمبادئ هذا الدين الكريم ، وبخاصة أقوال الرسول وأعماله لأنه الإمام والقائد . والذين أخذوا عنه من صحابته وأتباعهم إنما يستضيئون بنوره ويهتدون بهداه ، فهو ينبوع وهم خير الناهلين . ونحن نلاحظ أن من الفئات الضالة المضلة ما ينجم بين صفوف المسلمين من حين لحين ليقول للناس كذبا وزورا وبهتانا: إننا يجب أن نأخذ ديننا من القرآن وحده ، ويجب ألا نعتمد على شيء إلا على نصوص القرآن ، مع أن القرآن الكريم جاء مبادئ كلية ونصوصا عامة ، ولم يتعرض للتفاصيل والجزئيات ، إذ لا يتسع الدستور الأصيل العام لكل هذه التفاصيل والتفاسير ، وتكفلت السنة النبوية صلوات الله على صاحبها بالشرح والتفسير والتوضيح .

ولقد أمرنا الله في كتابه الكريم بالنصلاة والصيام والزكاة والحج ، وشرع لنا كثيرا من المعاملات ، ولكنه لم يعرض لتفاصيل هذه الفروض ، ولم يطل بتعداد هيئاتها وجزئياتها ، وتكفلت السنة النبوية بالشرح والتفصيل ، فالذين يهنون من شأن السنة والاستدلال بها والرجوع إليها جاهلون جهلا فظيعا ، أو هم يكيدون للإسلام كيذا لئما ، ومهما كانوا فهم بحاجة إلى المجاهدة العقلية والأدبية حتى يستقيموا على الطريق . . .

والسيرة يجب أن نتحدث عنها لأنها تطابق لذلك الدين ، وتنفيذ لذلك القرآن الكريم . وإن هناك من الضالين من يزعمون أن مبادئ القرآن الكريم مبادئ نظرية لا يمكن تنفيذها ولا استطاع تطبيقها ، ولكن السيرة تلقهم الأحجار الكافية لردعهم وإقناعهم في هذا المجال ، فقد استحال القرآن الكلامي إلى قرآن عملي على يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أيدي أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين . ولقد التزم الأولون مبادئ القرآن الكريم وعملوا بها ، فسعدوا وفازوا ، وشهد العالم على أيديهم أجمل فترة في تاريخ الإنسانية ، وليس ببعيد أبدا أن يحقق الله للمسلمين مثل هذه السعادة إذا ما أخلصوا نياتهم وصدقوا في عزيمتهم وأقبلوا على الله يعبدونه ، ويحلون حلاله ، ويحرمون حرامه ، ويومئذ يفرح المؤمنون ، بنصر الله ينصر من يشاء .

فعلى المسلمين أن يقبلوا على سيرة رسولهم صلى الله عليه وسلم وعلى سيرة صحابته الأكرمين ، ليأخذوا منها القدوة والتاريخ والتفسير والتطبيق ، وهذا يستدعى أن يجمعوا هذه السيرة جمعا شاملا ، وأن ينفوا عنها الدخيل والمفتري ، وأن يجيدوا عرضها على أنفسهم وعلى الناس ، ويومئذ يستفيدون منها أكبر الفوائد ، ويجنون من رياضها أطيب الثمرات .

وصدق العلي السكبر إذ يقول : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ، ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما ، من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ، ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم ، إن الله كان غفورا رحيما » .

وليت المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها يعطون السيرة النبوية حقها الوافي من العناية والاهتمام بدل أن تظل مجالا فسيحا للتزيد والتحريف بأيدي غلاة الأعداء والأصدقاء الجهلاء على السواء ... ما

أحمد الشرباصي

المدرس بالأزهر الشريف

حفظ المعرى

روى السمعاني في كتاب الانساب عن التبريزي أنه كان قاعدا في المسجد بمعرة النعمان بين يدي أبي العلاء يقرأ عليه شيئا من تصانيفه ، قال : وكنت أتممت عنده سنتين ولم أر أحدا من أهل بلدي . فدخل المسجد — مغافصة — بعض جيراننا للصلاة ، فرأيتُه وعرفته وتغيرت من الفرح . فقال أبو العلاء . ما أصابك ؟ فحكيت له أني رأيت جارا لي بعد أن لم ألق أحدا من أهل بلدي سنين . فقال لي : قم وكلمه . فقلت له : حتى أتمم السبق (أى الدرس) . قال : قم وأنا أنتظرك . فقممت وكلمته بالأذرية شيئا كثيرا إلى أن سألت عن كل ما أردت . فلما عدت وقعدت بين يديه قال لي : أى لسان هذا ؟ قلت : هذا لسان أهل أذربيجان . فقال لي . ما عرفت اللسان ولا فهمته ، غير أني حفظت ما قلتما . ثم أعاد لفظا بلفظ ما قلنا من غير أن ينقص منه أو يزيد عليه . فجعل جارى يتعجب غاية العجب ويقول : كيف حفظ شيئا لم يفهمه ؟ !

لغويات

جاء صالحو القوم ، نظرت إلى ناجحي المدرسة

يجرى كثير من المثقفين الآخذين بقسط كبير من العربية في قراءة نحو ما أثبت هنا على إثبات الواو أو الياء . وهم لا يزالون في هذا بالجمع بين الساكنين المرفوض في العربية . وإذا ناقشت بعض هؤلاء فقد يقول : إن ما أفعاله يدعو إليه تجنب اللبس بالجمع بالمفرد . وهذا أمر لم يعبأ به العرب ، فهم لم يستجيبوا له فيقعوا في أمر كرهوه ونبأ عنه لسانهم ، وذلك هو التقاء الساكنين الذي يفترقون منه ولا يطورون [١] حراته . وهم يعتمدون في فهم المراد على مقام الحديث والقرائن . فالوصف يكشف عن المقصود في قولك : جاء صالحو القوم النجباء ، والضمير في قولك : جاء صالحو القوم فأكرمهم ، ونظرت إلى طالبي العلم فسررت بهم . وترى هؤلاء المتكبرين لسنن العربية يثبتون الحرف حيث لا لبس ، وذلك في المثني المرفوع نحو قولك : جاء طالبا العلم ، بالمفرد لا مكان له هنا لفتح آخره وعدم ضمه . وجاء في الكتاب العزيز قوله تعالى في الآية (١٦) من سورة المطففين : « ثم إنهم لصالوا الجحيم » ولم يقرأ أحد بأثبت الواو فيما نعلم . فأما قوله تعالى في الآية (٤) من سورة التحريم : « وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين » فقد رسمت (صالح) في المصاحف بصورة المفرد ، ويقول البيضاوي : « والمراد بالصالح الجنس ولذلك عمم بالإضافة » . ويقول أبو حيان في البحر المحیط ٢٩١ / ٨ : « وصالح يحتمل أن يراد به الجمع وإن كان مفردا ، فيكون كالسامر في قوله : (مستكبرين به سامرا) أى سمارا ، ويحتمل أن يكون جمعا حذف منه الواو خطأ لحذفها لفظا ؛ كقوله : « سندع الزبانية » .

و بعد هذا أذكر أنه جاء الجمع بين الساكنين في مثل ما نتحدث عنه في موارد معدودة ، ومجملها عند جمهور النحويين الشذوذ ، فلا يقاس عليها ولا ينبغى أن نحتذ بها في نطقنا .

(١) يقال : لا يطور حراه وحراته أى لا يدنو منه .

فمن ذلك قولهم : التقت حلقتا البطان ، فهم يثبتون الألف في « حلقتا » فلتتق ساكنة مع لام « البطان » . وهذا مثل يضرب لتفاقم الشر . وذلك أن البطاز حزام يجعل تحت بطن البعير لشد الرحل عليه ، وفيه حلقتان ، فإذا التقتا كان ذلك من الهزال فيعبي البعير ويكل عن السير . ويقول ابن يعيش في شرح المفصل ١٢٣/٩ : « وأما حلقتا البطان فالقياس حذف الألف لالتقاء الساكنين ، كما حذفوها في قولك : غلاما الرجل . وكأن الذى سوغ ذلك إرادة تفضيع الحادثة بتحقيق التثنية في اللفظ . والبطان للقتب ، وهو الحزام الذى يجعل تحت بطن البعير ، وفيه حلقتان ، فإذا التقتا دل على نهاية الهزال . وهو مثل يضرب فى الأمر إذا بلغ النهاية » . وقد ورد هذا المثل فى قول أوس بن حجر :

وازدحت حلقتا البطان بأفـ سوام وجاشت نفوسهم جزعا

ويقرأ فى البيت « حلقتا البطان » بحذف الألف ، كما يوجبها القياس ؛ لأن الشعر لا يلتقى فيه ساكنان البتة .

ومما ورد فيه إثبات حرف المـ عند التقائه بساكن ما رواه عصمة عن أبى عمرو ابن العلاء فى الآية ٣٨ من سورة الأعراف : (حتى إذا اداركوا فيها جميعا) أنه قرأ بأثبت ألف « إذا » فلتتق ساكنة مع الدال الأولى من « اداركوا » . وهذه قراءة شاذة ، وعصمة ليس مما يعتد بروايته ، والمعروف عن أبى عمرو كغيره حذف الألف على القياس .

ويذكر القرطبى فى تفسيره ج ٧ ص ٢٠٤ بعد حكايته رواية عصمة أنه حكى عن العرب : هذان عبد الله ، وله ثلثا المال بأثبت الألف . ويقول الفراء فى كتابه معانى القرآن ١ / ٤٣٨ : « والعرب تقول : حتى إذا اداركوا ، تجمع بين ساكنين بين التاء من تداركوا وبين الألف من إذا ، وبذلك كان يأخذ أبو عمرو بن العلاء » وهو يريد بالتاء من « تداركوا » الدال التى أصلها التاء فأبدلت إليها تحقيقا للادغام . وظاهر كلام الفراء أن هذا سنة لبعض العرب ، فهو قياس عنده . وتراه قد اعتمد ما ينسب إلى أبى عمرو فى قراءته الآية السابقة . وقد علمت أن المرجع فى هذه الرواية إلى عصمة . وعصمة يقول فيه أبو حاتم - كما فى طبقات ابن الجزرى - : إنه مجهول .

وخلاصة البحث أنه يجب اجتناب الجمع بين الساكنين فى مثل : له ثلثا المال

وكوفئ ناجحو الطلبة وسررت من آخذى الجائزة . ولا يتعود القارئ الترخص في هذا فهو مناف لمزاج العربية منافر لطبعها .

المسلى = السمن . الاذرة = الذرة . الملق = الملا .

ترى كثيرا من الناس يستعمل « المسلى » بدل السمن ، وقد يظن بعضهم أن كلمة « المسلى » أفصح وأعرب ، وأن كلمة « السمن » عامية مبتذلة . و « كلمة المسلى » تحتاج في العربية إلى تخريج وشيء من الصنعة ليس باليسير .

فالأصل في « المسلى » المسلوء ، وهو وصف للسمن . يقال : سلا السمن : عالجه بالنار حتى أذاب زبده . ويقول في المصباح : « سلاّت السمن سلاّ - مهموز من باب نفع - : طبخته حتى خالص ما فيه من اللبن » . وقد تحولت كلمة « المسلوء » إلى « المسلى » بتخفيف الهمز في الفعل فيتبعه الوصف . فالفعل سلاّت يقال فيه سليت بإبدال الهمز ياء ، وهذا التخفيف ليس قياسا ، وإنما القياس إبدال الهمز ألفا ، كما يقال في رأس : راس . وفي فأس : فاس . وفي بأس : باس . ولكن بعض علماء العربية يحيز هذا الضرب من التخفيف . وترى في خاتمة المصباح النص الآتي : « وحكى سيويه قال : سمعت أبا زيد يقول : ومن العرب من يخفف الهمزة فيقول : قرئت ونشيت وبديت ومليت الإناء وخبيت المتاع وما أشبه ذلك » وساق صاحب المصباح بعد هذا أن سيويه لم يرض ما ذكره أبو زيد الأنصاري ، وما يرمى إليه من أن يكون هذا التخفيف منهاج ملحوبا وطريقا مسلوكا ، وأيا ما كان الأمر فقد درج العامة على سلوك مذهب أبي زيد فيقولون : قرئت وتوضيت ، ولا ينطقون بالهمزة البتة في مثل هذا . فسليت في سلاّت جارية على منهاجهم ، بخفاء الوصف منه على مسلى كما يحىء الوصف من رمى على مرمى . وقد جاء من هذا الضرب عن العرب مشى أى مبعض . وهو وصف من شئنا ، فترى أنهم خففوه على شناه يشنيه ، ثم جاءوا باسم المفعول : مشى . ومن هذا قول الشاعر - أورده في اللسان في كلا - :

ما خاصم الأقوام من ذى خصومة كورهاء مشى إليها حليها

ومن هذا الباب أن قوما من العرب يقولون : كليت الشيء أى حرسه وحفظته ، والوصف منه مكلى والأصل : كلاًت والوصف مككوء ، كما قال تعالى : « قل من يكفؤكم بالليل والنهار من الرحمن » .

واستعمال المسلى في المسلوء قديم . ففي عيون الأخبار ٣ / ٢٠٠ : « الأصمعي قال : قال أبو صؤارة أو ابن دقة : الأرز الأبيض بالسمن المسلى بالسكر الطبرزد ليس من طعام أهل الدنيا » يريد أن هذا الطعام لنفاسته ينبغي أن يكون من طعام أهل الجنة لا من طعام أهل الدنيا ، والطبرزد : السكر الأبيض الصلب . وهو لفظ فارسي .

وترى أن « المسلى » في الأصل وصف للسمن غلب عليه ، فاستعمل في مكانه ككثير من الصفات الغالبة ، كلسابغات للدروع ، والأبيض للسيف ، والأسمر للرحم . وأن هجر السمن إليه من التفاحح الذي لامسوغ له .

ومن قبيل هذا التفاحح استعمال الأذرة بدل الذرة ، وهذا لا وجه له البتة ، فينبغي اجتنابه .

ومن هذا التفاحح قول أهل الريف للمتسع من الأرض : الملقى ؛ ينطقونه بالقاف المعقودة بلغتهم ؛ وإنما هو الملا . وفي اللسان . « وأما الملا المتسع من الأرض فغير مهموز يكتب بالألف والياء والبصريون يكتبونه بالألف . وأنشد :

ألا غنياني وارفعوا الصوت بالملا فأن الملا عندي يزيد المدى بعدا
وأورد في اللسان بعده البيت الآتي لقيس بن ذريح :

تبكى على لبني وأنت تركتها وكنت عليها بالملا أنت أقدر

وتخريج هذه اللفظة أن بعض العرب يقف على المختوم بالألف بالهمز فيقول في حبل : حبلاً في الوقف ؛ فهو لاء قالوا : الملا في الوقف على هذه اللغة ؛ واستمروا على ذلك في الوصل ؛ وجاء بعد من ظن أن الهمز بدل من القاف كما في لغة أهل القاهرة فردوها قافا . وهذا كما يقول بعضهم لقي في لا ؛ فهذا تخريجه ما ذكرت : أنه قيل في لا : لأ في الوقف واستمر هذا في الوصل فظن أن الهمز بدل من القاف فردت قافا . ولهذه الصنعة باب يسمى تدريج اللغة ؛ بسط الكلام فيه ابن جني في الخصائص ؛ وجعل له آثارا كثيرة في اللغة . ٤

مثل النبي ﷺ ومثل أمته

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاه فيما يرى النائم ملكان، فقعده أحدهما عند رجله، والآخر عند رأسه، فقال الذى عند رجله للذى عند رأسه : اضرب مثل هذا ومثل أمته . فقال : إن مثله ومثل أمته كمثل قوم سفروا إلى رأس مفازة ، فلم يكن معهم من الزاد ما يطعمون به المفازة ، ولا ما يرجعون به ، فبينما هم كذلك إذ أتاهم رجل فى حلة حبرة . فقال : أرايتم إن وردت بكم رياضاً معشبة وحياضاً رواء ، أتتبعونى ؟ فقالوا : نعم . قال : فانطلق بهم فأوردهم رياضاً معشبة وحياضاً رواء ، فأكلوا وشربوا وسمنوا . فقال لهم : ألم ألقمكم على تلك الحال فجعلتم لى إن وردت بكم رياضاً معشبة وحياضاً رواء أن تتبعونى . فقالوا : بلى . قال : فإن بين أيديكم رياضاً أعشب من هذه، وحياضاً هى أروى من هذه . فاتبعونى . قال : فقالت طائفة : صدق والله ، لنتبعنه ، وقالت طائفة : قد رضينا بهذا نقيم عليه . رواه أحمد .

* * *

السفر بزنة ركب وصحب جمع سافر كراكب وصاحب والسافر هو المسافر . أو السفر هو السفر بفتح الفاء . أى كمثل قوم ذوى سفر ، والمفازة القلاة لأماء بها ، وسميت مفازة وهى مهلكة ، والفوز هو النجاة من تسمية الضد بالضد تفاقلاً ، كتسمية اللديغ سليماً ، والحلة الثوب الحديد لأنه حل طيه ، أو هى ثوبان يحمل أحدهما على الآخر ، والحبرة بزنة عنبه نوع من برود اليمن ، وحمل اليمن وبرودها مضرب الأمثال فى الجسودة والحسن فى القديم . أرايتم ، أى ما تقولون ؟ وأصله سؤال عن الرأى ، والرياض المعشبة ذوات العشب وهو الحشيش الرطب ، وهو دليل الخصب والإثمار ، فهو كناية عنه ، والحياض جمع حوض وهو مجتمع الماء . والرواء جمع ريان كعطاش وظماء جمعى عطشان وظمآن ، وأصل الريان الشارب المرتوى فشبه به الحوض الممتلئ . فهو فيه مجاز . والمثل الشبيه والنظير ، وضرب المثل سوقه ، وهذا أظهر من قول أئمة اللغة فيه : اعتاده وصنعه كضرب اللبن جمع لبنة والخاتم ونحوهما . وإنما جعلته أظهر لقولهم مثل سائر ، وهو أسير من مثل ، وإليك يزجى القول ويساق الحديث ؛ وفى الكشف أن لضرب العلماء الأمثال ،

واستحضار العلماء المثل والنظائر شأنا ليس بالخبفى فى إبراز خبيات المعانى ، ورفع الاستار عن الحقائق ، حتى تريك المتخيل فى صورة المحقق ، والمتوهم فى معرض المتيقن ، والغائب كأنه مشاهد ، ولأمر ما أكثر الله فى كتابه المبين ، وفى سائر كتبه أمثاله ، وفشت فى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الأنبياء والحكماء . قال الله تعالى « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » وهم - أى العرب - لم يضربوا مثلاً ؛ ولا رأوه أهلاً للتسيير إلا قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه ، ولهذا الغرابة التى فيه ناسب إطلاقه على الحال والصفة والقصة إذا كان لها شأن ، وفيها غرابة من بعض الوجوه : كقوله تعالى فى المنافقين : « مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً » أى صفتهم وحالهم وقصتهم العجيبة ، وقوله تعالى : « مثل الجنة التى وعد المتقون » أى صفة الجنة العجيبة « فيها أنهار الخ » « ولله المثل الأعلى » أى الوصف الذى له شأن من العظمة والحلالة .

إذا تمهد هذا فقول أحد المالكين للآخر « اضرب مثل هذا ومثل أمته » من المعنى الأول . أى سقى له ولأتمته شبيهاً ونظيراً ، وقول الآخر له : « مثله ومثل أمته كمثل قوم سفر » لفظ المثل فيه من الثانى أى حاله وصفته وقصته العجيبة هو وأتمته كصفة قوم سفر وجاهلهم . لا يقال : إن ذلك يؤدى إلى أن يكون الجواب على غير السؤال فإن الجواب إنما هو هذا التركيب ، وهو من قبيل التشبيه والتمثيل ، تمثيل صفة بصفة وقصة بقصة وحال بحال .

وقد مثل الحديث أهل الجاهلية - فيما اتهموا إليه - من سوء سياقى بيان طرف منه - بقوم مسافرين فى فلاة مهلكة خالية من أسباب النجاة وضرورات الحياة ، وقد أشرفوا فيها على الغاية المهلكة ، والنهاية القاتلة ، بعد ما نفذ زادهم وساء حالهم ، وصاروا أعجز ما يكونون عن المضى فيها أو الرجوع منها . فبينما هم فى هذه الحال من العجز واليأس إذ طلع عليهم رجل تحيى هيئته فى النفوس ميت الرجاء وتبعث خامد الأمل ، إذ ليس عليه شئ من غبرة السفر ، وشعث البداوة ، وجهده المسير ، وراثثة الهيئة ، وكسوف البال ، كالذى هم فيه . بل عليه شارة الحضارة والنضارة ، وأمارة النعمة والغضارة [١] وهيئة الخفض [٢] والسعة واليسار ، ليكون حاله ذلك مصداقاً لما يبشرهم به مما وراءه

(١) الغضارة : النعمة والسعة والخصب . (٢) الخفض هنا : الدعة ولين العيش .

من رياض معشبة ، وحياض رواء . ففي هذه الحلة الحبرة إذن إشارة الى ظهور صدقه صلى الله عليه وسلم . وقد ورد أن رجلاً من المشركين لم يكن رآه صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال : أشهد أن هذا الوجه ليس بوجه كذاب ، وآمن به ، وروى أن أصحاب عبد الله (بن مسعود) ذكروا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وإيمانهم فقال : إن أمر محمد كان بينا لمن رآه ، والذي لا إله غيره ، ما آمن مؤمن أفضل من إيمان بغيب . وقرأ قوله تعالى : « هدى للتقين ، الذين يؤمنون بالغيب » الآيات . وروى السدى أن الأحنس بن شريق وأبا جهل التقي فقال الأحنس لأبي جهل : يا أبا الحكم . أخبرني عن محمد : أصادق هو أم كاذب ، فإنه ليس هنا أحد يسمع كلامك غيري . فقال أبو جهل : والله إن محمداً لصادق ، وما كذب محمد قط . ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابه والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش ؟ فنزل قوله تعالى : « فأنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يخحدون » وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الأمين فعرفوا أنه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يخحدون .

والظاهر أن هذه الرياض الأولى التي قنع بها من تقاصرت همهم ، وونت عزائمهم من المؤمنين ، هي ما صاروا إليه في ظلال الإسلام وكنفه من حسن حال ، وصالح بال ، و حياة طيبة رحية ، وعيشة راضية مرضية ، الى ما شملهم من عدل وأمن ، وأخوة وألفة ، وسعة ويسار ، وما آتاهم الله من سناء ورفعة ، وعزة وتمكين ، وأن الرياض الثانية هي هذه الجنات التي أعدّها الله لأولى اللهم الفتية ، والعزائم القوية الذين يخشون أن تذهب طبيعتهم في الحياة الدنيا ، ويعلمون أن ما عند الله هو خير وأبقى .

ويجوز أن يكون المراد بالرياض الأولى هو ما أعدّه الله من الجنات لأصحاب اليمين . والمراد بالثانية : هو ما أعدّه للسابقين السابقين من المقربين . كما جاء وصف ذلك في سورة الواقعة في قوله تعالى : « والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم ، ثلثة من الأولين وقليل من الآخرين ، على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين ، يطوف عليهم ولدان مخلدون ، بأكواب وأباريق وكأس من معين » الى قوله تعالى « وجورعين كأمثال اللؤلؤ المسكنون » ويقول « وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود ، وظل ممدود ، وماء مسكوب » الآيات . والوجه الأول أظهر لقوله صلى الله عليه وسلم : « فأكلوا وشربوا وسمنوا » .

وقد أبجل الحديث ما ضرب له المثل من حال سيئة كان عليها أهل الجاهلية قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ، قبل هذه الحال الحسنة التي صاروا إليها ، وسر هذا الإجمال أن المخاطبين به من سلف الأمة كانوا يعلمون ذلك بالضرورة . وليس الحال كذلك بالإضافة إلينا معشر الخلف فنحن في أمس الحاجة إلى أن يصفوا لنا بأستهم طرفا مما كانوا فيه قبل هذا الذي أكرمهم الله وأكرمنا تبعاه لهم به .

فمن ذلك ما أجاب به جعفر بن أبي طالب - رضى الله عنه - النجاشي رحمه الله حينما هاجر إليه مع طائفة من المؤمنين (الهجرة الأولى) فأرسلت قريش في أثرهم من يغري النجاشي بهم ؛ بأنهم فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينه وجاءوا بدين ابتدعه لا يعرفه هو ولا قريش ، ويسألونه أن يردهم إليهم فأبى حتى يسألهم عن هذا الذي يقولونه فيهم . فقال لهم : ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا في ديني (النصرانية) ولا دين أحد من هذه الملل . فكان الذي كلمه جعفر فقال : أيها الملك . كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسئ الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف . فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه ، وأمانته وعفافه . فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشارك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام . وعدد عليه أمور الإسلام ، ثم وصف له ما أصابهم من قومهم حين صدقوه وآمنوا به ، وما رجوه بالهجرة إليه ، إلى أن قال له النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله شيء فقرأ عليه من سورة مريم حتى أبكاه وأبكى أساقفته حتى أخضلوا أناجيلهم ، فأبى أن يسلمهم إلى قريش ؛ ومنه ما روى الطبري في فتح أصبهان وتوجيه عمر رضى الله عنه النعمان بن مقرن إليها فأتاها وبينه وبينها النهر فأرسل إلى ملكها المغيرة بن شعبة رضى الله عن الجميع . فدخل عليه وقد قعد على سرير ، ووضع التاج على رأسه ، وقعد أبناء الملوك نحو السماطين (الصفيين) عليهم أسورة الذهب ، وثياب الديباج ، ومع المغيرة رمحه وترسه ، فجعل يطعن برمحه بسطهم ليطيروا . وقد أخذ بضبعيه (عضديه) رجلان . فقام بين يديه فكلمه الملك فقال : إنكم معشر العرب أبعد الناس من كل خير ، وأطول الناس جوعا ، وأشقى الناس شقاء ، وأقذر الناس قدرا ، وأبدهم دارا ، وما منعتني أن أمر هؤلاء الأساورة القواد والجنود والرمي بالسهام والثابتون على ظهور الخيل) حولي أن ينتظموكم بالنشاب

إلا تجسأ لحيفكم ، فأتتم أرجاس فأن تذهبوا نخل عنكم وإن تأبوا نركم مصارعكم . قال (المغيرة) : فحمدت الله وأثنت عليه . فقلت : والله ما أخطأت من صفتنا شيئاً ولا من نعتنا . إن كنا لأبعد الناس داراً ، وأشد الناس جوعاً ، وأشقى الناس شقاءً ، وأبعد الناس من كل خير ، حتى بعث الله عز وجل إلينا رسوله صلى الله عليه وسلم فوعدنا النصر في الدنيا والجنة في الآخرة ، فوالله مازلنا نتعرف من ربنا منذ جاءنا رسوله الفتح والنصر حتى أتيناكم ، وإنا والله لا نرجع إلى ذلك الشقاء أبداً حتى نغلبكم على ما في أيديكم ، أو نقتل بأرضكم ، وصادق المغيرة فقد وفى هو ومن معه ما عاهدوا الله عليه ، فوفى الله لهم ما وعدهم من الغلبة والفوز ، وما كتب لهم من النصر والفتح المبين .

أما بعد - فهل لنا معشر المسلمين أن نعرف لهذه النعمة التي أنقذنا الله بها من الهلكة حقها ، فنؤديها إلى أبنائنا كما ورثناها عن آبائنا رياضاً وارفة الظلال عذبة الماء طيبة الثمار قبل أن ترعجهم عنها هذه الأغربة المشؤمة التي تنعق بالإلحاد والوجودية إلى هجير الفلوات وسراب المفازات ، ؟ وهل لنا أن نحوط هذه الرياض والحياض ، ونكفئها بأسوار منيعة من صدورنا وسواعدنا ، وحذرنا ويقظتنا ، حتى لا يصوح بنصرتها الناضرة ، وثمارها اليانعة ، وبهجتها البهيجة ، ما يهب عليها كل يوم من أعاصير الفتن وزعازع المحن ؟ وهل لنا أن نعلم أن علينا أن نقف على رأس كل مفازة من هذه المفازات التي ضلت أعم الأرض في مهالكها وتاهت في شعابها ، لندهم على سبيل الخلاص وطريق النجاة متحليين بما يصدقنا من حالنا ، لعلهم أن يتبعونا فينزّلوا فيما ندعوهم إليه من رياض معشبة وحياض رواء ، لنكون قد شكرنا نعمة الله علينا شكرًا من جنسها ، وأدينّا إلى الأخوة الإنسانية - وإن ناصبتنا العدا - بعض حقوقها . ولعلهم إذا ما اهتمدوا أن يشدوا من عزائمنا ، ويوقظوا من هممنا ، فيما لا يزال يدعوننا إليه نبينا ، مما هو بين أيدينا من رياض أعشب وحياض هي أروى . ويألفنا من أمان حسان يمتناها لإنسان لإخوانه من بني الإنسان على ما بذر الشيطان في النفوس من بذور الفرقة والعداوة والبغضاء ، وما نفث فيها من أسباب الريبة ومن سوء الظنون . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

« والله عاقبة الأمور » ما

محمود فرج العقدة

مدرس بكلية اللغة العربية

بنو اسرائيل

في الماضي والحاضر

يعجب كثير من الناس لما يشاهدونه كل يوم من يهود إسرائيل من نبذ العهود ونقض المواثيق وغدرهم الذي لا ينقطع واعتدائهم على الآمنين ولاسيما الضعفاء من الكهول والنساء والصبيان البراء ومجاوزتهم في ذلك الحد حتى انهم لم يراعوا حقوق الإنسانية الفاضلة التي جاءت بها الشرائع والقوانين ، وإنما يعجب من ذلك من لم يعلم أن تاريخ اليهود سلسلة متصلة من الخازي والخيانة والغدر والتقتيل والتخريب وأن هذه أمور متأصلة فيهم من قديم الزمان .

وشعب إسرائيل اشتهر بسوء الطباع وشكاسة الأخلاق وانتكاس الفطرة ، وقد وصفوا في التوراة بأنهم شعب صلب الرقبة [١] وهو كناية عن البلادة والعناد وعصل الطباع [٢] المانع من الانقياد للحق ولو كان واضحاً .

ولم يجد نبى من قومه من إيذاء وتعنت ونقض للعهود مثل ما وجد موسى عليه السلام من بنى إسرائيل ، ولم يكن ما نال الأنبياء الذين جاءوا من بعده من الأذى والاضطهاد بأقل مما ناله ، فقد قتلوا البعض كزكريا ويحيى عليهما السلام ، وكذبوا البعض الآخر كعيسى ونبينا محمد عليهما الصلاة والسلام . وقد سجل الله سبحانه عليهم هذه الجرائم الشنيعة بقوله : « ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسول وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون » [٣] .

(١) الوحى المحمدى ص ١٢١ ط الثالثة . (٢) اعوجاجها مع صلاتها من عصل الشئ من باب فرح اعوج في صلابة فهو عصل وأعصل والجمع عصال كسهام . (٣) البقرة الآية ٨٧ .

وبسبب ذلك كتب الله عليهم الذلة والمسكنة واستحقوا سخط الله ، قال سبحانه :
« وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات
الله ويقتلون النبيين بغير الحق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » [١] .

وسأتبع ما استطعت ما أخذ عليهم من عهود ومواثيق أقرروا بها ثم لم يلبثوا أن
نقضوها وناقضوا أنفسهم بعدم التزامها كي يتبين لنا أن ما يقوم به أخلاف بنى إسرائيل
اليوم هو امتداد لما كان يفعله أسلافهم من قبل .

فقد أخذ الله سبحانه عليهم العهد المؤكد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وأن يصلوا
الأرحام ويحسنوا إلى اليتامى والمساكين ويتحلوا بحسن الأخلاق وقيموا فرائض الدين ،
فما وفى منهم إلا قليل ونكثوا العهد فقالوا : عزيز ابن الله وقطعوا الأرحام وأكثروا من
الفساد فى الأرض ، قال تعالى : « وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله
وبالوالدين إحساناً وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً وأقيموا الصلاة
وآتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلاً منكم وأنتم معرضون » [٢]

وأخذ الله عليهم الميثاق أن لا يفسكوا دماء إخوانهم فى الدين والنسب ولا يخرجوه
من ديارهم مييناً لهم أن سفك دم الغير كسفك دم النفس وأن إخراج الغير من داره كأخراج
النفس ، وأقرروا بالميثاق وشهدوا على أنفسهم به ثم نقضوه فسفك بعضهم دم بعض وأخرج
بعضهم بعضاً من داره ، قال تعالى : « وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم
ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون ، ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم
وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى
تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ، فما
جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب
وما الله بغافل عما تعملون » [٣] وإذا كان هذا التصرف المشين مع إخوانهم ديناً ونسباً

(١) البقرة الآية ٦١ .

(٢) البقرة الآية ٨٣ .

(٣) البقرة الآيتان ٨٤ ، ٨٥ .

فما بالك بمن لا يربطهم به دين أو نسب ؟ لاشك أنهم يكونون معهم أشد ضراوة وأقسى قلوبا وأغلظ أكبادا ، وهكذا كانوا ، فكم سفكوا من دماء و انتهكوا من حرمان وأعراض ، وها هم اليوم يعيدون سيرتهم الأولى : فاستحلوا دماء العرب الآمنين في فلسطين ، وأكثروا فيهم القتل وفي ديارهم التخريب ، واغتصبوها وأخرجوهم منها ، وأصبح الغاصب متمعا بالبلاد وخيراتهما ، وأبناء البلاد الأصليون مشردين في بقاع الأرض ، يفترشون الأرض ويلتحفون السماء ، وكل ذلك تم بصنع أشياع الصهيونية ، وعلى مرأى ومسمع من العالم الحر — كما يقولون — ولئن يأس أهل فلسطين عن عدالة أهل الأرض فلن يئسوا من عدالة السماء ، ففيها معقد الأمل والرجاء ، وحين تدور الدائرة على الباغي سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .

وأخذ الله عليهم العهد أن يعملوا بما في التوراة من التكليف والآداب ، واستوثق عليهم برفع الجبل حتى صار كالظلة فأقروا وأذعنوا ، وسرعان ما تخلوا عن العهد ولم يلزموا أنفسهم بما فيها . قال تعالى : « وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين » [١] . وأخذ الله عليهم العهد أيضا أنهم كلما جاءهم رسول مصدق لما معهم من التوراة أن يؤمنوا به ويصدقوه وينصروه وقرروا على ذلك فأقروا وأشهدهم على أنفسهم . قال تعالى : « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » [٢] ومع كل هذه التوكيدات لم يعملوا بما عاهدوا الله عليه ، فكذبوا بعض الرسل ، وقتلوا بعضهم ، فكانوا فاسقين حقا ، ولم يكن علماؤهم بأوفى منهم بالعهود ، فقد أخذ الله عليهم الميثاق أن يدينوا الحق ولا يكتُموه ولا يلبسوه بالباطل وأن لا يشتروا بآيات الله ثمنا قليلا من الرشا والسحت والجاه الزائل والرئاسات المزيفة ، لكنهم نقضوا الميثاق ونبذوه وكتُموا الحق وبدلوا في التوراة وحرفوا واشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ، قال تعالى : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تسكتُمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون » [٣] .

(٢) سورة آل عمران الآية ٨١ ، ٨٢ .

(١) البقرة الآية ٦٢ ، ٦٣ .

(٣) آل عمران الآية ١٨٧ .

وشعب بنى إسرائيل معروف من القديم بالتبجح والدعوى الكاذبة والأمانى الباطلة التى لا تستند الى حق ، فقد ادعوا أنهم أولياء الله وأصفياءه وأن لهم الجنة دون غيرهم ، فأكذبهم الله وتحداهم بتمنى الموت إن كانوا صادقين فما فعلوا . قال الله تعالى : « قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين » [١] وقال : « قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ، ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين » [٢] وادعوا أنه لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديا ، كما ادعى النصرى أنه لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا ، وقد أكذب الله هؤلاء وهؤلاء وجعل ذلك من أمانهم الباطلة ، فالجنة لن تنال بالادعاء وإنما تنال بإسلام الوجه لله والانقياد إليه والإحسان فى العمل ، قال جل شأنه : « وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصرانيا ، تلك أمانهم ، قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » [٣] .

ولا يزال اليهود إلى اليوم يدعون - كذبا وزورا - أنهم شعب الله المختار ، والله يشهد أنهم لكاذبون ، وأن ما يتصفون به من قبيح الصفات وما يقومون به من أساليب الأجرام لتبعدهم من أن يضافوا الى الله سبحانه وتسلكهم فى عداد القردة والخنزير ومردة الشياطين .

ومن ادعاءاتهم الباطلة قولهم لن تمسنا النار إلا أيا ما معدودة ، وقد نقض الله سبحانه قولهم بأبلغ حجة وأوفى بيان ، وبين لهم أن قاعدة المجازاة العامة تقتضى لا محالة أن يوفى كل إنسان جزاء عمله : إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، قال جل شأنه : « وقالوا لن تمسنا النار إلا أيا ما معدودة قل أتخذتم عند الله عهدا فإن يخلف الله عهده ، أم تقولون على الله ما لا تعلمون ، بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون » [٤] .

(١) سورة الجمعة الآيتان ٦ ، ٧

(٢) سورة البقرة الآيتان ٩٤ ، ٩٥

(٣) سورة البقرة الآيتان ١١١ ، ١١٢

(٤) سورة البقرة الآيات ٨٠ - ٨٢

ولا تزال الأمانى الباطلة والدعاوى الكاذبة تستبد بعقولهم وأفكارهم الى يومنا هذا ، فتجد رؤساءهم الأفاكين المشعوذين كثيرا ما يظنون أن دولة إسرائيل المزعومة ستمتد من النيل الى الفرات ، ويتشدقون بمثل هذا الكذب الصراح في غير استحياء ولا نجل ، وكأنما سولت لهم نفوسهم الشريرة أنهم ماداموا قد اغتصبوا جزءا من بلاد العرب بالغدر والخيانة وأعانهم على غدرهم قوم آخرون من المستعمرين ، فقد أصبح من الميسور لهم تحقيق هذا الأمل الكاذب والحلم البعيد ، ولكن هيهات هيهات ، ولا يغرنهم أن الأسد العربى قد أثر التريث والانتظار ، واعتصم بالصبر وضبط النفس ، فإنه إذا وقعت الواقعة سينبث الوثبة الكبرى ويعمل مخالفه القوية في جسم إسرائيل المنهوك ، وحينئذ سيعضون أصابع الندم ، ولن يجدوا لهم مستقرا إلا فى قاع البحر العميق ، وصدق الحق تبارك وتعالى « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فأذا هو ذاهق ولسم الويل مما تصفون » .

(يتبع)

محمد محمد أبو شهبة

الأستاذ بكلية أصول الدين

حقائق

- * حفظ الصحة أيسر من علاج العلة .
- * أوجع الضرب ما لم يكن معه البكاء .
- * الدنيا كالحية : لين لمسها ، قاتل سمها .
- * حياتنا أحلام تنتهى برفاد الموت .
- * طوبى لمن كان بصره فى قلبه ، والويل لمن كان قلبه فى بصره .
- * ثمرة الأدب العقل الراجح ، وثمره العلم العمل الصالح .

يأتَمرون بالدين . . . والله غالب على أمره

في غمار الأحداث الصاخبة التي يعالج العالم مشاكلها ويقاسى من عنفها ، ويكفكف من حداثها ، يتحين جماعة من الخوارج على الدين هذه العواصف الهوج ، ليلبللوا الفكر ، ويشعبوا الهوى ويقذفوا بأباطيلهم في اسماع الناس ، ويخيّلوا بخدعهم أمام ابصارهم ، متحليين من قواعد المنطق المسدد ، متجافين عن معدلة الرشد والأنصاف .

وإذا كان هؤلاء الخوارج - بسفهمهم في الرأي ومجانبتهم للحق - يشككون الناس في قوانين السماء، وتتعالى صيحاتهم مرجفين بمذهب (الوجودية) في غير تحرج بأنكار الله واجب الوجود، وبأنكار الأخلاق وإنكار القانون، ليتسنى لهم تذوق المتع الرخيصة في رحابة الإباحية التي لا تعترف بالدين ولا بقيوده وروابطه ، فالدين في نظرهم قيود ثقيلة تفرضها شرائع ونظم لا حاجة لهم بها، ولا يستطيعون هضمها. إذا كانوا كذلك فهم جد واهمين متخططين .

* * *

لو هدأ تفكير هؤلاء الجاحمين قليلا ، وسكنت نزغتهم ، لرأوا بمنظار النصفه الهادئة : ألا قيود في الدين ، وأنه ليس إلا الفطرة السليمة يحوطها سياج متين كريم يحفظها من عوامل الشر والفساد ، فلا تهاجمها في حصنها جرائم ضارة خبيثة ، تهدد سلامتها وتعكر صفاءها . هذا السياج المتين الكريم لا يقيد الفطرة السليمة ، ولا يربطها ، بل يبقى عليها : منطلقة ، مرحة ، مستمتعة ، في كل حلال ، وبكل جمال ، وفي فضيلة الاعتدال .

وإذا كان السياج المحيط الحافظ يتمشى مع الفطرة السليمة ، فيحفظ من أجلها العقل أن يضل ، والعرض أن يستباح ، والمال أن يضيع ، والدم أن يهدر ، والأنساب أن تختلط . أفيكون في هذا الحفاظ ، وفي هذا الإباء ، وفي هذه السلامة ، ما يبغض ويذم ويستنكر ؟ .

يا معشر المتحليين ! !

إن هذه النظم التي تضيقون بها وتحاولون أن تظهروا عليها ، إنما وضعها الشارع

الحكيم ، لتبقى فيكم الإنسانية الحكيمة الرحيمة المعتدلة . ولو أنها خولفت أو حوربت أو تبدلت أوضاعها ، لعمت الفتنة ، واندلع الشر ، وشاعت الفوضى .
فأنه إذا أبيع الخمر - مثلاً - وانطلقت المخدرات تغزو كل أنف وتقذف في كل جوف ، اختل ميزان العقل من أثر ذلك .

وإذا استبيحت الأعراض ، وانتهكت الحرمات ، وقدم السيد المتحلل الوجودى - أخته أو أمه أو زوجه أو ابنته - متعة رخيصة ، تتناولها الأيدي ، وتتلفها الأوضاع العابثة الشائنة ، وتعمرها المواخير ، ترتب على ذلك تحلل الروابط واختلاط الأنساب ، والقضاء على الفضيلة .

ثم إذا انعدم الكسب الحلال ، وطغى احترام الغصب والسرقة ، وأصبحت الأموال في غير حرز منها مقسما ، تحاذل الناس عن السعى في التجارة والجد في العمل ، واستصلاح الأرض ، وتبدل أمن الناس خوفاً ، وجهادهم في الحياة قعوداً ، ونشاطهم فتوراً ، ووقف دولاب العمل ما دام الوصول إلى المال قريب المثال .

وإذا تم كل ذلك يا معشر المتحللين ، فماذا يبقى للإنسانية بعد تخطيط العقول ، واستباحة الأعراض ، وفساد الذمم ، وطغيان الإثم ، وضياح النفس والمال ؟ .

ما ذا يبقى في الوجود بعد هذا الفساد الشامل ؟ أيها الوجوديون ! .

يميناً - ألفتها باراً بها أنكم خياليون ، لا تستطيعون أن تعتنقوا مذهبكم هذا في بيئتكم الضئيلة البغيضة ، وإلا فجرى بها ، ثم انشروا على الناس ثمار ما جربتم ، وصدقوا القول في مبلغ ما وصاتم إليه من نقيصة وإثم وعدوان .

ألا إن الدين وتعاليمه ونظمه ليضمن لكم في الحياة كل فضل ، ويذيقكم كل خير ، ويغمركم في سعادة من الإحسان والبر والمرحمة والتضامن والتكافل ، ويحفظ عليكم أعراضكم وأموالكم وعقولكم وأنفسكم ، ويقف بكم عند حدود الله « ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه » .

واقرأوا قول الله تعالى في سورة الرعد : « أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولو الألباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويذكرون » .

بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبي الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبي الدار والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار» .

* * *

وتمت لون آخر من الآثار بالدين تقوم به شزيمة من الملاحدة . . لا يؤمنون بمبدأ ، ولا يستقرون على حال ، وإنما يتقلبون من رأى الى رأى حسبما يشاء لهم الهوى ، وتغمرهم المادة ، ويطيّب لهم العبث والافساد . . .

أولئك هم دعاة توحيد التعليم في المرحلتين الأولى والثانية . . بين الأزهر والمدارس . فإنه لو تم هذا لتعذر حفظ القرآن ، وضعف إعداد رجل الدين لتلقى علوم التفسير ، والفقه ، والأصول ، وعلم الكلام ، وأدب السنة ، فتطنى موجة الجهالة ، ويبيت المجتمع في حلك الاحاد وضلالة الفتيا ، والتهجم على تلك العلوم بضعف الادراك وقصور الفهم ، فتكون التعاليم الدينية الصحيحة هدفا للضياع . وتلك وايم الله فتنة الاحاد للتخلص من عصب الحياة الدينية في الشرق ، بل في العالم كله .

فالأزهر كعبة العلم ، ومشرق الهدى ، والحفيظ على تراث الأولين في علومهم ومعارفهم ، والأزهر مدرسة القديم والحديث ، فيه قوة الفكر ، ورجاحة الرأى ، وغزارة المادة . فمن الإجماع أن يطعنه الملحدون في (أبجدياته) من المراحل الأولى للتعليم ، ليوهنوا من أسلحة الإعداد الأولى ، فيقوم الجهاد في وجه أعداء الدين على غير أساس .

لا . يادعاة الفتنة . وياعصبة الشر . لن يكون الدين أبدا غرضا لسهامكم ، وهدفا لأراجيفكم ، فالدين شريعة الحق ، وجنوده أبطال مستبسلون ، وحصنه يقوم على دعائم ثابتة من علم ، وخلق ، ومثل عليا .

وكل أولئك لا يتأثر بفحيحكم الخافت ، وحسبكم ما حملتم من خفى حنين .

أما بعد - فقد كنا نود أن يكون هؤلاء الكتاب وأمثالهم قلم يذودون به عن حمى الدين ، ولسان يحركونه في نصرة الحق .

أما أن يأتهم هؤلاء وأولئك بالدين ، فينكر بعضهم تعاليمه وشرائعه ، ويمزق البعض الآخر بنوده وأعلامه ، ويسعى المتعصبون لتدمير حصنه وتوهين شأنه ، فهم في ذلك جد خاسرين . « والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » صدق الله العظيم ما

محمد عبد التواب

المفتش العام للموعظ بالأزهر

الشيخ الصعیدی

١١١٢ - ١١٨٩

كان الشيخ - بعد أن يقضى حق الله وحق أهله - لا يقضى وقته إلا بين تلاميذه ومريديه ، متوافرا على درس العلم ، منقطعا للارشاد والهداية ، يحتسب عند الله ما ينفع الناس ويستصلح نفوسهم فيطهرها من الرعونة والفساد ، ليملأها بالنور والصلاح ، فهو لا يقصد إلى أمير ولا وزير ما لم تمس إلى ذلك الحاجة من بعض أفراد الشعب أو التلاميذ والمريدين . كان الشيخ إذن يتردد على بك أمير مصر حين يفزع الناس إليه في بعض حوائجهم ليقضيها منه إنسانية تعلمها من روح هذا الدين العظيم ، وامثالاً لقول السيد الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغ حاجته ، فمن فعل ذلك كنت له شفيعا وشاهدا » .

وقصد الشيخ الصعیدی في بعض غدواته على الأمير على بك إلى تلك المثوبة الكريمة ، وحين أبصره الحشم من بعد دخلوا على الأمير كعادتهم ينبئونه بقدوم الشيخ حتى يعد المكان للقاءه ، فينفذ من حوله تلك الشبك التي يدخن بها ، لأن الشيخ يكره الدخان ويقصر شاربه ولو كان الأمير الجبار ، لا يبالي ما يصيبه في جنب الله . وقام الأمير إلى الشيخ كعادته ، يستقبله من خارج الدار ليقبل يده ويقدمه إلى مكان الاستقبال ، ودخل الشيخ فأخذ مكانه ، وجلس الأمير إلى جانبه ، ثم نسي الأمير أن يوفر نفسه على خدمة الشيخ كعادته وأن ينصرف إليه بكليته ، فأطرق يفكر في أمر كان يشغله ، والشيخ يظن أنه متصرف عنه ، فأخذته انفعالة كثيرا ما تعترى العلماء والصالحين ، وأخذ يحاطبه بلغة الصعید : يامين يامين يامين ، هو غضبك ورضاك زى بعض ، بل غضبك خير من رضاك . ويقوم الشيخ قائما . ويقوم الأمير بقيامه ثم يحاول أن يعيده إلى مجلسه وهو يعتذر إليه ويخلف له بكل محرجة من الأيمان أنه ما غضب ولا كان إلا قرير العين بذلك المقدم الميمون الكريم . ولكن الشيخ يصبر على موقفه ويأبى أن يعود إلى مجلسه ، وكأن صدر الشيخ كان حرجا بلقاء

هذا الأمير وهو يعتقد فيه الجبروت والظلم ، ضيقا بالتردد على أمثاله ، ولو فيما هو طاعة لله ، يخشى أن يسأله الله عن التردد على مثله وهو يقول في كتابه الكريم : «ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون » . فرحم الله الشيخ الصعیدی على قدر نيته وما أخلص في تنفيذ أوامر الله وتحري رضاه .

وبعد ذلك سأل الأمير على بك عما جاء بالشيخ في هذه المرة ، فذكرت له حاجته ، فقضاها التماسا لفيئة الشيخ ورجوعه إلى ما كان من رضا يشعر الأمير بأن فيه حياته واستقرار أمره وإلا ضاقت عليه الأرض بما رحبت .

ومرت الأيام فإذا الشيخ يركب في ليلة من ليلى رمضان مع شيخه الشيخ حسن الجبرتي والد الشيخ عبد الرحمن الجبرتي المؤرخ ، وكان ذلك أيضا لحاجة عزاء بعض الأمراء ، ومرا بقصر على بك ، فقال الشيخ حسن الجبرتي ، عرج بنا نسلم على الرجل ، فقال الصعیدی : يا شيخنا أنا لا أدخل ، وقال الشيخ الجبرتي : لا بد من دخولك معي ، فلم تسعه مخالفة أستاذه ، ودخلا على الأمير المحزون ، فاستبشر بقدومهما ، وفرح به أشد الفرح ، وكان من المصادفات العجيبة أن يقضى الأمير نجه في تلك الليلة ، فيستبشر أهله بغفران الله له ورضوانه عنه لأن الشيخ قد رضى .

ذلك أيها القارئ الكريم هو العالم الأزهرى الصالح الشيخ على الصعیدی العدوى ، تمثل لك به نمطا من رجال الدين وعزتهم في الله واعتدادهم بالله وعدم خشيتهم لأحد سواه ، حتى استقادت لهم القلوب النافرة ، وخضعت لهم رقاب الجبابرة ، كذلك كانوا وكذلك فليكونوا إن شاء الله .

كان الشيخ الصعیدی من علماء الأزهر في القرن الثانى عشر الهجرى وهو عهد كان الحكم فيه بمصر للأتراك العثمانيين الذين جاسوا خلال الديار فشمّلوها بالعسف والجور والاستبداد ، وأطفئوا معالم العلم والتعليم في كل مكان ، سوى الأزهر الذى حفظه الله من كل يد ظالمة فلا تصل إليه وقال : يا ناركونى بردا وسلاما عليه ، لأن الله أراد به أن يبلغ رسالة الدين ، وأن يحفظ كتابه الكريم تشريفا ميزه الله به ، وكرامة خلعهما عليه .

كان الشيخ الصعیدی من علماء ذلك العهد ، فقد ولد ببلدته بنى عدى سنة ١١١٢ هـ ، ونشأ بها صغيرا ، ثم سافر إلى مصر حيث تلك السكبة العلمية الممحوظة بعناية الله المصنوعة

على عينه، فتعلم بها على خيرة علماء عصره : كالشيخ عبد الوهاب المملوي والشيخ شلبي البرلسي والشيخ عبد الله المغربي والشيخ ابراهيم الفيومي الذي بشره بالعلم حين قبل يده وهو صغير كشأن كثير من المحدثين الصالحين من العلماء ثم الشيخ مجد زكريا والشيخ ابراهيم شعيب المالك والشيخ أحمد المملوي والشيخ أحمد الدياربي والشيخ الحفني إمام العلماء في عصره وكثير غيرهم ، وفي آخر عهده بالطلب تلقى الطريقة الأحمدية على الشيخ علي بن محمد الشناوي وواظب على الأوراد ووظائف العبادة كدأب كثير من شيوخ الأزهر وطلابه قديما ، وكان ذلك سر ما وضع الله لهم من محبة ومهابة ، فأن الذكر والعبادة يضيفان على العالم قوة عجيبة ويملاّن النفوس بحبه وتفديته ويجمعان القلوب عليه ، وقل أن يكون عالم غير متصل بالله إلا وهو فاشل في مهمة الدعوة إلى الله سبحانه ، وكان الشيخ في فقر يرشحه للتفرغ ، على أنه كان زاهدا يجود بكل ما يجد .

ولما قضى الصعدي أجل التعليم ، وأنس من نفسه القدرة على الإفادة ، وأذن الشيوخ له بالتدريس ، تصدر له في أدب وتواضع وإكباب على الدرس والبحث ، فأفاد وأجاد، وألف كتبا كثيرة من الحواشي التي كانت أكبر مظهر للعلم المتوارث في ذلك العهد التركي . وكان للشيخ طبقات من التلاميذ صاروا فحول العلم، وصارت له مؤلفات سارت بها الركبان منذ ذلك العهد، فكان ممن تخرج عليه الشيخ المحقق القلعي الشهير بعلامة المعقول والمنقول، والشيخ الفرماوي ، والشيخ الجناحي المعروف بالشافعي ، والشيخ الدردري العدوي وحسبك به، وكثير غير هؤلاء، وكلهم فحول لهم مكاتبتهم في الأزهر، وكان مما ألف حواش مشهورة يسرت سبل الفقه وجلت كثيرا من غوامض كتبه كحاشية ابن تركي وحاشيته على الحرشي وعلى الزرقاني على المختصر، وكان له حواش في غير الفقه كالحاشية الصغرى والكبرى على جوهرية عبد السلام في التوحيد ، وعلى الهدى على الصغرى كذلك وعلى الأخضرى على السلم في المنطق . ويقال إنه أول من كتب الحواشي في فقه المالكية، ومهما يكن فإن التأليف منذ عهد المالك تقريباً كان مصاباً بالزمانه وضعف الإنتاج ، فالمؤلفات كانت في حملتها تدور حول مختصرات للمطولات تسمى المتن ، ثم تحتاج المتن إلى شروح يرجع فيها إلى تلك المطولات وإلى تطبيق العلم في فروع المختلفة كالنحو والمنطق والبيان على عبارات المتن ، ثم تحتاج الشروح أحيانا إلى حواش تزيد الإيضاح أو تناقش ، ثم كانت التقارير في عهد الأتراك ، فما كان من مؤلفات الشيخ ما هو إلا سير بسيرة العصر في أرقى صوره .

أخلاق الشيخ وصفاته :

لعلك رأيت فيما مرّ بك من استعراض حياة الشيخ ودراسته وظروفه أنه صار من الراسخين في العلم والمبرزين فيه ، ثمرة لذلك الانقطاع للعلم والتحصيل ، وأثرا من آثار روحيته الصافية النقية . ولقد كان لهذه الروحية أثر يتجلى فيما رأيت من غيرته على الدين وحرصه على تحقيق ما يدعو إليه يقينا أو ظنا . ويدل على ذلك ما شهر عنه من تحريمه لشرب الدخان ونعيه على كل من يشربه واتهاره إياه ولو كان أميرا أو وزيرا ، ثم تجلّى تلك الصوفية الروحية العجيبة فيما وهبه الله من قوة ، وهو الضعيف الأعزل الذى لا قوة له إلا ما وهب الله من شخصية جبارة جعلت الأمير على بك وغيره يطلبون رضاه ، ويلتمسون القرب منه ، ويتشاءمون من سخطه حتى تضيق الأرض على الواحد منهم بما رحبت إذا أحس من الشيخ تغيرا أو امتعاضا .

وقد ذكر الجبرتي في علاقته بالأمير محمد بك أبى الذهب أنه كان يتردد عليه بين الفينة والفينة لا لشيء إلا ليدكره بالله ويخوفه بطشه ، وأنه كان يمسك بيديه ويقول : ما أجمل هاتين اليدين لو سلمتا من عذاب جهنم . وشيء آخر أيضا كان يحفزه إلى ذلك اللقاء وهو تبليغ حوائج الناس التى يجمعها فى مذكرة له لا يستثنى طالب حاجة ، بل يكتب حوائج الناس كلها ثم يعرضها على الأمير ويقول له : لا تمل أيها الأمير فأنتى محسب ، أرجو أن يغفر الله لك ذنوبك ، ويتجاوز عنك بما تفعل من خير لعباده .

وكان الشيخ يصل أهله بالصعيد ويرسل إليهم كسوة الشتاء والصيف كلا فى إبانه لا يستثنى منهم أحدا ولا يحتقر شيئا مما يرسل كلما توفر لديه شيء من المال . هكذا كان الشيخ الصعيدى العالم العامل الورع الصوفى .

وهكذا كان علماء الأزهر ، وهكذا ينبغى أن نكون جميعا ، وما توفيقنا إلا بالله وحده ، هو حسبنا ونعم الوكيل ما

محمد النواوى

البقاء

ليس الابن عزيزا على أبيه لذاته ، واسكن لأن الأب يرى فيه امتداد نفسه ، ويرى فيه خلود حياته لأجيال مقبلة .

(تاغور)

ملكة المراقبة

بين الفرد والمجتمع

تنزع النفس الإنسانية بطبيعتها إلى الانطلاق من قيود الفضائل والآداب ، وتتطلع إلى ما لا يليق بالكرامة التي شرفنا الله بها في قوله : « ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

فكان من رحمة الله بالإنسان الذي خاطبه واستخلفه في عمارة هذا الكون أن تعاقبت شرائع السماء على تهذيب نفسه بديان ما لها وما عليها ، وكبح جماحها عن المضى لغايتها حتى نستبصر لها ، وننظر في عواقب ما اعتزمته بعقول ينير الإيمان مسالكها ، وتكشف تقوى الله لها سواء السبيل ، ففي ذلك الخيرة لها بين طريق النجاة والهلكة ، وإيثار ما يحل بها ويحلو لها من حظوظ الخير والشر والهدى والضلال ، وفي نهاية الشوط ما يلد ويرضى من مغبة الرشد ، أو يقض المضاجع ويعصف بالقلوب من عواقب الغي والغبى « قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ » . وفي الحديث قال أنس بن مالك بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا هممت بأمر ففكر في عاقبته ، فإن كان رشدا فأمضه وإن كان غيا فأنته عنه » .

وإذا كان العاقل الرشيد يقف وقفة طويلة أمام ما يريد من مطالب عيشه وحاجات نفسه ، ويملى فيها لعقله ، ثم يوازن بين مغامرها ومغارمها ، ويتعرف الربح فيها من الخسارة ، وهي أرباح - مهما بلغت قيمتها وعلت درجتها - قليلة الحدودى سريعة النفاد ، فكيف لا يطيل التفكير ، ويسرف في التقدير والتدبير فيما نهضت همته اليه ، وعزم أمره عليه من عمل ؟ ! أفى طاعة الله أم فى معصيته ؟ ! وفى رضوانه أم فى مخالفة أمره ؟ ! فأن كان فى رضاه وضع يده فى يد الله ، واستعان به واستهداه ، وجاهد فى ذلك العمل الصالح هواه ، عساه يدرك منه ما يسعد دنياه ، ويكون له ذخرا نافعا فى آخره ، وإن كان غير ذلك حبس عنه خطاه ، وغل دونه يديه ، واتفق فيه ربه الذى أمر وحذر وبشر وأنذر « ومن

أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى « فأطيب ثمرات الإيمان أن نستبق الخيرات ، وأن ننافس فيها المؤمنين ، وأن نكف جوارحنا عن السيئات صادقين » فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » .

والحديث الذى أسلفته من رواية أنس بن مالك توجيه نبوى يثر فى أنفس الذين يتثلونه ملكة مراقبة الله وخشيته ، فلا يصدرون فيما يأتون وما يذرون إلا عن هذه الملكة التى يبلغون من رضوان الله فى الدنيا والآخرة بقدر نصيبهم منها . فهل لهؤلاء الذين لا يتبصرون فى الأمور قبل الإقدام عليها أن يقيموا حياتهم فى ذلك النور المحمدى ، فيتهموا أنفسهم قد تستحسن القبيح وتستقبح المليح حتى تبلغ من تقوى الله درجة تمضى معها إلى عز الطاعة وتنتهى بها عن ذل المغصية ! ؟ فالرسول الذى سن لنا هذه الشرائع المبصرة كان أخشى الناس وأخوفهم من الله عز وجل ، وما أكثر ما كان يدعو ربه بقوله : « اللهم إني أسألك الثبات فى الأمر والعزيمة على الرشد » .

ومن هنا كان بلاؤه فى الدعوة إلى الله وجهاده الموصول ليجعل الناس ملائكة يسيرون على الأرض . ولقد ورث - صلوات الله عليه وسلامه - أصحابه ومن تبعهم بأحسان إلى يوم الدين فضيلة محاسبة أنفسهم وردّها عن فجورها وهواها إلى صلاحها وتقواها ، فكان أبو بكر - وهو من يرجح إيمانه بإيمان المؤمنين كافة كما حدث المعصوم عليه الصلاة والسلام - يشم من فمه رائحة الجسد المشوى بعد أن حرق خشية الله قلبه !! ويقول : لو كانت إحدى رجلى فى الجنة والأخرى خارجها ما أمنت مكر الله ! ! وكان عمر يقول : ليت أم عمر لم تلد عمر ، وكان تميم الدارى يصلى ليلة عند المقام فبلغ قول الله تعالى : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون » فجعل يبكى ويردد إلى الصباح : ساء ما يحكمون ساء ما يحكمون !! . وبلغ الفضيل بن عياض هذه الآية فجعل يرددّها وهو يبكى ويقول : يا فضيل . ليت شعرى من أى الفريقين أنت ؟ !

لقد وضع الطريق إلى العزة الإسلامية إذا وضحت هذه المعانى النبوية ، فلاشد ما باعدت الغفلة عن الله أقواما عن الصراط السوى ، فهم لا يتعرفون أين أعمالهم من الغى أو الرشد ، ولا يقيمون وزنا لنصيبها من الدم أو الحمد ، ولا تتسع صدورهم للعظة الصادقة يسديها إليهم الناصح الأمين « وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا إليه ، وفى آذاننا وقر ومن بيننا

وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون» وكأنهم أحفاد الأخنس بن شريق الذي قال الله تعالى فيه : «ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام . وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد ، وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد » ورحم الله أبا حفص أمير المؤمنين إذ قال وهو على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رحم الله امرأ أهدى إلى عيوب نفسي » .

إننا نشد المحال إن طالبنا الخلف بكل ما طبع الله عليه السلف من كرائم الخلال ومجيد الخلائق ، لكن المجتمع الإسلامي في غمرة الغفلة عن الله ، وتعجل لذائد الحياة ، ما أشد حاجته إلى ملكة المراقبة وإقامة الضمير الرادع عن الإثم ، الدافع إلى الصلاح ، مكانه الهادي من حياتنا . ففي أحاديثنا ينبغي أن نرم شفاهنا على الكلمة حتى يبحر العقل انطلاق اللسان بها ، فالكلمة الطيبة ترعى الحق وتؤكد بين الناس الود ، وتدنى الأرواح ، وتعطف القلوب على القلوب ، وعلى نقيض ذلك مات فعل الكلمة الخبيثة . ولقد بالغ رجل في أذى أبي ذر رضوان الله عليه فكان يفضي عن أذاه ، ويؤثر صلاحه وهداه فيقول له : يا أحنى : لا تسرف في شتمنا ودع للصلح موضعا ، واعلم أننا لانكفئ من عصي الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه ، وهو يأخذ نفسه في ذلك الأدب الرفيع بتوجيه الله عز وجل إذ يقول : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن ، فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » .

. . وفي أعمالنا ينبغي أن نغل جوارحنا عما نريد أن تتحرك إليه حتى ننظر : أحق هو أم باطل ؟ فما أكثر الذين اندفعوا إلى بعض الأعمال بدون روية ولا استبصار ، فلما بدا لهم وخامة ما عملوا شق على فريق منهم أن يعودوا إلى الصراط السوى ، واستحب آخرون العمى على الهدى وأصروا واستكبروا استكبارا ، فهؤلاء الذين يخسرون الميزان ، ويستطيعون على الناس بجاههم ، ويخولون عليهم بفضل ما لهم ، وهؤلاء الذين يرون من هوان المؤمنين بأيدي المستعمرين ما يوجب المناصرة والمؤازرة فلا يجاوزون موقف المتفرج ناسين قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » هؤلاء وأولئك يفعلون ما يفعلون في غيبة خشية الله ومراقبته فيما يأخذون وما يدعون ، وإنها لصفة الملائكة المقربين الذين « يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون » وهى من نعوت المؤمنين « الذين هم من خشية ربهم مشفقون » . « ويرجون رحمته ويخافون

عذابه «وصلى الله على معلم الناس الخير إذ يقول: «عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله » وما أكرم هاتين العينين اللتين عبرت إحداهما ببكائها عن حصن الخشية الحصين الذى يصون من التقصم فى معاصى الله ، كما عبرت أختها عن السهر الدائب حتى لا يروع المؤمنين ولا يزعجهم من عدوهم أذى .

أما بعد .. فإن ملكة المراقبة هى طوق النجاة فى حياة الأفراد والجماعات ، وهى السبيل الذى لا معدى عنه لإعادة المجتمع الإسلامى المنشود الذى ساد الدنيا حيناً من الدهر بالرفق والسماحة والعدل فى الخصوم والأولياء على السواء ، وهو بهذه الملكة قادر على أن يحل الأخوة والتكافل الإنسانى والسلام الحق مكان التدابير والآثرة الهادمة وتنافس أذعياء السلام فى إعداد وسائل الإبادة والتدمير . فالى مراقبة الله وإلى خشيته وإلى محبة الرحمن الرحيم أيها المؤمنون ما

معرض عوض إبراهيم

الواعظ العام

طريقة العرب فى دراسة العلوم الكونية

فضل العرب على العلوم راجع لدراستهم على طريقة الإسكندرية ، لا على طريقة أثينا وغيرها من مدن اليونان، فأدركوا سريعاً أن العلوم لا تتقدم أبداً بمجرد النظر والتخمين — كما فعلت أثينا — بل لابد من امتحان الطبيعة بالمسائل العملية وعمل التجارب . وكان من أخص مميزات طريقتهم التجارب والرصد ، فاعتبروا الهندسة والعلوم الحسابية وسائل وآلات للتفكير ورياضة العقل . وتراهم فى أكثر مؤلفاتهم العديدة — فى الميكانيكا وعلوم السوائل والبصريات — يحلون المسائل بعمل تجربة ، أو بواسطة رصد بآلة .

هذه الطريقة هى التى مكنتهم من ابتداع الكيمياء ، وابتكار آلات التقطير والتصفيد والصهر والترشيح ، وجعلتهم فى الفلك يرجعون إلى الآلات المدرجة والمقسمة كالربع الحبيب والاصطرلاب ، واستعمال الميزان فى الكيمياء ، وعمل جداول النقل النوعى ... الخ

الدكتور محمد شرف

الإله والوجوديون

إن الشعور بالإله أمر مركزوز في الطباع، وفطرة فطر الناس عليها، يشعرون بها في أعماق قلوبهم وإن عجزوا عن التعبير عنها والكشف عن حقيقتها، فترى الناس وهم يسكنون الوديان والوهاد بعيدين عن الحضارة والعمران، يحسون أن هناك أمرا خارجا عنهم له عليهم السلطان والهيمنة، يشعرون بعظمته وقوته ولا يدركونه، وتنطوى نفوسهم على تعظيمه والخضوع له وإن لم يعرفوا من هو هذا المتسلط عليهم كما ينبغي أن يعرف، فاختلّفوا في تصوره وإدراكه، ففريق منهم أدرك أن في النار مثلاً ناحية من نواحي العظمة المخيفة فعبدها واتخذها إلهاً، وفريق آخر أدرك أن في الشمس عظمة فعبدها واتخذها إلهاً، وآخر أدرك أن في البقر أو في الحجر أو في الشجر نواحي تملأ نفسه عظمة وجلالا فعبدها واتخذها إلهاً، وفريق هداة تفكيره السليم وفطرته الصافية التي لم تبدل ولم تتغير إلى أن هذا المتسلط عليهم الذي يهابونه ويخافون عذابه ويرجون رحمته لا بد أن يكون شيئاً لا يشبههم ولا يشبهونه ويطعمهم ولا يطعمونه، لا يحتاج إليهم وهم يحتاجونه، يحيط بهم ولا يحيطون به، له كل الكمال وليس يلحقه نقص، وجاءت الرسل فقوت في نفوسهم هذا الذي أدركوه بفطرتهم وتصوروه بعقولهم، فمن ضل من الناس فأنم ضل من حيث اعتقاده أن ذلك المهيمن عليه إنما هو النار أو الشمس أو الحجر أو غيرها، ولم يضل من حيث اعتقاده أن له إلهاً أو أن هناك شيئاً متسلطاً عليه، فهاتان قضيتان: قضية صادقة رابحة ترى الناس جميعاً مفطورين عليها وهي عين الصواب، وهي أن هناك إلهاً أو قوة يخضع لها ويدرك عظمتها، وقضية أخرى خاطئة خاسرة وهي أن ذلك الإله أو تلك القوة هي النار أو الشجر أو الحجر وأى شيء آخر متصف بصفات المخلوقين، ولا يلزم من كذب الثانية كذب الأولى، ألا تسمع إلى قوله تعالى: «أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم» أى اعتقد أن الإله هو الهوى فأضله الله، ولو اعتقد أن الإله هو الله لكان على هدى ومعتقداً عقيدة صحيحة لا غبار عليها ولا خطأ فيها.

لعلك أيها الناظر أدركت أن الشعور بالإله أمر فطرى عند جميع الناس، ولكن مما

يؤسف له أشد الأسف ويديمى القلوب حقا أن تظهر فى الناس فئة تسمى الوجودية تنكر الإله وتنكر كل شئ فيه خير وسعادة .

إنى أريد أن أناقش تلك الفئة الخاطئة التى رجت رأسها وتمارت فيما هو مركزوز فى قرارات النفوس ويشعر به كل إنسان ، ولا أريد أن أستدل لهم بكتاب أو سنة ولا بقول الصحابة أو الأئمة ، فربما يقولون : لا نقر بهذا ولا نعترف به بل لعلهم قالوها فعلا واعتنقوها عقيدة .

وإنما أريد أن أحاكمهم إلى العقل وإلى العقل وحده ، فأنظر فى كلامهم أنفسهم وأعرضه على العقل ، فأن قبله العقل وارتضاه التزمته أنا نفسى وآمنت به ، وإن أباه العقل ورفضه رفضا باتا وأظهر أنه خرافة من الخرافات وجب عليهم أن يقبلوا حكمه وإلا كانوا مجانين أولى بهم أن يعكفوا فى سراى المجانين .

استمع إلى المؤسس الأول لهذا المذهب (مذهب الوجودية) كيركجورد كيف يصور مذهبه ويشرحه للناس يقول : « لا يصح أن نقول الله موجود » ولماذا لا يصح أن نقول هذا القول أيها الهاذى ؟ « لأن الموجود هو الإنسان ، والذى يتغير هو الإنسان فله زمان ، أما الله فلا زمان له فهو غير موجود لأنه لا زمان له ، بل هو كائن » انظر أيها القارئ إلى دليل هذا الرجل على أن الله ليس بموجود ، ودع عنك ركة أسلوبه وتهافت تعبيره واضطرابه ، ولكن تأمل فى المعنى الذى يرمى إليه فهو يستدل بزعمه على عدم وجود الله بأنه لا يتغير ولا زمان له وإنما الذى يتغير ويمر عليه الزمان هو الإنسان فهو الموجود . ولست أدري أى تفكير هذا الذى يأخذ من ثبات الشئ وعدم تغيره أنه معدوم ، وإذن فماذا يقول هذا الرجل فى الجبال الراسيات ، والبحار المحيطات ، والأرض والسموات ، وهو قطعاً قد رآها طول حياته غير متغيرة ، أفيقول إنها غير موجودة ، أو ماذا عساه يقول ؟ قد يقول إنها يمر عليها الزمان ، ونقول ما دليلك على هذا وهى لم تتغير أبدا ؟

أستدل العقلاء المفكرون بالتغير ومرور الزمان على الحدوث الأخص من الوجود إذ الوجود يعم القديم والحادث ، وأستدلوا بعدم تغير الله سبحانه وعدم مرور الزمان عليه على أنه قديم إذ أنه موجود قبل الزمان فلا يقاس وجوده بالزمان إذن ، ومن كان

هذا شأنه كان موجودا قديما ، وهذا كما ترى استدلال يتمشى مع العقل السليم والتفكير السديد ، ولكن فساد عقل هذا الرجل جعله يستدل بما يثبت القدم على العدم . تفكير معكوس ومنطوق مقلوب ، ثم استمع إليه بعد حكمه على الله بأنه غير موجود !! (سبحانه وتعالى) يقول : « بل هو (أى الله) كائن » هل معنى هذا عنده أن الكائن شئ غير الموجود ؟ فما هو ؟ وما حقيقته ؟ وهل الكائن بأى معنى أرادته يقال إنه غير موجود ؟ إن زعم ذلك فإدليله وما وجهته ؟

الذى نعرفه فى معنى كلمة (كائن) أنه موجود أو ثابت أو واقع أو حادث أو غير ذلك مما لا يخلو عن معنى الحدوث والوقوع ، وإذن فقد أثبت الله سبحانه الوجود بعد أن نقاه عنه ، ويدلك على أنه يخلط فى القول ويلقيه بلا وعى ولا فهم أن ذلك كان منه فى عبارة قصيرة قرب أولها من آخرها (الله غير موجود لأنه لا زمان له بل هو كائن) .

على أنه أطلق هذه الكلمة « كائن » بنصها على أبيه فى عبارة له يذكرها عنه لما مات جميع أخوته وبقى أبوه وقد نيف عن الثمانين حيث يقول : « أبصرت فى أبى (كائنا) شقيا كتب عليه أن يعيش بعدنا جميعا » كأنه فرض نفسه ميتا حيث يقول بعدنا جميعا (وأحسبه فى هذا صادقا فأن مثله ميت الأحياء) . فالمعنى الذى أرادته من هذه الكلمة بجانب أبيه ما هو ؟ إن أراد أن معناها بجانب أبيه الموجود وجب أن يراد هذا المعنى بعينه بجانب الله ، وإن كان معناها غير الوجود كان قد أثبت على أبيه أنه غير موجود مع أنه إنسان يتغير وله زمان ، وإن أراد أن لها بجانب الله معنى يغير معناها بجانب أبيه طالبناه بالدليل ولا دليل عنده ، بل هو متخبط غلبت عليه شقوته .

ثم انظر إليه وهو ينعى حال أسرته ويتوجع لها يقول : لقد كتب على هذه الأسرة أن يسلط عليها عقاب الله فتبيد . أين هو الله بحسب زعمك يا أبله ؟ إنك تعتقد أنه غير موجود ، فكيف يسلط العقاب عليك وعلى أسرته ؟ ألم أقل أنه يخلط ويلقى الكلام بلا وعى ولا إدراك ، ولذلك يملأنى العجب والألم الممض أن أرى أناسا فى الدنيا يتبعون هذا الرجل وهو يهذى هذيان المجنون .

ثم انظر إليه وهو يتبرم ويضجر ويئن ويتألم مما أصابه ونزل به فيقول : لماذا كانت تسعة أشهر قضيتها فى بطن أمى كفيلة أن تجعل منى رجلا عجوزا ؟ لماذا لم أولد

فى النعم ؟ ولماذا ولدت فى الألم وللا ألم ؟ ولماذا انفتحت عينائى لا لترى الهناء بل لتغوص فى دنيا الزفراء وحدها دون أن أملك الخلاص منها ؟ . ألا يكون نزول هذه المصائب به واجتماعها عليه وهو لا يحبها ولا يميل إليها ولا يرغب فيها ثم لا يجد منها فككا ولا يملك لها خلاصا . ألا يكون نزولها به دليلا واضحاً - لو فكر أدنى تفكير وتأمل قليلا - على أن هناك وراء محيطه ومحيط العالم كله قوة قاهرة لها عليه وعلى غيره السلطان والغلبة ، تصب عليه ماتشاء من غضب ونقم ، وتنزل بغيره الرحمة وتولية النعم ، وماذا عساها تكون تلك القوة القاهرة إلا الله ، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

هل يعرف الشئ ويستدل عليه إلا بآثاره الناشئة عنه ، وهل هذه الآثار جميعا لا تدل فى نظر هذا الرجل على أن هناك موجدا لها وهى تنادى باحتياجها الدائم وقرها المتأصل إلى من يدفع عنها حاجتها ويصون لها وجودها . إن لم يكفه هذا فى الدلالة على وجود الله سبحانه ، فهو إذن ليس من فصيلة الإنسان .

لست أعجب أن يهذر هذا الرجل فى كلامه ويهذى ، فقد يكون به جنة أو مسه طائف من الشيطان ، ولكن عجبى الشديد أن أرى أناسا يزعمون أنهم عقلاء مفكرون ، وأنهم حكماء مثقفون تثقيفا عاليا ، يقلدون هذا الرجل فى ترهاته وأباطيله ، ثم لم يكفهم أن يجعلوا ذلك لأنفسهم فحسب بل أخذوا يلقنونه فى الجامعات وغير الجامعات للشبان الأطفار البرءاء بمعسول كلامهم الموه بالطاء الكاذب طلاء الحرية الزائفة ، حتى اغتربهم بعض الشباب فطلق عقله وركب رأسه ورفع عقيرته يقول : « سأعلم ابنى كيف يكون بلاطجيا ، وبنى كيف تكون عاهرة » . كبرت كلمة تخرج من أفواههم ، أين الشهامة ؟ وأين الرجولة والكرامة ؟ وأين العزة التى كانت لآبائك العرب الأجداد ، لعله من ذرية فرعون .

أسأل الله له ولغيره ممن أضلهم الله على علم أن يهديهم سواء السبيل ، ويبصرهم عاقبة ما هم فيه ، إنه ولى التوفيق ، وهو الرؤوف الرحيم

محمد الطنبى

عضو جماعة كبار العلماء

« للبحث بقية »

ومدير عام الوعظ والإرشاد بالجمهورية المصرية

الفتوح الاسلامية الكبرى

« مناقشة الدكتور محمد هيكل في رأيه حول بدء الفتوح »

كان أول عمل قام به أبو بكر الصديق رضي الله عنه هو تسيير جيش أسامة على الرغم من معارضة كثير من الصحابة في ذلك، لأنه رأى في تسييره مناورة حربية وسياسية ، تشعر أعداءه وأعداء المسلمين في الداخل والخارج بقوة الحكومة ، وثبات مركزها ، ثم أمن الإسلام في موطنه بالقضاء على فتنة الردة ، وبعد أن أمته التفت إلى دفع الخطر الخارجي عنه بالقضاء على أعدائه ، وهو في هذا لم يكن إلا منفذا للسياسة التي وضع أسسها الرسول صلى الله عليه وسلم ، في إرساله الكتب والبعث إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى توحيد الله والإيمان برسالته ، ووضعت في غزوه للروم ، والغساسنة الخاضعين للروم على حدود الشام، لما سخروا من دعوته ، واعتدوا على رسله ، وقتلوا أصحابه - غزوة تبوك وسرية مؤتة - وإذن فالصديق إنما كان ينفذ خطة موضوعة ، ولم يكن القصد منها ؛ ولا الباعث لها إلا دفع الأذى وحماية الطريق ، والتمهيد لنشر الدين بالحسنى إن تيسر ذلك، فأن اعترض هذه الدوافع صعاب عمل على تذليلها وإزالتها بالقوة، وهى خطه لا هجوم فيها ولا تهجم، ولكن هل كان من الخطة الموضوعة فتح الشام أو فارس؟ يرى الدكتور في كتابه (الصديق أبو بكر ص ٢٢٤ و ٢٢٥) أن جل غرض الرسول اتجه إلى تأمين التخوم العربية في الشمال من جنود قيصر ، وأنه لم يدر بخواطر المسلمين أن يغيروا على الشام أو أن يتخذوا من دعوة هرقل للإسلام سببا للأيغال فيه ، ثم يتساءل فيقول : ترى أقيم أبو بكر على هذه السياسة ولا يتعدها وله في رسول الله أسوة حسنة . أم يغامر بحرب قيصر ، والنصر بيد الله يؤتبه من يشاء، ويرى أن هذا الخاطر كان يدور بنفس أبي بكر حينما كان النصر يحالف أعلامه في حروب الردة ، وأن أبا بكر كان أحصف من أن يستنم لهذا النصر ، فينسى به ما تنطوى عليه صدور العرب من حفيظة قد تضطرم فتضرم نار الثورة كرة أخرى ، فأن من الخير أن تتجه أنظار العرب إلى ما وراء الحدود

من شبه الجزيرة فتنسب بذلك حفاظها وأحقادها ، وبادية الشام تنتشر فيها قبائل العرب ،
بفخريها أن تسمع الدعوة إلى الدين الجديد كما سمعها العرب في شبه الجزيرة .

ثم يقول في ص ٢٢٦ : لكن غزو الروم مخاطرة إن لم يحالف النصر فيها أعلام
المسلمين تعرضت شبه الجزيرة لشر من الثورة التي أحمدها حروب الردة ، تعرضت للروم
وحكمهم ، تعرضت بذلك لكارثة تجتث حكم المدينة ، وقد تفنن المسلمون عن دينهم ،
ومنازلة الروم ليست هينة .

ويقول عن فارس في ص ٢٢٧ : ولم يدر التفكير في محاربة الفرس بخاطر أبي بكر،
فالحجاز لا يتصل بفارس والبلاد العربية التي تتاخم الفرس هي التي فشت فيها الردة ،
ويتعذر لذلك أن يعتمد أبو بكر عليها أو يأمن لها في غزو دولة لا يزال لها مع ظفر
الروم بها جيوش جارية وموارد كثيرة .

أفلا يجمل بالخليفة أن يوجه همه إلى توطيد الأمن في مختلف الأرجاء من شبه الجزيرة
لتنضم كلها في وحدة تزيد قوة ، وتزيد سياستها اتساقا ؟ ؟

وإن أبا بكر ليفكر في هذا وفي مثله إذ ترامت إليه الأنباء بأن المشني بن حارثة الشيباني
قد سار بقواته شمالا في البحرين حتى وضع يده على هجر والقطيف ، وحتى بلغ مصب
دجلة والفرات وأنه قضى في مسيرته هذه على الفرس وعمالهم ممن عاونوا المرتدين بالبحرين،
وسأل أبو بكر عن هذا المشني ؟ ومن هو ؟ وإلى أى قبيلة ينتسب ؟ فعلم أنه رجل يمكن
الاعتماد عليه .

وحينئذ فكر في فتح العراق :

والخلاصة أن الدكتور هيكل يرى :

- ١ — أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفكر في شيء سوى تأمين الحدود من جنود قيصر .
- ٢ — وأن أبا بكر تردد في : أنه هل يسير على سياسة الرسول ، أم يتعدها فيغامر بحرب
قيصر ؟ لأنه لا بد له من أن يدفع العرب الى وراء الحدود حتى لا يشوروا مرة أخرى .
- ٣ — وأن أبا بكر - فضلا عن الرسول - لم يفكر في فتح فارس ، وله في هذا مبررات .

٤ — وأن الأفضل له أن يوطد الأمن في شبه الجزيرة .

٥ — وأنه بينما يفكر في هذا ومثله إذ وصلت إليه أخبار المثنى بن حارثة وانتصاراته على الفرس في هذا الوقت ، وفي هذا الوقت فقط فكر في فتح فارس ، وأن هذا المثنى قد يكون خير طليعة لتنفيذ هذه الفكرة . هذا ما يراه الدكتور هيكمل في بدء الفتوح الإسلامية

رأينا : ونحن نرى أن فتح الشام والعراق كان سياسة قد وضع أسسها الرسول صلى الله عليه وسلم وأن أبا بكر قد نفذ هذه السياسة ، ولو أن حياة الرسول امتدت زمنا لأرسل إليها الجيوش ، وأدلتنا على ذلك هي :

١ — أن دعوة الرسول كانت لسائر العالم بنص القرآن والسنة ، قال الله تعالى : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا [١] » وقال : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله [٢] » وقال : « قاتلوا المشركين كافة [٣] » ويقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : بعثت إلى الأحمر والأسود : ويقول : أيها الناس . إني رسول الله إلى الناس كافة . إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث التي تدل دلالة قطعية على أن رسالة الرسول للناس كافة . وقد أجمع الفقهاء على أن ذلك مما هو معلوم من الدين بالضرورة . كما أجمع المؤرخون على أن الرسول أرسل الكتب إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام ، على أساس أن رسالته للناس كافة لا للعرب خاصة .

٢ — نرى أن الواقع يؤيد ما قلناه عن سياسة الرسول نفسه ، إذ أنه — بعد تأمين طريق الدعوة بعقد صلح الحديبية ، ودخول بعض القبائل العربية في محالفته — أرسل الكتب إلى أكثر ملوك الأرض يعلنهم بدعوته ، ويطلب منهم اتباعه ، وهذا ما يعرف بالهجوم السامى .

٣ — إخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بفتح فارس والروم في كثير من الأحاديث ، من ذلك ما رواه مسلم عن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا فتحت عليكم خزائن الفرس والروم ، أى قوم أتم ؟ ؟ فقال عبد الرحمن بن عوف : كما

(١) سورة سبأ آية ٢٧

(٢) التوبة آية ٣٢ والفتح آية ٢٧ والصف آية ٨

(٣) سورة التوبة آية ٣٥

أمرنا الله تعالى : فقال صلى الله عليه وسلم ، بل تتنافسون وتتحاسدون ، ثم تتدابرون وتبغضون . وما رواه البخارى عن عدى بن حاتم الطائى قال :

بينما أنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ، ثم أتاه رجل آخر فشكا إليه قطع الطريق ، فقال يا عدى : هل رأيت الحيرة ؟ قلت لم أرها ، وقد أنبت عنها ، قال لئن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة ما تخاف أحدا إلا الله تعالى (قلت فيما بيني وبين نفسي : فأين دعار طيئ الذين سعروا البلاد ؟) ، ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى . قلت : كنوز كسرى بن هرمز ؟ . قال : كنوز كسرى بن هرمز ، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز !

وما رواه البخارى من قوله صلى الله عليه وسلم : إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، فالذى نفسى بيده لتنفق كنوزهما في سبيل الله تعالى .

وما رواه البخارى أيضا من قوله صلى الله عليه وسلم : إن الله سيفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فإن لهم رحما وذمة .

وقد وعد الله رسوله والمؤمنين بنصره فقال : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكّن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدّلنهم من بعد خوفهم أمنا » [١] ، وأكد هذا الأمر عند المسلمين ، وعد الرسول لسراقة بن مالك يوم هاجر من مكة بسوارى كسرى ، ووعد له لرجل آخر اسمه شويل - كان قد أسلم - وسمعه يبشر بفتح الحيرة ، فطلب منه أن يعطى له كرامة بنت عبد المسيح سيد الحيرة إذا تم للمسلمين فتحها ، وقد تحقق هذا بعد الفتح .

٤ - لو فرضنا أن محمدا كان مصلحا اجتماعيا أو سياسيا ، وليس برسول وله نظريات يريد أن يعتنقها الناس ، أليس من أنبدهى أن يعمل على نشر مبادئه بكل ما أوتى من قوة ؟ وهو قد جاهد حتى دانت له شبه الجزيرة ، وأصبح قوة يحسب لها حساب . فمن السهل عليه أن يعمم هذه المبادئ التى يدين بها ، ويؤمن أنها خير لصالح المجموعة البشرية . ولنا فى التاريخ القديم والحديث ما يؤيد ذلك ، ففى القديم كان اليونان يعملون على نشر حضارتهم وثقافتهم خارج بلادهم ، والرومان كذلك ، وفى الحديث الأمثلة كثيرة .

(البقية فى الصفحة التالية)

الازهر والثورة

نشرنا بعض أبيات من هذه القصيدة العامرة في العدد الماضى ، ونشرها الآن كاملة

يا ثورة أيقظت في مصر وسانا	وتوجت هامها علما وعرفانا
أرست دعائمها في كل ناحية	وبدلت مصر جنات وعمرانا
كل الطوائف تشدو اليوم تالية	آيات حمد وتزجى المدح شكرانا
والأزهريون مذكائوا ومذوجدوا	لا يبخلون ببذل النفس قربانا
فلا ترى ثورة تبدو طلائعها	إلا وجدتهمو شيبا وشبانا
وهذه الثورة الكبرى مذارلعت	كانوا فداء لمذكيا وأعوانا
قام الشيوخ إلى التدريب في لطف	كانت كتيبهم للفخر عنوانا

ه — ان المسلمين بعد أن صاروا دولة موحدة، قوية الشوكة، مرهوبة الجانب . كان لابد لهم من البحث عن أمكنة خصبة ، يخرجون إليها ليعيشوا فيها بعد أن استمروا زمنا طويلا في جزيرتهم المقفرة، وليست هذه الأماكن إلا على حساب فارس أو الروم . وقد كان فحقق الصديق رضى الله عنه ما كان يعمل له الرسول صلى الله عليه وسلم ، ونفذ سياسته بحكمة وحزم وقوة . وانتصر المسلمون انتصارا سريعا على أقوى دول الأرض ، وسارت موجه الفتح الإسلامى بقوة هائلة لم يعهدها التاريخ المعاصر ، فلم ينته عصر الخليفة الثانى (عمر بن الخطاب) حتى كانت مملكة الفرس قد انهارت ، وودع هرقل سوريا وداعا لا لقاء بعده ، وصارت مصر ولاية إسلامية مـ

محمود محمد زيادة

المدرس بكلية اللغة العربية

وما توانى شباب عن مفاخرها
للأزهريين صولات مدوية
وهم ضراغم غاب في مفاوزها
إن يمسكوا بسلاح في قوابضهم
أو يجمعوا بين إيمان وأسلحة
الأزهري قوى في شكيمة
إن العدو على الأبواب في لهف
فلقنوه دروسا في مواجهة
المستعيت إذا ما خاض معركة
وكلهم حرس قد خاض ميدانا
كم حررت من قيود الذل أوطانا
لا يستباح حماهم أينما كانا
فإن في قلبهم نورا وإيمانا
فر العدو زرافات ووحدانا
إن كثر صال ولم يرتد خذلانا
يبغى التزال وكم في عهده خانا
حتى يفر من الميدان حيرانا
فلن يموت وإن أصلوه نيرانا

* * *

حكومة أيقظت في مصر فتيتها
وما ثناها عن التسليح شرذمة
هذا تسليحه سرا وفي علن
أعطوا وعودا وكانت غير صادقة
فكشر الليث عن أنيابه غضبا
وجاءنا بسلاح من مصادره
وعاودت مصر في نحر كرامتها
وأصبت مضرب الأمثال في أمم
إن تنصروا الله ينصركم مناجزة
ولقنتهم فنون الحرب ألوانا
لم ترع للعدل بين الناس ميزانا
وذاك تحومه ظلما وعدوانا
وأسفر الصبح والمستور قد بانا
وما استكان لتهديد وما لانا
رغم الذى قيل تضليلا وبهتاننا
وسجات موقف بالعر مزدانا
حيث ليوثا بوادى النيل شجعانا
وتهزموا الجمع مهما عز أو هانا

السباعى الشناوى

المراقب بكلية الشريعة

تعلیقاً

- ١ -

موقف الثورة من الأزهر

ثورة رشيدة ملهمة

ولم تكن غير ذلك ؛ منذ جالت بها الفكرة في خواطر الثائرين ، ومنذ هتفت بها ضمايرهم ، ونشطت إليها عزائمهم . . ثم بدت هذه الثورة في ألوان صادقة من الجهود المتلاحقة ، ولم يعد الإيمان بها والاطمئنان إليها بحاجة إلى الانتظار عند من يترددون في الإيمان بالأمور الجسدية : فضلا عن أن تكون أمورا واقعية ، لها من ذاتياتها ما يشهد بقوتها وصلابتها ، ويبشر باطراد نجاحها : ضرورة أنها صادرة عن أصدق الإيمان بالله وبالوطن ، وقائمة على الاخلاص في التضحية ، ومتجهة إلى الغايات السامية للنهوض بالأمة إلى حيث تحب لنفسها سؤددا ، وسعادة ، وأمنا ، وعدالة ، ومعايشة كريمة مع الغير . . وإلى ما هو فوق ذلك : ان كان لهذا فوق يرتجى .

ولسكن الذين مردوا على التشكك حيث يجب الإيمان ، ويحقدون عند ما يتحتم الحب والصفاء ، وينازعون وقتما ينبغى الوثام - لم يفهموا روح الثورة ، ولم يتبينوا مسالكها ، ولم يقدر واوجعتها ، لحسبوا تترى في نهوضها لتصغى إلى دعوة المفرقين ، أو تغفل عما يليق لها فتقف إلى جانب المخذلين ، وتشغل نفسها معهم بالهذيان العاثر ، فتهدم وتطمس ما يروق لأعداء الوطن هدمه وطمسه ، وقد عجزوا عنه في غابر الأيام . . . وحسبوا مخدوعة في زعمهم لها أنهم أوفياء لمصر ، ودعاة لإصلاح فيها ، وأنصاراً لأبطال ثورتها في خدمة مصر حبا في مصر .

وقد أسرف على أنفسهم هؤلاء الخادعون حينما طرحوا شباكهم ليصيدوا الأزهر فيما يصيدونه ؛ وأسرفوا على أنفسهم حينما توهموا أن أيدي رجال الثورة هي التي تقتنص لهم الفريسة لتمكن لهم بعد أن يتقاضوا جزاءهم من خصوم رابضين هنا وهناك لمصر ، ولكل شيء تعتز به مصر : مما يقوم عليه كيانها ، أو ينبثق منه مجدها ، أو يمتد به صيتها في الآفاق . أسرف هؤلاء على أنفسهم بزعمهم أن الثورة غير واعية لمجد الأزهر ، أو غير عارفة بشأنه في الحياة الروحية التي تعيش في أريجها مصر ، والتي ينبعث نفحها من القاهرة إلى أرجاء العالم كله فيثير لمصر ذكريات ، ويجدد لمصر حبا ، وثقة ، ومناصرة في كل واد .

وما كانت الثورة إلا مؤمنة بكل ذلك ، وحفيظة على صيانة القرآن من محاولات المسكرين ، وعلى بث الروح الإسلامي في ربوع الوادي جهد الإمكان ، والثورة التي تضاعف نشاطها ، وتفجأ العالم بأحدث جهودها لتخلق مصر خلقا جديدا ، لا يمكن أن تدخل في حسابها الإبقاء على النزعات المنحرفة ، ولا أن تفسح للتحللين طريق الاندفاع وراء التقاليد الطائشة ، ولا يطيب لها أن تتخلى عن القومية المصرية لأراجيف الهدامين ، وإن فرحوا لتسرب عدوى الإباحية إلى بعض الجماعات ، أولتبجح من لا يعرفون الاحتشام ولا الغيرة ؛ ولم يتعودوا الانحياز إلى الوطنية الجادة المنزهة عن الميوعة ، والتذبذب بين تيارات غربية علينا ، وجارفة لأجدادنا .

مصر - بطبيعتها ، وبتدينها ، وبأزهرها ، وبأصالة الخلق الديني فيها - ليست مستعدة للانسلاخ عن مقوماتها ، التي أبرزت شخصيتها منذ القدم بين جاراتها وغير جاراتها من الدول . فكيف وقد تولى قيادتها وأمورها أناس من أبنائها لحما ودما ، ومن أسرها المحافظة الكريمة ، ومن نبغائها الذين ادخرهم القدر لهذه الساعات المرموقة وللحياة المرجوة التي تعثرت مصر في الطريق إليها عشرات مدميات ، ثم لم تياس حتى آلت القوس إلى بارئها .

رجال الثورة لا ينقصهم مدح ولا ثناء ، وإنما هي شهادات من واقع نهضتهم ، نبرئ بها أنفسنا من لوثة الجحود التي تستفز الحانقين إلى استدرج الثورة نحو آمال كاذبة ، ولم يكن خافيا أن المسرفين على أنفسهم في مهاجمة الأزهر والدعوة إلى التخلص من ثقافته الإسلامية إنما يطوحن بسمعة رجال الثورة ، ويعرضونهم للأرجاف في كل بقعة

من البلاد الإسلامية . . أما أن يتم لهم ما تمنوا فذلك شيء ميثوس منه في برامج أعمال الثورة .

لذلك هبت الثورة في وجههم منكرة لهذه الصيحات التي استباحوها، وكان الظن بها أولاً أنها صرخة في واد . .

هبت في وجههم ، وكشفت عن البواعث التي حفزتهم على المجاهرة بنخبهم ، وعن رغبتهم في بعثرة المجتمع المصري تحت أقدام الاستعمار ، إذ أن رباط المجتمع المصري في أوثق أنواعه إنما يكون بدينه ، ورباطه بالشرق كذلك إنما يكون بدينه ، ومركز الدين ومنبع ثقافته هو الأزهر ، الذي يعتبر شريان الحياة الروحية المتصل بمكة والمدينة والمتمد إلى أطراف الآفاق .

كما أعلنت الثورة أن الحياة المادية قصيرة المدى وإن عمرت أزمانا ، وأن الدول الاستعمارية التي تعتد بحياتها المادية وشبكة الانهيار يوماً ما ، وبهذا تجاوزت الثورة مع الواقع الحق ، ومع شعور المسلمين في بقاع الأرض ، وعرف الناس أن الغامزين في الأزهر يدفعهم إلى ذلك حرصهم على الدولار ، والفرنك ، وعلى البنسكنوت الحديد الجذاب . . أما مصر ، ودينها ، وشعبها ، ومجدها ، وسلامتها من الدخلاء ، وحراستها من سموم الاستعمار ، فليست في شيء من حسابهم .

ولكن الله حرس مصر ، وسيحرسها بأزهرها وبأبطالها ، ويحميها على يدهم من الماكرين بها ، وسيحوطها بعاصم من جهود رجالها ، حتى يشمخ بناؤها أكثر مما هو شاخ ، فلا يطمع في هدمها دخيل ولا غوى مأجور .

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير التفتيش

كلية علمية خاصة بالبنات

كتبنا مرة : شاكرين لرجال الثورة عزمهم على إنشاء كلية خاصة بالبنات ، وأنكرنا في شيء من الأسف والعجب على الدكتور طه حسين أن يتمتع لهذه الفكرة ويتنكر لها

فى شىء من السخرية : لا لشيء غير أنها خاصة بالفتيات . . .

واليوم نجد غبطتنا لهذه الفكرة التى أخذت طريقها الى الظهور عما قريب ، والتى حدثتنا عن مشروعها من جديد، المربية الفاضلة السيدة أسماء فهمى بوزارة التربية والتعليم .
إذ قررت « بعد عودتها من أمريكا والاطلاع على ما هناك » أننا لن نكون رجعيين ولا متخلفين إذا أنشأنا كلية خاصة بالبنات ، وضربت لنا الأمثال بما شهدته فى أمريكا وعلمته عن وجود ١٥٤ كلية خاصة بالبنات الخ .

وهذه لفظة أكيدة الى صواب ما تعزّمه الحكومة وأخذت فى تنفيذه للنهوض بالمستوى الثقافى النسوى إلى خير مما تورطنا فيه بفضل الدكتور طه حسين منذ كان عميدا لكلية الآداب !! .

ويا ترى !! ما قيمة هذه اللفتة عند دعاة الاختلاط الذين لا يروقههم أن نأخذ بهذا النظام ، ونعود فى كرامة ورفق الى شىء من الحفاظ على فتياتنا الخفريات ؟ ؟
لو كانت هذه الفكرة بدعا فى نظم التعليم لحاز للأباحين أن يسخروا منها ، ويسموها رجعية أو أخط منها . . ولكن ما بالهم والأمر يكون هم الآخذون بها والحريصون عليها، وهم الذين يرون الاختلاط - كما حدثتنا مريبتنا الفاضلة - يشغل الفتيات عن الجسد والنشاط العلمى الى العناية بالملابس والزينة ، وما إلى ذلك مما لا يفكرن فيه فى حالة عدم وجود الشبان ؟ ؟

وكان الأمر عند الأمريكيين ليس أمر اشتغال الفتيات عن الجسد والنشاط بالملابس والزينة الخ ، وإنما هو أمر آخر يدفع بهن الى العناية بالملابس والزينة بين الشبان . .
وإنما اكتفوا عن التصريح به بتلك الكلمات المهذبة التى تحجب ما وراءها عن الأفهام . . والذى نشهده أن تهافتنا على التقليد فى الاختلاط لم يفدنا بقدر ما أضربنا .
ومهما يقل القائلون إننا جامدون نزرع إلى الرجعية، وتتحكم فى الفتيات لنحول بينهن وبين الحياة الجديدة، فأنا على رأينا فى أن هذه ميوعة، وتحلل، وثورة على الحياء الذى تتجمل به الفتاة الشرقية . . وكان يمكن جدا ، ولا يزال ممكنا جدا، أن نعطيها نصيبها سخيا من الثقافة مع البقاء على أنوثتها أن تمش أو أن نخلطها برجولة تقليدية ، وبين الأنوثة والرجولة المصنوعة تضيع ميزات وميزات . وإن يكن خلط الأنوثة بالرجولة فى نظر دعاة مظهر المدنية التى يعشقونها، فقد كذبت نظريتهم فى نظام الأسر التى تسرب إليها الاختلاط : إذ تهدمت تلك الأسر ، أو تصدع بناؤها ، وهو دائما وشيك الانهيار . وبين جدران البيوت مأس

مبكية ، وليس لها فيما سمعنا وعرفنا سبب غير فقدان الحياء ، والتأثر بروح التجديد التي استفرت هوية الغواة . وإلى جانب هذه الأسر التي نكبتها التجديد وجرفها الاختلاط لم يحصل أول لم نسمع أن أسرة تراخت روايتها ، وفترت المحبة بين طرفيها ، بسبب التعفف والاحتشام والترفع عن المظان .

وهذا هو نظام الإسلام الذي أحكمه واختاره ليصون على الأسر كرامتها ، ويحفظ على البيوت أمنها وهنائها ، وهو النظام الذي جهلته أُمم غير إسلامية ، أو عرفته ولكنها تجافت عنه وعابته ، وشططت وراء الميول والرغبات ، ثم لما تقدمت بها المدنية ، واتسع لها الأفق ، وكثرت لديها التجارب ، بدأت تحاوله وتجنح إلى الأخذ به ، لا على أنه إسلام ، ولكن على أنه الإصلاح الذي تقتضيه المدنية الصحيحة .

فهل لدعاة الاختلاط بيننا أن يذكروا للإسلام أدبه ، ويكفوا عما يلحون فيه ، ويستحيوا من هذا اللجاج في الباطل ، وأن يستغفروا الله ، ويعتذروا إلى الوطن عما أفرطوا فيه ، وأسرفوا في التهافت عليه ، حتى ابتعدنا عن تقليد كريم ، ودين قويم ، وأخذنا نلتقط من تقاليد الغير ما يحاولون نبذه والانسلاخ منه ؟ .

سيقولون : إن هذا وعظ نسمعه ، ومن عادة الوعاظ أن يبالغوا ...

لا : والله ! ! ما قصدنا وعظا خطابيا ، وإنما هو علاج لمرض تفشى ، ودرء لخطر يحدق ، وحفاظ على هناة تلاشت ، ورحمة بأبناء تصرمت حبال الود بين أبويهم بسبب الفرنجة والتجديد والانزلاق .

وذلك كله فساد في المجتمع ، وشؤم على مرتكبيه بالذات ، وعلى غيرهم بالتبع ، وقد عم بلاؤه أو كاد . ونحن نبليغ ما أمرنا بتبليغه ، ونتناهى عن المنكر لئلا نكون كجني إسرائيل « كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون » .

وإذا ترك الجبل على الغارب ، وظل دكارة الاختلاط يمجون في هذه التخربات ، ثم يموج بعضهم في بعض فسنبصيح في مهب الريح ، وتكون نهضة مصر الحديثة في شيء من الوهن الخلق . والله يقول : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » ويومئذ لا يغنيها عن ضررها واحد أو مئات من دكارة الاختلاط ما

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء - ومدير التفتيش بالأزهر

- ٣ -

ما هو الهدف ؟

دأب بعض الصحف في هذه الأيام على غمز رجال الدين بالقول والإشارة والتصوير في بعض المناسبات، وتعوزها المناسبات أحيانا فتتصيدا لتصيداً لتتحدث عنهم بالأسلوب النازل المحقوت أسلوب التهمك والتشهير، كما تحرص على أن تذكر حوادثهم في صور بارزة تلفت الأنظار والأسماع .

وإننا لا ندعى العصمة لرجال الدين فنزهمهم عن الخطأ كما يدعى غيرنا، وما رجال الدين إلا بشر يصيبون ويخطئون كما يصيب غيرهم ويخطئ، إلا أن الذي نستطيع أن ندعيه أن أكثرهم ممن منحهم الله نعمة التوفيق، فاستقاموا على الطريق — وقد يزل أحدهم — ولكن لا ينبغي أن نتخذ زلة فرد أو أفراد وسيلة إلى التشهير بهم جملة وتصويرهم بصور الخاطئين الضالين .

ونخشى أن يكون وراء هذا التشهير هدف خطير هو التشكيك في أخلاق رجال الدين وفقدان الثقة بهم، وإزالة ما لهم في قلوب الناس من إجلال واحترام وتوقير لينصرف الناس عنهم، وبالتالي ينصرفون عن الدين، وإن صح ظننا كان الهدف أخطر سلاح يوجه إلى جمهوريتنا الناشئة، فالدين وحده صمام الأمان والاستقرار في الأمم، وما تجردت أمة عن دينها إلا زعزع أمنها واختل نظامها، وكانت هدفا للبادئ الخطيرة والدعوات الضالة الهدامة .

ولا نظن أن هؤلاء يهدفون إلى هذه الغاية بوحى من نفوسهم، بل لابد أن هناك دوافع ومغريات تغري هؤلاء بما يفعلون، فقد تعودنا من أمثالهم أن يكونوا مطايا تساق بسياط المطامع والشهوات، حتى يبلغ بها ذوو الأغراض أغراضهم؛ ثم يسرحونها ليستخدمها غيرهم، وهكذا دواليك، وإنهم لهذا جرثومة فساد في الأمة، على من يعينهم أمرها أن يظهرها منهم، ويحفظوها من وبائهم، قبل أن يتمكن الداء ويعز الدواء ما

أبو الوفا المراغي

رسالة الأزهر الشريف اليوم

عقد في دار المركز العام لجمعية الشبان المسلمين بالقاهرة مؤتمر لبحث رسالة الأزهر ، افتتحه رائد الجمعية الدينية فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصي ، وتكلم فيه فضيلة الأستاذ الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ، وفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد اللطيف السبكي ، وأصحاب الفضيلة الشيخ كامل محمد حسن ، والشيخ عبد الرحيم فودة ، والشيخ عبد المنعم النمر ، والشاعر محمد بدر الدين .

وأصدر المؤتمر القرارات الآتية :

١ — ان السهام التي توجه إلى الأزهر محاولة النيل منه أو الغض من شأنه ، ليست موجهة إلى أبناء الأزهر بقدر ما هي موجهة إلى رسالة الأزهر الكبرى التي تدور حول الإسلام ولغة القرآن .

٢ — الأزهر الشريف هو المفخرة الكبرى لمصر العربية الإسلامية ، وكل تعويق للأزهر عن السير في طريقه يعد تعويقا لمصر عن حراستها لسمعها الكريمة ، بين أبناء البلاد العربية والإسلامية .

٣ — من واجب الدولة أن تبسط للأزهر ورجاله الأسباب الموصلة لتحقيق رسالته ، ولتيم التعاون بين ولاة الأمر في الدولة وفي الأزهر لبناء الوطن المؤمن السليم في عقائده ، وأخلاقه ، وتفكيره .

٤ — قد يكون من وسائل التمكين للعلماء من أداء رسالتهم ، أن تصدر الدولة تشريعا يقضى بتجديد بعض الأزهرين المختارين من معسكرات الأزهر التدريسية ، لتكون مهمتهم مقاومة المنكرات الشائعة ، في المجتمع بصورة عملية ويكون لهم الامتيازات المكفولة لبوليس الآداب ، ويسمون « الحرس الديني الاجتماعي » كما يكون لهم شعار خاص يعرفون به بين الجمهور .

٥ — من واجب الأزهر أن يسارع إلى الأخذ بأسباب الإصلاح الجدي الصحيح ، حتى يستقيم الركب الأزهرى على الطريق الموصل إلى تحقيق رسالته الإسلامية والعربية ، والقومية .

٦ — يأمل الأزهر من الدولة أن تفسح أمام الأزهرين مجال العمل في المدارس ، وفي القضاء ، وفي الإذاعة ، وفي كل مجتمع يحتاج إلى دعاة ومرشدين .

الفتاوى

الصلح مع إسرائيل

والتعاون والتحالف مع دول الاستعمار

اجتمعت لجنة الفتوى بالجامع الأزهر في يوم الأحد ١٨ جمادى الأولى سنة ١٣٧٥ الموافق (أول يناير سنة ١٩٥٦) برئاسة السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ حسين محمد مخلوف عضو جماعة كبار العلماء ومفتى الديار المصرية سابقا وعضوية السادة أصحاب الفضيلة الشيخ عيسى منون عضو جماعة كبار العلماء وشيخ كلية الشريعة سابقا (الشافعى المذهب) والشيخ محمود شلتوت عضو جماعة كبار العلماء (الحنفى المذهب) والشيخ محمد الطائى عضو جماعة كبار العلماء ومدير الوعظ والأرشاد (المالكي المذهب) والشيخ محمد عبد اللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفتيش بالأزهر (الحنبل المذهب) وبحضور الشيخ زكريا البرى أمين الفتوى .

ونظرت فى الاستفتاء الآتى وأصدرت فتواها التالية

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد — فقد اطلعت لجنة الفتوى بالأزهر الشريف على الاستفتاء المقدم إليها عن حكم الشريعة الإسلامية فى إبرام الصلح مع إسرائيل التى اغتصبت فلسطين من أهلها ، وأخرجتهم من ديارهم ، وشردتهم نساء وأطفالا وشيبا وشباناً فى آفاق الأرض ، واستلبت أموالهم ، واقترفت أفظع الآثام فى أماكن العبادة والآثار والمشاهد الإسلامية المقدسة ، وعن حكم التواد والتعاون مع دول الاستعمار التى ناصرتها وتناصرها فى هذا العدوان الأثيم ، وأمدتها بالعون السياسى والمادى لإقامتها دولة يهودية فى هذا القطر الإسلامى بين دول الإسلام ، وعن حكم الأحلاف التى تدعو إليها دول الاستعمار ، والتى من مراميها تمكين إسرائيل من البقاء فى أرض فلسطين لتنفيذ السياسة الاستعمارية ، وعن واجب المسلمين حيال فلسطين وردها إلى أهلها ، وحيال المشروعات التى تحاول إسرائيل ومن ورائها

الدول الاستعمارية أن توسع بها رقعتها وتستجلب بها المهاجرين إليها ، وفي ذلك تركيز لكيانها ، وتقوية لسلطانها ، مما يضيق الخناق على جيرانها ، ويزيد في تهديدها لهم ، ويهيئ للقضاء عليهم .

* * *

وتفيد اللجنة أن الصلح مع إسرائيل - كما يريده الداعون إليه - لا يجوز شرعا ، لما فيه من إقرار الغاصب على الاستمرار في غصبه ، والاعتراف بحقية يده على ما اغتصبه ، وتمكين المعتدى من البقاء على عدوانه . وقد أجمعت الشرائع السماوية والوضعية على حرمة الغصب ووجوب رد المغصوب إلى أهله ، وحث صاحب الحق على الدفاع والمطالبة بحقه . ففي الحديث الشريف : (من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد) وفي حديث آخر : (على اليد ما أخذت حتى ترد) . فلا يجوز للمسلمين أن يصلحوا هؤلاء اليهود الذين اغتصبوا أرض فلسطين ، واعتدوا فيها على أهلها وعلى أموالهم : على أى وجه يمكن اليهود من البقاء كدولة في أرض هذه البلاد الإسلامية المقدسة ، بل يجب عليهم أن يتعاونوا جميعا على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأجناسهم لرد هذه البلاد إلى أهلها ، وصيانة المسجد الأقصى مهبط الوحي ومصلى الأنبياء الذى بارك الله حوله ، وصيانة الآثار والمشاهد الإسلامية ، من أيدي هؤلاء الغاصبين ، وأن يعينوا المجاهدين بالسلاح وسائر القوى على الجهاد في هذا السبيل ، وأن يبذلوا فيه كل ما يستطيعون ، حتى تطهر البلاد من آثار هؤلاء الطغاة المعتدين ؛ قال تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » . ومن قصر في ذلك ، أو فرط فيه ، أو خذل المسلمين عنه ، أو دعا إلى ما من شأنه تفريق الكلمة وتشتيت الشمل والتكئين لدول الاستعمار والصهيونية من تنفيذ خططهم ضد العرب والاسلام وضد هذا القطر العربي الاسلامى ، فهو - في حكم الإسلام - مفارق جماعة المسلمين ، ومقترف أعظم الآثام . كيف ويعلم الناس جميعا أن اليهود يكيدون للإسلام وأهله ودياره أشد الكيد ، منذ عهد الرسالة إلى الآن ؟ ! وأنهم يعتزمون ألا يقفوا عند حد الاعتداء على فلسطين والمسجد الأقصى ، وإنما تمتد خططهم المدبرة إلى امتلاك البلاد الإسلامية الواقعة بين نهري النيل والفرات . وإذا كان المسلمون جميعا - في الوضع الإسلامى - وحدة لا تتجزأ بالنسبة إلى الدفاع عن بيضة الإسلام ، فإن الواجب شرعا أن تجتمع كلمتهم لدرء هذا الخطر والدفاع عن البلاد

واستنقاذها من أيدي الغاصبين قال تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » ، وقال تعالى : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » وقال تعالى : « الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا » .

وأما التعاون مع الدول التي تشد أزر هذه الفئة الباغية، وتمدها بالمال والعتاد، وتمكن لها من البقاء في هذه الديار، فهو غير جائز شرعا ، لما فيه من الإعانة لها على هذا البغي والمناصرة لها في موقفها العدائي ضد الإسلام ودياره . قال تعالى : « إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » وقال تعالى : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون » .

وقد جمع الله - سبحانه - في آية واحدة جميع ما يتخيله الإنسان من دوافع الحرص على قرواياته وصلاته وعلى تجارته التي ينحشى كسادها بمقاطعة الأعداء ، وحذر المؤمنين من التأثر بشيء من ذلك واتخاذ سببا لموالاتهم فقال تعالى : « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين » .

ولا ريب أن مظاهرة الأعداء وموادتهم يستوى فيها إمدادهم بما يقوى جانبهم ويثبت أقدامهم بالرأى والفكرة، وبالسلح والقوة : سرا وعلانية، مباشرة وغير مباشرة . وكل ذلك مما يحرم على المسلم مهما تخيل من أعذار ومبررات .

ومن ذلك يعلم أن هذه الأحلاف - التي تدعو إليها الدول الاستعمارية، وتعمل جاهدة لعقدها بين الدول الإسلامية ، ابتغاء الفتنة، وتفريق الكلمة ، والتمكين لها في البلاد الإسلامية، والمضى في تنفيذ سياستها حيال شعوبها - لا يجوز لأية دولة إسلامية أن تستجيب

لها وتشترك فيها ، لما في ذلك من الخطر العظيم على البلاد الإسلامية ، وبخاصة فلسطين الشهيذة التي سلمتها هذه الدول الاستعمارية إلى الصهيونية الباغية نكاية في الإسلام وأهله وسعيًا لإيجاد دولة لها وسط البلاد الإسلامية ، لتكون تكأة لها في تنفيذ مآربها الاستعمارية الضارة بالمسلمين في أنفسهم وأموالهم وديارهم ، وهي في الوقت نفسه من أقوى مظاهر الموالاة المنهى عنها شرعًا والتي قال الله تعالى فيها : « ومن يتولهم منهم فإنه منهم » . وقد أشار القرآن الكريم إلى أن موالاة الأعداء إنما تنشأ عن مرض في القلوب يدفع أصحابها إلى هذه الذلة التي تظهر بموالاة الأعداء فقال تعالى : « فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة ، فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين » .

وكذلك يحرم شرعًا على المسلمين أن يكتنوا إسرائيل - ومن ورائها الدول الاستعمارية التي كفلت لها الحماية والبقاء - من تنفيذ تلك المشروعات التي لا يراد بها إلا ازدهار دولة اليهود وبقاؤها في رغد من العيش وخصوبة في الأرض ، حتى تعيش كدولة تناوئ العرب والإسلام في أعز دياره ، وتفسد في البلاد أشد الفساد ، وتكيد للمسلمين في أقطارهم ، ويجب على المسلمين أن يحولوا بكل قوة دون تنفيذها ، ويقفوا صفًا واحدًا في الدفاع عن حوزة الإسلام ، وفي إحباط هذه المؤامرات الخبيثة التي من أولها هذه المشروعات الضارة . ومن قصر في ذلك أو ساعد على تنفيذها أو وقف موقفًا سلبيًا منها ، فقد ارتكب إثماً عظيماً .

وعلى المسلمين أن يهتجوا نهج الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويقتدوا به - وهو القدوة الحسنة - في موقفه من أهل مكة وطغيانهم بعد أن أخرجوه ومعه أصحابه - رضوان الله عليهم - من ديارهم ، وحالوا بينهم وبين أموالهم وإقامة شعائرهم ، ودنسوا البيت الحرام بعبادة الأوثان والأصنام ، فقد أمره الله تعالى أن يعد العدة لإنقاذ حرمه من أيدي المعتدين ، وأن يضيق عليهم سبل الحياة التي بها يستظهرون ، فأخذ عليه الصلاة والسلام يضيق عليهم اقتصادياتهم التي عليها يعتمدون ، حتى نشبت بينه وبينهم الحروب ، واستمرت رحا القتال بين جيش الهدى وجيوش الضلال ، حتى أتم الله عليه النعمة ، وفتح على يديه مكة ، وقد كانت معقل المشركين ، فأنقذ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، وطهر بيته الحرام من رجس الأوثان ، وقلم أظافر الشرك والطغيان .

وما أشبه الاعتداء بالاعتداء ، مع فارق لا بد من رعايته ، وهو أن مكة كان بلداً مشتركاً بين المؤمنين والمشركين ، ووطننا لهم أجمعين ، بخلاف أرض فلسطين ، فأنها ملك للمسلمين ، وليس لليهود فيها حكم ولا دولة ، ومع ذلك أبى الله تعالى إلا أن يظهر في مكة الحق ويخذل الباطل ويردها الى المؤمنين ، ويقمع الشرك فيها والمشركين ، فأمر سبحانه وتعالى نبيه - صلى الله عليه وسلم - بقتال المعتدين . فقال تعالى : « واقتلوهم حيث ثقتهم - وهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم » . والله سبحانه وتعالى نبيه المسلمين على رد الاعتداء بقوله تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » .

ومن مبادئ الاسلام محاربة كل منكر يضر العباد والبلاد ، وإذا كانت ازالته واجبة في كل حال ، فهي في حالة هذا العدوان أوجب وألزم ، فإن هؤلاء المعتدين لم يقف اعتداؤهم عند اخراج المسلمين من ديارهم وسلب أموالهم وتشريدهم في البلاد ، بل تجاوز ذلك الى أمور تقدسها الأديان السماوية كلها وهي : احترام المساجد وأماكن العبادة .

وقد جاء في ذلك قوله تعالى : « ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم » .

* * *

أما بعد - فهذا هو حكم الاسلام في قضية فلسطين ، وفي شأن إسرائيل والمناصرين لها من دول الاستعمار وغيرها ، وفيما تريده إسرائيل ومناصروها من مشروعات ترفع من شأنها ، وفي واجب المسلمين حيال ذلك ، تبينه لجنة الفتوى بالأزهر الشريف ، وتهيب بالمسلمين عامة أن يعتصموا بحبل الله المتين ، وأن ينهضوا بما يحقق لهم العزة والكرامة ، وأن يقدرُوا عواقب الوهن والاستكانة أمام اعتداء الباغين ، وتدير الكائدين ، وأن يجمعوا أمرهم على القيام بحق الله تعالى وحق الأجيال المقبلة في ذلك ، اعزازاً لدينه القويم .

نسأل الله تعالى أن يثبت قلوبهم على الإيمان به ، وعلى نصرته دينه ، وعلى العمل بما يرضيه . والله أعلم .

الكتاب

الجزء الرابع من تفسير الطبرى

بتحقيق وتعليق الأستاذ محمود محمد شاكر — ٦٣٩ ص — دار المعارف

أهدى إلينا فى هذا الشهر الجزء الرابع من دائرة المعارف الإسلامية التى أودعها الإمام أبو جعفر الطبرى فى تفسيره جامع البيان ، وفى هذا الجزء جميع المحاسن التى أشرنا إلى وجودها فى الأجزاء الثلاثة الماضية . وقد شكّا الأستاذ السيد محمود شاكر من أن ناسخ المخطوطة التى يعتمد عليها قد طال عليه ما نسخ ، فعجل فى نسخ الكتاب عجلة أدخلت على خطه كثيرا من التصحيف والتحريف والسقط والبياض ، وكان الاستاذ محمود يتلافى أمثال هذا الضعف فى المخطوطة بمراجعة ما ينقله الناقلون عن أبى جعفر فى التفسير التى ألقت بعده ، لكن نقل هؤلاء عن تفسير الطبرى قد قل فى الجزئين الثالث والرابع فاعتمد على توفيق الله إلى الصواب فى بيان ما غمض والتبس . وهو والله الحمد موفق إلى ذلك بدليل ما نجده فى الكتاب من آثار التحقيق والعناية والبصيرة النافذة . زد على ذلك ما امتازت به هذه الطبعة من بيان حال بعض رجال أسانيد الآثار وتحقيق الشواهد والتنبيه على النكات اللغوية . أعان الله على إتمام هذا الكتاب النفيس .

فى عالم المكفوفين

لفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصى — ٤٠٠ ص — مطبعة نهضة مصر

المكفوفون — ولا سيما فى مصر — عنصر كريم من عناصر الأمة ، لو قامت له الأمة بما له عليها من حقوق لقام لها بنصيب عظيم من الواجبات قد ينوء بها غيره . وإن التعريف بالمكفوفين ، وإرسال أشعة من النور فى عالمهم حتى يعرفهم المجتمع ، هو

الوسيلة الأولى لتبادل الحقوق والواجبات بين هذا العنصر الكريم والكيان الاجتماعى الذى ينتسب اليه ، وهذا ما فعله فضيلة الأستاذ الشرباصى فى مجهوده الأدبى الجديد الذى بذله فى تأليف كتابه النفيس (فى عالم المكفوفين) ، وعلى كثرة ما ألف الأستاذ الشرباصى من كتب ففعل هذا الكتاب من أدلها على فضله ، وأحفلها بمعارفه وأدبه .

وأول عهد الأستاذ الشرباصى بموضوع المكفوفين محاضراته الأربع التى ألقاها فى دار المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين قبل خمس سنوات ثم سجلها فى كتابه « محاضرات الثلاثاء » بجاءت فى نحو ثلاثين صفحة منه ، وفى العام الماضى دناه المركز النموذجى لتدريب المكفوفين فى الزيتون إلى إلقاء سلسلة من المحاضرات حول المكفوفين على المبعوثين الذين حضروا من البلاد العربية ليتدربوا على تدريب المكفوفين حتى يكونوا نواة التوسع فى رعاية الأمة العربية بشئون هؤلاء المكفوفين ، فتحدث إليهم أحاديث شتى . فكان ذلك البذرة الأولى لبداية البحث والتأليف المنهجى فى عالم المكفوفين .

والآن يقدم الأستاذ الشرباصى للمكتبة العربية كتابه هذا فى ٤٠٠ ص ، افتتحه بالفصل الذى عنوانه « كلنا مكفوفون » وقد نشرته هذه المجلة فى جزء شوال من السنة الماضية ، ثم عقد فصلا بعنوان « المكفوف فى نظر الإسلام » ، وآخر بعنوان « واجبنا الإسلامى نحو المكفوفين » وفصلا عنوانه « من أخلاق المكفوفين » ، و « ذكاء المكفوفين » و « التصوير الحسى والمعنوى فى شعر المكفوفين » و « مواقف فى السيرة للمكفوفين » و « كيف يرتد بصيرا » و « الشاعر المكفوف أحمد الزين » و « الفكاهة عند المكفوفين » و « أسباب كف البصر » و « عبقرية مكفوفة : أبو العلاء المعرى يستغل مواهبه » و « قصائد فى المكفوفين » و « كيف يأبى الأبصار بعين مجرم » و « المكفوفون ... هؤلاء الأشقاء » .

والكتاب - كما يقول مؤلفه المفضل - أول كتاب يظهر بيننا عن عالم المكفوفين وشئونهم المختلفة مع أنه قد ارتاد المجال الذى لم تعدت الأقدام طروقه ، فقد كان المجلى فى حبلته ، فلا فراغا فى المكتبة العربية يغتبط به كل مثقف وأديب .

أسس الاقتصاد - بين الاسلام والنظم المعاصرة

للأستاذ أبى الأعلى المودودى - ١٢٥ ص - المطبعة التعاونية فى دمشق

سبق لنا فى صفحة ١٨٦ من السنة الماضية التعريف بكتاب (مبادئ الإسلام)

لأبي الأعلى المودودي الذى طبع فى دمشق ، وهو حلقة من سلسلة (ذخائر الفكر الإسلامى) . وكتاب (أسس الاقتصاد) الذى بين أيدينا الآن حلقة أخرى من هذه السلسلة ، وهو دراسة علمية للمذاهب الاقتصادية السائدة فى زماننا تقوم على تتبع الذئاة التاريخية لهذه المذاهب والعوامل الكامنة وراءها فى كل طور من أطوارها ، وبيان ما فيها من المحاسن والمبادئ بأسلوب نزيه محكم . وفيه أيضا كشف عن حقيقة الداء وعلاج الإسلام له ، مع بيان أركان النظام الاقتصادى فى الإسلام وكيف يكفل للشخصية الإنسانية حريتها ، ويساعدها على اكتمال نموها الخلقى ، مع مراعاة مصلحة الجماعة وإرسائها على قواعد راسخة من التنظيم العادل .

والكتاب فى سبعة فصول : أولها فى الفرق الأساسى بين الإسلام والرأسمالية والشيوعية ، والثانى فى العوامل والمؤثرات التاريخية وراء النظام الرأسمالى ، والثالث فى النظام الرأسمالى الحديد ، والرابع فى الاشتراكية والشيوعية ، والخامس فى رد الفعل ، والسادس فى تشخيص الداء وعلاجه ، والسابع فى نظام الإسلام الاقتصادى وأركانه . وكان السيد المودودى قد كتب الفصلين الأول والسابع قبل الحرب العالمية الثانية بسنتين عندما كان مقيما فى حيدر أباد الدكن ردا على من دعا الى ادخال تعديل فى الإسلام على أحكام الربا توطئة لقبول المسلمين النظام الرأسمالى بدعوى أنه ضرورة عصرية . ثم كتب الفصول الخمسة الأخرى بعد الحرب الثانية مدة حبسه الأول ، ونشرها بعد اطلاق سراحه فى مجلته (ترجمان القرآن) .

وقد نقل الكتاب إلى العربية الأستاذ محمد عاصم الحداد معتمد دار العروبة للدعوة الإسلامية فى باكستان . وطبع فى دمشق طبعا أنيقا يليق بموضوعه الجليل .

مبادئ الإسلام وهندسة الاجتماع

للأستاذ المهندس فتحى محمد فراج — ١٩٠ ص — مطبعة مصر بشبين السكوم

الأستاذ المؤلف مهندس قائم بأعمال مشروعات الرى فى الزقازيق ، وإن نزعته الإسلامية قد وسعت دائرة الأفق لبحوثه الإسلامية فى شئون الاقتصاد ، والتفكير بالأساليب الإسلامية لإصلاح المجتمع . وفى داخل هذا الأفق كُتب كتابه هذا ، فأصدر

الجزء الأول منه ، وتكلم فيه على حساب الرزق ، ومن رأيه أن الأرزاق عينية لا نقدية ، فاستعرض آراء مفكرى الغرب فى ملكية الأرض وقارنها بملكية الأرض فى الإسلام ، وعقد فصلا لنظرية الرزق فى الإسلام ، وإطلاق الأرزاق ، وتنمية الدخل القومى ، وأن الأجر أصل الثمن . وتكلم على الموظفين ومرتباتهم ، وعلى الكسب المشروع ووجوب ثبات الاسعار ، وتأثير المساواة فى الرضاء والأمن والأخلاق وبقاء الأصلح . وإذا اتسع لنا المجال سننشر خلاصة لآراء المؤلف وبحنه الاقتصادى . من الناحية الإسلامية .

نسبات الاصيل فى المذيع

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد محمد الدهان — ٨٠ ص — مطبعة الفجالة الجديدة

هى أحاديث إسلامية أذيعت من (صوت زنجبار) قبل سنتين ، وتكلمنا على الرسالة الأولى منها فى ص ٧٠٩ من السنة الماضية . ثم أهديت إلينا الآن الرسالة الثانية بالعربية وترجمتها باللغة السواحلية ، وفيها عشرة أحاديث عن القرآن ، وأن فى أولى آياته وضعت سعادة العالم ، وعن خصال الخير الجامعة ، والإسلام والحوار ، وأدب القارئ والمستمع ، والإيثار ، وأفضل الأعمال . . . إلى غير ذلك من الأحاديث التى ألقاها الأستاذ المؤلف من مذياع زنجبار عند ما كان مبعوثا من الأزهر إلى تلك الديار ، وكان لها الأثر النافع فى ذلك المحيط الإسلامى النأى .

توجيه الانظار ، لتوحيد المسلمين فى الصوم والافطار

لفضيلة الشيخ أحمد بن الصديق — ١٢٠ ص — مطبعة العهد الجديد بالقاهرة

هو كتاب يدل عليه عنوانه ، وقد ألفه فضيلة الأستاذ مؤلفه لبيّن لمواطنيه المغاربة خطأهم فى عدم اعتمادهم على ثبوت شهر الصيام فى الأقطار الإسلامية بواسطة المذيع بزعم أنهم لا تلتزمهم رؤية غيرهم . من أهل البلاد الإسلامية ولو القريبة منهم والمجاورة لهم . وقد استوفى الأدلة الحديثية والفقهية على وجوب اتحادهم مع المسلمين أو مع من ثبتت عندهم رؤية الهلال من أهل أى قطر من الأقطار ، والكتاب حافل بالأدلة والنصوص كدأب المؤلف فى سائر مؤلفاته .

الأدب والعلوم

تاريخ العرب لم يدرس بعد

يعتبر تقدما في الصحافة ، أم يعتبر عيبا يجب أن يعالج ؟ الواقع أن ميل الإنسان الى معرفة الأخبار ميل غريزي ، وهذا الميل يعتبر فضيلة . ولكنه إذا تجاوز قدرا معينا أصبح رذيلة ، إذ يتحول إلى فضول وتطفل . والإنسان عادة لا يكون فضوليا إلا إذا كان غير مقتنع بحياته ، أو مستكف بذاته ، فيكون دائما في حاجة الى مزيد من الخارج يأتيه من غير نفسه ، لأن نفسه خاوية فارغة من أى معنى .

طلبة الجامعات المصرية

بلغ مجموع طلبة الجامعات المصرية الثلاث - نظاميين ومتسعين - حسب آخر إحصاء رسمى ٥٦ ألفا و ١٨٠ طالبا وطالبة .

منهم فى جامعة القاهرة ٣٣ ألفا و ٧١٥ طالبا ، و ٢٧٩٩ طالبة .

وفى جامعة عين شمس ١٦ ألفا و ٥٠٣ طلاب ، و ٢٠٨١ طالبة .

وفى جامعة الإسكندرية ١٠ آلاف و ٢٢٦ طالبا ، و ٨٥٦ طالبة .

فى الدورة السنوية لمؤتمر « الاتحاد التاريخى » خطب السرهملتون جب المؤرخ البريطانى المعروف بجوته فى تاريخ العرب فقال : إن المؤرخين الغربيين هواة فقط فى هذه الناحية وليسوا علماء ، ووصف نفسه أنه هاو أيضا وليس عالما . والمشكلة الرئيسية هى العثور على مؤرخين مؤهلين يستطيعون دراسة الوثائق والمراجع التاريخية دراسة مستمرة مركزة ، وأنه ينجل من « الترفيع » الذى تتصف به بحوث المؤرخين الغربيين فى ميادين كثيرة من تاريخ العرب .

صحافتنا

بين الخبر ، والتوجيه

خطب وزير الإرشاد فى قسم الصحافة بكلية الآداب فى جامعة القاهرة فتحدث عن صحافة الرأى وصحافة الخبر ، ومما قاله : هناك فكرة سائدة مؤداها أن العالم يعيش الآن فى عهد صحافة الخبر ، وأن صحافة الرأى قد انتهت . وإننا سلطنا جدلا بانطباق هذه الفكرة ، فعلينا أن نتساءل : هل هذا

نظفوا الصوائف

ضعوا لهذا حدا . .

كتب الأستاذ جلال الدين الحامصى
في (الجمهورية) يقول :

استمعت إلى حديث بين سيدة من سيدات
مصر المثقفات وأحد زملاء الصحفيين ،
كانت السيدة توجه إلى الصحفي نقدا مرا
لما يكتبه في مجلته ، كانت تمسك الوقائع
واحدة بعد الأخرى وتقدمها له من واقع
ما يكتب في مجلته . واندفع الزميل رد ،
ويدافع عن نفسه وعن زملائه الذين يشتركون
معه في تحرير المجلة .

والسيدة التي أثار هذا الموضوع لا يمكن
أن توصف بأنها من سيدات القرن الماضي
أو أنها تدعو إلى الرجعية . لكنها - مع هذا -
كانت ترى أن الدعوة إلى (الإباحية)
أو الكتابة فيها بحرية كاملة ، أو قلب
الأوضاع فتجفل المرأة في مكان الرجل . .
كل هذا يجب ألا يسمح بنشره في الصحف ،
وإلا يشجع على أن يكون الأساس في حياتنا
القائمة .

ثم قال الأستاذ جلال الدين الحامصى :
إن الذى يحدث الآن في مصر من دعوات
إباحية لا يحدث في أى بلد من بلاد العالم .
فنحن هنا لا نقلد ، وإنما نبشكر . . ونستند
في هذا الابتكار إلى حجج : منها الادعاء بأنها

دعوة إلى تحرير المرأة المصرية . . ونحمد الله
على أن في مقدمة الثائرين على هذا الكلام
الذى يكتب ، المرأة نفسها ، المرأة المثقفة
وليست الجاهلة . إننا نظلم المرأة المصرية
عند ما نلصق بها كل اتجاه خاطئ ، فالمرأة
المصرية بخير مادامت بعيدة عن « التحريض »
المستمر ، التحريض الذى يصور لها الحياة
في أوضاع مقبولة ، وفي صور لا نرضاها
لأحد . . .

الفن الأموى

أعلن متحف فريبر للفنون في أمريكا أن
المحاضرة الأولى من المحاضرات الأربع
المصورة التي ستلقى في شتاء عام ١٩٥٦
وربعمه ستكون تحت عنوان « الفن
الأموى - فن امبراطورى » ، وسيلقى الدكتور
أوليج جرابار رئيس قسم الفن الإسلامى
بجامعة مشجان هذه المحاضرة يوم ١٧ يناير .
وقد تتبع الدكتور جرابار الفن الإسلامى
في مصدر من مصادره ، وهو ما حققه
الأمويون فيه ، وذلك على ضوء المكتشفات
الأثرية الحديثة التي اشترك في بعضها
الدكتور جرابار نفسه .

ويضم متحف فريبر مجموعات فنية فريدة
بعضها من مصر ، وبعضها من الهند أو إيران
أو العراق أو سوريا أو آسيا الصغرى
أو يزنطة . كما يضم مكتبة من أثنى المكتبات
في العالم مخصصة كلها لفنون الشرقيين
الأوسط والأقصى .

إنباء العمل الإسلامي

تمويل السد العالي

من أهم أنباء الشهر المنصرم موافقة البنك الدولي للإنشاء والتعمير على إعطاء مصر قرضا بحوالى مائتى مليون دولار لتمويل السد العالي ، وموافقة الحكومة الأمريكية على إقراض مصر مائتى مليون دولار أيضا لهذا الغرض . وقد أعلنت وزارة الخارجية الأمريكية أن الحكومتين الأمريكية والبريطانية قد وافقتا على تقديم مساعدات مالية أخرى لمصر لتمكينها من الانفاق على تحقيق هذا المشروع فى مراحله الأخرى . وبلغ مجموع منحتى بريطانيا وأمريكا ٧٠ مليون دولار تسلم بمعدل ١٥ إلى ٢٠ مليون دولار سنويا .

واتفقت شركة قنال السويس على توظيف بعض احتياطياتها فى استثمارات طويلة الأجل كمشروع السد العالي ، وحولت فوراً ثلاثة ملايين جنيه من العملات الأجنبية إلى مصر لهذا الغرض .

وتقدر تكاليف مشروع السد العالي بمبلغ ٩٦٠ مليون دولار ، وينتظر أن يؤتى المشروع ثماره خلال تنفيذه فى الفترة الأولى باستصلاح مليون و ٢٠٠ ألف فدان .

البتترول المصرى

لا تزال حركة الكشف عن البترول المصرى فى نشاط ، وقد كشف أخيراً فى المنطقة الجنوبية من حقل (بلاعيم) عن بئر جديدة يبلغ امتداد منبعها ستة كيلو مترات وعرضها نحو خمسة كيلو مترات ، ويقال إنها أغنى بئر بترولية كشف عنها حتى الآن . وهذه المنطقة واقعة فى نطاق نشاط الجمعية التعاونية للبترول .

استقلال السودان

انتهت مهمة آخر حاكم بريطانى للسودان . وأعلن البرلمان السودانى استقلال هذا القطر العربى الشقيق . واجتمع فى أواخر ديسمبر الماضى مستر مورى الوزير المفوض فى السفارة البريطانية والأميرالاي عبد الفتاح حسن نائب وزير الدولة لشئون السودان ، وتم الاتفاق بينهما على جميع الخطوات التى تتفق وصالح السودان ، كما اتفقا على صيغة اعتراف دولتى الحكم الثنائى بالاستقلال . وسافر الأميرالاي عبد الفتاح حسن إلى الخرطوم مندوباً عن الحكومة المصرية لتسليم وثيقة

عجز مجلس الأمن في منع تكرار هذه الحوادث .
فأرجو أن تبلغوا رسالتي هذه إلى الدول
في مجلس الأمن ليكونوا على بينة من موقفنا

وقال الرئيس جمال عبد الناصر في تصريح
للأهرام : لقد أصبح من الواضح أنه لا جدوى
من سياسة السلام ، حيث لا يمكن أن يكون
هناك سلام من جانب واحد ، بينما يتجادى
الجانب الآخر بالعدوان .

عبث الاستعمار في الأردن

وما أعقبه من الانفجار

ندبت السلطات الاستعمارية الجنرال تمبلر
رئيس هيئة أركان حرب الأباطورية
البريطانية للحضور إلى الأردن لحمل حكومتها
على الانضمام إلى ميثاق بغداد ، فاستعمل
جميع أنواع الضغط بمعاونة الجنرال جلوب
وأذنا به المحليين ، فاستقالت وزارة سعيد الملقى
وحجى بهزاع الحجالى رئيسا للوزارة الأردنية
ليحقق الغرض الذى حضر الجنرال تمبلر
لأجله ، فثارت البلاد عن بكرة أبيها ،
ولا سيما القسم الواقع غربى الأردن ، فاضطر
هزاع الحجالى وأعضاء وزارته إلى الفرار إلى
بيروت ، ومنها إلى بغداد ، ودعى السيد
ابراهيم هاشم رئيس مجلس الأعيان لتأليف
الوزارة . ثم اضطرت وزارة ابراهيم هاشم
إلى الاستقالة فتجددت الاضطرابات ،
وأخيرا ألقت وزارة جديدة برياسة سمير الرفاعي
واختير ابراهيم هاشم نائبا له ووزيرا للدولة .

اعترف مصر باستقلال السودان وحضور
الاحتفال الرسمى بهذا الحادث القومى فى حياة
الأمة العربية .

ويقول مصدر رسمى فى وزارة الدولة
لشئون السودان بالقاهرة : إن تنظيم الروابط
بين مصر والسودان بعد إعلان الاستقلال
متروك أمره إلى السودانيين يقررونه حسب
ما يتفق مع الصالح العام للدولتين ، ولا شك
أن التعاون الوثيق كان ولا يزال موجودا
بين البلدين .

مصر تنذر إسرائيل

أرسل الرئيس جمال عبد الناصر رسالة
إلى السكرتير العام للأمم المتحدة قال فيها : إن
إسرائيل - التى لازالت حتى الآن تتبع
سياسة العدوان المدبر ضد مصر - قد تبادت
في هذا العدوان حتى حدود الدول العربية
الأخرى ، وأن حادث العدوان الأخير على
القوات السورية يعتبر اعتداء على مصر ،
وقد صبرت مصر على العدوان الإسرائيلى
لتبين للعالم أنها لم تتبع سياسة عدوانية . أما
وقد اتخذت هذه الاعتداءات صفة الاستمرار
التى جاوزت القوات العسكرية إلى الاعتداء
على المدنيين بصورة وحشية ، فأن مصر ترى
نفسها فى وضع يضطرها إلى معالجة الأمور
بالمثل ، وهى ان تتوانى فى استعمال قواتها
البرية أو الجوية أو البحرية لتحافظ على
سلامتها ، ولإقرار السلام فى المنطقة بعد أن

تعزيز الجيش السورى وتسليحه

قرر مجلس الوزراء السورى اعتماد ١٢ مليون ليرة سورية ، وتخصيص القرض السعودى - وقدره عشرة ملايين دولار - لتعزيز الجيش وتسليحه . كما قرر تطبيق نظام الفتوة وتدريب الطلبة عسكريا ، وإعداد الخنادق والأقبية للوقاية من الغارات الجوية .

فى الجزائر

أصبحت الإدارة الفرنسية فى الجزائر بشلل خطير ، فقد استقال معظم موظفى الحكومة من الجزائريين استجابة لدعوة الوطنيين ، وأبدى الأعضاء الجزائريون فى الجمعية الوطنية المحلية تأييدهم المطلق لهذه الحركة تأييدا أدهش المقيم الفرنسى العام فى الجزائر وأذهله .

وقد تحدث زعماء جبهة التحرير الوطنية فى الجزائر إلى الزعماء الاشتراكيين فى فرنسا فأكدوا لهم أن استقرار السلام فى الجزائر لن يتم إلا على أساس الاستجابة لمطالب الجزائريين واعتراف فرنسا بحق الشعب الجزائرى فى الحرية والاستقلال ، وتحدث أحد الزعماء الجزائريين فى باريس . فقال : إننا لانحارب من أجل إنشاء مدارس ومستشفيات أو إصلاح زراعى ، ولسكننا نكافح لأجل الفوز بحقنا فى أن نعيش أحرارا .

وأصدرت الوزارة الجديدة بيانا ضمنته أن سياستها تقوم على عدم الانضمام إلى أية أحلاف أو الارتباط بها ، وعلى العمل لتحقيق وحدة العرب وحفظ حقوقهم كاملة فى فلسطين ، وهذا بجانب تأمين الحريات العامة ، وإعادة الحالة فى البلاد إلى مجراها .

عبر العلم

شهدت القاهرة فى الشهر الماضى أول عيد للعلم كرم فيه وزير التربية والتعليم - باسم مصر الثائرة وقادتها - النبوغ والتفوق والامتياز فى البحث العلمى العميق فى شخص اثنين من أساتذة الجامعة ؛ كما كرم الدرس والتحصيل والاطلاع فى أشخاص عشرات ومئات من الطلبة والطالبات والتلاميذ والتلميذات الذين سبقوا أقرانهم فيما تقدموا إليه من مسابقات فى العلم أو الفن أو القراءة ، فكان ذلك دلالة على أن مصر لم تعد تكتمنى من أبنائها بأن يتعلموا وحسب ، بل هى تطلب إليهم وتدفعهم وتشجعهم على أن يكون تعلمهم للعلم ، وللتعمق فيه ، والانتفاع له ، ليكونوا مرجعا لوطنهم فى المواد التى تفرغوا لها ، ويحاولون التخصص فيها والإلمام بكل ما يتعلق بها من خفايا المعرفة . وهى سنة استنها هذا المعهد الذشيط للتقدم بالبلاد خطوات إلى الأمام فى سبيل التعمق العلمى والتفوق فيه .

الفہم - رس

[illegible]

مدير المجلة
عبد اللطيف السبكي
عضو جمعية كبار العلماء

للعنونات
إدارة لمراجع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٤١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية بجامعة
تصدر من شيخ الأزهر منذ أول شهر ربيع

بمدير التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي

في وادي النيل	٤٠٠
لطيفة وادي النيل	٤٠٠
للعلماء والمربين بالأزهر	٣٠٠
فروع المراسلة	٥٠٠
لطيفة فروع المراسلة	٣٠٠
للعلماء والمربين فروع المراسلة	٤٠٠

الجزء السابع - القاهرة في غرة رجب ١٣٧٥ - ١٣ فبراير ١٩٥٦ - المجلد السابع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الشعب المصري

جزء من الأئمة العربية

هذه حقيقة علمية ، رأينا التاريخ يستعرض أدلتها متسلسلة ومتوالية في عشرات القرون الماضية ، ثم جاء دستور الشعب المصري في الشهر الماضي فأعلنها على رؤوس الأشهاد ، وسجلها في مادته الأولى .

إن الشعب المصري ، وشقيقه في السودان ، وسائر شعوب الشمال الإفريقي ، أجزاء كريمة في السكبان العربي . وقد كان التعليم الاستعماري في مصر وما يليها من شمال إفريقيا يحاول - بعناية وخبث - أن يشكك المثقفين في مدارسه بهذه الحقيقة ليزلزل إيمانهم بها ، فيتمكن بعد ذلك من توهين رابطتهم القومية بالوطن العربي الأكبر ، لتضعف صلتهم بتاريخ العروبة وتراث الإسلام . . .

وقبل أن ينشب الاستعمار مخالفه في كيان التعليم المصري ، كان الفحول من علماء تاريخ مصر القديم - كالعلامة الأثرى أحمد كمال ، وصنوه العالم الضليع أحمد نجيب الأمين العام للأثار المصرية - يؤمنون برابطة مصر الوثيقة بالعروبة في القرون الحالية ،

حتى إن العلامة أحمد كمال - بعد أن انتهى من كتابة مسودة معجمه الضخم الذى ألفه للغة قدماء المصريين - تبين له أن نحو ثلث تلك اللغة يتفق مع لغتنا العدنانية ، فكان يقول لمن يتحدث معهم فى هذا الموضوع : لو أن اللغة العربية العريقة فى القدم والتي كانت معاصرة للغة قدماء المصريين محفوظة ومعلومة لنا لكنت نسبة التوافق بينها وبين لغة قدماء المصريين أكبر وأوسع مما توصلت إليه فى معجمى .

ويقول العلامة أحمد نجيب فى صفحة ١٢ من كتابه (الأثر الجليل لقدماء وادى النيل) المطبوع بمطبعة بولاق سنة ١٣١١ ، أى قبل أربع وستين سنة : إن التمدن المصرى صعد من الشمال الى الجنوب ، بدل أن ينحدر مع النيل من الجنوب إلى الشمال . . . قال : ومن تأمل فى التماثيل المصرية القديمة المحفوظة بدار الآثار المصرية علم يقينا أن هذه الأمة من الجنس الأبيض الاسيوى ، وليست من الجنس الأسود الإفريقى . وقال : إن تركيب لغة قدماء المصريين مشابهة قوية بتركيب لغة آسيا (يعنى ما وراء العريش وسيناء) ، وإن كثيرا من أصل لغتهم مشتق من اللغة الآرامية (وهى لغة سامية كالعربية ، وكانت لغة بلاد الشام) ، كما أن الضمائر المتصلة والمنفصلة فى كلتا اللغتين أصلهما واحد . فأصل المصريين من الجنس السامى (أى الذى منه سكان بلاد العرب والشام والعراق) أتوا إلى هذا الوادى من برزخ السويس ، وربما وجدوا فيه طائفة من الزنوج فزت أمامهم صوب الجنوب . ومن البديهي أن النيل كان - فى تلك الحقبة - يمد ويجزر ويغير مجراه كل سنة بدون أن يروى شيئا من أرضه . وكان بعض الوجه البحرى مغمورا بمياه البحر المالح ، تتخلله جزائر تنبت البردى والاقحوان والقصب الفارسى ، فضرورة المعيشة أوجت هؤلاء النازلين (أى الاسيويين ، وهم من عرب شرق سيناء وما وراءها) إلى ضبط مياه النيل بحفر الترع والخلجان وإقامة الجسور وحرث الأرض وزرعها . وبتأدى الأزمان صاروا قبائل وعشائر كثيرة لكل واحد منها رئيس ، وربما مكثوا على ذلك ثلاثة آلاف سنة أو أكثر ، فتكوّنت منهم ممالك صغيرة لكل واحدة منها قوانين وديانة ومعبودات خاصة ، ثم انحازت تلك الممالك بعضها الى بعض فتكوّن منها مملكتان كبيرتان : إحداهما فى الصعيد ، والأخرى بالبحيرة . »

هذا هو تحقيق عالم مصرى متخصص ، وهو من أعلم المصريين بمأضى وطنه ، وقد أهله علمه لأن يتولى أرفع مقام فى هذا الموضوع وهو مقام الأمانة العامة للآثار المصرية .

والذى ذكره هو المعقول عن انفراد الزوج الإفريقيين بسكنى وادى النيل قبل أن يستقر مجرى النيل على ما صار إليه فى الحضارة المصرية ، ثم طرأ عليهم عنصر جديد هو سلف الشعب المصرى الحاضر ، وهذا العنصر الطارئ لم يهبط من السماء ، ولا جاء من أمريكا وغيرها من البلاد القاصية ، وإنما دخل مصر من أقرب البلاد إليها وهى البلاد التى وراء العريش وسيناء ، أو البلاد المقابلة للصعيد فى الضفة الشرقية من البحر الأحمر ، وهؤلاء وأولئك هم أسلافنا العرب ، ولا يمكن أن يكون غيرهم . وهؤلاء حتى لو لم يكونوا يسمون فى تلك العصور الموعلة فى القدم باسم العرب ، فهم هم ، مهما كان الاسم الذى كانوا يعرفون به ، ونجد آثارهم فى لغة قدماء المصريين المكتوبة بالحروف الهيروغليفية ، فإن ثلث لغة قدماء المصريين تتفق مع لغتنا العربية العدنانية ، ولو أن لغة قدماء سكان ما وراء سيناء والمناطق العربية كانت محفوظة ومعلومة لنا الآن لكانت نسبة ما يتفق معها من لغة قدماء المصريين أعظم من ذلك بكثير . فالوطن العربى يغذى مصر بالمهاجرين إليها من أبنائه يوما فيوما وشهرا فشهرًا وعاما فعاما وعصرا فعصرا باطراد وبلا انقطاع عن طريق سيناء والبحر الأحمر من قبل مينا بثلاثة آلاف سنة حتى الآن وإلى يوم القيامة ، بل إن مينا نفسه - وهو مؤسس أقدم وحدة لمصر - هو أحد هؤلاء الداخلين إلى مصر مما وراء العريش وسيناء كالألوف والملايين من أمثاله قبله وبعده .

وفى المجلد الثالث من مجلة المجمع اللغوى المصرى ص ٣٣١ أن (سترابون) أحد قدماء جغرافى اليونان ومؤرخيهم (وكانت ولادته قبل المسيح بخمسين سنة) نص على أن نصف سكان مدينة قفط فى مصر العليا كانوا فى زمانه من العرب ، أى من موجات الهجرة العربية المتواصلة بلا انقطاع من بلاد العرب إلى الصعيد المصرى بحرا ، ومن طريق العريش وسينا إلى مديرية الشرقية وسائر بلاد الدلتا برا .

ومن أحدث موجات الهجرة العربية إلى مصر قبل الإسلام ما أشار إليه قبل أحد عشر قرنا أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الحميدانى (المتوفى سنة ٣٣٤ هـ) فى كتابه (صفة جزيرة العرب) فى فصل عنوانه (مساكن من تشاء من العرب) فذكر قبائل بنى بياضة من جذام ، وبنى راشدة من لخم ، والثعل من بنى الجرى ، وبنى أبير من عذرة ، وأنهم دخلوا جميعا مصر قبل الإسلام ، وتوطنوا بلادا منها فى الوجهين البحرى والقبلى . وكلما هضمت مصر موجة من الموجات العربية تلتها من ورائها موجة أخرى تجدد حيوية الدم العربى فى الأجسام المصرية التى كان أولها من هذا الجنس المبارك ، ولولم يتجه

الجنس العربى إلى مصر فى عشرات القرون لىكون كيانها القومى لبقیت مصر وطنا للزواج الأقدمین الذین اكتسحتهم موجات الهجرة العربیة فدفعتهم إلى آفاق بعيدة من قلب القارة السوداء .

فأنت ترى من هذه الحقائق التى كان التاريخ يستعرضها عصرا فعصرأ أن « الشعب المصرى جزء من الأمة العربیة » كما أعلنت ذلك المادة الأولى من دستور الشعب المصرى ، وأن الدستور المصرى قد أحیى هذه الحقيقة العالمیة ، فیا یحییہ من حقائق ، وهو فى سبیل تجسید الحیویة فى مصر التى قررت أن تكون ركنا رکینا فى الکیان العربى . وقد كان كثیرون فیا مضى یحاولون تشکیک مصر فى عروبته العریقة ، خدمة لأغراض استعماریة وتبشیریة ، ولكن للباطل جولة ثم یضمحل .

إن الأمم التى تتکلم العربیة الآن - فى العراق ، والشام ، ومصر ، والسودان ، وشمال إفريقيا - هى أمم سامیة . والبیئة الأولى للأمم السامیة جزیرة العرب ، والأصل الأول للغات واللهجات السامیة لغة قديمة بادت هى اللغة السامیة الأولى ، فكان أهلها الأولون کلما توالدوا وازداد عددهم فى الجنوب یرحل فریق منهم نحو الشمال ، وبتباعدهم الأوطان وتجدد الأزمان تتطور لهجاتهم وتفترق وتختلف وتحدث عند کل فریق منهم مسمیات جدیدة فیسمیها کل فریق منهم باسم غیر الذى یسمیها به الآخرون ، وهكذا تحولت اللهجات السامیة فصارت لغات تشترك فى أصولها ، وتفترق فیا تفرع عنها . ومن هذه الأمم السامیة الآشوریون والبابلیون والکلدانیون والآرامیون والفینیقیون ، وقد کتبت قبل إحدى وثلاثین سنة رسالة بعنوان (اتجاه الموجات البشریة فى جزیرة العرب) بینت فیا أوقات زواج هذه الأمم عن وطنها الأول جزیرة العرب والنصوص القديمة عن ذلك وتحقیقات علماء الغرب فى هذا الموضوع .

وقد تبین لى من هذه الدراسة أن جمیع الأمم التى تتکلم العربیة الآن وتنعم بالوحدة الشاملة فى ظل هذه اللغة ، كانت فى بحر التاريخ - وقبل التاريخ - أسرة واحدة تتکلم لغة واحدة هى اللغة السامیة الأولى التى ذابت فى هذه اللغات وبادت ، وورثتها لهجات للأمم التى افتترقت عنها ، ثم مع الزمن تحولت اللهجات إلى لغات سامیة مستقلة ، حتى إذا جاء الإسلام ودخلت هذه الأمم وغیرها فى نظامه ، عادت للأمم السامیة وحدتها فى

ظل العربية ، وفى طليعة هذه الأمم مصر . فكان من معجزات الإسلام إعادة الوحدة - باللغة العربية - إلى جميع الأمم التى كانت لها مثل هذه الوحدة قبل افتراقها عن أصلها السامى الأول فى جزيرة العرب . وإعلان الدستور المصرى الآن أن « الشعب المصرى جزء من الأمة العربية » هو إعلان للمعجزة الإسلامية التى حققت وحدة العروبة للأمم التى كادت تنسى وحدتها السامية العريقة فى القدم .

على أنه لو لم تكن الدماء العربية من عشرة آلاف سنة الى الآن هى الخميرة المتجددة فى الكيان المصرى ، لكنت عروبة مصر فى بضعة عشر قرناً - من عهد مجدد كيائها الاجتماعى الرجل العظيم عمرو بن العاص السهمى - كافية لأن تجعل « الشعب المصرى جزءاً كريماً من الأمة العربية » ، فمصر - لهذا السبب وحده - أعرق فى عروبته من عراقة سكان فرنسا فى جنسيتهم الفرنسية .

وهنا حقيقة يجب أن نجعلها نصب أعيننا فى مثل هذا البحث ، وهى أن الحضارة بوتقة تذوب فيها الأنساب ، وإذا كانت عروبة عربى القبيلة قائمة على أساس الأنساب ، لأن النسب هو وطن البدوى وعصبته وكيان قومه ، فإن عروبة عربى الحضارة تقوم على أساس اللغة والثقافة ووحدة المطبخ . ومصر من ثلاثة عشر قرناً تتكلم بالعربية وتثقّف بثقافتها ، وإن حماقة الاستعمار - بما نصبه وينصبه للكيان العربى فى آسيا وإفريقيا من حائل الكيد السياسى والاقتصادى والثقافى - قد وحد مطبخ القومية العربية فى كل مكان ، فجعل العروق تنبض بأحاساس واحد فى مصر والشام والحجاز ونجد وتونس والجزائر والمغرب الأقصى وليبيا والسودان وفى كل مكان ينطق أهله بالضاد . وكانت هذه العروق النابضة بأحاساس واحد فى حاجة الى تسجيل هذه الحقيقة تسجيلاً رسمياً فى مصر التى هى رأس العروبة المفكر لسانها الناطق ، بغاء دستور الشعب معلناً هذه الحقيقة العلمية بالصوت الرسمى المجلجل ، وهو حادث تاريخى عظيم فى نظر كل من يراقب القومية العربية فى مراحل يقظتها وتقدمها ، وإن لهذا الحادث مابعده إن شاء الله .

محب العربى الخطيب

أمثلة

من توافق العربية والمصرية القديمة

أشرنا في افتتاحية هذا الجزء إلى أن نحو ثلث اللغة المصرية المنقوشة بالهيروغليفة على الأحجار يتفق مع لغتنا العربية الحاضرة . ومن ذلك كلمة « سبط » بمعنى ابن الابن وابن البنت فإنه يتفق باللفظ والمعنى في العربية والمصرية القديمة ولغات سامية أخرى . قال العلامة أحمد كمال في كتابه معجم اللغة المصرية القديمة : إن لفظة «سبط» وجدت في نصائح (پتاح حتب) ووجدت على جدران مقبرة (أمست) بمعنى ماجاءت به في العربية . و «صهر» بمعنى طبخ وأذاب وردت في اللغتين العربية والمصرية القديمة بمعنى واحد . و « الليعة » بمعنى المعبد في العربية ؛ وردت في المصرية القديمة في ورق ابوت ١٠٢٢١ المؤشر عليه برقم ١٠٢٢١ في متحف انجلترا ، وفسروها بمعنى الجبانة ؛ ولكن العلامة أحمد كمال يرجح أنها بمعنى المعبد كما يدل عليه السياق .

ومادة « زبر » و « ذبر » و « سفر » كلها واحدة بمعنى كتب . قال العلامة أحمد كمال : إنها قد تنوع لفظها في العربية وفي النصوص المصرية . قال : وهذا القلب والإبدال في الحروف له أصول متبعة في اللغتين العربية والمصرية القديمة ، والسبب فيه تعدد القبائل ولهجاتها .

وفي باب العدد كلمة « الثامن » بالعربية ، فأنها باللغتين المصرية القديمة والفينيقية تلفظ « أشمون » أى الثامن ، ومدينة «أشمون» في مصر سميت باللغة المصرية القديمة لتؤدى هذا المعنى .

هذا غيض من فيض ، ومثال للبعض من السكل نكتفى به لتؤيد الحقيقة التاريخية ، وهى أن سكان مصر الأولين من الزوج قد نزحوا عنها قبل التاريخ وقبل استقرار النيل في مجاريه وحل محلهم أقوام دخلوا وادى النيل من برزخ السويس أو قدموا إلى ضفاف البحر الأحمر الغربية من ضفافه الشرقية في جزيرة العرب ، فهم السلف الحقيقي لسكان مصر الآن .

نَفَاثَاتُ الْفِرَاقِ

- ٣٧ -

(١) غرور الناقصين

(ب) وتزكية الآمين

(١) ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم ؟؟ بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون شيئا .
(ب) انظر كيف يفترون على الله الكذب ؟ ؟
وكفى به إثما مبينا .

١ — من وسائل القرآن في توجيه النصح أن يتخذ من الواقع مادة لقصصه ، وأمثلة لموضوعه . والأخذ من الواقع أجدى في التأثير ، وأقوى في الإفادة ، وأقوم في الإصلاح .

وقد وجد القرآن من شأن أهل الكتاب والمشركين مجالا فسيحا لاستمداد العبرة في تربية المسلمين ، ووجد من عناد أولئك جميعا أمثلة حجة يضربها للمسلمين ، ليجنبهم سوء ما وقع فيه غيرهم من قبل ، وليباعد بين أهله وبين المجازي التي جلبت على المخالفين تشنيع القرآن ، وجعلت قصصهم عبرة لأولى الألباب .

٢ — وأنت ترى في الآية الأولى تنديدا بمن كانوا يزكون أنفسهم زورا ، فيمتدحونها بما ليس فيها ، وينتحلون لها من الفضل غير ما لها : طائفتان أن تمدحهم بخير لم يصنعوه يرفع من قدرهم كما يشتهون .

وكان هذا شأن أهل الكتاب منذ غيروا وبدلوا بعد أنبيائهم ، ثم منذ احتدمت الخصومة بين يهودهم ونصاراهم .

وكان المشركون من قريش كذلك بعد: ينتحلون لأنفسهم سيادة، ويشمخون بسيطرتهم على الأتباع من ضعفائهم، ثم كانت هذه النزعات المتشابهة من جنوح كل فريق إلى إعجابهم بمهم عليه سببا في انحياز أهل الكتاب إلى المشركين وقتنا ما، ليواطئوهم على قتال محمد وصحبه، حتى يتخلصوا من دعوته التي غاظتهم جميعا، والتي سلكت طريقها رغم تفرقهم عنها، والتي أخذت تجرف باطلهم بحقها، وتدحض كثرتهم بقوتها.

وكانوا جميعا يرون في الإسلام مساواة، وعدالة، وحرية، ومعاني كثيرة يتلاشى أمامها الاستبداد الذي ألفوه، والكبرياء الذي استمروا به، والضلال الذي شبوا عليه وارتاحوا إليه، فلم يكن يعجبهم أن يستجيبوا لهذا الدين، أو يستمعوا للرسول.

٣ — وإذا كانت تركيبتهم لأنفسهم شاغلا عن التفكير في عيوبهم، وصارفا عن تكيل نقصهم، وقادحا في أذهانهم أنهم في غير حاجة إلى هداية، أراد الله أن ينهي المسلمين عن هذه الخصلة التي تقف بهم دون الكمال، وتقعدهم عن مسامرة الحديد النافع، إلى العكوف على ما كان عليه آبائهم، في حين أن الإسلام ينشد في أهله أن يكونوا الدولة الفتية الناهضة إلى كل صالح مفيد.

٤ — جاء النهي عن تزكية النفس في أساليب متنوعة: فمرة يأتي صريحا قاطعا، كقوله تعالى: «فلا تزكوا أنفسكم، هو أعلم بمن اتقى» بمعنى: مدحكم لأنفسكم بالقول غير مجديكم، ولا جائز لكم، والعبرة بالتقوى في العمل، وعلم ذلك عند الله لا عند الناس. ومرة يأتي النهي بصيغة الوعيد والتهديد الشديد، كقوله تعالى: «لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا، ويحبون أن يمدحوا بما لم يفعلوا، فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب، ولهم عذاب أليم». والمزكون لأنفسهم بالقول يحبون أن يمدحهم الناس بما لم يفعلوا، فهم المهددون بالعذاب في صريح الآية.

ومرة ثالثة يأتي النهي في أسلوب التشنيع وإثارة السخرية من المزكين لأنفسهم، كقوله تعالى: «ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم» فهذا استفهام للتعجب، ولإثارة التعجب والآنكار والسخرية ممن كانوا يزكون أنفسهم بالأقاويل المكذوبة، ثم يكشف عن خطئهم في زعمهم فيقول: «بل الله يزكي من يشاء» يعني أن التزكية الحققة هي في هداية الله إلى الطاعة، وتوجيهه إلى العمل الطيب، وأما العاكفون على تزكية أنفسهم

فسيحاسبون على عملهم هذا ، ولا يظلمون في شر ، ولا في خير ، ولو كان عملهم ضئيلا كالقتيل ، وهو الخيط الذي يعهدونه في جوف التمرة .

٥ - وقد يقال : كيف يجوزون على الخير وهم خالدون في النار لكفرهم ؟

وجواب ذلك أن المزكين لأنفسهم إن كان لهم عمل طيب فإنه يخفف عنهم عذابهم بالنسبة لكافر لم يكن له عمل كعملهم ، فالكفار جميعا خالدون في جهنم ، ولهم فيها عذاب شديد - أعاذنا الله - ولكن شدة العذاب تتفاوت بينهم ، وفي جهنم طبقات تختلف عن بعضها ، ولكل باب من أبوابها جزء مقسوم من قدر عليهم العذاب فيها ، وفي القرآن آيات يشهد ظاهرها بذلك ، كقوله تعالى : « فلا نظلم نفس شيئا ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسيين » ، « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره » وقوله تعالى : « ولا يظلمون قتيلا » . وتخفيف العذاب هناك لا يشعرهم بهناء ، ولكنه يقطعهم بعدل الله فيهم ، ويقيم الحجة عليهم ، ويزيدهم ندمًا على تخلفهم وحرمانهم ، حتى يقولوا : « ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل » .

وليس في هذا القول منافاة لما ورد من الآيات في سوء حالهم جميعا : ففريق منهم في السعير ، وفريق في الزمهرير ، وفريق في سقر ، وآخرون في الدرك الأسفل ، وهكذا ... مما يؤكد أن العذاب متفاوت في نوعه ، وأن الشرف فيه متفاوت .

٦ - ونعود إلى التزكية التي كانت سببا في النهي عنها .. فأهل الكتاب ينقسمون على أنفسهم ، ويتبارون في التزكية على بعضهم ! فاليهود يقولون : نحن شعب الله المختار ... نحن أبناء الله وأحباؤه .. لن يعذبنا بذنوبنا ، فأنا أطهار منها كطهارة أطفالنا .. ليست النصراني على شيء من الحق .

والنصارى يرون في أنفسهم مثل ما يرى اليهود في أنفسهم ، ويقولون : ليست اليهود على شيء من الحق . وكل حزب بما لديهم فرحون .

وكانت قریش ترى لنفسها سيادة ومكانة فوق ما للمؤمنين بحمد صلوات الله عليه ، وكانوا يقولون في الإسلام والمسلمين : « لو كان خيرا ماسبقونا إليه » وهكذا من أساليب الافتراء التي يتعالون بها ، ويركنون إليها .

(ب) ثم جاءت الآية الثانية تدحض هذا الافتراء في إيضاح أتم ، وتقريع أشد ، لأن المزكى لنفسه يثبت لها عند الله فضلا ليس لها « انظر كيف يفترون على الله الكذب ؟ وكفى به إثما مبينا » .

٧ — وهذه الآية آكد في التعجب من الأولى ، وأشد استهجانا لما هم عليه من التزكية المسكوبة ، والكذب كله شنيع ، وأشنعه الكذب على الله الذى لا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء ، وإذا كان كذب الولد على والده ، وكذب المرءوس على رئيسه ، وكذب الخادم على مخدومه ، والزوجة على زوجها ، مما يعد جرأة غير هينة ، وجرما غير يسير ، فكيف يكون الكذب على الله شناعة ، ونخزيا ، وضررا بالنفس وبالناس ؟؟ « وكفى به إثما مبينا » يعنى حسب الكاذب على الله إثمه المبين الواضح ، أو المبين القاطع الذى يقطعه عن رحمة الله قطعا لا صلة له ، كأبانة الحبل بقطعه قطعاً لا تبقى له صلة .

٨ — وإنما كانت التزكية بهذه المثابة من سخط الله ؛ لأن تصوير المرء لنفسه عند الناس بغير صفاته يحمل الناس على حسن الظن به ، فينزلقون فى حسن الظن به ، فإذا غلب عليه طبعه أصابهم من ضرره ما لا ينبغي أن يكون ، وهذا خداع لا يلائم صالح الجماعة ، ولا يتفق مع ما يحاوله من حمل الناس على الثقة فيه ، والاطمئنان إليه ولو فى المحيط الضيق الذى يعيش فيه .

وجهة ثانية : هى أن الناس إذا رأوا من المزكى لنفسه مناقضة لقوله ، وعملا غير مرضى ، أساءوا الظن ببعضهم ، وأصبح الكذب مقروضا فى أحاديثهم ، فتضيع الثقة ، وتنعدم الرحمة بينهم ، والإسلام ينهى الضرر ولو كان مظنونا ، أو من أبعد طرقه .

٩ — وهنا يقال : كيف ذلك كله : وقد امتدح القرآن تزكية المرء لنفسه فى قوله تعالى : « قد أفلح من تركى - قد أفلح من زكاه » ؟ .

وجواب هذا : أن التزكية بالقول المكذوب هى مورد الحظر ، ومعرض النهى ، لما علمت فيها من أضرار بالمجتمع ، وبالحلق ، وبالدين . . فوق أنها رياء ، وخداع ، وانصراف عن محاربة السكالم إلى تلك الميوعة ، والإعجاب بالنفس الخ .

أما التزكية بالحق ، فهي تلهير النفس من المآثم ، وتجميلها بعمل الطيبات ، وإسداء المعروف قدر الطاقة .. فهذا تركو النفس : بمعنى تنمو ، كما يزكو الزرع ، ويترعرع بخدمته وتعمده ، وتلك التزكية هي المطلوبة في الآيات ، وهي المحببة إلى النفوس عامة ، وفيها يكون التنافس ، لا في مثل ما اصطنع أهل الكتاب ، أو اصطنعت قريش ، أو يصطنع المعجبون بأنفسهم حتى اليوم .

وبعد - فهذه نزعة من النزعات الفاشية بين الناس في كل طبقة وفي كل جيل ، وهي لون من ألوان العقلية المختلفة بحكم الفطرة .

والقرآن - حينما عرض لها بالإنكار والتشنيع - لا يقصد الرجوع بهديه إلى من سبقوا ، وحاقت بهم مآثمهم ، وإنما قصد - كما أسلفنا - وقاية المسلمين من التدافع في الإعجاب بأنفسهم ، والتهاوت على تركيتها بالدعاية المفتراة ، والاستغلال بهذا الهذر عن الجدي في تربية الخلق ، والنظر في عيوب الأنفس ونقائصها ، والأخذ بالكمال مما علمنا الله ومما تعارفه العقلاء ، وهذا هو سبيل البقاء للذكريات العليات ، ووسيلة البناء لمجد الأمم وتنقية المجتمع من تلك التعللات التي تتعشقها النفوس الهزيلة .

ولعل المسلمين الأولين طفروا طفرتهم من الجاهلية إلى المثالية التي يتغنى بها التاريخ ، لأنهم شغلوا أنفسهم بعبوبها ، واستحثوا همهم إلى التزود من السكال في معارفهم ، وفي أخلاقهم ، وفي نظمهم عامة .

وقد كانت النخوة العربية تضطرم في دمويتهم ، وفي خواطرهم ، وكانت غيرتهم على التوجيه مشبوبة في صدورهم ، فلما جاء الإسلام وجد منهم تربة صالحة لغرس مبادئه ، ووجد فيهم أذهانا صالحة للتنمية ، وللصقل ، فمأكدوا يسمعون دعوة الله ، ويتذوقون الدين ، ويتنسّمون روحه ، حتى نشطوا إلى وقاية أنفسهم ومجتمعهم بالخلق الصادق ، ولم يشغلهم التخنث والتواكل بتزكية أنفسهم ، والتمويه على ما بهم من وهن .

وإذا كانت الشعوب الإسلامية تعثرت في الاستعمار أزمانا ، وتحلفت عن متابعة الأسلاف أحقابا ، وتحلفت عن مقاعد شامخة كانت لهم في الصدارة ، فقد أذنت حياتهم باليقظة ، ونشطات همهم إلى تدارك مافات ، وها هي ذى : تطارد الاستعمار في غير هواة ، وتجتاحه في غير تريث ، حتى أخذ ينكس في سرعة ، وتنقشع سحبه في غير تردد ، وتقلصت حياته من أرض العروبة ، وعمّا قليل ينجاب ظله عما بقى من الوطن الإسلامى .

وهذه صحوة الأمم الإسلامية بدت في مظاهرها هنا وهناك ، ونهض الشرق يضم

صفوفه ويجمع أشناته ، ويتجههم لمن يتوانى من شعوبه ؛ أو يمنح إلى سياسة المستعمرين ، وأصبحت صيحات الشرق كله تتجاوب في ربوعه، وبين أقطاره بالدعوة إلى الاستبسال والتكتل والحذر من خدع الغرب التي غشيتنا زمنا ما ، ولعل امتحان العروبة والإسلام بما مضى من تحكم الاستعمار يكفى عظة وتنبها لمن يخامرهم شك في ألاعب اللاعبين من أمم غربية لم يسبق لها برهان واحد على حسن النية نحو الشرق وأهله .

وإن مصر - والحمد لله - قد سبقت إلى هذه الصيحات المدوية فأعلنتها بين الخافقين ، وتردد صداها في المشرقين ، وبدأ العالم يشهد أن ثورة مصر كانت كامنة في ضمير شعبها إلى وقتها المناسب ، ويشهد أن أبطال ثورتها كانوا الذخيرة التي أعدها التاريخ الحديث لتنهض في وجه الزمن العاث ، وتوقظ العالم كله نحو مصر بالأعجاب ، كما تعود العالم في ماضيه أن يقف منها موقف الأعجاب .

وسيرى الناس من حاضرها وفي مستقبلها ما يزيدهم إيمانا بمصرية مصر ، وإعجابا بأبطال ثورة مصر .

وخير ما يعود إلى الذاكرة اليوم وبعد طول الزمن : هو صيحة الإسلام في فجر تاريخه « حى على الفلاح . حى على الفلاح » وهو شعارنا إلى اليوم وبعد اليوم . ومن لم يفهم شعارنا أو لم يدرك ديننا فليعلم أن ترجمة هذا الشعار هي ثورة مصر الحاضرة الرشيدة ما

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير التفتيش بالأزهر

مرضى الافهام

ما جعل الله سبيل المصلحة والمفسدة إلا من أفهامنا ، حتى ان الأدمغة لتعد من أكبر العلل في أمراض التاريخ الإنساني ، وربما كانت العلة الكبرى في طائفة من الطوائف صورة أثرية لأكبر رأس فيها .

الشيعة

خاتم النبيين

— ٤ —

من أذئاب المتنبيين - المنصورية - القاديانية -
 البهائية - متزئ جديد - ورثة الأنبياء - الصحابة
 والتابعون - نزول عيسى عليه السلام .

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن مثلى ومثل
 الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية ، بفعل
 الناس يطوفون به ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ! قال : فأنا اللبنة ،
 وأنا خاتم النبيين . (رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى)

* * *

قلنا فى نهاية الجزء الماضى : إن الله - جلت حكمته - لا يزال يبثلى هذا الدين الحنيف
 بأرؤس من هؤلاء الدجاجلة المتنبيين ، تتحرك ثم تقطع ، ثم تبقى أذناها تتلوى حينما من
 الدهر على عمى وتخط ، إلى أن يقطعها الله كما قطع أصولها من قبل ، بأيدي أولى بأس من
 عباده ، ووعدنا أن يكون هذا الحديث الختامى فى هؤلاء الأذئاب ، قطع الله دابرهم ،
 وأراح العالمين من شرهم :

* * *

فمن هؤلاء أذئاب أبى منصور العجلى ، من أهل الكوفة ، عاصر محمدا الباقر . . .
 ولما كشف الباقر خيانتة لأصل الإسلام تبرأ منه ، وعلى الرغم من براءته منه ادعى بعد

موته أنه وصيه ، وزعم أن عليا والحسين وعلى بن الحسين ومجدا الباقر كانوا كلهم أنبياء مرسلين ! وأنه هو أيضا نبي ورسول ! وستكون النبوة في ستة من ولده آخرهم « القائم » !

وجا أن ابن سبأ هو أول من اخترع كلمة « الوصى » فان العجلى هو أول من اخترع كلمة « القائم » وزعم العجلى - فيما زعم - أنه عرج به إلى السماء . . . وكان يحرض أذنا به على خنق مخالفينه ! ولم يزل في عماته حتى أخذ واصلب في ولاية يوسف بن عمر الثقفى على العراق لهشام بن عبد الملك | ١ | .

* * *

ومنهم مرزا غلام أحمد [٢] الهندى القاديانى زعيم الأحمديّة ، كان يزعم أنه ينزل عليه الوحي ، وأنه نبي ورسول ، وزعم أصحابه فيما سموه « البشارة الإسلامية الأحمديّة » أن الله كلمه بجميع الطارق التى يكلم بها أنبياءه ، لأن الأنبياء فى وصف النبوة سواء ! ! ومع هذا الكفر البسّواح يزعمون إفسكا وبهتات أنهم مسلمون ! ! وقد أهلك الله هذا القاديانى بأسهال شديد حزن فى سنة ١٣٢٦

* * *

ومنهم البابية ثم البهائية ، أذنا مرزا على محمد الملقب بالباب ، الذى ابتدع هذه التحلة ونعق بها سنة ١٢٦٠ إلى أن أعدمته الحكومة الإيرانية فى تبريز صلبا سنة ١٢٦٥ ، ثم زعم أحد شيعته الملقب بهاء الله أنه الموعود الذى أخبر عنه الباب ، وقبل دعوته أكثر البابيين ، وتسموا حينئذ بالبهائيين ؛ وبقي البهاء بهكا متفيا إلى أن هلك بها سنة ١٣٠٩ فتولى رئاسة الطائفة ابنه عباس الملقب عبد البهاء ، فأخذ يدعو إلى هذه التحلة الضالة ، ويتصرف فيها كما يشاء .

وقد زعم مرزا على أنه رسول من الله ! ووضع كتابا ادعى أن مافيه شريعة منزلّة ، وسماه البيان ، وقال فى رسالة بعث بها إلى الشيخ الألوسى صاحب التفسير المشهور « روح

(١) انظر ص ٩٦ من حاشية السيد محب الدين الخطيب على « المتقى » من منهاج الاعتدال .

(٢) مرزا : كلمة فارسية معناها الأمير ؛ ولعلمهم يريدون هنا الإمارة فى الدين والرياسة فيه . ومعنى غلام أحمد : خادمه وتابعه .

المعاني» دعاه فيها الى مذهبه الذى سماه كذبا على الله دين الله ، ثم زعم المسمى بهاء الله أن رسالته هى لتأسيس السلام على الأرض !

* * *

ادعى الباب الرسالة ! ثم زعم أن شريعته ناسخة للشريعة الإسلامية ، ثم هذى بما اتحل لأتباعه أحكاما لا وجهة لها إلا هدم الإسلام من أساسه ! ! !

ولم يكتفوا - خبيهم الله - بدعوى النبوة والرسالة ، بل طفروا منها إلى ما طفر إليه بعض أمتهم « الباطنية » من قبل ، فادعوا حلول الإله في بعض زعمائهم كما قال « القرامطة » بألمية محمد بن إسماعيل بن جعفر ! ! ! وقد ظهرت دعوى الحلول جلية في بعض مقالات البهائية [٢١] .

ومهما يكن في هذه النحلة الفاجرة من خلط واضطراب في دعوى النبوة والرسالة ونسخ الإسلام أو توحيد الأديان تارة ، وفي دعوى الحلول والإلهية وتجليها في بعض أشخاصهم تارة أخرى - فإن غرضها الذى ترمى إليه إنما هو هدم الإسلام بمعاول تختلف باختلاف عدو الأنبياء من شياطين الإنس والجن في قلبهم ، وفيما يوحى بعضهم الى بعض من زخرف القول وغروره .

قال العلامة الآلوسى في تفسيره :

وقد ظهر في هذا العصر [٢١] عصابة من غلاة الشيعة لقبوا أنفسهم بالبابية ، لهم في هذا الباب فصول ، يحكم بكفر معتقدها كل من انتظم في سلك ذوى العقول ، وقد كاد يتمكن عرقهم في العراق ، لولاهمة واليه التجيب الذى وقع على همته وديانته الاتفاق ، حيث خذلهم ، نصره الله تعالى وشنت شملهم ، وغضب عليهم رضى الله تعالى عنه وأفسد عملهم ، فجراه الله تعالى عن الإسلام خيرا ، ودفع عنه في الدارين ضيما وضيرا . »

(١) راجع مقال السيد الخضر في المجلد الأول من هذه المجلة (ص ٣٥٥ - ٣٧٠) ثم راجع مقال السيد محب الدين الخطيب في مجلد العام السابق .

(٢) يعنى سنة ١٢٦١ هـ وقد توفى الآلوسى رحمه الله عام ١٢٧٠ .

ونحن ندعو الله جلت قدرته بما دعا به الآلوسى ، لأولى الأمر من المسلمين جميعا أن يتعقبوا هؤلاء الأذئاب المفسدين ، بالسنان والبيان ، حتى لا يقع في شركهم الضعفاء من الطغام .

وقد كفتنا مجلتنا هذه - بارك الله عليها وعلى القائمين بها - مؤنة البسط في تلك النحلة وضلالها ، بما كشفت من مخازيها ، وحذرت من أباطيلها ، وكتبت من مقالات أضحت للوُلفين مصدرا ، وللباحثين منارا [١] .

وقد يكون من الطريف أن نشير هنا إلى ما روثه الصحف أخيرا من ظهور أفاك جديد في شرق السودان ، يدعى « على هياتى » ادعى النبوة في شرازم من الطغام أخذوا يلتفون حوله ، وخشيت الحكومة خطره على الأمن ، فقررت نفيه إلى « حلفا » فنار على هذا التصرف سكان الوادى خوفا على معتقداتهم ، وناشدوا ولاية الأمور أن يطرده إلى مكانه الأول (٢) .

* * *

إن ظهور هؤلاء الأفاكين حينما بعد حين ، أعظم الدلائل على صدق خاتم النبيين ، صلوات الله وسلامه عليهم ، وعلى أن النبوة قد ختمت به فلا نبى بعده .

ذلك بأنهم يظهرون وبرهانات الكذب تحيط بهم ثم تلبسهم ، ويتخذ الناس منهم - حتى العامة - طريقا للتندر والاستهزاء والسخرية .

لكن هذا لن يمنع أولى الأمر أن يضربوا على أيديهم درءا لما يخشى من فتنتهم للبله والأغرار من أشباه الناس .. ثم إعظاما لمقام النبوة .

* * *

(١) من محاسن الموافقات أن يكتب ببسط وإفاضة في نخلتي البهائية أو القاديانية أو هما معا ، رؤساء تحرير هذه المجلة على التعاقب : فكتب أستاذنا الأجل السيد الخضرى البهائية في المجلد لأول ، وفي القاديانية في المجلدين الثالث والرابع ، وكتب الأستاذ وجدى في البهائية والقاديانية في المجلد الخامس ، وكتب الأستاذ السيد محب الدين في البهائية في المجلد السادس والعشرين ، عدا ما كتب كتاب آخرون في أجزاء شتى .

(٢) اقرا أبناء الخرطوم في أهرام السبت ١٧ / ١ / ١٩٥٦

وإذا كانت النبوة قد ختمت بالخاتم صلوات الله وسلامه عليه ، فان ورثة الأنبياء من أمته ، قد ورثوا عنه مقام البلاغ من بعده ، فكان أعلى من بلغ عنه أصحابه رضى الله عنهم ... بلغوا جميع أقواله وأفعاله وأحواله ، في ليله ونهاره ، وسفره وحضره ، وجهره وسره ، ثم التابعون لهم بأحسن ممن بشر النبي صلى الله عليه وسلم أمته بأنهم لا يزالون قائمين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله ... فبنورهم يقتدى المهتدون ، وعلى منهجهم يسلك السائررون .

* * *

ولا يعارض ختام نبوته صلى الله عليه وسلم ، نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان من السماء حكما عدلا مقسطا ، يكسر الصليب ويقتل الخنزير ؛ لأنه لا ينزل بشرع جديد ، وإنما يحكم بشريعة أخيه وأولى الناس به .
لا جرم أن اتباع عيسى لأخيه محمد - عليهما صلوات الله وسلامه - تأييد لنبوته - وتصديق لدعوته - وتكريم لخير أمة أخرجت للناس ما

طه محمد السالك

نظرية التطور

في علوم العرب ودراساتهم

قال العلامة درابر الأمريكي :

« تأخذنا الدهشة أحيانا عند ما ننظر في تحب العرب فنجد آراء كنا نعتقد أنها لم تولد إلا في زماننا ، كالرأى الجديد في ترقى الكائنات العضوية وتدرجها في كمال أنواعها ، فان هذا الرأى كان مما يعلمه العرب في مدارسهم ، وكانوا يذهبون إلى أبعد مما ذهبنا ، فكان عندهم عاما يشمل الكائنات العضوية والمعادن . والأصل الذى بنيت عليه الكيمياء عندهم هو ترقى المعادن في أشكالها » .

بنو إسرائيل في الماضي والحاضر

- ٢ -

اليهود قوم بهت [١]: وبنو إسرائيل عريقون في الكذب لا يتورعون عن الافتراء ولا عن مناقضة أنفسهم بين ساعة ومنتهاها ، وتلك طبيعة فيهم . روى الثقات [٢] أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة جاءه عبد الله بن سلام فسأله عن أشياء لا يعلمها إلا نبي ، فأخبره بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ثم قال : يا رسول الله ، إن اليهود قوم بهت ، وإنهم إن يعلموا بأسلامي قبل أن تسألهم عنى بهتوني ، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليهود فدخلوا عليه ، فقال : « يا معشر اليهود ، ويلكم ، اتقوا الله ، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقا ، وأنى جئتكم بحق ، فأسلموا ، فقالوا : ما نعلمه ، قال : فأى رجل فيكم عبد الله بن سلام ؟ قالوا : سيدنا وابن سيدنا ، وأعلمنا وابن أعلمنا ، قال : أفرأيتم إن أسلم ؟ قالوا : حاشا لله ، ما كان ليسلم ، قال : يا بن سلام انخرج عليهم ، فخرج فقال : يا معشر يهود ، اتقوا الله ، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله ، وأنه جاء بالحق ، فقالوا : أنت شرنا وابن شرنا ، وتنقصوه ! فقال : يا رسول الله هذا الذي كنت أخاف .

فهل رأيت - أيها القارئ - في باب الهوى المتبع والتناقض المشين أعجب من هذا ؟!

* * *

اجترأهم على الله سبحانه :

وقد بلغ بعلمائهم الطيش وخفة الأحلام غايتهما حينما تعدوا على الرب جل وعلا ،

(١) بهت بضم الباء والهاء : جمع بهوت كرسول ورسول ، والبهوت : العريق في الكذب والافتراء .

(٢) صحيح البخارى قبل « باب إتيان اليهود النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة » .

ورموه بأقبح الصفات . روى ابن اسحاق بسنده عن ابن عباس قال : « دخل أبو بكر رضى الله عنه بيت المدراس (١) ، فوجد من يهود ناسا كثيرة قد اجتمعوا على رجل منهم يقال له فنحاص بن عازوراء ، وكان من علمائهم وأخبارهم ، فقال له أبو بكر : ويحك يا فنحاص ، اتق الله وأسلم ، فوالله إنك لتعلم أن محمدا رسول الله قد جاءكم بالحق من عنده ، تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة والانجيل ، فقال فنحاص : والله يا أبا بكر ، ما بنا إلى الله من حاجة ، وإنه إلينا لفقير ، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا ، وإننا عنه لأغنياء ، ولو كان غنيا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم [٢] : ينهاكم عن الربا ، ويعطيناه ، ولو كان غنيا ما أعطانا الربا . »

فغضب الصديق أبو بكر رضى الله عنه ، وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة - على ما كان يتصف به الصديق من الحلم والرزانة والوقار - وقال : والذى نفسى بيده ، لولا العهد الذى بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدو الله . فأكذبونا ما استطعتم إن كنتم صادقين ، فذهب فنحاص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، انظر ما صنع بى صاحبك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما حملك على ما صنعت يا أبا بكر ؟ » فقال : يا رسول الله ، إن عدو الله قال قولا عظيما ، يزعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء . فلما قال ذلك غضبت لله مما قال فضربت وجهه . فبجح فنحاص وقال : ما قلت ذلك . فأنزله الله سبحانه ردا على فنحاص وأتباعه وتصديقا للصديق أبى بكر قوله : « لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ، سنكتب ما قالوا ، وقتلهم الأنبياء بغير حق ، ونقول ذوقوا عذاب الحريق ؛ ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد » ثم تستطرد الآيات إلى كذبة أخرى من كذباتهم على الله ، فيقول الله سبحانه : « الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار ، قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم ، فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين » . (٣)

(١) المدراس : الكنيسة التى يتدارسون فيها كتابهم .

(٢) يريدون - لعنهم الله - قول الحق تبارك وتعالى حاثا على الانفاق والتصدق فى سبيل الله : « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة » الآية .

(٣) سورة آل عمران الآيات من ١٨٢ - ١٨٤ .

ويتصل بفريتهم السابقة فرية أخرى ، وهى زعمهم أن الله بخيل (١) - تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا - لأنه يضيق عليهم فى بعض الأحيان ، ولا يعطيهم من الأموال والخيرات ما يملأ عيونهم التى لا يملأها التراب ، فأكذبهم الحق ولعنهم ، وبين أن يديه تفيضان بالحدود والخير العميم لمن يشاء ، وأنهم قوم أكل الحقد والحسد قلوبهم ، وتغلب عليهم حب الشر واراقة الدماء ، ولولا أن الله يرد كيدهم فى نحركم ويطفىء نار فتنتهم لامتلأت الأرض بالفساد والحرب . وإليك قول الحق تبارك وتعالى : «وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا ، بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء ، وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا ، وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ، كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ، ويسعون فى الأرض فسادا ، والله لا يحب المفسدين » [٢]

وما كان لنا أن ندع قصة فنحاص وما فيها من حماقة حمقاء ، وضعف فى الجدل ، وتليس على السذج من الناس ، بألقاء الشبهات والترهات وبدء بالعدوان الأثيم ، ثم اسراع إلى التظلم وبث الشكوى ، ما كان لنا أن ندع ذلك دون أن نبين أن سلاطاتهم من سكان - ما زعموا - إسرائيل قد اقتدوا بهم حذو النعل بالنعل ، فما من مرة يغدرون فيها ، ويسفكون الدماء ، وينقضون العهود ، إلا وتجدهم يقيمون غدرهم على أساس أوهى من بيت العنكبوت ، ويسرعون بالشكوى التى يملئونها زورا وبهتانا كى يوهموا من لا يعلم الحق والواقع - أو يعلم ولكن يتجاهل - أنهم مظلومون ومجنى عليهم وأن الحق معهم ، والحق منهم برى .

ألا ما أشبه الليلة بالبارحة ، وما أشد التطابق بين شذاذ الآفاق ورذالة الخلق فى الحاضر وأسلافهم الذين شردهم بختنصر ، وسامهم الخسف والهوان طيطوس الرومانى فى القديم !!

وقد يستبد ببعضهم الهوى والغضب فيلقون بالقول جزافا ، وقد يترتب عليه إنكار بعض الحقائق المقررة التى يعترفون بها ولا يسمعون إنكارها ؛ قال سعيد بن جبير : جاء رجل

(١) قيل إن قائل ذلك هو فنحاص أيضا ، وقيل غيره . وأيا كان القائل فقد ارتضى هذا وذاك الكثيرون منهم ولم ينكروه .

(٢) المائدة الآية ٦٤

يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبي : « أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى ، أما تجد في التوراة أن الله يبغض الخبث السمين » - وكان حبرا سمينا - فغضب وقال : ما أنزل الله على بشر من شيء . فقال له أصحابه من اليهود لما علموا بمقاتلته : أليس أن الله أنزل التوراة على موسى ؟ فلم قلت هذه المقالة . فقال مالك : أغضبني مجد ، فقلت ذلك [١] . وفي رواية لابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما قالت اليهود : يا مجد ، أنزل الله عليك كتابا ؟ قال : نعم . قالوا : والله ما أنزل الله على بشر من شيء . فأنزل الله سبحانه : « وما قدروا الله حق قدره » الآية .

وقد لقن الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم حجة دامغة أخصمتهم وألقتهم حجرا فقال : قل لهم : إذا كان الأمر كما زعمتم فمن الذي أنزل التوراة على موسى الذي آمتم به واعترفتم برسائله ؟ وقد ذكر الله مقاتلتهم ، والرد عليها في قوله : « وما قدروا الله حق قدره » ، إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء ، قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس يجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أتم ولا آبائكم ، قل الله ، ثم ذرهم في خوضهم يلعبون (٢) » .

فهل مثل هؤلاء الذين يستخفهم الغضب والحق إلى أنكار أمر مقرر عندهم يرجى منهم أو من أسلافهم وسلاسلهم إذعان لحق أو إقرار بفضل لذويه مهما تواردت عليه البيانات ؟ ؟ وأليسوا الآن إذا استبد بهم الغضب والطيش ينكرون البدهى من حقوق

(١) تفسير القرطبي جزء ٧ ص ٣٧ .

(٢) سورة الأنعام الآية (٩١) . وللمفسرين في هذه قولان : الأول : أنها نزلت في اليهود ، وأنهم هم المخاطبون بها . والثاني : أنها نزلت في المشركين ، وأنهم الذين قالوا هذا القول . ويرجحون هذا بأن السورة مكية . والذي يرجح عندنا - والله أعلم - الأول ، ولا يشكل كون السورة مكية فبعض السور المسكية فيها بعض الآيات المدنية . وقد ذكر البغوى في تفسيره عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « نزلت سورة الأنعام بمكة إلا قوله تعالى : « وما قدروا الله حق قدره » الخ الآيات الثلاث ، وقوله تعالى : « قل تعالوا أتت ما حرم ربكم - إلى قوله - لعلكم تتقون » فهذه الست الآيات مدنية . ويكاد يعين أن الآية في اليهود الرد عليهم بقوله سبحانه : « قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى » ، ولو كانت في المشركين لما اتجه الرد ، إذ المشركون لا يقرون بنبو موسى فضلا عن غيره .

الإنسان فيأتون المنكر من القول والسيئ من الفعل التي يندى لها جبين الإنسانية المهذبة
الفاضلة . ؟ ؟

* * *

عداوة بنى إسرائيل لأنبيائهم وقتلهم لبعضهم :

قلنا فيما سبق إن بنى إسرائيل عرفوا من قديم الزمان بعصل الطباع ، وفساد الفطرة ،
وضراوة الأخلاق ، والشهوة إلى إراقة الدماء . وقد وجد منهم موسى أسوأ ما وجد بنى
من قومه ، ووجد منهم الأنبياء من بعده العنت والأذى والقتل ، حتى لقد روى أنهم قتلوا
في يوم واحد سبعين نبيا ، وكان ممن قتلوا نبيا الله : زكريا ويحيى عليهما السلام ، وقد قيل
إنهما قتلًا في حادثة واحدة وفي يوم واحد ، وكان يحيى تقيا صالحا ويعتبر حجة في الشريعة
الموسوية ومرجعا لكل من يستفتى في أحكامها ، وكان في زمانه حاكم من حكام فلسطين ،
وكان له بنت أخ بارعة الجمال أراد عمها أن يتزوجها ، لكن يحيى أبى ذلك لأنه حرام ،
فأوعزت أم البنت إليها أن تخرج إلى عمها في زيتها ، فأذا ما سألتها عما تريد فلتقتل له إنها
تطلب رأس يحيى بن زكريا في هذا الطبق ، ونفذت البنت هذه الخطة الماكرة ، فما كان
من عمها إلا أن أجابها إلى ما أرادت وقتل نبيا كان سيذا وحصورا ومن الصالحين ، فلما
رأى أبوه زكريا ذلك فرأى فدركوه وقتلوه . وقد انتقم الله منهم وسلط عليهم من أكثر فيهم
القتل وسامهم سوء العذاب .

* * *

رميهم السيدة مريم بالزنا وهمهم بقتل السيد المسيح عليه السلام :

كان حمل مريم بولدها عيسى عليه السلام من غير أن يمسسها بشر آية خارقة من آيات
الله ، ومعجزة من المعجزات الخالدة ، فلما ولدت العذراء البتول ولدها وجاءت به إلى قومها
تحمله أرجف بها المرجفون من بنى إسرائيل ، ورموها بالزنا وهى منه براء ، ولكن الله الذى
يتولى الصالحين والصالحات من عباده أنطق عيسى وهو لا يزال فى المهد صبيا « قال إني
عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا ، وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة
ما دمت حيا » الآيات . فكان فى هذا الأرهاص تبرئة لساحة السيدة العذراء مما رماها

به هؤلاء الملاعين الأرجاس . ثم ينبأ عيسى ويأتى بشريعة مصدقة لشريعة موسى عليه السلام، فيجد بنى إسرائيل نسوا حظا مما ذكروا به، وغيروا فيها وحرفوا وطال عليهم الأمد حتى قست قلوبهم وأقفرت نفوسهم من معانى الهدى والحق والخير ، وهاله ما صنعوه بأبن خالته يحيى وأبيه ، فصار يعظمهم ويذكرهم بعبارات ترقق القلوب القاسية وتلين الصخور الصماء ، فما لانت قلوبهم ، ولا تركوا ما كانوا عليه من الجشع وحب الدنيا وسفك الدماء وأكل أموال الناس بالباطل ، فكادوا له عند الوالى وادعوا أنه يقول انه ملك اليهود ، وانهم لا يقرون بملك سوى قيصر رومية ، فأرسل الوالى الجند للقبض عليه ، وما أن هموا بأخذه حتى ألقى الله شبهه على أحد تلاميذه وهو يهوذا الأسخريوطى ، فأخذوه واصلبوه وقتلوه ، وأنجى الله عيسى ورفعاه إليه ، وأشاعوا القالة بين الناس أن عيسى قتل ، والحق أنهم ما قتلوه ولا صلبوه ولكن شبه لهم ، وما كان ذلك عن يقين وإنما كان ظنا ممزوجا بالشكوك ، وصدق الحق تبارك وتعالى حيث يقول : « فيما نقصهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف ، بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا ، وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً ، وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ، ما لهم به من علم إلا اتباع الظن ، وما قتلوه يقيناً ، بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً »

* * *

فيا أتباع المسيح عليه السلام : كيف نسيتم ما رمى به بنو إسرائيل مريم الطاهرة وما اضطهدوا به المسيح ، وما هموا أن ينالوه به ، فأغدقتم عليهم السلاح والمال ؟ وبأى وجه ما لآتم من لا عهد لهم ولا ذمة على العرب الذين نصروكم في حربين عالميتين ، ولولا جهودهم لسكنتم الآن فى الغابرين الهالكين ؟
إن المسيح عليه السلام يتبرأ إلى الله مما تصنعون ما

محمد محمد أبو شربة

الأستاذ بكلية أصول الدين

السفير الأزهرى

للأزهر سفارات إلى كثير من أقطار العالم يرجع تاريخها إلى بعيد عهد إنشاء الأزهر ، فقد رحل بعض علمائه إلى كثير من أقطار العالم، ينشرون دعوة القرآن ولغة القرآن ، وينشرون برسالاته ، فلقوا من شعوبه من الخفاوة والتقدير ما يناسب مهمتهم ويليق بسفارتهم ، وليس هناك أكرم ولا أشرف من تبليغ دعوة الإسلام والتعريف بها .

وعلى كواهل هؤلاء السفراء قام مجد مصر ، وبعد صيتها ، وذاعت شهرتها ، فأصبحت على طول المدى أشهر دولة إسلامية في العالم ، يعترف بزعامتها ما بعد وما قرب من شعوب الشرق والغرب ، ولم يقيم مجد مصر على سفارة سياسية أو اقتصادية ، وإنما قام مجدها على السفارة الإسلامية الأزهرية ، وكان من حسن حظ مصر أن يكتب لها التوفيق ، فنتج هؤلاء في سفارتهم ، وحققوا لمصر مجدا تاريخيا حديثا وصل مجدها التاريخي القديم لعهد الفراعنة .

والتحدث في تاريخ السفارات الأزهرية لا ينسى سفارة الإمام الشيخ محمد عبده الاضطرابية، حين نفاه الخديوى عباس من مصر ، لسلوكه سياسة تناهض سياسة القصر ، فطوف في باريس ، ولندن ، وسويسرا ، ولبنان ، وكان في جميع هذه البلاد المثل الأعلى للسفارة العلمية والخلقية والدينية والوطنية . ففى باريس أصدر بمعاونة أستاذه السيد جمال الدين الأفغانى العروة الوثقى ، وهى الصحيفة التى وقفها على الدفاع عن وطنه ، ورسم الخطط لأنهاضه وتحريره ، بل لأنهاض العالم الإسلامى جميعه وتحريره ، واحتلت مكانة مرموقة في ميدان الصحافة ، مع قصر عهدها وضيق نطاقها وقلة إمكانياتها ، وفى بيروت كان المرشد الصالح ، والعالم العامل ، فدرس فى معاهدها ، ووعظ فى مساجدها ، وألف بعض كتبه ، وترك هناك ذكرا يتذوق شذاه ، ويعبق أريجىه مدى الدهر .

وفى هذه الأيام يطوف بالعالم سفير أزهرى ، وهو أول سفير رسمى اختارته الثورة لأعمال رسمية ، وسيجسد فى العالم ذكرى السفارات الأزهرية الموفقة . وكان من حظ مصر والأزهر أن يكون السفير الأزهرى الرسمى السيد أحمد الباقورى ، ذلك الرجل الذى جمع - إلى

نشاط الشباب وفورة العواطف الدينية والوطنية - حكمة الشيوخ وحصافتهم ، كما جمع - إلى ذرابة اللسان وقوة البيان - قدرة كتابية نادرة ، وتوافرت له ثقافة دينية مستنيرة وتجارب سياسية خطيرة ، وكان لذلك خليقا أن ينجح في سفارته ، وكان من تمام التوفيق أن تقتضى المصلحة الوطنية أن يتنقل الأستاذ الباقورى فى بلاد كثيرة ، ليكون التعريف بمصر الحديثة والأزهر الحديث أوفى وأشمل .

وستكون رحلات الأستاذ حجة قاطعة لألسنة الذين يتخوضون على الأزهر فى أن رسالته انتهت ، وأن الحاجة إليه قد فرغت ، وأن التعليم فيه بلا هدف ولغير غاية . إن نجاح الأستاذ الباقورى فى سفارته الرسمية يرجع أكبر الفضل فيه إلى الأزهر وإلى شهرته الدينية والثقافية . فلقد كان له فى رحلاته صفتان : صفة رسمية مصرية عامة ، وصفة أزهرية إسلامية خاصة ، وقد تظاهرت الصفتان على نجاحه . فحبب الأزهر ورجاله تدافعت الشعوب إلى استقباله وتكريمه ، وبحب مصر وثورة مصر ونهضة مصر تنافست الحكومات فى الترحيب به والتقدير لرسالته ، ولا شك أن الأستاذ الباقورى قد لمس ذلك فاغتنبت نفسه ، وانشرح صدره ، فراد اعترازه بمعهد ، وتضاعف حبه له ، وقويت رغبته فى التحفى به والعمل على إنهاضه . إننا نتوقع أن تجنى مصر من سفارة الباقورى إلى الأقطار التى سفر إليها أرباحا سياسية وأدبية ، فالباقورى سياسى حصيف تمرس بأساليب السياسة وخاض غمارها وذاق حلوها ومرها ، وامتحن بها ولم يسلم من محنها ، فأذا دخل من أبواب السياسة الضيقة كان على علم بها وبصر بمذاهبها ونخرج منها ظافرا ، أما الريح الأدبى فهو فى ذلك التقارب الذى سيحققه بين مصر وبين الشعوب التى وفد إليها وتحديث إلى جماهيرها بلسان الزعيم الدينى الذى تحرر من قيود الوظيفة وتقاليد السياسة ، فصور لها عواطف مصر وأمانيتها ورغبتها فى التعاون معها على إنهاضها وتحريرها ، وهو إذ يعود إلى مصر فسيصور للشعب المصرى أمانى تلك الشعوب وعواطفها وآمالها فى مصر ، ويربط بينها برباط المحبة والمودة والرغبة الصادقة فى التعاون على ما فيه الخير للجميع فى سائر الميادين .

وسيكون للأزهر من هذه الزيارات حظ خاص يضاف إلى ما ستفيد مصر عامة منها ، فن بين ماسيضعه الوزير بين أيدي المسئولين ما لمسه فى تلك الأقطار من تقدير للأزهر ورسالته ، وشدة تعلقهم به ورغبتهم فى الاستفادة منه ، وأنه الرباط المقدس بين مصر وكثير من الشعوب الإسلامية فى الشرق والغرب ، به تتعلق أنظارهم ، وإليه تهفو قلوبهم . وأن التعليم به نوع من التعليم لا تغنى عنه جامعات العالم قديمها وحديثها ، وسيكون ذلك باعثا

لأولى الشأن على مضاعفة العناية به ، وتهيئة الوسائل اللازمة للمضى فى رسالته .
وربما كان من نتائج رحلات السيد الباقورى أن يفكر القادة فى الاستفادة من السفارة
الأزهرية إلى بعض الشعوب ، وقد يرون أنها أجدى على مصر من غيرها ، فالسفير الأزهرى
بطبيعة ثقافته وتقاليده الخلقية أقرب إلى قلوب الكثرة الغالبة فيها وإلى عواطفهم ، وأن
الأنس به والثقة فيه أوفى من الثقة بغيره .

وفى الجملة فسيخرج السيد الباقورى من رحلاته المتعددة بتجارب ومعلومات قد تكون
أساسا صالحا لوضع علاقات جديدة بين مصر وغيرها من الشعوب ، أو لتعديل بعض
هذه العلاقات على ضوء الخبرة والمعرفة الشخصية ، وستأخذ رحلاته مكانها فى تاريخ
الرحلات الأزهرية التى تفتخر بها مصر ويفخر بها الأزهر .

أبو الوفا المرافى

الوطن العربى الأكبر

(وطن واحد) لأبناء (سام) عربى فى خطوه ومجاله
كفله الصحراء شرقا وغربا حين فت الأعداء فى أوصاله
ليس (عمرو) و(خالد) غير قطبين أطلا منه على آماله
بعثاه بعثا جديدا أرانا ضوء مجد مخلص فى مثاله
هجرة إثر هجرة من صحارى كن أصلا للبحر فى جباله
ملأت أفاقه بآمال مجد فشى البحر ناشطا من عقله
مصر والشام فرعه الوارف الظل وأهل القطرين من أشباله
محمد الشريق

الرشوة من أدوائنا الخطيرة

ليس من السهل أن تقنع الرجل العايب بأنه جزء من المجموعة التي تتكون منها الأمة ، وأن الأمة ما لم تكن كتلة واحدة تعمل متضامنة متعاونة ، فلن يربح لها ربح ولا تقدم في الحياة الإنسانية ، فإن الفرد المتهاون في مجد قومه ، يرى نفسه أمة وحده ، ويعمل على أن مصلحته فوق كل مصلحة ، وينشد مع الشاعر :

اذامت ظمأنا فلا نزل القطر

وإذا جاذبته القول ، فأبنت له أن النصر في المعارك الحربية ، لا يستجيب لطالبه حتى يكون الذين يقاتلون كالبنين المرصوص ، وأن معركة الحياة ليست أقل خطراً من تلك المعارك الحربية ، وأن النصر فيها لا بد - أن يكون - أيضاً بالتكتل والمحبة ، وشعور كل فرد بأنه جزء من البنين المرصوص ، لا يقوم البناء إلا بتضامن الجميع ، وليست مجاهدة الحياة ، والارتفاع بالأمة ، والسير بها في طريق النهوض في حاجة أشد من حاجتها بأن يؤدي كل عامل ما ينط به أدائه من الأعمال على أتم الوجوه ، إذا ألقيت إليه هذا النصيح أجابك : أنا وبعدي الطوفان ، وبذلك تخطو الأمة التي تسود فيها هذه الروح : روح الأثرة ، وحب الذات ، خطوات متعثرة ، مضطربة ، ربما أفضت بها إلى أواخر العواقب .

وفي الأمم معاول هدامة كثيرة ، لا يخطئها النظر السطحي ، فكل رذيلة من شأنها أن تعوق تقدم الأمة ، وأن تجعل الثقة مفقودة بين أبنائها ، فهي معول هدام ، وسوس ينخر في عظام الأمة ، حتى يوردها موارد الهلكة ، ما لم يتداركها الله بعنايته ، فيقيض لها من أبنائها المخلصين من يضرب على أيدي العابثين .

ولعل الرشوة من أخطر المعاول التي تعمل في هدم الأمم ، وهي كذلك من الرذائل التي تدل على دناءة النفس ، وسقوط المروءة ، وضعف الدين ، كما أنها - ولا شك - شهادة صريحة على أن الفرد لا يعمل للمجتمع ، ولا يهتم شأنه ، وأنه لا يدرك واجب الأمة نحوه ، وأن ضميره الاجتماعي ضمير ميت .

ومما تكاد النفس تتقطع له أسى وحسرة أن الرشوة لا تزال عند كثير من الناس أمراً متعارفاً مقبولاً ، وليس أدل على ذلك من أن الجمهور نفسه لا يزال يعتقد أن صاحب المصلحة لا يمكن أن يجد سبيلاً إلى قضائها ، إلا إذا مَدَّ يده لمن يملك أن يقضيها له ، وليست هذه البلوى في أوساط الموظفين فحسب ، بل هي - مع كل أسف - شائعة في كل وسط من أوساط الأمة . ما دام هناك صاحب حق ، ومن يملك إعطاء هذا الحق أو منعه .

وقد أحسنت الثورة أيما إحسان حين شددت العقوبة على المرتشين ، وكان أملنا قوياً أن يقضى هذا الاتجاه الحازم من قادة مصر على الرشا قضاء مبرماً ، ولكن مازلنا - بالرغم من سوء العواقب التي يثول إليها أمر المرتشين - نرى آثارها باقية ، والحيل في أخذها تجدد كل يوم .

والرشوة على أى وجه من وجوهها سحت ودناءة ، سواء كانت مالا يدفع في سبيل إيصال حق إلى صاحبه أو منع حق عن مستحقه ، أو مالا يدفع بعد أن يقوم من عليه أداء هذا الواجب بأدائه ، أو كانت في صورة هدية لهذا الغرض .

ولقد حدث أن بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم والياً على صدقات بعض القبائل ، فلما جاء الوالى إلى رسول الله ، أمسك بعض ما معه ، وقال : هذا لكم ، وهذا لى هدية ، فقال عليه الصلاة والسلام : ألا جلست في بيت أبيك وبيت أمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقاً ، ثم قال : ما لى أستعمل الرجل منكم فيقول : هذا لكم ، وهذا لى هدية ، ألا جلس في بيت أمه ليهدى له ، والذي نفسى بيده لا يأخذ منكم أحد شيئاً بغير حقه إلا أتى الله يحمله . !

وهذا أبلغ زجر ، وأشد تحذير ، وقد صاغه الرسول في صورة منفرة رادعة ، مهيئة للرتشى ، « ألا جلس في بيت أمه » . ثم أبان عن نتيجة هذا العمل ، وأن صاحبه سيأتى يوم القيامة وهو يحمل فوق ظهره ما أخذه .

والرشا تجعل الأعمال فوضى ، فصاحب الحق ربما تعذر عليه الوصول إلى حقه ، والمبطل يستطيع أن يفوز بباطله ما دام يملك الوسيلة التي تجعله صاحب حق ، ومن هنا تملأ الأحقاد نفوس الناس ، وتنتشر بينهم البغضاء ، فطبيعى أن كل صاحب حق إذا لم يصل إليه حقه حتى يبذل فيه ، فإنه يرى في العامل أو الموظف مغتصباً ، ولا ينظر

إليه إلا بعين الساخط المتذمر ، ولولا الخوف من الدين أو القانون لبطش به . ثم هذه الرشا تعطل القوانين ، وتجعلها حبرا على ورق ، لا أثر لها إلا في اللوائح والدساتير ، أما في نفس العامل ، أما في واقع الأمر ، فهي وهم وخيال ، وحسبنا بهذا فوضى في أعمال الأمة ونهضتها ، وإن أمة تتقطع أواصر المحبة بين أبنائها ، وتنعدم بينهم الثقة ، وتسود في صفوفهم البغضاء ، لأمة مسكينة ، توشك - إن استفحل الداء - أن تنهار .

وما أبلغ قول الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأقربه إلى أن يسود التعاطف والحب بين الناس ، وأن تستقر أمور الأمم على وضع سليم ، وذلك حيث يقول : « اجعلوا الناس في الحق سواء ، قريتهم كعبيدهم ، وإياكم والرشا ، والحكم بالهوى ، وأن تأخذوا الناس عند الغضب ، فقوموا بالحق ، ولو ساعة من نهار » .

ومما هو واضح لا يحتاج إلى برهان أن النفس مجبولة على حب الخير ، وأنها مجبولة - كذلك - على حب من يوصل هذا الخير لها ، فإذا سمحت نفس العامل أو الموظف بقبول الرشوة ، أو أخذ الهدية ، فإنه يميل بطبيعة الحال إلى الراشي أو المهدي ، فينظر إلى حاجته نظرة أخرى ، فهو يعمل جاهدا لإنجازها ، ويحتال على القانون ليجد لها منفذا - إن سدت المنافذ - ولا يقلق ضميره أن يضر آخرين ، أو يعطل مصالحهم ، بل لا يعنيه عدل ولا إنصاف .

ولقد حدثوا أن بعض قضاة المهدي الخليفة العباسي جاءه يوما ، وهو خال ، فاستأذن عليه ، فلما دخل طلب منه أن يعفيه من القضاء ، وأن يقيه من ولايته ، فظن المهدي أن بعض الولاة عارضه في حكمه ، فقال له في ذلك ، انه إن كان عارضك أحد لنسكن عليه ، فقال القاضي : لم يكن من ذلك شيء ، قال المهدي : فما سبب استعفائك من القضاء ؟ قال : يا أمير المؤمنين : كان تقدم لي خصمان منذ شهر في قضية مشكلة ، وكل يدعي بينة وشهودا ، ويدلي بحجج تحتاج إلى تأمل وثابت ، فرددت الخصوم رجاء أن يسطرحوا ، فسمع أحدهما أني أحب الرطب ، فعمد في وقتنا هذا ، وهو أول أوقات الرطب ، فجمع رطبا لا يتهيا في وقتنا جمع مثله لأمر المؤمنين ، وما رأيت أحسن منه ، ورشا بوابي بدرهم على أن يدخل الطبق على ، فلما أدخله على أنكرت ذلك ، وطردت بوابي ، وأمرت برد الطبق فرد عليه ، فلما كان اليوم تقدم الخصمان إلى فما تساويا في عيني ولا قلبي ، فهذا يا أمير المؤمنين ولم أقبل ، فكيف يكون حالي لو قبلت ؟ ولا آمن أن تقع على حيلة في ديني فأهلك ، وقد فسد الناس ، فأقلني يا أمير المؤمنين أقالك الله ، وأعفني عفا الله عنك . . . فأقاله .

وعلى ذكر القضاة ونزاهتهم يحلولى أن أذكر أن بعض قضاة مصر فى العصور الأولى لما ولى القضاء دعا امرأته ، وقال لها : كيف علمت محبتي لك ؟ قالت : جزاك الله من عشرين خيرا ، قال : قد علمت ما بلىنا من أمر الناس كلهم ، فأنت الطلاق ، فصاحت ، فقال : إن كلمتنى فى خصم أو ذكرتنى به ، قالوا ، فأن كانت ل ترى دواته قد احتاجت إلى الماء فلا تأمر بها أن تمد خوفا من أن يدخل عليه فى يمينه شىء .

ونحتم هذا الحديث بأبيات الشاعر الصوفى ، وقد رأى الرشا تنتشر فى عصره فقال :

تقدت طوائف المستخدمينا	فلم أر فيهم رجلا أمينا
فكتاب الشمال هم جميعا	فلا صحبت شمالهم اليمين
فكم سرقوا الغلال وما عرفنا	بهم فكأنما سرقوا العيونا

ثم يقول :

أمولاي الوزير غفلت عما	يتم من اللثام السكاتينا
تنسك معشر منهم وعدوا	من الزهاد والمتصوفينا
وقيل لهم دعاء مستجاب	وقد ملثوا من السحت البطونا

على العمارى

أسرار الحياة

* عند ما فهمت أسرار الحياة تشوقت إلى الموت لأنه أعمق أسرار الحياة .

* من حسنات الناس أنهم لا يستطيعون إخفاء سيئاتهم طويلا .

جبران خليل جبران

حقوق الانسان

والتضامن الاجتماعى

فى دستور مصر الجديد

— ١ —

١ — فى ١٦ يناير ١٩٥٦ أعلن دستور الشعب المصرى الذى وضعته الثورة من واقع الحياة المصرية والمجتمع المصرى ، جامعا بين محاسن الديمقراطية والاشتراكية ، ومبرزا للعدالة الاجتماعية والتضامن الاجتماعى ، فى قالب جديد ، يتضح منه لىكل مطلع ومتمعن مدى التحول فى المجتمع المصرى من العهد المظلمة إلى عهد مضى لاعم ، ومدى الوثبة التى وصل بها هذا المجتمع إلى تحقيق أمل كبير فى سبيل الحرية والكرامة والعدالة فى مظاهرها الاجتماعية والاقتصادية .

٢ — ولما كانت حقوق الإنسان المصرى من أهم ما أبرزه مشروع الدستور الجديد ، فضلا عن التقنين الصريح لمظاهر التضامن الاجتماعى ، فقد أضحت هذه الحقوق وتلك المظاهر من أحق الجوانب المضيفة فى هذا الدستور بالإعجاب والحمد ، الأمر الذى يجعل فرضا على باحثى القانون والاجتماع أن يبرزوها ويقدروها ، حتى تلقى فى مجال التطبيق والعمل ما لاقتته فى مجال التقنين والصياغة من حسن أداء وعرض .

٣ — ويهمننا فى التمهيد لإبراز هذه الجوانب المضيفة فى حقوق الإنسان المصرى والأخذ بفكرة التضامن الاجتماعى أن نبدأ بالقول بأنه كان من شأن انتشار المبادئ الديمقراطية فى المجتمعات الحديثة الاعتراف للأفراد بمجموعة من الحقوق ، أطلق عليها اسم (الحقوق الفردية Droits Individuels) ، ولقد صاحب هذا الاعتراف البحث عن الأساس الذى يستوجبه تقرير حقوق خاصة بالفرد يتمتع بها فى نطاق المجتمع ويواجه بها السلطة الحاكمة فى الدولة .

٤ - فقبل بأن أساس تقرير هذه الحقوق يستند إلى الأوامر الدينية التي تأمر به ، وقبل باستناده إلى القانون الطبيعي (Droit Naturel) ، ذلك القانون الذي يهتدى إلى مبادئه وقواعده كل امرئ بفطرته عن طريق توجيه العقل وإرشاده ، وقبل بأن الأساس في تقرير هذه الحقوق إنما يرجع إلى سيادة نظرية (العقد الاجتماعي Contrat Social) التي قال بها جان جاك روسو ، ومن مقتضاها أن الناس قد اجتمعوا في يوم من أيام التاريخ ، واتفق كل منهم على أن ينزل عن جزء من حريته التامة للسلطة العامة ، حتى تقوم الدولة ، غير أن نزوله عن هذا الجزء لا يعنى نزوله عن الجزء الآخر من حريته ، لذلك استبقى لنفسه هذا الجزء الأخير ، والذي لا يعدو في الواقع أن يكون مكونا للحقوق الفردية التي صار لا مندوحة من تمتع الفرد بها في نطاق المجتمع - غير أن الأساس السليم في هذا الشأن هو أن وجود الدولة منوط بقيامها بحماية الفرد في مجتمعها ، وما دام الفرد له إدراكه وتمييزه ، فيجب أن تعترف الدولة له بهذه الحقوق الشخصية ؛ إذ أن هذا الاعتراف يضحى - والحالة هذه - ضرورة لا محيص عن تسليمها ، ليستطيع الفرد أن يباشر نشاطه وحيويته ، ويرقى بذهنه ومركزه ، مباشرة تستوجبها طبيعة الأشياء ، ويحتتمها الفكر والمنطق ! .

٥ - وأول هذه الحقوق هو الحق في المساواة المدنية (L'égalité civile) وبمقتضاها يتساوى الأفراد جميعا أمام القانون ، فلا تميز التشريعات التي تصدرها الدولة بين فرد وآخر أو تحابى طبقة دون طبقة ، وهذا ما أخذ به مشرع الدستور المصرى الجديد في المادة ٣١ منه التي نصت على أن المصريين لدى القانون سواء ، وهم متساوون في الحقوق والواجبات العامة ، ولا تمييز بينهم في ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة .

٦ - ومن مقتضى تلك المساواة أيضا عدم التفرقة بين الأفراد في قيامهم بالتكاليف والأعباء العامة ، كالتكليفات العسكرية ، والالتزام بدفع الضرائب ، فلا تجبر طبقة أو فرد على دفع ضريبة لا يتساوى في دفعها مع الآخرين من أبناء الأمة ، إلا إذا كان ذلك مما يوجب التوزيع العادل للتكليفات المالية كما في حالة فرض الضريبة التصاعدية ، لذلك نص الدستور الجديد في المادة ٣٢ منه على أن (العدالة الاجتماعية) هي أساس الضرائب والتكاليف العامة ، ونص في الوقت نفسه في المادة ٥٩ على أن أداء الضرائب والتكاليف

العامة واجب، وأن قوانين الضرائب تنظم إعفاء الدخول الصغيرة من الضرائب، بما يكفل عدم المساس بالحد الأدنى اللازم للعيشة، كما جاء بالمادة ٩٤ منه أن إنشاء الضرائب العامة أو تعديلها أو إلغائها لا يكون إلا بقانون ، وأنه لا يجوز تكليف أحد أداء غير ذلك من الضرائب أو الرسوم إلا في حدود القوانين الخاصة بالضرائب .

٧ — وتمثل الحقوق الفردية كذلك في تقرير حق الإنسان في التمتع بحرياته ، وهذه الأخيرة على ضروب شتى ، تتعلق بعضها بالمصالح المعنوية للشخص ، ويتعلق البعض الآخر بمصالحه المادية .

٨ — والحريات الفردية الخاصة بمصالح الفرد المعنوية عبارة عن حريته في اختيار الدين والعقيدة التي يؤمن بها ، وهى الحرية المعروفة بحرية الاعتقاد أو العقيدة *Liberté de conscience* ، وبما أن هذه الحرية تقتضى أن يباشر الفرد عقيدته ودينه علنا ، فلا بد من تقرير العلنية في مباشرة هذه الحرية ، وقد أطلق على حق العلنية هذا في التشريعات المقارنة (حرية علنية الديانة *Liberté de culte*) وبعد أن نص الدستور الجديد في مادته الثالثة على أن (الإسلام) هو دين الدولة المصرية ، قرر في المادة ٤٣ منه أن (حرية الاعتقاد) مطلقة ، وأن الدولة المصرية تحمى حرية القيام بشعائر الأديان والعقائد طبقا للعادات المرعية في مصر ، مع عدم إخلال ذلك بالنظام العام والآداب العامة .

٩ — ويدخل في الحريات المعنوية كذلك حريتا التعلم والتعليم *d'apprendre* و *d'enseignement* والحرية الأولى تعنى حق كل امرئ أن يتعلم أو ألا يتعلم ، كما تعنى حق الفرد في اختيار أساتذته الذين يفضل تلقى العلم على أيديهم ، بيد أن هذا الحق مقصور على الفرد الذى بلغ من العمر مرحلة يستطيع فيها حسن الاختيار ، لذلك يقتصر هذا الحق على البالغين الرشيد من الأفراد ، وترك للدولة أن تختار للأطفال التعليم الذى يجب عليهم الانخراط فى سلكه ، لهذا قرر مشروع الدستور الجديد فى المادة ٤٨ حرية التعليم ، وقيدتها بحدود القانون والنظام العام والآداب ، ورأى فى المادة ٤٩ منه أن التعليم حق للمصريين جميعا تكفله الدولة بأنشاء مختلف أنواع المدارس والمؤسسات الثقافية والتربوية والتوسع فيها تدريجا ، وأوجب على الدولة المصرية الاهتمام — على وجه الخصوص — بنوا الشباب البدنى والذهنى والخلقى ، كما أوجب عليها فى المادة ٥٠ الإشراف على التعليم العام ، وقضى فى المادة ٥١ بأجبارية التعليم فى مرحلته الأولى .

١٠ - ومن أهم الحريات المعنوية « حرية الرأى Liberté d'opinion » وبمقتضى هذه الحرية يكون للفرد أن يعبر عن أفكاره وآرائه بأية صورة من الصور : كالكتابة والقول والتصوير وما شابه ذلك ، ملتزماً في ذلك الحدود التى يضعها القانون للمدى الذى يجب أن تكون عليه حريته فى هذا الشأن ، ومقدرة القانون فى هذا مقصورة على تحقيق المحافظة على حقوق سواه من الأفراد ، أى على النظر فى ضرورة تمتع الأشخاص الآخرين بالحرية نفسها ، ولذلك نص دستور الشعب الجديد فى المادة ٤٤ منه على كفالة (حرية الرأى والبحث العلمى) ، وقرر أن لكل إنسان حق التعبير عن رأيه ونشره بالقول أو بالكتابة أو بالتصوير أو غير ذلك من الوسائل فى حدود القانون ، كما قرر فى المادة ٤٤ كفالة (حرية الصحافة والطباعة والنشر) وقيدها بصالح الشعب وبحدود القانون .

١١ - وكذلك الأمر بالنسبة لحرية الاجتماع Liberté d'union ، وتعنى هذه الحرية أن للإنسان حريته فى أن يجتمع بسواه من الأفراد، وأن يعرض عليه ما يشاء من آراء، بيد أنه نظراً لخطورة هذه الحرية ، فإن الدول تضع من التشريعات ما يجعلها تتلاءم مع مقتضيات الأمن والنظام العام ، ومع مقتضيات الاعتراف بها لسواه من الأفراد ، لهذا قرر مشروع الدستور فى المادة ٤٦ منه للمصريين حق الاجتماع ، وقيده بأن يكون فى هدوء وبغير حمل للسلاح ، وأعفى الاجتماع من توقيفه على الإخطار السابق ، ومنع البوليس من حضور اجتماعات المصريين ، كما أباح الاجتماعات العامة والمواكب والتجمعات ، وقيدها بأن تكون فى حدود القانون ، وألا تكون أغراضها ووسائلها غير سلمية أو منافية للآداب .

١٢ - ويتصل بحرية الاجتماع حرية الفرد فى تكوين الجمعيات والشركات والنقابات ، وهذه حرية جديدة تنظمها تشريعات الدول الحديثة ، مع تسليحها بحرية الأشخاص فى إنشاء مثل هذه الهيئات ، ليستطيعوا - عن طريقها - التعبير عن آرائهم فى قوة تجعل لهذه الآراء سلطانها وأثرها فى تنظيم المجتمع وأوضاعه . وقد خول الدستور الجديد للمصريين فى المادة ٤٧ (حق تكوين الجمعيات) على الوجه المبين فى القانون ، وقرر فى المادة ٥٥ أن إنشاء النقابات حق مكفول .

الإنشاء وديوان الإنشاء

(١)

لكلمة « صناعة الإنشاء » في عالم الأدب - كما نفهم اليوم - معنى عام ومعنى خاص .
أما معناها العام فمزاولة الكتابة الفنية والتبريز فيها ، وبذلك تشمل كل فنون الكتابة
من مقالات ورسائل وقصص ونحوها ، والمنشئ هنا أديب ناثر ، ويطلق عليه في عصرنا
الحديث لفظ « كاتب » كما يطلق على الإنشاء نفسه لفظ « كتابة » والكتابة أشهر ،
والمراد منها الكتابة الفنية .

ونعني بالكتابة الفنية حسن صوغ التراكيب اللفظية ودقته ، للدلالة على الصور
الذهنية والعاطفية .

أما معناها الخاص ، فمزاولة كتابة الرسائل الديوانية ، في ديوان الإنشاء - كان - .
والمنشئ هنا أحد موظفي الديوان المذكور ممن كان يوكل إليهم تحرير الرسائل الملوكية ،
ومن كانوا يشبهونهم من قبل .

ونعني بكتابة الرسائل اختراع صورها اللفظية للدلالة على المعاني المقصودة منها .

وهذا هو ما نفهمه من كلام القلقشندي حيث قال في صبح الأعشى :

« وأما كتابة الإنشاء فالمراد بها كل ما رجع من صناعة الكتابة إلى تأليف الكلام
وترتيب المعاني من المكاتبات والولايات والمساحات والإطلاقات ومناسير الإقطاعات
والهدن والأمانات والأيمان ، وما في معنى ذلك ، ككتابة الحكم ونحوها » ، وعلى
هذا الاعتبار جرى حديث القلقشندي عن الإنشاء في كتابه المذكور .

ومن المناسب أيضا أن نذكر رأيي في تعريف « الإنشاء » وفي الصلة بينه وبين
الكتابة ، فلعل فيه شيئا من المخالفة ، لما تعرف عليه اليوم .

فبعد أن قال : إن « الكتابة » لا تخرج عن أصلين هما : كتابة الإنشاء ، وكتابة
الأموال ، وما في معناهما ، قال ما نصه :

« إلا أن العرف فيما تقدم من الزمان قد خص لفظ الكتابة بصناعة الإنشاء ،
حتى كانت الكتابة إذا أطلقت لا يراد بها إلا كتابة الإنشاء ، والكاتب إذا أطلق لا يراد

به إلا كتابها . حتى سمي العسكري كتابه : « الصناعتين : الشعر والكتابة » يريد كتابة الإنشاء . وسمى ابن الأثير كتابه : « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر » يريد كتابة الإنشاء ، إذ هما موضوعان لما يتعلق بصناعة الإنشاء من علم البلاغة وغيرها .

ثم غلب في زماننا بالديار المصرية اسم « الكاتب » على كاتب المال ، حتى صار الكاتب إذا أطلق لا يراد به غيره ، وصار لصناعة الإنشاء اسمان : خاص ، يستعمله أهل الديوان ويتلفظون به وهو « كتابة الإنشاء » ، وعام يتلفظ به عامة الناس وهو : « التوقيع » . فأما تسميتها بكتابة « الإنشاء » فتخصيص لها بالإضافة إلى الإنشاء الذي هو أصل موضوعها ، وهو مصدر أنشأ الشيء ، إذا ابتدأه أو اخترعه على غير مثال يحتذيه ، بمعنى أن الكاتب يخترع ما يؤلفه من الكلام ويبتكره من المعاني فيما يكتبه من المكاتبات والولايات وغيرها ، أو أن المكاتبات والولايات ونحوها تنشأ عنه .

وأما تسميتها بالتوقيع ، فأصله من التوقيع على حواشي القصص [١] وظهورها ، كالتوقيع بخط الخليفة أو السلطان أو الوزير أو صاحب الإنشاء أو كتاب الدست ، ومن جرى مجراهم ، بما يعتمد في القضية التي رفعت القصة بسببها . ثم أطلق على كتابة الإنشاء جملة » .

وبعد أن أورد القلقشندي كلاما في معنى التوقيع ووجوه اشتقاقه وما أخذه ، قال : « ووجه إطلاقه على كتابة الإنشاء أنه قد تقدم أن التوقيع في الأصل اسم لما يكتب على القصص ونحوها ، وسيأتي أن ما يكتب من ديوان الإنشاء من المكاتبات كالولايات ونحوها ، إنما يبنى على ما يخرج من الديوان من التوقيعات بخط صاحب ديوان الإنشاء أو كتاب الدست ومن في معناهم . وحينئذ فيكون التوقيع هو الأصل الذي يبنى عليه المنشئ . وقد يكون سمي بأصله الذي نشأ عنه مجازا .

وقد يعبر عنها بصنائه الترسل ، تسمية للشيء بأهم أجزائه ، إذ الترسل والمكاتبات أعظم كتابة الإنشاء وأعمها من حيث أنه لا يستغنى عنها ملك ولا سوقة ، بخلاف الولايات فإنها مختصة بأرباب المناصب العالية دون غيرهم ، وعلى ذلك بنى الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي - رحمه الله - تسمية كتابه : « حسن التوسل إلى صناعة الترسل » .

* * *

ونستنبط من حديث القلقشندي أموراً منها :

- ١ - أن « الكتابة » كانت قديماً ترادف الإنشاء ، وتطلق عليه وحده . والكاتب هو المنشئ . وهذا مماثل لما يعرف اليوم في عالم الأدب ، إذ الكاتب هو الذي يديج المقالة أو القصة ونحوهما ، كما أشرنا .
- ٢ - وأن الكتابة أطلقت في زمن القلقشندي على كتابة الأموال ، و « الكاتب » حينذاك ، هو كاتب الأموال . وهذا مماثل لما يعرف اليوم في دواوين الحكومة ، إذ يطلق على موظفيها لفظ « الكاتب » .
- ٣ - وأن « الإنشاء » بمعنى اختراع الرسائل وتحرير الولايات ، أطلق عليه في زمن القلقشندي : « كتابة الإنشاء » هكذا بالإضافة . ولعل ذلك تمييزاً لها عن كتابة الأموال .
- ٤ - وأن كتابة الإنشاء كانت تطلق على كتابة الرسائل ونحوها ، داخل الديوان . أما الناس فيعرفون كتابة الرسائل ونحوها « بالتوقيع » .
- ٥ - وأن « كتابة الإنشاء » قد يعبر عنها بصناعة « الترسل » ويبدو أن هذا التعبير معروف في جميع عصور الأدب .

* * *

هذا ، ولما كانت وظائف كتابة الرسائل أملاً موموقاً ، وهدفاً مقصوداً ، لما تضيفه من الجاه ، وما تدره من الخير ، شاعت كلمة « الإنشاء » على مزاوله الكتابة في أي فن من فنونها ، تيمناً بإنشاء الرسائل ، وإعلاناً بالتطلع إليها .

هذا ، إلى أن كتاب الديوان - غالباً - كانوا الزهرة الياقة والثمرة الناضجة بين نابتة المنشئين . فكانوا قدوة لهم في مسالك أساليبهم ومناهج تعابيرهم . ومن ثم شاعت كلمة « الإنشاء » على صناعتهم جميعاً ، وعرف غير منشئ الديوان بالمنشئ أيضاً .

وقد كانت الرسائل الديوانية بواكير الكتابة الإنشائية وأسبق ألوانها ظهوراً وازدهاراً في الدولة الإسلامية لمسيس الحاجة إلى اصطناعها .

وقد نبتت نابتها أول الأمر بين يدي النبي عليه الصلاة والسلام ، لما جدت حاجة دعوته إلى مخاطبة أمرائه وأصحاب سراياه من الصحابة رضوان الله عليهم ، وإلى مخاطبة الملوك المجاورين له - فاتخذ لذلك كتاباً ممن تعلموا الخط العربي بلغ عددهم نيفاً وثلاثين

كاتباً، يكتبون وحيه وإملاءه. ومن كتب له عليه الصلاة والسلام: أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ومعاوية بن أبي سفيان . وكان هذان الأخيران ألزَمَهم له . وكانوا يكتبون ما يُمليه عليه الصلاة والسلام عليهم بلا تغيير ، ذلك لأنه كلام النبوة .

وروى أن النبي عليه الصلاة والسلام قال لزيد بن ثابت : « تأتيني كتب لا أحب أن يقرأها أحد ، فهل تستطيع أن تعلم العبرانية » - وقيل السريانية - فقال زيد : « نعم » . فتعلمها في سبع عشرة ليلة . وبهذا ترى أن زيد بن ثابت كان أول كاتب سرفى الدولة الإسلامية . ونهج الخلفاء الراشدون هذا النهج النبوى ، فاتخذوا لأنفسهم كتاباً يملون عليهم مراسلاتهم . وكتب لأبي بكر : عثمان بن عفان . وكتب لعمر : زيد بن ثابت . وكتب لعثمان : مروان بن الحكم . وكتب لعلى : عبد الله بن رافع .

وسار خلفاء بنى أمية على هذه السنة ، فكتب لمعاوية : عبد الله بن أوس الغساني . وهكذا .

غير أن اتساع الدولة فى زمان بنى أمية ، وتعدد أجناس رعاياهم وتنوع مصالحهم ، دعاهم إلى التوسع فى إنشاء الدواوين . فكان فى جملة دواوينهم ديوان الرسائل ، وأطلق لفظ « الكاتب » على متولى كتابتها . وتعددت كتاب الخليفة ، فكان - مثلاً - ممن كتب ليزيد بن عبد الملك : سعيد بن الوليد الأبرش ، ومحمد بن عبد الله بن حارثة الأنصارى ، وقد كتب أيضاً لهشام بن عبد الملك . وكتب له أيضاً مولاه سالم أستاذ عبد الحميد بن يحيى ابن سعيد آخر كتاب بنى أمية . وكان عبد الحميد كاتباً لمروان بن محمد آخر خلفائهم .

وعلى يد عبد الحميد أصبح إنشاء الرسائل الديوانية صناعة مجسدة ذات رسوم وقوانين مرعية . وكان الخلفاء قد شغلهم أمور السياسة عن الإملاء على كتابهم بأنفسهم ، فاستقل الكتاب بأرسال الرسائل ، وأخذت طبقة من طبقات الأدباء تبدو فى الأفق ، تلك هى طبقة الكتاب « المنشئين » . وكان آخرهم - كما أشرنا - عبد الحميد الكاتب الذى يعتبر الأستاذ الأول لكتاب الرسائل ، أطلها فى موضوعات وقصرها فى موضوعات ، ونوع فى بدئها وختمها بما يناسب الغرض منها ، وأطال فى التحميدات ، إلى غير ذلك من خصائص إنشائه ، ومهد أمام الكتاب سبيل بلوغ الوزارة ، بما أبرزه من أهمية صناعته .

ولما أسس العباسيون دولتهم ، وسعوا نطاق دواوينهم ، واقتبسوا نظماً فارسية أنشئوها عليها . وكان من أجلها خطراً : ديوان الرسائل ، ولا يليه إلا كل أديب ممتاز على الكعب في الأدب والسياسة ، واسع الحيلة ذكي مشهور بالعلم والفضل .

وكان خلفاؤهم يوقعون على القصص والولايات ونحوها بأنفسهم ، حتى كانت خلافة هرون الرشيد ، فوكل أمر رسائله إلى وزيره يحيى بن جعفر البرمكي . فكان أول وزير ولي ديوان الرسائل ، بخلت بذلك رتبته ، وصار يحيى يوقع على الولايات والظلمات وإطلاقات الرزق والعطايات وما شابه ذلك ، وصار سنة لمن بعده من الوزراء .

غير أن هذا الوضع لم يتصل دائماً ، بل ربما انفرد رجل بديوان السر وديوان الرسائل تحت إشراف الوزير ، أو وليه الوزير . حتى كانت أواخر العصر ، فانفرد به رجل دون الوزير سمي « صاحب ديوان الرسائل » أو « متوليه » أو « صاحب ديوان المكاتبات » أو « متوليه » . قيل : وكان يسمى « كاتب الإنشاء » .

ولما اشتهر الديوان بديوان الإنشاء - ويبدو أن ذلك كان في أواخر العصر العباسي - قيل لمتوليه : « صاحب ديوان الإنشاء » . وربما جمع لفظ الديوان تعظيماً له ، فقيل : « صاحب دواوين الإنشاء » وقيل : « كاتم السر » .

واشتهر كثير من كتاب الرسائل في عصر بني العباس ، ومنهم : عبد الله بن المقفع ويحيى ابن خالد بن برمك ، وأبو أيوب المرزباني ، والربيع بن يونس ، ويوسف بن القاسم ابن صبيح ، وأحمد بن يوسف . . . الخ .

ونجح كثير من الدول المعاصرة للعباسيين نهجهم في اتخاذ ديوان خاص بالمكاتبات السلطانية كأمية الأندلس وبنو الأحمر ، واشتهر هناك ابن زيدون وابن الخطيب ، وكدول المغرب حيث كانوا يسمون صاحب الديوان : « صاحب القلم الأعلى » . وسمى الديوان في الدولة السلجوقية : « ديوان الطغراء » ما

محمود رزق سليم

أستاذ الأدب المساعد في كلية اللغة العربية

(للكلام بقية)

المرأة المثالية في تقدير الاسلام

« عود على بدء »

في العدد الفائت نشرنا لقراء هذه المجلة فصلا ضافيا عن المرأة ومكانها في المجتمع ، وكيف أنها تختلف كل الاختلاف فيما تحمله من الأعباء عن الرجل ، وفي أى وضع وضعها الله حتى استأهلت ذلك الوضع بطبيعة تكوينها وعقليتها وصلاحياتها لما يسرت له ، فكانت صبيحة جارفة في وجه القائلين بضرورة تحميل المرأة تلك الأعباء التي يحملها الرجل ، وبدهى أن المرأة لم تخلق إلا لتحمل عبء البيت وعبء توجيه أطفالها وترتيب شئونها المنزلية والتفقه الواسع الأفق في تدبير أسرتها وتركيزها على أساس يوائم المجتمع ويسير ركب الحياة العامة ، حتى تخصص علماء تربويون في البحث عن المرأة وما تمارسه من شئون الحياة ، ولأى شيء يسرت له من تلك الشئون .

ولقد بحث الفيلسوف الألماني (شوبنهاور) في رسالته الخاصة بالمرأة ، والفيلسوف العلامة جان چاك رسو ، والفيلسوف الكاتب البليغ شامفور ، ونورد هنا فقرات من آرائهم التي كان لها دوى في الآذان شخذ الأذهان وأطلق الأقلام لعلماء البيان .

قال شوبنهاور الألماني : إن من المقرر في الأذهان أنه كلما كان الشيء متقنا دقيقا كان بطيء النمو يحتاج لزمن طويل ، والرجل لا يبلغ شرف العقل وتتمام الذكاء إلا حوالى الثالثة والعشرين من عمره . أما المرأة فلا ينمو عقلها بعد السنة الثامنة عشرة ، فلا يكون ثمت خلاف في أنها ذات عقل صغير محدود ، وهى فى الحقيقة طفلة فى جميع أطوار حياتها ، لا ترى لقصر نظرها غير ما يقع تحت عينها ولا تهتم بغير الحاضر ، وتحكم على الظاهر وتترك الحقائق ، وتفضل سفاسف الأمور على العظام منها .

وقال (روسو) فى كتابه «جواب إلى والمبرت» : لا تميل النساء لفن من الفنون، وهن معدومات الذكاء ، شديديات الحرص على إخفاء حقيقتن .

وقال شامفور : لم تخلق النساء إلا للمناوشة ضعفنا وجنوننا ، للاستلاب عقولنا وإعدام حسنا ، فأكثر ميلنا اليهن بهيمى ، أما التوافق بين الأرواح والعقول والأخلاق فضعيف جدا .
وقال نابليون كلمة جديرة بالاعتبار : « لا قيمة للنساء » .

هذا عرض يسير لآراء كبار الفلاسفة والتربويين فى أوربا . ونريد هنا أن نعرض لآراء السياسيين من الأمريكان الذين احتلوا الصدارة فى عالم الفكر وفلسفة الاجتماع وقضايا النظريات العامة فى تشكيل المجتمع ، كما احتلوا الصدارة فى السياسة الدولية العامة فى هذه الأيام ، فغير خاف على كل ملم بقضايا المجتمع تلك الآراء التى كان يجهزها روزفلت أكبر زعيم من زعماء أمريكا السابقين : أدلى برأيه فى السياسة وفى الاجتماع وفى القضايا التربوية وفى المرأة وما يجب أن تمارسه فى حياتها وفى قضايا الشعوب ، وكان جريئا فى آرائه عن المرأة ، والمرأة فى عهده يومئذ عالمة وصحفية ومخترعة ومشرفة أحيانا على بعض الولايات الأمريكية وطيارة ومغامرة ونائبة ووزيرة - كان ما مارسته المرأة من أكبر الحوافز على أن ينشر روزفلت رأيه فى المجلة العالمية بأمريكا حيث يقول : « أنا لا أنكر حرية المرأة ، ولكنى أستذكر أن تصل نتائج هذه الحرية إلى قطع أرزاق كثير من المتعلمين فى وظائف البلاد بسبب امتلائها بالنساء ، لا يرضى أن أرى العمال العاطلين فى حاجة ماسة إلى أعمال يعيشون مع عائلاتهم من وراءها ، بينما هذه الأعمال تصيبها المرأة ولا يجدها الرجل لأنها تعرض نفسها بأقل الأجور فى الوقت الذى هى فيه فى غير حاجة إلى مال ، وفى الوقت الذى تكون فيه متزوجة . هذه حال تعرقل الحياة الاقتصادية والنهوض الذى نريده ، إذ يجب على المرأة المتزوجة أن تنهص بالبيت وأن تنظمه وتهيئ للأمة الأمريكية رقيا فى بيتها وأسرتها ، وعلى الفتاة أن تتزوج وتعيش من كدح زوجها لا من كدح ذراعها حتى تقصد البلاد تلك النفقات التى تدفعها للعاطلين حينما يشغلون الأعمال التى يشغلها النساء ويتسنى أن نربح من جهود المرأة فى دائرة البيت أضعاف ما نربحه من جهودها فى الأعمال الأخرى » .

غير أن كاتبنا إنجليزيا هو مستر جامس دوجلانس كان بعيد النظر شديد التفكير فى قضايا المرأة . كتب عن المرأة الأمريكية فى المجلة العالمية بجامعة كمبريدج مامعناه تحت عنوان الرجعية النسائية الأمريكية « هذه رجعية تعود بالحضارة إلى الوراء ، فالاستهتار بحقوق الرجل فى الزوجية وحدوث الطلاق لأوهى الأسباب وتكجيد الرجل بأفدح النفقات والمعاشات

للزوجة وإرهاقه وسجنه من أجل ذلك - كل هذه أشياء فوضوية تجعل المدنية في حكم البربرية ، والمرأة الأمريكية تدير عصابات المجرمين والسفاحين ولا تهرب القانون وتستغل شرائع الطلاق والزواج لمصلحة مزاجها واستعباد زوجها ، وتسير وتعمل وتسهر على كيفها ، وتندفع وراء الشهوات والموبقات ، وتغرى الشبان إغراء مباشرا بارتكاب الجرائم في سبيل حبها ، وتنتشر الرذائل والفساد في كل الأوساط . وهذه فوضى شاذة في كل القوانين يجب تلافيها ، بتعديل مسائل الارتباط والانفصال الزوجي ومراعاة حقوق الرجل بحيث لا تريد عنه المرأة وتستعبده وتهده بالطلاق والنفقات ، وتتخذ الزواج ألعوبة تلهو بها ، وتجعل من الحرية سلما إلى الفوضوية الأخلاقية » .

ولعلنا بهذا العرض الغريب من نوعه قد كشفنا للقارئ عن جانب غير يسير من أقوال فلاسفة الغرب من ألمان وفرنسيين وإنجليز وأمريكان ممن ضربوا في هذه القضايا بأبهم أشد ورأى أسد . ولعلنا أيضا نهتدى بدون عناء إلى الفكرة التي نبتت في عزيمة شيخ نهل من مناهل الحضارة الأوروبية وأخذ شيئا غير يسير من ثقافتهم وحضارتهم ، بجاء إلى الأزهر شيئا ثم لم يمض وقت غير يسير حتى فكر ثم قدر ثم تدبر ، وانتهى به المطاف إلى إخراج مشروع يفتح بابا من التعليم الديني والثقافة الإسلامية للمرأة في الأزهر ، ويأخذ بيدها إلى حضارة مستقاة من معين الحكمة ومصدر الدين ونور اليقين .

أنوار الشرائع كلها تلاقت في شريعة محمد بن عبد الله ، فهدت البشرية إلى أنبل الطرق ، وسلكت بها إلى أشرف الغايات - جاءت الشريعة لتَهْدِي المرأة وتعليمها تعليما منزليا وعائليا ، لأنها هي التي تبني الأسرة ، والأسرة تبني الجماعة ، والجماعة تبني الطائفة ، والطائفة تبني المجتمع ، فلا بد أن يكون الفرد نواة صالحة للشعب ، يقوم على هديه ، ويتخذ من سنته وطرائقه مشكاة لا يضل معها إذا عميت السبل على الحسكاء وشملت الحيرة قلوب أهل الخبرة . ومن أصدق من الله قيلا حين يقول : « أفن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم » . وإذن فشيخ الأزهر وشيخ العلماء وشيخ المسلمين في العالمين العربي والإسلامي كان على صواب حين دعا إلى تهذيب المرأة واحتضان الأزهر لها في كنفه ، وقيامه على تهذيبها وتربيتها تربية دينية غير وجودية وغير وثنية ، فما أعظم الفرق بين شيخ يدعو إلى الهدى والرشاد لتقويم المرأة من جميع مناحيها ، وبين قوم في الجامعات يدعون إلى التهلك والتحلل من الفضائل ، ويكجبون في كل يوم عن معتقداتهم وآرائهم في المرأة بين أعمدة الصحافة العربية في مصر وغير مصر . عباس طه

يوم في « هارفارد »

دعنتى جامعة « هارفارد » بأمرىكا إلى الاشتراك فى « حلقة الدراسات الدولية للعلوم الإنسانية ». وهى حلقة بحث نظمتهام تلك الجامعة فى شهرى يوليو وأغسطس سنة ١٩٥٥ ، واشترك فيها خمسة وأربعون عضوا يمثلون نحو عشرين قطرا من الأقطار الأوربية والآسيوية .

وقد رحبت بالدعوة لأنى وجدت فيها فرصة يمكن الانتفاع بها أثناء العطلة الدراسية ، ورجوت فى هذه الرحلة القصيرة أن أعطى ممثلى رأى العالمى صورة صحيحة عن مصادر الفكر الإسلامى الحديث ، ودعائم النهضة المصرية الحاضرة ، وأن أقف فى الوقت نفسه على المسارب التحتانية المتشعبة للحياة الأمريكية المعاصرة .

* * *

وصلنا نيويورك صباح اليوم الخامس من شهر يوليو الماضى ، ولم نستطع مغادرة الباهرة إلا بعد أن اجتزنا على ظهرها امتحانا دقيقا عسيرا استمر ساعات فى جورطب حار لا يطاق . وقد كان علينا أن نجيب فى هذا الامتحان إجابات « تحريرية » وأخرى « شفوية » عن أسئلة متنوعة كثيرة ، تتصل فى جملتها بأخص أمورنا الشخصية ، وتتناول مواردنا المادية وأحوالنا الصحية ، إلى جانب معتقداتنا الدينية وميولنا السياسية . وكان لا بد لإجاباتنا من أن تكون سريعة واضحة مدعمة بالوثائق والمستندات والأرقام . . .

ولست أبالغ حين أقول إننا قد أدينا امتحانا شاقا ، قبل نزولنا إلى ميناء نيويورك ، فالحقيقة أن هذا التحقيق على ظهر الباهرة لم يكن مراجعة لأوراقنا وجوازات سفرنا ، بل كان بمثابة امتحان « الدور الثانى » الذى يعقد عندنا للراشدين فى المعاهد والجامعات ، وقد تبين لى حينئذ أننى رسبت فى امتحان « الدور الأول » الذى عقد لى فى القنصلية الأمريكية بالقاهرة ، والذى لم يقنعوا فيه بتوقيعى على أوراق الإجابة ، ولا بتقديمى عددا من صورى الفتوغرافية ، بل رأوا ضرورة الاحتفاظ عندهم بصور من بصمات أصابعى ! .

والانصاف يقتضيني هنا أن أقرر أنني لم أكن العضو الوحيد الذي رسب في دور يونيه ، فقد تبينت أن هذا الرسوب قد شمل غالبية الأعضاء الذين يمثلون عشرين دولة ، فلم ينج من « الدور الثاني » إلا أقلية من المحظوظين ، أعني ممثلي إنجلترا وتركيا والباكستان وإسرائيل .

لكن مهما يكن الباعث على هذا التحقيق الدقيق ، فقد خيل إلى بعد نجاحي في الدورين ، أن الأمريكيين ينظرون إلى « غير الأمريكي » نظرتهم إلى مخلوق شاذ ، وإذن فينبغي عليه : إذا أراد أن يعتبر إنسانا ، أن يثبت أولا أنه « نسخة » من الأمريكيين ، يحيا حياتهم ، ويفكر على غرارهم .

* * *

وبلغنا « هارفارد » في المساء ، وأوينا إلى مضاجعنا بعد العشاء ، فقد كنا فيما يبدو متعبين مكوددين ، ولكن كان لا بد - قبل أن ننام - من أن نطلع على التعليمات العديدة ، وأن نملا الاستمارات الكثيرة المتعلقة بنظام إقامتنا في مساكن الجامعة .

وفي الصباح ذهبنا إلى مقر إدارة الحلقة ، وبعد أن أثبتنا أسمائنا وقدمنا استماراتنا ، وقرأنا التعليمات الجديدة ، أخبرونا بأنهم قد رتبوا لنا زيارة الجامعة في صحة دليل من خريجها الشبان ، ليحدثنا عن تاريخها وآثارها .

وقد كنا نعلم قبل زيارة « هارفارد » أنها أقدم الجامعات الأمريكية ، وأنها أنشئت منذ نحو ثلاثة قرون ، ولكننا لم نكن نعلم أن بعض خريجها يتحدثون عنها وينظرون إليها وكأنها أقدم جامعات الدنيا . فقد لاحظنا في حديث دليلنا الشاب عن الجامعة الأمريكية العتيقة نعمة افتخار واضحة رنانة ، ولعل هذه النعمة كانت جديدة على أذني ، بعد أن عشت السنين الطوال في أقدم الجامعات الأوروبية . فأخذت أسرح الفكر في مصر وفي تاريخها الثقافي العريق ، وجعلت أسأله نفسي وأنا أستمع إلى الدليل الأمريكي :

« ترى لو أتيح للغربيين أن يكون لهم من معاهد العلم والتعليم مثل (جامعتنا الأزهرية) فما عساهم كانوا يصنعون ، وما عساهم كانوا يقولون » ؟ .

وأمر آخر استرعى انتباهي ، فجعلني أفسكر في مصاير بعض البلاد إذا ألفت مقاليد الرأي والتوجيه فيها إلى طوائف من الناس ، يستخفون بالقيم الأخلاقية ، ولا يراعون في

علاقاتهم مع الناس ذمة ولا عهدا ، ويدأبون على هدم الأركان الثابتة التي يقوم عليها المجتمع الانساني الفاضل ، فقد لاحظت من ملاحم الدليل ولهجة كلامه ما جعلني أشك في أنه أمريكي « أصيل » حتى على المعنى النسبي للفظ « الأصالة » ، وسألت عن اسم الشاب ، فأنبئت بما أكد ظني ، فهو من يهود أوروبا ، هاجر إلى أمريكا ، عندما استفحلت الحركة النازية في ألمانيا . .

ولعاني ، وأنا مسترسل في هذه الخواطر عن تصوير الأمريكيين للتاريخ المصري الحافل ، وعن أثر اليهود في تكوين تلك الصورة الشوهاء ، وفرضها على الرأي العام هناك ، لعني كنت أبدو وعلى وجهي علامات القلق والتفكير والاهتمام . ولعل الدليل اذ رآني على تلك الصورة ظنني مأخوذاً مبهوراً مما أسمع ومما أرى ، فاقترب مني قليلاً ، وسألني همساً : « أهذه زيارتك الأولى للولايات المتحدة ؟ فقلت : « نعم » قال : « ومن أي البلاد جئت ؟ » قلت : « من مصر » .

فسكت الدليل لحظة ، وكأنه يستعيد ما قد حفظه في الجامعة أو ما لقنه من منشورات الدعاية الإسرائيلية عن التاريخ المصري القديم ، ثم رفع صوته قليلاً ، موجها حديثه إلى : « وقال على مسمع من الحاضرين : « اننا - معشر الأمريكيين - لانتطيع بالبيع أن نجاري بلادكم في آثارها التي ترجع إلى آلاف السنين ؛ والتي سخر الشعب في بنائها مجيذاً للملوك والحكام والفاثحين ، ولكني أرى أن جامعة كهذه - أنشئت منذ نحو ثلاثمائة سنة خدمة للشعب وتثقيفاً له - أعظم قيمة من أبي الهول والأهرام بل من وادي الملوك كله ؟ أنا أرى أن قدم هذه الجامعة يجعل أمريكا أعرق في الديمقراطية والحرية من بلادكم . ألقى دليلاً هذا الكلام ؛ وسارع إلى استئناف حديثه عن « هارفارد » كأنه ظن أنني سألتني أحكامه قضية مسلمة لا تقبل مناقشة أو معارضة ، فضبطت عواطفني ؛ وأستأذنت الحاضرين في مقاطعته وقلت له : اسمع يا مستر ؛ إن كلامك الخاطف عن تاريخ مصر وعن معنى الحرية والديمقراطية هو عندي أقرب الأشياء إلى الخطب الذرية أو التصريحات الهيدروجينية التي تلقى في حملات الدعاية الانتخابية ، التي تنفق فيها الدولارات الأمريكية ، تأييداً لأغراض العصابات الصهيونية ! .

فلما ضحك الحاضرون ، استأنفت كلامي قائلاً :

لا أحب أن أبدأ في مناقشتك إلى سلاحكم الحديد هذا . ولا يحل بي أن أحاسبك الآن كيلاً أصرفك عن مهمتك المحدودة ، وهي التحدث عن هارفارد لا عن مصر .

ولكنى أود أن تعلم - أنت وأعضاء هذه الحلقة - أن مصر الحديثة النائرة تشيد كل يوم ما هو أعظم من الأهرام ومن أبي الهول . هل سمعت عن مديرية مصرية برزت الى الوجود في قلب الصحراء ، وكانت في طي العدم منذ ثلاث سنين ؟ . وهل سمعت عن تجميل القاهرة وإصلاح القرى والثغور المصرية ؟ . وهل عرفت أن سبعين مليوناً من الجنهات قد أخذت من ثروة فاروق وأسرته لتنفق في مشروعات وأعمال يعود خيرها على الشعب كله ؟ . وإذا كان الهرم الأكبر معروفاً باسم خوفو ، فالمديرية الجديدة تعرف باسم مديرية التحرير ، والتحرير عندنا ليس كلمة رخيصة خداعة تدور على كل لسان ، بل معناه خدمة الشعب وتخليصه من طغيان الملوكة وعدوان الطامعين . إن مصر النائرة لا تعيش على ما ضيها المحيد ، بل ترنو وتعمل لمستقبل أزهر وأمجـد .

وتوقفت عن الكلام لحظة ، إذ سمعته يقول همساً : هذا مجرد كلام عام !!
فأجبت على الفور : « لا يامستر . . ليس هذا كلاماً مجرداً بل وقائع حية ناطقة .
والآن هل تسمح بأن أوجه إليك سؤالاً أو سؤالين محددين متصلين بمعرفتك بوقائع التاريخ .
هل تعلم أن الأسكندرية مدينة مصرية . . وأنها كانت تسمى « مدينة النور » في العصر القديم ؟ وأن جامعتها كانت أزهر الجامعات قبل ميلاد المسيح بعدة قرون ؟ وهل تعلم أنه لا يزال عندنا في القاهرة جامعة يزيد عمرها الآن على ألف سنة ؟ وهل تعلم أخيراً أن الفكر الإسلامي قد حمل الى الإنسانية رسالة الحرية والديمقراطية قبل اكتشاف القارة الأمريكية بمئات السنين ؟

ثم توقفت قليلاً ونظرت إليه متصفحاً أسارير وجهه المنقبضة المكفهرة ، فتصنع الابتسام ، ثم ضحك ضحكة هستيرية ليوهم الحاضرين أنني أسأله مازحاً . فلما ذكرت له أنني جاد في كلامي ، قال : -

لترك التاريخ القديم . . ولكن هل تستطيع أن تذكر لي اسم تلك الجامعة المصرية التي تقول إن عمرها ألف سنة ؟

فقلت له : - نعم أستطيع أن أذكر اسمها باعتزاز وفخر ، إنها (الجامعة الأزهرية) وإذا شئت أن تتحقق من صحة كلامي ، فإليك إلا أن تراجع تاريخ الأزهر « في الموسوعة الإسلامية التي يحررها علماء غربيون متخصصون أكثرهم من اليهود والمسيحيين » .

عندئذ نظر الدليل إلى ساعته وقال :

أظن أنه قد حان وقت الغداء . . .

فهم الأعضاء بالانصراف ، وهممت معهم ، ولكنى حرصت على أن ألقى في أذن الدليل كلمة قبل مفارقتها ، فقلت له :

إننى أشكرك شكرا جزيلا يا مستر . . . لأنك فى الحقيقة قد هديتني من حيث لا تريد إلى موضوعات المحاضرات التى يجب أن ألقيا على جمهور الأمريكين فى هارفارد ، إن كان فيها أمريكيون .

فما كدت أقول هذا حتى وجدت الشاب يتودد إلىّ ، ويتشبث بى ويلح علىّ فى أن أقبل دعوته الى قضاء ساعة معه فى المقهى المواجه للجامعة ، ليعرفنى بصفوة المفكرين والعلماء فى هارفارد ! !

ولما كنت طالعة بطبعى ، فقد لبّيت دعوته ، وذهبت فى الموعد إلى المقهى . . . وهناك قدمنى إلى عدد من الشبان والكهول ، رحبوا بى ترحيبا مبالغاه ، ووجدتهم متلهفين على معرفة الموضوعات التى سأتحدث عنها فى محاضراتى القادمة . . . فأجبتهم بأننى سأتحدث عن مصر وعن الإسلام . . . ولكنى لما كنت أكره السياسة ، فلن أتحدث إلا من ناحية الفلسفة والعلم . . .

ودارت بيننا بعد القهوة المثالجة مناقشة - أردت أن تكون هادئة - حول العرب وإسرائيل ، ومقاصد اليهودية العالمية ، فقلت لهم فى آخرها : -

يظهر أنكم بعد أن دأبتم بأساليبكم على تضليل الرأى العالمى قد وجدتم فى أمريكا أرضا صالحة وفرصا سانحة ، لتنفيذ السياسة التى رسمها لكم حكام صهيون !!!

فبهتوا جميعا . وسأل واحد منهم متجاهلا أو متظاهرا بأنه لم يفهم : من هم حكام صهيون ؟ وما هى هذه السياسة التى رسموها ؟

فقلت : إنك رجل جامعى ، فهل ترضى أن تلقن قضايا تعيدها دون أن تفهمها ، ودون أن ترجع إلى أصولها ؟ أما قرأت أو سمعت عن كتاب « بروتوكولات حكماء صهيون » ؟ قال : لم أسمع بشيء من ذلك .

قلت : « إنني قرأت هذا الكتاب الذي لا يوجد طبعا في المكتبات العامة لأن اليهود قد تخطفوه من الأسواق ، وأعدموا نسخه المطبوعة . قال : فكيف وصلت إليه إذن ؟ قلت : قرأته بالفرنسية مطبوعا على الآلة الكاتبة «إبان حرب فلسطين» ثم قرأت ترجمة عربية له نشرها أحد أدباء العرب سنة ١٩٥١ .

ماكدت أنتهى من كلامى حتى سارع الجميع متلهفين على رؤية هذه الترجمة العربية ، ومع أنى كنت فى الحقيقة قد حملت هذه الترجمة معى إلى أمريكا إلا اننى خفت أن يحتلوها منى فقلت لهم إننى تركتها فى مصر ، وسأل أحدهم عن المترجم العربى فادعيت أنى نسيت اسمه مع أنى كنت أعلم أنه الأستاذ محمد خليفة التونسى .

وسأل آخر عن مضمون الكتاب فقلت : « يحضرنى منه أشياء : استوقف نظرى مثلا ما جاء فى البروتوكول الأول من قول حكاء صهيون : «لقد أقننا على اطلال الارستقراطية الطبيعية والوراثية ارستقراطية من عندنا على أساس بلوقراطى (أى على أساس حكومة الأقلية الغنية التى تملك معظم الثروة) ، ولقد أقننا الارستقراطية الجديدة على الثروة التى تنسلط عليها ، وعلى العلم الذى يروجه علماءنا ، وقد عاد النصر أيسر فى الواقع ، فأنا فى صلاتنا بالناس كنا دائما نستثير مرضى ضحايانا ، من أجل المنافع ، ونحرك شرهم ونهمهم وحاجاتهم المادية . وكل واحد من هذه الأمراض يستطيع وحده أن يحطم قادة الشعب وزعماءه ، وظاهر من هذا أن حكاء اليهود يوصون قومهم بأن يسددوا ضرباتهم إلى القادة الذين هم فى الطليعة . فأذا حطموهم تحطمت الأمم والطوائف التى تتبعهم فى غير عناء . . .

ثم توقفت وساد الصمت لحظات . ولكن واحدا منهم قطعه بقوله : « ليس المسامون هم المقصودين بهذا ، بل المسيحيون !! » .

فقلت له : « ولكنى أذكر أيضا قول حكاء صهيون فى البروتوكول الخامس فقد جاء فيه « لضمان رأى العام ، يجب أولا أن نحيره كل الحيرة بتعبيرات من كل النواحي لكل أساليب الآراء المتناقضة ، حتى يضيع الأمميون (أى غير اليهود) فى متاههم ، وعندئذ سيفهمون أن خير مايسلكون من طرق هو ألا يكون لهم رأى فى المسائل السياسية ، هذه المسائل لا يقصد منها أن يدرکها الشعب ، بل يجب أن تظل من مسائل القادة الموجهين فحسب . . .

عندئذ التفت أحدهم إلى زملائه وقال : « لابد أن يكون هذا الأستاذ المصرى مبعوثا سياسيا من قبل حكومته ، ولابد أن محاضراته ستكون سياسية ، وإن كان يتظاهر بأنه يكره السياسة . . . »

فقلت له : « صدقنى - يامستر - أننى دعيت إلى حلقة هارفارد بصفة شخصية . ولم أكن مبعوثا من حكومتنا ولا من جامعتنا - وكل ما فى الأمر أننى باعتبارى أستاذا جامعيا لا أحب أن أحاضر فى موضوع إلا إذا كنت درستة دراسة وافية » . قال : « وهل درست الصهيونية ؟ » قلت : « لا ولكنى إنما ناقشتكم فيها لأتعلم منكم » .

ما ذكرته حتى الآن ليس إلا جزءا يسيرا من مشاهداتى فى يوم واحد هو أول يوم قضيته فى هارفارد . ولا يتسع المقام لذكر شئ عن مشاهداتى فى الأيام التالية ، ولا عن الموضوعات التى درسناها فى الحلقة . وجملة ما أقول أننى وجدتني مضطرا هناك إلى استمرار القيام بوظيفة المعلم والأستاذ ، بعد أن خيل إلى أنى تركتها ورأى حين ركب الطائرة ، ووجدتني منذ اليوم الأول مضطرا إلى العكوف على إعداد محاضرات أربع ألفيتها خلال أربعة أسابيع : الأولى عن « لمحة إلى محمد الإسكندرية » والثانية عن « أنوار من الجامعة الأزهرية » والثالثة عن « رسالة الفكر الإسلامى » والرابعة عن « مصر النائرة الواعية » .

وقد حرصت فى محاضراتى وأحاديثى على أن أتجنب المجادلة بقدر ما فى الإمكان ، وأن أرسم للجمهور صورة إيجابية ، متوخيا تصحيح الأخطاء وتقويم الاعوجاج . وخيل إلى أنى كنت أعطيهم دائما دون أن آخذ عنهم شيئا ، أستغفر الله ؛ لقد أخذت عنهم درسا هاما جدا لن أنساه أبدا ، وهو أن واجبنا فى هذا العالم الباغى هو أن نمضى فى طريقنا دون أن نبالى ، وأن نعمل ، وأن نعمل ، وأن نعمل ، والله معنا ما

المكتور عثمان أمين

أستاذ الفلسفة بجامعة القاهرة

الإمام محمد عبده والأزهر

رحم الله الإمام وطيب ثراه؛ لقد جاهد طويلاً من أجل الأزهر الشريف، وإن عاش في صراع عنيف مع طائفة من أبنائه، الذين خالفوه في وجهته، أو تخلفوا عن هضم آرائه؛ والأزهر هو تلك الجامعة الإسلامية الكبرى التي صاحبت الأحداث وطاولت الزمان؛ واتسمت بالذود عن الإسلام، والعناية بلغة القرآن، والغيرة على تراث العربية؛ وأبناؤها طائفة من الناس يحاولون النهوض بتبعات هذه الرسالة، وليسوا بمكان العصمة، بل يجري عليهم ما يجري على البشر من السعد والبؤس، والصواب والخطأ، والإقبال والإدبار.

والله جل جلاله يبعث لهذا الأزهر بين الفترة والفترة من ينفخ فيه من روحه، ويبعث فيه من عزمه، فيرد عليه جلة شبابه ورونق إهابه، ويدفع به إلى الأمام فيعوض ما فاتته خلال جمعة غلبته أو تعويق ألم به، وكان الإمام محمد عبده أحد أولئك المجددين الأعلام . . .

* * *

ولقد دخل محمد عبده ميدان التجديد والإصلاح، والأزهر منكش على نفسه، منطو على ذاته، لا يجد أمامه الطريق الممهد، ولا يقتدر على إنشاء الطريق المجدد، ومع كثرة الناقدين لهذه العزلة حينئذ قد يوجد من يلتمس لها فائدة، وهي حفظ التراث الإسلامي والعربي من طوفان العوامل المقووضة الدخيلة؛ فقد كان هناك الاحتلال ببلاياه، وكانت هناك النزعات الأجنبية بخبائثها، وكان هناك الولايات الحسية والنفسية التي تصب صبا على العرب والمسلمين؛ فكان الأزهر حينئذ كصاحب رأس المال العزيز عليه، الذي لا يجد أمامه السوق الرائجة الصالحة لاستثمار هذا المال، فهو يخزنه ويحرسه، وإن تجدد وركد إلى حين، حتى يتهيأ له المجال، فيبدأ في الحركة والانطلاق.

وحاول الإمام إصلاح الأزهر في وقت اصطلحت فيه على الأزهر مخ شتى، وكثير منها لم يكن له فيها حيلة، ولا يجد لدفعها وسيلة، فالفقر المدقع، وإعراض المجتمع المطبق، وسوء الاستغلال المجرم، وكيد الاحتلال الأثيم، وانعدام التوجيه الصحيح،

وفتور العزائم وضيق الآفاق ، كل هذه محن تلاقت وتجمعت ، فكانت أعداء خبيثاء للأزهر والأزهريين ، ولمريد الخير للأزهر والأزهريين . . .

ومع ذلك أقدم الإمام على الإصلاح ، متدرعا بثقة المصلح و يقين المؤمن ، فاكسب الكثير من الناقمين ، وكسب القليل من المؤيدين ؛ وليس بصحيح أن أبناء الأزهر كلهم كانوا حربا عليه ، وإلا لضاءعت صيحاته سدى ؛ وإذا كان موقف رجل كالشيخ عlish مع الإمام عنيفا ، فقد كان موقف رجل كالشيخ العباسي منصفاً ولطيفاً ؛ والدروس التي تعجل الإمام بالقائها في الأزهر عن علوم جديدة على بيئته ، وبأسلوب غريب على طريقته ، وبجراحة مفاجئة للألوف من محافظته ، هذه الدروس إن صد عنها كثيرون فقد أقبل عليها كثيرون ، وكثير من الصادّين زالت هزة الخيرة أو نزعة المعارضة ، فرجعوا إلى الشيخ يستمعون ، ومن مناهله يغتفون ، وكانوا هم الطلائع للبعث في الأزهر الحديث .

* * *

وكان الإمام عليه الرحمت يرى أن النهوض بالأزهر هو أعظم خدمة للإسلام ، لأن إصلاحه إصلاح لجميع المسلمين ، وكان يقرر أن هذا الإصلاح الأزهرى يحتاج إلى زمن طويل ومراحل متعددة ، وأنه إنما قبل العمل في وظائف الحكومة لتتيسر أمامه الأسباب الموصلة إلى تحقيق إصلاحه ، كما كان يقرر أنه إذا تم إصلاح الأزهر الذى ينشده قبل وفاته ، فإنه يموت قريح العين ، ويرى نفسه سعيدا ، بل يرى نفسه ملكا . . .

وقد حصر الإمام إصلاحه الدينى فى مجالات ثلاثة هى : الأزهر ، ومساجد الأوقاف ، والمحاكم الشرعية ، وإن شئت فقل إنه حصره فى الأزهر ، لأنه الذى يتخرج منه رجال المساجد فى الأوقاف ورجال القضاء فى المحاكم الشرعية ، وكان يرى أن إصلاح الأزهر يؤدى إلى إصلاح التربية والتعليم ، وأن إصلاح الأوقاف والمساجد يؤدى إلى إصلاح الوعظ والارشاد ، وأن إصلاح المحاكم الشرعية يؤدى إلى إصلاح البيوت والعائلات ؛ وكان يؤمن بأن إصلاح هذه المجالات يؤدى إلى إصلاح الأمة كلها .

* * *

وقد بذل الشيخ - رضوان الله عليه - ما بذل من جهود فى «مجلس إدارة الأزهر» ليرد على الأزهريين كرامتهم ، وليؤمن لهم مقومات حياتهم ، بخاهر فى وجه الحاكمين قبل

المحكومين بأن إصلاح الأزهر لابد من أن يكون أولاً برضا شيوخه واقتناعهم وبأيديهم ، وكان يسعى من وراء ذلك إلى هدفين كريمين : الأول هو الإبقاء على عزة الأزهر والاحتفاظ بكرامة أبنائه ، لأنهم حملة الدين ودعاة الملة ، والثاني هو ضمان الوصول بهذا الإصلاح إلى غايته ، إذ لو سيق مساق الإرغام والاكره لنبتت له المكاييد والعوائق عن يمين وشمال .

ثم جاهر الإمام بأن عماد الارتكاز في هذا الإصلاح هو النهوض بالمستوى المادى لأبناء الأزهر ، وبينما كانت ميزانية الأزهر منذ قرابة سبعين عاماً تعد بالملئات من الجنيحات استطاع الإمام أن يتترع فوقها من الدولة ألفين من الجنيحات ، وبإله من رقم هائل خطير في الدولة يوم ذاك وفي ميزانية الأزهر المتواضعة جداً بوجه خاص .



وعلى الرغم من أن الإمام قد اتصل بأوساط غير أزهريّة ، وطعم من ثقافات غير أزهريّة ، واختلط بأوساط غير أزهريّة ، وتعلم بعض اللغات الأجنبية ، ورحل هنا وهناك ، واشتغل بالسياسة والوظائف الحكومية ، فقد ظلت الروح الأصلية غالبية عليه ، وظل هو وفيًا لهذا الصبغ الأزهرى المتميز ، وقد يدل على شيء من ذلك ما حدث وهو مدير للأبوعات ، فقد تجلّت فيه الدقة اللغوية ، حتى أنه أنذر صاحب جريدة مشهورة باغلاقها إذا لم يتجنب ما يقع فيها من أخطاء لغوية ونحوية ، وإذا لم يعين لها محرراً صحيح اللغة قويم التعبير ، وسارع صاحب الجريدة بالامتثال خوفاً من الإغلاق .

وهناك موقف آخر قد يكون أدخل في باب الدلالة على هذه النزعة الأزهريّة الوفية لبيئتها المعتزة بعرفها وتقاليدها : فقد حدث وهو يشتغل في الحكومة أن حرضه بعض السكّار على ترك عمامته إلى الطربوش بـ فأبى وتمنع ، فاستعانوا عليه برياض باشا ، وأوهموه أن الشيخ يريد أن يترك العمامة فعلاً ، ولكنه يحتاج إلى من يشجعه أو يطلب ذلك منه ، فحدث رياض باشا الشيخ في ذلك فعاود إباءه ، ولمّا ألح عليه رياض قال الإمام : إن كان لابد من ذلك فأنى سأخلع عمامتى أثناء أداء وظيفتى . ثم أعود إليها بعد ذلك . فقال له رياض : « كلا ، إننى لا أرضى لك الطربوش ، لأننى أحب أن يعلم الناس أنه يوجد تحت العائم من العقول والأفهام مثل ما يوجد تحت الطرابيش وغيرها » . . ! .

ومن هنا حق لكاتب سيرة الإمام - وهو السيد رشيد رضا - أن يقول : « يا لها من عمامة شرفت برأس صاحبها ، حتى حسدتها الطرايش ، وهابتها التيجان ، وعظمتها البرانيط » ! ! . . .

ويبلغ الإمام قمة الغيرة على رسالة الأزهر حينما يجاهر منذ عشرات من السنين بأن تسخير رجل الدين في الحزبية والسياسة وأهواء الحاكمين يضر الضرر البالغ بالإسلام والمسلمين ، وكان يطالب للعلماء بأن لا يكون لأحد ساطة عليهم أو تأثير فيهم ، حتى ولو كان انخدوى نفسه ، لئلا يغريهم بوعده أو يثنيهم بوعيد ؛ وهذه حصانة إذا تحققت لرجل الدين الصحيح جعلته قادرا على الجهر بكلمة الحق بلا خشية من بغى أو رهبة من طغيان .

* * *

أما بعد- فقد آتت ثورة محمد عبده في الأزهر أكلها ، وحقت الدفعة التي أرادها ، فصارت في الأزهر علوم حديثة ، ولغات أجنبية ، وصلات اجتماعية ، وبعثات علمية وتعليمية ، ولكن الإصلاح والتجديد كالموكب الدائب المسير ، والأزهر دائما بحاجة إلى « محمد عبده » جديد ، ليدفع به دفعة جديدة تؤتي ثمراتها من جديد ما

أحمد الشرباصي

المدرس بالأزهر الشريف

الشيخ محمد عبده في عين شمس

ذهب الشاعر العظيم الشيخ عبد المحسن الكاظمي إلى عين شمس في حياة الشيخ محمد عبده ليزوره - وكان منزل الأستاذ الإمام فيها - فلم يجده ، فترك له بطاقة كتب فيها :

قيل بدر الهدى إذا غابت الشمس علينا يعود في عين شمس
فترحلت عن حماك وخلفت - لتلقاك فيه - مهجة نفسى

الآله والوجوديون

- ٢ -

بيننا لك - أيها القارئ - في مقالنا السابق أن مؤسس هذا المذهب - إن صح أن مقالته يسمى مذهبا - كان يخلط في كلامه، ويهذى هذيان المشدوه، ويأتى بأقوال لا تثبت أمام النظرة الفاحصة ، ولا تقوى أدنى قوة على الوقوف تجاه التفكير السديد والعقل الرشيد ، وإنما هي عبارات مفسكة الأوصال واضحة الخبال ، ليس فيها من فكرة سديدة ، ولا نظرية حكيمة ، بل هي أخلاط مبعثرة جمعها في عبارات متنافرة متناقضة ، ورمى بها في أوجه الناس ليتلقفها منه من لعب بلبه الشيطان وأغراه الهوى وأضله الله .

فتلقفها منه ودعا إليها من بعده جان بول سارتر الباريسي ، وعاش يعمل لترويجها وحمل الناس عليها ، ولكنه كرئيسه يهذى هذيان المجنون ، ويفكر بأفكار المعتوهين . استمع إليه يقول : « الوجودى يرفض فكرة وجود الله كما يرفض فكرة البعث ، والوجودى يطرح كل ما حوله من قيم ومعتقدات وآراء وحضارة ولا يرى غيره في الميدان » .

الوجودى يرفض وجود الله ، لأنه لا يعترف بشيء وراء المادة ، ولا يؤمن به ، وإنما وقف به تفكيره عند حدود المادة لا يريم عنها ولا يفكر في شيء سواها . وما أدري ماذا يقول هذا الأبله في نفسه التى بين جنبيه ، وروحه التى بها يحيا ويعيش ، وعقله الذى به يفهم ويفكر ؟ أكل هذا من المادة ، أو هو شيء وراءها عزفته آثاره ودلت عليه دلائله وأماراته ؟ فإن قال إنها جميعها من المادة كذبه الحس والعقل معا ، وإن قال إنها شيء وراء المادة قلنا له : وماذا يمنع أن يكون الله سبحانه كذلك وراء المادة مثل العقل والروح والنفس ؟ .

والوجودى يرفض فكرة البعث ، وهو الرجوع إلى حياة أخرى غير هذه الحياة . ومعنى هذا أن المحسن في هذه الحياة يمر ولا يلقى جزاء إحسانه ، كما أن المسيء طول أيامه يمتضى ولا يلقى جزاء إساءته من ظلمه للناس وابتزاز حقوقهم ، وهو مالا يقول به عاقل . « إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى » . الحق أن هؤلاء الوجوديين لا يعقلون ، إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا .

استمع إليه يقول بعد ذلك : « والوجودى يطرح كل ما حوله من قيم ومعتقدات وآراء وحضارة ، ولا يرى غيره فى الميدان » وإذا طرح الوجودى ما حوله من قيم ومعتقدات انخ ، فماذا يبقى له ليكون إنسانا كامل الإنسانية ، أو عاقلا بين العقلاء ؟ وإذا كانت كل القيم والآراء عنده هباء ، وليس يرى غيره فى الميدان ، فماذا له من أثر يدل عليه ، أو عمل صالح يؤتسى به فيه ؟ ليس له إلا الإباحية المطلقة والتحلال من كل خلق عظيم ، وأدب كريم : صفة البهائم والعجائوات ، ألم تره يطرح كل فضيلة ويتمسك بكل رذيلة ، ويرفض فكرة وجود الله كما يرفض فكرة البعث ، ودلائل وجوده واضحة البيان . « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت » .

يقول الدكتور ا . ح . كروين فى مقال له نشر فى مجلة المختار عدد يناير سنة ١٩٥٦ بعنوان (لهذا آمنت) بعد أن ذكر حوادث وقعت تحت حسه جعلته يؤمن بالله - يقول : ونحن لا نستطيع أن نبرهن على وجود الله كما نبرهن على المعادلات الرياضية ، ولكن إذا تأملنا الكون وأسراره وعجائبه ، ونظامه ودقته ، وضخامته وروعته ، فلا بد أن نفكر فى إله خالق . من ذا الذى يتطلع إلى السماء فى ليلة صيف صافية ويرى النجوم اللانهائية وهى تتألق بعيدا ، ثم لا يؤمن بأن هذا الكون لا يمكن أن يكون وليد الصدفة العمياء ؟

وعالمنا هذا وهو يدور فى الفضاء فى حركة دقيقة منظمة ، وفى فصول متتابعة . هذا العالم لا يمكن أن يكون مجرد كرة من المادة خالية من الدلالة ، قد نزع من الشمس فألقيت فى الفضاء بلا معنى ولا سبب . ا . ه .

وقد نقل إلينا أن علجا من الأعلاج قصد إلى خليفة المسلمين فى بغداد يطلب منه أن يحاج الإمام الأعظم أبا حنيفة رضى الله تعالى عنه - وقد كان عالم زمانه - فى وجود الله سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا . فأرسل الخليفة إلى الإمام رضى الله عنه وكان فى الناحية الأخرى من النهر ، فأبطأ أبو حنيفة طويلا ثم أبطأ وأبطأ ، فلما وصل إلى الخليفة سأله عن سبب إبطائه فقال - رضى الله عنه - والعلاج يسمع : (وكأنه كان يفهم اللغة العربية أو أن أبا حنيفة كان يعرف لغته) إننى يا أبا حنيفة رضى الله عنه ركب ذات الألواح والدرى لأعبر بها النهر ، فلما توسطت بها النهر إذا دسرها تنترع وألواحها تنفرق ، فتعلقت بلوح منها وحررت فى أمرى ، وبينما أنا أفكر فى حالى الذى وصلت إليه إذا الدرى تتسمر ، والألواح تنضام

وتجتمع ، وإذا السفينة تعود كما كانت من غير أن تمتد إليها يد صانع . وما أن سمع العليج هذا القول من الإمام حتى صفق بذراعيه على جنبيه كالديك ، وظن أنه سيصيب حتما من مناظره مقتلا ، فقال في تيه بل وقلة أدب : كذبت ، كيف يعقل أن تعود السفينة كما كانت من غير أن تمتد إليها يد صانع ؟ فقال أبو حنيفة رضى الله عنه : إذا لم تعقل هذا فكيف عقلت أن هذه السماء وكواكبها والبحار وماءها والأرض وزرعها والأشجار وثمارها والأنعام وألبانها والعيون وأبصارها والآذان وسمعها خلقت بلا صانع ؟ ! فبهت الذى كفر ؟ فمن لى يبهت هؤلاء الوجوديين كما بهت ذلك العليج .

ثم بعد استمع إلى سارتر يقول : « يولد كل مولود بلا سبب عقلى ، وبلا داع » ولست أدري ماذا يريد من السبب العقلى الذى يتخيل أن المولود يولده ؟ ليس هناك من سبب عقلى لولادة أى مولود مهما كان شأنه ، وإنما له أسباب عادية معروفة ، أما الداعى إلى ولادة المولود (ونعنى بالداعى الآثار المترتبة على ولادة المولود ، وهى المسماة بالعللة الغائية) فعمارة هذه الدنيا وابتلاء المخلوقين فيها ، كما قال ربنا جلّت قدرته وعز سلطانه : « الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا » . فالداعى واضح وإن كان لا يعقله السفهاء .

ثم يقول بعد ذلك : « وتمتد حياته أى المولود بواقع من الضعف ، ثم يموت بالمصادفة » . سبحانك ربى ! هل من يقول هذا القول يعد من العقلاء المفكرين أصحاب المبادئ والنظريات ؟ هل الضعف يمد الحياة أو يثاويها طيا ؟ وما معنى الموت بالمصادفة ؟ هل المصادفة هى التى تقطع الأنفاس ، وتجعد الدم فى العروق ، وتسلب الحياة سلبا ؟ وهبها كذلك ، فماذا يمنع أن يعظمها ويجلها ويعبدها ، ولكن هذا الرجل كرئيسه مؤسس هذا المذهب - غلبت عليه شقوته ، وجعلت على قلبه أكنة منعتة الفهم والتعقل ، وماذا ينتظر من رجل يقول : (إننا والعالم كله خداع فى خداع) يا ليت شعرى من المخادع (بكسر الدال) ومن المخادع (بفتحها) ؟ وهل هناك شئ أقوى دلالة على هذيان الرجل من هذا الذى يقوله ويهرف به ، لو أراد بهذا القول ما يريده بعض الفلاسفة الإسلاميين (وإن لم يأتوا بمثل هذه العبارة) من أن الوجود الحق هو الذى لا يلحقه عدم لا قبل ولا بعد ، وهذا ليس إلا لله وحده ، أما غيره من الموجودين فوجوده مستعار لا قرار له ولا ثبات حيث سبقه العدم ويلحقه العدم ، لو قال هذا لأقر رناؤه عليه واتبعناه فيه ، ولكنه بكل جرأة وسفاهة

ينكر وجود الله سبحانه، ويرفض فكرة وجوده ، وتبعه في ذلك خلق كثير ضلت أفكارهم وضعفت عقولهم ، فعموا وصموا واتبعوا السبل فتفرق بهم عن سبيله فهم لا يهتدون .

رب ان الهدى هداك وآيا تك نور تهدي بها من تشاء

ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما ، فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ، ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ۞

(للبحث بقية)

محمد الطنيجي

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير عام الوعظ بالجمهورية المصرية

السعادة في سوريا

قبل ٦٠ عاما

في سنتي ١٨٩٤ — ١٨٩٦ أقام الفاضل الإنجليزى مارماديوك پكشول في سوريا قبل أن تدهمها أساليب الغرب وحضارته وأنظمتها ، فكُتب يصف سعادة الناس هناك ، ونحن ننقله من تعريب الأستاذ ميخائيل نعيمة :

« . . . دهشت لما لقيته في تلك الحياة من الراحة والحرية ، وقبل ذلك لم أرقط في حياتي شعبا سعيدا ، أما هؤلاء القوم فكانوا سعداء . أجل ، قد يكونون فقراء ، غير أنهم لا يحلمون بالغنى ، ولا علم لهم بالمضاربات للكسب ، ولا يعرفون من المباريات إلا مباراة القروسية . فأجور العمال وأجور المساكين وغير ذلك من المتاعب التي نحن نعانها لم يسمعوا بها على الإطلاق . وليس بينهم طبقات مثلما بيننا ، فأوضعهم يخاطب أرنعهم كما لوكانا من طبقة واحدة . إن بينهم إخاء صادقا ، بقطع النظر عما يكون بينهم من تفاوت في الرتب » .

الإسراء والمعراج

الإسراء : هو تلك الرحلة الأرضية التي قام بها خاتم رسل الله محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام بمكة إلى بيت المقدس بالشام على دابة خاصة اسمها (البراق) .
والمعراج : هو تلك الرحلة السماوية التي قام بها صلى الله عليه وسلم من بيت المقدس إلى السموات العلا .

وقبل الكلام على الإسراء والمعراج نحب أن نعرف شيئاً عن المسجد الحرام ،
والمسجد الأقصى .

المسجد الحرام : هو أول مسجد في الأرض بنى لعبادة الله وحده : بناه خليل الله إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام . قال الله تعالى : « إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين » ويقول في شأنه أيضا : « وإذا يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم » وهو أحد المساجد الثلاثة التي تشهد إليها الرحال : (المسجد الحرام ، ومسجد المدينة ، والمسجد الأقصى) وكان معظمها في الجاهلية والإسلام .

المسجد الأقصى : هو بيت المقدس وثاني المساجد التي أسست على الأرض لعبادة الله ، وقد بناه سليمان بن داود عليهما السلام ، روى السيوطي في كتابه الدر المنثور : (أن سليمان بعد أن بنى بيت المقدس فرش أرضه بالذهب والفضة ، فلما كان عهد بختنصر خزيه واحتمل منه ثمانين عجلة من الذهب والفضة . وعن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن سليمان عليه السلام لما بنى بيت المقدس سأل ربه ثلاثا فأعطاه اثنتين ، وأنا أرجو أن يكون أعطاه الثالثة : سأله حكما يصادف حكمه فأعطاه إياه ، وسأله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه إياه ، وسأله أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد (بيت المقدس) خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه . قال النبي صلى الله عليه وسلم : ونحن نرجو أن يكون الله أعطاه ذلك .

وعن أبي ذر رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله أى المساجد وضع في الأرض أولا؟
قال : المسجد الحرام . قلت : ثم أى ؟ قال : المسجد الأقصى .

و بليت المقدس كان ولا يزال محل احترام العرب وغيرهم في الجاهلية والإسلام ، كما كان قبلة المسلمين في الصلاة أول مشروعيها ، ثم حولت القبلة بعد ذلك الى المسجد الحرام . وبين هذين المسجدين كان حادث الاسراء والمعراج . وقد اختلف المؤرخون والمحدثون في السنة والشهر والليلة التي حدث فيها الأسراء والمعراج ، وأصح هذه الروايات وأقربها إلى الصواب أنه كان في السنة الثانية قبل الهجرة ليلة سبع وعشرين من شهر رجب ، وعليه عمل المسلمين .

أدلة الاسراء والمعراج :

ثبت الاسراء بالقرآن والحديث ، أما القرآن فقوله تعالى : (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله) وأما الأحاديث فكثيرة بلغت أكثر من ثلاثين حديثا .

وثبت المعراج بالأحاديث الكثيرة ، ويرى بعض المفسرين للقرآن أن أول سورة النجم من قوله تعالى : (ولقد رآه نزلة أخرى) الآيات ، وقوله تعالى (لتركن طبقا عن طبق) يدلان على المعراج أيضا .

وهل كان الإسراء بالروح فقط ، أو بالروح والجسد معا ؟

يقول الله تعالى : (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى) الآية . والعبد اسم لمجموع الجسد والروح معا . نعم روى البخارى عن أنس رضى الله عنه أن الإسراء قد حصل للرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة بروحه في المنام توطئة للإسراء بجسده بعد البعثة ، كما كانت الرؤيا الصادقة قبل النبوة توطئة لبعثته ، وما ورد منسوباً لعائشة رضى الله عنها أنها قالت : (ما فارق جسده جسدى) فهو حديث مدخول عليها ينافية للقرآن والتاريخ ، أما القرآن فقوله تعالى : (بعبده) والعبد اسم لمجموع الروح والجسد . وأما التاريخ فأن الرسول لم يدخل بالسيدة عائشة الا بعد الهجرة ، وحادث الإسراء كان قبل الهجرة .

هذا ولو كان الإسراء بالروح فقط لما كذب كفار قريش ، لأن كل انسان تسرى روحه في المنام في عالم الأرض ، بل وفي عالم السماء والهواء .

وقد كان الإسراء من البيت الحرام الى المسجد الأقصى في جزء يسير من الليل ، يدل على ذلك قوله تعالى (أسرى) وقوله تعالى (ليلا) فأسرى كالسرى خاص بالسفر ليلا (وليلا) بالتنكير يدل على التبعية .

وإنما أسرى به ليلا لمزيد الاحتفال به صلى الله عليه وسلم فإن الليل وقت الخلوة ،
والليل كالأصل للنهار، والاهتداء فيه للقصد أبلغ من النهار ، وأيضا ليكون ما يعرج إليه من
عالم النور المحض أبعد عن الشبه بما يعرج منه من عالم الظلمة .

الشبهات الواردة على الإسراء والمعراج ودفنها :

يتحدث كثير من المتعلمين وأنصاف المتعلمين في استبعاد الإسراء والمعراج ويوردون
بعض الشبهات الآتية :

١ — أن الحركة البالغة السرعة إلى هذا الحد غير معقولة .

٢ — صعود الجسم الثقيل إلى السموات غير معقول .

٣ — الصعود إلى السموات يوجب حرق الأفلاك ، وفي السماء طبقات لا يتخللها
الهواء وتمتنع فيها حياة أى حيوان .

هذه بعض الشبهات التي يوردها المنكرون الذين لا يؤمنون بالقرآن ولا بالحديث
ولا بالمعجزات . وهذه الشبهات إن وجدت في العصور الأولى من يعتقدها كيف يسوغ
في هذا العصر اعتقادها؟ . فنحن في عصر استطاع أن يسخر للإنسان الأرض والهواء والماء،
وأخذ العلماء يفكرون في اختراع صاروخ يصلون بواسطته إلى القمر وغيره من الكواكب
السيارة . فإذا كان الإنسان على ضعفه استطاع أن يفعل ذلك فهل تستبعد على خالق
الإنسان أن يغير بعض النواميس الأرضية والسموية ؟

هذا والمقام مقام إعجاز، والإنكار فيه مكابرة وعناد، وإن عروج محمد عليه الصلاة والسلام
إلى السماء كنزول جبريل من السماء، فأنه سبحانه قد أزال عن محمد عليه الصلاة والسلام الحجب
الجسمانية حتى ظهر في روحه من المكاشفات والمشاهدات بعض ما كان خاصا بجبريل
عليه السلام حين نزوله من عالم الأفلاك ، وأى فرق بين معجزة الإسراء والمعراج ومعجزة
تسخير الرياح لسليمان عليه السلام غدوها شهر ورواحها شهر ، ومعجزة إحضار عرش
بلقيس في لمح البصر من اليمن إلى الشام ، ومعجزة انقلاب العصا حية في يد موسى عليه
السلام ، ومعجزة خروج ناقة صالح عليه السلام من الجبل الأصم ؟

كان المقصود الأول من الإسراء والمعراج هو فرضية الصلوات الخمس وهي النتيجة
التي انتهى إليها المعراج ، وفي هذا دليل على أن شأن الصلاة ومقامها على رأس العبادات،
وهو مصداق قوله عليه الصلاة والسلام (الصلاة عماد الدين) .

وكانت الصلاة قديماً مشروعة كالصوم في شريعة الأنبياء السابقين ، وإن اختلفت في الوصف والنوع . وكان رسولنا يقوم بهذه الصلاة مثني قبل فرضيتها ، يدل لهذا قول الرسول في حديث الإسراء حين وصل إلى بيت المقدس : (ثم دخلت إلى بيت المقدس فصلبت فيه ركعتين) .

أما الآيات التي يشير إليها رب العزة في قوله : (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) فقد قال المفسرون بعد تجويزهم أن تكون من زائدة أول التبعيض : إن الآيات التي أراها الله لرسوله يتلخص بعضها فيما يأتي :

١ — تسخير البراق للرسول عليه الصلاة والسلام وقد كان دابة خصصها الله للأنبياء جميعاً .

٢ — قيام كبير الملائكة جبريل ومعه ميكائيل في خدمته وفي ركابه ، فقد ورد في بعض الأحاديث (فقد كان جبريل هو الآخذ بركابه ، وميكائيل هو الآخذ بزمامه إلى أن وصل إلى بيت المقدس) .

٣ — ذهابه إلى المسجد الأقصى وعروجه إلى السماء ، ورجوعه إلى مكة في برهة من الليل .

٤ — صلاته إماماً بالأنبياء والمرسلين في بيت المقدس بعد أن أحياهم الله ، أو بعد أن تمثلت أرواحهم في صورة أجسام ، وإمامته عليه الصلاة والسلام لإشعار بعلو مقامه ، وأنه مقدم على سائر الأنبياء . ويقول الحافظ ابن كثير : إن الرسول صلى بالأنبياء إماماً قبل العروج وبعد العروج .

٥ — ومن الآيات أنه رأى في السماء حين عروجه من عجائب الملك والمملوك ما لا تحيط به العبارة ، اقرأ قوله تعالى في (سورة النجم) : « لقد رأى من آيات ربه الكبرى » وقوله : « ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إلى عبده ما أوحى ، ما كذب الفؤاد ما رأى ، أفتمارونه على ما يرى » ؟

هذه بعض الآيات التي أراها الله لرسوله وحبيبه حين دعاه لزيارته ، وأرسل إليه بعثة الشرف برئاسة كبير الملائكة جبريل ، لتكون في ركابه من بدء رحلته حتى وصل إلى ما وصل إليه . فأى مسافة تطول على ذلك الحبيب الرباني ، وأى جسم يتمتع أمام ذلك الجسد النوراني .

موقف قريش من الإسراء والمعراج :

روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخبر قومه بالإسراء كانوا بين مصفق استهزاء ، وبين واضح يده على رأسه تعجبا وإنكارا ، وارتد كثير ممن أساءوا ، وسعى رجال إلى أبي بكر رضى الله عنه فقالوا له : هل لك في صاحبك يزعم أنه أسرى به إلى بيت المقدس ثم رجع في ليلة واحدة ؟ فقال لهم أبو بكر : أوقال ذلك ؟ . قالوا : نعم . قال : فأشهد إن كان قال ذلك لقد صدق . قالوا : أفنشهد أنه جاء الشام في ليلة واحدة ؟ قال : إنى أصدقه في خبر السماء ، أفلا أصدقه في خبر الأرض ؟ ثم رجعوا إلى مجد عليه الصلاة والسلام فطلبوا منه أن يصف لهم بيت المقدس ، وهم يعلمون أنه لم يره من قبل ، فأراه الله إياه كأنه أمامه ، وأخذ يصفه لهم وصفا دقيقا ، ثم سأله عن غيرهم قد سافرت إلى الشام في تجارة لهم ، فوصف لهم العير الذاهبة إلى الشام والقادمة من الشام ، وعين لهم اليوم الذى تصل فيه إلى مكة . فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينتظرون ذلك وقد ولى النهار ولم تجئ حتى كادت الشمس أن تغرب ، فدعا الله فخبست الشمس عن الغروب حتى قدم العير . وفى هذا يقول الإمام السبكي فى تائيته :

وشمس الضحى طاعتك وقت مغيبها فما غربت بل وافقتك بوقفة
وردت عليك الشمس بعد مغيبها كما أنها قدما ليوشع ردت

هذه صورة مصغرة لقصة الإسراء والمعراج التى كانت تكريما لمحمد عليه الصلاة والسلام وامتحانا لقومه (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة) نرجو أن يكون لنا منها ذكرى نتففع بها وعظة نهتدى بها إلى الإيمان الصحيح بشريعة سيد المرسلين

محمد عبد الحميد البوشى

المدرس بمعهد سوهاج الدينى

إلى طلاب الدنيا

من طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى توفيه رزقه فيها ، ومن طلب الدنيا طلبه الموت حتى يخرج منها .

سهل بن هارون

لغويات

الأفاح : الأفاحي . العال : العالى

الأفاحي جمع الأخوان ، وهو من الزهر . ويقول صاحب المصباح : إنه من نبات الربيع له نور أبيض لا رائحة له . وترى أن نون « أخوان » حذفت في الجمع ، وقلبت الواو في الجمع ياء لوقوعها في الطرف إثر كسر ، فتقديره : أفعال . وقد ورد في الجمع الأفاحي بتشديد الياء . ومن هذا قول ذى التزمة :

تبسمن عن نور الأفاحي في الثرى وقرن عن أبصار مكحولة نجل

ومأتى هذا زيادة ياء قبل الآخر للتعويض من النون المحذوفة ؛ كما يقال في جمع سفرجل : سفاريح ، وهذا التعويض جائز قياساً ، ولم أقف في الأفاحي على التشديد ، فيجوز على هذا أن يقال الأفاحي . ووزن الأفاحي - بتشديد الياء - أفاعيل . وهو في الوجه الأول من المنقوص ، فالإعراب على الياء ، وتحذف في حالتى الرفع والجر عند التجرد من أل المعرفة والإضافة . فتقول : هذه أفاح ، ونظرت إلى أفاح . وتثبت الياء في غير ذلك فتقول : قطفت أفاحي ، وهذه الأفاحي .

وقد غرّ حذف الياء في أفاح بعض المتأذين فظنّ أن آخر الكلمة الحاء وجعل الإعراب عليها ، فيقول : قطفت أفاحا . ومن هؤلاء أبو على الحسين النشار من أدباء الأندلس . فقد أورد له صاحب المغرب (٣٣٨ / ٢٠) قوله :

ألزامى على كلنى بحبى متى من حبه أرجو سراحا
وبين الخلد والشفتين خال كرنجى أتى روضاً صباحا
تخبر في جناه فليس يدرى أيجنى الورد أم يجنى الأفاحا

ومن جنس هذا الخطأ في الأفاحي قولهم : العال في العالى . والناطق بالعال من العامة لا يرى أنها من العلو ، فهو يقول : مكان عالى ، وشئ عالى أى جيد ، ويفرق بينهما

في مدارج القول ، فالظن بالقائلين : العال أنهم يرون نهاية الكلمة اللام حتى لو أن الإعراب جرى في لسانهم لقالو : اشتريت شيئاً عالا، كما قال الأديب الأندلسي : أم يجنى الأفاحا . والخطأ في العال جرى أيضا على ألسنة المتأديين ، فيقول القاضي تقي الدين التميمي من شعراء الريحانة :

الدون لا نرضى به والعال لا يرضى بنا

ويقول الشهاب الخفاجي في الريحانة ٢٣٤ بعد أن أورد البيت : « والعال بمعنى العالى كقولهم : لم تبَلْ ؛ إلا أنها لغة عامية مبتذلة » وتراه قرأ « العال » برفع اللام حتى حكم بأنها لغة عامية مبتذلة ، ولو قرأه بكسر اللام لم يكن فيه خروج عن الفصح ، فقد ورد حذف الياء في المنقوص المقرون بأداة التعريف ؛ كما في قوله تعالى : في الآية التاسعة من (سورة الرعد) : « عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال » وقول الشهاب : « كقولهم لم تبَلْ » يريد أن العرب يقولون : لم تبال هذا الأمر، وهذا هو الأصل، وقد حذف الجازم حرف العلة، ويقولون أيضا : لم تبَلْ . وتخرج هذا أنه سكن اللام في « تبال » تخفيفا ، أو لتوكيد أثر الجازم ؛ كأنه لم يكتف بحذف الياء له . وهذا كما في قوله تعالى : « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل » ، فقد قال الزمخشري في الكشاف : قرئ : « ألم تر بسكون الراء للجد في إظهار أثر الجازم » . ولما سكنت اللام في « تبال » التقت ساكنة مع ألفها ، فحذفت الألف للتخلص من الساكنين . ويقول سيبويه في الكتاب ٣٩٢/٢ « وسألته - يعني الخليل - عن قولهم : لم أبَلْ ، فقال : هي من باليت ، ولكنهم لما أسكنوا اللام حذفوا الألف ، لأنه لا يلتقي ساكنان ، وإنما فعلوا ذلك في الجزم لأنه موضع حذف . فلما حذفوا الياء التي هي من نفس الحرف بعد اللام صارت عندهم كنون يكن حين أسكنت ، فأسكان اللام هنا بمنزلة حذف النون من يكن . وإنما فعلوا هذا بهذين حيث كثرا في كلامهم . . . وهذا من الشواذ ، وليس مما يقاس عليه ويطرد » ويرى القارئ بعد هذا أن جعل الشهاب « العال » من باب « لم تبَلْ » في الحذف تعوزه الدقة ، فالحذف في « لم تبَلْ » سهله حذف حرف العلة للجزم كما ذكر سيبويه ، ومن قواعدهم أن التغيير يجري على التغيير ، فأما الحذف في العال وجعل الياء نسيا وإجراء الإعراب على اللام فهذا مما يبعده عن النظر المذكور .

على أن للحذف في الأفاحي والعال نظيراً بل نظائر ، ولكننا نجد لها في الشاذ الذي لا ينبغي أن يعاج به ، فقد جاء في كتاب القراءات الشاذة لابن خالويه ٤٣ : « ومن فوقهم غواش ، أبورجاء . قال ابن خالويه : هذا كقراءة الحسن : صال الجحيم . ومثله : وله الجوار المنشئات » يريد أن أباء رجاء قرأ في الآية ٤١ من سورة الأعراف : « لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش » برفع غواش أى بضم الشين ، وأن الحسن البصرى قرأ في الآية ١٦٣ من سورة الصافات : إلا من هو صال الجحيم بضم اللام ، وفي الآية ٢٤ من سورة الرحمن : « وله الجوار المنشئات في البحر كالأعلام » بضم راء الجوار . وسبيل هذا كله طرح ياء المنقوص نسيا وإجراء الإعراب على ما قبلها ، وهذا شاذ يقتصر فيه على ما ورد .

فقد علم الباحث خطأ الناس في قولهم : قطفت أقاحا . وقولهم : شئ عال على ما يتبادر من استعمالهم أن نهاية الكلمة اللام .

أغراب : غرباء

جرى الناس على استعمال الأغراب في جمع الغريب . فتسميهم يقولون : حضر البلد ناس أغراب ، ومصر تعني بالأغراب وهم فيها موضع التكريم والإجلال . وقد نقد المعنيون بتهذيب اللغة وتنقيتها هذا الجمع وأوصوا أن يقال : الغرباء .

وفي الحق أن وجه الجمع لغريب هو الغرباء . وهو ما جاء به السماع عن العرب ، وفي الحديث : « فطوبى للغرباء » غير أنه يمكن تصحيح ما فشا استعماله في الناس . وفي تصحيحه مسلكان :

الأول : أن يحتذى في جمع غريب على أغراب قولهم : شريف وأشراف ویتيم وأيتام وأبيل - وهو كاهن النصراني - وآبال . وفي اللسان (شرف) أن من هذا القبيل قولهم : نصير وأنصار وشهيد وأشهاد . غير أن الوارد من هذا الباب لا يبلغ الكثرة التي تخوله أن يكون منها يقاس عليه .

والمسلك الثاني : أن يكون أغراب جمع غُرب في معنى غريب ، وإن لم يكن هذا اللفظ جارياً في استعمال الناس اليوم ، ومما ورد فيه غرب ما أورده صاحب اللسان :

ولمى والعيسى فى أرض مذبح غريبان شتى الدار مختلفان
وما كان غض الطرف منها سجيّة ولـكـنـنا فى مذبح غُرْبَانِ

وهذا المنهج قياسى فالمصير إليه أولى . ويقول ابن الحاجب فى الشافية : « ونحو جنب على أجناب » فقال الرضى فى شرحها ١٢٢ / ٢ : « فعل فى الصفات فى غاية القلة ، فلا يكسر إلا على أفعال . وإنما اختاروه لحفته » .

سيّا البلاط : سيّا البلاط . صايغ : سائع

تقول الخادم فى المنزل : سيأت البلاط . وتقول أخرى : مسحت البلاط . وهذا يعرف فى المدن المفروش أرض دورها بالبلاط من الحجر وما جرى مجراه . وأصل ذلك : صيّا . والتصيىء : بل الشيء . قال فى اللسان : « وصيّا رأسه : بله قليلا قليلا . والاسم الصيئة . وصيّاها : غسله ولم ينقه وبقيت آثار الوسخ فيه » . ولما كان البلاط إذا غسل لا يعدم أن يبقى فيه وسخ قيل فيه التصيىء . وترى أن التحريف جاء فى هذا اللفظ من إبدال الصاد سينا . وقد أورد فى المزهر فى النوع الثانى والثلاثين من هذا الضرب قدرا صالحا . ومن ذلك السندوق فى الصندوق ، وسنجة الميزان فى صنجته ، وقولهم سيف صقيل وسقيل ، ومما جاء من هذا قولهم الفقوس والفقوص ؛ قال فى القاموس فى مادة فقس : « وكتنور : البايخ الشامى أى الحبب » وفى مادة فقص : « وكتنور : البطيخة قبل النضج مصرية » .

ويقول العامة للرجل المهمل لا يعنى بعمل : صايغ : ويبدو أن أصله : سائع ، ومعناه : الضائع . يقال : ساع الشيء يسيع : ضاع ، ويأى هذا فى سوء الحال ، يقال : ناقة مسياع : تصبر على الإضاعة والجفاء وسوء القيام عليها ، ويقال : ضائع سائع ، وهو من الإتياع ؛ كما يقال : حسن بسن . وقد جاء التحريف عند العامة بأبدال السين صاد ، وهو عكس ما جرى لهم فى المادة التى سبق الحديث فيها .

استدراك على « الملا »

ذكرت فى جزء جمادى الآخرة من هذه المجلة فى بحث كلمة « الملقى » العامة التى يعنى بها المتسع من الأرض أن أصلها الملا بالألف ، وهو فى العربية لما يعنى به فى العامة .

وقد نهى أستاذنا الجليل الشيخ عبد الرحمن حسن وكيل الجامع الأزهر الأسبق على أنه يمكن أن تكون هي الملق في العربية ، والملق في العربية الصخور الملس ، واحدها ملقة ، وهي أيضا سفوح الجبال ، أو التلال المنبسطة ، والمعنى الأخير قريب من المتسع من الأرض ، ويمتاز هذا التخريج على ما ذكرته قبل بأنه ليس فيه تحريف للكلمة نسب إلى العامة ، ويمتاز ذلك بأن المعنى في الملاحو عين ما يعنى بالكلمة في لسان العامة .

وإني إذ أقيد هذا أشكر لأستاذنا هذه الفائدة وأشرك معي فيها القراء ، وأسأل الله بالتسديد في القول والعمل .

محمد علي النجار

مشكلة الفقر والغنى

يزعمون أننا في عصر العلم ، وفي دهر القانون ، ويريدون أن يسلبوا الناس إيمانهم . كأن الإيمان هو مشكلة الإنسانية ، مع أنه لا حل لمشكلاتها إلا به . إن مسألة الغنى والفقر وما كان من بابها لا يحلها العلم ولا القانون ، إذ هي من مواد القضاء والقدر في إنشاء الآلام والأحزان وأضدادها التي تقابلها . وما دام فوق الإنسانية من السماء قوة لا تحد ، وتحت الإنسانية من القبرهوية لا تسد ، فلا نظام إلا على تصريف النفس أمرا ونهيا ، وتأويل الحياة معنى وغاية . فأن لم يكن الشأن في ذلك مقفرا في الغريزة على جهة الإيمان ، فلن يكون العلم والقانون على ظاهر النفس إلا ثورة بما في باطنها ، ولن يبرح الناس على ذلك بعضهم من بعض كالحارب منه وهو مضطر إليه ، أو كالمضطر إليه وهو هارب منه ، وكل من كل في معنى من معاني النفس لا إنسانية فيه .

مصطفى صادق الرافعي

بحوث

في الحضانة

- ١ -

١ - الحضانة - بالفتح والكسر - في اللغة : تربية الولد وكفالته [١] ، ويذكر الفيروزابادى فى القاموس أن الحضانة - بالكسر - : تربية الولد ، وأن الحضانة - بالفتح - التنجية عن الشئ [٢] ، وهذا المعنى اللغوى - وهو تربية الولد - معتبر فى مفهوم الحضانة عند الفقهاء مع زيادة بعض القيود ، فيعرفها فقهاء الحنفية بأنها : تربية الولد لمن له حق هذه التربية [٣] ، فهم لا يطلقون هذا الحق لكل أحد من الناس ، وإنما يقصرونه فى اصطلاحهم على من تربطه بالصغير صلة الرحم وأواصر القرابة القوية ، وكلما قويت هذه العلاقة فى شخص كان مقدما على غيره من الأقارب فى هذا الحق ، والحكمة فى هذا واضحة جلية ، فإن الجنين ينزل إلى هذه الدنيا لاحول له ولا طول ، ولا قوة له ولا قدرة ، ويخرج من بطن أمه لا يعلم شيئا من أمر هذه الحياة التى وفد إليها بل ولا من غيرها ، فكان من الرحمة واللاطف به أن يجعل له من يكفله ويقوم عليه بالرعاية والحفظ والتأديب والتربية ، وأن يكون القائم عليه ممن يتكامل فيه الشفقة والمحبة ويتوافر لديه الحنان والعطف ، حتى يدفعه ذلك إلى رعاية مصلحة الصغير والقيام عليه على أكمل وجه وأتمه ، بل كان من الرحمة به ومراعاة مصلحة الأمة أن تحتم الشريعة على ولى الأمر أن يدفع الصغير إلى من تحضنه بنفقة من بيت المال إذا عدم الصغير الأهل والأقارب [٤] ، وأوجبت عليه اختيار الثقات الأكفاء فى هذه الحالة ، ضمانا لسكال التثنية وحسن التربية وجميل الرعاية ، ويستمر الطفل من وقت ولادته فى رعاية من يقوم عليه من الأهل

(١) المصباح المنير ص ١٩٣ .

(٢) القاموس المحيط - ٤ ص ٢١١ طبع بولاق .

(٣) حاشية ابن عابدين - ٢ ص ٦٥٠ طبع بولاق .

(٤) العناية - ٣ ص ٣١٦ .

أو ممن تقيمهم الدولة لذلك حتى يصل إلى درجة يصح أن ينتقل بعدها إلى طور آخر من الرعاية والتثقيف ، فيدفع إلى صنف آخر يكون أقدر على هذا اللون من التثقيف والرعاية وبه أهدى وأدري ، وهم الرجال الأقربون إليه أو ممن تعينهم الدولة لذلك ، والشرعية بنظامها التفصيلي في الحضانة تحيط الصغير بعنايتها من المهد ، وترعاه رعاية صالحة كاملة إلى أن يستطيع الاستقلال بنفسه غير معتمد على أحد ، فيخرج للأمة في كل جيل من يقدر على تحمل أعباء الحياة والنهوض بها على أكل وجه وخير مثال .

٢ — وسنقتصر في بحثنا هذا على أحكام خاصة في الحضانة ، بعضها في الفقه الحنفي خاصة تطبقه المحاكم على أنه أرجح الأقوال في المذهب ، تطبيقاً للسادة ٢٨٠ من لائحة المحاكم الشرعية ، مع أن للبحث فيه مجالاً ، وبعضها في الفقه المقارن كثر الكلام فيها لمطالبة بعض الهيئات النسائية بتغييرها وتعديلها بما يتفق مع أهوائها ، وهذه الأبحاث هي : (١) التبرع بالحضانة . (٢) مدة الحضانة . (٣) تخيير المحضون بين الأب والأم عند انتهاء مدة الحضانة .

١ — التبرع بالحضانة

٣ — المتبرعة بالحضانة إما أن تكون أجنبية عن المحضون وإما أن تكون غير أجنبية عنه ، ونعني بالأجنبية : من ليس لها حق في الحضانة ، سواء كانت قريبة غير محرم للمحضون كأن كانت بنت عم له ، أو محرماً غير قريبة له كأخته من الرضاعة ، أو لا يربطها بالمحضون أي نوع من أنواع القرابة ، وعلى ذلك فغير الأجنبية هي القريبة المحرم .

٤ — فإن كانت المتبرعة غير أجنبية عن المحضون كعمته أو جدته لأبيه ، وطلب من هو أولى منها بالحضانة أجرا على حضانتها ، فإن المحاكم تفسر في قضائها على أن الأب إذا كان موسراً فإنه يحكم للطالبة بأجر الحضانة على الأب ، ولا تأثير لتبرع من دونها من الحاضنات ، أما إذا كان معسراً — سواء كان للصغير مال أو لا — أو كان الأب موسراً وللصغير مال ، فإن الأم تخير بين أن تحضنه بغير أجر أو تدفعه إلى المتبرعة ممن دونها في الترتيب . والمحاكم في قضائها بذلك تستند إلى مافي « التنوير » وشرحه « الدر المختار » من أن هذا الحكم هو المذهب ، وإن كانت عبارتهما واردة في فرع خاص ، وهو تبرع العمة بالحضانة مع

طلب الأم أجرا عليها، إلا أن الحصكفي في شرح « الدر المختار » قد استظهر تبعاً لغيره أن العمة ليست قيّداً بل كل حاضنة كذلك، ونص عبارتهما: « أو أبت أن تربيته - أي الأم - بجانا والحال أن الأب معسر والعمة تقبل ذلك أي تربيته بجانا ولا تمنعه عن الأم ، قيل للأم : إما أن تمسكه بجانا أو تدفعيه للعمة على المذهب (١) » وكذلك ذكر هذا الحكم ابن عابدين في رسالة : « الإبانة عن أخذ الأجرة على الحضانة [٢] » ولسكنه لم يتعرض للنص على أن هذا الحكم هو المذهب .

٥ - وقد علق ابن عابدين في حاشيته « رد المختار » على عبارة « التنوير » التي نسبت الحكم المتقدم إلى المذهب بقوله : « لم أر هذه العبارة لغيره وإنما قالوا على الصحيح ، وهذا لا يلزم أن يكون من نص المذهب بل يحتمل التخريج تأمل [٣] » .

ونزيد على تعليق ابن عابدين بأن الحكم بتخيير الأم عند تبرع من دونها بالحضانة عند إفسار الأب فقط دون يساره ثابت بطريق التخريج ، وأن طريق تخريجه غير سليم في نظرنا ، وأنه لا فرق في تخيير الأم عند تبرع من دونها بين إفسار الأب ويساره ، وأن حكم التخيير ثابت في الحالين . وليان ذلك وإثباته نقول :

٦ - ذكر العلامة ابن نجيم في البحر نقلاً عن الوالوالجية وغيرها أنه إذا تبرعت العمة بالحضانة وطالبت الأم بأجرة الحضانة فالصحيح أنه يقال للأم : إما أن تمسكي الولد بغير أجر وإما أن تدفعيه إلى العمة . ونص عبارته : « أما في الحضانة ففي الوالوالجية وغيرها : رجل طلق امرأته وبينهما صبي ، وللصبي عمة أرادت أن تربيته وتمسكه من غير أجر من غير أن تمنع الأم عنه ، والأم تأبى ذلك وتطالب الأب بالأجر ونفقة الولد ، فالأم أحق بالولد ، وإنما يبطل حق الأم إذا تحسكت في أجر الإرضاع بأكثر من أجر مثلها ، والصحيح أنه يقال للوالدة : إما أن تمسكي الولد بغير أجر وإما أن تدفعيه إلى العمة » (٤)

(١) التنوير والدر المختار على هامش رد المختار ج ٢ ص ٦٥١

(٢) الإبانة عن أخذ الأجرة على الحضانة ج ١ ص ٢٧٥ ، ٢٧٦

(٣) حاشية ابن عابدين ج ١ ص ٦٥١

(٤) البحر الرائق ج ٤ ص ٢٢١ ، ٢٢٢

وواضح جدا أن كلام الوالوالجى وغيره في الحضانة لا في الرضاع حيث يقول : « أما في الحضانة » وقوله : « أرادت أن تربيته وتمسكه من غير أجر » فإن الحضانة هي التريبة والإمساك عند الحاضنة، وبهذا صرح ابن عابدين في حاشيته على الدر حيث قال : « والمراد من هذه الأجرة أجرة الحضانة كما هو مفهوم من سياق كلام المصنف تبعا للفتح والبحر والدر ، خلافا لما في العزيمة على الدرر من أنها أجرة الإرضاع » (١) .

٧ — وقد استظهر ابن نجيم أن غير العمة من المحارم مثل العمة فقال ما نصه : « والظاهر أن العمة ليست قيذا ، بل كل حاضنة كذلك ، بل الحالة كذلك بالأولى ، لأنها من قرابة الأم (٢) وقد تابعه على هذا الاستظهار علاء الدين الحصكفى في « الدر المختار » حيث قال : « والعمة ليست بقيد فيما يظهر » (٣) . وقد أيد هذا التعميم في الحاضنات ابن عابدين في حاشيته بتعليقه على كلام القهستانى بقوله : « فهذا ظاهر في أن العمة غير قيد بل مثلها بقية المحارم » (٤) .

فيتضح مما تقدم أن الحاضنة لو طلبت أجرا على الحضانة ، وتبرع من دونها من الحاضنات بالحضانة ، فإنه يقال للطالبة : إما أن تحضنيه بغير مقابل ، وإما أن تدفعيه إلى المتبرعة لتحضنه مجانا ، فإن رفضت وأصررت على الطلب كان إصرارها مسقطا لحضانتها ، سواء كان الأب موسرا أو معسرا ، وذلك لإطلاق النصوص التي ذكرناها عن الوالوالجى وغيره ، فإنها لم تفصل بين يسار الأب وإعساره ، ولم تتعرض لذلك ، فكانت شاملة لحالى يسار الأب وإعساره من غير تفريق بينهما ، وعلى ذلك فلو طلبت الأم أو أمها أجرا على الحضانة وتبرعت أم الأب (جدة الصغير لأبيه) أو أخت الأب (عمة الصغير) ، قيل للأم أو أمها : إما أن يكون في حضانتك مجانا وإما أن تدفعيه إلى جدته لأبيه أو عمته ، فإن رفضت حضانتها مجانا وأصررت على طلب الأجر أخذ منها ودفع إلى المتبرعة ، لا فرق في ذلك بين أن يكون الأب موسرا أو معسرا ، بشرط أن تكون المتبرعة قادرة على الحضانة وأهلا لها بأن يتوفر فيها سائر الشروط التي اشترطها الفقهاء في أهلية الحضانة .

(١) حاشية ابن عابدين ج ١ ص ٦٥١

(٢) البحر الرائق ج ٤ ص ٢٢٢

(٣) الدر المختار على هامش ابن عابدين ج ٢ ص ٦٥٢

(٤) المصدر السابق نفسه .

٨ — لكن خير الدين الرملي يرى أن نص الوالوجية وغيرها المتقدم مقيد بأعسار الأب، إذ يقول ابن عابدين في حاشيته على البحر: « قوله والصحيح أنه يقال للأمم ... الخ قال الرملي: قيده في الخانية والبرازية والخصاصة والظهيرية وكثير من الكتب يكون الأب معسرا، فظاهره تخلف الحكم المذكور مع يساره » [١]، وقد أفتى الخير الرملي - بناء على رأيه هذا - في محضونه لها أم أب متبرعة بالحضانة وأم أم وأب موسر، بأن المحضون لا يدفع إلى أم الأب ليسار الأب.

٩ — وقبل أن نبحث فهم الخير الرملي تقييد الدفع إلى المتبرعة بأعسار الأب وفتواه بذلك في تنازع الجديتين نقول: إن المتقدمين من فقهاء المذهب لم ينصوا على حكم تبرع الحاضنة بالحضانة مع طلب من هي أولى منها بأجر الحضانة ولم يؤثر عنهم شيء في ذلك؛ وأول من أثر عنه الكلام في هذا الموضوع هو قاضيخان المتوفى عام ٥٩٢ هـ، حيث تعرض في فتاويه لحكم عممة متبرعة وأب معسر وأم تطالب بأجرة الحضانة فقال: إنه يدفع للعممة بعد تخيير الأم في قبوله مجانا، وجاراه في هذا النص صاحب البرازية وصاحب الخصاصة. وأول من تعرض لحكم تبرع الجدة لأب هو الخير الرملي المتوفى بعد ١٠١٣ هـ حيث أفتى بأن الصغير لا يدفع لأم الأب بعد التخيير إلا إذا كان الأب معسرا، مستخرجا هذا الحكم مما نص عليه في الخانية والبرازية، ولم يتعرض أحد بعده من الفقهاء لذكر حكم تبرع الجدة لأب، حتى إن تلميذه علاء الدين الحصكفي المتوفى ١٠٨٨ هـ لم يتعرض لحكم تبرع الجدة لأب في شرحه « الدر المختار » و « الدر المستقى » وإنما تعرض لتبرع العممة على نحو ما جاءت به الخانية، وقد ذكر ابن عابدين في رسالة « الإبانة عن أخذ الأجرة على الحضانة » أحكام تبرع الحاضنة مفصلا، ولكنه جعل الأساس في هذا التقسيم رأى الخير الرملي وفتواه المتقدمين، ومن ذلك يظهر أن أول من تعرض لتبرع العممة هو قاضيخان، وأول من تعرض لتبرع الجدة لأب هو الخير الرملي، لا ينقله نصا فيها وإنما بالتخريج على نص الخانية وغيرها. ولكن ما قيمة هذا التخريج؟

١٠ — وللجواب عن ذلك يجب أن نعرف أولا كيف فهم الخير الرملي أن الدفع إلى

المتبرعة مقيد بأعسار الأب؟ وكيف خرج تقييد الدفع للجدّة لأب بأعسار الأب؟ وما الذي استند عليه في هذا الفهم والتخريج؟

يجيب الخير الرملي على هذا كله بما تضمنته فتواه على سؤال وجه إليه . ونص السؤال والجواب هكذا : « محضونة لها أم أم ، وأم أب ، وأب موسر ، هل يفرض لأم الأم أجرة على الحضانة ولو طلبتها أم الأب مجانا أم لا ؟ . فأجاب بأن أم الأم أحق في باب الحضانة من أم الأب كما صرحوا به قاطبة ، أما أولويتها به وإن طلبتها أم الأب مجانا فالمفهوم - من كلام الخانية والخلاصة والظهيرية والبرازية وكثير من كتب المذهب المعتمدة - أنه مع يسار الأب أم الأم أولى منها لتقييدهم الدفع إلى العمة مجانا بكون الأب معسرا ، ففهم منه عدم الدفع إليها إذا كان موسرا ، وقد ذكر في البحر : العمة ليست بقيد بل المراد بها كل من كان له حق الحضانة في الجملة ، وقد تقرر أن مفهوم التصانيف حجة يعمل به ، فعلم بما نقلناه أولوية أم الأم على أم الأب ، حيث لم تطلب زيادة على أجر المثل » (١)

أما كلام الخانية الذي يشير إليه الخير الرملي فنصه : « صغيرة لها أب معسر وعمّة موسرة ، أرادت العمة أن تربي الولد مجانا بما لها ولا تمنع الولد عن الأم ، والأم تأبى ذلك وتطالب الأب بالأجر ونفقة الولد ، اختلفوا فيه ، والصحيح أنه يقال للأم : إما أن تمسكي الولد بغير أجر وإما أن تدفعيه إلى العمة » [٢] .

فيتضح من هذا أن سند الخير الرملي في كل من الفهم والتخريج هو نص الخانية المتقدم ونص البرازية وهو مثله ، وأن طريقه الذي اعتمد عليه في هذا التخريج هو مفهوم التصانيف .

ونبين الآن قيمة هذا المفهوم في ذاته وقيّمته بالنسبة إلى النصوص الأخرى المخالفة له في الحكم فنقول :

١١ - مفهوم التصانيف هو المعروف عند الأصوليين بمفهوم المخالفة ، وهو إثبات نقيض حكم المنطوق للسكوت ، وهو أنواع : مفهوم الشرط والصفة والغاية والعدد واللقب ، ومنه عند البعض مفهوم الاستثناء والحصر بالأو ، وإنما ، والمفهوم في عبارة الخانية وغيرها مفهوم صفة ، لوصف الأب في عبارتها بالأعسار ، وهذا المفهوم غير معتبر عند

(١) الفتاوى الخيرية ج ١ ص ٦٧ .

(٢) فتاوى قاضيخان على هامش الفتاوى الهندية ج ١ ص ٤٢٣ .

فقهاء الحنفية في النصوص الشرعية ، أما في المؤلفات والتصانيف العلمية فقد نقل ابن عابدين - في الوقف وفي رسالته المسماة برسم المفتي - أن المتقدمين من فقهاء الحنفية لا يعتبرون هذا المفهوم أيضاً ، وإنما اعتبره المتأخرون منهم [١] ، وعلى اعتبار أن قاضيخان من المتأخرين بناء على أن عصرهم يبدأ من منتصف القرن الخامس الهجري ، وهو قد توفي في أواخر القرن السادس ، فالذي يفيد هذا المفهوم ؟ . إنه يفيد عدم دفع الصغير إلى العمة إذا كان الأب موسراً بل تكون الأم أولى به من العمة ، وحينئذ يتعارض هذا المفهوم مع منطوق نص الوالوجية وغيرها بأطلاقه الدفع إلى العمة المتبرعة سواء كان الأب موسراً أو معسراً ، أى أنه تعارض منطوق نص الوالوجية وغيرها مع مفهوم عبارة الخانية وغيرها ، فما المحاص إذن ؟ . المخلص هو ماقرره الأصوليون من أنه إذا تعارض منطوق ومفهوم قدم المنطوق على المفهوم لقوة دلالة المنطوق على دلالة المفهوم ، ولا يقوى الضعيف على معارضة القوي ، وعلى ذلك فالمعول عليه هو نص الوالوجية وغيرها المفيد بأطلاقه الدفع إلى العمة موسراً كان الأب أو معسراً .

١٢ - وقد يقال : لم لا يحمل المطابق في عبارة الوالوجية على المقيد في عبارة الخانية ؟ . والجواب على هذا واضح جداً مما قرره الأصوليون من التكافؤ بين المطلق والمقيد في القوة ، لأن التقييد بإبطال لبعض أفراد المطلق ، ولا يقوى الضعيف على إبطال القوي ، ولهذا منع الحنفية الزيادة على الكتاب بخبر الواحد لعدم التكافؤ ، وما هنا لا ينطبق عليه ذلك ، لأن التقييد هنا بالمفهوم وهو أضعف دلالة من المنطوق فلا يقوى عليه ، هذا فضلاً عن عدم اتحاد المصدر والقائل بين العبارتين ، فلقائل بالإطلاق غير القائل بالتقييد ، والمصدر الذي نص فيه على الإطلاق وهو الوالوجية وغيرها غير المصدر الذي يفهم منه التقييد وهو الخانية ، فليس هناك إذن ما يسوغ حمل المطلق على المقيد .

١٣ - ومما قدمناه يظهر أنه لا يوجد نص من فقهاء المذهب على تقييد الدفع إلى العمة المتبرعة بأعسار الأب ، وكل ما أمكن العثور عليه هو مفهوم بعض العبارات ، وقد عرفنا قيمة هذا المفهوم وعدم صلاحيته للتقييد . فإذا انتقلنا إلى البحث عن دليل يصلح أن يكون مقيداً من الأدلة الشرعية فأنا لا نجد ما يصلح دليلاً على التقييد من كتاب

أو سنة أو إجماع، وكل ما أمكننا العثور عليه هو بحث للخير الرملي نفسه في مساواة الحضانة بالرضاع وقياسها عليه انتهى فيه إلى إلحاق الحضانة بالرضاع، ورتب على ذلك الحكم يجعل أجرة الحضانة في مال الصغير إن كان له مال، كما يحكم بجعل أجرة الرضاع في ماله، وقد نقل ابن عابدين عنه هذا البحث في حاشيته على البحر الرائق وفي رسالة الإبانة، ونتيجة القياس المذكور تؤيد الدفع إلى العمة إذا تبرعت بالحضانة موسرا كان الأب أو معسرا، كما يدفع الصغير إلى العمة لإرضاعه إذا تبرعت بذلك موسرا كان الأب أو معسرا، كما هو حكم الأصل، والجامع توقف مصلحة الصغير على كل منهما، وذلك لأن فقهاء الحنفية جميعا يطبقون - في الإرضاع - على أن الصغير يدفع إلى المتبرعة ولو كانت أجنبية موسرا كان الأب أو معسرا من غير تقييد بأعسار الأب، فقياس التبرع بالحضانة على التبرع بالإرضاع لا بد أن يعطينا عدم التقييد كما هو حكم الأصل خصوصا على رأى الخير الرملي الذي أثبت التساوى بينهما.

١٤ - وقد يقال: هناك فارق بين تبرع العمة بالإرضاع وبين تبرعها بالحضانة، فإن عملية الإرضاع عملية آلية لا تحتاج إلى شفقة أو حنان، أما الحضانة فتحتاج إلى ذلك، وهو موجود في الأم على سبيل المثال، والعمة تقل عنها في ذلك، وعليه فلا وجه لإلحاق تبرع العمة بالحضانة على تبرعها بالإرضاع لوجود هذا الفارق، فيكون لإلزامه بالدفع في حال اليسار معنى معقول، وهو كون ما يدفعه الأب في مقابل وضع الصغير عند من يشفق عليه.

والجواب عن هذا الاعتراض أن المتبرعة إن كانت إحدى الجديتين فكل منهما يتوفر فيها كمال الشفقة والحنان، باعتبار أن كلا منهما أصل للصغير وهو متفرع منها، وكال الشفقة يبنى على ذلك. ولهذا يقول صاحب الهداية في تعليل انتقال الحضانة إلى كل منهما: إن كلا منهما من الأمهات، ولهذا تحوز ميراثهن السدس، ولأنها أوفر شفقة للولاد (١)، وفي ذلك يقول السرخسي في المبسوط: «ثم أصل الشفقة باعتبار الولاد وذلك للجندات دون الأخوات» [٢] وإنما قدمت أم الأم على أم الأب باعتبار أن الحضانة وهي ضرب من الولاية تستفاد من قبل الأم لا من قبل الأب ولا علاقة لذلك بكمال الشفقة في الجديتين، وما

(١) الهداية مع فتح القدير ج ٣ ص ٣١٥

(٢) المبسوط ج ٥ ص ٢١٠

يؤيد ما نقول أن الجديتين تتساويان مع الأم في كثير من أحكام الحضانة، فإن مدة الحضانة للصغيرة عند الأم أو إحدى الجديتين تختلف عنها عند غيرها من الحاضنات ، فإن الأم والجديتين أحق بالصغيرة حتى تحيض ، أما غيرها من الحاضنات فليس لهن حق الحضانة إلى تلك المدة ، وإنما ينتهى حقهن ببلوغ الصغيرة حد الاستغناء أو حد اشتهاء الرجال على اختلاف الروايات (١) .

وإن كانت المتبرعة غير الجديتين من المحارم كالعمة والحالة فأصل الشفقة موجود، والحنان والعطف متحققان بسبب القرابة المحرمة، وفرض المسألة كما قدمنا أن هذه المحرم أهل للحضانة وهو ما يعنينا ويعنى الصغير ، وعلى ذلك فلا مجال لوجود الفارق الذى يبطل قياس التبرع بالحضانة على التبرع بالإرضاع .

١٥ - وقد يقال: إن الدليل على التقييد بالاعسار عند التبرع بالحضانة هو الضرر المتحقق من إلزام الأب بأجرة الحضانة مع إعساره ، فدفعاً للضرر عنه قيل بالتخيير عند إعساره ، وهذا الضرر غير متحقق عند اليسار لقدرته على الدفع ، فلا معنى للتخيير فى هذه الحالة، ويلزم الأب بأجرة الحضانة ، ولا يدفع المحضون إلى المتبرعة . والجواب عن ذلك أن هذا الضرر متحقق فى حال اليسار أيضاً إذا ألزم بأجرة الحضانة مع تبرع من دون الطالبة من الحاضنات ، وذلك لأنه سيلزم بدفع مال لا تعود به على الصغير مصلحة زائدة لتحقيق العطف والشفقة والحنان فى المتبرعة إذ الفرض أنها غير أجنبية ، وأنها أهل وقادرة على الحضانة كما قدمنا ، وحينئذ يدفع المال يكون بغير مقابل يعود على الصغير فى رعايته وحفظه أو تربيته ، فيكون إضاعة للمال ، وقد نهينا عن إضاعته بنص الحديث المتفق على صحته ، فكان الضرر متحققاً فى حال اليسار أيضاً، فيجب أن تخير طالبة الأجر على الحضانة عند وجود متبرعة دونها فى حال يسار الأب أيضاً ما دام الدافع إلى التخيير هو الضرر ، ولا مجال للقول بعدم حصول الضرر عند اليسار بدليل أن فقهاء الحنفية قاطبة يجمعون على القول بدفع الصغير إلى المتبرعة بالإرضاع إذا طلبت الأم أجرة عليه ولو كانت المتبرعة أجنبية لا قرابة لها بالصغير ، معالين ذلك بقول الله تبارك وتعالى : « لا تضار والدته بولدها ولا مولود له بولده » أى لا يضار والد بالزمامه بأجر المثل إن وجدت متبرعة كما فى بعض التأويلات [٢] .

(١) فتح القدير ج ٣ ص ٣١٧

(٢) البدائع ج ٤ ص ٤١ ، الزيلعى ج ٣ ص ٦٣ ، ابن عابدين ج ٢ ص ٦٩٤ .

فهم يرون أن الحكم بأجر الإرضاع عند وجود المتبرعة به يعتبر ضررا بالأب، والضرر منفي بالنصوص الكثيرة ، ولا فرق في الضرر بين إلزامه بدفع أجر الإرضاع أو أجر الحضانة عند وجود المتبرعة فيما إذا كان الأب موسرا وكانت المتبرعة من الحاضنات المحارم كما قدمنا بيان ذلك فيما سبق .

١٦ - بقي أن يقال: إن الأخذ بهذا الرأي تترتب عليه أضرار اجتماعية، لأن كل أب لا يعدم أن يسخر من تدعى التبرع فترهد الأمهات في تربية أبنائهن ويتركنهم إلى من لا يعتنى بشئونهم، فيفسد بذلك المجتمع، وتنهار الأسس الصالحة فيه. ولكننا نرى أن هذا نقد لا يتوجه على موضوع البحث، لأننا فرضنا أن المتبرعة لها حق الحضانة وأنها أهل له وقادرة عليه ، ومثل هذه يبعد جدا أن تهمل في شأن من تبرعت بتربيته أو تقصر في حفظه ورعايته ؟! ثم ما الذي يزهد الأمهات في تربية الأبناء ما دامت تتقاضى للصغير النفقة بجميع أنواعها ؟ وما الحكم فيما إذا تزوجت أو سقط حقها في الحضانة لسبب ما ؟ ، هل يوجه مثل هذا النقد إلى من يليها في ترتيب الحاضنات !!؟ وهل يقال: إن هذه حال ضرورة مع أنها هي التي زهدت في حضانة ابنها بمحض اختيارها وإرادتها ؟ فالواقع أنه لا يوجد سند لهذا الاعتراض ، كما لا سند للموضوع أصلا بتقييد الدفع إلى المتبرعة بأعسار الأب فقط .

١٧ - أما إذا كانت المتبرعة أجنبية عن الصغير على النحو الذي شرحناه في أول البحث ، فإن الصغير لا ينزع من الحاضنة ، ولو طلبت أجرا على الحضانة قضى لها بهذا الأجر ، ولا تأثير لتبرع الأجنبية مطلقا ، موسرا كان الأب أو معسرا ، وسواء كان للصغير مال أو ليس له مال ، وذلك مراعاة لمصلحة الصغير بدفعه إلى من يتوفر لديه النفقة والحنان والرعاية وهي الحاضنة دون الأجنبية ، ولا ضرر في دفع المال هنا ، سواء كان من مال الأب إذا لم يكن للصغير مال ، أو من مال الصغير إذا كان له مال ، لأن دفعه يعود بمصلحة على الصغير ، وهي وجوده عند من تشفق وتحنو عليه وتقوم برعايته رعاية كاملة ، فدفع المال في هذه الحالة ليس إضاعة له بل هو صرف له في موضعه الشرعى .

١٨ - وقد يقال : لم لا يدفع الصغير إلى الأجنبية المتبرعة بالحضانة كما يدفع إليها عند تبرعها بالإرضاع؟ ولم لا يقاس تبرع الأجنبية بالحضانة على تبرعها بالإرضاع، فيدفع إليها الصغير كما يدفع إليها عند تبرعها بالإرضاع بأجماع فقهاء المذهب كما قدمنا .

وردنا على هذا أن هناك farkا كبيرا بين الحضانة والإرضاع ، فالإرضاع عملية آلية لا تستغرق إلا زمنا يسيرا ، ولا تحتاج إلى ما تحتاجه الحضانة من الشفقة والحنان والعطف والرعاية ، فتستوى فيها الحضانة والأجنبية ، فيكون تحكم الحضانة بطلب الأجر على الإرضاع مع وجود أجنبية متبرعة مضرا بالأب إذا ألزم بدفع الأجر إلى الحضانة ، ولا كذلك الحضانة فإنها تحتاج إلى الشفقة والحنان ، وتحتاج إلى أن تتركس الحضانة كل وقتها ومجهودها في رعاية الصغير والعناية به ، فيكون طلب الحضانة الأجر في هذه الحالة وإلزام الأب به غير مضر بالأب ، وهذا fark الكبير بين طبيعة الحضانة والإرضاع هو الذي يمنع الإلحاق في هذه الحالة ، ولا يتأثر قياس الحضانة على الإرضاع في دفع الصغير إلى المتبرعة الحضانة عند يسار الأب كما يدفع إلى المتبرعة عند اليسار أيضا ، نقول : لا يتأثر القياس بهذا لأن هذا fark غير موجود في القياس الماضي إذ كل من الحاضنتين المتنازعتين محرم للصغير يتوفر فيها ما تتطلبه الحضانة ، وليست أجنبية عنه بحال ، فيكون قياس الحضانة على الإرضاع في هذه الحالة سايما من جميع نواحيه .

١٩ - بقى أن نقول : إن الحكم المتقدم - وهو عدم الدفع إلى الأجنبية وإلزام الأب بأجر الحضانة إذا أصرت الحضانة على طلبه - ثابت بطريق التخيير في المذهب ، والنص الذي خرج عليه هو نص الوالدية والحانية اللذين قدمناهما حيث عبر فيهما بلفظ (العمة) وهي محرم للصغير ولم يعبر فيهما بلفظ « متبرعة » حتى يشمل الأجنبية ، وفي ذلك يقول العلامة ابن نجيم في البحر : « ولم أر من صرح بأن الأجنبية كالعمة في أن الصغير يدفع إليها إذا كانت متبرعة والأم تريد الأجر على الحضانة ، ولا تقاس على العمة لأنها حاضنة في الجملة ، وقد كثر السؤال عن هذه المسئلة في زماننا ، وهو أن الأب يأتي بأجنبية متبرعة بالحضانة ، فهل يقال للأم كما يقال لو تبرعت العمة ؟ وظاهر المتون أن الأم تأخذ بأجر المثل ولا تكون الأجنبية أولى ، بخلاف العمة على الصحيح إلا أن يوجد نقل صريح في أن الأجنبية كالعمة [١] .

وقد علق الخير الرملى على تخيير ابن نجيم بقوله : « وهو تفقه حسن صحيح ، لأن في دفع الصغير للمتبرعة الأجنبية ضررا به لقصور شفقتها عليه ، فلا يعتبر معه الضرر في المال لأن حرمة دون حرمة » [٢] .

(١) البحر الرائق ج ٤ ص ٢٢٢

(٢) منحة الخالق على البحر الرائق لابن عابدين ج ٤ ص ٢٢٢ ، رد المحتار له ج ٢ ص ٦٥٢

خلاصة البحث

٢٠ - ويتلخص من هذا البحث ما يأتي :

(١) أن تبرع الحاضنة بالحضانة مع طلب من هي أولى منها أجزا عليها ليس فيه نص عن المتقدمين لا صريحا ولا تخريجا .

(ب) أن النص المأثور عن المتأخرين خاص بتبرع العمة مع طلب الأم أجزا على الحضانة، وأن النصوص الواردة فيه بعضها مقيد بأعسار الأب بطريق المفهوم وبعضها مطلق .

(ج) أن الخير الرملي هو أول من قيد النصوص المطلقة بأعسار الأب بطريق التخريج .

(د) أن تخريج الخير الرملي غير سليم لأن مفهوم نص الخانية والبرازية وغيرهما ممن اعتمد عليه لا قيمة له لمعارضته للمنطوق وهو النصوص المطلقة .

(هـ) أنه لا دليل على التقييد بأعسار الأب من كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس أو نظر فقهي سليم أو نص صريح من أقوال فقهاء المذهب .

(و) أن القول بعدم التقييد بالإعسار في موضوع البحث مستند إلى :

١ - نص الوالدية وغيرها مع عدم صلاحية غيره من النصوص لمعارضته .

٢ - توفر الشفقة والحنان عند الحاضنتين وهو المناط في دفع الصغير إلى الحاضنة .

٣ - قياس التبرع عند يسار الأب على التبرع عند إعساره بجامع لزوم الضرر في كل منهما كما بيناه .

٤ - قياس تبرع الحاضنة بالحضانة على تبرعها بالإرضاع بجامع لزوم الضرر في الحالين ، فكما يدفع إلى الحاضنة المتبرعة بالإرضاع من غير تقييد بالإعسار فكذلك يدفع إليها في الحضانة من غير تقييد .

(ز) أن تبرع الأجنبية لا يسقط حضانة الحاضنة بحال ويحكم لها بما تطلبه من أجر ، وأن هذا الحكم ثابت بطريق التخريج . والله أعلم بالصواب

عيسى أحمد عيسى

المدرس بكلية حقوق عين شمس

لا تأكلوا لحم الخنزير

لا تأكلوا لحم الخنزير فقد حرمه الله في قوله تعالى : « إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله » . . . ولقد تضارب الفقهاء في إيجاد أسباب للتحريم خفيت عنهم ، فلما اكتشف العلماء أن الخنزير يصاب بكثرة بدودة « السيستو سيركس » وجدوا في هذا سببا منطقيا لحكمة التحريم .

ولكن قال المجادلون بعد ذلك : إن هذه الدودة يمكن قتلها بالغلي أو بالتبخير ، وأجابهم البهسطاء بأن القرآن أنزل في وقت لم تكن قد اكتشفت بعد إصابة الخنازير بهذه الدودة ولا طريقة الخلاص منها .

ثم قال آخرون بعد أن أظهر العلم أن الدودة التي تصيب الخنزير تصيب البقر والجاموس وغيره من الحيوانات التي أبيع أكل لحمها ، وسألوا : لماذا هذا الخلاف ؟ فأجيبوا بأن نسبة إصابة الخنازير أكثر من نسبة إصابة الحيوانات الأخرى ، وهذا القول لا يحقق رغبة المدققين من العلماء .

وأخيرا حلل علماء التغذية اللحوم كياويا في مختلف الحيوانات ، فوجدوا أن لحم الخنزير يحتوى على دهون أكثر من ضعفى اللحوم العادية ، وأضعاف ما يوجد في لحوم الطيور والأسماك ، وبذلك يجد أكلة لحم الخنزير رسوب كمية كبيرة من الدهن في جسمهم ، ووجد العلماء أيضا أن « الكولسترول » هو فضلة من فضلات الدهن يسير في الدم بنسبة خاصة ، إذا زاد تعاطى الدهن والزبدة والزيت زادت نسبة « الكولسترول » في الدم .

وهذا الكولسترول هو الذى يسبب تصلب الشرايين وضيقها وإرهاق القلب وتقصير العمر . وأثبت العلماء ذلك بما لاحظوه أثناء الحرب العالمية الثانية في الترويح التي خفضت كمية الزيوت المستهلكة فيها إلى أدنى حد - من عدم إصابة « الترويحيين » بأمراض تصلب الشرايين والأمراض القلبية على العموم . وليس معنى هذا أن يحرم عن الناس أكل الزيوت

والدهون، ففائدتها عظيمة لحياة الخلايا، ولكن المقصود أن يأكلوها بقدر معلوم وكميات لا تزيد عما يطالبه الجسم للاحتراق الداخلى .

فإذا أكلها الناس ضمن لحم الخنزير دون أن يعلموا أن لحم الخنزير أكثر دهنا من اللحوم الأخرى رسب « السكولوسترول » فى جدار الأوعية الدموية ، وأحدث تصلب الشرايين وما يتبعه من أمراض قلبية ينتج عنها تقصير عمر الإنسان وتخفيض فى محصول إنتاجه ، فواجبنا بعد ظهور كل هذه الأسباب وثبوتها علينا أن نرفع صوتنا عاليا لمنع مخالفة الدين الحنيف حتى ولو خفيت عنا أسباب التحريم ، فالله خالقنا وهو العليم بما ينفعنا ، يهدينا إليه ويحله لنا ، وما يضرنا ينهانا عنه ويحرمه علينا ما

دكتور محمد محفوظ

نذير لأمريكا

ينادىها من قبر بنيامين فرانكلين

قبل أكثر من مائة وستين عاما خطب بنيامين فرانكلين — أحد محررى الولايات المتحدة الأمريكية — عند ما كانت أمريكا تضع دستورها ، فقال :

« هناك خطر عظيم يهدد الولايات المتحدة الأمريكية ، هو (الخطر اليهودى) . فإذا لم ينص الدستور على إقصاء اليهود عن الولايات المتحدة فإنهم (سيحكمونا) فى أقل من مائة سنة ، ويغيرون شكل حكومتنا الذى من أجله سافكنا — نحن الأمريكيين — دماءنا ، وبذلنا حياتنا . . . إني أنبهكم إلى أنكم إذا لم تزيلوا اليهود إلى غير رجعة فإن أولادكم وأحفادكم سيلعنونكم فى قبوركم » .

لقد كان هذا الصوت نذيرا لأمريكا من محررها بنيامين فرانكلين ، ولا يزال هذا الصوت يجلجل من باطن قبر فرانكلين إلى أن يسمعه الأمريكيون . . .

حول ترجمة القرآن الكريم

تمهيد :

الترجمة : هى إبانة معنى كلام من لغة من اللغات بكلام آخر من لغة أخرى . قال فى المصباح : يقال ترجم كلام غيره إذا عبر عنه بلغة أخرى .

ومن المعلوم عرفاً أن ترجمة أى كتاب أو رسالة تكون مساوية للأصل ومحاذيه له فى حكاية المعنى ونسبته إلى ما هو منسوب إليه فى الأصل ، فترجمة « إنا أنزلناه فى ليلة القدر » تكون بلفظ من لغة أخرى يفيد الإخبار من الله بأنه أنزل القرآن فى ليلة القدر . ولا تكون الترجمة حقيقية إلا إذا اتفقت ألفاظ اللغتين فى إفادة هذا المعنى من غير زيادة ولا نقصان ، وحينئذ يجوز أن تحل الترجمة محل الأصل وتستوى اللغتان فى الاعتماد عليهما والاحتجاج بكل منهما عند الحاجة إلى العمل بهذا المعنى . ولا يتحقق ذلك إلا إذا كان المترجم حاذقاً للغتين واقفاً على مراد المتكلم الأول من كلامه بطريق من الطرق دون الاعتماد على مجرد فهم كلامه لمعرفته بأصول لغته . وبغير ذلك تكون الترجمة تقريبية ، وتتفاوت فى القرب من الأصل والبعد عنه حسب قوة المترجم وضعفه .

والترجمة التقريبية لا تحل محل الأصل فى الاعتماد عليها فى موطن العمل المبني على مقتضى ما تفيد النصوص ، لكن العرف العام بين الناس يعتبر الترجمة حالة محل الأصل مطلقاً سواء كانت حقيقية أو تقريبية ، وسواء كانت الترجمة واحدة أو متعددة من لغة واحدة أو من عدة لغات ، وسواء كانت المتعددة متفقة أو مختلفة ، كترجمة التوراة والإنجيل ، فأنها تسمى فى العرف بالتوراة والإنجيل ، وككتاب كيلة ودمنة لبليدبا الفيلسوف الهندى ، فأن أصله باللغة الهندية وترجم إلى عدة لغات ومنها العربية ويسمى الجميع كيلة ودمنة ، وككتاب سر تقدم الإنكليز السكسونيين الذى ترجمه المرحوم فتحى زغلول ، فأنه يسمى بهذا الاسم فى ثوبه العربى كما يسمى بذلك فى ثوبه الانكليزى . وهكذا كثير من الكتب المترجمة لا يتحاشى الناس عن إطلاق اسم الأصل على الترجمة من غير تصريح بها ، وذلك لاعتقادهم أن الترجمة والأصل شئ واحد لا يختلفان إلا فى اللغة .

فلو عقدت معاهدة بين دولتين مختلفتي اللسان ووضعت موادها بلغة إحدى الدولتين بمشاركة أولى الأمر من الدولة الثانية العارفين بتلك اللغة ثم ترجمت الدولة الثانية تلك المعاهدة بلغتها لاتكون تلك الترجمة معتمدة عند الدولة الأولى بحيث يصح الرجوع إليها عند الاختلاف في تطبيقها إلا إذا كانت تلك الترجمة معتمدة من تلك الدولة : بأن يوافق على نصوصها بتلك اللغة أولو الأمر منها من العارفين بلغة الدولة الثانية ، وحينئذ يستوى أصل المعاهدة وترجمتها في كل شيء : في الاسم ، والمراعاة في التطبيق ، والرجوع إلى نصوص أيتها عند الاختلاف بين الدولتين . ولكن العرف العام - كما قلنا - يعتبر الترجمة مطلقا نفس المعاهدة ، ويسوى بين الأصل وترجمته من غير فرق ، سواء وافقت الدولة الأولى على الترجمة أو لم توافق ، لأن أهل العرف ليسوا في معرض الاحتجاج بالنصوص والترام الدقة فيما يستفاد منها .

القرآن الكريم :

إذا تمهد هذا فالقرآن الكريم يطلق على معنيين : أحدهما الصفة القديمة ، وهو بهذا المعنى موضع نظر علماء التوحيد ، وهذا لا كلام فيه في موطن الترجمة . الثاني اللفظ المنزل من عند الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لا تعجز بسورة منه المتعبد بتلاوته ، وهذا اللفظ عربي كما هو معلوم قال تعالى : (إنا أنزلناه قرءانا عربيا لعلمكم تعلقون) أول سورة يوسف ، وهو موضع نظر الأصوليين والفقهاء ، لأن منه استنباط أحكام الشريعة إما مباشرة أو بالواسطة ، وهو بهذا المعنى موضع النظر في ترجمته إلى غير العربية ، فنقول : يستحيل عقلا ترجمته إلى لغة أخرى ترجمة حقيقية بحيث تساوى الأصل في إفادة جميع ما قصد منه من غير زيادة ولا نقصان وفي الاعتماد والاحتجاج بكل منهما ، وتكون الترجمة حجة بين الله وخلقه كالأصل ، إلا إذا كانت الترجمة بتوقيف من الله تعالى ، وهو ما لم يكن ولن يكون قطعا .

وأما الترجمة التقريبية ، وهي التي تكون بحسب ما يفهمه المترجم من نصه العربي ، فإن كان المترجم لها غير خبير باللغة العربية أو باللغة الأخرى التي يراد الترجمة إليها ، أو غير خبير بالأصول الإسلامية القطعية ، أو غير خبير بسنة النبي صلى الله عليه وسلم الذي عهد إليه بيان ما أنزله الله تعالى عليه من الذكر الحكيم كما قال تعالى : (وأنزلنا إليك الذكر

لتبين للناس ما نزل إليهم) سورة النحل ، أو كان من الطوائف المبتدعة الخارجة عن الإسلام وترجم القرآن على مقتضى نخلته وهواه ، فهناك تكون الطامة الكبرى والداهية العظمى ، فإن هذه الترجمة تصوير للقرآن على غير حقيقته وتحويل لبيانه عن الطريق القويم ، وذلك كما قيل عن ترجمة الطائفة القاديانية للقرآن الكريم .

وإن كان المترجم خبيراً باللغة العربية وباللغة الأخرى ، خبيراً بأصول الإسلام القطعية ، خبيراً بالسنة النبوية المطهرة ، وليس من أهل الأهواء والبدع ، فلا يمكن أن تكون ترجمته وافية بمعظم مقاصد القرآن الكريم : أولاً - لأن في اللغة العربية من المزايا والخواص والاتساع ما ليس في غيرها من اللغات ، فإن فيها الحقيقة والحجاز والسكناية والاشتراك والترادف والتقديم والتأخير والتعريف والتنكير والحذف والإضمار وغير ذلك . ثانياً - لأن في القرآن الكريم من سمو المعنى وجزالة التركيب وبراعة الأسلوب ما ليس في كلام العرب ، وإن كان من جنس كلامهم ، ولذلك أعجز البشر ، قال تعالى : (قل إن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) سورة الإسراء . ثم إنه يدل بالعبرة على منطوق وعلى مفهوم ، والمفهوم إما مفهوم موافقة أو وافق المنطوق ، أو مفهوم مخالفة إن خالفه . ويدل أيضاً بدلالة الاقتضاء ، ودلالة الإيماء ، ودلالة الإشارة . وبعبارة أخرى يدل بدلالة العبارة ، ودلالة النص ، ودلالة الاقتضاء ، ودلالة الإيماء ، ودلالة الإشارة . وفيه المبالغ والمقيد ، والعام والخاص ، والمحكم والمتشابه ، والنص والظاهر والمؤول والمحمل والمبين وغير ذلك مما يطول شرحه ، وهذا يجعل الترجمة التقريرية ناقصة وقاصرة وغير وافية بمعظم ما يقصد من القرآن الكريم ، ومهما كانت وافية ببعض المعاني لا تكون حجة يجوز للسلم الاعتماد عليها في أخذ الحكم الشرعي واستنباطه إن كان أهلاً لذلك ، لا للمترجم ولا لغيره . أما غير المترجم فظاهر لأنه يلزمه التقليد للمترجم ، وأما المترجم فيجب عليه إذا أراد استنباط حكم مراعاة النص العربي لأنه هو الحجة في حقه دون الترجمة . ومع ذلك ففي الترجمة ضرر كبير وخطر جسيم ، مع أنها خالية من الفائدة ، فلا ينطبق عليها ما أخبر عنه سبحانه وتعالى في شأن الخمر والميسر بقوله تعالى : (نساءونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما) سورة البقرة .

أما الضرر والخطر فلا أمور :

أولا : لأن فيها تلبيسا على المسلمين بأنها القرآن الكريم كالنص العربي ، وهي ليست كذلك بالاتفاق . ووجه التلبيس أن العرف العام يقضى بأن ترجمة أى كتاب ونفس الكتاب شئ واحد ، فإن كتاب كليله ودمنة بالنص العربى فى نظر الناس هو كليله ودمنة بالنص الأصيل الهندى ، وكتاب سر تقدم الانجليز باللغة العربية هو بعينه كتاب سر تقدم الانكليز باللغة الانكليزية ، ولا يجدى نفعا ما يتخذ من الاحتياط فى ترجمة القرآن الكريم بالتنبية على أنها غير القرآن ، فإن تناول الزمن وتعدد طبع الترجمة وما يفهمه أهل العرف يكفى كله أو بعضه فى اعتبار الترجمة والأصل واحدا من غير فرق .

ثانيا : أن الترجمة قد تتعدد بعدد اللغات ، وقد تتعدد فى لغة واحدة ، وفى ذلك ضرر من وجهين : الأول أنه يقع فيها اختلاف ، وهذا الاختلاف يكون فى نظر العامة اختلافا فى القرآن - لا فى التراجم - فيكون القرآن الكريم فى معرض القبول والرد والتصحيح والابطال والعياذ بالله تعالى . والوجه الثانى أن التعدد قد يكون مثار اختلاف المسلمين فى أصل دينهم ، لأنه يكون لكل طائفة منهم قرآن بلغتهم يعترفون به ، وقد ينكرون غيره ، فع ما فيه من خطر الانكار يترتب عليه ضياع حكمة إنزال القرآن بلغة واحدة ، وهى جمع المسلمين على كتاب واحد .

ثالثا : أن فتح باب الترجمة للقرآن الكريم من جهة رسمية يعتبرها المسلمون قدوة يشجع الملحدين وغيرهم على ترجمته ترجمة مشوهة ، وتختلط الترجمات فلا يفرق عوام المسلمين من غير العرب بين التراجم ، فتكون ترجمته سببا للاضلال لا للهداية ، مع أنها تحمل المسلمين غير العرب على عدم العناية بالقرآن الكريم بثوبه العربى ، وعدم تمتعهم بقدسيته العظيمة وروحانيته الباهرة .

أما إذا قفل باب الترجمة كما قفله أسلافنا الأقدمون ، وعرف لعموم المسلمين أن القرآن لفظ عربى أنزله الله على رسوله صلى الله عليه وسلم معجز للبشر متعبد بتلاوته كما أنزله الله لا تجوز ترجمته ، فإن هذه التراجم لا يلتفت إليها المسلمون فتندثروا ولا يكون لها اعتبار إلا عند صانعيها كما هو الحال الآن ، كما أن ذلك يحمل المسلمين غير العرب على تذليل الصعاب فى سبيل تعلم اللغة العربية حتى ينعموا ببركات هذا الكتاب المبارك ، ويتمكنوا من التعبد بتلاوته والاستهداء بهديه .

وأما ما يقوله المناصرون للترجمة في هذا الزمن من أن لها فائدة هي إرشاد المسلمين غير العرب الى أمور دينهم وتصحيح عباداتهم ومعاملاتهم والحيلولة بينهم وبين التراجع الفاسدة المضللة التي ينشرها بينهم المبشرون ليردوهم عن دينهم ، ودعوة غير المسلمين من غير العرب إلى الإسلام ، لأن اطلاعهم على محاسن القرآن ومزاياه بالترجمة ربما هداهم الى دين الإسلام فغير وجيه ، فإن إرشاد عوام المسلمين إلى ما ذكر إنما يكون بوساطة مرشدين من أهل العلم الذين يعرفون علوم الإسلام ، سواء كان العوام المسلمون من العرب أو من غيرهم ، إلا أنه ينبغي أن يكون المرشد لغير العرب عارفا بلسانهم . أما مجرد تلاوة القرآن ولو بنصه العربي فلا يكفي لإرشاد العوام العرب ، لعلوه عن مستواهم ، فغير العرب من باب أولى ، وكذلك دعوة غير المسلمين الى دين الإسلام إنما تثمر اذا قام بالدعوة علماء يشرحون أصول الإسلام ويبينون مزاياه ومراعاته لصوالح الناس في الدنيا والآخرة .

فأذا رأى ولاية الأمر من المسلمين أن بعض المسلمين في بعض البلاد الإسلامية وغيرها - وبخاصة غير العرب - قد نشئ بينهم الجهل بالدين ويخشى عليهم من تأثير المبشرين ، فليبعثوا مرشدين إلى تلك البلاد ممن يعرف لغتهم ويطلبوا إلى أهل تلك البلاد أن يبعثوا من بينهم طلابا إلى الجامع الأزهر ليتعلموا علوم دينهم ، ويعلموا قومهم إذا رجعوا إليهم . ويتوالى هذه البعثات من هنا وهناك يمكن أن يحصل المقصود ويزول هذا الخطر عن بلاد المسلمين .

ولوانضم إلى ذلك بذل المساعي والجهود لدى جميع الدول والطوائف الإسلامية غير العربية في نشر اللغة العربية بينهم ، واعتبارها لغة رسمية بين المسلمين في جميع الأقطار ، كان ذلك خيرا عظيما ، لأنها لغة الدين ، ولا يمكن الوقوف عليه من جميع الوجوه إلا بأنتقان اللغة العربية .

وقد كان حال المسلمين في العصور السابقة كلما فتحوا بلادا نشروا اللغة العربية فيها ، وقد برز كثير من العلماء الأعاجم في علوم اللغة العربية حتى فاقوا كثيرا من العلماء العرب ، مثل الزمخشري صاحب السكشاف ، وعبد القاهر الجرجاني صاحب كتابي دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة .

ورضى الله عن الإمام الشافعي إذ يقول في رسالته الأصولية : « فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده ، حتى يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ،

ويتلو كتاب الله ، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير ، وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك . وما ازداد من العلم باللسان الذى جعله الله لسان من ختم نبوته ، وأنزل به آخر كتبه ، كان خيرا له ، كما عليه الصلاة والذكر فيها ، ويأتى البيت وما أمر بأتيانه ويتوجه إلى ما وجه إليه ويكون تبعا فيما افترض عليه وندب إليه لا متبوعا .

وقد أشار رضى الله عنه بقوله : (ويكون تبعا) إلى دقيقة سياسية كان على المسلمين استدامة مراعاتها ، وقد راعاها المستعمرون ، فأنهم إذا استعمروا بلدا نشروا لغتهم بين أهلها ليسكونوا تابعين لهم .

من أجل ما قلناه وغيره مما لم نصل إليه أجمع أئمة المسلمين على عدم جواز (ترجمة القرآن الكريم) ترجمة عامة كترجمة غيره من الكتب ، وأجازوا ترجمة تفسيره ، وسندكر نصوصهم فيما بعد .

الفرق بين الترجمة والتفسير :

والفرق بين ترجمة نفس القرآن وتفسيره أن الترجمة تحاكي الأصل بحيث يظهر لقارئ الأصل والترجمة أن المتكلم واحد ، سواء كانت الترجمة حقيقية أو تقريبية ، فهى تحاكي الأصل فى نسبة الأقوال تماما ، فإذا كانت عبارة الأصل مثلا هكذا « قلت لفلان كذا ، ورد على بكذا » فالترجمة تكون على هذا السياق والنمط ، من أجل ذلك قلنا فى التمهيد : إن العرف العام يقضى باتحاد الترجمة والأصل .

وأما التفسير فهو شرح وبيان لمعنى القرآن الكريم بحسب ما فهمه المفسر بعبارة من عنده منسوبة إليه يتضح لـكل من قرأه أنه غير القرآن الكريم ، وقد يشتمل التفسير على زيادات من التوجيه وبيان أسرار التركيب وغير ذلك .

ولظهور أن عبارة التفسير صادرة من المفسر لا يقع اشتباه بينها وبين القرآن الكريم ، ولم يكن فى ترجمته ضرر أو خطر كالذى يلنا ترتبه على ترجمة نفس القرآن ، والله الهادى إلى سواء السبيل .

نصوص الأئمة في ترجمة القرآن الكريم :

١ — قال الزركشي في البحر المحيط في علم الأصول - وهو كتاب مبسوط لم يطبع - : لا يجوز ترجمة القرآن بالفارسية وغيرها ، بل يجب قراءته على هيئته التي يتعلق بها الإعجاز ، لتقصير الترجمة عنه ، ولتقصير غيره من الألسن عن البيان الذي خص به دون سائر الألسنة قال تعالى : (بلسان عربي مبين) .

٢ — عبارة النووي في كتاب المجموع شرح المذهب في فقه الشافعية صفحة ٣٧٩ من الجزء الثالث : « مذهبنا أنه لا تجوز قراءة القرآن بغير لسان العرب ، سواء أمكنه ذلك بالعربية أو عجز عنها ، وسواء كان في الصلاة أو غيرها ، فإن أتى بترجمته في صلاة بدلا عن القراءة لم تصح صلاته سواء أحسن العربية أم لم يحسن » .

٣ — عبارة المغني لابن قدامة في فقه الحنابلة صفحة ٥٣٠ من الجزء الأول : « ولا تجزيه القراءة بغير العربية ، ولا إبدال لفظها بلفظ عربي ، سواء أحسن قراءتها بالعربية أم لم يحسن » اهـ .

٤ — وأما ما نقل عن الحنفية من جواز قراءة القرآن بالفارسية فهو في خصوص الصلاة لبعض آيات تتوقف عليها صحة الصلاة . وقد أجازوا ذلك للعاجز عن قراءة هذه الآيات باللغة العربية للضرورة واكتفاء بالمعنى ، فإن ما لا يدرك كله لا يترك كله ، أما ترجمة جميع القرآن كما يراد من المشروع فقد نصوا على منعه كغيرهم من باقي الأئمة . وهذه بعض نصوص الحنفية :

(١) قال شيخ الإسلام أبو الحسن المرغيناني الحنفى في التجنيس :

« ويمنع من كتابة القرآن بالفارسية بالإجماع ، لأنه يؤدي إلى الإخلال بحفظ القرآن ، لأننا أمرنا بحفظ اللفظ والمعنى ، فإنه دلالة على النبوة ، ولأنه يؤدي إلى التهاون بأمر القرآن » .

(٢) وقال في معراج الدراية :

« من تعمد قراءة القرآن أو كتابته بالفارسية فهو مجنون أو زنديق ، والمجنون يداوى والزنديق يقتل » .

مشروع الترجمة

مشروع الترجمة صريح في الترجمة التي بينا فيما سبق أنها لا تجوز ، أما الترجمة الحرفية فظاهر . وأما الترجمة المعنوية فإن هذه الترجمة متى كانت تحاكي الأصل وتحاذيه في نسبة الكلام - وإن لم تف بجميع مقاصده - هي في العرف ترجمة للقرآن يعتبرها أهله مع تطاول الزمان هي نفس القرآن مهما اتخذ من الاحتياطات بالتنبيه على أنها ليست هي القرآن كما شرحنه فيما سبق . نعم إن أرادوا بالترجمة المعنوية تفسيراً مختصراً ينسب الكلام فيه إلى المفسر من غير محاذاة للأصل ولا محاكاة له في نسبة الكلام فلا مانع منه بشرطين : الأول أن تكون عبارته واضحة أنها تفسير للقرآن منسوبة للمفسر ، والثاني طبع نصها العربي معها لينزل الاشتباه من كل وجه . وهذا خلاف ظاهر المشروع ، فإن ظاهره أن المراد ترجمته بالمعنى المعروف لتفسير .

وما استند إليه المشروع من كلام المرحوم حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي فإن رأيه قد استقر على ترجمة التفسير كما يعلم من استفتائه جماعة كبار العلماء وافتائهم بذلك وتصديق مجلس الوزراء (إبريل ١٩٣٦) .

وما استند إليه أيضاً من كلام الزمخشري في كشافه فقد اقتصر في نقل عبارته كما يقتصر القارئ على قوله تعالى : (ذويل للصلين) ، وقوله تعالى : (لا تقربوا الصلاة) ، وذلك أن بقية عبارته تفيد ترجمة تفسيره وتفهيمة للناس ، فقد قال في آخرها : « مع ما في ذلك من اتفاق أهل البلاد المتباعدة والأقطار المتراخمة والأمم المختلفة والأجيال المتفاوتة على كتاب واحد ، واجتهادهم في تعلم لغته وتعلم معانيه ، ولأنه أبعد من التحريف والتبديل وأسلم من التنازع والاختلاف » اهـ ومثله عبارة شيخ الإسلام وهو أبو السعود .

وما استند إليه أيضاً من عبارة الزيلعي شارح الكنز في فقه الحنفية فكلامه كغيره من الحنفية فيما تجزئ قراءته في الصلاة فقط ، وفي آخر عبارته قال : إن أبا حنيفة رحمه الله رجع عن رأيه .

وما استند إليه من كلام الشاطبي في الموافقات ، غخلاصته أن اللغة العربية تختص

بالدلالة على معان ثانوية تابعة وخادمة زيادة عن المعانى الأصلية فلا يمكن ترجمتها بالنظر لهذه المعانى التابعة التى اختصت بها اللغة العربية إلى لغة أخرى، ويمكن ترجمتها بالنظر إلى المعانى الأصلية المشتركة بين جميع اللغات ، وذكر خلافاً وهو أنه هل تستفاد الأحكام الشرعية من القرآن الكريم باعتبار دلالاته على المعانى الثانوية أولاً تستفاد ، ورجح عدم استفادتها ، ويعنى أنها لا تكون مقصودة بالتبليغ ، وبناء عليه جوز ترجمة القرآن بالنظر لمعانيه الأصلية المقصودة بالتبليغ قياساً على تفسيره الذى اتفق عليه أهل الإسلام .

وعندى أن كلامه غير وجيه : فأولاً لا نسلم أن الأحكام الشرعية لا تستفاد من القرآن باعتبار دلالاته التبعية ، فإن تقديم ما حقه التأخير قد يفيد الحصر فيكون مشتغلاً على الإثبات والنفي كقوله تعالى : (إياك نعبد وإياك نستعين) فإن معناه نعبدك ولا نعبد غيرك ، ونستعينك ولا نستعين غيرك ، والأول منطوق والثانى مفهوم ، وبعبارة أخرى الأول أصلى والثانى تبعى . ولو سلم ذلك فترجمة القرآن باعتبار معانيه الأصلية على فرض استيعابها لها ليست مساوية للقرآن بالاتفاق ، ومع ذلك تشبه به وتعتبر فى نظر أهل العرف أنها القرآن ، وفيه من الخطورة ما فيه كما سبق ، وقياسها على التفسير قياس مع الفارق كما وضعناه .

وما استند اليه من كلام الحافظ ابن حجر نقلاً عن ابن بطال المالكي من أن الوحي كله متلو وغير متلو نزل بلسان العرب وبلغ اليهم وهم يبلغونه الى غير العرب بالترجمة ، فراده أن أحكام الدين الاسلامي من أصول وفروع وأخلاق - المأخوذة من الكتاب والسنة - تبلغ الى غير العرب بالترجمة ، وليس مراده أن يترجم القرآن كله الى لغات عدة بحيث يتكون من تلك التراجم مصاحف عدة انكليزية وفرنسية ولاتينية . . الخ . والدليل على ذلك أنه لم يقع فى زمانهم ولا فى زمان من قبلهم . والله اعلم ما

عبدسى منوره

عضو جماعة كبار العلماء

وشيخ كلية الشريعة سابقاً

مهازل الترجمة

في الكلام البليغ

نقلنا في صفحة ٢٤٧ من المجلد ٢٥ لهذه المجلة الشروط الفنية التي ذكرها أبو عثمان الجاحظ للترجمة ، وما يعثورها من أخطار ، وما يتعمله القائم بها من عظيم المسؤولية ، هذا في كتب العلم ، فما بالك بكلام الله المعجز ؟ . ونقلنا في ص ٢٦١ من المجلد ٢٦ جواب الشاعر البرهمي رابندرانات تاغور للذين اقترحوا عليه في مصر أن يترجم بالانجليزية كتبه التي ألفها هو نفسه باللغة الهندوستانية ، فقال لهم : إن ذلك مستحيل ، وإنه يعجز عن ذلك ، لأن لكل لفظة في لغتها جوا خاصا محيطا بها ، فإذا أمكن وجود لفظ في اللغة الثانية قريب المعنى من اللفظ في اللغة الأولى فإن الجوا الخاص بكل لفظة في لغتها لا يمكن أن ينقل إلى اللغة الأخرى . ولذلك كانت الترجمة تصلح في علوم الرياضة والطبيعة ، وتصلح في كتب التاريخ والسير : كالتوراة ، والإنجيل ، وتستحيل في الكلام البليغ ، ولا سيما إذا بلغ في بلاغته الذروة العليا كالقرآن .

وأما الآن مقال من اليوميات للأستاذ العقاد في جريدة الأخبار عن هذه الترجمات الجديدة لكتب شكسبير التي ينفق على كل منها مئات الجنيهات تحت إشراف الدكتور طه حسين !! . قال الأستاذ العقاد :

النشوز . . والتمهر

سألني أمس صديق أديب عن رأيي في ترجمة رواية شكسبير Taming of the Shrew بتأديب الناشر وقال لي : إن الدكتورة سهير القلماوى التي تتولى ترجمتها فضلت هذه التسمية على اسم « ترويض النمرة » الذي اختاره الأستاذ إبراهيم رمزي رحمه الله .

وإذا صح ما سمعته من الصديق الأديب فترجمة شكسبير تحتاج إلى تحقيق أصح من هذا التحقيق ، لأن الفرق بين النمرة والناشر بعيد ، بل جد بعيد .

إذ كانت الزوجة الناشز تهجر مسكن زوجها ويصلحها الرد إليه ، ولا يلزم من التنمر أن تخرج المرأة من بيت الزوجية بل لعلها تستقر فيه ولا تفارقه ولو طردت منه .

والناشز تسكره زوجها وتقله ولا تحب أن تعيش معه ، ولكن المتنمرة قد تحبه وتهواه ، وقد يكون نمرها من قبيل المناوشات والمغايبات التي يتبادلها الأحباء .

والناشز قد تترك بيت زوجها أو تعيش فيه ولا تنبس بكلمة واحدة .

أما النمرة أو المتنمرة فلا تسكت عن لذعات اللسان ولو كانت على مائدة الطعام !

والنشوز لا يكون إلا بين المرأة وزوجها ، ولكن التنمر خليقة تكون في المرأة مع كل إنسان : مع زوجها وأهل زوجها ، ومع أبيها وأُمها ، ومع الصواحب والجارات .

وإذا اطلع القارئ على رواية شكسبير علم أن الأساليب التي لجأ إليها الرجل لترويض الزوجة السليطة أو المتنمرة - تنفع حقا في تخويفها وتهديتها وتنجع في تهذيبها حيث يكون الأمر كله مستعدعا للتهذيب والتأديب .

ولكن هذه الأساليب قد تزيد المرأة الكارحة كراهة لزوجها ، ونفورا من معاشرته والإقامة معه في مسكن واحد ، وقد يكون نشوزها لأنها هي المهذبة المؤدبة وزوجها هو المحتاج للتهذيب والتأديب .

وهذا هو الفارق البعيد في معنى العنوان .

فكيف يكون الفارق أو الفوارق في الرواية كلها بما اشتملت عليه من مناظر وفصول ؟!! .

كان الله في عون الأدب إن لم يتدارك فهمه بتحقيق أصح من هذا التحقيق ما

الصدق

الصدق مطلوب في الأمور التافهة ، بقدر ما هو واجب في جلائها . وليس المهم ما يترتب على الكذب من الشر ، بل المهم أن لا تلطخ نفسك بالكذب .

تولستوى

الدستور الجديد

« إن هذا الدستور يا إخوانى بداية جهاد وليس نهاية كفاح » .

هذا من تعليق الرئيس جمال بعد أن انتهى البطل أنور السادات من تلاوة الدستور .
 حينما كانت مصر كلها مصغية إلى زعيمها في تعقيبه ، وفيما يلهج به عن مآسيها في الماضي ،
 وآمالها في المستقبل ، كانت مصر في إصغائها تتلقف كل مادة من مواد الدستور ، وكل كلمة
 من كلمات الزعيم ، كما يتلقف الظمآن قطرات الماء في فمه ، فتروى غلته رويدا رويدا ،
 وتبرد بكده شيئا فشيئا ، حتى لم يكد دستورها يتلى عليها ، ولم يكد زعيمها ينتهى من كلماته ،
 إلا دبّت في أعصاب مصر حياة جديدة ، وخالجها أمل قوى ، وتجدد إحساسها في غبطة
 وإيمان بأن الثورة لم تقف بأبطالها عند الخطوات الموفقة التي شهدتها ، بل تتجه بها
 إلى أهداف أخرى ، وتسعى بها إلى غايات ليست قصيرة المدى ، وإن حظها من هذا
 الدستور فضفاض بحق ، وخطر لمصر طائف الذكريات نحو دستورها القديم حينما قام
 حوله الجدل ، وثار من أجله بين الصفوف شغب وانقسام . . . ، وذلك لقصوره عن
 رغبات الشعب ، ضرورة أنه كان منحة شحيحة ممن يودون بقاء مصر في عقابها ،
 ولا يرضيهم إطلاقها في فسحة من الحرية ، ولا تمكينها من الأوضاع التي تقيم عليها
 حياتها المشدودة .

ثم جاءت تجارب تلك الحياة الدستورية تمثيلا لفصول مكررة : امتزج فيها الجسد
 بالهزل ، واشتبه الحق بالباطل ، ثم ظل مفروضا على مصر حقبة غير قصيرة . وإذا كانت
 الأمة أفادت منه شيئا ، أو تقدمت به خطوة ، فقد فاتتها أشياء ، وتعثرت فيه خطوات . .
 إذ كان التفوذ الاستعماري متغلغلا في أعصاب الدستور ، وكانت ألعيب الحكم آخذة
 صفة المشروعية الزائفة باسم ذلك الدستور وفي حمايته .

فإذا عدلنا بالذاكرة عن هذه النقائص ، ووقفنا أمام دستور الثورة ، تبينا في واضح
 نصوحه ، ولمسنا في خواه ومفهومه ، كل ما يجيش في صدر الأمة من رغبات ، ووجدناه
 غير مشوب بأيام تراث الأفهام في تفسيره ، أو يتكلف الذهن في تعاليله ، أو يقبل التأول
 للسيرة ذات اليمين وذات الشمال .

هذا دستور أوحى به وأملته على واضعيه حساسية شعبية وعاطفة وطنية ، وأشرف عليه ضمير قوى يفظ ، وتكفلات به عزيمة جدية صادقة ، بفناء تبويبه طبيعيا يوائم الثغرات التي تحسها الأمة في نظامها الاجتماعي ، وجاءت مواده جامعة لكل رغبة ، ووافية بالمقاصد التي يتجه إليها طموح المواطنين النابهين وغير النابهين . وماذا يبقى للطامحين بعد أن اشتمل الدستور الحديد على كل منفذ من منافذ الإصلاح ، وجمع كل مبدأ من مبادئ الوطنية المثالية ، والعدالة التامة ، والتوجيه إلى الصالح العام ؟ ؟

ماذا يبقى للغيورين على التربية بعد أن اعتمد الدستور في توجيه الشعب على الدين ، والخلق ، والوطنية ؟ وبعد أن ترك للمرأة رسالة شاقة تتفرغ لها في الأمومة ، وتؤازر بنشاطها في محيط الأسرة كفاح الرجل في جهوده المضنية ، وتساعده في بناء المجتمع بتكوين جيل جديد ؟ ؟

أحاطت مواد الدستور بجوانب الخير في كل ناحية يربى منها الخير ، وقد نهض إلى تفسير ذلك كله رجال إخصائيون : كالكتور العربي ، والكتور عثمان خليل ، وتحدثت إلينا سيدات فضليات كالكتور سهر القلماوى فيما أذاعته . وبهذا هدأت نفوس كانت صاخبة ، واستراحت طوائف الأمة إلى الدستور على وجه الإجماع ، ريثما تحين الفرصة لإبداء ما يعن لهم من رغبات .

وإذا روعى أن هذا المشروع للدستور لم يفرض على الأمة نهائيا ، بل مع ما فيه من جمال أتيحت للأمة فرصة النقذله ، وإدخال ما ترى من تعديله أو تكميله بالإضافة إليه - تبين من جديد وعلى وجه التأكد أن روح الثورة هي روح الأمة ، وأن أهداف الثورة هي أهداف الأمة ، وأن الثورة فيما نهضت إليه لم تكن مستوحية إلا من جانب الأمة ، ولا متأثرة بغير الإخلاص للأمة ، والحذب عليها ، والتفانى في إعلاء شأنها ، وتوفير السعادة لها ، وليس ذلك بحاجة إلى إعراب ، فالثورة لا تضن على الشعب بمجهود تبذله ، ولا تمن عليه بخير تحققه ، ولا تصده عن أمل ينشده ويعلق عليها الأمل في إدراكه .

بل هي تسبق الشعب إلى مبتغاه ، وتوقظ الوعي لدى من غفل وعيه ، وتهيب بالجميع أن يتسكتلوا صفا واحدا ، وأن يقتدوا بالثورة في إنكار الذات ، وبند التواكل ، وإيثار الجحد ، وعقد الخناصر على المودة في الوطن والتضحية للوطن ، والإيمان بأن سعادة الوطن سعادة لكل أفراد وجماعاته ، وأن الأناية وحب النفس سبب للراجع ، ومضيعة للجحد ، ومهزلة في التاريخ .

ومن خلال هذه الوطنية المثالية التي تبلورت فيها آمال الشعب ، ونفخ عبيدها من فم الرئيس ، ومن أفواه رجال الثورة .. من خلال هذه البطولة التي نهضت على يدها مصر من حضيض إلى نجد ، ومن خلال هذه الرجولة التي كشفت لمصر عن حياة أفسح مما كانت تقنع به ، وأبانت لها أن المجد أعظم مما كنا نحكيه عن الأسلاف ، وأحب مما كنا نقره . من هذا الجهاد الصادق الذي كنا نقرؤه في سير الأولين ، ولم نره إلا في مواقف أبطال الثورة . من هذه المحامد التي يتمثل فيها الحق ، وينطق بها الواقع ، ويشهد بها العالم في الآفاق . ومن هذه الحياة النابضة في قوة ، والتي تبعثها الثورة في جنبات الوادي مع إشراقة الشمس كل صباح ...

ومن هذا الحديد الفتى الذي نلج محاييله في وجه الزمن - نستطيع أن ندرك حقا تلك الأهداف التي تتمثل فيها روح الثورة ، والتي حدثنا عنها زعيم مصر مترجما بها عن إيمان الثورة : « بأن الدستور الجديد بداية جهاد ، وليس نهاية كفاح » .

ومن هذه الجملة عرف من لم يكن يعرف أن الثورة قامت لتظل قائمة ، وقالت لتظل ناطقة ، وتقدمت الصفوف لتمهد السبيل أمام الأجيال حتى تدأب الأجيال على مواصلة السير ، وإفساح الخطى ، وإدراك ما يضمه الزمن من أمجاد ، حتى تعيش مصر بعد : أكرم مما عاشت : قوية في دينها ، وأخلاقها ، ووطنيتها - قوية في قوميتها ، وشخصيتها ، عزيزة بين الدول ، مهيبة الجانب ، مذكورة بالثناء والإعجاب .

أما جمال وصحبه فلم يجمعوا لأنفسهم في شيء ، ولم يزاحمهم في وطنيتهم جنوح إلى شيء . وإذا كان من خصائص مصر عرفانها بالجميل فإن تستطيع الوفاء لرجال الثورة بما يستحقونه من تقدير .

فسلام على جمال في صحبه ، وسلام على صحبه في تضافرهم ، وجهادهم ، وسلام عليهم جميعا فيما يستقبلون من أعمار طويلة ، وحياة هنيئة ، تحوطهم فيها الأمة بقلوبها ، وتغمرهم بحبها ، وتهتف لهم دائما بدعواتها الطيبات ، والله المستجيب ما

عبد المظيف السيكي

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير التفيتش بالأزهر

مسئولية الطبيب

تطلع الصحف والمجلات على الجمهور أحيانا بحوادث مختلفة ، ترجع إلى سلوك بعض الأطباء مع مرضاهم مسلوكا غير عادي في علاجهم ، أوفى بإجراء بعض العمليات الجراحية ، أوفى وصف بعض الأدوية التي ينشأ عنها ضرر أو وفاة ، وأحيانا ينشأ الضرر من خطأ القائمين بتحضير بعض الأدوية في الصيدليات ، أو خطئهم في تقديم الدواء الذي وصفه الطبيب المعالج للمريض . وقد يترتب على هذه الحالات أن يلجأ المرضى أو أقاربهم إلى الدعاوى والشكايات لدى الجهات المختصة ، وتصدر أحيانا أحكام تلزم الأطباء أو أصحاب الصيدليات بتعويضات مالية ، تتفاوت بتفاوت الأضرار التي طلب عنها التعويض . ويراعى في تقدير التعويضات الظروف والأحوال والمناسبات والأسباب التي تولد منها الضرر . وقد استرعت هذه الحوادث وتلك الأحكام نظر بعض من يتطلمعون دائما إلى أحكام الشريعة الإسلامية في جميع تصرفاتهم ، حتى تساءل البعض عن حكم الشريعة في مثل هذه الحوادث وتلك التصرفات، وهل لها فيها رأى ، وماذا يكون رأيها وحكمها ؟

وقد استدعاني ذلك التساؤل إلى البحث عن الجواب عن هذه الأسئلة ، فعمدت إلى درس هذه الحوادث والتعرف على أحكامها في مظانها من كتب الفقه الإسلامي ، وهي ترجع إلى ما يأتي :-

جعل الفقهاء قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا ضرر ولا ضرار » قاعدة عامة فرعوا عليها كثيرا من أحكام الضمانات كضمان الحارس ، والملاح ، والخياط، والصباغ، والخباز ، وما إلى ذلك من أنواع الضمانات الناشئة عن تقصير أو تعد ممن يقومون بعمل من هذه الأعمال ، وفوق هذا فقد ورد نص خاص في تضمين الطبيب عن الضرر الناشئ من علاجه للمرضى ، فقد روى أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده (عبد الله بن عمرو بن العاص) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تطالب لم يعلم منه الطب قبل ذلك فهو ضامن » . وفي الحديث إيجاب

الضمان على الطبيب إذا تعاطى علم الطب ، ولم يتقدم له به معرفة ، لأنه تعدى بجهله على الأنفس وغرر بالمرضى فيكون ضامنا لما ينشأ عن عمله من ضرر أو إتلاف .

وقد بحث بعض العلماء في منطوق هذا الحديث ومفهومه وما يدل عليه وما يتعلق به ، فحصر الحالات المتعلقة بالعلاج ، وبين حكم كل منها ناظرا في ذلك إلى مقدار الضرر الناشئ من العلاج ، والتقصير الناشئ من الطبيب ، ومقدار معرفته بمهنة الطب والظروف التي تولد منها الضرر على الوجه الآتي :

فإن كان الطبيب حاذقا أعطى الصنعة حقها ولم تكن يده فتولد عن فعله المسأون فيه من جهة الشارع ومن جهة من يعالجه تلف فلا ضمان عليه ، لأن التلف نشأ بطريق السراية عن فعل مأذون فيه فلا مؤاخذه عليه : كما إذا ختن الطبيب الصبي في سن مناسبة للختان وراعى في ذلك الإجراءات التي يجب عليه القيام بها في مثل هذه العملية ، فإذا تلف العضو أو توفى الصبي لم يضمن الختان ، كما إذا نشأ عن التعزير وفاة فلا شيء على المعزr . وإن كان الطبيب جاهلا فذشأ عن علاجه ضرر للمريض فأن علم المريض بجهل الطبيب وأذن له في العلاج لم يضمن . وإن كان الطبيب حاذقا واتبع الإجراءات المطلوبة لجراحته لكنه أخطأت يده فهذا يضمن جنائية الخطأ ، وذلك في حالة ما إذا سبقت يد الختان إلى مقدار أزيد مما يجب قطعه من العضو فتلف العضو ، وهذا الطبيب الموصوف بهذه الأوصاف لو وصف دواء لمريض فأخطأ في اجتراحه فمات المريض يؤاخذ الطبيب بخطئه ، وإذا قام بجراحة بغير إذن فنشأ عن جراحته ضرر يضمن لأن الضرر تولد عن فعل غير مأذون فيه .

هذا ما قاله بعض فقهاء الشريعة الغراء خاصا بمباشرة الأطباء لأنواع العلاج والجراحة ووصف الأدوية ، وهو شامل لجميع تصرفاتهم على وجه التقريب . وجميع الأحكام المتعلقة بمهنتهم يمكن استخلاصها فيما أظن من قاعدة : « لا ضرر ولا ضرار » ، وقاعدة : « المتعدى يضمن ما نتج من أضرار بسبب عدوانه » . وهذه بعينها قاعدة المسؤولية التي سلكها المشرع الوضعي ، إذ قسم المسؤولية إلى مسؤولية تعاقد ومسؤولية تقصير ، فالأولى تترتب على الإخلال بالتزام عقدي : كمسؤولية البائع الذي يقصر في تسليم المبيع ، والثانية مترتبة على الإخلال بالتزام قانوني يوجب عدم الإضرار بالغير ، وهذه بعينها تشملها القاعدة الشرعية المأخوذة من الحديث النبوي . وقد نص القانون المدني الجديد في باب الالتزام

على هذه القاعدة في المأدبة الثالثة والستين بعد المائة حيث قال : « كل خطأ سبب ضرراً للغير يلزم من ارتكبه بالتعويض » كمسئولية سائق السيارة الذي يحدث ضرراً للغير في أثناء قيادته . فالضمان والمسئولية مدلولهما واحد ومنشؤهما واحد وهو الضرر ، فإذا أدخل الطبيب بواجبه العلاجي أو المحامي بواجبه الدفاعي كان كل منهما مسئولا عن الضرر الناشئ من تقصيره ، فأركان المسؤولية خطأ نشأ عنه ضرر للغير .

والخطأ في نظر المشرع الوضعي هو تقصير في مسلك الإنسان لا يقع من شخص يقظ في نفس الظروف الخارجية التي أحاطت بالمسئول ، فهو بالنسبة للطبيب تقصير في إجراءاته لا يقع عادة من طبيب يقظ وجد في نفس الظروف الخارجية التي أحاطت بالطبيب المسئول ، إذ المفروض في مهنة الطب أنها أجنحة رحمة تبسط على أفئدة المرضى فتكسبها اطمئنانا وتخفف عنها أوجاعها وتلطف آلامها ، فهي مهنة إنسانية تقوم بالواجب لا تطالب جزاء ولا شكورا ، وإنما تبغى الخير والمصلحة العامة للإنسانية . فالأرواح والأنفس والمهج أمانة في أيدي الأطباء يطلب منهم القيام بها على خير وجه ، وتطلب فيها العناية البالغة بمرضاهم حتى يصلوا إلى بر السلامة ويخرجوا مما فيه من أمراض وآلام ، فهم في بحر بلحى من الفرع والخوف والرعب تغشاه ظلمات بعضها فوق بعض ، ومن أجل ذلك ورد في بعض الآثار كثير من المثوبات والأجور للأطباء الذين يقومون بواجبهم خير قيام ، ويؤدون لمهنتهم ما تتطلب من عناية وجهد على الوجه الأكمل .

ورد في كل ذلك ما يشجعهم على القيام بواجبهم ، ويشرهم بالخير العظيم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

فمن هذا البحث الشرعي والوضعي المتعلق بالأطباء ومهنتهم وأخطائهم وتقصيراتهم وإهمالهم يرى أن المشرع الوضعي كان في استطاعته أن يولى شطره نحو قبلة الشريعة الإسلامية ويجعلها مصدرا معتادا به في وضع الأحكام لنظرية المسؤولية ، مستندا في ذلك إلى القاعدتين اللتين ذكرتهما ، خصوصا وأن المشرع الوضعي له سابقة عهد بهذه الشريعة حينما ولى وجهه شطرها في استفتاء أحكام الشفعة ونحوها ، فوجد فيها مرتعا خصيبا وأحكاما دقيقة مناسبة لأحوال الشفعة ، فتخير منها ما شاء له أن يتخير ، وانتقى الأحكام المناسبة لظروفنا وأحوالنا العمرانية والحضارية والاجتماعية ، وكان في اتجاهه هذا تأكيد للقاعدة الشرعية القائلة : « الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان » وهذا ما دعا الفقهاء إلى أن يتوفروا على البحث والدرس واستنباط الأحكام الشرعية الملائمة لكل عصر ، كما دعاهم

إلى أن يستنبطوا أحكام الحوادث المتجددة المتولدة من اختلاف الأحوال باختلاف الأزمان، علما منهم بأن الحوادث لا بد لها من تكاثر وتوالد، وأن ما قاله الفقهاء في العصور الماضية قد لا يصلح لبناء المجتمع الصحيح في العصور المتلاحقة. وإنا لنرجو للشرع الوضعي سدادا وتوفيقا، كما نرجو له ازدياد نشاطه وبخثه ودرسه وتنقيبه في التراث الفقهي الإسلامي حتى يأتي اليوم الذي يستطیع فيه أن يحصل على استقلاله التشريعي، ويتخلص من الاستعمار التقني، فاستعمار العقول أشد حسرة وألما من استعمار البلدان.

والتفاخر بالعقول ونضجها واستارتها أقوى مجدا، وأعظم كرامة. فقد روى عن نابليون أنه قال غداة وضعه للتشريع الفرنسي في عهده: «إنني لفخور ومغتبط بهذا العمل أشد من اعتباطي بالنصر في أعظم موقعة وأخطر حرب خضت غمارها وشاهدت ماحي من وحشيسا». وقبل ذلك اغتبط جستنيان بجمعه للقانون الروماني وتنظيمه وترتيبه وتبويبه وتهذيبه واختيار الأحكام المناسبة لعصره من القوانين السابقة عليه. ولم تكن الشريعة الإسلامية شيئا مذكورا في مجال الأبحاث القانونية الدولية وبجامعها ومؤتمراتها في العهود الماضية، وقد علا شأنها وذاع صيتها ودوت أحكامها في العصر الحديث في ميادين الدراسات القانونية الدولية: في المؤتمرات والجامع، كما أنه قد أصبح لها شأن أعظم وبجال أوسع في أبحاث القوانين المقارنة، بل لقد قررت أخيرا بعض المؤتمرات الدولية التي مثلت فيها مصر ببعض فقهاء أن الشريعة الإسلامية تعتبر مصدرا من مصادر التشريع. كما أن قانوننا المدني الجديد قد اعتبر الشريعة الإسلامية وأحكامها مصدرا من مصادره. وإن في إقبال بعض الباحثين على الفقه الإسلامي ودرسه وبخثه واستنباط أحكام القانون الدولي الخاص والعام من الفقه الإسلامي من قواعد معاملة الحريين والذميين والكتبيين وقواعد الحرب والسلام وغير ذلك من الأحكام التي تدور حول هذا القانون، وفي وجود رسائل خاصة من بعض الباحثين في التشريع الإسلامي كرسالة «المصلحة في التشريع الإسلامي» الدائرة حول المصالح المرسل والمقبول منها والمردود، ورسالة التعزير في الإسلام، وما تضمنته من أبحاث حول الجنايات ونحوها، كل ذلك بشير خير، ورسول قائل، ينبئ بأن الشريعة الإسلامية لأبد أن تصل إلى مجدها الغابر، وسلطانها الماضي، وهيمتها السابقة في التشريعات، كما أن في الأبحاث القانونية التي يقوم بها معهد الدراسات العربية أملا عظيما. وإنا لنرجو التوفيق لكل باحث ومنقب في تراثنا الإسلامي الفقهي. وإن في تكاتف الجهود، وتساند القوى، وامتداد البحث والسير، بشيرا بالوصول إلى الغاية المنشودة. والله معين العالمين، وموفق المصالحين ما

أغراض الإسلام

يتحدث عنها وزير العمل والشئون الاجتماعية

في مساء يوم الأحد ٩ من جمادى الآخرة سنة ١٣٧٥ هـ ، جلسنا بأحد أحياء مدينة القاهرة نتدارس الإسلام في جماعة التزم في أفرادها أن يكونوا جامعيين .

وكان موضوع مدارستنا تلك الليلة هو التفسير ومناهج المفسرين ، وبعد أن استعرضنا صورا شتى من التفسير ومناهج المفسرين رأينا أن خير منهج للتفسير هو أن ينظر المفسر إلى السورة أو الآيات المجتمعة في موضع ككل ، ثم يعرف ما الغرض من تلك السورة أو هذه الآيات ؟ وماذا حشد له من الأدلة ؟ وكيف وفّت هذه بالغرض المطلوب منها ؟ .

وإذا بنا نفاجأ بالسيد البكاشى أركان الحرب حسين الشافعى وزير العمل والشئون الاجتماعية يدخل علينا فيحينا ويصافحنا ، ثم يجلس متحدثا معنا فيقول :

إننى مسرور جدا لوجودى بينكم ، وهذه الطريقة السامية التى تتدارسون بها الإسلام .

إن الإنسان يجب عليه أن يعرف الغرض من كل شئ يتصل به ، وإن تلك المعرفة مهمة جدا ، والعسكريون يعتبرون معرفة الغرض أمرا هاما للغاية . وإذن فما هو الغرض من الإسلام ؟ .

إن الغرض من الإسلام هو الرحمة : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » . « بسم الله الرحمن الرحيم » والرحمن الواهب الرحمة ، والرحيم فاعلها ، ولذلك فكل تشريع يهدف إلى الرحمة فهو من أغراض الإسلام ، وكل عمل أو تشريع لا رحمة فيه بعيد كل البعد عن الإسلام .

والتساؤل عن الإسلام وأغراضه أمر قديم ثابت ، فقد جاء في الحديث الصحيح أن

التي صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع أصحابه فطلع عليهم رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يعرفه من الجالسين أحد ، وليس عليه أثر السفر، حتى دنا فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع يديه على نخذه ، ثم سأله فقال : يا محمد ، ما الإسلام ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إلى ذلك سبيلا .

والإسلام على هذا يتكون من شعار وأربعة أعمدة أو دعائم ، ولا بقاء للشعار إذا فقدت دعائمه ، ولا فائدة في هذه الدعائم إذا لم تحمل هذا الشعار .

فشعار الإسلام أو أساس الإسلام هو : « شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله » ودعائمه هي الصلاة ، والصوم ، والزكاة ، والحج .

والشعار يرمز إلى العزة والكرامة والحرية والمساواة ، فالناس جميعا سواسية : لا فضل لجنس على جنس ، ولا للون على لون . إنما ذوو الفضل من يحققون معنى « لا إله إلا الله » ومن يؤمنون بهذا الشعار ! .

وأما الدعائم الأربع فمنها دعامتان لتربية الفرد الصالح وهما الصلاة والصوم ، ومنها دعامتان لتكوين المجتمع الصالح وهما الزكاة والحج .

فالصلاة تدرب الفرد على محاسبة نفسه ، وحب الله ، والسعى في رضاه ، والبعد عن غضبه ، وكل صلاة لا تؤدي هذا الغرض ولا تربي في الفرد تلك المعاني فهي غير مقبولة عند الله بل هي مرددة على صاحبها !! فإن الله تعالى يقول : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » وفي الأثر : « رب مصل لا صلاة له » .

وأما الدعامة الثانية وهي الصوم فأنها تدرب الفرد على الصبر وعلى الإحساس والشعور ، وتهينه للاندراس في سلك المجتمع ، فيشعر بالام الغير .

وأما الدعامتان الثالثة والرابعة - وهما الزكاة والحج - فهما الغاية القصوى لتكوين المجتمع الصالح ، ففي الزكاة التراحم والتعاطف والتساند ، والحج هو المؤتمر الإسلامي

الأكبر، يجتمع فيه المسلمون من كل فج عميق، ليشهدوا منافع لهم، فيتم بينهم التعارف والتشاور والتناصح وتبادل العلوم والمعارف .

والشخص الذى يحج دون أن يفهم هذا الغرض الأسمى من الحج لم يفد من حجه كثيرا .

وكل هذه الدعائم لا شك تكون الفرد الصالح فى المجتمع .

وهى أهم ما تهدف إليه أرق النظريات العلمية الحديثة لمثل هذا التكوين .

وقد سلك الإسلام فى تلك التربية العالية طريق التدرج ، فأول ما يجب على الفرد هو الإيمان بهذا الشعار، ثم إقامة الصلاة لأنها هى الدعامة الأولى فى تربية الفرد، ثم الصيام لأنه يعد الإنسان للاندراج فى المجتمع . ثم يأتى دور التكوين الجماعى العام فتأتى الزكاة والحج .

فالعسكريون فى التدريب العسكرى الحديث يسرون على هذا المنهج فى تدريب الجنود . فالفرد يدرّب فى مجموعة صغيرة ، ثم ينقل إلى محيط أوسع ، ثم إلى المحيط العام ، وكذلك أركان الإسلام .

ولو تتبع الناس نهج القرآن لسعدوا !! ولأوتوا بالمعجزات ، فأن القرآن ليس معجزا بلفظه ومعناه فحسب ، بل تأتى المعجزة أيضا إن طبقت مبادئه .

وقد تحقق لنا ذلك أيمّا تحقق فى مشروع معونة الشتاء ، إذ حاولنا فيه تطبيق مبدأ من مبادئ الإسلام والقرآن ، ولم ندخل فيه أى مال حرام كالبانصيب والقمار والحفلات المحرمة التى كانت تقام لجمع مثل هذه الأموال، فلم تعد بركاته على الفقراء والمحتاجين فحسب ، بل كان من بركاته ما عاد على مصر كلها بالعزة والكرامة والرفعة والمجد، وصدق الله العظيم الذى يقول : « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » .

عبد القادر شيبه المحمد

فضيلة المحبة في الله

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : أن رجلاً زار أخاه في قرية أخرى ، فأرصد الله تعالى على مدرجته مسلماً ، فلما أتى عليه قال : أين تريد؟ قال : أريد أخاً لي في هذه القرية . قال : هل لك عليه من نعمة تربُّها عليه ؟ قال : لا ، غير أني أحببته في الله تعالى . قال : فأني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه . رواه مسلم .

تقديم : قوله صلى الله عليه وسلم : فأرصد الله على مدرجته مسلماً — معنى أرصده : أقمعه يرقبه ، والمدرجة بفتح الميم والراء هي الطريق لأن الناس يدرجون عليها : أى يمضون ويمشون . ومعنى تربها عليه : تحفظها وتراعياها ، أو تربها كما يربي الرجل ولده ، لأنه يقال : ربَّ فلان ولده يُرَبُّه رباً كما يقال رباها ، ومثلها رَبَّه ، ولتضمن تربها معنى الزيادة والمضاعفة عَدَّيت بهلى ، ف قيل عليه . ومعنى أحببته فيه : أحببته في مرضاته أى لها .

المعنى : إن من آيات الله الحسان ، الهادية إلى الخير والبر والإحسان ، في هذا الدين الذي أرسل الله به سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ، وإنقاذاً للهاككين ، وتفرجاً عن المكروبين ، وإسعاداً للبائسين — هذه المبادئ الاجتماعية التي تتعرفها العقول ، وتتعشقها القلوب ، ويشهد بعظيم جدواها وثمراتها كل من لا ينكر الظاهر المشاهد ، ولا يحجج الواقع الملموس ، وهى تلك المبادئ التي لا يغنى في أخذ الناس بها ، وتقدير مشاعرهم على مقاديرها ، وصبغ قلوبهم بصبغتها ، أية قوة مادية قاهرة ، بل ولا حكمة عقلية صائبة في هذا الوجود . فأت القوى المادية — بالغة ما بلغت — لا تستطيع أن تقضى إلا في ظاهر من أمر هذه الحياة الدنيا ، والأحكام العقلية مهما أحكمت وسددت لا تملك من أمر المثوبات الباقية شيئاً ، وليس لهاتين القوتين من هيمنة على الأسرار والبواطن ، ولا تأثير على العواطف والمشاعر كالذى للدين في حسن تلاففه إلى القلوب ، وتهذيبه إلى نواحي الخير من النفوس ، وعرضه عليها من لدن ربها البر الرحيم ، وخالقها الوهاب

الكريم ، الذى خالقها ، وفطرها : وأعد لها - على مقتضى ما أودعه من الأسرار فيها - ما فيه قوة العيون ، وشفاء الصدور ، مما لا يملكه أحد إلا الله ، ولا ينبغى لأحد سواه .

وهل يستطيع أحد غير الله أن يبشر أحدا بمثل هذه البشارة لهذا الذى أحب أخا له فى الله بأنه قد حظى بمثل هذه المحبة من الله التى ما جعلها لعبد إلا وقد قضى له بالرفعة والكرامة ، والشرف والعزة ، واللطف والعناية ، والنصرة والولاية ، والتوفيق والهداية ، والروح والريحان ، والجلود والإحسان ، وكل ما يقتضيه وصف المحبة فى هذا المقام العظيم الذى يعلو بمعناها على هذا الذى يتنزه الله عنه من حقيقة البشيرة التى هى ميل القلوب وانجذابها نحو المحبوب .

على أن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ، فيصل من يشاء بمن يشاء ، ويؤلف بين من يشاء ، ويفرق بين من يشاء ، على مقتضى من حكته البالغة ، وعزته القاهرة ، وعلمه المحيط . وفى الحديث : «الأرواح جنود مجندة ، ما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » فكيف يستطيع أحد غيره أن يؤلف بين القلوب المتنافرة ، أو يوحد بين الأهواء المتغايرة ، حتى لا يشقى إنسان بانسان ، ولا يتوقع منه غوائل البغى والعدوان ؟

فمن هذه المبادئ التى لا تملك قوة ولا حكمة بعد الدين أن تغرس فى النفوس غراسها ، وتمشرب فى القلوب روحها ، هذا المبدأ الكريم الذى تتحلى به قلوب أهل المحبة فى الله من المؤمنين . وقد بين الحديث بطريق الأولى أنها محبة خالصة من الشوائب والأغراض ، منزهة عن الأطماع والأهواء . إذ برأها من كل شئ غير ابتغاء وجه الله ، حتى من انتظار الجزاء على ما سلف من النعماء ، وهى الغاية التى تتقاصر دونها مودة الأوداء ، ووفاء الأوفياء .

وقد عظم الإسلام من أمر هذه الخصلة أيما تعظيم ، ودعا إليها بكل أسلوب حكيم ، ورغب فيها بكل ترغيب كريم . فالمؤمنون فيه ليسوا إلا اخوة متعاطفين « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم » المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا « مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحهم كمثل الجسد الواحد » . وهذه الأخوة من نعم الله التى يجب أن يذكرها ليشكروها « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتكم بنعمته إخوانا » . ولن يجد أحد حلاوة الإيمان وبشاشته ، وطيبه فى القلوب

ولذته، وجماله ووسامته، حتى يكون فيه ثلاث خصال هي إحداها كما في الحديث: « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار » بل إن انتفاء هذه الخصلة وحدها ليؤذن بانتفاء الإيمان، ففي الحديث: « والذي نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا » بل إن لأهل هذه المحبة - من القرب والزلفى ، والسمو عند الله إلى الدرجات العلا، بعد أن يكونوا من الذين يظلمهم الله بظلمه يوم لا ظل إلا ظله - ما يصوره لك هذا الحديث الذى رواه الترمذى بسنده إلى معاذ بن جبل رضى الله عنه وقال فيه : حديث حسن صحيح . قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قال الله عز وجل: المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء » ، وحسبهم أن يرسل الله إلى رجل منهم ملكا كريما ليبشره بأنه يحبه ، وحسبنا أن يخبرنا بذلك نبينا لنتخذ من المتحابين فى الله قدوة ومثلا ، ولنعلم أن الله أحق بكل جميل وأولى ، وأن له من كل وصف حميد المثل الأعلى .

أما بعد - نأمننا نريد أن نتبين سر هذا الفضل الظاهر لهذه الخصلة الحميدة من خصال الإسلام ، ولم كانت بهذه المنزلة من الإيمان ، وما هو وجه ما أسلفنا من أنها من آيات الله الاجتماعية الحسان ؟ . وأول ما ينبغى أن يعلم من ذلك أن هذه المحبة إنما هى فرع عن محبة العبد لله . ولهذا ورد عن ابن عمر رضى الله عنهما من حديث رواه أحمد رحمه الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « والذي نفسى بيده ما تواد اثنان ففرق بينهما إلا بذنّب محدّثه أحدهما » . ومن هنا يعلم أن هذه المحبة ليست بالأمر الهين كغيرها من ضروب المودات ، وصنوف المحبات التى لا ترجع إلى أصول ثابتة فى القلوب ؛ بل إلى أحوال خارجية طارئة من الاجتماع على الأغراض والشهوات والالتقاء فى الأهواء والنزعات مما هو مظنة التضارب والاختلاف ، وعرضة للتغير والزوال . ولهذا قيل : إن المحبة بين الأخيار سريع اتصاها ، بطلت انقطاعها ، وأن مثل ذلك كمثل كوب الذهب الذى هو بطيء الانكسار هين الإصلاح ، وأن المودة بين الأشرار سريع انقطاعها ؛ بطلت اتصاها : كالكوز من الفخار يكسره أدنى عبث ثم لا وصل له أبدا . وقد قيل فى ذلك :

من لم تسكن فى الله خلته فخليله منه على خطر

ومن وجوه أنها ليست بالأمر الهين كغيرها من المودات مع كونها سريعة الاتصال بين الأخبار أن هذا الوصف من الخير الذى تتلاءم به القلوب وتأتلف النفوس لا يكون

حتى تتطهر القلوب مما يلبسها ملابسة الأرواح للأجساد، ويجرى فيها مجرى الماء في العود،
ويتردد في خطراتها تردد الأنفاس في الصدور : من الأثرة وحب الذات ، والتعلق
بالمطامع واللذات ، واتباع الأغراض والشهوات ، والطموح إلى العلو على الخلق ،
والاستكبار في الأرض بغير الحق . وكما قيل :

كل امرئ في نفسه أعلى وأشرف من قرينه

وهل التطهر من هذه الخصال ، والتحلل بأضدادها ، إلا بمثابة هدم النفوس ثم بنائها،
وقتلها ثم إحيائها ؟ وهل ذلك إلا صورة من صور الجهاد الأكبر الذي يصل فيه المؤمن
ليله بنهاره في محاربة غرائزه وخصاله ، و منازلة مآربه وأوطاره ، حتى يخرج من هذه الحرب
الصارمة الحاسمة ، حرب الموت أو الحياة ، والهلاك أو النجاة، رجلا صادق الإخاء، كريم
الوفاء ، نقي الصفاء ، يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ويكره له ما يكره لها، ولا يحب إلا لله،
ولا يبغض إلا لله ، فلا يغيره خلاف في الرأي إن وقع، ولا تضارب في المصالح إن كان .
وعن علي كرم الله وجهه « لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا ما أبغضني » ولهذا حدثت
هذه المحبة بأنها « مالا تزيد بالبر ولا تنقص بالجفاء » أى أنها أعلى من أن تتناول إليها
أعراض الحياة . وسمع المأمون من بعض الشعراء قوله :

وإني لمحتاج إلى ظل صاحب يروق ويصفو إن كدرت عليه

فقال : ائتنى بهذا الصاحب ، وخذ مني الخلافة . على أن لهذه الأخوة من الخصال
في الدين ما يجعلها كغيرها من الأصول العظام ، لا تستطاع لغير أولى العزم من المؤمنين
الصادقين ، والعاملين المخلصين ، والموفقين المسددين . فعن ابن عمر رضى الله عنهما من
حديث سبق بعضه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : « للرجل المسلم على أخيه من المعروف
ست : يشمته إذا عاَس ، ويعوده إذا مرض ، وينصحه إذا غاب ويشهده ، ويسلم
عليه إذا لقيه ، ويحببه إذا دعاه ، ويتبعه إذا مات ؛ وينهى عن هجرة المسلم أخاه فوق
ثلاث » وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال : « المؤمن مرآة المؤمن ، والمؤمن أخو المؤمن : يكف عليه ضيعته ، ويحوطه
من ورأته » وفي رواية أخرى لغيره « المؤمن مرآة أخيه المؤمن يرى فيه حسنه وقبحه »
وهي كالتفسير لما قبلها . وقد كان أهل النفوس السكيرة من أسلافنا يرون أن ذلك

هو حق الإخاء ، وواجب الوفاء ، لا ما يتعلق به صغار النفوس - وما أكثرهم - من حب الإطراء والثناء .

فعن عمر رضى الله عنه أنه كان يقول : رحم الله امرأ أهدى إلى عيوبى . ومن كلام عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لميمون بن مهران رحمه الله : قل لى فى وجهى ما أكره ، فإن الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له فى وجهه ما يكره .

ولو أن المسلمين أشربوا فى قلوبهم هذه المحبة كما أشربها أسلافهم من المهاجرين والأنصار حتى قدمت فيهم أخوة الإيمان على أخوة الأنساب فى كل شىء حتى فى المواريث إلى أن استقرت بهم الدار ، واختلفت الحال ، لاستطاعوا أن يبتنوا مجتمعاً لا يجد فيه الضعيف ذلة ، ولا الفقير قلة ، ولا المنقطع وحشة ، ولا الغريب غربة ، ثم لأوصدوا هذه الأبواب التى يظن الجاهلون أن فى فتحها المخرج من مشاكلنا الاجتماعية ؛ ثم لمحو من بينهم هذه الحدود التى أقامها ليقطع بها ذات بينهم المستعمرون ، ويفرقهم بها الغاصبون ، حتى يكونوا ضعفاء مستذلين ، أو أعداء متنافرين ؛ ولا استطاعوا أن يكونوا كما شرع الله أمة واحدة لا تفرقها المذاهب والعصبيات ، ولا تحالف بين قلوبها الاختلافات والخصومات . فإن ما بينهم - على وضوح الكتاب وبيان السنة - لعجب من العجب : عجب كما يقول على كرم الله وجهه يميت القلب ، ويشغل الفهم ، ويكثر الأحزان .

ولنختم هذه الكلمات بحديث كريم فى مثوبة المتحابين فى الله ومن يعطون هذه المحبة حقها العظيم . فعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قال الله تعالى : وجبت محبتي للمتحابين فى » ، والمتجانسين فى » ، والمتزاورين فى » ، والمتبازلين فى » ، وبقوله تعالى فى صفة الأنصار الذين ضربوا لهذه الأمة وللأمة جميعاً أروع الأمثال فى المحبة والإيثار « والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

محمود فرج العقدة

المدرس بكلية اللغة العربية

انما هي اللقطة ، بفتح القاف ، لا غير

اللقطة : في كتب الحديث بفتح القاف .

قال النووي : هي بفتح القاف على اللغة المشهورة التي قالها الجمهور .

وقال في الفتح : اللقطة بضم اللام وفتح القاف ، على المشهور عند أهل اللغة والمحدثين .

وقال عياض : لا يجوز غيره .

وقال الزمخشري في الفائق : اللقطة ، بفتح القاف ، والعامّة تسكنها . كذا قال :

وقد جزم الخليل بأنها بالسكون .

وقال الأزهري : هذا الذي قال هو القياس . ولكن الذي سمع من العرب وأجمع

عليه أهل اللغة والحديث الفتح .

وذكر مثله القسطلاني .

هذا هو الصواب الذي لا محيد عنه ، وما سواه خطأ فاحش ، أوقع الخطئ فيه عدم

تمييزه بين ما جاء على وزن 'فعلة' من النعوت ، وما جاء على وزنها من الأسماء .

ومن هؤلاء الخليل بن أحمد ثم الليث ثم صاحب المقاييس ، وبعض المعاصرين .

ومن تمسك بقول الليث في اللسان ، فقد أنكره عليه الأزهري حيث قال : الفصحاء على غير

ما قال الليث : روى أبو عبيد عن الأصمعي والأحرار قالوا : اللقطة والقصة والثففة (بالفتح)

مشتقات كلها . وهذا قول حذاق النحويين . ولم أسمع اللقطة (بالسكون) لغير الليث .

ونقل الأستاذ عبد السلام هرون في التعليقة صفحة ٤٦٤ من تهذيب الصحاح ما جاء

في شرح الفصيح المنسوب إلى ثعلب ، مؤلفه ابن درستويه قال : اللقطة على وزن فعلة ،

بفتح الثاني ، والعامّة تسكنه ، وأما الخليل فذكر أن اللقطة ساكنة القاف . والقياس ما قال

الخليل وهو الصواب ، وما اختاره ثعلب وغيره خطأ .

اتمى كلام ابن درستويه .

وابن درستويه خطأ الصواب ، وهو ما قاله ثعلب ، وصوب الخطأ ، وهو ما قاله الخليل ، والذي أوقعه في ذلك أيضا عدم تمييزه بين ما جاء على وزن فعلة نعتا ، وبين ما جاء على وزنها اسما .

وقد جاء في أدب الكاتب لابن قتيبة ، تحت باب ما جاء محركا والعامّة تسكنه : قال : أتخفته تخفة ، وأصابته تخمة ، وهي اللقطة ، لما يلتقط ، وقال في الاقتضاب : كذا حكى غير ابن قتيبة ، ووقع في كتاب العين : اللقطة بسكون القاف اسم لما يلتقط ، واللقطة بفتح القاف الملتقط ، وهذا هو الصحيح ، وإن صح الأول فهو نادر ، لأن فعلة بسكون العين من صفات المفعول ، وبتحريك العين من صفات الفاعل .

وأقول أنا : إن صاحب الاقتضاب قد خلط بين ما هو اسم على وزن فعلة وبين ما هو نعت على وزنها ، كما خلط إخوان له من قبل .

أما الجواليقي فلم يعقب على قول ابن قتيبة ، وهذا معناه إقراره لما قاله صاحب أدب الكاتب .

وقال ابن دريد في الجمهرة (ج ٣ ص ١١٢) واللقطة (بالفتح) ، التي تسميها العامة اللقطة (بالسكون) معروفة ، وهو ما التقطه الإنسان فاحتاج إلى تعريفه .

هذه النقول قد ذكرت على طولها ، لأن بعض من يعز علينا قد أخطأ فيها وتمادى في الخطأ حتى اعتقد أن الخطأ هو الصواب ، وأن صواب غيره هو الخطأ .

والقول الفصل التعليمي في هذا الباب ما عقد له ابن السكيت في كتابه (إصلاح المنطق) باب فعلة . قال : واعلم أنه ما جاء على فعلة بضم الفاء وفتح العين من النعوت فهو تأويل فاعل . وما جاء على فعلة ساكنة العين فهو في معنى مفعول به . تقول : هذا رجل ضحكة كثير الضحك ، ولعبة كثير اللعب ، ولعنة كثير اللعن للناس الخ .

وفاته أن يذكر مثلاً لفعلة ساكنة العين ، فذكره السيوطي في المزهري . قال : قال أبو عبيد : ويقال فلان لعنة يلعنه الناس ، وسبة ليسبون به ، وسخرة يسخرون منه ، وهزأة وضحكة مثله ، وخدعة يخدع ، ولعبة يلعب به .

ثم قال ابن السكيت : ومما أتى من الأسماء على فعلة (بفتح العين) ، الزهرة النجم .
وهي التهمة واللقطة والتخمة والتحفة عليك بالتؤدة في أمرك . الخ .

والذى يدعو إلى الدهشة أن الأستاذ عبد السلام هرون كان أحد شارحي ومحققى كتاب (إصلاح المنطق) وقد صدر عام ١٩٤٩ . ولما أخرج كتاب تهذيب الصحاح عام ١٩٥٢ انساق مع ابن درستويه فى تخطئة المصيب وتصويب المخطئ ، فى تعليقه على مادة لقط ص ٤٦٤ ، ولم يميز بين ما قرره هذا المعلم الكبير : ابن السكيت ، فى إصلاح المنطق .

وبعد تحرير ما تقدم حدثنى الأستاذ الكبير السيد خير الدين الزركلى ؛ أن بدار الكتب المصرية نسخة خطية من كتاب : (التقريب فى علم الغريب) لابن خطيب الدهشة — محفوظة تحت رقم ٦٧٧

وقد جاء فيه : اللقطة كرتبة . ويسكن ، أو هو من لحن العوام . اه .

وأنا أقول قولاً لا ريب فيه : بل هو من لحن العوام وإن قالها الخليل والليث وابن درستويه ومن والاهم من المعاصرين .

نقلت هذا من تعليقى على صحيح مسلم الذى تخرجه الآن دار إحياء الكتب العربية .
صفحة ١٣٤٧ م

محمد فتواد عبد الباقي

الشباب والمشيّب

لم يدر	طعم العيش	شبا	ن	ولم يدركه	شيب
جهل	يضل قوى	الفتى	فتطيش	والمرمى	قريب
أواه	لو عقل	الشبا	ب	وآه لو قدر	المشيّب

اسماعيل صبرى

الى الميـدان

قسما بحبك يا بلادى والدموع الطاهره
 لأخوض معركة الكفاح مع الجنود الظافره
 وزد كيد عصابة دارت عليها الدائره
 مجد العروبة لن يهان فكل عين ساهره
 ستكون دولتنا لأعداء السلام القاهره
 بعزائم الشجعان منا سوف تبقى عامره
 فلسوف نذهب للعدا مثل الأسود الكاسره
 ولسوف نرجع بعدما نسقى الردى للغادره

* * *

قسما بحبك يا بلادى أننى ان أقعدا
 حتى أرى بأس العدو اليوم قد ولى سدى
 يأيها الوطن العزيز دم الشباب لك الفدا
 سنخوض معركة تنال بها المنى والسوددا
 ونلقن الباغى دروسا ليس ينساها المدى
 فالنار يصرخ فى دماءى ضاربا لى موعدا
 بين الملاحم ، كى أرد الحق من أيدي العدا
 وبكل جارحة بجسمى الحر ، لبيت الندا

فأذا حيت فأننى أحيا شريفا سيدا
وإذا قتلت ففى سبيل الله أن أستشهدا

* * *

عملاء إسرائيل إن ييغوا لنا غير النواح
قامت قيامتهم وثاروا عندما رمنا السلاح
ملئوا مسامع كل من فى الأرض من ذاك الصباح
وجموع إسرائيل ضجت من مهازلها البطاح
نقضوا العهود ، وأمعنوا فى غدرهم فلم النباح
هذى مكايدهم ترى للناس فى وضخ الصباح
ومن المذلة أن نرى مهد العروبة يستباح
وطئوا قداسته وقالوا : إن ذا أمر مباح !!
فألى المعامع يا فتاتى قد أتى زمن الكفاح
فعلى تقتيل العدا عليك تضميد الجراح

عبد الله محمد أبو عجد
بكلية الشريعة

يا شرق

يا شرق فانزع عنك ثوب البلى واستبدل المبهج بالموجع
فقد كفى أهليك مانابهم حتى أضاعوا واضح المبهج
كان لهم ما كان من عزة أرفع من أوج السهى الأرفع
مصطفى الغلايينى

أسرار الشريعة الإسلامية

في تعديل التقويم العربى و بدء الشهر الشرعى

نبينا الأسمى محمد صلى الله عليه وسلم قد عدل وحدات التقويم القمري (اليوم ، الشهر ، السنة) ثلاثة تعديلات بالوحى دون الاستعانة بأى أحد من الحاسنين أو الفلكيين . وبيانہ :
التعديل الأول : حصل في السنة الثانية بعد الهجرة ، إذ كان المتبع عند العرب خصوصا بالمدينة المنورة العمل بقاعدة تقرينية اصطلاحية لمبادئ الشهور القمرية بالوضع الاقترانى الوسطى ، فكانوا يجعلون كل شهر فردى العد من السنة (٣٠ يوما) كالأول والثالث والخامس الخ ، وكل شهر زوجى العد (٢٩ يوما) كالثاني والرابع والسادس ، وهكذا .
ومن المعلوم أن صيام شهر رمضان قد فرض في شعبان من السنة الثانية بعد الهجرة ، إذ نزل فيه آية (شهر رمضان) إلى قوله تعالى : (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) . وحدث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بقوله : (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته) وبقوله : (لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه) ...

وفي ليلة السبت الثلاثين من شعبان هذا التمس الصحابة رؤية الهلال بعد غروب الشمس ولم يروه ، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بآتمام شعبان (٣٠ يوما) آخرها السبت ، وصاموا رمضان (٢٩ يوما) من الأحد لغاية الأحد ، إذ رأوا هلال شوال عاليا مساء الأحد ، وشمل هذا التعديل جملة أمور :

« منها » أن مبدأ الشهر القمري بعد أن كان معتبرا بالوضع الاقترانى أى من الاجتماع للاجتماع صار معتبرا من الوضع الهلالى الذى هو (اتجاه نور القمر نحو سطح الأرض بعد المحاق بحالة تحقق رؤيته بعد غروب الشمس) وبهذا صار مبدأ الشهر الدينى الإسلامى إنما هو اليوم المسبوق بالمغرب الذى يعقبه رؤية الهلال ...

و « منها » أن مبدأ اليوم الدينى الإسلامى أيضا صار من الغروب للغروب ، فتقدم ليله على نهاره بعد أن كان اليوم عند العرب مضطربا ، تارة يعتبر مبدؤه من الشروق للشروق ، وتارة من الغروب ، وتارة من الزوال ، وتارة من لحظة الاجتماع كبداية الشهر الاقترانى عندهم ...

و « منها » إقرار الشارع لترتيب الشهر من أيام كوامل عددها (٣٠ يوما) تارة (٢٩ يوما) أخرى مع إلغاء لزوم التعاقب بينهما أى إلغاء قاعدة الفردية والزوجية التي أشرنا إليها، إذ قد يتوالى في القاعدة الشرعية أربعة شهور كوامل أعنى (٣٠ يوما) وثلاثة شهور نواقص أعنى (٢٩ يوما) بعد أن كان بعضهم يركبهم من (٢٩ يوما) فقط تاركين للكسر وبعضهم يجعله (٢٩ يوما) وكسرا دائما غير مباين بالكسر في أوله أو آخره بحيث يبدأ الشهر من لحظة الاقتران ليلا أو نهارا، وبعضهم يجعل الشهر الأول من السنة (٣٠ يوما) والثاني (٢٩ يوما) والثالث (٣٠ يوما) وهكذا على التعاقب إلا ذى الحجة فيجعلونه في السنة الكبيسة (٣٠ يوما) وفي البسيطة (٢٩ يوما) .

التعديلان الثانى والثالث : حصلا في السنة العاشرة من الهجرة إذ كانت السنة القمرية الدينية (١٢ شهرا قريا) منها (أربعة حرم) كالترتيب الحالى من عهد الخليل إبراهيم وولده إسماعيل عليهما أفضل الصلاة وأتم التسليم، ولكن عرب قريش قبل الإسلام بنحو (٢٠٠ سنة) كانوا قد انحرفوا عن دين أبويهم وأدخلوا كبسا غير منتظم على سنتهم يجعلها (١٣ شهرا قريا) كلما صادفت حرارة الصيف مواسم حجهم وتجاراتهم، ولم يكتفوا بهذه المخالفة بل كانوا ينسئون الأشهر الحرم : بأن ينقلوا اسم الشهر إلى ما بعده كلما أرادوا شن الحرب على غيرهم، فأنهت معالم المواسم الدينية وفسد نظام هذا التقويم الدينى .

ولما جاء الإسلام عدله بتحريم الكبس والنسيء معا إذ نزلت الآيتان « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا الآية » و « إنما النسيء زيادة في الكفر الآية » بهذا التحريم في سنة فاصلة بين الحق والباطل وهى العاشرة بعد الهجرة، إذ اتفقت فيها جميع التقاويم والتواريخ الشمسية والقمرية صحيحتها وفسادها، وعلم النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بالوحى فحج وخطب فقال : ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، أى منذ خلق الله الأجرام السماوية وحرركاتها وأزمنتها .

ويا لها من معجزة باهرة لنبي أمى لا يكتب ولا يحسب، إذ عادت في هذه السنة أسماء الشهور وجميع المواسم الدينية إلى أمكنتها التي كانت عليها زمن إبراهيم وإسماعيل عليهما أفضل الصلاة وأتم التسليم . كما كشف هذا أيضا أخطاء التواريخ : القبطى والرومانى والعبرى والميلادى قبل أن يتنبه أهلها لخطئها .

هذا ولم يؤثر أى خلاف بين المسلمين في أول صومهم وفطرم أيام النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين ومن بعدهم مع اتساع رقعة الإسلام في أيامهم واختلاف المطالع

غير الحادثة الماثورة في خلافة معاوية بالشام وولاية عبد الله بن عباس على المدينة المنورة، وكان عهد قن كقطع الليل المظلم ومظنة عدم الثقة والاتصال كالحاصل بين حكومات الإسلام الآن .

اي نعم لم يكن سبب هذا الخلاف الآن من أصول الدين أو أصول الفقه الإسلامي، بل السبب الحقيقي إنما هو التقاطع وعدم الثقة بين حكومات المسلمين، خصوصا بعد أن فرقهم الحروب التتريّة والصليبيّة ودسّأس الاستعمار ودماره .

ولذلك كان من أوجب الواجبات على المسلمين بعد إزاحة الاستعمار التماس عوامل التواصل والترابط والثقة بين حكوماتهم حتى تنتظم أمورهم الدينيّة والدنيويّة .

ولاشك أن من أهم هذه العوامل اتحاد كلمتهم في أول صومهم وفطرمهم وجميع مواسمهم وأعيادهم ، إذ فيها تظهر مظاهر الوحدة الاجتماعية بمعانيها الحقيقية .

مع العلم بأنه لا يمكن تحقيق هذا المأمول إلا مع المبدأ القائل (بعدم التعويل على اختلاف المطالع) في إثبات مبدأ الصيام والفطر والحج والنحر وسائر الشهور الشرعية ، ما دام العمل بهذا المبدأ القوي لا يخالف أصول الفقه ولا رأى المحققين من مجتهدى الفروع ، إذ صرحوا بالتزام أهل المشرق الصيام والفطر برؤية أهل المغرب وإن اختلفت المطالع .

وبالجملة فإن ما أريد بيانه أن الشارع قد اعتبر اليوم الشمسي الديني الإسلامي بقسميه الليل والنهار « من المغرب للمغرب » ، فليل اليوم الشرعي يعقبه نهاره ، كما جعل الله لهذا اليوم بقسميه فلما يدور به أو يسبح فيه على حد تعبير القرآن الكريم « وكل في فلك يسبحون » حول الأرض من الشرق إلى الغرب . . .

وكما أن دول العالم قد اتفقت على أن المبدأ الدوراني لليوم المدني عند خط الطول المقابل لخط جرينتش المسار بالمحيط الهادي شرق آسيا المسمى (خط تغيير التاريخ) بمعنى أنه إذا كان اليوم والتاريخ في أمريكا شرق هذا الخط (الأحد ٢٢ مايو) مثلاً يكون في شرق آسيا غرب هذا الخط (الاثنين ٢٣ مايو) فأنا نعتبر أيضاً هذا الخط مبدأ الدوران لليوم الشرعي . . .

فإذا تصورنا دوران نصف الليل الذي هو مبدأ اليوم المدني من (خط تغيير التاريخ) نحو المغرب منه أغنى إلى آسيا ثم أفريقيا وأوروبا والأطلانطي ثم أمريكا وهكذا

فكذلك نتصور دوران المغرب الذى هو مبدأ اليوم الشرعى من هذا الخط على هذا الترتيب قبل نصف الليل الذى هو مبدأ اليوم المدنى بست ساعات ، وكل بلد يمران به يتجدد فيه اسم اليوم والتاريخ .

بحيث إذا مر نصف الليل على القاهرة مثلاً ثم تركها نحو الغرب ساعة واحدة قيل : إن الساعة عندنا الواحدة صباحاً أى بعد نصف الليل من يوم (الاثنين ٢٣ مايو) بعد أن كان قبل هذه الساعة (الأحد ٢٢ مايو) بينما تكون الساعة حينئذ فى لندن (١١) من مساء (الأحد ٢٢ مايو) وهكذا يمر نصف الليل بالبلد الشرقى قبل البلد الغربى ويتجدد بمروره اسم اليوم الأسبوعى والتاريخ على هذا الترتيب . . .

وكذلك إذا مر المغرب بالقاهرة ثم تركها بساعة واحدة قيل إن الساعة عندنا الواحدة بعد المغرب من يوم الاثنين ٢٣ مايو بالتوقيت والتاريخ العربى أو الساعة (٧) أفرنكى مساء من يوم (الأحد ٢٢ مايو) بالتوقيت والتاريخ المدنى الغربى وهكذا .

وبهذا تبين أن عمل جميع الحكومات الإسلامية بل كل المسلمين فى بقاع الأرض برؤية أى بلد ولو كانت إلى الغرب ما أمكن كبرا كش لا يلزم عليه أى اختلاف أو تغيير فى التاريخ أو اسم اليوم الأسبوعى خلافاً لما فهم البعض .

بقى أنى ذكرت فى المقال السابق أن الذين اعتمدوا الحساب الفلكى سبباً لوجوب أو جواز الصيام والفطر بدل الرؤية . من متأخري الفقهاء يؤخذ من عباراتهم مجمعة أنهم يشترطون :

أولاً : دلالة هذا الحساب على إهلال القمر بمعنى اتجاه نوره نحو سطح الأرض بعد الحاق بحالة تحقق رؤيته مع البيان دون عسر بعد غروب الشمس .

ثانياً : أن يكون هذا الحساب الفلكى من موثوق بحسابهم كأن يكونوا جمعاً يؤمن تواطؤهم على الخطأ .

هذا من جهة معتمدى الحساب الفلكى من الفقهاء ، وأما من جهة الفلكيين الحاسبين والراصدين فقد اشترط أئمتهم لحالة (إمكان الرؤية مع البيان وعدم العسر) ألا يقل قوس السبق عن (١٢ درجة) ولا يقل قوس المكث عن (١٠ درجات) أو ما يساوى ذلك بحيث لا يقل زمن مكث القمر على الأفق بعد غروب الشمس عن (٤٠ دقيقة زمنية) .

وأما إذا قل المسكت عن (٤٠ إلى ١٦) في مثل أفق القاهرة فقال أئمة الحساب الفلكي والرصاد منهم: إنها وإن كانت حالة إمكان للرؤية لكن مع خفاء وعسر، ولذا لم يعتمدوها هؤلاء الفقهاء مبدءاً للصيام والفطر بدل الرؤية، وإنما قال بعضهم: ينبغي ألا ترد شهادة الشهود معها. كما قال أئمة الحساب والرصاد أيضاً باستحالة الرؤية حتى مع الصحو إذا لم يبلغ المسكت (١٦ دقيقة) في مثل عرض القاهرة، ولذا قال بعض الشيوخ: ينبغي أن ترد الشهادة حينئذ إذ أنها ترد بالريبة، والاستحالة العادية الثابتة بالحساب القطعي أقوى من الريبة...

هذه هي خلاصة شروط المعتمدين للحساب الفلكي بدل الرؤية كما يؤخذ من عباراتهم مجتمعة مع ندورتهم وضعف أدلتهم كما ذكرتها في المقال السابق دون تعصب...

وقد سئلت أخيراً عن مصادر هذه الشروط خصوصاً اشتراط كون الحساب من جمع يؤمن تواطؤهم على الخطأ، وكذا اشتراط (حالة الإمكان مع البيان) واشتراط أئمة الحساب مسكت الهلال (٤٠ دقيقة) ... ؟

وأقول لإجابة لهذا السؤال: إن مراجعياً فيما تقدم (من كتب السادة الشافعية) شرحاً ابن حجر الهيتمي والرملي الصغير على المنهاج وحواشيها لابن قاسم العبادي والشرواني والرشيدي والسيد البصري وفتاوى الرملي الكبير والعلم المذخور للسبكي وما نقلوه عن القشيري المشهور بابن دقيق العيد وعن ابن حجر العسقلاني (ومن كتب الحنفية) حاشية ابن عابدين على الدرر ورسائله (تنبيه الغافل) [١]. وأما مراجعياً من كتب الفلك فملخص الجعيني وشروحه وحواشيه وكتاب تشریح الأفلاك للعالمى و (بهجة النظر في حساب الأوقات والقمر) للشيخ الفيومي وشارح اللمعة للخصري و (خلاصة الأقوال في معرفة الوقت ورؤية الهلال) لشهاب الدين المجدى. وفي هذه المراجع أقوال كثيرة مختلفة ذكرها يطول، وما قدمته خلاصتها وأصحها. وكلها أو معظمها موجود بمكتبة الأزهر. والله الموفق ما

محمد أبو العلا البنا

مدرس الفلك بالأزهر وبكلية الشريعة

(١) (وإرشاد أهل الملة إلى ثبوت الأهلة) للشيخ بخيت المطيعى مفتى الديار المصرية سابقاً و (من كتب المالكية) مقاصد التحكيم للشيخ محمد على بن حسين مفتى السادة المالكية بالحرم المكي سابقاً.

الكتب

رائد الفكر المصرى — الامام محمد عبده

للدكتور عثمان أمين — ٢٨٧ صفحة — مكتبة النهضة المصرية

الدكتور عثمان أمين أستاذ الفلسفة بجامعة القاهرة أوسع الناس الآن دراسة حياة الشيخ محمد عبده ، ومذهبه فى الإصلاح ، وما بذله من الجهود فى هذا السبيل . وأول عهد الدكتور عثمان أمين بهذه الدراسة يوم كتب أطروحته بالفرنسية ، عن الشيخ محمد عبده ، ليحصل بها على العالمية (الدكتوراه) من جامعة السوربون ، بل كان أول عهده به عندما كان يصغى إلى أستاذه الشيخ مصطفى عبد الرازق ، وهو ينوه بشيخه الشيخ محمد عبده ، كلما سنحت لذلك فرصة فى محاضراته ومناقشاته بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، ثم اتصل الدكتور عثمان أمين بما عثر عليه فى دار السيد رشيد رضا من مراجع ووثائق عن الشيخ محمد عبده توطئة لإصدار كتابه عنه فى سلسلة أعلام الإسلام ، وكان ذلك قبل نحو اثنى عشر عاماً ، ومن ذلك الحين إلى الآن ينشر الدكتور عثمان أمين فى المجلات والصحف العربية والإفريقية ، بحوثاً ممتعة عن هذا النابغة المجدد المصلح .

وأما الآن آخر دراسات الدكتور عثمان أمين فى هذا الموضوع ، وهو كتابه (رائد الفكر المصرى) وهو كتاب ممنوع حقاً فى أربعة أبواب : الأول لسيرة الشيخ محمد عبده : فى شبابه ، وبعد أوبته من المنفى ، ووصف شخصيته . والباب الثانى لفلسفته : فمقد فصولاً لمحمد عبده الفيلسوف ، ومحمد عبده والمنطق ، ومحمد عبده الناقد ، ونظرية الحرية ، ونظرية الخير ، وفلسفة الاجتماع ، وفلسفة تاريخ الدين . والباب الثالث لمذهب الإمام فى الإصلاح : الإصلاح الأخلاقى ، وتفسير القرآن ، والدفاع عن الإسلام ، ومواقف الإسلام من الصوفية ، والإمام وإصلاح الأزهر ، وموقف الإسلام من السياسة ، والإمام وتعدد الزوجات . وعنوان الباب الأخير : أشعة الأستاذ الإمام ، تكلم فيه على

مدرسته في مصر ومدرسته في العالم الإسلامي . وبعد خاتمة تليق بالكتاب ذيله بثنائي قطع من مآثورات قلم الإمام . تلى ذلك فهارس للمراجع العربية والأوربية ، وكشاف للأعلام التي ورد ذكرها في الكتاب ، وصور شمسية لوثيقة من خط الإمام ، وشهادة العالمية التي نالها من الأزهر في عهد إسماعيل ، ورسالة بخط المستشرق براون إلى الأستاذ الإمام سنة ١٣٢١ (والمستشرقون إذا كتبوا بالعربية يؤرخون بالتاريخ العربي الإسلامي) ثم فهرس لموضوعات الكتاب .

إن كتاب (رائد الفكر المصري) دراسة علمية لحياة شخصية من أعظم أعلام العصر الحديث في دنيا العرب والإسلام ، وقد بذل الدكتور عثمان أمين أعظم مجهود في تسجيلها فشكر له وجزاه الله خيرا .

المسند للإمام أحمد

الجزء الرابع عشر — ص ٣٦٠ — دار المعارف بمصر

صدر الجزء الرابع عشر من مسند الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ — ٢٤١) بتحقيق العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر ، متضمنا ٣١٤ حديثا (رقم ٧٥٥٦ — ٧٨٧٠) من مسند أبي هريرة الذي ابتدأ من الجزء الثاني عشر ص ٨١ ، وقد طبع على مطبوعة الحلبي سنة ١٣١٣ والنسخة الكتانية المغربية ، ومخطوطة أبناء الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ التي في الرياض ، وعلى مجلد مخطوط سنة ٨٣٧ وفيه مسند أبي هريرة فقط . ومما لا ريب فيه أن هذه المطبوعة الجديدة أصح ما خدم به مسند الإمام أحمد لضبطها وعظيم العناية بتصحيحها ، وللتحقيق في إسناد أحاديثها والتنبيه على درجاتها من الصحة ، ومقارنة الأحاديث بطرقها في دواوين السنة الأخرى ، زد على ذلك الاستدراك والتعقيب على الأجزاء السابقة ، وفهرس الأبواب وما يندرج تحتها من الأحاديث في كل جزء ، إلى غير ذلك من مزايا الكمال التي بلغت المستوى المرجو في الطباعة والنشر ، يسر الله إتمامه .

المصطلحات الأربعة في القرآن

لأبي الأعلى المودودي — ١٣٧ ص — مطبعة العلوم والآداب بدمشق

وهذا كتاب آخر من ذخائر الفكر الإسلامي ألفه باللغة الأوردية الأستاذ السيد

أبو الأعلى المودودي في سنة ١٣٦٠ ، ونشر فصوله تباعا في مجلته الشهرية (ترجمان القرآن) ثم جمعه في هذا الكتاب . والمراد بالمصطلحات الأربعة في القرآن : الإله - الرب - العباد - الدين . وهذه الكلمات الأربع أساس المصطلح القرآني وقوامه ، والقطب الذي تدور حوله دعوة القرآن . ولما كان دين الإسلام أقدس العقود بين المسلمين وربهم ، فإن الوفاء بهذا العقد متوقف على فهم شروطه والعمل بها ، وقد ألف هذا الكتاب لذلك فقام بنقله إلى العربية الأستاذ السيد محمد كاظم سباق من زملاء دار العروبة للدعوة الإسلامية في باكستان التي يقوم عليها معتمدها الأستاذ السيد محمد عاصم الحداد ، بعد فقيدها ومؤسسها السيد مسعود عالم الندوي رحمه الله .

ومن زيادة العناية بهذه الترجمة العربية للكتاب أنه قد ألحق به ملحق بتخريج الأحاديث الواردة فيه ، بقلم الأستاذ المحقق الشيخ ناصر الدين الألباني . فتيحت العارفين بقدر مؤلفات السيد أبي الأعلى المودودي على إكمال ما عندهم من مجموعة مؤلفاته باقتناء هذا الكتاب .

مع الرعيل الأول

لحب الدين الخطيب — ٢٧٠ صفحة كبيرة — المطبعة السلفية ومكتبتها

الرعيل الأول في الإسلام هو الذي قال فيه رسول الله إلى الإنسانية صلى الله عليه وسلم : « خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » وقد حدد ذلك الحافظ ابن حجر في فتح الباري إلى سنة ٢٢٠ ، وهذه الحقبة التي شهد لها النبي صلى الله عليه وسلم ولأهلها بأنها خير القرون قد اتخذتها أفلام الدخلاء على الإسلام من المؤرخين والأدباء هدفا للطعن . ولما كانت هي المثل الأعلى في الكمال الإنساني ، فقد شوه الطاعنون سيرة أهلها وصورهم للقراء بغير صورهم التي كانوا عليها في الواقع . إلا أن الذين يتحرون الصدق من رجال الحديث كالبخاري ومسلم والإمام أحمد وأضرابهم استدركوا هذا الشر وقطعوا الطريق على أهلهم فأنبتوا في كتبهم التي هي أصدق الكتب بعد كتاب الله نصوصا تدل على حقيقة أعلام القرون الثلاثة الأولى ، ليهتدى الناس بها إلى مواطن الحق في تاريخ الصحابة والتابعين .

وكتاب (مع الرعيل الأول) الذي صدر في هذا الشهر بقلم رئيس تحرير هذه المجلة هو مجموعة فصول عن القرون الثلاثة الأولى من عصر النبي صلى الله عليه وسلم إلى أوائل القرن الثالث الهجري ، وهي مستمدة من نصوص أهل العدالة والصدق من رجال الحديث وتلاميذهم

ومن نهج منهم ، وفيها صورة صادقة لأهل تلك القرون الثلاثة تؤيد صحة الحديث النبوي فيهم ، وتصحيح الصورة الكاذبة المشوهة التي رسمها أهل الأغراض السياسية والمذهبية من المؤرخين . وما دمتنا في عصر أخذنا فيه باعادة النظر إلى أخطاء التاريخ محاولين تصحيحها ، فإن هذا الكتاب سيوقظ المشتغلين بالتاريخ وينبهم لحقائق تدفعهم إلى كتابة التاريخ الإسلامي من جديد اعتمادا على النصوص الإسلامية الصحيحة التي أشرنا إليها ، وبذلك يتبين لهم سر الله فيما أسدى من نصر وتوفيق لأهل الصدر الأول حتى تم لهم نشر دعوة الإسلام في آفاق الدنيا ، وإقامة دعائم الإمبراطورية الإسلامية التي كانت مفخرة الإنسانية في التاريخ ، وما كان ذلك إلا على أساس من الأخلاق والدين وتقوى الله عز وجل ، بخفاء النتائج على قدر مقدماتها ، ولا ينقصها إلا أن يعلمها الناس كما كانت في الواقع ، وهو أحد الأغراض الأولى من تأليف هذا الكتاب .

البهائية

لحب الدين الخطيب — ٣٠ صفحة كبيرة — المطبعة السلفية ومكتبتها

هذا هو البحث الذي سبق لرئيس تحرير هذه المجلة كتابته ، ونشر في جزءي رجب وشعبان ، من المجلد السادس والعشرين لمجلة الأزهر . وهو على اختصاره لا نظير له في العربية ولا في غيرها لأنه مأخوذ عن كتب البهائيين مباشرة : ما ينشرونه منها ليطلع عليه الناس ، وما يتداولونه بينهم محاولين بذلك أن يواروا سوءاتهم . ويمتاز هذا البحث عما في كتبهم بأنه قد وضعت فيه النقطة على الحروف بعناية وبصيرة ، بخفاء مرجعا صحيحا لمعرفة عقيدة هذه النحلة الضالة وسيرة مؤسسيها ، وكيف تطورت حركتهم إلى أن صارت إلى ما هي عليه الآن . وقد نشر هذا البحث الآن في كراسة مستقلة ليطلع عليه الذين لم يتيسر لهم قراءته في المجلة عند صدورها .

الوجودية في الميزان

للاستاذ محمد أبي المكارم عيسى — ٣٢ ص — مطبعة لجنة البيان العربي

الكفر بالله مرض قديم أصيب به ضعفاء الأحلام من الناس ، منذ أنعم الله على الإنسانية بمعرفته والايان به . والوجودية أحدث أعراض هذا المرض وأسخطها ، وقد

علم قراء مجلتنا أن لهذا المرض العقلي دعاة وناشرين حتى في جامعاتنا . ولما كانت معالجته من رسالة قسم الوعظ والإرشاد في الأزهر فقد نشرنا لصاحب الفضيلة مدير الوعظ والإرشاد مقالين في الجزء الماضي وهذا الجزء عن الاله والوجوديين ، وأهديت إلينا رسالة بعنوان (الوجودية في الميزان) لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبي المكارم عيسى الواعظ بالأزهر ، وهي رسالة ممتعة تناولت هذا البحث من مختلف النواحي ، وقدم لها فضيلة الأستاذ الجليل مدير الوعظ . والأرشاد ، فنلفت إليها الأنظار .

الرائد الى سليم العقائد

للأستاذ أبو العلا بدارى - ٢٠٦ ص - مطابع دار الكتاب العربى

أسلوب جديد في تقرير العقيدة السليمة وعرضها على قلوب الطلبة منسجمة مع ما يتلقونه من أسرار الطبيعة ، وآيات الله في الأحياء من نبات وحيوان ، وما تقع عليه أنظارهم من بدائع السكون ، ألفه فضيلة الأستاذ أبو العلا على حسين بدارى ناظر مدرسة لطفي ، بأسلوب واحد علماء الأزهر ، مستفيدا من تجاربه العملية في تكوين العقيدة الإسلامية في نفوس أبناء المسلمين ، فائتلف بهذا الأسلوب الاستدلال على دين الفطرة بالحقائق التي فطر الله السكون عليها . يتلوز ذلك عرض لطيف في فصول متعددة لمعالجة الإسلام أحوال المجتمع ، وتقويمه نفوس أهله بمكارم الأخلاق ، وما لعبادته من جميل الأثر في تكوين الأمة الصالحة . فرجو الله أن ينفع الناشر بما فيه من حسن التوجيه .

مذكرة علوم القرآن

لفضيلة الشيخ أحمد أحمد على - ١١١ ص - مطبعة الأزهر

صدرت الطبعة الثالثة من هذه المذكرة النافعة لطلبة السنة الأولى (قسم إجازة الدعوة والإرشاد) بقلم فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد أحمد على الأستاذ بكلية أصول الدين ، وهي منطبقة على المنهاج المقرر في معنى علوم القرآن وتاريخ ظهور هذا الإصلاح وتاريخ التدوين له وحكمة تنجيح القرآن وأول ما أنزل وآخر ما أنزل ، ونزول القرآن على سبعة أحرف ، والمكي والمدني ، والكلام على الوحي والشبه الواردة عليه ، ومنهاج جمع القرآن بحفظه وكتابته والشبه الواردة على الجمع وردّها ، ومنهاج ترتيب القرآن وكتابته ورسم المصحف والاعجام والشكل ، ومنهاج القراءات والقراء ، ومنهاج التفسير والمفسرين ، ومزج العلوم الأدبية والكونية بالتفسير إلى غير ذلك من تفاصيل المقرر لهذه المادة في دراسة الأزهر .

الأدب والعلوم

رسالة المثقف

ممثلي الهيئات الدولية ، فبلغ مجموع أعضاء المؤتمر ٢٦٠ عضواً ، ومثل مصر في هذا المؤتمر وفد برئاسة مدير جامعة أسبوط . وألقى مندوبو مصر أربعة بحوث أساسية في موضوعات : مسح الأراضي ، واستخدام موارد البيئة ، ومشروع السد العالي ، والمشروعات التي أعدت لمواجهة تزايد السكان في مصر وموقع مصر الجغرافي وأثره في تحديد سياستها الدولية . وقد أجمع المؤتمر على أن موقف مصر في سياستها الحاضرة يعتبر مثالا للأمة التي تريد أن تحمل الأمانة فتصون كيائها وكرامتها واستقلالها من جهة ، وتحول دون أن تستغل أية قوة كبرى موقعها الجغرافي من أجل تحقيق سيطرة عالمية . بل إن المؤتمر أجمع - بما فيه من ممثلي بعض الجامعات البريطانية والاورستالية - على أن موقف مصر الحازم في سبيل الاحتفاظ بحياد موقعها الجغرافي سيكون فيه إنقاذ الشرق الأوسط كله من أن يصبح محالاً للتنافس الدولي من أجل السيطرة ، كما ينقذ العالم كله من أن تصبح هذه المنطقة الخطرة طريقاً للسيطرة العالمية والحرب التي قد يحدث فيها الشرق بالغرب احتكاكاً لا بد أن ينتهي إلى كارثة إنسانية .

قال وزير التربية والتعليم في حفل أقيم في نادى بنك مصر بانبابه لتكريم رجال التعليم الذين أحيلوا إلى المعاش : أرجو ألا تنقطع صلتكم بالتعليم بمجرد انتهاء مدة خدمتكم ، لأن عمل الرجل المنتج ليس بمجرد وظيفة ، ولكنها رسالة كبرى لا تنتهى إلا بانقضاء الحياة .

ونحن نرى من تمام هذه الحكمة أن يعيد المثقف نظره إلى رسالته - إن كان يرى أن له رسالة - فينقيها من أدران الخطأ ، ويرجع إلى ربه في الأخطاء الفكرية التي سبق له الانزلاق فيها فيصححها لتكون خاتمة - بعد إحالته إلى المعاش - أرضى لله مما انزل في الخداعا بالثقافات الأجنبية ومغريات الدنيا .

مؤتمر علملة الجغرافى

دعت جامعة عليكرة الإسلامية في الهند إلى مؤتمر جغرافى انعقد بين ٩ و ١٦ يناير الماضى وحضره ممثلون من عشرين دولة من آسيا وإفريقية ، علاوة على ممثلي أربعين جامعة وأربع جمعيات جغرافية عالمية وبعض

اللغة العربية بلندن

ورد في التقرير السنوى الذى اصدرته مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية بلندن أن هناك أكثر من ١٥٠ طالبا كانوا يتلقون العلم فى قسم دراسات الشرق الأدنى والأوسط بالمدرسة فى العام الدراسى ١٩٥٤ - ١٩٥٥ ومن هؤلاء ٩١ طالبا كانوا يدرسون اللغة العربية ، و ٢٢ الفارسية ، و ١١ العبرية ، و ٧ التركية ، فى حين كان الباقيون موزعين بين اللغة الكردية والجورجية واللغات القديمة .

الطلبة المصريون

يدرسون الطاقة الذرية

يدرّس الآن سبعة من الطلبة المصريين فى (قسم الاشعاع الذرى) بمركز الابحاث الذرية فى هارويل ببريطانيا .

وقد وقع الاختيار على ضعف هذا العدد من الطلبة المصريين الذين يدرسون الطبيعيات وظهرت مواهبهم ، لكي يتدربوا - ابتداء من أول ابريل القادم - ويرجى أن يقدم من مصر الى بريطانيا رؤساء طلبة آخرون لتلقى دروس عملية فى العلوم الذرية .

مجلس دولى للدراسات العلمية

قرر مؤتمر عليكرة الجغرافى إنشاء مجلس للدراسات العلمية فى إفريقيا وآسيا ينضم إليه علماء يمثلون القارتين لتنظيم تبادل المعلومات ونتائج البحوث العلمية ، وعقد المؤتمرات وتبادل البعثات التى بالقارتين وبلادهما وحياة شعوبهما ونهضاتهما القومية وتحقيق التعاون بين الباحثين بصفة عامة .

ذكرى الخلافة الأموية

فى قرطبة

تقيم الدولة الاسبانية عما قريب احتفالات شائعة لذكرى تأسيس عبد الرحمن الداخل الخلافة الأموية فى قرطبة ، وسيقام معرض عربى اسبانى فى قرطبة - خلال هذه الاحتفالات - يشتمل على أقسام خاصة بالفن المعمارى ، والآثار ، والنحت ، والنقش على القيشانى ، والأسلحة ، والنقود ، وصناعة الأوانى النحاسية والزجاجية والبرنزىة والفضية والأقمشة والسجاجيد ، وسيقام معرض للموسيقى والقصص الشعبى . وتعد إدارة العلاقات الثقافية فى اسبانيا ومعهد الثقافة الاسبانية معا برنامجا شاملا لهذه الاحتفالات .

إنشاء العمل الإنشائي

الدستور والهدف

قال البكاشى زكريا محي الدين وزير الداخلية عند افتتاحه نقطة بوليس كفر شكر: إن الدستور فى ذاته ليس هدفاً ، وإنما الهدف المبادئ والمعاني التى سجلها الدستور . وهو العمل المنتج ، وبناء مجتمع صالح قوى بمبادئه ، وأخلاقه ، ليواجه هذا المعترك الدولى الملىء بالدسائس والأطعاع . إن الدستور وحده لن يجعل السماء تمطر ذهباً وفضة ، ولكن العمل والكفاح والاتحاد هو الوسيلة للنهوض بالأمة والوطن .

القوانين

التي ذكرت فى الدستور

يقول البكاشى أركان الحرب حسين الشافعى وزير الشؤون الاجتماعية والعمل : إن القوانين التى أشار إليها الدستور إذا كانت تتناول مبدءاً جديداً ، فلا بد أن يصدر بها قانون جديد ينظم موضوعاتها ، أما إذا كانت تتناول شيئاً قائماً فسيكون الغرض من ذكرها فى الدستور الاعتراف بهذا الشيء والتأكيد له ، ومن ثم ترتب الالتزامات التى تتعهد به بالنمو حتى تصل به إلى حد الكمال .

التعاون فى الدستور

لأول مرة تعترف الدولة المصرية بالتعاون فى دستورها الجديد على أساس من أسس النظم القائمة فى مصر . صحيح أن هذا النظام كان موجوداً من قبل ، ولكن شتان بين ما كان عليه وبين قيامه على قواعد دستورية سليمة تهدف لخير الجميع ، فى شتى مرافق الحياة الاقتصادية والعمرانية .

طريق السويس - جدة

فى مقدمة الطرق التى يراد إقامتها لربط مصر بالملكة العربية السعودية طريق يمتد من السويس إلى جدة ، وتقوم مصر بإنشاء وتعبيد قسمه الممتد من السويس إلى خليج العقبة فى محاذة الشط الشرقى من خليج السويس ، وينتظر أن ينتهى قبل نهاية العام الحالى ، وتقدر نفقاته بنصف مليون جنيه ، ويبلغ طوله ٥٠٠ كيلو متر .

وتقوم المملكة السعودية من جانبها بإنشاء طريق داخل حدودها على أن يتصل بالطريق المصرى ، فيمتد من منطقة الرأس

هذا ما قاله صاحب «منصب وزير يسكن في الجزائر» وهو صادر عن عقليّة استعمارية يابغى عليها التعصب فيخفى عليها تطور الشعوب العربية واهتداؤها إلى طريق التحرر الذي لا طريق لها غيره . ومع ذلك فإن الفرنسيين الذين أسكنتهم فرنسا في وطن الجزائريين منذ مائة سنة إلى الآن قد ساءهم هذا التصريح الاستعماري المساع من الجنرال كاترو ، فما كاد رئيس الوزارة الفرنسية يصل إلى الجزائر حتى خرج تزلّؤها الفرنسيون لاستقباله بالشتائم ، ورجوه بالطاطم والبيض والحجارة ، وأرغموه على إقالة الجنرال كاترو .

وفي نفس الوقت أصدر النواب والعلماء الجزائريون بيانا طالبوا فيه رئيس الوزراء بالحكم الذاتي للجزائر وعدم الخضوع لضغط المستعمرين الفرنسيين .

ميثاق الجامعة العربية

تقترح سوريا تعديله

تلقت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية مذكرة من وزارة الخارجية السورية تقترح فيها تعديل ميثاق الجامعة على ضوء التجارب التي مرت بها في الميدانين العربي والدولي ، وقالت المذكرة : إن الهدف من هذا هو تعديل ميثاق الجامعة العربية بصورة تؤدي إلى دعمها وازدياد نشاطها في الحقل العربي وفي الميدان الدولي .

إلى المولىح فينبع إلى جدة وبلغ طوله ٨٠٠ كيلومتر ، وقد بدأت الجهات المختصة في القطر الشقيق بتنفيذ المرحلة التمهيدية لإنشاء هذا الطريق .

وكان هذا الطريق - قبل الاعتماد على البواخر البحرية - هو طريق الحج المصري من السويس إلى الحجاز .

الجزائر

لا يمكن اعتبارها مقاطعة فرنسية

تولى الوزير الفرنسي الجنرال كاترو منصب « وزير يسكن في الجزائر » وليس منصب « الوزير المقيم » ، وأدلى بتصريح لصحيفة فرنسية قال فيه : « إن نظرية ضم الجزائر إلى فرنسا أصبحت قديمة ، ولا تتماشى مع التطور الحديث ، وإن للجزائر شخصية جزائرية خاصة » . ثم قال : « ولا يمكن اعتبار الجزائر مقاطعة فرنسية . ويجب أن نبتكر نظاما يرضى الشخصية الجزائرية ، كاعطائها مثلا استقلالاً إدارياً كبيراً لا يؤدي إلى الاستقلال السياسي ، وبمعنى آخر يجب تأييد النظام الحالي مع توسيعه ومنح جميع سكان الجزائر حقوقاً وواجبات متساوية . وفي هذه الظروف إذا أصبحت فرنسا الجمهورية في المستقبل وحده جمهورية فيدرالية فإن الجزائر تجد مكانها فيها » .

مؤازرة الصهيونية

وقد اعتمد وزير التربية والتعليم اللاحقة الخاصة بالمكتبات المدرسية، ومن أهم نصوصها إعفاء المدرسين المشرفين على المكتبات من الحصص في المدارس والمعاهد الكبيرة، وتخفيض جدول الحصص في المدارس الصغيرة إلى عشر حصص، لكي يتمكن أمناء المكتبات من النهوض بواجباتهم فيها على أكمل وجه .

حركة الترجمة والتأليف

كانت الإدارة العامة للثقافة بوزارة التربية والتعليم قد قررت مشروعاً بترجمة وتأليف ألف كتاب تملأ فراغ المكتبة العربية في الموضوعات التي لا غنى عنها، على أن ينفذ هذا المشروع بالتدرج . وقد بلغ عدد الكتب التي اختارتها للترجمة حتى الآن ١٣٠ كتاباً في نحو ستة عشر موضوعاً كما بلغ عدد الكتب التي تقرر تأليفها في موضوعات خاصة بهذا المشروع ثلاثين كتاباً في مختلف العلوم والفنون .

أبعدت الشعوب العربية عن الغرب عقد سفير المملكة العربية السعودية في مصر ومؤتمر صحفي طالب فيه بريطانيا وأمريكا بأن تقلعا عن مؤازرة الصهيونية العالمية، وأن توقف سياستهما الاستعمارية التي أبعدت العرب عن الغرب، وأعلن أن لدى حكومته وثائق دامغة تدين بريطانيا وتثبت أنها استخدمت المال للتأثير على المواطنين العرب لتصل إلى أغراضها الاستعمارية . قال : وان حكومته ستقدم هذه الوثائق للعالم في الوقت المناسب

المكتبات المدرسية

نجح في امتحان الدراسات التدريسية لأمناء المكتبات المدرسية الذي عقد للفوج الثاني، ٩٤ مدرسا ومدرسة، من مجموع الذين حضروا هذه الدراسات وعددهم ١٢٠ من مدرسي القاهرة والجيزة . وينتظر أن تصدر وزارة التربية والتعليم قريباً قراراً بإسناد أعمال المكتبات إليهم .

الفهرس

صفحة	الموضوع	بـ
٦٩٧	الثب للصرى جزء من الامة العربية . . .	الاستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٧٠٢	أمثلة من توافق العربية والمصرية القديمة . .	» » » » »
٧٠٣	نفعات القرآن : غرور الناقصين ونزكية الآمين	» عبد اللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء
٧٠٩	السنة : خاتم النبيين - ٤ -	» طه محمد الساكت
٧١٤	بنو إسرائيل فى الماضى والحاضر - ٢ - . . .	» محمد محمد أبوشهبة الأستاذ بكلية أصول الدين
٧٢٠	السفير الأزهرى	» أبو الوفا المرافى
٧٢٣	الرشوة من أدوائنا الخطيرة	» على الممارى
٧٢٧	حقوق الانسان فى الدستور الجديد	» أحمد طه السنوسى
٧٣١	الانشاء وديوان الانشاء	» محمود رزق سليم
٧٣٦	للرأة المثالية فى تقدير الاسلام	» عباس طه المحامى
٧٣٩	يوم فى هارڤارد	» الدكتور عثمان أمين
٧٤٦	الامام محمد عبده والأزهر	» الاستاذ أحمد الشرباصى للدرس بالأزهر .
٧٥٠	الاله والوجوديون - ٢ -	» عبد الطنيزى عضو جماعة كبار العلماء
٧٥٤	الاسراء والمعراج	» محمد عبد الحميد البوشى
٧٥٩	لفويات	» محمد على النجار
٧٦٤	بحوث فى الحضارة - ١ -	» عيسوى أحمد عيسوى المدرس بكلية الحقوق
٧٧٦	لا تأكلوا اللحم المخزير	» الدكتور محمد محفوظ
٧٧٨	حول ترجمة القرآن الكريم	» الاستاذ عيسى منوز شيخ كلية الشريعة السابق
٧٨٧	مهازل الترجمة فى الكلام البليغ	» عبد اللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء
٧٨٩	الدستور الجديد	» عبد الله المرافى
٧٩٢	مشولية الطبيب	» عبد القادر شعبة الحمد
٧٩٦	أغراض الاسلام يتحدث عنها وزير الشئون .	» محمود فرج المقدة
٧٩٩	فضيلة المحبة فى الله	» محمد فؤاد عبد الباقي
٨٠٤	إنما هى اللقطة بالفتح	» عبد الله محمد أبو عيد
٨٠٧	ركن الطلبة : إلى الميدان	» محمد أبو العلا البنا
٨٠٩	أسرار الشريعة الاسلامية فى بدء الشهر . .	» المجلة
٨١٤	السكرترب	» المجلة
٨١٩	الأدب والعلوم	» المجلة
٨٢١	أنباء العالم الاسلامى	» المجلة

الاسراء.. والمعراج

لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : « ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ، ولا يزيد الظالمين إلا خسارا » . وقال عز وجل : « قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ، والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى ، أولئك ينادون من مكان بعيد » .

هذا هو القرآن الكريم ، كما وصفه الله رب العالمين ، هدى ونور ، وشفاء لما في الصدور ، آيات محكمة ، ودلائل مفصلة ، وهدايات عظيمة ، ينتفع بها أهل الفطر السليمة ، والمستعدون لقبول الحق ، الذين لا يمارون فيه ولا يجادلون .

أما المعوجون أهل العناد والمكابرة ، فلا يزدادون بعنادهم ومكابرتهم القرآن إلا زيفا إلى زيفهم ، وضلالا فوق ضلالهم .

هذا القرآن الكريم ، قد أنزل الله من آياته البينات ، آية تحدث في وضوح وجلاء ، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد أسرى به في ليلة واحدة ، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ليريه الله من بديع آياته ، وليظهره على عجائب ملكه وملكوته .
فليس من الإيمان إنكار ذلك ، أو الماراة فيه . قال تعالى : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير » .

مجلة الأزهر

وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم - وهو الصادق الأمين - قد حدث صبيحة الليلة التي كان فيها الإسرائ ، أنه أسرى به في تلك الليلة من مكة إلى بيت المقدس حيث المسجد الأقصى ، وأنه قد عاد من ليلته إلى مكة . وأن أول من حدثهم بذلك أم هانئ بنت عمه أبي طالب ، فعجبت لهذا الأمر العظيم ، ونصحت له ألا يحدث به الأقوام من كفار قريش حتى لا يكذبوه ، لكنه - عليه الصلاة والسلام - لم يستمع لها ، وخرج إلى المسجد ، وجلس إلى جوار الكعبة ، فمر به أبو جهل ، وهو ممعن في تفكيره ، فقال له : هل من خبر ؟ قال : نعم ، فقال : وما هو ؟ فقال : إني أسرى بي الليلة إلى بيت المقدس ؛ قال : إلى بيت المقدس ؟ قال : نعم ، قال أبو جهل : رأيت إن دعوت قومك لك لتخبرهم أتخبرهم بما أخبرني به ؟ قال : نعم . فنادى أبو جهل : هيا معشر قريش ، فاجتمعوا من أنديةهم ، فقال للرسول - صلى الله عليه وسلم - : أخبر قومك بما أخبرني به ؛ فقص عليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قد ذهب إلى بيت المقدس تلك الليلة وصلى فيه ، فأخذوا يصفرون ويصفقون ، تكديبا له ، واستبعادا لخبره .

* * *

وانتشر خبر ذلك في مكة ، وذهب الناس إلى أبي بكر يخبرونه أن محمدا يقول : إنه ذهب إلى بيت المقدس وعاد في ليلة ، فقال لهم : إنكم تكذبون عليه ، فقالوا : والله إنه ليقوله ، فقال : إن كان قد قاله لقد صدق ، قالوا : تصدقه على ذلك ؟ قال : إني أصدقه على أبعد من ذلك ، أصدقه بخبر السماء غدوة أو روحة . ثم جاء إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحوله مشركو قريش يسألونه ويستنعتونه صفات بيت المقدس وأحواله ، وكان فيهم من رأى بيت المقدس من قبل ، وعرف شيئا من معاملته وصفاته ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فجعلت أخبرهم عن آياته ، فالتبس على بعض الشيء ، فخلى الله لي بيت المقدس ، حتى جعلت أنظر إليه دون دار عقيل وأنعته لهم ، فقالوا : أما النعت فقد أصاب . ثم قالوا : أخبرنا عن غيرنا فهي أهم إلينا ، هل لقيت منها شيئا ؟ قال : نعم ، مررت بعير بنى فلان وهى بالروحاء ، وقد أضلوا بعيرا لهم وهم في طلبه ، وفي رحالهم قدح من ماء ، فعطشت فأخذته وشربته ووضعتة كما كان ، فاسألوا : هل وجدوا الماء في القدح حين رجعوا ، قالوا : هذه آية . قال : ومررت بعير بنى فلان ، وفلان وفلان را بكان قعودا ، فنفسر بعيرهما منى فأنكسر ، فاسألوهما عن ذلك ، قالوا : هذه آية أخرى ، ثم سأله

عن العدة والأحمال والهيئات، فثنت له العير، فأخبرهم عن كل ذلك، وقال: تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس، وفيها فلان وفلان، يقدمها جمل أورك، عليه غرارتان مخيطتان، قالوا: وهذه آية أخرى. فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية، فدخلوا ينظرون متى تطلع الشمس ليكذبوه، إذ قال قائل: هذه الشمس قد طلعت، وقال آخر: هذه العير قد أقبلت، يقدمها بعير أورك، فيها فلان وفلان كما قال. لسكنهم لم يؤمنوا وقالوا هذا سحر مبين.

* * *

هذه بعض تفاصيل لواقعة الإسراء التي حدث عنها القرآن، وأخبر بها الرسول عليه الصلاة والسلام، قد حفظها النقات الأثبات من المؤرخين ورواة الحديث والمفسرين، وهى - من حيث ما يجب توافره لإثبات الوقائع التاريخية - قد توافر لها ما يثبت - إثباتا لا مصرية فيه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أسرى به من مكة إلى بيت المقدس، ثم عاد إلى مكة فى ليلة واحدة.

ولكن كيف كان هذا الإسراء؟ هل كان فى اليقظة سيرا حقيقيا، وحركة مادية، وانتقالا جسمانيا، رأى فيه الرسول - صلى الله عليه وسلم - ما أراه الله من الآيات الكونية، بالمشاهدة العينية، والرؤية البصرية؟ أو كان رؤيا منامية، كشف الله له فيها عن معالم ومشاهد فى بيت المقدس والمسجد الأقصى وفى الطريق إليهما، على نحو ما يرى النائم - فى كثير من الأحيان - أنه سافر إلى جهة من الجهات البعيدة النائية عن موطنه، يكشف له فيها عن معالم ومشاهد هى من الحقائق الثابتة فيها؟ هذا هو الذى نعرض له الآن.

إسراء الرسول فى اليقظة بالروح والجسم معا

يدل على أن الإسراء كان فى اليقظة بالجسم والروح معا جملة أمور نقتصر هنا على أهمها:

أولا - قول الله تعالى: «سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى» فانه يدل دلالة واضحة على أن الإسراء بالرسول - صلى الله عليه وسلم - كان بجسمه وروحه جميعا، وأنه كان سيرا حقيقيا، وانتقالا بحركة مادية: وذلك أن الإسراء كالسرى، معناه فى اللغة السير ليلا، والسير حقيقة فى الحركة المادية التى ينتقل بها الإنسان من مكان

مجلة الأزهر

إلى مكان ، فلو كان الحديث عن الإسراء حديثا عن رؤيا منامية ، لكان يسيرا على القرآن أن يقول : سبحان الذى أرى عبده فى المنام كيت وكيت .

هذا إلى أن الآية الكريمة - كما هو واضح منها - فيها تنويه بشأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وإشعار برفعته وسمو مكانته ، وتنويه بشأن ما أجزاه الله على يديه من الأمر العظيم . وعظم هذا الأمر ليس إلا لأنه كان شيئا مما لا يجرى على أيدى الناس ولا يعهدونه . لا بد أن يكون شيئا يستحق أن يبدأ القول فيه والحديث عنه بالتسبيح الذى لا يكون إلا فى المقامات الجليلة ، والآيات العظيمة ، والأمور الهائلة العجيبة . وذلك كله يدل دلالة واضحة على أن الإسراء لم يكن رؤيا منامية ، ومجرد انكشاف روى ، وإنما كان سيرا حقيقيا ، بالروح والجسم معا .

ثانيا - أنه لو كان أمر الإسراء مجرد رؤيا منامية لم يكن حينئذ شيئا غريبا ، ولم يكن فيه ما يثير العجب والدهشة ، ولا ما يستوجب الإنكار والتهكم والسخرية ، كالذى كان من أبى جهل ومشركى مكة ، حينما سمعوا من الرسول - صلى الله عليه وسلم - حديث هذا الإسراء . إن كثيرا من الناس يرى فى منامه عظام وأعاجيب ، ويرى حقائق وكائنات لم يسبق له علم بها ، ولم يرها قط فى حياته رأى العين ، ولكن حين يُقص قصصها ويحدث عنها ، وحين يُعلم أنها إنما كانت رؤيا فى المنام ، لا يرى فى ذلك ما يوجب الدهشة ، ويدعو إلى الاستنكار والاستهزاء .

* * *

ومن هنا استفاض النقل عن الصحابة والتابعين وسائر علماء المسلمين ، أن الإسراء بالرسول - صلى الله عليه وسلم - من مكة إلى بيت المقدس ، كان سيرا حقيقيا ماديا فى اليقظة ، بروحه وجسمه جميعا . ولم يرد عن الصحابة نقل يخالف ذلك ، إلا ما روى برواية ضعيفة عن السيدة عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت فى شأن هذا الإسراء : « ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم » . وفى رواية أخرى ليست أقل ضعفا من هذه أنها قالت : « ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم » بالبناء للجهول .

وقد أخذ من هاتين الروایتين على ضعفهما أن السيدة عائشة كانت تنكر أن الإسراء بالرسول كان فى حالة اليقظة ، وأنها كانت تذهب إلى أنه رؤيا منامية ، وهو ما كان يذهب إليه معاوية بن أبى سفيان ، على ما روى عنه .

الإسراء . . والمعراج

لكن الصحيح المحفوظ في النقل عن السيدة عائشة أنها كانت تقول في مسألة الإسراء بما كان يقول به جمهور الصحابة ، من أن هذا الإسراء كان يقظة بالروح والجسم معا .

وفي الحق أن العبارة التي رويت عن السيدة عائشة في الرواية الأولى تحمل بنفسها الدليل على ضعف الرواية وعدم صحتها [١] .

وذلك أن هذه العبارة : « ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم » تفيد أن السيدة عائشة كانت زوجا للرسول صلى الله عليه وسلم حينئذ ، وأنها كانت معه في الليلة التي كان فيها الإسراء ، وأنه عليه الصلاة والسلام لم يبرح المكان الذي كانا فيه في تلك الليلة .

وهذا شيء لا يستقيم بحال ، ولا يصح قبوله ، فإنها رضى الله عنها لم تكن زوجا للرسول حينئذ ، ولم تكن حيث كان عليه الصلاة والسلام ليلة الإسراء ، فكيف تحدث عن نفسها أنها لم تفقد جسده الشريف في تلك الليلة ؟ ! !

إن في هذه العبارة خطأ واضحا ، ولا بد أن تكون محرفة عما ورد في الرواية الأخرى الضعيفة أيضا من أنها قالت : « ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم » بالبناء للجھول . وإذا تكون مقالاتها هذه تحديثا ترويه عن شخص آخر يقول : إنه لم يفقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ورواية كهذه يتحدث فيها عن مجهول لا يعرف شخصه ولا حاله ، ولم تثبت ملازمته للرسول عليه الصلاة والسلام في ليلة الإسراء ، لا يمكن أن تعارض أو تقاوم ما رواه الثقات الأثبات ، من الصحابة المعروفين بأشخاصهم ، المسلمين بأسمائهم ، من أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد انتقل بشخصه ، وسار كما أراد الله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، على دابة تسمى البراق ، وأنه صحبته ملائكة الله في سيره ، كما حدث بذلك عليه الصلاة والسلام ، حتى بلغوا المسجد في بيت المقدس .

هذا فضلا عما أشرنا إليه من أن العلماء أهل الشأن في روايات الأحاديث ونقدتها ، والتمييز بين صحيحها وضعيفها ، قد أثبتوا ضعف ما روى عن السيدة عائشة رضى الله عنها

[١] الأمر في تضعيف هاتين الروایتين هو من ناحية السند والماتن ، شأن ما صنعه العلماء بكثير من الأحاديث الضعيفة التي نظروا فيها وأثبتوا عدم صحتها في الناحيتين جميعا . فهم لم يقتصرُوا في نقد الأحاديث على ناحية السند وحدها كما يدعيه بعض المستشرقين المنقرضين عما جاراهم فيه بغير وعى ولا علم بعض المؤلفين المعاصرين من المسلمين .

من العبارتين السابقتين ، كما أثبتوا أن الصحيح المحفوظ عنها أنها لم تخالف سائر الصحابة فيما ذهبوا إليه في موضوع الإسراء ، من أنه كان بالروح والجسد جميعا .

أفهام ومزاعم لا تخلو من شغب وتخليط

إن بعض الكاثين المحدثين - ولا سيما أولئك الذين لا يميلون إلى التسليم بما استفاد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات وخوارق العادات ، التي لم يكن فيها بدءا من الرسل قبله - قد اغتروا بالرواية التي وردت فيها عبارة « ما فقدت جسد رسول الله » أو « ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم » وقالوا : إن الإسراء لم يكن سيرا حقيقيا في اليقظة ، وإنما كان رؤيا منامية ، سبحت فيها روحه عليه الصلاة والسلام ، وكشف الله لها ما تحدث عنه من آيات الله ، وزعموا أن هذا هو ما يدل عليه أيضا قوله تعالى : « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس » ، فإن الأصل في الرؤيا - بغير تاء - أنها هي التي تكون في النوم ، أما التي تكون بالعين في اليقظة فهي الرؤية ، بثبوت التاء .

ولكن هذا الزعم ضعيف غاية الضعف ، بل هو فاسد ساقط ، لا يعأ به ولا يعول عليه . والاستدلال بهذه الآية في موضوع الإسراء ، هو من الشغب الباطل ، والجدال بغير الحق ، وهو أيضا ضرب من فساد المحاولات ، والتخليط في الآيات :

أما أن ذلك شغب وجدال بغير حق ، فلأن الآية نفسها تنادى ببطلان التعلق بها على الوجه الذي يريده هؤلاء ، فإنها تقرر أن تلك الرؤيا المنامية كانت فتنة للناس ، فأى فتنة في رؤيا منامية يحدث صاحبها أنه رأى فيها أنه ذهب إلى بلدة قريبة أو بعيدة ، وأنه رأى بعض هياكلها ومشاهدها ومعالمها ، وأشياء عرضت له أو كشفها في طريقه إليها ؟ هل في ذلك ما يفتن أحدا من المؤمنين أو المشركين ؟

إن كثيرا من الناس قد يرى في منامه أنه ذهب إلى جهات بعيدة ، وبلدانائية ، أشد بعدا مما بين مكة وبيت المقدس ، ثم لا يكون في ذلك عجب ولا غرابة ، ولا شيء يوجب الاضطراب أو يوقع في الفتنة .

وأما أن ذلك ضرب من فساد المحاولات والتخليط في الآيات ، فلأن هذه الآية : « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس » - على ما اعتمده أئمة التفسير - ليست واردة

الإسراء . . والمعراج

في شأن حادثة الإسراء، وإنما هي تحديث عن الرؤيا المنامية التي رآها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبيل واقعة الحديبية، وهي التي أشار إليها القرآن في قول الله تعالى: «لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون» فهي رؤيا منامية حقا، رأى فيها الرسول - صلى الله عليه وسلم - أنه وجماعة المؤمنين قد دخلوا مكة على الحال التي بينها الله في هذه الآية .

فلما قص الرسول عليه الصلاة والسلام هذه الرؤيا على أصحابه، علموا أن الله سيفتح عليهم مكة، يدخلونها آمنين مطحئين محلقين رؤوسهم ومقصرين لا يخافون، وظنوا أن ذلك سيكون قريبا جدا، وفي السنة نفسها التي رأى فيها هذه الرؤيا، ثم قوى هذا الظن عندهم لما نهض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يريد السير إلى مكة معتمرا، ومعه نحو ألف ونحو مائة من المهاجرين والأنصار، حتى إذا كانوا عند قرية الحديبية، وصدهم المشركون عن دخول مكة، وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح على أن يعدل بأصحابه إلى المدينة ذلك العام، أصاب الناس من ذلك بلاء وغم شديد، وغزنوا لذلك واضطربوا، واشتد الأمر على عمر حتى قال مقالته المشهورة: أأست رسول الله؟ أو لسنا على الحق؟ أو ليسوا على الباطل؟ فلماذا إذاً نعطى الدنية في ديننا ونرجع؟ .

وهذا كان من كمال غيرة الدينية، وشدة حنقه على إبرام صلح يحول بينهم وبين دخول مكة في ذلك العام .

أما عبد الله بن أبي ومن كان معه من المنافقين فقد انتهزوها فرصة للسخرية والتهمك، فلتحق الرؤيا، وقالوا: والله ما حلقنا، ولا قصرنا، ولا رأينا المسجد الحرام .

هذه هي الرؤيا المنامية التي جعلها الله فتنه للناس، وامتحانا لهم، جعلها تمحيصا للمؤمنين، وتمييزا بينهم وبين المنافقين .

وإذا كانت هذه الرؤيا لم تتحقق - على ما كان يظن الناس ويؤمنون أن تتحقق - في سنة الحديبية التي قصد فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه إلى مكة، فذلك ليس تخلفا ولا إخلافا لوعده الله، الذي وعده رسوله في رؤياه . وهو أيضا لا يوجب اليأس من تحقق تلك الرؤيا في الميعاد الذي أراده الله . وقد تحقق وعد الله، ففتح عليهم مكة ودخلوها آمنين مطحئين . وهذا هو الفتح المبين . أتمه الله عليهم بعد ما حقق لهم بين يديه فتحا قريبا، هو

مجلة الأزهر

صلح الحديبية نفسه أو فتح خيبر . جعل الله هذا أو ذاك أو كليهما فتحا ونصرا ، ومقدمة للفتح الأكبر ، كما قال تعالى : « فاعلم ما لم تعملوا بفعل من دون ذلك فتحا قريبا » .

هكذا يقول فريق من أعلام المفسرين في تفسير الرؤيا التي جعلت فتنة للناس .

ويقول فريق آخر : إن المراد بها مارآه النبي - صلى الله عليه وسلم - في منامه قبل التحام الجيوش في موقعة بدر ، التي انهزم فيها المشركون شر هزيمة ، فقد أراه الله في منامه أن صناديد قريش وزعماءها سيهلكون في هذه الموقعة ، وكشف له عن مصارعهم ، فلما كان قبل بدء المعركة وقبل أن يلتقي الجمعان ، نزل الرسول - صلى الله عليه وسلم - بين أصحابه إلى ساحة القتال ، ليرتب جيشه وينظم وحداته ، وينصح لهم ويعضدهم ويقوى أمرهم ، وجعل يخط برمح في عدة مواضع من الساحة ويقول : هذا مصرع فلان ، وهذا مصرع فلان - لأشخاص بأعيانهم من زعماء قريش - قد أريت مصارعهم ؛ فسرى حديث هذه الرؤيا إلى مقر المشركين ، وتسامع به أفراد منهم ، فسخروا منها ، واستهزؤا بها ، معتزين بقوتهم ، وعدتهم ، وكثرة عددهم ، فكانت تلك الرؤيا فتنة لهم ، وكان استهزائهم بها وبالأعلى ، ثم كانت نكبتهم في هذه الموقعة مضرب الأمثال في الخزي وعار الهزيمة .

ومجمل القول أن رؤيا الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهي التي قال الله فيها : « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس » ليست في الإسرائ ، ولا علاقة لها به ، حتى يقال : إن الإسرائ كان رؤيا منامية ، اعتمادا على تلك الآية .

وقد يقال : إنه إذا لم يستقم حمل الإسرائ على ما يكون في الرؤيا المنامية ، للأسباب التي أشير إليها ، فذلك لا يقتضى حتما أن يحكم بأنه كان في اليقظة بالجسم والروح معا ، فانه يمكن أن يقال : إنه كان في اليقظة بالروح وحدها ، وإن الله قد مكن لها أن تسبح في الفضاء ، وتقطع المسافات الشاسعة بين مكة وبيت المقدس ، في ساعات أو لحظات قليلة من الليل ، فترى من آيات الله العظيمة ما أراد الله اطلاعها عليه ، وما حدث الرسول صلى الله عليه وسلم القوم ببعضه ، فأثار عجبهم ودهشتهم وإنكارهم .

قد يقال هذا ، بل قد مال إليه بعض السكاكين وخصوصا أولئك الذين لا يودون التسليم بوقوع خوارق العادات من الأنبياء والمرسلين . ولعلمهم اختاروه رغبة

الإسراء . . والمعراج

فى التوسط بين الأمرين : الإسراء الحقيقى فى اليقظة بالجسم والروح جميعا ، والإسراء المجازى بطريق الرؤيا فى النوم ، لعلهم اختاروه رغبة فى ذلك ، وتمشيا مع تلك الرواية التى جاء فيها أن جسم الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفترق فى تلك الليلة .

ولكن هذا القول مردود بأن حمل الإسراء على ذلك المعنى لا يخرج عن كونه تأويلا وحملًا للفظ على غير معناه ، من غير موجب ولا بينة . ثم إن الذهاب بالروح والكشف لها عن المشاهد والمعالن التى تكون بعيدة عن مقر جسمها هو نظير الإلهام والإلقاء فى الروح ، ومن قبيل ما يجده كثير من أصفياء النفوس مما تنكشف لهم به كائنات واقعة أو حوادث مستقبلية ، ومثل هذا لا يكون من الغرابة فى المنزلة التى تدعو القوم إلى الإنكار والتمكيم والسخرية ، حتى يقول بعضهم لبعض : اسمعوا . . اسمعوا . . إن محمدا يزعم أنه ذهب إلى بيت المقدس ثم عاد من ليلته ، مسافة لا يقطعها الراكب فى أقل من ثلاثين أو أربعين ليلة .

هل هذا مما يصلح أن يكون ردا على من يدعى أنه قد كشفت لروحه معالم فى بيت المقدس ، وأن روحه قد أطلعها الله فى حال يقظته على ما يمكن أن يطلع عليه النائم فى رؤيا نومه ؟ .

إنه ليس بين هذين الحالين كبير فرق ، وليس فى شىء منهما ما يدعو إلى الاستنكار والاستهزاء ، وإذا لامناص من التسليم بأن الإسراء كان فى حال اليقظة بالروح والجسم جميعا .

وهذا هو ما تفيدته الآية الأولى من سورة الإسراء ، ويدل عليه حديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - الذى حدث به الأقوام مؤمنين ومشركين ، وهو ما حفظه التاريخ ، وأثبتته رواة الحديث وحفاظه جيلا عن جيل ، سجلته كتب السيرة وجوامع الأحاديث الصحيحة .

قد اتفق عليه المسلمون منذ اليوم الذى حدث فيه عن هذا الإسراء ، ولم يروفيه خلاف يعول عليه .

حقيقة قد وقع خلاف بين العلماء فى موضوع الإسراء ، ولكن من وجوه أخرى : اختلف فى زمانه : هل كان قبل الهجرة بسنة واحدة ، أو بسنة وبضعة أشهر ، أو قبلها بأكثر من ذلك ؟ .

مجلة الأزهر

وفى أى شهر كان ؟ هل كان فى شهر ربيع الأول ؟ فى شهر رجب ؟ فى ذى القعدة ؟
فى ذى الحجة ؟

واختلف فى مكانه : أى فى الموضع الذى بدئ منه الإسراء :

هل كان من شعب أبى طالب ؟ أو من بيت ابنته أم هانئ ؟ أو من المسجد الحرام
نفسه من حجر إسماعيل فى جوار الكعبة ؟

ونحن نرى أن الاختلاف فى المكان ليس اختلافا حقيقيا ، وليس بين الروايات
الثلاث فيه تناقض أو تعارض ، فانه يمكن أن يكون الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى ليلة
الإسراء قد كان فى شعب أبى طالب ، وفى بيت أم هانئ ، ثم ابتدأ السير من المسجد
حيث كان فى حجر إسماعيل .

إنما الخلاف الحقيقى هو الذى وقع فى زمان الإسراء ، وقد رجح العلماء فيه بعض
تلك الروايات ، وأنه كان فى شهر رجب قبل الهجرة بسنة وبضعة أشهر ، تاريخ فرضية
الصلوات الخمس .

وهذا الاختلاف فى زمن الإسراء : « يومه ، وشهره ، وسنته » لا ينبغى أن يكون له أى
تأثير يمكن أن يشكك فى ثبوته ، وفى أنه حقيقة وقعت فعلا ، فانه اختلاف عادى
يقع مثله كثيرا فى تواريخ الأحداث السكونية ، وفى تحديد الوقائع وأعمال الناس اليومية ،
ولا سيما إذا لم تكن هناك سجلات كتابية ، يعنى فيها بتدوين تلك الحوادث
والوقائع والأعمال .

ونظن أن كثيرا من الناس اليوم لا يستطيع أن يحدد من ذاكرته الأيام أو الأشهر
التي قامت فيها ثورات الشعب على الاحتلال فى سنة ١٩١٩ أو فى سنة ١٩٢١ م .

ونظن أن كثيرا من الناس كذلك لا يطمئن إلى ذاكرته ، إذا أراد أن يعين اليوم الذى
قامت فيه الثورة الحاضرة : ثورة سنة ١٩٥٢ : هل كان يوم جمعة ، أو يوم خميس ، أو يوم
ثلاثاء أو أربعاء ؟ .

وكم من الناس يذكر اليوم أو الشهر أو السنة التى تقلد فيها الشيخ محمد عبده منصب
الإفتاء ؟ أو السنة التى مات فيها الشيخ عبد الله الشرقاوى ، أو الشيخ الخرشى ، أو الشيخ
جمال الدين الأفغانى ؟

الإسراء .. والمعراج

هل هل يستطيع كثير من المثقفين الذين حصلوا على شهادات دراسية، أن يعينوا الشهر أو اليوم الذى أعلنت فيه نتيجة امتحاناتهم أنفسهم ، فى الشهادات الابتدائية أو الثانوية أو العالية أو ما بعدها ؟ .

هل من اليسير أن يعتمد الناس على ذاكرتهم فى تعيين هذه الأحداث وأشباهها ، فيتفقوا جميعا على تواريخ معينة لها ؟ هذا مالا يمكن أن يكون .

إنه لا بد أن يقع الاختلاف فيها وفى تحديد أزمنتها : أيامها، وأشهرها، وسنيها ، على نحو الاختلاف الذى وقع فى تحديد زمن الإسراء وأشد مما وقع فيه .

هذه اختلافات طبيعية وعادية من غير شك . فهل الاختلاف فى تعيين التاريخ الذى حدث فيه شأن من هذه الشؤون ينبغى أو يصح أن يجر إلى إنكار حدوثه من أصله ؟ وهل إذا اختلفنا الآن فى تعيين اليوم الذى افتتح فيه حديثا الطريق الجديد على شاطئ النيل فى مدينة القاهرة ، كان ذلك مسوغا لأحد منا أو ممن يحىء بعدنا أن ينكر أصل إنشاء هذا الطريق ، مهما تغيرت المعالم ، وتتابعت الأحداث ؟

إذاً اختلاف المسلمين فى تعيين زمن الإسراء ليس معناه الاختلاف فى أصل حدوثه، ولا ينبغى أن يؤدى بالعاقل المتصف إلى إنكار وقوعه .

إن اختلافات كثيرة نشأت حول السيد المسيح عيسى عليه السلام ، وما كان من عجائب حمله ، وميلاده ، ونشأته، ومدة بقائه على وجه الأرض، وما وقع منه من الكلام فى المهد ، وإحياء الموتى ، وإبراء الأكف والأبرص ، وما إلى ذلك من الخوارق التى لا يعترف بها العلماء المساديون ، ولا تخضع لمقرراتهم فى المادة وخصائصها ، بل هى من شأن الله وحده، خاضعة لمحض قدرته، واقعة فى قبضة سلطانه على المادة وعلى كل شىء .

هذه الاختلافات التى وقعت حول السيد المسيح لا ينبغى أن تجر إلى الشك فى وجوده ، أو ادعاء أنه شخصية خرافية ، كما فعل بعض المخرفين المتحوسين ، ممن يزعمون أنهم من العلماء الأحرار فى البحث والتفكير .

إن الذين أنكروا وقوع الإسراء ممن كانوا فى زمن الرسول - عليه الصلاة والسلام - إنما

هم المشركون المعاندون الذين لا يؤمنون بحق ، ولا يخضعون لحجة ولا بينة ، والذين كانوا محسوبين في عداد المؤمنين ، ممن لم تتشبع قلوبهم بخالص الإيمان ، وصدق اليقين .
فانكار هؤلاء وهؤلاء لحادث الإسراء - بعد ما أراههم النبي صلى الله عليه وسلم فيه الآيات البينات - ليس إلا من قبيل كفرهم وجحودهم بكل ما أتاهم به من الحق ، والجاحد المكابر لا سبيل إلى إقناعه ، ولا حاجة لأحد في إقناعه ، مادام لا يريد أن يسمع أو يفكر ، أو يسلم بنتائج تقضى بها المقدمات .

« أمران مهمان »

نود هنا أن نقف قليلا من حادثة الإسراء عند أمرين جديرين بالنظر والاعتبار :
« الأول » ما كان من المشركين من اللجاجة في الجدل ، والإلحاف في السؤال : عن العير وعدتها وأحمالها ، وعن صفات بيت المقدس ، دقيقها وجليلها ، خفيها وجليلها ، وما تحمله تلك الأسئلة من روح التعنت ، والنية الخبيثة ، والقصد السيئ الملح الذي استولى على أصحابه ، فدفعهم إلى الحملة والإسراف في الأسئلة بطلب المعقول وغير المعقول ، وليس من بينهم رجل معتدل منصف ، يفرق بين سؤال طبيعي يقع موقعه ، وتحسن الإجابة عنه ، وسؤال آخر يجب أن يهمل ، ويرد في وجه صاحبه .

إن تلك الأسئلة التي أجهد بها أصحابها أنفسهم لم تكن أسئلة إنصاف ومنطق عاقل ، يقصد بها تعرف الحقيقة ، والوقوف على مبلغ صدق الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيما أخبرهم به من أمر الإسراء . وإنما كانت أسئلة عناد ومشغبة ، يراد بها إظهار الرسول - صلى الله عليه وسلم - بمظهر العاجز عن إجابتهم الى بعض ما سألوا ، ليكذبوه فيما أخبر به .

فهل في منطق العقل والعدل يتوقف صدق الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيما أخبر به من الذهاب إلى بيت المقدس في تلك الليلة ، على أن يعلم تفاصيل بيت المقدس ، وجميع صفاته وأحواله ، ويحيط بما احتواه المسجد الأقصى من مشاهد ومعالم ، ويعلم أيضا على وجه التفصيل حال عيرهم ، وأحمالها وأفتابها ، وعددها وعدتها ؟

إن النبي - صلى الله عليه وسلم - في ذهابه إلى بيت المقدس لم يكن همه أن يدرس مبنى المسجد الأقصى دراسة هندسية تفصيلية ، ويحصي عدة ما فيه من أبواب وعمد ونوافذ ، ويعرف مواقعها واتجاهاتها ، ومسافات ما بينها ، ولم يكن - وهو في طريقه إلى بيت

الإسراء . . والمعراج

المقدس أوفى عودته منه - بسبيل أن يرصد غير قریش ، فيعرف عددها وعدد أصحابها ، ويقف على أحمالها وألوانها ، وبتبين منها الأورق والأصفر والأسود ، حتى يصح أن يسرفوا في سؤاله عن ذلك كله ، فيكذبوه إذا لم يجب عنه أو عن بعضه .

إن كثيرا من الناس قد رأى الجامع الأزهر ودخله عشرات المرات ، بل إن كثيرا من الناس قد قضى في الأزهر دهرًا طويلا من عمره ، ومنهم من عاش حياته في مقاصيره وأروقتة ، فهل من اليسير على أحد من هؤلاء أن يجيب إجابة صادقة واعية عما يسأل عنه من تفاصيل ما احتواه هذا المسجد ، وعدد أعمدته ، وأبوابه ونوافذه ، وارتفاعاتها وألوانها ، والمسافات التي بينها ؟ وهل إذا عُصبت عينا أحد الجالسين في هذا المسجد عند المنبر ، أو طلب إليه أن يغمض عينيه ، فيسأل عن لون هذا المنبر ، وهل هولون ما طليت به الأعمدة والأسقف ، أو هولون يغير ذلك ، يستطيع أن يجيب عن ذلك إجابة صحيحة مطمئنة ؟ وهل يستطيع أحد وهو خارج هذا المسجد أن يعين شكل أعمدته ؟ وهل هي جميعها مستديرة ، أو منها مربعة الأضلاع ، أو ما هو على شكل مثلث ؟ .

وإذا عجز أحد من هؤلاء عن الإجابة عن هذه الأسئلة أو عن بعضها ، فهل يمكن أن يقال : إنه لم ير الأزهر قط ، وإنه كاذب إذا ادعى أنه من الملازمين له أو العاكفين فيه ؟ .

إن كل الأسئلة التي أشرنا إلى نماذج منها هي من قبيل ما كان يوجه إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - عند ما أخبر قومه بنجر الإسراء ، فماذا كان ينتظر من هؤلاء القوم المسرفين في عنادهم ، لو أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عجز عن إجاباتهم عن بعض ما سألوا ؟ .

إن هؤلاء المشركين - في تظاهريهم عليه ، وحملتهم بأسئلة التعنت التي كانوا يوجهونها إليه - لم يكن ليردهم شيء عن تكذيبه والتشنيع عليه والتشهير بموقفه ، إذا هو عجز أو توقف عن إجاباتهم عن شيء مما سألوا ، وإن كان العجز في مثل تلك الأسئلة حتما وطبيعيا كما ضربنا له الأمثال .

لكن الله العلي القدير أراد ألا يمكنهم أن يصلوا إلى غايتهم من تلك الحملة ، وذلك التظاهر الفاجر ، فأدرك نبيه الصادق الأمين بما بكت به القوم ، ورد به تعنتهم وتهكمهم إبلاسا في نفوسهم ، واندحارا في قلوبهم ، ونخزيا في جباههم ، يطالع به بعضهم بعضا ، كما كان يميل بعضهم إلى بعض أول الأمر بالسخرية والاستهزاء .

مجلة الأزهر

كشف الله لرسوله عن المواقع والمعالم ، لما التبس عليه بعض الشيء مما سألوا عنه ، وجلى له بيت المقدس ، حتى كان ينظر إليه أقرب من دار عقيل ، فجعل ينعمته لهم ، ويستعمل إجاباته من مشاهداته ، يسدها طعنات في صدورهم ، وغما وكدا في أفئدتهم ، وأظهره الله عليهم ، والله غالب على أمره ، وهو القوى العزيز .

«الأمر الثاني» أن بعض الناس قد حاول - بحسن نية - أن يقرب إلى الأذهان مسألة الإسراء من مكة إلى بيت المقدس ، بتلك السرعة الخاطفة التي لم يعهدها أحد ، فقال : إن الإسراء بتلك السرعة بين هاتين البلدين المتباعدين ، وقطع المسافة بينهما في فترة قصيرة جدا ، إذا كان عجيبا غريبا قبل أن تستخدم قوة البخار وقبل أن تستحدث الطائرات العادية والطائرات النفاثة ، فانه يجب أن يعتقد وأن يسلم به من غير تردد بعد ظهور تلك المخترعات وتلك المستحدثات ، فان المسافات البعيدة التي يحتاج في قطعها راكب البعير أو الفرس إلى ثلاثين وأربعين يوما يمكن أن تقطعها الطائرات في بضعة ساعات .

يريد أصحاب هذه المحاولات حسنو النية بهذا التقريب ، أن يضعوا واقعة الإسراء في المحل الذي لا غرابة فيه ، والذي يثبت التقدم العلمي وقوع نظائره ومشابهاته ، ليقتنعوا بصحة ذلك الإسراء وإمكان حصوله أصحاب العلوم المادية ، الذين لا يسلمون إلا بما تلمسه أيديهم ، ويقع تحت أبصارهم ، ويخضع لتجاربيهم وقوانين علومهم ، في الحوادث والكائنات .

نية حسنة ، ومقاصد طيبة ، ولكننا تنطوى على شيء غير قليل من الغرارة وعدم التبصر ، في مجازاة الماديين الذين لا يؤمنون بمعجزات ، فانه لا سبيل إلى التقريب أو الربط بين أمور هي من فعل الإنسان يقدر عليها بتفكيره واستنباطه ، ويتوصل إليها بأسباب مادية تخضع لقوانين علمية ، ومعارف إنسانية ، وأمور أخرى لادخل لقدرة الإنسان فيها ، وإنما هو مظهر كونها ، ومحل جريانها ، يخلقها الله فيه ، ويجريها على يديه ، كما قال تعالى : «وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى» فان رمية واحدة بقبضة من الرمل أو الحصباء يصيب بها الرسول - عليه الصلاة والسلام - عيون فريق كبير من الأعداء في غزوة بدر ، حتى يكون ذلك من أسباب هزيمتهم واندحار جموعهم ، ليس أمرا عاديا مما يكون في طاقة الانسان ، وإنما هو فعل الله الخالق لكل شيء ، القادر على كل شيء ، القاهر فوق عباده ، وهو الحكيم الخبير .

الإسراء .. والمعراج

إنه مهما تقدمت العلوم، وارتقت الصناعات، وجد من المخترعات ما يبلغ في غرابته وطرافته أضعاف أضعاف ما كشف عنه العلم الحديث الآن، فانه على كل حال يكون نوعا آخر غير نوع المعجزات التي يجرها الله على أيدي المختارين من رسله، فان هذه المعجزات ليست لها وسائل ومقدمات، ولا أسباب وأدوات، مما يدخل في مقدور العباد.

أما المخترعات الإنسانية فانها لا بد أن تنبنى على قواعد وقوانين علمية، ولا بد فيها من استخدام أجهزة وأدوات، يتوصل فيها بالتحليل والتركيب وإحكام الصنع إلى ما يراد تكوينه من مخترعات.

فالطيران في السماء باستخدام الأجهزة والآلات البخارية وغيرها أمر بديع، وعمل إنسانى عجيب، ولكن له أسبابه ومقدماته العلمية التي يستطيع الطيران بها في الجو كل من يعرفها، ويعرف طريقة استخدامها في ذلك.

أما الطيران من غير تلك الأسباب والمقدمات، فليس في مقدور أحد من الناس. وعلى هذا الأساس يكون الفصل بين المعجزات وبين كل غريب عجيب من المبتكرات والمخترعات التي تنبنى على قوانين علمية، وأفكار واستنباطات إنسانية.

* * *

أما بعد - فهذا أمر الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى. قد اقتصر عليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - حينما تحدث به إلى قريش عند السكبة كما علمنا.

ولم يعرض عليه الصلاة والسلام في ذلك الحديث لأمر المعراج، وهو صعوده إلى السماء في تلك الليلة التي كان فيها الإسراء.

والسرف في ذلك الاقتصار هو أن المعراج ما كان يمكن - في أغلب الأمر - أن يصدق به رجل مشرك أو كافر لا يؤمن برسالة الرسول، ولا يذعن لما يذعن له المؤمنون من أن الرسل معصومون من الكذب والافتراء.

فالتحدث إلى أولئك المشركين عن المعراج لا تكون له حينئذ جدوى، ولا يفيد أية فائدة. بل قد يكون من نتائجها أن يزيدهم كفرا إلى كفرهم، وإمعانا في شركهم.

مجلة الأزهر

فانه ليس لأمر المعراج شواهد ودلائل مادية ، يمكن أن يدلى بها إليهم ، ليثبت لهم حقيقة ما يقول ، سواء آمنوا بعد ذلك أم لجحوا في العناد والإباء ، كما كان في أمر الإسراء :

لكن الرسول - عليه الصلاة والسلام - تحدث في غير ذلك الموطن عن المعراج :
حدث به أصحابه المؤمنين وأخبرهم بما شاهدته في السموات من بديع الآيات ، وما تلقاه من الأمر الإلهي بفرض الصلوات الخمس اليومية .

* * *

هذا والقرآن الكريم قد اشتملت آيات منه في سورة النجم على ما يثبت المعراج : ذلك قوله تعالى - في الإخبار عن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لسيد الملائكة جبريل عليه السلام : « ولقد رآه نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ، إذ يغشى السدرة ما يغشى ، ما زاغ البصر وما طغى ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى » .

ومعنى هذا - كما يقول أئمة التفسير - أن الرسول - عليه الصلاة والسلام - رأى جبريل مرة أخرى في صورته الحقيقية الملكية في السماء عند سدرة المنتهى ، بعد مرة أولى رآه فيها على تلك الصورة ، وكانت رؤية عينية بصرية كما ينبئ بذلك قوله تعالى : « ما زاغ البصر وما طغى » - صدق الله العظيم .

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة ، إنك أنت الوهاب ،
والحمد لله رب العالمين

عبد الرحمن ناج

شيخ الجامع الأزهر

مُزَيَّرُ الْمَجْلَةِ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَيْشِي

الْعُنْوَانُ
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مَجْلَةُ الْأَزْهَرِ

بمجلته شهريّة بجامعة
تصدر عن شيخ الأزهر في أول كل شهر عربي

بِإِثْنِ الْخَيْرِ
مُحَمَّدُ بْنُ الْيَزِيدِ الْخَطِيبُ
الْإِسْتِرَاكُ السَّنَوِيُّ

في واري النيل	٤٠٠
الطبعة واري النيل	٤٠٠
المعلماء والمدرسين بالرواي	٣٠٠
فهاج المواد	٥٠٠
للطبعة فهاج الرواي	٣٠٠
للمعلماء والمدرسين فهاج الرواي	٤٠٠

الجزء الثامن - القاهرة في غرة شعبان ١٣٧٥ - ١٣ مارس ١٩٥٦ - المجلد السابع والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نظور المجتمع المصري :

بين الأُمس ، واليوم ، والغد . . .

كانت مرافق مصر ونشاطها الاقتصادي والتجاري - إلى عهد قريب - في أيدي الأجانب ، وكانت للأجانب امتيازات قضائية وسياسية فرضتها القوة على الضعف فزادتهم تمكيناً في هذه المرافق ، ونشاطاً في مصادر الحياة ، حتى لقد امتد نشاطهم إلى الأرض الزراعية ، وإلى الصناعات الزراعية ، فكانت شركة كوم امبو - مثلاً - هي كل شيء في مقاطعة كوم امبو ، وكان مأمور المركز - المفروض فيه أنه يمثل وزارة الداخلية في ذلك الملك الواسع - كأنه ضيف أو موظف لدى شركة كوم امبو ، لا يتصرف في عمله إلا بما يوافق مصالحها ، وما ينال به عطفها ورضاءها ، فإذا لم يرض عنه رأس المال اليهودي في هذه الشركة ، كان عليه أن يزعم حقائبه في اليوم التالي عائداً إلى القاهرة ، ليأتي منها إلى كوم امبو مأموراً آخرأكثر منه لباقة في رعاية مصالح الشركة وتحظى رضائها . . .

وكان مجلس الاسكندرية البلدي ليس له من بلديته إلا عنوانها ، وفيما عدا ذلك

يكاد يكون مجلسا أجنبيا — بل مجلسا دوليا — يمثل بأعضائه وميوله ونزعته وتصرفاته جاليات الأمم الغربية من انجليز وفرنسيين وإيطاليين ، الى اليونانيين ومن هم أقلل شأننا من اليونانيين . . .

هكذا كانت مصر من أعلاها في كوم امبو ، إلى سيف البحر بالاسكندرية . فكان أهل البلد غرباء في بلدهم ، ويزيدهم شعورا بهذه الغربة سيطرة الأجنبي على وزارة الداخلية وأقسام البوليس ، وإشراف المستشار البريطاني على وزارة المالية وما يلتف عليه ذلك الاخطبوط ، ثم تصرف القسيس البروتستانتي دانلوب في أداة التعاليم وفي تكوين عقلية رجال المستقبل طبقة بعد طبقة ، وقيام جيش الاحتلال في ثكنات قصر النيل ، ومنطقة القلعة ، وعلى ضفاف المعادى ، وفي كل مكان إلى الإسماعيلية وقاعدة القتال . . .

وكان نفر من الإقطاعيين والانتهازيين — مع العاطلين من سلالة محمد علي — مستأثرين بأرض النيل يبتزون خيراتها ، ويبددونها هنا وهناك فيما لا خير فيه . . .

لقد كنت — مع لداتي من أبناء جيلي — شاهد عيان لتفاصيل ذلك في النصف الأول من القرن العشرين ، ولو شاء المؤرخ الثاقب النظر أن يسجل ذلك لألف فيه مجلدات حافلة بالحقائق المؤلمة التي كانت عقوبة لنا من الله على ما فرطنا فيه من أسباب القوة بختلف ألوانها ، وفي طبيعة ذلك أخلاقنا العربية وآدابنا الإسلامية .

إن هذا التيار المخيف من حضارة الغرب داهمنا على حين غفلة منا قبل نحو مائة وخمسين سنة ، وكانت لا تزال فينا بقية أخلاق إسلامية ، فكان علينا أن نسلحها من حضارة الغرب بما نحتاج إليه من علومها وصناعاتها ، وأن نتق الله في هذه الأمة فنجنحها كل ما يضعفها — في أخلاقها وثروتها — من عبث ولهو وإسفاف . ولكن وقع عكس ذلك من عهد اسماعيل ، ومن قبل عهد اسماعيل ، فأخذنا من حضارة الغرب قشورها وموكلاتها ، ودفعنا ثمن ذلك من أخلاقنا وديننا .

لما احتل الفرنسيون مصر كان لما تحمله سفن النيل إلى القاهرة من بلاد الوجه البحري جمر في بولاق قال عنه أحد مهندسي الحملة الفرنسية مسيو جومار فيما سجله في كتابهم العظيم (وصف مصر) : إن الأمانة في الشعب المصري يومئذ كانت بالغة ذروتها العليا ، فكانت الغلال والبضائع التي تنقل من السفن إلى شاطئ النيل في بولاق تلقى بالعراء

وتبقى على الشاطئ أياما بلا حارس يحرسها ولا بناء يحفظها . فلا تمتد إليها يد سارق ، ولا يطعم فيها أحد في ليل أو نهار .

هذه شهادة من خصم ، مدونة إلى هذا اليوم في كتاب عظيم محترم من الجميع .
هكذا كنا قبل أن يداهمنا تيار الحضارة الغربية منذ نحو مائة وخمسين سنة فقط .
فأين ذهب هذه الأمانة التي كانت من أخلاق جماهيرنا ودهمائها ؟
كيف فقدنا هذه الجوهرة الثمينة ، وما كان معها من جواهر الأخلاق الفاضلة التي
هى فينا من بقايا أخلاق الإسلام ؟

إن الذى خسره من أخلاقنا وديننا مدة حكم أسرة محمد على كان أفدح وأكبر مصيبة
من كل ما وصفته في صدر هذا المقال من توغل الأجانب في مرافقتنا ، واتسارهم - مع
الإقطاعيين والظلمة - على الاستئثار بخيرات النيل والأرض التي تحتضنه من السودان
إلى الدلتا .

وهذه الخسارة التدريجية في الأخلاق والدين هى التي كان الأجانب وعملاؤهم من
المصريين يسلسون لنا القياد للامعان فيها ، والانزلاق في مهاوئها ، وهى التي كانوا
يعتمدون عليها في إقامة سلطانهم وتوسيع دائرة مصالحهم ، إلى أن صاروا في مصر
كأنهم أصحابها ، وإلى أن صار أهلها وأبنائها كأنهم الغرباء .

وكما كان من أثر النظام الذى قام في مصر من عهد اسماعيل أن صار المصريون غرباء
في بلادهم ، فانهم صاروا كذلك غرباء عن أخلاقهم الإسلامية ، حتى صار للجريمة في
كل صحيفة يومية صفحة يومية ، بل مست الحاجة إلى أن تكون لها مجلة خاصة بها ،
ومست الحاجة إلى أن تعقد في دار الشبان المسلمين وغيرها ندوات للتحدث عن انحراف الشباب
وأساببه ومظاهره ، ومسئولية البيت والمدرسة عن ذلك ، والدور الذى تمثله شاشة السينما ،
والصحف والمجلات التي تلتهمس الرواج على حساب الشباب الذى تساعد على هذا
الانحراف بل تدفعه إليه ببراعة وقوة وسرعة .

لله في تغيير مجرى التاريخ ، وتحويل الأمم من حال إلى حال ؛ إحدى طريقتين :
فاما أن يستدرکوا ما فرط منهم فيعودوا إلى ما يرضيه من صالح الأخلاق وخالص الإيمان ،

فيكون من ثمرة ذلك أن يمن عليهم بالقوة والهناء والنظام السعيد . وإما أن يمتحنهم بإسداء النعمة قبل استحقاقهم لها ، ليرى ان كانوا أهلا لذلك فيكتب لها الدوام فيهم والاستمرار .

وقد رأينا بأعيننا كيف كف الله عن مصر يد القضاء المختلط وذبوله ، والامتيازات الأجنبية وشرورها .

ورأينا بأعيننا جلاء جنود الاحتلال عن أرض الوطن ، فلم يبق على تمام الجلاء عن قاعدة القنال إلا أشهر معدودات .

ورأينا بأعيننا كيف سدت بالوعة قصر عابدين التي كانت تضيع فيها وفي قصور الكسالى والعاطلين من ذرية محمد على الألوف والملايين من أموال مصر ، فبحلت هذه الأموال إلى مصانع الأسلحة ومصانع الحديد والصلب ، وإلى إقامة السد العالي ، وإصلاح المرافق ، وتعمير البلاد وتجميلها .

هذه الدار قد جددنا شبابها ، وأخذنا نبعث فيها روح النشاط والقوة . فكيف السبيل إلى تجديد شباب سكانها ، وازدهار أخلاقهم ، وبعث روح النشاط والقوة فيهم ؟

الأخلاق ، الأخلاق . هذه هي عين الحياة لكل أمة تريد أن تقوى وتسود وتسعد ، والمادة الخامسة من دستورنا الجديد تعلن على ملأ الأشهداء أن « الأسرة أساس المجتمع ؛ قوامها الدين والأخلاق والوطنية » .

فهذا الفساد في الأخلاق الذي فتحنا له في كل صحيفة يومية صفحة يومية ، يجب أن يوضع له حد ، ويجب أن يعالج ، ويجب أنه تشفى هذه الأمة من أوصابه .

والقيام بهذا الواجب ليس منحصرًا في قادة الثورة ، ولا في رجال الحكم ، بل هو واجب كل مؤمن بأن الأخلاق حياة الأمم ، ولا حياة لأمة بلا أخلاق .

مدرس التاريخ ، ومدرس الأدب ، ومدرس المواد الاجتماعية مطالب من ربه ومن وطنه ومن أمته ومن نفسه بأن يتخذ من دروس التاريخ أو الأدب أو المواد الاجتماعية وسائل وذرائع لبناء دعائم الأخلاق — الأخلاق الفردية ، والاجتماعية ، والقومية — في نفس كل طالب ، لأنه أمانة الوطن بين يدي المدرس ، وهو ابنه الروحي في الفصل وفي المدرسة ، كابنه في الدم والنسب .

في كراسى التدريس الجامعى والثانوى مدرسون وأساتذة سلبهم الله نعمة الإيمان بالإسلام ، فهم دائبون على تشكيك الطلبة في دينهم ، وتشويه سيرة أعلامه ، وإساءة التأويل في تاريخه . هؤلاء الأساتذة والمدرسون شر على الأمة والوطن من قيام إسرائيل شوكة في كيان العروبة ، لأن شوكة إسرائيل في كيان العروبة قد شعرت العروبة بعداوتها وهى تتألم منها وستعرف كيف تتخلص منها ، وأما هؤلاء الذين يسيئون إلى كيان العروبة والإسلام باسم العلم فانهم يلبسون مسوح العلماء وهم دجالون ، والخير كل الخير في إنقاذ رجال المستقبل من شرهم ، ووضع حد لهذه المهازل التى يبرأ منها العلم ، ويجب أن تتطهر منها كراسى التعليم .

وفي الصحافة أقلام (تجاهد) لتحطيم بنیان العقدة في قلوب الفتيات والفتيان باسم الفن والأدب والقصة والتصوير والتجديد ، هذه الأقلام يجب أن تكسر في وجوه أصحابها ، ويجب أن يعلم هذا الوطن أنها أسلحة شرعت لحربه ، وأنها مقضى عليها بالمادة الخامسة من دستورنا الجديد .

وهذه الأفلام السينائية التى تدفع الأمة دفعا إلى الانحراف والجريمة والانحلال ، لا ينفع فيها منع الأحداث من الاتصال بها بل ينبغي أن تمنع بتاتا بيد قوية حازمة وأن لا تعرض على أنظار الجميع كبارا وصغارا . إن السينما وسيلة خير ووسيلة شر ، وقانا الله شرها ، ويكفيينا منها ما قد يكون فيها من خير محض .

نحن الآن في دور نقاهة وانتقال إلى كيان جديد يجب أن نكون أقوياء فيه بأخلاقنا وديننا ومعارفنا وأنظمتنا ووسائل عيشنا . وهذا الانتقال لا تستطيعه الحكومة وحدها ولا قادة الثورة بأشخاصهم ، بل لا بد أن تتعاون عليه الأمة كلها ، على قدر طاقة كل فرد فيها ، وبمقدار ما يدركه من مسؤوليته ، ولا أتردد في أن أقول : إن عبء هذه المسؤولية واقع في الدرجة الأولى على كل أزهري ، وعلى كل متعلم ، وعلى كل حامل قلم . والانتقال إلى السكيان الجديد يجب أن يكون بالعمل والقناعة ، قبل أن يكون بالكلام والوعظ الذى يبقى رنين صوته في مكانه لا يتجاوزه إلى ميادين العمل . فالوعظ بالقول دون العمل هو العلم الذى استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم منه ووصفه بأنه العلم الذى لا ينفع .

أيها العلماء ، أيها المثقفون ، أيها المتعلمون ، نحن في دور نقاهة وانتقال إلى كيان جديد ، والعبء ثقيل ، فلتتعاون جميعا على حملة صادقة في سبيل القوة والاستقامة لتتخلص من ضعفنا ، فأن الضعف جريمة ، وأهلها لا يستحقون الحياة . . .

نَهَايُ الْفَرَازِ

- ٣٨ -

دعائم المجتمع الصالح

(١) أمانات ، وعدل

(ب) وطاعات ، واحتكام إلى الكتاب والسنة

- (١) ١ - « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها »
 ٢ - « وإذا حكمت بين الناس أن تحكموا بالعدل »
 (ب) ٣ - « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم »
 ٤ - « فأن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » .

تمهيد : المشرعون في مختلف الأمم ينشدون استقرار الحياة ، وتوفير الطمأنينة ، ويضعون من التشريع ما يتفغون منه تحقيق أغراضهم . . . وهم يصدرون في هذا عن تجاربهم في تعرف الثغرات التي يحسونها في محيطهم ، وعن اجتهادهم في تونى المصلحة .

وواضح أن التجارب والاجتهاد مهما يكن لهما من مساعدات في ملاءمة التشريع ، فأنهما لا يبلغان مبلغ الإيحاء السماوى ، ولا يغنيان غناءة في شئون المجتمع ، ولا في الكثير منها : ضرورة أن شرائع الناس مكيفة بروح الزمن الذى وضعت له ، والبيئة التي نجحت فيها ، وبقاء الزمن والبيئة على لون واحد أمر غير مفروض ، فيكون طبعيا أن ما يصلح لليوم لا يصلح للغد ، وما ينفع في بيئة لا ينفع في أخرى .

لذلك تكون الأمم المتدنية لاجئة إلى دينها : لا بحكم العقيدة فقط ، ولكن بدافع الحاجة إلى الاهتداء به والافتباس منه ، ويكون المجتمع الإسلامى بصفة أخص

أولى الشعوب بالاتجاه نحو دينه وأجدرها بالمسارعة إلى الأخذ به ، فإن للمسلمين كتابا حافلا بالنظم المدنية ، ولا ينقصه شيء من أساليب التقنين لـسـكـل ما تنشده الإنسانية بعد مراحلها الأولى ، وفيما يمس الحياة في مستقبلها المتجدد . . . ولسنا في مقام الموازنة حتى ننادى بأنه دين الخلود ولا جرم .

وأنت إذا قرأت القرآن ، واستوعبت سنة الرسول ، وجدت الجانب الأكبر منهما في التنظيم الاجتماعي ، وفي تربية الضمير ، وتكوين الأنفس على غرار حسن ، وفي دعم المجتمع بالخلق الرفيع ، ووجدت نصوص الأحكام على كثرتها محصورة العدد إلى جانب ما يتعلق بالفضيلة .

وفى ذلك أن غرس الفضيلة ، وتقويم الخلق في المكان الأول من الشريعة الإسلامية . وشاهد ذلك من القرآن نفسه أن الله أثنى على رسوله محمد بعظمة خلقه ، ورقة قلبه في قوله تعالى : « وإنك لعلی خلق عظیم - ولو كنت فظا غليظ القاب لانفضوا من حولك - بالمؤمنين رءوف رحيم » ولو أن الجانب الخلقى بلغ مبلغ الكمال أوقريبا منه عند الناس جميعا ، أو عند أكثرهم ، لا ستغنوا عن كثير جدا من التقنين المدنى الذى اقتضته نزعات الانحراف ، ونزوات النفوس .

لذلك جاء القرآن معنيا جد العناية بالناحية الأدبية ، وأكثر فيها من توجيهاته وإرشاده مراعاة لأن النفس أماراة بالسوء فهى بحاجة إلى مقاومة شديدة .

(١) - ومما جاء به القرآن لضمان الاستقرار ، وذيوع الطمأنينة : تلك الأمور التى توجنا بها حديث اليوم : أمانات ، وعدل ، وطاقات ، واحتمام إلى الكتاب والسنة . وإنك لتلمس في مطلع الآيات آكدية التكليف بهذه الأمور الأربعة ، فبدؤها :

١ - « إن الله يأمركم » وفى ذلك تأكيد بأن . . وتصريح بذكر الله . . وإخبار بأنه يأمرنا ، فكأنه أمر سابق مفروض الحصول لا يحتاج إلى إنشاء جديد . . وهو بصيغة المضارع يقارن زمنه ويتحدد مع الزمن فى مستقبله ، ثم هو يتجه إلى جميع المخاطبين به من وقت حصوله إلى نهاية الدنيا : دون استثناء رجل أو امرأة ، ولا ملك أو سوقة .

ولا شك أن الخطاب على هذا النمط يثبت تعلق تلك الأمور بكل ذمة من ذمم المسلمين بل وغير المسلمين مضافا إلى مطالبته بأصل الإيمان .

٢ — والأمانة شاملة لكل ما يعهد بحفظه إلى الغير من أموال ، وأقوال غير منكرة ، وشاملة لما يوكل إلى الإنسان من أعمال وظيفته ، وصناعته ، وكل ما يرتبط به صالح الفرد والمجموع ويعتمد فيه على حسن الظن بالأمين .

وذكر الأمانات بلفظ الجمع يقوم مقام التفصيل في التكليف بها ، والتفصيل متروك إلى ما تكشف عنه حوائج الناس . . . وقد بلغ من شأن الأمانة في الإسلام أن ذكرها القرآن كثيرا ، وذكرها في سياق الأمر بأهم ما يعنى به من صلاة وزكاة ، وحفاظة على الأعراض .

٣ — وبلغ من شأنها كذلك أن الله اعتبر دينه أمانة عند عباده ، وأفاد أن السموات والأرض والجبال على عظمتها لم تنهيا لحمل هذه الأمانة .

ولكن الإنسان بما امتاز به من عقل ومواهب كان أهلا لحمل تلك الأمانة ، وللتكليف بها ، فإذا اداها على الوجه المطلوب كان آمينا ، وإذا لم تكن الأمانة التامة من خلائقه وشيمه ، فهو مستهين بحقوق الله وحقوق الناس ، وهو ظلوم جهول كما تحدث الله عنه ، والظلوم الجاهول مهدد بعذاب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات .

٤ — وبلغ من شأن الأمانة بين الناس أن الله رفع مستواها حتى جعلها في مستوى الأمانة من الله ورسوله ، وجعل الخيانة في شيء منها كالخيانة في أمانة الله ورسوله . . . فقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » أى تعلمون أنها أمانة ، وتعلمون شأن الأمانة في شريعة الله ، وتعلمون خطر الخيانة فيها عند الله .

٥ — وبلغ من شأن الأمانة أخيرا أن النبي صلوات الله عليه نص على أنه لا إيمان لمن لا أمانة له ، ومعنى ذلك في صراحة أن من فقد الأمانة ، أو تزعزعت فيه تلك الصفة ، فقد ضيع دينه . ونحن لا نرى في ذلك مبالغة ، إذا ذكرنا خيانة تقع من قائد أو جندي ، ويعرض بها حياة الأمة ، أو سيادتها للضياع . . أو ذكرنا خيانة من رجل السياسة حينما يخادع شعبه بالأباطيل حتى يرجع بشعبه عن مقاصده ، ويمكن للفساد أن يستشري فيه ،

أؤذكرنا خيانة الرجل لزوجته ، أو الزوجة لزوجها ، حتى تنعدم الثقة بينهما ، فيكون ذلك هدمًا لبناء الأسرة ، وزعزعة للنظام العائلي ، والأسرة وحدة من وحدات الأمة ، وانحلال أسرة من الأسر كتنثر الحجر من بين صفوف البناء يوشك أن يجتذب حجرا وحجرا بعده ، فيفقد البناء قوته ، ويكون قريب الانهيار ، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا .

وهكذا نجد الأمانة متغلغلة في الدم ، وضاربة في كل شأن ، وكل امرئ منا مأمون على ما بيده ، فإذا خان فهو مسئول عن رعيته .

(ب) الدعامة الثانية : العدل بين الناس .

١ — والعدل من صفات الله ، والله يدعونا إلى الاتصاف بصفاته ليستقيم الأمر بيننا كما استقام ملك الله في ملكوته بعدله سبحانه .

وكم أهاب القرآن بنا أن نعدل فيما بيننا ، بل حتم علينا أن نأخذ أنفسنا بالعدل ولومع عدونا ، وكم حذرنا أن نميل عن العدل طواعية لعاطفة ، أو تشفيا من ذى خصومة .

« ولا يجرمكم شأن قوم — بغضهم — على ألا تعدلوا : اعدلوا . . هو أقرب للتقوى » « وإذا قتلتم فاعدلوا ، ولو كان ذا قربى » .

٢ — والإسلام كدين سماوى مدنى يأبى أن يكون فى ظله شىء من الجور ، لأن المدنية الصحيحة لا تقوم إلى جانب الظلم ، وليس العدل خاصا بالحكام ، بل هو متعلق بكل من يؤخذ بقوله فى خصومة ، أو يحتكم إليه فى رأى ، أو يتولى رعاية فى جماعة ، ولو فى أهله وولده .

٣ — ولأن العدل وشيجة بين الناس ، ومدعاة للاطمئنان : ترى النفوس مرهفة لالتماسه فى شهادة الشاهد ، وفى قضاء القاضى ، وفيما يجرى على الألسن ، وترى من وراء ذلك حبا يتمكن فى القلوب إذا رأوا عدلا بينا ، وكراهية تطيح بالروابط إذا لمسوا حييفا ولو ضئيلا . ذلك لأن العدل لغة الضمائر ، وله سلطان على الأرواح ، ولقد احتكم يهودى مع على بن أبى طالب رضى الله عنه أمام شريح قاضى المسلمين ، وكان اليهودى أخذ درعا لعل وادعاها لنفسه وهو يعلم بكذب نفسه ، ولما وجد من عدل شريح أنه لم يتعصب

لأسيير المؤمنين ، وسوى بينه وبين اليهودى فى موقف القضاء ، ولم يسمع شهادة الحسن ابن على لأبيه ، واكتفى بيمين حلفها اليهودى وحكم له بالدرع ، اهتزت نفس اليهودى إعجابا بعدالة الإسلام ، وزهبت حفيظته على المسلمين ، وأعلن إسلامه وهو فى غبطة وجدل .

وتلك روحانية الإسلام فى قضائه العادل . . . وفى هذا الباب تقف الأقلام دون استيعاب الأمثلة فى سياسة الرسول وصحبه مع من أخضعهم الإسلام لحكمه ، وخفقت على أوطانهم راية القرآن حتى انضوا إليها راغبين فرحين .

٤ — وانظر تجد القرآن بعد أن ذكر العدل نوه إلى ما فيه من نفع لديننا ودنيانا فقال : « إن الله نعمًا يعظكم به » يعنى نعم الشئ الذى يعظكم به الله : هو العدل .

(ح) ومن العدل المنشود ألا يتردد محكوم على حاكم ، ولا صغير على كبير .

١ — ولا يختلف إنسان على من له حق الطاعة من ذوى العلم ، وذوى الاختصاص فى عملهم ، وفيما يلون من شئون الدولة ، وإذا كانت الطاعة لله فيما شرع ، وللرسول فيما بلغ وبين : حقًا مفروضًا على المؤمنين ، فالطاعات فيما يكفل نظام الدولة ، وفيما يجدى على الناس ويجمع شملهم ، من أقوى التكاليف الدينية : إذ الإسلام دين ودنيا معًا . . . وليس من مظاهر الإسلام أن يكون شقاق ، أو تكون فتنة وتنازع مدامت الطاعة فيما لا يجافى تعاليم الدين . وحسبك أن كلمة الإسلام معناها الطاعة ، بل أقصى ما يكون من الطاعة لله « ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى » . ومن طاعة الله ، وإسلام الوجه إليه تعالى : تنفيذ أمره فى تبادل الطاعة بيننا حتى لا تنازع الأمر أهله .

فالعالم يطاع فى علمه ، والطبيب الخاذاق يطاع فى طبه ، والقائد يطاع فى جيشه ، والحاكم يطاع فى حكمه ، وهكذا ليستقر النظام العام ، وتتجه الجهود إلى الغايات ، ويعود الخير على الجميع « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم »

٢ — لذلك يعتبر القرآن أن الخروج عن الجماعة شذوذ وضلال ، وتعرض للعذاب فى جهنم . . . ويعلمنا القرآن أن إثارة الخلاف تعتبر إيقاظًا للفتنة ، ويصرح بأن الفتنة أشد من القتل ، والنبي صلى الله عليه وسلم يلعن كل من أيقظ فتنة بين الناس .

ولذلك أيضا ينصح القرآن باجتناب أسباب الفرقة ، ويهددنا بالوبال إذا خالفنا

واختلفنا » فليحذر الذين يخالفون عن أمره : أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم «
« ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » .

(د) ولسكن اختلاف الرأى أمر فطرى ، ولعله وسيلة إلى الفلاح إذا كان غير مشرب بالعناد ، ولا ناجم عن هوى ، حينذاك يكشف عن وجوه الصواب ، ويبصرنا بمواطن الزلل .

١ — ولقد دعا الإسلام إلى المشورة، وفتح باب الاجتهاد، وعاب على المهملين لعقولهم الرشيدة، والمتكاسلين وراء التقاليد العمياء . . . وكل ذلك حفز على تبادل الرأى والاجتهاد، فى التماس المصاححة . . .

٢ — غير أن الرأى قد تخالطه حمية، أو تشوبه عصبية، فيكون مؤذنا بالفتنة، وقاضيا على الوحدة . لذلك حتم القرآن علينا ألا نركب الرؤوس، ونطاولع الهوى، وأن نرجع عن هذا التطاحن إلى كتاب الله ، وسنة رسوله .

والرجوع إليهما حين الاحتدام يحتاج إلى يقين وإيمان بما فيهما مما شرع الله، وفيهما الهداية والتبصرة « فأن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول : إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر . . . ذلك خير وأحسن تأويلا » وهذه عدة من الله لعباده إذا رجعوا إلى كتابه وسنة نبيه بأن يهديهم إلى الخير، وأن هذا كما هو خير الآن ، فهو أحسن تأويلا : عاقبة .

وهذه توجيهات ترتضيها الأنفس المطمئنة بالله ، ويقتبط بها المخلصون لأمتهم ، فأنهم يرون فيها دعائم قوية ينهض عليها المجتمع المرغوب فيه، ولا ينفر من تلك التوجيهات إلا خصوم الحق ومصطنعو الوطنية .

هذا - ومن عجائب المجتمعات الإسلامية فى كل واد أنهم يلمسون فى تاريخ الأسلاف تصديقا واقعيا لكل ما هداهم به القرآن ، ودعاهم إليه ، فأن أجداد المسلمين ، ومجتمعهم الذى بهر الزمن ، لم يقم إلا على تلك الدعائم الكريمة ، حتى وضع فيهم يومذاك أنهم خير أمة أخرجت للناس . . . ثم غلبتهم الأنانية ، وتسربت إلى صفوفهم الدسائس، وشجر بينهم خلاف وخلاف ففاتتهم فرص ذهبية ، وفرغت صفحات فى التاريخ من ذكريات طيبات تلائم ذكريات الأوائل من رجال الإسلام .

ولسكننا نعود ونقول : إن الله قد رضى لنا الإسلام ديننا ، وأكرم أمة مجد لأجل مجد، فلم يعجلهم بالشر كما يستعجلون الخير ، وفتح أمامهم باب الرجوع عن مآثمهم ،

إلى هدى كتابه، وسيطيب للناس أن يستجيبوا لدعوته بعد أن غمرتهم ضلالة الهوى ، وراقتهم الشهوات .

وان يكن الباطل فاشيا فيهم اليوم فسينتصر الحق ويتغلب، وسيذهب الباطل مدحورا « إن الباطل كان زهوقا » . ومن الحق علينا شكرنا لله أن نفتح مصر نفحة من رحمته فهيا لها من رجال ثورتها من يرفع النداء جهيرا بدعوتها إلى النهوض ، ويفسح لها الخطا إلى الإمام، لتدرك ما فاتها وتجدد ما وهن من قوميتها، وتجمع ما تفرق من صفوفها، وتستضيء بهدى دينها، وتسبق غيرها في سبيل الحياة الجديدة، وتقيم بنيناها منذ الآن على ما أوضح القرآن من دعائم المجتمع الصالح .

ومصر بحمد الله مستجيبة لنداء الثورة ، وسائرة خلف أبطالها في جد ، وساعية معهم في نشاط : بارك الله مصر وبارك نهضتها ما

عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفقيش بالأزهر

موجة الانحلال في الادب المعاصر

ظاهرة مؤسفة تتجلى واضحة في الأدب المعاصر على إطلاقه ، هي ظاهرة الانحلال التي تستر تارة تحت ثوب الفن ، وتارة تحت مذهب من المذاهب الشاذة الجديدة ، وطورا تحت ذريعة التجديد .

ويتخذ هذا الانحلال أشكالا شتى تنعكس على كل ما يسمى بعمل فني : فانهلال في اللغة مرجعه الى جهل قواعدها وأصول مفاتيحها ، وادعاء استعصائها على الإدراك .

وانحلال في المعاني والأخيلة ، حتى صارت المعاني المبدعة هي المعاني التي تختلط باللذة الحسية والشهوة العارمة .

وانحلال في التفكير، حتى التوت مسارب الفكر أمام حملة الأفلام .
وانحلال في الموازين والمقاييس ، حتى غدا العمل الفني مقبلا بأصالته ونصاعة ديباجته وجدة معانيه، بل بقدرته على الإثارة، وقدرة الكاتب على تصوير العاطفة بأحسن العبارات وأرخصها .

وديع فلسطين

بالقاهرة

عن مجلة (الأديب) البيروتية

السيرة

سيد الأزواج

- ١ -

أعرف الناس بالمخدوم والزوج - أساس السعادة الزوجية -
من حق الإنسانية على الناس - أعرق البيوت فضلا ونبلا -
أكرم زوج وأعظم أم - مثل من المكارم العليا .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : ما غرت على أحد من نساء النبي صلى الله عليه وسلم ،
ما غرت على خديجة ، وما رأيتهما ؛ ولكن كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر ذكرها ،
وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ، ثم يبعث بها في صدائق خديجة ؛ فربما قلت له :
كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة ! فيقول : إنها كانت ، وكانت ،
وكان لى منها ولد .

رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى .

قلنا في هذا المكان لمناسبة من الخلق النبوى العظيم [١] :

والخدم والأزواج أعرف الناس بالمخدوم والزوج ، ولو كانت واحدة لقلنا زوج تحب
زوجها وتثنى عليه ، ولو كانت اثنتان أو ثلاث أو أربع لافترضنا الحال واقعا وقلنا : اتفقن
كلهن جمع على هذا الحب والثناء !! فكيف وقد انتقل إلى الرفيق الأعلى - صلوات الله

(١) انظر جزء رجب من مجلد العام الماضى .

وسلامه عليه - وفي عصمته الطاهرة تسع كان ينهن من المنافسة والغيرة ما لا يحتمله بشر، إلا أن يكون نبيا أيده بالمعجزات خالق القوى والقدر ؟!

وإذا لم يتسع المقام هناك للبسط والتفصيل ، فأنتنا نحاول هنا بعون الله وتوفيقه أن نجلى - في شئ من البسط والتفصيل - خلق النبي صلى الله عليه وسلم في بيته ، ومع أزواجه أمهات المؤمنين واحدة واحدة ؛ ليعلم من لم يكن يعلم أن بيوت النبي صلى الله عليه وسلم - على تواضعها وكفاف عيشها - أعز البيوت وأكرمها ، وأسعدها في الآخرة والأولى ؛ وأن السعادة الزوجية ليست في زينة الحياة الدنيا ومتاعها ، وإنما هي في كرم المعاملة وحسن المعاشرة ، ومكارم الأخلاق وطهارتها . . . ثم ليعلم من لم يكن يعلم أن سيد الأزواج جميعا ، والمثل الأعلى في الوفاء للناس عامة ؛ ولأزواجه خاصة ، هو من بعثه الله ليتعم مكارم الأخلاق .

هو سيد الأزواج وأوفاهم بلا ريب ، سواء منهم من اقتصر على واحدة ، ومن زاد عليها في حياتها أو بعد مماتها . . . وهو مصداق قوله صلوات الله عليه وسلامه : أكل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم ؛ وقوله : خياركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي . رواهما الترمذى عن أبي هريرة رضى الله عنه وصححهما .

* * *

ومرد هذا المثل الأعلى في الوفاء والفضل إلى أن معاملته صلى الله عليه وسلم للناس عامة ، ولأزواجه خاصة - لم ينفى قط ، وما ينبغي له أن ينفيها ، على أساس المنفعة العاجلة ، أو المتعة الزائلة ؛ فإن هذه معاملة التجار ، لا معاملة الأبرار ، فضلاً عن معاملة المصطفين الأخيار . . . وإنما أساسها الفضيلة في أوج رفعتها ، والمكارم في ذروة سنامها .

* * *

وإذا كان صلوات الله وسلامه عليه هو السيد الأول للأزواج جميعا ؛ فإن كل زوج معه - منفردة به ، أو ذات ضرة أو ضرائر - سيدة للزوجات كلهن جمع ، على ما يعترىها من غيرة تزل الحليم الرشيد أحياناً ، حاشاه صلوات الله عليه وسلامه .

* * *

على أن كل واحدة منهم قد استمدت هذه السيادة الزوجية ، أو جانباً منها ، من معدن المكارم ، وينبوع الفضل والفضيلة ، صلوات الله غليه وعلى سائر النبيين إخوانه .

لقد بنى الله بمحمد وأهله للعالمين أحد عشر بيتا ، هى فى حقيقة الأمر - لا مجازة -
أحد عشر كوكبا ، تختلف عن كواكب السماء الدنيا : بأنها لا تأفل أبدا ، وبأن ليلها
كنهارها ، تهدى السائرین على ضيائها فى الدجنة الخالكة ، كما تهديهم فى الشمس المشرقة
على سواء .

* * *

وإذا كان من حق الإنسانية على الناس كافة أن يستضيئوا بكواكبها ، فأحق هذا الحق
وأوجب ، على أقرب الأقربين إليها ، وهم خير أمة أخرجت للناس . . . ولا سيما المعنيين
منهم بالشئون الاجتماعية والحياة الزوجية فى هذه الأيام .
إنهم إن استضاءوا بها ، فسوف يخفون من غلوائهم فى تعدد الأزواج وتقييد الطلاق ،
وسيعلمون حق العلم أن الشأن إنما هو شأن التربية المنزلية ، والحياة الزوجية ، فى حدود
ما أنزل الله ، من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ، ومن الزواج بواحدة أو أكثر من
واحدة ، ما قامت الحياة على أساس العدل ومكارم الأخلاق .

* * *

والآن فلنبداً بالبيت الأول : بيت أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها ، لأنه أعرق
البيوت فضلا ونبلا ، وأسبقها تاريخا وزمنا ، ولأنه الذى قدمه الله لنبيه وأخبره له ، ليواجه
به أخرج الأوقات ، وأشد الأزمات !! .

* * *

كانت تدعى فى الجاهلية الطاهرة ، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعى الأمين ،
اختص كل منهما بلقبه لبلوغه الغاية فيه . . . وكانت إلى مكارمها النادرة ، ونفسها الطاهرة ،
ذات مجد تليد ، وثناء عريض ، وعقل راجح ، وفهم راسخ ، وبصر بالأمر عجب . . .
وحسبك أن السادة من العرب كانوا يزدادون شرفا بالزواج منها أو الانتماء لها . . . حتى
حظى بهذا الشرف اثنان : أبو هالة النباش من سادة بنى تميم ، وعتيق بن عابد القرشى من
سادة بنى مخزوم ، وقد ماتا عنها كلاهما ، أحدهما بعد سابقه ، من بعد أن أعقب الأول
منها هنداً وهالة . . . وهما رجلان صحبيان . . . وأعقب الثانى منها هنداً . . . وهى صحابية .
ثم زهدا الله فى الرجال على شدة رغبتهم فيها . . . حتى إذا بلغت أشدها واستوت ،
وبلغت أربعين سنة ، فأضحى أكرم زوج فى الوجود ، وأعظم أم فى الخليقة ، وأعقل
وزير وأخلصه فى النصيح والصيحة - رغبت هى فى أن تسكون زوجا لسيد الأزواج بل
لسيد العالمين جميعا .

هكذا نفرست ، وهكذا صدق الله فراستها فأعدها لأمر عظيم ، لم تك تصلح إلا له ؛ ولم يك يصلح إلا لها .

لا نريد أن نتقصى تاريخ هذا الزواج المثالى مبدأ ونهاية ، فقد كفتنا مئونة هذا التقصى صحاح السيرة والشئائل .

وحسبها فضلا ونبلا أنها كانت أسرع الناس إلى هواه ، ولا يهوى إلا الخير خالصا ، وأنها أول من آمن به واستجاب لدعوته ، وأول من بشره وثبته فى رجفة الوحي إذ رجع بالآيات الأولى من غار حراء يرجف فؤاده ، وتضطرب بوادره ، حتى دخل على الزوج الحنون ، والأم الرؤوم ، وهو يقول : زملونى زملونى . . لقد خشيت على نفسى . . وأخبرها الخبر . . وباله من خبر . . فما كان جوابها إلا أن قالت : كلا ، أبشر ، فوالله لا يخزيك الله أبدا ، فوالله إنك لتصل الرحم ، وتصديق الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق (١) ثم انطلقت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل ، فأكد بشارتها ، وصدق فراستها ، فى حديث الصحيحين وهو أشهر من أن يذكر . .

قضى سيده الأزواج قبل البعثة المحمدية خمسة عشر عاما ، يعدل كل يوم منها دنيا الأمانة والطهارة ، والبر والوفاء ، وما شئت من خلال الفضل والنبل ، وكل منهما لذلك موئل وأهل . . ثم قضيا بعد البعثة عشرة أعوام كاملة ، كل يوم منها من أيام الله ، فلا يقدر قدرها ، ولا يحصى ثناءها ، إلا هو سبحانه ، تباركت آلاؤه ، وجلت نعمائوه . .

وهنا نرجو قبول المذرة ، إذ نمسك بالقلم بعد هذه المقدمة التى لا بد منها بين يدي هذا الحديث الخطير ، حديث الغيرة بين أمهات المؤمنين ، وخير نساء العالمين . . وعسى الله أن يأتى بفتح من عنده ، وعون على البيان بأذنه ، وموعدا الجزء التالى إن شاء الله ما

طه محمد الساكنت

(١) البادرة : لجة بين المنك والعنق ، والكل : العاجز الذى لا يستقل بأمره ، والمعدوم والمعدم : الفقير الذى لا مال له ، وكسبه وإكسابه : إعطاؤه والاتفاق عليه ، وقرى الضيف : إكرام مثواه ، ونوائب الحق : كوارثه ونوازله ، ووصفتها بالحق لأنها تكون فى غيره . وصفتها بأصول المكارم التى أخذ بمجامعها ، وارتقى إلى ذروتها . . وأقسمت مطبئة بفطرتها وصادق تجربتها ، على أن صاحب هذه المكارم لن يضيعه الله أبدا . . بل يكرمه بمحسن العقبى . .

الاله والوجوديون

- ٣ -

حدثتكم أيها القارئ في مقالتي السابقين حديث الوجوديين الذين يهذون ويقولون ما يجافى العقل الصافي والطبع السليم ، واستمع في مقالى هذا إلى حديث من تمذهب بهذا المذهب من أهل بلادنا المحبوبة ، وجعل يدعو إليه ويؤلف الرسائل فيه ، ويعتبر نفسه الآن حجة الفلسفة (كذا) الوجودية في جمهوريتنا المصرية .

استمع الى فقرات من بعض رسائله ، نشرها الأستاذ الكبير نقيب الصحفيين أحمد قاسم جودة في بعض أعداد الجمهورية من حقبة مضت من غير تعليق عليها ، استمع إليها لتعرف أن هؤلاء الوجوديين خلفهم كسلفهم : يفكرون بقلوب لا يفقهون بها ، وينظرون بعيون لا يبصرون بها ، فعموا وصموا ، وضلت عنهم العقول والأفكار .

استمع إليه يصور مذهبه فيقول :

« هل يمكن قيام أخلاق وجودية ؟ إما أن تقول بالأخلاق فتفقد ذاتك . إما وأن تقول باللا أخلاق فتخاطر بوجودك ، لكن الوجودى الحق هو الذى يفضل أن يخاطر بوجوده على أن يفقد ذاته » .

يتشكك أولاً في إمكان قيام أخلاق وجودية ، ثم ينتهى به البحث الى إنكارها ونفيها ، وجرى في بحثه على أن للمرء ذاتا مستقلة ووجوداً ، ثم فرض الأخلاق مرة واللا أخلاق (عدم الأخلاق) مرة أخرى ورتب على كل منهما أمراً ، فرتب على الأخلاق (أى اتصاف المرء بها) فقدان الذات ، ورتب على اللا أخلاق المخاطرة بالوجود أى تعرضه للضياع والهلاك . ثم فاضل بين المخاطرة بالوجود وبين فقدان الذات فزعم أن الوجودى الحق هو الذى يفضل أن يخاطر بوجوده على أن يفقد ذاته ، وإذن فالنتيجة أن الوجودى لا يعترف بالأخلاق ، ولا يجعل لها قيمة ، محافظة على ذاته ، وإن خاطر بوجوده وعرضه للهلكة والضياع .

ولست أرى قولاً أبعد من صواب وأقرب إلى خطأ من هذا القول ، فتي كان الوجود والذات أمرين يمكن المخاطرة بأحدهما ولو مخاطرة معنوية دون الآخر ، أو يمكن فقدان أحدهما ولو معنوياً دون الآخر ؟

لا أريد أن أقول كما يقول فلاسفة المتكلمين : الوجود عين الوجود ، ولا أقول إنه غيره ، وليفرضه هذا الإنسان كما يشاء ، ثم ليقول لنا : كيف تصور عقله أنه يمكن المخاطرة بالوجود مع بقاء الذات مصونة محفوظة حتى تفقد الأخلاق صونها لها ، ونعرض نفس وجودها للمخاطرة . الله يشهد والعقلاء يشهدون أن هذا منطق جانبه الصواب وظهر عليه الخبال .

إنه يريد أن يحاكي الفلاسفة في تعبيراتهم حين يبحثون إذ يقولون مثلاً : إما أن يكون هذا الشيء إنساناً فيكون قابلاً لصفة الكتابة ، وإما أن يكون لا إنساناً فلا يقبلها ، فتراهم يقابلون بين الشيء (وهو الإنسان في مثالنا) ونقيضه (وهو لا إنسان) ويرتبون على كل واحد ما يناسبه ، ولا يمكن ترتيبه على النقيض الآخر لا بالمباشرة ولا بالتبع كما في مثالنا الذي ذكرناه ، ولكن هذا الإنسان يرتب على قيام الأخلاق فقدان الذات ويرتب على عدمها المخاطرة بالوجود ، وظاهر إلى حد البدهة أن فقدان الذات يتبعه قطعاً فقدان الوجود ، وأن المخاطرة بالوجود يتبعها قطعاً المخاطرة بالذات ، وإذن فقد رتب على الشيء ونقيضه شيئاً واحداً ولا يقول بذلك باحث مفكر ، وهكذا شأنهم في كلامهم :

فبعض القول ليس له حصاة كخض الماء ليس له إثناء

انظر إلى نتيجة التي انتهى إليها - وهي أن القول بالأخلاق فيه مخاطرة بالوجود ، ولكنه يحفظ الذات ويبقيها ، هل ترى عاقلاً يتجح بمثل هذا القول المتهافت السخيف ؟ أى قيمة للذات (على فرض أننا صدقناه في بقائها مع المخاطرة بوجودها) من غير أن تكون متصفة بالأخلاق الفاضلة وكريم الصفات ؟

إذا فقد الإنسان أخلاقه وتجرد من كل الصفات الفاضلة وانحط إلى هذا الدرك الأسفل من الحقارة، أفيكون له مركز بين بنى جنسه ؟ أظنك لا ترى في الناس شخصاً واحداً يحترم إنسانيته أو حتى لا يحترمها يرضى لنفسه أن يكون مجرداً من الأخلاق الفاضلة والخلال الكاملة ، أى فرق بينه وبين العجاوات إذن ؟ أى عاقل يقول إن القول

بالأخلاق يفقد الذات ويهدمها ؟ إن الأخلاق تقوى صاحبها وتحية حياة طيبة ، فإذا امتدت به حياته كان ملء السمع والبصر ، وإذا لقي حتفه كانت له ذكرى حسنة - والذكرى للإنسان عمر ثمان - فهو في كلتا الحالتين محفوظ الذات معزز الجانب .

إن الخلق الكريم يعز صاحب به ويحفظ كرامته ويرفع قدره ويحيى نفسه ويجعله بين الناس محترما معظما ، إذ الأخلاق هي موازين الرجال التي تدرك بها قيمهم وتعرف بها مزاياهم وقوة شخصياتهم .

تزين الفتى أخلاقه وتجعله وتذكر أخلاق الفتى وهو لا يدري

إن الأمة التي تضع أخلاق بنيها ويجردون منها تكون أمة وادية ضعيفة لا قيمة لها بين الأمم ، وما حوربت أمة قط في أخلاقها إلا استذات وانحطت قيمتها ، بل وقد تتلاشى من الوجود ويمسك بنواصيها عدوها وتديث بالصغار .

لقد كان الناس قديما يمجدون الأخلاق الفاضلة ويعتبرون صاحبها ويشقون به ، وكانت العرب في جاهليتها الجهلاء تحافظ على الأخلاق أشد محافظة ، وشور إذا مست الكرامة حتى لقد تقاتل حيان من العرب قتالا ذريعا لعبنة عبث بها غر جاهل من أحد الحيين بامرأة من الحى الآخر ، حيث شد ذيل ثوبها في أعلاه بشوكة ، فلما قامت ظهرت سواها فضحك الناس فثارت وصاحت : يالفلان يالفلان ، تنادى حياها ، فثاروا على الحى الآخر وتنادوا السلاح السلاح ، ثم تقاتلوا حتى كاد يفنى بعضهم بعضا ، وما ذلك إلا حفاظا للأخلاق وتقديرا لها واعترازا بمكاتها ، ولكن الوجوديين يهدرون الأخلاق ويرضون لأنفسهم ألا يكونوا ذوى أخلاق ، وأن يجردوا من كل وصف كريم « وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة » .

استمع إلى هذا الانسان مرة ثانية يقول : (الوجودى الحق أعدى أعدائه القانون) أى الوجودى الحق فوضوى لا يحده قانون ولا يردده نظام ، كأنه من أبناء الغابات وساكنى الأدغال ، تتشر بينهم الحمجية الفاحشة وتعمهم الفوضى الشاملة .

ليس يغيب عن الأذهان أن القانون أساس لنظام الأمة التى قن لها وتهذيب أمورها الاجتماعية والاقتصادية وحفظ الحقوق والواجبات فيها بين أفرادها ، حتى لا يظلم بعضهم بعضا ، ولا يعتدى بعضهم على بعض ، ولا يسلبه حقا هو له ، ولا يحيف عليه فى نفس

أموال ، ولا يثلمه في عرض أو متاع ، ولكن هذا الإنسان الوجودى يريد حرة مطلقا لا تحدها حدود ولا يقف في طريقها عقل أو دين ، وتلك حرية البهائم والحيوانات . يريد أن يتخذ هواه قائدا ومرشدا ، لا يعصى له أمرا ، ولا يخالف له إشارة ، والويل كل الويل لمن اتخذ هواه قائدا ومرشدا ، إنه يقوده إلى أحقر الأعمال وأسفلها وأحطها وأسوأها ، ويفريه دائما بالمفسدات ، ويلج عليه في المنكرات ، بل ياليتها يريد حرة مطلقا ، إذن لهان الأمر قليلا ، فإن الحرية المطلقة قد تحمل صاحبها على فعل الخير مرة وعلى فعل الشرور مرات ، فيكون فيه شيء من الخير ولو بسيطا جدا ، ولكن هذا لم يكتف بأن القانون عدو له بل جعله أعدى أعدائه ، وإذن فلا يمكن أن ينفذ منه مادة واحدة ، ولا يعنى له حرمة في شيء ما ، فتعدت حريته أن تكون مطلقة ، وزادت في تحللها عن حرية البهائم والعجماوات ، ولست أدري بعد ذلك بم أسميها ؟ هل أسميها الحرية الفاجرة ؟ أو الحرية المنحطة السافلة . لا . بل أسميها الجنون ، ولكنى أرى الجنون خيرا منها ، إذن بماذا أسميها ؟ الحق أنى على طول تفكيرى لم أعرف لها اسما ، ولا أدرك لها وصفا ، إلا أن أقول : إن هذا هذيان يجب أن يذهب بصاحبه إلى محجر الحمق والمجانين - إنها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور . نسأل الله أن يحفظ علينا ديننا ويهدينا دائما سواء السبيل .

(للكلام بقية)

محمد الطنبغى

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير عام الوعظ بالجمهورية المصرية

الحياة

قال علقمة بن علاثة للنبي صلى الله عليه وسلم :

— يا رسول الله ، عظمى .

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : — استحي من الله ، استحياءك من ذوى الهيبة

من قومك .

كيف نتعلم من الحياة ؟!

الحياة . . . ذلك اللفظ القليل الحروف ، الجليل المعنى ، الواسع الآفاق . . . الحياة التي تشمل الفرد والمجموع ، والعقلاء وغير العقلاء ، والدائنين والنائين ، والمرثيين والمستورين ؛ وما في الماضي والحاضر والمستقبل . . . الحياة التي هي الحركة ، ولم من أشياء نراها ساكنة قارة ، وهي متحركة مواره : « ترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون » .

هذه الحياة ، كيف نتعلم منها ؟ وكيف نأخذ عنها ؟ . . . وكيف نستفيد بها ؟ . . . لعل أول شرط للتعلم من الحياة هو أن نكون من الأحياء ، وأن نحقق معنى الحياة الصحيح في أنفسنا ، فنزل ميدانها ونحن صالحون لها ؛ محسون بها ، مندمجون معها ، متأثرون منها ، مؤثرون فيها ، فلا نكون معها سلبيين دائماً ، ولا تكون معها إيجابيين على « طول الخط » كما يعبرون ؛ بل نقف منها مواقف الإيجاب والسلب حسبما تقتضيه قواعد الحياة الأصيلة الكريمة .

وهناك عدة أمور يجب أن نلاحظها حتى نستطيع أن نحسن التعلم من الحياة ، وأن نتقن السير فيها ، وأن نجيد الانتفاع بها ، فمن هذه الأمور أن نتذكر أن هناك فرقاً بين المبدأ والواقع ، فالمبدأ هو ما يجب أن يكون ، والواقع ما هو كائن بالفعل ، والمبدأ نظرية مثالية رفيعة نظمح إليها ونتمنى بلوغها ، والواقع هو ما نبلغه فعلاً بجهودنا المحدودة وخطواتنا المستقيمة حيناً ، المتعثرة حيناً آخر ، وشتان ما بين النظرية التي يتقاسف فيها العقل ، ويبدع في تصويرها الفكر ، ويفسح من مداها الخيال ، وبين تطبيق هذه النظرية ، فمن السهل أن نضع مبدءاً جليلاً في لحظات ، ولكن تطبيقه تطبيقاً كاملاً يحتاج إلى سنوات وسنوات ، والحياة أقوى أحياناً من الأحياء ، فإذا لم يكن كل ما تريد ، فأنتك تستطيع أن تريد جانباً أو جوانب مما هو كائن ، وتستطيع أن تستعين بهذا الذي هو كائن على تحقيق جانب أو جوانب من هذا الذي تريده أن يكون .

والحياة - على الرغم من أصولها الثابتة الراسخة - جديدة دائماً ؛ والعربية أدركت هذا منذ أقدم العصور ، فأطلقت على الليل والنهار اسم : « الجديان » ، وهما المشهدان الخالدان خلود الدهر ، اللذان يطالعان الأحياء باستمرار ودوام ؛ وما دامت سنة الحياة التجديد ، فأنت لا تحسن الفهم عنها ولا الأخذ منها إلا إذا استشعرت هذه السنة - سنة التجديد - في نفسك وفيما بين يديك ؛ وليس التجديد بتر ، أو انسلاخ من واقع ، أو انقطاعاً عن سابق ، أو تعامياً عن قابل ، فحاضر الحياة الجديدة المتجددة منحدر من ماضيها ومرتبطة به ، ومستقبل هذه الحياة وليد حاضرها وماضيها ، بخد وتجدد ، ولكن لا تبتز نفسك من ماضيك ، ولا تغمض عينيك عن مستقبلك .

ونتعلم من الحياة الكثير إذا تذكرنا أنه لا يوجد اثنان من الناس يتحدان تمام الاتحاد في جميع الأمور والأشياء ، فكل فرد يشابه أخاه في طائفة من خصائص الحياة ، ولكن كل فرد نمط قائم بذاته ، يختلف عن غيره في بعض الوجوه ، لأن « الفردية » هي الخصيصة الأولى التي تظهر في الحى ، أو تبديها الحياة ، وقد رمز القرآن الكريم إلى نحو ذلك - فيما أظن - حيث يقول متحدثاً عن مظاهر قدرة الله وجلاله : « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين » .

وحينما قال الحق سبحانه : « بلى قادرين على أن نسوى بنانه » كأنه أشار بهذا إلى أن قدرته أوجدت بعض مظاهرها لاختلاف والتمييز بين الفرد والفرد ، في جزء صغير من الأطراف وهو تلك الخطوط الدقيقة الرفيعة الموجودة في بصمات البنان . . .

ولأن التميز سمة الفرد نلاحظ أن ذلك الفرد يحاول دائماً أن يثبت وجوده ؛ وأن يؤكد ذاته ؛ وأن يعبر عن كيانه ؛ فيغاير سواء عامداً أو غير عامد ، وتتخذ هذه المغايرة أشكالاً ومظاهر عديدة : في الطعام والثياب والحديث والحركة والتفكير وإصدار الأحكام . . .

بل قد ترى أناساً يشذون ويخالفون لمطلق الشذوذ والمخالفة ، حتى لقد يحتال عليهم أصحاب الذكاء ، فيعرضون عليهم آراء واقتراحات لا يريدونها أصحاب ذلك الذكاء ، ليخالفوها أولئك المولعون بالمخالفة ، وينادوا بتقيضها وهو ما يريد أولئك الأذكياء الذين يتظاهرون في النهاية بقبولهم هذا التقيض إرضاء لأولئك المخالفين ! ! . . .

وقد أشار إلى مثل هذا في ميدان الهوى والعاطفة ذلك الذى يقول :

ولطالما اخترت الفراق مغالطا واحتلت فى استثمار غرس ودادى
ورغبت عن ذكر الوصال لأنها تبنى الأمور على خلاف مرادى !

وقد يكون من هذا القبيل أيضا قول الآخر فى معاندة الليالى له :

وكانت إساءات الليالى كثيرة فما برحت حتى شكرنا الليالى

ونستطيع أن نحسن التعلم من الحياة إذا تذكرنا أن الأحياء يغلب عليهم طابع الذاتية ، أو الشخصية ، أو الأنوية ، أو الأثرية ، أو حب النفس ؛ وهذا الطابع الشخصى يغلب على طابع النحنية ، أو الغيرية ، أو الإيثار ، فى أكثر الأحيان ؛ وقد يجمل المرء فرديته أو أنويته بمظاهر براقة ، وقد يخفيها بحيل تختلف قوة وضعفا ، حسب ذكائه ومهارته وتجربته ، ولكن يظل ساكنا هناك فى أعماق الأعماق ذلك الجبار العملاق المسمى «أنا» !! .

والأخلاق والتهديب والتعليم والتربية ، كلها عوامل لتخفيف طغيان ذلك العملاق الرهيب «أنا» ؛ وقد تصادف هذه العوامل السكريمة العظيمة أرضا خصبة طيبة ، فتؤتى ثمراتها ، وقد تصادف أرضا خبيثة سيئة ، فلا يجدى التوجيه أو الإرشاد .

* * *

ولنتذكر أيضا أن من قوانين الحياة والأحياء قوة التطلع إلى الحديد ، حتى فى أخس الحيوانات درجة ، وحينما قال الأولون : « لكل جديد لذة » كانوا يصورون طبيعة الأحياء خير تصوير ، فالبنا الحديد ، والطعام الحديد ، والوجه الحديد ، والصورة الجديدة كل هذا له تأثيره ووقعه ، واللييب من احترس فى لقاء الحديد ، فقد ينخدعه بهرجه عن أصالة قديم نبيل .

والتكرار والتعود يفقدان أكثر الأشياء القيمة قيمتها ، وهذا مثلا منظر السماء المزدانة بنجومها وكواكبها ، إنه من أروع المناظر ، ولكنه مألوف معتاد ؛ ففقد بالفته واعتياده الكثير من روعته فى نفوسنا ؛ وكفى شخصا منا يفكر فيه ، أو يتطلع إليه بتدبر أو تفكير الآن ؟ ! .

وأنت قد تعيش فى مدينة عظيمة ، وقد تكون جميلة ؛ ولكن الاعتياد يجعلك

لا تفكر فيها ولا تحس بها ؛ ثم تصور حالك وأنت تطير إلى مدينة أخرى في قطر آخر ، قد تكون أقل من مدينتك عظمة وجمالاً . . . إنك تنتبه فيها للصغير والكبير ، والقريب والبعيد ، وتحرك حواسك ووسائل إدراكك كلها ؛ ولذلك كان من الواجب أن تتواصى بأيقاظ المدارك مع أشياءنا المألوفة من حين إلى حين ، فأنتنا بهذا الإيقاظ قد نلاحظ منها ما يفيدنا في أمور دنيانا وفي شئون حياتنا المختلفة .

* * *

ونحن نحسن التعلم من الحياة إذا تذكرنا دائماً وأبداً أن الكثير من المظاهر كاذب ، وأن الكثير من الصور خداع ، وأن وسائل الأحياء في الستر والإخفاء ، والتلون والادعاء ، والتظاهر والرياء ، والالتواء والاستخفاء ، مكنت هؤلاء الأحياء من كثير من التحريف والتضليل ، والتمويه والتخيل ، فأكثر الناس يبدون في مظاهر اللطاف الضعاف ومن وراء هذه المظاهر ثعالب وذئاب ، وأكثر الناس يقولون مالا يفعلون ، ويعملون ضد ما يدعون إليه ، والقرآن الكريم يعطينا نموذجاً لهؤلاء حين يقول :

« ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ، ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام ، وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد ، وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد » ! . . .
ما أكثر ما تعلمنا هذه الحياة ، وما أحوجنا إلى الكثير لكي نحسن التعلم عن هذه الحياة ! ! ! .

أحمد الترابصي

المدرس بالأزهر الشريف

إذا تراكت الأعمال

قال توماس كارلايل في كتابه « الخياط يرقع » :

« ابدأ - قبل كل شيء - بالعمل الذي بين يديك ، أى بالعمل الذي تعرف أنه واجب ، فأنتك إن فعلت اتضح لك الواجب التالى » .

الوحدة الإسلامية

وعوامل الضعف فيها

كتب الصحفي الباكستاني السيد يوركي مقالا في مجلة « النيوكومنولث » تحدث فيه عن الوحدة الإسلامية وعوامل الضعف فيها . ومن رأى الكاتب « أنه لا ينتظر أن تصبح الدول الإسلامية وحدة قوية متماسكة في المستقبل القريب » ، ويقول : « إن من بين العقبات التي تقف في سبيل ذلك نمو الروح القومية التي تطغى أحيانا على التمسك بأهداب الدين ، وقيام المنازعات بين بعض الأسر الحاكمة وبعضها ، الأمر الذي منع الجامعة العربية عن تأدية مهمتها على الوجه المنشود ، ثم حاجة الدول الإسلامية إلى الأسلحة وإلى النهضة الصناعية » .

وعاد الكاتب الباكستاني فقال : « إن الروابط الدينية لها أثر كبير في عقول الشعوب الإسلامية ، ولهذا تظهر أحيانا بوادر الوحدة التي تطغى على المصالح القومية ، فالنزاع على فلسطين مثلا يجب أن يكون من شئون العرب ، ولكنه كان مصدر قلق للمسلمين في مختلف ربوعهم ، ومن هذه البوادر أيضا ظهور هيئات دينية في جميع الأقطار الإسلامية ، وهي هيئات لم تلبث أن أصبحت ذات قوة سياسية ونفوذ كبير ، ولكن هذه كلها بوادر ظاهرية فقط » .

ثم تحدث الكاتب عن عوائق الوحدة من الناحية الاقتصادية فقال : « إن المشكلات التي تقف في سبيل الشعوب الإسلامية قد بلغت حدا من التعقيد يجعل تنفيذ التحسينات التي تسد حاجة هذه الشعوب إلى النهضة الاقتصادية أمرا يقتضى وقتا طويلا ، وبخاصة لأن الحكومات التي تحاول معالجة هذا الموقف تجد أمامها الكثير من الصعاب ، كقلة الموارد المناسبة ، والافتقار إلى معرفة الطريق الصحيح إلى تنفيذ البرامج ، وقلة

الكفايات ، ثم النضال في سبيل الحكم . فهذه العوامل كلها تعرقل برامج الإصلاح من ناحية ، وتفسد النهضة السياسية من ناحية أخرى .

وهذا الذي قاله الكاتب الباكستاني فيه ثغرات تحتاج إلى ما يسدها من التصحيح والتصويب ، فقد حسب أن نمو القوميات في الدول الإسلامية مما يعوق الوحدة بينها ، ويجعلها بعيدة التحقيق . ويبدو أن الكاتب قد تأثر في هذا الحكم بما قرره علماء السياسة من النظريات والآراء العامة ، ولو أنه تدبر الأمر في عالم الواقع لوجد أن العكس هو الصحيح ، ذلك لأن القوميات في الدول الإسلامية إنما تنمو وتطرد على أساس واحد ، هو التحرر والخلاص من النفوذ الاستعماري ، واستعادة العزة الإسلامية التي تتمثل بمقوماتها في تاريخ الإسلام المجيد ، وهذه هي بعينها الأسس التي تتجمع حولها الوحدة الإسلامية ، ومن هنا يمكن أن نقول إن نمو القوميات على هذا الوضع في الدول الإسلامية ، إنما هو تسديد إلى قيام الوحدة ، ودعم لسيانها ، وزيادة في الشعور بضرورتها ، على العكس مما قدر الكاتب الباكستاني .

ويرى الكاتب أن من بين العقبات التي تقف في سبيل الوحدة الفقر في القوى المادية ، وقلة الموارد المناسبة ، والافتقار إلى معرفة الطريق الصحيح ، وهذه نظرية قديمة كانت ترددها أقلام الكتّابين فيما مضى . أما اليوم فلم يعد العالم الإسلامي فقيراً أبداً ، ولكنه غني بموارده ومرافقه الزاخرة ، وقد اكتشفت فيه منابع البترول ، وتفجرت أراضيها بالكميات الضخمة منه ، والبترول كما تعرف هو ما يسمونه بالذهب الأسود ، وهو عصب الحياة المادية وقوامها ، فإذا علمنا إلى جانب هذا أن مناجم أوروبا وأمريكا قد نضبت ، وأنها في طريق الانهيار ، أدركنا أن العالم الإسلامي قد أصبح بيده مفتاح الحياة الآلية والمادية ، أما التقدم في الصناعة ، وأما معرفة الطريق الصحيح ، فليس هناك ما يعوق طريق العالم الإسلامي فيهما إلا الاستعمار ، فتي خاص من هذا الوباء فإنه بالغ في هذا المكانة التي يريد .

وأخيراً يرى الكاتب الباكستاني أن الروابط الدينية لها أثر كبير في عقول الشعوب الإسلامية ، ولكنه يرى أن هذا الأثر يبدو ظاهرياً خفياً ، والحق أن أقل ما يوصف به هذا الحكم أنه إدراك سطحي للواقع ، ولو أن الكاتب تغلغل في صميم الشعوب

الإسلامية لأدرك أن الدين لا يزال أقوى وترقى نفوس المسلمين ، وأن التراث الإسلامى إنما يجعل من الشعوب الإسلامية عقلية متفقة فى الاتجاه والتفكير وفى الارتباط بالدنيا ، وفى الإيمان بالآخرة ، وهذا الشعور القوى المشترك هو الذى وقف بهذه الشعوب فى وجه الأحداث الرهيبة ، وثبت أقدامها أمام ضربات الاستعمار القاصمة ، ولولا هذا الشعور القوى المتين لذابت الشخصية الإسلامية وتحللت ، وتبدلت لغتها وقوميتها ودينها كما كان يريد الاستعمار الأثيم .

وحين ضرب الكتائب المثل بحادثة فلسطين إنما نظر إليها على ما بدا فى صنيع الحكومات . ولكن ليعلم الكتائب الباكستانى أن نسكبة فلسطين إنما هى جرح فى قلب كل مسلم ، وأن الشعوب الإسلامية لن تطيق بقاء الصهيونية متربعة فى قلب بلادها ، وبهذا الإيمان العميق استطاعت الشعوب الإسلامية أن تطرد الصليبية الغازية من فلسطين يعد أن عمرت فيها أكثر من ستين عاما ، وهى لا بد صانعة ذلك بالصهيونيين مهما طال الزمن ، ومهما تألبت قوى الشر وتحالفت لمساندة هذا البهتان .

نعرة صليبية ! !

وننتقل من هذه الجولة مع ذلك الكتائب الباكستانى إلى كاتب فرنسى تناول موضوع الوحدة الإسلامية ، ولكن من ناحية أخرى ، فقد كتب الكتائب الصحفي « فيكتور فرانكو » مقالا فى صحيفة « بارى برس » الفرنسية تحدث فيه عما سماه « قصة الإسلام ووسائل انتشاره ودفاع المسلمين عن قضاياهم » ، وقد استهل الكتائب كلامه قائلا : « إن أربعمائة مليون مسلم منتشرون على مساحة شاسعة تمتد من المحيط الأطلنطى حتى المحيط الهادى ، ولكن الصحارى تشغل نصف هذه المساحة ، وإذا رسمنا خطا مستقيما يبدأ من الخليج الفارسى حتى جبال أورال ، فهو يقابل المحور الجغرافى للعالم الإسلامى ، وليس لهذا الخط من أهمية إلا بالثروات البترولية التى تمتد على طوله ، فإن الدول الإسلامية تملك فى الواقع أكثر من نصف فائض البترول فى العالم » .

وبعد أن تحدث الكتائب عن تعاليم الإسلام بما هو معروف وعمد إلى الغمزة التى أراد أن يدسها فى أطواء البحث فقال : « ومنذ ثلاثة عشر قرنا أخذ المسلمون فى مختلف الأقطار يعملون على إعلاء شأن الإسلام ونشر مبادئه بما يهدد التوازن العالمى على حساب أوربا . . والحلم القديم للمسلمين هو التوصل إلى وحدة الإسلام وعزته ، وفى القاهرة

توجد المراكر التي تغذى هذا الاتجاه، ومن هذه المراكر تنبعث التوجيهات إلى جميع البلدان في شمال أفريقية، وفي أندونيسيا، واستدل على ذلك « بأن الحركة الإسلامية المناهضة للسياسة الفرنسية في الجزائر قد ناصرها العلماء المسلمون » .

أما أن العالم الإسلامي له أهميته بما فيه من ثروات بتروولية كما يقول الصحفي الفرنسي فهذا حق، وأما أن المسلمين يعملون لتحقيق حلمهم القديم في وحدة الإسلام وعزته فهذا حق أيضا، بل إننا نقول للكاتب: إن المسألة لم تعد حلما ولكنها أصبحت حقيقة لا بد منها، وأما أن المسلمين يأخذون في ذلك بما « يهدد التوازن العالمي على حساب أوروبا »، فهذا ما لا يدريه التاريخ في الماضي، ولا نعرفه في الحاضر. ونحن نسأل هذا الكاتب وأمثاله: متى عمل المسلمون على تهديد هذا الذي يسميه بالتوازن العالمي؟ أكان ذلك يوم اندفعت دول أوروبا في مقدمتها فرنسا على العالم الإسلامي لتفتك به باسم الصليب؟ أم كان يوم وثب الاستعمار الغربي يتخطف أطراف العالم الإسلامي وينشب محالبه في صدره باسم المدنية؟ وهل كان هذا لحساب التوازن العالمي الذي يذكره الكاتب أم لتهديد هذا التوازن؟ !

إن الأمر في التوازن العالمي الذي يتحدث عنه الكاتب وأمثاله من الكتاب الغربيين أمر مفهوم لنا، فأنهم في الحقيقة لا يعنون بالتوازن إلا التوازن بين مصالح الدول الاستعمارية في الشرق الإسلامي، وإنما أراد الكاتب الاستعماري بما أثاره من حديث: « التوازن العالمي على حساب أوروبا » وبما أشار إليه من عمل المسلمين على تحقيق حلمهم في الوحدة والعزة، أن يثيرها في نفوس الدول الأوروبية نغمة صليبية ليجمعوا خيلهم ورجلهم في الوقوف أمام الحركات التحريرية في الأمم الإسلامية، ولعل الدول المسيحية أن تفرغ لمساندة دولته فرنسا في استعمارها لشمال أفريقيا، ولكن فليعلم الكاتب الفرنسي الذي يكتب بعقلية الفرنسيين أيام الحروب الصليبية أن دعوته ليست مما يفرغ العالم الإسلامي في كثير ولا قليل، فلن تقف حركات التحرير الإسلامية حتى يتحرر وطن الإسلام من كل دخيل، وستبقى القاهرة عونا للأحرار في كل مكان حتى تتحقق لهم حياة العزة والكرامة، وإن الثروة البترولية الضخمة التي تتفجر في أرض المسلمين ستبقى ملكا لأهلها، ولن تكون للاستعمار بعد اليوم .

المؤتمر الإسلامي والوحدة الإسلامية :

ونعود من هذه الجولة مع ذلك الكاتب الفرنسي إلى الباكستان مرة ثانية، ولكننا

لن نبعد عن الموضوع كثيرا ، فقد نشرت مجلة « إسلاميك ريفيو » القاديانية مقالا عن المؤتمر الإسلامي في مصر فوصفته بأنه « يمثل ذروة الجهود المتتابة لتوحيد العالم الإسلامي الحديث » ، وقالت المجلة : « إن فكرة وحدة العالم الإسلامي الحديث قد نادى بها المصلح الكبير جمال الدين سعد آبادي ، والمعروف خطأ بالأفغانى ، ثم أتباعه من بعده أمثال الشيخ محمد عبده ، والأمير شكيب أرسلان ، والكواكبي ، ومولانا محمد علي ، وأخيه مولانا شوكت علي ، والحاج أمين الحسيني في الأيام الأخيرة » .

ثم أشارت الصحيفة إلى المؤتمرات التي عقدت في الآونة الأخيرة فقالت : لقد أعطت باكستان هذا الموضوع عناية كبيرة ، فعقدت في كراتشي ستة مؤتمرات إسلامية عالمية في السنوات الثماني الماضية ، وكان من أهم هذه المؤتمرات المؤتمر الإسلامي العالمي الذي كان السيد أمين الحسيني رئيسا له ، ولكن نظرا لقلّة المعونة المالية ، ولعدم التدبير الصحيح ، فإن المؤتمرات الإسلامية العديدة التي عقدت بين آونة وأخرى في مختلف المراكز الإسلامية لم تخلف وراءها أثرا ملموسا .

ويعد أن تحدثت المجلة عن الفكرة في إنشاء المؤتمر الإسلامي ، وكيف نبئت هذه الفكرة في موسم الحج بين رجالات الإسلام وأعلامه أشارت إلى الأهداف التي قام من أجلها المؤتمر فقالت : « إنه يستهدف الارتفاع تدريجيا بحياة الشعوب الإسلامية من النواحي الخلقية والاجتماعية والاقتصادية ، ويؤمل في استطاعة الوصول إلى الوحدة الشاملة للعالم الإسلامي » .

وهذا كله كلام طيب ، وإنه ليدل على مدى ما يعلقه المفكرون من أهمية على المؤتمر الإسلامي ، والأهداف التي قام من أجلها ، وإنا نلرجو أن يكون المؤتمر موضع أمل المسلمين في تحقيق مقاصدهم وأهدافهم ، على أننا نعتقد أن أمام المؤتمر الإسلامي في هذا خطوة لا بد منها في الطريق ، وهى أن يعمل على ربط جميع الهيئات الإسلامية في جميع الأنطار برباط واحد ، وأن يوثق بينها في الاتجاهات إلى الغاية الكبرى التي هى غاية هذا المؤتمر ، وغاية المسلمين أجمعين . وإن ذلك لأول عمل إيجابي في سبيل الوحدة . وهنا لابد من إشارة يقتضيها الموضوع بالمناسبة ، فقد اهتم الكتاب اهتماما خاصا بالإشارة إلى نسب المصاحح الإسلامي الكبير جمال الدين ، فقد ذكر أنه أسعد آبادي ، وأن الناس ينسبونه خطأ إلى الأفغان ، والخلاف في هذه المسألة قديم ، فقد ذكر الأستاذ محمد عبده

في ترجمته لجمال الدين أنه ولد في قرية أسعد آباد في ناحية كندر بالأفغان من أسرة عريقة يتصل نسبها بالحسين بن علي حفيد النبي العربي ، ولها إمارة على مقاطعة صغيرة في الأفغان ، ومن هنا كان نسب الأفغانى ، ثم جاء الشيخ مصطفى عبد الرازق فذكر في ترجمته لجمال الدين أنه فارسي الأصل ، أفغانى الذئاة ، وكتب الكاتب العراقى الأستاذ عبد الكريم الدجيلي مقالا بمناسبة نقل رفات جمال الدين في عام ١٩٤٤ أثبت فيه أن جمال الدين إيرانى ، ولا صلة له بالأفغان ، ومن قبل هذا أصدر ميرزا غلام حسين خان أستاذ اللغة الفارسية بالجامعة الأمريكية بيروت كتابا أثبت فيه نسب جمال الدين إلى إيران ، وقال إنه ليس بالأفغانى .

وكل هذا كلام يحتمل في ميدان التحقيق العلمى ، ولكن أجدى من هذا كله أن نأخذ بتوجيه الأفغانى نفسه في هذا المقام ، فقد سأله أحد الكتاب في يوم أن يمل عليه ترجمة حياته لينشرها على الناس ، فقال له الأفغانى : وماذا يفيد الناس من أننى فلان الذى ينتهى نسبه إلى فلان ، كل ما أستطيع أن أقوله لك هو أننى كنت أحتفظ من قبل بحجة ثانية ، فلما تتابع نفي من قطر إلى قطر أصبحت أكتفى بحجة واحدة . وكان الأفغانى يقول : إننى رجل مسلم ، فكل بلد من بلاد الإسلام هو بلدى ، وكل شعب مسلم هو شعبي وأهلى ، فهل لنا أن نأخذ في أمورنا بتلك النظرة العالية التى تسمو على الإقليمية الضئيلة ؟ !

الإسلام في نظر مجلة أمريكية :

ومن هذا الجو النقي لننتقل بك إلى جو قد نراه خانقا ، ولكن لابد من أن نجتازه في صبر ، فقد نشرت مجلة «لايف» الأمريكية في أحد أعدادها الأخيرة استطلاعاً صحفياً حشدت فيه عددا من الصور زعمت أنها تمثل حقيقة الإسلام وحياة المسلمين ؛ وقد بدأت المجلة استطلاعها بصور لجامع مزخرف الجدران في أصفهان ، ثم صورة للقرآن الكريم ، ثم أوردت عدة صور تمثل مشاهد الحج ، وهى صور التقطتها المجلة من الزوايا التى تتفق وأغراضها ، على أن الأمر إلى هنا مما يحتمل ، ولكنها انتقلت بعد ذلك إلى الحديث عن عادات المسلمين ، فهذه صورة لتكفين ميت ، وتلك صورة للاحتفال بختان طفل تضم رجلا مطربشا ورجلين بالكوفية والعقال ، وامرأة تلبس لباسا بدويا ؛

ثم رجلا رابعا يعزف على العود، وصورة ثالثة لما سمته بحلقة الذكر، وهى تمثل درويشا يرقص، ومعه ثلاثة يصفرون فى الناي، ورابع يضرب على الدف، ثم صورة قالت المجلة: إنها لفريق من الشيعة وهم سائرون فى الطريق يضربون أجسادهم بالسيوف، ويشدون شعورهم، ويبكون وينوحون، ثم زعمت المجلة أن هذه الصور كلها صورة صادقة للحياة الدينية للمسلمين فى بلادهم.

ولست هذه الشناعة الصحفية بأول افتراء تصطنعه المجلات الأمريكية ضد الإسلام والمسلمين، ولن تكون آخر افتراء فى هذا الباب، فأنها حملات مغرضة لها أهداف، وإذا علمت أن المصور لهذا الاستطلاع هو اليهودى «دافيد» أدركت أنها الصهيونية التى تبذل المال والجهد لتشويه سمعة الإسلام والمسلمين فى العالم الخارجى، ولتصويرهم فى صورة المشعوذين والحواة، والبدو الذين لا يزالون يضربون فى مجاهل الحياة، ويعيشون على الخرافات والخزعبلات.

ونحن لا نعجب أبدا أن يكون هذا من دعاة الصهيونية تارة، ومن أهل التعصب الصليبي تارة أخرى. ومن أفن الرأى أن نفزع من هذا، أو أن نتمشى معهم فى مناقشة قوامها الحجمة والمنطق، وتلمس الحقيقة لوجه الحقيقة، فأن الغرض يعمى ويصم كما يقولون، وهؤلاء الناس يعلمون الحقيقة، ولكنهم يمشون تقبيح المسلمين، والتشنيع عليهم فى المحافل العالمية، وإذا كان لنا أن نقول شيئا فى هذا المقام، فأننا ننبه الهيئات الإسلامية إلى تعقب مثل هذه السخافات، وفضح تلك المؤامرات الصهيونية والصليبية حتى لا تترك مجالا تنفث فيه سمومها، على أن هناك واجبا إسلاميا أكبر، وهو مقاطعة تلك المجلات المغرضة، والعمل على أن لا تجد لها بابا تدخل منه إلى إفساد العقول، وتشويه التاريخ.. إننا أشد ما نكون حاجة إلى دعاية إسلامية تكشف للعالم عن عبقرية الإسلام وحقيقته، فهل نحن فاعلون؟ ومتى يكون هذا؟!

محمد فرهمى عبد المطلب

العقاد فى الميزان

لمناسبة كتابه عن معاوية

وقع فى يدى كتاب شهرى من السلسلة التى تصدر عن دار الهلال بتاريخ جمادى الأولى سنة ١٣٧٥ ويناير سنة ١٩٥٦ ، وهو العدد الثامن والخمسون ، وضعه الأستاذ الباحث الأديب عباس محمود العقاد بعنوان (معاوية بن أبى سفيان فى الميزان) ، وبما أننى أحب هذا النوع من البحث فقد فرغت نفسى من شواغلها حينما ، ثم بدأت أقرأ فى هذا الكتاب ، وما كدت أسير فيه حتى وجدتنى يكاد يلبس على الأمر فيما أخذت من أدب الإسلام ، وتحقيق الأعلام ، وتحرى رجال الدين الكرام ، مما يصوره فى بعض نواحيه قول الشيخ اللقانى :

وأول التشاجر الذى ورد إن خضت فيه ، واجتنب داء الحسد

وذلك صيانة لكرامة قوم حملهم الله سبحانه الدين ، وجعلهم لرسوله أنصارا وحواريين ، وصورهم أخلاق الإسلام وأدبه ، وتعليم الرسول صلى الله عليه وسلم وتلاميذه ، فوجبت المحافظة عليهم تقديرا لكل هذه النواحي الكريمة ، وهذا معنى دينى يغفله كثير من الناس ، ثم هو معنى فلسفى خلقى يتصل بمعنى الضبط والتحرى فى نقل الأخبار حتى يمكن البناء عليها ، وترتيب ما يفكر فى ترتيبه بمقتضاها .

والدعوى ما لم يقيموا عليها بينات أبناؤها أدعياء

لقد طال العهد بأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ودخل كثير من الدخيل فى أخبارهم - رضوان الله عليهم - مما دسسته فتن التفريق بين جماعات المسلمين من السبائين والمجوس وغيرهم من أعداء الإسلام ، فوجب رفض كل خبر لا يتفق مع ما هو الأصل فى أنباء هاته المدرسة الكريمة التى نزع الله من قلوبها الغل والحسد ، بعد أن نزع الشيطان بين بعض أنبيائها وبعض ، إن ربى لطيف لما يشاء ، إنه هو العليم الحكيم .

والأستاذ العقاد لم يكتف بتضليلات التاريخ وأسلوبه الهادئ فى البحث مع تضليله الناس ، وصرفه إياهم عن الحق فى كثير من رواياته عمدا أو خطأ ، ولكن

الأستاذ تحامل ثم تحامل، وخيم على القارئ بسفسطات يخرج منها وهو سيئ الظن بصحبة هذا النبي، ضعيف الحماسة نحو دينه السماوي، فاطر العقيدة في تخريجه، كما تسيء الظن برجل عظيم تعبث الفوضى بأصدقائه والخافين به، وهو أحرص ما يكون عليهم، وهم أحرص ما يكونون على الأخذ من مزاياه، والانتفاع بما آتاه الله.

إن القارئ لكتاب العقاد ليخرج منه وهو مبغض لهؤلاء الناس الذين حرصوا على الدنيا - في زعمه - حرصا سلبهم الدين والضمير والمروءة! وجعلهم يستبيحون كل وسيلة إلى غاياتهم، ولو كانت قتل الأبرياء من البررة الأصفياء، أو الدس والوقعة والمشى بالنيمة أو توسيد الأمور إلى كل مجرم لئيم، يخرج منه وقد نفذ يده من هذا الرعيل الأول، فإنه مشترك الصفات في الأعم الأكثر، وقد تطرق الفساد الفاسد إلى هذا الذي كان يصطفيه الرسول صلى الله عليه وسلم ويجعله في خاصته من الكرام السكاتبين، ويدعوله أن يهديه الله ويهدي به، وأن يعلمه الكتاب والحساب ويقيه العذاب. فإذا كان هذا قد تورط في تلك المظالم والظلمات، فما بال غيره من أصحاب هذا النبي؟ وإذا كان هذا شأن الصفوة من الرعيل الأول الذين يفتخر بهم الإسلام ويعول عليهم في الفتوحات والانتصارات ونشر الدعوة الإسلامية، فما شأن من جاء بعدهم ثم من جاء بعدهم وهكذا؟ إن العقاد - أصلح الله شأننا وشأنه، وهدانا وإياه إلى مسالك الحق - قد جنى في هذا الكتاب على الدين وعلى العلم جنائية، تدعونا ونحن رجال الدين والعلم أن ننبه إليه وأن نحذر منه، والدين والعلم فوق كل اعتبار، والحق يعلو، والله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون.

وإن الذي تعجب له حقا أن الأستاذ العقاد يعترف لهذا الصحابي الجليل اعترافات في ثنايا كتابه كان فيها الكفاية لأن يصلح ميزانه، ولكنه لا ينتفع بها في تخفيف وطأته، والتحامل على صاحبه. وكأنما يريد بذلك أن يلاطف القارئ حتى لا يمل هذا السباب، ويجعل من ذلك حجة له عند تلاحم الحجاج والاحتجاج، وليظهر بذلك إنصاف التاريخ في شيء لا سبيل إلى المسكوبة فيه. إنه يدس كل ما يفلت منه من ثناء على هذا الصحابي الجليل بين السحوم الفاتكة فيدسيه بها، ويخفي معالمه بين طياتها!!

لقد قال مثلا في صفحة ١٧٤ في خاتمة فصل النشأة والتكوين:

« ومن تحصيل الحاصل أن يقال: إن معاوية يعلم من فقه دينه ما لا بد أن يعلمه

رجل كتب للنبي وحضر مجالسه وحضر عهده كله وعهد خليفته من بعده ، ومرت به الأقضية التي فصل فيها ولاية الأمر على مسمع منه ، وراجع الفقهاء من الصحابة فيما أشكل عليه بعد ذلك من أشباه تلك الأقضية ، فهو على نشأته الجاهلية والإسلامية لم يقصر في معارف دينه ودينه عن الطليعة بين نظرائه من السادة الأمويين والقرشيين .

ويقول في صفحة ١٧١ من ذلك الفصل :

« ومعاوية بعد إسلامه لم تثبت عليه كلمة ولا فعلة تنقض تصديقه بدينه ، ورعايته لفروضة وشعائره . كان يصلي ، ويصوم ، ويزكي ، ويحج ، ويقرأ القرآن ويستمع إليه ، وكانت كل لفظة فاه بها وأحصيت عليه في مرض الوفاة تدل على الإيمان بقاء الله ، وعلى الإيمان بالجزءاء في العالم الآخر . . . »

فليتة اتخذ من هذه الأصول المحكمات وأمثالها ما يتفق معها ولائها من أخبار المؤرخين المتضاربين ، ولا يكون من الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ، ولا كالذي يأخذ من الأخبار ما يوافق هواه ، ويترك ما عداه ! . ولكن بدأ كتابه « بأن معاوية كان رجلاً قديراً ، ولم يكن بالرجل العظيم [١] ، وبأنه يستطيع أن يعلل جميع أعماله بعله المصلحة الذاتية أو مصلحة الأسرة والعشيرة » [٢] . ثم ختمه في فصل الميزان « بأن أحداً لو أراد أن يحو من سجل معاوية كل ما عمله لنفسه ولبنيه لما بقي في هذا السجل عمل واحد تطول الحاجة فيه حول النيات . وبأنه كان قويا ، لا مشاحة في وصفه بالقوة على مثالها ، ومثالها أنك تصوغها في خيالك على صورة من الصور فتحضرك صورة الجمل الصبور ، ولا تحضرك صورة الأسد الهصور » [٣] . ثم كان مجموع ما بين البدء والختام يدور حول الانتقاصات والتشنيعات والتبشيعات إلا فيما لا بد من الاعتراف به مما لا سبيل إلى إنكاره ، ولكن على نحو يحو قيمته ويرده إلى مثل ما ترى من التصوير . فهل هذا كان معاوية بن أبي سفيان ؟ وهل ذلك مقتضى البحث في الرجال ؟ وهل تلك المصادر التي كان يستقى منها مما ينبغي أن يطمئن إليه رجل يواجه الناس بمشكلات مسائل التاريخ في نواحيها الحساسة التي تلامس العقائد ، وتتصل بالديانات ؟ .

(١) ص ٢٥ معاوية بن أبي سفيان .

(٢) ص ٢٦ منه .

(٣) ص ٢٠٦ .

إن خيرا من هذا كله ، وأقرب إلى الصدق والتصديق . . ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين لهم بأحسان مما لا يقل ثبوتا عن هذه المفتريات التي اخترعتها المذاهب والعصبية بين محتالين دجالين ، يستيحيون الكذب على الله ورسوله والخيرة من المؤمنين ، إن صح أن للافتراء ثبوتا ، فكيف إذا كانت شهادة النبي وأصحابه والتابعين والعلماء الثابتين المحققين هذه الثابتة ، وما عداها إفك مفترى ؟ .

إن التاريخ خبر ، وكل خبر يحتمل الصدق والكذب ، فوجب ألا يقبل منه إلا ما يرويه عدل ضابط عن مثله عن مثله . . . ممن تجردوا عن كل هوى وشهوة ، وهيات ثم هيات أن يصح ذلك في أمثال هذه الخزعات . إن الصحابة كلهم عدول في مذاهب العلماء جميعا ، ولا يكون العدل ضعيفا في خلقه ، ولا مؤثرا لدنياء على دينه ، ولا مقدما نفعه المادى ونفع أهل بيته على الصالح العام ، ولا سيما إذا كان من الولاة والحكام . ذلكم قولكم بأفواهكم ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

ألا رغم أنف رجل حاول أن ينتقص واحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المذكرون أولا وبالذات ، والمقصودون قبل كل أحد بالخير والوسط فيما ورد من الآيات ، مثل قوله عز اسمه : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) وقوله سبحانه : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) . وقد قامت الأدلة على أن الله يغفر لمن أساء منهم فأنهم جميعا غير معصومين ، والعصمة لا تكون إلا لنبي ، فمن زل منهم - ولكن لا بالمعنى الذى يسوقه العقاد وأمثاله - فزلته مغفورة مغمورة جزاء ما خلصت نياتهم ، وجاهدوا مع رسول الله فى الله ، وجدوا فى نشر دعوة الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، فلولا هم لما كان للإسلام أثر يذكر . وهذا معاوية الذى يقدح فيه القادحون ، لقد أخلص لله وجاهد فى سبيله وفتح فتوحات سيمرك الحديث عنها ، وقد عرفها كل من قرأ فى التاريخ الإسلامى أو سمع به ، ولبعض هذا المعنى أجاب الامام الربانى عبد الله بن المبارك - وقد سئل : أيهما أفضل ؟ معاوية بن أبى سفيان أم عمر بن عبد العزيز ! فقال : « إن الغبار الذى دخل أنف معاوية فى جهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من عمر بن عبد العزيز . ألم يصل خلف النبي صلى الله عليه وسلم فيقول النبي صلى الله عليه وسلم : سمع الله لمن حمده ، ويقول معاوية . ربنا لك الحمد . » وأراد بذلك أن معاوية وأمثاله ممن صلوا خلف النبي صلى الله عليه وسلم لابد أن يسمع الله لهم وأن يكون معهم ، ومن كان كذلك كان خيرا ممن عداه لأن عناية الله بأمره مكفولة .

ومن ذا الذى يستطيع أن يعقب على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : « خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته » أخرجهم أحمد والشيخان .

ومن ذا الذى يجروء على قوم يقول فى شأنهم محمد صلى الله عليه وسلم : « الله الله فى أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » وقد فهم حفاظ الإسلام من هذه الأخبار ما تدل عليه من طهارة القوم ونزاهة ساحتهم فى الأعم الأكثر من أحوالهم ، وفى المهييع الواضح من أمرهم .

قال الحافظ الكبير الخطيب البغدادي : إن الأخبار فى هذا المعنى تتسع ، وكلها مطابقة لما فى نص القرآن ، وجميع ذلك يقتضى طهارة الصحابة والقطع على تعديليهم ونزاهتهم ، فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله تعالى لهم المطاع على بواطنهم إلى تعديل أحد من الخلق له (١) وأطال فى ذلك المعنى .

ولعل التعميم فى قوله « لا يحتاج أحد منهم » الخ لا يتناول معاوية عند العقاد ، أو لعل رأى هذا الحافظ مما يقع فى نفسه موقع الاشتزاز ، لأنه رأى جامد لا يعرف إلا سنة محمد صلى الله عليه وسلم ، أو لعله يقول : إنه يخالف ما قال غيره من الأئمة أو العلماء ، والكل باطل بالبداية .

إن معاوية صحابي ما ينكر ذلك أحد ، والحافظ البغدادي مصدق لما أجمع عليه الأئمة والعلماء ، لا يختلف أحد منهم إلا أن يتكلم فى بعض الفروع الثابتة نكروجه على على رضى الله عنه ، وهو بالإجماع مجتهد يذهب بعضهم إلى أنه مخطئ له أجر فى اجتهاده ، ويذهب بعضهم إلى أنه مصيب له أجران ، ويقول عمر بن العزيز - وقد جرى الحديث أمامه بشأن الخصومة - ما قال الله سبحانه : « تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ، ولا تسألون عما كانوا يعملون » فرحم الله امراء عرف قدر نفسه ، وأمسك الفضل من قوله ، ووسعته السنة ، ولم يعدل عنها إلى البدعة !

أما الإمام المجتهد الحجة ناصر الدين والسنة : ابن تيمية ، وتلميذه الحافظ الذهبي ، فأليك

(١) راجع مقدمة العواصم من القواصم التى وضعها الأستاذ المجاهد المخلص محب الدين الخطيب على هذا الكتاب القيم للإمام ابن العربي ص ٣٣ من هذه المقدمة .

بعض ما نقله الحافظ الذهبي في كتابه (المتقى) الذى لخص به كتاب منهاج السنة وهو الكتاب الذى يرد به ابن تيمية أقوال أهل الرضى والاعتزال (١) :

« مذهب أهل السنة أن ما ذكر عن الصحابة والتابعين من السيئات كثير منه كذب ، وكثير منه كانوا مجتهدين فيه ، ولكن لا يعرف كثير من الناس وجه اجتهداهم ، وما قدر أنه كان فيه ذنب من الذنوب فمغفور لهم : إما بتوبة ، وإما بحسنات ماحية ، وإما بمصائب مكفرة ، فإنه قد قام الدليل الذى يجب القول بموجبه أنهم من أهل الجنة ، فامتنع أن يفعلوا ما يوجب النار لا محالة . ولو لم نعلم أنهم من أهل الجنة لم يجوز لنا أن نقدح فى استحقاقهم للجنة بأمور لا نعلم أنها توجب النار ، فإن هذا لا يجوز فى آحاد المؤمنين الذين لم نعلم أنهم يدخلون الجنة . فكيف يجوز ذلك فى خيار المؤمنين . والعلم بتفاصيل أحوال كل واحد منهم ظاهرا وباطنا وحسناته وسيئاته واجتهاداته أمر يتعذر علينا معرفته ، فكان كلامنا فى ذلك كلاما فيما لا نعلمه ، والكلام بلا علم حرام . فلهذا كان الإمساك عما شجر بين الصحابة خيرا من الخوض فى ذلك . . . لأن كثيرا من الخوض فى ذلك أو أكثره كلام بغير علم ، وهو حرام لو لم يكن فيه هوى ومعارضة للحق المعلوم ، فكيف إذا كان كلاما لهُوى يطالب فيه دفع الحق المعلوم . ومن علم ما دل عليه الكتاب والسنة من الثناء على القوم ورضا الله عنهم واستحقاقهم الجنة وأنهم خير هذه الأمة التى أخرجت للناس ، لم يعارض هذا المتيقن المعلوم بأمور مشتبهة : منها ما لا يعلم صحته ، ومنها ما يتبين كذبه ، ومنها ما لا نعلم كيف وقع ، ومنها ما يعلم عذر القوم فيه ، ومنها ما يعلم توبتهم منه . . . ومنها ما يعلم أن لهم من الحسنات ما يغمره . فمن سلك سبيل أهل السنة استقام قوله ، وكان من أهل الحق » .

ذلك كلام نفيس قيم إلى الغاية ، لا يترك لقائل مجالا فى نقد ، ولا جراءة على حماة الإسلام .

وقد يظن القائل أنه ينظر من ناحية دينية ، وأنه على ذلك لمنطق علمى فلسفى لا يدع لتأمل مجالا إلى المعارضة . ولولا أننى بصدد مقال فى مجلة الأزهر الغراء لحالته بدقة

(١) راجع ص ٢١٩ من كتاب (المتقى من منهاج الاعتدال) ، وهو الذى نشره وعلق حواشيه الأستاذ محب الدين الخطيب .

ولرددت به على العقاد تفصيلا ، ولعل المقام أهون من ذلك ، وفي غير حاجة إليه .
إن هذا هو ما نقوله نحن معاصر رجال الأزهر وننادى به ندعو إليه ، ولو كره
الحاسدون وحاولوا التهويش .

وإليك جزءا من كل مما قال شيخ الاسلام ابن تيمية في معاوية وحده من بين الصحابة ،
وهو كلام يمثل روح الإسلام والمنطق ، قال - وهو بصدد الرد على قول الرافضة : إن معاوية
طليق بن طليق (١) - : « هذا ليس بصفة ذم ، فإن الطلقاء غالبهم حسن إسلامهم : كالحارث
ابن هشام وابن أخيه عكرمة وسهيل بن عمرو وصفوان بن أمية ويزيد بن أبي سفيان
وحكيم بن حزام وأمثالهم ، وكانوا من خيار المسلمين . ومعاوية ممن حسن إسلامهم (٢)
وولاه عمر بعد أخيه يزيد ، ولم يسكن عمر والله ممن يحبى ، ولا تأخذه في الله لومة لأثم ،
ولا كان يحب أبا سفيان ، وقد حرص على قتله لما جاء به العباس (٣) ، ولو كان ممن يحبى
لولى أقاربه من بنى عدى . ثم إن معاوية بقى على دمشق وغيرها عشرين سنة أميرا وعشرين
سنة خليفة ، ورعيته يحبونه لإحسانه وحسن سياسته وتأليفه قلوبهم ، حتى أنهم قاتلوا معه عليه
وعلى أفضل من أمثاله وأولى بالحق منه ، وهذا يعترف به غالب جند معاوية . ولسكنهم
قاتلوا مع معاوية لظنهم أن عسكر على فيه قتلة عثمان ، وفيه ظلمة ، ولهذا لم يبدأوا بالقتال
حتى بدأهم أولئك دفعا لصياهم وقاتل الصائل جائز . . . وعلى كان عاجزا عن قهر الظلمة
من العسكرين ، ولم يكن أمراؤه وأعوانه يوافقونه على كثير مما يأمر به وأعوان معاوية
يوافقونه » .

وقال في دفاعه عن مقاتلته لعل (٤) (الباغى قد يكون متأولا معتقدا أنه على حق
وقد يكون بغية مركبا من تأويل وشهوة وشبهة وهو الغالب ، وعلى كل تقدير فهذا لا يرد ،
وإن لا تنزه هذا الرجل ولا من هو أفضل منه من الذنوب ، والحكاية مشهورة عن
المسور بن محزمة أنه خلا بمعاوية) وذكر الحكاية التي سأسوقها لك فيما بعد .

(١) ص ٢٤٨ من المتنق .

(٢) وقد اعترف العقاد بذلك فيما نقلته لك آنفا .

(٣) كان ذلك أثناء فتح مكة وقد فصله التاريخ .

(٤) ص ٢٤٩ منه .

هذا بعض ما ينظر به السلف من أمثال ابن قتيبة والحافظ الذهبي إلى الصحابة وإلى معاوية رضي الله عنهم ، فهل هذا أم ما يهول به العقاد من تفضيع أمره والحرأة عليه وعلى أمثاله بأخبار موضوعة وأحكام مصنوعة لا يرضاها الله ولا رسوله ولا صالح المؤمنين .

لقد اقتضت تعاليم الإسلام ذلك الأدب ، وقد استوجبه العقل السليم الذي لا يقبل إلا منطقاً سليماً . إن العقاد نفسه يرد أحاديث البخاري ومسلم ويتأول في آيات الكتاب الكريم هو ومدرسته المجددة ، إذا خالف شيء من ذلك هوى في نفوسهم ، فكيف لا يردون أمثال أخبار تنسب إلى ابن قتيبة والمسعودي ممن يأخذون عن المضللين والفاسقين [١]

وعلى ذلك فإن معاوية ليس كما يقول العقاد وأنصار العقاد ممن لا يبالون أن يزعموا عقائد المسلمين في أئمتهم وسلفهم الأولين ، لأنهم يتناولون الأمور من ناحية الترويح والتبريح ، لا يرقبون في مؤمن إلا ولازمة وأولئك هم المعتدون .

« يتبع »

محمود النوروى

المفتش بالأزهر

(١) (المجلة) ابن قتيبة مظلوم بما نخله المفرضون كتاب (الإمامة والسياسة) ، فهو ليس له ، وفيه خبر بناء مدينة مراکش ، وكان بناؤها بعد موت ابن قتيبة بدهر طويل ؛ فالإمامة والسياسة مدهوس عليه . أما المسعودي فن شيوخ الشيعة ويذكرون له مؤلفات في أصولهم .

أصول الاسلام

والتقريب بين الامم وشرائعها المختلفة

شرع الله الإسلام خاتماً للأديان ، وعهداً خالداً للإنسان ، فلم يدع أصلاً من الأصول المقربة بين العقائد ، الموحدة بين النزعات ، الجامعة بين مختلف المقاصد والغايات ، إلا أتى به الإسلام على قدر ما تسمح به الفطرة السليمة ، والطريقة القويمية ، والخطوة المثلى ، فدعا إلى تحكيم العقل في كل خلاف ، والرجوع إلى النظر في كل موضوع تعترك فيه الموروثات القديمة ، والميول الجديدة .

وهو لأجل أن يرفع من طريق العقل الخالص كل ما يعترضه من العوائد الوهمية أنحى على مبدأ التقليد فنقضه ، وعلى أصل تقديس القديم الرث فهدمه ، ونهى على الواقفين مع هاتين العقبتين جمودهم ، فقال تعالى زارياً بالمقلدين « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون » ، وقد بالغ في الزاوية بالتقليد إلى حد أن سماه عبادة ، وهذا نهاية ما يمكن أن توصم به نزعة من النزعات الخاطئة فقال تعالى : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » . وفسر رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى اتخاذهم أرباباً أنهم أخذوا كل ما سمعوه عنهم بدون جدال أو تعقل .

كل هذا ليتوسل الإسلام به إلى تخليص العقل من العوائد القائمة فيه ، وإذا تم للأمة أن تحترم حكم العقل السكامل المستضيء بنور العلم ، سهل إقامتها على الطريق السوى ، وتوجيهها إلى باحات الكمال الصورى والمعنوى ، من أقرب الطرق ، وأبعدها عن القواطع ، فأصبحت أرواحها خالصة من كل شائبة عبودية ، فإن لاح لها أصل جديد فيه خير أسرع إليه بأوسع الخطى ولم تتأخر عن القيام عليه ، ولم تجد في نفسها حرجاً من الاندفاع في تياره ، بل رأت أن من الدين أن تتجه إلى وجهته ، ابتغاء الاهتداء إليه وحياً إلهياً ، وإلهاماً ربانياً .

هذا على خلاف الأمم الجالدة على القديم البالى ، المقدسة لكل ما نقل عن أسلافها بدون نظر فيه ، فهم كلما لاح لها أصل فيه حياتها لم تزنه بميزان عقلها ، ولم تنظره بعين مصابحتها ، ولكن تنظر إليه من خلال تقاليدها ، فإن رأته ينطبق على ما ورثته من أقوال أسلافها اتبعته مرتابة ، ولم تحسن الاندفاع فيه ، شأن المستعبد المثقل بالقيود والأغلال ، وإن لم تجده ينطبق على ما عندها من هذه الأقوال ثارت عليه متأثرة بعوامل الجلود ، وربما كان الأخذ مما لا يبطل شيئا من أصولها الأولية ، ولكنها لشدة كلفها بالقديم والقدماء ترتاح إلى معارضة كل جديد ، لا لعلة غير كونه جديدا ، لم يعرفه آباؤها من قبل .

هذا من أكبر عوامل انحلال الأديان ، وصيرورة أهلها فى مؤخرة الأمم فى كل ضرب من ضروب مظاهر الحياة ، حتى الأخلاق التى يفخرون بأنهم أخص القائلين بحقوقها ، والمهمنين عليها ، فيكثر فيهم الخلل والخطر ، والكذب والنفاق ، وسوء الملكة واللؤم ، وينتهى بهم الأمر لأن يعدهم مواطنوهم خطرا على الأخلاق والاجتماع ، فانظر كيف يدهورهم جمودهم على التقليد إلى عكس ما كانوا يرمون إليه بتشددهم فيه .

من الأمور التى رعى الإسلام بها إلى تقريب الأمم المختلفة ، تحطيم صنم هذا التقليد الأعمى ، لأن العقول متى تخلصت منه اندفعت إلى قبول كل ما تراه موافقا للعقل ، ملائما للحياة ، فيميل بعضها إلى بعض كنتيجة طبيعية للاختيار الأحق والأحسن ، والعقل المطبوع فى جميع الأفراد واحد ، فيكون ذلك مقدمة لاقترب بعض الأمم من بعض ، واجتماعهم جميعا على بساط واحد من البحث الحر ، وتكون النهاية توحدتهم فى المعقولات والعقائد ، لأن الحقائق لا تتعدد كما هو الصحيح .

ومن الوسائل التى تدرع بها الإسلام للتقريب بين الأمم المختلفة ما نص عليه كتابه فى مسألة الإيمان برسالة محمد خاصة ورسالات المرسلين عامة ، فقد صرح سبحانه وتعالى أنه لم يرسل خاتم رسله بدين جديد ، ولكنه أرسله بالدين الذى أنزله على جميع من تقدمه من المرسلين فقال تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » ، كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ، الله يحبب إليه من يشاء ويهذى إليه من ينبى ، وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ، ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضى بينهم ، وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب ، فلذلك فادع (أى لتوحيد الدين فادع) واستقم

كما أمرت ، ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، لاجمة بيننا وبينكم ، الله يجمع بيننا وإليه المصير » نصت هذه الآية على أن وظيفة النبي صلى الله عليه وسلم كانت إعادة ما سبق به الوحي على السنة جميع المرسلين من الدين الحق والصراط السوى ، فخره أتباعهم وخرجوا به عن حقائقه .

ولا مشاحة في أن هذا التصريح يقلل من تشدد أصحاب الملل في مناقضة الإسلام ، ويلفتهم إلى ما يقول رسوله ، ويحملهم على النظر فيما بين أيديهم من الكتب ، وكل هذا مما يقرب بين الأمم ويجمع بين متفرقها ، لذلك جمع الإسلام في حظيرته في أقل من قرن بين أمم كانت على أشد ما تكون من الاختلاف والتباين ، فبعد أن كان من المحال أن ترى الفارسي إلا زردشتيا ، والهندي إلا بوذا ، والصيني إلا كونفوشيوسيا أو لوتسيا ، والسوداني إلا فثيا ، أصبحت ترى حظيرة الإسلام جامعة بين جميع هذه الأمم .

ومما قصد به الإسلام إلى التقريب بين الأمم إيجابه على الآخذين به الإيمان بجميع رسل الله ، وعدم التفرقة بينهم ، والإيمان بما جاءوا به من الكتب إجمالا فقال تعالى : « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى ، وما أوتي النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ، فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ، وإن تولوا فأنما هم في شقاق فسيكفيهم الله وهو السميع العليم » .

في هذه الآية نص صريح على وجوب الإيمان بجميع رسل الله وجميع كتبه التي أنزلها عليهم بلغات مختلفة ، وهذا أبلغ ما يعرف من الأصول المقربة بين البشر ، فإذا أجلت نظرك في جميع الأمم لا تجد ديناً لواحدة منها يعنى بدين واحدة أخرى ، فما ظنك بأديان الأمم كافة ، على حين أن المسلم لا يستطيع أن يكفر برسول أرسل لواحدة منها فقال تعالى : « إن الذين يكفرون بالله ورسله ، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً ، أولئك هم الكافرون حقا ، وأعدنا للكافرين عذاباً مهيناً » .

فالدين في نظر الإسلام كل لا يتجزأ ، أساسه الإيمان بالله وبجميع رسله ، من بلغتنا أسمائهم ومن لم تبلغنا (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) . فلا تخيل

أن في العالم أصلا علميا يجعل الوحدة الإنسانية ماثلة في عقلية أمة ونفسيته مثل هذا الأصل ، فهو وضع إلهي محض ، يكشف عن إلهيته سمو مقصده ، وبعد غايته ، فهو من هذه الناحية ليس في حاجة إلى دليل يؤيده ، فهل بعد هذا غاية في قطع ذرائع الخلاف بين الأمم ، وحسم مادة التلاحي بينهم ؟ أليس هذا بجملته وتفصيله يجعل الإسلام ديناً عاماً ، ويهيئه لأن يكون نقطة اتصال بين الجماعات البشرية ، فتسكن الأرواح منه إلى حظيرة عقيدة عادلة لا تذهب بأصحابها مذاهب الجور في هضم حقوق الأمم ، ولا تنزع بهم إلى تجريدها من خصوصياتها . إنك بينما ترى أتباع الأديان الأخرى يتنازعون أديانهم فيكفر بعضهم بأنبياء بعض ، ويهزأ الأولون بكتب الآخرين ، والآخرون بكتب الأولين ، تجسد المسلمين في مستقر من العدل مكيين ؛ يؤمنون بجميع رسل الله وكتبه ، لا يبغضون أمة حقاً ، ولا يهضمون لطائفة واجباً إلا بأمر واحد وهو أن يعدلوا فيؤمنوا بجميع كتب الله ورسله ، فمن لم يقبل ذلك من الناس كانوا من أهل الشقاق المؤثرين للخصام على الوفاق ، وليس هذا من الإسلام في شيء .

فلا مشاحة بعد هذا البيان في أن الإسلام هو الدين العام ، المؤانخي بين جميع الأنام ، وكل ما حدث بعده بأكثر من ألف سنة من المذاهب التي غرضها التوفيق بين الأديان تحت أسماء مختلفة فلن تبلغ مبلغه في هذا الباب .

أما الفرق بين الإسلام وهذه المذاهب ، فهو أن الإسلام عرض للكتب السماوية الموجودة بين أيدي أصحابها ودل على وجوه التحريف فيها ، أو على سوء تأويلهم لها ، ودعا إلى الكتاب الذي جمعها جميعاً ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو القرآن الكريم ، وأما تلك المذاهب فترمى إلى توحيد الأديان بتأويل النصوص التي تختلف عليها تذرعا إلى التوفيق بينها ، وهذا التأويل يشعر بتكلف شديد ، وعنت ظاهر بالالفاظ والعبارات ، ومثل هذا العنت الظاهر لا يبتنى عليه إيمان ، فتكون النتيجة تشكيك الناس في جميع الأديان .

ومن هذه المذاهب أيضاً محاولة توحيد الناس في عبادة الله ، بحجة أن جميع الأديان تدعو للعبادة ، وهي في نظرهم تؤتي ثمراتها على أية ضروب كانت ، أما الكتب الموجودة بين أيدي الأمم فتترك لأهلها مع كل ما بنوه عليها من أهواء وأوهام .

فالناقد البصير يرى أن مذهب الإسلام في توحيد الأمم هو خير المذاهب ، وهو دعوتها إلى كتاب جديد شامل لجميع ما تقدمه مما لم تمسه أيدي التحريف ، ذلك لأن النقد

العلمي كشف عن أحوال تلك الكتب من ناحية ضعف روايتها ، وضياح أصولها ، ما لا يستطيع معه الإيمان بها ، فتكون النتيجة الطبيعية من تقرير تركها وشأنها ، خروج أهلها عن حظيرة الأديان جملة ، ثم أن المذهب الإسلامي في هذا الشأن أرسخ قواعد ، وأشبه بسنة الوجود ، وأقوى على حملات الشبه والشكوك ، لأنه بعد أن قرر أن الأديان كلها وحى من الله ، وأن الذين أتوا بها كلهم رسل الله ، وأن كتبها كلام الله ، عاد فقرر أن طول الزمان أوجب أن يخوف الناس عن تلك الكتب ، وأن يتسامحوا فيها بالتحريف والتبديل ، والإسلام في هذه القضية موافق للنقد العلمي كما رأيت .

بعد هذا أخذ الإسلام يدعو الناس إلى كتاب يجمع ما في تلك الكتب ويزيد عليها ما اقتضاه وما يقتضيه تطور الأمم ، ووعد بحفظه من التحريف والتبديل على مدى الأجيال .

كان شأن الإسلام في هذا كشأن عالم نبغ في أمة كانت من علومها على مذاهب شتى ، كل طائفة منها تنابذ الأخرى باسم مذهبها العلمي ، وعالمها الرسمي ، بغناء هذا العالم النابغ ، فجمع ما في الكتب الموجودة من الحقائق المقررة في كتاب واحد ، وزاد عليها ما فتح الله به عليه ، ثم دعا إلى تداول كتابه المنقح ، وترك ما لديهم من الكتب الأولية المطبوعة بطوابع أزمانها المختلفة .

فهل كان يستطيع هذا العالم أن يقر كل طائفة على كتابها العلمي على ما فيه مما يجافي روح العصر الحاضر ، ومما وضعه الوضعاءون بين حقائقه من الأكاذيب والوساوس ؟

« أفغير دين الله يبيعون ، وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون » فأما طوعا فباستخدام العقل وإعمال الفكر ، وأما كرها فتحت ضغط الحوادث والمثلثات ما

عباس طه
الحامى

الاسلام ينهض بالمرأة

منذ سنوات مضت اجتمع وزير سابق بسيدة فرنسية مثقفة ، لها مكانتها الاجتماعية الملحوظة ، فهي زوجة لمشرع فرنسى كبير ، وتحدثت إليه وتحدث إليها ، وأخذوا يفاضلان بين الشرق والغرب ، فقالت له : إننى أؤف إليك بشرى تسر لها ، وتجعلك تعتقد أن فرنسا دائماً هى رائدة الحرية ، ونصيرة المرأة ، ذلك أننا فى طريقنا الى إصدار تشريع يتيح للمرأة التقاضى دون إذن رجلها ، فأخذته الدهشة ، واستولى عليه العجب ، ونظر إليها متسائلاً : أما زالت فرنسا متأخرة الى هذا الحد المعيب ؟ فقالت له : لا . إن فرنسا هى السباقة دائماً الى ما يحقق حرية المجتمع ، ونحن أول أمة تسن هذا القانون لتحرير المرأة . فقال لها : يؤسفنى ، لا بل يسرنى أن أخبرك أن الإسلام قد فرغ من ذلك منذ أربعة عشر قرناً ، فنجح المرأة هذا الحق ضمن ما منحها من حقوق ، واعترف لها بالشخصية الكاملة ، وحرية التصرف فى أموالها .

بهذا ينظر الغربيون الى الأمور ، بل بهذا ينظر بعض الشرقيين الذين ابتعدوا عن مصادر الإسلام الأولى ، فهم يرون أن كل جديد غربى ، وأن الشرق لا يملك من موارث الحضارة ومناهج الإصلاح والتقدم شيئاً قليلاً أو كثيراً ، وأنه يعيش عالمة على الغرب فى ذلك !!

نعم - جاء الإسلام ، والأئمة القديمة تستعبد المرأة ، وتستبد بها ، وتبسط عليها سيادة الرجل وسلطانه طول حياتها ، وفى كل شئونها .

كانت ساعة تباع وتشتري ، تورث ولا ترث ، وتملك ولا تملك ، وكان البعض القليل ممن يملكونها يحجرون عليها التصرف فيما تملكه ، وكانوا يجعلون ذلك لزوجها أو وليها . كانت متاعاً يستمتع به ، لا حول لها ولا طول ، مهددة الكرامة ، قعيدة بيتها المظلم ، وسجينه حياتها الضيقة ، ثم كانت تسكره على الزواج ، ولا تستشار فيمن يختار لها ، بل كانت تجبر على البغاء فى كثير من الأحيان على كره منها .

وكان فريق من أهل الجاهلية الأولى - إذا مات الرجل منهم عمد أخص أوليائه ، وأقرب ورثته ، فوضع ثوبه على امرأته ، وقال : أنا أحق الناس بها ، ثم إن شاء بعد ذلك تزوجها ، وإن شاء زوجها غيره وأخذ صداقها ، أو عضلها حتى تفقدى نفسها .

جاء الإسلام - وبعض الناس لا يزال يبحث في شأن المرأة ، وهل هى إنسان له نفس وروح ؟ وهل يجوز لها أن تتعلم الدين ؟ وهل تصح منها العبادة ؟ وهل يقبلها الله منها فيثيبها عليها .

جاء الإسلام - وبعض المجتمعات تبيح للوالد بيع ابنته ، وبعضها يرى أن له الحق في قتلها بل في وأدها حية « وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون » . ولم يكن هذا شأن العرب وحدهم ، فقد كانت العادة في أثينا حين ولادة الذكور أن يعلنوا فرحهم بذلك ، ويعلقوا إكليلا من الزيتون فوق الباب ، وفي إسبارطة كان الآباء يقتلون سبع بنات من عشر يولدن لهم .

ظهر نور الإسلام - والناس تعيش في هذه الضلالات والأوهام ، وتؤمن إيمانا قويا بهذه الخرافات ، وترزع المرأة تحت وطأة هذه الأوضاع المخزية ، والتصرفات المؤسفة ، فأزال شكاتها ، وأنصف قضيتها ، وحماها من الضيم الواقع عليها ، وانتشلها من وهدة الظلم الاجتماعى الذى وقعت فيه ، ورسم لها طريقا يتفق مع طبيعتها ورسالتها ، تتعاون في سفينة الحياة مع شقيقها الرجل ، وتبنى كما يبنى ، وتساعد في تعمير الكون . وكل ميسر لما خلق له .

وليس هذا كلاما يقال ، وعبارات تساق لترضية المرأة ، بل هى قضايا ثابتة نزل في شأنها كتاب يتلى ، وعنونت باسمها (سورة النساء) التى افتتحها الله تعالى مخاطبا عضوى المجتمع بأنهما من أصل واحد، ونفس واحدة ، وأن المرأة من المرء ، وكل أدماء من آدم . « يأيه الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » ثم أنابها على عبادتها « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » وأمر بتعليمها « وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها » ثم ورثها من أقاربها وأزواجها « للرجال نصيب مما ترك الوالدن والأقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدن والأقربون ، مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا » .

وإذا كان نصيبها في أغلب الأ-ال على النصف من الرجل ، فذلك لأنها لا تلتزم بما يلتزم به : من واجبات الدفاع ودفع المهور والإنفاق على الأسرة والأولاد . بل إن بعض الباحثين قارن بين التزامات كل منهما في الحياة ، فرأى أن في إعطاء المرأة نصف الرجل

سخاء عليها استدعاه ما يغلب على حالها من ضعف طبيعي ، وعجز عن التكسب ، وانصراف عن جمع المال لضياح وقتها في عوارض الإنتاج البشري وتربية الأولاد .

أعطى الإسلام المرأة هذا ، كما أعطاه الحق في اختيار زوجها ، ثم نبهه إلى عظيم فضلها ، وأنها خلقت منه ليسكن إليها ، ويحسد أنسه في جوارها « هن لباس لكم وأنتم لباس لهن » ، وأوصاه بحسن عشرتها ، وجعل مودتها « وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » . « أكل المؤمنين إيماننا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم » . « ما أكرم النساء إلا كريم ، ولا أهانهن إلا لئيم » .

ثم أباح لها جميع التصرفات المالية ، وجعل لها الولاية كاملة على مالها كالرجل سواء بسواء ، كما قبل شهادتها ، واحترم بيعتها ، واستجاب لجوارها « قد أجرنا من أجزت يا أم هانئ وأمننا من أمنت » .

وإذا كان الله قد أمر ببر الوالدين فقد خص الأم بمزيد من العناية ، وفصل القول في شأنها تفصيلا يستدعي مزيد العطف عليها « ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا » وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيب من يسأله عن أحق الناس بحسن صحابته فيقول له : « أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك »

* * *

لقد كرم الله المرأة بفعل منها أول قلب يخفق بالإسلام في شخص السيدة الطاهرة خديجة ، وجعل ذرية الرسول ونسبه متصلا بها ، فقد شئت إرادة الله أن يموت أبناؤه في حياته دون عقب وألا يبقى له إلا فاطمة الزهراء التي يقول فيها : « فاطمة بضعة مني يسوءني ما يسوءها ، ويسرنى ما يسرها » .

وهذا عمر بن الخطاب يخرج يوما ومعه الناس فيمر بعجوز تستوقفه فيقف ويحدثها طويلا حتى يقول له أحدهم : « يا أمير المؤمنين ، حبست الناس على هذه العجوز » فيقول له : « ويلك ، أتدرى من هي ؟ هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات . هذه خولة بنت مالك التي أنزل الله فيها : « قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله » .

إن المرأة بين يدي الإسلام شقيقة الرجل وشريكته « إنما النساء شقائق الرجال » لها من الحق ماله ، وعليها ما عليه ، ولا فضل لأحد منهما على صاحبه ، سوى أن يقيم الرجل - بماله من حسن التدبير ، واتساع الخيلة ، واكتمال التجربة - فيتولى رياستها ، ولا ضير عليها في هذا فهو أبوها أو أخوها أو زوجها أو ابنها ، لا ترى المرأة العاقلة في

ذلك انتقاصا لشأنها « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » تلك هي درجة الواقع الملموس، هي درجة الرعاية والحياطة ، والرأى والمشورة ، والتعاون والمحبة ، لا تتجاوزها إلى استبداد الرأى ، وعنف السيادة ، درجة تفرضها سنة الوجود ، التي توجب أن يكون لكل مجتمع رئيس يسوسه ، ورياسة الأسرة لا بد أن تكون للقادر عليها ، والمرأة بعواطفها وغرائزها وتركيبها لا تستطيع القيام بها قيام الرجل ، وقد فطن إلى هذا فلاسفة الدنيا ، وعلماء الاجتماع حتى في الدول غير المسلمة . هذه كاتبة انجليزية تقول : « لاتتعلق المرأة بالرجل الذي تديره كيف تشاء » ويقول فيلسوف غربى : « لو أراد البشر تغيير نظام المجتمع وإعطاء الرياسة للمرأة لكان لهم في طبيعتها وتركيبها ومزاجها ما يحول دون تنفيذ مرادهم » .

نعم إن المرأة قلب المجتمع ، وإن الرجل عقله ، ولاتستقيم الحياة بدون عقل يرشد ، وقلب ينبض ، وكلاهما لا بد منه للسير بالحياة إلى غايتها .

* * *

وبعد - فأننا في مجتمع يتخاذبه تياران متعارضان : أحدهما يبائع حتى يرجع بالمرأة إلى الجاهلية الأولى ، فلا يجعل لها شأنًا ، ولا يسمع لها قولًا ، ويسومها سوء العذاب ، ويرى أن عليها كل الواجبات ، وليس لها حق من الحقوق . ويقابله تيار آخر يخرج بالمرأة عن رسالتها ، ويدعوها إلى هجر بيتها ، وإبداء زينتها ، وكشف حياؤها .

وبين هذين التيارين نعيش ، ونحاول أن نوفق بينهما ، ندعوها إلى كلمة سواء ، هي كلمة الإسلام الأولى التي تحفظ على المرأة شخصيتها وكرامتها ، وتصون حياءها ، وتفسح لها - في ميدن الأمومة الصالحة والزوجية الرشيدة - ما تبغيه لنفسها ومجتمعها من رفعه شأن وبلوغ غاية . وإنه إذا استجابت المرأة إلى الدعوات المتطرفة التي تفرع سمعها في كل يوم ، وهجرت منزلها دون حاجة في دنيا أو دين ، وتركت مملكتها العظيمة ، وانصرفت إلى ميدان الرجل تؤدي واجبه ، فسيضطرب نظام المجتمع ، ويتداعى بنيانه ، بكيش اختلط نظام وحدانه ، وانصرف بعضها ليؤدي واجب الأخرى ، تاركا مكانه دون حماية أو دفاع .

لقد أعطى الإسلام المرأة كل شيء إلا أن تكون رجلا ، كما أعطى الرجل كل شيء إلا أن يكون امرأة ، وكما لعن الخنثين من الرجال ، فقد لعن المترجلات من النساء ما

الأمهات

كلمة السيد صاحب الفضيلة الاستاذ الأبر

لمناسبة عيد الأمومة

بسم الله الرحمن الرحيم .

قال الله تعالى : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما ، فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما ، وقل لهما قولا كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ، ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا » .

وروى أحمد وابن حبان عن أبي سعيد الخدري قال : « هاجر رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن وأراد الجهاد ، فقال عليه الصلاة والسلام : هل باليمن أبواك ؟ قال : نعم ، قال : هل أذنالك ؟ قال : لا ، فقال عليه الصلاة والسلام : فارجع إلى أبويك فاستأذنهما ، فإن فعلا بفأهد وإلا فبرهما ، فإن ذلك خير ما تلقى الله به بعد التوحيد » .

وروى أبو يعلى والطبراني في الصغير والأوسط من حديث أنس « أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إنى أشتبى الجهاد ولا أقدر عليه ، قال : دل بقى من والديك أحد ؟ قال : أمى ، قال : قابل الله فى برها ، فإذا فعلت ذلك فأنت حاج ومعتمر ومجاهد » .

وروى أحمد وأبو داود والترمذى عن معاوية القشيري قال : قلت يا رسول الله من أبر ؟ قال : أمك ، قلت ثم من ؟ قال : أمك ، قلت ثم من ؟ قال : أمك ، قلت ثم من ؟ قال : أبالك ثم الأقرب فالأقرب .

من هذا يتبين عظم ما للوالدين على الولد من الحقوق ، فأنها أعظم وأكد من حقوق أى رحم أو قرابة أو جوار ، وأن بر الوالدين وتكريمهما والاجتهاد فيما يحقق مرضاتهما ، أمر تحتّمه الشريعة ، وتهدى إليه الفطرة الإنسانية السليمة ، وهو من أسباب هناءة الحياة ويسرها ، والاهتداء فيها إلى وجوه الصلاح والرشاد ، التى تعود بالخير على الأولاد أنفسهم قبل كل أحد ، ثم على أفراد الأسرة ومجموع الأمة .

وحق الأمهات من البر والتكريم وحسن الرعاية أوجب وأعظم من حق الآباء ، نظرا لما تتحملة الأم من العناء ، وما تتكبده من المشاق فى سبيل الحمل والوضع ، وما تبذله من الجلد والصبر والعمل الكادح والسهر المضنى ، فى تربية الأطفال وإصلاحهم وتغذيتهم وعلاجهم وتمريضهم ، وسائر ما هو مطلوب منها لتذئنة وحدات جيل صالح نافع .

تتحمل الأم فى سبيل ذلك أضعاف ما يتحملة الأب من المتاعب والمشاق والآلام ، وهذا هو السر فى أن كانت الجنة تحت أقدام الأمهات ، كما ورد فى الحديث النبوى الشريف . فسبيل الوصول إلى السعادة والفوز بنعيم الجنة إنما هو بمعرفة حق الأمهات وإكرامهن واعزازهن وبذل كل مرتخص وغال لمرضاتهن .

وهذا الفضل الذى امتازت به الأم وسما به حقها على حق الأب - بعد اشتراكهما فى وجوب البر والاكرام وحسن الرعاية - قد صرح به القرآن فى آياته البينات مبينا سر هذا التفضيل ، قال تعالى فى سورة لقمان : « ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير » .

وقال عز وجل فى سورة الأحقاف : « ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا » .

ومن هنا كان تكريم الأمومة مما يحث عليه الإسلام ويدعو إليه ، فهو يحدد الأسرة ويقوى روابط أفرادها ، ويمكن بينهم أسباب المودة والألفة ، وهو يشجع على الزواج الذى هو خير نظام اجتماعى صالح يوصل إلى الأمومة التى هى محل التقدير والتكريم . ثم هو يشجع بالضرورة على أن يكون نسل لتكون أمومة .

وإن عزوف بعض الناس عن الزواج أو عن التناسل ، أو العمل على إحداث العقم والدعوة اليه ، كل هذا لا يتفق وتكريم الأمومة وإكبارها والاحتفاء بها .

هذا - وان الإسلام يدعو إلى تكوين الأم واعدادها اعدادا صالحا دينيا وعقليا وخلقا واجتماعيا ، فهي طابع الطفل ، ثم هي حاضنته ومريئته ومهذبته : على يديها ينشأ وتتكون شخصيته ، وبحسن توجيهها تبدأ وتعمم نظرته إلى الحياة .

وقد حرص الإسلام على أن يحوط الأم بكثير من عنايته ورعايته ، للدور الخطير الذى تقوم به فى بناء الأسرة ، وعمل على أن يهيئ لها الجو الصالح الذى تستطيع فيه أداء واجبها ، واهتم بحمايتها من مواطن الزلل ، وتجنبها عوامل الانحراف وكل ما يعوقها أو يشغلها عن واجباتها نحو أسرتها وأبنائها ، وأوجب لها على الرجل راعى الأسرة معاومتها بتحقيق مطالبها ورعاية شئونها ، وتوفير أسباب العيش والراحة لها ، وأوجب لها على الأبناء من السمع والطاعة ما يسهل لها مهمتها فى تنشئتهم وتقويمهم ، ويكافئ فضلها عليهم وبرها بهم .

وقد صارت الأم - بفضل النظام الذى شرعه الإسلام ، وبما عمل على توفيره لها من أسباب الحفظ والحماية والرعاية - المحور الذى تلتقى حوله الأسرة وتربط فروعه وتستقر أمورها ، على أساس من الدين القويم والخلق المتين . وهذا هو الأمر الذى وعاه وأشاد به دستور الأمة الجديد ، فأن صلاح الأمة إنما يكون باصلاح الأسرة وبنائها على أسس الفضيلة والدين والأخلاق .

وتكريم الأمومة والاحتفاء بها إنما هو بتكريم المعانى النبيلة التى تتمثل فى كل أم فاضلة تسير على هدى الفطرة الانسانية السليمة ، وتقوم بواجباتها نحو أسرتها وأبنائها ، وتؤدى هذا الحق بأمانة واخلاص ، لا يشغلها عنه شاغل ، ولا يصرفها عن العناية به أى صارف .

فواجب أن تتكاتف الجهود وتتعاون القوى على العناية بالأسرة ، والعمل على اعداد الأمهات الفضليات اللاتى يحق لهن على أوطانهم واجب التكريم والاعزاز والتبجيل . والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل .

شيخ الجامع الأزهر

عبد الرحمن تاج

بنو اسرائيل

فى الماضى والحاضر

- ٣ -

عداوة اليهود للعرب :

عداوة اليهود للعرب عداوة متأصلة من قديم الزمان ، دفعهم إليها الحقد الدفين وخبث الطوية . ومن عداوة اليهود للعرب أنهم أرادوا أن يسلخوا عنهم أى فضل ، فزعموا أن الذبيح إسحق لا إسماعيل ، ولأجل هذا الغرض السيئ حرفوا التوراة ، ولكن الله أبى إلا أن يبقى ما يدل على هذا التحريف ، فحذفوا اسم إسماعيل ووضعوا موضعه إسحق ، ولكنهم غفلوا عن كلمة فضحتهم وكشفت عن فعلتهم الشنيعة ، ففى التوراة - الاصحاح الثانى والعشرين الفقرة (٢) « فقال الرب خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحاق واذهب به إلى أرض الموريا وأصعده محرقة على أحد الجبال التى أقول لك » وإسحق عليه السلام لم يكن وحيدا فى يوم من الأيام ، لأنه ولد لإسماعيل نحو أربع عشرة سنة كما هو صريح التوراة (١) فهذا مما حرف قطعا . وقصة الذبيح حدثت بنواحى مكة لا فى جبل الموريا (٢) وقد بقى إسماعيل إلى أن مات أبوه إبراهيم وحضر وفاته ودفنه . وحديث البخارى الصحيح صريح فى استيطان إسماعيل وأمه هاجر عند البيت قبل بنائه . وبعض العلماء المسلمين الذين ذهبوا إلى أن الذبيح إسحاق قد اغتروا بروايات واهية وضعها اليهود وتنبه لها المحققون من أئمة الإسلام (٣) .

(١) فى التوراة سفر التكوين (الاصحاح ١٦ أنقرة ١٦ « وكان ابرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر اسماعيل لأبرام ، وفى الاصحاح ٢١ الفقرة ٥ « وكان إبراهيم بن مائة سنة حين ولد له إسحق ابنه) انظر قصص الأنبياء للشيخ النجار ص ١٣٤ - ١٣٦

(٢) هو الذى عليه مدينة اورشليم .

(٣) انظر ما كتبت فى مجلة الأزهر المجلد ٢٥ الجزء الثامن ص ٨٩٧

ومن مزاعمهم الكاذبة ما ادعوا أنهم ليس عليهم في أكل أموال الأيمن سبيل ، ومرادهم بالأيمن العرب لغلبة الأمية عليهم ، وقد بين الله سبحانه أن هذا من أكاذيبهم ، وما من شريعة من شرائع الله إلا وتحرم أكل أموال الغير بالباطل ، وقد سجل الله عليهم هذا الافتراء في قوله عز شأنه : « ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ، ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ، ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأيمن سبيل ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ، بل من أوفى بعهده وأتقى فإن الله يحب المتقين » (١) وقد روى ابن أبي حاتم بسنده عن سعيد بن جبير قال : « لما قال أهل الكتاب : ليس علينا في الأيمن سبيل ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : كذب أعداء الله ، ما من شيء كان في الجاهلية إلا وهو تحت قدمي هاتين ، إلا الأمانة فأنها مؤداة الى البر والفاجر » .

وها هي العصابات اليهودية اليوم تعيد هذا الإفك القديم الذي افتراه آبائهم من قبل ، فاستحلوا أموال العرب في فلسطين العربية واغتصبوها جهارا نهارا ، ولم يراعوا في ذلك أى حق من حقوق الإنسان ، واستغلوها في صنع وشرء آلات الهلاك والدمار ، ولن ؟ للعرب ، ولأبناء البلاد المشردين في الصحارى والعراء .

وهأنذا أكتب هذا المقال وقد افتننا الأنباء الموثوق بها باستيلاء المزعومة إسرائيل على ثمانين ألف دونم من أملاك البقية الباقية من عرب فلسطين في منطقة الجليل بحجة استغلالها في مناوراتهم الآتمة المجنونة ، وكان أصحاب هذه الأرض الشاسعة يستغلونها في الزراعة ، فأصبحوا بعد اغتصابها مهدين بالجوع والعري والفناء ، فألى متى يا أرحم الراحمين ويارب المستضعفين يستمر هذا البلاء ؟ .

وقد سولت لليهود عداوتهم للعرب أن حرفوا صفات النبي العربي الأسمى التي يحدونها مكتوبة عندهم في التوراة والإنجيل حتى لا تقوم عليهم الحجة برسول يبعث من العرب . ومن تناقضهم وعجيب أمرهم أنهم كانوا يستفتحون على العرب من الأوس والخزرج ، ويقولون لهم : « إنه قرب زمان نبي يبعث في آخر الزمان سنتبعه وسنقتلكم معه قتل عاد وإرم » فلما جاءهم النبي العربي المؤيد بالوحي والمعجزات الباهرات كفروا وعاندوا ،

ولم يألوا جهدا في عداوته واليكيد له ، قال سبحانه : « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلم جاءهم ما عرفوا كفروا به » الآية (١) .
تحريفهم للتوراة :

وكما حرفوا صفات النبي صلوات الله وسلامه عليه حسدا وحقدا حرفوا بعض أحكام التوراة طمعا في الرشا والسحت ، وذلك مثل ما فعلوا في رجم الزانى المحصن ، وقد كان هذا حكم الله سبحانه في التوراة ، ثم بدأوا يتلاعبون بكتاب الله المنزل على موسى عليه السلام ، فكانوا إذا زنى فيهم شريف يطعمون في ماله وجاهه تركوه ، وإذا زنى فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، واتخذوا هذا سبيلا إلى أكل أموال الناس بالباطل ، ثم انتهى بهم الأمر إلى أن غيروا حكم الرجم إلى التحميم والجلد ، واستمر أمرهم على هذا حتى بعث النبي الأُمى العربي ، فلما هاجر واستقر به المقام بالمدينة زنى منهم رجل وامرأة ، بغاءوا إليه يستفتونه في أمرهما رجاء أن يحكم بالجلد ، فأخبرهم أن حكم الله الرجم ، وتحداهم أن يأثروا بالتوراة إن كانوا صادقين فيما يزعمونه من أن حدهم الجلد .

روى الإمام مالك في موطئه والإمام البخارى في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن اليهود جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له أن رجلا منهم وامرأة زنيا ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تجدون في التوراة في شأن الرجم ؟ فقالوا : نفضحهم ويحجلدون . فقال عبد الله بن سلام : كذبتم إن فيها الرجم ، فأتوا بالتوراة فنشروها ، فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها ، فقال له عبد الله بن سلام : ارفع يدك ، فرفع يده ، فإذا آية الرجم ، فقالوا : صدق يا محمد فيها آية الرجم ، فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فربحا . ورواه الإمام مسلم بنحو من هذا ، وروى الإمام أحمد بسنده عن البراء بن عازب قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودى محم (٢) مجلود ، فدعاهم فقال : أهكذا تجدون حد الزانى في كتابكم ؟ فقالوا : نعم ، فدعا رجلا من علمائهم فقال : ألتشدك بالذى أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون

(١) سورة البقرة الآية ٨٩

(٢) في المصباح المنير : « وحممت وجهه تحميا إذا سودته بالفتح » وهذا التحميم مما ابتدعوه .

حد الزانى فى كتابكم ؟ فقال : لا والله ، ونولا أنك نشدتنى بهذا لم أخبرك ، نجد حد الزانى فى كتابنا الرجم ، ولكنه كثر فى أشرافنا ، فكننا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد . فقلنا تعالوا حتى نجعل شيئا نقيمه على الشريف والوضيع فاجتمعنا على التحميم والجلد . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه ، فأمر به فرجم ، فأنزله الله عز وجل : « يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ، ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزي ولهم فى الآخرة عذاب عظيم . سماعون للكذب أكالون للسحت ، فأن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط أن الله يحب المقسطين . وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين » [١] .

فاليهود - قبحهم الله - كانوا يحرفون التوراة تارة بتغيير الألفاظ وإزالتها ، وتارة بتعطيل بعض أحكامها أو بحملها على غير محلها الصحيح ، وهكذا وصل بهم الإيغال فى الباطل والخضوع للهوى والشهوات إلى تحريف كتاب الله الذى استحفظوا عليه ، وصدق الله « وإن منهم لفرقا يلون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » (٢) .

وقد توعدهم الله سبحانه على تحريفهم التوراة طمعا فى عرض زائل فقال : « إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم » [٣] .

قال عكرمة : « نزلت فى رؤوس اليهود كتموا ما عهد الله إليهم فى التوراة فى شأن محمد

(١) سورة المائدة الآيات ٤١ - ٤٣

(٢) سورة آل عمران الآية ٧٨

(٣) سورة آل عمران الآية ٧٧

صلى الله عليه وسلم وبدلوه وكتبوا بأيديهم غيره وحلفوا أنه من عند الله لئلا يفوتهم المأكل والرشا التي كانت لهم من أتباعهم » .

وألزمهم الله اللعنة وقسوة القلب فقال : « فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين » [١]

وها هو التاريخ يعيد نفسه ، ونجد اليهود يحرفون نصوص المعاهدات والمهادنات ويفسرونها تبعا لأهوائهم وشهواتهم ، وكثيرا ما ينسون حظا مما يذكرون به وينذرون . وإن قوما بلغت بهم الجراة على الله جل جلاله أن يغيروا ويحرفوا كلامه وعهوده لا ينتظر منهم بالنسبة إلى الخلق إلا أن يحرفوا في العهود ما شاء لهم هواهم أن يحرفوا ، ولا عجب إذا كان ما من يوم يمر إلا ونطلع منهم على خيانة وغدر ونكث للعهود ، ولم يعد يفيد معهم الصفح والإغضاء ، فقد قطع منهم كل أمل في الوفاء ، ولم يبق إلا الاقتصاص منهم والانتصار ، وإجلاؤهم عن الأرض الطيبة المباركة حتى يعود إليها أهلها في أمن وسلام ، وليس هذا اليوم ببعيد إن شاء الله ما

(يتبع)

الدكتور

محمد محمد أبو شربة

المدرس بكلية أصول الدين

تصحيح

جاء في كلمتي بالعدد السابق من المجلة بعنوان « السفير الأزهرى » أن الشيخ محمد عبده نفاه الخديوى عباس من مصر . وهذا سهو ، والحقيقة أن الذى نفاه من مصر هو الخديوى توفيق .

وإنا لشكر للاخ السيد محمد طاهر اللاذقي لفت نظرنا لذلك .

أبو الوفا المراغى

الحسد والأثرة

وأثرهما في فساد المجتمع

من قصة ابني آدم

في الماضي البعيد ، عند مطلع الحياة البشرية المنسابة في الوجود ، ظهرت هذه القصة المثيرة ، التي تختلط عناصرها بعوامل البغى والحسد والأناية الرعناء ، لتفتح على الإنسانية الباذئة في أوائل أيامها طريقا غير معلوم النهاية للفساد والشر والمظالم الكبرى .

إنها قصة قابيل وهابيل ولدى آدم عليه السلام ، من منا لم يسمع بهذين الاسمين ؟ كان قابيل شخصية ضعيفة متمرج بها عناصر الشر ، وتسيطر على تصرفاتها نزوات الإثم والطمع ، والتمرد على حكم الحق ، وكان أخوه هابيل رجلا صالحا تقيا يطمئن نفسه للحق ، وتتمرد ولسكن على دواعي البغى والعدوان وشطط النفس الأماراة بالسوء ، وقد وقع بينهما ذلك الصراع الأبدي الذي لا بد أن يقع بين هذين الوجهين المتقابلين في سيرة الحياة أبدا .

وكما تظهر حواء دائما أو في أكثر الأحوال في كل نزاع يقع بين الناس على هذه الأرض ، فقد ظهرت هذه المرة على أشد ما تكون فتنة وإغراء في مجال الخصومة الدامية - أول خصومة دامية - بين هذين الأخوين ، وهما لم يزالا ضيفا جديدا على الأرض البيضاء على الفطرة البكر ، لا يعرفان بغضا ولا إثم ولا قتلا ولا دما .

كان آدم عليه السلام يحب أولاده - في بدء الخليقة - متنى متنى ، ذكرا وأنثى طبقة بعد طبقة ، وكان يزوج الابن الأكبر من الطبقة الأولى أخته الصغرى من الطبقة التي تليه ، ويزوج الأخ الأصغر أخته الكبرى من الطبقة التي تلوها ، هكذا قضت عليهم الاحتياجات الملحة للتعمير والإكثار من النسل - يوم كانت الأرض فضاء متراميا - أن يفعلوا .

وكان لابد — بناء على هذه الشريعة السائدة — أنه يتزوج قابيل الأخ الأكبر توأم هابيل أخته الصغرى ، وأن يتزوج هابيل توأم قابيل أخته الكبرى .

وهنا تبرز مشكلة المرأة الجميلة من أول يوم في حياة الإنسان ، كما تبرز بعد ذلك في حياته دائماً ، تجر أكثر مشاكل الدنيا وراءها ، فإن قابيل وجد الزوجة المنتظرة لأخيه هابيل جميلة رائعة ، بينما الزوجة التي يراد له أن يقترن بها — وهى توأم هابيل — دميمة قبيحة لم يقسم لها حظ من الحسن والبهاء ، فرفض قبولها ، ومد عينيه إلى فتاة أخيه الجميلة الحسناء ، وتحركت في ظلمات صدره عقارب الحسد المغتال ، وصمم على انتزاعها منه قسراً — كيفما كان الأمر — متحدياً بذلك الشريعة والرحم وطاعة الوالدين ، وانهى نبأ هذا الشر السكاشر عن أنيابه إلى آدم عليه السلام أبيهما الذى هبط من الجنة ، لينشئ هو وذريته عمارة الدنيا ، فأمرهما أن يقرب كل منهما إلى الله قربانا ، فمن قبل الله قربانه فقد حكم له بزواج الأخت الجميلة ، وفي هذه المرة أيضاً لم يحظ قابيل بحكم الله له ، فازدادت نفسه حسداً وحنقا ، وكأنما رأى بمنطق المخدولين التمساء أن الله يتحداه برفض قربانه ، وقبول القربان من أخيه هابيل ، فأقبل عليه وملء نفسه حقد وئار ، يتوعده بالقتل : « واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ، قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين » قال أهل العلم بالتفسير : إن قابيل كان زارعا وإن هابيل كان راعيا ، فلما تقدما للقربان اختار هابيل أحسن رأس من الغنم عنده فقدمه إلى الله طيبة به نفسه ، فقبله الله منه ، وعمد قابيل — ولم يفارقه طمعه ولا أنانيته — إلى مقدار من الحنطة بفعله — على استكراه منه — لله قربانا ، فرده الله عليه ، لأن الله إنما يتقبل القربان من عباده المتقين الذين يحملون في أنفسهم معنى العبودية الصادقة ولا يمينون على الله بما يفعلون .

لقد كانت كلمة التقوى وحديث المتقين في لسان هابيل وهو يخاطب أخاه قابيل جديراً أن يكسر إرادة الشر في نفسه ، ولكن هيهات ، فإنه الحسد قلما يجدى معه علاج ، فلم يزل الشقي الحائق على إرادة القتل والتوعد به ، فقال له الرجل الصالح : « لئن بسطت إلى يديك لتقتلنى ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك ، إني أخاف الله رب العالمين ، إني أريد أن تبوء بأثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين » .

لم يكن الصراع في الحقيقة بين قابيل وهابيل ، ولكنه كان صراعا من قابيل مع

نفسه : مع التوازن الشريرة والإرادات الخبيثة ، والشهوات العارمة المسلطة ، وكان الواجب أن يعتمد قابيل الى هذه الشهوات والإرادات التي تسومه سوء المهانة والعذاب وتتقحم به أسنة الرماح ، فيقتلها ويتخلص من أسرها ، ولكنه عجز . . . عجز أمام ضعفه ، وطغيان شهواته ، وتحول معنى القتل الذي كان يطلب منه لشهواته الى قتل أخيه « فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين » . وهذا أعنف ضروب الحسد : الحسد على الفضيلة ، والحسد على الاستقامة ، حينما تستشعر بعض النفوس الخبيثة المنحلة أن مثال الفضيلة والقوة الخلقية في شخص يقوم بأزائها — فيكون محض ظهوره كافيا في تحقيرها وكشف ضعفها ، فلا تجد سبيلا لضمان وجودها وستر نقائصها إلا أن تزيل من فوق الأرض مثلا نورانيا رفيعا .

كانت هذه أول جريمة قتل وقعت في الدنيا ، كان قابيل يترصد أخاه في كل مكان ليقتله ، فراغ منه الفتى في رءوس الجبال ، فما زال يتبعه حتى وجده نائما ، فرفع صخرة فشدخ بها رأسه فمات وتركه بالعراء — أول دم سفك على الأرض من ولد آدم ، وتتابع على أثره دماء القتلى جميعا ، أول اغتيال تلوث به ضمير الإنسان — في فجر مولده — فلم يتهيب الاغتيال ولا الجريمة بعد ذلك أبدا .

وأمسى قابيل القاتل الأول الذي شرع جريمة القتل للناس كافة ، فكل دم سفك بعد فعلته فعليه وزر منه ، فعن النبي صلى الله عليه وسلم : لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها ، لأنه كان أول من سن القتل . وكان عبد الله بن عمر يقول : « إن أشق الناس رجلا لابن آدم الذي قتل أخاه ، ما سفك دم في الأرض منذ قتل أخاه إلى يوم القيامة إلا لحق به منه شيء ، وذلك أنه أول من سن القتل » .

هذه سلسلة من الجرائم والكوارث الكبيرة إذا نظرتهم لأصلها ألفتيموه الحسد وحب الذات ، وقانا الله وإياكم شرورهما . ما

محمد - عمار مهول

دكتور في الشريعة الإسلامية

ومدرس بالأزهر

حكم المرتد

في الشريعة الإسلامية

كنت كتبت مقالا بعنوان: متى يجوز الاجتهاد ومتى لا يجوز؟، بمناسبة ما نشره الشيخ عبد الحميد بن حيت في إباحة الفطر وشروطه، وقد نشر هذا المقال في مجلة الأزهر [١] وجريدة الجمهورية. ثم اطلعت على كتيب مطبوع بعنوان اجتهاد جديد للشيخ عبد المتعال الصعيدي الأستاذ في كلية اللغة العربية. وقد ذكر فيه مقالي المشار إليه، وعقب عليه بأمور خمسة، مهد لها بتهديد رماني فيه وأمثالي من غالب علماء الأزهر بالجمود، وأنا سبب ضعف المسلمين، وقال: إن خطأ الشيخ بن حيت يهون في جانب خطئهم وجمودهم. ولما كان مسلكه في هذا التعقيب لا يجوز غض النظر عنه رأيت من الواجب على* تنبيه المسلمين إلى ما فيه من الخطورة على أحكام الشريعة، فانه لو اتخذ مثل هذا المسلك في أي حكم شرعي متفق عليه بين المسلمين لأمكن إنكاره والقول بخلافه، ذلك أنه لم يبال باجماع الأئمة، ولم يراع ما تقرر في العلوم الشرعية والعربية حتى البديهي منها الذي لا يحمله صبيان المكاتب. وقد تشبث بشبه لا تخلو الأدلة عن مثلها.

وإني أبدأ بالتعقيب الثاني لأنه أهمها وأخطرها، قال ما نصه بالحرف:

« وهو ثانيا يرى أن حكم المرتد القتل لأنه هو المشهور عنده وعند أمثاله من علماء الأزهر، وهو المقروء في كتب الفقه الأزهرية، وهو الذي قال به الأئمة الأربعة، ولا قيمة لقول غيرهم في ذلك عندهم وإن كان هو المناسب لروح الشريعة الإسلامية، فيجمدون على هذا ولا يرون شيئا خلافه، لأنهم لم يدرسوه في كتبهم، مع أن المرتد فيه أقوال كثيرة: منها أنه يستتاب أبدا ولا يقتل، وقد استدل من ذهب إليه بما روى عن أنس بن مالك أن أبا موسى الأشعري قتل بحينة الكذاب وأصحابه، قال أنس: فقدمت على عمر بن الخطاب فقال: ما فعل بحينة وأصحابه؟ قال: فتغافلت عنه ثلاث مرات، فقلت: يا أمير المؤمنين وهل كان سبيل الا القتل؟ فقال عمر: لو أتيت بهم لعرضت عليهم الاسلام. فإن تابوا

ولإلا استودعتهم السجن . وكذلك استدل بما رواه ابن مسعود في الرجل القائل : إن رسول الله لم يعدل ، ولا أراد وجه الله فيما عمل . فإن هذا كفر وردة ، ومع هذا لم يمكن من أراد قتله من أصحابه من قتله . وقد رويت أخبار في مثل هذا من الكفر والردة ولم يرد في شيء منها أن من ارتد تاب من رده ولا أنه قتل ولا أنه سجن ولا أنه استتيب . ولنا أن نأخذ من هذا أنه لا يستتاب أيضا . وقد ذهب الحنفية إلى أن المرأة المرتدة لا تقتل ، واستدلوا بما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من النهي عن قتل النساء لما رأى امرأة مقتولة وقال : ما كانت هذه لتقاتل . ويمكننا أن نأخذ من هذا أن من ورد في الأحاديث قتله من المرتدين كان مقاتلا ، فيكون قتله لأنه مقاتل ، لا لأنه مرتد . ويمكن أيضا حمل ما ورد من قتل المرتد على من يرتد من العرب لأنهم خاصة لا يقبل منهم إلا الإسلام ، وكان هذا لسبب سياسي لا لسبب ديني ، لأنه أريد جعل جزيرة العرب وطنا خالصا للمسلمين حتى يقضى على كل أسباب الفتن فيها ، وتكون ملجأ للمسلمين إذا أصيبوا في غيرها . ولا شك أن عدم قتل المرتد هو المناسب لما جاء به الإسلام من الحرية الدينية ، لأن الدعوة فيه إنما تكون بالحكمة والموعظة الحسنة لا بقتال أو غيره من وسائل الإكراه . وقد نفى القرآن الإكراه في الدين نفيا صريحا بقوله في الآية ٢٥٦ من سورة البقرة : « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » وقوله في الآية ٢٩ من سورة الكهف : « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » . ولكن علماء الأزهري لا يزالون يصرون - إلا النادر - على أن هذا منسوخ بآيات القتال الخ ما قال مما لا فائدة في نقله .

هذا ما قاله الأستاذ بالحرف ، وإنني سأذكر ما قيل في شأن المرتد من مواطن الخلاف وموطن الوفاق بين جميع الأئمة ، لا الأئمة الأربعة فقط ، مقتصرًا في مواطن الخلاف على مجرد الحكاية من غير تعرض لمدارك الأئمة فيها . وأما موطن الوفاق فسأذكر في شأنه كلام الأئمة في حكاية الإجماع ، وأبين الشبه التي يشتم منها رائحة الخلاف في هذا الحكم المجمع عليه والتي تشبه بها هذا المجتهد الجديد ثم أبطلها ، ثم أذكر الأدلة الشرعية التي استند إليها جميع الأئمة مع الإشارة إلى إحداض ما حاوله من تحويلها عن مجراها الطبيعي ، ثم أذكر الشبه التي تشبه بها والتي يشتم منها رائحة المعارضة لهذه الأدلة ، ثم أكر كرا عنيقا على ما تخيله من الأدلة على ما ادعاه من الحكم المخالف للإجماع .

ما قيل في شأن المرتد

أجمع أئمة المسلمين - من صحابة وغيرهم - على أن الرجل المرتد عن دين الإسلام يقتل

بردته ، واختلفوا في المرتدة : فذهب الجمهور إلى أنها تقتل كالمرتد ، وذهب أبو حنيفة وأصحابه والثوري وابن شبرمة وابن علية إلى أنها لا تقتل ، وروى ذلك عن ابن عباس ، واختلفوا أيضا : فقيل يقتل المرتد مطلقا حالا من غير استتابة ، وقيل لا يقتل مطلقا إلا بعد الاستتابة ، وقيل إن كان زنديقا يقتل من غير استتابة ، وإن كان غيره لا يقتل إلا بعد الاستتابة ، واختلف القائلون بالاستتابة : فقيل يستتاب مرة ، وقيل ثلاث مرات : قيل في مجلس واحد أو في يوم واحد أو في ثلاثة أيام ، وعن علي أنه يستتاب إلى شهر وقيل أكثر ، وعن إبراهيم النخعي يستتاب أبدا ، وسند ذكر ما فيه .

حكاية الاجماع على قتل الرجل المرتد

أولا : قال ابن عبد البر في التمهيد في الكلام على حديث «من بدل دينه فاقتلوه» : وفقه هذا الحديث أن من ارتد عن دينه حل دمه وضربت عنقه ، والأمة مجمعة على ذلك . وإنما اختلفوا في استتابته ، وبعد أن ذكر الخلاف في الاستتابة وفي المرتدة قال : وروى عثمان ابن عفان وسهل بن حنيف وعبد الله بن مسعود وطلحة بن عبيد الله وعائشة وجماعة من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «لا يحل دم امرئ مسلم إلا باحدى ثلاث : كفر بعد ايمان ، أو زنا بعد إحصان ، أو قتل نفس بغير نفس» فالقتل بالردة على ما ذكرنا لا اختلاف بين المسلمين فيه ، ولا اختلفت الرواية والسنة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه ، وإنما الاختلاف في الاستتابة وفيما ذكرنا من المرتدة اهـ

ثانيا : قال صاحب المغنى من فقهاء الحنابلة : وأجمع أهل العلم على وجوب قتل المرتد ، وروى ذلك عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاذ وأبي موسى وخالد وغيرهم ، فلم ينكر ذلك ، فكان إجماعا اهـ .

ثالثا : قال ابن دقيق العيد في شرح العمدة : فراق الرجل بالردة عن دينه سبب لإباحة دمه بالإجماع . واختلف الفقهاء في المرتدة اهـ . هذا بعض ما قيل من حكاية إجماع أئمة المسلمين لا الأئمة الأربعة فقط على وجوب قتل المرتد .

ما يشتم منه راحة الخلاف في قتل المرتد

أولا : نقل عن إبراهيم النخعي أنه قال : يستتاب المرتد أبدا ، فيفهم من ظاهر كلامه أنه يرى أن الرجل المرتد لا يقتل . وقد اغتر بهذا الظاهر صاحب المغنى فقال -

بعد أن حكى الإجماع كما سبق - : وقال النخعي يستتاب أبدا ، وهذا يفضى الى أنه لا يقتل أبدا ، وهو مخالف للسنة والإجماع اه . وكذلك اغتر به ابن حزم فقال فى المحلى : وقالت طائفة يستتاب أبدا ولا يقتل ، ورد عليه بقوله : ولو صح هذا لبطل الجهاد جملة ، لأن الدعاء كان يلزم أبدا مكررا بلا نهاية ، وهذا قول لا يقوله مسلم أصلا ، وليس دعاء المرتد - وهو أحد الكفار - بأوجب من دعاء غيره من الكفار الحرييين ، فسقط هذا القول اه . ويظهر أن المجتهد الجديد اغتر بكلام ابن حزم فحكى ما حكاه من الخلاف .

والتحقيق أن هذا الظاهر من كلام النخعي غير مراد ، لأنه لا معنى للاستتابة الدائمة إذا لم يترتب على عدم الإجابة شىء ، فيتعين حمله على أنه يستتاب أبدا كلما رجع إلى الردة ، ولذلك قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى : وعن النخعي يستتاب أبدا ، كذا نقل عنه ، والتحقيق أنه فيمن تكررت منه الردة اه . يعنى أنه إذا ارتد يستتاب فأن لم يتب قتل ، وإن تاب ترك . فأن رجع وارتد ثانيا يستتاب ، فأن لم يتب قتل ، وإن تاب ترك ، وهكذا . هذا هو المعنى المعقول من كلام النخعي . وقد روى البيهقى فى السنن الكبرى بسنده هذا المعنى عن النخعي أى أنه قال : المرتد يستتاب كلما رجع . والدليل الصحيح الواضح على مراد النخعي ما ذكره البخارى فى صحيحه تعليقا بصيغة الجزم فقال : وقال ابن عمر والزهرى وإبراهيم أى النخعي : تقتل المرتدة اه .

فاذا كان النخعي يقول بقتل المرتدة التى فيها خلاف ، فهو يقول بقتل المرتد من باب أولى . على أن الحافظ ابن حجر حينما بين أئمة الحديث الذين وصلوا هذا التعليق ظهر منه أن بعض الروايات عن النخعي بهذا النص : إذا ارتد الرجل أو المرأة عن الإسلام امتتibia ، فأن تابا تركا ، وإن أبيا قتلا اه . فلا حاجة بنا الى القياس الأولوى على المرتدة . فيتعين مما ذكرناه أن النخعي كغيره يقول بوجوب قتل المرتد إن لم يتب ، وأن معنى ما نقل عنه من قوله : « يستتاب أبدا » أنه يستتاب كلما رجع . والله أعلم .

ثانيا : ما رواه البيهقى فى السنن الكبرى وابن عبد البر فى التمهيد وابن حزم فى المحلى عن أنس بن مالك قال : إن نفرا من بكر بن وائل ارتدوا عن الإسلام يوم تستروا لحقوا بالمشركين ، فلما فتحت قتلوا فى القتال ، فأتيت عمر بفتحها فقال : ما فعل النفر من بكر بن وائل ؟ فعرضت فى حديثه لأشغله عن ذكرهم ، فقال : ما فعل النفر من بكر بن وائل ؟ قلت : قتلوا . فقال لأن أكون أخذتهم سلما أحب إلى مما طلعت الشمس من بيضاء أو صفراء . فقلت : وهل كان سبيلهم إلا القتل ؟ ارتدوا عن الإسلام ولحقوا بالمشركين . قلت :

اعرض عليهم أن يدخلوا في الباب الذي خرجوا منه فإن فعلوا قبلت منهم ، وإلا استودعتمهم السجن . اهـ ، وهذا لفظ رواية ابن عبد البر ، واللفظ الذي أورده المجتهد الجديد لفظ ابن حزم ، وظاهر هذه الرواية عن عمر أنه يرى عدم قتل المرتد في الحال ، بل يرى سجنه ، ولكنه لم يبين في هذه الرواية غاية سجنه : هل يسجن مدة معينة فإن لم يتب بعدها يقتل ، أو يخرج من السجن من غير قتل ، أو يسجن مؤبدا فلا يخرج من السجن إلا إن تاب ، كل محتمل . وقد ورد عن عمر ما يعين مدة سجن المرتد بثلاثة أيام فإن تاب وإلا قتل ، فقد روى مالك في الموطأ قال : قدم على عمر بن الخطاب رجل من قبل أبي موسى الأشعري ، فسأله عمر عن الناس ، فأخبره ، ثم قال له عمر : هل من مغربة خبر ؟ قال : نعم ، رجل كفر بعد إسلام . قال فإذا فعلتم ؟ قال قربناه فضررنا عنقه ، قال عمر : هلا حبستموه ثلاثا وأطعمتموه كل يوم رغيضا واستبتموه فلعله يرجع أمر الله ، اللهم إني لم أحضر ولم أمر ولم أرض إذ بلغني ، وفي رواية كما في التمهيد لابن عبد البر قال : قدم وفد أهل البصرة على عمر فأخبروه بفتح تستر ، فحمد الله ثم قال : هل حدث لكم حدث ؟ قالوا : لا والله يا أمير المؤمنين ، إلا رجل ارتد عن دينه فقتلناه ، فقال : ويلكم ، أن تطينوا عليه بيتا ثلاثا ، ثم تلقوا إليه رغيضا ، فإن تاب قبلتم منه ، وإن أقام كنتم أعدائكم إليه ، اللهم إني لم أشهد ولم أمر ولم أرض إذ بلغني . اهـ ، فهذا يدل على أن عمر يرى وجوب الاستتابة وإمهاله ثلاثة أيام مع سجنه فيها ، فإن تاب وإلا قتل ، فتحمل الرواية المطلقة على ذلك . وقد استدلل ابن القصار - كما في فتح الباري - بهذا الأثر عن عمر لما قاله الجمهور من وجوب الاستتابة ثلاثة أيام ، وادعى أن عمر قاله بحضور الصحابة ولم ينكر عليه ، فكان إجماعا ، اهـ . هذا ما يمكن أن يتخيل فيه وجود خلاف بين المسلمين في وجوب قتل المرتد ، وقد تشبث به حضرة المجتهد الجديد ، ففهم منه الخلاف تبعا لابن حزم الذي اغتر بما نقل عن النخعي ، وكان الواجب استيفاء البحث ليوافق بينه وبين من نقل الإجماع .

الدالة الشرعية التي تعتبر سندا للإجماع

أولا : قوله صلى الله عليه وسلم : « من بدل دينه فاقتلوه » أخرجه البخاري وأصحاب السنن ، وكلهم أخرجوه في ضمن قصة إحراق علي لبعض الزنادقة ، إلا ابن ماجه فاقصر على هذا اللفظ .

ثانيا : قوله صلى الله عليه وسلم : « لا يحل دم امرئ مسلم إلا باحدى ثلاث : كفر بعد إيمان ،

أو زنا بعد إحصان ، أو قتل نفس بغير نفس » أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما بالفاظ متقاربة . وقال ابن عبد البر فى التمهيد كما تقدم : رواه عثمان بن عفان وسهل بن حنيف وعبد الله بن مسعود وطلحة بن عبيد الله وعائشة وجماعة من الصحابة ا هـ .

ثالثا : ما أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا موسى الأشعرى إلى اليمن ثم أتبعه معاذ بن جبل ، فلما قدم عليه ألقى إليه وسادة قال : انزل . فاذا رجل موثق عنده . قال : ما هذا ؟ قال : كان يهوديا فأسلم ثم تهود . قال : اجلس . فقال : لا أجلس حتى يقتل . قضاء الله ورسوله . فأمر به فقتل . وفى رواية زيادة بعد قوله : « قضاء الله ورسوله » هى قوله : إن من رجع عن دينه - أو قال بدل دينه - فاقتلوه .

هذه بعض الأدلة الشرعية التى تعتبر سنداً للاجماع . ومن المعلوم أن الصحابة عملوا بمقتضى هذه الأدلة ، فان أبا بكر رضى الله عنه حارب أهل الردة باتفاق الصحابة ، وذلك معروف ومشهور . وأخرج ابن عبد البر فى التمهيد أن عليا أتى بالمستورد العجلي وقد ارتد عن دين الإسلام ، فاستتابه فأبى ، فقتله . وأخرج أيضا أن عليا أخذ رجلا من بكر ابن وائل تنصر بعد الإسلام فعرض عليه الإسلام شهرا فأبى فأمر بقتله . ثم إن هذه الأحاديث الدالة على وجوب قتل المرتد وآثار الصحابة التى تفيد العمل بمقتضاها ليس فيها ما يشتم منه رائحة حملها على المرتد المقاتل ولا على المرتد من العرب الذين لا يقبل منهم إلا الإسلام ، كما يقوله حضرة المجتهد الجديد ، ومن الواضح أن المقاتلين سواء كانوا مرتدين أو كفارا أصليين أو مسلمين بغاة يجب قتالهم على الوجه المقرر فى الشريعة ، وهذا حكم آخر بأدلة أخرى غير هذه الأدلة التى وردت فيمن بدل دينه وكفر بعد إيمان ، ولو كان فردا واحدا لم يقاتل . والمرتد الذى نفذ فيه القتل أبو موسى الأشعرى كطلب معاذ كان أصله يهوديا فأسلم ثم ارتد ، فلم يكن من العرب الذين لا يقبل منهم إلا الإسلام .

ما يتخيل فيه المعارضة لهذه الأدلة

أولا : ما أخرجه البخارى عن عبد الله بن مسعود أنه قال : لما قسم النبي صلى الله عليه وسلم قسمة حنين قال رجل من الأنصار : ما أراد بها وجه الله ، فأثبت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فتغير وجهه فقال : رحم الله موسى لقد أودى بأكثر من هذا .

ثانيا : ما أخرجه البخارى وغيره عن أبى سعيد الخدرى أنه قال : بينا النبى صلى الله عليه وسلم يقسم جاء عبد الله بن ذى الخويصرة التميمى فقال : اعدل يا رسول الله . فقال : ويحك ومن يعدل إذا لم أعدل ؟ قال عمر بن الخطاب : ائذن لى فأضرب عنقه . فقال : دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاته وصيامه مع صيامه ، يمروون من الدين كما يمرق السهم من الرمية اه .

ووجه المعارضة أن الذى صدر من هذين الرجلين فى حق الرسول صلى الله عليه وسلم يعتبر كفرا وردة ، ومع ذلك لم يأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بقتلها ولا باستتابتهما ، ومنع عمر من قتل الثانى ، فدل ذلك على أن المرتد لا يقتل بل ولا يستتاب كما رآه حضرة المجتهد الجديد .

والجواب عن ذلك : أما عن الرجل الأول فإنه كان من المنافقين ، واسمه معتب بن قشير من بنى عمرو بن عوف . ومن المعلوم أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان فى بدء الإسلام يتغاضى عن المنافقين وعمما يحصل منهم من إيذاء حتى لا يعرف عنه أنه يقتل أصحابه فتتفر الناس عن الدخول فى الإسلام ، وكان يرجو أن يهديهم الله الى الإيمان كغيرهم ويعاملهم معاملة المؤمنين ويصلى على من مات منهم ، ولما استقر الإسلام وظهر أمره الله بجهادهم كظهرى الكفر ، فقال الله تعالى : « يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين » ونهاه عن الصلاة عليهم فقال تعالى : « ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره » .

هذا - واعلم أن ابن حزم فى المحلى ذكر المنافقين وما كان يحصل منهم فى حق الرسول صلى الله عليه وسلم على أنه شبهة لمن يقول بعدم قتل المرتد وأطال الكلام فى ذلك ، وخلاصة ما أجاب به أن المنافقين أقسام : منهم من لم يكن يعرف الرسول عينه ، ومنهم من كان يعرفه ولكنة تاب . وأما من كان يعرفه وظهر منه مكفر ولم يتب ولم يقتله فلا أن ذلك كان قبل تشريع قتل المرتد . وقد علمت أن مأخذ ابن حزم فى حكاية هذا القول هو ما نقل عن النخعى وسبق تحقيق القول فيه . وصاحبنا المجتهد الجديد تبع ابن حزم فى حكاية هذا القول والشبه التى أوردها ، ولم يتبعه فى رأيه فيها ، بل زاد عليه القول بعدم استتابه المرتد أيضا ، مع أن ابن حزم حكى الإجماع على ذلك ، وعبارته « والأمة مجمعة على إكراه المرتد عن دينه ، فمن قائل يكره ولا يقتل ، ومن قائل يكره ويقتل » اه .

وأما عن الرجل الثانى فإن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر عنه بأنه رأس الخوارج ،

وذكر صفاتهم وأحوالهم ومآلهم وأمر بقتلهم وقتالهم ، ووقع كما أخبر . وذلك من دلائل نبوته .

إلا أن صدور هذا الكلام من هذا الرجل رئيسهم كان قبل أن يستقر الإسلام ، فكان الحال داعيا للتألف لئلا ينفر الناس عن الإسلام ، وقد ورد في بعض طرق هذا الحديث أنه حينما أراد عمر قتله ومنعه الرسول صلى الله عليه وسلم قال عليه الصلاة والسلام : « لا أريد أن يسمع المشركون أني أقتل أصحابي » وفي رواية : « معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي » ولذلك ذكر البخاري هذا الحديث تحت ترجمة (باب ترك قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه) .

وقد صح عن أبي سعيد الخدري راوى هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن استقر الإسلام بعث إلى هذا الرجل على بن أبي طالب ليقتله فلم يجده ، والله أعلم .

(تنفيذ الأدلة التي تخيلها من بنات فكره على ما ادعاه من مخالفة الاجماع)

أما قوله : ولا شك أن عدم قتل المرتد هو المناسب لما جاء به الإسلام من الحرية الدينية ، فغير صحيح على إطلاقه ، لا بالنسبة للمسلمين ولا بالنسبة للكفار ، أما المسلمون فقد تقرر في الشريعة عقوبات رادعة في الدنيا من حدود وتعازير لكل من تعدى منهم حدود الله ، فتارك الصلاة يعاقب بالقتل أو الحبس ، ومانع الزكاة تؤخذ منه قهرا ، فإن كان له منعة وقاتل يقاتل ، وهكذا . فأين الحرية الدينية لهم ؟ . وأما الكفار فإن كانوا من أهل الكتاب وأمثالهم فالمطلوب منهم إما الإسلام وأما دفع الجزية احتراماً لأصل دينهم ، وإن كانوا من غيرهم فالمطلوب منهم الإسلام فقط ، فأين الحرية الدينية المطلقة لهم ؟ .

وأما قوله : لأن الدعوة إليه إنما تكون بالحكمة والموعظة الحسنة ، فهذا صحيح على الجملة ، لكن إن لم تفد الحكمة والموعظة الحسنة وعاند الكافر ولم يسلم ولم يدفع الجزية - إن كان من أهل الكتاب - أو وقف في سبيل الدعوة على الرأي الحديث - فماذا يكون الحال ؟ أترك حراً ولا يقاتل أم يقاتل ؟ !

وأما قوله : إن القرآن نفى الإكراه في الدين نفياً صريحاً واستدلالة بالآيتين الشريقتين ، فهذا من عجائب الأفكار وغرائب الأفهام . أما الآية الأولى فكلام الأئمة فيها مشهور ، فمنهم من قال : إن معناها لا إكراه من الله تعالى في الدين ، ولا الجلاء ولا قسر ، بعد أن تبين

الرشد من الغي ، وإنما جعل الأمر موكولا الى اختيارهم أحد التجدين : طريق الهدى والرشاد وطريق الغي والضلال ، ليتحقق الابتلاء والامتحان في دار الدنيا ، ثم هو سبحانه وتعالى يجازى كلا حسبما فعل باختياره . وربما يتوهم أن هذا المعنى إنما يتمشى على مذهب المعتزلة الذين يقولون بخلق العبد أفعاله الاختيارية ، وليس بصحيح ، بل يجرى على مذهب أهل السنة أيضا لأنهم يقولون : إن للعبد كسبا واختيارا هو مناط التكليف . ومنهم من قال : إنه خبر بمعنى النهي ، والمعنى لا تتركوا أحدا على الإيمان ، وهي خاصة بأهل الكتاب ، فانهم يخبرون بين الإسلام ودفع الجزية ، وسبب نزولها يؤيد هذا الرأي . وهناك أقوال أخرى وكلها لا تمت الى المرتد بنسب ولا سبب .

وأما الآية الثانية فالجواب عنها هو مجرد تلاوتها بتمامها ، قال الله تعالى : « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها ، وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا » ولا شك أن العاصي الذي يسمع تلاوتها كل جمعة من قارئ (سورة الكهف) يفهم منها أن الغرض التهديد من الله تعالى للكافرين ، ولا يخطر في باله أن المعنى على الإباحة والتخيير ، إذ لا معنى للوعيد الشديد حينئذ .

وقد رأيت كتابا صغيرا يدرس لتلاميذ المدارس الأولية أو الإعدادية فيه التمثيل للأمر الوارد للتهديد بهذه الآية ، فكيف يغيب عن أستاذ في كلية اللغة العربية ما لم يجمله صبيان المكاتب ؟ ! فإذا كان هذا مبلغ إدراكه في اللغة العربية فكيف يصح أن يؤتمن على تدريسها ؟ هدايا الله وإياه الى سواء السبيل ٥

عيسى منور

عضو جماعة كبار العلماء وشيخ كلية الشريعة سابقا

بحوث في الحضانة

٢ - مدة الحضانة

١ - الغرض من الحضانة رعاية الصغير من وقت ولادته وحفظه وصيانته وتربيته والقيام عليه بكل ما يعود عليه بالمصلحة ، ولا يختلف فقهاء الشريعة في أن للحضانة أمدا مقررًا وغاية تنتهي إليها ، إذ يجمعون على أن الصغير أو الصغيرة يبقى كل منهما في رعاية الحضانة مدة محددة تنتهي بنهايتها حضانتها ، ولكنهم يختلفون في هذا الأمد وتحديد مقداره رغم اتفاقهم على أنه حق مؤقت .

٢ - يرى الحنفية أن هذا الأمد يختلف باختلاف نوع المحضون وباختلاف الحضانة ، فالحضانة بالنسبة للصغير تنتهي إذا استغنى عن الحضانة واستقل بأموره وشئونه من غير اعتماد عليها ، بأن أصبح قادرا على الأكل والشرب واللبس وحده ، وأضحى لا يستعين بأحد في استنجائه ووضوئه ، ومع اتفاقهم على أن استغناء الصغير هو الحد الفاصل بين الحضانة والصغير إلا أن فقهاء المذهب يختلفون في تقدير السن التي يستغنى فيها الصغير ، فالخشاف وغيره من فقهاء المذهب يقدرونها بسبع سنين ، اعتمادا على أن الغالب في الصغير إذا بلغ السابعة من عمره أن يستغنى عن الحضانة ويباشر أموره بنفسه من غير معونة أحد ، وقدرها بعض فقهاء المذهب بتسع سنين ، لكن الفتوى في المذهب على تحديد ذلك بسبع سنين . وجميع الحضانات في ذلك سواء ، فلا فرق بين أن يكون الصغير عند الأم أو إحدى الجدتين وبين أن يكون عند غيرهن من الأخوات والحالات والعلماء .

أما بالنسبة للصغيرة فأنهم يفرقون بين نوعين من الحضانات ، فإن كانت الصغيرة عند الأم أو إحدى الجدتين فإن الحضانة تنتهي ببلوغ الصغيرة ، وبلوغها يتحقق بالعوارض الطبيعية من حيض أو احتلام فإن لم يكن أحدهما فبالسن ، وإن كانت الصغيرة عند غير الأم أو إحدى الجدتين من الحضانات فإن حضانتها تنتهي ببلوغها حداً تشتهى فيه ، وهو ما يعبر عنه البعض ببلوغها سن المراهقة ، وقد قدر بعض فقهاء المذهب هذا الحد بتسع سنين ، وقدره بعض آخر بأحدى عشرة سنة ، ولكن الفتوى في المذهب على التحديد بتسع سنين . وهذا ظاهر الرواية في المذهب .

ونقل عن محمد بن الحسن - وهو رواية عن أبي يوسف أيضا - أن الصغيرة إذا كانت عند الأم أو إحدى الجديتين فإن حضانتها تنتهي أيضا ببلوغها حد الاشتاء ، وأنه لا فرق بين أن تكون الصغيرة في حضانة الأم أو إحدى الجديتين وبين أن تكون في حضانة غيرهن ، أى أن جميع الحاضنات في ذلك على قدم المساواة ، وهذا الرأى المنقول عن محمد وأبي يوسف هو الذى أفتى به فقهاء المذهب معالين ذلك بأن المصلحة تقتضى إنهاء حضانة الصغيرة في هذه السن ودفعها إلى الأب لفساد الزمان ، وقد قدمنا أن بعض الفقهاء حدد هذه السن بتسع سنين وأن البعض الآخر حددها بأحدى عشرة سنة وأن الفتوى في المذهب على التسع [١]

٣ - ويرى المالكية في المشهور عنهم أن حضانة الصغير تنتهى بالبلوغ ، فإذا بلغ باحتلام أو إجمال أو غير ذلك انتهت حضانته ، وعلى الأب أن يتعهدده عند أمه قبل البلوغ ، فينظر في شئونه ويقوم بتربيته بأرساله إلى دور التعليم أو أصحاب الحرف ليتعلم منهم ، ونقل عن المالكية في غير المشهور عنهم أن حضانة الصغير تنتهى باستغنائه ووصوله إلى السابعة كما يقول الحنفية ، أما الصغيرة فإن حضانتها تنتهى بزواجها ودخولها ، أى أنها تستمر في حضانة أمها بعد البلوغ إلى أن تتزوج ويدخل بها الزوج ، فلا تسقط حضانة الأم بمجرد عقد زواج المحضونة كما لا تسقط بالطلاق قبل الدخول ، فالمعول عليه في إسقاط الحضانة وإنائها هو الدخول ، لكن إذا دخل بها الزوج قبل البلوغ ثم طلقت وكان الطلاق قبل البلوغ أيضا عادت الحضانة إلى الحاضنة ولا كذلك فيما إذا طلقت بعد البلوغ [٢]

٤ - ويرى الشافعية أن الحضانة بالنسبة للصغير والصغيرة تنتهى متى صار كل منهما مميزا ، وقد اختلف فقهاء المذهب في تحديد السن التى يتحقق فيها التمييز ، فقال البعض : إنها السن التى يصل فيها الصغير أو الصغيرة إلى حال يستطيع فيها أن يأكل وحده وأن يشرب وحده وأن يستنجى وحده ، وقال بعض آخر : إنه سبع سنين فى الغالب ، وقد يكون ثمانى

[١] الهداية وفتح القدير ٣ - ص ٣١٦ ، ٣٠٧ ، حاشية ابن عابدين على الدر ٢ - ص ٦٥٧ ، تبين الحقائق

للزيلعي ٣ - ص ٤٩ .

[٢] حاشية الدسوقي على شرح خليل ٢ - ص ٥٢٦ ، الخطاب على شرح خليل ٢ - ص ٢١٤ ، نيل الاوطار

٥ - ص ٢٨١ ، الميزان الكبيرى للشمرواني ٢ - ص ١٣٣

سنين في غير الغالب ، لكن المدار عندهم على التمييز، فإذا صار المحضون مميزا فان حضانتهم تنتهي ويخير بين أبويه كما سيأتى في البحث التالى [١] .

٥ — ويرى الحنابلة أن حضانة الصغير والصغيرة تنتهى ببلوغ كل منهما السابعة من عمره ، فإذا وصل الصغير إلى هذه السن خير بين أبويه كما سيأتى في البحث التالى ، وأما الصغيرة فأنها لا تخير وإنما تدفع إلى الأب وجوبا ، وهناك روايات أخرى عن الحنابلة نقلها الشوكاني في نيل الأوطار والشعراني في الميزان الكبرى ، ولكننا لم نعثر عليها في كتب الحنابلة ، ولذلك أعرضنا عنها [٢] .

٦ — ويرى الليث بن سعد إمام أهل مصر أن حضانة الصغير تنتهى بوصوله إلى الزامنة من عمره ، أما الصغيرة فتنتهى حضانتها ببلوغها [٣] .

ويرى ابن حزم من فقهاء الظاهرية أن الحضانة تنتهى لكل من الصغير والصغيرة بالبلوغ ، فإذا ظهر على أحدهما علامة من علامات البلوغ الطبيعية مع التمييز وصحة الجسم سقطت حضانة الحاضنة أما كانت أو غيرها ، ونص عبارته : « الأم أحق بحضانة الولد الصغير والابنة الصغيرة حتى يبلغا المحيض أو الاحتلام أو الإنبات مع التمييز وصحة الجسم سواء كانت أمة أو حرة ، تزوجت أو لم تزوج ، رحل الأب عن ذلك البلد أو لم يرحل » [٤] .

٧ — ويتلخص مما قدمناه أن للفقهاء في انتهاء مدة الحضانة أربعة مذاهب :

المذهب الأول : الوصول إلى حد الاستغناء، ويتحقق غالبا في سن التمييز، وقدر ذلك سبع سنين ، وهو مذهب الشافعية والحنابلة والحنفية بالنسبة للصغير فقط وللصغيرة فيما إذا كانت في حضانة غير الأم والجدّة في بعض الروايات ، ويستدلون على رأيهم هذا بأن مهمّة الحاضنة هي حفظ الصغير ورعايته والعناية به وتربيته لعدم قدرته وتمييزه ، فإذا وجد لديه التمييز والفهم وأمكنه الاستقلال بأمور نفسه وأصححت له القدرة على مزاولتها

[١] حاشية القليوبي وعميرة على شرح المنهاج - ٤ ص ٩١ ، مفتى المحتاج شرح المنهاج - ٣ ص ٤٥٠ .

[٢] المغنّى لابن قدامة - ٥ ص ٦١٧ طبع المنار ، وانظر أيضا اكتشاف القناع ، نيل الأوطار - ٥ ص ٢٨١ طبع الحلبي ، الميزان الكبرى للشعراني - ٢ ص ١٣٣ طبع الأزهرية .

[٣] [٤] المحلى لابن حزم - ١٠ ص ٣٢٩ ، ٣٢٣ .

من غير معونة أحد - وغالبا يكون ذلك في سن السابعة - انتهت مهمة الحاضنة ، كما يستدلون بما رواه أحمد وأبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مروا صبيانكم بالصلاة لسبع سنين » (١) . فان الأب مأمور بأن يأمر الصبي بالصلاة إذا بلغ السابعة من عمره ، وهذا يقتضى أن يكون الولد عند أبيه في هذه السن حتى يتحقق أمر الأب له بالصلاة على وجه الكمال ، كما يقتضى أن يكون الصغير قادرا على الاستقلال بنفسه مستغنيا عن غيره ، إذ لو لم يكن قادرا على مباشرة أموره بنفسه ومنها الصلاة المحتاجة إلى التطهر بل قدر عليها بمعونة الحاضنة لما أمر بالصلاة ، لأن القدرة شرط التكليف باتفاق الأصوليين ، والقادر بقدرة الغير لا يعتبر قادرا .

وهناك رأى بتقدير هذه المرحلة ثمانى سنين ، وهو رأى الليث بن سعد بالنسبة للصغير ورأى في مذهب الشافعية ، كما أن هناك رأيا آخر بتقديرها بتسع سنين ، وهو رأى في مذهب الحنفية ، ولعل وجهة نظر هؤلاء أن استقلال الصبي وتمييزه لا يتحقق على وجه الكمال إلا في الثامنة أو التاسعة من العمر ، ولكننا قدمنا أن الراجح والمفتى به في هذه المذاهب هو السبع .

٨ - المذهب الثانى : سن المراهقة ، وهو ما يعبر عنه بحد الاشتاء ، وهذا رأى عند الحنفية بالنسبة للبنات إذا كانت في حضانة غير الأم أو إحدى الجدتين ، ورأى محمد وأبى يوسف فى البنات عند جميع الحاضنات ، وقد قدر بعض فقهاء المذهب ذلك بتسع سنين ، وقدره بعض آخر بأحدى عشرة سنة ، ولكن الفتوى فى المذهب على التسع ، ووجهة نظر هؤلاء أن البنات وإن كانت فى حاجة إلى البقاء مع الحاضنات - لما سيأتى فى تعليل ظاهر الرواية - إلا أن فساد الزمان وكثرة الفساد يقتضيان أن تكون البنات عند من يحفظها ويصونها من عوامل الإغراء والفساد فى سن مبكرة قبل البلوغ ، ولا أقدر على ذلك من الرجال .

٩ - المذهب الثالث : البلوغ الطبعى بعلامة من علاماته المعروفة ، وهذا رأى الظاهرية بالنسبة للولد والبنات ، ورأى المالكية بالنسبة للولد ، ورأى الليث بن سعد بالنسبة للبنات ، وظاهر الرواية عند الحنفية فيما إذا كانت الحاضنة أما أو جدة ، ووجهة نظرهم

— فيما عدا الحنفية — أن المحضون لا يستغنى عن الحضانة استغناء كلياً ولا يستقل بجميع أموره استقلالاً تاماً إلا بالبلوغ ، فهو إن استقل ببعض الأمور لكنه محتاج إلى المعونة والرعاية في البعض الآخر ، ولذلك لم توجه إليه الشريعة جميع التكاليف وتعتبره مسئولاً عن جميع التصرفات إلا عند بلوغه ، وهذا دليل كماله واستغنائه عن غيره ، أما وجهة النظر عند الحنفية فهي أن الصغيرة تستغنى وتستقل بأمورها في سن السابعة ، ولكنها بعد هذا الاستغناء في حاجة إلى أن تتعلم آداب النساء في التدبير المنزلى وغيره من غسل وطبخ وخبز وكى وما إلى ذلك ، والنساء أقدر على ذلك من الرجال وبه أدرى وأهدى ، فإذا بلغت احتاجت إلى التحصين والحفظ ، والرجل على هذا النوع أقدر وأبصر .

١٠ — المذهب الرابع : وقت الزفاف ، وهذا رأى المالكية بالنسبة للمحضونة فقط ، ولعل وجهة نظرهم في ذلك أن المحضونة ما دامت لم تتزوج فهي في حاجة إلى الرعاية والإشراف من النساء ولا تستغنى عنهن نهائياً إلا بزفافها على زوجها ، إذ بهذا تعتبر برة بيت ، والعادة الغالبة أن البنت لا تتزوج إلا إذا كانت قادرة على القيام بأمور بيتها من غير استعانة بأحد .

١١ — هذه هي المذاهب المختلفة في إنهاء مدة الحضانة ، ووجهة النظر التي بنى عليها الفقهاء آراءهم . ولكننا نلاحظ على رأى المالكية ببقاء البنت في حضانة الحضانة حتى الزفاف الأمور الآتية :

(١) أن الغرض من الحضانة وهو الحفظ والتربية لا يمكن أن يبقى بحال إلى السن التي نتزوج فيها المحضونة ، إذ غاية الحضانة تنتهى باستقلالها عن الحضانة ونيلها شيئاً من آداب النساء ، وهذا يتحقق قبل الزواج بمرحلة كبيرة ، فالقول بامتداد الحضانة إلى زواج المحضونة وزفافها قول لا يتحقق فيه الغرض المقصود من الحضانة فيكون باطلاً .

(٢) أن الصغيرة إذا وصلت إلى سن المراهقة احتاجت إلى من يصونها ويحفظها ويثقفها ، والرجال أقدر على ذلك من النساء ، وما نظن أن المرأة — وخصوصاً في مجتمعنا الحالي — قادرة على ذلك على وجه الكمال .

(٣) ما يقوله ابن حزم من أن : « البنت قد تزوج وهي في المهد ، وقد لا تتزوج وهي

بنت تسعين سنة ، ورب بكر أصلح وأنظر من ذوات الأزواج ، وبضرورة الحس يدري كل أحد أن الزواج لم يزدها عقلا لم يكن ، ولا صلاحا لم يكن » [١]

(٤) أن عرف الناس الذي لا ينكر أن البنت تخطب من وليها لا من الحاضنة لها ، وهذا يقتضى أن تكون البنت عند أبيها في ذلك الوقت لا عند الحاضنة .

(٥) أن القول ببقاء البنت في الحضانة حتى الزفاف معناه سلب الأب ولاية الإشراف على تربية بناته ، لأنها إذا استمرت في الحضانة الى الزفاف ثم انتقلت الى بيت زوجها وللزوج الإشراف والرعاية - فأنى يكون للأب إشراف على بناته أو توجيه ؟ وفي هذا ضرر خطير بالمجتمع ، وأى بلاء أنكى وأفتك بالمجتمع من أن تحرم فتيات من حماية الآباء والإشراف عليهن وتربيتهم ، وأن يكون ذلك كله قاصرا على النساء وحدهن ، وقد يقال : إن الأب له الإشراف والتربية والتوجيه على بنته وهى عند حاضنتها . والجواب عن ذلك أن النزاع في الحضانة إنما يكون عند افتراق الزوجين عن بعضهما ويستتبع هذا - كما هو معلوم مشاهد - كيد كل منهما للآخر والترقب به والالتجاء الى المحاكم ودور البوليس ، وهذا من شأنه أن يمنع أو يعرقل إشراف الأب على بناته وتربيتهم من جانب الأم إيذاء للأب وإضراراً به .

١١ - ونلاحظ على القول ببقاء المحضون الى البلوغ ما يأتى :

(١) أن الغرض المقصود من الحضانة ينتهى فى سن السابعة أو بعدها بقليل ، فالقول ببقائها حتى البلوغ قول عار عن الفائدة لتحقيق المقصود قبل البلوغ .

(٢) أن بقاء الغلام الى البلوغ فيه سلب الأب ولاية الإشراف على تربية أبنائه ، إذ من المقرر أن الصغير متى بلغ فله الحرية فى أن يستقل عن أبويه ، وليس لأبيه أن يضمه إليه إلا فى حالات مخصوصة .

(٣) أن البنت إذا بلغت سن المراهقة احتاجت الى من يحميها ويصونها ، والأب أقدر على ذلك من الحاضنة .

١٢ - كما نلاحظ أخيرا أن حشد الاستغناء الذى يعبر عنه بعض الفقهاء بحشد التمييز

[١] المحلى لابن حزم ج ١٠ ص ٣٢٩ وما بعدها

ويحددونه بسبع سنوات يحقق الغاية المقصودة من الحضانة ، إذ الصغير في هذه السن غير محتاج إلى الحاضنة في أموره لقدرته وتميزه ، ولذلك تكاد تتفق كلمة فقهاء الشريعة على أن الصبي المميز هو من بلغ سبع سنين ، ولذلك أيضا خاطبه الشارع في هذه السن بأول خطاب ، حيث أمر الآباء بأن يأمرُوا الأبناء بالصلاة في سن السابعة ، وقد جعلت الدولة سن الإلزام في التعليم ست سنوات ، وما نظن أنها ألزمت الآباء بأن يرسلوا أبناءهم وبناتهم مع الحاضنات إلى دور التعليم ، غير أن البنت بطبيعتها تحتاج إلى مزيد من آداب النساء وتربيتهن ، ويكفى في هذا أن تكون في حضانة النساء إلى سن المراهقة ، فتبقى في حضانتهم إلى التاسعة من عمرها ، ومع ذلك فيجب أن تعطى للقاضي فسحة في أن يأذن بامتداد الحضانة لكل من البنت والولد سنتين بعد ذلك أخذا بأحد رأيين في مذهب الحنفية إن رأى داعيا إلى ذلك في بعض الحالات : كمرض أو هزال أو غير ذلك من الحالات التي تستدعي بقاء المحضون في رعاية الحاضنة ، وهذا هو ما نراه مناسبا لحال الأمة الاجتماعية ، رعاية لمصلحة الصغار ونظرا لهم وضمانا لنشء سليم قادر على تحمل أعباء الحياة وتبعاتها ، وعلى ذلك فلا نرى داعيا لتغيير المادة رقم ٢٠ من القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ الخاصة بجعل سن الحضانة للولد سبع سنوات وللبنات تسع سنوات مع جواز الإذن بامتداد الحضانة إلى سنتين بعد ذلك ، بل إننا نرى أن التغيير ورفع السن فوق ذلك مفسدة تعود على المجتمع بالضرر والوبال لما بيناه .

٣ - التخيير بين الأبوين

عند انتهاء الحضانة

١ - إذا انتهت حضانة الحاضنة فهل يخير المحضون بين البقاء مع أمه أو الانتقال إلى أبيه ؟

اختلف الفقهاء في ذلك - :

فذهب الشافعي وإسحاق بن راهويه إلى أن الصغير أو الصغيرة إذا بلغ كل منهما السابعة من عمره خير بين البقاء مع أمه أو الذهاب مع أبيه ، فإن اختار أمه بقي معها وإن اختار أباه دفع إليه .

وذهب أحمد بن حنبل إلى أن التخيير خاص بالولد ، أما البنت فأنها لا تخير وتدفع إلى أبيها وجوبا .

وذهب الحنفية والمالكية والظاهرية إلى أنه لا تخيير أصلاً ، ولذا كان المحضون أو بنتا ، وذهب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم إلى أن أحد الأبوين إذا كان أصلح من الآخر قدم عليه ، أما إذا لم يعلم ذلك خير المحضون بين أبويه أو استهما عليه (١) .

وينبغي أن يلاحظ أن من يقول بالتخير يقيد ذلك بأمرين : - الأول - أن يكون كل من الأب والأم أهلاً للحضانة ، فإن كان أحدهما غير أهل لها كان كالمعدوم ويتعين الآخر . - الثاني - ألا يكون المحضون معتوها ، فإن كان معتوها فإنه لا يخير ويبقى عند الأم .

٢ - استدلل من يقول بالتخير بما يأتي :

أولاً : بما رواه أحمد وابن ماجه والترمذي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم خير غلاماً بين أبيه وأمه ، وفي رواية - رواها أبو داود - أن امرأة جاءت فقالت : يا رسول الله : إن زوجي يريد أن يذهب بابني وقد سقاني من بئر أبي عتبة وقد نفعتني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : استهما عليه ، فقال زوجها : من يحاقني في ولدي ؟ . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هذا أبوك وهذه أمك فخذ بيد أيهما شئت ، فأخذ بيد أمه فانطلقت به .

ثانياً : بما رواه أحمد والنسائي عن عبد الحميد بن جعفر الأنصاري عن جده ، أن جده أسلم وأبت امرأته أن تسلم ، فغضب بآب له صغير لم يبلغ ، قال : فأجلس النبي صلى الله عليه وسلم الأب ههنا والأم ههنا ، ثم خيره ، وقال : اللهم اهده ، فذهب إلى أبيه ، وفي رواية رواها أحمد وأبو داود عن عبد الحميد بن جعفر قال : أخبرني أبي عن جدي رافع بن سنان أنه أسلم وأبت امرأته أن تسلم ، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : ابنتي وهي فطيم أو شبهه ، وقال رافع : ابنتي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقعد ناحية ، وقال لها : أقعدى ناحية ، فأقعد الصبية بينهما ، ثم قال : ادعواها ، فالت إلى أمها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم اهدها فالت إلى أبيها فأخذها .

فهذه النصوص واضحة في التخيير بين الأبوين وأنه لا فرق بين الغلام والجارية كما هو واضح من رواية أحمد وأبي داود عن عبد الحميد بن جعفر ، فإن التي قد خيرت في هذه الرواية كانت بنتا .

[١] المراجع السابقة في البحث السابق ، وانظر أيضاً الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣ ص ١٦٤ ، نيل الأوطار ٦ ص ٢٨١ ، المحلى لابن حزم ١٠ ص ٢٢٦ ، ٢٣١ .

ثالثا : ان المقصود من الحضانة النظر إلى المحضون ورعاية مصلحته ، والمميز أعرف بحظه ومصلحته فيرجع إلى رأيه واختياره ، وهذا أمر يتساوى فيه الذكر والأنثى ، وفي ذلك يقول ابن قدامة في المغنى : ان المقصود هو مصلحة الصغير بدفعه بعد الاستغناء الى من هو أشفق عليه وأكرم ، ولما لم يمكن الوصول الى حقيقة الشفقة اعتبرنا مظنتها وهي اختيار المحضون ، فإنه إذا بلغ السابعة استطاع أن يعرب عن نفسه ويميز بين الإكرام وضده ، فإذا مال إلى أحد الأبوين دل ميله على أنه أرفق به وأشفق عليه وأن حظه ومصلحته في أن يكون عنده .

٣ — غير أن الإمام أحمد يقول : إن النصوص لم ترد إلا في الغلام ، وما ورد في بعض الروايات من تخيير البنت فإنها لم تصح ، وكذلك إجماع الصحابة قد ورد في الغلام لا في البنت ، فروى عن عمر أنه خير غلاما بين أبيه وأمه رواه سعيد ، وروى عن عمارة الجرمي أنه قال : خيرني على بين أمي وأبي وكنت ابن سبع أو ثمان ، وروى نحو ذلك عن أبي هريرة ، وهذه قصص في مظنة الشهرة فكانت إجماعا [١] .

٤ — واستدل من لا يرى التخيير بما يأتي :

أولا : بما رواه أحمد وأبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، أن امرأة قالت : يا رسول الله ، إن ابني هذا كان بطني له وعاء ، وحجرى له حواء ، وثديي له سقاء ، وزعم أبوه أنه ينزعه مني فقال : « أنت أحق به ما لم تنكحى » فان الرسول عليه الصلاة والسلام لم يقيد أحقية الأم به إلا بأمر واحد وهو عدم الزواج ، ولو كانت أحق به عند التخيير لبين لها ذلك ، فحيث اقتصر على ذلك دل على أنه لا تخيير .

ثانيا : بما رواه البخارى ومسلم عن البراء بن عازب أن ابنة حمزة اختصم فيها على وجعفر وزيد ، فقال على : أنا أحق بها وهي ابنة عمي ، وقال جعفر : بنت عمي وخالتها تحتي ، وقال زيد : ابنة أختي ، فقضى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالتها ، وقال : الخالة بمنزلة الأم ، فهذا قضاء من الرسول عليه الصلاة والسلام لم يخير فيه فدل ذلك على أنه لا تخيير .

ثالثا : بأن الصبي وإن وصل إلى سن التمييز فإن عقله لا زال قاصرا ولا يعرف مصلحته ، فربما اختار من يلعب عنده ويترك تأديبه ويمكنه من شهواته ، فيؤدى إلى فساد .

٥ — واستدل ابن تيمية وابن القيم بالأدلة العامة من مثل قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا » ولا تتحقق وقاية الأهل والأولاد إلا بدفعهم إلى الأصلح عند ظهوره فيكون أحق به من غيره ، ولأن المصلحة في دفع الصغير إلى الصالح من أبويه فيتعين المصير إليه ، كما جعلنا المناط في الحضانة مصلحة الصغير دون غيرها ، وقد حكى ابن القيم عن شيخه ابن تيمية أنه قال : تنازع أبوان صبيا عند الحاكم ، فخير الولد بينهما ، فاختار أباه ، فقالت أمه : سله لأى شىء يختاره ؟ فسأله فقال : أمتى تبعثنى كل يوم إلى السكاتب والفقير وهما يضربانى وأبى يتركنى ألعب مع الصبيان ففضى به للآم .

٦ — هذه هى أدلة الفقهاء فى موضوع التخيير ، وقد رد من لا يرى التخيير على أحاديث التخيير بأن حديث أبى هريرة بتخيير النبي صلى الله عليه وسلم غلاما بين أبويه وأممه محمول على غلام بالغ ، بدليل ماورد فى بعض روايات هذا الحديث - وهى رواية أبى داود - أن الغلام كان يستقى من بئر أبى عتبة ، ومن دون البلوغ لا يرسل إلى الآبار للاستقاء منها لخوف عليه من السقوط فيها لقلة عقله وعجزه عن الاستقاء غالبا ، ولا شك أن البالغ مخير بين أن يكون عند أحد أبويه وبين أن ينفرد بالسكنى [١] .

أما حديث عبد الحميد بن جعفر ففى إسناده اختلاف كثير ، وألفاظه مختلفة ، فرواية تذكر أن المخير كان غلاما ، وأخرى أن المخير كان بنتا ، ومرة تذكر أن المخير اختار أباه أول الأمر ، ومرة تذكر أنه اختار أمه أولا ثم اختار أباه بدعاء الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولذلك قال فيه ابن حزم : إن هذا الحديث لم يصح قط ، وعلى فرض صحته فإن المخير إنما وفق لاختيار الأصلح له ببركة دعائه عليه الصلاة والسلام ، ومثل ذلك لا يتحقق بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ، فلم يبق إلا أن يدفع إلى من يظن فيه المصلحة بعد انقضاء مدة الحضانة ، والأب هو المظنة دون الأم لما قدمنا في دفعه إليه (٢) .

أما القول بأن الصبي المميز أعرف بمصلحته فقول يدفعه الواقع ، إذ لم يقل أحد بأنه كامل الإدراك والتمييز ، بل إن الشافعية لا يصححون له تصرفا من التصرفات قبل البلوغ ، لأن وجود الولي شرط فى ذلك عندهم ، وقد يدفعه قصور عقله إلى اختيار من يدلله ويخلى بينه وبين اللعب فيترب على دفعه إليه ضياع الصبي وفساده .

[١] و [٢] فتح القدير ج ٣ ص ٣١٨ ، ٣١٩ ، نيل الأوطار ج ٦ ص ٢٨٠ ، ٢٨١ ، المحلى لابن حزم

٧ — أما ادعاء الحنابلة الإجماع على التخيير في الغلام فإنه لم يصح هذا الإجماع ، وكيف يصح ثم يخالفه مثل أبي حنيفة ومالك ، أما الوقائع التي جعلها مستند الإجماع فقد نقل عن بعض الصحابة أنهم لم يخيروا كما نقله صاحب الهداية ، وعلى فرض عدم المخالف فغايه ما تفيد هذه الوقائع هو الإجماع السكوتي ، وهو مختلف في الاحتجاج به .

٨ — ويلاحظ على رأي ابن القيم وشيخه ابن تيمية أننا نقول أيضا بدفع المحضون إلى الأصلح والأشفق ، لكن هذا لا يمكن الوصول إلى حقيقته لخلفائه ، والحكم في مثله يناط بمظنة المصلحة ، والمظنة في دفعه إلى الأب لأنه مظنة الإشفاق والعطف على ولده بما يحقق مصالحته الكاملة ، فيجب الدفع إليه .

أما كون الأب مهما مضيعا ولده فهذا إنما يظهر بعد ضمه ، ومثل هذا أمر نادر لمخالفته الجبلية الطبيعية والفطرة التي فطر الله الناس عليها ، ومع ذلك فأننا في هذه الحالة نرى أن يقوم ولى الأمر بتعزيره وإرغامه على أن يسلك الطريق السوى في رعاية ابنه وتربيته تربية كاملة .

٩ — أما أحاديث من لا يرى التخيير فأننا نرى أنها محل نقاش ، فإن حديث « أنت أحق به ما لم تنكح » قد قيد بما إذا فعلت فعلا يسقط حضانتها ، فإنها ليست أحق به في هذه الحالة ، وعلى ذلك فللقائلين بالتخيير أن يقيده بأحاديث التخيير ويجمعون بينها ، ويكون المعنى : أنت أحق به ما لم تنكح وما لم يخرأباه إذا بلغ مرحلة التمييز . أما حديث ابنة حمزة فأنما يصح الاستدلال به لوعلمنا أن ابنة حمزة قد وصلت إلى سن التمييز والادراك ، وما لم نعلم ذلك فيحتمل أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد دفعها إلى الحضنة لأنها لم تصل إلى هذه المرحلة ، فيكون الحديث في غير محل النزاع ، فلم يبق معنا ما يصلح للاستدلال إلا قصور عقل المحضون الذي قد يدفعه إلى اختيار غير الصالح له فيضر ذلك به مع وجود أبيه الذي يعتبر الدفع إليه مظنة المصلحة ، فيجب المصير إلى ذلك وعدم التخيير .

والله الهادي إلى سواء السبيل ، وهو أعلم بالصواب ما

عيسى أحمد عيسى

المدرس بكلية حقوق عين شمس

بحوث

في مصادر الشريعة النظرية

— ١ —

اتفقت كلمة العلماء على أن الشريعة الإسلامية نزلت لتقرير أحكام الوقائع التي تحدث للناس في هذه الحياة ، فلا توجد واقعة إلا لها حكم مدلول عليه فيها ، غير أنه سبحانه لحكمة بالغة لم ينص على كل أحكامه ، بل نص على بعضها في كتابه الكريم ، أو سنة رسوله الأمين صلى الله عليه وسلم ، وسكت عن النص على أكثر الأحكام ، ولكنه أقام عليها دلائل أخرى ، وأرشد الناس إليها ، ومهد الطرق التي توصلهم إلى معرفتها ، ليتوصل المجتهدون وأهل الذكر إلى معرفة الحكم فيما لم يدل على حكمه نص في الكتاب أو السنة . يقول الإمام الشافعي في رسالته الأصولية : « كل ما نزل بمسلم ففيه حكم لازم ، أو على سبيل الحق فيه دلالة موجودة ، وعليه إذا كان فيه بعينه حكم اتباعه ، وإذا لم يكن فيه بعينه حكم طلب الدلالة على سبيل الحق فيه بالاجتهاد » [١] .

وهذا النوع من الدلائل هو ما قصدنا الكلام عليه في هذه البحوث ، وسيرى المطلع على هذه المصادر أنها معين لا ينضب ، وممدد لا ينفد ، وأنها تتناول أحكام ما لا يتناهى من الحوادث ، وكل ما يمكن تصوره من الوقائع ، وأن فيها من المرونة والخصوبة ما يكفل حركة تشريعية متجددة ، وقوانين وأحكاما تتطور بتطور أحوال الناس ، وتسمع مقتضيات العصور على اختلافها ، وتقوم بحاجات الشعوب على تباعد ما بينها ، وأن فيها البرهان العملي على سماحة الشريعة وملاءمتها لكل الأزمنة ، والمجتمعات الدامغة في وجه الطاعنين عليها بالجمود ، وأنها ليست — كما يزعم بعض المستشرقين ومن نحأ نحوهم — ضيقة المجال لا تنفي بأحكام الحوادث ، أو قديمة العهد لا تلائم ما جد من المعاملات ومقتضيات الحياة في العصور الحديثة .

وهذه المصادر كثيرة، وسنقتصر هنا على أهمها وهي: القياس، والاستحسان، والمصالح المرسلة، والاستصحاب، وسنتكلم فيها على هذا الترتيب.

١ - القياس

القياس : هو أول مصدر تشريعي يلجأ إليه المجتهد لاستنباط الحكم فيما لا نص فيه ولا إجماع ، وهو أوضح طرق الاستنباط وأقواها ، وبه تعرف أساليب الشريعة ، ويوقف على أسرارها ودقائقها ، إذ هو المرشد لمعرفة عال الأحكام ، والوسيلة إلى الإحاطة بمقاصد الشريعة الغراء من جلب المصالح ودرء المفاسد .

وبيان ذلك : أن الأحكام التي وردت النصوص بها مبنية - كما يقول المحققون من العلماء - على علل وأسباب شرعت لأجلها ، وأن لكل حكم شرعي حكمة تلائم شرعه ، ومرجع هذه الحكمة إلى تحقيق مصالح العباد في العاجل والآجل معا ، وقد أشار الشارع إلى هذا بما بينه من مقاصده في بعض ما شرعه ، فقال تعالى في آية الوضوء : « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج واسكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم » [١] وقال في الصلاة : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » [٢] وقال في الصيام : « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » [٣] وقال في فرض الزكاة : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها » [٤] وقال في الحج : « ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام » [٥] وقال في إيجاب القصاص : « ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون » [٦] وقال في النفي : « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذی القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم » [٧] وقال الرسول صلى الله عليه وسلم في وجه طهارة الهرة : « إنها من الطوافين عليكم والطوافات » وقال في وجه المنع عن بيع الثمر قبل أن يبدو صلاحه : « أرأيت إن منع الله الثمر يأخذ أحدكم مال أخيه » وقال في المنع عن الجمع بين البنت وعمتها أو خالتها : « إنكم إن فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم » إلى غير ذلك من النصوص التي تدل على أن

[٢] آية : ٤٥ من سورة العنكبوت

[٤] آية : ١٠٣ من -سورة التوبة

[٦] آية : ١٧٩ من -سورة البقرة

[١] آية : ٦ من سورة المائدة

[٣] آية : ١٨٣ من -سورة البقرة

[٥] آية : ٢٨ من سورة الحج

[٧] آية : ٧ من سورة الحشر

المقصود من تشريع الأحكام رعاية مصالح الناس أفرادا وجماعات ، وإذا كانت الأحكام المنصوص عليها قائمة على رعاية المصالح ، فإذا قرر الشارع للواقعة حكما ، ونبه في الآية أو الحديث على المصلحة المناسبة لتقريره ، أو كانت تلك المصلحة ظاهرة ظهورا لا شبهة فيه ، كان للمجتهد أن يعتمد إلى كل واقعة تحققت فيها تلك المصلحة ، ويسوى بينها وبين الواقعة المنصوص عليها في الحكم ، وهذا هو ما يعرف عند الأصوليين بالقياس .

فالقياس - عندهم - أن يقصد المجتهد إلى حكم واقعة من الوقائع التي ورد النص أو الإجماع بحكمها فيثبت له واقعة أخرى لم يرد نص ولا إجماع بحكمها ، لاشتراك الواقعتين في علة الحكم ومصلحته .

فإذا دل الكتاب أو السنة أو الإجماع على حكم واقعة وعرف المجتهد المصلحة التي قصدها الشارع من تشريع الحكم وأدرك العلة الظاهرة التي ربط تشريعه بها ، ثم وجد واقعة أخرى لم يرد حكمها في واحد من هذه الأدلة ولكنها تشترك مع الواقعة الأولى في تلك العلة فإنه يغلب على ظنه اشتراك الواقعة التي سكت الشارع عنها مع الواقعة المنصوص أو المجمع عليها في الحكم بناء على اشتراكهما في العلة ، وعندئذ يلحق الواقعة التي سكت الشارع عن بيان حكمها بالواقعة التي بين الشارع حكمها ويسوى بينهما في الحكم . فهذا الإلحاق والتسوية يسمى قياسا في اصطلاح الأصوليين ، وما ورد النص أو الإجماع بحكمه يسمى عندهم بالأصل أو المقيس عليه ، وما لم يرد النص أو الإجماع بحكمه يسمى بالفرع أو المقيس ، والمعنى الذي لأجله شرع الحكم في المنصوص أو المجمع عليه يسمى بالعلة ، والأمثلة على ذلك كثيرة منها :

١ - قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم متبهون » (١) . أفاد هذا النص الكريم تحريم الخمر ، وبين المعنى المقتضى لهذا التحريم ، وهو ما يترتب على شرب الخمر من المفاسد الدينية والدنيوية من الصد عن طاعة الله تعالى وإيقاع العداوة والبغضاء بين الناس .

والخمر - عند علماء الحنفية - اسم لشراب خاص ، وهو المتخذ من عصير العنب

من غير طبخ بالنار (١) وعلى هذا لا يكون هذا النص متناولا لغير الخمر من الأشرية الأخرى كالنبيذ ونحوه ، ولكن هذه الأشرية يترتب على شربها ما يترتب على شرب الخمر من المفاسد التي بينها الله تعالى في كتابه فيكون حكمها حكم الخمر وهو التحريم بطريق القياس .

٢ - وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا يتناجى اثنان دون واحد فان ذلك يحزنه » (٢) فانه ينهى عن تناجى الاثنين وانفرادهما بالحديث سرا إذا كان معهما ثالث ، وبين العلة في هذا النهى وهي أن الاثنين إذا تناجيا دون رفيقهما أحدث هذا العمل حزنا له ، وأوقع في نفسه أنه ليس أهلا للسر أو أن حديثهما في شأنه ، وذلك مما يكدر صفو الإخاء بين الناس ويقطع جبل الأخوة والصدقة بينهما ، وتوجد واقعة أخرى لم يبين الشارع حكمها ولكنها تشترك مع الواقعة المنصوص عليها في هذه العلة ، وهي أن يتحدث اثنان بلغة لا يعرفها رفيقهما إذا كانا يجيدان الحديث بلغة يعرفها الرفيق ، فللمجتهد أن يقيس هذه الواقعة على الواقعة التي ورد النص بها ويحكم بالنهى عنها بطريق القياس .

هذا هو معنى القياس ، وهذه بعض أمثله ، ومنها يتبين أن مدار القياس على مساواة الواقعة التي سكت الشارع عن بيان حكمها للواقعة التي بين الشارع حكمها ومشاركتها لها في علة الحكم وإدراك المجتهد لذلك ، وهذا أمر لا يختلف فيه القائلون ببحجية القياس ، كما أنهم لا يختلفون في أن القياس المتعارف عند الفقهاء في مواطن الاستدلال وعند الأصوليين في مواطن البحث عن أحواله هو القياس بمعنى فعل المجتهد ، وهو إدراك ثبوت حكم المنصوص أو المجمع عليه للسكوت عنه استنادا إلى مساواتهما واشتراكهما في علة الحكم ، وإنما يختلفون في النظر إلى هذه الأمور والبناء عليها في تحديد القياس وبيان مفهومه ومعناه من حيث هو دليل شرعي كغيره من الأدلة الشرعية : كالكتاب والسنة والإجماع ، وكان لهم في تعريفه طريقتان :

طريقة تعرفه على أنه فعل صادر عن المجتهد متعلق بالمقيس والمقيس عليه ، وهذه هي طريقة المتقدمين : كالإمام أبي منصور الماتريدي ، والقاضي الباقلاني ، وأبي الحسين البصري ، وجرى عليها بعض المتأخرين : كفخر الدين الرازي ، وابن السبكي ، وصدر الشريعة .

وطريقة تعرفه على أنه معنى قائم بكل من المقيس والمقيس عليه يقتضى اشتراكهما

[١] راجع بدائع الصنائع ٥ ص ١١٢

[٢] بلوغ المرام مع شرح سبل السلام ٤ ص ٩٣٦

في الحكم، وهذه طريقة بعض المتأخرين: كالأمدى، وابن الحاجب، والكمال بن الهمام، ولكل من الطريقتين تعريفات كثيرة نذكر هنا أهمها :

أهم التعريفات على طريقة المتقدمين :

أورد المتقدمون تعريفات كثيرة للقياس أهمها تعريف القاضى البيضاوى وتعريف ابن السبكي. أما القاضى البيضاوى فقد عرفه في كتابه «المنهاج» بقوله: «القياس إثبات حكم معلوم في معلوم آخر لا اشتراكهما في علة الحكم عند الثبوت» (١) أى في نظر القائس وهو المجتهد. وأما ابن السبكي فقد عرفه في «جمع الجوامع» بقوله: «القياس حمل معلوم على معلوم لمساواته له في علة حكمه عند الحامل» (٢) .

وهما تعريفان بمعنى واحد فكلاهما يجعل القياس اسماً لإدراك المجتهد ثبوت حكم المقيس عليه للقياس لا اشتراكهما في علة الحكم في نظره واعتقاده سواء أكان مطابقاً للواقع أم مخالفاً له، وهو ما عبر عنه الأول بقوله: «إثبات حكم معلوم... الخ» وعبر عنه الثانى بقوله: «حمل معلوم... الخ» .

أهم التعريفات على طريقة المتأخرين :

وقد أورد المتأخرون أيضاً تعريفات كثيرة للقياس على طريقتهم، أهمها تعريف ابن الحاجب المالكي الذى يعتبر أصلاً عداه من تعريفات المتأخرين وهو: «القياس مساواة فرع لأصل في علة حكمه» (٣) وهو تعريف واضح في أن القياس اسم لنفس المساواة بين الفرع والأصل في علة الحكم، وليس اسماً لإدراك المجتهد هذه المساواة وإثبات الحكم في المسكوت عنه بناء على ذلك، كما هو رأى المتقدمين .

ولكل من الفريقين وجهة فيما ذهب إليه، أما المتقدمون فانهم نظروا إلى أن القياس مأمور به من قبل الشارع، وهذا يقضى بأن القياس الشرعى هو فعل المجتهد، لأن الأمر - كما هو مقرر - لا يتعلق إلا بفعل المكلف، وفعل المكلف إنما هو إدراك الحكم فيما لا نص فيه ولا إجماع المستند إلى المساواة والمشاركة في علة الحكم، أما نفس المساواة والمشاركة فليست من عمله وإنما هى من صنع الشارع وجعله .

(١) المنهاج للبيضاوى بشرح نهاية السؤل لجمال الدين الأسنوى المطبوع بهامش التقرير والتجوير شرح التحرير

(٢) جمع الجوامع بشرح الجلال المحلى وحاشية المطار عليه ج ٢ ص ١٢٨

(٣) المختصر لابن الحاجب مع شرح العنبد ج ٢ ص ٢٠٤

وأما المتأخرون فانهم نظروا إلى أن القياس حجة شرعية موضوعة من قبل الشارع ، وهذا يقتضى أن يكون القياس وضعاً إلهياً متقررًا في ذاته ، سواء نظر فيه المجتهد أو لم ينظر . وعلى هذا لا يكون فعلاً للمجتهد ، ولا متوقفاً على نظره ، كما هو الشأن في سائر الأدلة الشرعية ، ولا ريب أن الذى يصدق عليه أنه كذلك هو المساواة والمشاركة في العلة لأنها وضع إلهي متقرر في ذاته نظر فيه المجتهد أولاً ، أما فعل المجتهد فانه ليس وضعاً إلهياً ولا متقررًا في ذاته ، لتوقفه على نظره واجتهاده ، بفعله حقيقة القياس - كما قال المتقدمون - يخرجهم عن سنن الأدلة الشرعية ، ويجعله بدعاً منها .

وقد أجاب أتباع المتقدمين عما تضمنه كلام المتأخرين من نقد لطريقة المتقدمين بأن كون القياس حجة شرعية موضوعة من قبل الشارع لا ينافي أن يكون فعلاً للمجتهد ، إذ لا مانع من أن يجعل الشارع فعل المجتهد المستند إلى المساواة في العلة دليلاً له على حكم الفرع ، ففعل المجتهد من جهة جعل الشارع له دليلاً يصدق عليه أنه وضع إلهي ، ومن جهة استناده إلى المساواة التي هي متقررة في ذاتها يصدق عليه أنه متقرر في ذاته ، فتعريف القياس بفعل المجتهد - كما جرى عليه المتقدمون - لا ينافي أنه حقيقة شرعية موضوعة من قبل الشارع ، ولا يخرجهم عن سنن الأدلة الشرعية .

وبعد بيان طريقة الأصوليين في تعريف القياس ووجهة نظر كل فريق نرى أن الخلاف بينهم في ذلك خلاف نظري ، لا يترتب عليه أى أثر من الناحية العملية ، وذلك لأنهم يتفقون جميعاً على أن المعول عليه في القياس - كما قدمنا - هو المساواة بين المقيس والمقيس عليه في علة الحكم ، سواء أكانت هذه المساواة جزءاً من مفهوم القياس - كما قال المتقدمون - أو نفس مفهومه - كما قال المتأخرون - وأن الاعتبار في تحقق هذه المساواة هو نظر المجتهد واعتقاده لا الواقع ونفس الأمر ، وأنه عند العمل والاحتجاج بالقياس لا نفترق المساواة عن عمل المجتهد ، لأن المساواة من غير عمل من المجتهد يظهرها ويكشف عنها لا يترتب عليها أثر ، وعمل المجتهد من غير مساواة يستند إليها لا يعتبر ، وعلى هذا لا يكون هناك أى حرج في الأخذ بكل من الطريقتين ، وإطلاق القياس على كل من المعنيين : إدراك المجتهد ، والمساواة بين الشيئين .

زكي الدين شعيبان

« يتبع »

مدرس الشريعة بحقوق عين شمس

عيد الأم

إن تسلنى عن هداىى فى حىاتى قلت : أمى (نعم يوم الأمهات)
 صاحبتنى قبل أن أزهى بروحى فهى روحى فهى أصل الكائنات
 ولدتنا أرضعتنا هذبنا أسعدتنا من بنين وبنات
 عمر الدنيا بنوها بعقول وجسوم فازدهت بالمنشآت
 كل راع بعدها فرع لأصل فهى تزهو فى أعلى الدرجات

شرعة الإسلام أعلت مستواها وأحلتها رفيع المنزلات
 ذكر التاريخ مما أحسنه ما بنت من فاضل أو فاضلات
 وتغنى الشعر بالفضل قديما وحديثا بالجهود الصادقات

فاحفظوا للأم أفعالا جساما وانقشوها فى القلوب الواعيات
 كرموها فى وفاء خلدوها بولاء فى سجل الخالدات
 وارتجوا منها أسودا عاديات وجهوا مصر رشيد الوجهات
 أنقذوها أكرموها جنبوها دولة الظلم بأيد عاتيات
 (فجبال) هو رببال عتيد بين أشبال الحروب الضاريات
 وارتجوا منها عظيما مثل (تاج) طاب نفسا صح عزما فى ثبات
 ذو اعتراف بحقوق الأمهات ومداها فى محيط الخدمات
 فانبرى يهدى إليها الدين صرفا سائغا فى (معهد للفتيات)
 جعل الأزهر يشدو بأياديه العظام الخالدات الطيبات

محمد صالح الريدى

المشرف العام على جمعيات تحفيظ القرآن الكريم
 والمراقب العام للغة العربية بوزارة التربية سابقا

الأزهر ، والأزهر وحده

تسير حكومة الثورة قدما نحو أهدافها الإصلاحية في تناسق محكم ، فليس في الجمهورية المصرية ناحية لم تبعث فيها يد الثورة حركة نشاط نحو التقدم والكمال : ففي الجيش ، وفي التعليم ، وفي الصناعة والزراعة ، وفي الإنشاء والتعمير ، وفي غير ذلك حركات قوية وعنيفة للابتكار والتنفيذ ، وقد انبعث الشعب بهيئاته المختلفة للسير في الطريق الذي رسمته الثورة ، وسرت فيه روح النشاط والجد ، وأخذت الجماعات تسهم بنصيبها من الإصلاح المنشود ، كل في المحيط الذي يناسبه . ولقد أصبح الشعب لأول مرة كتلة متعاونة متماسكة تعمل جادة غير وانية للوطن لا للأفراد والطوائف .

وقد كان للثورة نشاط بارز في النواحي الدينية - وهى جديرة بالنشاط والعناية - لأنها أولى الوسائل لإصلاح الشعوب ، وإذا استقام للشعوب أمر دينها فقد استقامت لها حياتها . والدين مجموعة من المثل العليا لأرقى الجماعات تقودها إلى أفضل المسدنيات . وكان من أهم أعمالها إنشاء المؤتمر الإسلامى الذى يربط بين الشعوب الإسلامية ، ويقوم بدراسة أحوالها ، ويضع لها ما يلائم من النظم التى تأخذ بيدها وتنهضها من عثرتها ، وتستشير عزائمها لتنافس الأمم في ميادين الفكر والعمل ، والقوة والعزة والكرامة ، وقد استجابت بعض الهيئات لروح الثورة في سبيل الإصلاح الدينى فأنشأت معاهد للدراسات الدينية بأسماء مختلفة ، فأخذت هذه الهيئات تلتق في هيئات التدريس من هنا وهناك ، وتنفق الكثير من الأموال في مكافأة الأساتذة وأجور الأماكن وفي الشؤون الأخرى .

وإنا إذ أحسننا الظن بالقائمين على هذه المعاهد نقول لهم : إنهم قد جانبهم التوفيق في وجوه نشاطهم هذه ، ولم يتأثروا بروح الثورة في أسلوبها الإصلاحى - وهو الوصول الى الهدف بأقل ما يمكن من النفقات ودون توزيع الجهود والأعمال .

إن هذه المعاهد كما خبرناها صورة مكررة للدراسات الأزهرية في المواد الدينية ، وأبرز مدرسيها هم أساتذة الأزهر ، وأبرز طلبتها في هذه المواد هم أيضا طلبة الأزهر ، ولو تخلف هؤلاء وأولئك عن هذه المعاهد لفتت نشاطها ، وأصبحت صورا لا حياة فيها .

وما يليقه أساتذة الأزهر من المواد العلمية في هذه المعاهد - وإن كان جديدا على غير طلبة الأزهر - هو أيضا صورة مكررة مما يدرسونه بكليات الأزهر ومعاهده الثانوية مع تحوير شكلي لا يغير من واقع الأمر شيئا. ولا أقول ذلك تعصبا للأزهر ولا خشية عليه، فلن يضير الأزهر ولن يحط من مكانته الإسلامية، أن يقوم بجواره معهد ومعاهد، فقد أقيم بجوار الأزهر معاهد ثم زالت وبقي هو خالدا على الزمن خلود رسالته على الأزمان .

إنما أقول ذلك توفيراً للجهود القائمة على هذه المعاهد، وتوفيراً لأموال الدولة أن تنفق فيما لا يجدى ولا يفيد .

قد يكون الباعث على إنشاء هذه المعاهد إعداد طائفة من الرجال إعدادا دينيا، يقومون بنشر رسالة الإسلام في الأقطار الإسلامية في قوة ونجاح، وفي هذا اتهام للأزهر بنقض الطرف عنه، ونناقش الفكرة فنقول: إذا كان عالم الأزهر الذي قضى خمسة عشر عاما في الدراسة الدينية المستفيضة، وقضى وقتا غير قصير في تدريسها ونشرها، لا يحسن أداء هذه الرسالة، أفيستطيع خريج المدارس المدنية - بعد دراسة شهرين في بعض هذه المعاهد، وستين في بعضها دراسة مسائية متقطعة ودراسة عامة شكلية - أن يحسن أداءها بأكمل مما يؤديها خريج الأزهر؟ وأين هي الثقة التي يوليها المسلمون في أقطار الأرض لهؤلاء الخريجين؟ لقد استقر في نفوس المسلمين في أنحاء الأرض أن أحكام الدين إذا لم تؤخذ عن أفواه علماء الأزهر فلن يتوافر لها الاطمئنان والقبول .

وبعد هذا ما الذي قصر فيه علماء الأزهر حتى نولى وجوهنا شطار غيرهم ليقوموا عنهم بما فشلوا فيه؟ وهل شكت أمة من الأمم الإسلامية ممن بعث إليها من علماء الأزهر؟ وهل اتهمتهم بالعجز والقصور، فنحاول أن نتدارك ذلك بخريجى هذه المعاهد الذين يتمون دراستهم الدينية في شهرين أو عامين؟ إننا نعرف عن يقين أن أقطار العالم الإسلامي ترحب بعلماء الأزهر وتقدر رسالتهم وتوليهم ثقتهما وتلتبس المزيد منهم، وفي المكاتب المختصة بمشيخة الأزهر رسائل تفيض بالثناء والتقدير على مجهوداتهم، وتشهد لهم بالنجاح في مهماتهم، وتستطيع مشيخة الأزهر لو أرادت المفاخرة والمباهاة أن تنشر صفحات غراء لأبناء الأزهر في ميدان الجهاد الإسلامي .

وإذا كانت الحال كما ذكرت وأن أكثر دارسى المواد الدينية بهذه المعاهد من أعلام الأزهر وأكثر المنتسبين إليها من الطلبة من أبناء الأزهر، أفلا يكون من العيب

أن تقوم هذه المعاهد الى جوار الأزهر تشاركه في رسالته دون جدوى ؟ وأليس من الأولى أن توفر نفقات هذه المعاهد لتصرف فيما هو أجدى وأنفع ؟

لأنظن أن لهذه المعاهد أغراضا خفية تمس الأزهر ورسالته حتى ندعو الأزهر إلى مناهضتها ، ومناهضتها يسيرة هينة ، وماهى إلا أن يكف عن معاونتها أساتذته وطلابه فإذا هى أجسام لا حياة فيها ، وإذا هى أطلال تنعى من بناها .

نعم قد يحس بعض الأمم الإسلامية بفراغ من الناحية الدينية ، فلا يجد حاجته من علماء الدين ممن ينشر بينهم الثقافة الدينية ، ولكن ليس هذا من تقصير الأزهر ولا من تقصير علمائه ؛ وما تهيب علماء الأزهر أن يهاجروا في سبيل الله إلى أقصى الأقطار لو انتدبوا لها ، ومنهم الآن علماء في الصومال وإريتريا ونيجريا وغيرها ، ولكن العلة في ذلك أن ميزانية الأزهر محدودة لا تستطيع أن تلبي رغبات المسلمين جميعهم في بعث البعوث إليهم ؛ وإنما تعمل في هذا السبيل في حدود امكانياتها ، فتبعث إلى بعض هذه البلاد دون بعض ، وتقدم الأهم على المهم ، ولو أتيح للأزهر إمكانيات مالية واسعة لاستطاع أن يسد حاجة المسلمين في جميع البقاع من علماء الأزهر .

ان الجماعات الواعية هى التى تحسن توزيع الأعمال على المختصين ، والفوضى في الاختصاص سمة الجماعات البدائية ، وقديما كان الطبيب يمارس علاج الأمراض كلها : يعالج العين والأذن والمعدة والسكبد وكل علة في جسم الإنسان ، أما الآن وفي الجماعات المستنيرة فلـ كل علة في الإنسان مختصون ، وإنما نقولها نصيحة متواضعة : ان الخير في أن يوحد القائمون على هذه المعاهد مجهوداتهم ويوفروا أموالهم ويوجهوها الوجهة النافعة ، وأن يوسدوا الأمر إلى أهله فيشكلوا الشؤون الإسلامية إلى الأزهر ، وإلى الأزهر وحده ، فهو عليها أقدر ، وبها أجدر « وعلى الله قصد السبيل ، ومنها جائر » ما

أبو الوفا المرافى

شباب الحرس الوطنى بالأزهر

فى رحلة إلى قنا والقصر فالأقصر

مائة من شباب الحرس الوطنى فى الأزهر، كلهم قوة وفنوة وعزم وجلد على تحمل المشاق، قاموا برحلة علمية ورياضية بقيادة الصاغ محمد طاهر عليس نحو الجنوب، إلى قنا والقصر ثم إلى الأقصر، بين سيف البحر الأحمر ومجادل الصحراء والهضاب والجبال ومفاتيح النيل وما يحتضنه من حقول.

استقلوا قطار الجنوب فأخذ يطوى بهم الفياق ليلا حتى بلغوا قنا عند فلق الصبح، والمدينة نائمة، والأشجار قد بللها الندى، فزلوا فى إحدى مدارسها، واستراحوا فى أسرتها، حتى إذا حان وقت المباريات الرياضية بين منتخب الحرس الوطنى بالأزهر ومنتخب قنا أقبلت الوفود نحو ملعب الكرة الذى أعد فيه سرادق نخم، وحضرت فرق كشافة المدارس مبكرة للحفاظ على النظام، وشهدت المدينة على بكرة أبيها هذه المباريات، يتقدمها المعهد بشيوخه وعلمائه، والمدارس بنظارها ومدرسيها، والموسيقى تعزف، ثم بدا مدير المديرية وحكمادها وشيخ المعهد ومدير المنطقة التعليمية مرحبين بضيوف قنا شباب الحرس الوطنى فى الأزهر.

وبدأت المباريات بمباراة فى كرة السلة، فكان انتصار الشباب الأزهرى ٤٣ إلى ١٣. ثم تلتها مباراة كرة القدم فكان الفوز فيها لمنتخب قنا ٢ إلى ١. ثم أقيمت مباراة فى شد الحبل، فاستطاع فريق الأزهر أن ينحى فريق قنا عن مكانه عدة أمتار. وأقيمت مسابقة مائة متر كان الفائز فيها أحد أبطال الحرس الأزهرى. وانتهى بذلك المهرجان الرياضى الكبير بعد أن وزع مدير الإقليم الجوائز والسككوس على الفائزين.

ودعى الحرس الأزهرى إلى حفل تكريم أقامه لهم فضيلة شيخ معهد قنا وكان له فى النفوس أطيب الذكر وأعظم الأثر.

واستأنف الحرس رحلته فقامت به العربات تشق فيا فى الصحراء مشرقة بين الصخور والجبال ؛ فاصدة ميناء القصير وشواطئه الجميلة على البحر الأحمر ، فكان اعضاء الرحلة يقرأون على صفحات الطبيعة قول الله عز وجل : « ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرايب سود » إلى أن أقبل عليهم نسيم البحر وهوأؤه العليل فأشرفوا على القصير ، ونزلوا فى مدرستها الإعدادية ؛ وسرى الخبر الى فريق شركة الفوسفات الرياضى فدعوهم الى الاشتراك فى مباراة انتهت بتعادل الفريقين . ثم زاروا مصانع شركة الفوسفات وشاهدوا طريقة استخراجها فى مراحلها المتعددة .

واستأنفوا رحلتهم من القصير إلى الأقصر بين الصخور الضخمة ، والجبال الشاهقة ، والجو المكفر ، فى مقازات لا زرع فيها ولا ضرع ، ولا شجر ولا ماء ، فمروا بمنجم الذهب وشاهدوا مراحل تعدينه واستخراجها وجمعه وصهره ، والمنجم يمتد تحت جبل شامخ عدة كيلومترات كلها ظلمات فى ظلمات . ثم انطلقت بهم العربات متجهة نحو الجنوب الى الأقصر ، الى أن خرجوا من المفاوز الجرداء الى الأرض الطيبة والزرع الأخضر حيث الكادحون فى حقولهم يعملون فى سبيل الحياة ، والمياه تجري فى الترع والأشجار على حافاتها ، فكان ذلك إيذانا بالدنو إلى الأقصر ، واتفق الوصول إليها فى اليوم الذى تقوم فيه سوقها ، وفى الأقصر وآثارها درس رجال الرحلة تاريخ مصر القديم على الطبيعة بين الرسوم والرموز . وكان للعالم الأثرى الصاغ عlish الفضل الأكبر فى توضيح ما خفى علينا من معالم التاريخ .

كل هذه الأشياء رأيناها ودرسناها عملا ، وسجلها فى صور (فوتوغرافية) الزميل محمد أحمد صقر الطالب بكلية اللغة ، بعد أن تلقيناها فى دروسنا من الكتب ، وكان الفضل فى ذلك للثورة وعنايتها بالشباب ، وهكذا عادت الرحلة بأجل الفوائد تاركة أطيب الأثر فى شباب يؤمن بربه ودينه ونفسه ، وبوطنه وأهدافه ، وهذه طريقة فعالة فى تكوين الشباب وإعداده للحياة الصالحة .

ناصر ناصف سليم

كلية اللغة العربية

لغويات

ينقصني من كتب الدرس كتاب التاريخ . أعوز كتاب التاريخ

شاعت العبارة الأولى على ألسنة المتأدبين . فيقولون : ينقص هذا الكاتب فصاحة العبارة ، مع براعته في تصوير المعنى ، يريدون أنه خال من فصاحة العبارة وأن هذا يعيبه ، والمراد من هذا الأسلوب أصبح واضحاً لا يحتاج السامع أو القارئ شك فيه ، ومع هذا إذا تأمل الناظر فيه وجد أن معناه على حسب تأليفه : أن فصاحة العبارة أورثت الكاتب نقصاً وكسبته عاباً ، وهذا ضد ما يراد من التركيب ، وقد أتى في كلام الناس هذا الأسلوب على وفق مفاده اللغوي في قولهم في الرسائل الإخوانية ، ولا ينقصنا إلا فراقكم ، فهذا استعمال صحيح لا غبار عليه .

والعبارة العربية الوافية بالمعنى الذي يراد في هذا المقام أن يقال : يعوزني من كتب الدرس كتاب التاريخ (من أعوز) أو يعوزني كتاب التاريخ (من عاز) ، ففي اللسان : « أعوزه الشيء إذا احتاج إليه فلم يقدر عليه » وفيه : « وإذا لم تجد الشيء قلت : عازني » وفي الأخيرة هذه مقال ، ففيه عقب الكلام السالف : « قال الأزهرى : عازني ليس بمعروف » .

وقد بدا لي أن الاستعمال الشائع له وجه من الصحة ، فلا بأس بامتثاله ، إذ حسنه الإلف له وصقلته الألسن ، وذلك أن يخرج على حذف المضاف ، أى لا ينقصني إلا عدم كتاب التاريخ ، ولا ينقص الكاتب إلا عدم فصاحة العبارة . فالمضاف « عدم » أو « فوت » حذف للعلم به ، وهذا كما سبق في تخريج قولهم : أعتذر من حضوري اليوم لأمر يعوقني .

وأزيد هنا أن حذف هذا المضاف ورد في عدة مواضع في كلام العرب ، وقد استساغوه لفهم المعنى ، وأفرد ابن فارس في الصحاح ١٩٨ باباً لهذا النوع من الإضمار ،

بدأه بقوله : « العرب قد تضرع الفعل فيشتبه المعنى ، حتى يعتبر فيوقف على المراد » وهو لا يريد بالفعل ما هو مصطلح النجاة بل ما يشمله وغيره ، وقد أورد من هذا قول الخنساء في مرثية لأخيها ضجر :

يا ضجر وراود ماء قد تناذره أهل الموارد ما في ورده عار

ويذكر شارح الديوان أن المراد : ما في ترك ورده عار ، أى ليس يعير أحد أن يعجز عنه من صعوبة ورده ، ويقول ابن فارس : « ظاهر هذا أن معناه : ما على من ورده عار ، وليس في ورد الماء عار فيبيح به . ولكن معناه : ما في ترك ورده مخافة عار ، وإنما عنت أنه ورد ماء مخوفاً يتحاماها الناس فينذر بعضهم بعضاً ، تقول : فهو يرد هذا الماء لجرأته » .

وقد أورد المبرد في الكامل بيت الخنساء وقال في شرحه : « تعنى الموت أى لإقدامه على الحرب » فهو يفسر الماء بالموت ، ويقول الشيخ المصنفى في كتابته عليه (تعنى الموت الخ) أجنبي عن البيت . وهى إنما تريد نفس الماء . وكان المناسب أن تقول : (وما في تركه عار) على معنى : وما في ترك ورده إذا عجز عنه عار» وانظر بغية الأمل ١٨٦/٨ وورد من هذا قول النابغة يخاطب عصاما حاجب النعمان حين مرض النعمان ، وكان النابغة محجوبا عنه :

ألم أقسم عليك لتخبرنى أمحمول على النعش الهام
فانى لا ألام على دخول ولكن ما وراءك يا عصام

فقوله : لا ألام على دخول أى على ترك الدخول ؛ لأن النعمان كان نذر دمه إذا رآه ، لما كان تقم عليه من وصفه لامرأته المتجردة .

وأورد شارح ديوان الخنساء من هذا قول المرقش :

ليس على طول الحياة ندم ومن وراء المرء ما يعلم

أى ليس على فوت طول الحياة ما يندم عليه ؛ لأن ذلك يؤدى إلى الهرم وفساد العيش . ويقول ابن فارس : « وفي كتاب الله جل ثناؤه : (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا) التأويل : لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يقعدوا عن الجهاد » فتراد يجعل الآية مما وقع فيه الحذف والإضمار ، فقوله : « أن يجاهدوا »

أى فى ترك أن يجاهدوا بالقعود عن الجهاد ، لأن الاستئذان فى العادة إنما يكون للتخلف عن أداء الواجب . ولا يرى هذا عامة المفسرين ، وإنما يرون أن المؤمنين لا يستأذنون فى شأن الجهاد فى القعود عنه أو مباشرته . ويقول القرطبي فى تفسيره ج ٨ ص ١٥٥ : « أى فى القعود ولا فى الخروج ، بل إذا أمرت بشئ ابتدروه . فكان الاستئذان فى ذلك الوقت من علامات النفاق ، لغير عذر » . وقوله « لغير عذر » متعلق بالاستئذان كما لا يخفى .

ومما ورد من هذا الباب قول ثعلبة بن عمرو العبدى :

وأهلك مهر أبيك الدوا ء ليس له من طعام نصيب

خلا أنهم كلما أوردوا يصبح قعبا عليه ذنوب

الدواء : اللبن ، يريد : أهلك مهر أبيك ترك اللبن ، وذكر فى البيت الثانى أنه يسقى من لبن عليه دلو من ماء . فتراه أضمر « ترك » . ذكر هذا ابن الأنبارى فى شرح المفضليات ٧٣ ، ونقله عنه فى اللسان فى ترجمة (دوا) .

وفىما أوردته بلاغ ومقنع فيما نحن بسبيله ، وما يكفل تصحيح الاستعمال الشائع بين الناس .

وأعود بعد هذا لما اشتهر عند العامة من قولهم : أعوز هذا الشيء أى أحتاج إليه أو أريده . والمعروف أن هذا قلب للاستعمال العربى ، وهو أن يقال : عازنى هذا الشيء ، كما سبق فى عبارة اللسان . ولم أر ما يشهد لعبارة العامة إلا ما ورد فى المصباح . ونصه : « عزت الشيء ، أعوزه - من باب قال - : احتجت إليه فلم أجده » . ولا أدرى علام اعتمد صاحب المصباح فى هذا . فاما أن يكون دؤن ما اشتهر على ألسنة الناس وخاله عربيا ، وإما أن يكون له مرجع صحيح لم يقف عليه أصحاب المعاجم التى بأيدينا . وأيا ما كان الأمر فهو يثبت قدم استعمال العامة : أعوز هذا الشيء ، وعزت هذا الأمر .

الطريحة

تستعمل الطريحة فيما يوظف من العمل على العامل فى مدة محدودة . فيقال : طريحة الحاصد للقمح قيراط ، مثلا . ولم أفق على هذا المعنى فى المعاجم . وكأن وجهه أن القدر

من العمل يطرح على العمال ويندبون إليه ، فمن قبله قدّر عليه ، فهو في الأصل صفة لحصة مثلاً
أى حصة طريجة ، والتاء للنقل من الوصفية إلى الاسمية كما قيل في الذبيحة والنطيحة ،
ولولا هذا لاستغنى عن التاء .

وقد جاء في ترجمة عبد الملك بن سراج النحوى إمام أهل قرطبة أنه كان يقول : طريحتي
في كل يوم سبعون ورقة ، يريد ما يقرؤه كل يوم . ذكر هذا السيوطي في ترجمته في بغية
الوعاة . وكانت وفاة ابن سراج سنة ٤٨٩ هـ .

لم أقرأ هذا الكتاب من ذى قبل

أنكر المعنيون بهذيب اللغة هذا الاستعمال ، وأوجبوا حذف « ذى » وأن يقال :
لم أقرأ هذا الكتاب من قبل . وقالوا : إنما يقال : أفعل هذا الأمر من ذى قبل بفتح
القاف وكسرهما وفتح الباء أى فى مستأنف أمرى ومستقبل أيامى ، وهذا غير ما يراد
فى الاستعمال الذى هو موضوع البحث . ويوردون نص اللسان : « الفراء قال : لقينته
من ذى قبل وقيل ، ومن ذى عوض وعوض ، ومن ذى أنف أى فيما يستقبل »
ويوردون أيضاً عبارة القاموس : « ولأ كلك إلى عشر من ذى قبل كعنب وجبل أى
فيما أستاذف ، أو معنى المحركة : إلى عشر تستقبلها ، ومعنى المكسورة القاف :
إلى عشر مما تشاهده من الأيام » .

وقد خطر لى جواز الاستعمال الشائع ، وتخريجى على أحد وجهين : الأول زيادة ذى ،
والثانى أن تكون صفة لموصوف محذوف .

فأما زيادتها فهى كثيرة فى الكلام العربى ، وفى اللسان فى (جرم) نقلاً عن ابن الأعرابى :
« والعرب تصل كلامها بذى وذا وذو ، فتكون حشواً ولا يعتد بها » وأما جعلها صفة
لمحذوف فقد قالوه فى قولهم : ذات مرة أى دفعة ذات مرة ، وفى قولهم : ذات صباح ،
أى ساعة ذات صباح ، وفى قولهم : فعلته ذا صباح ، أى وقتنا ذا صباح أى وقتنا مسعى
بهذا ، ومن هذا قوله :

عزمت على إقامة ذى صباح لأمر ما يسود من يسود

فقولهم : ما فعلته من ذى قبل أى من الوقت صاحب هذا الزمن وهو قبل ،
وقد أفرد ابن جنى لمثل هذا فى الخصائص باباً عنوانه : باب فى إضافة الاسم إلى المسمى ،
والمسمى إلى الاسم » م

محمد على النجار

تعليلات

الصحف المنحرفة

على الرغم من أن الصحافة في مصر سائرة بتوجيه أصحابها المهذبن ، فإن فيها صحفا نادة ، لا تتوخى الصواب ، ولا تستجيب للتفاهم ، ولا تتخرج من الإسفاف ، وخاصة حينما يطلب لها أن تتصيد المنفعة ، ولو على حساب الدين ورجاله ، ممن يسرهم الغمز في الدين ورجاله ، وفي الأزهر وعلماؤه .

وقد عرفنا قديما تلك الصحف كما هي عارفة بنفسها ، ورأيناها أخيرا كما عرفها الناس من قبل : ذات أهداف مادية جشعة ، وذات وسائل تستسيغها هي ، ولو لم يسوغها سبب آخر ، وتدأب عليها وإن عاقبتها كرامة الصحف الأخرى .

وقد رأينا أخيرا تلك الصحف تكتب بعنوان ظاهر «الشيخ متلوف» وتشر تحت هذا العنوان الهازل صوراً مرذولة لشيخ هرم ذي لحية طويلة يلاحق السيدات في كل مكان . ويشهد الله والناس أن تلك الصحف ما قصدت بهذا التخيل الماجن - أولا - إلا تجريحاً سفيها لرجال التعليم الديني ، وإلا أن تتوسل - ثانياً - بهذا الغمز اللاذني إلى عطف المعاذين للإسلام الذين اعتاضوا عن التبشير السافر بالاستتار وراء بعض الصحف ، فهم يقبلون عليها بما يرضيها ، وهي تشر لهم ما يرضيهم من البذاءة على رجال الدين .

كم وددنا على صحافة تعتبر نفسها وطنية مسلمة أن تتجرد قليلاً من النفعية الجشعة ، وأن تسهم بحق في الإصلاح القومي ، وأن تدير مخلصاً في ركاب الداعين إلى الجسد في تخليص الوطن والمواطنين من التهريج ومن الشوائب المرذولة ، ومن التسلون بالألوان المتناقضة في أزمنة متعاقبة . وددنا ذلك ، ورفعنا به الصوت غير مرة على مسمع من أكرم الرجال العالمين على بناء القومية ، ولكن تمرد تلك الصحف على الآداب يلويها عن سماع دعوتنا لها ، ويفريها بذلك أن رجالات مصر مشغولون عن هذه السفاسف بأمور أخرى تستأثر اليوم بكل أوقاتهم .

وشئ من الترفع أو الحياء كان يكفي للاقلاع عن هذا التماذي في بث اللادينية من طريق الصحافة الجاحمة ، ولكن أين الحياء الذي نشده لهم ، عسى أن يكون قريباً ؟؟؟

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

الكتب

مصر في القرن التاسع عشر - الجزء الثاني

للاستاذ محمود الشرقاوى - ١٨٠ ص - مكتبة الانجلو المصرية

لو أن تاريخ الجبرتي من تراث أمة كالألمان أو غيرهم من أمم الغرب لامتلات خزائن كتبهم بالدراسات والبحوث التي تمكنف عليها أعلام العلماء والمحققين لاستخراج دفائنه ، وإضاءة ما واره الزمن من غوامض أحداثه ، وبيان الظروف التي وقعت فيها تلك الأحداث ، وعرض ذلك بالأساليب التي تجعل المعاصرين من القراء كأنهم معاصرون لرجال ذلك العصر يشهدون أعمالهم ويفهمون أغراضهم ويربطون بين المقدمات ونتائجها . وهذا ما قام به الأستاذ المحقق محمود الشرقاوى في دراساته الدقيقة لكتاب عجائب الآثار، الذي دون فيه الجبرتي ما وصل إليه علمه من أحداث عصره والزمان القريب منه ، فكان في ذلك أمينا صادقا مخلصا ، وقدملاً الجبرتي بعمله فراغا في تاريخ مصر كان حلقة في سلسلة زيناها أسلاف الجبرتي - كابن إياس وابن تغرى بردى وابن الفرات وغيرهم - بمؤلفاتهم التي تحتاج هي الأخرى إلى من يجدد بدراساته شبابها ، ويحيي ببحوثه ظروفها ، ويزين بقلبه أساليبها ، فيكون الماضي وأهله بين يدي الحاضر وأهله جليا واضحا يتصل آخره بأوله ، فتتعظ الأجيال بعبء الماضي ، ويكمل الأحفاد رسالة الأجداد ، ويتعرف الناس مواطن الزلل ليجتنبوها ، وأسباب الضعف وعواقبه فيتقوها ، وطريق القوة فيسيروا فيه إلى الأهداف القومية التي توحد بين الأجيال ، وتقيم منها كيانا واحدا تكون أمثال هذه الكتب مصاييح في طريقه إلى الخلود .

إن جمهرة القراء المثقفين يفيدون من مثل هذه الدراسات عن أمهات كتب التاريخ الكبرى ما لا يفيدونه من أصولها ، لذلك كان عمل الأستاذ الشرقاوى عظيما وقد سد به فراغا يشعر به قرائه . فنجوله التوفيق في مواصلة هذا العمل النافع المفيد .

حرية الفكر في الاسلام

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد الصادق عرجون - ٣٩ ص - مطبعة الأزهر

هي محاضرة جليلة نافعة ألقاها فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الصادق عرجون في دار كلية الآداب بجامعة الاسكندرية باقتراح من عميدها ، وقد استهدف بها أمرين : أحدهما أن نكيف أنفسنا بتحقيق قول أسلافنا « العلم رحم بين أهله » ، ومن صلة هذا الرحم قيام شيخ علماء الإسكندرية بالقاء هذه المحاضرة في كلية الآداب بتلك الجامعة . الأمر الثاني أن ينقل إلى الذين يحاضرهم صورة واقعية صادقة عن (حرية الفكر الإسلامى) حتى يعلم الذين لم يتعمقوا دراسة الإسلام فوقفوا منه موقف الصديق المتوجس أو الغريب الكاشع أو العدو الجاهل أنهم مقصرون في ذات أنفسهم ، مفرطون في حق عقولهم ، وحتى يعلموا أنهم ليسوا أمام دين يكبل عقولهم ، ولكنهم أمام حقيقة إلهية تنبع من أعماق أنفسهم ، وتتأصل جذورها في فطرتهم ، وتتلاءم مع طبائعهم ، وتستجيب لها ضمائرهم . ثم أفاض في براهين موضوعه بدراسة عميقة نيرة خرج السامعون منها بأكثر مما وعدهم به المحاضر في فاتحة محاضرتة ، فكان ذلك من أعظم ما خدم به الحق من حيث هو ، والمجتمع الإسلامى المصرى ممثلا بمن استمع إلى المحاضر في كلية الآداب بالاسكندرية ، ولا نقول إنه خدم بذلك الإسلام ، فالإسلام أسطع نورا ، وأرسخ دعائم ، وأبقى على الدهر من أن يحتاج منا الى مناصرتة ، بل نحن المحتاجون الى العلم به لنتمكن من الانتصار به فنكون من أهل القوة والسعادة فى الأرض .

نهضة الداعى ، إلى الاصلاح الاجتماعى

لفضيلة الشيخ عبد المنصف محمود عبد الفتاح - ٢١٢ ص - مطابع دار الكتاب العربى كتاب حافل بشتى المواظ وجيليل الحكم فى طائفة من الموضوعات المتنوعة التى تتعلق بشتى نواحى صلاح المجتمع الإنسانى ، مدعما بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وحلاه بالقصص الطريفة والأشعار المستحسنة ، متوسلا بذلك إلى إصلاح البيئة الاجتماعية حتى تسترد مجدها فى ظل الإسلام .

وكان قد نشر الطبعة الأولى من هذا الكتاب وهو طالب على أبواب التخرج بكلية أصول الدين ، ثم أعاد طبعه الآن منقحا مضافا إليه من الموضوعات المهمة ما فيه تبصرة وذكرى وعظة وشرى . حقق الله النفع به .

أولو العزم من الرسل

للاستاذ محمد عبد الله السمان - ١٧٥ ص - مكتبة الخانجي ومكتبة وهبه بالقاهرة
حلمة جديدة من إنتاج الأستاذ الفاضل محمد عبد الله السمان في الثقافة الإسلامية ،
كتبها بعد عزلة قدرها الله له فامتدت زهاء نصف عام كانت له شعاعا أضاء له الطريق ،
إذ كان كتاب الله القبلية التي اتجه إليها ، فهيأ له لقاءه مع كتاب الله أطيب فرصة للنزول
ضييفا على ساحة « أولى العزم من الرسل » نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله
عليهم ، فكان من ثمرات ذلك إخراج هذا الكتاب لايكون سردا قصصيا ولا مرجعا
تاريخيا بل هدف إلى أن يكون تحليلا لشخصيات هؤلاء الحاملين لرسالات الله وظروف
دعواتهم ونتائجها ، فكتبه عن قوة شخصياتهم ، وطاقت احتملهم ، ونتائج دعواتهم ،
بأسلوب بليغ وعرض لطيف مستعينا بالمأثور عنهم في كتاب الله وفي الكتب الأخرى
كلأناجيل ومنها إنجيل برنابا ، وهكذا جعل من حياة أولى العزم من الرسل ودعواتهم
بحثا تحليليا مستفيضا يلتمس منه القارئ المثقف الناذج الطيبة التي تتمثل فيها شخصياتهم
والمعاني الحية التي تتجلى في دعواتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وحي النهضة الوطنية - في الخطب المنبرية

لفضيلة الشيخ علي رفاعي محمد - ١٧٠ ص - مطبعة الأمين بالقاهرة
هو الجزء الثاني من (الأنوار الحمديدية في الخطب المنبرية) الذي وصفناه في ص ١٠٩٨
من هذه المحلة سنة ١٣٧٣ ، وهذا الجزء على غرار أخيه السابق له ، وتدور خطبه حول
النهضة والأهداف القومية والجهاد، وفضل الشهداء والانتاج القومي ، والرياضة وأثرها،
وأن النظافة من الإيمان، إلى غير ذلك مما له أثر طيب في تكوين كيان الأمة وتجديد شبابها .

موعظة المؤمنين - الجزء الاول

للاستاذ حامد محمود اسماعيل - ٢٠٠ ص - مطابع دار الكتاب العربي
هي مجموعة خطب منبرية تدور حول مختلف المعاني الاسلامية والخلقية والاجتماعية
وقد بلغت خمسين خطبة على عدد أسابيع السنة . وقدم لها المؤلف مقدمة عن مقومات
الخطابة الدينية ، ومنها السهولة وتجنب العبارات الغريبة ، والدعوة الى الله بالحكمة
والموعظة الحسنة وتخبر الألفاظ المثيرة لشعور السامعين ، وشجاعة الخطيب ورباطة جأشه ،
وقوة العاطفة ، وورع الخطيب وتدينه وعمله بما يقول ، وقصر الخطبة على موضوع واحد ،
وحسن المظهر والهيئة . فنلفت اليه الأنظار .

نشاط الأزهر الثقافي

عرضت على جهات الاختصاص في الأزهر طائفة كبيرة من مؤلفات حضرات أصحاب الفضيلة الأساتذة والمدرسين التي وضعوها وفقا للمناهج الأخيرة في القسمين الثانوى والابتدائى . وهذا بيان بعض هذه الكتب التي رأت المشيخة صلاحيتها للتدريس :

فى مادة البلاغة : كتاب (المدخل فى علوم البلاغة) للسنة الأولى الثانوية من تأليف صاحب الفضيلة الشيخ الدسوقي حسن سلامة ، والشيخ كمال هاشم نجما .

وفى مادة المنطق : كتاب (التصورات والتصديقات) للسنتين الأولى والثانية الثانويتين من تأليف فضيلة الشيخ عبد الرحمن مصطفى ، وفى مادة المطالعة : كتاب من تأليف أصحاب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد اللطيف السبكى ، والأستاذ الشيخ أبو الوفا المراغى ، والأستاذ محمود رزق سليم . وفى مادة أدب اللغة : كتاب (الأدب العربى) لأصحاب الفضيلة الشيخ أمين دياب خضر ، والشيخ زكى سويلم ، والشيخ الصادق جمال الدين ، والشيخ محمد العزازى . وفى مادة الصرف : كتاب (الرائد الحديث) لفضيلة الشيخ كامل شاهين . وفى مادة العروض : كتاب (اللباب) له أيضا .

ومن الكتب التي رأت المشيخة صلاحيتها للتدريس فى القسم الابتدائى :

كتاب التاج فى المطالعة لصاحب الفضيلة الشيخ محمد خليفة والشيخ إبراهيم الوقفى .

وشرح الأزهرية الحديد فى النحو لأصحاب الفضيلة المشايخ إبراهيم عيسى ، وعبد اللطيف خليفة ، وعلى كرسون ، ومحمد عباسى . وتيسير الصرف لصاحب الفضيلة الشيخ عبد السميع السنباطى ، والشيخ زكى على سويلم . وإرشاد الطالب فى الصرف لصاحب الفضيلة الشيخ أحمد عمارة ، والشيخ عبد الغنى إسماعيل . وتعليقات على شرح ابن قاسم فى فقه الشافعية لفضيلة الشيخ فرج السيد فرج . وكتاب مختارات الباجورى على ابن قاسم للمشايع توفيق حموده ، وفرج السيد فرج ، ومحمد البهنسى ، والحسينى الشيخ .

البيانات

لأبى الأعلى المودودى - ٢١٣ ص - مطبعة العلوم والآداب بدمشق

هى مجموعة بيانات ثلاثة أدلى بها الأستاذ المودودى فى محكة التحقيق التى ألفتها حكومة باكستان سنة ١٩٥٣ للبحث عن اضطرابات مقاطعة بنجاب عامة ومدينة لاهور

خاصة، التي هي نتيجة طبيعية لسلوك القاديانيين المريب في الوطن الباكستاني الاسلامي . فقد وجهت المحكمة السؤال الى مختلف الاحزاب السياسية والجمعيات الدينية عن موقفها من القاديانية والاضطرابات التي ثارت من حولها، وعلى من تقع تبعة هذه الاضطرابات ، وهل أصابت الحكومة في فرضها الحكم العرفي على مدينة لاهور أم لم يكن ثمة حاجة إليه ، وهل التدابير التي اتخذتها الحكومة كافية لتوطيد الأمن أم غير كافية .

وكان الأستاذ المودودي أحد الذين وجهت المحكمة إليهم هذه الأسئلة ، فكتب الأستاذ المودودي أجوبته على هذه الأسئلة وهو في غيابة السجين ، فكشف القناع عن وجهة نظر في القاديانية وما كان منها وما وقع عليها وموقف الشعب والحكومة والجمعيات الإسلامية من ذلك ، فلما نشرت هذه البيانات في الصحف الباكستانية بأذن من المحكمة أجمع أهل الإنصاف على أن ذلك هو القول الفصل والقضاء المحكم . ثم كان من المحكمة أن تصدت لمسائل أخرى غير التي كانت محددة في نطاق البحث ؛ فعمد الأستاذ المودودي إلى كتابة بيان ثان عن هذه النقاط والمسائل أصلح فيه الأخطاء التي صدرت عن بعض الشهود لقلّة علمهم بالشرعية الإسلامية ونظامها . وفي الختام وجهت المحكمة إلى العلماء أسئلة عن المسيح والمهدى والنبوة والرسالة وما إليها من المسائل التي للقاديانيين فيها آراء مخصوصة وأوهام مضللة ، فوضع الأستاذ المودودي بيانه الثالث وفيه الأجوبة الحاسمة عن هذا كله فكان من مجموع ما تقدم كتاب (البيانات) الذي نشرهناك باللغة الأوردية ، وقام الأستاذ محمد عاصم الحداد والسيد محمد كاظم سباق من زملاء دار العروبة للدعوة الإسلامية في باكستان بنقله إلى اللغة العربية وطبع بدمشق . ولما كانت مصيبة المسلمين بالقاديانية التي هي وليدة الاستعمار تعد مصيبة مشتركة بين المسلمين كلهم ويجب عليهم التعاون على الخلاص منها فإن نشر هذه البيانات بالعربية يعد خدمة إسلامية يشكر عليها كل من له نصيب في ذلك .

كتاب المطالعة للمعاهد الدينية

لأصحاب الفضيلة : الشيخ السبكي ، والشيخ أبو الوفا المراغي ، والأستاذ محمود رزق سليم - ٢٧٦ ص - دار الكتب الحديثة .

هو الجزء الأول لطلبة السنة الأولى والثانية والثالثة الثانوية ، قررت مشيخة الأزهر تدريسه بالمعاهد الدينية الثانوية ، وقد جمع طائفة من الأدب البارع ، والشعر الممتق ، مما جادت به قرائح أعلام البيان العربي في مختلف عصوره ، وحسبنا أن يكون مؤلفوه هؤلاء الأفاضل الكرام من رجالات الأزهر ، فرجوا الله أن ينفع به .

الأدب والعلوم

المدرسة والمسجد

٣٤ جنيها ويدفع عشرة ، وطالب الحقوق يتكلف ٢٣ جنيها ويدفع عشرة ، وطالب كلية دار العلوم يتكلف ٦٤ جنيها ولا يدفع شيئا . وميزانية جامعة القاهرة وحدها ثلاثة ملايين من الجنيهات هي ميزانية المصروفات بينما لا تزيد الإيرادات على ٣٠٠ ألف جنيه .

اللغة الصينية

في جامعة القاهرة

تقرر تدريس اللغة الصينية في قسم اللغات الشرقية بكلية الآداب بجامعة القاهرة . وقد قدم إلى مصر أستاذ من الصين لتدريس لغتها ، كما قدم عدد من الطلاب الصينيين للدراسة في مصر .

وقد خصص وزير التربية والتعليم سبع بعثات من الطلبة المتفوقين لإيفادهم إلى الصين لدراسة لغتها .

اللغة الصينية

في مدرسة الألسن

قررت مدرسة الألسن إنشاء قسم جديد بها لتعليم اللغة الصينية ، والابتداء بذلك

تقرر أن يعد في كل مسجد ينشأ في المستقبل مكان لمدرسة ابتدائية ، وتبحث وزارة الأوقاف رغبة وزارة التربية والتعليم في حصر المساجد التي يمكن إلحاق مدارس ابتدائية بها ، أو بناء فصول دراسية في المساجد المعطلة . واتضح أن وزارة الأوقاف يمكنها أن تدبر حتى أول العام الدراسي القادم نحو ٢٠٠ مدرسة . وتقرر أن تشترط وزارة الأوقاف لاعانة المساجد التي يقوم الأهالي بإنشائها أن تكون بسيطة ، وأن تلحق بها مدرسة . وستكون الإعانة مجزية ومشجعة للأهالي ، وأن تكون إدارة تلك المدارس تابعة لها لتحقيق من الاحتفاظ بميزة تحفيظ القرآن الكريم .

نفقات التعليم الجامعي

يقول الدكتور كامل مرسى مدير جامعة القاهرة إن طالب كلية العلوم يتكلف ١٧٤ جنيها ويدفع عشرة جنيها . وطالب الطب أو الهندسة يتكلف مائة جنيه ويدفع ١٥ جنيها ، وطالب كلية الآداب يتكلف

طوكيو وخمسون فلكيا وعالما من علماء
تكوين الأرض لتبادل الآراء بخصوص
الأشعة الكونية، وسيطلقون في هذا الصيف
عشرة بالونات للرابعة على ارتفاع يتراوح
بين ١٥ و ١٦ ميلا .

أسماء المعسكرات

في قاعدة القتال

كان للمعسكرات البريطانية الكثيرة في قاعدة
القتال أسماء انجليزية ، وكلما تسلمت القيادة
الشرقية المصرية معسكرا من هذه المعسكرات
نزعت عنه عنوانه الانجليزي وسمته باسم
تختاره له ، فاختارت لمعسكر سانت فنسنت
اسم (الفسطاط) ، ولمعسكر ليدى سميث
اسم (عرفات) ، ولمعسكر تايم اسم (الخطاب) ،
ولمعسكر مالطة اسم (أمية) ، ولمعسكر كورا
اسم (قرية الرياض) ، ولمعسكر جبرا لتر
اسم (قرية الأندلس) ، ولمعسكر كورونا
اسم (الأمين) ، ولمعسكر تانجير اسم (المأمون)
ولمعسكر الفاليز بالثل الكبير اسم (عرابي)
ولمعسكر كوبنهاجن اسم (محمد عبده) ،
ولمعسكر غوردون اسم (الكرنك) ، ولمعسكر
سان جورج اسم (رمسيس) ، ولمعسكر
بلا كلافا اسم (تحتمس) ، ولمعسكر
بوب هنيسي اسم (أحبس) ، ولمعسكر كلودن
اسم (قادش) .

فسورا، ويقوم بالتدريس فيه الأستاذ كنغ
أستاذ اللغة الصينية الزائر بمصر ، وستكون
الدراسة بالقسم الجديد بعد ظهر يوم الأحد
من كل اسبوع ، ويقبل فيه خريجو الجامعات
والكليات الحربية وكلية البوليس والجامعة
الأزهرية ومن في مستواهم .

الانفجارات في الشمس

تكررت أخيرا الانفجارات في الشمس ،
وفي الانفجار الذي حدث يوم ١٤ فبراير
تمكن مرصد موزايشنو في اليابان من تصويره
في اللحظة التي كان فيها على أشده . ثم تكرر
الانفجار يوم ٢٣ فبراير وسجل مركز الأبحاث
في طوكيو زيادة طاقة الإشعاع الكوني من
١٠ الى ١٥ ٪ . بينما سجل مرصد جبل نوريكورا
زيادة تعادل ٦٠ ٪ . ويؤكد مرصد موزايشنو
أنه أثناء انفجار ٢٣ فبراير زادت قوة نور
الشمس ثلاثة اضعاف متوسطها ، وحدث
ذلك في منطقة تزيد مساحتها ست مرات
عن مساحة الأرض . وهذه هي المرة الأولى
التي يحدث فيها اضطراب في الأشعة الكونية
في الوقت الذي يحدث فيه الانفجار الشمسي .

ويتوقع العلماء أن يحدث انفجار رهيب
في سطح الشمس يوم ١٥ مارس الحالي
(٢ شعبان) وقد استعدوا لإطلاق بالونات
فيها آلات تسجيل واختبار إلى ٢١ ميلا في
الطبقات العليا من الجو . وقد اجتمع في

إنباء العالم الإسلامي

أقطاب العرب الثلاثة

بذلك المشاورات التي دارت من قبل بين حكوماتنا ونختمها بما نجده ضروريا من قرارات .

ولقد تم اجتماعنا بالقاهرة في الفترة ما بين يوم الثلاثاء ٢٣ من رجب سنة ١٣٧٥ الموافق ٦ من مارس سنة ١٩٥٦ وبين يوم الأحد ٢٨ من رجب سنة ١٣٧٥ الموافق ١١ من مارس سنة ١٩٥٦ .

والتقت آراؤنا عند تفاهم كامل في كل ما عرض للبحث أمامنا واستطعنا بذلك أن نجمع إرادتنا على خطة كاملة نواجه بها كافة الاحتمالات والمفاجآت .

ولقد تمت محادثاتنا في جو من الصداقة الوطيدة التي يدعمها التفاهم المتبادل بيننا ويربطها إيماننا الواحد الراسخ بفكرة العروبة والثقة التي لا حدها في مستقبل الأمة العربية .

وشد من عزمنا وقوى روحنا ما لاحظناه بارتياح من زيادة الوعي الوطني في الأمة العربية ، وإننا لننظر في إعجاب واطمئنان إلى الدور العظيم الذي أصبح الرأي العام العربي يقوم به في توجيه الحوادث بيقظة مستنيرة وشجاعة حكيمة .

كانت أواخر شهر رجب المنصرم أيام إسرائء ومعراج في حياة الأمة العربية تمثلت في اجتماع أقطاب العرب الثلاثة : الملك سعود ، والرئيس شكري القوتلي ، والرئيس جمال عبد الناصر ، لتنسيق السياسة العربية الخارجية والاقتصادية ، وتجنيد إمكانيات القومية العربية لجمع شملها وتنظيم قواها وسد الثغرات التي فتحتها الاستعمار والأنانيات والجهل في كيان هذه الأمة النبيلة . وكل ما نرجوه من الله أن يؤهل هذه الأمة لتكون مستحقة للرجوع إلى طريقها في تاريخ الإنسانية ، وقيامها برسالتها لتعود لها مكانتها بين الأمم .

وقد انتهى مؤتمر الأقطاب الثلاثة إلى نتائج عظيمة ، وقرارات تاريخية ، هذا ببيانها :

نص البيان

في الظروف الخطيرة التي تحيط بالبلاد العربية وتهدد سلامتها رأينا أن نجتمع لنبحث الأمر من جميع نواحيه ونستكمل

الموقف فى الشرق

لخدمة المصالح الذاتية لأية دولة من الدول الكبرى مضحية فى سبيل ذلك بالقضاياء والأمانى العربية الخالصة ووحدة أمتنا .

ولقد كانت قضية فلسطين موضع اهتمامنا البالغ ، وإننا لنؤكد تمسكنا بحقوق عرب فلسطين كاملة .

وإنه لطيب لنا فى هذه المناسبة أن نؤكد تمسكنا بالمبادئ التى أعلنها مؤتمر الدول الأفريقية الآسيوية بباندرنج ، واعتبارها الطريق الذى تسير عليه سياستنا فى المحيط الدولى .

القرارات

وهذا هو نص قرارات مؤتمر الرؤساء الثلاثة :

اجتمع بالقاهرة فى الفترة من ٢٣ رجب سنة ١٣٧٥ الموافق ٦ مارس سنة ١٩٥٦ إلى ٢٨ رجب سنة ١٣٧٥ الموافق ١١ مارس سنة ١٩٥٦ .

حضرة صاحب الجلالة الملك سعود ابن عبد العزيز آل سعود .

وصاحب الفخامة السيد شكرى القوتلى .
والسيد الرئيس جمال عبد الناصر .

وقد عقد هذا المؤتمر عدة اجتماعات عكف فيها الرؤساء على دراسة الموقف فى

ولقد بحثنا الموقف فى الشرق الأوسط من جميع وجوهه ونواحيه واتفق رأينا على أن العمل للسلام وتحقيقه والمحافظة عليه إنما يقوم بالتعاون الصادق بين الدول على أساس من الاستقلال والمساواة التامة بينها جميعا ، وعلى احترام حقوق الإنسان والالتزام أحكام ميثاق الأمم المتحدة ومبادئه .

وإننا لنؤمن بأن السلام الحقيقى الذى تتطلع إليه شعوبنا وشعوب العالم لن يسود مالم تصبح هذه الأسس مصدر الإلهام فى تصرف كل دولة إزاء غيرها من الدول ، وبذلك تخف حدة التوتر الناشئ من تدخل بعضها فى الشؤون الداخلية للبعض الآخر ، والضغط عليها بمختلف الوسائل والأساليب .

وإننا لنعلن عزمنا على تجنب الأذى العربية مضار الحرب الباردة، والبعد بها من منازعاتها والالتزام سياسة عدم الانحياز تجاهها محافظة بذلك على مصالحها .

الدفاع عن العرب

كذلك نعلن أن الدفاع عن العالم العربى يجب أن ينبثق من داخل الأمة العربية على هدى أمنها الحقيقى وخارج نطاق الأحلاف الأجنبية التى تحاول استخدام التنظيمات الدفاعية

اسرائيل بالاسلحة التي تساعدها على التماهى
فى العدوان

حلف بغداد

٥ - تم وضع خطة شاملة لمواجهة
المحاولات التي تبذل عن طريق حلف بغداد
للضغط على البلاد العربية وتعريض الأمن
العربى للخطر وتفرقة الصف العربى فى
الوقت الذى تجدد فيه البلاد العربية نفسها
أشد ما تكون حاجة الى وحدة متماسكة
فى الجهود والاتجاهات .

٦ - تم الاتفاق على التأييد الكامل
للأردن ومساندته ضد أى ضغط أجنبى أو
أى عدوان صهيونى بما يكفل للشعب
الأردنى الباسل تحقيق غاياته .

وقد اتصل المؤتمر بحضرة صاحب الجلالة
الملك حسين ملك المملكة الاردنية الهاشمية
لا بلاغه ذلك وتأكيده ما سبق الإعراب
عنه من الاستعداد التام الأكيد لمعاونة
الأردن والوقوف بجانبها .

الكيان العربى

٧ - وضع المؤتمر خطة شاملة تهدف
الى توثيق روابط الكيان العربى وتنمية
التعاون بين الدول العربية الخالصة . كما بحث
المؤتمر وسائل تحقيق الوحدة العربية التي

الشرق الأوسط على ضوء ما ورد فى بيانهم
من مبادئ وأسس ، واتفوا على قرارات
محددة بشأن كل ما عرض أمامهم من مشا كل .
وفى على بعضها :

تدعيم الأمن

١ - تم وضع خطة شاملة لتدعيم الأمن
العربى والعمل على حفظ كيان الأمة العربية
والدفاع عنها ضد أخطار العدوان الصهيونى
والسيطرة الأجنبية التي تحول دون استتباب
السلام والاستقرار فى تلك المنطقة وتخلق
حالة من التهديد والتوتر .

تنسيق الدفاع

٢ - تم وضع خطة شاملة لتنسيق خطة
الدفاع العربى لمواجهة أى عدوان قد يقع
ضد أية دولة عربية من قبل اسرائيل التي
دأبت على سلوك سياسة عدوانية تنكر مبادئ
الحق والقانون وتجاهل قرارات الأمم المتحدة

اسرائيل ...

٣ - تم وضع خطة شاملة لمواجهة
موقف بعض الدول التي تسمح بجنود رجالها
للخدمة العسكرية فى القوات الإسرائيلية

٤ - تم الاتفاق على مواجهة الموقف
الذى يقتضيه امن الدول العربية تجاه امداد

العربية أن يعمل بكل الوسائل حتى تحل هذه القضايا حلا عادلا يحفظ للعرب سيادتهم وحقوقهم .

الجنرال جون جلوب

تعيده الأردن إلى بلاده

تفاقت التصرفات العدائية التي ما زالت تصدر عن الجنرال جون جلوب مخالفة للأمانة المطلوبة من مثله في مثل عمله الذي كان يقوم به في الجيش الأردني ، فاضطر الملك حسين ملك الأردن إلى إصدار مرسوم ملكي بانهاء خدمات هذا الضابط البريطاني بصفته رئيسا لأركان حرب الفيلق العربي ، وأسند منصبه إلى مساعده الوطنى الزعيم راضى غناب ، وقد غادر الجنرال جلوب وأسرته مدينة عمان فورا عقب صدور المرسوم ، وكانت قد أعدت له طائرة أردنية لتعيده إلى بلاده حالا . وقد أنهى المرسوم خدمات الكولونيل باتريك كوجهيل رئيس مخبرات الفيلق العربي ، والزعيم هانون مدير الحركات الحربية . وأحيل إلى التقاعد القائمقام عبد الرحمن الصحن والقائد سليم كداشة ووكيل القائد أميل جميعان وهم من صنائع الطاغية جلوب . وقد قامت الأفرح البهيجة في مملكة الأردن والبلاد العربية سرورا بهذه الخطوة الجريئة التي أقدم عليها الملك حسين وكانت من أكبر حسناته .

يؤمن الرؤساء الثلاثة إيمانا لا يتزعزع بأنها السياج المنيع للبلاد العربية الذي يضمن استقلالها ويكفل لها استكمال اسباب نهضتها .

سياسة سعودية سورية مصوية

٨ - وضع المؤتمر خطة شاملة لتنسيق السياسة السعودية - السورية - المصرية من النواحي السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية بحيث تكون نتيجة هذا التنسيق الشامل تعبئة جميع القوى وتوجيهها الوجهة التي تحقق المصلحة العليا للأمة العربية .

٩ - وضع المؤتمر خطة لمواجهة مشكلة الاحتلال البريطاني لواحة البريمي وإمارة عمان ورسم الوسائل التي تؤدي إلى إنهاء هذا النزاع على نحو يحفظ لهذه المناطق عروبتها ويحول دون الانتقاص من سيادتها وحقوقها

شمال افريقيا

١٠ - رأى المؤتمر بعد بحث مستفيض للوضع الراهن في شمال افريقيا - أن السياسة الفرنسية التي تمعن في انتهاك حقوق شعوب شمال افريقيا تهدد السلم تهديدا خطيرا في تلك المنطقة وعلى فرنسا أن تعترف بحق شعوب شمال افريقيا في الاستقلال طبقا لميثاق الأمم المتحدة ومبدأ حق تقرير المصير لسكل الشعوب .

١١ - رأى المؤتمر بعد بحث القضايا

فيها سكان من الجنود والضباط المتقاعدين والمسرحيين من رجال الجيش مع عائلاتهم، وستنظم هذه القرى على نمط المستعمرات الإسرائيلية القريبة من الحدود .

اللاجئون الفلسطينيون

ومعركة الإنقاذ

أرسل سكرتير مكتب اللاجئين في عمان برقية إلى الأقطاب الثلاثة المجتمعين بمصر : الملك سعود والرئيس شكري القوتلي والرئيس جمال عبد الناصر ، قال فيها : إن اللاجئين يحبون جهودهم المباركة لوحدة العرب وإنقاذ فلسطين ، ويرفعون قرارهم إليهم بتأييد الأردن ، والتماس قبولهم في الجيوش العربية ليكونوا المقدمة في معركة الإنقاذ .

أسلحة أمريكية للعرب

عادت أمريكا فرفعت حظر تصدير بعض الأسلحة إلى الوطن العربي ، وأذنت بشحن ١٨ دبابة وأجهزة إشارة وأدوات طائرات للمملكة العربية السعودية .

الاعتراف باستقلال مراكش

في يوم ١٩ رجب (٢ مارس) تمت في باريس المفاوضات بين جلالة الملك سيدي محمد بن يوسف ومسيورينيه كوتي رئيس جمهورية فرنسا على الاعتراف للغرب الأقصى باستقلاله وسيادته ، وهذه خلاصة التصريح المشترك :

سياسة السودان

أكد وزير خارجية السودان في مؤتمر صحفي أن سياسة السودان قائمة على عدم الدخول في أحلاف عسكرية مهما كانت ، ليكون السودان بمنأى عن الخلافات ، وأن انضمام السودان إلى الجامعة العربية يعني ارتباطه بسياستها . وأن مجلس الوزراء السوداني قد وافق على مقاطعة إسرائيل ، وأن الجهات المختصة في الحكومة ستتخذ الإجراءات اللازمة لإحكام هذه المقاطعة .

السودان

وحصار إسرائيل للاقتصادى

على أثر مذكرة تلقتها الحكومة السودانية من الجامعة العربية متضمنة الاقتراح بأن تتخذ حكومة السودان الاجراءات اللازمة لإحكام الحصار الاقتصادى على إسرائيل ، وإنشاء مكتب لمقاطعة إسرائيل أسوة ببقية الدول الأعضاء بالجامعة — انعقد مجلس الوزراء السودانى وقرر الموافقة على مقاطعة إسرائيل وإحكام الحصار الاقتصادى الذى ضربته الدول العربية عليها .

قرى المرابطين السوريين

على حدود اسرائيل

أقر مجلس النواب السوري مشروع قانون تقدمت به الحكومة السورية لإنشاء قرى دفاعية نموذجية على حدود اسرائيل يربط

١٢ مارس فى الرباط لجنة فنية للبحث فى تأليف الجيش المراكشى المستقل . كما تجتمع لجنة أخرى يوم ١٠ مارس لتحويل السلطات من أيدي الفرنسيين إلى الحكومة المراكشية .

جمهورية باكستان الإسلامية

قررت الجمعية التأسيسية الباكستانية أن يكون اسم دولة باكستان (جمهورية باكستان الإسلامية) .

بنك الجمهورية

وافق مجلس الوزراء المصرى على قرار بتأسيس شركة مساهمة مصرية باسم (بنك الجمهورية) وحدد رأس ماله بمليون جنيه قسمت على ٥٠٠ ألف سهم قيمة كل سهم جنيهان . وقد اكتتبت الحكومة المصرية بمبلغ ربع مليون جنيه ، وصندوق توفير البريد بـ ٢٥ ألف جنيه ، ومصاحبة صناديق التأمين والادخار الحكومية بـ ٦٠ ألف جنيه ، ووزارة الأوقاف بـ ٣٠ ألف جنيه ، والمجلس الدائم للخدمات العامة بألفى جنيه ، وهيئة التحرير بألفى جنيه ، وصندوق التأمين الخاص بضباط القوات المسلحة بثمانية آلاف جنيه ، ونقابة عمال ومستخدمى بنك التسليف التعاونى بـ ٢٥ ألف جنيه ، ونقابة المحامين بـ ٤٠ ألف جنيه ، ونقابة عمال القاهرة

« ان حكومة الجمهورية الفرنسية وجلالة محمد الخامس سلطان مراكش يؤكدان عزمهما على تنفيذ تصريح سان كلو الصادر فى ٩ نوفمبر سنة ١٩٥٥ ، وهما يقرران بعد التقدم الذى أحرزته مراكش أن معاهدة فاس التى عقدت فى ٣٠ مارس سنة ١٩١٢ لم تعد ملائمة لضرورات الحياة العصرية وتحديد العلاقات المراكشية الفرنسية ، ومن ثم فإن الحكومة الفرنسية تؤكد رسمياً الاعتراف باستقلال مراكش ، وهو استقلال يبيح لها بصفة خاصة جيشاً وسلطة دبلوماسية ، كما تؤكد الحكومة الفرنسية عزمها على احترام وحدة الأراضى المراكشية التى تكفلها المعاهدات الدولية .

وان حكومة الجمهورية الفرنسية وجلالة السلطان محمد الخامس يعلنان أن المفاوضات التى افتتحت بين مراكش وفرنسا فى باريس أخيراً - وهما دولتان متساويتان وتمتع كلتاهما بالسيادة - تهدف إلى عقد اتفاقات جديدة لتجديد العلاقات بينهما فى مجال مصالحهما المشتركة وتنظيم التعاون على أساس من الحرية والمساواة ، وبخاصة فيما يتعلق بشئون الدفاع والعلاقات الخارجية والمسائل الاقتصادية والثقافية ، وكذلك ضمان حقوق وحرىات الفرنسيين المقيمين فى مراكش والمراكشيين المقيمين فى فرنسا ، مع احترام سيادة الدولتين فى هذا الشأن ، وتجتمع فى

السد العالى

أكبر مشروع بنائى فى تاريخ العالم
السد العالى مشروع متعدد الأغراض
للرى ونتاج القوى الكهربائىة والسيطرة على
مياه الفيضان . فهو يتحكم تحكما تاما فى نهر
النيل لتحقيق هذه الأغراض المفيدة .

وقد أثنى عليه الخبراء المالىون والفنيون
الذين أوضحوا أن الفوائد السنوية التى ستجنى
منه تزيد عدة مرات عن النفقات التى يتكلفها
سنويا .

وهذا المشروع من حيث ضخامته يعتبر
أكبر مشروع بنائى فى تاريخ العالم . وسيكون
قوامه من الصخر ، و يبلغ طوله نحو ثلاثة
أميال ، وارتفاعه مالا يقل عن أربع مائة قدم ،
واسع قاعدته أربعة آلاف وخمسمائة قدم .

وسيكون هذا السد بمثابة أعظم خزان
صناعى فى العالم ، ويستطيع تخزين ما يوازى
ثلاثة أضعاف مخزون المياه خلف خزان (بولدر)
فى الولايات المتحدة . وسيقوم السد العالى
برى نحو مليون فدان فى مصر إلى جانب
توليد قوى كهربائية تبلغ مليون كيلوات .

وان عملية تشييد السد العالى تنطوى على
صعوبات فنية كبيرة ومسائل معقدة لم
يسبق معالجتها ، ويقوم بدراسة هذه الصعوبات
أعظم الخبراء فى العالم فى وقتنا هذا .

بعشرة آلاف جنيه ، كما اشتركت نقابات
وهيئات أخرى بمبالغ مختلفة وخصص الباقي
من الأسهم لأفراد الشعب . ويقول السيد
أحمد عبدالله طعيمة المراقب العام للاتحادات
والنقابات بهيئة التحرير العليا : إن هذا البنك
الذى يملكه الشعب هو الطريق إلى تحطيم
الاستبداد الاقتصادى والظلم الاجتماعى
وانخفاض مستوى المعيشة .

المرحلة الأخيرة للجلاء

انتهت المرحلة الرابعة من مراحل الجلاء
وبدأت المرحلة الأخيرة منه ولم يبق فى قاعدة
القنال إلقوات تقل عن عشرة آلاف جندى ،
وكان المقدر لها فى هذه المرحلة أن تكون
ضعف هذا العدد .

وفى يوم ١٨ يونيه القادم يحلوا آخر جندى
بريطانى عن الأرض المصرية إن شاء الله .

المعمل الذرى المصرى

تحدث سفير روسيا فى مصر إلى
الصحفيين فى أواسط رجب الماضى فقال
عن المعمل الذرى الذى اتفقت مصر مع
روسيا على إنشائه فى مصر : إن هذا المعمل
يعتبر مهما جدا بالنسبة لمصر ، إذ أنه سيحدث
فيها ثورة إنتاجية وعمرائية ضخمة ، وسيحيل
الصحراء إلى أراض زراعية ، وليستغل فى
جميع المشروعات التى تهم البلاد .

حديث جمال عبد الناصر

عن الخطر الذى يهدد العرب

أدلى الرئيس جمال عبد الناصر بحديث له بالتلفزيون مع ادوار مورو مراسل إذاعة كولومبيا الامريكية فقال جوابا على سؤال بشأن روسيا :

إنك تتحدث الآن عن خطر لا نشعر به وهو روسيا والعدوان أو التحكم الروسى ، ولكننا نرغب فى التخلص أولا من جميع الأخطار التى تواجهنا من الاستعمار والتحكم الغربى ، ووجه الرئيس جمال عبد الناصر اللوم إلى الولايات المتحدة لتأييدها حلفاءها الغربيين ضد الامانى القومية للشعوب التى يستعمرها الغرب ، وقال : إنكم تحالفون بريطانيا وفرنسا وتؤيدونها ، ونحن نشعر فى بعض الأحيان أنكم يتجاهلون أمانينا لإرضاء حلفائكم .

وقال عن إسرائيل : إن إسرائيل تعتبر بمثابة خطر يهدد العالم العربى ، وندد بالبيان الثلاثى الصادر سنة ١٩٥٠ لضمان خطوط الهدنة فوصف ذلك البيان بأنه نوع من التدخل والسيطرة . وإذا كان من الممكن اتخاذ أى إجراء للاحتفاظ بالسلام فى منطقة الشرق الأوسط فيجب أن تقوم بذلك الأمم المتحدة بنفسها .

ثم قال : علينا أن ندافع عن أنفسنا ضد أى عدوان ، وليس من العدل أن يقال عن الذين يريدون أن يدافعوا عن أنفسهم أنهم يريدون إثارة المشاكل .

قال مدير البنك الدولى : وإنى أعتقد أنه يجب توجيه الشناء إلى السيد رئيس وزراء مصر وإلى الحكومة المصرية لاتخاذهما القرار الخاص بتنفيذ هذا المشروع . فإن هذا يدل على بعد نظر كبير ، ومع أنه ستمضى عدة سنوات قبل الاستفادة منه فإن فوائده ستكون عظيمة جدا فى المستقبل لشعب مصر ورفع مستوى معيشتهم . وإن البنك الدولى ليسعدده أن تتاح له فرصة المساهمة فى مثل هذا المشروع العظيم .

مشاكل شمال افريقية

بيان مشترك من مصر وفرنسا

دارت اليوم الموافق ١٤ مارس سنة ١٩٥٦ بالقاهرة محادثات بين السيد الرئيس جمال عبد الناصر ، والسيد وزير خارجية فرنسا عرض أثناءها وزير الخارجية الفرنسية على السيد جمال عبد الناصر والسيد وزير الخارجية المصرية ، وجهة نظر حكومته وأهدافها الخاصة بمسائل شمال إفريقيا ، وكذلك أشار إلى القلق الذى يساور البرلمان الفرنسى والرأى العام فى فرنسا تجاه هذه المشاكل .

وقد أبدى الرئيس جمال عبد الناصر اهتمامه بالأمر ، كما أبدى استعداد الحكومة المصرية للمعاونة فى جميع الجهود التى تبذل لإيجاد حل سلمى لهذه المشاكل على أساس الأمانى والرغبات التى تبديها شعوب شمال افريقيا فى حرية تامة ...

الفهرس

صفحة	الموضوع	بسم
الاسراء	وللمراج	السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر
٨٢٥	تطور المجتمع المصري : بين الأمس واليوم والغد	الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٨٣٠	نفحات القرآن : دعائم المجتمع الصالح	» عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء
٨٣٧	السنة : سيد الأزواج	» طه محمد الساكت
٨٤١	الاله والوجوديون ٣ -	» محمد الطنبخي عضو جماعة كبار العلماء
٨٤٥	كيف تتعلم من الحياة ؟	» أحمد الشرباصي للمدرس بالأزهر
٨٤٩	الوحدة الإسلامية وعوامل الضعف فيها	» محمد فهمي عبد اللطيف
٨٥٦	العقائد في الميزان	» محمود النواوي
٨٦٤	أصول الاسلام والتقريب بين الأمم	» عباس طه المحامى
٨٦٩	الاسلام ينهض بالمرأة	» زكريا البرى
٨٧٣	الأمهات	» الأكبر الشيخ عبد الرحمن ناج شيخ الجامع الأزهر
٨٧٦	بنو إسرائيل في الماضي والحاضر - ٣ -	» محمد محمد أبو شعبة الأستاذ بكلية أصول الدين
٨٨١	الحسد والأثرة	» محمد سعاد جلال
٨٨٤	حكم المرتد في الشريعة الإسلامية	» عيسى منون شيخ كلية الشريعة السابق
٨٩٣	بحوث في الحضارة - ٢ -	» عيسوى أحمد عيسوى المدرس بكلية الحقوق
٩٠٤	بحوث في مصادر الشريعة النظرية - ١ -	» زكى الدين شعبان
٩١٠	عبد الأم	» محمد صالح لريدى
٩١١	الأزهر والأزهر وحده	» أبو الوفا المراغى
٩١٤	شباب الحرس الوطنى	» ناصف سليم
٩١٦	لغويات	» محمد على النجار
٩٢٠	تعلقات (الصحف المنحرفة)	» عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء
٩٢١	المكتب	المجلة
٩٢٦	الأدب والمعلوم	»
٩٢٨	أنباء العالم الاسلامى	»



من أحاديث

فضيلة الأستاذ الأكبر

بمناسبة حلول شهر رمضان المعظم

اثبات رمضان وذى الحجة

وحكم الشريعة فى اختلاف المطالع

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين : سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد - فقد عظم الاهتمام هذه الأيام بأمر توحيد بدء المواسم الإسلامية ، مما دعا بعض أئمة المسلمين فى بعض الأقطار إلى طلب عقد مؤتمر يمثل علماء جميع البلاد الإسلامية للنظر فى ذلك .

وقد استجاب الأزهر لهذه الفكرة ، وكان يود لو تهيأت الظروف لعقده قبل حلول شهر رمضان .

ونظرا لكثرة ما ورد إلينا من مختلف الأقطار الإسلامية من الاستفسارات عن حكم الشريعة فى اختلاف المطالع ، وهل من الممكن توحيد بدء الصيام فى جميع بلاد المسلمين ، رأيت أن أعود إلى هذا الموضوع الذى سبق أن تناولته فى مثل هذه الأيام .

* * *

إن من خير ما أرشدنا به الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى أمر الصيام ، وإثبات شهر رمضان ، قوله عليه الصلاة والسلام : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ، فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين » . فقد ربط ثبوت الشهر شرعا بهذه العلامة الحسية ، وعلق وجوب الصوم على تحقق الرؤية البصرية : رؤية الهلال بعد غروب الشمس ، فى اليوم التاسع والعشرين من شهر شعبان .

أما إذا كانت رؤية الهلال فى ذلك اليوم مستحيلا طبيعة : بأن كان القمر لم يتم بعد دورة كاملة يتحقق بعدها الاجتماع ثم الانفصال الذى يسمى « الميلاد » أو كان هناك عارض من العوارض الجوية التى تحول دون الرؤية ، فقد أرشد النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى ما يتبع

إثبات رمضان وذى الحجة

في ذلك : فأمر باكمال شعبان ثلاثين يوما ، ثم لا يكون المسلمون حينئذ في حاجة إلى تفقد الهلال في اليوم التالى ، لإثبات شهر رمضان .

غير أن هنا أمرا مهما يجب النظر إليه ، والفصل فيه بحكم يقطع الاختلافات ، التى تقع كثيرا بين أهل الأقطار الإسلامية فى اليوم الذى يبدأ فيه الصيام .

ذلك أن بعض هذه الأقطار قد يتيسر لأهلها رؤية الهلال ، فى حين أنه تتعذر رؤيته على أهل قطر آخر ، فهل يجوز أن يعتمد أهل هذا القطر الثانى على ما يبلغهم من تحقق الرؤية فى بعض الأقطار الأخرى ، فيصوموا معهم من أول أيام صومهم ، ويتوحد بذلك مظهرهم فى أداء عبادة من أهم العبادات ، وفى إقامة شعيرة هى من أعظم أركان الدين ؟

حقا أن مواقع البلاد على الكرة الأرضية مختلف شرقا وغربا ، وشمالا وجنوبا . واختلاف هذه المواقع - ولا سيما عند ما ينظر إليها بالقياس إلى الخطوط الطولية للكرة الأرضية - يوجب بالضرورة اختلافات وتفاوتات فى المواقيت : فتشرق الشمس على قوم قبل أن تشرق على آخرين بساعة وساعتين وثلاث ساعات وأكثر من ذلك ، على حسب التباعد بين الجهتين شرقا وغربا . ولذلك لا يمكن أن توحد مواقيت الصلوات اليومية ، ولا أوقات الإمساك والإفطار فى أيام رمضان فى جميع الأقطار الإسلامية ، مادامت الأوضاع قاضية بتفاوت تلك المواقيت ، وما دام الواقع يشهد بأنه قد يفرغ ناس من الإفطار وصلاة مغرب اليوم ، على حين أن ناسا آخرين لا يكونون قد فرغوا بعد من صلاة ظهر ذلك اليوم ، وأن أهل بلد يمسكون عن الطعام والشراب قبيل فجر يوم ، على حين أن أهل بلد آخر يكونون حينئذ فى وقت الضحى أو الظهر من ذلك اليوم . لكن اختلاف مواقع البلدان ليس له مثل هذا الأثر البالغ فيما يرجع إلى إثبات الأهلة ، فانه ليس بين الأقطار الإسلامية الشرقية والغربية تفاوت بمقدار يوم كامل . وإذا يمكن أن يتفق أهل هذه الأقطار على توحيده أول أيام الصيام ، وذلك بالاعتماد على رؤية الهلال ، وثبوتها ثبوتا أكيدا فى أى قطر من هذه الأقطار .

* * *

إن علماء الفلك يقررون أن هلال رمضان فى هذا العام سيمكث فوق الأفق فى مصر نحو ثلاث وثلاثين دقيقة ، بعد غروب الشمس من يوم الأربعاء الحادى عشر من شهر

إثبات رمضان وذى الحجة

إبريل سنة ١٩٥٦ ، فإذا لم يتمكن بعض أهل المشرق في أندونيسيا أو الهند مثلاً من رؤية الهلال بعد غروب الشمس عندهم من ذلك اليوم « الأربعاء » ثم رآه أهل الحجاز أو أهل مصر بعد غروب الشمس من اليوم نفسه ، فما الذى يمنع من اعتبار أن هذا الهلال هو هلال رمضان ، بالنظر إلى الهند وأندونيسيا وما إليهما من بلاد الشرق ؟ .

إنه لا شك فى أن هذا الهلال هلال جديد ، هو هلال رمضان ، كما أنه لا شك فى أن النهار الذى يلى ليلة رؤيته هو نهار الخميس بالنظر إلى جميع الأقطار ، فما المانع من أن يكون يوم الخميس هو أول أيام الصيام لجميع المسلمين ، مع فارق واحد ليس له كبير تأثير : وهو أن هذا اليوم « الخميس » يبدأ عند أهل المشرق قبل غيرهم من أهل مصر أو الحجاز مثلاً ببضع ساعات .

إنه لا شبهة فى أن الهلال هلال جديد ، وأن رؤيته فى الحجاز أو فى مصر تكون قبل انقضاء الليل عند أهل المشرق الذين لا يتمكنون من رؤيته فى أول ليلة ، ولذلك هم يرونه فى الليلة التالية أكبر حجماً ، وأعلى فى الأفق منزلة ، مما يكون فى الليلة الأولى عند أهل الحجاز أو مصر الذين يتمكنون من رؤيته فيها .

ومن هنا اختار كثير من العلماء عدم التعويل على اختلاف المطالع فى إثبات الهلال . وهو ملحظ قوى ووجهة نظر سديدة ، ويزيد ذلك قوة وسداداً أن توحيد بدء الصيام من أقوى العوامل على تمكين الروابط بين الأمم الإسلامية فى جميع أقطار الأرض ، وجمعهم على كلمة واحدة ، وطريقة واحدة . والناس الآن أحوج ما يكونون إلى عوامل التأليف والتقريب وتوحيد الكلمة .

وهذا الملحظ القوى لا يتنافى مع ما دل عليه الحديث : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » ، فإن ذلك خطاب للأمة الإسلامية المتكافلة المتساندة : فى إقامة شعائر الدين ، وإيجاب للصوم على جميع المكلفين ، متى تحققت رؤية الهلال . فيكفى إذا لإيجاب الصوم على أهل قطر أن تثبت رؤيته ولو فى قطر آخر ، فإن الحديث لم يقل : لا يجب الصيام إلا على من رأى هلال رمضان . وإذا لافرق بين قطر وقطر ، فيما يرجع إلى ثبوت الهلال ، كما أنه لافرق بين بلد شرقى وآخر غربى فى قطر واحد .

إثبات رمضان وذى الحجة

هذا - ولا ينبغي أن يتوهم متوهم أن قول الله تعالى : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه »
معناه : من رأى هلال رمضان فليصمه ، وأن ذلك يتنافى مع فكرة توحيد البدء بالصيام .
فإن اليهود فى الآية ليس معناه الرؤية ، فالأعمى والمبصر سواء فى إيجاب الصوم ، وإنما
الشهود هو الحضور ، والمعنى : من حضر شهر رمضان وأدرك فرضه وهو أهل للتكليف
بالصوم فواجب عليه أن يصوم .

وخلاصة القول أنه ما دامت مسألة اختلاف المطالع واعتبارها أو عدم اعتبارها محل
اجتهاد الفقهاء ، ذلك الاجتهاد الذى اختلفت فيه أنظارهم ، فلا يكون من بدع القول
أن يرجح أحد النظريين على غيره ، ويفصل فى المسألة بعدم التعويل على اختلاف المطالع ،
نظراً لما أشرنا إليه من أسباب الترجيح .

ولكن قد يقول قائل : إن هذا التوحيد إن صح أن يجرى على القطر الذى رأى أهله
الهلال وعلى الأقطار الواقعة غربيه ، فكيف يتحقق بين ذلك القطر والأقطار التى
فى الجانب الشرقى منه ؟ إنه إذا رأى الهلال فى مصر فى ليلة ، فإن هذه الليلة من وقت
غروب الشمس تكون من الشهر الجديد بالنظر إلى أهل مصر ، ولزم أن تكون كذلك
بالنظر إلى أهل تونس والجزائر ومراكش ، من بعد غروب الشمس عندهم أيضاً ،
بل إن رؤية الهلال تكون فى هذه الأقطار أبسر منها فى مصر ، لعلو منزلة القمر فوق
الأفق هنالك ، بسبب تأخر غروبه عن غروب الشمس أكثر مما يكون فى مصر ، لكن
تلك الليلة التى تحتسب جديدة لمصر وللبلاذ الواقعة غربها ، لا تكون جديدة لأهل
الأقطار الشرقية : كالباكستان والهند وأندونيسيا ، ما دام الهلال لم ير عندهم بعد غروب
الشمس .

قد يقال هذا ، ونحن نوافق على أن حالة البلاد الواقعة شرق قطر رأى أهله الهلال
تختلف إلى حد ما عن حالة البلاد الواقعة غربى هذا القطر ، لكن هذا الاختلاف
لا يمنع من الأخذ بفكرة توحيد البدء بالصيام .

وكل ما هنالك من فرق بين قطر شرق وآخر غربى يكون أهله قد رأوا الهلال
- ولا سيما إذا كان القطر الشرقى من المناطق الاستوائية التى يستوى فيها الليل والنهار
فى جميع فصول السنة أو يكون قريباً من ذلك - هو بضع ساعات من الليل ، تحتسب
لأهل البلاد الشرقية من الشهر القديم ، على حين تكون عند أهل مركز الرؤية

إثبات رمضان وذى الحجة

وما فى غربيه من الشهر الجديد . أما ما بعد هذه الساعات من الليل فانه يكون من الشهر الجديد ، بالنظر إلى أهل الشرق وأهل الغرب جميعا .

فتمت تحقق رؤية الهلال فى بلد من البلاد الإسلامية فانه يمكن القول بوجوب الصوم على جميع المسلمين الذين تشترك بلادهم مع بلد الرؤية فى جزء من الليل الجديد .

ولا يمنع من هذا التوحيد أن يكون الليل الجديد متحققا فى بعض البلاد الإسلامية « بلد الرؤية وما يقع غربها » عقب غروب الشمس ، على حين أن يكون تحققه فى البلاد الشرقية بعد ذلك بساعة أو ساعات إلى ما قبل طلوع الفجر .

وعلى هذا الاعتبار « اعتبار أن اشتراك أى بلد إسلامى مع بلد الرؤية فى جزء من الليل الجديد يحتم اشتراكهما فى بدء الصيام » يجب الصوم على أهل البلاد الاندونيسية جميعها وما فى حكمها ، بل على من هم أبعد من ذلك فى جهة الشرق إذا رأى الهلال فى مصر أو فى تونس مثلا ، ومن باب أولى إذا ثبتت رؤية الهلال فى قطر من الأقطار الواقعة شرق مصر ، ما دامت تلك البلاد تشترك مع بلد الرؤية فى جزء من الليل .

أما أهل البلاد التى لا تشارك بلد الرؤية فى جزء من الليل الجديد فانهم يكونون حينئذ فى نهار قديم ، هو نهار آخر أيام شعبان ، فعليهم أن يصوموا النهار الذى يتلو عندهم ذلك الليل الجديد .

وتكون النتيجة أن أهل الأقطار جميعها حين يصومون النهار التالى لتحقيق الرؤية فى قطر من الأقطار يكونون صائمين فى نهار جديد من شهر جديد .

* * *

« وبعد » فهذا البيان الذى يمكن أن يجعل أساسا فى العمل على توحيد الأقطار الإسلامية فى الحكم بثبوت الهلال — متى ثبتت رؤيته يقينا فى بلدة منها — لا يقتصر أمره على هلال رمضان . بل الحكم كذلك فى ثبوت هلال ذى الحجة الذى يتعلق به أمر شعيرة كبرى : هى شعيرة الحج والوقوف بعرفة .

فانه إذا رأى هلال ذى الحجة فى بلدة چا كارتا أو كراتشى مثلا بعد غروب الشمس

إثبات رمضان وذى الحجة

من يوم الأحد الثامن من شهر يولييه سنة ١٩٥٦ فان نظام دورته يسمح برؤيته حتما وبالطريق الأولى فى الحجاز ومصر وما بعدها من جهة الغرب ؛ وتكون الليلة الجديدة من شهر ذى الحجة فى كل قطار من هذه الأقطار ثابتة عقب غروب الشمس فى أفقها ، وإذا يكون الوقوف بعرفة فى يوم الثلاثاء وهو اليوم التاسع من أوله من غير شك .

أما إذا رأى الهلال بعد غروب ذلك اليوم «الأحد» فى مصر أو فى تونس أو فى بلدة من بلاد مراکش ، وكان نظام دورته لا يسمح برؤيته فى ذلك اليوم فى بلاد الحجاز ، كانت الليلة الجديدة ثابتة فى بلد الرؤية وفى كل بلد غربىها عقب غروب الشمس فى أفقها ، أما بلاد الحجاز فانها لا تدخل فى الليل الجديد إلا بعد ذلك بمقدار ما بينها وبين بلد الرؤية ، لاسكنها تشترك معها فى جزء عظيم من الليل الجديد ، وإذا تشترك معها فى جزء عظيم أيضا من نهار الثلاثاء الذى هو التاسع من ذى الحجة حسب الرؤية .

* * *

ومما تقدم يتبين أن الأمر فى توحيد الأقطار الإسلامية على أول ذى الحجة أيسر وأقرب منه فى موضوع الصيام وثبوت هلال رمضان ؛ لأن الفرق الزمنى بين الحجاز وآخر بلد من بلاد المغرب الأقصى على المحيط الأطلسى قليل جدا لا يمنع اتحاد الإقليمين فى حكم ثبوت الهلال ، فهما مشتركان حتما فى جزء عظيم من الليل وكذلك من النهار .

والله سبحانه وتعالى أعلم ، وهو الهادى إلى سواء السبيل ما

شيخ الجامع الأزهر

عبد الرحمن تاج

حديث الصيام في القرآن الكريم

وشهر رمضان المعظم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبد الله ورسوله الأمين ، خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه وكل من اهتدى بهديهم إلى يوم الدين .

« أما بعد » فإن أحسن الحديث كتاب الله تعالى ، نزل به الروح الأمين ، على رسول الله رب العالمين ، ليكون هدى للناس وموعظة ، ونورا وتبصرة ، يبشر وينذر ، وينصح ويذكر ، يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم . يربى في النفوس الخشية من الله ، ويلين القلوب بذكر الله ، فيه خير عون على تكاليف الحياة لمن أراد يسر هذه الحياة ، وفي هديه أقوى مبالغ إلى سعادة الآخرة ، لمن أراد هناة الآخرة ، والتمتع برضوان الله : « إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا ؛ وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما » . « الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلتين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ، ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ، ومن يضلل الله فماله من هاد » .

هذا القرآن الكريم ، يجب أن نتدبره دائما ، وأن نتدارسه دائما ، وبخاصة في شهر رمضان : « الذي أنزل فيه القرآن ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » . هذا القرآن قد أرشدنا إلى ما فيه خيرنا ، من شؤون معاشنا ومعادنا ، ونهنا إلى ما فيه عزتنا وسعادتنا ، في دنيانا وآخرتنا .

بصرنا القرآن الكريم بالعقيدة الحققة السليمة ، بما انبعث في سوره وآياته ، من أوله إلى آخره ، من تقرير أن الإله واحد ، ليس لأحد مع الله أدنى شركة في الألوهية ،

حديث الصيام في القرآن

أوصفات الربوبية ، ولا يستحق العبادة معه أحد ، مهما علت منزلته ، وارتقى في العالمين قدره ، فالملائكة والأنبياء ، وسائر الإنس والجن : كلهم سواء ، في أنهم عباد الله .

القرآن هو الدستور العام للمسلمين جميعا ، ومن تعاليمه القوية تستمد الدساتير الصالحة الرشيدة ، فهو الذى قرر مبادئ الحرية والعدالة والشورى ، وهو الذى أوجب التناصح والتعاون على البر والتقوى والتناهى عن الإثم والعدوان . هو الذى كرم بنى آدم حق التكريم ، وهو الذى أعلن حقوق الإنسان .

ومن هنا كان شهر رمضان الذى بدأ فيه الوحي بالقرآن مبدأ تحول فى التاريخ العام ، ومبعثا روحيا لعالم أذله البغى والجور ، وفشت به العداوات والخلافات ، وعبثت بانسانيته الأهواء والشهوات . ومن هنا كان هذا الشهر حدا فاصلا بين عهود الظلم والظلمات ، ظلمات الشك والشرك والإلحاد ومساوئ الجاهلية الأولى ، وبين عهد العدل والنور : نور الهداية والرشاد واليقين والحق المبين .

جاء القرآن تركيبة للنفوس ، وسموا بالقلوب ، وتوجيها للناس إلى معاني الإنسانية الكاملة ، وخصائصها الفاضلة ، وتخفيفا عليهم من أثقال المادية ، وتطهيراً لهم من أدران الفساد والبغى ، ونوازع الشر والشره والطمع ، لذلك كان الشهر الذى نزل فيه القرآن جديراً بأن يفرض فيه الصيام ، هذا النسك الروحي العظيم ، الذى تتجلى فيه تلك المعاني السامية ، التى يقصد إليها القرآن الكريم : من تطهير النفوس ، وإيقاظ الضمائر ، وبعث روح التراحم والتعاطف بين المؤمنين ، وحفز الهمم لنصرة الضعفاء والمظلومين ، وربط المسلمين جميعاً برباط الإيمان الذى يجمع أمرهم ، ويعلى كلمتهم ، ويجعل منهم أمة واحدة ، وقوة واحدة ، مهما اختلفت ألسنتهم ، وتباينت ألوانهم ، وتباعدت مواطنهم .

فشهر رمضان هو شهر القرآن . ولقد كان جبريل - عليه السلام - ينزل بأمر ربه فى ليالى هذا الشهر العظيم ، فيدارس الرسول - صلى الله عليه وسلم - ما سبق نزوله من القرآن الكريم ، وكانت هذه المدرسة ليلا حين تنقطع الشواغل ، وتجتمع الهمم ، ويتواطأ القلب واللسان ، على تدبر آيات القرآن .

وفى ذلك إحياء بأن النفوس الصافية تكون - فى أوقات الهدوء والصفاء - أقرب إلى فهم أسرار القرآن ، وتدبر معانيه ، وأسرع إلى التجاوب معه ، والتحقق بفضائله وآدابه .

حديث الصيام في القرآن

لقد نجح الصدر الأول من المسلمين ، الذين طبعهم القرآن بهديه ، وصقلهم بحسن تعاليمه وآدابه ، وجعل منهم مثلاً حية واعية ، يهدون بأخلاقهم المتشعبة بأخلاق القرآن ، نفوساً حائرة ، منشوقة إلى الهداية وحياة الاستقرار ، ويفسرون بأعمالهم وسيرتهم ، واستقامة سلوكهم ، سر عظمة القرآن ، وسمو تعاليمه ، وما جاء به من علاج الأمراض النفسية ، وحل مشاكل العالم الاجتماعية ، ففرفت راية الإسلام فوق ربوع المعمور من الشرق إلى الغرب ، وهكذا كان انتشار الإسلام وسريان مبادئه النقية الواضحة في مختلف أقطار الأرض : لم يكن ذلك بالسيف والسنان ، وإنما كان بالقرآن وحملته القرآن .

وفي ذلك الجواب السديد لمن يتساءل اليوم عن سر تقدم الدعوة الإسلامية وسرعة انتشارها ، ودخول الناس فيها أفواجا في بحر الإسلام .

هذا هو الحق ، وهذا هو واقع الأمر ، كما أن من الحق الذي يشهد به الواقع أيضاً : أن السبب في تأخر المسلمين في العصور التالية لعصر التقدم الأول ، وتخلّفهم عن ركب الحياة العاملة الناهضة ، هو قعودهم وتخاذلهم ، وضعف استمساكهم بالقرآن وهدى القرآن .

ولكن هذا الضعف وذلك التخلّف والتأخر لا ينبغي أن يكون شيئاً منها موجبا لليأس أو القنوط ، فإن فرص التقدم والنهضة والعزة والقوة متاحة مواتية ، والقرآن بين أيدينا وفي قلوبنا ، مصون محفوظ ، لا تبلى جدته ، ولا تضعف على مر الدهور قوته ، كتب الله له الحفظ ، وعصمه من التغيير والتبديل ، كما قال عز وجل : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » . « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد » .

فعلى المسلمين اليوم أن يتمتعوا بهذه الفرص السانحة ، وأن يعودوا إلى القرآن ، ليهتدوا بهديه ، ويصلحوا شؤون دنياهم وآخرتهم بارشاده ، ويقيموا به من جديد حياة قوية عزيزة .

ما أشبه موجة المادية الطاغية التي تغمر العالم اليوم بغمرة الجاهلية الأولى ، التي عصفت بالقيم الأخلاقية والمثل الإنسانية ، وصيرت العالم شيعاً متنافرة متدبرة .

إن الأمم القوية بالمادة اليوم تتبارى في اختراع أسباب الهلاك والتدمير ، وتسابق إلى اغتصاب حقوق الأمم الصغيرة الوداعة ، واعتصار ما فيها من مقومات الحياة ، فليس لهذه الأمم الصغيرة المستضعفة ، والشعوب الملونة ، نصيب في البقاء ، في نظر

حديث الصيام في القرآن

أولئك الأقوياء . فهل يجد العالم في هذا الطغيان والنهم ، حلا لمشاكله ، أو أمانا من مخاوفه ، أو استقرارا لحياة أفراده وجماعته ؟ !

إنه سوف يستمر في شر متتابع ، وخوف متلاحق ، حتى يكف عن الطغيان وموجبات العداوة ، ويأخذ في أسباب المودة والمسالمة ، ويصرف كنوزه وذخائره ، وجهوده ومواهبه ، الى ما فيه نفع حقيقى ، وتوكيد للاخاء الإنسانى .

إن في القرآن علاج حالة الاضطراب التى يشكو منها العالم الآن ، فهو يدعو إلى كلمة سواء بين الناس جميعا : كلمة تعلن المساواة الحقيقية بين أفراد الإنسان ، مساواة تساعد على تحقيق الترابط والتعاون ، بين الأمم والشعوب ، وتكون مظهرا صادقا لأخوة الإنسان للإنسان .

إن المساواة التى يقررها القرآن لا تعرف التفاضل بالألوان أو الأجناس أو الأوطان ، وإنما التفاضل الجدير بالرعاية والتقدير هو بمراقبة الله وبالعمل الصالح النافع الذى يرضاه الله . قال تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » .

ولقد أقام القرآن البراهين الدامغة على أن وراء هذا العالم يوما يحشر الناس فيه إلى الله ، فيحاسبهم على ما قدموا في هذه الحياة الدنيا من عمل : فكل فرد مهما سميت مكانته ، مسئول أمام الله عما أسلف ، وسيجازى عليه جزاء عدلا ، ولا تغنى فيه نفس عن نفس شيئا ، كل امرئ بما كسب رهين .

هذه هى المسئولية الفردية الكاملة التى تلزم الإنسان بحاسبة نفسه ، وتحمله على مراعاة العدل فى كل أموره ، وتمنعه من الغدر والطغيان .

« من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد » . « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

هذا هو العدل الذى أقام الله عليه أمر العباد : أفرادا وجماعات ، شعوبا وأما ، وهذه هى سنة الله فى خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا

شيخ الجامع الأزهر

عبد الرحمن تاج

مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى

الجنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر من شيخ الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي

في وادي النيل	٤٠٠
لطلبة وادي النيل	٣٠٠
لأعضاء والمدرسين بالأزهر	٣٠٠
خارج البلاد	٥٠٠
للطلبة خارج البلاد	٣٠٠
لأعضاء والمدرسين خارج البلاد	٤٠٠

الجزء التاسع - القاهرة في غرة رمضان ١٣٧٥ - ١٢ أبريل ١٩٥٦ - المجلد السابع والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هل استيقظ العملاق ؟

هذا ما يتساءلون عنه من أورشليم الجديدة وتل أبيب ، إلى نيويورك ، فواشنطن ،
فلندن ، فباريس ، إلى سائر عواصم الغرب ، وأمها ت بلادہ .

كلهم واقفون مبهوتين واجمين : يتساءلون بينهم وبين أنفسهم ، ويستطلع كل فريق
منهم ما في نظرات صاحبه من خفايا المعاني ، عن هذه الأحداث التي تقع — على غير
ما ألفوه من قبل — فيما يسمونه الشرق الأوسط . وهم يسمونه الشرق الأوسط ، ويعنون به
أكثر من ذلك ، وأوسع ، وأكبر : يعنون به هذه الشعوب الناطقة بالضاد ، ويعنون به
أبناء الملة التي حملت إلى الإنسانية رسالة الحق والخير والرحمة ، بل يعنون به العملاق
العجيب الذي نام في جزيرة العرب بضعة آلاف من السنين قبل الإسلام ، فكان ينام
على مزاييا وسجاييا ومواهب ومدارك ظلت محجبة عن أعين الناس دهرا طويلا ، محتفظة
بجزئتها الغالية ، ومغتبطة بطهارة أرضها ، وصفاء جوها ، ونقاء نفوس أهلها . . إلى أن
بعث فيها حامل أكل رسالات الله ، فتحركت الصحراء على حين بفاة من التاريخ ،
فاستقبل التاريخ من جبالها وأوديتها بدوالا كالبدو ، وكان التاريخ يعهد البدو — في كل أمة

من أمم الشرق والغرب بلا استثناء - جماعات بدائين لا يزيد عدد الألفاظ في لغاتهم على بضع مئات تترجم عن عقول سطحية مريضة بالضلالات والأوهام والتفكير الملتوى ، فإذا بهؤلاء البدو - المقبلين من أودية جزيرة العرب وهضابها - أهل بيان غنى بكنوز المعاني في جواهر من الألفاظ تملأ عشرين مجلدا من معجم لسان العرب ، حول كل جوهرة من جواهرها هالة من أشعة تتلألأ بجمال الأفكار الصافية والحقائق السليمة ، مترجمة عن مدارك وأحاسيس ذات تاريخ في الماضي عميق 'تعد لغة التوراة ولغة الإلياذة والأوديسة ولغة فرجيل وهوارس لغات فقيرة بآسة إذا وضعت معاجمها في حضارتها - فضلا عن بداوتها - إلى جانب معجم لسان العرب في مكتبة الإنسانية .

يقول المؤرخ الهولندي رينهاردت دوزى وهو يصف خروج العملاق من صحارى جزيرة العرب وجبالها ، إلى أودية دجلة والفرات وبردى والنيل ، وما وراء ذلك إلى إسبانيا وفرنسا ، وإلى الهند وجبال هملايا :

« شعب جديد ظهر بغاة من بين تلك الصحارى التى لا يكاد يعرفها أحد .

« شعب جديد بدأ يمثل دوره على مسرح الحياة ، بعد أن ظل منها مقسماتناوى كل قبيلة منه القبيلة الأخرى .

« ها قد رأيناها يتحد ، ويجمع شمله الشتيت ، للمرة الأولى . . .

« ذلكم هو الشعب الناهض الذى تملك نفسه حب الحرية ، وساعدته على النجاح صفاته النبيلة . . .

« كان شريف النفس ، أريحيا . فاذا استترته مرة فهو قاس ، غضوب ، شرس ، لا يننى عن أخذ ثأره ، ولا يردّه عن انتقامه شئء .

« ذلكم هو الشعب الذى قلب - فى لحظة واحدة - إمبراطورية الفرس ، بعد أن ظل السوس يخترق عظامها قرونا عدة ، وانتزع من خلفاء قسطنطين أبجل ضواحيهم . ثم سحق مملكة جرمانية حديثة العهد تحت قدميه ، وشرع يهدد - بعد ذلك - بقية أوربا . بينما كان - فى ذلك الوقت نفسه - يوالى فتوحه وانتصاره فى الجانب الآخر من المعمورة ، حتى وصلت جيوشه الظافرة إلى الهملايا . . . » .

هذا هو العملاق الإنسانى العجيب ، الذى حمل لواء العدل وحكمة الحكم فى زمن الخلفاء الراشدين فدولة بنى عبد شمس إلى القارات الثلاث المعروفة يومئذ : آسيا وإفريقية وأوربا ، فكان هذا العالم الإسلامى كله من ثمرات جهادهما ، وكان كيان العروبة وإخاء الإسلام الإنسانى من صنعهما وتأليفهما .

واستعجمت دولة الإسلام بعد ذلك ، فتخذر العملاق بأدب الشهوة والبذخ والضعف وبسخافات الفلسفة اليونانية وخیالات التصوف البرهمنى ، وبوثنیة العبودیة للأشخاص ، وضلالات وحدة الوجود ، إلى أن نام العملاق ، فتولى حراسته وسرقته والعبث بكيانه - وهو نائم - حكومات من أهل المتعة واللهو ، وحنالات من الممالك والأقنان ، والجهلة والحمقى ، يتخللهم بين الحين والحين رجال من أهل الله جاهدوا فى سبيل الله محاولين تدارك الموقف ، فیاخذ الله بأيديهم ، ويبعث الحياة فى العملاق على عهدهم ، ثم يخلف من بعدهم خلف ينزلون بالمتعة واللهو وينحدرون إلى الهاوية ، فطمعت الأغيار - فى خلال ذلك - بهذا السكان العظيم ، وكانت حروب الصليبيين الوحشية ، واجتياحات المغول والتتار الهمجية ، وأفظع من هذه وتلك هجمات المذاهب المنحرفة ، والخرافات المضنية ، والعقائد الضالة ، إلى أن كان من عواقب ذلك استسلام كثير من ممالك الشرق والغرب الإسلامية للاستعمار البرتغالى والهولندى فالبريطانى والفرنسى ... الخ ، وكان لذلك - من مقدماته إلى نتائجه - تاريخ أن يتمكن أبناؤنا وأحفادنا من الاتعاط به والاعتبار بعبره إلا إذا نجحنا فى كتابته على وجهه من جديد .

ولكن هل استيقظ العملاق بعد ذلك ؟

وهل نحن الآن فى دور جديد من تاريخ العروبة والإسلام يتوقع منا تاريخ الإنسانية أن نستأنف فيه القيام برسالتنا ، فنمثل فصلا آخر من قصة الحق والخير على مسرح الحياة ، كالفصل الأول الذى مثلناه فى دولة الراشدين وزمن الملوك النبلاء من بنى عبد شمس الذين تغنى بالثناء على جهادهم وسجايهم المؤرخ الهولندى دوزى وعشرات من أمثاله ؟

هذا ما جئت الآن أتحدث به إلى قرأى فى دنيا العروبة وأقطار العالم الإسلامى .

من المبادئ التى كنت أؤمن بها إلى ما قبل بضع سنوات أن المسادين إلى خير ، ولكن الضعف فى القيادة .

وقبل أقل من أربع سنوات قامت هذه الثورة في مصر ، فطراً على عجلة القيادة هذا التغيير الذى نشاهد آثاره ونلمسها كل يوم فى الداخل والخارج ، ومن ذلك أن الشؤون الإسلامية والقضايا العربية التى كان ينادى بها ويلفت الأنظار إليها أفراد وجماعات من طبقات الشعب ، تولاها الآن الأقطاب الرسميون من ولاية أمور هذا الشعب ، فوقف الغرب ينظر إلى هذا التطور مبهوراً واثقاً ، وأخذ القوم يتساءلون عن العملاق الذى عرفوه فى وثبته القديمة ، ثم فى نومه الطويلة : هل تراه استيقظ أم لا يزال نائماً ؟

ولولا غشاوة من التعصب تظلل عيني الغرب ، لعلم أن له الفضل الكثير فيما وقع من يقظة هذا الشرق الأوسط ، بما ارتكب رجال الاستعمار من حماقات دفعتهم إليها موارث من تعصبهم على الإسلام وأهله ، وكان منها وعد بلفور فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ ، وما جره على الإنسانية كلها من متاعب ، ثم الظهير البربرى فى ١٦ مايو سنة ١٩٣٠ وما دل عليه من خطط التعصب المبيتة للعروبة والإسلام . إن هذه الحماقات وعشرات من أمثالها هى التى كان لها الفضل فى الإيماضة التى أخذت توظف عيون العرب والمسلمين ، وجعلت ولاية أمورهم يسابقون جماهيرهم إلى رعاية قضايا العروبة والإسلام وحمايتها ، كما فعل سلطان المغرب الأقصى فيما بين عرشه ومنفاه ، وكما رأينا فى اجتماع أقطاب العروبة وقراراتهم فى أواخر الشهر الماضى .

إن هذا كله من بوادر يقظة العروبة والإسلام ، ولكن العملاق نفسه لا يزال بين اليقظة والنوم . إنه أفاق من مخدر واحد وهو المخدر الاستعمارى من جانبه السياسى والعسكرى ، ولا تزال مخدرات أخرى كثيرة تحول بين العملاق وبين نهوضه لاستئناف رسالته من جديد .

فالصحافة - وهى من عناصر القيادة - تجارى الثورة فى اتجاهاتها لإنقاذ الشرق العربى والإسلامى من براثن الاستعمار ، ولكنها - من الناحية الأخرى - لا تزال تغرى الأمة بالتحال والميوعة والاستمتاع بالشهوات ، فتقيم بينها وبين الرجولة والشهامة والنبل سداً منيعاً يبقى معه ذلك العملاق سادراً فى نومه إلى يوم القيامة !

والأدب والفن لا يزالان فى ضعفهما وتخلفهما وتعبيرهما عن حياة الخساسة والشهوة والتفكك ، وكيف يقوم للأمة كيان صلب يثبت لأحداث الدهر وجلاد الجهاد ما دام الأدب والفن على ما نرى من ضعف وتخلف !

ومع أن وزارة المعارف القديمة تحولت إلى وزارة تربية وتعليم ، فإن مدارسها وجامعاتها لم تؤمن بالتربية بعد ، والقائمون على كراسي هذه المدارس والجامعات لا يزالون في حاجة إلى من يوجههم إلى رسالتهم في إيقاظ العملاق - ولو في أشخاص أبناء الجيل الآتى - بتصحيح ما دسسته الشعوبية في تاريخ العروبة من سموم ، وبتقويم ما طرأ على طريقنا العلمى والثقافى من عوج ، إلى أن تصبح أداة التربية والتعليم فى مصر وأوطان العروبة والإسلام صالحة لتخريج الجيل العربى المسلم الذى يؤدى للانسانية رسالة قوميته النبيلة .

والوقت ، وهو أثمن عناصر الثروة فى الأمم ، لا تزال شعوبنا ماضية فى تبيده بالمقاهى ودور الملاهى والسينما ، ومطالعة القصص الجوفاء التى تثير الأهواء فى القلوب ، والغرائز فى الأجسام ، فتريد الشعب تسماً بالمخدرات الفكرية التى تأمرت عليه ، فتركته خاملاً عاطلاً . ولو أن الأفلام والأفلام التى تدفعه فى هذه المهاوى دفعا قد أتاح الله لها يدا قوية حازمة تكفها عنه ، وهب دعاة العزيمة والقوة لقيادته فى سبيل العزة كاللدعاة الذين قادوا صدر هذه الأمة الى ما وصفها به المؤرخ الهولندى دوزى ، لسكان ذلك من أعظم مفآخر الثورة التى نعيش فيها .

إن العملاق الذى يتساءلون عن نومه ويقظته هو الآن بين النائم واليقظان ، وقد كان نائماً بمخدرات كثيرة العناصر والأنواع والألوان ، منها ما هو قديم ومنها ما هو عصى ، ولكنه لما نام نام على موارثه من المزايا والسجايا والمواهب والموارد ، ولن تتم له يقظته إلا بشفائه من تلك المخدرات بجميع عناصرها وأنواعها وألوانها قديمها وجديدها ، وهذه هى مهمة الأزهر ومدرسيه ، والجامعات وأساتذتها ، والمدارس والمعاهد والقائمين عليها ، على أن تجد الأمة والدولة وسيلة لكف أفلام السوء فى الصحافة والأدب عن الدعوة إلى أدب المتعة والشهوة والفن الخليع ، فإذا تم ذلك استيقظ العملاق الذى يتساءلون عنه ، واستيقظت معه موارثه من الموارد والسجايا والمواهب ، فيكون على يده - فى الغد القريب إن شاء الله - شفاء الانسانية من أوصابها ومتاعبها الخلقية والاجتماعية والسياسية ، كما شفيت الانسانية على يده من مثل هذه الأوصاب والمتاعب فى يقظته الأولى ، يوم خاطب الله حامل أكرم رسالاته بقوله « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » .

نفحات القرآن

- ٣٩ -

سـيادة الامة

(١) في القوة . . . (ب) والتعاطف

(١ - فقاتل في سبيل الله ، لا تكلف إلا نفسك ، وحرص المؤمنين) .

١ - كانت الدعوة الإسلامية - ولا تزال - مسالمة ، وأهدافها - دائماً - إصلاحية . . . ولكن النفوس الجاحمة كانت - ولا تزال كذلك - تلتوى عن الهدى ، وتتعلل بالأسباب الباطلة . . . ثم يظل الشيطان جاثماً بين جنوده ، ينفث فيهم نزغاته ، ويستفزهم بهمزاته ، فينصبون للخير عقبات ، ويعترضون المصلحين باصطناع الأكاذيب ، وأفانين المحاولات .

وحينئذ تكون الدعوة الهادية بحاجة إلى شيء من الصلف ، وإلى جانب من العنف ، لتدفع خصومة الأشرار ، وتحمي نفسها من العدوان ، وتشق سبيلها إلى ما قصدت إليه من تحقيق الخير لأنصارها ولخصومها على السواء .

كذلك كانت سياسة الإسلام في رسالته ، ولم تكن الحروب في شرعته غاية مرموقة ، بل كانت وسيلة ألجأه إليها خصومه ، فأخذ بها ردها ودرية إذا اعترضوه ، ويعرض عنها إذا سالموه ، ولم تكن سيادته مأمولة لو لم تكن له قوة ومضاء ، أو لم يكن لرجاله استعداد للتضحية والفداء .

ولقد بلغ من حرص الإسلام على الاحتماء بالقوة أن يأمر الله نبيه بالقتال في سبيله ولو كان وحده (فقاتل في سبيل الله ، لا تكلف إلا نفسك) ومعنى ذلك : أن النبي رسول

دعوة ، وأنه مطالب في سبيلها بالتضحية ولو لم يكن له نصير من الناس ، وحينئذ يكون الله متكفلا به وبرسالته التي بعثه لتبليغها وأقامه على تنفيذها .

ولكن الله لم يقفه عند ذلك التكليف ، بل أمره أن يدعو المسابدين إلى التأهب ، ويحرضهم على أن يكونوا حاشية له وجنودا تحت إمرته ، فقال تعالى : « وحرّض المؤمنين » أى حثهم على الاستعداد ، ليشعر العدو أن لهم قوة يعتمدون عليها ، وبسالة يعترضون بها .

وفي معرفة القوة لهم والعلم باستعدادهم رهبة وتهديد ، وكف للطامع وصد عن العدوان .

ومع ما في هذه الكلمات الموجزة من إشادة بالقوة وحفز على اليقظة ، ليس فيها دفع إلى اختلاق الحرب ، ولا ترغيب في التهافت عليها ، فإن الإسلام رحمة ، والحرب قاسية ، وهو لا يميل إلى القسوة إلا إذا تحتمت وسيلة إلى الإصلاح ، فحينئذ تكون الغاية مبررة للوسيلة .

وقد لا يحتاج إلى استخدام الوسيلة ، إذ المعهود أن أرباب الطغيان يغريهم ضعف الضعيف ، وتجرده من أدوات المقاومة ، فإذا استشعروا قوة تنازلهم نكصوا ، لأنهم على غير إيمان بحق يحمونه ، أو عدل يستعصمون به ، والباطل إذا تخيل الحق في طريقه تخاذلت قواه ، وآثر السلامة بنفسه إن توافرت له السلامة ، وعندئذ تكون الوسيلة مجدية أى جدوى ، وانظر : تجد أن الله تعالى - بعد أن كلف رسوله بالقتال ، وبتحريض المؤمنين على التأهب له - وعد أن يكف عنهم بأس الخصوم وإن تكاثروا ، وسواء كان بأس الخصوم واقعا أو منتظرا ، والله لا يخلف وعده (والله أشد بأسا ، وأشد تنكيلا) .

وهناك آيات أخرى تؤازر هذه الآية في الحث على الاستعداد للحرب ولو لم نقارباها ، لثلا يبيغتنا العدو . . . » وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم . . » أيها الذين آمنوا خذوا حذركم . .

وهناك آيات كثيرات تهيب بالمسابدين أن يدخلوا في الحرب ، وتستفزهم إلى التنكيل بالعدو أشد ما يمكن ، ولسكنها آيات روعى فيها أن نار الحرب مشبوية من جانبهم ولا محالة ، وأن كيدهم للإسلام محتدم ، فحينئذ يكون الأمر أمر دفاع من جانبنا ، وتخلص

من الشر قبل أن يحدق ، وأمر إعلاء لكلمة الله ، ومناصرة للدين على أعدائه . . . ومع هذا الاستنهاض ينجح الإسلام الى الرحمة ، ويؤثر المسالمة ؛ إذا تبينا من العدو رغبة في الصلح وميلا إلى السلام ، ولو كانت كفة الإسلام راجحة في الحرب ، فإن السكف عن الحرب ساعتهذ رحمة تلائم طبيعة الإسلام وتكشف عن رفته : حتى على الخصوم .

« وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله »

ب — وأنت ترى في مقامنا هذا رغبة بادية في تلافي الخصومة ، وتوجيها إلى المصالحات ، وتلميحا إلى الشفاعات والتدخل ممن يستطيعون التدخل قبل أن تندلع نار الحرب ؛ أو قبل أن يتسع بلاؤها ، وترى ترغيبا في التعاطف وتقريب النفوس إلى التفاهم الودى . . . والله يقول في ذلك آيتين أولاهما — (من يشفع شفاعا حسنة يكن له نصيب منها ؛ ومن يشفع شفاعا سيئة يكن له كفل منها . . . وكان الله على كل شيء مقيتا) .

ففى هذه الآية حث على الشفاعة الحسنة : وأولى ما تكون الشفاعة بين من تنشب الحرب بينهما إذا أمكن كبجها : رحمة بالإنسانية ، وأملا فى الصفاء ، والشفاعة لا تختص بهذا وإن كان السياق يجعله أولويا ، لذكر الشفاعة عقب الحث على القتال والتأهب له . . . والشفاعة الحسنة على أى حال عمل إنسانى مشكور وسعى مأجور : فأنها لا تعدو جلب نفع للغير ، وتحصيل حق ضائع لمستحقه ، أو دفع ضرر يلحق بأنسان : وهى ما دامت فى حدود الخير ولا تستتبع إيذاء ولا ضررا بأحد فهى الشفاعة الحسنة التى يكون لصاحبها نصيب من الجزاء عليها فى عاجله وآجله

وإذا كانت الشفاعة سيئة فلصاحبها جزاء سيئ عليها ، والمرء مجزى بعمله ، إن خيرا نغير ، وإن شرا فشر .

وتكون الشفاعة سيئة إذا كانت فى منع حق عن صاحبه أو لجلب ضرر بأنسان ، أو فى عصبية لجانب دون جانب ، وهكذا مما لا يتفق مع عدالة الإسلام ، أولا يوائم الصالح العام ، والله قادر على مجازاة كل امرئ بما قدم ، كما هو مقيت وقادر على كل شيء مما عظم أو هان .

الآية الثانية — « وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها ، أو ردوها ، إن الله كان على كل شيء حسيبا » .

وهذه الآية تشف عن جانب كبير من الأدب ، وتدعو الى كثير من التلطف :
فالناس عادة يتبادلون التحية ؛ وفي التحية مجلبة للود ، واتجاه إلى المحبة ، أو على الأقل :
هى رغبة فى المسالمة والبعد عن هواجس الشر .

والله سبحانه يوجب على من تلقى تحية من الآخر أن يقابلها بخير منها لفظا وبشاشة ،
أو بمثلها على الأقل فيما يقوم مقامها ، أو يحى بنفس الألفاظ التى تلقاها تحية له .

وذكر هذه الآية بعد آيات الحرب - كما ذكرت آية الشفاعة - يؤذن بأن القصد الأول
منها قبول التحية من العدو المحارب إذا تقدم بالتحية راغبا فى السلام والأمن .

فان فى ذلك اتجاها إلى المودة الإنسانية ، والمصالحة المنشودة . ومن المسكارم
الإسلامية ألا يكون المسلم جافا غليظا مترمنا حتى مع من كان معه فى حرب ، أو كان وشيك
الحرب ، وكل ذلك مشروط بالأمن من خداعه ، والاطمئنان إلى مسالمة واتقاء الأذى من
جانبه فى ظل المودة المصنوعة .

فكما يحب الإسلام من أهله أن يكونوا أهل مودة ، وأعوانا فى المجتمع البشرى ، غير
معترلين الناس ، ولا مجافين للغير ، يحب منهم كذلك أن يكونوا أيقاظا لما يراد بهم ،
ونبهاء لما يبيت لهم .

والتحية بين الناس على العموم وسيلة الألفة ، ولغة المودة ، ولذلك شرع لها الإسلام
ألفاظا تدل على معان كريمة : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فالإسلام (وهو الأمان) ، والرحمة ، والبركة ، خير ما يجرى بين الناس
من المبادئ الأخلاقية .

وقد اتسع كلام العلماء فى عمومها بين المسلمين وغير المسلمين ، والمستحسن جوازها
لإشاعة الألفة وتقريب الأنفس ، ولعلها وسيلة إلى الإسلام والدخول فى حوزته .

وبعد ، فقد تبين من أهداف الإسلام ورعايته للحياة الاجتماعية أن نكون أقوياء فى
وسائلنا الحربية ، وأن نكون متعاطفين فى الخير ، مسلمين لمن يسلمنا وحذرين ممن يخادعنا .

وهذه توجيهات حملها إلينا القرآن فى برامج الخالدة ، ولكنها غربت عنا منذ تولى
عنها كثير منا .

وقد انتفع بها غيرنا ممن رمونا بدائهم وانسلوا بعيدين عن نقائص كثيرة كانت لهم لا لنا .
وبهذه التوجيهات سبقونا في الميدان الدينى ، وأصبحنا فى اعتبارهم وفى نظر أنفسنا
دونهم فى المستوى الخلقى .

وإن يكن لنا شئ من العزاء عن هذا التخلف ، فهو أن كتاب الله المجيد قائم بيننا ،
يمجدد فينا ما بلى ، ويقوى ما وهن .

ولعل مبعث الأمل يكون فى النشاط الذى جاش فى وعى الشعوب العربية ، وفى تجاوب
الأقطار الإسلامية نحو الوحدة الوثابة فى مصر وسواها ، وإن مصر لتسير بتوفيق من الله
على هدى الله .

فهى غير باغية على أحد ، ولا مستعدية لدولة على دولة ، وإنما هى أمة هزتها
أريحية مجدها القديم ، ودفعتها نفحة دينها القويم ، فأخذت بدعوة القرآن إلى إعداد العدة ،
وإلى العمل على نشر المودة ، وتعميم المحبة ، وأفسحت خطاها فى مجالها العمل وميدانها
الاقتصادى ، فمن رضىها كذلك فهو منا ونحن منه ، ومن ساءه هذا ولم يعجبه أن يتجه العالم
كله إلى مصر ويشيد بثورة مصر فليذهب بأحقاده إلى حيث شاء . . . ومصر مع الله ،
والله سبحانه مع مصر ما

عبدالمطيف السبكى

مدير التفتيش بالأزهر
وعضو جماعة كبار العلماء

المروءة

سأل معاوية عبد الله بن عمر بن الخطاب (رضى الله عنهم) : ما المروءة ؟ فقال :
تقوى الله ، وصلة الرحم .

ثم سأل المغيرة بن شعبه : ما المروءة ؟ فقال : العفة عما حرم الله ، والحرفة
فما أحل الله .

ثم سأل ابنه يزيد : ما المروءة ؟ ، فقال : الصبر على البلوى ، والشكر على النعمى ، والعفو
عند المقدرة . فقال له معاوية : أنت منى حقاً ، وما نكبت المغيرة عن القصد .

السيرة

سيد الأزواج

- ٢ -

الأم الفريدة - أحفظ الناس للصنيعة - أولاده
صلى الله عليه وسلم - سيدة نساء أهل الجنة -
الشان في الزواج النبوى - زوج لا تعوض -
من بركات سودة رضى الله عنها .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : ما غرت على أحد من نساء النبي صلى الله عليه وسلم -
ما غرت على خديجة ، وما رأيته ، ولكن كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر ذكرها ،
وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ، ثم يبعث بها في صدائق خديجة ، فربما قلت له :
كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة ! فيقول : إنها كانت ، وكانت ، وكان لى منها ولد .
رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى .

* * *

فى العام العاشر من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، وفى الشهر الذى توفى فيه عمه
أبو طالب - لبت خديجة نداء ربها راضية مرضية ، تاركة وراءها فراغا لم يملأ بعد .

ذلك بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفقد بموتها شريكه حياته الأولى ، ورائدة بيته
المثل ، وأم ولده الفضلى وحسب ، ولكنه فقد بموتها أكبر عون له - من بعد الله
عز وجل - على تبليغ الرسالة ، واحتمال أعباء الدعوة ، كما فقد المؤمنون الأولون بموتها
أما لم تلدهم ، ولكنها أولى من أمهاتهم اللأئى ولدنهم برا ، وأقرب لهم نفعا .

لقد حزن النبي صلى الله عليه وسلم على وزيريه أشد الحزن وأعظمه ، حتى سمي سنة وفاتها عام الحزن ! وما بلغ حزنه على موت أولاده معشار ما بلغ عليهما !!

ولكن ماذا يفيدان من الحزن ، وإن كان الحزين إمام الصابرين ؟!

إذا فلا بد من مكافأة الجميل بأجمل منه ، ومجازاة الصنيعة بأحسن منها ، ومن أولى بذلك من إمام الشاكرين ؟

وفي مكافأته وشكره يقول صلوات الله وسلامه عليه فيما رواه الترمذى : ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه بها [١] ما خلا أبا بكر ، فإن له عندنا يدا يكافيه الله تعالى بها يوم القيامة .

* * *

فأما عمه أبو طالب فقد بذل الجهد في مكافأته وهدايته ، جزاء ما قدم له وللإسلام ، من أياد جسام ، وقد بسطنا القول في ذلك ، في جزأى ربيع الآخر وجمادى الأولى من العام الماضى .

* * *

وأما أم المؤمنين خديجة رضوان الله عليها ، فخرج القول في مكافأتها إلى بيت النبوة الثالث ، بيت الصديقة بنت الصديق رضى الله عنهما .

* * *

وأولاد النبي صلى الله عليه وسلم - في أصح الروايات وأشهرها - سبعة : القاسم ، وهو أولهم ، وبه كان يكنى صلوات الله وسلامه عليه ، وإبراهيم وهو آخرهم ، وعبد الله ، ويقال له الطاهر والطيب ؛ وزينب وهى كبرى بناته الأربع ، ورقية وأم كلثوم وفاطمة . وكل أولاده من خديجة رضى الله عنها إلا إبراهيم فمن مارية القبطية [٢] التى أهداها وأختها سيرين فيما أهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، صاحب مصر والإسكندرية

(١) هكذا الرواية بالياء فى الماضى ، وأما الآتى فروى بالياء كذلك ، وروى بالهمز .

(٢) ولد إبراهيم سنة ثمان من الهجرة وتوفى رضيها ودفن بالبقيع ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن له مرضعا فى الجنة . وأما أمه مارية رضى الله عنها فتوفيت سنة ست عشرة فى خلافة عمر رضوان الله عليه ، وقد حشر الناس إيشهدوا جنازتها وصلى عليها ودفنها بالبقيع . انظر الجزء الأخير من المجلد ٢٥ .

جريح بن مينا الملقب بالمقوقس ، أهداهما في السنة السابعة من الهجرة . . . وقد وهب النبي صلى الله عليه وسلم سيرين لحسان بن ثابت رضى الله عنه .

وقد احتسب النبي صلى الله عليه وسلم جميع أولاده ما عدا فاطمة الزهراء ، أحب أهله إليه ؛ فأنها عاشت بعده ستة أشهر . وكان النبي صلى الله عليه وسلم أخبرها في مرض موته أنها أول أهله لحوقا به ، وبشرها بأنها سيدة نساء أهل الجنة بعد مريم بنت عمران . وكان إذا أراد سفرا جعلها آخر العهد به ثم صلى ركعتين ، وإذا قدم من سفر جعلها أول العهد به بعد أن يبدأ بالمسجد فيصلى ركعتين .

ومن لطائف ما قيل في سبب فضلها على أخواتها ، بل على أمها ، أنهم متن في حياته صلوات الله عليه ، فكنن في صحيفته ، ومات هو في حياتها فكان في صحيفتها وميزانها ، ولا يقدر مقدار ذلك إلا الله عز وجل . .

* * *

واحتسبت خديجة ابنيها : القاسم وعبد الله ، وقد ولدا بمكة ، القاسم قبل النبوة ، وعبد الله بعدها ، وماتا رضيعين كإبراهيم . .

وتركت رضى الله عنها بناتها الأربع . . . وقد أكرمهن الله بالإسلام والهجرة ، وأدخلهن في السابقين الأولين . .

وقد تزوجن كلهن ؛ وتوفاهن الله في بيوت أزواجهن ! (١) .

فتوفيت زينب عند زوجها وابن خالتها أبي العاص بن الربيع ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يذكره ويثنى عليه في مصاهرته فيحسن الثناء ، ويقول حدثني فصدقتى ، ووعدنى فوفانى . وقد حفظت له الجميل فافتدته بعقدها لما أسرى يوم (بدر) قبل إسلامه ، في قصة رقيقة معروفة . . . وولدت له عليا ، وكان رديف النبي صلى الله عليه وسلم على ناقته يوم الفتح ، وقد مات صغيرا ! وولدت له أمامة التي حملها صلوات الله وسلامه عليه في صلاة الصبح على عاتقه ، فكان إذا ركع وضعها وإذا رفع رأسه من السجود أعادها . . .

[١] بينا بعض الحكم في وفاة أولاده قبله صلى الله عليه وسلم ، فانظرها في الجزء الخامس من هذا العام .

وقد تزوجها على كرم الله وجهه بعد خالتها فاطمة الزهراء بوصية منها .

وتوفيت رقية ، ثم أختها أم كلثوم عند ذى النورين عثمان بن عفان ! !

وكانت رقية زوجا لعتبة ، وأم كلثوم زوجا لأخيه عتيبة ابني أبي لب ، عقدا عليهما ولم يدخل . . . فلما أنزل الله تعالى سورة أبي لب ، قال لها أبوهما : رأسى من رءوسكم حرام إن لم تفارقا ابنتى محمد . . ففعلا ، فأبدلها الله خيرا منهما عثمان .

وتوفيت فاطمة الزهراء عند على كرم الله وجهه ، وولدت له حسنا وحسينا ومحسنا - وقد مات صغيرا - وأم كلثوم وزينب .

* * *

وكما قضى الله ألا يكون لحاتم النبیین ولد إلا من خديجة ، قضى سبحانه ألا يبقى له عقب إلا من ابنتها فاطمة ، انتشر نسله الشريف منها ، من قبل السبطین : الحسن والحسين ، ليس غير .

* * *

تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بكر ، خديجة رضى الله عنها وهى ثيب ، وانتقلت إلى جوار ربها وقد بلغت بضعا وستين سنة ، وبلغ هو بضعا وخمسين . . ولو كان صلوات الله عليه يقصد من زواجه ما يقصده العامة - وحاشاه - من متاع الحياة الدنيا ، لاختار غير واحدة من الأبنكار المعجبات الرائعات حسنا وجمالا وسنا ، فى زهرة حياته ونضرة شبابه ، وما من بيت من بيوتات العرب فى الجاهلية والإسلام ، إلا وهو يؤثر رغباته ، ويتسابق فى مرضاته . . . ونحسب أن سوق الأدلة على ذلك ، كسوق الأدلة على الشمس وقد دمغت رأس منكرها فى وضع النهار .

* * *

الشان إذا فى زواجه صلوات الله وسلامه عليه ، أجل من الدنيا ومتاعها ، بل أعظم من النفس وحاجاتها ، لأنه من الشئون الإلهية العليا ، فى سياسة الدعوة المخلصة ، التى تفنى فيها النفس ، فلا تبالى بما تلقى فى ذات الله . . .

والشان إذا للعقل والروح ، والفضل والنبل ، وتوثيق العرا ، وشد الأواصر ، وجمع

القلوب على كلمة الله . . . وكذلك كان أساس اختياره صلى الله عليه وسلم ، أو اختيار الله له فيما أمره أو كتب له من الأزواج .

* * *

لم يخطر على باله يوما أن يتزوج على خديجة رضى الله عنها ، حتى إذا استجابت لربها ، أحوج ما يكون صلوات الله وسلامه عليه إلى سكنها وعونها — ففكر فيمن عسى أن تخفف عنه من شدائد الدعوة وأعبائها ، وما نحسبه عليه صلوات الله وسلامه ففكر فيمن يعوض خديجة ، فان خديجة — كما تدل دلائل أحواله ومقاله — لا عوض لها .

وإنه لذلك إذ جاءت خولة بنت حكيم فقالت له : ألا تزوج؟ قال : من؟ قالت : إن شئت بكرا ، وإن شئت ثيبا ، أما البكر فابنة أحب الخلق إليك عائشة ، وأما الثيب فسودة بنت زمعة ، قد آمنت بك واتبعتك . قال : اذهبي فاذهبي فاذكريهما على . . . فذهبت إلى سودة فقالت : ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة؟ قالت سودة : وماذا؟ قالت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلني إليك لأخطبك عليه ، فقرحت سودة بهذه الزيجة الكريمة ، وأشارت على خولة أن تستأذن أباهما وكان شيخا كبيرا . فأذن من فوره .

* * *

كانت سودة بنت زمعة — وهى قرشية عامرية — تحت ابن عمها السكران بن عمرو ، أسلم معها قديما وهاجرا إلى الحبشة الهجرة الثانية ، فلما قدما مكة مات زوجها ! فكان النبي صلى الله عليه وسلم خير عوض لها .

وبنى النبي صلى الله عليه وسلم على سودة قبل أن يبنى بعائشه ، فكانت سودة صاحبة بيته الثانى ، وكانت تقية سخية مريحة ، تضحك الرسول صلى الله عليه وسلم بالشيء أحيانا ، وخشيت أن يطلقها صلوات الله عليه ، لكبر سننها وبطئها ، فسألته أن يمسكها وأن يجعل يومها لعائشة وأخبرته أنها تريد أن تحشر فى أزواجه وأنها لا تريد ما تريد النساء ، فأنزل الله تعالى : « وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا » الآية .

لا جرم أن هذا التسامح للضرة ، والتيسير فى المعاشرة ، إحدى بركات سودة . . . ومن عظيم بركاتها إيلاف قومها بهذه الزيجة حتى نالوا شرف الإسلام والصحبة .

ط محمد السالك

الاله والوجوديون

— ٤ —

حدثك أيها القارئ عن بعض فقرات نشرها الأستاذ أحمد قاسم جودة نقيب الصحفيين في الجمهورية لبعض الوجوديين الذين ينصبون أنفسهم دعاة لهذا المذهب الوجودي ويعتبرون أنفسهم حجة الوجودية في بلادنا العزيزة ، واستمع إلى أحدثك عن باقي هذه الفقرات التي نشرت لتعلم مبلغ ما يدعو إليه هذا الوجودي من التفاهة والبطلان ، ولترداد ثقة وإيماناً بأن هؤلاء الوجوديين أدعاء في الفلسفة ولا وزن لهم في التفكير . استمع إليه إذ يقول : « إنه - أي الوجودي - الحرية نفسها ، فلا معنى للواجب في عالمها ، ولا تقييد لمدى انطباقها وانطلاقها » .

لا يغيب عنك أيها القارئ أنه يريد أن الوجودي حر في تفكيره وفي عمله وفي كل شيء وإن صور هذا المعنى بعبارة فيها إغراق ومبالغة مستهجنة ، إلا أننا نوافق في أننا نحب أن يكون الوجودي وغير الوجودي أحراراً كاملي الحرية ، فنحن نحب الحرية ونحافظ عليها ونعمل لها ونبيع أرواحنا رخيصة في سبيلها ، ونمقت الاستبداد والتحكم في تفكير الناس وعقولهم وأعمالهم . ولكننا نحب الحرية العاقلة الرزينة ، الحرية التي تقف بصاحبها عند الرأي الصائب والحكمة البالغة ، فإن تعدت ذلك وانطلقت انطلاقاً غير محدود ولا واقف عند غاية فاننا نعتبرها آتخذ فوضى لا حرية ، وهمجية لا خير فيها ولا رشد .

بيد أن فيلسوفنا الوجودي والداعي إليها يقول بملء فيه : « لا معنى للواجب في عالمها » مرحى مرحى أيها الفيلسوف ، لا معنى للواجب في عالم الحرية . ولم سميت إذن واجبا ؟ وكيف تراه واجبا ، ثم تقول لا معنى له في عالم الحرية ؟ وأية حرية هي تلك الحرية التي لا معنى للواجب في عالمها ؟ هل هي شيء فوق الواجب ؟ وماذا يكون فوق الواجب ؟ أو هي كلمات تجري على اللسان طغى بها القلم من غير تبصر ولا تفكر ، إنه يقول : « لا تقييد لمدى انطباقها وانطلاقها » ولعمرك الحق أن هذا كلام لا يقوله شخص يحترم نفسه كمفكر بله فيلسوف .

أين هي الحرية التي لا مدى لانطباقها وانطلاقها ؟ إنها لا توجد إلا في عالم الوحوش والحيوانات . أستغفر الله ، بل قد تعدت حدود الوحوش والحيوانات ، فإن كل فصيلة من الوحوش لها نظامها الذي ألفته بفطرتها ، فلا يدخل أسد عرين أسد آخر ، ولا يلج ذئب جحر غيره من الذئاب ، ولا يعتدى حيوان على آخر مثله ، بل يعيش معه في أمن ودعة ، ولكن فيلسوفنا لا يمنع أن يدخل الوجودى بيت غيره ، ولا أن يسلبه نفسه وماله ، ولا أن يفعل معه ما يشاء من نقيصة ومنكر ، لأن حريته لا تقيد لمدى انطباقها وانطلاقها ! . ألا تعسا لقوم لا يفقهون .

ثم استمع إليه يقول : « إنه - أى الوجودى - الفعل الدائم أيا كان نوعه ونتائجه ، فإن معانى الإثم والصواب كلها لا مفهوم لها في هذا الباب » وإنك لتراه دائماً في عباراته يبالغ مبالغات مجوجة ليس فيها ما يسوغها أو يقربها من السائق ، إنه يرى الوجودى هو الفعل الدائم ، يقصد أنه دائماً يفعل . ولا نعيب على الوجودى ولا غيره أن يفعل ما وسعه الجهد ، فالفعل مطلوب ، والجمود مردود ، ولكننا نريد الفعل الجليل والعمل المشكور ، كأن يخدم أمته ويسعى في أمنها وسلامتها ورفعتها وطمأنينتها ، أو يعمل على رفع مستوى الشعب وإحلاله محلاً مرموقاً ، ونشر الأخلاق الكريمة والصفات الحميدة بين أفرادها ، أو يبذل نفسه راضية مرضية ، ذباداً عن بلاده ودفعاً لعدوها عنها ، كل هذا عمل محمود أثره ، مشكورة مغبته .

لكن صاحبنا الوجودى لا يرى أن يكون عمله من هذا النوع ، بل يرسله إرسالاً ، وافق الحق والعدل أو جانبهما ، دل على نبل وترفع أو دل على خسة واتضاع . ألا تراه يقول : « إنه الفعل الدائم أيا كان نوعه ونتائجه » فلا يبالي أحسن أم قبح ، ولا يبالي أساء أم أحسن ، ويستوى في رأيه أن يمشى على شوك القتاد وعلى غليظ الديباج ، ويستوى عنده أن يصفع على قفاه وأن تقبل يده ، وأن يعف وأن يعهر ، وأن يكون من أهل الديانة وأن يكون من أهل الشرف والنبالة « فإنه يرى أن معانى الإثم والصواب كلها لا مفهوم لها في هذا الباب » أى باب العمل ، فالمهم عنده العمل سواء كان إثماً وخشاً أو صواباً وعدلاً ، وماذا عسأى أن أقول لمن يقول مثل هذا الكلام ويدعو إليه ويراه فلسفة من الفلسفات . ألا بثت تلك الفلسفة التي تدل على أن صاحبها طلق عقله وطرح التمييز جانباً وسعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ، ماذا عسأى أن أقول لشخص يستوى عنده الإثم والصواب ، والفضيلة والرذيلة ، والحسن والقبيح ، والتهاك

والتحفظ ، كل هذا لأنه يريد أن يعمل الوجودى دائماً ولا يقف ، كأن الأعمال الشريفة على كثرتها ضاقت رحابها عن نطاق تفكيره ومبلغ قدرته ، فهو لذلك يتعدى حدودها ولا يحصر نفسه فى دائرتها ، إذن فلترك الناس هملاً لا حكم ولا حكام ، ولا ترتيب ولا نظام ، إذ كان يستوى محسنهم ومسيئهم ومجرمهم وصالحهم . ألا إن الخزى والسوء على من كان هذا رأيه وتفكيره ، لبئس تفكير الجاهلين .

استمع بعد ذلك الى الدكتور الوجودى يقول مرتباً على قوله : «إنه الفعل الدائم أيا كان نوعه ونتأجه » : «فلا يتقوم إذن بغيره ، خطيئة الفعل خير ألف مرة من براءة اللافعل ، فاللا فاعل هو اللاوجود ، بينما الخطيئة تدل على فعل وبالتالي على وجود ، حتى ليكن أن يقال أنا أخطئ فأنا إذن موجود »

ألا تعجب أيها القارئ من تخطيط هذا الدكتور الوجودى فى تفكيره والتوائه فى عباراته ، ليوهم السذج أنه فيلسوف دقيق العبارة والفهم ، والله يعلم انه يقول كلاماً لا يقوله أى عاقل ، إنه يجعل الفعل غاية الوجودى ولا يتقوم الوجودى إلا به ، وهبنا سلمنا له ذلك فهل يعقل أن تكون خطيئة الفعل خيراً ألف مرة من براءة اللا فاعل ، أى من براءة ترك الفعل ، يعنى أن ارتكاب أخش الفواحش وأكبر الكبائر والإضرار بالناس وهتك الأعراض وسرقة المال ، كل ذلك عنده خير من أن يجلس المرء ساكناً لا يفعل . لماذا؟ لأن اللا فاعل - أى ترك الفعل - هو اللاوجود أى هو العدم ، بينما الخطيئة تدل على فعل ، وبالتالي على وجود حتى ليكن أن يقال : أنا أخطئ فأنا موجود . وما أدري كيف يفكر هذا الإنسان ، إذا كان الخطأ أيها المسأفون يدل على الوجود أفلا تكون دلالة الصواب عليه أقوى وأعظم ، وإذا كان همك الفعل لأنه يدل على الوجود فلماذا خصصته بالخطايا والذنوب ، هل ترى أن الفعل الصواب لا يدل على الوجود ، هل ترى أن دفع العدو المهاجم عن بلادك لا يدل على الوجود؟ أم هل ترى أن علاج المريض ذى الداء الدوى لا يدل على الوجود ؟ وهل مواساة المريض وأطعام الفقير لا يدل ذلك على الوجود ؟ وهل كل الفضائل لا يدل عملها على الوجود ، وليس يدل عليه فى نظرك الا الخطيئة والإثم ؟ ليت شعري ماذا دهاه وعن القولة الصادقة أعماه حتى قال ما قال ؟ ! ثم يقول بعده : « اننا معشر الوجوديين لا نريد أن ننساق فى أحلام البراءة والبكارة والطهارة ، بل نصيح بملء فينا : افعلوا ، افعلوا ، حتى لو أدى ذلك الى الخطأ » .

ولا ريب أنه يجعل البراءة والبكارة والطهارة حلما من الأحلام ، وليست أمرا واقعيا يعمل الناس له ويحافظون عليه ، ولذلك لا يريد هو وزملاؤه الوجوديون أن ينساقوا إلى هذه الأحلام ، فإن الأمانى والأحلام تضليل ، كما قال سيدنا كعب بن زهير رضى الله عنه . وكأنى بهؤلاء الوجوديين لا يرضون لبيوتهم هذه الأحلام ، فهى إذن لبراءة فيها ولا بكارة ولا طهارة ، وأترك ما فيها للقارئ يشخصه ويفهمه كما يشاء ، بعد أن عرف عن هؤلاء أنهم لا يريدون أن ينساقوا فى أحلام البراءة والبكارة والطهارة ، وهل بعد ذلك إلا الدعارة والداعرة والدنس والدنس والإثم المخزى والعهر الفاضح !

وإنه لما يضحك - وشر المصائب ما يضحك - أن يقول الدكتور: لا نريد أن ننساق فى أحلام البراءة الخ ، بل نصيح بملء فينا : افعلوا افعلوا حتى ولو أدى ذلك إلى الخطأ ، كأن المحافظين على البراءة والطهارة والبكارة لا يفعلون شيئا ، وليس يفعل فى نظره إلا الذى جانب الفضائل وارتكب جميع الرذائل ، إننا نحض على العمل ولا نحب الكسل ولا نقر أحدا عليه ، والله يقول : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله » وتقول الحكمة الإسلامية : « اعمل لدينك كأنك تعيش أبدا ، ولا خرتك كأنك تموت غدا » ويقول عمر ابن الخطاب رضى الله عنه : إني لأكره أن يكون الرجل سهلا لا فى عمل دنيا ولا فى عمل آخرة . والعقلاء مجمعون على أن الذى لا يعمل يكون عالة على العاملين ، فنحن نحب العمل ، ولكن عمل الصالحات والحفاظة على المروءات وصون البيوتات ، وعمل كل ما فيه شرف وكرامة ومروءة وشهامة ومجد مؤثر وفضل كبير .

ألا فى سبيل المجد ما أنا فاعل عفاف وإقدام وحزم ونائل

هذه سبيلنا وتلك خطتنا ، ولكن الوجوديين على عكس ذلك يفعلون فلا يفعلون الخير ولا يميلون إليه ، ولا يحبون الشرف ولا يحافظون عليه ، « وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة » .

إلى هنا انتهى تعليقنا على تلك الفقرات التى نقلها الأستاذ أحمد قاسم جودة من رسالة للدكتور عبد الرحمن بدوى عميد الوجوديين فى هذا البلد الأمين ، وقد عرفت بعد أنه أستاذ فى جامعة عين شمس ، وأنه يحدث طلابها فى هذا المذهب الوجودى . ولست أدري كيف تبيح حكومتنا الرشيدة أن يقوم مثل هذا بتربية أبنائنا وفلذات أكبادنا ، وهو يسم أفسكارهم ويفسد عليهم عقائدهم ويضلهم فى دينهم . وهبنا رضينا أن يكون أستاذنا

في الجامعة ، فكيف يباح له أن يتحدث في مثل هذا بين طلابها ؟ أليس كان يجب الأخذ على يديه وإبعاده عن محيط الطلاب الأطهار البراء ؟ وإذا كانت الشيوعية جرماً يستحق مرتكبها أشد العقاب فكيف لا تكون الوجودية جرماً وهي أدهى وأمر ؟ إن مذهب الشيوعيين لم يتعرض للأله جل وعلا ولم يبحث فيه ، ولكن هؤلاء الوجوديين ينكرون وجود الله صراحة بلا حياء ولا نجل ، ثم يدعون الناس إلى ذلك جهاراً ، فهل يتركون هكذا يفسدون على الناس عقائدهم ويخربون قلوبهم وعقولهم ، وعمارة القلوب أولى من عمارة البيوت ، وطهارة النفوس خير ألف مرة من طهارة الجسوم .

يارجال ثورتنا المباركة : حفظكم الله ووقاكم ، انكم لم تقوموا إلا للقضاء على الفساد الذي عم وطم ، وعلى الفوضى التي أرخت سدولها على كل شيء . وهؤلاء يضلون ويفسدون : يضلون الناس ويفسدون عقائدهم ، والعقائد أولى بالصون والمحافظة ، فخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد ، وكفوا أذاهم عن بلادكم التي لم تثوروا ثورتكم المباركة إلا لمحافظة عليها في دينها وأخلاقها واقتصادياتها واجتماعياتها وكل شيء فيها (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) و (إن ينصركم الله فلا غالب لكم) . وعلى الله فليتوكل المؤمنون . . . ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

* * *

وصلني جواب بأعضاء الناصح ، وبخط ردي ، يذكر فيه أنني أرد على الوجوديين من غير أن أفهم كلامهم ، ولذلك يسخر المردود عليهم من كلامي ، وذكر أن الدكتور طه حسين قال : قرأت خمسين صحيفة من كلامهم فلم أفهمها . يريد هذا الناصح أن يقول : إذا كان الدكتور طه حسين يذكر عن نفسه أنه لم يفهمها ، فكيف أفهمها أنا ؟ هذا محال في نظر ذلك الناصح .

وإني أقول لهذا الناصح الكاذب في نصحه : إنني لم أزعم في كتابتي أنني فهمت مذهب الوجوديين ، ولا أنني استوعبت كلامهم ، ولكنني قلت في كتابتي مراراً : إنني أرد على فقرات نشرها الأستاذ أحمد قاسم جودة في جريدة الجمهورية من رسالة لهذا الدكتور الوجودي ، وهي واضحة غاية الوضوح لا يخفى معناها ولا مرماها على أحد ، وإني أذكرها لك أيها الناصح الغاش (لأنك لم تذكر اسمك) لتعلم أنها واضحة جداً في ضلالها ، وأن الرد عليها واجب ديني لإنقاذ مثلك ممن جعل نفسه بوقاً لغيره ، أن يأخذه بهرجها ، فيضل عن الصراط السوي ، ولتعلم أنني لم أكتب لأخذ أجراً كما تزعم ، أو كما يزعم من أملي عليك كتابك ، وإنما أردت

المحافظة على شباب الجامعة وأمتانهم أن يزيغوا ويضلوا ، وما أردت مالا إن أجرى إلا على الذى فطرنى .

اسمع أيها الناصح الغاش كلام سيدك وأستاذك يقول :

الوجودى الحق أعدى أعدائه القانون . . . إنه الحرية نفسها فلا معنى للواجب فى عالمها ولا تقييد لمدى انطباقها وانطلاقها . . . إنه العمل الدائم أيا كان نوعه ونتأجه .
فإن معانى الإثم والصواب كلها لا مفهوم لها فى هذا الباب . . . إننا معشر الوجوديين لا نريد أن ننساق فى أحلام البراءة والبكارة والطهارة ، بل نصيح بملء فينا : افعلوا . افعلوا حتى لو أدى ذلك إلى الخطأ .

هذا هو كلام أستاذك الذى أرد عليه ، هل ترى فيه خفاء إن كنت تعقل ؟ .

وبعد ، فإنك تهدد بديوان الموظفين !! الحارس على أموال الدولة ، وأرجوك ثم أرجوك أن تحفز أستاذك لذلك لتعلم ولتعلم أينما يأخذ مال الدولة بلا حق وأنه يأخذ مالا حراما ما

محمد الطنبجى

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير الوعظ والإرشاد بالجمهورية المصرية

ما عملته البرتغال

لما دخلت الهند

دخلت البرتغال الهند قبل أربعمائة سنة واستولت على مقاطعة (جوا) ؛ وكتب قائد الأسطول البرتغالى (البوكيرك) كتابا إلى ملك البرتغال يبشره ويقول :

« . . . وبعد ذلك أحرقت المدينة (أى مدينة جوا) وأعملت السيف فى كل الرقاب ، وأخذت دماء المسلمين تراق أيا ما عدة . وحيثما وجدنا المسلمين لم نوفر منهم نفسا ، فكنا نملا بهم مساجدهم ، ونشعل فيهم النار ، حتى أحصينا ستة آلاف روح هلك ! وقد كان ذلك يا سيدى عملا عظيما رائعا أجدنا بدايته ، وأحسننا نهايته » .

شهر القرآن

القرآن الكريم : هو كلام الله عز وجل المنزل على خاتم أنبيائه ، مجد صلوات الله وسلامه عليه ، المعجز بلفظه المتعبد بتلاوته المنقول بالتواتر المفيد للقطع واليقين ، المكتوب في المصاحف من أول (سورة الفاتحة) إلى آخر (سورة الناس) .

« كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » .

« لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد » .

وهو المعجزة العظمى ، والحجة البالغة على وجه الدهر لرسول البشرية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، تحدى به الناس كافة ، بل والجن ، أن يأتوا بمثله فباءوا بالعجز والبهت .

وقد وقع التحدى بالقرآن على مراتب متعددة ، كي تقوم عليه الحجة تلو الحجة ، وتنقطع المعضلة :

١ — تحداهم أولا : أن يأتوا بمثله ، فعجزوا وما استطاعوا . قال الله تعالى في (سورة الإسراء) المكية الآية ٨٨ : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

٢ — ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله ، فاقدرُوا . قال الله تعالى : في (سورة هود) المكية الآية ١٣ و ١٤ « أم يقولون افتراء ، قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات (١) وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ، فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله الآية » .

٣ — ثم تحداهم مرة ثالثة : بأن يأتوا بسورة منه ، أى سورة مهما قصرت كسورة (الكوثر) ، فقال تعالى في (سورة يونس) المكية الآية ٣٨ : « أم يقولون افتراء ، قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين » .

فأرفعوا بذلك رأسا .

{ ١ } هذا من قبيل النزول مع الخصم والتساؤل معه في الحجاج كي يكون الاخام أدل على الإعجاز ، أى إن كان مفترى - كما تزعمون - فأتوا بعشر سور مثله مفتريات . والمراد المماثلة في الفصاحة والبلاغة وجزالة المعنى وسمو المقاصد والاشتمال على العلوم والمعارف .

٤ — ثم كرر التحدى بسورة ما فقال : فى سورة (البقرة) المدنية الآية ٢٣ ، ٢٤ « وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا — ولن تفعلوا — فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » فألقموا حجرا ولم ينبسوا فى المعارضة بكلمة .
وبذلك ثبت إعجاز القرآن على أبلغ وجه وآكده ، وإذا ثبت عجز العرب عن المعارضة فغيرهم بالعجز أخرى وأولى .

والقرآن هو هداية الخالق لإصلاح الخلق ، وشريعة السماء لأهل الأرض ، وهو التشريع العام الخالد الذى تكفل بجميع ما يحتاج إليه البشر فى أمور دينهم ودنياهم ، فى العقائد والأخلاق ، وفى العبادات والمعاملات المدنية والجنائية ، وفى الاقتصاد والسياسة والسلم والحرب ، وهو فى كل ذلك حكيم كل الحكمة لا يتطرق إليه نقص ولا إبطال .
فلا عجب أن كانت السعادة الحقة لا تنال إلا بالاهتداء بهديه ، وأن كان الشفاء لأمراض النفوس وأدواء المجتمع ، وصدق الله « إن هذا القرآن يهتدى للتي هى أقوم الآيتين » [١] ، « ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين . الآية » [٢]

وهو الذى قضى على العنجهية ودعاوى الجاهلية ، وقضى على التفرقة العنصرية والنسبية واللونية ، ووضع أساس المساواة بين الناس كافة ، فالناس ربهم واحد وكلهم لآدم ، لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أبيض ، وإنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » [٣] ، وهو الكتاب الذى صلحت به الدنيا وحول مجرى التاريخ ، وأقام أمة كانت مضرب الأمثال فى الإيمان والإخاء والعدل والوفاء ، وأظل العالم بلواء الأمن والسلام أحقبا من الزمان .

وهو الكتاب الذى لا تنفد عجائبه ولا تنقضى درره ولا يخلق على كثرة الرد ولا يزداد على التكرار إلا حلاوة ، وصدق القائل :

[١] سورة الاسراء الآية ٨٩ ، ٩٠ . [٢] سورة الاسراء الآية ٨٢ .

[٣] الحجرات الآية ١٣ .

ترداد منه على ترداده مقة وكل قول على الترداد مملول

ومهما تعاقبت عليه الأجيال والسنون لا يزداد إلا جدة وطرافة ، ولا يزال غضا
طريا كما نزل ؛ وكلما تقدمت العلوم والمعارف تكشف للناس منه العجب العجاب ،
وصدق الحق تبارك وتعالى : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ،
أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » [١] .

وقصارى القول وحماده أنك لن تجد في الكشف عن حقيقة هذا الكتاب وخفاياه
وفضائله ومزاياه أوفى مما وصفه به نبينا محمد بن عبد الله : روى الترمذى بسنده عن
الحارث الأعور قال : مررت في المسجد فاذا الناس يخوضون في الأحاديث فدخلت على علي
فقلت : يا أمير المؤمنين ألا ترى الناس قد خاضوا في الأحاديث ؟ قال : أوقد فعلوها ؟
قلت : نعم . قال : أما انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ألا إنها ستكون
فتنة . قلت : فما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله فيه نأ ما قبلكم وخبر
ما بعدكم وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى
الهدى في غيره أضله الله ، وهو جبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ،
هو الذى لا تزغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة
الرد ولا تنقض عجائبه ، هو الذى لم تلتد الجن إذ سمعته حتى قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى
إلى الرشاد فآمننا به ، من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه
هدى إلى صراط مستقيم » (٢) .

إن كتابا هذا شأنه لجدير أن يضعه الإنسان بين عينيه ، ويجعله أنيسه في خلوته ورفيقه
في سفره وصديقه الصدوق في يسره وعسره ومستشاره الأمين في دينه ودنياه وحجته البالغة
في حياته وآخره .

وشهر رمضان هو شهر القرآن ، ففيه ابتدأ نزوله على النبي صلى الله عليه وسلم وهو
يتعبد بغار حراء ، وفيه كان يجتمع الرسول الكريم وأمين الوحي جبريل في كل ليلة من

[١] فصلت : الآية ٥٣

[٢] قال الترمذى فيه : « حديث غريب وإنشاده مجهول وفي حديث الحارث مقال ، وذكره الحافظ
السيوطى في الاتقان وقال أخرجه الترمذى والدارى وغيرهما وسكت عنه . وكذا ذكره الحافظ ابن كثير : « في
فضائل القرآن ، وتلقب كلام الترمذى بما يدل على اعتياده للحديث ، والمتأمل فيه يجد قبسا من نور النبوة وحكما
من يابيع الوحي مما يجعل القلب يطمئن إليه .

لياليه يتعاهدانه ويتدارسانه . وفي العام الذى توفى فيه الرسول عرضه عليه جبريل عرضتين فعلم أن شمس النبوة قد آذنت بالمغيب وأن أجله المبارك قد قارب الانقضاء . روى الإمام البخارى فى صحيحه بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة » وفى الصحيح أيضا عن فاطمة رضى الله عنها قالت : « أسر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ان جبريل كان يعارضنى بالقرآن كل سنة وانه عارضنى العام مرتين ولا أراه إلا حضور أجلى » .

وهكذا كان الصحابة فى رمضان يتخذون منه موسما للعبادة وقراءة القرآن والذكر ، وموسما للخيرات والتعاون على البر والتقوى . فالمسلم حينما يشتغل بقراءة القرآن ومدارسته فى رمضان فانما يصدر فى ذلك عن هدى من هدى النبوة وسنة من سنن السلف الصالح . وتعاهد القرآن واجب على كل مسلم فى كل وقت ، بيد أنه فى رمضان أولى وأحب ، وما لم يتعاهد المسلم القرآن تسارع الى النسيان ، وفى الحديث الصحيح « تعاهدوا القرآن ، فوالذى نفسى بيده لهُو أشد تفصيا - أى تفلتا - من الإبل فى عقلها » رواه البخارى .

لقد أتى على المسلمين فى مصر حين من الدهر كنت لا تمر على بيت إلا وتجد لهم بقراءة القرآن دويا كدوى النحل ، هذا إلى دروس العلم ومجالس الأدب والسمر البرىء المفيد ، وكنت تجد القلوب متحابة والنفوس متألقة والتسابق فى ميدان البر والخير أمرا معهودا مألوفاً ، فلما استحكم فى الناس التقليد لغيرنا واستهواهم ما زعموه حضارة وتقدما ذهب بما بقى من هذه العادات الكريمة التى كانت تنبع من صميم البيئة المصرية المتدينة ، وأصبح الحال على ما ترى ، فلا قرآن يتلى ، ولا تسابق فى مجال البر والتقوى .

لا . لا . أيها المسلمون : أعيدوا ما درس من عاداتكم وتقاليدكم الكريمة فى شهر القرآن ، فقد روى البزار من حديث أنس : « ان البيت الذى يقرأ فيه القرآن يكثر خيره ، والبيت الذى لا يقرأ فيه القرآن يقل خيره » . وأخرج الترمذى والحاكم من حديث ابن عباس : « ان الذى ليس فى جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب » وأخرج الحاكم من حديث أبى هريرة : « يمجىء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول القرآن : يارب حله .

فيلبس تاج الكرامة . ثم يقول : يا رب زده ، يارب ارض عنه ، فيرضى عنه . فيقال له : اقرأ وارق ويزاد له بكل آية حسنة » .

أيها المسلمون في كل قطر وصقع :

إن القرآن ربيع القلوب ، وبستان العارفين ، ومأدبة أكرم الأكرمين ، فزهوا قلوبكم في رياضه ، ومتعوا عيونكم بأزاهيره ، وشنفوا أسماعكم بعذب كلامه ، وترددوا على مأدبة الله ما استطعتم يتقبل الله منكم الصيام والقيام ، ويدخلكم الجنة دار السلام ما

الدكتور

محمد محمد أبو شهبه

المدرس بكلية أصول الدين

أمثال لافونتين

أصلها من الأدب العربي

يرى الشاعر الفرنسي كيوداسكس أن أمثال لافونتين الشعرية مأخوذة من أصول سبقتها في الأدب العربي ، وأن لافونتين استوحاها من رجال الحملة الصليبية الذين عادوا إلى الغرب يروون قصص العرب وينقلون شيئاً من آدابهم وأمثالهم .

والشاعر كيوداسكس الذي أعلن هذه الحقيقة له مؤلفات وقصص معروفة في الأدب الفرنسي ، وهو مترجم أشعار الشيخ مصلح الدين سعدى الشيرازي إلى اللغة الفرنسية .

الآية المنسوخة

« وعلى الذين يطيقونه فدية ،

جاء في صحيح البخارى (فى : ٣٠ - كتاب الصوم ، ٣٩ - باب : وعلى الذين يطيقونه فدية) :

قال ابن عمر وسلمة بن الأكوع : نسختها « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبلينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون » ٢ / البقرة / ١٨٥ .

وقال ابن نمير : حدثنا الأعمش ، حدثنا عمرو بن مرة ، حدثنا ابن أبي ليلى ، حدثنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم : نزل رمضان فشق عليهم ، فكان من أطعم كل يوم مسكينا ترك الصوم ممن يطيقه ، ورخص لهم فى ذلك . فنسختها « وأن تصوموا خير لكم » . فأمروا بالصوم .

حدثنا عياش ، حدثنا عبد الأعلى ، حدثنا عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قرأ : « فدية طعام مسكين » قال : هى منسوخة .

وقال الحافظ ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى (ج ٨ ص ١٣٦) : هو صريح فى دعوى النسخ ، ورجحه ابن المنذر من جهة قوله : « وأن تصوموا خير لكم » قال : لأنها لو كانت فى الشيخ السكبير الذى لا يطيق الصوم ، لم يناسب أن يقال له : « وأن تصوموا خير لكم » مع أنه لا يطيق الصيام .

وجاء فى صحيح البخارى أيضا (فى : ٦٥ - كتاب التفسير ، ٢ سورة البقرة ، ٢٦ - باب فمن شهد منكم الشهر فليصمه) :

حدثنا عياش، حدثنا عبد الأعلى ، حدثنا عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر أنه قرأ : « فدية طعام مسكين » قال : هي منسوخة .

وقال الحافظ ابن حجر : هذا أيضا صريح في دعوى النسخ ، وأصرح منه ما تقدم من حديث ابن أبي ليلي .

وجاء في صحيح مسلم (في : ١٣ - كتاب الصيام ، ٢٥ - باب نسخ قوله تعالى : « وعلى الذين يطيقونه فدية » بقوله : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » حديث (١٤٩) : حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا بكر (يعني ابن مضر) عن عمرو بن الحارث، عن بكير عن يزيد مولى سلمة ، عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » كان من أراد أن يفطر ويفتدى ، حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها .

وقال الشارح الإمام النووي : يعنى أنهم كانوا مخيرين في صدر الإسلام بين الصوم والفدية ، ثم نسخ التخير بتعيين الصوم بقوله تعالى : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » فمعنى « وعلى الذين يطيقونه فدية » أى على المطيعين للصيام إن أفطروا إعطاء فدية ، وهى طعام مسكين لكل يوم ، فهى رخصة منه تعالى في الإفطار والفدية في بدء الأمر لعدم تعودهم الصيام أياما . ثم نسخ الرخصة وعين العزيمة .

وجاء أيضا (في صحيح مسلم في الباب نفسه ، حديث ١٥٠) :

حدثنا عمرو بن سواد العامري ، أخبرنا عبد الله بن وهب ، أخبرنا عمرو بن الحارث عن بكير بن الأشج ، عن يزيد مولى سلمة بن الأكوع ، عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه أنه قال : كنا في رمضان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من شاء صام ومن شاء أفطر فافتدى بطعام مسكين . حتى أنزلت هذه الآية : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » .

وجاء في سنن أبي داود : (في : ١٤ - كتاب الصوم ، ٢ - باب نسخ قوله : وعلى الذين يطيقونه فدية حديث ٢٣١٥) :

حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا بكر - يعني ابن مضر - عن عمرو بن الحارث، عن بكير عن يزيد مولى سلمة عن سلمة بن الأكوع قال : لما نزلت هذه الآية : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » كان من أراد منا أن يفطر ويفتدى فعل . حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها .

وجاء في جامع الترمذى : (فى : ٦ - كتاب الصوم ، ٧٥ - باب ما جاء وعلى الذين يطيقونه) :

حدثنا قتيبة ، حدثنا بكر بن مضر ، عن عمرو بن الحارث ، عن بكير بن عبدالله الأشج ، عن يزيد مولى سلمة بن الأكوع ، عن سلمة بن الأكوع قال : لما نزلت : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » كان من أراد أن يفطر ويفتدى ، حتى نزلت الآية التى بعدها فنسختها .

وجاء فى سنن النسائى : (فى : ٢٢ - كتاب الصيام ، ٦٣ - باب تأويل قوله تعالى : وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) : كان من أراد أن يفطر ويفتدى ، حتى نزلت الآية التى بعدها فنسختها .

وجاء فى سنن الدرامى (فى : ٤ - كتاب الصوم ، ٢٩ - باب فى تفسير قوله تعالى : فمن شهد منكم الشهر فليصمه) :

أخبرنا عبد الله بن صالح . حدثنى بكر - هو ابن مضر - عن عمرو بن الحارث عن يزيد مولى سلمة بن الأكوع عن سلمة بن الأكوع أنه قال : لما نزلت هذه الآية : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » قال : كان من أراد أن يفطر ويفتدى فعل ، حتى نزلت الآية التى بعدها فنسختها .

وجاء فى مسند الإمام أحمد بالصفحة ٢٤٦ من الجزء الخامس (طبعة الحلبي) :

حدثنا عبد الله حدثنا أبى حدثنا أبو النضر حدثنا المسعودى ويزيد بن هرون ، أخبرنا المسعودى . قال أبو النضر فى حديثه : حدثنى عمرو بن مرة وعبد الرحمن بن أبى ليلى عن معاذ بن جبل قال : أحييت الصلاة ثلاثة أحوال ، وأحيل الصيام ثلاثة أحوال .

فأما أحوال الصلاة فإن النبى صلى الله عليه وسلم . . . انحل .

وأما أحوال الصيام فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة ، فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام ، فصام سبعة عشر شهرا من ربيع الأول إلى رمضان ، من كل شهر ثلاثة أيام ، وصام يوم عاشوراء .

ثم إن الله عز وجل فرض عليه الصيام ، فأُنزل الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » إلى هذه الآية : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » .

قال : فكان من شاء صام ومن شاء أطعم مسكيناً فأجزأ ذلك عنه .

قال : ثم إن الله عز وجل أنزل الآية الأخرى : « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن » إلى قوله : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » . قال فأثبت الله صيامه على المقيم الصحيح ، ورخص فيه للمريض والمسافر . وثبت الإطعام للكبير الذي لا يستطيع الصيام .

وقال شيخ المفسرين قاطبة الإمام أبو جعفر ابن جرير الطبري ، بعد أن استعرض جميع ما قيل في تأويل هذه الآية ، حتى أقوال الذين يرون عدم نسخها (ص ٤٣٤ جزء ثالث من طبعة دار المعارف) : « وأولى الأقوال بتأويل الآية قول من قال « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » منسوخ بقول الله تعالى ذكره « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » لأن الهاء التي في قوله « وعلى الذين يطيقونه » في ذكر الصيام ومعناه : وعلى الذين يطيقون الصيام فدية طعام مسكين . فاذ كان ذلك كذلك ، وكان الجميع من أهل الإسلام مجمعين على أن من كان مطبقاً من الرجال الأصحاء المقيمين غير المسافرين صوم شهر رمضان ، فغير جائز له الإفطار فيه والافتداء منه بطعام مسكين - كان معلوماً أن الآية منسوخة . هذا ، مع ما يؤيد هذا القول من الأخبار التي ذكرناها آنفاً عن معاذ ابن جبل وابن عمر وسامة بن الأكوع في أنهم كانوا - بعد نزول هذه الآية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم - في صوم شهر رمضان بالخيار بين صومه وسقوط الفدية عنهم ، وبين الإفطار والافتداء من إفطاره بطعام مسكين لكل يوم ، وأنهم كانوا يفعلون ذلك حتى نزلت « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » فألزموا فرض صومه ، وبطل الخيار والفدية .

ثم قال في ص ٤٣٨ : وأما قراءة من قرأ ذلك « وعلى الذين يطوقونه » فقراءة لمصاحف أهل الإسلام خلاف . وغير جائز لأحد من أهل الإسلام الاعتراض بالرأى على ما نقله المسلمون وراثته عن نبيهم صلى الله عليه وسلم نقلاً ظاهراً قاطعاً للعدر ، لأن ما جاءت به الحجة من الدين ، هو الحق الذي لا شك فيه أنه من عند الله . ولا يعترض على ما

قد ثبت وقامت به الحججة أنه من عند الله بالآراء والظنون والأقوال الشاذة .

وقال في ص ٤١٨ : «فإن قراءة كافة المسلمين «وعلى الذين يطيقونه» وعلى ذلك خطوط مصاحفهم. وهى القراءة التى لا يجوز لأحد من أهل الإسلام خلافها، لنقل جميعهم تصويب ذلك قرنا عن قرن .

وقال العلامة الزمخشري (ص ٢٤٨ جزء أول) :

(وعلى الذين يطيقونه) وعلى المطيعين للصيام الذين لا عذر بهم إن أفطروا (فدية طعام مسكين) نصف صاع من بر أو صاع من غيره عند أهل العراق ، وعند أهل الحجاز مّد . وكان ذلك فى بدء الاسلام ، فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم ، فرخص لهم فى الإفطار والفدية ما

محمد فؤاد عبد الباقي

الكعبة المعظمة

يا كعبة الله وبيت الهدى يا قبلّة التوحيد نور السلام
قلبي اليك شيق سرمدا يبغي طوافا وهواه التزام

* * *

أكرم بأركان لها أربعة بكل ركن روعة للجلال
بها تناجى الله ما أستمعه وحسبك الله الرفيع الكمال
من طاف فالأرض تطوف معه مادوران الأرض إلا ابتهاج

* * *

الله ما أجمله مغتدى حج إلى البيت العتيق الحرام
أرضى به الله وأرجو غدا الفوز بالجنة دار السلام
أبو بكر بخيون

أدبنا الآن كما أرى

لست من الأدباء ، ولكنى أحب الأدب وأحاول أن أتذوقه ، وأقرأ القديم والحديث من كتبه ، وأتتبع ما ينتجه أدباؤنا فى اهتمام وحرص . وقد عرفت مما قرأت فى الأدب وتاريخه أن الكلام لا يكون أدبا حتى تتساقط فيه الفكرة والأسلوب ، ولسنا نغنى بالفكرة الفكرة العابرة التأففة وإنما نغنى بها الفكرة الغريبة المبتكرة التى تبادهاك من الكلام ولا تعينك بالتطلب والاقتحام . كما لا نغنى بالأسلوب الأسلوب المعتاد فى أحاديثنا وشئوننا اليومية ، ولكننا نغنى به الأسلوب الرشيق الذى يجمع إلى قوة النسيج وحسن الصياغة الخيال الغريب ، والتشبيه العجيب ، والاستعارة المونقة ، والذى يصل بك إلى المطلوب فى قصد دون حشو أو تطويل ، بعد أن يتوافر له السلامة اللغوية التى قررتها علوم اللغة ، فإذا أعوز الكلام ذلك فلا يسمى أدبا ، وإنما هو حديث معتاد يستوى فيه فلاسفة الناس وعامتهم . .

وما يزعمه بعض الناس من أن الأدب هو الذى تفهم به سامعك ، وتبلغ به حاجتك ، وإنما هو الغفلة عن معنى كلمة الأدب ومراميتها فى استعمال العلماء والأدباء والتبرير لدعوى الأدعياء فى الأدب والدخلاء عليه ، ولو كان ذلك صحيحا لكان الناس جميعا على بابة واحدة إما أدباء أو عامة ، ولما افترق الناس إلى أفذاذ عابرة وإلى سوقة وإلى طوائف بين هؤلاء وهؤلاء ، ولاستوى بائع البقول والمستوى على عرش البلاغة .

وللعلماء عبارات عن الأدب أو الكلام البليغ تدور كلها حول ضرورة استيفاء الكلام عنصرى الفكرة والأسلوب الفنى البلاغى . قال أحد العرب : « البلاغة التقرب من المعنى البعيد ، والتباعد عن حشو الكلام ، وقرب المأخذ ، وإيجاز فى صواب ، وقصد إلى المحجة ، وحسن الاستعارة » . ونقل الجاحظ عن بعض الواعظين فى وصف الكلام البليغ وأثره فى نفوس السامعين فقال : « وأنذر كم حسن الألفاظ ، وحلاوة مخارج الكلام ، فإن المعنى إذا اكتسب لفظا حسنا ، وأعاره البليغ مخرجا سهلا ، ومنحه المتكلم دلا متعشقا ، صار فى قلبك أحلى ، ولصدرك أملا . والمعانى إذا كسيت الألفاظ الكريمة ،

وألبست الأوصاف الرفيعة تحولت في العيون عن مقادير صورها، وأربت عن حقائق أقدارها، بقدر ما زينت، وحسب ما زخرفت . فقد صارت الألفاظ في معاني المعارض ، وصارت المعاني في معنى الحوارى . والقلب ضعيف ، وسالخان الهوى قوى ، ومدخل خدع الشيطان خفى » . وقال ربيعة الرأى : « إني لأسمع الحديث عطلا فأشفه وأقرطه فيحسن ، وما زدت فيه شيئا ولا غيرت له معنى » . فالأدب معنى أو فكرة ، وأسلوب أو معرض تخطر فيه المعانى غراء مشرقة مجلوة . وإذا تبعنا ما ينتجه المتأدبون وتفقدا فيه أسس الأدب التى أشرنا إليها وجدنا أكثره لم يتوافر له من مقومات الأدب وعناصره ما ينزله منازل التقدير الأدبى ، فقد خلا من الفكرة المبتكرة والمعانى الجديدة ، وما فيه من المعانى مكر معاد ، والحال فى الأسلوب قريية من ذلك ، فقد خلا من المقومات الفنية البيانية التى تضى عليه ألوانا من الحسن ، وضروبا من الدقة والروعة ، كما أعوزه الخيال ، وهو الوسيلة الى تقريب المعانى والإبداع فى تصويرها . وقد تقع فى أساليبنا الأدبية على بعض الأخيلى إلا أنها أخيلة مستعارة لا يستسيغها الذوق العربى ، وتستنكرها الأسماع التى ألفت الأخيلة العربية القريية المناسبة التى يتضح بها المعنى وينجلي ، ويرق بها الأسلوب ويلطف . وقد تقع على بعض الأصول الفنية فى أساليبنا إلا أنك تقع عليها مشوهة مضطربة ، نابها مكانها ، واستعملت فى غير مواضعها ، فذهب رونقها وبهاؤها ، ولم تبلغ الغاية منها من تجويد الأسلوب وانكشاف المعنى .

لقد حاول بعض المتأدبين التجديد فى الأدب فضلوا الطريق ، وفهموا خطأ أن اصطناع المحسنات البيانية هى سبب ما نزل بالأدب ، فتحالوا منها جملة أو اصطنعوها مستعارة من آداب أجنبية ، فكانت كاللحم الذشار بين الألحان المتناسقة أو كالرقعة فى الثوب الجديد ، وغفلوا عن أن هذه المحسنات هى سر الجمال فى الأسلوب ، وبها يمتاز الأدب عن الحديث المعتاد ، وينزل الكلام منازل من البلاغة بمقدار ما يتجلى به منها ، ولكن على أن يكون ذلك فى مواضعه ، وبقدر ما يقتضيه المقام دون دفع لآتيه أو استكراه لعصيه ، وهذه المحسنات هى خصائص البيان العربى ، ولكل بيان خصائص تناسبه ، وتجرى على سننه ، وعسير أن يستضيف بيان لغة خصائص بيان لغة أخرى .

رفض المتأدبون اصطناع خصائص البيان العربى من استعارة أو مجاز أو كناية ، فنزلوا بالأسلوب الأدبى إلى درك ليس من الإنصاف أن نسميه أدبا ، وإنما هو أسلوب صحفى اخبارى . ولا يستطيع أن يدعى مستنير أن أسلوب الصحافة أسلوب أدبى يشغل الدارسون

باستنباط أسرارهِ وخصائصهِ ، كما يشتغلون بذلك في أساليب الأدب الرفيع . ومن حاول منهم أن يستعين خصائص البيان الأجنبي في أسلوبهِ الأدبي خانه التوفيق ، فكان بيانه لا هو بالأجنبي ولا هو بالعربي ، فاضطرب أسلوبهِ واستعجمت معانيهِ وشاھت أخيلته وكانت لغته كما قال حافظ :

سرت لوثة الإفنج فيها كما سرى لعاب الأفاعي في مسيل فرات
بجاءت كنبوب ضم سبعين رقعة مشكلة الألوان مختلفات

إن أهم الأسباب في انحطاط أساليبنا الأدبية ضعف الدراسات الأدبية وقلة محصول الكاتبين من الأدب العربي المختار ، وعدم استمکان الذوق الأدبي من نفوسهم ، وجهلهم بالخصائص البيانية ، وتخير الأماكن اللائقة بها ، واستعجالهم الثمرات الأدبية في الكتابة والتأليف ، وغرورهم بالثناء الذي يقف بهم عن مواصلة الدرس ، والاستزادة من الأفكار والثقافات ، فمن نظم أليانا فهو حسان ، ومن رقع خطبة فهو سبحانه ، ومن رصف مقالة أو حرر رسالة فهو عبد الحميد أو ابن العميد ، إلى نحو ذلك من الألقاب التي تمنح بلا حساب .

إنا لنسمع بعض الناس يقول : إن الأدب قد خطا في طريق الرقي خطوات ، وأنه قد انطلق من قيود السجع والمحسنات الصناعية وغدا حراً يعبر ويصور ويسع في رحابه مخترعات الفن ومبتدعات الحضارة وما إلى ذلك من الأقوال البراقة الخادعة . ونذهب لنلمس أثر ذلك فيما ينتجه المتأدبون فما نرى إلا سرايا يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً . وما أكثر ما يكتب الكتّابون ، وما أكثر ما تنتج المطابع ، ولكن أين منها الجيد المختار ؟ وأين منها المرجى الخالد ؟ إني لتحضرني في هذا المقام فكاهة طريفة عن أحد الأدباء . قال : حضر ريفي إلى المدينة ليلتمس عيشاً فتخبر له أحد مستشاريه ببيع الصحف فقال الريفي : إني لا أعرف القراءة . فقال المستشار : إن الأمر لا يستلزم قراءة وما عليك إلا أن تحفظ أسماء بعض الصحف لتنادي بها في الطريق فيقبل عليك راغب الشراء . فراقته الفكرة وأحضر بعض الصحف لبيعها ، ولكنه نسي ما حفظ من أسمائها فتخبر فيما يفعل . ثم تفقت حيلته عن أن ينادي ويقول : « يا ورق ياللي كلك كتابة » . فهل نصدق إذا استعرنا عبارة الريفي فنقول عن تلك الكتب « يا ورق ياللي كلك كتابة » . . أظن أننا نصدق إلى حد بعيد ، وأما ذلك فيما يحسه الناشرون من حرج في نشر الكتب الحديثة ، وما يلحقهم من خسارة إذا هم غامروا بنشرها ، بينما لا يترددون في نشر

الكتب القديمة، ولا يتهيبون من تكرار طبعها، وليس بصحيح ما يعلل به بعض الناس ذلك بكساد سوق الأدب وانصراف الجمهور عن قراءته . وإنما علة ذلك خفة أكثر هذه الكتب في موازين النقد الأدبي . وإذا حاولنا أن نتخير منها في مدى عشر سنين أو عشرين سنة ، فعلى كم منها يقع الاختيار . إن الدارسين للأدب في المدارس يحاولون أن يختاروا نماذج لأدباء العصر فيعيهم الاختيار ، ومع ما عمله المجاملة الشخصية في هذا الاختيار ، فإنه لو كان لهذا المختار اختيار لمنعه الحياء أن يقف في صفوف المختار من أدب القدماء .

إن الذي لاشك فيه أن أسلوبنا الأدبي شعرا ونثرا قد نزل ، وأنا إذ خالفنا طريق القدماء ورغبنا عن أدبهم لم نستطع أن نخلق لنا أدبا خاصا متميزا يرضى عنه الذوق العربي وتقره قواعد العربية، وعلاج ذلك فيما أرى أن نحاول الدراسة الأدبية المستأنية المتواضعة ، وأن نتشبع من الأدب العربي القديم شعره ونثره ، وأن نصطنع الأناة في إنتاجنا الأدبي ولا نتعجل الثمرات . عند ذلك نؤمل أن يرتفع شأن الأدب ، وأن يكون لنا منه ما يوضع في كفة الميزان مع أدبنا العربي القديم الذي قليناه على غير جريرة وجفوناه من غير إثم ما

أبو الوفا المرافى

اللبانات

يأسف المرء على ما فاته من لبانات إذا لم يقصها
وتراء ضاحكا مستبشرا بالتي أمضى كأن لم يمضها
إنها عندي كأحلام الكرى وقريب بعضها من بعضها

ابن حطان

العقاد في الميزان

للمناسبة كتابه عن معاوية

— ٢ —

نعم ان أهل الحق يعرفون معاوية الذي دخل في الإسلام متأخراً ، والتأخر كما يقول العقاد نفسه لا يندر معه أن يكون المتأخر أصدق إيماناً وأثبت عقيدة من المبادر المتقدم ، ولكنه وأمثاله يلبسون الحق بالباطل ويكتمون الحق وهم يعلمون .

يعرف أهل الحق معاوية الذي كان من أقوى أتباع النبي صلى الله عليه وسلم إخلاصاً لدعوته ، فعهد إليه في الكتابة بعامة ، ولا يلزم أن نقول كتابة الوحي فان هذا مما يشك فيه العقاد ، فان اتخاذه من الكتاب ثقة به لم يطرأ عليها ما يغيرها أبداً . ويعرفون معاوية الذي بلغ من إيمانه بمحمد صلى الله عليه وسلم وحبه له أنه اتبعه يوماً وقد خرج لحاجته فكساه ثوباً من ثيابه كان أعز ما يعتز به ، وأنه رأى النبي يوماً يقص شعره ويقلم أظفاره فاقتنى بعض الشعر وبعض الأظفار ، ثم قال لولده : اجعل الثوب في كفني والأظفار على موضع السجود ، فان نفع شيء فذاك ، وإلا فان الله غفور رحيم . وقد أشار العقاد إلى بعض ذلك في كتابه [١] لأنه لا يستطيع أن يخفيه ، ولا أن يجعل كتابه كله باطلاً .

ويعرف أهل الحق معاوية الذي ظفر من تعليم محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب والحكمة والفقه الديني ، وروى عن أبي بكر وعمر وعثمان ما جعله في عداد المجتهدين ، وجعل ابن عباس يقول : إنه فقيه .

ويعرف أهل الحق معاوية الذي اشترك في الجيوش التي كان عمر يسيرها لفتح الشام ، وأن عمر ولده ما كان يليه يزيد بن أبي سفيان هنالك اعترافاً بكفائته ، ثم ولده الشامات كلها كما قال الإمام ابن العربي ، ثم لم يعزله كما عزل غيره ومن الشام نفسها ، خلافاً لما يزعم العقاد .

ويعرفون أنه قاد جيشا في عهد عثمان رضى الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم شر به . روى البخارى في كتاب الجهاد ومسلم في صحيحهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نام القيلولة عند أم حرام (خالة أنس) ثم استيقظ وهو يضحك لأنه رأى أناسا من أمته غزاة في سبيل الله يركبون شج البحر ملوكا على الأسرة ، ثم نام واستيقظ وقد رأى مثل الأولى ، فقالت أم حرام : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال صلى الله عليه وسلم : « أنت من الأولين » وقد حقق الله ذلك فكان معاوية قائد هذا الجيش الذى كانت فيه أم حرام حين غزا قبرص ، ففتحها على عهد عثمان رضى الله عنه سنة ٢٧ هـ . فهل مثل هذا جدير بكل ما يقول العقاد أو بعضه ؟

ويعرف أهل الحق معاوية في سياسته العامة واضعا للدساتير القويمة ، ناشرا لدعوة الإسلام ، متابعا للغزو ، منتصرا وموسعا للرقعة الإسلامية بما هو مفخرة الإسلام .

ويعرفون معاوية الذى كان يجعل يومه قسمة بين الله وبين شئونه الخاصة ، والذى كان يجلس للناس ضعيفهم وقويهم كبيرهم وصغيرهم في المسجد بعد صلاة الضحى ، فيستمع إلى كل منهم ، ثم يدخل بيته فيقول : أئذنوا للناس على قدر منازلهم ، وأنه كان يجتهد في اقتفاء آثار عمر والصدى بقدر ما يتسع له عصره ، ويصدقون كل ذلك لأنه يتفق مع الأصول العامة للصحابة من أبناء مدرسة محمد صلى الله عليه وسلم .

ويعرفونه يسمع النصيح ويعتذر من الذنب ويتواضع لله ويرجو رحمته ويخشى عذابه . وقد اشتهر عن المسور بن مخرمة أنه خلا بمعاوية فطلب منه أن يخبره بما ينقم على الأئمة ، فقال له مسور : دعنا من هذا وأحسن فيما جئنا له . فقال له معاوية : والله لتكلمن بذات نفسك . قال مسور : فلم أدع شيئا أعيبه عليه إلا بيته له ، فقال معاوية : يا مسور : ألك ذنوب تخاف أن تهلك إن لم يغفرها الله لك ؟ قال : نعم ، قال معاوية : أترجو أن يغفرها الله ؟ قال : نعم . فقال معاوية : فما جعلك أحق أن ترجو المغفرة منى ؟ وإنى لعل دين يقبل الله فيه الحسنات ويعفو عن السيئات ، والله لما إلى من الإصلاح بين الناس وإقامة الحدود والجهاد في سبيل الله والأمور العظام التى لست أحصيها ولا تحصيها [١] . وإنى لعل ذلك ما كنت أخير بين الله وبين سواه إلا اخترت الله على ما سواه . هذا فقه عظيم ، وإيمان صادق ، ومحااجة تبين وجه الحق في أمر الرجل .

(١) خبر ما محذوف يفهم من السياق تقديره أدعى إلى رجاء المغفرة ونحو ذلك .

فأما معاوية الذى يصوره العقاد بكثير من الصور البشعة التى منها [١] :

١ — « أنه لا يعتمد على قدرة عقلية فائقة ، وإنما يعتمد على قدرة مادية يستطيع صاحبها قضاء المصالح والتعامل مع غيره على أساس التبادل فى المنفعة المعروفة . . . ولذلك تمكن من اجتذاب عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزيد ابن أبيه وغيرهم من الذين تستطيع أن تقول إنهم خدعوه وسخروه لقضاء مآربهم كما تستطيع أن تقول : إنه خدعهم وسخرهم لقضاء مآربه . . . ولهذا أعياه كل الإعياء أمر المخالفين الذين لا تعمل فيهم رقية المال ، فامتنع عليه عبد الله بن عمر ، وامتنع عليه قيس الذى ظل محافظا على عهد الإمام على » [٢] .

٢ — ومن هذه الصور البشعة لمعاوية الصحابي تلميذ رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أنه كان يصطنع الحيلة التى قوامها العمل الدائب على التفرقة والتخذييل بين خصومه باللقاء الشبهات بينهم وإثارة الإحن . وأنه كان لا يطيق أن يرى رجلين ذوى خطر على وفاق ، وكان يجعل التنافس الفطرى بين ذوى الأخطار مما يعينه على الوقعة بينهم . . . ولم يكن يطيق أن يتفق بنو أمية من غير بيت أبى سفيان . . ولم يكن ليهدأ أو يستريح أو يوقع بين عمومته من بنى العاص . . ولو أنه استطاع أن يجعل فى كل رجل من رجال دولته حزبا منابذا لغيره من رجال الدولة كافة لفعل [٣] .

(١) رأينا أن ننقل بعض الفقر متفرقة من كتابه ومفصولا بين بعضها وبعض ، لأننا نكتب فى مجلة مع المحافظة على الدقة فى النقل وعدم المغالطة بما يذهب الغرض المقصود بحال ، ولهذا نرجو من القارئ أن يراجع ما ننقل فى مواضعه ليتثبت من صحة النية وعدم محاولة التشويه .

(٢) يلاحظ أن عبد الله بن عمر امتنع على الإمام على من قبله احتياطا لدينه ، وهذا الكلام تستطيع أن ترجع إليه فيما بين ص ٥٠ وص ٦٣ فى فصل طويل عنوانه (الدهاء) يقع فى ٣٢ ص ، كلها تدور حول هذا المعنى وأمثاله ، وقد استدلل فيه بكتاب الإمامة والسياسة أكثر من مرة وهو كتاب مكذوب كما سترى .

(٣) ص ٦٤ - ٦٦ معاوية (من فصل الدهاء) كذلك .

٣ — ومن هذه الصور أن لمعاوية حيلة أخرى لا يجزم العقاد بها ولكنه يثبتها في مكانها الذي رواه الرواة (وأنت قد علمت حال الرواة) تلك هي فتك معاوية بمنافسيه وقتلهم بالسهم مهما كانت منزلتهم من الدين أو قرابة بعضهم من سيد المرسلين : كالحسن ابن علي ، ومالك بن الأشتر النخعي ، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، ممن عوجلوا جميعا بغير علة ظاهرة ، فسبق إلى الناس أنها غيلة مدبرة ، وأن صاحبها ممن كان له نفع عاجل بتدبيرها وهو معاوية [١] ، والعقاد لا يحاول أن يدفع هذا الذي لا يجزم به ولكنه يعززه تعزيزا خفيا ، ثم هو يقول بعد كلام طويل [٢] : لا يسع المؤرخ أن يقبل هذه التهم جازما ، ولا أن يرفضها جازما ، ولكن الشبهات والأقويل وحدها تحدثنا بالشئ الكثير عن ظنون الناس في معاوية ووسائله إلى قضاء ما يبغيه .

وإذا فلا مانع عند الأستاذ العقاد أن يقتل هذا الصحابي مؤمنا ، ومن يقتل مؤمنا متعمدا بجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه ، هذا ولو كان ذلك المؤمن ربحانة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو أنه على أقل تقدير أعان على قتل مسلم ، فدخل فيما روى من قوله صلى الله عليه وسلم : «من أعان على قتل مسلم ولو بنصف كلمة لقي الله مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله» . رواه ابن ماجه بسنده إلى أبي هريرة . وإليته رواية العقاد نسبوا هذه الفعلة الشنعاء إلى الغوغاء من أتباع معاوية إذا لكان الخطب [٣] .

ويقول العقاد هنا : إنه شاعت الشوائع بمثل ذلك عن آخرين من أعداء معاوية ومنافسيه ، يملئ للناس في تصديقها أن هؤلاء الأعداء ماتوا بغير علة موصوفة في الموعد الذي يبتغيه معاوية وتترتب عليه سياسته التي كان يرجئها إلى مواعدها . وتأمل حيله الدبلوماسية في تسميم الأذهان مع تخليص نفسه .

٤ — ومن تلك الصور القبيحة تهوين خطب الحلم الذي يوصف به معاوية مدحا مستقيضا ، فهو عند العقاد وسيلة من وسائل التجنب إلى الناس ، ووسيلة من وسائل الدعاية السياسية يعزز بها حجته ، ولا يستطيع أن يفخر بصفة غيرها في مقام المفاضلة بينه وبين علي الرجل الذي سلم له المنصف والمكابرة فضيلة الشجاعة وفضيلة التقوى [٤] .

(١) ص ٧٢ منه . (٢) راجع ص ٧٦ .

(٣) راجع العواصم ص ٢١٤ طبع وتعليق الأستاذ محب الدين ، وراجع المتقى ص ٢٦٦

(٤) راجع ٨٤ معاوية .

وقد عرض في ذلك بعلى كرم الله وجهه . والحق أن معاوية كان يعترف لعلى بفضله وسابقتها وكل مزاياه كما يعرف من رسائله ومحاوراته . ولو كنت في مقام المناقشة التفصيلية لبينت فساد كلام العقاد هنا وتناقضه مع نفسه ، حيث زعم أن هذا الذي يسمى حلما كان صحيحة في بنى أمية ، والسجية لا تتخذ وسيلة كما هو ظاهر . على أنه جعل هذا الوصف نفسه ببطء غضب وليس وصفا إيجابيا ، فكيف يتذرع به إلى التجنب ، وكيف يتذرع به إلى الدعاية ؟

قال بعد كلام طويل جدا :

« وهذه الوقائع التي رويت عن معاوية تبدي لنا منه صفة لا شك فيها وهي طول الأناة وبطء الغضب ، وليست هي بالصفة التي ترادف الحلم كما يفهم لأول وهلة » وأطال في البرهنة الفاشلة على ذلك .

ثم قال بعد كلام أيضا في السياق :

« ولا يكون الحلم أبدا عجزا عن مجارة الغضب أو امتناعا للشعور به ، لأن الفضيلة لا تقوم على عجز أو امتناع » ويل للفلسفة ممن يتعاطاها بغير إنصاف ولا أناة .

فهو يفسر بطء الغضب بالعجز عن مجارة الغضب أو امتناع الشعور به . ثم ياليت شعري ما الذي جعله يفهم أن الذي عند معاوية بطء غضب ، والحلم شيء باطنى يكظم به الغضب ، فيشبه بطء الغضب ، ولئن سلمنا جدلا كل ما يقول ، فهل قال النبي صلى الله عليه وسلم لعنه العباس مرارا : (لا تغضب) يوم جاءه يقول : أوصنى ، وهو يعلم أن عدم الغضب ليس فضيلة ، أو أن العقاد علم ما لا يعلمه الرسول ؟ وما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : إن فيك خصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة . لعل العقاد يقول إن النبي صلى الله عليه وسلم كان بسيطا لا يفهم هذه الفلسفات ، وأتم يا رجال الأزهر كذلك دون مستوانا في الفلسفة . يا سلام . أكل هذا لتنتقص معاوية ، وتنزل به إلى الحضيض ؟ فألا تنصروه فقد نصره الله وكفى به نصيرا .

ثم تطرق إلى حديث حجر بن عدى الذي قتله معاوية [١] ويظهر أن الحادثة صحيحة ، وقد استغلها المؤلف لأمرين : أحدهما أنه يدفع معنى الغضب المعروف عن معاوية ،

فقد زعم أنه لا غضب له ، الثاني أن يشنع على معاوية ، ولقد أروى نهم التشنيع هنا فمرة يقول : إن معاوية أجاب بما يخجل الطفل بين الصغار فضلا عن العاهل بين الساسة [١] ومرة يقول : إنه التمس العذر مجفلا من غضبه فلم يفتح عليه بغير عذر الصبي بين يدي الفقيه [٢] وبين ذلك نهش ولمز لا يطاق في حكم الدين والخلق .

ومسألة حجر بن عدي نوجزها في أن زيادا خطب فأطال الخطبة ، فذكره حجر بالصلاة مرارا ، حتى خشى حجر فوت الصلاة فخصب زيادا ، ثم قام حجر إلى الصلاة فاضطر زياد إلى النزول . وقال العلماء : إن حجرا رحمه الله خلع زيادا عن غير طريق معاوية الخليفة ، فكتب زياد إلى معاوية بما أوغر صدره ، وجعله يخشى عاقبة الأمر وهبوب العواصف بعد هدوئها ، واعتبره كما يقول القاضي أبو بكر بن العربي ممن يسعى في الأرض فسادا [٣] فأمر به فقتل . على أن هذا الأمر مازال يعاود معاوية بالحسرة حتى مات ، فلما حضرته الوفاة صار يقول : (إن يومى منك يا حجر طويل) كما نقل ذلك العقاد في كتابه [٤] وهو مما يحمده معاوية لأنه خاف مقام ربه مع أخيه حجر ، وإن كان مجتهدا في قتله . وكأنته السيدة عائشة لما جح في شأن حجر فقال : دعيني وحجرا حتى نلتقى عند الله . وهب أن معاوية لم يكن مصيبا ولا متأولا وجها صحيحا في حجر ، فهل هو أول من أخطأ ؟

هـ — ومن تلك الصور تشنيعه على معاوية بأنه أكل ، يأكل في اليوم واللييلة سبع مرات ، ويقول : (والله ما أشبع وإنما أعيأ) (٥) في حديث طويل جدا يدعى فيه أنه مترف مسرف تياه همه متعه ولذاته . ولا يكتفى بأن يدعى ذلك على معاوية بل يعمم أمر النهم والترف في بنى أمية حتى عثمان وعمر بن عبد العزيز الخليفة الناسك ، فكان غير بنى أمية من بنى المطلب والعباس وغيرهم لا يعرفون الترف ، وليت شعري كيف يغيب الرشاد في أن كل من وجد المال توسع بقدر وجده أيا كان ومن كان إلا من عصمه الله بالزهد وقليل ما هم . ولعل العقاد لم تمر به رواية أن معاوية رأى وهو يخطب على المنبر وفي ثوبه بعض الرقع ، وأنه سار بسيرة عمر عامين من خلافته كما روى ذلك

(١) ص ١١٠ . (٢) ص ١١٥ . (٣) راجع العوصم ص ٢١٣ .

(٤) ص ١٠٩ معاوية . (٥) ص ١٢٦ .

ابن كثير في البداية والنهاية (٨ : ١٣١) بسنده الى الزهرى (ان معاوية عمل سنتين عمل عمر ما يخرم فيه) فن كان في نفسه ذلك السمو كيف يعامل بذلك التجدى السافر .

وتطرق العقاد إلى وصف معاوية بالجن ، فذكر أنه لم يؤثر عنه موقف واحد من مواقف الشجاعة البينة وأطال في ذلك كثيرا (١) .

أيها القارئ الكريم : إننى أشعر بأننى قد أطلت جدا وأنا بصدد مقال في مجلة ، ولكننى أردت أن أصور لك أن العقاد يكتب بانفعال وضمن ، وأن له مآربا غير حميد فيما يكتب ، وأن أنبهك إلى منازل الصحابة حتى لا يخذلك تمويه العقاد وأمثاله . ولقد تناول قضية عثمان وسياسة معاوية الاقتصادية وركضه بالملك خطوات إلى الوراء وجرح إمام التاريخ ابن خلدون لأنه أنصف معاوية و . . . و . . . مما لا أحصيه . والله لولا أننى رأيت كثيرا من القارئ حتى أهل العلم الصادقين قد تأثر بذلك الكتاب إلى حد كبير ما حذرتك منه ، فإنه يضع السم في الدسم لمن لا يعقلون ، ومن قرأ جلدة الكتاب وما فيها من زبرج ودعاية له ، ثم قرأ الكتاب وهو يحسن الفهم والنظر ، وجد الفارق العجيب بين تزكية وتشنيع .

أيها القارئ الكريم : أعود فأقول لك إن كتب التاريخ لا يقبل منها إلا ما عرض على الحق ولم يخالف طبائع الأزمنة والمجتمعات ، وأحب أن تقرأ هذه الجمل من كتاب العواصم للقاضى ابن العربى ، وهو الكتاب الذى جاهد به هذا الإمام أولئك الأفاكين الوضاعين ، قال فى ص ٢٤٧ بعد أن حذر من تلك الأخبار الموضوعة : إنما ذكرت لكم ذلك لتحذروا من الخلق وخاصة من المفسرين والمؤرخين وأهل الآداب ، فأنهم أهل جهالة بجرمات الدين ، أو على بدعة مصرين ، فلا تبالوا بما رويوا ، ولا تقبلوا رواية إلا عن أئمة الحديث ، ولا تسمعوا لمؤرخ إلا للطبرى [٢] ، وغير ذلك فهو الموت

(١) راجع ١٣٤ فما بعدها .

(٢) والحق أن المعول عليه السند، حتى إن البخارى فى تاريخه عادى لا يرتب عليه بخلاف الجامع الصحيح لأنه التزم الصحة، والطبرى نفسه يقول : فما فى كتابى هذا من خبر يستنكره القارئ من أجل أنه لم يعرف له وجها من الصحة فليعلم أنه إنما أتى من بعض ناقله إلينا .

الأحر والداء الأكبر، فأنهم ينشئون أحاديث فيها استحقار الصحابة والسلف، إلى أن يقول: ومن أشد شيء على الناس جاهل عاقل أو مبتدع محتال، فأما الجاهل فهو ابن قتيبة فلم يبق ولم يذكر للصحابة رسماً في كتابه الإمامة والسياسة إن صح عنه جميع ما فيه [١]، وكالمبرد في كتابه الأدبي . . . وأما المبتدع المحتال فالمسعودي الخ .

فكيف ترى مراجع العقاد واستنتاجه؟ ألسنت ترى أن الاستبراء للدين خير وأجدي . وبعد - فأنما مثلنا ومثل العقاد بعد ذلك مثل طائفتين يقول الله سبحانه فيهما : « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراستون في العلم يقولون أماناً به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الأبالب » فكيف يكون العقاد في الميزان ؟ اللهم اعصمنا من الزلل ، وقنا هذه الفتن يا الله .

حاشية : اطلع الأستاذ العقاد على ما كتبت في المقال السابق . فأخذ ينتقضي على صفحات أخباره (أخبار اليوم) ضد مجهول بما لا يعظم على مثله ممن لا يبالون أن ينقصوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، وسألني عن المراجع وقد نصصت له في المقالين على أهمها : كالبداية والنهاية والمتقى والعواصم وغيرها مما كتبه صيارف الإسلام الذين يتميزون غث الكلام من ثمينه ، وبينت له الميزان في تحري الأخبار . وزعم العقاد أنني وصولي وما معنى هذا ؟ فأنني لا أعمل لأسواق الشيعة ولا غيرهم ، ولكنني محتسب للحق وحده . وادعى أنني لا أناقشه إلا لأنه يقول : معاوية قدير وليس بعظيم . وهذا شيء يفهم الصبي إذا قرأ ردى أنه مغالطة مكشوفة ، وأنني ما تناولت في كلامي أبداً أن معاوية عظيم والعظمة لله وحده . وسألني العقاد من أكون . وأنا أكون صاحب التوقيع المتواضع الذي أصلح له خطأ فاحشاً على صفحات مجلة الرسالة يوم زعم في كتابه أبي الشهداء وهو ينتقص بنى أمية أيضاً أن أبا سفيان الذي كان يهجو محمداً صلى الله عليه وسلم والذي عناه حسان بقوله :

ألا أبلغ أبا سفيان عني فأنت مجوف نخب هواء . . الخ
هو أبو سفيان بن حرب وأخطأ فأبنت له أنه أبو سفيان بن الحارث؛ وأما ابن حرب فلم يكن شاعراً ولا يعرف المهاجاة فيما ذلك من الكتاب ولم يشر إلى بحرف واحد ما

محمود النواوي

المفتش بالأزهر

[١] المجلة — وقد برأ الله ابن قتيبة من كتاب : (الامامة والسياسة) فصح عند المحققين من المسلمين والمستشرقين أن الكتاب ليس له ، ولم على ذلك أدلة وتحقيقات جلية .

بالحق نسود

يتطلب الإنصاف - فضلا عن المروءة ووازع الدين - ممن يل للناس عملا ، أن يتحرى الحق جهده ، فلا يحركه غرض ، ولا يدفعه إليه هوى ، ولا يجامل بالباطل أناسا لا يدفعون عن أنفسهم ، فبالحق قامت السموات والأرض ، والله هو الحق المبين .

تلك إحدى بدهيات العلم التي لا اختلاف عليها، جرت عليها الحياة في عصور الخير والنور، فكان لا ينهز العالمين غير استهداف الخير واصطناع من يؤمن به ويعين عليه من الأقران والأعوان والموالين ، ولقد امتنَّ الله سبحانه على داود عليه السلام فقال : « يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب » . والآية تؤكد بالنظرة الأولى جلال الخلافة عن الله ، وأن سوء الغرض والهوى النفسى في تصريف أمور الناس ، فساد في الدين ومضلة للأحياء وصنيع يتضائل في جواره كاذب جاه الحياة وباطل زخرف العيش ، وهذا الأمل الفسيح الذى يسول لأقوام انتقاص حقوق الآخرين بفضل سلاطنتهم الذى لن يغنى عنهم من حساب الله كثيرا ولا قليلا !

ولقد أمر الله المؤمنين في أكثر من موضع من كتابه الكريم أن يكونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسهم أو الوالدين والأقربين . . وحبب إليهم رسول الله أن يقولوا الحق وإن كان مرا ، وكان هو - صلوات الله عليه - لا يرى غير وجه الحق فيما يقول ويعمل ، لا ينجيد عن ذلك أبدا ، لأن الوحي يمهده ويهديه سواء السبيل . وإنه سبحانه ليشهد له بالصدق واستهداء الحق في قوله : « ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين » ، والناس يذكرون هذه المخزومية التي سرقت على عهد رسول الله ويذكرون أى جهد أنفقته الرجال كيلا يقام الحد عليها ، وكيف غضب رسول الله بشفاعة زيد بن حارثة - حب رسول الله - وقال : أتشفعون في حد من حدود الله ! إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد ، والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطع محمد

يدها . « الله أكبر . إنه العدل المثالى يحلو آيته مجد صلوات الله عليه ويدعو أصحابه والمؤمنين إليه بقوله وعمله معا ، فلئن رأيتاه فى تلك الصورة حازما يمضى أمر الله فى القريب والبعيد ، إنه لأعز وأوفر نبلا فى موقفه الرقيق الرفيق من بريرة - تلك التى كانت جارية لعتبة ابن أبى لهب فزوجها عبدا من عبيده على غير رضاها ، فبرمت به واستقلته وقتلته ، فاشتريتها عائشة رضوان الله عليها رحمة بها وأعتقتها ، وكان زوجها كلفا بها ، لا يطيق لها نسيانا ، ولا يحذ قلبه عنها مصرفا ، يتبعها أينما توجهت فلا ترداد على ذلك كله إلا قلى له وإعراضا عنه ، فقال رسول الله لها يوما : اتقى الله إنه زوجك وأبو ولدك . فقالت : أأمرنى يا رسول الله ؟ قال : إنما أنا شافع ، فقالت : إذا لا حاجة بى إليه ! !

ومن مدرسة الوحى تخرج عمر رضوان الله عليه ، فقد لقي قاتل أخيه زيد فلم يبطش به ولم يجعله عبرة للعتبرين ، ولكنه قال له : لأحبك حتى تحب الأرض الدم ، فقال الرجل : أو يمنعنى ذلك شيئا من حقى عندك ؟ قال عمر : لا ، فانبرى الرجل يقول : « فاحبب إن شئت أو ابغض ، فانما يأسى على الحب النساء » !!

إن الحكم قيد لا يقوى الحاكم على الفكك منه إلا بتحرى الحق ما استطاع ، وهو غل لأقوام يصرفهم عن رعاية حقبة ملق التملقين ونفاق المنافقين ، وما نريد بذلك أن نبغض إلى المنصفين ولاية الناس . . كلا ، فما أحسن أن يجعل الله حاجة عباده إليك ومعول هئاتهم عليك ، وتيسير شئونهم بين يديك ، حتى يكون الحكم قلادة تزين صاحبها ثم تكون له شفاعاة إلى جوار الله فى ظل عرشه ، فالمقسطون على منابر من نور ، إلى يمين الرحمن يوم القيامة ، وإن واجب الحاكم الذى هو ظل الله فى الأرض أن يكون أذنا مرهفة للحق ، وعينا بصيرة للخير ، ويذا عاملة على إرساء قواعد العدل وشيوع الرفاهية والرخاء بين الخوصم والأولياء على السواء . فالى ظل الله يفرغ الضعفاء من ظلم الأقوياء ، وعنده يجد الخائف الملهوف مستقرا ومقاما . وإلى هذا الجوار الكريم ينبغى أن نحشد الأمناء النصيحة الذين يرى الحاكم بأعينهم ويسمع بأذانهم وينطق بلسانهم ، وأسوتهم فى ذلك نبى الله يوسف ، وهو يقول للعزير : « اجعلنى على خازن الأرض ، إنى حفيظ عليم » فما أكثر الذين يختلفون الى هذه المجالس الشريفة غاشين لا وادين . وربما نفع من التاريخ أن رجلا قال لعبد الملك بن مروان : إنى أريد أن أسر إليك حديثا ، فأشار الخليفة الى أصحابه بالانصراف ، فلما أراد الرجل أن يتكلم ، قال الخليفة : قف ، لا تمدحنى فأنا

أعلم بنفسى منك ، ولا تكذبنى فأنا لا أعفو عن كدوب ، ولا تغترب عندى أحدا فلست أسمع إلى مغتاب . فقال الرجل : هل تأذن لى فى الخروج ؟ فقال : إن شئت ! ! . إن فى ذلك لذكرى لنسديها إلى ظلال الله فى الأرض حتى يأمن طلاب الحق من سدة الشر وألسنة السوء فى مجالسهم . وما كان عبد الملك بدعا فى الناس يصون أذنه عن سماع تنقص الآخرين والافتراء عليهم ، ويكرم نفسه عن إطرأ أناس يبذلون كرامتهم ويتذلون لإنسانيتهم ويسقطون — كما يسقط الذباب على الشراب — فى مجالس القضاء ودور الحكم ، عليهم يشفعون شفاعة سيئة لقاء ثمن بخس وعرض من الدنيا هزيل ، ولا كان الخليفة أول من رد هذه الزعانف الزاحفة عن اتهام الأبرياء ، ومحادعة الرؤساء ، فلقد كان معلم الإنسانية وهادى البشرية محمد صلوات الله عليه بلغت نفسه — وهو من أذبه ربه فأحسن تأديبه ، وأثنى عليه بالخلق العظيم فى كتابه — عن أن يستبد بها مدح مادحيه . روى أحمد وأبو داود فيما ذكر المناوى أن رجلا قال للرسول : أنت سيد قریش . فقال : السيد الله . قال : أنت أعظمها فيها طولا وأعلاها قولاً ، فقال صلوات الله عليه : « يا أيها الناس قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان ، فأنما أنا عبد الله ورسوله » ، ولقد حرّض أمته أن يحثوا التراب فى وجوه الذين يمدحون بغير حق ، لأنهم يقلبون أوضاع الحق ، ويعكسون موازين العدل ، ويرسلون ألسنتهم فى أردية من البسمات الصفراء وتلون الحرباء ولين الحية الرقطاء ، وفى حفنة من أيمان على محض الولاء ليزيغوا أبصار الحكام وبصائرهم عن حقائق الأشياء ، كذلك الذى كان يكثر الثناء على أمير المؤمنين على كرم الله وجهه فقال له يوما : « أنا دون ما تقول وفوق ما فى نفسك » .

.. وإن الحاكم العادل لأعود بالفائدة على الدنيا من الخصب والنماء ، يقول القاضى عياض : لو كانت لى دعوة مستجابة ما جعلتها إلا فى الإمام ، لأنه إذا صلح أخصبت البلاد وأمن العباد . وفى الطبرانى عن ابن عباس بسند حسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يوم من إمام عادل خير من عبادة ستين سنة » ويقول عمرو بن العاص : « ملك عادل خير من مطر وابل » وما أضيع أمة لا يعلو فيها سلطان الحق ، ولا يأخذ فيها الضعيف حقه من القوى غير متعنت كما حدث المعصوم صلوات الله عليه ، وما ابتلى الحكام بشر من تلك البطانات التى تقتل فى الذروة والغارب وهى تغرى بالسوء وتمحجز عن الخير وتنفع فى الأوداج حتى يتعالى غاfl ويتكبر ، وفى ذلك كل الذلة وموفور الهوان ، لأن الكبرياء رداء الله عز وجل من شاركه فيه أذله وأرداه ، ولقد علا فرعون فى الأرض وجعل أهلها

شيئا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم ، وقال : أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي . ثم ضاقت الأرض بما رحبت عن الإحاطة بغروره ، فرمى السماء بطرفه وهو يقول : « ياها مان ابن لى صرحا لعل أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى » . ثم اختصر لنفسه الطريق فقال : « أنا ربكم الأعلى » ! فأمر الله البحر أن يسكت هدير هذه النفس الطاغية ، وأن يوقظ فرعون من غفلته وينبهه من سكرة الحياه وغرور الحياه « حتى إذا أدركه الغرق قال : آمنت أنه لا إله الا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين » ونجاه الله ببدنه ليكون لمن خلفه آية على قمعه سبحانه للطغاة وشديد أخذه لمن كذب وتولى ! ! فهل يقول بعض أولى الأمر لبعض جلسائهم مقالة عبد الملك : « ... إن شئت فأخرج » حتى يطمئن الناس على مواريث الخير التى أسلم الله أزمته إلى خلفائه فى عباده وأرضه ، فجليسك كالرقعة فى ثوبك لن تصالحه إلا اذا شابهته ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم « المرء على دين خليله » .

ولقد استشرى النفاق وبات يهدد المجتمع الإسلامى بخاطر فادح على أيدى أولئك الذين يأكلون على جميع الموائد ويستديرون كعباد الشمس مع شتى الظروف ، ويرصدون الأجواء من بعيد فيعدون لها الأهبة ، ويعرفون كيف يترضون من يلقونه باللفظ واللحظ والعمل ، أولئك يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، وهم شر خلق الله ، أفرد باسمهم سورة من سور القرآن ، وذكرهم فى آيات كثيرة هتكت أستارهم وفضحت أسرارهم ، ولئن أمنا فى الدنيا السيف الذى عرف مكانه من أعناق الكافرين ، لقد جعلهم الله فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم يومئذ نصيرا .

والمنافق - كما قال بعض العلماء - خنع الأخلاق يصدق بلسانه وينكر بقلبه ويخلف بعمله ، يصبح على حال ويمسى على غيره ، ويمسى على حال ويصبح على غيره ، ويتكفأ تكفؤ السفينة كلما هبت ريح هبت معها !! فما بقاؤهم فى بعض المجالس وأولو العلم والنصيحة الخالصة فى أبعد مكان منها ؟ !! وقد جاء رجل إلى عمرو بن عبيد فقال له : إن الأسوارى ما زال يذكر فى مجالسه بشر ، فقال عمرو : يا هذا ، ما رعيت حق مجالسة الرجل حين نقلت إلينا حديثه ، ولا أديت حق حين أعلمتنى عن أى ما أكره ، ولكن قل له : إن الموت يعمنا ، والقبر يضمنا ، والقيامة تجمعنا ، والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين .

أما بعد . . فقد قالوا لمحمد بن واسع : لم لا تدخل على السلطان ؟ فقال : لأن ألقى الله مؤمنا مهزولا خير من أن ألقاه منافقا سمينا . وقد أبصر الرجل ، ولكن كيف نقضى حق السلطان في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا لم نغش لهذا الحق وحده مجالسهم ، فإن نفذ قولنا إلى قلوبهم : فنعمنا هي ، وإلا فقد أعذرنا إلى الله وإلى أنفسنا ، وأديننا الواجب للولاء ، وملأنا أذان المنافقين بالقول الطيب الذي نرجو أن يجرهم عما ألقوا من إفساد وتدليس .

. . ولن نضع قيد أنظار الحكام أمثلة من صدر الإسلام ، ولا نكفينا تقديم إليهم الأحنف بن قيس . . وقد سئل : بم سدت قومك ؟ فقال : لو علمت أن قومي يعافون الماء ما شربته ! ! وبهذه العاطفة الكريمة فيه نستطيع أن نعرف كيف كان يغضب لغضبه الآلاف دون أن يسأله لم يغضب ! !

. . وعامر بن الطفيل لم يفته الحسب الموروث في مجال المكاثرة والتفاخر حتى راح يكتسب المجد الصحيح في العمل لقبيلته فيقول :

وإني وإن كنت ابن فارس عامر وفي السر منها والصريح المهذب
فما سودتني عامر عن وراثة أبي الله أن أسمو بأب ولا أب
ولكنني حمى حماها وأتقى أذاها ، وأرمى من رماها بمقنب !

فكيف لا نقسط في أنفسنا وفيمن يلينا حتى نعرف بعدئذ أين مكاننا بين قول الله سبحانه « وأقسطوا إن الله يحب المقسطين » . وقوله « وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً » .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ما
معرض عرض إبراهيم
واعظ بور سعيد

ثلمتان في الدين

من حكم السيد أحمد الرفاعي (٥١٢ - ٥٧٨) :

لثلمتان ثلمتان في الدين : القول بالوحدة ، والشطح المجاوز حد التحدث بالنعمة .

الأخلاق والوازع الدينى

الأخلاق عماد الأمم وقوام الشعوب . . . تلك حقيقة مسلمة ، لا ينزاع فيها إلا مريض أو مغرض ؛ والحق تبارك وتعالى حينما بعث أنبياءه إلى خلقه جعل تمكن الأخلاق الفاضلة فى النفوس البشرية من أصول رسالاتهم وأسس دعواتهم ؛ وشيخ الأنبياء محمد صلوات الله عليه هو القائل : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » وقال : « ليس شئ فى الميزان أثقل من حسن الخلق » . وقال : « خياركم أحاسنكم أخلاقا » .

ولقد سعدت الأمة الإسلامية فى تاريخها الطويل بنماذج كريمة من الرجال الأبطال الذين تمسكوا بمكارم الأخلاق ، وتحلوا بفضائل الشيم ، فصنعوا المعجائب فى هذه الحياة ، وضربوا للعالمين أروع الأمثال فى مآثر الأعمال ، حتى لو قيل إن الطابع الغالب على شخصية الأمة المحمدية هو طابع الحرص على الأخلاق الفاضلة لما كان ذلك القول بعيدا عن تصوير الحقيقة والواقع .

ولا شك أن الأخلاق قد تدهورت فى نفوس الكثرة السكائرة من أبناء الحياة اليوم ، ولا شك أن مقارنة بين أخلاق أبناء المسلمين الآن وأخلاق السابقين من رجال هذه الأمة المحميدة ترينا اتساع الفروق بين الأسلاف والأخلاف . ولا شك أن لتدهور الأخلاق فى نفوس الأفراد والجماعات أسبابا كثيرة ، منها ما هو اقتصادى مادى يتصل بالحاجة والفقر ، ومنها ما يتصل بسوء القدوة وفساد التقليد ، ومنها ما يتصل بخال التربية والتعليم ، ومنها ما يتصل بسيطرة الأهواء وانتشار التحلل الجنسى والتبعية فى الصلات بين الرجل والمرأة ، إلى غير ذلك من أسباب يطول فى تفصيلها الحديث .

وعندى أن من أقوى الأسباب لتدهور الأخلاق - إن لم يكن أقواها جميعا - ضعف

الوازع الديني [١] ، والوازع الديني الذي أريد هو الزاجر الناهي ، الذي ينبعث من أعماق النفس البشرية ، فيمتلك عنانها ، ويسيطر عليها ، ويتحكم فيها ، ويسير بها على خطة معلومة وطريق مرسوم ، وهو الذي يوجد في المرء المحاسبة والمراقبة والخوف والخشية والحياء ، وكثيرا ما يسميه الباحثون بالضمير الديني ، ولو دققنا النظر لوجدنا أن ذلك الوازع هو خير حامل للإنسان على أن يكون مثالا من أمثلة الأخلاق السكرية ، وهو الذي يحول بينه وبين طباع السوء .

* * *

إنما يفعل الإنسان الخير ، ويتمسك بخصال البر ، ويتصرف بالتصرف النبيل ، ويتحلى بالخلق الجميل ، لفائدة عاجلة يرجوها ، أو لثواب آجل ينتظره ، أو لضرر يريد دفعه ، أو لإعجاب بالخلق الجميل في حد ذاته ، دون نظر إلى ثواب أو عقاب . والوازع الديني الصادق يحقق لصاحبه كل هذه المعاني ، فهو الذي يحدث صاحبه دائما بأن الدين خلق ومعاملة ، وأن هذا الخلق المستقيم يجلب لصاحبه السعادة في الدنيا ، والنعيم في الآخرة ، ويصد عنه غضب الله وغضب الناس ، ويحقق في نفسه الإحساس بالنبل والشعور بالجمال ، والدخول في عباد الله الجميل الذي يحب الجمال ، وينيله رضا الله عنه كما يرضيه عن الله عز وجل : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ولسكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون ، نزلا من غفور رحيم ، ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال : إنني من المسلمين » ؟ ! . . .

وكثير من الناس يحسبون أن الأخلاق يمكن أن تغرس في نفوس أصحابها بالعقوبة والردع وسلطان القانون ، ولا شك أن كثيرين يمنعون أنفسهم عن أمور تنافي الأخلاق الفاضلة خوفا من العقاب وخشية من رهبة القانون ، وليسكن أيهما أقوى في هذا الباب : قانون البشر الظاهر القاصر المادي الحسي العاجز ، أم قانون الله الأخلاقي الباطن والظاهر ، والشامل باقتداره وسلطانه دوائر المحسوس والمعقول ، ومناطق السر والعلن ؟ .

[١] يقال : وزعته عن كذا : أي كففته عنه ، وفي هذا الكف معنى الديانة والقيادة والقمع . والوزوع : الولوع بالشيء . ، يقال : أوزع فلان بالشيء أولع به . وأوزع الله فلانا إذا ألهمه الشكر . وراجع الحديث عن المادة في مفردات القرآن للأراغب الأصفهاني .

والقانون البشرى قد يغضى عن أشياء كثيرة تسمى إلى الأخلاق ، أو لا تلتئم مع مثلها العليا ، إذ يراها من الحرية أو من ظواهر الحياة الاجتماعية أو غير ذلك ، ولكن القانون الأخلاقى الذى يكونه الوازع الدينى يرسم طريقا مستقيما يتقيد به المرء عن طوعية واقتناع وإيمان فى الصغيرة والكبيرة ، والحركة واللفتة ، بل والخطرة والفكرة : « وأسروا قولكم أو اجهروا به ، إنه عليم بذات الصدور ، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » ؟ ! « ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ، ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » . !

* * *

وثمة فرق آخر هو أن قانون الأرض يتهددك بالعقاب إذا أخطأت أو أوجرت ، ولا يعذك بمثوبة إذا التزمت حدود الأخلاق الفاضلة ، أو تحليت بالمكارم والمحامد ، ولكن قانون الأخلاق الدينى يلقاك بالعقاب المهذب العادل إذا أذنبت ، ويعذك بالثواب إذا هممت بالسيئة ثم صددت عنها ، ويعذك بالثواب الجزيل إذا تحليت بالحسنات : « والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » . . . ومعنى هذا أن قانون الناس يفرض عليك الأخلاق بالرغبة والعقوبة فقط ، وأما قانون الدين فيجمل إليك هذه الأخلاق محوطة بثوبين من الترغيب والترهيب ، أو الإنذار والتبشير ، أو الوعد والوعيد ، ومن هنا قال القرآن الكريم فى أسرة أحد الأنبياء : « إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ، ويدعوننا رغبا ورهبا ، وكانوا لنا خاشعين » وجعل من دعاء المؤمنين قولهم : « إنا إلى الله راغبون » ! .

* * *

ولست أقصد بالوازع الدينى هنا مجرد الخوف ، بل أقصد به الإحساس العميق الموقن بجلال الله وجماله وكبره ، وأنه متصف بكل حمد ، منزه عن كل نقص ، فان الإحساس بجلال الله وعظمته يوجد فى نفس الإنسان الخشوع والإجلال والتعظيم ، مما يصده عن الكثير من خصال الشر والسوء . والإحساس بالجمال الإلهى المطلق يوجد فى نفس الإنسان التحنث والتعبد والمناجاة وحب الجمال والرغبة فى التصرف الجميل ، وليس الجمال هنا هو جمال الحس ، بل المراد به حسن الأفعال وسمو الصفات ، والإحساس بالكمال الإلهى المطلق يوجد فى نفس الإنسان الشعور بالتسامى ، والنفور الشديد من النقص ، والرغبة القوية فى التنزه والصعود نحو الكمال . .

وإذا ما وجد الإنسان أمام بصره وفكره وفؤاده قوة لا مثيل لها ولا شريك ، بكل

فيها الجلال الرائع والجمال الجامع والكمال المطلق، لم يعرف ذلك الإنسان طريق الانحراف في حياته أو أخلاقه، لأن هذه القوة ستفجر عنده ينابيع الوزع الديني الشاعر المفكر المبصر الذي يرى بعينه آثار الله في الطبيعة، ويعرف وجود الله وألوهيته عن طريق العقل، ويشاهد نوره عن طريق القلب، فينهض الوزع الديني حينئذ على دعائم المحبة والافتناع واليقين. وعندى أن أسمى مراتب الوزع الديني في نفس المسلم هي مرتبة المحبة لله التي يتولد منها محبة كل عمل جليل، وكل خلق جميل، وكل تصرف نبيل، كما يتولد عنها بطبيعة الحال كراهية كل تصرف ذميم أو خلق لئيم.

سئل ذو النون المصري الصوفي المشهور عن المحبة فقال :

« أن تحب ما أحب الله ، وتبغض ما أبغض الله ، وتفعل الخير كله ، وترفض كل ما يشغل عن الله ، وألا تخاف في الله لومة لائم ، مع العطف للمؤمنين ، والغلظة على الكافرين ، واتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدين » ! .

وهو القائل أيضا : « لله عباد تركوا الذنب استحياء من كرمه بعد أن تركوه خوفا من عقوبته ، ولو قال لك : (اعمل ما شئت فليست آخذك بذنب) كان ينبغي أن يزيدك كرمه استحياء منه وتركاً لمعصيته، إن كنت حراً كريماً ، وعبداً شكوراً ، فكيف وقد حذرَكَ » ؟ ! .

ومن هنا جاءت كلمة عمر الخالدة السابقة في صهيب رضى الله عنهما ، وهى : « نعم العبد صهيب ، لو لم يخف الله لم يعصه » . أراد أنه إنما يطيع الله حباً له لا خوفاً من عقابه، فلو لم يكن هناك عقاب يخافه صهيب ما عصى الله ، فكيف به وقد خافه مع حبه له ؟ ! .

* * *

وقد روى مثل هذه العبارة منسوبة إلى عبد الله بن عمر في حق ابنه سالم بن عبد الله ابن عمر الفقيه العالم العابد الزاهد ، إذ قال فيه : « إن ابني سالم يحب الله حباً لو لم يخفه ما عصاه [١] » ! .

ثم أريت إلى ذلك الرجل الذى سعى نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستجاب لدعوة ربه وآمن به ، وأراد الرسول صلوات الله عليه أن يحيى في صدره ذلك الوزع

الديني ، وذلك الضمير الخلقى ، فطلب منه أن يعاهده على عدم الكذب ، وأعطى الرجل العهد بذلك طائفا مختارا ، وانصرف من لدن رسول الله ، وأخذ يضطرب فى مسابح الحياة ، وكلما حدثته نفسه أن يأتى أمرا لا يليق بدينه وخلقه ، تذكر أن الرسول سيسأله عما فعله ، ولن يستطيع الكذب ، ومعنى هذا أنه سيقف نفسه موقف الخزى والنجل ، وإذن فلا محل لإتيان ذلك الأمر ؛ وهكذا انصرف هذا المسلم الحديد الوفى بعهده عن منكرات الأعمال والأقوال وسيئ الطباع والأخلاق ، عن طريق هذا الوازع الدينى المسيطر .

ثم أرايت إلى هذا المسلم المؤمن الموقن الذى تربى الوازع الدينى فى نفسه خير تربية . أرايت أنه وهو يصارع أهواءه فيصرعها ، وكلما همت نفسه الأمانة بالسوء أن تأتى إثما تذكر ربه وحسابه ، وتذكر دينه وخلقه ؛ وتذكر اطلاع الله عليه ؛ وإحاطته به ؛ فلا تستطيع يده أن تتحرك ؛ ولا رجله أن تبطش ؛ ويقف عن الإثم الذى هم به وقد قيده قيود لا حصر لها ؛ وإن لم يرها ولم يشاهدها ؛ وهذه هى مرتبة « الإحسان » التى يصورها سيد البشرية محمد صلوات الله عليه بقوله : « أن تعبد الله كأنك تراه ؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك » كما جاء فى الحديث الصحيح المعروف .

* * *

ومن عجيب صنع القرآن الكريم فى تربية هذا الوازع الدينى الخلقى أنه لم يجعل نتيجة الخوف أمرا سلبيا وهو النجاة من العقوبة وعدم التعرض للعذاب ، بل جعل للخوف فوق النجاة والسلامة جزاء إيجابيا وثمره أخرى فوق الخلاص من العقاب ، وهى الثواب الجزيل والأجر العظيم . . .

استمع إلى قول الله تبارك وتعالى : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى » . وقوله : « ولمن خاف مقام ربه جنتان » . وقوله : « ولنسكننكم الأرض من بعدهم . ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد » ! ! ! . ومثل هذا قد نراه فى حديث القرآن الكريم عن الخشية ، كقوله عز من قائل : « إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير » ، بجمع لهم بين المغفرة والأجر العظيم . . .

ولسكن لا عجب فى ذلك ولا غرابة ، فالخوف من الله إذا جاء على وجهه ، وأثمر ثمرته ،

كان أساسا للإيمان واليقين ، وكان دافعا أى دافع إلى إتيان الأوامر واجتناب النواهي ، ومن هنا جاءت أقوال حكماء هذه الأمة وعبادها منوّهة بشأن الخوف رافعة من قدره ، فهذا أبو عمرو الدمشقي الصوفي يقول : « حقيقة الخوف ألا تخاف مع الله أحدا » ، ويقول ذو النون المصري : « إذا صح اليقين في القلب صح الخوف فيه » ، ويقول أبو سليمان الداراني : « لكل شيء صدق ، وصدق اليقين الخوف من الله تعالى » ، ويقول أبو العباس بن مسروق الطوسي : « من راقب الله تعالى في خطرات قلبه عصمه الله في حركات جوارحه » ! ! . . .

إن هاتفا من أعماق الكون يهتف قائلا : إذا أردتم للفرد صلاحا وللأمة إصلاحا وللعالم خيرا ، فاغرسوا الزراع الديني السليم في نفوس الناس ، وبذلك تصلح شئونهم ويستقيمون على الصراط ! . . .

أحمد الشرباصي

المدرس بالأزهر الشريف

دفاع عن الوجودية

في عدد ١٠ فبراير من (الاخبار) وجه أنيس منصور في باب « أخبار الأدب » الشتائم إلى معهد طنطا الديني الإسلامي وإلى شيخه دفاعا عن طالب في المعهد تسمم بسخافات الوجودية . وقد رفع أنيس منصور عقيرته بأن أحدا بالمعهد لا يعرف ماهي الوجودية . ثم أطال لسانه قائلا لشيخ المعهد وعلمائه جميعا : « هذه فضيحة ومهزلة ، يا أصحاب الفضيلة والمعرفة في معهد طنطا » .

وأنيس منصور معذور في كل هذا دفاعا عن الوجودية ، فالوجودية لا تؤمن بالأخلاق ولا بالحياء ، لأن الحياء من الإيمان .

الجندي المجهول

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة . إن أعطى رضى ، وإن لم يعط لم يرض ؛ وزاد فى رواية : تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة . إن أعطى رضى ، وإن لم يعط سخط . تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش ؛ طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه . إن كان فى الحراسة كان فى الحراسة ، وإن كان فى الساقاة كان فى الساقاة . إن استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يشفع . رواه البخارى

تقديم : تعس ضد سعد وهو بزنته ، ويجوز فيه فتح العين أيضا . تقول : تعس فلان أى شقى أو هلك ، وأصل التعس السكب على الوجه أو أن يعثر الرجل فلا يفيق من عثرته ، والقطيفة كساء معروف ، والخميصة بزنتها كساء أسود مربع له علمان ، وهما من ثياب الزينة . والمراد جميع ما يترين به من الثياب ، فهو من إطلاق البعض وإرادة الجميع ، وعبد الدينار الخ مجاز فى شدة حرصه وتعلقه بذلك واتباع نفسه له كاتباع العبد لسيدته ، وجملة : إن أعطى رضى والتي بعدها بيان لهذه العبودية ، وأصل معنى انتكس : انقلب على رأسه ، وهوداء عليه بالخبيثة مجازا ، لأن من انتكس فى أمره فقد خاب وخسر ، وشيك بزنة قيل وبيع معناها أصابته شوكة ، ومعنى فلا انتقش لا أخرجت منه شوكته بالمنتقاش وهو الملقاط . وهى كلها جمل دعائيه عليه بالخبيثة والخسران والعطب والشقاء والهلاك . وطوبى شجرة فى الجنة ، فالدعاء بها دعاء بدخول الجنة ، أو الطوبى الحسنى أو الخير أو الخيرة أو الرضا ، أى حياة طيبة له . وأصلها من طاب الشيء طيبا لذوكا ، ونفس طيبة بما قدر لها أى راضية ، والأخذ بعنان الفرس كناية عن اشتغاله بالجهاد ، وشعث الرأس تفرق الشعر ، وهو وما بعده كناية عن شدة اشتغاله واهتمامه بما أرصد نفسه له وحبسها عليه من الجهاد ، والحراسة وظيفة فى مقدمة الجيش من حرسه إذا حفظه ، والساقاة مؤخرة الجيش وأصلها جمع سائق وهم الذين يكونون من وراء الجيش يحفظونه ويتبعونه كأنهم يسوقونه ، وتقدير إن كان فى الحراسة وما بعدها عند ابن الجوزى : إن كان فى الحراسة استمر فيها ، وإن كان فى الساقاة استمر فيها . أى أنه لا يقصد السمو فأينما

اتفق له السيرسار . ومعنى إن استأذن لم يؤذن له وما بعدها أنه تارك لأسباب الشهرة والفخر والرياء والرياسة فهي كناية عن شدة إخلاصه وتواضعه .

المعنى :

الإسلام ككل دين صحيح لم ينله تبديل ولا تحريف إنما أنزله الله لتكريم البشرية وإسعادها ، ولإنقاذها من براثن الذلة وإعزازها ، وجعلها فوق كل ماسخره الله لها لتكون في المنزلة الرفيعة التي أنزلها الله إياها وندبها لها : من الخلافة في الأرض عن الله جل جلاله ، لإظهار ماشاء من آيات علمه وحكمته ، وإعلان ما يجب أن يعلنه من محامده بمجاهد أوليائه وإخلاص أحبته ، فمن أجل ذلك قامت تعاليمه على ما يجب الله لعباده من الشعم والإباء ، والعزيمة والمضاء ، والعزة والسناء ، وعلى التواضع والإيثار ، وعلى إنكار الذات ، والترفع عن الدنيا ، وعلى التحرر من استرقاق المطامع والشهوات ، والانكباب على المذات .

ومن أشد ما ورد في ذلك من السنة هذا الحديث الشريف ، فقد أتى بالأمر العظيم ، والخطب الجسيم ، إذ تضمن دعاء من النبي صلى الله عليه وسلم على هذا العبد الذي استرقته المطامع ، واستعبده الشهوات ، وخدعته المظاهر ، بالتعاسة والانتكاس وعدم السلامة والانتقاش . ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم ليس كمثله دعاء أحد من الناس ، فانه إلى ما يوجبه ويقتضيه يشير إلى أن مثل هذا الحريص الذليل والمغرور المفتون ليس من أمتة المؤمنين . فقد وصف الله حاله معهم بقوله : « عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » .

وكيف لا يكون كذلك ؟ وقد كثره الله بالعبودية له فأبى إلا أن يهين نفسه بعبادة الحياة الدنيا ، ووعد ما عنده فأثر عليه عرض هذا الأدنى ؟ !

ولما حقت لهؤلاء بهذا الحديث كلمة التعاسة والشقاء ، حقت لأضدادهم كلمة السعادة وطيب الجزاء ، من هؤلاء الذين اهتضموا أنفسهم من أجل الدين ، وآثروا على شهواتهم إعلاء كلمة الله رب العالمين . فان فرض عليهم أن يكونوا حراسا وجفاظا على من وراءهم من المجاهدين تلقوا عنهم سهام المنيا فرحين مستبشرين ، وسدوا بصدورهم ثغور المخاوف والمخاطر ثابتين راسخين ، وإن أمروا أن يكونوا في أنحرى الناس وساقطهم صدعوا لأمر إخوانهم المؤمنين راضين مذعنين ؛ إذ شتان بين متبع لشهواته ، مفتون ببلذاته ،

ناظر في عطفه ، مياس في برديه ، وبين مجهود بمجهود الحق ، مأخوذ بأمر الجدي ، مشتغل بنصر الدين عن إصلاح مظهره أو تصفيف لمتة ، أو التنويه بشيء من مناقبه ومآثره ، إلى حد أنه لا يكاد يعرف أحد غير الله مكانه وجهاده ، ولا يقدر غير اللطيف الخبير منزلته وقدره ، فان استأذن على ذوى السلطان لم يعرف فيؤذن له ، وان شفع لأحد عندهم لم تر الشفاعة حقا لمثله ، وكيف لا وهو لا ينبئ عنه رواء ولا مظهر ، ولا يتحدث عنه رونق ولا منظر ، ولا يتقدم بين يديه إطراء ولا ثناء ؟

وكما أن الفرق بين الرجلين بعيد هذا البعد في حكم الدين ، فهو كذلك بعيد بعد ما بين المشركين فيما يعود على المسلمين ، فالذين فتحو الفتوح ومصروا الأمصار ، وسدوا الثغور وأذلوا المشركين ، لم يكونوا إلا من هؤلاء الجند المتقشفين ، والزهاد المتخوشين ، والذين انتقضت عليهم الجهات ، وانتكست الأمور ، لم يكونوا إلا من خلفهم من المترفين المتنعمين ، وان كان ما أخذوا به من الترف والتنعيم من الهين اليسير . روى البلاذري - في فتوح البلدان - أن المسلمين في غزوهم لسيستان في عهد عبد الملك بن مروان صالحهم ملكها (رتبيل - الثاني) بعد أن قتلوا من قبله على الجزية . فلما كانت أيام يزيد ابن عبد الملك لم يعط عماله شيئا . وقال : ما فعل قوم كانوا يأتوننا نحاص البطون سود الوجوه من الصلاة (يريد سواد الجباه من السجود) نعالهم خوص ؟ فقالوا له : انقرضوا . فقال : أولئك أوفى منكم عهدا ، وأشد بأسا ، وإن كنتم أحسن منهم وجوها .

وكأنما خص الحديث هذا الجندي المجهول بالذكر دون أشباهه من المجاهدين الصادقين والعاملين المخلصين في شتى الأعمال ، ومختلف الميادين ، لأنه أبلغ مثل في الإيثار وإنكار الذات ، والتسامي إلى إرادة وجه الله وحده بالأعمال الصالحات ، ولما كان عليه أهل الجاهلية في الخروج إلى ميادين القتال ، من البطر والرياء ، والفخر والخيلاء ، وابتغاء الشهرة والسمة في التغلب على الأبطال ، وقهر الأنداد والأمثال ، بجفاء الإسلام ليصنع منهم رجالا لا يبيعون أنفسهم إلا لله ، ولا يقاثلون إلا في سبيله ، ولا يصدرون في أعمالهم إلا عنه ، ولا ينتهون بنياتهم ومقاصدهم إلا إليه .

ومن أساليب الإسلام إلى هذه التربية الرشيدة أن يؤمر على القوم رجل ليس بأكبرهم سنا ولا بأشرفهم نسبا ، كما كان من تأميره صلى الله عليه وسلم مولاه زيد بن حارثة على بعثه إلى مؤنة مقدما إياه على مثل ابن عمه جعفر بن أبي طالب ثم على عبد الله بن رواحة

الأنصارى ، رضى الله عن الجميع ؛ وإن كان من توليته أسامة بن زيد رضى الله عنهما على المهاجرين الأولين ، ومنهم عمر رضى الله عنه وعلى الأنصار فى بعثته إلى الشام إلى أن أكثر طائفة من الجيش القول فى ذلك ؛ فكان قولهم مما أخرج النبى صلى الله عليه وسلم ؛ وهو فى وجهه الذى مات فيه ؛ عاصبا رأسه من الصداع ؛ فكان مما قاله فى ذلك الشأن : وقد بلغنى أن أقواما يقولون فى إمارة أسامة ؛ ولعمري لئن قالوا فى إمارته لقد قالوا فى إمارة أبيه من قبله ، وإن كان أبوه خليقا للامارة ، وإنه خليق لها ؛ فأنفذوا بعث أسامة ، فلم يجاوز آخرهم الخندق حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهنا يتجلى موقف من مواقف أبي بكر رضى الله عنه فى صدق الاتباع والحفاظ على الدين ، فقد وقف أسامة بالناس ثم أمر عمر أن يرجع إلى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستأذنه أن يرجع بالناس لأن الذين معه وجوههم ، ولأنه يخشى عليه لارتداد كثير من العرب ؛ فيصدع عمر لأمر قائده ويقول الأنصار لعمر : فان أبى إلا أن نمضى فأبلغه عنا واطلب إليه أن يولى رجلا أقدم سنا من أسامة ؛ فحين يقول مقاتلهم هذه لأبى بكر يثب مغضبا فيأخذ بلحيته ، ويقول له : شككتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب ؛ أقره رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وتأمرنى أن أنزعه . فخرج عمر إلى الناس ؛ فقالوا له : ما صنعت ؟ فقال : امضوا نكتكم أمهاتكم ؛ ما لقيت فى سبيلكم من خليفة رسول الله ! ! ثم خرج أبو بكر حتى أتاهم فأشخصهم وشيعهم ؛ وهو ماش وأسامه راكب وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبى بكر . فقال له أسامة : يا خليفة رسول الله ، والله لتركن أولأترن . فقال : والله لا تنزل ؛ والله لا أركب ؛ وما على أن أغبر قدمى فى سبيل الله ساعة ؛ حتى إذا ما انتهى من تشييعه للجيش قال لأسامة : إن رأيت أن تعينى بعمر فافعل فأذن له . فهل تدرى ما كان سن أسامة الذى انضوى المهاجرون والأنصار تحت لوائه ؛ واتخذ من عمر رسولا فصدع لأمره ؛ ثم مشى أبو بكر فى ركابه ؛ إنه كان ابن ثمانى عشرة سنة - لا تزيد -

ولقد استمرت بالناس هذه التربية بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ما يتصل بها من سياسة للنفس وتقدير للأمر لا يتصلان بفضل للقائد على المقود ؛ ولا سبق عليه فى جهاد ولا دين . فقد ولى أبو بكر عمرو بن العاص قتال الروم بفلسطين ليسكون ردا لأبى عبيدة ؛ رضى الله عن الجميع . وجعل تحت إمرته كثيرين من أهل الفضل والسبق فى الدين من المهاجرين والأنصار ، فكان مما أوصاه به كما رواه الواقدي : واعلم يا عمرو أن معك المهاجرين والأنصار من أهل بدر . فأكرمهم ؛ واعرف حقهم ؛ ولا تتناول

عليهم بسلطانك ، ولا تداخلك نخوة الشيطان فتقول : إنما ولاني أبو بكر لأنى خيرهم ؛ وإياك وخدائع النفس ؛ وكن كأحدهم ؛ وشاورهم فيما تريد من أمرك .

ولقد يكون من السياسة الشرعية ، وحسن النظر للرعية ، عزل القائد عن منصبه ورده إلى صفوف جنده خشية أن يفتن الناس به ، بسبب ما عوده الله من اليمن والظفر والفتح والنصر . فمن ذلك ما كان من عزل عمر لخالد بن الوليد عن إمارة الجيوش بالشام وتوليها أبا عبيدة . فانه ليس مما يظن مما كان من موجدة عمر عليه في قصة مقتله في حروب الردة لما لك بن نيرة ، فقد روى الطبرى أن عمر كتب إلى الأمصار ليبصرهم وليعذر خالدًا عندهم : إني لم أعزل خالدًا عن سخطه ، ولا خيانه ، ولسكن الناس فتنوا به ، نخفت أن يوكلوا إليه ، ويدتلوا به ، فأجبت أن يعلموا أن الله هو الصانع ، وأن لا يكونوا بعرض فتنة . ولم يكن يعنى خالدًا من أمر هذا العزل إلا مثل هذا التبصير ، ولقد كان من مضيه وهو جندى لما نصب نفسه له من الجهاد ما جعل عمر يقول فيه : أمر خالد نفسه ؛ رحم الله أبا بكر ، لقد كان أعلم بالرجال مني . ونحو من هذه القصة ما كان من عزله لشرحبيل بن حسنة فاتح الأردن وتولية معاوية - رضى الله عن الجميع - مكانه ، فانه لم يهم شرحبيل من ذلك إلا مثل ما أهم خالدًا ؛ فقال لعمر حين لقيه : أعن سخطه عزلتني يا أمير المؤمنين ؟ فقال : لا . إنك لبعك أحب ، ولسكني أريد رجالا أقوى من رجل . فقال له : فاعزني في الناس ؛ لا تدركني هجنة (عيب) فقام في الناس فقال : يا أيها الناس ، إني والله ما عزلت شرحبيل عن سخطه ، ولسكني أردت رجالا أقوى من رجل . ولقد انتهت هذه التربية بهم في تزكية نفوسهم ، وتقويم أخلاقهم ، واقتلاع جذور العظمة والكبرياء والفخر والخيلاء من قلوبهم ، إلى أن يكره أحدهم - وقدهي له مركب الإمارة على بعض البعوث إلى فارس - أن يكون له مركب خاص كمراكب أهل الإمارة ، يسير الناس بسيره ويقفون بوقوفه ، ويؤثر إلا أن يرحل في غمار الناس وعامتهم ، يرحل برحيلهم ، وينزل بنزلهم ، ويكون كرجل منهم .

ثم آتت هذه التربية الرشيدة أطيب ثمراتها في إعزاز شأن المسلمين أجمعين ، وشعورهم بالكرامة والمساواة ، والعزة والسيادة ، والتعاطف والمودة ، والمحبة والرحمة ، إلى أن كانوا لا يحسدون أمراءهم ، ولا يمتنون مناصبهم ، ولا يرون فيهم إلا أنهم إخوانهم وأندادهم ؛ إلا أنهم أشد ابتلاء ، وأفدح أعباء منهم . فلا جرم أن كان كل واحد منهم أمة ، وأن كانوا جميعا سادة وأئمة أكرمهم عند الله أتقاهم . « تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم » .

من تلق منهم ثقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسرى بها السارى

فطوبى لهم ما أسدوه إلى الناس من يد ونعمة، وما قدموه لهم من حسن القدوة والأسوة؛
وطوبى لهم وحسن مأب ما كتب الله لهم من جزيل الثواب .

ولعل في بعض ما سلف ما يبين لنا سر تخصيص هذا الجندى المجهول بالذكر دون غيره من هؤلاء الجنود المجهولين الذين يربثون بأنفسهم عن الترف والتنعيم والفخر والرياء ، ويبذلون أرواحهم وأعمارهم وأموالهم في سبيل إشاعة الخير ، وإفاضة البر ، ونصرة الحق ، وإسعاد الناس في كل ميدان من ميادين الحياة مستخفين غير ظاهرين ، ومخلصين لا مرأين . وإنه لمن دراعى الأسف والأسى ، وبواعث الحزن والشجن أن يقلب الإنسان بصره لعله يجد بقية من هؤلاء الرجال في بلادنا الإسلامية ؛ على قسوة الحياة ، وشدة الحاجات ، وإلحاح الضرورات ؛ فلا يجد منهم أحدا ؛ حتى إذا ما امتد بصره إلى ما وراء البلاد الإسلامية من هذه البلاد الغربية التي ما عرفت سبيلها إلى الحضارة ، ولم تخرج من ظلمات القرون الوسطى إلا على أيدينا ، وجد هؤلاء الجنود المجهولين في كل ميدان من ميادين الخير والبر والتجدة والإنقاذ : فمنهم الأطباء الذين ينزفون في معاملهم مجترئين بالقليل من أسباب الراحة والمتاع ؛ زاهدين في المناصب والرياسات ؛ ليستكشفوا علاجاً حاسماً لما تتعذب به الإنسانية من داء فتاك أو مرض عضال ؛ غير مباليين بما يتعرضون له في هذه التجارب التي قد يجرونها على أنفسهم من صنوف المخاطر ، وأنواع الهلاك ؛ ما داموا يستطيعون أن يفتدوا هذه الجموع المتلهفة على الصحة والحياة ؛ ومنهم الذين يقدمون لأمثال هؤلاء كل ما جمعوه بعرق الجبين ، وسهر الليل ، وكبد النهار ؛ ليساعدوهم على ما يحاولون من عمل صالح ، وغرض نبيل ؛ ومنهم من ينشئ المدارس والجامعات ليرفع من شأن الأئمة ، وليعين على اكتنازه الحقائق العلمية ، باذلاً في ذلك ما لا تسخو بمثله خزائن الحكومات ؛ ومنهم من يؤلفون جماعات للبر والإحسان حتى لا تقع أعينهم على جائع أو محروم ، ولا تتألم نفوسهم لمنظر بائس أو محزون ؛ ومنهم من يقيمون دور الاستشفاء التي تيسر لسكل مريض حاجته من العلاج والدواء .

فيا لله للمسلمين ؛ فان هذه - والله - آداب ديننا ، وشيم أسلافنا . فكيف تنكرنا لها وعرفها الغربيون ؟! وكيف لا نعمل بمثلها أو بنحير منها . ونحن نزعم أنا مؤمنون ؛ ولكن

يعزينا !! عن فقدان هؤلاء الجنود المجهولين منا أن الزمن لا يزال كلما تطاول بنا يرينا جنودا مجهولين يعملون هم أيضا مستخفين غير ظاهرين . لكنهم ليسوا من طراز هؤلاء الغربيين ، ولا من طراز آباءنا الماجدين . فقد انصرفت همهم إلى ما لا يحسنه سواهم من تدبير المكاييد لتفريق كلمة العرب والمسلمين ، أو لتمهيد السبل في بلادنا للمستعمرين الغاصبين ، أو للبعد بنا عما شرع الله لنا من حق ودين ، إلى كثيرين وكثيرين يعملون هم أيضا في شتى الأعمال ومختلف الميادين ، لا نكف القلم عنهم إلا لما يغلب علينا حين نذكرهم ونذكر آباءهم الماجدين من حسرات تثير لواعج الأشجان ، وكوامن الأحران ، وتهيج العبرات ، وتقرح الأجفان . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ما

محمود فرج العقدة

المدرس بكلية اللغة العربية

بيان من بعثة الأزهر بالهند

بلغنا أن بعض الفرق في الهند تدعي على الناس أن علماء الأزهر أفتوا باتفاق بأن عيسى عليه السلام قد مات ، مستغلة هذه الفتوى المدعاة في أغراضها الخاصة التي تدعو إليها وهي أن غلام أحمد القادياني هو المسيح الذي يأتي آخر الزمان ، والذي أخبرت الأحاديث عن نزوله إلى الأرض ، ما دام عيسى عليه السلام قد مات .

ونبادر فنقول : إن للأزهر لجنة فتوى تعبر عن رأي في المسائل الدينية ، ولم يحدث مطلقا أن أصدرت لجنة الفتوى ولا علماء الأزهر باتفاق كما يقولون مثل هذه الفتوى التي تدعيها هذه الجماعة وتذيعها وتستغلها لأغراضها .

وذلك لأن علماء الأزهر يعتقدون كما يعتقد جمهور علماء المسلمين السابقين والحاليين أن عيسى عليه السلام رفع بجسده وروحه إلى السماء بعد أن نجاه الله من الصلب ، وأنه سينزل آخر الزمان كما وردت بذلك الأحاديث ، مشيرة إلى الأوصاف التي يتميز بها : من قتله الدجال ، وإقراره الحق والعدل والرحمة في الأرض فعلا لا قولا ، كما يكسر الصليب ويرد المسيحيين عن غلوهم فيه وادعائهم أنه ابن الله ، ويجمع الأمم كلها حول شريعة الإسلام التي جاء بها القرآن .

وتلك أوصاف مميزة لم نر أحدا من المدعين على كثرتهم قد اتصف بها أو قاربها لآن . وأي عالم ينشر خلاف ذلك إنما يعبر عن رأيه الشخصي في فهم الآيات والأحاديث الخاصة بهذا الموضوع ولا يعبر عن رأي الأزهر بحال من الأحوال .

بعثة الأزهر بالهند

عبد العال العقباوى — عبد المنعم النمر

في عالم المكفوفين

تقرأ بعض الكتب فلا تجد لها سمة بارزة، أو دلالة معبرة، بل تطالع حشودا مختلفة من القول ، وأفازين متشعبة من الحديث، يأخذ بعضها برقاب بعض ، دون حاجة ماسة، أو ضرورة ملجئة ، وقد تتجاوز صفحات متتابعة دون أن تحس تحقق الوحدة ، وتربط الأصرة ، وهو - بعد - كتاب يحمل اسما واحدا لمؤلف واحد في موضوع واحد ! ! وإن فقد منهجه العلمي ومال به التشبث إلى التناقض والاضطراب ! !

هذا نمط من الكتب نعهده لبعض اللامعين من ذوى الإنتاج السريع ، والإقبال المصطنع ! ! وإذا كنا نقف منه موقف المشمئز المتضايق ، فأنا نذهب بأعجابنا وتقديرنا إلى نمط آخر في التأليف يقف منه موقف النقيض من النقيض ! ! فله المؤلف في كتابه سمة بارزة ملحوظة وروح عامة تترقق بين الأبواب والسطور ، وتتخيل بين الحروف والكلمات ! ! ولئن تعددت مزاياه المتنوعة فإن هذه السمة البارزة تسيطر عليه سيطرة خالصة مؤثرة ، فهي تتضح في توجه آخذ ، وتومض في سطوع براق .

وكتاب صديقنا الأستاذ أحمد الشرباصى الذى أخرجه تحت عنوان (في عالم المكفوفين) تهيمن عليه سمة خاصة ، فهو يذكرنى بكتاب آخر للمؤلف الكريم ، أصدره عن (القصاص فى الإسلام) وقد ائتملت فى الكتابين الجليلين محامد غالية تضم وحدة الموضوع، وطرافة المنحى ، وصدق الاستنباط ! ! ولكن كتابه الأخير يتسم بطابع رائع ، إذ تغمره الإنسانية النبيلة فترفع به إلى أفق كريم ، ولئن تواكب فيه مزايا مرموقة ، من بلاغة السرد ، وجودة الاستشهاد ، ودقة التشرية ، وقوة الاستقراء ، فإن هذه السمة البارزة تحتضن مزاياه جميعا ! ! إذ تلوح الإنسانية النبيلة من أول كلمة فى العنوان ، ثم لا تزال تهادى فى أفلاكها الساطعة ، حتى تنتهى بك إلى آخر سطر دون فى الكتاب ! فالإنسانية ظل باسق يرف على الصفحات ، ويسقط ثماره المشتهة فوق الحروف والكلمات !

لقد تجلت هذه الإنسانية - أولا - فى اتجاه المؤلف الجليل إلى الحديث عن قوم حرهم القدر أثمن ما يمنحه الإنسان ! فعاشوا يتخبطون فى ديجور غامر لا يسطع فى آفاقه

ضوء، ولا تبسّم في غياهبه حياة! وبذلك كانوا جديرين في رأي المؤلف بالإشادة والالتفات، فاندفع يقرأ التاريخ، ويطلع الكتب، ويدرس المسكّنات، ويحول بين معاهد النور المختلفة، ويتسمع إلى ذوى الدربة من المتخصصين، ثم يفيء إلى نفسه فيرصد انفعالاته المتوثبة، ويصوّر انطباعاته المتعاقبة، مضيفاً إليها ما قد رسب في خاطره من تجارب المشاهدة، ومرارة الواقع، وتخاذل التوفيق!! وطفق يصوغ من ذلك كله كتابه المسطور في أربعمائة صحيفة ليقول للناس: لقد أدت ما على نحو هؤلاء الرفاق، فأرحت ضميراً يوخز، ونقعت أوصالاً يحرق، وهذا - مع جدواه المحققة - غاية المستطاع!!

تجلت الإنسانية النبيلة في اختيار الموضوع أولاً، ثم تجلت ثانية في اختيار العنوان، فقد أصر المؤلف على استعمال كلمة (المكفوف) دون الضرب والأعمى والأكمه والعاجز!! مختبراً أصول اللغة، ومستنطقاً قواميس العربية!! وقد راعه أن تكون جميع الأوصاف السابقة مدعاة للإصاق نعت كرهه يقوم لا حيلة لهم فيما طرأ عليهم من عجز وضر وعمى وعمه!! ومن ثم فكلمة المكفوف أخف وقعا، وأطف معنى! وهى وحدها في نطاق الإنسانية النبيلة التى تشمل جميع الكتاب، اسم متعين ووصف محتوم!!

وفي ظلال هذه الإنسانية النبيلة اندفع الأستاذ الجليل إلى اختيار مواضيعه وأشخاصه معا، فهو في أبواب الكتاب يتحدث عن أخلاق المكفوفين، فيعرض مواقف رائعة تصوّر البطولة الخارقة في الحق، والذكاء النافذ في الفهم، والفكاهة الباردة في السمر، والروعة المعجزة في الشعر!! والطريف المعجب أنه جعل آفتهم ينبوعاً يفيض بالقدر، فقد استعان بالتحليل الدقيق، والتشريع الفاحص على تصوير ما لديهم من إمكانيات وفيرة، تسعف بالجودة والدقة والإبداع!! وبخاصة في الميدان الخلقى الذى يستمد مقوماته الوطيدة من السماء فتتجه النفس إلى ذرى رفيعة، ترق فيها هوائف الخير والحق والفضيلة!! وينفسح بها مدى التأمل الروحى والاستشفاف الوجدانى!! والمؤلف يجيد تعليل ذلك حين يقول: «وللمكفوف من كف بصره ما يجعله يبصر بقلبه وروحه، فيطوف به ذلك القلب في عوالم غير منظورة، وتهيم به تلك الروح في آفاق بعيدة غير مرئية؛ ولذلك يكون مدى تفكيره وسبحه الروحى أوسع وأرحب، يضاف إلى ذلك أن تخيل المكفوف للسكون والأحياء يصحبه نوع من الإبهام، وهذا الإبهام يوجد في النفس نوعاً من الرهبة والخشية، ومن وراء هذه الرهبة وتلك الخشية تتوالد في نفس المكفوف عناصر الخوف من ربه، والحذر من عقابه، والرجاء في ثوابه، فقد دفعه تلك العناصر المتسكّرة إلى منهج أخلاقى روحى فيه تأمل وتخيل، وفيه غموض وإبهام، وفيه رهبة وجلال، ص ٨١» .

هذا الفهم البصير لنفسية المكفوف قد غمرته الإنسانية الفاضلة ، فاندفعت بالكاتب إلى تبرير ما قد وقع فيه بعض المكفوفين من هبوط وإسفاف ، فعمد إلى تحليل الدوافع ، وتصحيح السلوك، وتصوير الخراجات المتباينة في نفوس أزعجها مركب النقص العنيف، وقد وجد من ذلك كله ما يكفي لتكوين الخطأ وتحقيره! لاسيما إذا أحيطت هذه النقائص المعدودة بطوفان غامر من الفضائل السامية فغرت في دوامة شديدة تتفاعل وتجيئ !! وقد أفاد الأستاذ الشرباصي من اطلاعه الواسع على مصادر موضوعه ، فألف بين الشوارد النافرة، وجمع من الصبايات المتقاطرة، جدولا مترقفا، به نيره العذب، وله منظره الرائق، وعليه غصونه الخضر المورقات !!

هذا عن الاتجاه الإنساني في اختيار المواضيع !! أما اختيار الأشخاص فقد شملته الإنسانية العالية بقوة وإصرار ، فلم يعمد المؤلف إلى الأسماء الضخمة ، ذات المراجع الموفورة ، والكلفة الهينة ، والموارد القريب ! ولئن فعل ذلك فما عليه من تريب ، فهو يتحدث عن أناس من أصحابه ، لهم مواقفهم الكثيرة ، ومواهبهم الوفيرة، ولكنه في ظلال الإنسانية العريقة ، يأبى ذلك في عنف وإصرار ! يأبى المركب الذلول والطريق المعبد ! ليعتسف مسلكا وعرا ، تضيق منعرجاته ، وتنطبق فروجه ؛ إذ يتحدث عن قوم كادت تطمس آثارهم ، وتذهب أصداؤهم في جلبة الزمان الصاخب ، ذي الرعد المجلجل ، والدوى العارم الشديد ، وإليك مثالا واحدا من الكتاب ، يكشف الهدف الرائع ، ويصدق به التمثيل الصحيح .

لقد تحدث الأستاذ الشرباصي عن الشاعر الراوية العالم الأستاذ أحمد الزين رحمه الله حديثا مسهبا طويلا، تناول حياته بالتسجيل وشعره بالتحليل ، وخلقه وأهدافه ونوازعه بالرصد والتعليل ، والحديث عن الأستاذ الزين بكر جديد يفترعه الشرباصي افتراء ، إذ لا يتجاوز - للأسف اللاذع - ما كتب عن الرجل ، وهو من أعلام الأدب في عصره ، بضع مقالات ، لا تخرج في أكثرها عن التفجع والثناء ، وقد صمت زملاؤه في لجنة التأليف والترجمة والنشر عن أداء حقه بالإشادة والتنويه ، إلا ما كان من طبع ديوانه الشعري ، كانتاج تقدمه اللجنة إلى قراء العربية ، فتأخذ حظا من الشكر والإقبال !! ورحم الله الأستاذ أحمد أمين فقد أبى أن يتحدث عن صديقه وزميله أكثر من صحيفة ونصف في مقدمة الديوان !! أي والله ! صحيفة ونصف ! يكتبها أديب لا مع عن أديب صديق رافق جهوده، وزامل انتاجه ، وتفهم روحه ؛ واستشف أعماقه !! ولو كان الحديث عن شاعر محظوظ جهير ، لأكثر المقدم وأسهب ليستمد من مقدمته خلودا يقرنه بصاحبه !!

كما فعل الأستاذ أحمد أمين حين كتب مقدمة ديوان حافظ إبراهيم ، بتكليف من معالي الوزير ! ! مع أن الأستاذ الزين قد خدم صاحبه خدمات يعرفها الأدباء جميعا ، فيعلمون من صاحب اليد الطولى في جميع ما قام به الرجلان معا من المراجعة والتصحيح ! ! ومع ضالة ما كتب عن الزين فقد شمر الأستاذ الشرباصي عن ساعده ليصول في غابة شجراء ، مظلمة المسالك ، موغلة الدروب ، ولو أراد الدعة الوارفة ، والراحة الهنيئة ، لآثر الحديث عن رجل كالدكتور طه حسين قد تهافت الكتاب من تلاميذه المترلفين وزملائه الكثيرين على الحديث عنه حقا وباطلا ، واندفع المتعلقون إلى إصدار كتب خاصة عن حياته ، ومن العجيب أن جل هذه الكتب قد صدر أيام وزارته للعارف ؛ أو عمادته لكلية الآداب ، أو إدارته لجامعة الإسكندرية ! ! فكشفت الظروف الملابس عن الميول والرغبات ! ! ولو كان الشرباصي الصبور قد تخلّى عن أنسانيته الرفيعة قليلا لترك الزين كي يريح نفسه من عناء ناصب وجهه كره ! ! ولا ندفع إلى الحديث عن الدكتور طه ليسير في طريق معبد تظلاله الغصون ، وتضيئه الثريات ، ولكن روح الكتاب الإنساني يصبح به : أن اختر هذا ودع ذاك ! !

ولن يكون في إغفال الحديث عن الدكتور طه ظلم لأحد ، فالكتاب لا يترجم لجميع المكفوفين ! ! وإنما يأخذ من سيرهم المختلفة عناصر هامة تكون أبوابا رئيسية ، وتدور في نطاق خاص يميل بها إلى البسط والتحليل حيناً ، وإلى الفلسفة والتعليل حيناً آخر .

ومن يفعل ذلك إنما يرهق نفسه إرهاقا عسيرا يعرفه من يضطلع بالبحث والتأليف ، وقد أخرج الصلاح الصفدى كتابه « نكت الهميان » فلاةً بتراجم المكفوفين ! ! والترجمة وحدها في عصر كعصر الصفدى وعلى طريقته المعهودة لدى السلف المؤرخ ، مجهود محدود لا يوازن بما قام به الأستاذ الشرباصي ، ولا أدري كم يوفر المؤلف على نفسه من الجهد لو سلك مسلك صاحبه ، فحشد - على طريقته الخاصة طبعا - تراجم ضافية لأمثال بشار وحسان وأبي العلاء وابن عباس وأبي العيّن والحصرى . إنه بلا شك سيبدع ويعجب ، ولكنه مهما افتن في الترجمة وتوسع في الاستنباط فلن يبلغ مبلغه الذي ظفر به في كتابه العظيم ، إذ أحكم الخطه ، وحدد الهدف ، وأصاب الإخراج والتبويب !

ولم ينس المؤلف ؛ كداعية إسلامي ، له وجهته المرسومة ، أن يتحدث عن عناية الإسلام بالمكفوفين ، والإسلام دين الإنسانية جمعاء ! ولو لخصت الإنسانية في كلمة واحدة

لكانت هي الإسلام دون مرء !! وإذن فجمال القول ذو سعة ، فالكتاب إنساني ، والإسلام كفيل الإنسانية . وللكفوفين منه حظ حميد ، أسهب المؤلف في إيضاحه وتبيينه ، وقد حالفه التوفيق فيما سرد من الآراء ، وعلل من الأحكام ، ولم يفته أن يعرض لموقف نبي الإسلام من أصحابه المكفوفين ! فنشر أفوافا عاطرة عن جماعة من مكفوفي الصحابة ، صدقوا النية ، وأخلصوا العقيدة ، فعرف لهم مجد - صلوات الله وسلامه عليه - مكانهم الكريم ، وخفض لهم جناح المحبة والتقدير ، ولا تسئل عن المدد الزاخر الذي ارتشف منه الكاتب ، فحمد نبي الإنسانية ، وقد كان الأسوة الحسنة في رقة الإحساس وقوة الشعور ! ومن أولى بعطفه من المكفوفين ؟ !

أما أسلوب الكتاب فقد اكتملت له عناصر التأثير ، فاتخذ من صدق العاطفة ، وخلص النية ، وتجهم الواقع ، أو تاراً مشجية ، أجاد الأستاذ الشرباصي عزفها على نبضات القلوب ، وجيشان الصدور ، وقد يستخفك جمال العبارة ، بايقاعها الخالب ورنينها النافذ ، ولكن المعنى الكئيب يخلع على جمالها شحوبا مريرا ، تدركه فتبتسم ابتسامة لا تكاد تنفرج حتى تنقبض !! . أسلوب يثير في نفسك هذه العواطف المتقابلة جدير بالتحية والترحيب ، على أن التأثير قد جاوز قوته حين انتقل الأسلوب الخالب في الصفحات الأخيرة إلى ميدان الشعر ، فقرأنا بالكتاب قصائد مشجية لكبار الشعراء في الأقطار العربية ، وقد انتقل المؤلف بالطائرة إلى شقيق العلو بالمهجر ، وشبلى ملاط وميخائيل نعيمة ببلدان ، وأحمد صافي النجعي بالعراق ، كما بعث بريده إلى الآخرة فنقل عن الجارم وعلى طه ونفري أبي السعود وولي الدين وجبران !! ولكنك لم يركب الترام في رحلة قصيرة إلى العباسية ، ليأخذ من الأستاذ عباس العقاد قصيدته الجميلة في الأعمى وهي مدونة بالجزء الأول من ديوانه !! ومن يدرى لعلة قرأها واكتفى بما نشر !! ولن تنقص قصيدة العقاد كتب الشرباصي فهو بمباحثه المختلفة ثمرناضج ، وظل مديد .

ولن يمتنع إعجابي بالكتاب أن أعلن عدم ارتياحي لما جاء بصحيفة ١٩٤ و ١٩٥ و ١٩٦ إذ أن الكتاب بحث علمي يحل عن المجاملة والترغيب ، وقد يهدف المؤلف بما كتب إلى الدعوة للخير عن طريق المثال !! ولكنه يعيش في عصر تنهس فيه أسباب المؤاخذة ، وتدعو اليقظة أصحابها إلى الحذر والاحتياط .

محمد رجب البيومي

المدرس بالمنصورة الثانوية

مع ابني الأول

في عيد ميلاده

بلغ « مجدى » ابني الأول الرابعة من عمره ، وقد درج الناس على الاحتفال بأبنائهم في أعياد ميلادهم على نسق خاص ، فيعدون ما تشتهى النفس من ألوان الطعام والشراب ، ويلبسون الطفل من كل غال وجديد ؛ ويدعون من يحبون من الأهل والأصدقاء فيقدون إليهم باللعب والهدايا ، ويزيدون في نور البيت الذى يملأه حسنا وإشراقا ، ويقضون ليلة حافلة بالبهجة والأنس والسعادة ، ويستمدون من عبارات التبريك والدعاء والتهنيت ما يسكب البشر والأنس في القلوب .

ولكننى احتفلت بابنى الأول - والفرحة الأولى كما فى أسلوب الريف - على نهج فريد ، وخالفت الناس فى ذلك الاحتفال ، فلم أتزيد فى طعام أو شراب ، ولم أزد فى نور البيت سراجا ولا شمعة ، ولم أدع قريبا لأبويه ولا صديقا - وكل ما تميز به ذلك اليوم إنما هو صلاة ودعاء ، وشكر وتسبيح ، وصدقة ضئيلة أجزيتها على محروم .

لقد شكرت الله أن جعل لى ابنا ، من شأنه أن يكون لى عضدا وزينة فى الحياة الدنيا ، وقد حمدت الله أن وهب لى ولدا يزيد فى عدد المسلمين ؛ ولعله أن يزيد فى مجدهم . فى هذا اليوم اصطنعت السرور اصطنافا ؛ وجارىت الأم فى البهجة أتكلفها تكلفا ، لقد كاد الزمام يفلت من نفسى فتبدو فى أحاسيس مظلمة ، وفى خواجح كسيرة ، لقد كنت فى خواطر غير هذه الخواطر الساذجة التى تغمر الآباء فى هذه المواسم .

لقد كان إشراقى ومضات تلمع ثم تنطفئ ، لقد كنت أدفع عنى مظاهر حياتى البائسة الكثيرة التى عانيت فيها ما عانيت من ظلم الدنيا ، وغدر الزمان ، وكان الشيطان يلح إلحاحا فى عرض هذه الصور ، ويمر بى سريعا على مواقف موجعة ، ومشاهد دامية ، وعلى ليال لم تمر حتى اعتصرت قلبي اعتصارا .

إننى أبسط أمام ناظرى صفحة الشباب التى طويت فى السكفاح المنهزم ، والجسد الفاشل ، والتعب الضائع ، والكبد الذى ذهب سدى ولم يخلف إلا الهم والحسرات .

لقد كان الشيطان يبسط هذه الخواطر فى لباقة ليقنعنى بتفاهة الحياة ، حتى لا أبتهج لابنى بها ، وكأنه يبغى - من خبثه ودهائه - أن يلقي فى روعى أن الفرحة بالحياة خداع وضلال .

لقد همس في أذني أن النوع الذي ألفته من المستقبل إنما هو الذي ينتظر ابني :
أليس الولد سرّ أبيه ؟ ! ! !

إنه شبيه بي ، هذه قسماته تعود بي تماما إلى نفسي في مثل سنه ، وأكاد أستمع لهذه
الهُواجس ، وأكاد أفزع من تلك المشابهة ، وأكاد أطير من المقارنة التي تصدني عن الأمل
صدّا ، وتصرفني عن الأمانى الحلوة صرفا . .

إنني أغرق في هذا التصوّر القاسي العنيف ، وأنهمض متناقلا من هذه الأغلال التي
لفت الكتابة حول نفسي وقلبي . . إنني سأعالج هذه النظرة الحالكة إلى الحياة فألقي
على الوجود ضوءا من الإيمان بالقدر .

لقد كان ما ارتصد لي في الحياة - ولكل إنسان - قدرا مقدورا . . وليس الذي
واجهته من صعاب الحياة ، وعقاب الزمن ، إلا نارا تصهر العزم ، وتذكى العقل ،
إن ما أنا فيه من غبن مادي ، وما أعانيه من انتكاس أمل ، ليس إلا فشلا في حياة ليست
في الآخرة إلا متاعا .

إنني لا أهتم بالفشل ولا أحفل به إلا إذا كان فشلا في مواجهة التبعات ، وعجزا
عن احتمال الشدائد ، وفرارا من معارك المجد ، ذلك هو الذي أعير نفسي ويعيرني به العاقلون ،
أما العجز عن مجد زائف لا ينال إلا بالذلة ، وعن كسب خبيث لا يدرك إلا بالزور والضلal .
وأما التخلف عن مظاهر من السعادة والغنى قصرت على المهزولين والمنافقين ،
أما العجز عن هذا كله فهو ليس عجزا بل قدرة ، إنه قدرة على ضبط النفس ، وأخذها
بالكامل ، واعتصامها بالشرف ، وتوخيها النبيل والدين فيما تأتى وفيما تدع .
ما الذي أبكيه في هذه الحياة ؟ .

لعل الشيطان يغريني بالأسف على ما يكون أحيانا من ترف الجاهل وحرمان العالم ،
ومن عزة الغني وذلة التجيب ، ومن نباهة الخامل ونحول النبيه ، لكنني لا أعتد بهذه
الصور الجوف التي لا تخدع المؤمن الكيس الرزين .
إن الدين نعمة تتضاءل أمامها الدنيا وجاهها وثروتها جميعا . .

لقد رضينا بالتقوى زادا ، وبخالق الكريم شرفا ، وبالأمل في الله ثروة .

إنني غالبت الأحاسيس الأولى الخادعة ، وسلكت مع خواطري ذلك الأسلوب
المقنع الحكيم ، فارتدت نفسي إلى صواب ، وأنست إلى رضا وارتياح ، وانقضت
عنى الظلمات وريدا رويدا . .

ابني سأبتهج يا ولدي ، ولن أنظر إلى مولدك إلا نظر الفرح الجذلان ، لن أدبرك أمرا حتى لا أكون من الهالكين . حسبي أن أصنعك على عيني . أسكب في مشاعرك معنى الدين ، وأنهى إلى دخائلك جمال الفضيلة ، وأسقيك مع كأس الحياة جلدا على لأوائها ، وصبرا على ضرائها ، سأقنعك دائما بأن النصر على الوجود بالصبر على بلائه .

كن واثقا يا بني بأن حبي لك أكثر من حبك لنفسك ، وحرصى عليك أشد من حرصى على نفسي ، وأملى فيك أملى في الذكرى التي بها أحيأ . أنت صفحتي المنشورة ، وتاريخي الممتد ، وعمري الموصول ، ومجدي المرتقب .

لا تخش ضعفا ولا انحلالا ولا ميوعة ، فأنت من أبوين جعل الله غايتهما ، ورضاه قبلتهما . سأعكف على نفعك بالنهج الديني في سلوكك في أية بيئة درست ، ولن يكون إلا كتاب الله رائدك ، وسنة نبهك ونهجك وخطتك . سأرسم لك حدود الدين لتمضي فيها عاملا ، ولا تدعها قائلا ومتشدقا ، سأجعلك من أعوان الدين ونصرائه بالتجلى والعمل ، لا بالقول والصورة .

سألقنك في الوطنية دروسا صادقة ، وسأنشئك على صدق القول ، وحب العمل ، وامتشاق الصراحة ، وإيثار الجماعة ، والرغبة في الفداء ، والتصون عن الذل والبخل والجبن والنفاق . وسأضع أمام ناظرك ومشاعرك سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وصورته الناطقة بأكرم المبادئ ، لتتخذ منه أسوة حسنة ، وتمضي على نهجه الخالد ، فتكون مجديا في خلقك ، قرآنيا في سيرتك ، وذلك أئمن وأغلى ما أدخره لك من ثروة ، وما أعده لك من جاه ، وما أوفره لك من كرامة .

هذه خواطري التي سبجت معها في عيد مولدك ، وذلك هو الدستور الذي وضعته وليد هدى وحكمة .

فان امتد بي العمر سهرت على تنفيذه ورعايته ، وإلا فهو صفحة بين يديك ، أرجو - مع الدعاء لك - أن تقرأها وتعمل بها - لتذكرني - ولئلا أخوتك دعاء وتحيات

محمد طامل الفقي

المدرس بكلية اللغة العربية

الاسلام والمسلمون في صحف العالم :

٣٥٠ مليون مسلم

يزحفون بقـ — وتهم الى الامام (١)

تحت عنوان « هل حانت ساعة الجهاد ؟ » كتبت مجلة « نيوز ويك » الأمريكية مقالا طويلا عن العالم الإسلامي قالت فيه : إن ٣٥٠ مليون مسلم في أرجاء العالم يزحفون بقوتهم إلى الأمام ، وهؤلاء المسلمون يركعون ورءوسهم مصوبة نحو مكة خمس مرات كل يوم عندما يؤذن المؤذنون للصلاة ، وهم يعيشون في تلك المنطقة التي ترتفع فيها مآذن المساجد الجميلة إلى عنان السماء من مراکش على المحيط الأطلسي إلى أندونيسيا في الشرق الأوسط ، وهناك جموع من المسلمين في ألبانيا ، ويوغوسلافيا ، وفي الاتحاد السوفيتي ، والصين الشيوعية ، وفي الهند ، وفي أفريقيا الزنجية أيضا ، ولكن أهم مراكز الإسلام تتركز في نطاق يمتد حول نصف العالم تقريبا ، وفي الشرق الأوسط يسيطر المسلمون على ثمانين في المائة من احتياطي بترول العالم الحر ، وبعض بلاد الإسلام تكون « الحزام الشمالي » للدفاع ضد التوسع السوفيتي جنوبا ، كما يتحكم المسلمون في أقاصي الشرق في الطريق من آسيا إلى استراليا . .

وبعد هذه المقدمة الجغرافية القصيرة قالت المجلة الأمريكية : « إن العالم الإسلامي قد هب اليوم وهو يغلي بروح قومية جديدة ، فمن بين الدول الإسلامية المستقلة التي يبلغ عددها ١٥ دولة ثمانى دول تخلصت من الاستعمار في خلال السنوات العشر الأخيرة ، وهذه الدول هي : الأردن وسوريا ولبنان وليبيا وباكستان وأندونيسيا والسودان ومراكش ،

[١] المجلة - كان عدد المسلمين في العالم ٣٥٠ مليوناً لما كان عدد سكان الوطن المصرى ١٤ مليوناً ، أما الآن

فلا ريب أن عدد المسلمين يزيد على ٥٠٠ مليون

وتنتظر الملايو شهر أغسطس من عام ١٩٥٧ لتحصل على استقلالها الكامل في نطاق الكومنولث البريطاني ، كما وعد الصومال الذي يقع تحت الوصاية الإيطالية بأن ينال حريته في عام ١٩٦٠ ، وتونس تطالب اليوم باستقلالها الكامل بعد أن منحتها فرنسا الحكم الذاتي ، ولم تكن أية دولة إسلامية تتمتع بأى قسط من الاستقلال قبل الحرب العالمية الثانية سوى مصر وتركيا والعراق وإيران والسعودية واليمن وأفغانستان .

ثم انتقلت المجلة إلى الحديث عن اتجاه العالم الإسلامي واتصال الشيوعية به ، فقالت : « وقد أدت يقظة العالم الإسلامي المفاجئة إلى اصطدامه بالدول الأوروبية المستعمرة ، وقد استهدفت الولايات المتحدة لكرهية العالم الإسلامي بسبب تحالفها مع الدول الاستعمارية ، وبسبب تأييدها لإنشاء دولة إسرائيل ، وقد وجد الشيوعيون في هذا فرصتهم السانحة فقاموا بمجهودات كبيرة بغية تحييد دول العالم الإسلامي تمهيدا لكسبها إلى جانبهم ، وقد اتخذ العرب في طول العالم الإسلامي وعرضه موقفا سلبيا دفاعيا ، وكان الغربيون يعترضون منذ أمد طويل بفكرة أن الإسلام يعتبر الشيوعية ضربا من المهرطقة ، وأنه لذلك يعارض تعاليمها معارضة قوية ، ولكن الوقت قدحان للنظر إلى الأمور نظرة أدق وأعمق !.. »

ثم أخذت المجلة تتحدث عن أصول الإسلام في كلام بعضه حق وبعضه خطأ ، فقالت : « إن الإسلام إحدى ديانات العالم الكبرى ، قد نشأ في الشرق الأوسط ، وانبعث من نفس البقعة التي كانت مهدا لليهودية والمسيحية ، وهو يعترف بالأنبياء الذين ورد ذكرهم في التوراة من إبراهيم إلى المسيح ، ولكنه يقرر أن محمدا هو النبي الصادق الأوحى ، وأن الله هو الإله الأوحى ، والتعاليم الواردة بالقرآن تعاليم صارمة تدعو إلى الحمرة والعمل ، والثالث المسيحي في نظر المسلمين أمر تشتم منه رائحة الإشراك ، وهم لا يعترفون بنظام القساوسة ، أو بالتمييز بين الدين والدولة ، فالمسلم يسعى إلى خلاصه بالاتصال مباشرة بربه ، والجهاد ومعناه الحرب المقدسة لن ينتهى في نظر المسلم المتمسك بدينه إلا عند ما يتحول العالم كله إلى الإسلام ! . »

وبعد أن تحدثت المجلة الأمريكية عن موجة الفتح الإسلامي التي امتدت من الأطلسي إلى الهند ، وأشارت إلى الخلافات التي نشبت بين العالم والمسلمين قالت : « الإسلامي اليوم يكون صورة معقدة ، وشعوبه تتألف من سلالات وثقافات متباينة ، فمشكلات

الإندونيسيين مثلا الذين تخلصوا من احتلال هولندي دام ثلاثة قرون ونصف قرن ، تختلف تماما عن مشكلات المملكة السعودية أو مشكلات تركيا ، وعزلة الين تجعله متخلفا إلى حد بعيد عن باكستان التي تفوقه نضجا من الناحية السياسية ، ومع هذا كله فإن هناك تعليما من التعاليم التي نادى بها القرآن يوحد هذه الشعوب المتباينة ، وهو التعليم الذي ينادى بأن المسلمين إخوة متساوون أيا كان لونهم أو كيانهم القوي ، وهذا الرباط أقوى من أى رباط يجمع المسيحيين ، فالاندونيسى يشعر فى أعماقه بالألم الذى يقاسيه أخوه فى نيجيريا ، والباكستانيون يتبعون باهتمام بالغ كفاح شمال إفريقيا الذى يبعد عنهم نحو ثلاثة آلاف ميل ضد فرنسا » . .

وأخيرا تنتهى المجلة فى مقالها الطويل الى المعنى الذى تقصد إليه وتريد إبرازه فتقول : « إن الحكم الاستعماري للدول الغربية يعتبر فى نظر الكثيرين من المسلمين امتدادا للحملات الصليبية ، وهم ينظرون إلى الكفاح ضد السيطرة الأجنبية على أنه امتداد للجهاد المقدس . . فالجيل الجديد يعتقد أن أكبر أعداء الإسلام هو ما يسمى بالعالم الاستعماري ، ويعتقد أن فى إمكان القومية الإسلامية أن تتعاون مع الشيوعية الإلحادية ضد العدو المشترك . . فإذا كان مقدرا للغرب أن يقاوم جاذبية السوفييت فى الوقت المناسب ، فعليه أن يتقدم بحلول جديدة لمشكلات الإسلام ، وينبغى أن تتخلى الدول الثلاث الكبرى عن خلافاتها وأن تتجه إلى اتخاذ موقف موحد ، فإن المشكلة شديدة الخطورة وتتطلب تسوية عاجلة » !!

وأول ما يهمنى فى هذا المقال هو التنبيه على ما زعمته المجلة من أن الإسلام : « يقرر أن محمدا هو النبي الصادق الأوحى » ، فإن الإسلام يقرر صدق جميع الأنبياء من إبراهيم إلى عيسى المسيح وينزههم حتى عما وصم به بعضهم فى التوراة ، والإيمان بصدقهم ورسالاتهم أصل من أصول العقيدة الإسلامية عملا بالنص القرآنى : « لا نفرق بين أحد من رسله » ، فانكار رسالة أى رسول من الرسل خروج على حقيقة الإسلام ، وإنما يقرر الإسلام أن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم أكمل الرسالات الإلهية وخاتمتها ، وأنها جاءت عامة خالدة وافية بمطالب الجماعة البشرية ، وأن رسالات الرسل من قبلها إنما كانت درجات ارتقاء ونهوض بهذه الجماعة ، جريا على سنة النمو والتطور ، فليس من شئ يتم تمامه إلا بعد أن يمر بعدة مراحل ، والمعول أخيرا على النتيجة .

هذه مسألة عارضة ، ولعلها هفوة وقع فيها كاتب المقال عن سوء فهم . وإن من الإنصاف أن نقول : إن الكاتب كان صادقا جدا حين قرر أن تعاليم الإسلام تدعو إلى الهمة والعمل ، وأن المسلمين لا يفرقون بين الدين والدولة ، وأنهم يجعلون صلاتهم بربهم مباشرة ، وأن القرآن يقرر أن المسلمين إخوة متساوون أيا كان لونهم أو كيانهم القومي ، ولكن ماذا يريد الكاتب أن يقول بعد ذلك ؟ !

إنه مع الأسف يحاول أن يجعل من هذا الرباط الإنساني النبيل - الذي تحاول الديمقراطيات على مختلف العصور بلوغه - موضعا للريبة والحذر ، فهو يحذر الدول الاستعمارية من ذلك الرباط الانساني الذي يوحد مشاعر العالم الاسلامي ، ويجعل من المسلمين وحدة تتلاشى فيها الفوارق القومية والجنسية واللغوية ، والمشكلات الداخلية في كل أقليم ، ومن هنا يتصور الكاتب أن العالم الاسلامي كله يقف كتلة واحدة في يقظته وأنبعاثه أمام الدول الاستعمارية فيقول : إن ٣٥٠ مليون مسلم يزحفون إلى الامام بقوتهم !!

ونحن نسأل الكاتب الأمريكي وأمثاله : أى شيء في هذا ؟ وهل مما يضير شعبا من الشعوب ، أو يشين أمة من الأمم ، أن تجاهد لحريتها واستقلالها ، وأن تنطلق على قلب واحد لتجيا حياة العزة والكرامة ؟ ! . إن منطق الاستعمار وحده هو الذى ينكر هذا ويفزع منه ، وهذه هي حقيقة تلك الأمم التى تتاجر على الناس بكلمات الحرية والديمقراطية والانسانية ، وهى لا تريد من مدلول هذه الكلمات إلا أن تحقق مصالحها الاستعمارية على حساب الشعوب .

إن الكاتب الأمريكي فى فزع لأن المسلمين يشعرون فيما بينهم بشعور الأخوة والمساواة ، ولأنهم بهذا الشعور يتداعون لآلامهم وآمالهم ، ولكن فليطمئن الكاتب وأمثاله ممن يفهمون فهمه ، فإن المسلمين لا يشعرون هذا الشعور نحو أنفسهم فحسب ، ولكنه كذلك شعورهم الإسلامى الإنسانى نحو كل ضعيف معذب ، وكل حق مضيع ، وكل شعب مسلوب الحرية بيد الاستعمار . وعلى هذا يقف المسلمون أنصارا لجميع الشعوب التى تناضل لحريتها ولعزتها ، وإنهم ليعطفون على الإنسانية المعذبة المهينة بين زنوج أمريكا تماما مثل عطفهم على الإنسانية المعذبة المهينة بين الاستعمار فى وسط إفريقيا .

ذلك مبدأ الإسلام النبيل ، وإنه لأرقى مراتب الإنسانية ، ولا بد أن يسود هذا المبدأ النبيل .

ولكن الكاتب الأمريكى يشفق على المسلمين من شىء مخيف ، إنه يخاف عليهم من خيوط العنكبوت الشيوعى أن تصطادهم صيد الذباب فلا يستطيعون التخلص منها . وإنها لنزعة استعمارية مغلفة فى غلاف الشفقة ، والكاتب نفسه يكشف عن هذه الحقيقة إذ يهيب بالدول الاستعمارية أن تعجل باتخاذ تسوية للوقوف بازاء مايسميه بالتسلل الشيوعى ، ولكنه بدلا من أن ينصح لها بأن تحسن معاملة المسلمين وتعترف لهم بحقوقهم الإنسانى ، لتكسب بذلك صداقتهم ، فانه يحرضها على التكتل للحفاظ على نظام الاستعمار البالى الذى لم تعد الإنسانية تطيق بقاءه .

ونحن نعود مرة ثانية فنطمئن الكاتب الأمريكى والذين يفهمون الأمور بفهمه بأن المسلمين الذين يقفون اليوم أمام الاستعمار لا يرتضون أبدا أن يكونوا ذبلا لأحد ، أرتحت نفوذ أحد مهما يكن شأنه ولونه ، ولن يغلبهم على دينهم وحقوقهم غالب فى سبيل مصلحة مادية ، فقد تيقظوا عن وعى ، ونهضوا على بصيرة ، والله متم نوره ولو كره الكافرون ما

محمد فرهمى عبد اللطيف

ينابيع العافية

ادرس صحتك واعتن بها : بالرياضة ، والهواء النقي ، والنور ، والطعام البسيط .
وكل هذه أشياء فى متناول يدك .

تشارلس ويفيلد

أحسن الحديث

لا نشك أن أكبر فضيلة لشهر رمضان هي نزول القرآن فيه ، والحديث عن القرآن حديث محبب الى النفوس ، شهى الى القلوب ، ذلك أنه حبل الله المتين ، ونوره المبين ، وفيه هدى وشفاء لما فى الصدور ، وهو عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه ، فيه نبأ من كان قبلكم ، ونبأ ما بعدكم ، ولا تنتهى عجائبه ، ولن يزال المسلمون بخير ما تمسكوا به ، واهتدوا بهديه ، ولن تقوم لهم قائمة ما داموا بعيدين عن تعاليمه ، متكرين لصراطه المستقيم ، وطريقه القويم .

ولقد يروع المسلم الحريص على مجد الإسلام ، وعزة المسلمين ، أن يجد شعبا من الشعوب الإسلامية يقلل من عنايته بحفظ القرآن ومدارسته ، فى حين أنه يبذل جهودا جبارة فى دراسة علوم أخرى ، ولا نغيب على الناس ، ولا ننكر عليهم أن يتنقفوا بما يرون أنه ينفعهم فى حياتهم ، وأن يطلعوا على ما يشاءون من علوم الأمم ولغاتها ، ولكن الذى ننكره أن تشغل هذه الثقافات المسلمين عن المنبع الأول لدينهم الحنيف ، فقد رأينا إعراضا - تنفطر له الأكباد - عن كتاب الله ، فقل حفاظه وقلت العناية به ، وأصبح الناس يتلونهم ويسمعونه لمجرد التعبد دون أن يطيلوا التفكير فى معانيه ، وأن ينفذوا أوامره ، ويحفظوا نواحيه .

ولقد كان السلف الصالح يمسرون بالآية من كتاب الله فتتصدع قلوبهم ؛ وتهمل دموعهم ، وتتشعر جلودهم « الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشع منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلتين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله » .

ولقد روى أنه لما نزل قوله تعالى : « وإن جهنم لموعدهم أجمعين » صاح سلمان الفارسي ، ووضع يده على رأسه ، وخرج هاربا ثلاثة أيام لا يقدر أن عليه .

وحكى صالح المري : قرأت على رجل من العباد « يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا » فصعق ثم أفاق ، فقال : زدنى يا صالح ، فأنى أجد غما ، : فقرأت : « كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها » نخر مغشيا عليه .

واجتمع أصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض ، فاطلع عليهم من كوة ، وهو يبكى ، ولحيته ترجف ، فقال : عليكم بالقرآن والصلاة ، ويحكم ليس هذا زمان حديث ،

إنما هو زمان بكاء وتضرع ، واستكانة ودعاء كدعاء الغريق . إنما هذا زمان احفظ لسانك ؛ وأخف مكانك ، وعالج قلبك ، وخذ ما تعرف ، ودع ما تنكر .

وكما فاتنا التأثر عند تلاوة القرآن أو سماعه ، وأصبحنا نسمعه كما نسمع أى كلام آخر ، لا ينبه وجداننا ، ولا يستثير مشاعرنا ، ولا يحرك عواطفنا ، ونتلوه فقط لنؤدى بتلاوته غرضنا فى مناسبة من المناسبات أو لمجرد المداومة على حفظه ، دون تدبر لمعانيه ، وتفكير فى أغراضه ومراميها ، إذا كان فاتنا هذا فما كان ينبغى أن نمر بأحكامه غافلين ، وأن نستمع إلى أوامره ونواهيه ، وكأن المراد بذلك غيرنا ، وقد كان الشأن فى حملة القرآن غير هذا ، يقول سيدنا عبد الله بن مسعود : « ينبغى لحامل القرآن أن يعرف بليله إذ الناس ينامون ، وبنهاره إذ الناس يقرطون ، وبجزمه إذ الناس يفرحون ، وببكائه إذ الناس يضحكون ، وبصمته إذ الناس يخوضون ، وبخشوعه إذ الناس يختالون . وينبغى لحامل القرآن أن يكون مستكيناً لنا ، ولا ينبغى له أن يكون جافياً ولا ممارياً ولا صياحاً ولا صحاباً ولا حديداً » .

ولو أن حملة القرآن تدبروا ما شرفهم الله به ، وما خصهم من كرمه وأفضاله ، لأدوا حق الله وحق القرآن فى تحمله ، فتمعنوه تعلم تفهم وتدبروا تذوق ، وعملوا بما فيه . إن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « ثلاثة لا يكثر ثوابهم للحساب ، ولا تفرغهم الصيحة ، ولا يحزنهم الفزع الأكبر : أحدهم حامل القرآن يؤديه إلى أن يقدم على ربه سيداً شريفاً حتى يرافق المرسلين » .

ولو أنصف الذين لم يقرأوا القرآن - وهم يجدون من أنفسهم قدرة على الحفظ والتلاوة - لو أنصفوا أنفسهم وأرادوا لها الخير ، لحملوها على حفظ القرآن ، فانهم بذلك ينالون أسبى ما فى هذا السكون من فضل وخير ، ولا شئ يعدل كتاب الله تعالى ، يقول صلى الله عليه وسلم : « ما جلس قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم إلا غشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وحقتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » .

فاذا وفق المؤمن لحفظ القرآن ، وأجاد تلاوته ، وتفقه فى معانيه ، كان عليه أن يعلم غيره ، وأن يبذل قصارى جهده فى هذه السبيل ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » . وإن لم يكن حظى بحفظ القرآن فلا يفوته أن يحسن إلى أولاده فيمكنهم من حفظه ، ولا يفوته أن يقوم بمساعدة الجمعيات والهيئات التى

تأخذ على عاتقها أن تحفظ أولاد المسلمين القرآن ، فعلى المسلم ألا يدخر وقتا ولا مالا ولا جاها في سبيل نشر تعليم القرآن ، وتعميم النفع به .

و كما يجب أن نسعى جاهدين لنصون كتاب الله من الضياع ، فعلينا كذلك ألا نسمح بأن يمتنه أولئك الذين لا يقدرونه والذين يتخذونه وسيلة من وسائل الكسب ، فيقرأونه في الطرقات والأسواق وعلى أبواب المساجد ، وفي (الترام) و (السيارات) .

والقرآن لم ينزل لأن يكون مهنة يتكسب بها بعض الناس ، ولم يرسل الله به نبيه ليكون ألعوبة في أيدي المتكسبين والدجالين .

وإذا كان في الناس من يستهين بكتاب الله إلى هذا الحد ، فهناك قوم ليسوا بأقل ضلالة من هؤلاء . أولئك الذين يباهون بحفظهم للقرآن ، ويرأون بأنهم حملة كتاب الله ، ويبنون أن يتخذوا عند الناس مكانا بهذا الفضل الإلهي ، والمؤمن الخالص المخلص لا يتخذ من عبادته وسيلة لنيل الجاه عند الناس ، وصدق الرسول الكريم حين قال : « خير الرزق ما يكفى وخير الذكر الخفى » .

وقد سمع سعيد بن المسيب - وهو من كبار الفقهاء في المدينة المنورة - سمع ذات ليلة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة في صلاته ، وكان عمر حسن الصوت ، فقال لغلامه : اذهب إلى هذا المصلي فمره أن يخفض من صوته ، فقال الغلام : إن المسجد ليس لنا ، وللرجل فيه نصيب ، فرفع سعيد صوته وقال : يا أيها المصلي إن كنت تريد الله عز وجل بصلواتك فاخفض صوتك ، وإن كنت تريد الناس فانهم لن يغنوا عنك من الله شيئا ، فسكت عمر بن عبد العزيز - وهو يومئذ أمير المدينة - وخفف ركعته ، فلما سلم أخذ نعليه وانصرف .

وليس معنى ذلك أن كل جهر بالقراءة يقصد به الرياء ، فالجهر واجب في بعض الصلوات ، وإنما بالغ ابن المسيب في طلب التخفى ، وخاف أن يكون القارئ قصد ما لا يليق بالمتعبد ، وواضح أن عمر كان يصلي منفردا ، وفي هذه الحال لا داعي لرفع الصوت بالقراءة .

وإذا كان سعيد صاح في عمر بهذه المقالة ، وعمر رضى الله عنه هو من هو : عبادة وورعا وتقوى ، فكيف بنا ونحن نرى من هذه المظاهر ما لا يصح الصبر عليه ؟ !

بيع الدين ونقله

تمهيد : يطلق الدين في اللغة على كل شيء غير حاضر ، ويجمع على ديون وأدين ، والفعل منه دان . يقال : دنته أقرضته ، ودنته استقرضت منه أيضا ، وأنشد الأحمر للعجيل السلولي :

ندين ويقضى الله عنا وقد نرى مصارع قوم لا يدينون ضيع [١]

والدائن يطلق على آخذ الدين وعلى المعطى له ، والأكثر استعماله في الثاني [٢] ، والمدين والمديون من عليه الدين ، وقيل المديون كثير الدين ، وهي لفظة بنى تميم ، والحجازيون لا يقولون مديونا ، وإنما يقولون مدينا [٣] :

أما في الشريعة فقد اختلفت عبارة الفقهاء فيه ، فعرفه بعضهم بأنه : ما يثبت من المال في الذمة بسبب من الأسباب الموجبة له [٤] .

والمال في اللغة : ما ملكته من كل شيء ، فكل ما يقبل الملك فهو مال عينا كان أو منفعة [٥] ، وقد يخص بالأعيان ، قال ابن الأثير في النهاية : المال في الأصل ما يملك من الذهب والفضة ثم أطلق على كل ما يقتنى ويملك من الأعيان ، وأكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل ، لأنها كانت أكثر أموالهم [٦] .

أما معناه شرعا فقد عرفه فقهاء الحنفية بأنه : ما يميل إليه الطبع ويمكن ادخاره لوقت الحاجة [٧] ، والمراد من الادخار الاحتفاظ به ، سواء كان مما يمكث زمنا طويلا كما في الأعيان والأمتعة ، أو قصيرا كما في البقول والخضروات [٨] .

[١] لسان العرب ج ١٧ ص ٢٤ ، والمفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص ١٧٤

[٢] محيط المحيط ج ١ ص ٧٠٢ (٣) لسان العرب ج ١٧ ص ٢٤

[٤] غزير عبون البصائر للحموي ج ٢ ص ٢٠٩ [٥] لسان العرب ج ١٤ ص ١٥٨

[٦] النهاية ج ٤ ص ١١٤ [٧] ابن عابدين ج ٤ ص ٣ ، ١٥٠

[٨] التلويح ج ٢ ص ١٦١

وظاهر أن هذا التعريف لا يشمل المنافع لأنها لا تدخر فلا تكون مالا ولا تثبت في الدمة ، أما غير الحنفية فأنهم يرون أن المنافع من قبيل الأموال وأنها تثبت في الدمة .

والدمة في اللغة العهد ، وفي الشرع وصف يصير به الإنسان أهلا لماله وعليه . والأسباب الموجبة لثبوت المال في الدمة ثلاثة : وهي العقود والأفعال والنصوص ، فالعقود كالقرض والإجارة والبيع والنسكاح ونحو ذلك ، والديون التي تثبت بها : بدل القرض ، والأجرة ، والثلث ، والمهر ، وهكذا .

وأما الفعل فكالغصب واستهلاك أموال الغير بالتعدي ، فأنها يثبت بها مثل المغصوب والمستهلك إن كان مثليا ، أو قيمته إن كان قيميا في دمة الغاصب والمستهلك [١]

وأما النصوص فالمراد بها النصوص الشرعية التي توجب مالا في دمة الإنسان من غير أن يكون هناك فعل أو عقد يترتب عليه هذا الإيجاب ، وذلك كالنصوص التي توجب الزكاة على المكلفين بها ، والنصوص الموجبة لنفقة الأقارب ، فإن الزكاة والنفقة تكونان دينا في دمة من وجبت عليهما بسبب هذه النصوص لا بسبب عقد أو فعل .

وبناء على هذا التعريف يكون كل مال يثبت في الدمة بسبب من الأسباب المتقدمة دينا ، سواء كان الثابت بدلا عن شيء آخر كثمن المبيع ، أو ليس بدلا كنفقة القريب والزكاة .
التعريف الثاني : وعرفه بعض آخر بأنه : اسم لمال واجب في الدمة يكون بدلا عن شيء آخر كبذل المتلف والقرض والمبيع ونحو ذلك [٢] .

وعلى هذا التعريف فما يثبت من المال في الدمة ليس بدلا عن شيء آخر لا يكون دينا . فالزكاة ليست دينا على من وجبت عليه لأنها وجبت على الأغنياء شكرا للنعمة المال ولم تجب عوضا عن شيء آخر استفادته من وجبت عليه من شخص آخر ، وكذا نفقة القريب ليست دينا في دمة من وجبت عليه ، إذ هي لم تجب عوضا عن شيء أيضا ، وإنما هي صلة تشبه المؤن من جهة أنها تجب على الغنى كفاية لما يحتاج إليه أقاربه بمنزلة النفقة على نفسه ، بخلاف نفقة الزوجة فأنها تشبه الأعواض من جهة أنها وجبت جزاء للاحتباس الواجب عليها عند الزوج ، وإنما لم تجعل عوضا محضا بل لوحظ فيها معنى الصلة ، لأنها لم تجب بعقد المعاوضة

[١] المجلات في الشريعة الإسلامية والقوانين المصرية - ص ١١٥

[٢] فتح القدير - ص ٤٣١

بطريق التسمية على ما هو المعتبر في الأعواض، فمن حيث كونها صلة تسقط بمضى المدة إذا لم يوجد التزام كنفقة الأقارب، ولشبهها بالأعواض تصير ديناً بالالتزام. وعلى هذا يكون إطلاق لفظ الدين على النفقة والواجب في الزكاة مجازاً.

التعريف الثالث: وعرفه بعضهم بأنه وصف في الذمة عبارة عن شغل الذمة بمال وجب بسبب من الأسباب، وهو مراد من قال: إنه وصف شرعى يظهر أثره في المطالبة [١]. وبالنظر في هذه التعريفات نجد أن التعريفين الأول والثاني يتفقان في أن الدين مال، إلا أن التعريف الأول لا يشترط فيه أن يكون مسمى الدين بدلا عن شيء آخر بينما يشترط ذلك في التعريف الثاني.

والذى يظهر لى رجحان التعريف الثانى لأن الفقهاء صرحوا فى كثير من المواضع بأن إطلاق لفظ الدين على الواجب فى الزكاة ونفقة القريب من باب المجاز، والتعاريف إنما تكون لبيان المعانى الحقيقية للألفاظ لا لمعانيتها المجازية.

ولعل وجهة صاحب التعريف الأول فى عدم اشتراط البدلية ما رآه من أن الفقهاء يطلقون لفظ الدين على ما ثبت بدلا عن شيء آخر كثمن المبيع، وعلى ما ثبت لا بطريق البدلية عن شيء آخر كالزكاة ونفقة القريب، وما رآه أيضا من تقسيمهم الدين إلى صحيح وغير صحيح، وجعلهم نفقة القريب والزكاة من القسم الثانى، ولكن هذا يكون مقبولا لو لم يصرح هؤلاء الفقهاء أنفسهم بأن إطلاق لفظ الدين على النفقة والزكاة من باب المجاز.

على أننا نلاحظ أن بين التعريفين الأولين وبين الثالث مخالفة فى الظاهر، إذ قد اعتبر الدين فى التعريفين الأولين اسما لمال يجب فى الذمة، بينما اعتبر فى الثالث اسما لوصف ثابت فى الذمة، والحق أنه ليس هناك مخالفة بينهما، لأن من قال بأن الدين مال قد صرح بأن هذا ليس حقيقة الدين، وإنما حقيقته الوصف الثابت فى الذمة، كما أن من قال بأن الدين وصف فى الذمة قد صرح أيضا بأنه مال فى الحكم [٢].

[١] شرح الاشياء والنظائر لهبة الله التاجى ٣ ص ١٤٦ مخطوط. كشف اصطلاحات العلوم

للنجانوى ١ ص ٥٠٢.

[٢] شرح الاشياء للتاجى ٣ ص ١٤٦ وكشف اصطلاحات العلوم ١ ص ٥٠٢.

وعلى هذا تكون كلمة الفقهاء متفقة على أن الدين في الحقيقة اسم للوصف الثابت في الذمة ، وهو في حكم الشارع مال له ما للأموال من الأحكام .

هذا الدين الذي قدمنا معناه متعلق به أحكام كثيرة ، ومن هذه الأحكام التي قصد بها الشارع تسهيل التعامل وتيسيره : بيع الدين وجواز انتقاله من ذمة المدين إلى ذمة شخص آخر ، وذلك ما يسمى في عرف الفقهاء بالحوالة .

فالحوالة تنقل الدين من ذمة المدين الأصل إلى ذمة شخص آخر هو المحال عليه ، فيتعلق حق الدائن بذمة ذلك الشخص ، ويكون له كافة الحقوق التي تكون للدائن قبل المدين ؛ والأصل في ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « مطل الغنى ظلم » ، وإذا أتبع أحدكم على مليء فليتبع [١] .

ويطلق فقهاء الشريعة الإسلامية لفظ الحوالة على نقل الدين من ذمة المدين إلى ذمة شخص آخر ؛ أما نقل الحق من جانب الدائن بأن يملك الدائن ماله من الحق قبل المدين لشخص آخر يحل محله وهو ما يعرف « بحوالة الحق » عند فقهاء القانون ، فليس هذا من باب الحوالة عند الفقهاء ، بل يعتبر هذا بيعاً للدين أو هبة له أو استخلافاً كما في الوصية بالدين . وهم في ذلك يخالفون ما جرى عليه علماء القانون ، إذ يطلق هؤلاء لفظ الحوالة على نقل الدين من ذمة المدين إلى ذمة شخص آخر ، وهذه حوالة الدين ، وعلى نقل الحق من قبل الدائن إلى شخص آخر يحل محله في المطالبة والاقتضاء والتملك [٢] ، وهو ما يعرف بحوالة الحق .

ولكن الأستاذ الدكتور شفيق شحاته يرى أن حوالة الحق جائزة في الفقه الحنفي رغم ما هو مشهور من أن حوالة الحق غير جائزة فيه . ويرى أن الحكم بعدم جوازها هو في الواقع حكم مبتسر ، وقد بنى الدكتور رأيه هذا على بعض المسائل الفرعية استعرضها ثم استنبط منها أن حوالة الحق جائزة في المذهب الحنفي ، ونورد هذه المسائل مع رأيه فيها وتعليقنا عليها فيما يلي :

المسألة الأولى : قال صاحب البدائع : « لو اشترى شيئاً بثمن دين ولم يصف العقد إلى الدين حتى جاز ، ثم أحال البائع على غريمه بدينه الذي له عليه جازت الحوالة » . فهذه حوالة حق بدليل أن هذا المدين ليس طرفاً في العلاقة ، وليس هناك ما يفيد

[١] فتح الباري ٤ ص ٣٨٣ .

[٢] كتاب البيع للهلالى ص ٣٥٣ ، محاضرات في القانون المدني للدكتور شفيق شحاته ١ ، ٢ .

قبوله لهذه الحوالة ، فالذى تحول هنا هو حق المشتري قبل مدينه (غريم المشتري) والنص يعتبر هذه الحوالة جائزة وصحيحة .

المسألة الثانية : قال صاحب البدائع : « إذا انفسخت المضاربة ومال المضاربة ديون على الناس ، وامتنع المضارب عن التقاضى والقبض ، فإن كان فى المال ربح أجبر على التقاضى والقبض ، وإن لم يكن فيه ربح لم يجبر عليهما وقيل له أحل رب المال بالمال على الغرماء ... ويؤمر المضارب أن يحصيل رب المال على الذى عليه الدين حتى يمكنه قبضه لأن حقوق العقد راجعة إلى العاقد فلا تثبت ولاية القبض للآمر إلا بالحوالة من العاقد ، فيلزمه أن يحيله بالمال حتى لا يتوى حقه » . وهذا معناه أن على المضارب وهو صاحب الحق قبل المدين أن يحول حقه هذا إلى رب المال وليس على المضارب دين لرب المال ، وهذا يدل على أن الحوالة فى هذه الصورة حوالة حق لا حوالة دين ، وقد اعتبرت بالرغم من ذلك حوالة صحيحة .

المسألة الثالثة : جاء فى شرح الجامع الصغير للمصدر الشهيد أن « الإحالة قد تستعمل فى نقل التصرف على سبيل التوكيل — أشار إليه فى المضاربة — وقد تستعمل فى نقل الديون » ويتضح من ذلك أن الحوالة على نوعين : حوالة حق وحوالة دين .

المسألة الرابعة : جاء فى نموذج توثيق دين فى كتاب أذكار الحقوق للطحاوى : « ... وكما أحال فلان بن فلان (الدائن) على فلان بن فلان (المدين) بهذه الكذا كذا الدينار المسماة فى هذا الكتاب أو بشئ منها أحدا من الناس أقر (أى المدين) لمن يحيله عليه به بما يحيله عليه به من ذلك » وهذه حوالة حق لا شك فيها ، وهذا يدل على جريان الحوالة فى الحق (١) .

هذا هو رأى الدكتور شفيق فى موضوع حوالة الحق فى الفقه الحنفى ، ولسكننا - مع إعجابنا بالمجهود القيم الذى بذله فى هذا البحث - لاناواقفه على ما انتهى إليه من رأى ، ولا نرى أن المسائل التى استند إليها تؤيد ما ادعاه من جواز حوالة الحق فى الفقه الحنفى ، ونفصل رأينا هذا فى العدد القادم ٤

عيسى أحمد عيسى

المدرس بكلية حقوق عين شمس

لغويات

الله وكبر . الله أكبر الله أكبر

يجرى في لسان أهل الريف أن يقولوا في الصيغة الأولى : وكبر بدل أكبر . ويقول بعضهم في الأذان أو الإقامة : الله أكبر الله أكبر بفتح راء أكبر الأولى .

وكثيرا ما سمعت النطق الأول . وورد في هز القحوف شرح قصيدة أبي شادوف : « فصاح الفلاح : يا لسعد ، يا لحرام ، الله وكبر ، وسحب النبوت وخرج هاربا » . وكان بعض الباحثين يرى أن هذا خطأ في العربية ، ورأيه هو الخطأ ، فهذا النطق عربي صحيح ، ومرده إبدال همزة (أكبر) واوا لانضمام ما قبلها وهو الهاء في لفظ الجلالة . وهذا عند من يخفف الهمزة وهم أهل الحجاز ، وذلك كما يقال في الفؤاد : الفواد . ويقول سيويه في الكتاب ١٦٤/٢ : « وإن كانت الهمزة مفتوحة وقبلها ضمة وأردت أن تخفف أبدلت مكانها واوا ، كما أبدلت مكانها ياء حيث كان ما قبلها مكسورا . وذلك قولك في التؤدة : تودة ، وفي الجؤن : جون . وتقول : غلام وبيك إذا أردت : غلام أبيك » والجون جمع الجؤنة ، وهي سلة مستديرة مغطاة جلدا ، يجعل فيها الطيب .

وقد عرض الفقهاء لهذا النطق في الكلام على تسكيرة الإحرام في الصلاة . فيقول الشيخ الباجوري في كتابته على ابن قاسم : « ولو أبدل همزة أكبر واوا ضر من العالم دون الجاهل » ويفهم القارئ من هذا أن بعض المصلين كان ينطق بهذا ممن لم يتعلموا أن ينطقوا بالصيغة على خلاف سليقتهم ، فاعتقر هذا لهم ، فأما المتعلم فلا يغتفر له هذا لأن ما يكون في الصلاة يؤتى فيه بما فعله النبي صلى الله عليه وسلم ، كما قال : صلّوا كما رأيتموني أصلي . ولم ينطق الرسول عليه الصلاة والسلام بإبدال الهمزة واوا في هذا الموطن . ويقول القليوبي في حاشيته على الجلال في فقه الشافعية في الكلام على هذه الصيغة : « وإبدالها واوا مبطل كمثها ، كبديل همزة أكبر واوا للعالم دون الجاهل . وقيل : لا يضّر لأنها لغة » وقوله : « إبدالها » أي إبدال همزة لفظ الجلالة .

وفتح الراء من (أكبر) في الصيغة الثانية قديم . ووجهه أن الأصل في ألفاظ الأذان أن تسكن أو آخرها فكأنها مبنيّة على السكون . ويروى في ذلك أثر عن النخعي : الأذان جزم . فالأصل على هذا أن تسكن راء (أكبر) وأن يبدأ بهمزة لفظ الجلالة مفتوحة . فإذا أراد المؤذن ألا يقف على التكبيرة الأولى ، وأزعم أن يصلها بالثانية نقل فتحة همزة لفظ الجلالة من الثانية إلى راء (أكبر) وحذف الهمزة . ولهذا نظير ، وذلك في قوله تعالى في أول سورة آل عمران : الم الله لا إله إلا هو الحى القيوم ، فالميم في الم ساكنة . فإذا أراد القارئ الوصل بخمهور القراء على فتح الميم بنقل فتحة همزة لفظ الجلالة إليها وحذف الهمزة ، ويسكن عاصم الميم ويبقى الهمزة في الوصل . وإنى أسوق هنا نصا للنووي في شرح المذهب ٣ / ١٢٨ : « قال البندنجي وصاحب البيان : يستحب أن يقف المؤذن على أواخر الكلمات في الأذان ، لأنه روى موقوفا . قال الهروي : وعوام الناس يقولون : الله أكبر ، بضم الراء . وكان أبو العباس المبرد يفتح الراء ، يقول : الله أكبر الله أكبر ، الأولى مفتوحة والثانية ساكنة . قال : لأن الأذان سمع موقوفا ، كقوله : حى على الصلاة ، حى على الفلاح . فكان الأصل أن يقول : الله أكبر باسكان الراء ، فحركات فتحة الألف من اسم الله تعالى في اللفظة الثانية ، لسكون الراء قبلها ، ففتحت ، كقوله تعالى : الم الله لا إله إلا هو » .

ويرى بعض اللغويين في توجيه فتح الراء أنه للتخلص من الساكنين ، وليس منقولاً من لفظ الجلالة ، وأنه عدل عن السكس الذي هو أصل في هذا الباب محافظة على تفخيم لام لفظ الجلالة . ولا يرضى ابن هشام فتح الراء ويرى ضمها ، كما هو حقها في الإعراب . وتراه يقول في العاشر من الجهة الرابعة من الكتاب الخامس في الأشياء التي وقع فيها خطأ : « ونظير هذا قول جماعة منهم المبرد : إن حركة راء أكبر من قول المؤذن : الله أكبر الله أكبر فتحة ، وإنه وصل بنية الوقف . ثم اختلفوا فقبل : هى حركة الساكنين ، وإنما لم يكسروا حفظاً لتفخيم اللام ، كما في الم الله . وقيل : هى حركة الهمزة نقلت ، وكل هذا خروج عن الظاهر لغير داع . والصواب أن كسرة الميم إعرابية وأن حركة الراء ضمة إعرابية ، وليس لهمزة الوصل ثبوت في الدرج فتنتقل حركتها إلا في ندور » وقوله : « كسرة الميم » يريد ميم (الرحيم) في البسملة ، وهو يتعلق بكلام سابق له ، وقد نوقش ابن هشام في قوله : إن ترك ضم راء أكبر خروج عن الظاهر لغير داع ، ويقول الدماميني كما في حاشية الدسوقي : « فيه أن فيه داعياً في الأذان ، لأن الأذان لم يسمع إلا موقوفا .

ففى نقل الحركة إيدان بأنه واقف حكما ، ولولا ذلك لما نقل ، وإنما فعل ذلك حرصا على عدم الخروج بالكلية من السنة فى الأذان ، من إيراد كلماته موقوفا على أو اخرها ، فهو إن لم يقف حسا وقف حكما ، من جهة أنه اعتبر آخر الكلمة ساكنا لأجل الوقف ، ثم نقل إليها حركة الهمزة ووصل مع نية الوقف ، ولوحرك الراء بالضممة الإعرابية كما استصوبه المصنف كان لم يقف حسا ولا حكما ، نخرج عن سنة الأذان بالكلية » .

دخلت الفرقة الثانية تلو الفرقة الأولى

يستعمل الناس كلمة « تلو » فى معنى بعد . ففى المثال المدون يريدون : دخلت الفرقة الثانية بعد الفرقة الأولى وفى إثرها . وجاء فى بعض الصحف فى الحديث عن مصر : « خاض أبنائها الأجداد المعارك تلو المعارك قرونا طوالا » .

وهذا الاستعمال لاسندله فى اللغة . فتلو وصف فى معنى تابع ، والأنتى تلو ، وليس من شأنه أن يستعمل ظرفا . وفى المصباح : « تلوت الرجل ، أتلوه ، تلوا على فعول : تبعته ، فأنا تال ، وتلو أيضا » . وفى اللسان : « وتلو الشيء : الذى يتلوه . وهذا تلوهذا أى تبعه والتلو : ولد الشاة : حين يقطع من أمه ويتلوها . والجمع أتلاء . والأنتى تلو والتلو : ولد الحمار لاتباعه أمه » . وترى فى عبارة اللسان جمع التلو على أتلاء ، وهذا كنضو وأنضاء ونقض وأنقاض . ويجوز أن تقول : مجد وعلى وأحمد تلوون . ويقول سيبويه فى الكتاب ٢/ ٢٠٥ : « وليس شئ مما ذكرنا يمتنع من الواو والنون إذا عنيت الآدميين . وقالوا : جلفون ونضوون » . والجلف : الجافى فى خلقه وخلقه . والنضو : المهزول من الناس والدواب . ويقول الشاعر :

إنا من الدرب أقبلنا نؤمكم أنضاء شوق على أنضاء أسفار

يريد بأنضاء أسفار بعرانا أهزلها السفر وجهدها السير .

شدد الحبل

ينطق العامة هذا الفعل بكسر الشين كما ترى . ويظن بعض الناس أن الكسر خطأ وما هو بخطأ . وذلك أنه يقال فى العربية شدّه يشده ويشدّه بكسر الشين وضمها فى المضارع ، وجاء هذا فى أفعال محفوظة ذكرها ابن مالك فى لامية الأفعال ، وبسط الكلام عليها شارحها بقرق . وقد قرأ أبو عبد الرحمن السلمى فى سورة القتال قوله تعالى : « فشّدوا الوثاق » بكسر الشين ، وقرأ الجمهور بالضم ، كما ذكر ذلك أبو حيان فى البحر ٨ / ٧٤ م

محمد على النجار

قل ولا تقل

السيد الأستاذ صاحب الفضيلة الشيخ محمد علي النجار البعثة المحقق .
السلام عليكم ورحمة الله :

وبعد : فأتسلم مجلة الأزهر شغفا بالاطلاع على تحقيقكم للغوى ؛ فأنى مغرى بهذا
من زمن بعيد ، وقد وضعت كتابا سميته « تحرير الألفاظ العربية لتلاميذ المدارس
المصرية » سنة ١٩١٧ جمعت فيه كثيرا من الألفاظ المشهورة المتداولة التي يعدوها الصواب ،
وتجربى على الألسنة ، معتمدا في إصلاحها يومئذ على الكتب اللغوية التي في متناول يدي .
ولما كنت ألمح في لغوياتكم تحقيقا دقيقا ومجهودا عظيما ، رأيت أن أضع تحت نظركم
صفحة من صفحات كتابي لتظفر بتحقيقكم الدقيق ، وبجشمكم الشامل . فإن رأيتم فيها
لفظا خطأه ، رجوت التنبيه عنه . ولفضيلتكم عظيم الشكر وفائق الإجلال ما

قل	لا تقل
أمعن في النظر أو أنعم النظر	أمعن النظر
عند الجارية سواران	عند الجارية إسورتان
إنشاء عربي	إنشاء عربية
أثر فيه	أثر عليه
لا أكذب أبدا	ما كذبت أبدا
قطف ومقطوف	اقتطف ومقتطف
استسلف نقودا أو تسلف	استلف نقودا
ساء فلان فلانا أو أساء إليه	أساء فلان فلانا
هاج شوق التذكر	أهاج شوق التذكر
هؤلاء سادة الناس	هؤلاء أسياد الناس
ما ألوت جهدا	ما آليت جهدا
حصات على كذا	تحصات على كذا

قل	لا تقل
تسلم الوديعة	استلم الوديعة
إردب قمح	أردب قمح
وقف مبهوتا	وقف باهتا
طاقة أزهار	باقة زهور
ارحم البائسين	ارحم البؤساء
رجل تعس وتاعس	رجل متعوس أو تعيس
إمسك الدفاتر التجارية	مسك الدفاتر التجارية
عدم الشيء	تلاشى الشيء
ارتكب فلان جناحا	ارتكب فلان جنحة
جوقة الممثلين	جوقة الممثلين
ضربه بجمع يده	ضربه بجمع يده
حاجات أو حاج	حوائج « جمع حاجة »
فلان حسن النيات	فلان حسن النوايا
مدع فلان في حديثه	منزع فلان في حديثه
ناط بي فلان كذا	أناط بي فلان كذا
أخذت بيد فلان	أخذت بناصره
أذعن أو امتثل لأمرى	رضخ لأمرى
حافة الإناء	حافة الإناء
إخصائي في كذا أو خصيص	اختصاصى في كذا

محمد صالح الريدى

المراقب العام للغة العربية بوزارة التربية والتعليم (سابقا)
والمشرف العام على جمعيات ومدارس تحفيظ القرآن الكريم حالا

حق الدفاع الشرعى

تعرض القانون المدنى الجديد ، كما تعرض قانون العقوبات ، إلى بيان الدفاع الشرعى فى بعض موادهما ، قاصدين بذلك النص على بيان حالات ترتفع فيها المسؤولية عن الفاعل لظروف وأسباب معينة ، فلا يكون مؤاخذا على فعله ، ولا تترتب على الفعل آثاره التى تكون ملازمة له فى الأحوال العادية المجردة عن حالة الدفاع الشرعى . وهذا المعنى قد تناوله علماء المسلمين منذ أماد بعيدة . وبحسنا الآن قاصر على بيان الأحوال التى لا يمنع فيها القاتل من الميراث استنادا إلى وجود مبررات تجعل القتل غير محظور وغير معاقب عليه شرعا عند بعض الفقهاء ، وهم قد اتفقوا جميعا على أن القتل مانع من الإرث ، واختلفوا فى أنواع القتل المانعة ، ومستندهم فى ذلك ما روى أنه عليه الصلاة والسلام قضى بأن لاميراث لقاتل ، وقد قال عمر رضى الله عنه : سمعت النبي عليه الصلاة والسلام يقول : « ليس للقاتل شئ » . وقد قصد القاتل استعجال ميراثه بفعل محظور فأدى إلى عقابه بالحرمان من الميراث زجرا له ، ومعاملة له بنقيض قصده . نظير ذلك ما إذا طلق المريض امرأته أثناء مرضه طلاقا بائنا بغير سؤالها ثم مات من مرضه ذلك ، كان لها الميراث شرعا لأنه لما أراد أن يقطع حقها من الميراث بفعل محظور عوقب بحرمانه مما أراد وقصده . ولأن التوريث للقاتل مع وجود هذه الجناية منه يؤدى إلى اضطراب النظام ، واختلال المجتمع ، ونشوء الفساد ، واجتراء بعض المتهمين والحقى على ارتكاب هذه الجرائم . والصالح العام له شأن عظيم عند الشارع ، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، والصالح العام مقدم على الصالح الخاص .

وقد قصر الحنفية القتل المانع من الميراث فى أربعة أنواع :

العمد، وشبه العمد، والخطأ، وما جرى مجراه، وضبطوها بأن كل قتل أوجب قصاصا أو كفارة أدى إلى منع القاتل من الإرث . وجعلوا قتل التسبب غير مانع كما إذا حفر الوارث بئرا فى غير ملكه بدون إذن فوقع فيها مورثه فمات، وكان ذلك ذهابا منهم إلى عدم

وجود حقيقة القتل من الوارث . والشانعية ذهبوا إلى منع القاتل مطلقا من الإرث سواء أكان عمدا أم خطأ ، بالمباشرة أم بالتسبب ، بحق أم بغير حق . فالقاتل في جميع أحواله محروم من الميراث عملا بعموم قوله عليه الصلاة والسلام : «القاتل لا يرث» . وجنح الحنابلة إلى القول بأن كل قتل ضمن بقصاص كالقتل العمد العدوان ، أو بدية كالقتل الخطأ وشبه العمد ، أو بكفارة كقتل القريب المسلم الواقف في صفوف الكفار ، فمن رمى صفهم ولم يعلم فيهم مسلما فقتله فهو محروم من الإرث ، وما لا يكون مضمونا بشيء كالقتل بحق لا يمنع الميراث .

وقانون الميراث رقم ٧٧ لسنة ١٩٤٣ نص مادته الخامسة ما يأتى : « من موانع الإرث قتل المورث عمدا سواء أكان القاتل فاعلا أصليا أم شريكا أم كان شاهد زور أدت شهادته إلى الحكم بالإعدام وتنفيذه ، إذا كان القتل بلا حق ، ولا عذر ، وكان القاتل عاقلا بالغاً من العمر خمس عشرة سنة . ويعد من الأعذار تجاوز حق الدفاع الشرعى » فلم يأخذ هذا القانون بمذهب الحنفية في أنواع القتل كلها الموجبة للحرمان . فقد جعل القتل الخطأ وما جرى مجراه غير مانع من الميراث ؛ مستندا في ذلك إلى مأخذ هذا الحكم من مذهب مالك كما أنه عكس بالنسبة إلى القتل بالتسبب ، فالحنفية لا يجعلونه مانعا من الإرث ، والقانون جعل قتل التسبب مانعا أخذا بمذهب مالك ، إذ القتل عند المالكية نوعان فقط : عمد ، وخطأ . والأول هو المانع من الإرث وهو القتل العمد العدوان الموجب للقصاص سواء أكان بالمباشرة استقلالا أو مع الغير ، كمن أجهز على شخص بعد أن أنفذ فيه آخر مقتلا من مقاتله ، فالقاتلان يمتنعان من الإرث عملا بمذهب الحنفية والمالكية ، كما يدخل في القتل بالتسبب : الأمر ، والدال ، والمحرض ، والمشارك ، وهو من يراقب المكان أثناء مباشرة القتل ، ويسمى « الربيثة » ؛ ووضع السم ؛ وشاهد الزور الذى بنى على شهادته حكم الإعدام . وقد قيد القانون القتل المانع من الإرث بأن يكون بغير حق ولا عذر ، فإذا كان بحق لا يمنع القاتل من الميراث ، كما إذا كان القتل قصاصا أو حدا .

ومن الأعداد التى لا يمنع فيها القاتل من الميراث ما إذا كان القاتل قد قتل وهو فى حالة من حالات الدفاع الشرعى عن نفسه أو ماله ، أو عن نفس الغير أو ماله ، وفقا لما جاء فى المواد ٤٥ ، ٤٩ ، ٢٥٠ من قانون العقوبات ، ونص أولاها : « لا عقوبة على من قتل غيره أو أصابه بجراح أو ضرب أثناء استعمال حق الدفاع الشرعى عن نفسه

أو ماله أو عن نفس غيره أو ماله . وقد بينت في المواد الآتية الظروف التي ينشأ فيها هذا الحق ، والقيود التي يرتبط بها » . وقد أشارت المواد التالية لهذه المادة إلى الشروط وهي وقوع تعدد يعتبر جريمة على النفس أو على المال ، واستعمال القوة اللازمة لدفع هذا التعدد ، وعدم مجاوزتها ، وأن لا يكون من الممكن الركون في الوقت المناسب إلى الاحتماء برجال السلطة العمومية . وثانيتهما تضمنت أحوال الجرائم التي تقع على النفس وتبيح القتل العمد كأن يكون هناك فعل يخوف أن يحدث منه الموت أو جراح بالغة ، إذا كان لهذا التخوف أسباب معقولة ، أو اتيان امرأة كرها ، أو هتك عرض إنسان بالقوة ، أو أن يكون هناك خطف لإنسان . ففي هذه الأحوال كلها يباح قتل المتعدى لوجود الخطر الجسيم الذي لا يمكن تفاديه . وتضمنت ثالثتها بيان الجرائم التي تقع على المال وتبيح القتل ، وهي أن يكون هناك تهديد بحريق أو سرقة أو دخول مسكن ليلاً مع التخوف من حدوث موت أو جراح بالغة . وقد عد قانون المواريث في مادته الخامسة من الأعذار قتل الزوج وزوجته والزاني بها عند مفاجأتهما حال الزنا ، وعد أيضاً تجاوز حق الدفاع الشرعى غير مانع من الميراث ، لأن أصل الدفاع مشروع ولا يمكن ضبط حده ، فيعنى عن التجاوز فيه ، ومع هذا فإن التجاوز يوجب تخفيف عقوبة الحبس أو رفعها بحسب تقدير القاضى للظروف والملابسات التي حصل فيها التجاوز ومقداره .

وقد شرط القانون العقل في القاتل لإخراج القاتل الذى به جنون أو عاهة عقلية وفقاً (للمادة ٦٢) من قانون العقوبات التي بينت حالة الجنون والعاهة العقلية الرافعتين للمسئولية الجنائية ، فقد اشترطت أن يكون الجانى وقت ارتكاب الفعل فاقد الشعور أو الاختيار ، وأن يكون فقد الشعور أو الاختيار لعاهة في العقل أو جنون ، وتقدير العاهة العقلية متروك لعلم النفس الجنائى ، كما أن درجات الجنون لها أحوال مختلفة . وكما تعرضت هذه المادة لحالة العاهة والجنون تعرضت أيضاً لحالة الغيبوبة ، ونصت على أن من كان فاقد الشعور أو الاختيار بسبب غيبوبة ناشئة عن عقاقير مخدرة أيا كان نوعها إذا أخذها قهراً عنه أو على غير علم منه بها . وقد ألحق المشرع هذه الحالة بالحالتين السابقتين ، لاشتراك الكل في فقد الشعور أو الاختيار حال ارتكاب الجانى لجنائيه . وحددت المادة الخامسة البلوغ بخمس عشرة سنة هلالية ضبطاً له حتى لا يكون مثار خلاف أو موضع اشتباه أمام القضاء في صغر سن القاتل أو بلوغه . وكما تعرض قانون العقوبات في المواد التي سقناها لحق الدفاع الشرعى ، وفصلها وحددها ، تعرض لها أيضاً القانون المدنى في المادة ١٦٦ ونصها :

« من أحدث ضررا وهو فى حالة دفاع شرعى عن نفسه أو ماله أو عن نفس الغير أو ماله كان غير مسئول ، على ألا يتجاوز فى دفاعه القدر الضرورى ، وإلا أصبح ملزما بتعويض تراعى فيه مقتضيات العدالة » .

ومضمون هذه المادة يؤخذ من القاعدة الفقهية المشهورة : « الضرورات تبيح المحظورات وتقدر بقدرها » . وإن المتأمل فى الدوافع والحكم التى منعت القاتل من الميراث يرى أنها نابعة من فكرة اجتماعية أخلاقية ، إذ منع الميراث للقاتل فيه كبح لجراح جشعه ، ومقاومة لغريزة حب التملك بأى وسيلة كانت . وتلك هى نظرية من يقول : إن الغاية تبرر الوسيلة . وهى نظرية ولا شك خاطئة ، لأنها منطوية على إهدار حق الجماعة على الفرد ، فحق الجماعة على الفرد يوجب عليه أن يعتدل فى رغباته ومطالبه مراعىا حدود الجماعة وحرماتها . وهذا الحق يجب على الفرد أن يؤثر به الجماعة على نفسه لأن غيره من أفراد المجتمع قد ألزم بهذا الواجب أيضا ، فتضحية الفرد بجزء من مطالبه ورغباته لصالح المجتمع واجب عليه نظير ما يجنيه من ثمرات طيبة حينما ينعم المجتمع بالأمن والطمأنينة والاستقرار ، فحق المجتمع على الفرد وعلى جميع الأفراد أن يسلكوا طريق الخير ، ويلتزموا خطة الاعتدال ، حتى يشتد ساعد المجتمع ويقوى شأنه . ومسلك الشريعة الإسلامية فى هذا السبيل مسلك حكيم يوقف كل فرد من أفراد المجتمع عند حدوده .

وبذلك يبنى المجتمع على أسس ثابتة الأركان وطيدة الدعائم ، ولذلك جعلت وسيلة الحرام محرمة إلخافا للوسيلة بالغاية ، ووسيلة المباح مباحة . وبذلك يتحقق معنى العقد الاجتماعى الذى نادى به المحدثون ، وظنوا أنه خير وسيلة تصلح المجتمع ، وتشيد حصنه . فإذا ما كان القاتل فى حالة توجب عليه الدفاع عن نفسه - وحفظ نفسه من الواجبات عليه ، لأنه مسئول عنها كما هو مسئول عن نفس غيره سواء بسواء ، ومن أجل ذلك حرم عليه الانتحار ، وكان آثما بفعله كما يأثم بقتل غيره - كان معذورا . ومن ذلك يظهر الملاحظ الدقيق والمعنى السامى الذى رمى إليه من قال بثبوت إرث القاتل من مورثه عند وجود عذر من الأعذار التى تبيح القتل وتجعل القاتل وارثا فى هذه الأحوال .

تَحْلِيْقَاتُ مَرْثِيَّة

(١) حول عيد الأم .

(ب) سؤال وجواب .

(١) كان حسنا غاية الحسن أن يتعطرجو مصرعامة بأريج الأمومة الرحيمة ، وأن تتجاوب القلوب والألسن بقداسة الأمومة ، وأن تستأثر ذكرياتها بيوم يكون عيداً بين أعيادنا البهيجة ، يغتبط فيه الشيب والشباب .

إن في تمجيد الأمومة تمجيذاً للروابط الأرحام، وتوثيقاً لأواصر المصاهرة ، فإن الأم هي أداة الوصل بين القبيلة والقبيلة ، وهي الوشيجة بين قوم وقوم ، ولحمة الأنساب التي تجمع الأطراف إلى بعضها ، وتقرب الصفوف وتنسج المجتمع على هيئة أو هيئات مؤتلفة ، وإن فرقت بينها خصائص أخرى .

وإذا كانت محبة الأم أمراً فطرياً في الطباع ، ومعنى وجدانياً في القلوب ، فإن إعلان هذه المحبة في صورة التكريم ، لمن تمام الوفاء للأم ببعض ما لها على البنين والبنات ، كما هو إحياء لشأنها في تقدير المجتمع . . وهو فوق ذلك قيام بما فرض الله من إجلالها ، والبر بها ، والحنو عليها .

وإن غرس هذه المعاني في وعي الناشئة من أطفالنا لتوجيه جديد ، وعمل رشيد ، وسعى حميد ، نشكره للثورة ، ولوزارة التربية والتعليم . وإن يكن هذا العيد مستحدثاً في تقاليدنا ، فهو منشود قديماً في ديننا ، وليته كان سابقاً عندنا قبل أن يسبقنا إليه غيرنا ، ولكن ما فات مدرك فيما هو آت .

(ب) غير أن سألني يقول :

هل كل الأمهات في ذلك الوضع الكريم الذي تستحق من أجله الأم كل هذا التكريم؟ أليس بين الأمهات من ولدت بنين لتلفحهم بقسوتها ؟ وتشقيهم بعشرتها ؟ أليس

من الأمهات من دفعت بولدها إلى الجريمة، وأطلقتها على نظام المجتمع ، يحطم كل سليم ، ويفسد كل نافع ؟ أوليس بينهن من جنحت بفلذاتها إلى العزلة ، وحجبت عنهم إشعاع الأبوة، وحرمتهم من رفق ورعاية، ودلال وحنو، لا يتاح إدراكها إلا في ظلال الأبوة ؟ .

أهذه الأمهات التي وصفنا ملحوظات في التكريم ، ومرعيات في القداسة والإجلال ؟ أم هن غير محسوبات حتى يصلحن من شأنهن ، فيتسع لهن موسم جديد ؟؟ .

كان ممكناً أن تظفر هؤلاء بنصيب من التوجيه في هذا العيد، ليكون بمثابة الهدية إلى الأمهات الخيرات .

أنا أعتقد - ياسيدى - أن الأمر بحاجة قصوى إلى موسم تهذيبي للأمهات الشارادات المتخلفات : بجانب الموسم التكريمي لخيار الوالدات .

ولعل في الذكرى ما ينهض بالأخريات إلى ركب السابقات ، أو يلحق بعضهن بالأمهات الطبيبات !! فان لم يكن هذا : فليكن العيد للأمهات الجديرات بالتجيات .
وفرق بين أم وأم ! .

الجواب :

لمست في حديثك - يا بنى - روح البر بالأم، وصدق وفائك لها، وجميل حذبك عليها .

وما كان انفعالك فيما نحوت به على غير المشاليات في الأمومة إلا نوعاً من البر، وحفاظاً على العهد ، وإعلاناً لإحساسك بما طوقت الأمومة من فضلها ، وحاطتك بعطفها ، واحتضنتك بين ذراعيها وصدرها، حتى ترعرع جسمك في ظلها ، وتمثلت الحياة باسمه في وجهها ، وعشت تلتهمس الأمل في تمنياتها ، وتستمد العون من دعواتها . فأنت تبتغى لسلك أم مثل ما تبتغى الأم لولدها ، غير أنك تستبعد من لم تكن على الجادة، وتبخل بالحنو على الشواذ .

ولتعلم - يا بنى - أن الله رفع من شأن الأم والأب حتى لو كانا على غير دين ، أو كانا على دين لا تقره . . وقد حتم الله على كل مولود أن يعرى حق والديه وأن يحسن إليهما ما استطاع، بل رفع من شأنهما إلى درجة تدنو من الإيمان بالله، وذكر حقهما على الأولاد في معرض الأمر بالإيمان ، ونهى أن تعصى لهما أمراً ولو كانا مشركين برهما : إلا إذا

دعواك إلى الشرك، فليس لهما طاعة ، ولكن البر بهما موصول ، والعطف عليهما دائم .
وعلى الجملة : فليست هناك منزلة من الكرامة تدنو من منزلة الإيمان بالله ورسوله غير منزلة
الأبوين . وحسبك بهذا منزلة وكرامة ، وحسبك أن الله جعل الجنة تحت أقدام الأمهات
- في طاعتهن - وبهذا تؤدي للوالدين حقاً مفروضاً ، وترضى ربك وضميرك ،
ولا تكون قدوة سيئة لغيرك ، وما عليك من حسابهما على ما فرطاً .

ولا ريب أن من البر المندود فيك أن تدعو الأم المتخلفة إلى الخير إن استطعت !
وأن تبذل من رحمتك بها في الدعوة ما يقربها إلى الرشاد ، ويزين في قلبها الإيمان ، ويحبب
إليها الهداية .

وإزاء ما رأيت من شأن الأم يكون العيد شاملاً ، والإحسان شائعاً .

وعليك أن تعتبر الحفاوة بالأم التي وصفتها وسيلة من وسائل تهذيبها وإشعارها بأنها في
موضع الرعاية على ما بها من قصور ، وأنها تكون فوق ذلك لو كانت خيراً من ذلك .

وأنا معك - بعد هذا كله - في أن الأمر بحاجة ماسة إلى الاتجاه نحو الأمهات
الغافلات ، وإلى تصحيح الأخلاق في تلك الأنفس المريضة ، ورد الحياء إلى الوجوه
الكالحة ، والرجوع بالمرأة الجديدة والمتجددة إلى حظيرة الأنوثة الخفيرة ، مع تمكينها من الثقافة
والعلم في حيز حصين من معادل العلم والتربية .

وهذه هي الأم التي تتجلب للوطن أشبالاً وأبطالاً ، وتحيي في الأمة نفوساً ، وترفع
وموساً ، وتجعل التاريخ شادياً بماثرها ، ومغنياً بذكرياتها .

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

ومدر التفهيش بالأزهر

علماء سوريا ولبنان

في زيارة مصر بدعوة من الأستاذ الأكبر

في ظل الوحدة الإسلامية التي نهدف إليها .

وبوحى من التقاليد العربية الكريمة التي نعيش فيها .

استقبل الأزهر - وعلى رأسه فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر - ضيوفه الكرام من علماء سوريا ولبنان وأبنائهم طلاب المعاهد الإسلامية .

وقد شملهم بالرعاية الكريمة منذ أن وطئت أقدامهم أرض الكنانة ، ورحب بهم ترحيبا حارا يليق بمكانتهم ورسالتهم . وقد شاهد السادة الضيوف أجداد مصر القديمة ، ومظاهر النهضة المصرية الحديثة في مختلف النواحي ، واستقبلوا في كل مكان زاروه بأسمى معاني الحفاوة والتبجيل .

* * *

وقد كان على رأس وفد سوريا حضرات السادة : الأستاذ حسن حبنكة الميداني ، والأستاذ عبد الرحمن الطباع ، والأستاذ أحمد الدقر ، والأستاذ أحمد كفتارو ، والأستاذ عبد الرزاق الحصى ، والأستاذ بشير الباني ، والأستاذ عبد الغنى الدقر ، والأستاذ عبد الرحمن بركات ، والأستاذ رشيد الخطيب ، والأستاذ محمود الزكوسى ، والأستاذ عبد الله الخطيب ، والأستاذ عبد الحميد حباب ، والأستاذ محمد أسعد عجمي ، والأستاذ عمر مكناس ، والأستاذ أمين عيروض ، والأستاذ كامل منصور ، والأستاذ بكرى العلي ، والأستاذ محمد الدقر ، والأستاذ حسين خطاب ، والأستاذ عبد الرحمن حبنكة ، والأستاذ نعيم شقير ، والأستاذ عبد الوهاب الجذبة ، والأستاذ محمد رضا مصطفى ، يرافقهم فضيلة الشيخ مختار عبد الكريم الظواهرى مبعوث الأزهر بسوريا .

كما كان على رأس وفد علماء لبنان حضرات السادة : الأستاذ نجيب بليق ، والأستاذ حسن خالد ، والأستاذ عبد الرحمن الخوت ، والأستاذ حسن شرف الدين ، والأستاذ حسن علايا ، والأستاذ محمد علي الزعبي ، والأستاذ ياسر نعمه ، والأستاذ راضى الطويل ، يرافقهم فضيلة الشيخ عبد السلام موسى مبعوث الأزهر بلبنان .

وقد استقبلهم فضيلة الأستاذ الأكبر بمكتبه بالإدارة العامة، وبعد أن تناوب خطبائهم الكلام في الوحدة الإسلامية ، وأمجاد الأمة العربية ، وفضل الأزهر على العروبة والإسلام ، تحدث إليهم فضيلة الأستاذ الأكبر قائلا :

لقد سرني أن أوجه الدعوة إلى حضراتكم لزيارة مصر وزيارة الأزهر ، باعتباركم ممثلين للشعب السوري واللبناني جميعه . وأرجو ألا نكون قد حملناكم مشاق كبيرة في سبيل تلبية الدعوة . كما أرجو أن تكونوا قد استرحتم واطمأنتم في اقامتكم ، فليست ضيوفا عندنا ، بل قد انتقلتم من سوريا ولبنان ووطنكم الأول إلى مصر ووطنكم الثاني ، فأتم بين إخوانكم وأصدقائكم وأحباءكم . كلنا أبناء وطن واحد ، وهذه الحدود السياسية الموجودة حدود مصطنعة ، تفصل بين قطع من جسد الوطن الإسلامي ، فالإسلام وطننا جميعا ، والمسلم أخو المسلم أينما حل وحيثما ذهب .

ومضى فضيلته يقول : دعوتكم . . . وأجبتكم أكرم إجابة ، وسترون ما يسركم ويطمئن أفئدتكم من مظاهر الثقافة الدينية والمدنية التي أقامتها الثورة وعلى رأسها السيد الرئيس جمال عبد الناصر في عهدها الجديد .

ثم قال فضيلته :

إنى أرى أن جميع الثقافات المدنية هي من صميم الثقافة الدينية، والأزهر يؤدي الواجب الذي يتطلبه الإسلام في ذلك ، وسترون في جميع بلاد الجمهورية المصرية شمالها وجنوبها ما يسركم ، ولا سيما ما يرجع إلى القوة المادية التي تعجزها الأقوام الأخرى ، فإنا نعتز بالقوتين : الدينية الروحية ، والقوة المادية التي يعجزها الآخرون .

وختم فضيلته كلمته بقوله : إنى أرجو لكم إقامة سعيدة ، وأرجو أن تطول إقامتكم بيننا ، وأن تكون هذه الزيارة فاتحة طيبة ، وسأعمل على زيارة الأقطار الشقيقة إن شاء الله .

ثم دعا لأقطاب العرب الثلاثة : سعود ، والقوتلى ، وجمال ، بالتوفيق في تحقيق آمال البلاد العربية والإسلامية .

* * *

وقد رحب بهم السيد الرئيس جمال عبد الناصر بمكتبه برئاسة مجلس الوزراء أثناء زيارتهم لسيادته ، وتبنى لهم إقامة طيبة ، كما استقبلهم السيد وزير التربية والتعليم بمكتبه

بديوان الوزارة ، ودارت بينه وبينهم أحاديث قيمة عن وحدة الشعوب الإسلامية وأثر الثقافة في ذلك .

وقد كان يسر مجلة الأزهر أن تنشر على الناس الكلمات المؤمنة القوية التي ألقاها السادة أعضاء الوفد في مختلف الأماكن التي زاروها لولا أن مواد هذا العدد كانت قد أعدت للطبع فحال ضيق النطاق عن نشرها . ومع هذا فإننا نختتم هذه الكلمة ببعض أبيات من القصيدة العصماء التي ألقاها الأستاذ عبد الرحمن حبنكة الميداني عضو الوفد أمام فضيلة الأستاذ الأكبر:

لمصر تحية كل الشع — وب بأقصى الشمال وأقصى الجنوب
وفي مطلع الشمس من شرقها وفي مهبط الشمس عند الغروب

* * *

أحبك يا مصر عبر البلا د شباب أحبوا المعالي وشيب
لئن كان في طاهرات الحجا ز مزار الحميم وغسل الذنوب
فبين ربوعك علم السما ء له كوكب مشرق لا يغيب
لكم أزهر الأزهر الصالحا ت وأنبت كل تقي نجيب
قديم له الحب في المسلة — ين وكم جم منهم لهذا الحبيب
وماذا أبو الهول في جنبه وما هرم معه بالعجيب

* * *

ومصر وسورية توءما ن ونجمهما فوق مس المغيب
وأرض الحجاز وملك البلا د منار الهدى وجلال وطيب
ففي قلب شكوى وتاج سعو د وأيدى جمال أمانى الوثوب
وأكرم بفعل الحسين الملية ك يطرد انجلترا في جلوب
فللملك الناشئ المستجيب ب لتجوى الضمير تحايا الشعوب

الصيام فى الطب

يحتاج الطب للصيام ؛ تارة فى العلاج ؛ وأخرى فى التشخيص . . وتختلف درجات الصوم حسب كل حالة وظروفها :

فمريض القلب يحتاج إلى الامتناع عن الأغذية الثقيلة التى تجهد أجهزته المتعبة ، كذلك مريض حب الشباب بعضهم يشفى إذا امتنع عن الدهون والكربوهيدرات . أما أمراض الحساسية والارتيكاريا فربما تنجبت عن أنواع معينة مثل السمك واللحم أو البيض، ويتم الشفاء بالصوم عنها .

ومن الأبحاث التى تتطلب الصوم قبل إجرائها للاستعانة بها فى التشخيص سرعة الترسب فى حالات الحمى الروماتزمية أو غيرها من الحميات ، وتحديد كمية البولينا فى الدم للاستدلال بها على مدى صلاحية السكيتين للعمل .

كما يستخدم الصيام كذلك قبل أخذ البار يوم لأعمال الأشعة اللازمة .

وفى علاج الطفيليات يطلب من المريض أن يصوم قبل أخذ الشربة الخاصة به حتى يكون تأثيرها فعالا ، وحتى لا تمتص مع الغذاء فتصيب الجسم .

على أن المرضى الذين عليهم أن يصوموا حسب تعليمات الطبيب بجانب الأدوية المقررة لا يتم علاجهم بالعقاقير وحدها مهما كانت قوتها . وهذا يؤيد قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : « المعدة بيت الداء » .

فالمعدة وملحقاتها إذا مرضت أعطت أعراضا لها وأعراضا أخرى مثل الصداع والأرق أو آلام المفاصل وسرعة ضربات القلب وضيق النفس . . . الخ .

وتظهر أهمية الصوم لا ففما يعود على سائر الجسد بأصابته ، بل فى عمله الدقيق المعقد مجرد رؤية الطعام أو التفكير فىه كل فى اختصاصه : بعضه يطحن الغذاء ، وآخر يفرز له العصارات الهاضمة ، كالمعدة تفرز الببسين والرنين والليباز وغيرها . على أن هذا العمل يتم بشروط خاصة فى أوقات خاصة بين مرور الغذاء بأجزاء الجهاز المختلفة .. وأجزاء تقوم بالخلط ، وأخرى بالامتصاص ، وأخرى بمخزن الفائض عن الحاجة .

أنهى فى الله :

- أنت فى عملك البسيط - بالنسبة للعمل الضخم الذى يقوم به ذلك الجهاز لك راحات وإجازة سنوية تختارها فى أنسب الأوقات عندك ، كذلك الصيام اختاره الله سبحانه وتعالى فى أنسب الأوقات وأعظمها قدرا .. شهر نزول القرآن الكريم « شهر رمضان الذى أنزل فىه القرآن هدى للناس وبيئات من الهدى والفرقان » ، فتعال بذلك كسبا صحيا ، وفى نفس الوقت تمتنع عن كل ما يغضب الرحمن : فلا غيبة ، ولا نومة ، ولا اعتداء ، ولا كذب - فىرضى عنك ربك ويشبك . وهذا يحتاج إلى عزيمة وترويض للنفس وضبطها عما تعودت عليه فى الأيام العادية . وأنت حين تجوع تشعر بمن يعانون الجوع طول العام أحيانا ، وما دام كل ذلك ابتغاء مرضاة الله فما أنسبه من وقت قيل فىه : « صوم رمضان معلق بين السماء والأرض لا يرفع إلا بركة الفطر » وحين تدفعها تكون الإجازة قد انتهت وخرجت منها غائما من كل الوجوه . ما

دكتور مصطفى محمود على

بمستشفى الجامعة الأزهرية

الرفق بالمدين

واسقاط بعض الدين عنه

عن عائشة رضى الله عنها قالت : « سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صوت خصوم بالباب عالية أصواتهما ، وإذا أحدهما يستوضع الآخر ويسترفقه في شيء ، وهو يقول : والله لا أفعل . فخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : أين المتألى على الله لا يفعل المعروف ؟ قال : أنا يا رسول الله ، وله أى ذلك أحب » .

اللفظ لمسلم في باب الوضع من الدين ، ورواه البخارى وغيره .

* * *

اللغة - يستوضع الآخر : أى يطلب منه أن يحيط عنه من دينه شيئاً وينقص منه ، حتى يستطيع السداد . ويسترفقه : أى يطالب منه الرفق في الطلب ، وهو اللين ، وعدم الإزعاج والعنف في الطلب . المتألى : أى الحالف ، ومعنى المتألى على الله أى الحالف على الله ألا يفعل المعروف ، والحلف في الواقع على المدين وليس على الله ، وإنما جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم حلفاً على الله ؛ لأن الله تعالى يحب وضع الدين عن المدين المعسر ويطلبه ويرغب فيه ، فكأن الذى حلف على المدين حلف على الله . ومعنى « وله أى ذلك أحب » أى له الوضع والرفق والانتظار ، أى هذه الأمور أحبه فهو له امتثالاً لأمر الله ورسوله ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « أين المتألى على الله » استفهام إنكارى ، أنكر به رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحالف حلفه . وفي جعل الرسول الحلف على الله تحذير وزجر للدائن عما فعل ، وإرشاد له أن التشديد على المدين كأنه تشديد على الله تعالى ، ولذلك رجع الرجل عما هو فيه ورضى بالوضع والرفق وبما يحبه المدين .

* * *

من شرائع الإسلام الحكمة : أنه نظم المعاملات أحسن نظام ، وبنهاها على أسس تكفل وصول صاحب الحق إلى حقه بدون اعتات لمن عنده الحق ، وفي ذلك من المحافظة على دوام المحبة بين المسلمين ، واستمرار التعاون بينهم ، ما لا يخفى على أولى الالباب .

هذان خصمان أحدهما دائن والآخر مدين : الدائن يطالب بحقه ، والمدين معسر لا يقدر على السداد ؛ يطلب الرأفة به وإمهاله أو نقص شيء من دينه حتى يتأتى له السداد ؛ وصاحب الحق متمسك بحقه لا يريد أن يترك منه شيئاً ، ومن عنده الحق يلح في طلب الرفق وخفض الدين ، فتعلو أصواتهما عند باب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيخرج إليهما وقد عرف حقيقة الأمر ؛ فيحل المشكلة في لمح البصر ، بكلمات منه تخشع لها القلوب المؤمنة ، وتخضع لها الأعناق الغليظة المتنفخة ، فينكر على الدائن تشدده وحلقة ألا يجيب المدين إلى ما طلب ، ويفهمه بقوة أن الله مع المدين وأن الدائن يحلف على الله ألا يفعل ما يريد ، ثم يفهمه برفق أن عدم إجابة المدين ؛ إلى طلبه امتناع عن فعل المعروف ، والذي يمتنع عن فعل المعروف إنسان جامد فقد الأريحية والمروءة ، وهما صفتان يحرص كل رجل يحترم نفسه أن يتحلى بهما ، ومن يمتنع عن فعل المعروف مع الناس مذموم ملوم ، فما بالك بمن يمتنع عن فعله مع الله الذي يرزق العباد ويحازيهم على الحسنة بعشر أمثالها ، فالمعروف عنده لا يضيع - بل يزكو ويزيد - وقديماً قال الشاعر :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

ولو أن الإسلام اتبع طريق الشدة في أخذ الحقوق المدنية لأصحابها لساد البغض بين المسلمين ، وطمع كل فيما عنده فلا يعطيه لصاحبه كما هو حادث الآن ، فان القوانين الوضعية تشددت في رد الحقوق المدنية ، حتى ان صاحب الدين لا يستحي أن يبيع متاع المدين الذي لا يملك غيره في منزله من سرير أو جلباب ، حتى لو وجد متاع غيره في منزله وهو يعلم أنه ليس ملكاً للمدين لا يتورع عن بيعه وإيقاع المدين في الورطات ، وتعريضه للتهلكة ، وهذا من أسوأ التشريع وأضره بالمجتمع ، إنه يجعل الناس كالأفاعى تلدغ كل من تصادفه ، وكالسمك يأكل كل بعضه بعضاً . وقد اشترط الإسلام ألا يؤخذ من المدين ما هو ضروري لحياته ، فلا يباع مسكنه ولا ثيابه التي لا بد له منها ، علماً منه بأن تجريد المدين من هذه الأشياء ظلم وانحطاط بالإنسان إلى أسفل الدرجات ، وهذا لا يرضاه الله ورسوله للمجتمع الإسلامي ، فان الله جعل الأمة الإسلامية أمة وسطا في عبادتها وفي معاملتها ، فهي خير الأمم وأرقاها على الإطلاق ، لأن الرحمة عندها مقدمة على العدل إذا كان في العدل إجحاف أو ضيم على المسلم . بل جعل الإسلام العدل هو الرحمة والشفقة ، فهما يقتضيان في حالة المدين الذي معنا أن يحط عنه بعض دينه وأن يرفق به وينظر إلى ميسرة .

وقد قرر الله تعالى مبدأً إنظار المعسر وإمهاله إلى أن يوسر والحط عنه مع المحافظة

على الحقوق ، فأمر بكتابة الدين والإشهاد عليه واستيفائه بكافة الطرق من الغنى الموسر ، فإذا أعسر المدين كان من حقه على الأمة وعلى الحاكم أن يمهله إلى يساره قال تعالى : « يأياها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه » وقال عز وجل : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ، ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ، ولا تساموا أن تسكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا » . وقال تعالى : « وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون » .

وحض رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك خصوصا وعموما - أما خصوصا فالحديث الذى معنا ، وأما خصوصا وعموما فقد قال صلى الله عليه وسلم : « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه » وقال أيضا : « تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم فقالوا : أعملت من الخير شيئا ؟ قال : لا ، قالوا : تذكر ، قال : كنت أداين الناس فأمر فتينى أن ينظروا المعسر ، ويتجاوزوا عن الموسر ، قال الله تعالى : تجوزوا عنه .

* * *

ما يؤخذ من الحديث من الأحكام :

فى الحديث الحض على الرفق بالغريم والإحسان إليه بالوضع عنه وإنظاره إلى أن يستطیع السداد ، وفيه التحذير من الحلف على عدم فعل الخير ، وفيه أن من حلف على ذلك فعليه أن يكفر عن يمينه ولا يفعله ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذى هو خير وليكفر عن يمينه » وفيه الصفع عما يجرى بين المتخاصمين من اللغظ ورفع الصوت عند الحاكم ، وفيه أنه لا بأس أن يسأل المدين دأئه تخفيف الدين عنه والرفق به فى مطالبته عند الحاجة إلى ذلك مع الأدب فى الطلب والإجمال فيه كما هو خلق الإسلام ، وفيه الشفاعة إلى أصحاب الحقوق ، وأنه يجوز للحاكم أن يشفع عند صاحب الحق إذا رأى فى ذلك عدلا ، وأنه ينبغى له وعظ المتشدد من الخصمين وتذكيره بما يرقق قلبه ويعطفه وتخفيفه وزجره ، وفقنا الله إلى ما يحبه ويرضاه .

طه الزينى

من علماء الأزهر

بين النواوى والعقاد

قرأت ما كتبه الأستاذ الصديق : الشيخ محمود النواوى المفتش بالأزهر ، فى عدد شعبان من « مجلة الأزهر » نقدا لكتاب الأستاذ العقاد : « معاوية فى الميزان » .
والأستاذ النواوى عالم جليل بلا جدال ، تسرى فى معلوماته دقة العالم ومنطقه ، لا إحاطة الأديب وعواطفه .

وهو مصيب فيما كتبه عن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحد كتاب وحيه : سيدنا معاوية رضى الله عنه ؛ وأنا أؤيده فى كل ما قال .

بيد أنى أرى أن نشر مثل هذا البحث فى « مجلة الأزهر » وبعد أن مضى الكتاب فى الناس ، يضر الإسلام ، وينفع العقاد ؛ فأما الأول : فلا أنه يفتح عيون القراء على طرح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مطرح البحث والجدل ، وفى هذا من الخطر ما فيه . وأما الثانى : فلا أنه دعاية مجانية لكتاب العقاد ، ونشر لآرائه فى أمتع معقل من معاقل الإسلام فى الأرض .

ومن أعجب ما يؤسف له ، أن الأستاذ العقاد أشار إلى مقال الأستاذ النواوى ، فى عدد (١٨ شعبان ، ٣١ مارس) من « أخبار اليوم » تحت عنوان (الوصولية المتطوعة) بكلمة مقذعة ، بخل فيها بالتصريح باسم المجلة ، وباسم الكاتب ؛ ولولا أننى كنت قرأت مقال النواوى من قبل ، لما عرفت من يعنى . وفى هذا ما فيه من الطغيان الذى لا يرى أحدا .

أما بعد ، فإن كل ما أفصده بهذا التعقيب ، أن أطلب إلى حضرات الكرام الكاتبين ، من رجالات الأزهر ، أن يلتمسوا الرد على المبادئ المخالفة ميدانا آخر ، حتى يلقوا محالفيهم وجاها علانية .

عبد الجواد رمضان

الكتاب

المطامع اليهودية

في السيطرة على المياه العربية

كراستان : ٥٢ و ٢٢ ص وخريطة — مطابع دار الكتاب العربي

أصدرت الهيئة العربية العليا لفلسطين هذه الدراسة المستفيضة عن مشروع جونستون، وهو مشروع الإنماء الموحد لموارد مياه وادي نهر الأردن الذي تحاول الدول الاستعمارية الأجنبية فرضه على العرب لصالح اليهود، مبينة خطر المشروع على فلسطين والأقطار العربية المجاورة لها، وأهدافه السياسية والاستعمارية.

وفي الكراسة الأولى من هذا الكتاب مجموعة الوثائق مبدوءة بملخصة لمشروع جونستون، وخلاصة المشروع العربي الذي قدمته لجنة الخبراء العرب، وكتاب سماحة رئيس الهيئة العربية العليا إلى الحكومات العربية بشأن مشروع جونستون ومذكرة الهيئة العربية الأولى عن مطامع اليهود في المياه العربية، ومذكرتها الثانية بالرد على مزاعم جونستون، والرأي القانوني للدكتور مصطفى الحفناوي بشأن مشروع جونستون، ووثائق أخرى في الموضوع.

وهذه المستندات والوثائق مما ينبغي لكل مثقف عربي الاطلاع عليه والاحتفاظ به.

وفي الكراسة الثانية إثبات أن مشروع جونستون يحقق للاستعمار واليهود تصفية قضية فلسطين والتعفية على آثار اللاجئين، وتوفير أسباب البقاء والاستقرار للدولة اليهودية في فلسطين المحتلة، والتمهيد للصالح، وإبلاغ عدد اليهود إلى ستة ملايين منهم أربعة ملايين في النقب، وتهديد سلامة الأقطار العربية. فشكرا للهيئة العربية العليا على هذه العناية الحميدة.

حجة الوداع

لابن حزم - ١٦٣ ص - دار اليقظة العربية بدمشق

هذا الكتاب لابن حزم من كتبه التي كان يظن أنها مفقودة ، بل إن بعض الذين تتبعوا أسماء مؤلفاته غفلوا عنه . وقد تمكن الأستاذ ممدوح حقي لما كان مستشارا للعارف في بنى غازى من الاطلاع على مخطوطة منه في مكتبة الأوقاف هي من بقايا المكتبة السنوسية في الكفرة ، ثم اطلع على قطعة منه في مكتبة أحد علماء مدريد ، ثم وجد بقيته في مكتبة صغيرة مجاورة لجامع بايزيد في القسطنطينية . وبذلك تيسر له تحقيق كتاب (حجة الوداع) لابن حزم ونشره . وقد جمع فيه الأحاديث الواردة في وصف عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بعد أن تأملها وتدبرها فراها كلها متفقة ومؤتلفة ، منسردة متصلة بينة الوجوه واضحة السبل ، ولم يشكك عليه إلا الترجيح بين نقلين عن صلاة النبي صلى الله عليه وسلم الظهر يوم النحر هل كانت بمنى أم بمكة ، فترك تحقيق ذلك لمن يأتي بعده .

وقد زين الناشر طبعته بنماذج للمخطوطات الثلاث ، وختم ذلك بفصل عن المذهب الظاهري الذي كان ابن حزم من أئمة ، وفصل فيه ملخص آراء الظاهرية اقتبسها عن مخطوط للعمرائي المينى .

الاقناع

بصحة صلاة الجمعة في المنزل خلف المذيع

للشيخ أحمد الصديق - ٦٠ ص - مطبعة دار التأليف

هذا الكتاب - كما يدل عليه عنوانه - يبيح للمسلمين أن يؤدوا صلاة الجمعة في بيوتهم خلف المذيع ، لأنه يذهب إلى أن مقصود الشارع من الجمعة « سماع الخطبة » دون السعي إليها في المسجد استجابة للنداء كما هو صريح الأمر في الآية « يأياها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله » ، ومما لا يختلف فيه المسلمون أن معنى النداء في الآية الأذان ، والأذان للصلاة وخطبة الجمعة من لوازمها ، والذكر الذي ورد الأمر بالسعي له هو الخطبة والصلاة معا ، والسعي لهما هو قصد المسجد الذي صدر النداء منه لتحقيق معنى الجمعة والجماعة فيه ، واتصال المسلمين بعضهم ببعض للتعاون على مصالحهم الدينية ، هذا فضلا عما في مشاهدة الخطيب من معاني التجاوب

بينه وبين المسلمين، وكثيرا ما كان يقع ذلك في العصر النبوى وما بعده ، وقد كاد النبي صلى الله عليه وسلم أن يحرق على أناس بيوتهم للتخلف عن الجماعة حتى في غير الجمعة فما بالك بالجمعة ، وإنما سميت « جمعة » لهذا الاجتماع ، فهل سنسمى يومها « يوم الفرقة » إذا استجاب الناس للؤلف فاكثفوا بصلاتها في المنزل خلف المذيع؟ والمذاهب الإسلامية مهما اختلفت في شروط الجمعة لم يختلف أحد من أئمتها وفقهائها في أن من أول شروطها الجماعة . وفي ظننا أن أول من يستفيد من هذه الفتوى الشاذة دول الاستعمار التي لها سلطان على شئ من الأوطان الإسلامية ، فتقيم للمسلمين مذيعا يتلو لهم خطبة الجمعة ، ولا جناح عليها بعد ذلك أن تعطل مساجدهم بدعوى المحافظة على الأمن أو المحافظة على الصحة أو غير ذلك من الدعاوى . ولو أن الصحابة اكتفوا من الجمعة بسماع صوت النبي صلى الله عليه وسلم لصلاها في بيته من كان منهم مجاورا للمسجد ، وأكثر هذه البيوت كانت قريبة جدا فدخلت بعد ذلك في المسجد ومع ذلك لم يفعلوا ، فنحذر المسلمين من الإصغاء لمثل هذه الدعوات الشاذة .

مهر الحرية

للاستاذ عبد الحميد النخيلي — ١١٢ ص — مطبعة الاعتصام

كتب على غلاف الكتاب « هذه الطبعة ليست للبيع » ، وقد تصفحناه فرأينا المؤلف سبق فباعه الله ، لأنه من جهاد مسلم في سبيل فلسطين ، وهو يرى أن لله في كل شئ حكمة ، ومن حكمة الله في كارثة فلسطين أن الله جمع اليهود في عصرنا في هذه البقعة ليسهل علينا الآن أو على أحفادنا من بعد استئصال شأفة هذا العنصر الشرير . ونحن نزيد على ذلك أن من حكمة الله في كارثة فلسطين إيقاظ المسلمين ، وإثارة معادن الخير في نفوسهم ، وتوحيد كلمتهم بعد أن وهنوا بانقسامها . والكتاب فصول قصصية حول هذه المعاني ، ومنها فصل عنوانه « الفدائيون » وكأنه كتب في وصف حملة التأديب التي قام بها الفدائيون في أواخر شعبان جوابا منهم على نذالة اليهود في توجيه نيران مدافعهم على المدنيين والقرويين من أهل قطاع غزة عند اجتماعهم في بعض أسواقهم الموسمية ، فقتل اليهود النذالة في أحط مظاهرها ، ومثل الفدائيون العرب الشهامة والبطولة كما عرف عن أسلافهم الأقدمين .

تيسير الحج

للاستاذ محمد محمد صقر - ١٧٢ ص - دار مصر للطباعة

أراد الأستاذ المؤلف - وهو رئيس جماعة تيسير الحج ومفتش بوزارة التربية والتعليم - أن يكون كتابه دليلاً للحاج يرشد لما عليه أن يفعله في جميع أيام الحج ، وليستغنى به في المناسك ، وليكون أيسر للفهم وأدعى للتنفيذ ، وجعله قسمين : قسم عملي راعى فيه إرشاد الحاج لما يجب عليه أن يفعله من يوم خروجه من منزله إلى أن يعود ، وقد أثبتته في متن الكتاب ، وقسم علمي أثبتته في الهامش فصل فيه أحكام الحج لمن يهيمه الوقوف على آراء العلماء بأدلتها .

وقد زين الكتاب بصور غني بالتقاطها لأهم ما يشاهد داخل المسجد الحرام وفي مكة وعرفات والمزدلفة ومنى والمدينة المنورة وأتبع كل صورة بتعريف لتسكون بمثابة الدليل . وهذا الكتاب بغزارة مادته وجودة تنظيمه ودقة ملاحظاته واقتصراره على موضوع الحج جدير بأن يستعين به كل من كتب الله له أداء هذه الفريضة .

نهج الحج

للاستاذ محمد عبد العظيم يوسف - ١٢٨ ص - مطبعة جريدة الصباح

قال مؤلفه في مقدمته : مقصدي الأول في كتابي هذا تعريف المسلمين ما هذه الشعيرة العظمى ، وأن أشرت في بحث روائع تاريخنا ومناقب رجالنا ، وعرضها على القراء لتذكروا بهذا الارث الضخم الذي لا يزال يجري في دمائنا ولسكننا نسيناه وأعرضنا عنه وقد تناول المؤلف ما يليق بالكتاب من أمور الحج كما وعد ، وتعرض لما لاهلاقة له بذلك مما لو جرد الكتاب عنه لكان أليق به وأكمل وأبقى . وقد قورظله نظماً ونثراً كثير من الأفاضل ، وأنشوا على المؤلف بما هو أهله .

مضار الشاى الاسود

للسيد فاطمة محرم - ١٠٠ ص - مطبعة حجازى

كتاب يدل عليه عنوانه ، تكلمت مؤلفته على تاريخ العقاقير والطاقة العصبية وتأثير الشاى الأسود عليها وعلى الدم والمعدة والاعصاب والعقل والنسل . وقد أيدت مضاره بتقارير طبية وصحية وذكرت أن الإسلام يحرم كل ما يضر بالعقل من مسكر أو مكيف . والكتاب حافل بهذا الموضوع الحيوى فترجو الله أن ينفع به .

الأدب والعلوم

والثالثة بمعهد البعوث يوم ٢٦ مايو، وامتحان
الشهادتين الابتدائية والثانوية وشهادات قسم
القراءات ومعهد البعوث يوم ٤ يونيه .

أما امتحان الدور الثاني بالمعاهد وفي المراحل
الثلاث من قسم البعوث وقسم القراءات
فيعقد يوم ١١ أغسطس، وامتحان الشهادات
في المعاهد وقسم القراءات والبعوث يوم ١٨
أغسطس .

مصنع رجال

قال وزير خارجيتنا الدكتور محمود فوزى
للاستاذ محمد حسين هيكى :

« نحن فى حاجة الى مصنع رجال . نحن
نتكلم عن البترول فى سينا ، وتكلم عن الحديد
فى أسوان ، وننسى المادة الخام الأولى
عندنا وهى العنصر البشرى : كل إنسان فىنا
بذرة فى داخلها أسرار عجيبة ، بذرة لها نمو،
ولها شكل ، ولها أوراق ، ولها ألوان ، ولها
تساقط وتجدد ، ولها زهر وثمر . لماذا
نزرع القمح والفول والذرة فقط ؟ يجب أن
نزرع بذور البشر أيضا فى أرض طيبة . إننا
فى حاجة الى مصنع رجال ، لكيلا تكون
مصر - فى سباق الحياة - من اللاحثين قبل
أن تبدأ المرحلة » .

معهد الفتيات الأزهرى

أرسل فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع
الأزهر كتابا إلى قائد الجناح عبد اللطيف
البغدادى وزير الشؤون البلدية والقروية
يطلب فيه تخصيص قطعة أرض من أملاك
الدولة فى العباسية لبناء دار جديدة لمعهد
الفتيات الملحق بمعهد القاهرة الأزهرى ،
الذى أنشئ لإعداد الفتيات إعدادا صالحا
لبناء الأسرة على أساس قويم من الدين والخلق

الامتحانات

بالأزهر والمعاهد الدينية

تقرر استمرار الدراسة فى كليات الأزهر
طوال شهر رمضان وتعديل مواعيد امتحانات
الفترة الثانية بالكليات ، فتبدأ يوم ٢ يونيه
القادم امتحانات النقل والشهادات العالمية
والعالمية مع الإجازة ، وفى ١٨ أغسطس
امتحانات الدور الثانى فى الشهادات العالمية
والعالمية مع الإجازة

ويبدأ امتحان النقل فى الأقسام الابتدائية
والمرحلة الأولى بمعهد البعوث وقسم القراءات
يوم ١٩ مايو القادم ، وامتحان النقل
فى الأقسام الثانوية وفى المرحلتين الثانية

عيد الأم

من بين المعاهد التي احتفلت بعيد الأم في الشهر الماضي : معهد المنيا الديني . . وقد ألقى الأستاذ عبد الباقي خالد كلمة المدرسين ، وأشار فيها إلى أن الأم هي المثال التي للعطف والحنان ، كما ألقى الأديب النابه حلمي محمد كلمة الطلاب ، وأشار فيها إلى أن عيد الأم متصل بالمهج والأرواح . . ثم ختم الحفل الأستاذ طه الساكت بكلمة جاء فيها : إذا زعم زاعم أن هذا العيد أثر من آثار المدنية الحديثة فليعلم أن تكريم الإسلام للأم أجل وأعظم ، فهو لا يقتصر على تكريمها مرة في العام ، وإنما يحتفل بها ويكرمها في سائر الأيام ، بما فرض من برها وولائها وحسن محبتها على الدوام .

تاريخ الجنس البشري

هو عنوان كتاب في ستة مجلدات كبيرة ، يتضمن تاريخ جميع السلالات والأجناس والثقافات في العالم ، يقوم على تأليفه - تحت رعاية هيئة الثقافة الدولية - ألف عالم من كبار المشتغلين بالتاريخ من كل الأمم ، وقد بدأوا بعملهم منذ أربع سنوات ، وينتظر أن ينتهوا منه في العام القادم . وهذا المشروع العلمي الضخم أصبح القائمون عليه الآن في امتحان من الإنسانية والأجيال الآتية ، ويتساءل الناس عن مبلغ إنصاف هؤلاء المؤلفين للتحقيقة منزهن عن التحيز لبعض الأجناس دون بعض كما هي حال الأمم المتحدة التي تتبعها هيئة الثقافة الدولية المشرفة على هذا المشروع .

هذا ما قاله وزير خارجيتنا الرجل الحكيم . ولو أن مدارسنا وجامعاتنا بوضعها الحاضر واتجاهها الحاضر تصنع الرجال ، لما احتاج إلى أن يعلن هذه الشكوى . إن عجالات مدارسنا وجامعاتنا لا تزال تمشي على سكة حديدية من صنع الاستعمار ، وقد وجهها الاستعمار إلى غير الوجهات التي تصنع فيها الرجال . وهي الآن تتعاون مع الصحافة والفن في وضعهما الحاضر على هدم بقايا الإيمان في نفوس النشء بالفضائل والبعث اللائق بأمة عربية مسلمة . فتى يا ترى تمتد يد الإصلاح إلى هذه المصانع فتعدها لإعدادا جديا لصنع الرجال الذين تحتاج العروبة إليهم في مستقبلها القريب فيكون لنا السبق في مضمار الحياة ؟!

استقلال الجنيه المصرى

كان الجنيه المصرى إلى سنة ١٩٤٧ مرتبطا صرفه في الخارج بسعر الجنيه الاسترلى . ثم انفصل في ذلك العام عن الجنيه الاسترلى لكنه بقي سعر صرفه في الأسواق الخارجية محدد طبقا لسعر صرف الجنيه الاسترلى . وقد اتخذت وزارة المالية المصرية والبنك الأهلى المصرى قرارا الآن بتحرير الجنيه المصرى من هذا الارتباط ، وجعل سعر صرفه في الأسواق الخارجية على أساس الأسعار التي يعلنها صندوق النقد الدولى . وترى الدوائر المسئولة أن هذا القرار يعتبر مكملا لإجراءات استقلال الجنيه المصرى في الأسواق الخارجية .

إنشاء المملكة المغربية

وحدة المغرب واستقلاله

وصل سلطان المغرب الأقصى إلى مدريد قادما من مدينة رباط الفتح في زيارة إلى اسبانيا على طائرة خاصة أرسلتها الحكومة الاسبانية إلى المغرب ليستقبلها السلطان في زيارته . وكان في استقباله عند وصوله إلى مطار مدريد الجنرال فرانكو رئيس الدولة وأعضاء حكومته . وأصدرت الحكومة الاسبانية بلاغا رسميا جاء فيه أن مجلس الوزراء وافق على تصريح يقضى بإلغاء الحماية الاسبانية على القسم المحتل بالاسبانيين من المغرب ، وكانت فرنسا قد ألغت أخيرا الحماية الفرنسية على المغرب واعترفت باستقلال هذه البلاد بعد أن ظلت تحكمها من سنة ١٩١٢ . وصرحت الدوائر الاسبانية بأن هذا البلاغ الرسمي قد جاء نتيجة لمباحثات تمهيدية جرت بين السلطان وممثل اسبانيا في الرباط .

وفي مدة إقامة سلطان المغرب في مدريد اجتمع الوفد المغربي برجال الدولة الاسبانية واتخذ الفريقان قرارا صدر به بيان مشترك

وقع عليه السنيور أرتاخو وزير خارجية اسبانيا والسيد البكاي رئيس وزراء المغرب الأقصى وأعلن فيه أن معاهدة الحماية المؤرخة سنة ١٩١٢ أصبحت غير ذات موضوع ، وأن اسبانيا تعترف باستقلال مراکش الموحدة الذي أعلنه جلالة السلطان محمد ابن يوسف ومنحها السيادة التامة بجميع مشتملاتها بما في ذلك إنشاء العلاقات الدبلوماسية والجيش . وحدد البروتوكول مدة نقل الإدارة من السلطات الاسبانية إلى السلطات المراكشية وتقديم المساعدات الإنسانية في تنظيم جيش مراکش الوطني ، وألغيت جميع القيود في التنقل بين قسمي مراکش ، ونصت الاتفاقية على « التعاون الحر » بين اسبانيا ومراكش ، وهي عبارة أكثر ملاءمة من التعبير الفرنسي عن استقلال مراکش المرتبط بالتزامات مع فرنسا . ولم يشير البيان إلى مسألة الموانئ التي تطالب بها مراکش ، وهي سبتة ومليلة ، وتتخذ السلطات الاسبانية دليلا من ذلك على عدم تغيير وضعها الحالي .

كنز من الماء فى نجد

الماء فى المملكة العربية السعودية كنز من كنوز الأرض كالبتروىل ، وإذا اكتشفت هناك بئر ماء فأنها لا تقل أهمية عندهم عن البترول بل قد تكون عندهم أعلى منه فى بعض الجهات . وقد أعلن أخيراً اكتشاف بئر مائية كبيرة فى الرياض تسحب مياهها من بحيرة فى باطن الأرض على عمق ١١٥٠ متراً ويقدر أن اتساعها بنحو ٨٠٠ كيلو متر من الجنوب الى الشمال وعرضها مائة كيلو متر بين الشرق والغرب وعمق المياه فيها بنحو ٤٠٠ متر وتربو كمية المياه التى يمكن أخذها منها يومياً على مليون جالون ، ومياهها عذبة وممتازة . وقد عثر على هذه البئر بعد حفريات استمرت أربعة أشهر . وهو اكتشاف لا يقل أهمية فى قلب بلاد العرب عن اكتشاف آبار بترولية .

اتفاقية الظهران

تنتهى بعد نحو شهرين الاتفاقية التى كانت قد عقدت فى ١٨ يونيه سنة ١٩٥١ بين الحكومة السعودية والحكومة الأمريكية

بشأن قاعدة الظهران . وستبدأ فى الأسابيع القادمة المفاوضات بين الحكومتين لتجديد هذه الاتفاقية . وإن الحكومة الأمريكية ترى نفسها الآن مضطرة إلى اتباع سياسة التفاهم إزاء الحكومة السعودية . وإن أمريكا وسائر حكومات الغرب لن تجدد أضمن لمصالحها فى الشرق العربى من السياسة الرشيدة التى تقضى عليها بأن تعترف بالأمر الواقع فيما جد فى الشرق الأوسط من وعى جديد لن ينفع معه إلا القضاء على الأساليب العتيقة البالية والجشع الاستعمارى غير المشروع .

زلاىل لبنان

وقع فى لبنان الجنوبى فى أوائل شعبان زلاىل عنيف أصيب به ٢٦٤ قرية ، وتشققت منه بعض أنحاء الجبل ، وكان أشد العنف فى منطقة شحيم ، وبلغ عدد القتلى ١٣٢ والجرحى بنحو ٥٠٠ وشرد ٣٥ ألفاً والخسائر المادية قدرت بنحو ملىون ليرة لبنانية وهى تزيد على ستة ملىين من الجنيهات المصرية .

الفهرس

صفحة	الموضوع	بـ
٩٣٧	إثبات رمضان وذى الحجة	فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر
٩٤٢	حديث الصيام في القرآن الكريم	» » » » »
٩٤٧	هل استيقظ العملاق ؟	الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٩٥٢	نفحات القرآن : سيادة الأمة	» عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء
٩٥٨	السنة : سيد الأزواج	» طه محمد الساكت
٩٦٣	الاله والوجوديون - ٤ -	» محمد الطنبخى عضو جماعة كبار العلماء
٩٦٨	شهر القرآن	» محمد محمد أبو شمبة
٩٧٢	الآية المنسوخة	» محمد فؤاد عبد الباقي
٩٨٠	أدبنا الآن كما أرى	» أبو الوفا المراغى
٩٨٥	العقاد في الميزان - ٢ -	» محمود النواوى
٩٩١	بالحق نسود	» معوض عوض إبراهيم
٩٩٨	الاخلاق والوازع الدينى	» أحمد المرباضى المدرس بالأزهر
١٠٠٣	الجندي المجهول	» محمود فرج العقدة
١٠٠٦	في عالم المكشوفين	» محمد رجب البيومى
١٠١١	مم ابني الاول في عيد ميلاده	» محمد كامل الفتى
١٠١٤	الاسلام والمسلمون في صحف العالم	» محمد فهمى عبد الطيف
١٠١٩	أحسن الحديث	» على المهارى
١٠٢٢	بيع المدن ونقله	» عيسوى أحمد عيسوى المدرس بكلية الحقوق
١٠٢٤	لفويات	» محمد على النجار
١٠٢٨	قل ولا تقل	» محمد صالح الريدى
١٠٣١	حق الدفاع الشرعى	» عبد الله المراغى
١٠٣٤	تلميحات : حول عيد الأم	» عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء
١٠٣٦	علماء سوريا ولبنان	المجلة
١٠٣٩	الصيام في الطب	الدكتور مصطفى محمود على
١٠٤٠	الرفق بالمدين وإسقاط بعض الدين عنه	الأستاذ طه الزينى
١٠٤٤	بين النواوى والعقاد	» عبد الجواد رمضان
١٠٤٦	الكتب	المجلة
	الادب والعلوم	»
	أنباء العالم الاسلامى	»

مَدِيرُ الْمَجْلَةِ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَيْشِي

الْعُنْوَانُ
إِذَارَةُ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ بِالْقَاهِرَةِ
تَلِيفُونَ ١٤٢١

مَجْلَةُ الْأَزْهَرِ

مَجْلَّةُ شَهْرِيَّةٍ بِجَامِعَةِ
تَصَدَّرَ عَنْ شَيْخَةِ الْأَزْهَرِ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرٍ عَرَبِيٍّ

رَئِيسُ التَّحْقِيقِ
مُحَمَّدُ الدِّينُ الْخَطِيبُ

الْإِشْرَاقُ السِّنَوِيُّ

مَلِكٌ
فِي وَادِي النَّبْلِ ٤٠٠
لَطِيفَةُ وَادِي النَّبْلِ ٤٠٠
لِلْعُلَمَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ بِالْأَزْهَرِ ٢٠٠
فَنَاجِ الْمَوَارِفِ ٥٠٠
لِلطَّبِيعَةِ فَنَاجِ الْمَوَارِفِ ٢٠٠
لِلْعُلَمَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ فَنَاجِ الْمَوَارِفِ ٤٠٠

الجزء العاشر - القاهرة في غرة شوال ١٣٧٥ - ١١ مايو ١٩٥٦ - المجلد السابع والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تراثنا الثقافي

في طريق البعث والتنظيم

قالوا : إن إدارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم تستعد لإصدار دائرة معارف مصرية .

إنها بشرى ، بل هما بشرتان :

بشرى لهذه الأمة اليتيمة بأنها سيكون لها كتاب عام شامل تستمد منه معارفها بيسر وسهولة في كل ضرب من ضروب المعرفة ، ويكون - في الوقت نفسه - مرجعا لها في التعرف إلى نفسها ، وإلى تراثها الثقافي ، وإلى أحدث ما وصل إليه العلم العام من حقائق .

وبشرى بتجنيد العلماء والمثقفين وأهل التخصص ، ليقوموا بتتبع تركة السلف ، وإنقاذ ما يمكن إنقاذه من بقاياها التي تناوشتها أيدي الزمن ، ويعملوا على جردها ، وتنظيمها ، ورد عناصر الحياة إلى محاسنها ، وبعثها من جديد في عرض علمي مدرّس ،

تتعبد به الأقلية المختارة من أبناء الجليل ، لتمتع به الجماهرة الكبرى من شباب الجليل ،
فيكون أساساً نقيم عليه بنياننا الثقافي لكل جيل .

من نحن ؟

هذا ما لم تشأ لنا سياسة الاستعمار فيما مضى أن نجد الجواب عليه من معارفنا التي كنا
نتلقاها بأساليبها وتوجيهاتها وإرشاداتها . بل إننا إلى هذا اليوم يوجد فيها جامعيون يتقدمون
إلى وزارة الخارجية ليكونوا فيها مرشحين لمنصب الوزراء المفوضين في وقت قريب ،
ومع ذلك لا يعرف بعضهم من هي الدول التي تتألف منها جامعة الدول العربية . وقد كنا
قبل العصر الأخير إذا تساءلنا : من نحن يخطر على بالنا - مع أول خاطر - أننا مسلمون ، وكنا
نرى أن تراث الإسلام الثقافي هو تراثنا ، ولو أتيح لنا يوماً أن نؤلف دائرة معارف تنسب إلينا
لسكانت تكون - بلا شك - دائرة معارف إسلامية . فما زال بنا الاستعمار حتى صار
في الجامعيين من أبناءنا من لا يعرف الدول التي تتكون منها جامعة الدول العربية ،
وحتى رأينا العالم الإسلامي على الخريطة قد تقطعت أوصاله وتمزقت أشلائه ، فصارت
ليبيا في دنيا غير دنيا جارتها مصر ، وصارت تونس في دنيا غير دنيا ليبيا ، وصارت الجزائر منفصلة
بحدود من حديد وفولاذ عن جارتها وأختها تونس ومراكش ، وصارت مراكش تغنى وحدها على
ليلاها ، ولو شئت لقلت إنها هي أيضاً تقطعت قطعاً ثلاثاً بين فرنسا وإسبانيا وطنجة الدولية ،
وكل هذه الأوطان في دنيا والسودان وجاراتها جنوباً وشرقاً وجنوباً لغرب في دنيا
أخرى ، وكل هذه الأقطار في دنيا والشام في دنيا غيرها ، بل الشام نفسها تقطعت قطعاً
وتمزقت مزقاً ، فنشب سرطان إسرائيل في إحدى هذه القطع ، وقام إلى جانبها شيء
جديد اسمه الأردن ، وكان إلى شمال الأردن - حتى وقت قريب - دولة ، نعم دولة ، اسمها
دولة جبل الدروز ، وسميها دولة جبل العرب نكالية بالاستعمار ، وبعدها في شمال سوريا
دولة سماها الاستعمار الفرنسي دولة العلويين ، وكانت تعرف نفسها باسم بلاد النصيريين ،
وكان ولا يزال غير هذا وذاك دولة لبنان ، فضلاً عن الوضع الذي تطور في جزيرة العرب
متوجهاً إلى الوحدة والحياة والنهوض إن شاء الله . فلو سألنا إلى عهد قريب جداً في كل
بقعة من هذه البقاع :

- من أنت ؟

لسكان الجواب : ما المسئول عن هذا بأعلم من السائل !

هذا بعض ماصنعه الاستعمار فينا . وكيف كان يمكن أن يكون للناطقين بالضاد دائرة معارف بلغة الضاد ، وقد أراد لنا الاستعمار كل هذا الشر ، وأعمل فينا حدّ السكين ، بل أسنان المذشار ، لنكون هكذا متقطعين ، وبالتالي غير متعاونين .
والآن ، وبعد أن تمزّدنا على الاستعمار ، وصحنا فيه بكلمة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب هائلين له بملء أفواهنا :

— لا . . .

فقد آن لنا أن نعرف من نحن ، وأن تكون لنا دائرة معارف نرجع إليها بسهولة ويسر ، لتعرف منها على كياننا الثقافي ، وعلى تراثنا الفكري ، وعلى تركة السلف وأصحابها الأكرمين ، ثم على جميع أبواب المعرفة الإنسانية التي توصل إليها البشر منذ وهب الله البشر نعمة النطق وجمال البيان .

أجل ، آن لنا أن تكون لنا دائرة معارف ، لأننا جياع إليها ، ظامثون لمواردها .

ولقد كنت فيما مضى إذا دار الحديث بيني وبين أحد من العرب أو من العجم حول دائرة المعارف أنجل من أننا بقينا فقراء حتى الآن إلى هذا المرجع العلمي العظيم ، مع أننا نملك من مادته ما لا تسكاد تملك مثله أمة أخرى . وكنت أعتذر بالاستعمار وما فعله فينا من أفاعيل . وكنت أقول إن دائرة المعارف لا تستحقها إلا قومية تستطيع أن تتعاون كلها عليها ، وتلتف كلها من حولها ، وتعتبرها قلعة لكيانها العلمي ورمزا لتراثها العقلي . وما دام الاستعمار يحول — هكذا — بيننا وبين أن نكون أمة واحدة كما خلقنا الله ، بل يشككنا في أنفسنا ، وفي ماضينا ، وفي قيمة تراثنا ، وفي قرابة أقطارنا بعضها من بعض ، فأني لنا أن تكون لنا دائرة معارف تليق بكيان أمة ممتازة بأصالتها ، عريقة في إنسانيتها ، غنية بموارثها ، ولا ينقصها إلا شيثان :

أن تعرف نفسها من هي . . .

وأن تعرف تراثها ما هو . . .

معرفتان كنا في حاجة إليهما ، وكانت أمامنا شواهد من العقبات تحول بيننا وبين إزالة جهالتنا فيهما ، ولعل جامعاتنا كانت بعض هذه الشواهد من العقبات ، ولعل حكوماتنا الماضية كانت قائمة على حراسة تلك الشواهد لتستمر جهالتنا بأنفسنا من نحن ، وجهالتنا بتراثنا ما هو .

لقد كان من نتائج تمزدنا على الاستعمار ، قيام حكومات منا تقود هذا التردد المبارك ، فتتج عن ذلك ولادة دساتير جديدة أجابت بصراحة ووضوح على السؤال الأول : من نحن ؟ فأعلن الدستور المصرى الجديد فى مادته الأولى أن الشعب المصرى جزء من الأمة العربية وكان دستور سوريا قد أعلن مثل ذلك بالنسبة إلى سوريا ، وأظن أنه لا يوجد الآن فى دنيا العروبة شعب عربى يمكن أن يخدعه أحد عن عروبه . فنحن مائة مليون عربى واقفون الآن جائعين ظمئيين إلى دائرة معارف تليق بكياننا وأصالتنا وثروتنا العلمية وغنانا الثقافى ، وتكون قلعة لنا فى معارفنا فنلتف من حولها ونلجأ إليها فى كل ما نحب أن نزيل من جهالتنا فى حقائق العلم وضروب الثقافة : الثقافة القومية باتساع ، والثقافات الأجنبية على قدر اللزوم .

ولكن بعد أن عرفنا أننا كلنا عرب ، وأننا نحن أصحاب هذا التراث الثقافى الضخم المبتقى من مدارك الناطقين بالضاد من ألفى سنة إلى الآن ، هل نأمل أن تكون دائرة المعارف التى تستعد لإصدارها إدارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم ، محققة لهذا الغرض ، وستكون مرجعا وافيا لهذا التراث الثقافى الضخم ؟

هذا ما لا نعرفه بعد ، وقد لا يدل عليه العنوان الذى يقال إنه اختير لدائرة المعارف ، فقد قالوا إنها دائرة معارف مصرية . وأنا لا أنكر أن مصر درة عظيمة تتألق فى تاج العروبة ، فاذا أضاءت الدرة المصرية أحد نواحي هذا التاج تألقت معها درر التاج الأخرى كلها . ولكنى - مع ذلك - كنت أتمنى لو أن دائرة معارفنا المنتظرة تكون دائرة معارف عربية ، بل دائرة معارف عربية وإسلامية ، ليكون تجنيد العلماء والمثقفين وأهل التخصص للاضطلاع بهذا الأمر العظيم تجنيدا يليق بدستورنا ، بل بدساتيرنا ويليقي بنهضتنا ، بل بنهضتنا . . . ويليقي بهدفنا ، بل بأهدافنا

إن دائرة المعارف إذا شرعنا تأليفها على أنها مصرية سنرى أنفسنا فى بحر لحي يستحيل علينا أن نقيم فيه الحدود الثقافية والعلمية والقومية والسياسية بين مانسميه مصريا وما نسميه غير مصرى ، لأن الله أراد للبلاد الناطقة بالضاد أن يكون نشاطها وتعاونها الثقافى والقومى متداخلا مع نشاط مصر وتعاونها الثقافى مدة أربعة عشر قرنا ، وإذا كان للاستعمار مصالحة فى أن يفرق بين ما جمعه الله ، فإن دائرة معارف قومية تصدر عن مصر وباسم مصر يجب أن تكون مظهرا لإرادة الله فى وحدة العروبة وتعاونها الأزلى ، وأن تحبظ

إرادة الاستعمار بعد أن أحبطها الله وألحق بها الفشل الأبدى . وإذا كان لا بد لدائرة المعارف - حتى تكون دائرة معارف - من أن تكون مرجعا في العلوم العالمية والثقافات الأجنبية ، فأحرى أن تكون مرجعا شاملا لتراث العروبة الثقافي والعلمي والعمراني ، وإلا كانت نصف دائرة ، بل ربع دائرة أو أقل . ومما لاشك فيه أن تراث مصر العلمي والثقافي والقومي في الأربعة عشر قرنا الأخيرة هو تراث مشترك بين الناطقين بالضاد . بل إن تراث العروبة العلمي والثقافي هو تراث إسلامي بكل معاني هذه الكلمة . فلا بد لدائرة المعارف المصرية من أن تكون دائرة معارف عربية ولا بد لدائرة المعارف العربية من أن تكون دائرة معارف إسلامية أيضا شئنا أو أبينا . لأن هذه الأواصر من صنع الله ولا سبيل لأحد أن يقطع ما أراد الله به أن يوصل . وهؤلاء آل البستاني ووطنهم - بالمعنى الوطني الذي تلقيناه عن الغرب - من أضييق الأوطان العربية رقعة لم يستطيعوا أن يجعلوا دائرة معارفهم دائرة لبنانية أو مارونية ، بل اضطروا راضين وراغبين - كما سيضطرون رجال الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم المصرية راضين وراغبين - لأن يجعلوا دائرة معارفهم عامة شاملة لتراث العروبة والإسلام ، إذ المفروض في دائرة المعارف أن تكون شاملة للعلم العالمي والثقافات الأجنبية بمقايير تناسب مع حاجة المحيط الذي تصدر عنه ، فهل تراها في مصر العربية الإسلامية تستطيع أن تقصر في عرض تراث العروبة والإسلام في العلم والثقافة وسائر عناصر الحياة الفكرية والعقلية التي عاش بها العرب والمسلمون في ماضيهم الطويل ؟

إن الذين سيكتبون في دائرة المعارف المصرية ترجمة مدروسة للعلم من أعلام مصر كالحافظ ابن حجر ، سيجدون أنفسهم أمام تفوق علمي تفتخر به مصر بل يفتخر به الإسلام وأهله ، وقد كان صاحب هذا التفوق الممتاز أشبه بالنحلة تجنى عسلها من زهورات العلم في الحجاز والشام وسائر بلاد العروبة وأوطان المسلمين ، فهل تراهم يقتصرون على ترجمة التلميذ ابن حجر ويذهبون في تراجم شيوخه كالحافظ العراقي ، وابن الملقن ، وابن جماعة السكاني ، والفيروزبادي صاحب القاموس ، ومحدث الشام القاسم بن عساكر ، وفاطمة بنت المنجا التنوخية ، وفاطمة بنت محمد بن عبد الهادي المقدسية التي قرأ الحافظ ابن حجر عليها وعلى أختها عائشة في سفح قاسيون من صالحية دمشق ؟ إنهم بلا شك سيضطرون إلى تدوين تراجم شيوخ ابن حجر الذين كانوا مصابيح تتألق في دنيا العروبة والإسلام ، كما سيضطرون إلى تدوين تراجم تلاميذه الذين صاروا كذلك مصابيح تألقت بها دنيا العروبة والإسلام وهكذا ستكون دائرة المعارف المصرية دائرة معارف للعروبة وللإسلام شئنا أو أبينا .

وفي اعتقادي أن أهم تحضير تقوم به إدارة الثقافة العامة لهذا المشروع إنما هو تحضير الأكفاء لهذا العمل ، وأن لا تتخذ بالشهادات والألقاب العلمية ، فحسبنا ما اتخذنا بهذا في وظائف الدولة ، وإنزباً بالعلم عن أن يكون مقياسه مثل هذه الشهادات ، وقد كنت قرأت أن دائرة المعارف البريطانية أشرف على تنظيمها في بعض الوقت رجل لا يحمل شهادة من جامعة ، وهو - إذا لم تخنى الذاكرة الآن - مستر جارفن الذي كان يحرر مجلة الاوبزرفر الأسبوعية ، وإنما اختير لهذه المهمة لأنه مفطور على الاستقصاء والتنظيم الانسكوليبيدي ، ولأن ثقافته أوسع من أن تنحصر في اختصاص جامعي إذا خرج عنه صاحبه كان كالسهم إذا خرج من الماء .

إن اليهود تعددهم عشر تعداد الأمة العربية ، وهم جزء من أربعين أو خمسين جزءاً من تعداد أهل الملة المحمدية ، وراثتهم العلمي والثقافي والقومي أفقر من أفقر عنصر من عناصر جامعتنا الإسلامية ، ومع ذلك ألفوا دائرة معارفهم منذ عشرات السنين ، ولما ألفوها لم تكن لهم دولة تبني مثل هذا العمل الضخم ، ولا وزارات معارف تسهم في رسم هذه الدائرة ، ثم تشتري منها لجامعاتها ومدارسها ومرافقها العلمية والاجتماعية . ولعل دائرة المعارف اليهودية هي التي أمدت شباب اليهود في كل الدنيا بالروح الجامعة التي تكتلوا بها حول قوميتهم وتاريخهم ، فكان كل واحد منهم عاملاً ناصباً لتكوين كيانهم الجديد . وذلك لأن الذين كتبوا مواد دائرة المعارف اليهودية كلهم من أهل التخصص حقاً في المواد التي دونوها في هذه الدائرة وكلهم مؤمنون بيهوديتهم وعاملون على وصل آتيتها بماضيها . وكانوا يعلمون أن دائرة المعارف في كل أمة قلعة من أمنع القلاع التي تستند إليها ظهور الشباب والرجال والمثقفين ، فتكون لهم كالراية للجنود إذا خاضوا المعركة فانهم يندفعون إلى الأهداف مادامت الراية قائمة ترفرف أمامهم في الفضاء وتتقدم بهم نحو تلك الأهداف . لذلك ينبغي أن يكون للقائمين على تأليف دائر المعارف المصرية أو العربية - أو ما شاءوا أن يسموها - أهداف قومية واسعة النطاق يؤمنون بكرامتها ، ويتشرفون بتشريفها ما ساعدهم العلم وواتاهم العقل . ولكل أمة أيام بيض وأيام سود . كما أن لرجال كل أمة مفخر وأخطاء . ومن سياسة كل أمة في دائرة معارفها أن تكون أمينة في عرض الأخطاء . ولكنهم يعرضونها مقرونة بالعاذير المؤدية إليها والأسباب الحاملة عليها . قال لي قائدنا العسكري الكبير عزيز المصري في حديث له قبل نحو ثلاثين سنة : لاحظت في كتب التاريخ العربية أمراً عجيباً تختلف فيه عن كتب التاريخ في الأمم الأخرى . فإن المحققين من مؤرخي العالمة نيسيس والإنجليز والألمان يلتزمون الحقائق غالباً في عرض الوقائع ،

ولكنهم يحيطون أخطاء الماضي بالظروف التي أدت إلى وقوع تلك الأخطاء فيشعر القارئ بأعذار المخطئين فيما صدر عنهم . ثم يستخلصون العبرة من هذه الأخطاء ليستفيد الناس من ذلك فلا يقعوا في مثل الخطأ الأول ، وتبقى لهم في القلوب الحزمة لأسلافهم . فالحقون من مؤرخي تلك الأمم لا ينحرفون عن مقتضى الأمانة في بيان الخطأ والصواب ، غير أنهم يحسنون عرض هذا وهذا ويحيطون كل حادث بظروفه ونواحي العذر فيه . ويقول عزيز على المصري : اننا لن نستطيع أن ننشئ أجيالا مؤمنة بقوميتها ما لم نرب في نفوسها الحزمة لماضيها والإيمان بكيانها ، والسبيل إلى ذلك حسن عرض التاريخ والأدب في تدوينه . وما يجب أن يعلمه كل من سيشترك بقلمه في تدوين دائرة المعارف المصرية أو العربية أن تاريخ عصورنا الذهبية الأولى كتب فيما بعد بأقلام أناس تملقوا لبعض الدول بدم الدولة السابقة لها ، وفيهم من انساق في تشوية التاريخ بعوامل مذهبية ونزعات شعوبية ، وفي النصوص الأولى المأثورة عن أهل الصدق والعلم والدين ما يصحح ذلك ويرد الحق إلى نصابه . وما لاشك فيه أن تاريخنا لم يكتب بعد ، ولكن مصادر الحق فيه محفوظة في مختلف المراجع ، وعندما نجد أنفسنا أمام واجب تدوينه تدوينا انسكوبيديا يجب علينا أن نتحرى هذه المصادر الصحيحة في مراجعتها المحترمة ، وهي والله الحمد كافية لاحتباط كل ما حاوله الشعوبيون لتشويه تاريخ أجدادنا تبوأ مكان العزة في التاريخ .

وقبل أن أختتم هذه الكلمة أحب أن أذكر رجال الثقافة العامة في وزارة التربية والتعليم بأن العلامة المحقق أحمد تيمور رحمه الله ، وكذلك أمثاله ومن هم في منزلته من أعلام العلم المحققين ، كانوا يستحسنون أن تسمى الانسكوبيديات بالعربية باسم « المعالم » على وزن « المعاجم » وأحدثها « معلمة » فنقول « المعلمة المصرية » و « المعلمة العربية » و « المعلمة الإسلامية » والذي يزور الخزانة التيمورية في دار الكتب المصرية يجد قسم الانسكوبيديات فيها مسمى باسم (قسم المعالم) كما أن قسم القواميس فيها مسمى باسم (قسم المعاجم) ، وكلمة « معلمة » أخف على اللسان وألطف في الذوق من كلمة « دائرة المعارف » وهي مع ذلك أدل على المقصود منها . والخطأ كل الخطأ أن تسمى « موسوعة » فان لهذه التسمية سببا مضحكا سبق لنا الإشارة إليه في ص ١١٥٧ - ١١٥٨ من مجلة الأزهر لعامها الماضي .

وبعد فان إدارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم ستكون بعد اليوم في موقف الامتحان أمام الشعوب العربية وأمام التاريخ ، فالكمل ينظرون إليها وينتظرون ، وإنا معهم منتظرون .

حسب المدين الخطيب

نفاية القرآن

- ٤٠ -

المجاهدون في الله

في ضيافة الله ورعايته

- ١ - ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة .
 ب - ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ، وكان الله غفورا رحيما .

١ - تحدث القرآن كثيرا عن الجهاد في سبيل الله ، وأشاد بفضل الجهاد ورفع من شأن المجاهدين حتى أصبح من البهديات الدينية ومن المعلومات الأولية أن الجهاد في سبيل الله أكرم غاية يتجه إليها المسلم حينما يقتضيه الأمر أن يعمل لإعلاء كلمة الله ، وصد المعتدين على الأوطان التي يقطنها المسلمون .

وصار المفهوم في عرف الفقهاء أن كلمة - سبيل الله - يراد منها الجهاد بالنفس والمال في مقاومة العدو ، والدود بالقوة المادية عن شريعة الله وعن أوطانها .

٢ - ولكن التحقيق العلمي أن سبيل الله أوسع من ذلك المعنى الضيق وأنها تتسع لكل مقصد من مقاصد الخير التي يدعو إليها الإسلام في إقامة أو سفر وفي بدو أو حضر : كتحصيل العلم أو نشره أو تكثير جماعة المسلمين في جهة يكونون فيها قلة يستعين بها خصومهم وكالحروج من بلد غلبت فيها المآثم والبدع دون قدرة على التخلص منها .

وكذلك يشمل سبيل الله السعى على المعاش في غير الوطن الخاص وتحصيل منافع الوطن من جلب تجارات مباحة واستحضار سلاح وأدوات صناعة ونحوها مما يسد حاجة الأمة .

ويشمل كذلك الجهاد باللسان والقلم للذود عن دين الله ، وإيضاح الحق على من يشاقق الله ورسوله . « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » .

٣ — وإذا كان الإسلام قائماً على الدعوة إلى الخير في أوسع معانيه ، وكانت هيئته وعزته تعتمدان على قوة العزيمة ، ووفرة العتاد : فمن الحكمة أن يفسح الله للمسلمين طريق عملهم في سبيله ، وأن يؤكد لهم رعايته بصادق وعده ، حتى يستمدوا من ذلك جلادة وصرامة ، ويطمئنوا إلى أنهم جند الله ، وأن جند الله هم المفلحون .

٤ — والجهاد في معناه الغالب يقتضى هجرة الوطن وخروجا إلى الأهداف المقصودة أينما كانت . . والمهاجر قد ينتهى الى مستقره الذى يقصد إليه ، وقد يفجأه الموت دون غايته التى اتجه إليها . .

وسنة الله جارية على ألا يضيع أجر من أحسن عملا ، وأن يجزى المرء على حسن نيته وإن لم يدرك بها أملا .

لذلك بين - سبحانه - أن خروج المجاهد إلى غاية من غاياته مكفول بفضله ، فإن طال بالمجاهد أجله فقد أفلت من عدوه الذى كان يراغمه ، ووجد منفذا يأوى إليه في غير وطنه المضيق عليه فيه ، وأرغم عدوه وكاده بهذا الإفلات ، ووجد سعة له بعد ضيق ، فليظهر من شعائريته ما كان ممنوعا منه ، وليتمتع بحرية كانت مسلوبة ، ولينتظر من مثوبة الله ما لا يضيع عند الله .

« ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة » .

وهكذا كانت هجرة الرسول وسلف المؤمنين يوم كانوا قلعة مقهورة فأصبحوا كثرة قاهرة .

٥ — وإن لم يطل بالمهاجر أجله وفجأه الموت عقب خروجه من وطنه الأول ، فقد أحرز العاقبة الحسنى ، وهى منتهى الأمل ، ومحط الرجاء ، وغاية الغايات .

وإدراكه لهذا بعد وفاته مهاجرا إلى الله ورسوله ، وفى سبيل مقصد كريم من مقاصده ، ليس أمرا ملتصقا فقط ، ولا أملا مرجوا فحسب ، بل هو جزاء أكيد ووعد ناجز « ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله » بل يتسع جزاؤه الى التجاوز عن سابق مآثمه « وكان الله غفورا رحيما » .

٦ - ولقد اتسع فضل الله على المهاجرين كيفما كانت غايتهم المشروعة ، تخفف عنهم بعض تكاليفه مع الاحتفاظ بثوابهم كاملاً : مضافاً إلى ثواب هجرتهم وذلك قوله تعالى : « وإذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة » فهناك الصلوات المفروضة - مع أهميتها - تسامح الله فى شئ منها للمهاجرين ومن فى معناهم من المسافرين عامة . مراعاة لما فى السفر من مشاغل ، ولعدم توفر الأسباب المريحة عادة أو شأناً ، وقد بينت السنة أن القصر يكون فى الصلوات الرباعية لما فيها من طول بالنسبة لغيرها . . ولم يقف التخفيف على المسافر عند قصر الصلاة فحسب بل تناول الجمعة فأسقطها وتناول الصوم فأجاز الفطر منه على أن يقضى . . . وإذا كان ذلك فى السفر الآمن ففى سفر الخوف من العدو والمخارب أولى وأكد بل توسع الله علينا فى حالة الخوف من العدو حضراً أو سفراً فأسقط بعض أركان الصلاة كالسجود والطمأنينة ؛ ضرورة أن الحرب كروفر وخداع ومكر .

٧ - وقد يقال : إذا كان السفر الآمن يقتضى تخفيفاً : فلم لم يسقط عنا الصلاة كلها حال الخوف ؟؟ وحال الحرب مع العدو ؟؟

والجواب أن الله لا يقطع صلاته بعبده أو لا يحب من عبده أن ينقطع عن الصلاة بربه ؛ فبقيت الصلاة وخففت ؛ والله الكفيل بالثواب والمعونة .

٨ - وكذلك يقال : الآية تدل على التخفيف حالة الخوف فقط ؛ لقوله تعالى : « إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا » . والجواب أن هذا القيد غير ملاحظ فلا مفهوم له ؛ ولا يمنع من تعميم القصر فى كل سفر مباح عند أكثر الأئمة ؛ أو غير مباح عند بعضهم .

هذا وقد اتسع كلام العلماء فى مقدار المسافة ، وفى مدة القصر .

فأطلق بعضهم المسافة تبعاً للعرف فكل ما يسمى سفراً فى اعتبار الناس صح فيه القصر ، وأكثر الفقهاء على تحديد المسافة بسفر الأقدام ، أو الجمال المحملة منها يومين ، وهى تبلغ ثمانين كيلو متراً تقريباً . وأما المدة التى تقصر فيها الصلاة فمشرطة بالأنوى إقامة .

فما دام على سفر ، ولا يعرف مواعده ، ولم ينو إقامة ، فله القصر لاعتباره على رحيل فى كل ساعة من ساعاته .

وإذا مكث اليوم أو اليومين والثلاثة إلى الأربعة فقط فهو مسافر حكماً ، وله القصر في صلواتها الطويلة . . . وأكثر من أربعة أيام يعتبر إقامة فلا قصر عند بعض الأئمة . وهذا مقام فسيح للفقهاء : تبعاً لسكثرة ما لديهم من الآثار في ذلك الباب .

وفي كتب المذاهب بسط وتفصيل .

٩ — هذا — ولعل في التخفيف على المسافر فيما سلف تشجيعاً على الأسفار في سبيل الأغراض السكرية . وفي ذلك إحياء لنا أن الإسلام ليس دين ركود ، ولادعوة إلى الانكماش ، بل هو سعى في الخير ، وتحصيل للعلم ، ونشر للثقافة الإسلامية ؛ وإطلاع على ما عند الغير ، وتقليد في كل ما يرفع من شأن المسلمين ويكفل مجدهم .

ونحن في حيز الوطن المصري نعلم أن لنا جيشاً من أبنائنا وإخوتنا ، يربط على حدوده : حارساً للذمار ، ومدافعاً عن الأرواح والأموال ، ومحافظاً على مجد الأمة أن تلمسه يد غادرة ، أو تطمع في النيل منه عين خائنة ، أو تقترب من رقعته فئة ماكرة .

وأولئك مجاهدون لا ريب ، ومكافئون عنا في تضحية بأنفسهم التي أخصوها في سيدلنا وهي غالية علينا ، وبذلوها من أجلنا وهي حبيبة إلينا : فإن تكن فيهم عزائم قوية ، وإيمان أكيد بالله والوطن ، فإن الله ليكفلهم برعايته ، ويكرمهم في ضيافته ، ويثبت أقدامهم في مواقفهم ، وينصرهم فيما هم بسبيله ، ويضفي عليهم من حراسته لهم وحفظه لأرواحهم ما يبقينهم لوطنهم ويدخرهم لأمتهم ، وينسكأ بهم عدوها ؛ ويصون بهم للوطن سلطانه ؛ وصولته ؛ وعزته ؛ وهيبته ما

عبد اللطيف السبكي

مدير التفتيش بالأزهر

وعضو جماعة كبار العلماء

السنة

سيد الأزواج

- ٣ -

مر الكرام - مكافآت نبوية - موقف لأُم سامة -
تزييح من فوق السموات السبع - أعظم أمهات
المؤمنين بركة - إصهار نبوى إلى أشد الناس
عداوة - وشائج من الجمال والنبل .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : ما غرت على أحد من نساء النبي صلى الله عليه وسلم ، ما غرت على خديجة ، وما رأيتها ، ولكن كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر ذكرها ، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ، ثم يبعث بها في صدائق خديجة ، فربما قالت له : كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة ! فيقول : إنها كانت ، وكانت ، وكان لى منها ولد . رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى

* * *

بنى النبي صلى الله عليه وسلم بيته الثالث بالصديقة بنت الصديق عائشة . . . عقد عليها بمكة ، وبنى عليها بالمدينة فى السنة الثانية . . . وسنور معكم هذا البيت الكريم بعد أن نمر مر الكرام على بيوت أمهات المؤمنين .

* * *

وبنى صلوات الله عليه بيته الرابع بالصوامية القوامية : حفصة بنت عمر بن الخطاب وزيره الثانى ، فى السنة الثالثة بعد غزوة أحد ، وكانت تحت خنيس بن حذافة القرشى السهمى ، وهاجرت معه فى المهاجرين الأولين ، وقد شهد بدرا ثم توفى بعدها من جراحات أصابته بها ! فكافأها النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، وأقر عين أيها بزواجها ، وكان قد عرضها على صاحبيه أبى بكر وعثمان فاعتذرا اعتذارا رقيقا فى قصة كريمة من قصص الأكرمين .

وبنى النبي صلى الله عليه وسلم بيته الخامس بزَيْنَب بنت خزيمة بن الحارث الهلالية ، وكانت تدعى في الجاهلية أم المساكين ، لكثرة إطعامها إياهم ورأفتها بهم ، وزادها الإسلام عطفًا وإحسانًا إليهم . استشهد زوجها عبد الله بن جحش رضى الله عنه ، في غزوة أحد ، فكافأها صلوات الله عليه بأن تسكون من أمهات المؤمنين ، وبنى عليها في رمضان من السنة الثالثة ، وانتقلت إلى جوار ربها بعد بضعة أشهر ، ولم يمت في حياته صلى الله عليه وسلم إلا خديجة وأم المساكين ، وقد صلى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنها بالبقيع ! !

* * *

ثم بنى صلى الله عليه وسلم بيته السادس بذات العقل الراجح والرأى الصائب أم سلمة ، هند بنت أبي أمية المخزومية . كان أبوها من أجواد العرب المشهورين ، وكان زوجها وابن عمها عبد الله بن عبد الأسد المخزومي ، وهو من السابقين الأواين ، وهو ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخوه من الرضاعة . . . وكانت تحبه وتجله . . . حتى إن أبا بكر وعمر خطباها بعد وفاته من جرح أصابه في غزوة أحد فلم تقبل . . . فلم يكن خلف لزوجها ، ولا كافل لأيتامها ، خيرا منه صلى الله عليه وسلم . . . وحسبها بل حسب الأمة منها موقفها الرائع في صلح الحديبية : حين كاد المسلمون يهلكون إذ تباطثوا في التحلل من عمرتهم كما أمرهم صلى الله عليه وسلم ، فأشارت بأن يبدأ صلوات الله عليه بالحلل ففعل . . . وامتثلوا ، وكشف الله بها السكرية التي ليس وراءها كربة ! !

* * *

ثم بنى صلوات الله عليه بيته السابع بابنة عمته أممية : زينب بنت جحش ، وهو بناء إلهي بأمر الله عز وجل ، لم يكن لنبيه بهذا البناء من حاجة ، إلا أنه سبحانه أراد أن يبطل ضلالة التبنّي في الجاهلية ، وتسويتهم المتبنّي الدعى بالابن الحقيقي ، في الميراث وتحريم زوجه على المتبنّي . . . وكانت زينب زوجا لزيد بن حارثة حب النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن أنعم الله عليه بالإسلام ، وأنعم عليه نبيه بالإعتاق والتبني والتزويج بابنة عمته . . . فلما قضى زيد منها وطرا ، وطلقها - لحكمة بالغة - بحض رغبتة ، زوجها الله رسوله : « لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا » .

لا جرم أنها زيجة إلهية ، وآية من آيات النبوة ، تخرس الزنادقة والمتقولين ، ومن

لف لفهم من أعداء النبي الكريم . . . ولقد حق لزنب أن تباهى أمهات المؤمنين بأنهن قد زوجهن أوليائهن ، وأما هي فقد زوجها الله من فوق السموات السبع .

كانت رضوان الله عليها أطول أمهات المؤمنين يدا بالبذل والإحسان والصدقة وصلة الرحم وكانت صنائع اليمين : تدفع وتخز وتتصدق في سبيل الله . . . وكانت أسرع أمهات المؤمنين لحاقا بالنبي صلى الله عليه وسلم . . .

* * *

وبنى صلوات الله عليه بيته الثامن ببرة بنت الحارث سيد بنى المصطلق . .

وكان أبوها وقومه قد جمعوا الجموع لقتاله صلى الله عليه وسلم في « المريسيع » ماء لخزاعة ، فأحاط بهم المسلمون وأخذوهم أسرى بعد قتل عشرة ، منهم مسافع بن صفوان زوج برة . . . فجاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تشكو إسارها وترجو رحمة الله على يده : وهو صلوات الله عليه أكرم الأكرمين لعزير قوم ذل ، فلم يكده يسمع شكاتها حتى اصطفاها لنفسه ، ثم أعتقها وألحقها بأمهات المؤمنين وسماها جويرية ، وما إن تسامع الناس بهذه المكرمة النبوية حتى أعتقوا ما بأيديهم من الأسرى ، وقالوا أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم !! ثم أسلم بنو المصطلق وسيدهم من بعد أن أسلم العتقى جميعا ، وكانوا مائة أهل بيت أو يزيدون ! . فهل عرف في تاريخ الدنيا امرأة أعظم بركة على قومها من جويرية ، هل عرف في تاريخ الدنيا أعظم أو أكرم من هذه الصنيعة النبوية ! أوليست آية أخرى من آيات النبوة !

* * *

ثم بنى صلى الله عليه وسلم بيته التاسع بأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان : صخر بن حرب ، وكان هو وزوجه هند من ألد أعدائه صلى الله عليه وسلم .

أسلمت رملة قديما بمكة ، وهاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى الحبشة الهجرة الثانية فتنصر زوجها بالحبشة ومات بها ، وثبتت هي على إسلامها ، فرق النبي صلى الله عليه وسلم لكربتها ، وكافأها على ثباتها في غربتها . وأرسل إلى النجاشي ليخطبها عليه ، فأصدقها عنه أربع مائة دينار مع نفائس من الهدايا . . . ولما عادت إلى المدينة بنى عليها . وقد قصد صلوات الله عليه - فوق صنيعة هذا - إلى تأليف أبيها وقومها بنى عبد شمس ، أعداء قومه بنى هاشم . . . وقد وقع هذا الزواج من أبيها موقع الغبطة والرضا .

أما بيته العاشر فقد بناه بسيدة بنى قريظة والنضير [١] جميعا: صفية بنت حيي بن أخطب . . كانت زوجا لسلام بن مشكم القرظي ، ثم لسكنانة بن أبي الحقيق ، فقتل عنها وهو عروس بنخير ، فحياها صلوات الله عليه من الذل بعد العز ، ومن الرق بعد السيادة ، اصطفاها لنفسه ثم أعتقها وتزوجها ، وجعل عتقها صداقها ، ووصل بهذا الصنيع العريق في المكارم رحما وصهرا ، إلى بنى اسرائيل عامة [٢] وإلى إخوانه النبيين منهم خاصة ، ولكن سفاكي الدماء ، وقتلة الأنبياء ، وموقدى نار الحرب والبغضاء ، يحدون الإحسان ، ويقابلون النعم بالكفران ! !

* * *

ثم بنى بيته الحادى عشر - وهو آخر بيوت النبوة - بميمونة بنت الحارث الهلالية ، كانت في الجاهلية زوجا لمسعود بن عمسرو الثقفي ، ففارقها وخلف عليها أبو رهم ابن عبد العزى فتوفى عنها ! بغعات أمرها إلى أختها أم الفضل وزوجها العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم ، فرغبه فيها العباس ليربط بين العباسيين وخاتم النبيين بأقوم رباط وأحكمه نسبا وصهرا .

* * *

هذه زيارة كريمة عاجلة لبيوت أمهات المؤمنين قبسنا مما فيها من آيات الله والحكمة ؛ لنعود - كما وعدنا - إلى بيت الصديقة بنت الصديق ، فنقبس منه قبسة أخرى . ولأسنا نظمع ولن نطمع أن نذكر كثيرا ولا قليلا من فضائل هذا البيت الكريم وشماله ، فذلك مالا سبيل إليه في مجلدات فضلا عن صفحات ، وإنما هي لمحة خفيفة وقور ، من بناء الله ونبيه لهذا البيت ، ولمحة أخرى مثلها مما كان بين الطاهرة والمبرأة !

* * *

أما البيت وبنائه فقد علم الناس جميعا أن الإصحار من أحكم الأسس في روابط الألفة والمودة ، إن لم يكن أقوم أساس وأشده ، وقد علم الناس جميعا - حتى المكابرون منهم - أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أبلوا أعظم البلاء في الإسلام دعوة وحماية ، على اختلاف درجاتهم عند الله عز وجل . . . وإذا لم يكن من المستطاع أن يصاهرهم

[١] لأن أمها كانت بنت سيد قريظة وأباها سيد بنى النضير .

[٢] وقد وصل في هذا العام أقباط مصر بحارية التي أعدها لإليه المقوقس . انظر ج ٢٥ ص ١٠

جميعا عليه صلوات الله وسلامه على حدة ، فان من المستطاع أن يصهر إلى كثير من كبرائهم والسابقين منهم ، فيسرى شرف هذه المصاهرة إلى الشعوب والقبائل ، كما سرى شرف الحجر الأسود إليهم حينما وضعه في رداءه وأمرهم أن يأخذوا بأطرافه . .

هكذا فعل صلوات الله عليه كلما صاهر . . لم يكن به إلى تعديد النساء من حاجة ، إلا إرضاء لربه ، وصلة لرحمه ، ونشرا لدعوته . .

وأحق من وصل بهذه المصاهرات السكرية ، خلفاؤه الراشدون ، أسبق الناس إسلاما ، وأعظمهم بعد الأنبياء مقاما ، وأرسخهم في دعوة الحق أقداما .

* * *

وقد أكمل الله إصهاره إلى أبي بكر ، بوشائج من الجمال والجلال ، والعلم والفضل ، والذكاء والنبيل ، وما شئت من خلال الخير والبر ، في خير عقيلة بكر . . .

وكان الله صنع الصديقة على عينه ، ليسر بها نبيه ويقر بهذا السرور عين أبي بكر .

* * *

وكانت رضوان الله عليها إلى ما خصها الله به : بعيدة الهمة ، طامحة إلى ذروة المجد ، لم يكفها أن حظيت بأسمى مكانة بين صواحبها لدى النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى رغبت أن تحتل من قلبه المكان الأول ، مكان الصديقة الأولى ، والحببية الفضلى ، التي لا يفتأ يذكرها ويبشرها ، ويكرم من أجلها خلائها ، ويثني عليها ثناء كريما يسابق الدهر . وعبتا حاوات الصديقة بحسن الدل ، ولطف الحيل ، وفنون الذكاء والتبيل ، أن تقنع سيد الأوفياء ، وأكرم النبلاء ، بأن الله أبدله خيرا من خديجة . . . فلتلق السلم إذا ، ولا تجادل في الحق بعد ما تبين ، ولتعلم أن المجادلة والمنافسة ، والغيرة من أعقل العقائل ، وفضلى الفواضل ، ومن لها قدم الصدق ، وفضل السبق — لا تريد صاحبها التي لم ترها إلا صدقا من عاطر الثناء وخالد الذكر . .

* * *

رضى الله عن الصديقة بنت الصديق ، لم تمنعها غيرتها من صواحبها ، ولا منافستها لهن ، أن تذكر فضائلهن ، وتروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ثناء عليهن وذلك من الإنصاف العجيب النادر الذي لا يعرف إلا في مضارب البيت العريق ، ومعادن الكرم العتيق ما

طه محمد الساكت

المرأة المصرية الرشيدة وحق الانتخاب

المرأة المصرية متدينة : إما بالتعليم ، أو التلقين في بيتها وبيئتها . والبيت المصرى والبيئة المصرية - والحمد لله - متدينان إلى حد كبير ، وقد توارثت الحياء والحشمة عن آباءها وأجدادها . ومن الإثم في العرف والتقاليد المصرية أن تتمرد المرأة على حدود الحياء والوقار ، وهى إلى جانب ذلك عاملة ناصبة ، تشارك بنصيب موفور في الكفاح في سبيل العيش ، وعلى كاهلها يقع العبء الأكبر في العمل المنزلى ورعاية شؤون الأطفال ، وليست هى النصف المشلول في الأمة كما يقول بعض الناس ، وهى لهذه المعانى ركن قوى في بناء الأسرة المصرية ، وبفضلها ظلت الأسرة تنعم في ظلال الهناء والاستقرار ، وليس سبب ذلك أنها مستعبدة محرومة من حقوقها مستترقة سجيئة الحریم والبيوت خاضعة لسلطان الرجل لا تستطيع التعبير عن رأيها ولا يمكنها الاشتراك في الحياة العامة !! ولو صح ذلك لكانت الأسرة في المجتمعات التى تتميز فيها المرأة أحسن حالا وأهنأ بالا . ولكننا نجد هنا أشد ما تكون تفككا وانحلالا . وليس الأمر في حاجة إلى دراسة عميقة أو بحث جاهد ، فبمقارنة بسيطة بين حالى الأسرة في بعض المدن والريف يمكننا القطع بصحة هذا الحكم .

وفي أوائل القرن الحالى انبعثت الدعوة إلى ما يسمونه تحرير المرأة وتهيئة السبيل لإشراكها في الحياة العامة مع الرجل . وسلكت هذه الدعوة سبيل القصد مرة وسبل الشطط مرات حتى كانت تبلغ أحيانا مبلغ المعارضة للمقررات الدينية ، ووجدت لها أنصارا من الجنسين الله أعلم بنياتهم فيها ، وغايتهم منها وظلت هذه الدعوة تجدد وتظهر في مظاهر شتى من الغيرة على كرامة المرأة أو مصلحة المجتمع وما إلى ذلك حتى ظفرت المرأة ببعض المطالب التى ظنت أنها تصل بها إلى حياة الهناء والرفاهية ، فإذا هى تصل بها إلى حياة القلق واليأس والبوار ، كما يعلم ذلك من يشغل نفسه بدراسة حياة الأسرة المصرية في المدن ، وكما يعلم الآباء والأمهات .

لم يقنع دعاة التحرر من الجنسين بما نالت المرأة من مطالب اجتماعية وثقافية ، بل امتدت أعينهم إلى ما وراء ذلك من المطالب السياسية لتحقيق المساواة المذشودة ، واغتصب حفنة من هؤلاء مقام الوكالة عنها فطالبوا بالحق الانتخابي للمرأة ، ورفضت الحكومات السابقة في دساتيرها المختلفة وفي قوانينها الانتخابية الاعتراف بهذا الحق إيماناً منها بأضراره على المرأة وعلى المجتمع ، ولما فيه من تعريض لحرمان المرأة أن تكون موضع العبث في ميادين الانتخاب ومواكبه ، ولكن حكومة الثورة كانت أبعد نظراً وأحصف رأياً وأعمق دراسة لنفسية المرأة المصرية والمجتمع المصري ، فلم ترفض هذا الحق المزعوم ، ولكن منحتة في صورة اختيارية حتى لا يقال إنها حرمت نصف الأمة من حقوقه ، وحتى تبرز - لهؤلاء الوكلاء من غير توكيل - رغبة المرأة المصرية واضحة جلية عن طريق الاستفتاء في هذا الحق ليكون ذلك أساساً لما تقرر به بعد .

وقد ظهرت رغبة المرأة على وجه يحفظ كرامتها ويبقى على سلامة المجتمع وتقاليده الأسرة المصرية ، فبهت هؤلاء الدعاة ، وخرست ألسنتهم ، ودحضت حججهم ، وحققت الأيام حكمة رجال الثورة وصحة تقديرهم ، وأبدت المرأة رأيها في هذا الحق وهو الرفض بطريق لا يقبل الجدل والمراء .

لقد فتح باب تقييد الأسماء في الجداول الانتخابية لمن يشاء من النساء أكثر من شهر ، ونشط الدعاة لهذه الفكرة ، واستخدموا ما عرف من وسائل الدعاية ، وما خفى وما ظهر من أساليب التأثير : استخدموا الصحف والإذاعة ؛ حتى في أثناء الإذاعات العلمية والاجتماعية ، واستعملوا مكبرات الأصوات في السيارات ، وسافروا إلى القرى والنجوع وانثبوا في المعاهد والمدارس ، واستعمل بعض ناظرات المدارس سلطانهن الأدبي على التلميذات ليأمرن هذا الحق ، ومع ذلك كله ماذا كانت النتيجة ؟ . لقد كانت برداً وسلاماً على نفوس الحريصين على كرامة المرأة ، الغيورين على سلامة المجتمع وخيبة ويأساً لهؤلاء الدعاة والوكلاء . كانت النتيجة أن يرفض النساء - بما يشبه الإجماع - قيد أسمائهن في جداول الانتخاب تمهيداً لاستعمال حقهن الانتخابي ، وصدقت المرأة المصرية ظننا في حسن تقديرها لوظيفتها الطبيعية حيث يتوافر لها الجواهدي بعيداً عن مظان الريب والشكوك .

نعم - ونقولها مفأخرين : لقد برهنت المرأة المصرية على أنها رشيدة وجد رشيدة إذ رفضت أن تنزل في ميدان ليست من فرسانه ولا ضرورة لخوضه ؛ بل فيه الضرر

المحقق عليها . وإنه لموقف للمرأة جدير أن يهتئ به بعض المصريين بعضا ؛ وهو موقف له ما بعده . والآن وقد حصحص الحق وأعلنت المرأة رأيها في هذا الحق الانتخابي ؛ وهو الرضى بما يشبه الإجماع كما أسلفنا . فماذا يا ترى يكون موقف حكومة الثورة منه بعد هذا الاستفتاء ؟

ألا يسوغ لنا أن نطالب الحكومة - ونتيجة الاستفتاء في يدها أقوى سلاح - أن تلغى هذا القرار حتى لا يكون في المستقبل مصدر عبث وإزعاج ، حين تحاول بعض ذوات الدل والخال أن تذهب في حشد من المعجبين بالأناقة والجمال إلى لجان الانتخاب للدلاء بأصواتهن .

إنه يسوغ لنا ذلك . وأكبر الظن أن الحكومة ستلبى رغبتنا احتراماً لإرادة المرأة وعملاً بمبدأ من أهم مبادئ الديمقراطية . ولن يستطيع منصف أن يتوجه إليها بلام أو مؤاخذة فقد أبلجت نتيجة الاستفتاء أفواه الداعين للمرأة والمتحدثين عنها .

ولنا أخيراً كلمة هادئة نسوقها إلى أنصار المرأة نرجو أن يتدبروها بروح الإنصاف والإخلاص لا بروح التعصب الأعمى والعاطفة الهوجاء تلك هي أننا نرى أن في نيابة الرجال وانتخابهم غناء عن نيابة النساء ونوابهن وهؤلاء الرجال هم آباء النساء وأبنائهن وأزواجهن . ولا شك أن الآباء والأبناء والأزواج أحرص الناس وأغیرهم على حقوقهن ، فإذا عرضوا لشأن من شئونهن كان رائدهم في البحث والتحصيل والإقرار هو المصلحة الحقيقية لهن وللأمة بحسب اجتهادهم ، مع غض النظر عما بين الفريقين من قدرة على تبين وجه المصلحة فيما يطرح للنظر . فهلا يرون معنا ذلك الرأي أم يرون أن في المرأة عبقرية تحل ما يستعصى على الرجل حله من المشكلات ؟ ؟ !

وأخيراً نرى واجبا أن نتوجه مرة أخرى إلى المرأة المصرية بالتهنئة على هذا الموقف الجليل الذى برهن على بعد النظر وسلامة التقدير

أبو الوفا المراغى

الله جل علاه

نريد أن نثبت في هذه العجالة الزاخرة بالحقائق الحافلة بالدقائق أن وجود الله ضروري
الثبوت بدهى التعقل .

فما من ظاهرة من ظاهرات هذا الوجود إلا وهى ناطقة بأبلغ لسان وأبين عرفان
في باب البرهان بوجود مدبر يدبر هذا الوجود من أطرافه فينسقه على نظامه الذى يوافقه .
وفى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد
فعقيدة وجود الله قائمة شامخة بين القلوب والضمائر ، وبين البوادى والخواضر ، تخزى
أولئك المنكرين لوجود الله وقد نصبوا أدلتهم الواهية ، وعقائدهم الباطلة النامية على رمل
سريع الانهيار ، وبناء وشيك التحلل .

قامت نزعة مشتقة من قلوب مريضة وأفئدة واهية أطلق عليها أصحابها عنوان
« الوجودية » وهو عنوان حديث التسمية فى آفاق العلم . وقصته أن رجلا فى فرنسا
يدعى بول سارتر ، هذا الرجل فى أعقاب الحرب الثانية حض على منابذة الأديان والتحلل
من كل فضيلة وعرفان ؛ ويدخل تحت هذا المفهوم إشباع الغرائز وإنماء النحائر
وتجادل الفضائل فى شتى صورها ، وإنماء المخازى فى مختلف نزعاتها ، وجد هذا
الرجل أنصارا له فى الحى اللاتينى فى فرنسا من الفتيان والفتيات الذين هم فى سن المراهقة
والذين لا يميزون بين التمرة والحجرة ، ثم خف إلى السير فى ركابهم جماعة من المأجورين
والممرورين الذين كتب عليهم أن يقرعوا كل باب ، وأن يسيروا خلف كل ركاب ، هؤلاء
وأولئك نفثوا فى لداتهم وأشباه لداتهم هذا السم الزعاف ، فجعلوه كذبا واقتراء مذهباً
من المذاهب التى تكون العقائد وتنمى القوى والملكات بين فريق من بنى البشر .

ومن العجب العاجب أن يتسرب مذهب الوجوديين إلى الشرقيين الأدنى والأوسط
ويهيط إلى مصر والبلاد الإسلامية الأخرى فيجد له أنصارا بين الطبقات العلمية المدنية
فى الجامعات ، فيغزو عقائد الطلبة والطالبات ، ويهيمن على أخلاقهم حتى يصبحوا معولا
من معاول الإلحاد تحارب العقائد والمبادئ بين الجماعات والآحاد .

فنكر وجود الله مصاب بأفطع أنواع الجنون ، ومن الواجب حذفه من سجل الإنسانية ،

ويجب أن نتحاماها كما نتحامي المصاب بالجدام أو بمرض ذات الرئة . وقد قال تعالى تحقيرا
 لشأن هذا الصنف من الآدميين : « ولقد ذرأنا لجنهم كثيرا من الجن والإنس ، لهم قلوب
 لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم أذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام
 بل هم أضل » « وإن تدعهم إلى الهدى لا يسمعون ، وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون »
 فوجود الله ضروري عند كل عاقل ، فأنت إذا رأيت بناء شامخا على أحسن وضع وأتم نظام ،
 قد نسقت أشجاره ، ودبرت أنهاره ، وهيئت مساكنه على ما تقتضيه الحكمة وتوجيه الحاجة .
 فهل يمكنك أن تصدق أن هذا البناء بلا بان وذلك النظام بلا منظم ؟ فإذا جوزت أن
 يوجد بناء بلا بان ونظام بلا منظم ، خرجت من زمرة العقلاء ، وسقطت عن رتبة
 الخطاب والمكالمة .

لو سلك علماء الكلام مسلك القرآن في الاستدلال على الله تعالى لقربوا الطريق ،
 وهزوا القلوب بما أودع في الفطر وغرس في النفوس حتى التحقق بالبدهييات التي لا تحتاج
 إلا إلى الالتفات إليها وانتباه النفس لها .

انظر إلى قوله تعالى : « أفى الله شك فاطر السموات والأرض » أدمج سبحانه كل
 ما أطال به علماء الكلام في أسفارهم « فاطر السموات والأرض » وهو في غاية الجلاء
 ونهاية الوضوح « أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون » ويقول : « أفلا ينظرون إلى الإبل
 كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض
 كيف سطحت » ويقول : « فلينظر الإنسان مم خلق ، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين
 الصلب والترائب ، إنه على رجعه لقادر ، يوم تبلى السرائر » ويقول : « وفى أنفسكم أفلا
 تبصرون » ويقول : « أفأرأيتم ما تمنون أأتتم تخلقونه أم نحن الخالقون ، نحن قدرنا بينكم
 الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبذل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون » . « أفأرأيتم
 ما تحرثون أأتتم تزرعونه أم نحن الزارعون ، لو نشاء لجعلناه حطاما » . « أفأرأيتم الماء الذى
 تشربون ، أأتتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ، لو نشاء جعلناه أجاجا » . ويقول :
 « أمن خلق السموات والأرض ، وأنزل لكم من السماء ماء فأنبثنا به حدائق ذات
 بهجة ، ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ، ألمه مع الله ، بل هم قوم يعدلون . أمن جعل
 الأرض قرارا ، وجعل خلالها أنهارا ، وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا ،
 ألمه مع الله ، بل أكثرهم لا يعلمون » ويقول : « قل من يرزقكم من السماء والأرض ،
 أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر

الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون» «قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأني توفكون، قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق، قل الله يهدي للحق، أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع، أم لا يهدي إلا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون» ويقول في آيات أخرى تحقيرا لأولئك الذين يشككون في وجوده وتشنيعا على أولئك الزائفين الضالين المضلين: «قل أنتم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين ، وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ، ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ، فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها ، وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم .»

وهكذا شأن القرآن لا يتعسف في التعبير ولا يتفلسف في الاستدلال ، وإنما يملك النفوس ويخاطب المشاعر ويرى الذين يسمعون ويرون : « أفسح هذا أم أنتم لاتبصرون .»

وبدهى أن الاستدلال يختلف باختلاف الناس ، فمنهم من يذعن لأقل شيء لسلامة فطرته واستقامة بديته . وقد روى عن الأئمة من ذلك الشيء الكثير حتى إن بعض العارفين حين قيل له إن الإمام الرازي أقام على وجود الله ألف دليل قال لقائله : ويحكم ومتى غاب حتى يقوم البرهان على وجوده ؟ ! .

ومن الاستدلال الظريف على وجود الله قول الإمام الأعظم أبي حنيفة لمن جادله من الملحدين: «ما تقولون في رجل يقول لكم إني رأيت سفينة مشحونة بالأحمال، مليئة بالأثقال، قد احتوتها أمواج متلاطمة، ورياح هوجاء مختلفة، وهي من بينها تجرى مستوية مانحة عباب البحر غير آبهة لما اصطاح عليها من الأنواء وليس لها ملاح يجرها ولا متعهد يهدها ولا مدبر يقيها الغرق والشرق وقد فتح الموت لراكبيها بين كل موجتين قبرا . فهل يسوغ العقل البشري قيام هذا الوضع بلا موجه ولا مدبر ؟ » . قال المجادلون لأبي حنيفة : لا . هذا شيء يأباه نسق العقل وتكره مذاهب الدليل . فقال أبو حنيفة: « ياسبحان الله إذا لم يجوز في تقدير العقل أن سفينة تجرى في البحر مستوية من غير مدبر ولا مرشد ، فكيف يجوز العقل قيام هذه الدنيا على اختلاف آفاتهما وتباين خططها وسعة أطرافها وترامي أكفافها من غير صانع يصنعها ومدبر يدير شئونها » عند ذلك لزمهم الحجة وقد اتضحت لهم الحجة .

ومن الاستدلالات التي لا تحتل المسكبة فرض من الفروض افترضه الإمام أحمد بن حنبل أحد المجتهدين الأربعة حين قال لمجادله هب قلعة حصينة ملساء لافرجة فيها، ظاهرها كالفضة المذابة ، وباطنها كالذهب الإبريز ، ثم انشقت الجدران عن حيوان سميع بصير فأين مصدر هذا الحيوان ؟ لابد أن يكون له فاعل دبر أمره وأبدى سره (عنى بالقلعة البيض وبالحيوان الفرخ) .

ومنها أن هارون الرشيد سأل مالكا رضى الله عنه عن ذلك فاستدل باختلاف الأصوات وتردد النغمات ، وتفاوت اللغات . ويشير إلى ذلك قوله تعالى : « ومن آياته خلق السموات والأرض ، واختلاف ألسنتكم وألوانكم) .

وسئل اعرابي عن الدليل فقال : « البعرة تدل على البعير ، وآثار الأقدام على المسير ، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ، أفلا تدل على الصانع الحكيم العليم القدير ؟ »

وقال آخر : عرفته بنحلة فأحد طرفيها يعسل ، والآخر يلسع - والعسل مقلوب اللسع . وروى عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال في بعض خطبه :

« سبحان من بصر بشحم ، وأسمع بعظم ، وأنطق بلحم »

ومنهم من يقول بسعة رزق الغبي دون الذكي ، فانه ضيق رزقه

هذا . ويوجد كثير من الاستدلالات لا يأتي عليها العدد ولذلك قالوا : لله طرائق بعدد أنفاس الخلائق .

وخلق بنا أن نرجو فضيلة شيخ الجامع الأزهر أن ينشر على قراء هذه المجلة رسالته القيمة التي وضعها في فلسفة الأديان ونال عليها لقب الدكتوراه من إحدى جامعات فرنسا ، فهي رسالة قيمة ظفرت باعجاب أساتذة الأكاديميات في فرنسا وأثنى عليها المشتغلون بنظريات الأديان ثناء عميقا مستطابا يبعث في النفوس عوامل الشوق الى النظر إليها بعين الإجلال والإكبار ، وبمئها من جديد لتنتشر بين البيئات العلمية المدنية منها والدينية فتكون بلهما يذهب بالأوصاف ويهتدى الحائر الى خير السبل والأبواب م

عباس ط

المحامي

من ملامح الشخصية المسلمة

شخصية الإنسان مجموعة من الصفات تميزه عن غيره ، وتحدد ملامح ذاته ، وتعطيه الطابع الخاص به ؛ وللمسلم شخصية مثالية يمكن أن نجتلي مكوناتها في هدى القرآن الكريم ، وأدب السنة المطهرة ، وعمل الصالحين من سلف المؤمنين ؛ ومن هذه المكونات ما يتصل بالبدن ، ومنها ما يتصل بالعقل ، ومنها ما يتصل بالنفس والروح ؛ فالمسلم المثالى رجل صحيح البدن قوى العضل شديد المنة ، صالح بقوته وفتوته وصحته وسلامته بدنه للعمل والنضال ، والاحتمال وهدوء البال ، لأن الجسم الضعيف أو العليل أو المثوف بأفة من عوامل الهدم قد ينال تفكير صاحبه بالخلل ، وقد يدخل على نفسه بالسأم والملل وجسم المسلم بناية ربه الذى خلقه فسواه فعدله ، فى أى صورة ما شاء ركه ؛ وبناية بناها الرحمن يجب أن تسكرم وأن تحفظ وتصان .

والمسلم المثالى رجل علم ومعرفة وثقافة ، يطلب العلم من المهد إلى اللحد ، وكلما نال مزيدا من العلم أقنعه ذلك المزيد بأنه لا زال بحاجة إلى ازدياد ، لأن العلم لا نهاية له ، ولأن المرء مهما حصل من المعرفة فلن يزال محجوبا عن الكثير من العلوم والمعارف : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » .

والمسلم المثالى رجل أخلاق ، بل هو الأخلاق الكريمة تسعى على الأرض مصورة فى إنسان ؛ لأن الأخلاق الفاضلة هى دعامة الإسلام وأساس بنائه ، وأقرب المسلمين مجالس من رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام يوم القيامة أحاسنهم أخلاقا ، وهو القائل يعلم أتباعه : « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » !

وهذا التكامل الجسمى العقلى النفسى قد نلاحظه فى الهدف العام لقوله عز من قائل : « لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم » أى فى أحسن تعديل من جهة الشكل والصورة ، ومن جهة العقل والفهم ، ومن جهة الاستعداد ليكون خليفة الله تبارك وتعالى فى هذا الكون العريض . . . وخير الناس من استغل هذا التقويم المثالى الكريم ليؤتى أكله وثمرته بأفضل الوسائل وفى أنظف الميادين

ومن مقومات شخصية المسلم أنه سيد نفسه بامتلاكه زمامها ، وسيد العالم بصلاحه وإصلاحه ، وقوامته على الناس ، وشهادته على العالمين ؛ ولكنه أيضا عبد الله وحده ، وليس عبدا لسواه ، لا تذل جبهته لغير الله ، ولا تخفض هامته إلا لبارئه ومولاه ، إذ خضوع المخلوق للبارئ عز ، ورضا المسلم بالمذلة أمام سوى الله كفر ونزى : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعداؤون إن كنتم مؤمنين » « والله العزة لرسوله وللمؤمنين » وليست العزة في المسلم كبرا أو تجبرا ، فقد جعل الله مصير الكبر إلى النار « أليس في جهنم مثوى للمتكبرين » ؟ وقال رسول الله عليه صلوات الله : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر » ؛ ولكن هذه العزة إباء للضمير ، وترفع عن العيب ، ومقاومة للهوان ؛ وعمر الفاروق يقول : « يعجبني من الرجل إذا سيم خطة خسف أن يقول (لا) بملء فيه » ! . . . كما أن سيادة المسلم على العالم تقتضيه أن يكون أهلا لهذه السيادة بعلمه وفضله ، وقوته وعدالته وهدايته ، وأن يكون قدوة عليا للناس ، يحلمهم على حقه ، ولا يحملونه على باطلهم ؛ والرسول يقول في هذا : « لا يكن أحدكم إمعة ، يقول أنا مع الناس ، إن أحسن الناس أحسنت ، وإن أساءوا أسأت ؛ ولكن وطنوا أنفسكم إذا أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساءوا أن تتجنبوا إساءتهم » ! . . .

والمسلم موصول بيمين الحق عز وجل ، وهذه الصلة ترفعه عن ترابية الأرض إلى نورانية السماء ، ومن حضيض الضعف والاستكانة إلى معاقل الاعتزاز والصيانة ، وتجعله موقنا بحقه ، مستمسكا برأيه ، قويا على باطل الناس ، نفورا من أهوائهم : « فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله قد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم » ، « ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور » . . . وما دام المسلم قد وصل حبله بحبل الله ، وقد أسلم وجهه لله ، وقد استمسك بالعروة الوثقى ، وقد آمن وأحسن وعمل عملا صالحا ، فمن يكون للشيطان عليه سبيل ، بل سيراه المسلم دائما عدوا مبينا له ، فلا يقبل عليه ، ولا يميل إليه ، وسيقيم المسلم من نفسه على نفسه رقبيا وحسبيا وبصيرا ، لأنه يتذكر دائما أن ساعة ستأتى يلقي إليه فيها سجل أعماله ، ويقال له : « اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا » ، وسيجد المسلم هذا السجل دقيقا حريصا في التدوين والتسجيل ، وسيجد الجزاء ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى ، وأن إلى ربك المنتهى » ! . . .

ومن مقومات شخصية المسلم أنه رجل جماعى وليس بأنوى ، ، فهو ممن يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، وهو رجل يعطى قبل أن يأخذ ، وهو رجل قد غرس في نفسه وقلبه حب التعاون والتعاطف والتآلف ، لأن مولاه يقول له : « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » ورسوله صلى الله عليه وسلم يقول : « والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه » . . . وهو رجل ودود بشوش ، ليس بانطوائى ولا بانغزالى ، بل يخالط ويصادق ويتواد ، ومن هنا قال محمد نبي الأخلاق : المؤمن إلف مألوف ، ولاخير فيمن لا يآلف ولا يؤلف ! . . .

والمسلم صاحب الشخصية الإسلامية الصحيحة يقول « أنا » في مواطن البذل والتضحية والإيثار ؛ فحينما دعا الله محمدا صلوات الله عليه إلى أن يتمسك بالحق ، ويحمل نفسه وغيره على هذا الحق ، أمره بأن يذكر نفسه أولا ، لأن المقام مقام تبعة وجهاد وتطبيق ؛ يقول الحق عز من قائل : « قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ، وسبحان الله ، وما أنا من المشركين » . . . ورسول الإسلام عليه الصلاة والسلام يصور في الأنصار هذه الروح الإيثارية التي تجعل صاحبها ينسى نفسه في مواطن الشهوة والرغبة ، ويقدمها في مواطن النضال والبذل . فيقول لهم : « إنكم لتكثرثون عند الفزع ، وتقلون عند الطمع » وهذه صفة تجعل صاحبها في أعلى عليين من مراتب السمو الأخلاقي ، فهو يعطى ولا ينتظر الأخذ ، وهو يبذل ولا يتوقع الأجر ، وهو يكافح كفاح الجندى المجتهول الذي يريد وجه الله وحده ، والرسول يصور هذا بقوله فيما ينسب إليه : « أوصاني ربي بتسع أوصيكم بها : أوصاني بالإخلاص في السر والعلانية ، والقصد في الغنى والفقر ، والعدل في الرضا والغضب ، وأن أعطي من حرمي ، وأصل من قطعني ، وأعفو عن ظلمي ؛ وأن يكون نطقي ذكرا ، وصمتي فكرا ، ونظري عبرا » . . . وقد صور الشاعر هذه الرتبة الإيثارية الحالية من المن والأذى بقوله :

وإن الذي بيني وبين بنى أبي	وبين بنى عمي لمختلف جدا
أراهم إلى نصرى بطاء ، وإن هم	دعوني إلى نصر أتيتهم شدا
وإن يأكلوا الحى وفرت لحومهم	وإن يهدموا مجدى بنيت لهم مجدا
وإن زجروا طيرا بنحس تمرى	زجرت لهم طيرا تمر بهم سعدا
وإن ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم	وإن هم هوى غيبي هويت لهم رشدا

ولا أحمل الحقد الدفين عليهم فليس رئيس القوم من يحمل الحقد
لهم جل مالى إن تتابع لى غنى وإن قل مالى لم أكلفهم رفا!!

* * *

ومن تمام شخصية المسلم المثالى أن يتجلى فيه الثبات والاطمئنان، لأن النفس المطمئنة هى الراضية المرضية عند الله فى الدنيا والآخرة ، وثبات المسلم على دينه وخلقه ومبادئه هو عنوان إيمانه و يقينه ، وهو الذى يجعله لا يبغي عند النعمة ، ولا يتزلزل لدى المحنة . والداء العياء الذى تشكو منه المجتمعات هو ذبذبة الأخلاق واضطراب النفوس ، ولو آتى الله عبده ثباتا على ما رآه ، وصبرا على ما يلاقيه ، وثقة بالذى يرتجيه ، لوجدت مكارم الأخلاق حراسها وحماها ورجالها، ولصان الله المجتمع من مآثم الثعالب التى تتلون بطباعها وأخلاقها تلون الحرباء ، وقديما أعطانا الشاعر العربى صورة كريمة لثبات النفوس واطمئنان القلوب واستقرار الأخلاق برغم تقلب الأحداث والأيام فقال :

فان تكن الأيام فينا تبدلت ببؤسى ونعمى ، والحوادث تفعل
فأ لينت منا قناة صليبة ولا ذللتنا للتي ليس تجمل
ولكن رحلناها نفوسا كريمة تحمل ما لا يستطاع فتحمل !

ولقد صور القرآن الكريم هذا الثبات بأبلغ من ذلك حين قال : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فممن من قضى نجبه ، وممن من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا » . . ! .

وقد يكون أبو الطيب المتنبي تطلع إلى مثل هذا المعنى حين قال :

وفى الجسم نفس لا تشيب بشيئه ولو ان ما فى الوجه منه حراب
يغير منى الدهر ما شاء غيرها وأبلغ أقصى العمر وهى كعاب !

* * *

هذا جانب من ملاح الشخصية المسلمة ، ولو تابعنا بقية الملاح لأسلمنا هذا الجانب إلى جوانب ، فان شأن المسلم المثالى أن يظل دائما راقيا فى مراقى الفضل والنبل ، ومراتب السمو والعلو ، حتى يكون ربانيا ، وحتى يكون نعم الخليفة لبارئه فى هذا الوجود . . ! .

أحمد الشرباصى

المدرس بالأزهر الشريف

ثقافة المسلم

لنذكر بالفخر أيا ما مضت ، حمل المسلمون فيها مشاعل النور ، ومصابيح الحضارة ؛ ورفعوا للانسانية صروحاً عالية ، وقباباً سامقة ، يؤذن عليها بدعوة الحق والعلم ، والحكمة والمعرفة ، والثقافة الشاملة ، والمدنية المهيبة . .

ولنحىّ بالإجلال جهود علماء المسلمين الأولين ، في مكة والمدينة ، والبصرة والكوفة ، والفسطاط والقاهرة ، ودمشق وبغداد ، وقرطبة وغرناطة والقيروان ، وبخارى وسمرقند وجرجان وسواها من عواصم الإسلام الكبرى ، التي قامت فيها الجامعات الإسلامية ، ومن بينها الأزهر جامعة الإسلام الكبرى ، ومعهد العتيق ، ذو التاريخ الحافل ، والجهاد العلمى الطويل المتصل ، خلال عشرة قرون أو تزيد .

وهل ننسى محمد بن موسى الخوارزمي واضع علم الجبر ، والحسن بن الهيثم مبتكر نظريات علم الضوء ، وابن النفيس مؤلف رسالته فى الدورة الدموية ، وجابر بن حيان صاحب المؤلفات فى علم الكيمياء ، والفارابى وابن سينا وابن رشد والغزالى وسواهم من العلماء والمفكرين المسلمين ، الذين كانوا يبحثون ويدرسون ويدونون ، ويقيمون الصناعات ، ويخترعون الآلات ، ويرقبون حركات الكواكب فى أفلاكها ، وقيسون محيط الكرة الأرضية بالأجهزة الدقيقة ، وينشرون الثقافة بين الناس ؟

وكيف ننسى وديننا دين العلم والثقافة ، والداعى إلى تقديس الحكمة والاستنارة بها ، وكتابه الحكيم ذخيرة من الهداية والمعرفة ، والإسلام رسالة عالمية تضمها القرآن الكريم ، وإن الإنسان ليقف مشدوهاً أمام العظمة الفكرية التى تجلّى فيها الإسلام على محمد عليه الصلاة والسلام ، وما بالك بدين يعز العلم ، ويرفع شأن العلماء ، ويعدهم المصابيح الهداية للانسانية ، ويجعل قداسة العلم مضارعة لقداسة العبادة ، لأنه يعتبر العلم فى ذاته من أسمى العبادات ، وحسبك أن القرآن الكريم دائم التذكير بالعقل والتدبر والتفكير ، وقد ذكر العقل باسمه وأفعاله زهاء خمسين مرة ، وذكر العلم فى مواضع من آياته تناهز المائة ، وذكر مشتقاته أضعاف ذلك ،

وجاء فيه ذكر فيه أولى الأبواب أى العقول بضع عشرة مرة ، وذكر فيه أولو النهى أى العقول فى آخر سورة طه ، وجاء فيه ذكر الحكمة مرات كثيرة ، وهى بمعنى التفكير الرفيع ، والفلسفة العملية : كعلم النفس والأخلاق ؛ وأسرار الخلق ، وسنن الاجتماع ، وفلسفة التاريخ .

والعلم فى القرآن يشمل علوم الدين والدنيا فى شتى أنواعها وفروعها ؛ وهذا العلم هو ثقافة المسلم خلال الأجيال ؛ وهو واجب على المسلمين كافة ، كما يعبر عن ذلك الحديث النبوى الشريف « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وبلغ من إعزاز شأن العلماء فى الإسلام أن جعلهم الرسول صلوات الله عليه وسلامه ورثة الأنبياء ، وجعلهم فى الذروة من طبقات الأمة ، فقال : « خيار أمتى علماءؤها وخيار علمائها فقهاؤها » ، يريد أن أفضل الناس هم العلماء ، وأفضل العلماء هم المتخصصون فى شتى الدراسات ، سواء منها الدينية والدنيوية . ولقد قدم محمد الرسول الأسمى للعالم مثالية قوامها العلم والفلسفة العملية ، وهذه المثالية العلمية هى التى أثلت للحضارة الإسلامية مجدها التليد المرموق ، وقد جرى هذا فى وقت لم يكن للعلم الواقعى فيه شأن مذكور فى حياة البشر ، بل كان الشأن للأساطير والأوهام . ثم نادى بصلاحية الإسلام لكل زمان ومكان ، وبأن المستقبل له ، وبهذا تقدم الرسول بمعجزة أخرى لم تدر كها أفهام الناس من قبل ، ووضع الأساس لديانة تقدمية صادقة ، تحترم العلم والعقل ، وتوجه الإنسان الى تفسير الوجود والحياة على ضوءها ، ولم يحصر رسالته فى قومه ، بل ارتفعت شخصيته فوق حدود البيئة والمكان والزمان ؛ وهذه العظمة الذهنية هى إحدى معجزاته العظيمة ، ولم تكن الحضارة الإسلامية العالمية الشاملة إلا نتيجة من نتائج الفلسفة الإسلامية العملية ، وليس المنهج العلمى التجريبي الذى يعتمد على المشاهدة والتجربة والتمحيص وامتحان المقدمات من وضع يكون فى كتابه « الأداة الجديدة » الذى ألفه عام ١٦٢٠ ميلادية ، بل إن القرآن الكريم هو الذى وضع قبل ذلك التاريخ بألف عام أساس هذا المنهج العلمى ، بما حوت آياته من دعوة إلى التأمل والنظر والتفكير ، وترك الأوهام والتقليد . وهذا المنهج القرآنى الرفيع يجب أن ترتكز عليه ثقافة المسلم اليوم ، حتى يفكر بالعقلية العلمية ، فيواجه الحقائق ، ويعنى بالجوهر دون العرض ، ويطلب اللب دون القشور .

وفرض العلم وجعله إلزاما على كل مسلم هو الذى ساعد على انتشار الروح العلمى بين

المسلمين في الأمس البعيد ، وما أحوجنا اليوم إلى هذا كله لنستعيد مجدنا العلمي الغابر ، ونسترد شخصيتنا الإسلامية ، التي تعد الثقافة العلمية أولى مميزاتها الأصيلة .

لقد كان من أخص صفات المسلم في القديم الحرص على التزود بقسط من الثقافة ، وطلب العلم من المهد إلى اللحد، والرحلة من أجله، والهجرة في سبيله؛ والإقبال على القراءة، وعلى تكوين مكتبة متخيرة في كل منزل ، وحث الأبناء على الإقبال على العلم ، وكان من الشعائر كذلك : بذل الأموال الطائلة في سبيل تشجيع البحث والثقافة ، وإعزاز شأن العلماء حتى لقد كان الناس ينصرفون عن مواكب الرشيد في عنفوان خلافته ليسيروا في مواكب العلماء ، وكان العلم نورا يضيء لا نارا تحرق ، فلم يتخذوه وسيلة للفساد ولا للتجارة والمنصب ، حتى لقد أريد أبو حنيفة على تولى منصب القضاء فأبى ذلك إباء شديدا ، وكذلك فعل غيره من أعلام الفقهاء .

وظل المسلمون يحرصون على الثقافة حرصا ظاهرا ، والترات العلمية والفكرى في نضوج مستمر؛ حتى كانت الأحداث التي توالى على المسلمين ، فبددت هذا التراث العلمي الخالد ، وأشاعت الجهل في العالم الإسلامي ؛ وفي مقدمة هذه الأحداث : تخريب العبيديين (الفاطميين) وإحراقهم في آخر دولتهم لمدينة الفسطاط عام ٥٦٤ هـ ، بما فيها من مساجد ومدارس وجامعات ومكتبات وكتب تعد بالملايين ، ثم تخريب التتار لبغداد مركز الحضارة الرفيع في العالم الإسلامي عام ٦٥٦ هـ ، ثم سقوط الأندلس في أيدي الأسبان الجهلة المدمرين عام ٨٩٧ هـ وافناء علمائها ومكتباتها وجامعاتها العتيدة .

وكان الملوك في العالم الإسلامي يحمون الجهل لتظل الشعوب مسخرة لطغيانهم .

واليوم الذي فقد المسلمون فيه الزعامة العلمية والفكرية في العالم هو اليوم الذي فقدوا فيه نفوذهم الدولي ، ومكانتهم الرفيعة بين الشعوب . وجاءت أوروبا فوضعت يدها على تراث المسلمين العلمي والفكرى والحضارى ، واغتصبتها لنفسها ، بعد أن كانت قد ترجمت علوم المسلمين ومعارفهم وفلسفاتهم في القرن الثانى عشر والثالث عشر الميلادى .

إذا أرادت الشعوب الإسلامية اليوم أن تنهض من جديد ، وأن تتبوأ مكانها المرموق بين الأمم ، فعليها أن تحارب الجهل ، وأن تسرف كل الإسراف في نشر التعليم ،

وإقامة المدارس ، وبناء الجامعات ، وفتح الأندية الثقافية ، والمكتبات العامة ، وتشجيع الكتاب العربى ورعايته ، كما تشجع انجلترا مثلا الكتاب الإنجليزى وتتخذة أداة للدعاية لها فى كل مكان فى العالم .

يجب أن تنخفض هذه النسب المرفوعة للامة فى العالم الإسلامى كله ، وأن لا يكون العلم فى مدارسنا معناه القراءة والكتابة فحسب ، بل يجب أن يكون التعليم الثانوى فرضا واجبا على كل مسلم فى كل مكان من العالم الإسلامى .

إننا لتألم حين نرى المجتمع الإسلامى لا يقدر العلم والعلماء ، ولا يحرص على القراءة والاستفادة ، وحين نرى العلماء يخلدون إلى الراحة ، والجامعات تهتم بالمظاهر لا بالحقائق والعصبيات الثقافية يهدم بعضها البعض الآخر ، والصحف والمجلات تصبح مصادر لثقافة الشعب ، ونأسف حين نرى المادية الجاحمة تصد الشباب عن العلم ، والطلاب يجعلون هدفهم النجاح فى الامتحان لا العلم فى حد ذاته .

ونطالب بالاهتمام بالثقافة الإسلامية والتعليم الدينى ، وتقريرهما فى المناهج الدراسية الحديثة ، بحيث تصبح المناهج شاملة لشتى الثقافات الإسلامية والعربية القديمة والحديثة .

ونطالب بالغاء قيود التعليم كافة فى جميع المدارس فى البلاد الإسلامية ، حتى يصبح العلم متاحا للجميع دون استثناء ، فليس للتعليم فى الإسلام قيود ولا لوائح ولا قوانين تصد عنه .

ويجب الإكثار من مدارس التعليم للكبار ، فالعلم حق للجميع ، الكبار والصغار جميعا فيه سواء .

إن المسلم الذى يجب أن يعيش عزيزا فى وطنه ، كريما على الناس ، هو الذى يحرص على الثقافة ، ويتزود بأكبر قسط من المعرفة والعلم ، ليرفع من مستواه المادى والأدبى ، وليتحرر من الجهل والفقر والمرض ، وليكون العلم وسيلته لنشر السعادة والرفاهية والخير والأمن والسلام بين الناس .

محمد عبد المنعم خفاجى

آداب الغريب

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال : « كن في الدنيا كأنك غريب ، أو عابر سبيل » . رواه البخارى وغيره ؛ وزاد ابن ماجه « وعدّ نفسك من أهل القبور » .

تقديم : المنكب بفتح الميم وكسر الكاف مجمع العضد والكتف ، وأو فى الحديث ليست للشك من الراوى بل هى للتنويع ، قيل لأن العبور لا يستلزم الغربة ، فهو من عطف العام على الخاص ، ولكنّ المقام يعين هنا أنه عبور الغريب . فالأحسن فى الجواب أن الغريب من حيث هو غريب غيره من حيث هو عابر سبيل فيتأتى التنويع .

المعنى :

إنه لما يزال يدوى فى آفاق الدنيا ، وأسماع الزمان ، هذا النبأ العظيم ، والخطب الجسيم الذى وقع بالإنسانية فأشقاها ، ونزل بها فأصابها وأصمها [١] حين أنزلها الله من دار رحمته ، ومنزلة كرامته ، إلى دار الفناء والشقاء ومنزلة البلاء والعناء ، بمعصية آدم وحواء . ولا يزال المؤمنون الصادقون ممن حفظ الله عليهم فطرهم ومشاعرهم ، وسلم لهم أذاوقهم ومداركهم يجدون مفارقة عجيبة بين أحاديث نفوسهم ومطامحها وبين متاع هذه الحياة الدنيا وزينتها ؛ ويستشعرون بونا بعيدا ، وفرقا شديدا بين مآربهم وآمالهم وبين ما يأخذون به منها . وهو من الأدلة التى أقامها الله فى قرارات النفوس ، وسويداوات القلوب ، لتبصرة الإنسان بحقيقة أمره ، وتذكيره بأنه نازل فى أرض غير أرضه ، ومنزل غير منزله ، وعيش غير عيشه ، ليكون ذلك داعية له إلى أن يشاق إلى وطنه وأهله ، ويسعى إلى حياته وعيشه ، ويلتمس السبيل إلى الخلاص من غربته ووحشته ، والخروج من عنائه وشقوته ، فيستهدى الهادين ، ويتبع السالكين ، ويطيع الرائدین ،

[١] من أصح الراى الصيد ، إذا رماه فأثخنه .

ويستقيم على طريق الدعاة الى الله رب العالمين ؛ وليكون ذلك حافظا له على اتخاذ الأهبة ، وإعداد العدة ، وأصطحاب الزاد ، وارتقاب المعاد .

وفي هذا وردت هذه الوصية السكرية ممن هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وأرحم بهم من آبائهم وأمهاتهم ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، لعبد الله بن عمر رضى الله عنهما ولمن بلغته من المؤمنين ، أن يتشبه في هذه الحياة الدنيا بالغريب في خلاله وأحواله ؛ وفي شمائله وخصاله : من رقة القلب ، وغزارة الدمع ، وقسوة اللهو ، والحنين إلى الوطن ، والاستياق إلى الأهل ، والخوف من الانقطاع ، والسعى إلى اللقاء والاجتماع ، وأن يتشبه بعابر السبيل إلى وطنه وأهله : في أن يكون مصمم العزم ، دائم السعى ، خفيف الأحمال ، قليل الأثقال ، لا يحميد في سبيله إلى يمين ولا إلى شمال ، ولا يطمئن من حالاته إلى حال ، ولا يقعد به شيء عن اقتحام العقبات وتجشم الأهوال ؛ وأن يتشبه في هذه الدنيا بأهل القبور ، فيطرح الفرح والمرح ، والبطر والأشر ، والفخر والخيلاء ، والتعالى والكبرياء ، ويباعد بين نفسه وبين الغرور ، وينزهها عن الآثام والشرور ، فانه مرتين بعمله مأخوذ بذنبه ، كما أن أهل القبور بيدالبى مرتنون ، وعن الغرور والخيلاء نا كبون ، وعن البطش والأذى عاجزون .

وقد بين الله ورسوله لهذه الأمة صراط الله المستقيم ، وطريقه القويم ، ولم يدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا على الحنيفية السمحة ، والمحجة الواضحة ، والطريقة البيضاء الناصعة التي ليائها كنهارها ، حتى لا تتفرق بهم السبل ، كما تفرقت بالضالين الحائر ، والغلاة والمبتدعين ، ولا تنقطع بهم الأسباب كما تقطعت بالمغرورين الغافلين ، والمقصرين المفرطين ، والوانين المتواكلين . « ليملك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة وإن الله لسميع عليم » ؛ وهو سبيل واحد لا يشته على الناظرين ، ولا يلتبس على المستبصرين . وفى ذلك يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله - : والطريق إلى الله فى الحقيقة واحد لا تعدد فيه ، وهو صراطه المستقيم الذى نصبه موصلا لمن سلكه إلى الله . قال الله تعالى : « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » فوجد سبيله لأنه فى نفسه واحد لا تعدد فيه ، وجمع السبل المخالفة لأنها كثيرة متعددة ، كما ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم خط خطا ثم قال : « هذا سبيل الله » ثم خط خطوطا عن يمينه وعن يساره ثم قال : « هذه سبل على كل سبيل منها

شيطان يدعو إليه ثم قرأ الآية» ؛ ولا يشكل على ذلك جمع هذا السبيل في قوله تعالى : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهـدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام » وقوله : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلنا » لأن المراد بهذه السبيل هى شعب الإيمان وطرائقه التى ينتظمها سبيل الله وتتخذى فيه كالصلاة والصيام والزكاة والبر والصلة وغيرها ، كالذى كتب به عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى عدى بن عدى « ان للآيمان فرائض وشرائع وحدودا وسننا ، فمن استكملها استكمل الإيمان ، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان . فان أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها ، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص » وهو مما صدر به البخارى رحمه الله كتاب الإيمان .

وكما كان من الحق على عابر السبيل أن يتخفف ما استطاع من الأحمال والأثقال فكذلك من الحق على سالك سبيل الله أن يتخفف ما استطاع من التبعات والأوزار وأن يفرغ قوته وجهده لجل ما ينفعه من الزاد إلى يوم المعاد وفى ذلك يقول النبى صلى الله عليه وسلم : « إنما يكفى أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب » ويدخل عليه عمر رضى الله عنه وهو على حصير قد أثر في جنبه فيقول : يا رسول الله لو اتخذت فراشا أوثر من هذا ؟ فيقول له صلى الله عليه وسلم : « مالى وللدنيا ، وما للدنيا ومالى . والذى نفسى بيده ما مثلى ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها » وعن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه « إن خليلي عهد لى أن دون جسر جهنم طريقا ذا دحض [١] ومزلة [٢] وأنا أن نأتى عليه وفى أحمالنا اقتدار أخرى أن ننجو من أن نأتى عليه ونحن مواقير [٣] » وعن أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن أمامكم عقبة كئودا [٤] لا يجوزها المثقلون » ومن الحق على هذا الغريب أن لا يكون وهو لا يدرى ما ينتهى إليه أمره : من اللقاء أو الفراق ، والعودة أو الانقطاع من الفرحين المسرورين فقد حكى الله سبحانه من مقالة قوم قارون له « لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين » وجعل السرور من موجبات الشور وعذاب السعير إذ يقول : « وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا إنه كان فى أهله مسرورا إنه ظن أن لن يحور » (٥) كما جعل ضد ذلك من إشفاق الإنسان وقلقه وخوفه وهو مقيم بين أهله من أسباب النجاة من عذاب السموم : إذ يقول حكاية عن هؤلاء المشفقين حين يتنجون فى يوم الدين

(١) أى يزلق من عليه (٢) عطف تفسير (٣) جمع موقور من وقره إذا أثقله .

(٤) صعبة . (٥) يرجع .

« إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم إنا كنا من قبل ندعوه فإنه هو البر الرحيم » .

وعليه أن لا يكون من الغالين المشددين حتى لا يتطرق إليه العجز والملل فيكون من المنقطعين ، ففي الحديث : « إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة » ومعناه كما قال النووي رحمه الله : استعينوا على طاعة الله عز وجل بالأعمال في وقت نشاطكم ، وفراغ قلوبكم بحيث تستلذون بالعبادة ولا تسأمون وتبلغون مقصودكم كما أن المسافر الحاذق يسير في هذه الأوقات ويستريح هو ودابته في غيرها فيصل إلى المقصود بغير تعب . وعن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « عليكم بما تطيقون . فوالله لا يمل الله حتى تملوا ، وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه » وفي رواية لها أخرى : « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل » ؛ وعليه أن يكون على بينة من أمره ، وبصيرة في دينه ، فإن الدين ليس بالرأى ولكنه اتباع وامتنال ، ولا سبيل للوصول إلى الله إلا بما جاء به رسول الله . والله سبحانه وتعالى يقول : « قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين » وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » وفي رواية : « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » أي مردود عليه ، ومن هنا شدد ابن القيم رحمه الله [١] النكير على أهل الجهل بالسنة من المتصوفين السالكين على غير طريق العلم بل على طريق الذوق والوجد والعادة إذ يقول : يرى أحدهم أعمى عن مطلوبه لا يدرى من يعبد ، ولا بماذا يعبد ، فتارة يعبد بدوقه ووجده ، وتارة يعبد بعادة قومه وأصحابه : من لبس معين ، أو كشف رأس ، أو حلق لحية ونحوها ، وتارة يعبد بالأوضاع التي وضعها بعض المتحذلقين ، وليس لها أصل في الدين ، وتارة يعبد بما تحبه نفسه وتهواه كائن ما كان ، وهنا طرق ومتاهات لا يحصيها إلا رب العباد .

وقد وفي هذا الإمام قبيل ذلك بيان ما يحتاج إليه السائر إلى الله والدار الآخرة فقال : « السائر إلى الله والدار الآخرة بل كل سائر إلى مقصد لا يتم سيره ولا يصل إلى مقصوده إلا بقوتين : قوة علمية ، وقوة عملية . فبالقوة العلمية يبصر منازل الطريق ومواقع السلوك ، فيقصدها سائرا فيها ، ويجتنب أسباب الهلاك ، ومواقع العطب ،

(١) في كتابه : طريق الهجرتين ، وباب السعادتين .

وطرق المهالك المنحرفة عن الطريق الموصل . وبالقوة العملية يسير ، بل السير حقيقة هو القوة العملية ، فان السير هو عمل المسافر ، وكذلك السائر إلى ربه إذا أبصر الطريق وأعلامها ، وأبصر المعائر [١] والوهاد والطرق الناكبة عنها فقد حصل له شطر السعادة والفلاح ، وبقي عليه الشطر الآخر وهو أن يضع عصاه على عاتقه ويشمر مسافرا في الطريق قاطعا منازلها منزلة بعد منزلة . فكلما قطع مرحلة استعد لقطع الأخرى ، واستشعر القرب من المنزل ، فهان عليه مشقة السفر ، وكلما سكنت نفسه من كلال السهر ومواصلة الشد والرحيل ، وعدها قرب التلاقي ، وبرد العيش والوصول . فيحدث لها ذلك نشاطا وفرحا وهمة . فهو يقول : يا نفس أبشري فقد قرب المنزل ، ودنا التلاقي ، فلا تنقطعى في الطريق دون الوصول ، فيحال بينك وبين منازل الأحبة فان صبرت وواصلت المسرى وصلت حميدة مسرورة جذلة ، وتلقتك الأحبة بأنواع التحف والكرامات ، وليس بينك وبين ذلك إلا صبر ساعة ، فان الدنيا كلها كساعة من ساعات الآخرة ، وعمرك درجة من درج تلك الساعة . فالله لا تنقطعى في المفازة ، فهو والله الهلاك والعطب لو كنت تعلمين .

أما بعد - فان أمامك أيها المنقطع الغريب وإن طال بك المقام ، وأيها المنفرد الوحيد وإن حف بك الأهل والأحباب والخدام ، أهلا أحن إليك من أهلك ، وأحبة أشد شوقا إليك وتعلقا بك من أحببتك ، لا تصرفهم عن ذكراك الأحداث والأغيار ، ولا يذهب بشوقهم إليك اختلاف الليل والنهار ، وإن أمامك من يغار عليك من إساءة أحب الناس في هذه الدنيا إليك وأعطفهم عليك . فعن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تؤذى امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجة من الحور العين : لا تؤذيه قاتلك الله فانما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا » رواه الترمذى وحسنه ، وستعلم إن قدر لك الوصول ورأيت الأهل والمنازل أنه لا عيش إلا عيش الآخرة كما ورد عن رسول الله ، وأن هذه الحياة الدنيا ماهى إلا هو ولعب وأن الدار الآخرة هى الحيوان كما وصفها الله ، وسترى إن خلصت من حبال هذه الدار ، ونزلت سالما في دار القرار أنك لست إلا آيبا من دار الوحشة والاعتراب إلى دار الأُنس والاقتراب ، وأنت أعرف بما أعد الله لك مما كنت تشاهد وتبصر في هذه الدار ، فعن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى : « والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضلل أعمالهم سيديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عتقها لهم » هم أعرف

بمنازلهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم ، ونحوه عن محمد بن كعب ، وعن مجاهد : يهتدى أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم لا يخطئون كأنهم ساكنوها منذ خلقوا لا يستدلون عليها أحدا ، وقال ابن القيم رحمه الله في كتابه « حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح » بعد أن ساق هذه الأقوال : هذا قول جمهور المفسرين . وتلخيص أقوالهم ما قاله أبو عبيدة : عرّفها لهم أى بينها لهم حتى عرفوها من غير استدلال ، ومصداق ذلك من السنة ما رواه البخارى فى صحيحه بسنده إلى أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا خلاص المؤمنون من النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار يتقاضون مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم بدخول الجنة ، والذى نفسى بيده إن أحدهم بمنزله فى الجنة أدل منه بمسكنه كان فى الدنيا » وفى مسند آخر من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذى بعثنى بالحق ما أنتم فى الدنيا بأعرف بأحوالكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنة » .

ولقد وصف القرآن الكريم هذه المنازل الطيبة والأهل الحسان والعيش الرغيد وصفا يهز المشاعر ، ويحتذب القلوب ، ويرتفع بمطامح النفوس ؛ وهو على ذلك إنما يدركه المدركون ويعقله السامعون على نوع من المقاربة والمناسبة بينه وبين ما يعرفون ، أما حقائقه كلها على ما أودعه الله فيها من جميل صنعه وعظيم إبداعه فما تقصر عنه مدارك العارفين ، وتتخسر دونه أوهام العالمين ، ونحو من هذا قال ابن عباس رضى الله عنهما ومقاتل ابن سليمان رحمه الله ، وإلى ذلك يشير قول الله سبحانه وتعالى : « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » ، وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله عز وجل : أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . مصداق ذلك فى كتاب الله « فلا تعلم نفس » الآية . ونحوه فى صحيح مسلم من حديث سهل بن سعد الساعدى ، وفى معجم الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما خلق الله جنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ثم قال لها : تكلمى . فقالت « قد أفلح المؤمنون » ؛ وفى صحيح البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لغدوة فى سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها ، ولقاب [١] قوس أحدكم أو موضع قدمه - يعنى سوطه -

من الجنة خير من الدنيا وما فيها ، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة الى الأرض
لملأت ما بينهما ريحا ١٠ ، ولأضاءت ما بينهما ، ولنصيفها ٢٠ ، على رأسها خير من الدنيا
وما فيها .

فيا عجبا لك أيها المغرور بخادع السراب عن منازل الأحباب ، المسحور عن العيش
الهنئ بما يغصّ من الطعام والشراب ، كيف تنصح فلا تنصح ، وتزجر فلا تزجر ،
وتذكر فلا تذكر ، وتدعى فلا تجيب ، وترقق فلا ترق ، وتخوف فلا تلين ، ويناح لك
فلا تبكي ، وتشوق فلا تشاق ! ؟ وليتك أيها المحروم المغبون إذ حرمت نفسك الروح
والريحان في جوار الرحيم الرحمن خرجت من الدنيا كفافا لا إلى العذاب ولا إلى النعيم ،
ولم يلق بك في قعر الجحيم .

ولو أنا إذا متنا تركنا لكان الموت راحة كل حي

ولسكا إذا متنا بعثنا ونسأل بعد ذا عن كل شيء

نعم إنه والله هو النبا العظيم والخطاب الجسيم « أخسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا
لا ترجعون » . « وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم
لا يظلمون » . « يوم تجرد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تودّ لو أن
بينها وبينه أمدا بعيدا » . « يا حسرة على العباد ما يأتهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون »
« وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » ؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

محمود فرج العقدة

المدرس بكلية اللغة العربية

معجزة نبوية

توشك أن تتحقق

منذ ثمانية عشر عاماً كتبت في مجلة (الفتح) الغراء ، التي كان يصدرها أنى العلامة المحقق السيد محب الدين الخطيب صاحبها (ورئيس التحرير لمجلة الأزهر الآن) .

كتبت ذلك المقال في ٢٩ شوال سنة ١٣٥٨ ، ونشر في العدد الصادر يوم الخميس ٣ ذى القعدة سنة ١٣٥٨ عن (معجزة نبوية توشك أن تكون) . وقد رأيت في هذا العام سنة ١٣٧٥ (في شهر شعبان الماضي) أمانة أخرى تؤكد تحقق هذه المعجزة .

فرأيت أن من الواجب إعادة نشر ذلك المقال إثباتاً تاريخياً لما توقعته من تحقق هذه المعجزة النبوية الباهرة ، ثم التعقيب عليه بما رأيت في هذا العام . وهاك نص المقال الأول :

قرأت ما نشره (الفتح) في عدده الصادر يوم ٥ شوال سنة ١٣٥٨ عن النجاح الذي كتبه الله لحكومة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود باستنباط منابع الماء العذب التي استخرجت بالمضخات الارتوازية في منطقة (الخرج) من أعمال (الحسا (١)) ثم جلبت إليها المحارث البخارية وعملت الأيدي في إدارتها حتى تسنى إصلاح آلاف الأفدنة فيها وزينت بغرس أنواع النخيل وأصناف الفواكه وزرع الحبوب .

ثم قرأت ما نشره في عدده الصادر يوم ١٢ شوال (ونشرت الأهرام بعد ذلك مثله يوم الأربعاء ١٨ شوال) عن قيام حكومة جلالة الملك ابن سعود بتجارب في مختلف جهات المملكة العربية السعودية لاستنباط المياه من الآبار الارتوازية توطئة لتعميم

(١) الصواب أن «الخرج» من أعمال الرياض . وأما «الحسا» فصوابها «الأحساء» وهي منطقة شرقي الرياض بعيدة منها .

الزراعة وانهاض البلاد اقتصاديا . وقد أجريت الحفريات في (الدمام) من أعمال الحسا في شهر شعبان الماضي فظهرت المياه بقوة اثنين وعشرين ألف برميل في اليوم ، باتساع ثمانى صفاًخ للبرميل الواحد ، وأن الضغط يرفع الماء إلى عشرين قدماً فوق سطح الأرض ، وأن حفريات أخرى أجريت في بداية شهر رمضان في (الجبيل) فظهر الماء قويا وبغاية العذوبة ، وأجريت حفريات أخرى في (القطيف) فظهر الماء إلى علو ثلاثين قدماً فوق سطح الأرض .

قرأت هذا الخبر فذكرت بشرى محمدية عظيمة ، في حديث صحيح ، قد لا يعرفه إلا القليل من الناس ، ولم أكن أظن أنها قريبة التحقيق والوجود في عصرنا .

فقد روى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (برقم ٨٨١٩ ج ٢ ص ٣٧٠ - ٣٧١) قال : حدثنا محمد بن الصباح ، قال : حدثنا إسماعيل يعني ابن زكريا ، عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً ، وحتى يسير الراكب بين العراق ومكة لا يخاف إلا ضلال الطريق ، وحتى يكثر الهرج . قالوا : وما الهرج يا رسول الله ؟ قال : القتل . »

وهذا إسناد صحيح جداً ، على شرط الشيخين : البخارى ومسلم . ونقله الحافظ الهيثمى في مجمع الزوائد (ج ٧ ص ٢٣١) ونسبه لمسند أحمد وقال : « رجاله رجال الصحيح » .

وروى الحاكم أبو عبد الله في المستدرک (ج ٤ ص ٤٧٧) الشطر الأول منه بإسناد آخر من طريق سفيان عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ، وصححه على شرط مسلم ، ووافقه الحافظ الذهبي ، وهو كما قالوا .

وقد بدأت هذه المعجزة أن تكون ، فان استنباط المياه من أرض الجزيرة إذا سار سيرته أعادها مروجاً وأنهاراً ، كما بشر بذلك رسول الله ، لما في تكاثر المياه والأشجار وأنواع النبات من أثر في مناخ البلاد ، وازدياد الأمطار إلى غير ذلك مما هو معروف مشاهد .

وهذا الحديث لم يظهر أثر لتحقيقه قبل هذه الأيام ، وهو معجزة قطعية لا يعتمدها الشك ولا الريبة ، ولا يستطيع الملحدون ولا المبشرون أن يدعوا أن هذا الحديث اخترعه العلماء والمحدثون في هذا العصر ، وهو في كتب قديمة ، أصولها المخطوطة حاضرة

ثابتة التاريخ . بل إن مسند أحمد مطبوع سنة ١٣١٣ أى منذ ٤٥ سنة ؛ قبل أن نرى أمانة من أمارات تحقق هذه المعجزة النبوية ؛ وهو قبل ذلك مخطوط مقروء ؛ موجود بين أيدي علماء الحديث من عصر الإمام رضى الله عنه ؛ منذ أكثر من ألف سنة . وهذا مجمع الزوائد للحافظ الهيثمى مخطوط محفوظ بدار الكتب المصرية ؛ وتاريخ كتابه النسخة ٢٩ ربيع الآخر سنة ٨٠٧ أى منذ أكثر من ٥٥٠ سنة .

وها أنا ذا أسجل هذه البشرى وبدء تحقق المعجزة قبل وقوعها فعلا فى مجلة « الفتح » فى شهر شوال من سنة ١٣٥٨ حتى يوقن من يعيش منا من قرائها أو من يأتى بعدنا من أبنائنا من صحة هذه المعجزة النبوية ؛ بالإثبات التاريخى الذى لا يستطيع أعداء الإسلام أن يجادلوا فيه .

وإنما أطلت فى بيان هذا - وهو بديهى كضوء النهار - لما أرى من تلاعب المستشرقين - ومن وراءهم المبشرون - باثارتهم الشكوك والريب حول تاريخ الإسلام وحول الأحاديث الصحيحة التى ثبتت بأدق طرق وصل إليها البشر فى التوثيق من صحة النقل وأداء الأمانة .

ثم يقلدهم أبناء المسلمين ممن اختلس أعداؤنا عقولهم وعواطفهم وأهواءهم فركبوا رؤسهم يشكون فى كل شئ يأتى به الإسلام ويخدعون عن دينهم وعن مقومات مجدهم وعزهم ، حتى أن منهم من لا يستحى أن ينكر كل معجزات محمد صلى الله عليه وسلم - عدا القرآن - ويصرح بأنه لم يؤت معجزة مادية قط مما يعرفه المسلمون وغيرهم بالتواتر الذى لا يسمو إليه الريب . ثم هم يقرون للأنباء السابقين - موسى وعيسى وغيرهما صلوات الله عليهم - بالمعجزات التى رويت لهم تحبياً إلى أساتذتهم من اليهود والنصارى وتملقاً !!

وإن فى تحقق هذه البشرى النبوية لتصديقا لعلماء السنة فيما بذلوا من جهد ونصيحة إذ نقدوا ما ورد إليهم من الروايات على محك القواعد الدقيقة التى اختاروها لمعرفة صحيحها من زيفها حتى نفوا عن السنة النبوية كل ما حاول المبطلون أن يلصقوه بها فلم يتركوا بعدهم فى ذلك مقالا لقائل ولا مجالا لصاحب هوى يريد أن ينصر هواه بانكار الصحيح وتصحيح الباطل .

وقد عقب أنى العلامة السيد محب الدين الخطيب على مقالى فى العدد نفسه ، بتعليق تاريخى نفيس . ثم زاد هذا البحث التاريخى إيضاحا وتثبيتا - بعد خمس سنوات تقريبا - بمقال نفيس نشره فى العدد الصادر من مجلة (الفتح) الغراء فى شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٦٣

وأنا أرى وجوب إعادة نشر المقالين الآن فى مجلة (الأزهر) . وأرجو من الأخ السيد المحب أن يحقق لنا هذه الأمنية .

* * *

والذى أريد أن أزيده بعد مقالى السابق : أن البشرى النبوية المعجزة ، بعودة (أرض جزيرة العرب مروجا وأنهارا) - رواها أيضا مسلم فى صحيحه ، ضمن حديث آخر لأبى هريرة (صحيح مسلم ج ١ ص ٢٧٧ من طبعة بولاق سنة ١٢٩٠ هجرية) ، أى قبل طبع مسند الإمام أحمد الطبعة الأولى بثلاث وعشرين سنة . وصحيح مسلم هو أحد الكتب الستة الثابتة ثبوت التواتر عن مؤلفيها ، وهو أحد (الصحيحين) اللذين نرى - كما يرى كثير من أئمة الحديث وحفاظه - أن أحاديثهما قطعية الثبوت ، عن أدلة ليس هذا موضع تفصيلها .

فروى مسلم فى صحيحه ، عن قتيبة بن سعيد ، عن يعقوب بن عبد الرحمن القارى ، عن سهيل بن أبى صالح ، عن أبيه ، عن أبى هريرة : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض ، حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحدا يقبلها منه ، وحتى تعود أرض العرب مروجا وأنهارا » .

وهذا الحديث رواه أيضا الإمام أحمد فى مسنده (رقم : ٩٣٨٤ بتحقيقنا ، ج ٢ ص ٤١٧ من طبعة الحلبي سنة ١٣١٣ هجرية) - رواه عن قتيبة بن سعيد ، بالإسناد الذى رواه به مسلم . وهو إسناد كالشمس ، لا يشك فى صحته أحد يفقه الأسانيد الصحاح وثبوتها .

وقد أتاح الله لى من فضله أن زرت (الرياض) عاصمة المملكة العربية السعودية ، فى شهر شعبان من هذا العام (سنة ١٣٧٥) فى رحلة إلى الحجاز ونجد ، باذن ملكى كريم ، من حضرة صاحب الجلالة سيد العرب وإمام المسلمين ، الملك الإمام (سعود ابن عبد العزيز) أطال الله بقاءه موفقا منصورا .

وقد تفضل حفظه الله فأمر بدعوتي للعشاء على المائدة الملكية في حضرة جلالاته ورعايته - مساء يوم الأربعاء ١٥ شعبان سنة ١٣٧٥ - فكان مما تيمنت به واستبشرت في ذلك اليوم التاريخي العظيم : أن علمت ونحن جلوس نتظر الإذن بالتشرف بالمقابلة الملكية خبراً عظيماً جليلاً عن وفرة المياه الجوفية في أرض الجزيرة وفورتها [١] مما كان بشيراً بالخير العميم ، وسعوداً لهذه الأمة العربية العظيمة ، موافقاً لاسم ملكها وإمامها العظيم ، ومبشراً لها أن ستكون أيامه كلها سعدا ورفعة وخيراً كثيراً ، إن شاء الله .

ثم صدر بلاغ رسمي بهذه البشرى السعيدة ، أذاعته المديرية العامة للاذاعة والصحافة والنشر . ونشر في جريدة (البلاد السعودية) في عددها الصادر يوم الجمعة ١٧ شعبان سنة ١٣٧٥ (٣٠ مارس سنة ١٩٥٦) . وهذا نص البلاغ الرسمي :

(حدث هام في تاريخ البلاد السعودية)

ثروة جديدة يقدمها جلالة الملك لشعبه الكريم

أذاعت المديرية العامة للاذاعة والصحافة والنشر ما يأتي :

ما فتئ حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم منذ أن ولي أمر هذه الأمة . . وهو يفكر أثناء الليل وأطراف النهار في أن يضمن لها مستقبلها ، ويرفه عنها في معيشتها .

وكان أهم ما يقلق بال جلالاته ما ذكره الجيولوجيون من احتمال انضب الماء في الرياض فأصدر أمره الكريم وجرى عقد اتفاق مع شركة هيدروليك افرنك لحفر آبار تجارية للبحث عن المياه الجوفية في الرياض .

وقد بدئ بالحفر في البئر الأولى منذ بضعة شهور . وعندما بلغ الحفر (١١٥٠) متراً كانت النتيجة التي نزلها للأمة العربية السعودية هي العثور على حقل مائي كبير يعد الأول من نوعه في جزيرة العرب وهو حقل يمتد طويلاً من الجنوب إلى الشمال نحو ٨٠٠ كيلومتراً ويبلغ عرضه نحو ١٠٠ كيلومتراً وعمق الماء فيه نحو ٤٠٠ متر . وقد ارتفع الماء حتى لم يبق بينه وبين سطح الأرض سوى ثلاثين متراً .

(١) المجلة - وقد نشرنا هذا النبأ العظيم في الجزء الماضي ص ١٠٤٧ في باب أنباء العالم الإسلامي

وكية الماء التي يمكن أخذها يوميا من البئر مليون جالون على أقل تقدير والماء عذب وممتاز .

ولا شك أن هذه النتيجة العظيمة التي تفضل الله تعالى بها على هذه البلاد وأجراها على يد حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم تعادل في الأهمية منشآت الزيت في هذه البلاد إن لم تكن أهم .

وستكون من أعظم الأسباب لتأمين حاجات البلاد الزراعية ، والاكتفاء الذاتي . وسيجرى حفر آبار تجريدية أخرى في مختلف المناطق إن شاء الله تعالى . نسأله تعالى أن يحفظ للبلاد ملكها الساهر على راحتها ، ويديم توفيقه) .

وهذا التبليغ الرسمي الدقيق يدل على أن قلب الجزيرة العربية ، والقسم الأعظم من ساحاتها الشاسعة ، كأنه فلك عظيم ، فوق بحر خضم من الماء العذب الذي منه حياة كل شيء (١) . وهو أمانة جديدة على قرب تحقق البشرى النبوية المعجزة : أن تعود جزيرة العرب مروجاً وأنهاراً .

وكان هذا بتقدير العزيز الحكيم ، الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ، يحيي الأرض بعد موتها ، وهو على كل شيء قدير .

وكان هذا في عهد الملك الإمام ، ميمون النقية ، سعود بن عبد العزيز ، الذي سار على النهج القويم الذي وضع أساسه والده الإمام وسلفه العظيم رحمه الله ورضي عنه وأسكنه فسيح جناته .

أطال الله بقاء الملك الهمام ، الإمام (سعود) ، ووفقه للقيام بما اضطلع بعينه من أحياء مجد الإسلام ، والمحافظة على استقلال الأمة العربية الكريمة ، ووضعها مكانها اللائق بها في هذه الحياة ، قائدة للأمم إلى الصلاح والسلام . . .

صحر محمد شاكر

(١) المجلة - ويرى بعض الجيولوجيين الألمان وغيرهم أن جزيرة العرب يخترقها واديان كانا في عصور ما قبل التاريخ نهرين عظيمين ثم غاضا بعد ذلك تحت الأرض .

مَجْـوُـث

في مصادر الشريعة النظرية

— ٢ —

حجية القياس والتعبد به :

القياس لا يكون مصدرا تشريعا إلا إذا قام الدليل من قبل الشارع على اعتباره وقبول العمل به ، ومثل القياس في هذا سائر الأدلة الشرعية ، ولهذا نجد علماء الأصول عند كلامهم على هذه الأدلة يتعرضون لبيان حجية كل دليل منها ، ويقيمون الأدلة والبراهين على إثباتها ، سواء في ذلك الأدلة التي اتفق العلماء على حجيتها كالكتاب والسنة ، والأدلة التي اختلفوا في حجيتها كالإجماع والقياس ونحوهما .

وللأصوليين في تعبيرهم عن مقصودهم في هذا المقام عبارتان مشهورتان : إحداهما حجية القياس ، والثانية التعبد به ، وهما عبارتان تختلفان في اللفظ والمفهوم وتتحدان في الغاية والمقصود ، وذلك لأن معنى حجية القياس أن القياس حجة شرعية وأصل من أصول الشريعة يستدل به على أحكام الوقائع التي لم يرد فيها نص ولا إجماع . ومعنى التعبد بالقياس إيجاب الشارع تحصيل القياس ، والعمل به في الوقائع التي لم يرد فيها نص ولا إجماع ، وهما معنيان متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر ، لأن ثبوت حجية القياس يستلزم ثبوت التعبد به ، وإلا لما كان هناك معنى لحجيته ، وجعله دليلا شرعيا . وثبوت التعبد بالقياس يستلزم ثبوت حجيته ، وإلا لما وجب تحصيله ، ولما صح العمل به ، فانه لا يصح العمل في دين الله تعالى بغير حجة شرعية [١] .

(١) راجع المستصفى للغزالي > ٢ ص ٢٣٤ وما بعدها ، والإحكام للآمدي > ٣ ص ٢٤ وما بعدها ، ومختصر المنتهى لابن الحاجب > ٢ ص ٢٤٨ وما بعدها ، والتقرير والتحجير > ٣ ص ٢٤١ وما بعدها ، وجمع الجوامع وشرح الجلال المحلى وحاشية العطار > ٢ ص ٢٢٠ وما بعدها .

وقد اختلفت كلمة العلماء في حجية القياس والتعبد به ، وكثرت آراؤهم فيه وتشعبت (١) ونحن لانعرض هنا لهذه الآراء جميعها ونكتفي منها برأيين رئيسيين وهما :

رأى الجمهور ومنهم الأربعة أصحاب المذاهب الفقهية المعروفة ، وهو : أن القياس حجة شرعية ومصدر تشريعي لأحكام الوقائع التي لا نص فيها ولا إجماع .
ورأى النظام (٢) وبعض الشيعة والظاهرية ، وهو : أن القياس ليس حجة شرعية ، ولا يجوز العمل به .

ولكل من الفريقين أدلة على ما ذهب إليه ، ويجدر بنا قبل إيراد هذه الأدلة أن نبين هذه الحقيقة ، وهي أن المنكرين لحجية القياس - إذا استثنينا ابن حزم الظاهري - لم يقولوا باهدار كل ما يسمى قياسا ، بل هم يعترفون بحجية القياس الجلي ، وهو ما يكون المقيس فيه أولى بالحكم من المقيس عليه ، ومن أمثلته تحريم ضرب الوالدين بالقياس على تحريم التأنيف الثابت بقوله تعالى : « فلا تقل لها أف » [٣] كما يعترفون بالقياس المساوي وهو الذى يقطع فيه بنفى الفارق بين المقيس والمقيس عليه ، ومن أمثلته تحريم إتلاف مال اليتيم باللبس أو الإحراق بالقياس على تحريم أكله الثابت بقوله تعالى : « إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما ، إنما يأكلون في بطونهم نارا ، وسيصلون سعيرا » [٤] ، وهذان النوعان يسميهما بعض الأصوليين مفهوم الموافقة أو دلالة النص كما أن منهم من أجاز

(١) انظر المستصفي للغزالي - ٢ ص ٢٣٤ و ٢٣٥ ، ونهاية السؤل مع سلم الوصول - ٤ ص ٦ وما بعدها وإرشاد الفحول ص ١٧٤ ، ١٧٥ .

(٢) النظام هو إبراهيم بن سيار البصرى المتوفى سنة ٢٣١ هـ وكان من علماء المعتزلة ، ورئيسا لطائفة من طوائفهم سميت باسمه وهو أدل من أنكر الإجماع والقياس وأطال لسانه في الصحابة ليطمئنه ما أراد من نفى حجية إجماع الصحابة ورد تمسكهم بالقياس في النوازل وهو كثير الطعن في أهل الحديث أيضا وكان يعاقر الخمر ويجاهر بالفسوق وهو الذى اتخذ الخوارج والروافض والظاهرية قدوة في إنكار الإجماع والقياس انظر بقية الكلام عليه في كتاب الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادى ص ٧٩ وما بعدها .

(٣) آية : ٢٣ من سورة الإسراء .

(٤) آية : ١٠ من سورة النساء .

القياس الذي وقع النص على علمه خاصة ، وأنكر ما كانت علمه مستنبطة ، وذلك كقياس حشرات البيوت كالقارّة ونحوها على الهرة في الحكم بطهارتها ، لاشتراكها مع الهرة في العلة التي نص الشارع عليها ، وهي الطواف ومخالطة الناس ومخالطة يصعب عليهم التحرز منها ، كما جاء في الحديث : « الهرة ليست نجسة ، إنها من الطوافين عليكم والطوافات »

أما ابن حزم الظاهري فإنه وقف موقف الجمود ، وأنكر أن تكون أحكام الشريعة معللة ، وبني على هذا الرأي الجأء لإنكار القياس جملة ، ولم يفرق بين قياس جلي وقياس خفي ، ولا بين ما كانت علمه منصوصة وما كانت علمه مستنبطة ، وصرح في كتابه « الإحكام في أصول الأحكام » بأن شيخه داود بن علي لم يقل بحجية القياس الجلي ، وهذا يخالف ما نسب إليه بعض الأصوليين (١٠) ، وإليك ما قاله في هذا الموضوع مع شيء من التصرف : « ذهب أهل الظاهر إلى إبطال القياس جملة ، وهو قولنا الذي ندين الله به ، وذهب بعض منكري القياس إلى القول به في منصووص العلة ، وهذا لا يقول به داود ولا أحد من أصحابه ، وإنما هو قول من لا يعتد به من جملتنا ، وإن الله تعالى لم يشرع شيئا من الأحكام لعلّة أصلا ، فإذا نص الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم على أن أمر كذا لسبب كذا أو من أجل كذا أو لأنه كان كذا ، فعندى أنه جعل ذلك سببا للشيء في ذلك الموضوع خاصة ولا توجب تلك الأسباب شيئا من تلك الأحكام في غير تلك المواضع البتة » ثم راح يغلظ القول على القائلين بالقياس ويحمل عليهم حملة جافية ويرميهم بالتناقض والاختلاف وقلة الفهم والإنصاف (٢٠) .

ومن ينظر إلى الشريعة بامعان وتدبر يدرك أن ابن حزم قد خرج بهذه النزعة عن طريقة السلف ، وخالف بإنكاره القياس الجلي بداهة العقول ، إذ لا يتصور أن عاقلا

(١) انظر حاشية العطار على شرح الجلال المحلى لجمع الجوامع ج ٢ ص ٢٢١ فقد جاء فيها نقلا عن ابن السبكي في كتابه « الأشباه والنظائر » أنه عثر على مختصر لطيف لداود في أدلة الشرع لم يذكر فيه القياس لكنه ذكر شيئا من الأقيسة الجلية سماها الاستنباط ولهذا نسب إليه في جمع الجوامع عدم إنكاره القياس الجلي فقال : « ومنع داود غير الجلي من القياس » .

(٢) الإحكام في أصول الأحكام ج ٧ ص ٥٥ وما بعدها .

يقول : إن قول الله تعالى « فلا تقل لها أف » لا يستفاد منه تحريم غير التأنيف كالضرب والحبس وغيرهما من أنواع الإيذاء لا بطريق القياس ولا غيره . من الطرق ، ولولا أنا وجدنا ابن حزم يصرح بذلك في كتابه « النسكت » الذي ألفه في إبطال القياس والرأى والتعليل والاستحسان والتقليد لما كان العقل يصدق بنسبته إليه ، وإليك ما قاله في ذلك كما جاء في نبراس العقول [١] « إن تحريم غير التأنيف من أنواع الإيذاء ليس مستفادا من القياس على التأنيف المحرم بقوله تعالى : « فلا تقل لها أف » بل هو مستفاد من قوله تعالى : « وبالوالدين إحسانا » وقوله « وقل رب ارحمهما » وقوله تعالى « وقل لها قولا كريما » ودون الذرة ليس مستفادا من القياس على الذرة المنصوص عليها في قوله تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » [٢] ، وإنما هو مستفاد من قوله تعالى : « انى لأضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى » [٣] وقوله : « لتجزى كل نفس بما تسعى » [٤] إلى غير ذلك من أمثال هذين ، وهو صريح في إنكاره القياس الجلى .

ومن هذا يتبين أن المخالفين في حجية القياس ما عدا ابن حزم لا ينازعون إلا في نوع واحد منه ، وهو القياس الذى تكون العلة فيه ثابتة بطريق الاستنباط والاجتهاد ، أما القياس الجلى أو المساوى أو الذى تكون العلة فيه ثابتة بالنص فانهم يقولون بحجيته وجواز العمل به . وعلى هذا جرى الشوكانى في كتابه « إرشاد الفحول » إذ يقول فيه - بعد أن أورد أدلة المثبتين للقياس ورد عليها - : « إن القياس المأخوذ به هو ما وقع النص على علته ، وما قطع فيه بنفى الفارق ، وما كان من باب فحوى الخطاب ولحن الخطاب على اصطلاح من يسمى ذلك قياسا » (٥) .

وبعد هذا البيان الذى لا بد منه لمعرفة القياس الذى جرى الخلاف بين العلماء في حجيته نورد ما استدلل به كل من الفريقين على مذهبه فيما يلى :

(١) ص ٥١ .

(٢) آتى : ٨٠٧ من سورة الزلزلة .

(٣) آية : ١٩٥ من سورة آل عمران .

(٤) آية : ١٥ من سورة طه .

(٥) إرشاد الفحول ص ١٧٨

أدلة القائلين بحجية القياس : أما القائلون بحجية القياس فقد استدلوا بالكتاب والسنة والإجماع والمعقول ، أما الكتاب فاستدلوا منه بآيات كثيرة ذكرها علماء الأصول في كتبهم المختلفة ١٠ ، نقتصر هنا على أهمها ، وهى :

أولا : قول الله تعالى : « هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا ، وظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ، فاعتبروا يا أولى الأبصار » [١] فان الله تعالى بعد أن بين ما حل ببنى النضير من اليهود جزاء كفرهم ويكدهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أعقب هذا بقوله جل ثناؤه : « فاعتبروا يا أولى الأبصار » ومعناه تأملوا يا أصحاب العقول السليمة فيما نزل بهؤلاء القوم من العقاب ، وفى السبب الذى استحقوا به هذا العقاب ، حتى لا تفعلوا مثل فعلهم ، فتعاقبوا بمثل عقوبتهم لأنكم أناس مثلهم ، وما جرى على المثليل يجرى على مثيله ، وفى هذا دليل على أن المسببات تابعة لأسبابها ، توجد أينما وجدت ، والقياس الشرعى لا يخرج عن ذلك ، فهو ترتيب للسبب على سببه أينما وجد ذلك السبب ، والحكم على النظر بما حكم به على نظيره [٣] .

وثانيا : قول الله جل شأنه : « وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم ، قل يحييها الذى أنشأها أول مرة ، وهو بكل خلق عليم » (٤) فان الله تعالى أثبت إعادة المخلوقات بعد فنائها بقياسها على بدء خلقها ، فكما أنه سبحانه أوجدها بعد أن لم تكن فهو قادر على إعادة ما كانت موجودة ، وهذا وإن كان قياسا فى الأمور الحسية ، وليس قياسا فى الأمور الشرعية ، إلا أنه يدل على حجية القياس فى الشرعيات ، وذلك لأن الله تعالى لما استدلل على المنكرين للبعث بهذا القياس اقتضى ذلك أن إعطاء النظر حكم نظيره مما لا ينبغي أن يتردد فيه عاقل ، وأن منكره يعد معاندا لما اقتضته بداهة العقول ، ومن ضمن ذلك القياس الشرعى المتنازع فيه .

(١) راجع أصول السرخسى ٢ ص ١٢٥ وما بعدها والإحكام للآمدى ٣ ص ٧٦

وما بعدها وإرشاد الفحول ص ١٧٥ - ١٧٧

(٢) الآية الثانية من سورة الحشر (٣) انظر مسلم الثبوت ٢ ص ٣١٢

(٤) آية : ٧٨ من سورة يس

وثالثا : الآيات الكثيرة التي يقرن الله فيها الحكم بعلمته كقوله سبحانه في المحيض : « قل هو أذى ، فاعتزلوا النساء في المحيض ، ولا تقربوهن حتى يطهرن » [١] وقوله جل شأنه في الخمر : « فاجتنبوه لعلمكم تغفلون ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة » وقوله جل ثناؤه في إباحة التزويج بزوجة الابن المتبنى : « لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم » [٢] ووجه الاستدلال منها أن تعليل الشارع الحكيم لهذه الأحكام إرشاد للخلق إلى أن الأحكام الشرعية مبنية على حكم ومصالح ومرتبطة بالأسباب والعلل ، وإشارة منه جل شأنه إلى أن الحكم يوجد حيث توجد علته وما بني عليه ، وهذا هو القياس المتنازع فيه .

وأما السنة فانهم استدلوا منها بأحاديث كثيرة نكتفى هنا بإيراد أهمها وهي :

أولا : حديث معاذ بن جبل وهو ما رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يبعث معاذ قاضيا إلى اليمن قال له : كيف تقضى إذا عرض لك قضاء ؟ قال : أقضى بكتاب الله ، قال : فان لم تجد في كتاب الله ، قال : فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فان لم تجد في سنة رسول الله ولا في كتاب الله ، قال : أجتهد رأيي ولا آلو « أى لا أقصر في الاجتهاد » فضرب رسول الله صدره وقال : « الحمد لله الذى وفق رسول الله لما يرضى رسول الله » ٣٠ .

وهو حديث صحيح مدون في الصحاح كما قال إمام الحرمين وجماعة من الفقهاء ، وقد تلقته الأمة بالقبول ولم يظهر فيه أحد طعنا وإنكارا ، كما قال الغزالي في المستصفى [٤] ويفيد الطمأنينة وبمثله يصح إثبات الأصول ، كما في مسلم الثبوت وشرحه (٥) .

ووجه الاستدلال من هذا الحديث : أن الرسول صلى الله عليه وسلم أقر معاذ على الاجتهاد بالرأى إذا لم يجد نصا يقضى به في الكتاب أو السنة ، والقياس نوع من الاجتهاد بالرأى ، فيكون حجة في استنباط الأحكام الشرعية .

(١) آية : ٢٢٢ من سورة البقرة .

(٢) آية : ٣٧ من سورة الأحزاب .

(٣) صحيح الترمذي ٦ ص ٦٨ - ٦٩ طبع المطبعة المصرية ، وسنن أبي داود ٢ ص ١١٦ طبع المطبعة التازية .

(٤) ٢ ص ٢٥٤ . (٥) ٢ ص ٣١٣ .

ويمكن أن يستدل به من وجه آخر، وهو أن إجابة معاذ بما أجاب به، وعلمه بأن الاجتهاد بالرأى أصل من الأصول التي يرجع إليها كالكتاب والسنة، دليل على أن ذلك أمر مقرر ومعروف لدى كبار الصحابة وخواصهم الذين يصلحون لمنصب القضاء، وهذا أبلغ في الدلالة على حجية القياس (١).

وثانياً : ما ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم أثبت الحكم في كثير من المسائل بطريق القياس : منها ما رواه أحمد والنسائي : « أن رجلاً من خثعم جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن أبي أدركه الإسلام وهو شيخ كبير لا يستطيع ركوب الرجل ، والحج مكتوب عليه أفأج عنه ؟ قال : أنت أكبر ولده ؟ قال : نعم ، قال : أرأيت لو كان على أبيك دين فقضيته عنه أكان يحزى ذلك عنه ؟ قال : نعم ، قال : فأجج عنه » (٢) . فهذا من الرسول صلى الله عليه وسلم بيان للحكم بطريق القياس ، وهو قياس دين الله تعالى وهو الحج على دين الخلق في وجوب القضاء ونفعه عن الغير .

ومنها ما رواه الإمام أحمد وأبو داود عن عمر قال : هششت يوماً فقبلت وأنا صائم فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : صنعت اليوم أمراً عظيماً ، قبلت وأنا صائم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرأيت لو تمضمضت بماء ، وأنت صائم ؟ فقلت : لا بأس بذلك ، فقال صلى الله عليه وسلم : فقيم [٣] ؟ « أى فنى أى أمر هذا الأسف .

ووجه الدلالة من هذا : أن الرسول صلى الله عليه وسلم بين الحكم بقياس القبلة على المضمضة في عدم إفساد الصيام لاشتراكهما في أن كلا منهما مقدمة ووسيلة إلى المقصود ، ولم يترتب عليها المقصود ، فإن القبلة لم يترتب عليها المخالطة ، والمضمضة لم يترتب عليها الشرب ، وكما أن المضمضة لا تفسد الصيام فكذلك القبلة .

ومنها ما روى أن رجلاً من فزارة أنكر ولده لما جاءت امرأته به أسود فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : هل لك من إبل ؟ قال : نعم ، قال : ما ألوانها ؟ قال : حمر ، قال : هل فيها من أورك [٤] ، قال : نعم ، قال : فمن أين ؟ قال : لعله نزع عرق ، قال :

(١) نبراس العقول ص ٨١ .

(٢) متقى الأخبار مع شرح نيل الأوطار - ٤ ص ٢٤٢ .

(٣) المصدر السابق - ٤ ص ١٧٨ .

(٤) الأورق : الذى فيه سواد ليس بحالك بل يميل إلى الغبرة ومنه قيل للحمامة ورقاء .

وهذا لعله تزرعه عرق (١) . روى هذا الحديث البخارى ومسلم ، وقال المزنى : فأبان له بما يعرف أن الحجر من الإبل تنتج الأورق فكذلك المرأة البيضاء تلد الأسود ، فقياس أحد نوعي الحيوان على الآخر وهو قياس في الطبيعيات ، لأن الأصل ليس فيه نسب حتى نقول : إنه قياس في إثبات النسب ، فيستأنس به على المطلوب ، وهو حجية القياس في الشرعيات .

ومنها أن الرسول صلى الله عليه وسلم قرن كثيرا من الأحكام بعلمها وبالأسباب الداعية إلى تشريعها ، وفي ذلك إرشاد إلى أن الأحكام الشرعية توجد حيث توجد عللها وأسبابها ، وذلك هو القياس ، والأمثلة على ذلك كثيرة :

منها قوله عليه الصلاة والسلام : « كنت نهيتكم عن ادخار لحوم الأضاحي لأجل الدافة (٢) فكلوا وادخروا » رواه مسلم (٣) . ومنها قوله صلى الله عليه وسلم - لما سئل عن بيع الرطب بالتمر - : « أينقص الرطب إذا جف ؟ قالوا : نعم ، فقال : فلا إذا » رواه مالك (٤) . وأما الإجماع فما ثبت بالتواتر المعنوي عن جمع كثير من أكابر الصحابة أنهم احتجوا بالقياس وعملوا به وتكرر ذلك منهم في كثير من الوقائع المشهورة ، ولم يظهر الإنكار من أحد منهم على ذلك فكان إجماعا منهم على العمل بالقياس ، والأمثلة على ذلك كثيرة مختلفة نكتفي منها بما يأتي :

١ - أن الصحابة أجمعوا على تولية أبي بكر الخلافة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قياسا على إمامته في الصلاة حتى قال بعضهم : « لقد رضي رسول الله لدينا أفعلا نرضاه لدينا » (٥) .

(١) متقى الأخبار مع شرحه نيل الأوطار ج ٦ ص ٢٣٦ .

(٢) الدافة « بتشديد الفاء » الجماعة من الناس تدف أى تقبل من بلد إلى آخر ، والمراد بهم في الحديث جماعة من الأعراب وفدوا على المدينة في أيام عيد الأضحي ، وكانوا في حاجة إلى المعونة ، فنهى الرسول عن ادخار لحوم الأضاحي ليفرقوها ويتصدقوا بها فينتفع أولئك القادمون بها .

(٣) متقى الأخبار ج ٥ ص ١٠٧ بشرح نيل الأوطار .

(٤) موطأ الإمام مالك بشرح المتقى ج ٤ ص ٢٤٢ .

(٥) راجع المستصفي للغزالي ج ٢ ص ٢٤٢ .

٢ — أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه سئل عن الكلالة فقال : أقول فيها برأى فإن يكن صواباً فمن الله ، وإن يكن خطأ فنى ومن الشيطان : الكلالة ما عدا الوالد والولد «
يعنى أن الكلالة الميت الذى لا يكون فى ورثته والد ولا ولد ، والمراد بالرأى فى كلامه القياس .

وبيان ذلك : أن الله تعالى ذكر الكلالة فى آيتين من سورة النساء : إحداهما قوله تعالى : « وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس [١] » والثانية قوله تعالى : « يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك » (٢) فعلم من مجموع الآيتين أن الكلالة هى امرؤ هلك ، وليس له ولد ، ولم يذكر فى الآيتين شئ عن الوالد ، فاختلف الصحابة فى حكمه ، وتبع ذلك اختلافهم فى تفسير الكلالة ، فرأى أبو بكر أن الوالد مساو للولد فى كونه عاصباً لميت قوى القرابة منه ، فقاس الوالد على الولد المنصوص عليه فى الآية الثانية فى أن عدم وجوده شرط لاستحقاق الإخوة الميراث المذكور ، وأن وجوده مانع لهم منه ، وبني عليه تفسيرها بقوله : الكلالة ما عدا الوالد والولد » .

٣ — ما روى عن عمر بن الخطاب أنه كتب فى رسالته المشهورة إلى أبى موسى الأشعرى حيناً ولاه قضاء البصرة : « الفهم الفهم فيما يختلج فى صدرك مما لم يبلغك فى كتاب ولا سنة ، اعرف الأشباه والنظائر ، وقس الأمور برأىك ، ثم اعمد إلى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق فيما ترى [٣] » .

٤ — أن عمر رضى الله عنه قيل له : إن سمرة أخذ الخمر من تجار اليهود فى العصور وخللها وباعها ، فقال : قاتل الله سمرة ! أما علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لعن الله اليهود ، حرمت عليهم الشحوم فجمعوها ثم باعوها ، وأكلوا أموالها » ، فقد قاس عمر رضى الله عنه الخمر على الشحم فى أن تحريمها تحريم لبيعها وأكل ثمنها كما فى الشحم ، فإن الشارع لما حرم على اليهود أكله كان هذا التحريم تحريماً لبيعها وأكل ثمنه [٤] .

(٢) آية : ١٧٦

(١) آية : ١٢

(٣) أعلام الموقعين ١ ص ٩٩ .

(٤) المستصفى للغزالي ٢ ص ٢٤٤ .

٥ — ماروى أن يعلى بن أمية كتب إلى عمر بن الخطاب يسأله عن الرجل الذى قتلته امرأة أبيه وخليلها، فتوقف عمر فى ذلك ، فقال له على رضى الله تعالى عنه : أرأيت لو أن نفرا اشتركوا فى سرقة جزور فأخذ هذا عضوا وهذا عضوا أكنت قاطعهم ؟ ، قال : نعم . قال : فكذلك ، فكتب عمر إلى يعلى أن اقتلها فلو اشترك فيه أهل صنعاء كلهم لقتلتهم [١] .

ووجه الدلالة من ذلك أن عليا قاس القتل على السرقة وأقره عمر وسائر الصحابة على ذلك فيكون إجماعا منهم على حجية القياس وأنه دليل موصل إلى معرفة حكم الله فيما لم يرد فيه نص

وأما المعقول فاستدلوا منه بأن الله تعالى جعل الشريعة الإسلامية خاتمة الشرائع ، فلا تأتى شريعة بعدها إلى يوم القيامة ، وإذا فلا بد أن تكون مصادرها وافية بأحكام ما وجد وما سيوجد من الحوادث والقضايا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ومن المعلوم أن نصوص الكتاب والسنة محدودة متناهية بانهاء الوحي ، وحوادث الناس وأقضيتهم غير محدودة ولا متناهية . والمتناهى لا يفي بأحكام غير المتناهى إلا إذا فهمت العلل التى لأجلها شرعت الأحكام المنصوصة وطبقت على ما يماثلها مما لم يرد فيه نص ، وهذا هو القياس ، فالقياس هو الطريق الذى يظهر تناول النصوص الشرعية للوقائع التى لم يرد فيها نص ، ويجعلها شاملة لما يستجد من الحوادث والقضايا ، وبذلك تكون الشريعة صالحة للتطبيق فى كل زمان ومكان ، وافية بحاجة العباد ومصالحهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

فانكار القياس فى الشريعة رمى لها بالجمود وطعن عليها بعدم وفائها بمصالح العباد وحاجاتهم وذلك مناف لحكمة الحكيم .

هذا ما أمكننا جمعه وصياغته من أدلة الجمهور على أن القياس حجة وأن العمل به جائز فى الشريعة الإسلامية ما

يتبع

زكى الدين شهابه
المدرس بكلية حقوق عين شمس

لبيك اللهم لبيك ! .

في مثل هذه الأيام من كل عام تهفو قلوب المؤمنين إلى بيت الله الحرام ، وتهوى أفئدتهم إلى زمزم والمقام ، ويرنون بأبصارهم وبصائرهم نحو مشرق نور التوحيد ومطلع شمس النبوة في مكة المكرمة . ويمضى السعداء المحظوظون في سباق طيب وتنافس محبب ، إلى أخذ الأهبة وإعداد العدة لتلك الرحلة الروحية التي لا يكمل إيمان القادرين إلا بها ! ومن حق هذا البلد الحرام أن يطول إليه الشوق ، وأن يتصل به الوجد ، وأن نبتغي إليه الوسيلة ، لنقضى لأرواحنا بعض الخطوة بالحياة بين الرحاب الرحيمة التي استقبلت محمدا - صلى الله عليه وسلم - يتيما فأواه مولاه ، وأميا فعلمه واجتباؤه وأرسله رحمة للعالمين . وصدق الله العظيم « ألم يحمدك يتيما فأوى ، ووجدك ضالا فهدى ، ووجدك عائلا فأغنى . . » « وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم . . . » !

ومن حق هذا البلد الآمن أن يطوى المؤمنون جوائنهم على محبته وإعرازه ، بقدر إعزازهم لأنفسهم التي جعلها الله - بالإسلام الذي ذاع منها ، وبالنبى الذى استعلن بأمر الله فيها - خيراً أمة أخرجت للناس .

... بهذه المشاعر الهائلة يحيا المؤمنون في هذه الأيام . وكذلك كانوا منذ اللحظة الأولى التي أعلن فيها القرآن الكريم دعاء جد العرب إبراهيم : « رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام ، رب إنهن أضللان كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه منى ومن عصانى فإنك غفور رحيم ، ربنا إنى أسكنت من ذريتي بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » ومنذ بلغهم نداء الله لخليله « وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . . . » « وليطوفوا بالبيت العتيق » ! .

ومن ذا الذى يسمع هذا الرجاء وذلك النداء ثم لا يهزه الحنين إلى أظھر البقاع ، ولا يغالبه الشوق إلى أشرف المنازل ؟ ومن ذا الذى تواتيه الحظوظ وتسعفه فرص الحج

ثم لا يبادر بأداء هذه الشعيرة التي أوجبها الحق سبحانه بقوله : « والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين » ولا يسارع إلى رؤية هذه المشاهد التي تروى تاريخ الإسلام في أطواره جميعا ، سوريا وجهر يا ، مكيًا ومدنيًا ، وتملأ سمع الأيام والليالي بما واجه رسول الله في إخراجهم من الظلمات إلى النور ، من رضا وخصام ، وحرب وسلام ، كان صلوات الله عليه في جميعها الأسوة الحسنة ، والرحمة العامة ، والتفسير الصحيح لقول الله تعالى فيه : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » .

ألا ما أحوج المسلمين في شرق الدنيا وغربها - وقد تفرقت بهم السبل وعميت عليهم الأنبياء - إلى دراسة فريضة الحج في زمانها ومكانها لتذكركم بما للآباء في ذمهم من حقوق ما زالوا في الطريق إلى أدائها !! وليشهدوا - كما قال الله - منافع لهم ، في رأس قائمتها نعمة التعارف والأخوة التي يفيضها ذلك المؤتمر الإسلامي العام ، ففيه يتواصلون بالحق ، ويتعاونون على البر والتقوى ويعرضون مشاكلهم ، ويتدارسون مسائلهم ، ويضعون الخطط الرشيدة الهادية لبناء الأمة الإسلامية الواحدة التي احتفل بها دستور مصر الحديد ودساتير عربية أخرى ، والتي إن قامت بينها فواصل الأرض ، فلها من وشائج الإيمان وعواطف الرحم المساسة ، ما يجعلها في الشدة والرخاء قلبا واحدا ينبض بالأخوة ورأيا مفردا يمشون معه إلى مواطن العزة والقوة ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل المؤمنين في توادهم وتراحيمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » . وإنما تحيا هذه الأمة الواحدة في أضواء الإسلام وتعاليم محمد عليه الصلاة والسلام ، ولا غنى للذين ينشدون سلام العالم ورفاهيته عن وساطة الإسلام في ذلك ، فهو دين السلام لا ريب ، فالسلام اسم الله الذي أكمل بالإسلام دينه ، وأتم به على المؤمنين نعمته ، ورضيه لهم شرعة ومنهاجا ، وهو دين السلام في شعاره وتحيته ، والجنة التي وعد الله المؤمنين وراء أسوار الحياة هي دار السلام « والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » .

والحج في حقيقته ومغزاه هجرة إلى الله واعتراف عملي بأنه أكبر من المال والأهل والولد ، وأعز من كرائم الحياة ولذا نذرها التي ندعها وراء ظهورنا راضين ونحن مستقبل التقشف باسمين في أداء هذه المناسك ، الله أكبر الله أكبر الله أكبر ولله الحمد ، الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا . . . ليك اللهم ليك . . . ليك لا شريك لك ليك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك . بهذه الوحدة الحقة تجيش الضمائر

وترتفع الخناجر في تلك الأماكن المقدسة التي ارتفع فيها صوت مجد وصحبه حتى صدقهم الله وعده، ونصر عبده، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده. وبهذه العقيدة الخالصة يصدر وفد الله عن مكة بعزم صادق على أن لا يذنبوا بالإثم هذه الأيدي التي وضعوها في يد الرحمن وهم يستلمون الحجر الأسود أو يشيرون إليه ، أو هكذا ينبغي أن يكونوا حتى يعطوا من أعمالهم ومشاعرهم صور الحج المبرور بعد أن نزلت عليهم السكينة من فوق عرفات ؛ وغشيتهم الرحمت ؛ وبأهـى بهم الحق ملائكته فقال : « يا ملائكتي : هؤلاء عبادي جاءوني من كل فج عميق شعنا غبرا ضاحين أشهدكم يا ملائكتي أني غفرت لهم » !

فلتغبط أنفس المحظوظين بمكة ؛ وبأول بيت وضع للناس مباركا وهدى للعالمين ؛ ولتطمئن قلوبهم بالأمن يفرغه الله ملء قلوبهم في مقام إبراهيم ؛ فلا يذكرون هنالك غير الأخوة والسماحة والعفو ؛ ولا يصعدون إلى ديارهم إلا وقد عقدوا الخناصر وأكدوا الأواصر على التعاون والتناصر في السراء والضراء حتى يأمن من التداعى بنيانهم وتسلم من غدر الغادرين أوطانهم ؛ وتمضى الأمم العربية والإسلامية صفا واحدا في كيان عربي حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

.. وما أكثر ما يعطى حج بيت الله وزيارة مسجد رسوله من معان وعبر ؛ وما يثمران من نافع الثمر ؛ وجليل الأثر ، فعندهما تشجذ على طاعه الله العزائم ؛ ومن ينبوعهما يغسل الله الخطايا والمآثم ؛ والمعصوم صلى الله عليه وسلم يقول : « من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » وهنالك تستحكم الألفة بين المسلمين بعد أن زالت من بينهم فوارق الغنى والفقر ، وانحلت فواصل اللون والجنس ، وسيطر عليهم إيمان ويقين بأن الناس كلهم لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى . « يأياها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » .

وفي حفظ الله وجميل رعايته يا جيران بيت الله وزوار مسجد رسول الله ؛ في الظعن والإقامة ؛ والعودة الراجعة ؛ وكونوا على الدوام رعاة الحق ؛ وهداة الخلق ، لتعلو أيديكم وعزائمكم الراية الإسلامية وتبقى بكم وحدة الأمة العربية ..

معوض معوض إبراهيم

الواعظ العام

الفضائل الاجتماعية

في الشعر الجاهلي

دأب جماعة من الحاقدين على العرب ، والمفتونين بالغرب ، على أن يجرّدوا العرب من فضائلهم وأخلاقهم وعلومهم ، فهم إذا عنت لهم شبهة طاروا بها فرحا ، وإن لم يجدوا شبهة اختلقوها :

ان يسمعوأ ريبة طاروا بها فرحا عنى وما سمعوا من صالح دفنوا
صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به وإن ذكرت بشر عندهم أذنوا

فمنذ عهد غير بعيد كتب كاتب في إحدى الصحف الكبرى يحتقر عقلية العرب الجاهليين ، ومنذ عهد غير بعيد قرأنا فيما ألف المؤلفون أن العرب اعتمدوا في أكثر علومهم على غيرهم من الأمم وبخاصة اليونان ، ولا زلنا نسمع ونقرأ ما نعتبره افتراء على العقلية العربية في الجاهلية وبعد الإسلام ، وما نعدّه تجنيا على الفضائل التي سادت بين عرب الجاهلية .

على أن هذا التجنى على العرب ليس حديث الميلاد ، فمنذ ظهرت الشعوبية ونحن نقول أن العرب ليسوا عند الله من أحد ، ولكن وجد في تلك الأزمنة من كبار العلماء من رد هؤلاء الشعوبيين على أعقابهم ومن أبان لهم فضل العرب ، وما امتازوا به من متانة أخلاق ، ولطف شمائل ، وفصاحة ولسن ، وزكاة وفضانة ، وكان لابد أن تقابل مغالاة الشعوبيين بمغالاة مثلها ، فذهب بعض المدافعين عن العرب إلى أن الله لم يخلق البلاغة إلا فيهم ، وأن لغتهم أفضل اللغات ، وهى متقدمة على جميع اللغات ، ذلك : (أن أربابها وأصحابها هم العرب الذين لا أمة من الأمم تنازعهم فضائلهم ، ولا تباريهم في مناقبهم ومحاسنهم) وأن الخطابة فيهم ارتجال وبدئية وعند غيرهم تكلف ومعاناة .

ولسنا مع هؤلاء ولا هؤلاء ، لانغالى مغالاة المتعصبين على العرب لأن ما يفترون عليهم

ينكره الحق والمنطق والتاريخ ، ولا نغالى مغالاة المتعصبين للعرب لأن الدراسات الحديثة كشفت لنا نواحي كثيرة من حياة الأمم وأخلاقها وفلسفاتها وعلومها وحضارتها ، مما جعلنا نؤمن أنه من التورط أن نلقى هذه الأحكام دون تريث أو تبصر ، ولئن كان هؤلاء الذين يرفعون شأن الأمة العربية ، ويفضلونها على سائر الأمم ، لئن كان هؤلاء عذر من قصور الدراسات في عهدهم أو من قلة اختلاطهم بالشعوب الأخرى أو مما استفزهم ويستفزهم به الشانثون المبغضون الذين يحاولون أن يجردوا أمة عظيمة كالأمة العربية من كل الفضائل والمعارف ، فما عذر هؤلاء الدارسين المعاصرين الذين يابون إلا أن يكون الفضل للأمم الغرب قديمة وحديثة ؟

وإذا كان القرآن الكريم نعى على عرب الجاهلية بعض عاداتهم وتقاليدهم ، وسفه أحلامهم في معتقداتهم ، وسلوكهم - أحيانا - فأى أمة من الأمم القديمة أو الحديثة التي تدعى أنها بلغت الذروة من الحضارة ، أى أمة من هذه الأمم سلمت من العيوب ، بل من العيوب الضخمة الفاضحة ، بل إننا نجد العذر للجاهلي فيما كان يدين به من عاد ، وما يخطئه لنفسه من خلق ، ولـكننا نعجب أشد العجب لهذه الشعوب التي ساد فيها العلم والثقافة ، وأضاءت عليها أنوار المعارف من كل جانب ، ومع ذلك نجدها - في بعض ما تتخذ من تقاليد - أشد ضلالا من الجاهليين أنفسهم .

على أنه إذا كان القرآن سفه أحلام الجاهليين في بعض معتقداتهم فليس معنى ذلك أنه جردهم من الفضائل النفسية ، أو حرمهم نعمة الخلق الجميل ، وكيف وقد أنشئ الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة من بعده على ما علمه من فضائلهم ، فراه صلى الله عليه وسلم يشيد بحلف الفضول الذي عقد في دار عبد الله بن جدعان ، ويقول : لودعيت إليه في الإسلام لأجبت ، ثم يثنى على حاتم طى بأنه كان يحب مكارم الأخلاق ، ويقول : لو كان اسلاميا لرحمنا عليه ، ويثنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه على زهير بن أبى سلمى بأنه كان لا يمدح أحدا إلا بما فيه ، وتدعو عائشة وغيرها رضى الله عنهم إلى مذاكرة الشعر الجاهلي وحفظه ، والتماؤ منه لأنه يحث على معالى الأمور .

ونرى عبد الملك بن مروان ومعاوية بن أبى سفيان يثنيان ثناء عطرا على الشاعر الصعلوك عروة بن الورد ، فمرة يفضل على حاتم في الجود ، ومرة يمتن عبد الملك أن يكون عروة والد له ، وما كان عروة بدعا في أولئك الجاهليين ، وكل ما كان عليه أنه كان سمح

النفس عزيزها وكان يجمع الفقراء في حظيرة ويجرى عليهم الأرزاق ، فلذلك سمي عروة الصعاليك .

ولقد كتب العالم الشاعر ابن سنان الخفاجي فصلا ممتعا في كتابه (سر الفصاحة) عن العرب وتفضيلهم ؛ ومما جاء في هذا الفصل : « وأما العقول الصحيحة ، والأذهان الصافية ، فالأمر في تفضيلهم بها واضح ، وذلك أنهم لم يكونوا أهل تعليم ودرس ، ولا أصحاب كتب وصحف ؛ ولا يعرفون كيف التأديب والرياضة ، ولا يعلمون وجه اقتباس العلم والرواية ، وفي كلامهم من الحكم العجيبة ، والأمثال الغريبة ، والحث على محاسن الأخلاق ، والأمر بجمل الأفعال ، ما إذا تأملته غض عندك ما يروى عن حكماء اليونانيين وسهل الأمر عليك فيما حكاه الناس عنهم ، ووجدت تلك الفصول اليسيرة والفقير القليلة ، تسند إلى جليل من الحكماء ، وتضاف إلى رئيس من العلماء ، وأمثالها واضعافها في شعر راع جلف ، ومن كلام عبد غمر ، ينشئها طبعه بلا تثقيف ، ويسمح بها خاطره عن غير صقال » .

وسبيلنا في هذه الكلمات القصار أن نضع أمام الأنظار ما كان يسود في المجتمع الجاهلي من فضائل جماعية من شأنها أن توجد بين الناس التعاطف والتواد والمحبة ؛ وأن نبين أن الجاهليين على الرغم مما كان بينهم من مشاحنات ومنازعات وحروب ، كانت لهم سجايا كريمة تخفف من حرارة هذه الأجواء ، وتلطف من حدة هذه الحياة العنيفة الناتجة .

وسنعمد في هذا البحث على الشعر الجاهلي مستخلصين منه أهم المناقب الاجتماعية التي توارثها العرب جيلا بعد جيل ، وأدق آداب السلوك التي تبرز في حياتهم وفي أشعارهم . ونحن نعتقد أننا نؤدي بذلك ديننا في أعناقنا ، ونلتصق للحقيقة والتاريخ ، ونفضح مكاييد هؤلاء الذين يريدون أن يضعوا في أذهان الناس أن العرب أمة ضائعة تافهة منذ قديم الزمان ، وأنه لم يكن لهم من فضائلهم النفسية والاجتماعية ما يمكن لنا أن نفخر بأننا أبناءهم ، والوارثون لمجدهم ، وأنه خير لنا — على حد ما يزعمون — أن نخلص من هذه العروبة ، وننتسب إلى آبائنا الفراعين . وفي اعتقادي أن كل هذه الدعوات ما هي إلا محاولات لفصم عرى الأخوة بين الشقيقات العربيات ، ولإبعادها عن التمسك بهذه العرى التي يعتز بها كل عربي ، يعرف عن يقين ما كان عليه العرب منذ وجدوا على هذه الأرض من عزة ومثانة خلق ما

للحديث بقية

على العمري

لغويات

زار السيد الوزير ونحن مدرسة الصناعات ، أجل أبى وإياك

قد يرى القارئ هذا الأسلوب . وفيه تقديم الاسم الظاهر على الضمير المنفصل ،
والجاري في معتاد الكلام غير هذا ، فيقال : حضرت أنا ومجد ، وأجلك وعليا ، ولكن
الأمر في المثالين المصدرين دعا إلى تقديم الاسم الظاهر لما يقضى به الأدب من تقديم
الوزير والأب .

وقد جرى بحث في صحة هذا الأسلوب في العربية مع بعض الأصدقاء . ووجه
الشبهة فيه أنه يمكن الإتيان بالضمير متصلا بـفىء به منفصلا ، وقد جرت العربية
أن يؤثر المتصل على المنفصل ما أمكن في الكلام . وأيضا فعطف المنفصل على الظاهر
المرفوع بالفعل أو المنصوب به يقضى بتسليط الفعل على المنفصل ، ففي حضر مجد وأنا
كأنه قيل : حضر مجد وحضر أنا ، وفي رأيت مجد وإياك كأنه قيل : رأيت مجد ورأيت
إياك ، وهذا ينبو عن طبيعة الضمير المنفصل كما هو معروف . على أن الجواب عن هذا
الإشكال الثانى سهل ؛ فإن النحويين يقررون أنه يغتفر في التابع ما لا يغتفر في المتبوع .

ورأيت النحاة عرضوا لهذه المسألة قديما ، فأسوق إليك ما قالوا فيها :

جاء في الأشباه والنظائر النحوية للسيوطى (١٠٣/٢ من طبعة الهند القديمة)
أن الأبدى [١] شارح الجزولية يقول : « لا يجوز عطف الضمير المنفصل على الظاهر
بالواو ، ويجوز فيما عدا ذلك » فترى أن الأبدى يحظر هذا الأسلوب ولا يسوغه
في العربية .

وجاء أبو حيان نحالف الأبدى شيخه . واستند أبو حيان إلى مجيء هذا الأسلوب
في الكتاب العزيز . جاء في قوله تعالى في أول سورة الممتحنة : « يخرجون الرسول

(١) هو على بن مجد من نحاة الأندلس ، ومن شيوخ أبى حيان . والجزولية مختصر
في النحو يعرف بالمقدمة لعيسى بن عبد العزيز أبى موسى الجزولى المراكشى . توفي سنة ٦٠٧

ولما كم . « فتراه قدم الاسم الظاهر « الرسول » وعطف عليه الضمير المنفصل « إياكم » ودعا إلى تقديم الرسول التنويه بشرفه وتقدمه ، وأنه أصل المؤمنين . وجاء قوله تعالى في الآية (١٣١) من سورة النساء : « ولله ما في السموات وما في الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله » فترى كيف قدم الاسم الظاهر على الضمير المنفصل . وقد دعا إلى هذا التقديم مراعاة ترتيب الزمن والوجود . ويقول أبو حيان في البحر المحيط ٣/٣٦٦ : « ومثل هذا العطف - أعنى عطف الضمير المنصوب المنفصل على الظاهر - فصيح جاء في القرآن وفي كلام العرب ولا يختص بالشعر . وقد وهم في ذلك بعض أصحابنا وشيوخنا فزعم أنه لا يجوز إلا في الشعر ؛ لأنك تقدر على أن تأتي به متصلا ، فتقول : آتيك وزيدا ، ولا يجوز عنده : رأيت زيدا وإياك إلا في الشعر . وهذا وهم فاحش . بل من موجب انفصال الضمير كونه يكون معطوفا . فيجوز : قام زيد وأنت ، وخرج بكر وأنا ، لا خلاف في جواز ذلك ، فكذلك ضربت زيدا وإياك » . ويؤخذ من كلامه أن عطف الضمير المرفوع المنفصل على الظاهر أجوز وأسوغ من المنصوب ، حتى ليقول : « فيجوز قام زيد وأنت ، وخرج بكر وأنا بلا خلاف في جواز ذلك » . ويخرج القارئ من هذا البحث بصحة الأسلوب الذي كان الحديث عنه .

الرأسمالي ، الرأسمالية

استفاضت النسبة إلى رأس المال بالإبقاء على جزأى التركيب : المضاف والمضاف إليه ، كما ترى .

والمعروف في مثل هذا أن يقتصر على الجزء الأول ، فيقال : الرأسى . وهذا كما قالوا : العبدى في النسب إلى عبد القيس ، من قبائل العرب ، قال الشاعر :

هم صلبوا العبدى في جذع نخلة فلا عطست شيبان إلا بأجدعا

وقالوا في النسب إلى مدينة تسمى رأس عين من مدن الجزيرة : رأسى كما ذكره ياقوت في معجم البلدان ، فهذا هو وجه النسب إلى المركب الإضافى .

وقد جاء عن العرب النسب إليه بطريق النحت ، ومن هذا قولهم : العبقسى في عبد القيس وهو وجه آخر غير ما سلف لك . وقالوا : عبد رى في عبد الدار . وقالوا في النسب إلى رأس عين : رسعنى . ويقول ياقوت : إنه أشهر من الرأسى .

وجاء عن المولدين وجه آخر في النسب إلى المركب الإضافي ، وهو أن يعامل معاملة الكلمة الواحدة وينسب إليه على لفظه كاملا . ومن هذا قولهم : الدار قطني في النسب إلى دار القطن ، وهي محلة ببغداد . وقد اشتهر بهذه النسبة الإمام المحدث أبو الحسن على الدار قطني الذي مات ببغداد سنة ٣٨٥ .

ومنه قولهم : الدار قزى في النسب إلى دار القز ، وهي أيضا من محال بغداد . وقالوا : الكفر طابى في النسب إلى كفر طاب ، وهي مدينة بين المعرة وحلب ، وفي النسب إلى كفر سوسية من قرى دمشق : الكفر سوسى . وأذكر هنا أن الكفر بفتح الأول وسكون الثانى كما هو معروف . ويظهر أن بعض أهل الشام يفتحون الثانى ، فسجل ياقوت هذه اللهجة ، وقد جاء عليها قول الشاعر في كفر طاب :

ولا كفر طاب عندى بالحى عوضا نعم ، سقى الله سكان الحى ورعى

وبعيني هنا تخريج « الرأسمالية » « والرأسمالى » على ما فعله السلف في الدار قطني وما جاء على مثاله . وهذا وإن صدر من المولدين فقد قبل عند العلماء ولم ينكروه . وعلى هذا فتقرأ الرأسمالية بفتح السين كما يفعل بآخر الجزء الأول من المركب المزجى ، كما في بعلبك . على أن الأولى الرجوع إلى الوجه في النسب ، وهو الرأسى والرأسية .

الماضى

كانت هذه الكلمة حية في حدثنا في عهد الكتاتيب وتحفيظ القرآن سقاه الله صوب رحمته . والماضى ماسبق للطالب أن حفظه ، فيسمعه للشيخ . وقد استرعى نظرى أن وجدت هذه الكلمة كما كنا نعلمها ونستعملها قديمة . وهذا في قصة ذكرها التاج السبكي في طبقات الشافعية ٣٥/٤ ورد فيها : « أن الطالقاني حكى عن نفسه أنه كان بليد الذهن في الحفظ ، وأنه كان عند الإمام محمد بن يحيى في المدرسة ، وكان من عادة ابن يحيى أن يستعرض الفقهاء كل جمعة ، يأخذ عليهم ما حفظوه ، فمن وجده مقصرا أخرجه . فوجد الطالقاني مقصرا فأخرجه . فخرج في الليل وهو لا يدرى أين يذهب فنام في أتون حمام فرأى النبي صلى الله عليه وسلم فتفل في فيه مرتين وأمره بالعودة إلى المدرسة . فعاد ووجد الماضى محفوظا ، واحتد ذهنه جدّا » .

محمد على النجار

في التمر :

اعراب العارية

الأصل في الإعراب الظاهر أن يكون علامة على ما يستحقه اللفظ الذي يلحقه ، ولكن من الإعراب الظاهر نوعا لا يظهر على اللفظ الذي هو علامة له ، وإنما يظهر على غيره لعدم إمكان ظهوره على صاحبه ، ويسمى هذا النوع من الإعراب : إعراب العارية - أى أن اللفظ الذي ظهر عليه هذا الإعراب استعاره من صاحبه الذي يستحقه ، فظهر عليه هو بدل ظهوره على صاحبه . واللفظ الذي يظهر عليه إعراب العارية ، تارة يكون تاليا لصاحب الإعراب الأصلي وهذا هو الغالب ، وتارة يكون سابقا عليه ، وهذا قليل .

وستكلم في هذا المقال عن أنواع من إعراب العارية مع بيان آراء العلماء فيها وشرح ما خفى منها على المعربين ، وبيان وجهة النظر السليمة في هذا النوع من الإعراب :

الموضع الأول « إلا » الاستثنائية إذا جعلت صفة لما قبلها أى إذا حملت « إلا » على « غير » فصار معناها الوصفية لا الاستثناء ، مثال ذلك قوله تعالى : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » وقول الشاعر :

لو كان غيرى سليماً [١] الدهر [٢] غيره وقع الحوادث إلا الصارم [٣] الذكر [٤]

فالآية صفة لآلهة وهى مرفوعة فحق إلا الرفع لأن تابع المرفوع مرفوع ،

-
- (١) سايى منادى والتقدير يا سليماً . (٢) الدهر ظرف زمان منصوب .
 (٣) الصارم : السيف القاطع . (٤) الذكر من السيوف ماله رونق وبهاء ،
 والمعنى لو كان غيرى يا سليماً يقاسى الدهر أى حوادثه ونوائبه لتغير غير الصارم الذكر .

والى علامة الرفع لا يمكن ظهورها على إلا لبنائها ولملازمة آخرها السكون ، فنظهر علامة الرفع على ما بعدها وهو لفظ الجلالة على طريق العارية ، وإلا مضاف ولفظ الجلالة مضاف إليه مجرور وعلامة جره كسرة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة العارية ، وإلا ، فى البيت صفة لكلمة « غيرى » ، وهى مرفوعة ، وإلا ، صفتها خفها الرفع مثلاً ، ولا يمكن ذلك لما سبق ، فظهر إعرابها على ما بعدها وهو كلمة « الصارم » ، كما سبق بيانه فى الآية ، ولا يصح إعراب لفظ الجلالة فى الآية ولا لفظ الصارم فى البيت مستثنى ، لأن الكلام فىهما تام موجب يجب معه نصب المستثنى .

هذا أحد رأيين للعلماء فى إعراب « إلا » الوصفية ، يجعلونها اسماً بمعنى غير ، والرأى الآخر يجعلها حرفاً كما كانت فى الاستثناء ، ولما وجد أصحاب هذا الرأى أن الحرف لا يوصف به قالوا : إن الوصف بها وبما بعدها ، والغريب أن النحويين يرجحون الرأى الأخير على الأول بل يكادون يجمعون على الأخير ، قال العلامة الصبان - عند تعليقه على قول الاشتوائى « وقد تحمل إلا على غير فيوصف بها » - : وقوله فيوصف بها أى مع بقائها على حرفيتها كما صرح به غير واحد ، بل حكى عليه السعد فى حاشية الكشف الإجماع كما قاله الدمامبى .

ولا يخفى أن ترجيح النحويين للرأى الأخير غير مقبول لأمرين : الأول أن إلا على رأيهم تكون حرفاً وبعض وصف ، فيكون الوصف بحرف واسم ، وهذا لا نظير له فى اللغة فيما أعلم . الثانى أنه يترتب عليه عدم صحة قولهم : ظهر إعرابها على ما بعدها عارية ، لأن الإعراب لا يكون لبعض الوصف ، وإنما يكون لجميعه ، ومحل الإعراب آخر الوصف وهو آخر الكلمة التى بعد إلا فلا تكون هناك عارية ، وإنما يكون الإعراب ظاهراً على اللفظ الذى يستحقه . والرأى الأول بالترجيح فى نظرى هو الرأى الأول الذى يجعل « إلا » اسماً بمعنى غير ، فهذا أشبه بالأسلوب العربى مع بعده عما يرد على الأخير من الاعتراض .

الموضع الثانى : « أل » الموصولة ، وهى اسم على الصحيح ، فإن صلتها صفة صريحة فى الغالب ، وهذه الصلة لا محل لها من الإعراب على بعض الأقوال ولها محل على بعضها الآخر ، والوصف ومعمولة معتبران شبه جملة ، فإذا قلنا « جاء العالم » ، « قال » ، من العالم فاعل لجاء مبنى على السكون فى محل رفع ، وظهرت علامة رفعه على عالم لعدم إمكان ظهورها على صاحبها وهوأل نظراً لملازمة آخره السكون ، وعلى القول بأن الصلة « أل » ، محلاً لتكون كلمة عالم مضافاً إليه مجرورة بكسرة مقدرة على آخرها منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة العارية ،

وفاعلها ضمير مستتر تقديره هو يعود على آل ، وعلى القول بأن الصلة لا محل لها تكون كلمة عالم لا إعراب لها . وإذا قلنا جاء محمد المنصور أبوه ، تكون آل صفة لمحمد وهو مرفوع فتسكون آل مبنية على السكون في محل رفع أيضاً وعلامة رفعها ظاهرة على ما بعدها وهو كلمة منصور وأبوه نائب فاعل لمنصور ، وعلى القول بأن الصلة محلا لتكون منصور مضافا إليها مجرورة بحركة مقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة العارية كما سبق ، وعلى القول بأن لا محل لها تكون لا إعراب لها ، هذا إذا كانت صلة آل صفة صريحة ، أما إذا كانت جملة كما في قول الشاعر :

من القوم الرسول الله منهم لهم دانت رقاب بـنى معد

فإن رسول مبتدأ ومنهم خبره والجملة صلة آل ، فهل ينتقل إعراب العارية إلى محل الجملة أولا ؟ . اختلف العلماء في ذلك : قال بعضهم : ينتقل إعراب آل إلى محل جملة صلتها عارية كما ينتقل إلى الوصف . وقال بعضهم : لا ينتقل لأن إعراب العارية خاص باللفظ ولا يكون في المحل ، والرأى الأخير هو الراجح لأنه يوافق أرجح الآراء في إعراب جملة صلة الموصول وهو أنها لا محل لها من الإعراب ، هذا إلى أن اعتبار العارية في المحل لا دليل عليه ولا فائدة من اعتباره .

الموضع الثالث : د لا ، إذا كانت بمعنى غير ، مثال ذلك د جئت بلا زاد ، أى بغير زاد ، فلا اسم مجرور بالباء مبنى على السكون في محل جر ، وظهرت علامة جره على ما بعده وهو (زاد) على طريق العارية لعدم إمكان ظهورها على د لا ، وزاد مضاف إليه مجرور بكسرة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة العارية ، ومن أمثله أيضا قولهم د محمد لا قائم ولا قاعد ، عند من يجعل د لا ، بمعنى غير فتكون د لا ، خبر محمد وهى مبنية على السكون في محل رفع وظهر إعرابها على ما بعدها عارية لعدم إمكان ظهورها عليها للملازمة آخرها السكون و د لا ، مضاف وقائم مضاف إليه مجرور بكسرة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بضممة العارية .

الموضع الرابع : د غير ، إذا حملت على د إلا ، فصار معناها الاستثناء أى مغايرة ما بعدها لما قبلها في النفي والإثبات بعد أن كان معناها مغايرة ما بعدها لما قبلها في ذاته أو صفته ، مثال ذلك د نجح الطلاب غير واحد ، فغير هنا معناها إلا ، فهى اسم استثناء

يجب نصبها لأنها تأخذ حكم ما بعد إلا ، والكلام هنا تام موجب يجب معه نصب المستثنى ، فكان حق كلمة « واحد » ، التي هي المستثنى النصب ، ولكن لما لم يمكن ظهور علامته عليه لملازمته الجر بسبب إضافة غير إليه انتقل إعرابه إلى غير على طريق العاربية ، وكان حق غير لو أنها بقيت على معناها الأول وهو الوصفية أن تكون مرفوعة لأنها تكون حينئذ صفة للطلاب ، وإذا قلنا « ما نجمع الطلاب غير واحد » ، جاز في غير الرفع على البدلية والنصب على الاستثناء مع رجحان الأول ومرجوحية الثاني ، وإذا قلنا « ما نجمع غير واحد » ، وجب رفع غير على الفاعلية وإعرابها في الأحوال الثلاثة على طريق العاربية بما بعدها ، وما بعدها ملازم للجر بالإضافة دائماً ، ويلاحظ في هذا الموضع أن إعراب العاربية ظهر على اللفظ السابق لصاحب الإعراب بخلاف المواضع السابقة ، فإنه ظهر فيها على اللفظ التالى لصاحب الإعراب . ولنا عودة إلى هذا الموضوع لبيان ما يتعلق بإعراب العاربية .

طه الزينى

أستاذية في النحو والصرف

ناطح صغير لصخرة الأزهر

ظن كاتب ناشئ* أن سبيل الشهرة التي بلغها بعضهم إنما هو الطعن في الأزهر والتنديد بما سموه ازدواج التعليم ، وكان من حق هذا الناشئ أن يعتبر بما كان من نتائج الدعوة إلى الخطوة الثانية فيلتمس للفساد سلماً غير هذا السلم ، ولكن الغرض يعنى ويصم ، فجاءت إلى مصر مجلة بيروتية تحمل في جزئها الرابع لشهر إبريل مقالا بعنوان « الأزهر والثقافة الجديدة » بقلم ذلك الكاتب الصغير المقيم في مصر تعريضه بسلسلة من الأخطاء قال عنها فضيلة الأستاذ على العمارى بعد أن مر بنظره عليها : إنها أذكرتنى ذلك الآبله الذى سأل رجلاً قتيلاً :

أ الحسن والحسين بلتما معاربية بن أبى طالب ؟

فأجابه المسئول : والله ما أدرى أى أخطائك أصاح !

بيع الدين ونقله

— ٢ —

بيننا في مقالنا السابق رأى الدكتور شفيق شحاته في موضوع حوالة الحق في الفقه الحنفى، وقلنا إننا لا نوافقه على ما انتهى إليه من رأى . وتفصل رأينا هذا فيما يلى :

إن نقل الحق في المسألة الأولى ليس من باب الحوالة الحقيقية الاصلاحية عند فقهاء الحنفية ، وقد كيفوا هذا النقل بأنه توكيل بقبض الدين في المعنى أى أنه حوالة قصد بها التوكيل ، وهم ليسوا مخطئين في هذا التكييف أو متناقضين مع قواعدهم وفروعهم ، ذلك لأن نقل الحق في هذه الصورة ليس بطريق بيع الدين أو الشراء به للنص على أن العقد لم يضاف إلى الدين ، ولأنهم لا يجيزون بيع الدين لغير من عليه الدين ، كما أنه ليس بطريق الاعتياض عن هذا الحق ، لعدم النص على ذلك ، ولتصريحهم بأن الحقوق لا يجوز الاعتياض عنها كما في حق الشفعة ونحوه^(١) ، ولا يمكن أن يكون نقل هذا الحق بطريق الحوالة الحقيقية ، لأن حقيقة الحوالة عندهم هى نقل الدين من ذمة المدين وهو المحيل إلى ذمة غيره وهو الذى أحيل الدائن عليه ، وإيست نقل الحق من الدائن إلى شخص يحل محله قبل المدين ، وهذه الحقيقة الاصلاحية تجمع عليها عند فقهاء الحنفية [٢] ، ولأن الأحكام الخاصة بالحوالة الحقيقية الاصلاحية لا تجرى في نقل الحق في هذه الصورة ، فالحوالة الاصلاحية يشترط فيها رضا الطرف الآخر في الدين وهو الدائن ، أما في نقل الحق في هذه الصورة فلا يشترط الحنفية رضا الطرف الآخر ، وكذلك الحوالة الاصلاحية لا يتمكن المحيل من إبطالها ، أما في نقل الحق في هذه الصورة فأن الدائن يملك إبطال هذا النقل ، إلى غير ذلك من الأحكام ، وإذا كان نقل الحق في هذه الصورة لا تنطبق عليه حقيقة الحوالة

(١) ابن عابدين ح ٤ ص ١٤

(٢) ابن عابدين ح ٤ ص ٣٠٠ ، البحر الرائق ح ٦ ص ٢٣٤ وغيرهما .

ولا يتقبل أحكامها فإنه لا يمكن اعتباره حوالة حقيقة ، كما أنه لا يمكن اعتبار النقل في هذه الصورة ثابتا بطريق الاستخلاف ، لأن التعبير لم يكن بلفظ الوصية بالدين حتى يمكن أن يعتبر من باب الاستخلاف ، فلم يبق إلا أن يكون النقل في هذه الصورة بطريق الوكالة ، لأن الوكالة يتحقق بها نقل التصرف من جانب إلى جانب آخر على سبيل الجواز والصحة كما صرحوا بذلك ، ومن هنا رتبوا على النقل في هذه الصورة أحكام الوكالة من ملك الدائن إبطال هذا النقل ، وعدم توقف النقل على رضا المدين ، والعجيب في الأمر أن الدكتور يعترف بتكييفهم للنقل في هذه الصورة بأنه توكيل بقبض الدين ، ومع ذلك يقول بأنه حوالة رغم ما بين الوكالة والحوالة من فوارق في الحقيقة والأحكام .

وبيان منشأ الغلط في فهم المسألة أن النص عبر عن نقل الحق بلفظ الحوالة ، وهذا يفيد بظاهره أن الحوالة ترد على الحق كما ترد على الدين ، لأن اللفظ متى أطلق انصرف إلى حقيقته الاصطلاحية .

لكن هذا الفهم يكون صحيحا إذا لم يوجد هناك صارف يصرف اللفظ عن حقيقته الاصطلاحية إلى غيرها ، وقد وجد الصارف وهو ما قدمناه من استحالة تطبيق الحوالة الاصطلاحية بحقيقتها وأحكامها على نقل الحق في هذه الصورة ، وبناء على ذلك يكون لفظ الحوالة في نص هذه المسألة مستعملا في نقل التصرف بطريق الوكالة على سبيل المجاز بالنسبة للمعنى الاصطلاحي ، أو على سبيل الحقيقة اللغوية ، وإطلاق الحوالة وإرادة الوكالة إطلاق شائع في تعبيراتهم تخرج عليه الأحكام وتبنى ، يقول صاحب التنوير : « وإن قال المحيل للمحتال أحلتك لتقبضه لي ، فقال المحتال : أحلتني بدين لي عليك فالقول للمحيل ، وقال صاحب الدر تمليلا لهذا : « ولفظ الحوالة يستعمل في الوكالة ، أي مجازا كما نص عليه ابن عابدين ^(١) » وهذا صريح في أن لفظ الحوالة يستعمل في الوكالة وترتب عليه أحكام الوكالة لا الحوالة ، ويقول ابن نجيم في البحر : « ولفظ الحوالة مستعملة في الوكالة مجازا لما في التوكيل من نقل التصرف من الموكل إلى الوكيل ، ^(٢) » وبهذا يظهر أن نقل الحق في هذه الصورة ليس حوالة حقيقة كما فهم الدكتور .

(١) ابن عابدين - ٤ ص ٣٠٥ (٢) البحر الرائق - ٤ ص ٢٧٣ وصحتها ٢٤٠

أما قول الدكتور: إنها لو كانت وكالة لنصوا على جواز عزل المحال فيها كما تقتضيه طبيعة الوكالة، مع أن الأمر بالعكس إذ قد نصوا على أن المضارب مأمور بالحوالة والأمر بها يمنع جواز الرجوع حتماً، فقول لا يقوم على أساس، فإنهم قد نصوا على جواز عزل المحال في الحوالة التي قصد بها الوكالة كما هو ظاهر كلام البحر عند رد الاعتراض الوارد على الحكم في مسألة اختلاف المحيل والمحال له في كون التصرف وكالة أو حوالة^(١)، وهذا في غاية الوضوح، فإنه على فرض أن المحال له بمنزلة الوكيل وليس وكيلًا فإنه يأخذ حكم الوكيل ما دام هو بمثابة الوكيل ومنزلاً منزله، ومن أحكام الوكيل أنه يجوز عزله في أي وقت شاء الموكل، أما مسألة المضارب فهي وكالة يجبر عليها المضارب لإحياء لحق صاحب المال وليست من باب الحوالة كما سيأتي.

ويتضح مما تقدم أن نقل الحق في المسألة المذكورة إنما هو بطريق الوكالة لا الحوالة وإن عبر النص عنه بلفظ الحوالة، إذ العبرة في العقود بالأغراض والمعاني لا بالألفاظ والمباني، وقد قدمنا المعاني التي لاجلها اعتبر فقهاء الحنفية نقل الحق في هذه الصورة من باب الوكالة لا الحوالة.

ومع ذلك فيمكن القول بأن هذه المسألة من باب الحوالة الاصطلاحية، وذلك لأن المحيل هنا وهو المشتري مدين للبائع بثمن المبيع، فحين أحاله على غريمه فقد نقل الدين من ذمته إلى ذمة غريمه ولم ينقل الحق إلى البائع، أما القول بأن الدليل على أن هذا حوالة حق لا حوالة دين هو أن هذا المدين (غريم المشتري) ليس طرفاً في العلاقة وليس هناك ما يفيد قبوله لهذه الحوالة، فيمكن الرد عليه بأن غريم المشتري بقبوله الإحالة عليه أصبح طرفاً في هذا التصرف، ولا يضر عدم التصريح بالقبول فإن القبول ملاحظ ومفهوم من المقام، وهذا أمر شائع في التأليف بدليل استفادة القبول في مثالي البيع والشراء اللذين حكم بصحةهما قبل ذلك مع أنه لم يصرح بالقبول فيهما ولا ينعقد كل منهما بدون القبول، وغاية الأمر أن الحوالة هنا مقيدة بالدين الذي للمشتري على غريمه، ولا خلاف في صحة الحوالة إذا كانت مقيدة أما تكييف صاحب البدائع لهذه المسألة بأنها توكيل بالقبض - وهو ما قدمناه - فإنه مبنى على أن الحوالة حوالة حق لا حوالة دين.

أما المسألة الثانية فنقل المضارب الحق إلى رب المال نقل له بطريق الوكالة لا الحوالة ، وإن لفظ الحوالة مستعمل في الوكالة على سبيل المجاز ، والدليل على ذلك أمران - الأول - قال ابن عابدين : « إن لفظ الحوالة يستعمل في الوكالة مجازاً ، ومنه قول محمد في باب المضاربة إذا امتنع المضارب عن تقاضى الدين لعدم الربح يقال له : أحل رب الدين أى وكله »^(١) . فهذا صريح في أن استعمال لفظ الحوالة في هذه المسألة قد قصد به الوكالة على سبيل المجاز . - الثانى - أن ضابط الحوالة التى قصد بها الوكالة منطبق على هذه المسألة ، قال صاحب الخلاصة : « رب الدين إذا أحال رجلاً على رجل وليس للمحتال على المحيل دين فهذه وكالة وليست بحوالة »^(٢) ، ومما لا شك فيه أن المحتال وهو رب المال ليس له على المحيل وهو المضارب دين فيكون هذا التصرف منه وكالة لا حوالة ، وعلى ذلك لا يصح أن يقال إن هذه المسألة تدل على جواز حوالة الحق .

أما المسألة الثالثة : فالمراد بالاستعمال فيها الاستعمال المجازى لا الحقيقي بدليل أنه مثل لهذا الاستعمال بالإحالة في المضاربة ، وقد قدمنا الأدلة على أن استعمال لفظ الحوالة في مسألة المضاربة استعمال مجازى لا حقيقى .

أما المسألة الرابعة : فللفظ الحوالة مستعمل في معناه المجازى أيضاً ، وهو نقل التصرف بطريق التوكيل ، بدليل أن الدكتور ينقل عن الطحاوى أنه يرى أن الحوالة هنا - أى في نموذج التوثيق - تتم بلا حاجة إلى قبول المدين ، والذي يتم بلا توقف على قبول المدين هو الوكالة بقبض الدين ، أما الحوالة الحقيقية فلا بد فيها من رضا المدين وقبوله .

ومما تقدم نرى أن حوالة الحق غير جائزة في الفقه الحنفى ، وأن ما يخال من جوازها في بعض النصوص بحسب الظاهر هو في الواقع وعند التحقيق توكيل بقبض الدين ، وهناك فرق بين التوكيل والحوالة في كل من الشريعة والقانون .

ولا يضير الشريعة ألا يجيز الفقه الحنفى حوالة الحق ، فإن فقهاء الشريعة من غير الحنفية يجيزون ذلك لكن لا باسم الحوالة ، بل باسم بيع الدين أو هبته .

وسفتنارل بالبحث موضوع بيع الدين وهو الموضوع الذى يشمل أغلب صور حوالة الحق لرى أن الفقه الإسلامى د قانون حى يتجاوب مع ضرورات الحياة ويتلاءم مع حاجات المدنية ، ولا يقف فى طريق المصالح والحاجات ما دام ذلك لا يصادم أصلا أو نصاً من نصوص الشريعة .

كما سنتناول بالبحث موضوع نقل الدين وهو ما يعرف فى اصطلاح فقهاء الشريعة بالحوالة .

بيع الدين :

قد يحتاج الدائن إلى النصرف فى دينه بالبيع ، ولما كان البيع يقع على أنعماء كثيرة ، فقد يكون البيع إلى المدين وقد يكون لغيره ، كما أنه قد يكون البديل حالا وقد يكون مؤجلا ، وكانت مذاهب الفقهاء فى ذلك مختلفة ، ولبعضهم تفاصيل تخالف ما للبعض الآخر ، آثرنا أن نبسط المذاهب فى ذلك حتى نتعرف مواضع الاتفاق ومواضع الاختلاف ، وإليك تلك المذاهب :

قال الحنفية : إن الدين لا يخلو من أن يكون مما لا يجوز استبداله قبل قبضه كالمسلم فيه ورأس مال السلم وبديل الصرف ، أو مما يجوز استبداله قبل قبضه وهو ما عدا ما ذكر ، فإن كان الأول فلا يصح بيعه مطلقا ، سواء أكان البيع للمدين أم كان لغيره ، وسواء أكان البديل حالا أم مؤجلا ، وإن كان الثانى فإما أن يكون المشتري من عليه الدين أو غيره ، فإن كان المشتري من عليه الدين صح البيع بشرط أن يكون البديل نقدا غير مؤجل ، وإن كان المشتري غير من عليه الدين لا يصح البيع مطلقا ، سواء كان البديل حالا أو مؤجلا^(١)

وبرى المالكية أن يبيع الدين ببديل مؤجل غير جائز ، سواء كان المشتري من عليه الدين أو غيره ، أما إذا كان البديل حالا فإن كان المشتري هو المدين جاز ذلك بلا قيد ولا شرط ، أما إذا كان المشتري غير المدين فإنه يجوز إذا تحقق فيه الشروط الآتية :

(١) فتح القدير ٦ ص ٢٦٩ - ٢٧٠ ، ابن عابدين ٤ ص ١٧٣ -

- ١ — أن يكون الدين مما يجوز بيعه قبل قبضه بأن يكون من قرض أو نحوه .
 - ٢ — أن يكون البديل من غير جنس الدين ، أو من جنسه مع التساوى حذراً من الوقوع في الربا .
 - ٣ — ألا يكون البديل ذهباً حيث يكون الدين فضة ، لئلا يؤدي إلى بيع النقد بالنقد من غير مناجزة .
 - ٤ — ألا يكون بين المشتري والمدين عداوة ، لئلا يتوصل بذلك إلى ضرره والتسلط عليه
 - ٥ — أن يكون المدين حاضراً في بلد العقد ليعلم حاله من عسر أو يسر حتى يمكن تقدير قيمة الدين لأنها تختلف تبعاً لذلك .
 - ٦ — أن يكون المدين مقراً بالدين حتى لا يستطيع إنكاره بعد .
 - ٧ — أن يكون المدين ممن تناله الأحكام ليكون الدين مقدور التسليم ^(١) .
- هذا ما شرطه المالكية لصحة بيع الدين إلى غير المدين ، ويلاحظ على هذه الشروط ما يأتي :
- أولاً : أن الشروط الأربعة الأولى يمكن أن يغى عنها شرط واحد يعمها ، وهو ألا يؤدي بيع الدين إلى محذور شرعى ، فيشمل ذلك ما يؤدي إلى الربا أو الإضرار بالغير أو غيرهما من المحظورات الشرعية .
- ثانياً : أن اشتراط حضور المدين يمكن الاستغناء عنه بالعلم بحالة المدين ، سواء كان حاضراً أم لا .
- ثالثاً : أن اشتراطهم إقرار المدين وكونه ممن تأخذ الأحكام يمكن الاستغناء عنه باشتراط إمكان الحصول على الدين ، لأنه لا يمكن الحصول على الدين إلا إذا كان الدين ثابتاً بإقرار أو شهادة أو كتابة ، وكان المدين ممن تناله سلطة القضاء .
- وعلى هذا يمكن أن يقال إن يبيع الدين لغير المدين جائز عند المالكية بشرطين :

أحدهما : ألا يؤدي البيع إلى محذور شرعى ، ثانيهما : أن يغلب على الظن الحصول على الدين ^(١)

ويقسم الشافعية الدين إلى مستقر وغير مستقر ، فالدين المستقر كبذل المتلف والقرض يجوز بيعه من عليه بضمن حال قولا واحدا . ولا يجوز بيعه منه بضمن مؤجل ، وكذا لا يجوز بيعه من غير من عليه بضمن مؤجل ، وفى بيعه بضمن حال لغير من عليه وجهان : أحدهما لا يجوز ، والثانى يجوز بشرط أن يقبض المشتري الدين من هو عليه وأن يقبض بائع الدين العوض فى المجلس ، وأما غير المستقر فإن كان مسلما فيه فإنه لا يجوز بيعه أبدا سواء كان المشتري هو المدين أو غيره ، وسواء كان البذل حالا أو مؤجلا ، وإذا كان ثمنا فى بيع فى بيعه بضمن حال قولان : أحدهما يجوز والآخر لا يجوز ^(٢) .

ويرى الحنابلة عدم جواز بيع الدين لغير من عليه الدين مطلقا ، سواء أكان البذل معجلا أم مؤجلا ، وسواء أكان الدين مستقرا أم غير مستقر ، أما إذا كان المشتري هو المدين نفسه فإنه يجوز بيع الديون المستقرة بضمن حال ولا يجوز بيعها بضمن مؤجل ، أما غير المستقرة فلا يجوز بيعها مطلقا ^(٣) .

وذهب ابن تيمية وقليذه ابن القيم إلى جواز بيع الدين سواء أكان المشتري هو المدين أم غيره ، وسواء أكان البذل حالا أم مؤجلا ، ولم يمنعوا التعامل فى الدين إلا فى صورة واحدة ، وهى ما تسمى عند بعض الفقهاء بابتداء الدين بالدين ، وهى أن يبيع شخص لآخر إردبا من القمح مثلا إلى أجل معين بضمن قدره أربعة جنيهات ، صرية يدفعها له بعد مدة معينة مثلا ^(٤) .

وذهب ابن حزم إلى عدم جواز بيع الدين مطلقا سواء كان المشتري هو المدين أو غيره ، وسواء أكان البذل نقدا أم مؤجلا .

تلك مذاهب الفقهاء فى بيع الدين ، ومنها يتبين لنا ما يأتى :

أولا : أن يبيع الدين للمدين بضمن حال جائز عند الأئمة الأربعة وابن تيمية وابن القيم ،

(١) رسالة فى البيوع المنهى عنها للأستاذ عبد السمیع إمام (٢) المجموع للنووى ٩ ص ٢٧٢ - ٢٧٥ ، ومغنى المحتاج ٢ ص ٧٠ - ٧١ (٣) المغنى ٤ ص ١٧٢ ، الاقتناع ٥ ص ١٤٣ - ١٤٤ (٤) أعلام الموقعين ج ٢ ص ٨٩ - ٩٠ .

وهو مروى عن الحسن البصرى والحكم وحامد وطاوس والزهرى وقتادة والقاسم بن محمد، وباطل عند ابن حزم وابن شبرمة وبعض الساف، وهو مروى عن ابن مسعود وابن عباس .
ثانياً : ان بيع الدين للمدين بثمن مؤجل غير جائز عند الأئمة الأربعة وابن حزم، وجائز عند ابن تيمية وابن القيم .

ثالثاً : ان بيع الدين لغير من عليه الدين بثمن حال جائز عند المالكية إذا تحقق فيه ما تقدم من الشروط ، وهو قول ابن تيمية وابن القيم وأحد قولي الشافعى ، وممنوع عند الحنفية والحنابلة وابن حزم وهو القول الآخر للشافعى .

رابعاً : ان بيع الدين لغير من عليه الدين بثمن مؤجل غير جائز عند الأئمة الأربعة وابن حزم، وجائز عند ابن تيمية وتلميذه .
وسنذكر أدلة الفقهاء فى كل صورة من هذه الصور الأربع على حدة ، ونناقش ما تراه يستحق المناقشة منها .

الصورة الأولى : بيع الدين لمن عليه بثمن حال :

احتج المجيزون بما يأتى :

(١) ما رواه أصحاب السنن وابن حبان والبيهقى عن ابن عمر أنه قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : إني أبيع الإبل بالبيع فأبيع بالدنانير وأخذ مكانها الدراهم وأبيع بالدراهم وأخذ مكانها الدنانير ، فقال عليه الصلاة والسلام : « لا بأس أن تأخذها بسعر يومها ما لم تفرقا وبينكما شيء » ، قالوا : فهذا ابن عمر يأخذ الدنانير مكان الدراهم والدراهم مكان الدنانير ، وهو يبيع لأحدهما بالآخر ، ويقره النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك ، فيكون دليلاً على جواز بيع مافى الذمة من أحد النقدين بالآخر إذا كان المشتري هو المدين وكان الثمن حالاً ، وإذا جاز بيع أحد النقدين بالآخر جاز بيع غيرهما مما يثبت فى الذمة بطريق الأولى ^(١) .

(٢) ان مافى ذمة المدين مقبوض له فإذا دفع ثمنه للدائن كان هذا بيع مقبوض بمقبوض وهو جائز شرعاً .

(١) نيل الأوطار ج ٥ ص ١٣٣ ، والسنن الكبرى للبيهقى ج ٥ ص ٢٨٤ ، فتح القدير

ج ٥ ص ٢٧١ والمجموع للنووى ج ٩ ص ٢٧٤ .

واحتمج الممانعون بما يأتي :

(١) ما رواه البخارى ومسلم وأصحاب السنن عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلاً بمثل ولا تشفوا بعضها على بعض ، ولا تبيعوا الورق بالورق إلا مثلاً بمثل ولا تشفوا بعضها على بعض ولا تبيعوا منها غائباً بناجز ، »^(١) فهذا نهى عن بيع أحد التقيدين بالآخر إذا كان أحدهما غائباً والآخر ناجزاً ، والدين غائب عن مجلس العقد ، فيصدق عليه أنه يبيع غائب بناجز ، فيكون منها عنه ، والمنهى عنه حرام لا يحل فعله شرعاً .

(٢) ان بيع الدين من باب بيع الغرر ، لأنه بيع شيء لا يدري أخلق بعد أم لم يخلق وهو ما يؤديه المدين إلى الدائن عند الاجل مما يصدق عليه الدين ، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع الغير والمنهى عنه باطل^(٢) .

(٣) ما روى عن أبى المہال عبد الرحمن بن مطعم أن عبد الله بن عمر قال : « نهانا أمير المؤمنين - يعنى أباه - أن نبيع الدين بالعين ، »^(٣) .

هذه أدلة الفريقين ، وقد ناقش كل منهما أدلة الآخر ، فقال الممانعون من بيع الدين لمن عليه الدين : إن حديث ابن عمر لم يصح رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم إلا من طريق سمك بن حرب ، وسمك هذا ضعيف يقبل التلقين ، شهد عليه بذلك شعبة ، فلا يصلح للاحتجاج^(٤) .

وإن قولهم - في الدليل الثاني - بيع الدين من المدين بيع مقبوض بمقبوض غير مسلم ، إذ قد يكون الدين مؤجلاً فلا يصدق عليه أنه مقبوض لأن المراد من القبض في الأموال الربوية هو المنازلة .

(١) فتح البارى ج ٤ ص ٣١٧ ونيل الأوطار ج ٥ ص ١٦١ .

(٢) المحلى ج ٨ ص ٥٠٣ ، ج ٩ ص ٦ .

(٣) المصدر السابق نفسه .

(٤) المحلى ج ٨ ص ٥٠٣ ، نيل الأوطار ج ٥ ص ١٣٣ .

أما المجيزون فقد ناقشوا أدلة المانعين بأن المقصود من المناجزة في حديث أبي سعيد الخدري هو براءة الذم في الحال بأن لا يفترقا وذمة أحدهما مشغولة بشيء ، وهذا المعنى متحقق في بيع الدين لمن عليه ، لأن المدين إذا اشترى دينه برئت ذمته بمجرد العقد وإقباض الثمن ، فلا يكون بيع الدين لمن عليه من باب بيع الغائب بالناجز ، كما ناقشوا الدليل الثاني للمانعين بأن بيع الدين ممن عليه ليس من باب الغرر في شيء ، لأن الغرر إنما يتحقق إذا كان البدلان مجهولين في القدر والصفة أو كان أحدهما كذلك ، وما هنا ليس كذلك لاشتراط معلومية القدر والصفة ، وقالوا أيضا : إن أثر ابن عمر معارض بما روى عنه أنه مثل عن أخذ دنانير قضاء عن دراهم فقال : « لايت بها الصيارفة فاعرضها عليهم ، فإذا قامت على سعر فإن شئت نخذها وإن شئت نخذ مثل دراهمك » ، فقد أجاز أخذ الدنانير عن الدراهم إذا علم قدر صرفها عند الصيارفة (١) .

هذا ما ناقشه كل فريق أدلة الآخر ، غير أننا نرى - في مناقشة المانعين المجيزين - أن سماكا وإن كان شعبة قد وهنه إلا أن غيره قد وثقه كابن معين وأبي حاتم ، وروى له مسلم وكثير من الأئمة فغاية الأمر أن يكون حديثه في درجة الحسن وهو مما يصلح للحجية ، كما نرى أنه يمكن رد نقد المانعين دليل المجيزين الثاني بأن المقصود الاساسي من إقباض البدلين في عقد البيع هو براءة الذمة ، وهذا متحقق في بيع الدين ممن عليه الدين إذا كان الثمن حالا ولو كان الدين مؤجلا حيث تبرأ ذمة المدين بمجرد التعاقد ودفع الثمن .

ومما تقدم يظهر لنا رجحان ما ذهب إليه الجمهور من جواز بيع الدين ممن عليه ، خصوصا وأنه موافق لأصول الشريعة وقواعدها العامة ، فإن العقد إذا لم يكن فيه ضرر ولا مفسدة بل تحققت مصلحته - وهي هنا براءة ذمة المدين وحصول الدائن على وفاء دينه - كان الاتق بسماحة الشريعة اعتبار ذلك صحيحا مفيدا للمقصود منه .

عبدسوى المحم عبدسوى

المدرس بكلية حقوق عين شمس

[يتبع]

حقوق الإنسان

في دستور مصر الجديد

— ٢ —

١٣ — أما عن الحريات الفردية التي تتصل بمصالح الفرد المادية ، فنحن نرى منها حق الإنسان في أن يروح ويغدو ، في أن يمشى في أى مكان يريد وأى طريق يحب ، ومنها حقه في أن يظل في بلده أو أن يرحله وقتما شاء ، ومنها حقه في أن يكون آمناً على نفسه ، فلا يقبض عليه ولا يوقع عليه أى جزاء دون أن يكون ثمة مسوغ قانونى يدعو لهذا القبض أو يستوجب ذلك العقاب ، وقد كفل مشروع دستور الشعب الجديد في المادة السادسة منه : الحرية والامن والطمأنينة وتكافؤ الفرص لجميع المصريين ، وقرر في المادة ٣١ مبدأ شرعية الجرائم والعقوبات ، فقضى بالألا جريمة ولا عقوبة إلا بناء على قانون ، كما قضى بالألا عقاب إلا على الأفعال اللاحقة لصدور القانون الذى ينص عليها ، ونص في المادة ٣٣ على شخصية العقوبة بحيث لا تلحق إلا بمرتكب الجريمة ، وحظر في المادة ٣٤ القبض على الأفراد أو حبسهم إلا وفق أحكام القوانين الجنائية ، وأكد في المادة ٣٥ كفالة القانون حق الدفاع أصالة أو بالوكالة ، ورتب على ذلك في المادة ٣٦ وجوب أن يكون لكل منهم في جناية من يدافع عنه ، ومنع بمقتضى نص المادة ٣٧ منه إيذاء المتهم جسمانياً أو معنوياً ، كما قرر في المادة ٣٨ عدم جواز إبعاد أى مصرى عن الأراضى المصرية أو منعه من العودة إليها ، ونص في المادة ٣٩ على أنه لا يجوز أن تحظر على مصرى الإقامة في جهة ، ولا أن يلزم الإقامة في مكان معين إلا في الأحوال المبينة في القانون .

١٤ — ومن هذه الحريات كذلك ما يتصل باحترام حرمة المساكن الخاصة : L'inviolabilité du domicile privé ، ومن مقتضى ذلك أنه لا يحق للسلطة العامة أن تقتحم منزل أى فرد إلا وفقاً لما تنص عليه قوانين الدولة ، وقد أقر الدستور الجديد ذلك ، فنص في المادة ٤١ منه على أن للمنازل حرمة ، فلا يجوز مراقبتها ولا دخولها إلا في الأحوال المبينة في القانون وبالكيفية المنصوص عليها فيه .

١٥ - وكذلك نص مشروع الدستور في المادة ٤٣ على (حرية المراسلة) وقرر كفالتها وكفالة سريتها في حدود القانون - ويندرج كذلك تحت تلك الحريات المتصلة بمصالح الفرد المادية حريته في العمل والتجارة والصناعة ، وتعنى هذه الحرية أن السلطة العامة يتمتع عليها أن تحرم أى فرد أو هيئة من مزاوله عمل معين أو أن تصده عن القيام به ، ولذا نص الدستور في المادة ٥٢ منه على تخويل المصريين (حق العمل) وأوجب على الدولة العناية بتوفيره لهم .

١٦ - ولقد صارت الحقوق الفردية في المجتمع الحديث من المرونة بحيث تزيد وتغير وتعديل ، بما يتفق مع تطور الدول والشعوب وتقدم المدينيات والحضارات ، بيد أن هذه المرونة لم تكن مسألة منذ القرن الثامن عشر حتى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، لأن هذه الحقوق كانت في تلك الاحقاب حقوقا مقدسة غير قابلة للتعديل ولا سبيل إلى المساس بها .

١٧ - وكانت الفلسفة التي بنى عليها تقرير هذه الحقوق فلسفة فردية ، بمعنى أنها فلسفة تعنى بالفرد على اعتبار أنه فرد ، ولا تأخذ في اعتبارها اشتراكه في مجتمع يضم مجموعة من أمثاله من الافراد ، ومن هنا كانت النزعة الفردية منغلبة على الدساتير ، كما كانت طاغية على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ، حيث ساد في الاقتصاد مذهب عدم التدخل المعبر عنه بمباراة (دعه يعمل ، دعه يمر Laisser faire, laisser passer)

١٨ - بيد أن هذه الفلسفة قد تبدلت وتغيرت ، واقتضى التطور الاجتماعى قيام فلسفة أخرى تبني عليها هذه الحقوق ، ويبنى عليها موقفها منها بما يتلاءم مع هذا التطور الجديد ، وكان مما ساعد على هذا الأخير ، وبالتالي دعا إلى إبدال الفلسفة التي أبدلها بأخرى أساسا له ، أن المذهب الفردى قد بدأ يتزعزع ، نظرا لازدياد التبادل بين الناس وانتشار الصناعات وظهور الحركات العمالية ، وقيام المذاهب والاتجاهات الاشتراكية في المجتمع .

١٩ - ولم تكن الفلسفة الجديدة شيئا سوى التضامن الاجتماعى : La Solidarité Sociale الذى بمقتضاه ينظر إلى الفرد باعتباره وحدة من وحدات الجماعة التي يعيش فيها وجزءا منها لا يتجزأ عنها ، ومن هنا وجب عليه أن يتضافر وإياها لكي تسير الأوضاع

العامة سيرها المطرد، وأن يتضامن مع سائر الأفراد للوصول إلى الهدف المشترك لمجموعهم، ذلك الهدف الذى يعنى تحقيق الصالح العام والفائدة المجموعية والتقدم الاجتماعى فى مضمار الحياة العامة، وهذه هى الفلسفة الجديدة التى أقرها الدستور المصرى الجديد، إذ اعتبر التضامن الاجتماعى أول مقوم أساسى للمجتمع المصرى، فنص فى المادة الرابعة منه على أن هذا التضامن أساس للمجتمع المصرى.

٢٠ — ومن أجل تحقيق التضامن الاجتماعى لم يعد الاقتصار على الحقوق الفردية مجدياً، وأضحى لا مفر من الاعتراف بحقوق جديدة تنقسم بطابع الفلسفة الجديدة، وتميز بالطابع الاشتراكى، لذلك أطلق عليها اسم (الحقوق الاجتماعية Droits Sociaux).

٢١ — وتهدف هذه الحقوق الاجتماعية إلى تحقيق رفاهية الأفراد وتقديمهم وتمتعهم بأطياب العيش، وللوصول إلى ذلك تبين أنه لا بد من تقرير حد أدنى لمعيشة الإنسان، لا يتنافى مع الكرامة الإنسانية والعدالة الاجتماعية، كما تعين أن تقوم الجماعة بمهمة تهيئة الوسائل اللازمة لعيش المتخلفين عن الركب من أبناء المجتمع، نظراً لسوء أحوالهم الاقتصادية أو العقلية أو الصحية أو نظراً لكبر أسنتهم وعجزهم عن العمل والكسب، وأن يضمن المجتمع للأفراد والعائلات وسائل التقدم والعيش، فيقيهم شر الأمراض برعاية صحتهم، ويقضى على الفقر فى بيئاتهم بتشجيع الإنتاج وزيادة موارده ورفع مستوى المعيشة، وقد نص الدستور الجديد فى المادة ١٧ منه على أن تعمل الدولة المصرية على أن تيسر للواطنين جميعاً مستوى لانفا من المعيشة، أساسه تهيئة الغذاء والسكن والخدمات الصحية والثقافية والاجتماعية، وخول فى المادة ٣١ منه للمصريين الحق فى المعونة فى حالة الشبخوخة وفى حالة المرضى أو العجز عن العمل، كما نص على كفالة الدولة خدمات التأمين الاجتماعى والمعونة الاجتماعية والصحة العامة وتوسعها تدريجاً، وقضى فى المادة ٥٦ بأن الرعاية الصحية حق للمصريين جميعاً، تكفله الدولة بإنشاء مختلف أنواع المستشفيات والمؤسسات الصحية والتوسع فيها تدريجاً، كما نص فى المادة ٢٠ على أن الدولة تقي النشء الإهمال الأدبى والجسمانى والروحى، ورأى فى المادة ٣٤ أن يلزم الدولة كفالة ترويض المصابين بأضرار الحرب وفقاً للقانون، وفى المادة ٣٥ أن يلزمها كفالة ترويض المصابين بسبب نأدية واجباتهم العسكرية.

٢٢ — وتهدف الحقوق الاجتماعية كذلك إلى توفير الراحة والسعادة لفئات العمال برفع مستوياتهم المعيشية والصحية وإفادتهم من عطلاتهم وتنظيم أوقات فراغهم وتهيئة وسائل قضائهم فيما يحقق لهم الرفاهية والسعادة ، ومن مقتضى ذلك أن يباح للعمال المساهمة في تحديد شروط العمل الجماعية ، والانضمام الى النقابات والدفاع عن حقوقهم ومصالحهم العمالية في حرية كافية ، وقد أسلفنا أن الدستور الجديد قد كفل حق انشاء النقابات ، ونضيف هنا أنه قرر في المادة ٤٤ • أن ينظم القانون العلاقات بين العمال وأصحاب الأعمال على أسس اقتصادية مع مراعاة العدالة الاجتماعية ، واهتم في المادة ٥٣ بالنص على أن الدولة تكفل للمصريين معاملة عادلة بحسب ما يؤديه من أعمال وبتحديد ساعات العمل وتقدير الاجور والتأمين ضد الاخطار وتنظيم حق الراحة والإجازات •

٢٣ — وتحقق رفاهية الشعوب كذلك بأن تكفل الحقوق الاجتماعية لها التمتع بنعمة العلم والثقافة ، وذلك يتأتى عن طريق تقرير مجانية التعليم لافراد الشعب ، وقد نص الدستور في المادة ٥٠ على أن التعليم العام في مراحله المختلفة بمدارس الدولة بالجمان في الحدود التي ينظمها القانون ، كما أكد المجانية في المادة ٥١ منه •

أحمد طه السنوسي

ذكرى الشاعر الاسلامي أحمد محرم

في مساء السبت العاشر من رمضان الماضي (٢١ أبريل ١٩٥٦) عقد حفل كبير بدار المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين بالقاهرة احتفاء بذكرى الشاعر الإسلامي الكبير أحمد محرم رحمه الله. وقد افتتح هذا الحفل فضيلة الاستاذ أحمد الشرباصي رائد الجمعية والمدرس بالأزهر ، فتحدث عن النواحي الإسلامية عند محرم ، وتكلم عن الإلياذة الإسلامية ووجوب نشرها كاملة • ثم تحدث الشاعر الكبير الاستاذ عزيز أباطة عن صلته بمحرم وأخلاقه الكريمة وترفعه عن الدنيا • ثم تحدث الاستاذ عمر دسوقي عن منهج محرم في الإلياذة وقارن بينها وبين إلياذة هوميروس ، وفضل عمل محرم لانه ناريخ على اساطير هوميروس • ثم تحدث الاستاذ حسن كامل الصيرفي عن مكانة أحمد محرم بين شعراء جيله ، فقال : إنه كان في الصف الاول من عمدة الشعر العربي • ثم تحدث الدكتور أحمد الخوفي عن الوطنية النائرة في شعر محرم وأورد على ذلك كثيراً من الشواهد •

وقد أجمع المتحدثون في هذا الحفل على وجوب قيام الامة بطبع « الإلياذة الإسلامية » وتعميمها بين أبناء الإسلام والعروبة •

الاخلاق

ليس من شك في أن الاخلاق الكريمة هي الدعامة التي يبنى عليها مجد الأمم ، وهي الاساس الذي تشيد فوقه صروح الحضارة والمدنية .

وليس من شك كذلك في أن المقياس الذي يقاس به تقدم الشعوب ليس هو الثراء الواسع والجاء العريض والمال الوفير ، ولكنه الاخلاق القوية والآداب الرفيعة والطباع المستقيمة والأذواق السليمة .

ولهذا لم يمتدح المولى جل شأنه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بشيء من متاع الحياة ، وإنما امتدحه بالخلق العظيم فوصفه بهذه العبارة البليغة وهي قول الله سبحانه : **وإنك لعلی خلق عظیم** .

ولقد جرت سنة الله سبحانه مع كثير من أنبيائه ورسله أنهم لم يورثوا من بعدهم شيئا من حطام الدنيا ، وإنما ورثهم الخلق الكامل والعلم النافع والآداب الرفيعة ، كما اقتضت السياسة الإلهية الحكيمة أن يرسل الله جل وعز إلى الناس عامة وإلى الأمة العربية خاصة رسولا منها ينطق بلغتها ويتكلم بلسانها ويخاطبها بما تعرف ، وهو إلى كل ذلك كان مضرب المثل في مكارم الاخلاق ، فاستطاع - صلوات الله عليه - بأخلاقه وحكمته وحسن سياسته وتأييد الله له أن يقود هذه الأمة العربية التي كانت تشن الغارات لاوهي الأسباب وأنفه المناسبات أحسن قيادة ، وأن يسوسها أحكم سياسة ، وأن يخلق من تلك الأمة الجافة الجافية أمة كريمة في أخلاقها قوية في صفاتها عظيمة في أعمالها راقية في آدابها سامية في أفكارها كاملة في حضارتها ، وصدق الله العظيم حيث يقول :

(فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين)
وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول : (إن أحبكم إلى وأقربكم مني منازل يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطئون أكنفا الذين يألفون ويؤلفون) .

وإن التاريخ الصادق ليحدثنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن فارق الدنيا والتحق بالرفيق الأعلى اشتاق إليه قومه فاجتمع فريق من الصحابة حول أنس بن مالك

خادم رسول الله عليه صلوات الله وطلبوا إليه أن يخدمهم عن رسول الله ، وقد كان أشد الناس اختلاطاً به لخدمته الطويلة له ، فبكى أنس بكاء شديداً وطلب منهم أن يعفوه من ذلك ، ولكنهم ألحوا عليه ، فلم يسعه إزاء إلحاحهم إلا أن يتحدث عن أهم الجوانب في صفات النبي الكريم ، فقال رضى الله عنه : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً ، والله ما مسست ديباجاً ولا حريراً ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا شممت ريحاً أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولقد خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى أف قط ، ولا قال لى لشيء فعلته لم فعلت كذا ؟ ولا لشيء لم أفعله لم لم تفعل كذا ؟ ، وهذه هى الديمقراطية ، العظيمة من الديمقراطية ، الأول صلى الله عليه وسلم يبينها للناس جميعاً فى معاملته لخدمه ، فقد رفع الكلفة بيده وبينهم ليشعرهم بالحرية والكرامة وليبعد عنهم وصف الأرقاء والعبيد .

ولو أن الناس اتبعوا هذه السياسة الرشيدة فى معاملة الخدم لانتجت الفوارق بين الخادمين والمخدومين ، وزالت الحواجز من بينهم ، وساد الجميع روح الوفاق والوئام ، وحسبنا أن نذكر فى هذا المقام أن الأعرابى الجلف كان يأتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجذبه من رذاته الغليظ ويقول له : أعطنى فإنك لا تعطينى من مالك ولا من مال أبىك ، فيهم بعض الصحابة بضربه ، فينهاه الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك ويأمر للأعرابى بالعطاء ، فتسكون هذه السياسة الحكيمة سبباً فى دخوله وقومه فى دين الله .

وانه صلوات الله عليه كان يقول : (أنا أحق بكل مؤمن من نفسه ، من ترك ما لا فلاهله ، ومن ترك أهلاً أو ضياعاً فالى وعلى) .

فيألها من نفس تفيض رقة ، وتسيل رحمة ، وتقطر برا وحناناً وعطفاً وإحساناً .

على أن الأخلاق السكرية كثيراً ما كانت سبباً فى نجات أربابها من الشدائد وتخليصهم من المخاطر ، انظروا إلى سفانة بنت حاتم الطائى ، وقد جرى بها أسيرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذنت منه ودخلت عليه وقالت له : يا رسول الله ، أنا بنت حاتم الطائى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه : « خلوا عنها فإن أباهم كان يحب مكارم الأخلاق » .

إن الإسلام كما يدعو إلى مكارم الأخلاق يحذر من الشقاق والنفاق ومساوى الأخلاق ، وينهى عن السخرية والاستهزاء والشتائم والسباب والتنازع بالألقاب . اقرءوا إن شتم قول

الله سبحانه : (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم . .
الآية) وقول الشاعر الحكيم :

أحب مكارم الاخلاق جهدى واكره أن أعيب وأن أعابا
وإن الامم التي تريد أن تحيا حياة طيبة وأن تبني ملكا كبيرا ، وأن تتمتع بسمعة كريمة
عليها أن تتحلى بمكارم الاخلاق ، وأن تتخلى عن رذائل الصفات .

على الاخلاق خطوا الملك وابنوا فليس ورامها للعز ركن
وإنما الامم الاخلاق ما بقيت فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا
صلاح أمرك للأخلاق مرجعه فقوم النفس بالأخلاق تستقم
إن الامم إذا أصيبت في أموالها كان أمرا محتملا ، وإذا أصيبت في أبنائها كان خطبا يسيرا ،
أما إذا أصيبت في أخلاقها فتلك هي الكارثة الكبرى والمصيبة العظمى .

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مأتما وعويلا
من كل أولئك يتبين بوضوح وجلالة أن الأمة الإسلامية لو سارت على هدى القرآن
الذى يهdy للى هي أقوم ، ونهجت نهج نبيها عليه الصلاة والسلام في التمسك بأهداب الاخلاق
الكريمة والتقاليد الطيبة ، لعزت كما عز المسلمون الأولون ، ونجحت كما نجح سلفها الصالح ، وفتحت
البلاد شرقا وغربا كما فتحوا ، وطهرت البلاد من المستعمرين والمستعبدين .

ولكن يوسفنى كل الأسف أن الأمة الإسلامية وبخاصة شبابها كانوا سديا فى انهيار
الاخلاق وتدهور الآداب ، وانتشر بين هؤلاء الذين نعتبرهم عدة المستقبل وعماد الجيل
الجديد التخلف والميوعة والخلاعة والمجانة ، فالشباب يقلدون الفتيات فى أصواتهن وإشارتهن
ومشيتهن وأزيائهن وفى كل شئ يتصل بهن ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (لعن
الله المقشبهين من الرجال بالنساء والمقشبهات من النساء بالرجال) .

إن طبيعة الرجل غير طبيعة المرأة ، فقد خلق الرجل للكد والجد والعمل وكسب
القوت ، وطبيعته فيها من الخشونة ما يؤتم تلك الخصائص ، وقد خلقت المرأة للبيت والامومة
وتربية الابناء ، وطبيعتها تتناسب مع تلك المميزات ، فليس لها أن تغتصب حقوق الرجل
بالطمع فى الرئاسة والنيابة والقضاء وما إلى ذلك من الوظائف التى لا تتفق وأنوثتها .

ويعجبني في هذا المقام قول نابليون بونابرت : وأنا أعرف الرجل رجلا والمرأة امرأة .
أما أن تغتصب المرأة حقوق الرجل ، أو يغتصب الرجل حقوق المرأة ، فذلك ما لا أعرفه .

تلك ظاهرة قد عرفت في هذا الزمن ، وهناك ظاهرة أخرى لا تقل عنها سوءا ، وهي انتشار الانانية وحب الذات والعكوف على الصالح الخاص ، وذلك يناقض قانون الأخلاق ، ويجافي أسس الآداب ، ويتعارض كل التعارض مع روح الدين ، إذ الأخلاق الدينية العالية تدعو إلى حب الخير للغير ورعاية الصالح العام ، وأن نعم نعم الله الناس جميعا (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) ، (خير الناس أنفعهم للناس) ، (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) ، (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه) ورحم الله أبا العلاء إذ يقول :

ولو أني حببت الخلد فردا لما أحببت بالخلد انفرادا
فلا هطلت على ولا بأرضي سخائب ليس تنظم البلادا

إن الأخلاق السكرية تمنع صاحبها من الوقوع في المآثم ، وإن الضمائر الحية تحاسب أصحابها على ما يأتون من أعمال ، فإذا ما هم الإنسان بسيئة من السيئات أو خطيئة من الخطايا وقفت الأخلاق والضمائر سدا منيعا أمام الشهوات والزوات وحائلا حصينا دون الموبقات والمنكرات ، ولقد كان آباؤنا وأجدادنا على أكبر جانب من الأخلاق الحميدة والضمائر النقية ، فلم تسكث فيهم المنكرات كما كثرت فينا ، ولم تفش فيهم الفاحشة كما فشيت بيننا ، ولو أن الناس تمسكوا بالدين وآدابه والشرعية وما فيها من أخلاق سامية ، لسمنا الناس بأنفسهم عن مواقع الزلل ومهاوى الرذيلة ، ولنجحوا في أمورهم ووصلوا إلى أهدافهم ، وحصلوا على ما يبيغون من عزة وكرامة وفوز وفلاح .

(ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم) ؟

ابراهيم أبو سمرة

من علماء الوعظ بالأزهر الشريف

تعليقات

- ١ -

صحيفة الشعب

صحيفة بناء لا هدم

السيد المحترم صلاح سالم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد .

فن البشائر الميمونة أن يستقبل الشعب صحيفته الجديدة ، وعلى رأسها بطل من أبطاله الذين توكلت عليهم مصر في نهضتها لانتشالها من هدمتها ، فكانوا عند ظنها بهم ، وافتدوها بأرواحهم ، وتمنحهم عنهم التاريخ الحديث ليكونوا نخر الوطن في فم الاجيال .

نعم يستقبل الشعب صحيفته الجديدة ، وهو صادق الامل في أنها ستكون مجالا فسيحا لفشاطك المعهود ، ووسيلة جدية لخدماتك المدخرة ، ومرآة تتمثل فيها جهودك ، وصفحة خالدة لما آثرك وتوجيهاتك وكتابتك ونوعاتك .

ولذلك لتعلم يا سيدي أن مصر حتى اليوم بحاجة قصوى إلى صحيفة جديدة تنجاوب مع القومية المصرية في إبراز خصائصها ، وتصوير مشاعرها ، وتربية أخلاقها ، والصدق في توجيهها . ذلك لأن الانجاء الصحفي الموروث فيما يراه المفكرون - وأنت عليم - بمزيج بروح العهود السالفة ، ووليد السياسات المتضاربة ، فهو اتجاه خليط ، ليس محصا من الاغراض ، ولا ناشئا على النزاهة .

بل هو في مظهره أسباب للكسب أكثر من أن يكون مبادئ قوية ، وهو وسيلة إلى الزاني المائعة أكثر من أن يكون أسلوبا جديا في الإصلاح .

وظاهرة ذلك أن بعض الصحافة - فيما يشغلها كثيرا - تنهافت على مساقط الاخلاق ، وتحتطب من الروايات الهزيلة ، والاخبار المردولة ، ثم تطلع علينا زاعمة أنها أوسع أفقا من - سواها ، حتى أسرفت في ذلك ونسيت رسالتها الادبية في تلقين قرائها - وبخاصة الشباب - روح الجد والغيرة الوطنية ، وتحولت إلى معرض للصور المماجنة والاخبار المثيرة مما يجري بين السفلة وطغام الامة ، رهى توهم قراءها أنها تبصرهم بالجرائم ليتجنبوها ، وما هو في الحق إلا استدراج

إلى الرذيلة ، وترضية للغرائز المنحرفة ، ومسايرة للشباب الطائش ، كل ذلك لحساب أعداء الوطن .
ونحن - ياسيدى - شعب مدين في مجمره ، يطرُق المساجد في تراحم ، رغم ما يجلب إلينا
من المغريات الفاتنة ، ورغم ما تحاط به من الدعايات المقنعة ، ورغم ما يتخذ عنا به نفر من المتحلمين .
وإنك - ياسيدى - لنقرأ بنفسك كثيرا مما قلناه ، فلست بحاجة منا إلى مزيد .

ولولا حياء مركوز في الخلق المهرى بوجه عام ، ودين غالب على الجبهة منا ، لانحدرت
الأكثرية ، وتغلغلت المفاسد ، وانهار بناؤنا الأدبي أكثر وأكثر .

وإن تسكن ثورة مصر - وأنت ركن من أركانها - تسكشت عن أمل جديد في الإصلاح ،
فأنت - في صفحتك الجديدة - أقدر على العلاج وأعرف بهوطن الداء .

لهذا - لم يكن إسرافا من الناس أن يستقبلوا صحيفة الشعب قبل ميلادها بكثير
من الغبطة بها ، والثقة فيها ، والتعويل على شخصك ووطنيتك .

وإن يكن في الناس من يقيس الغائب على الحاضر ، ويعتبر أية صحيفة ناشئة ستكون أشبه
بصحف سابقة ، فإننا نمتقد أنك مدرك لهذا الإحساس ، وعامل على إحلال ثقة الشعب
في صحيفة الشعب محل امتعاض الشعب من أكثر كتابه وصحافته .

وإذا كان من الخير أن تتآزر الجهود والآراء ، فإني لأرجو منك - أولا وأخيرا - أن
تنزه صحيفة الشعب عن المخازى التي انحدرت إليها مجلات وصحف مما تجعل منه القومية ،
وتعافى الكرامة والخلق ، ويأباه على الجيل الجديد كرام الآباء والامهات ورجال الإصلاح .
لنسكن صحيفة الشعب غير محاربة للدين ، ولاخاصة للعلماء ورجال الدين المسلمين (كما جنحت
إلى تلك الخصومة صحيفة الجمهورية مع الأسف ١١) ولنسكن صحيفة الشعب حريصة على سمتها
الخالق ، حتى يحس الشعب أنها حقاً صحيفته ، وأنها تحمل إليه رسالتها الصحفية في أمانة
وصدق ، وأنها تعمل لإنهاضه ورفع مستواه الأدبي ، لا للمتاجرة عليه ، والسير في غفلته .
وستجد الصحيفة باعتمادها جمهوراً يقدرها ويضعف بها ، وهذه غايتك .

ياسيدى - هذه صيحة من الضمير ، أناجيك بها في ثقة واطمئنان ، فهل أنت - وتلك
عقيدتي - مستجيب ؟؟

عبد اللطيف السبكي

١٢ من رمضان سنة ١٣٧٥

عضو جماعة كبار العلماء - ومدير التفتيش بالأزهر

٢٣ من أبريل سنة ١٩٥٦

- ٢ -

مهزلة الأزهرى المخبول...

لم يعرف بشخصه ولا بعلمه ، حتى يقال : تطلع إليه الناس فأفانم بما يعلم ، ولم يكن مدفوعاً إلى رأى يدل عليه ، ويدعو إلى تمحيصه ، لمعرفة صوابه من خطئه ، حتى نفسح له الصدر ، وننشر عليه لواء الحرية .

ولأنما هو لدى خلطائه وعارفيه غرى يفقد رشده ، ويتخلف عنه وازع الدين ، فيعرف بما لا يكون من عاقل ، ويخطئ بما لا يرتضيه الدين .

وفي عامنا الفاتت تبين من هزله أنه لا يفرق بين دين وزندقة ، ولا يثبت على حق ولا على باطل . . . ولكن الصحف ناصرت على أى حال ، وكان حرياً بالصحف ألا تفسح له صدرها . . . وكان حرياً بكتاب الصحف ألا يظلموا أقلامهم بالخوض معه في بهتانه ، ولسكنها نزعة صادفت هوى فاحتضنوه ، ورشقوا بلواذع السكلم من يدافعه عن ضلالتة ، واتخذوه درعا يدرأون به عن أنفسهم ما يعزى إلى كثيرين منهم . .

ومع هذه المقاومة الصحفية وقف الأزهر من معنوه ومن أنصار التحلل موقف الإبقاء على العقيدة ، والدعوة إلى الحياء من الله ، وأقصاه عن التدريس فحسب ، ثم كانت النتيجة أن جهات أخرى تأولت في فهم الجريمة ، وفي شكلية المجلس الذى تولى محاكمة الباغى على دين الله ، وكان من رأيها الرجوع به إلى كرسى التدريس بالأزهر ، وإن رغم الأزهر ورغم سواه .

وفي عامنا هذا عاد صاحبهم إلى شر مما سبق ، مطمئناً إلى مناصرة الانصار وحمائهم لحرية رأيه على حساب الدين ، وفي مواجهة القرآن ، ورغم أنوف المسلمين . . .

عاد فصاح صيحته الجديدة الطائشة حول ما جاء به الكتاب على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم ، واستقر عليه الدين ، وآمن به المهديون ، اطمأنوا إلى التزامه : من صلاة وصوم وزكاة الخ . فزع المسلمون لذلك الهوس العقلى ، والتهور اللادبنى ، كما فزعوا لما مضى . .

فيا ترى !! ما هو السر الخبيء وراء هذا الصائح الخبيث ؟؟

الصواب : أنه ضائق بنفسه : إذ تنازعه إلى الظهور ، وتغالبه في إدراك الشهرة ، وليس له سبيل إليها من جانب العلم .

فلم يبق لمركب النقص عنده منفذ إلى غايته سوى صيحة جديدة تثير حوله أصدوثة الناس ، وتفتح عليه باب الأخذ والرد ثانيا ، وهذا ما تطيب له نفسه المنهومة .

وفي مصر شراذم تستغل مثل هذا الابله ، وتبذل ما لها في استنهاضه إلى الفتنة حول الدين ، وإثارة التشكيك في دعائم الخلق وفتنة الناس عنها .

ثم : ياترى !! ماذا يرى الذين كلفوا أنفسهم حماية آتفا ، أو الذين غلبهم حسن الظن ورجح عندهم التأول في جريمته ، وتلطفوا به في غير مبالاة ؟

تذبذب صاحبهم في موقفه الاول ، فكان يتحدى مرة ويعتذر أخرى ، حتى هزم أنصاره ، وحملوا عليه حملة السخرية ، لأنه لم يكن مصرا على موقفه كما ينشدون .

وها هو ذا : في عامنا الحاضر يضاحكك نفسه من عقولهم ، ويعود إلى تبذله في دينه غير جاد ، ولا مصر . . فهو يكفر ثم يؤمن ، ويكفر ثم يؤمن ، وتعود الصحافة وكتابها

إلى تدليله ساعة يكفر ، والحملة عليه ساعة أخرى حينما يعتذر . أيسكون بعد هذا التأرجح بين الكفر وتصنع الدين ، وفي الخبل ثم التظاهر بالعقل ، مستحقا عندهم للدفاع عنه : كما يقول

الاستاذ زكي عبد القادر ويتهدد ؟ أم يكون إغفاله عدوانا صارخا على دين الله :

دين الدولة ، وهما مقصودا لمعالم الاخلاق ، ومحوا في إسرار للقيم الروحية ، وترويجا للإباحية في بلد عاش مسلما ، ويحرص شعبه على أن يظل مسلما ، وإن غضب كتابنا ؟ ؟ .

... أعتقد أن بعض الصحافة المصرية تهدم أكثر مما تبني ، وتعمد أكثر مما تحسن ، وأود أن يثوب إلينا الرشد ، وثوب إليه ، وأن ندرك واجبا قبل أن يتأصل فينا الاستخفاف بالواجب .

والتهاون في شأن الدين والخلق ، وإهدار الحياء ، وإذاعة الفكر الخبيثة ، أمور عدائية لأهداف الثورة ، فلنقلع تلك الصحافة عن المتاجرة بالمبادئ السامية ، وليعلموا بأننا - حين

ننصحهم - لا نتجر بالدين كما يسفسطون .

وليكن من غيرة الصحافة وكتابها أن يتعاونوا على مقاومة العابثين بالدين والخلق ، والكسف عن استدراج الناس إلى الأباطيل .

أما الأزهر فقد برى إلى الله من هذا المعنوه ، وقد بذل من سلطانه الرسمي ما يملك ، ومن محاولاته ما استطاع ، فلم يجد من النصرة للحق بعض ما وجد المبتلون من أقلام

مسرفة ، وحمايات للبهتان في الدين والافتراء على الله .

عبد المظيف العسكبي

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير التفتيش بالأزهر

(كل امرئ بما كسب رهين)

الكتب

الجزء الخامس من تفسير الطبري

بتحقيق وتعليق الاستاذ محمود محمد شاكر - ٦٤٨ ص - دار المعارف بمصر

تكرر منا التنويه بهذه الطبعة من (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) لابن جعفر محمد بن جرير الطبري ، لأنه أعظم مؤلفات أئمة الإسلام في تفسير كتاب الله ، بل هو جامع لطائفة من كتب التفسير المأثورة عن التابعين وشيوخهم من الصحابة ، مما رواه مجاهد وقتادة والسدي وعطاء والربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وطبقتهم ، وكانت لذلك كتب في زمن ابن جرير أخذ هو عنها وفقدت في العصور التالية ، ولولا أنه قد دون في تفسيره الأقوال المأثورة عنهم بأسانيدها لضاعت بضائع أصولها ، ولو شاء أهل العلم أن يجردوا من تفسير ابن جرير تفسيراً لمجاهد وآخر لقتادة وثالثاً للسدي الخ لكان من ذلك كتب كاملة قد تستوعب تفسير آي الذكر الحكيم كله وتكون عزاء لنا عن أصولها المفقودة الآن . ثم إن من دلائل إخلاص الإمام ابن جرير لله عز وجل في تأليفه جامع البيان أن قيض لخدمته وتحقيقه والتعليق عليه أديبا ضليعا واسع الحفظ مثبنا كالاستاذ محمود شاكر الذي أشرنا إلى نواحي مجهوده في كلماتنا السابقة عن هذا التفسير ، وبلغ هذا المجهود حد السكال بقيام علامة الحديث الاستاذ الشيخ أحمد شاكر بتحقيق أسانيد الآثار المروية فيه ومتونها وهي في كل جزء من أجزاء التفسير تزيد على ألف نص ، بل إنها بلغت في الأجزاء الخمسة التي صدرت حتى الآن ٦٢٣٤ نصا ، وفي تحقيقها والتعريف برواتها علم جم لا يقدره قدره إلا من يكابد مثله . ونحن نعتبر صدور كل جزء من أجزاء هذا التفسير كسبا عظيما للمكتبة العربية ، وشرورة ثمينة للثقافة الإسلامية ، وعندما يتم طبع جامع البيان لمحمد بن جرير الطبري على هذا النحو فإنه سيكون بنفسه مكتبة لاغنى عنها لعالم ، ولا لطالب معرفة في علوم الإسلام .

الصحاح ومدارس المعجمات العربية

للاستاذ أحمد عبد الغفور عطار - ٢٨٢ ص - طبعه السيد حسن شربتلي

بمطابع دار الكتاب العربي

معجم (صحاح اللغة) لأبي نصر اسماعيل بن نصر بن حماد الجوهري ٢٣٢ - ٣٩٣ هـ هو المعجم العربي الأول الذي نظر فيه مؤلفه إلى أواخر الكلمات المجردة فابتدأ بالكلمات التي أواخرها همزة ثم رتبها بحسب حروف أوائلها . وكان الذين تقدموه كالخليل في (كتاب العين) وابن الأزهري في (تهذيب اللغة) وابن سيده في (المحکم) يذكرون الكلمة وما ينشأ عنها بالقلب لملاحظتهم أن الكلمات التي تشترك في الحروف وإن اختلفت في الترتيب لا بد أن يكون لها معنى مشترك هو جنس لأنواع معانيها . فترتيب الجوهري كلمات (الصحاح) على حروف أواخر الكلمات المجردة كان فيه تيسير بالنسبة إلى من تقدمه من مؤلفي المعاجم العربية ، وهم أول مؤلفي معاجم اللغة في تاريخ الإنسافية . ثم إن الصحاح يمتاز بأن الجوهري التزم فيه الصحيح من ألفاظ العربية واقتصر عليه ، فهو في اللغة نظير صحيح الإمام البخاري في الحديث ، وقد جمع فيه أربعين ألف مادة أي نحو نصف مواد لسان العرب وثلاثي مواد القاموس المحيط . والجوهري يعد أنحى اللغويين . قيل إنه سمع عليه معجمه إلى باب الضاد ، ثم عرض له ومروسة مات بسببها ، فبيضه من بعده تلميذه إبراهيم بن صالح الوراق فغلاط في بعض مواضع منه نبه عليها علماء اللغة فيما بعد .

وكان هذا المعجم النفيس قد طبع بمطبعة بولاق سنة ١٢٨٢ فقيض الله لبعثه الآن المحسن الحجازي الكريم السيد حسن الشربتلي فببرع بنشره نشرأ علمياً يليق بمكانة هذا الأثر العربي الجليل . وناط هذه المهمة بالاديب الحجازي المعروف الاستاذ أحمد عبد الغفور عطار ، فهو أخذ الآن بأسباب ذلك وماض فيه ، غير أنه رأى أن يقدم بين يدي المعجم مقدمة له في كتاب يمتع هو هذا الذي توجنا هذه الكلمة بعنوانه ، وهو بحث كتبه عن «الصحاح» واللغة العربية ورواد المعجمات فيها ، وعن مدارس المعجمات وتاريخها ومنهجها . والذي قام حول «الصحاح» من دراسات تناولته من أكثر جوانبه ، وهو لكثيرته يدل على ما قوبل به هذا المعجم من حفاوة ما تزال تجدد على مر الأيام . وقد ألحق الاستاذ

أحمد عبد الغفور عطار بكتابه ست فهارس وافية للموضوعات، والأعلام، والطوائف والقبائل والأجناس، والأماكن والبلدان، والسكتب الواردة أثناء البحث والمراجع.

وقد حل إلينا هذا السكتب بشرى أخرى ابتهجنا لها كثيراً وهي أن الرجل الكريم السيد حسن الشربتلي يعد العدة لنشر كتاب (تهذيب اللغة) لأبي منصور محمد بن أحمد ابن الأزهري (٢٨٢ - ٣٧٠) وهي يد له على العربية سيذكرها له الدهر عندما ينفقه بتحقيقها. ولا نستطيع أن نكتبكم هذا المحسن العربي أن أعلام الإسلام من الطبقة التي كانت قبلنا - وعلى رأسها الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده والعلامة الشنقيطي الكبير والشيخ طاهر الجزائري وأحمد تيمور باشا - كانوا يتمنون أن يطبع كتاب (المحكم) لنا بغة الأندلس أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده الضرير (٣٧٨ - ٤٥٨)، وهو كتبته بلسان اللغة تصعب المراجعة فيه إلا إذا ألحق بهما فهرس للألفاظ مما ترتب على ترتيب المصباح والأساس، فيكون هذان المعجمان مع الصحاح والجمهرة المطبوعة في حيدرآباد الدكن ومع لسان العرب والتاج خزينة ثمينة من خزائن العربية لا تنسى العروبة أيادي العاملين على بعثها وإحيائها، والله هو الملم والموفق.

من ماضي الإسلام وحاضره

لصاحبي الفضيلة الأستاذ الشيخ محمود النواوي والأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي -

١٩١ ص - دار العهد الجديد للطباعة

هي مجموعة دراسات اسلامية تخير فيها المؤلفان الفاضلان ما لا يس حياة هذا المجتمع، وعالجا كثيراً من مشكلاته التي تمدها موجات الاحاد وتطير شرارتها تألبات الخصوم الذين يلبسون الهمجية اسم المدنية. ويجد القارىء مع هذه الدراسات صوراً لامعة لأعلام من رجالات الاسلام كالزبير بن العوام والحسين بن علي، والقاضي أبي يوسف والإمام البخاري، ومن الزهاد كبشر الحافي والمرى السقطي وإبراهيم الخواص وإبراهيم الدسوقي، وهكذا ينقل القارىء في هذا السكتب النفيس بين رياض من البحوث الاجتماعية والإصلاحية والأدبية، والدراسات التاريخية في تمحيص الحقائق عن ماضي الاسلام، وتقويم الانجازات المختلفة في حاضره، إلى نماذج فيها القدوة والاسوة من حياة عظماء هذه اللغة وأعلام العلم

والتقوى والجهاد في مختلف أدوارها . وإن المؤلفين الفاضلين معروفان لقراء هذه المجلة بما ملا به صفحاتها من مقالاتها وبحوثها ودراساتها ، فلا غرو إذا كان كتابهما هذا في سبيل ذلك من خدمة العلم والاسلام . فنشكرا لهما ، وننتظر منهما المزيد .

تجديد التفكير الديني في الاسلام

للشاعر الاسلامي محمد اقبال - ٢٢٧ ص -

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

صدر بالعربية هذا الكتاب مترجماً بقلم الاستاذ عباس محمود ، وراجع مقدمته والفصل الاول منه الاستاذ عبد العزيز المراغي رحمه الله ، وراجع بقية الكتاب الدكتور مهدي علام . ولم يذكر المترجم ولا القائلون على النشر اللغة التي ألف بها الكتاب هل هي الاوردية أم الفارسية أم الانجليزية ، وكان المؤلف يحسن اللغات الثلاث . وكان ينبغي أن يتحدث المترجم أو القائلون بالنشر عن اتجاه محمد اقبال في هذا الكتاب نحو تجديد التفكير الديني في الاسلام هل هو اتجاه اسلامي محض كما كان يفهمه السلف في القرون الثلاثة الاولى ، أم اتجاه سياسي ، أم هو اتجاه صوفي ، وهل هو تصوف إسلامي محض ، أم هو ينزع إلى ما كان ينزع اليه جلال الدين الرومي قديماً وناغور وغاندي أخيراً ، أم أن له فيه طريقة خاصة وما هي هذه الطريقة ؟ .

إن محمد اقبال شاعر اسلامي عظيم ، وكانت له مواقف بليغة كمواقف القلاع الحربية والاساطيل في مقاومة الاستعمار السياسي والاستعمار العقلي ، ولكن مواقفه تلك شيء وآراءه في تجديد التفكير الديني في الاسلام شيء آخر ، فالتجديد الديني في الاسلام لا يجوز أن يكون إلا بعثاً لحياة الاسلام كما كان يفهمها الصحابة والتابعون ، ونصوص القرآن والحديث لا ينبغي المسلم أن يحملها على غير ما كان يحملها عليه الأئمة المروية مذاههم في تفسير الطبري وفتح الباري ، وقد كان المسلمون بخير وقوة وعزة يوم كانوا يفكرون تفكيراً إسلامياً على هذا النحو ، ثم وضعوا كيانهم في القصعة التي تداعت إليها الامم لما شغلوا تفكيرهم الديني بفلسفة اليونان والتصوف البرهمي . وما كان لنا أن نكرر التجربة فندخل أفكار شبابتنا

المتقف بمذاهب الاغيار فيما استأثر الله بعلمه من أمور الغيب التي يحول في آفاقها المجهولة تفكير المفسرين فيما بعد الطبيعة . وفيما لا يتصل بالجمهور والبوقة من علوم لو كان لنا خير في معرفتها لكشف لنا الإسلام عنها غطاء الغموض وعرضها لحواسنا ، فن الخير لنا أن نفهم الإسلام كما فهمه الصحابة من معلم الناس الخير ، وأن نتخلق بالاخلاق التي كان نبينا للمثل الأعلى لنا فيها ، وأن نتعلم وسائل القوة وفنونها وعلوم السكون التي تزيدنا معرفة بخالفها ، وتؤهلنا للخلافة على الأرض كما كان أسلافنا في الاجيال الثلاثة الاولى من تاريخ الإسلام .

وقد يكون محمد إقبال أراد هذا ، ولكن ثقافته التي استمدتها من تعليمه الاوربي ونزعت الصوفية ومطالعاته الاوربية حملته على تأليف كتابه هذا على هذا النحو ليكون متعة له من متعه العقلية في حياته ، فهو أجدر بأن يكون كتاباً خاصاً لرجل مفكر سيجل فيه عصارة تفكيره وثمره ثقافته ، بينما الجيل الإسلامي في حاجة إلى آفاق أخرى وينابيع أخرى يستمد منها تفكيره الديني في الإسلام .

وعلى كل حال فإن نقل هذا الكتاب إلى العربية سيكون سبباً لاطلاع خاصتنا على وجهة نظر محمد إقبال في هذه المعاني ، وهي فائدة ثمينة لا يستهان بها .

الاسلام والشيوعية

للأستاذ عبد المنعم النمر — الطبعة الثانية ٢٤٤ ص — دار الكتاب العربي بمصر

سبق لنا وصف هذا الكتاب في ص ٥٥ من السنة الماضية عند صدور طبعته الاولى ، وتماز الطبعة الجديدة ببعض زيادات وتعديلات لم تمس الجوهر ، بل زادت تمكيناً وتدعياً .

وقد أشار المؤلف في خاتمة مقدمته للطبعة الثانية إلى الطريق الذي اختاره للنسير عليه في مصر والعالم الإسلامي ، وهو أن الكتاب يحمل فكرة سامية لا شرقية ولا غربية . . وإنما هو دعوة إلى إيجاد مجتمع إسلامي وكتلة إسلامية لها شخصيتها الاستقلالية وطابعها المتميز ولها رسالتها العظمى ، رسالة العدل والحرية ، والامان في هذا العالم الزاخر بالظلم والخوف والاستبداد . . هذا هو الهدف ... وفي الله الأمل ، ومنه التروفيق .

الأدب والعلوم

وستقبل حوالى ٢٠ ألف طالب ، ويقول وزير التربية والتعليم إنه ليست العبرة بزيادة عدد الطلبة فقط وحشرهم فى الفصول حشرا ، وإنما العبرة بتدعيم العلم نفسه .

التعليم الفنى

تهتم الدولة المصرية الآن بالتعليم الفنى اهتماما كبيرا لمسايرة اتجاه النهضة الزراعية والتجارية والصناعية الحديثة . وكانت ميزانية التعليم الفنى فى السنوات الخمس الماضية مليوناً و ٩٠٠ ألف جنيه ، وستبلغ فى نهاية السنوات الأربع القادمة أربعة ملايين من الجنيهات .

التعليم الجامعى والعالى

يقول وزير التربية والتعليم : إن الاتجاه العام بالنسبة للتعليم الجامعى هو أن ندعم الدراسات والكلديات العملية وخاصة الهندسة والطب وكلية العلوم ، والإقلال من التعليم النظرى .

فساد التعليم الجامعى

فى مصر

قال الصاوى فى (ماقول ودل) بالآهram :
« دعا ديوان الموظفين الدكتور محمد عوض محمد والاستاذ محمد كامل النحاس وكاتب هذه

تعليم الدين

فى المدارس الاجنبية بمصر

بعثت وزارة التربية والتعليم بكتاب دورى إلى المدارس الحرة والاجنبية عن تعليم الدين للتلاميذ الذين هم تحت أمانتها ، وقد جاء فيه :

« على المدرسة أن تدرس مادة الدين لتلاميذها المصريين — كل حسب دينه — وفق المناهج المقررة بالوزارة . ولا يجوز لمدرسة أن تعلم تلاميذها ديناً غير دينهم ، أو تشرکہم فى شعائر دين غير دينهم ، ولو قبل ذلك ولى أمر التلميذ . »

وأعطت الوزارة مهلة لهذه المدارس حتى يوم ٤ ديسمبر من هذا العام لاتخاذ هذه الإجراءات ، وإلا اضطرت الوزارة إلى إغلاق المدرسة أو الاستيلاء عليها .

مدارس جديدة

تستعد وزارة التربية والتعليم لإنشاء ٣٠٠ مدرسة جديدة فى العام الدراسى القادم ، و ٥٥ مدرسة بدلا من المدارس القديمة المتداعية و ٢٥٠٠ فصل جديد فى المدارس الحالية ،

دراسية تعطيه المدرسة تقريراً يوضح المستوى الذى وصل اليه فى دراسته . ولا يبقى التلميذ فى المدرسة الابتدائية إذا كانت سنة فى أول أكتوبر تزيد على ١٤ سنة ، ويستثنى من هذا الشرط فرق تحفيظ القرآن فى حدود سنتين أى إلى السن ١٦ وتمنع العقوبات البدنية . وعلى كل مجلس مديرية أن يدرج فى ميزانيته سنوياً للتعليم الابتدائى مبلغاً يعادل ٦٦ ٪ من مجموع الرسوم الإضافية المقررة على ضرائب الاطيان ، وعلى كل مجلس بلدى أن يدرج لهذا الغرض واحداً فى المائة من مجموع إيراداته .

الوثائق والمحفوظات

تقرر لإنشاء دار للوثائق القومية والتاريخية وقسم للمحفوظات التاريخية فى قصر عابدين ، وسيكونان تابعين لدار الكتب المصرية .

لوح أثرى آرامى

يظن أنه نص للتوراة

أشرف أساتذة من جامعة مانشستر على فتح كهف أثرى فى منطقة البحر الميت بفلسطين حيث عثر على لوح أثرى نحاسى يرجع عهده إلى ما قبل نحو أربعة آلاف سنة وقد نقش عليه كتابة باللغة الآرامية يظن علماء الآثار أنها نص لبعض الأقسام القديمة من التوراة . ويبلغ طول هذا اللوح ثمانية أقدام وعرضه نصف قدم . وهو محفوظ الآن فى متحف القدس ، وقد طلبت الحكومة الأردنية من أساتذة المتحف ترجمته بالعربية .

السطور إلى لجنة لامتحان طائفة من الشبان والفتيات المتقدمين للالتحاق بمصلحة الاستعلامات أو مصلحة السياحة ، واستمر الامتحان ثلاثة أيام .

والواقع أن الامتحان أظهرنا على ألوان من الضعف فى ثقافة شبان الجيل تدعو إلى أشد الأسى ، فإن كثيرين من خريجي الجامعات كانوا يقولون رداً على سؤال : إن تركيا وإيران من أعضاء الجامعة العربية ! ولا يعرفون عاصمة كندا مثلاً . أو .. وكان جهلهم بالبدائيات وبالبداهيات يحير الالباب ، لذلك كان سقوطهم فاحشاً .

التعليم الابتدائى فى مصر

أصبح التعليم الابتدائى فى مصر إلزامياً لكل من بلغ السادسة من عمره ، ويعتبر أول أكتوبر أول السنة الدراسية عند حساب سن التلميذ ، والتعليم الابتدائى بالمجان ، وتقدم للتلاميذ وجبة غذاء ، وعلى القائمين بقاء المواليد أن يشتركوا مع شيوخ الواح وشيوخ الحارات فى إعداد قوائم سنوية قبل نهاية يونيو من كل عام بأسماء الأطفال الذين بلغوا السادسة أو يبلغونها لغاية شهر أكتوبر وترسل هذه القوائم إلى المناطق التعليمية لتتولى هذه المناطق توزيع الأطفال على المدارس القريبة من مساكنهم بقدر الإمكان . ومدة الدراسة الابتدائية ست سنوات . وكل من أتم الدراسة بالمرحلة الابتدائية أو أمضى ٦ سنوات

انباء العجلة الانبعاث

تجديد الحرم المكي

وهذا أعظم تجديد يحدث في بيت الله
الحرام من عهد ابراهيم واسماعيل عليهما
السلام إلى الآن .

أمر جلالة الملك سعود ملك المملكة
العربية الحجازية بتجديد بيت الله الحرام ،
عقب الانتهاء من تجديد الحرم النبوي .

اصلاح قبة الصخرة

وافق مجلس الوزراء على مساهمة الحكومة
المصرية بمبلغ ٧٥ ألف جنيه لإصلاح قبة
الصخرة في المسجد الأقصى ، وقدر لهذا
المشروع نصف مليون جنيه جمعت الأردن
منها ١٥٠ ألفاً وستتعاون البلاد العربية
الأخرى على تسديد بقية المبلغ .

والحرم القدسي من بناء الدولة الاموية ،
أمر بإنشائه الخليفة العمراني الوليد بن عبد الملك ،
ورصد لبنائه خراج مصر مدة سبع سنوات ،
وكما كان لمصر شرف المساهمة في اقامة
هذا الاثر العمراني العظيم في الدولة العربية
الاولى بعد الخلفاء الراشدين ، سيكون لها
مثل هذا الشرف في الحياة العربية الجديدة ،
وسيتولى مهندسو وزارة الشؤون البلدية
المصرية الإشراف على عمليات الإصلاح
الذي قدر له خمس سنوات .

والنية معقودة على توسيع مساحة الحرم
المكي إلى ضعف مساحته الحالية ، وقد
انتزعت ملكية ثمانين ألف متر مسطح حول
الحرم لتحقيق ذلك . وسيبنى طابق علوى
على التوسعة الجديدة بمثل مساحة الحرم ،
وستحيط بالمسجد الحرام بعد التوسعة شوارع
من جهاته بعرض عشرين متراً ، فتكون
مساحة هذه الشوارع أربعين ألف متر ،
وتقام ميادين في أركان المسجد الأربعة يعتنى
بتشجيرها وتفتيحها . وسيجعل المسمى فيما بين
الصفاء والمروة متصلاً بالمسجد الحرام تفصله
عنه أبواب وشبابيك بلورية بحيث يرى
الساعى بين الصفا والمروة الكعبة المشرفة
ليس بينها وبين نظره حائل إلا البلور ،
وسيجوز المسمى للساعين فيه .

الاتفاق العسكرى

السعودى - اليمنى - المصرى

فى العاشر والحادى عشر من شهر رمضان سنة ١٣٧٥ هـ اجتمع بمدينة جدة بالمملكة العربية السعودية جلالة الامام أحمد ملك المملكة المتحدة واليمنية والسيد الرئيس جمال عبدالناصر رئيس الحكومة المصرية و جلالة الملك سعود الاول ملك المملكة العربية السعودية .

وقد عقدت خلال هذين اليومين عدة اجتماعات تم فيها بحث المسائل التى تهم الدول الثلاث بوجه خاص وتتصل باقرار الامن والسلام فى العالم العربى بوجه عام . وقد دارت المحادثات والمشاورات بين الرؤساء الثلاثة فى جو من الود الخالص والتكشاف الكامل .

وقد حرص الجميع على تمكين أواصر الإخاء والتعاون فيما بين دولهم مستشرفين فى ذلك أمانى الشعوب العربية فى الحرية والكرامة والامن والسلام .

وقد أسفرت الاجتماعات عن عقد اتفاقية دفاع مشترك ثلاثية وقعها الرؤساء الثلاثة . كما أنها اتاحت فرصة مواتية لتبادل الرأى فى وضع الخطط العملية التى تكفل نمو الروابط الاقتصادية والثقافية والفنية بين الدول الثلاث وتوثيق عرى التعاون بينها فى سبيل خير العروبة ورعاها .

جبهة موحدة

من الجيشين المصرى والأردنى

زار وفد عسكرى أردنى مصر فى النصف الثانى من رمضان (بين ٢٨ إبريل حتى ٥ مايو ١٩٥٦) واجتمع بمبنى الجيش المصرى للتباحث فى تفسيق جهود الجيشين الشقيقين على ضوء المصلحة العربية المشتركة ، فلقى من المسئولين تجاربا وتعاوننا آمينا ، مما أدى إلى سرعة الوصول إلى تفاهم واتفاق كاملين على جميع النقاط . وبعد دراسة مستفيضة لسكافة المسائل العسكرية فى جو من الود والصراحة والرغبة الأكيدة فى التفاهم واستعراض مختلف وجهات النظر ، قد تم بعون الله وتوفيقه وضع اتفاق توحد بموجبه بجهود الجيشين الشقيقين وتفسيقهما بما يضمن الدفاع عن مصالح الأمة العربية وكيانها على أسس واقعية عملية رائدها التعاون الكامل .

دخل مصر القومى

كان دخل مصر القومى فى سنة ١٩٥٣ قد بلغ ٨٣٢ مليوناً و ٦٥٥ ألف جنيه ، فزاد فى سنة ١٩٥٤ إلى ٨٦٨ مليوناً بزيادة ٣٥ مليوناً و ٣٤٥ ألف جنيه . وتقوم مصلحة الاحصاء والتعداد بجمع البيانات لتقدير الدخل القومى عن السنة الماضية (١٩٥٥) وهى تتوقع فيه زيادة كبيرة عن سنة ١٩٥٤ بسبب المشروعات الكبيرة التى نفذت فى سنى ٥٣ و ٥٤ .

فهرس

المجلد السابع والعشرين

(لسنة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م)

(١)

الاجتهاد والتقليد ٣٦ ، ٢٠١

أحسن الحديث ١٠١١

أحمد حمزة [وزير التكوين سابقا] : الأزهر للدين
أولا ٤٣٣

أحمد الشرباصي [المدرس بالأزهر] : مؤمنة جامدت

[مسرحية] ٤٥ ، حديث الفتوة في القرآن

١٣٣ ، حديث الزلزال في القرآن ٢٥٤ ،

الأزهر والمجتمع ٣٥٨ ، حديث الفرور

في القرآن ٨٦ ، الحديث عن السيرة ٦٣٦ ،

في عالم للكفوفين [كتاب] ٩٩٨ ، ٦٨٧ ،

الامام محمد عبده والأزهر ٧٤٦ ، كيف تتعلم

من الحياة ٨٤٥ ، الاخلاق والوازع الديني

٩٨٥ ، من ملامح الشخصية المسلمة ١٠٧٢

أحمد شفيق السيد [الأستاذ في كلية اللغة] : ذكرى

الهجرة النبوية ٩١

أحمد طه السنوسي [حقوق] : الألفاظ والآداب

الربرية والعامية المعاصرة ١٣٩ ، المخدرات

ومشاكلتها في المجتمع ٢٧٤ ، حقوق الانسان

والتضامن الاجتماعي في دستور مصر ٧٢٧ ،

١١٢٦

أحمد محمد شاكر : معجزة نبوية توشك أن تتحقق

١٠٨٧

أحمد محمد الوكيل [رئيس غرفة دمنهور التجارية]

بين الآونة والاخرى ٥٥٥

أحمد نصار القوصي : طه حسين والأزهر ٩٧

الاخاء العربي ٣٢٧

آداب الغريب ١٠٨٠

الآية المنسوخة «وعلى الذين يطيقونه فدية» ٩٦٣

ابدأوا بأنفسكم ٦١٧

ابراهيم زكي (عضو -و الشيوخ السابق) :

عقدة نفسية ٥٤٦

ابراهيم والوحدانية ٢٤

أبطال التحرير يمجدون الأزهر ٥٦٢

ابن عرفة في طريقه إلى طنجة ٣٣٣

أبو الأعلى المودودي : أسس الاقتصاد

[كتاب] ٦٨٨ ، المصطلحات الأربعة في القرآن

[كتاب] ٨١٥ ، البيانات [كتاب] ٩٢٤

أبو الوفا اللراغي [مدير المكتبة الأزهرية] :

حول رحلة وزير الأوقاف ٢٢ ، توحيد التعليم

٤٠٦ ، توجيه الجمع لابن الجباز [مخطوط]

٤٩٢ ، الأدب العربي في أمريكا ٦٠٩ ،

ماهو الهدف ٦٨٠ ، السفير الأزهرى ٧٢٠ ،

٨٨٠ ، الأزهر والأزهر وحده ٩١١ ،

أدبنا الآن كما أرى ٩٦٨ ، المرأة المصرية

الرشيدة وحق الانتخاب ١٠٦٥

الاتفاق الفرنسي مع سلطان مراکش ٢٢٢

اتفاقية الطهران ١٠٤٧

اتقوا الله في الأزهر أيها المفتونون ٥٤٨

اثبات رمضان وذى الحجة وحكم الشريعة في اختلاف

للطالع [بأول جزء رمضان]

الاختلاط في المدارس ٣١٤

الأخلاق ١١٣٠

الأخلاق بين الحجاج وعمران بن عطان ١٧١

الأخلاق والوازع الديني ٩٨٥

الأدب العربي في أمريكا ٦٠٩

أدبنا الآن كما أرى ٩٦٨

إذا تراكت الأعمال [كلمة لكارلايل] ٨٤٨

أربع كلمات فيهن صلاح الملك ٤٧٥

الأزهر : البعث الأزهرية ٢١٩ ، الدراسة في

الأزهر ٢٢٠ ، تبرع الأمير الصباح للأزهر

٢٢٣ ، فتنة حول الأزهر ٣٣٧ ، تبرع

طلبة الأزهر للجيش ٣٣٥ ، الأزهر والاستعمار

٣٥٣ ، الأزهر والمجتمع ٣٥٨ ، رسالة

الأزهر باقية ٣٦٤ ، ما هكذا يا سعد ٣٦٨ ،

يا ليت قومي يعلمون ٣٧٨ ، توحيد التعليم

٣٨٣ ، ٤٠٦ ، العصابة المقتونة ٣٨٥ ،

إنه بمجد مصر والمسلمين ٣٨٦ ، خصوم الأزهر

٣٩٣ ، الأزهر والثورة بعد الحرب العالمية

الأولى ٣٩٦ ، ٥٢٣ ، لمصلحة من هذه

الزوجة ٤٠١ ، التجني على الأزهر ٤١٠ ،

القومية العربية ودور الأزهر في إنهاضها

٤١٤ ، طه حسين والأزهر ٤١٧ ، لحساب

من هذه الخطوة الثانية ٤٢٠ ، رسالة الأزهر

هي رسالة القرآن والسنة ٤٢٤ ، العلوم

الحديثة في الأزهر ٤٢٧ ، حلة ظالمة ٤٣٠ ،

ما هي الخطوة الثالثة ٤٣١ ، نشيد طلبة

الأزهر ٤٣٢ ، الأزهر للدين أولا ٤٣٣ ،

أفضل جامعات الدنيا ٤٣٥ ، الأزهر والامر

بالمعروف ٤٤٠ ، تمثيل مصر والأزهر في

افتتاح المسجد النبوي ٤٤٦ ، تقرير هيئة

التدريس بكلية اللغة بشأن التحامل على الأزهر

٤٤٩ ، حديث السماء [شعر] ٤٥٩ ،

الأزهر المفتى عليه ٤٦٢ ، خطوة ثانية في

اتجاه عكسي ٥٤٠ ، مسلمون من بلاد الأزهر

٥٤٤ ، الخطوة الثانية [شعر] ٥٤٥ ،

اتفوا الله في الأزهر أيها المفتونون ٥٤٨ ،

الأزهر يجب أن يبقى ٥٥١ ، الأزهر

والثورة [شعر] ٥٥٢ ، ٦٧٣ ، تحرير

الأزهر ٥٥٣ ، بل الأزهريون يؤمنون

بالكتاب كله ٥٥٨ ، أبطال التحرير

يعجدون الأزهر ٥٦٢ ، صدق الخطوة

العائرة ٥٦٩ ، الجامع الأزهر ٦٢٠ ،

الخطوة الثانية وإن غضب الغاضبون [قصيدة]

٥٦٦ ، أزهريون لقيادة الفرق السكشفية

٥٧٨ ، ألف جنية من الأزهر لتسليح الجيش

٥٨٣ ، رسالة الأزهر اليوم ٦٨١ ، السفير

الأزهرى ٧٢٠ ، الامام محمد عبده والأزهر

٧٤٦ ، الأزهر والأزهر وحده ٩١١ ،

شباب الحرس الوطني بالأزهر ٩١٤ ، علماء

سوريا ولبنان في زيارة الأزهر ومصر ١٠٣١ ،

ناطح صغير لصخرة الأزهر ١١١٥

أستاذ جامعي ٣٠٢

الاستعمار والاستعمار الثماني ٦٠٠

استقلال الجنية المصري ١٠٤٥

استقلال السودان ٦٩٣

الاسراء والمراج ٧٥٤ ، وفي أول جزء شعبان

إسرائيل وروسيا ١٠٧

أسرار الحياة لجبران خليل جبران ٧٢٦

أسس الاقتصاد بين الاسلام والنظم المعاصرة

(كتاب) ٦٨٨

الاسلام دين ودنيا (بأول جزء جمادى الاولى)

الاسلام والشيوحية (كتاب) ١١٤٢

الاسلام والمجتمع ٥٢٤

الاسلام ينهض بالمرأة ٨٦٩

أسلحة أمريكية للعرب ٩٣٢

أسماء للمسكرات في قاعدة القتال ٩٢٧

إسماعيل فتحي الحو [الهامي] خطوة ثانية ٥٤٠

الأشهر الحرم ٣٩

الإصلاح الزراعى فى طامه الثالث ٢٢٣

أصول الاسلام والتقريب بين الأمم وشرايعها ٨٦٤

الاعتراف باستقلال مراكش ٩٣٢

إعراق العارية ١٠١٢

أغراض الاسلام يتحدث عنها وزير الشؤون الاجتماعية

٧٩٦

الاقتصاد السورى ٢٢٢

أقطاب العرب الثلاثة فى مؤتمر القاهرة ٩٢٨

الأنفاح فى صلاة الجمعة خلف المذبح [كتاب] ١٠٤١

أكبر خطأ ارتكبه بريطانيا ٥٨٣

الله جل علاه ١٠٦٨

إلى الله ١٤٩

إلى طلاب الدنيا [كلمة لسهل بن هارون] ٧٥٨

إلى الميدان [شعر] لعبد الله أبو عيد ٨٠٧

الاله والوجوديون ٦٦٥، ٧٥٠، ٨٤١، ٨٥٢

الأنفاز والآداب العربية والعامة المعاصرة ١٣٩

الامام محمد عبده والأزهر ٧٤٦

الامتحنات فى الأزهر ١٠٤٤

أمثال لافوتين أصلها من الأدب العربى ٩٦٢

أمثلة من توافق العربية والمصرية القديمة ٧٠٢

أسريكا والتنويم الصيوى ٣٣١

إسماك البخيل وإنفاق المرائى ٥٩١

الامهات [لمناسبة عيد الامومة] ٨٧٣

الانشاء وديوان الانشاء ٧٣١

الانفجارات فى الشمس ٩٢٧

إنما هى القفظة [بفتح القاف] لا غير ٨٠٤

أولو العزم من الرسل [كتاب] ٩٢٣

(ب)

الباية والبهائية [رسالة] ٢١٧

بالحق نسود ٩٨٠

البتولة المصري ٦٩٣

بحوث فى الحضارة ٧٦٤، ٨٩٣

بحوث فى مصادر الشريعة النظرية ٩٠٤، ١٠٩٣

بدء الشهر الشرعى بالوضع الهسالى لا بالوضع

الاقتراى ٥١٩

بربر المغرب الأقصى ١١٠

برقية قول : سبيل اليكم مسلمون من بلاد

الأزهر ٥٤٤

بستان الاحبار مختصر نيل الاوطار [كتاب] ٢١٨

بشار بن برد [كتاب] ٢١٦

بشرى فقد رفم الصباح عمودا [قصيدة] ٢٩٠

بمئة الأزهر بالهند : بيان عن القاديانية ٩٩٧

البعوث الازهرية ٢١٩

بغى آخر من إسرائيل ١١١

البقاء : كلمة لتاغور ٦٦٠

بل الازهريون يؤمنون بالكتاب كله ٥٥٨

بنك الجمهورية ٩٣٣

بنو إسرائيل فى الماضى والحاضر ٦٤٩، ٧١٤، ٨٧٦

بنيامين فرانكلن ينذر أسريكا بالخطر اليهودى ٧٧٧

النهائية [رسالة] ٨١٧

بيان بمئة الأزهر بالهند عن القاديانية ٩٩٧

بيان معهد الاسكندرية عن فتنه توحيد التعليم ٤٠١

البيانات [كتاب] للمودودى ٩٢٤

بيئة الاسلام الاولى ٢٢٥

بيع الدين وقله ١٠١٤، ١١١٦

بين الآونة والأخرى ٥٥٥

بين الافراط والتفريط [شعر] ٣٨

بين النواوى والعقاد ١٠٣٩

(ت - ث)

تاريخ الجنس البشرى ١٠٤٥

تاريخ حلب لابن العديم ٩٩

تاريخ العراق بين احتلاين ٥٧٦

تاريخ العرب لم يدرس بعد ٦٩١

تبرع الامير الصباح لطلبة الأزهر ٢٢٣

تاريخ حلب لابن المديم ٩٩

التبرع الحجازي : هل حوله طه حسين إلى روايات

شكسبير ٥٧٢

تمجيد المفكر الديني في الاسلام (كتاب) ١١٤١

التجني على الازهر ٤١٠

تحرير الازهر ٥٥٣

تراننا الثقافي في طريق البعث ١٠٤٩

ترجان القرآن [ابن عباس] ٢٥٩

ترجة القرآن ٧٧٨

تسليح الجيش المصري ٣٢٥

التشاؤم مرض ١٧٨

قطير في الصحافة ١٠٧

تطور المجتمع المصري : بين الامس واليوم والغد ٨٢٥

التعاون في الدستور ٨٢١

تعديل التقويم العربي وبدء الشهر الشرعي ٨٠٩

تعمير للمصطلحات الفنية ٢١٩

التعزير في الشريعة الاسلامية [كتاب] ٥٧٤

التعليم الديني والمدني ٣٠٦ ، ١١٤٣

التعليم في مصر موصل ردى ٥٨٥ ، ١١٤٣

تفسير الطبري ٣١٨ ، ٦٨٧ ، ١١٣٨

التفسير الواضح ١٠٢

تقرير هيئة التدريس في كلية اللغة العربية بشأن

التعامل على الازهر ٤٤٩

تمثيل مصر والازهر في افتتاح المسجد النبوي ٤٤٦

تمويل السد العالي ٦٩٣

تنظيم التعليم الديني ٣٢٣

توجيه الانظار لتوحيد المسلمين في الصوم والافطار

[كتاب] ٦٩٠

ترجيح اعم لابن الحجاز [مخطوط] ٤٩٢

توحيد الاقسام في الجامعات ١٠٤

توحيد التعليم ٤٠٦ ، ٣٨٣

التوسل والوسيلة [كتاب] ٢١٤

تيسير الرحمن [تفسير] ٣٢٠

التمناقات الأجنبية استعمار عقلى ٤٦٥

الثقافة الاسلامية في نيجيريا والصومال ٥٧٨

ثقافة المسلم ١٠٧٦

ثلاث رسائل لآبي حيان التوحيدي ١٠٠

ثلاثمائة وخمسون مليون مسلم يزحفون إلى الامام ١٠٠٦

ثلمتان في الدين ٩٨٤

ثور وعير [جيلان بالمدينة] ١٨٦ ، ٤٩٥

الثورة الجزائرية ١٠٩

(ج)

الجامع الازهر ٦٢٠

جامعة في الرياض ٣٢٣

جامعون ٥٧٣

الجامعيون الجدد ٣٢٤

جبايرة الارض [كلة لاناتول فرانس] ٦٢٣

جبل ثور في المدينة ١٨٦ ، ٤٩٥

جرائم الشباب ١٩٧

الجريمة والحادث ١٢٥

الجزائر : نورتها ١٠٩ ، صلاة الغائب على شهدائها

٢٢٣ ، قضيتها في الأمم للتعهد ٢٣٢ ،

في البرلمان الفرنسي ٣٣٣ ، جنسيتها ٨٢٢

جمال عبد الناصر [رئيس مصر] حديثه عن الخطر

الذي يهدد العرب ٩٣٥

الجندى المجبول ٩٩١

الجنرال جلوب تميدو الأردن إلى بلاده ٩٣١

الجيش السعودي ١٠٩

الجيش السوري كآراء اللواء عبد الحكيم طامر ٥٨١

(ح - خ)

حالة العالم قبل الميلاد المهدى وبعده ٣١٠

حامد محمود اسماعيل [المدرس بمم - د قنا] :

جرائم الشباب ١٩٧ ، عظمة الرسول ٢٩٩

حجاب المرأة المسلمة [كتاب] ٢١٥

حجة الوجودية بمصر يقول ٢٧٨

حجة الوداع لابن حزم [كتاب] ١٠٤١

حديث الزلزال في القرآن ٢٥٤

الخطوة الثانية وإن غضب الغاضبون (قصيدة) ٥٦٦

(د - ذ)

دائرة معارف مصرية أو عربية ١٠٤٩

الدراسة في الازهر ٢٢٠

الدستور الجديد ٧٨٩

الدستور والهدف ٨٢١

دعائم المجتمع الصالح ٨٣٠

دفاع سفيه عن الوجودية ٩٩٠

ذات النطاقين ٣٠

ذكرى الخلافة الاموية بقرطبة ٨٢٠

ذكرى الشاعر الاسلامى أحمد محرم ١١٢٩

ذكرى الهجرة النبوية (شعر) ٩١

الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ١٣

(ر - ز)

الرائد إلى سليم العقائد [كتاب] ٨١٨

رائد الفكر المصرى محمد عبده [كتاب] ٨١٤

رائحة نين إسرائيل في سياسة الغرب ٣٣١

الرحلة في طلب العلم ٣٤٨

رسالة الازهر اليوم ٦٨١

رسالة الازهر باقية ٣٦٤

رسالة المثقف ٨١٩

رسول الله [شعر] ل محمد الاسير ٢٤١

الرشوة من أدوائنا الخطيرة ٧٢٣

الرفق بالمدن وإسقاط بعض الدين عنه ١٠٣٦

زكريا البرى [المدرس وأمين الفتوى بالازهر] :

القومية العربية ودور الازهر في إنهاضها

٤١٤ ، طه حسين وابنه كلود ٥١٨ ، ابدأوا

بأنفسكم ٦١٧ ، الاسلام ينهض بالمرأة ٨٦٩ ،

علماء سوريا ولبنان في زيارة مصر ١٠٣١

زكى الدين شعبان [مدرس بحقوق عين شمس] :

بحوث في مصادر الشريعة النظرية ٩٠٤ ،

١٠٩٣

زلازل لبنان ١٠٤٧

الزمان يمضى ٢ ، ١٢٧

حديث السماء [شعر] ٤٥٩

حديث الصيام في القرآن وشهر رمضان [بأول جزء

رمضان]

الحديث عن السيرة ٦٣٦

حديث الفرور في القرآن ٤٨٦

حديث الفتوة في القرآن ١٣٣

حركة الترجمة والتأليف ٨٢٣

الحرم النبوى وتوسيعه ٣٢٥

حرية الفكر في الاسلام [محاضرة] ٩٢٢

الحسد والأثرة : من قصة ابني آدم ٨٨١

حسين أبو شليب الحامى : تراث آباءنا ذكره لنا ٥٥٦

حسين الشافى [المكياشي ح. ١٠] وزير النشئون

الاجتماعية] : أغراض الاسلام ٧٩٦

حنظ للمرى ٦٣٩

حق الدفاع الشرعى ١٠٢٤

حقائق ٦٥٣

حقوق الانسان والنضامن الاجتماعى في دستور

مصر ٧٢٧ ، ١١٢٦

حكم المرتد في الشريعة الاسلامية ٨٨٤

حكومة باكستان جمهورية إسلامية ٩٣٣

حلاوة الايمان ١٧٢

حول ترجمة القرآن ٧٧٨

حول توحيد التعليم ٥٧١

حول جامعة الفتيات ٢١٢

حول رحلة وزير الاوقاف ٢٢

الحياء [حكمة نبوية] ٨٤٤

خاتم النبيين ٢٣٦ ، ٤٧٦ ، ٥٩٥ ، ٧٠٩

خصائص الأدب : معناها وإقليميتها ٦٢٧

خوصوم الازهر ٣٩٣

خطبة ذكرى ٢٣ يولية ١٦

الخطر اليهودى على أمريكا ٧٧٧

الخطوة الثانية [شعر] ٥٤٥

خطوة ثانية في اتجاه عكسى ٥٤٠

زينب محمد احمد حسين : للرأة المسلمة تتكلم ١٢٠

(س - ش)

السباعي الشناوى [المراقب بكلية الشريعة] :

الازهر والثورة [شهر] ٥٥٢ ، ٦٧٣

السجون السعودية ١١

السد العالى أكبر مشروع بنائى فى تاريخ العالم ٩٣٤

سرطان إسرائيل ٩٢

الساداة فى سوريا قبل ٦٠ عاما ٧٥٣

سميد بن المنيب ٢٠٥

سفراء التربية والتعليم ١١٣

السفير الأزهرى ٧٢٠ ، ٨٨٠

سلاح التهذيب وسلاح الجيش ١٤

السلاح الفرنسى لمصر ٥٨٣

السنة ١١٦١ ، ١٢٣٦ ، ١٣٤٨ ، ١٤٧٦ ، ١٥٩٥

١٠٦٠ ، ١٢٣٧ ، ١٤٧٦ ، ١٥٩٧

سؤال غير الله ١٥١

السودان وحصار إسرائيل الاقتصادى ٩٣٢

سوريا والملكية السعودية ٥٨٣

سيادة الأمة فى القوة والتماطف ٩٤٢

سياسة السودان ٩٣٢

السياسة كما يصفها غاندى ٥٣٣

سياسة مصر الاقتصادية ١١٠

سيد الأزواج ٨٣٧ ، ٩٤٧ ، ١٠٦٠

شباب الحرس الوطنى بالأزهر ٩١٤

الشباب والمثب (شعر لاسماعيل صبرى) ٨٠٦

شباننا بين الايمان والزندة ٣١٥

الشرق والغرب (كلمة لثاغور) ٥٣٩

شريعتنا ٥٠٧

الشعب المصرى جزء من الأمة العربية ٦٩٧

شعر الأشرف ٦٣١

الشكوكيون لمحمد المولى ٦١٣

شهادة من محامى عبد الحميد بجيت ٧٣

شهر القرآن ٩٥٨

شوق : من كلماته للشورة ٧٢

الشيخ على الصميدى ٦٥٧

الشيخ محمد عبده فى عين شمس (شعر) للكاظمى ٨٤٩

(ص - ض)

صابر على رمضان الجوشنى : الزمان يمضى (شعر)

١٢٧ ، حديث السماء ٤٥٩ ، الخطوة الثانية

وإن غضب الغاضبون ٥٦٦

الصباح ومدارس المجبات العربية ١١٣٩

الصحافة والحاجة إلى تطهيرها ١٠٧

صحافتنا بين الخبر والتوجيه ٦٩١

الصحف المنهركة ٩٢٠

صدى الخطوة العائرة ٥٦٩

صحيفة الشعب : صحيفة بناء لا هدم ١١٣٤

الصدق (كلمة لتولستوى) ٧٨٨

صدق القاضى الانجلىزى ٣١٦

صفحات مشرقات ٢٩٦

صفحة من الجهاد النبوى ١١

صلاة الغائب على شهداء الجزائر ٢٢٣

الصلح مع إسرائيل والتحالف مع الاستعمار

(فتوى) ٦٨٢

صور خالدة من صدر الاسلام ٤٨١

الصيام فى الطب ١٠٣٤

ضلال الظواهر (بيتان للمعمرى) ١٧٧

(ط)

الطائفة القدرية فى مصر ١٠٦

طه حسين والأزهر ٤١٧

د د وابنه كلود ٥١٨

طه الزبى [من علماء الأزهر] : من حق المرأة

المسلمة استشارتها قبل تزويجها ١٩٣ ،

الأزهر أفضل جامعات الدنيا ٤٣٥ ، الرفق

بالمدين وإسقاط بعض الدين عنه ١٠٣٦ ،

إعراب العارية ١٠١٢

طه محمد الساكت [المقتض بالأزهر] : صفحة من

الجهاد النبوى ١١ ، من أدب النبوة ١٢١

٢٢١ ، من شعب إلى شعب [بأول جزء صفر]
 نصبحته إلى أبنائه الطلبة [بأول جزء ربيع
 الاول] ، التعليم الديني والمدني ٣٠٦ ، تمثيل
 مصر والازهر في افتتاح المسجد النبوي ٤٤٦
 افتتاح الدراسات الاجتماعية بالازهر [بأول
 جزء جادى الاولى] ، كلمته في جمعية المحافظة
 على القرآن بدسهور ٥٣٤ ، نصيحة أبوية في
 معهد دسهور ٥٣٧ ، الاسراء والمعراج [بأول
 جزء شعبان] ، الامهات [لمناسبة عيد
 الأمومة] ٨٧٣ ، إثبات رمضان وذى الحجة
 وحكم الشريعة في اختلاف المطالع [بأول جزء
 رمضان] ، حديث الصيام في القرآن الكريم
 وشهر رمضان المعظم [بأول جزء رمضان]
 عبد العزيز طاهر (الدكتور) : التعزيز في الشريعة
 الاسلامية ٥٧٤
 عبد العظيم أبو غنيمة (مراقب العلوم المساعد) :
 العلوم الحديثة في الازهر ٤٢٧
 عبد العظيم الطويل (المدرس بالازهر) : حالة العالم
 قبل الميلاد المحمدى وبعده ٣١٠
 عبد الفتى سلامة (سكرتير هيئة تحرير شبرا الخيمة) :
 تحرير الازهر ٥٥٣
 عبد الفتاح عبد الحميد (دكتور) : الازهر محب
 أن يبقى ٥٥١
 عبد القادر شعبة الحمد (مدرس) هذه هي الخطوة
 الثانية فما هي الثالثة ٤٣١
 عبد القطيف السبكى (عضو جماعة كبار العلماء
 ومدير التفتيش بالازهر) : مناجاة القرآن
 للعقل والمواظفة ٦ ، ١١٦ ، كلمة الازهر
 في افتتاح معهد الفقوم الدينى ٢٥ ، عبد الله
 جابر الصباح ٢١٠ ، حول جامعة للفتيات ٢١٢ ،
 هداية الله وفتنة الناس ٣٣٢ ، ٣٤٤ ،
 الاختلاف في المدارس ٣١٤ ، شبانتنا بين اليمان
 والزندقة ٣١٥ ، صدق القاضي الانجليزى ٣١٦ ،
 خصوم الازهر ٣٩٣ ، من أساليب التربية

خاتم النبيين ٢٣٦ ، ٤٧٦ ، ٥٩٥ ،
 ٧٠٩ ، الرحلة في طلب العلم ٣٤٨ ، سيد
 الأزواج ٨٣٧ ، ٩٤٧ ، ١٠٦٠
 طبع القرآن للمكفوفين بطريقة بريل ٥٧٩
 طريق السويس - جدة ٨٢١
 طريقة العرب في دراسة العلوم السكونية ٦٦٤
 طلاب الوظائف [حديث نبوى] ٢٦٩
 طلبة الجامعات المصرية [عدهم] ٦٩١
 الطلبة السعوديون والمدارس الأجنبية ٢٢٠
 الطلبة المصريون والطاقة القوية ٨٢٠

(ع - غ)

عائشة أم المؤمنين ٢٩٣
 عباس طه المحامى : المبادئ الاسلامية والأخلاق
 الفاضلة ٣٠٣ ، رسالة الازهر باقية ٣٦٤ ،
 شريعتنا ٥٠٧ ، المرأة المثالية في تقدير الاسلام
 ٦١٤ ، ٧٣٦ ، أصول الاسلام والتقريب
 بين الأم وشرائعها ٨٦٤ ، الله جل علاه ١٠٦٨
 عباس العزاوى المحامى : تاريخ العراق بين احتلالين
 ٥٧٦ ، عشائر العراق ٥٧٧
 عباس فتحى الهلالى [الأستاذ بجامعة الاسكندرية]
 الجامع الازهر ٦٢٠
 عبث الاستعمار في الأردن ٦٩٤
 عبث جامعى ٢٥٠
 عبد الله جابر الصباح ٢١٠ ، ٢٢٣ ، ٢٩٠
 عبد الله قاسم صقر : سعيد بن المسيب ٢٠٥
 عبد الله مصطفى المراعى : الاجتهاد والتقليد ٣٦ ،
 ٢٠١ ، مسئولية الطبيب ٧٩٢ ، حق الدفاع
 الشرعى ٩٠٢٤
 عبد الجواد رمضان : بين النواوى والمعقاد ١٠٣٩
 عبد الرحمن تاج [فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ
 الجامع الازهر] : خطبة ذكرى ٢٣ يولييه
 ١٦ ، زيارته لاندونيسيا وعودته ١٠٨ ،

على محمد عاصر | مدرس بالأزهر | لحساب من هذه
الخطوة يادكتور طه ٤٢٠
عودة سلطان المغرب إلى عرشه ٥٨٢
هياض سباق [شيخ محمد قنا] انتقوا الله في
الأزهر ٥٤٨
عيد الام [شعر] ٩١٠
عيد الام بمحمد المنيا ١٠٤٥
عيد العلم ٦٩٥
عير وثور [جبلان، بالمدينة] ٩٨٦ ، ٩٥٥
عيسى منون [عضو جماعة كبار العلماء] : حول
ترجمة القرآن ٧٧٨ ، حكم للمرتد في الشريعة
الاسلامية ٨٨٤
عيسوي أحمد عيسوي [المدرس بمحقوق دين شمس]
بحوث في الحضارة ٧٦٤ ، ٨٩٣ ، بيع الدين
ونقله ١٠١٤ ، ١١١٦
غرور النافسين وتزكية الآمين ٧٠٣
الغزو للثقافي الأجنبي ٨٤ ، ٤٦٥ ، ٦٠٠
(ف - ق)
فاتحة السنة السابعة والعشرين للمجلة ١
فارس عهن جالوت ٢٨٣
الفتاوى : الصلح مع إسرائيل والتحاليف مع دول
الاستعمار ٦٨٢
فتحي محمد عطية : الأزهر المفتري عليه ٤٦٢
فتنة حول الأزهر ٣٣٧
الفتوح الاسلامية الكبرى [مناقشة الدكتور
هيكل] ٦٦٩
قرع في الخرطوم لجامعة القاهرة ٣٢٤
فرنسا تنحصر ١١١
فزان جلاء فرنسا عنها ٣٣٣
الفضائل الاجتماعية في الشعر الجاهلي ١١٠٦
فضيلة الهبة في الله ٧٩٩
الفقه في كليات الحقوق ٣٣٤
الفن الاموى ٦٩٢

٤٧٢ ، الاسلام والمجتمع ٥٢٤ ، إمساك
البخيل وإتفاق المرائي ٥٩١ ، موقف الثورة
من الأزهر ٦٧٥ ، كلية خاصة للبنات ٦٧٧ ،
غرور النافسين وتزكية الآمين ٧٠٣ ،
المستور الجديد ٧٨٩ ، دعائم المجتمع الصالح
٨٣٠ ، الصحف المنحرفة ٩٢٠ ، سيادة الأمة
في القوة والتماطف ٩٤٢ ، حول عيد الام ،
سؤال وجواب ١٠٢٨ ، المجاهدون
في الله ١٠٥٦ ، صحيفة الشعب ١١٣٤ ،
مهولة الازهرى الخبول ١١٣٨
عبد المنصف محمود عبد الفتاح : نهضة الداعي
إلى الإصلاح الاجتماعي ٩٢٢
عبد المنعم النمر (مبعوث الأزهر بالهند) : إنه مجدمصر
والمسلمين ٣٨٦ ، بيان عن طائفة القاديانية ٩٩٧
عثمان أمينة (الدكتور) : يوم في هارفارد ٧٣٩ ،
رائد الفكر للمصري محمد عبده (كتاب) ٨١٤
العرب يحذرون أمريكا ٥٨١
عروبة مصر ٦٩٧
عشائر العراق (كتاب) ٥٧٧
العصابة للفتونة (شعر لشوقي) ٣٨٥
عطاء بن أبي رباح ٢٧٩
عظمة الرسول ٢٩٩
عفة مجاهد ٤٨٠
العقاد في الميزان ٨٥٦ ، ٩٧٢ ، ١٠٣٩
عقدة نفسية ٥٤٦
عقوبة الامداد ٢٤٦
العلم القدرى في الآثار والتاريخ ١٠٥
علماء الأزهر والتسليخ ٣٢٨
علماء سوريا ولبنان في زيارة مصر ١٠٣٩
على أيوب (محامي عيد الحميد بجيت) : شهادة ٧٣
على الهباري (المدرس بالأزهر) : الأشهر الحرم ٣٩ ،
التشاؤم مرض ١٧٨ ، عيت جامعي ٢٥٠ ،
الأزهر والاستعمار ٣٥٣ ، ماذا يراد بالاسلام
٦٣٢ ، الرشوة من أدوائنا الخطيرة ٧٢٣ ،
أحسن الحديث ١٠١١ ، الفضائل الاجتماعية
في الشعر الجاهلي ١١٠٦

لا . . يادكتور طه ٥٤
 اللبانات (شعر) لابن حطان ٩٧١
 لييك اقم لييك ١١٠٣
 لحساب من هذه الخطوة يادكتور طه ٤٢٠
 اللغات الاجنبية في الازهر ٣٢٣
 اللغة الصينية في جامعة القاهرة ومدرسة الاسن ٩٢٦
 اللغة العربية بلندن ٨٢٠
 لنويات ١٦٧ ، ٢٧٠ ، ٥١٤ ، ٦٤٠ ، ٧٥٩ ،
 ٩١٦ ، ١٠١٩ ، ١٠٢٢ ، ١١٠٩
 اللقطة (بفتح القاف لاغير) ٨٠٤
 لحات في العقيدة والاسلام (كتاب) ٣٢١

(م)

ماذا يراد بالاسلام ٦٣٢
 ما عملته البرتغال لما دخلت الهند ٩٥٧
 ما هكنا يا بعد ٣٦٨
 ما هو الهدف ٦٨٠
 مبادئ الاسلام وهندسة الاجماع [كتاب] ٦٨٩
 المبادئ الاسلامية والاخلاق الفاضلة ٣٠٣
 مبشرون في جامعاتنا ٣٠٥
 المتقلب في الاحزاب : بيت شعر لمحمد الاسر ٤٠٥
 مثل النبي صلى الله عليه وسلم ومثل أمته ٦٤٤
 المجاهدون في الله ١٠٥٦
 مجلس الجامعة العربية وموقف مصر ٣٢٨
 مجلس دولي للدراسات العلمية ٨٢٠
 مجلة معهد الاسكندرية الحديث ٥٦٥
 محب الدين الخطيب : فاتحة السنة السابعة والعشرين
 للمجلة ١ ، الزمان بقى ٢ ، سفراء التربية
 والتعليم ١١٣ ، بيئة الاسلام الاولى ٢٢٥ ،
 فتنة حول الازهر ٣٣٧ ، الثقافات الاجنبية
 استعمار عقل والهداة الباطن ورخاوس ٤٦٥ ،
 التعليم في مصر موصل ردىء لروح الثورة
 ٥٨٥ ، الشعب المصرى جزء من الامة العربية

في الجزائر ٦٩٥
 في عالم المكفوفين [كتاب] ٦٨٧ ، ٩٩٨
 قاعدة جلية في التوسل والوسيلة [كتاب] ٢١٤
 قرى للرا بطين السوريين على حدود إسرائيل ٩٣٢
 قرار مجلس التأديب ضد عبد الحميد بخت ٦١
 القضاء الشرعى والملى في مصر ٣٣٤
 قضية الجزائر في الأمم المتحدة ٢٣٢
 قضية شمال أفريقية ١٠٦
 قضية اللاجئين العرب ٥٨١
 قل ولا تقل ١٠٢٢
 القواعد والتطبيقات في الابدال والاعلال
 والادغام ١٠١

القوانين التي ذكرت في الدستور ٨٢١٤
 القومية العربية ودور الازهر في إنهاضها ٤١٤
 القياس في الشرع الاسلامى لابن تيمية [كتاب]
 ٥٧٥

(ك - ل)

كشافة الازهر ٣٢٤
 كمية المسلمين الثانية [الازهر] ٥٣٨
 الكمية المعظمة [شعر] لابن بكر بخون ٩٦٧
 كلمة الازهر في افتتاح معهد الغيوم الحديث ٢٥
 » في ذكرى الهجرة ٩٣
 » شيخ الازهر في جمية المحافظة على القرآن
 بدمهور ٥٣٤
 كلمة مصر والعرب في هيئة الامم ٣٣٠
 كلية علمية خاصة للبنات ٦٧٧
 كلية للآداب والتربية في بنى غازى ٣٢٤
 كما يرانا غيرنا ١٥
 كنز من الماء في نجد ١٠٤٧ ، ١٠٩١
 كيف كان عمر ينتخب قضاته ١٩١
 كيف تتعلم من الحياة ٨٤٥
 لا تأكلوا اللحم الخنزير ٧٧٦
 اللاجئين الفلسطينيون ومعركة الانتفاذ ٩٣٢

- ٦٩٧ ، أمثلة من توافق العربية والعربية القديمة
٧٠٢ ، مع الرعيل الاول (كتاب) ٨١٦
البهاية (رسالة) ٨١٧ تطور المجتمع المصري :
بين الامس واليوم والغد ٨٢٥ ، هل استيقظ
العالم ٩٣٧ ، تراننا الثقافي في طريق البعث
١٠٤٩ ، باب التعريف بالكتب ، باب الآداب
والعلوم ، أنباء العالم الاسلامي ، ترتيب
فهرس هذا العام
محمد [صلى الله عليه وسلم] في بشارات الانبياء
[كتاب] ٣٢١
محمد أبو العلا البنا [مدرس الفلك بالازهر] :
بدء للشهر الشرعي بالوضع الهلالي لا بالوضع
الاقتراي ٥١٩ ، تعديل التقويم العربي وبدء
الشهر الشرعي ٨٠٩
محمد أبو المكارم [الواعظ العام] : الازهر والثورة
بعد الحرب العالمية الاولى ٥٢٣
محمد أحمد الشامي [دكتور من مستشفيات ليون] :
مسلمون من بلاد الازهر ٥٤٤
محمد الاسمر [من علماء الازهر] : رسول الله
[شعر] ٢٤١ ، المتقلب في الاحزاب ٤٠٥ ،
رسالة الجامع الازهر ٤٢٤ ، نشيد طلبة
الازهر ٤٣٢
محمد أمين الحسيني [مفتي فلسطين] : الغزو الثقافي
الاجنبي ٨٤ ، الاستعمار والاستعمار الثقافي ٦٠
محمد حافظ [المدرس بمعهد الاسكندرية] :
عطاء بن أبي رباح ٢٧٩
محمد حسن النجمي : بين الافراط والتفريط ٣٨
محمد حميد الله الحيدراي [الاستاذ بجامعة باريس] :
نظام نقد إسلامي بلا أرباح ١٥٢
محمد رجب البيومي : مواقف خالدة لعلماء الازهر
١٤٣ ، فارس عين جالوت ٢٨٣ ، نظام
الملك الطوسي ٤٩٩ ، في عالم المكشوفين
[كتاب] ٩٩٨
محمد سعاد جلال [المدرس بالازهر] : لا يادكتور طه
٥٤ ، ابراهيم والوحدة ٦٢٤ ، الحمد
- والاثر [من قصة ابني آدم] ٨٨١
محمد الشريفي [رئيس جبهة علماء الازهر] : بيان
عن توحيد التعليم ٣٨٣
محمد شرف [الدكتور] : طريقة العرب في دراسة
العلوم الكونية ٦٦٤
محمد شريف [مستشار سابق] : كيف كان عمر
يفتخ فضائه ١٩١
محمد صابر عاشور [المدرس بمعهد دمنهور] : هل
للمرأة حقوق سياسية ١٨١
محمد الصادق عرجون [شيخ معهد الاسكندرية] :
بيان عن توحيد التعليم ٤٠١ ، حرية الفكر
في الاسلام [محاضرة] ٩٢٢
محمد صالح الريدي عيد الام (شعر) ٩١٠ ، قل
ولا تقل ١٠٢٢
محمد الطنيسي [مدير الوعظ والارشاد] : الهلال
الحائر ١٩ ، عقوبة الاعدام ٢٤٦ ، بل
الازهريون يؤمنون بالكتاب كله ٥٥٨ ،
الاله والوجوديون ٦٦٥ ، ٧٥٠ ، ٨٤١ ،
٩٥٢
محمد عبد الله السمان : أولو العزم من الرسل
(كتاب) ٩٢٣
محمد عبد التواب [المفتش العام للوعظ] : صفحات
مشرقات ٢٩٦ ، يأتمرون بالدين والله غالب
على أسره ٦٥٤
محمد عبد الحميد البوشي [المدرس بمعهد سوهاج] :
عائشة أم المؤمنين ٢٩٣ ، الاسراء والعراج
٧٥٤
محمد عبد المنعم خفاجي : ثقافة المسلم ١٠٧٦
محمد عبده [مفتي مصر الأسبق] ٧٤٦ ، ٧٤٩ ، ٨١٤
محمد عطية راغب المحامي : الجريمة والحديث ١٢٥
محمد علي أبو الوفا : حول توحيد التعليم ٥٧١
محمد علي السائيس [عضو جماعة كبار العلماء] : كلمة
الازهر في ذكرى الهجرة ٩٣

محمد علي عبدالعزيز الشقنقيرى المحامى : كعبة المسلمين
الثانية ٥٣٨

محمد علي النجار | الأستاذ بكلية اللغة | لفويات :
القول للمدس ١٦٧ ، فلان للنفى رحمه الله
١٦٨ ، الملك - الملك ١٧٠ ، العمولة والعملة
١٧١ ، الصاروخ : الصاروخ ٢٧٠ ، الوطنية
الحقة ، الوطنية الحق ٢٧١ ، أزرع التمح
ولا الشمر ٢٧٢ ، رغب العلم ، أعاقى هذا
الامر ٢٧٣ ، الحيوانات ، المستشفيات ،
الحلات ٥١٤ ، استعراض الجيش ٥١٧ ،
فيه عندى كتاب ٥١٨ ، جاء صالحو القوم ،
نظرت إلى ناجي المدرسة ٦٤٠ ، للسلى :
السمن ، الأذرة : القدرة ، للملق : للملا ٦٤٢ ،
٧٦٢ ، الافاح : الافاحى ، السال : العالى
٧٥٩ ، أغراب : غرباء ، ٧٦١ ، صياً البلاط :
صياً البلاط ، صايح : سائم ٧٦٢ ، ينقصنى من
كتب المدرس كتاب التاريخ ، أعوز كتاب
التاريخ ٩١٦ ، الطريقة ٩١٨ ، لم أقرأ هذا
الكتاب من ذى قبل ٩١٩ ، الله وكبر الله
أكبر الله أكبر ١٠١٩ ، شد الحبل | بكسر
الشين [١٠٢١ ، زار السيد الوزر ونحن
مدرسة الصناعات ، أجل أبى وإياك ١١٠٩ ،
الرأسمالى ، والرأسمالية ١١١٠ ، الماضى ١١١١
محمد فهمى عبد العليط : الوحدة الاسلامية وعوامل
الضعف فيها ٧٤٩ ، ثلاثمائة وخمسون مليون
مسلم يزحفون إلى الامام ١٠٠٦
محمد فؤاد عبد الباقي : جبل ثور بالمدينة ١٨٦ ،
وجوب التصحيح فى من حديث صحيح ٤٩٥ ،
إنما هى القطة | بفتح الفاف لا غير [٨٠٤ ،
الآية للنسوخة » وعلى القدين يطبقونه
فدية ٩٦٣

محمد كامل الفقى | للمدرس بالازهر [: التجنى على الازهر
٤١٠ ، مع ابنى الاول فى عيد ميلاده ١٠٠٣
محمد محروس عبد الله : الخطوة الثانية [شعر] ٥٤٥

محمد محفوظ | دكتور [: حلة ظالمه ٤٣٠ ، لاتأكلوا
لحم الخنزير ٧٧٦

محمد عبد أبو شبة | الاستاذ فى كلية أصول الدين [:
ذات النطاقين ٣٠ ، من مآثر الانصار ١٢٩ ،
من أدب النبي صلى الله عليه وسلم ٢٤٣ ،
هكذا باسمه ٣٦٨ ، صور خالدة من صدر
الاسلام ٤٨١ ، بنو إسرائيل فى الماضى
والحاضر ٦٤٩ ، ٧١٤ ، ٨٧٦ ،
شهر القرآن ٩٥٨

محمد محمد خليفة | للمدرس بالازهر [: إلى الله ١٤٩
محمد محي الدين عبد الحميد [شيخ كلية اللغة العربية] :
تقرير السكينة عن التعامل على الازهر ٤٤٩
محمد محي الدين المسيرى : نظرية الحرية فى الشريعة
الاسلامية ١٥٧

محمود رزق سليم [الاستاذ المساعد بكلية اللغة] :
خصائص الادب ، ومعناها وإقليميتها ٦٢٧ ،
الانشاء ودبوان الانشاء ٧٣١

محمود الشرقاوى : مصر فى القرن التاسع عشر
[كتاب] ٩٢١

محمود فرج العقدة | للمدرس بكلية اللغة العربية [:
حلاوة الايمان ١٧٢ ، من أحكام المال
٢٦٥ ، الازهر والامر بالمعروف ٤٤٠ ،
موقف الاسلام من السلم والحرب ٥٠٩ ،
مثل النبي صلى الله عليه وسلم ومثل أمته ٦٤٤ ،
فضيلة المحبة فى الله ٧٩٩ ، الجندي المجهول ٩٩١
آداب القريب ١٠٨٠

محمود محمد زيادة | للمدرس بكلية اللغة [: مناقشة
الدكتور هيكل حول بدء الفتوح الاسلامية ٦٦٩
محمود النواوى المفقش فى الازهر [: واصل بن عطاء
٢٧٥ ، ترجان القرآن ٢٥٩ ، يا ليت قومي
يملكون ٣٧٨ ، الشيخ على للصعيدى ٦٥٧ ،
للقادى الميزان ٨٥٦ ، ٩٧٢ ، بين النواوى
والمقاد ١٠٣٩

مختصر نيل الاوطار [كتاب] ٢١٨
المحدرات ومشاكلها فى المجتمع ٢٧٤

- للدارس السمودية ١٠٥
مدارس الناس [شعر لشوقي] ٤٠٩
للدرسة والمسجد ٩٢٦
مذكرات عن الحروب الصليبية ٥٨٠
مذكورة علوم القرآن [كتاب] ٨١٨
مراكش للمراكشيين ٢٢١
للرأة المثالية في تقدير الاسلام ٧٣٦ ، ٦١٤
للرأة للملحة تقسكم ١٢٠
للرأة المصرية الرشيدة وحق الانتخاب ١٠٦٥
للرحلة الاخيرة لاجلاء عن مصر ٩٣٤
مرضى الافهام : كلمة لمصطفى الرافعى ٧٠٨
مركب النقص : كلمة لمعاوية ١٠٩
مركز الثقافة المصرى فى طرابلس الغرب ٥٧٩
مركز ثقافى مصرى فى القدس ٥٨٠
المروءة ٩٤٦
مساجد يافا وعكا ٥٨٣
مشولية الطبيب ٧٩٢
المسند للإمام أحمد ٨١٥
مشاكل شمال افريقية ٩٣٥
مشكلة الفقر والغنى : كلمة لرافعى ٧٦٣
مصر أصيلة فى عروبته ٦٩٧
مصر تنذر إسرائيل ٦٩٤
مصر فى حفلات تحرير أنديسيا ١٠٨
مصر فى القرن التاسع عشر [كتاب] ٩٢١
مصطفى محمود على [دكتور] الصيام والطب ١٠٣٤
المصطلحات الاربعة فى القرآن [كتاب] للمودودى ٨١٥
مصنع رجال ١٠٤٤
مضار الشاى الاسود [كتاب] ١٠٤٣
للطالمة لدمامد الدينية [كتاب] ٩٢٥
للمطامع اليهودية فى السيطرة على المياه العربية
[كتاب] ١٠٤٠
مع ابنى الاول فى عيد ميلاده ١٠٠٣
مع الرعيل الاول [كتاب] ٨١٦
- مع المجتمع [كتاب] ٥٧٦
معاوية رضى الله عنه ٨٥٦ ، ٩٧٢
معجزة نبوية توشك أن تتحقق ١٠٨٧
معجم للمصطلحات الزراعية ٣٢٤
المعلمة العربية [دائرة المعارف] ١٠٤٩
المعمل القدرى المصرى ٩٣٤
المعهد الأزهرى للبنات ٥٧٩ ، ١٠٤٤
معهد إسلامى فى الصف ٥٨٠
معوض عوض ابراهيم [واعظ بور سعيد] : ملكة
المراقبة بين الفرد والمجتمع ٦٦١ ، بالحق
نسود ٩٨٠ ، ليك اللهم لييك ١١٠٣
المقاربة : قتلهم بإسلاح أمريكا ٢٢٢
المفنع لابن قدامة وحاشيته ٩٨
المكتبات : دراسة شئونها ٢١٩
مكتبات الفصول ٥٧٩
المكتبات المدرسية ٨٢٣
مكتبة الدولة ٣٢٣
مكتبة سجن مصر ١٠٥
مكتبة لبحوث الطاقة الذرية ٢١٩
مكتبة المدينة المنورة ٥٧٨
ملكه للمراقبة بين الفرد والمجتمع ٦٦١
من أحكام المال ٢٦٥
من أدب النبى صلى الله عليه وسلم ١٢١ ، ٢٤٣
من أساليب التربية ٤٧٢
من حق المرأة المسلمة استشارتها قبل تزويجها ١٩٣
من كلام الأخف بن قيس ٢٠٠
من مآثر الانصار ١٢٩
من ماضى الاسلام وحاضره [كتاب] ١١٤٠
من ملامح الشخصية المسلمة ١٠٧٢
مناجاة القرآن العقل والعاطفة ١١٦ ، ١١٦
منظار فلكى عالمى ٥٧٨
منع الاسلحة عن مصر تمطيل لواجب دينى ٣٢٧
مهازل الترجمة فى الكلام البليغ ٧٨٧
مهر الحرية (كتاب) ١٠٤٢
مهزلة الأزهرى المحبول ١١٣٦

نفحات القرآن : ٦٦ ، ١١٦ ، ٢٣٢ ، ٣٤٤ ،
١٠٥٦ ، ٩٤٢ ، ٨٣٠ ، ٧٠٣ ، ٥٩١ ، ٤٧٢
نفقات التعليم الجامعى ٩٢٦
النقطة الرابعة ٥٧٩
نهج الحج [كتاب] ٤٣ ١
نهضة الداعى إلى الإصلاح الاجتماعى [كتاب] ٩٢٢

(ه - و - ز - ح)

هذه هى الخطوة الثانية فما هى الثالثة ٤٣١
هداية الله وفتنة الناس ٢٣٢ ، ٣٤٤
هل استيقظ العملاق ٩٢٧
هل للمرأة حقوق سياسية ١٨١
الهلال الحائر ١٩
واصل بن عطاء ٧٥
وثائق تسليح إسرائيل ٣٢٦
وجوب التصحيح فى من حديث صحيح ٤٩٥
الوجودية فى مصر ٢٥٠ ، ٢٧٨ ، ٣٠٢ ، ٣٠٥ ،
٩٥٢ ، ٨٤١ ، ٧٥٠ ، ٦٦٥ ، ٣٤٢ ، ٣١٥
الوجودية فى الميزان [رسالة] ٨١٧
الوحدة الاسلامية وعوامل الضعف فيها ٨٤٩
وحدة المغرب واستقلاله ١٠٤٦
وحى النهضة الوطنية فى الخطب المنبرية [كتاب] ٩٢٣
وزارة الشؤون الاجتماعية [كتاب] عن نشأتها
وخدماتها ١٠١
الوطن العربى الأكبر [شعر] ٧٢٢
وطاظ الأزهر ٢٢٠
يأتعمرون بالدين واقه غالب على أمره ٦٥٤
يا شرق [شعر] لغلايينى ٨٠٨
يا ليت قومى يملكون ٣٧٨
يوم فى هارظارد ٧٣٩
ينابيع العافية ١٠١٠

مؤزرة الغرب للصهيونية ٨٢٣
مؤتمر إسلامى فى أندونيسيا ٢٠٨
مؤتمر الحريجهن لقضايا العرب ٣٢٩
مؤتمر علىكرة الجغرافى ٩١٩
مواقف خالدة لعلماء الأزهر ١٤٣
موجة الانحلال فى الادب المعاصر ٨٣٦
موعظه للمؤمنين . كتاب ٩٢٣
موقف الاسلام من السلم والحرب ٩ ٥
موقف الثورة من الأزهر ٦٧٥
مؤمنة جاهدت « مسرحية » ٤٥
ميثاق الجامعة العربية : اقتراح تمديده ٨٢٢
ميزانية الجامعة العربية ٣٢٨

(ن)

ناصر ناصف سليم : شهاب الحرس الوطنى
بالأزهر ٩١٤
ناطح صخير لصخرة الأزهر ١١١٥
النحلة الاحمدية [كتاب] ٢١٦
نذير لأمريكا من قبر فرانكلن ٧٧٧
نسمات الاصيل فى المذيع [كتاب] ٦٩٠
نشاط الأزهر الثنائى ٩٢٤
نصر العربية فى الخارج ٣٢٤
نشيد طلبة الأزهر ٤٣٢
نصيحة شيخ الأزهر لابنائهم الطلبة [بأول جزء
ربيع الاول]
نظام للملك الطوسى ٤٩٩
نظام نقد إسلامى بلا أرباح ١٥٢
نظرية التطور فى علوم العرب ودراساتهم ٧١٣
نظرية الحرية فى الشريعة الاسلامية ١٥٧
نظفوا الصحافة ٦٩٢
النفاق السياسى ٣٣٣

الفهرس

صفحة	الموضوع	بقة — لم
١٠٤٩	تراثنا الثقافي في طريق البعث والتنظيم ...	الاستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
١٠٥٦	نفحات القرآن : المجاهدون في الله ...	د عبد اللطيف السبكي مدير التفتيش
١٠٦٠	السنة : سيد الأزواج - ٣ - ...	د طه محمد الساكت ...
١٠٦٥	المرأة المصرية الرشيدة وحق الانتخاب ...	د أبو الوفا المراغي ...
١٠٦٨	الله جل علاه ...	د عباس طه المحامى ...
١٠٧٢	من ملاح الشخصية المسلمة ...	د أحمد الشرباصى ...
١٠٧٦	ثقافة المسلم ...	د محمد عبد المنعم خفاجى ...
١٠٨٠	آداب الغريب ...	د محمود فرج العقدة ...
١٠٨٧	معجزة نبوية توشك أن تتحقق ...	د أحمد محمد شاكر ...
١٠٩٣	بحوث في مصادر الشريعة النظرية - ٢ -	د زكى الدين شعبان ...
١١٠٣	لييك اللهم لييك ...	د معوض عوض ابراهيم ...
١١٠٦	الفضائل الاجتماعية في الشعر الجاهلى ...	د على العمارى ...
١١٠٩	لغويات ...	د محمد على النجار ...
١١١٢	إعراب العارية ...	د طه الزينى ...
١١١٦	بيع الدين ونقله ...	د عيسوى أحمد عيسوى ...
١١٢٦	حقوق الانسان في دستور مصر الجديد	د أحمد طه السنوسى ...
١١٣٠	الاخلاق ...	د ابراهيم أبو سعدة ...
١١٣٤	صحيفة الشعب صحيفة بناء ...	د عبد اللطيف السبكي ...
١١٣٦	مهزلة الأزهرى الخجول ...	د عبد اللطيف السبكي ...
١١٣٨	الكتب ...	المجلة ...
١١٤٣	الادب والعلوم ...	د ...
١١٤٥	أنباء العالم الإسلامى ...	د ...
١١٤٧	الفهرس السنوى ...	د ...